شرح ديوان الحماسة لأبي تمام

تأليف

الخطيب التبريزي

أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني

المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

كتب حواشيه

غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة

أحمد شمس الدين

المجلد الأول

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

شرح
ديوان الحماسة
لأبي تمّام

تأليف

الخطيب التبريزي

أبي زكريّا يحيى بن عليّ بن محمّد بن حسن بن بسطام الشّيبانيّ
المتوفّى سنة ٥٠٢ هـ

كتب حواشيه
غريد الشيخ

وضع فهارسه العامّة
أحمد شمس الدين

الجزء الأول

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السّنّة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2900-7

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدِّمة

شاعرٌ وكتاب...

حبيب بن أوس الطائي، أبو تمّام...

شاعر كانت حياته سياحة مُتَّصلة ووطنه ظهور المطايا...

وُلِدَ في دمشق، ثم ارتحل إلى مصر وهو غلام فأقام فيها خمس سنين وقال فيها الشعر. ثم ذهب إلى بغداد واتّصل بالمعتصم والواثق وغيرهما، ثم ترك بغداد عدة سنوات ورحل عنها إلى أطراف الأقطار الإسلامية، فذهب إلى أرمينية ومدح خالد بن يزيد، وإلى الجزيرة فمدح محمد بن يوسف الطّائي وذهب إلى خراسان ومدح فيها عبد الله بن طاهر، ورحل إلى الحجاز وعاد إلى بغداد.

حياة مليئة بالأسفار والتجارب، وثقافة واسعة تميَّز بها أبو تمّام فقد كان حافظًا كثير النظر في الشعر مَيَّالاً إلى الاختيار منه، قيل إنه حفظ أربع عشر ألف أُرجوزة للعرب غير القصائد والمقطَّعات، هذه القراءة ملأت حافِظَته وخياله وعقله بالمعاني والألفاظ التي استعملها الشعراء فأصبح بلا منازع أوحد عصره في ديباجة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن أسلوبه.

قال عنه أبو الفتح بن الأثير في كتابه المثل السائر:

«أمّا أبو تمّام فَرَبُّ معانٍ وصيقل ألبابٍ وأذهان، وقد شُهِدَ له بكلِّ معنًى مُبْتَكَر لم يمشِ فيه على أثر، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب الذي يبرز فيه على الأَضراب، ولقد مارستُ من الشِّعر كل أوّل وأخير، ولم أقُلْ ما أقولُ فيه إلاّ عن تنقيبٍ وتنقير. فمَن حفظ شِعْرَ الرَّجُلِ وكشفَ عن غامضه وراضَ فِكره برائِضه أطاعته أعِنَّةُ الكلام، وكان قوله في البلاغة ما قالت حزام، فخذ منّي في ذلك قول حكيمٍ وتعلَّم ففوق كلِّ ذي علمٍ عليم»[(١)].

(١) شذرات الذهب ٢/ ٧٢.

أما الكتاب:

فهو ديوان الحماسة، وقبل أن نتكلّم عن الكتاب نعود إلى ذلك الرجل الشاعر فنرافقه في رحلة من رحلاته الكثيرة، وتلك كان قاصدًا بها عبد الله بن طاهر وهو بخراسان... سافر إليه ومدحه فأثابه على مدحه، وعاد إلى بغداد، ولكن ربّما لحُسن الحظّ ـ حظّ التراث العربي الأدبي ـ... فقد وقع ثلجٌ عظيم قطع الطريق ومنعَ السفر... في هذا الوقت كان شاعرنا ضيفًا لدى صديقه، أبي الوفاء بن سلمة، في همذان، ضاق صدر أبي تمّام الذي تعوّد التّرحال والتنقّل، فما كان من صديقه إلاّ أن وضع مكتبته بينَ يديه وطلب منه أن يوطّن النفس على الإقامة فالثلج لن ينحسر إلا بعد زمن... وهكذا بدأت رحلة الاختيار والانتقاء لدى شاعرنا الذي وافق العمل ما يعتلج في نفسه من حُبٍّ للشعر والأدب، ووُلِدَ كتاب «ديوان الحماسة» الذي هو اليوم من أهمّ الكتب وأجَلّها.

يقول المرزوقي في وصف عمل أبي تمّام في الحماسة: «وهذا الرجل لم يَعْمِدْ من الشعراء إلى المشتهرين منهم دون الأغفال، ولا من الشعر إلى المتردِّد في الأفواه، المُجيب لكلّ داع، بل اعتسفَ في دواوين الشعراء جاهليِّهم ومخضرمهم، وإسلاميِّهم ومولَّدِهم، واختطف منها الأرواح دون الأشباح، واخترف الأثمار دون الأكمام، وجمع ما يوافقُ نظمَه ويخالفُه، لأنّ ضروبَ الاختيار لم تَخْفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستتِر عنه، حتى إنّه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيَجْبُرُ نقيصته من عنده، ويبدِّلُ الكلمة بأُختها في نقده»[1].

شروح الكتاب:

«أبو تمّام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره» هكذا قالوا، وهكذا فتح الباب أمام النقّاد واللغويين وأصحاب المعاني ليعملوا على هذا الكتاب ويشرِّحوه ويدقِّقوا النظر في اختياراته..

وقد ذكر صاحب كشف الظنون أسماء بعض مَنْ شرحوا الحماسة وهم:

١ ـ أبو بكر محمد بن يحيىٰ الصّولي (ت ٣٣٥ هـ/ ٩٤٦ م).

٢ ـ أبو الفتح عثمان بن جِنّي (ت ٣٩٢ هـ/ ١٠٠٢ م)، وقد سمّى شرحه: «التنبيه على شرح مشكلات الحماسة».

٣ ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م).

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٣ و١٤.

٤ ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ (ت بعد ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٥ م) وقد اعتمد التبريزي على شرحه، ويمتاز شرحه بالعناية بتصحيح نسبة الأبيات إلى الشعراء، مع بيان اشتقاق أسمائهم.

٥ ـ أبو المظفّر محمد بن آدم الهَرَويّ (ت ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م).

٦ ـ أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠ م).

٧ ـ أبو عبد الله الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩ م).

٨ ـ أبو الحسن علي بن سيده، اللغوي المشهور (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٣ م) وسمّى كتابه «الأنيق» وهو في ستّ مجلّدات.

٩ ـ أبو القاسم زيد بن علي الفَسَوِيّ (ت ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٥ م).

١٠ ـ أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م).

١١ ـ عبد الله بن أحمد الشاماتي (ت ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢ م).

١٢ ـ الأعلم أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٣ ـ أبو بكر بن يحيىٰ الصولي (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٤ ـ عبد الله بن إبراهيم بن حكيم الخَبْرِيّ (ت ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣ م).

١٥ ـ أبو زكريا يحيىٰ بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م) وهو صاحب هذا الشرح الذي ننشره.

١٦ ـ أبو المحاسن مسعود البيهقي (ت ٥٤٤ هـ/ ١١٥٠ م).

١٧ ـ أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد بن منذر بن سعيد بن ملكون الحضرمي الإشبيلي (ت ٥٨٤ هـ/ ١١٩٠ م).

١٨ ـ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَرِيّ (ت ٦١٦ هـ/ ١٢١٩ م) وهو شرح مختصر اقتصر فيه على الإعراب.

١٩ ـ أبو نصر منصور بن مسلم بن علي الحلبي، والمعروف بابن الدميك.

٢٠ ـ أبو علي حسن بن علي الاستراباذي النحوي.

٢١ ـ أبو نصر قاسم بن محمد النحوي.

٢٢ ـ أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني (ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م) وقد نقل التبريزي الكثير من هذا الشرح.

٢٣ ـ أبو عبد الله النمريّ ألّف كتابًا في «مشكلات الحماسة». والتبريزي يُورِد نصوصًا من هذا الكتاب ثم يعقبها بردِّ أبي محمد الأعرابي عليها وتخطئته لها معتمدًا على شيخه أبي الندى في أكثر الأمر.

٢٤ ـ أبو محمد الأعرابي: صنع نقدًا لشرح النمري واسمه: «إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله الحسين بن علي النمري البصري ممّا فسّره من أبيات الحماسة».

٢٥ ـ أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧ م) وقد نقل التبريزي الكثير منه في شرحه.

٢٦ ـ وذكر البغدادي مصنّفًا لأبي علي الشلوبين، وآخر لأبي الفضل الطبرسي.

٢٧ ـ وهناك شرح حديث منسوب إلى محمد سعيد الرافعي وهو في الحقيقة لإبراهيم الدلجموني، وقد طبع عدة مرات.

٢٨ ـ شرح للعلاّمة الشيخ سعيد بن علي المرصفي.

٢٩ ـ شرح لبهاء الدين بن عبد القادر بن لقمان، سمّاه: «الرصافة القادرية» طبع بالهند سنة ١٢٩٩.

التِّبْرِيزي:

أبو زكريا يحيىٰ بن عليّ بن محمد بن حسن بن بِسطام الشيباني الخطيب، التِّبريزي (ت ٥٠٢ هـ/ ١١٠٩ م).

شاعرنا أبو تَمّام كان وطنه ظهور المطايا لكثرة ارتحاله وتنقّله... أما التِّبريزي فقد كان أيضًا كثير الارتحال ولكن لم يكن لديه مَرَّة ما يستأجر به مركوبًا، فارتحل حاملاً كتاب «التهذيب في اللغة» لأبي منصور الأزهري المعرّي، حمله في مِخلاةٍ وحملها على كتفه من تِبريز إلى المعرّة إلى أبي العلاء المعري فنفذ العَرَقُ من ظهره إلى الكتاب فأثّر فيه البلل... ومَنْ يرى تلك النسخة في إحدى المكتبات الموقوفة في بغداد يظنّها غريقة وليس بها إلا عَرَق ابن الخطيب.

هكذا كانت بداية العالِم الأديب اللّغويّ، فَقْرٌ وقِلّةُ مَالٍ، ولَكِنْ طموحٌ كبيرٌ ورغبةٌ شديدةٌ لأخذ العلم من منابعه... أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وعبيد الله بن علي الرقيّ وأبي محمد الدّهان... وسمع بصور من الفقيه سُلَيم بن أيوب، وعبد الكريم بن محمد السيّاري، وأبي بكر الخطيب، وأقام بدمشق مدة ثم ببغداد....

ثم وَلِيَ تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرِّياسة في اللغة والأدب وسار ذِكره في الآفاق ورحل الناس إليه.

أخذ عنه ابن ناصر، وأبو منصور الجواليقي والسِّلَفي وغيرهم...

أما أهم مؤلّفاته فهي:

١ ـ ثلاثة شروح على حماسة أبي تمّام شرح أولاً شرحًا صغيرًا فأورد كل قطعة من الشعر ثم شرحها، وشرح ثانيًا بيتًا بيتًا، ثم شرح شرحًا طويلاً مستوفيًا. والشرح المتداول والذي بين أيدينا هو الشرح المتوسّط.

وقد طبع شرح التبريزي ثلاث مرات إحداها في مدينة «بن» سنة ١٨٢٨ بتحقيق المستشرق «غِيُورغ وِلْهَلْم فَرَيْتَغ» Dr. Georg. Ouil. Freytag، المعلّم في المدرسة الكلية الفريدرخُوَلهَلْمية. وطُبعَ مرة أخرى في بولاق ١٢٩٦ بتصحيح الشيخ محمد قاسم، ومَرَّة ثالثة بتحقيق الأستاذ الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٧.

٢ ـ شرح ديوان المتنبي.

٣ ـ شرح ديوان سقط الزّند.

٤ ـ شرح المشكل من ديوان أبي تمّام.

٥ ـ شرح اللّمع لابن جني.

٦ ـ شرح مقصورة ابن دريد.

٧ ـ شرح المعلّقات السبع.

٨ ـ تهذيب الألفاظ لابن السّكّيت.

٩ ـ تهذيب غريب الحديث.

١٠ ـ تهذيب إصلاح المنطق لابن السّكّيت.

١١ ـ الملخّص في إعراب القرآن.

١٢ ـ الكافي في العروض والقوافي.

١٣ ـ شرح المفضّليات.

١٤ ـ مقدّمة في النحو.

١٥ ـ مقاتل الفرسان.

ديوان الحماسة بين المرزوقي والتّبريزي:

مما لا شكّ فيه أن التّبريزي قد أخذ الكثير الكثير من شرح المرزوقي للديوان فهو في كثير من الأحيان ينقل شرح المرزوقي دون أن يكلّف نفسه عناء الصياغة حتى إنه يشرح رواية الأول رغم أنها مخالفة لروايته في النصّ الشعريّ ويتجاهل التعليق على روايته هو.

وقد عُنِيَ التبريزي بأخبار الشعر ومناسباته وقد أفاد من شرح أبي رياش للحماسة، وكذلك اهتمّ بأسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم وقد اعتمد في هذا على شرح أبي هلال العسكري، وعلى المبهج لابن جني.

أما شرح المرزوقي فيمتاز باهتمامه بمعاني الشعر وبالنقد والموازنة والاهتمام باللغة والاشتقاق وكذلك بالنحو والصرف. أما تقصيره فهو في الاهتمام بالشعراء وبالمناسبات.

والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيَّرَة يتكلَّف لها الصنعة حينًا، ويعمد حينًا آخر إلى السجع الهيّن. وأهم ما يميّز شرحه هو المقدمة النفيسة التي تُعَدّ وثيقةً هامّةً في تاريخ النقد الأدبي: نقد الشعر ونقد النثر، ضَمّنها مسائل شتّى تتعلّق بموازنة النظم والنثر، وما أثر الصنعة والطبع في الآثار الأدبية في قيمتها وفي جمالها.

هذا إلى أن هناك اختلافًا بين شرحي المرزوقي والتبريزي في ترتيب المقطوعات والأبيات وعددها.

عملنا في الكتاب:

١ ـ المقارنة التامّة بشرح المرزوقي.

٢ ـ ترجمة شعراء الحماسة ترجمة موجزة والإشارة إلى مراجع الترجمة.

٣ ـ العناية بتعيين أسماء المجهولين من شعراء الحماسة الذين عَبَّر عنهم أبو تمّام بقوله: (وقال آخر) وكذلك بأسماء الشعراء في شرح التبريزي.

٤ ـ تخريج البلدان من المصادر المعروفة.

٥ ـ تخريج الشواهد الشعرية الواردة في نصّ التبريزي ولا سيما الموجودة في كتب اللغة والنحو، وأُشير هنا إلى اعتمادي على كتاب «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، إعداد الدكتور إميل يعقوب» الذي ساعدني كثيرًا وسَهَّل العمل مما يمكّن القارىء المختصّ إلى الرجوع إلى كتب اللغة والأدب.

٦ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٧ ـ تخريج الآيات القرآنية.

٨ ـ تخريج الأمثال.

وبعد... فإن كنتُ قد أثقلتُ الحواشي بالشروحات وذكر المراجع اللغويّة فذلك لرغبتي أن يستفيد مَنْ يريد الفائدة اللّغوية التي قصدها إمام اللغة والأدب والنحو ابن الخطيب التّبريزي.

والله من وراء القصد

غريد الشيخ

٩٩/٩/١٤

بسم الله الرّحمٰن الرحيم

مقدّمة التِّبريزي

قال الشيخ أبو زكريا يحيىٰ بن علي الخطيب التِّبريزي رحمه الله:

أمَّا بعدَ حَمْدِ الله الذي لا يبلغ صفاته الواصفون، ولا يدرك يقينه العارفون، كشف بنوره الدّجا، وأسعف الراجي بما رَجَا هدانا لطاعته وذِكره، ووفّقنا لما يزلف من عفوه وغفره. والصَّلاة على نبيّه محمد الداعي إلى الكلمةِ الصَّادقة، الصَّادع بالدلائل النَّاطقة، وعلى آله الطيِّبين وعترته المنتجبين، فإن أهل الأدب إنما يتباينون به في درجاتهم ويتفاخرون به في طبقاتهم لأن أشرفَ العلوم كلّها عِلْمُ الكتاب والسُّنَّة وهما قطبا كلِّ علم وأصْلاَ كلّ فهم إذ كانا طريقًا إلى معرفة الخالق تعالى وشكر نعمته، وسبيلاً إلى إدراكَ السَّعادة والفوز بجنّته. ولا يصحُّ حقيقة معرفتهما إلاّ بعلم الإعراب الدَّالِّ على الخطأ من الصَّواب، وعلم اللّغة الموضحة عن حقيقة العبارات المُفصِحة عن المجاز والاستعارات، وعلمِ الأشعار إذ كان يُستشهد بها في كتاب الله عزَّ وجلَّ وفي غريب أخبار رسوله ﷺ. وقد جاء عن النبيِّ ﷺ وصحابته رحمة الله عليهم في فضل الشِّعر ما يرغِّب في روايته ويحضُّ على معرفته. من ذلك ما رُوِيَ عن عبد الله بن عباس أنه قال: جاء أعرابيّ إلى النبيّ ﷺ فتكلّم بكلام بيِّنٍ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا، وإن من الشعر لحِكمًا» وفي رواية أخرى لحكمة. وعن عبد الله بن زهير عن أبيه قال: وفد العلاء بن الحضرميّ على رسول الله ﷺ فقال له: أتقرأ من القرآن شيئًا؟ قال: نعم، فقرأ عبس وتولى وزاد فيها من عنده وهو الذي أخرج من الحبلى نسمة تسعى بين شراسيف وحَشَا. فصاح به النبيُّ ﷺ: «كُفَّ فإنَّ السورةَ كافية» ثم قال: هل تقول من الشعر شيئًا؟ قال: نعم، قال: أنشدني، فأنشده شعرًا: [الطويل]

حَيِّ ذَوي الأضغان تَسْبِ قلوبَهم ... تحيّة ذي الحُسْنَى فقد يرقع النعلُ
وإن دحسوا بالكره فاحف كريهة ... وإن حبسوا عنكَ الحديثَ فلا تسلُ
فإنَّ الَّذي يؤذيكَ منه سماعه ... وإن الَّذي قالوا وراءَك لم يقلُ

فقال النبي ﷺ: «إن من الشعر لحِكمًا وإن من البيان لسحرًا» قوله: وإن دحسوا، الدّحس طلبُ الشيء على كرهٍ وأصله أن يدخل الرجل يده بين جلد الشّاة وصفاقها ليسلخها وهو الإفساد أيضًا، ومعنى البيت: أنهم إذا داخلوك في حديثك فاصفحْ عنهم ولا تضجرْ وإن قطعوا عنكَ الحديث فلا تسألهم عن سبب قطعه. وعن سعيد بن جبير قال: سمعنا عبد الله بن عبّاس يُسْأَلُ عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا؟ وعن عكرمة قال: ما سمعت ابن عبّاس فَسَّر آيةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ إلاّ نزع فيها بيتًا من الشعر وكان يقول: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب. والأخبار في هذا المعنى كثيرة وأفضل الأمم مَنْ كان به أمهر وحَظّه منه أوفر وهم العرب الذين جعلوه ديوانهم الذي يحفظون به المكارم والمناسب ويقيدون به الأيام والمناقب ويخلدون به معالم الثّناء ويبقون به مواسم الهجاء ويضمّنونه ذِكر وقائعهم في أعدائهم ويستودعونه حِفظ صنائعهم إلى أوليائهم، وإلى هذا المعنى أشار حبيب بن أوس بقوله: [الكامل]

إنَّ القوافي والمساعي لم تَزَلْ ... مِثلَ النّظام إذا أصابَ فريدا
هي جَوْهَرُ نثر فإن ألفته ... بالشّعر صار قلائدًا وعُقودا
في كلّ معترك وكلِّ مقامة ... يأخذنَ منه ذمّةً وعهودا
فإذا القصائدُ لم تَكُنْ خفراءها ... لم ترضَ منها مشهدًا مشهودا
مِن أجل هذا كانت العرب الأُلى ... يدعونَ هذا سُؤددًا مجدودا
وتندّ بينهم العلا إلاّ علا ... جعلت لها مرر القريض قيودا

وأشعارهم كثيرة والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام وعلماء النظام ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات، ومن المقطّعات الحماسة، وقالوا إن أبا تمّام في اختياره الحماسة أشعر منه في شعره.

وكان سبب جمع أبي تمّام الحماسة أنه قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان فمدحه وكان عبد الله لا يُجيز شاعرًا إلا إذا رضيه أبو العميثل وأبو سعيد الضّرير فقصدهما أبو تمّام وأنشدهما القصيدة التي أولها: [الطويل]

هُنَّ عوادي يوسف وصواحبه ... فعزمًا فقِدْمًا أدرك السّول طالبه

فلمّا سمعا هذا الابتداء أسقطاها فسألهما استتمام النظر فيها فمرّا بقوله:

ورَكْبٍ كأطرافِ الأسِنّةِ عَرَّسوا ... على مِثْلِها واللّيلُ تسطو غَيَاهِبُهْ
لأمرٍ عليهم أن تتمّ صدوره ... وليس عليهم أن تتمّ عواقِبُهْ

فاستحسنا هذين البيتين وأبياتًا أُخَر منها وهي:

وقلقل نأى من خراسان جاشها　　فقلت اطمئني أنضر الرّوض عازبه
إلى سالبِ الجبّارِ بيضة ملكِه　　وآمله غادٍ عليه فسالِبُهْ

فعرضا القصيدة على عبد الله وأخذا له ألف دينار وعاد من خراسان يريد العراق فلما دخل هَمَذان اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطرق ومنع السَّابلة فغمّ أبا تمّام ذلك وسرَّ أبا الوفاء، فقال له: وَطِّنْ نفسَك على المقام فإن هذا الثلج لا ينحسرُ إلاّ بعد زمان. وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنّف خمسة كتب في الشّعر منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طِوال، فبقي كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضنّون به ولا يكادون يُبرِزونه لأحد حتى تغيّرت أحوالهم وورد همذان رجل من أهل دينور يُعرَف بأبي العواذل فظفر به وحمله إلى أصبهان فأقبل أُدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنَّعة في معناه فشُهِر فيهم ثم فيمن يليهم. وقد فسّره جماعة فمنهم مَن قصر فيه ومنهم مَن عُنِيَ بذِكر إعراب مواضع منه دون إيراد المعاني ومنهم مَنْ أورد الأخبار التي تتعلّق به وأعرض عن ذكر المعاني، ومنهم مَن ذكر المعاني دون الإعراب والأخبار. وأنا كنت قد شرحته شرحًا مستوفى غير أني كنت أوردت كلَّ قطعة من الشعر جميعها ثم شرحتها مجملاً ولم أفصل بين أبياتها بالتفاسير فرأيت أكثر مَنْ يقرأ على هذا الكتاب يرغب في شرح كل بيت بعده ويميل إلى ذلك ليسهل عليه معرفة ما يشكل في كلّ بيت منه ويَبِينَ له غرض الشاعر بالكشف عنه، فاستعنتُ بالله تعالى وعزمتُ على شرحه من أوّله إلى آخره شرحًا شافيًا بيتًا بيتًا على الولاء وتبيين اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم ممن يجري ذِكره في الكتاب وتفسير ما في كلّ بيت من الغريب والإعراب والمعنى، وذِكر ما اختلف فيه العلماء في المواضع التي اختلفوا فيها، وإيراد الأخبار في أماكنها إن شاء الله. وبالله في مفتتح الأمر وخاتمته المستعان وعليه التّكلان.

باب الحماسة

الحَمَاسَة: الشِّدّة في الأمر، يقال: حَمِسَ الرَّجل في الأمر يَحْمَسُ حَمَسًا وحماسة، إذا اشتد فيه، وهو أحْمَسُ وحَمِيس، وكانت قريش وكِنَانة وخُزاعة وجماعة من بني عامر بن صَعْصَعَة يُسَمَّوْنَ حُمْسًا لِتشدّدهم في أحوالهم دينًا ودنيا، وكانوا، إذا أحرموا، لا يأقطون الأقط، ولا يَسْلَؤُون السَّمن: أي لا يُصفّونه من الزبد، ولا ينتفون الشَّعر ولا الوبر، وكان أهل الجاهلية يحرمون أشياء، ولا يأتون البيوت من أبوابها ولكن من أدبارها أو ظهورها، وكان الرَّجل إذا أحرم قبل الحجّ: فإن كان من أهل المدَرِ اتَّخذ نَقْبًا في ظهر بيته فمنه يدخل ويخرج، ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه، ويتّخذ سُلَّمًا يصعد فيه وينحدر؛ وإن كان من أهل الوَبَرِ دخل من خلف البيت، إلاّ أن يكون من الحُمْسِ، فدخل رسول الله ﷺ وهو مُحرِم من بابِ بُنِيَ بنيانًا، واتّبعه رجل من أهل الإسلام يقال له قُطْبة بن عامر أحد بني سَلِمَةَ ولم يكن من الحُمْس، فدخل معه، فأنكر ذلك عليه، وقال: «اجتنبني فإنك مُحْرِمٌ وقد دخلت من الباب» فقال: يا رسول الله وأنت مُحْرِم، فقال له: «إنّي أَحْمَسِيٌّ»[1] فقال له الرجل: إن كنتَ أحْمَسيًّا فإني أحْمَسيّ، رَضِيتُ بِهَدْيِكَ وسُنَّتك وَدِينكَ. فنزل: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[2] الآية. والنَّسَب إلى الحُمْسِ أحْمَسِيٌّ، كما أن النسب إلى الفرائض فَرَضِيّ، ويقال: قد حَمِسَ الشَّرّ، وَحَمِسَ الوغى، إذا اشتدّ، قال الشَّاعر[3]: [الطويل]

وَفَرَّ أبو الصَّهْبَاءِ إذْ حَمِسَ الوَغَى ... وَأَلْقَى بِأَبْدانِ السُّلاحِ وَسَلَّمَا
فَلَوْ أَنَّها عُصْفُورةً لَحَسِبْتَها ... مُسَوَّمةً تَدْعُو عُبَيْدًا وَأَزْنَما

وكثر ذلك حتى سُمِّيَتِ الشَّجاعة حَمَاسة، لأنَّ الشُّجاع يشتدُّ على قِرْنِهِ عند المِرَاس، وبنو حِمَاس وبنو حميس: قبيلتان من العرب، وبنو عامر تسمّى الأحامس، وكأنهم ذهبوا

(١) الحديث في أسباب النزول للواحدي ص ٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٣) هو العَوّام بن شَوْذَب الشّيبانيّ والبيت الثاني في اللسان (ز ن م).

في واحد خُمْس إلى أنه صفة فجمعوه جمع الصِّفات، كما يقال أحمر وحُمْر وأصفر وصُفْر، وذهبوا في واحد الأحامس إلى أنه اسم فجمعوه جمع الأسماء، كما يقال أحمد وأحامد، وهم يُخرِجون الأسماء إلى باب الصِّفات كثيرًا كقولهم: بنو فلان الذّوائب لا الذّنائب، أي الأعالي لا الأسافل، كما يُخرِجون الصِّفات إلى باب الأسماء، كالأَسْوَد لِلحية، والأدهم للقيد، والأبطح لِلرمل المنبطح على وجه الأرض، وهذه صفات في الأصل أُخرِجَت إلى باب الأسماء فاعرفه.

[١] قال بعض شعراء بَلْعَنْبَر، واسمه قُرَيْط بنُ أُنَيْفٍ[١]:

قُرَيْط: تصغير قُرْط، وأُنَيْف: تصغير أَنْف، وأنف كل شيء مُقَدَّمه. العرب تقول: بَلْعَنْبَر وبَنُو العنبر، وكذلك يفعلون فيما فيه ألف ولام إذا لم يكن ثَمَّ إدغام، فيقولون بَلْعَجْلاَن وبَلْحارث بن كعب، فإن كانت لام التعريف مُدْغَمة مثل النَّمِر ونحوه لم يحذفوا النون من «بني»، وبيان ذلك أنهم يريدون «بني العنبر» فيحذفون الياء لسكونها وسكون اللاّم، ثم من بعدها يحذفون النون لأمرين: أحدهما كثرة الاستعمال، والآخر مشابهة النون اللاّم، فتحذف كما يحذف أحل المثلين في نحو أَحَسْتُ وَظَلْتُ، والدليل على أن المراد في قولهم «بَلْعَنْبر» ما ذكرناه، أن التنوين لا يصحب كسرة الراء في بلعنبر، وإنّما حذفت النّون من «بني» لاجتماعه مع اللام من العنبر لتقاربهما في المخرج، وذلك لأنه لمَّا تعذّر الإدغام فيه حصل الحذف بدلاً من الإدغام؛ وإنما تعذّر الإدغام لأن الأوّل متحرك والثاني ساكن سكونًا لازمًا، ومن شرط المدغم تحريك الثاني إذا أُدغِمَ الأول فيه، والثاني هٰهنا حرف التعريف، وسكونه لازم، فجعل الحذف بدلاً من الإدغام لمَّا تعذّر لكونه مؤديًا إلى التخفيف المطلوب، ولا يلزم، على هذا، أن تحذف النون من «بني النَّجار» لأن اللاّم قد أُدغم في النون التي بعده فلا يمكن تقدير إدغام النون التي قبله فيه حتى إذا تعذّر جُعِل الحذف بدلاً من الإدغام، بدلالة أن ثلاثة أشياء لا يصحّ إدغام بعضها في بعض، ومما يشبه هذا من اجتماع المتجانسين من كلمتين واستعمال الحذف في أحدهما بدلاً من الإدغام قول القَطَريّ بن الفُجَاءَة[٢]: [الطويل]

غَدَاةَ طَفَتْ عَلمَاءِ بَكْرُ بْنُ وائل ... وَعُجْنا صُدُورَ الخَيْلِ نَحْوَ تَميمِ

---

(١) قريط بن أنيف: شاعر جاهلي في حياته غموض (ترجمته في شرح شواهد المغني ص ٢٥؛ وسمط اللآلي ص ٥٤٥؛ والأعلام ٦/ ٣٨).

(٢) قَطَريّ بن الفجاءة: من رؤساء الخوارج، كان خطيبًا فارسًا من أهل قطر (ت ٧٨هـ/ ٦٩٧م). (ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٤٣٠؛ والطبري ٧/ ٢٧٤؛ وسمط اللآلي ص ٥٩٠). والبيت له في ديوانه ص ١٧٤؛ والحماسة الشجرية ١/ ٢٢١؛ وشرح شواهد الشافية ص ٤٩٨؛ وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٤٢٩؛ وشرح المفصّل ١٠/ ١٥٤.

ونظيره وإن كان التقاؤهما في كلمة واحدة قولهم ظَلِلْتُ وَمَسِسْتُ يقال فيهما: ظَلْتُ وَمَسْتُ، وإن شئت قلت: ظِلْتُ وَمِسْتُ، تلقي حركة المحذوف على فاء الفعل، والعنبر في اللغة: التّرس والطّيب، وعنبرةُ الشتاء: شدّته، ويقال: إنّ بني العنبر يُضْرَبُ بهم المثل في الهداية؛ فيمكن على هذا أن تكون النون في عنبر زائدة، ويكون مثاله من الفعل فَنْعَلاً من «عَبَرْت» كأنه بحسن تَأَتّيه للاهتداء يَعْبُرُ الطرق، ومنه قِيلَ للبعير: هو عُبْرُ أَسْفَارٍ.

١ ـ لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلي   بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانا

من الضَّرب الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

المازن في اللغة: بيض النّمل، وقد يكون الذّاهب في الأرض من غير أن يُعرَف له أثر، ومَزَنَ الرّجلُ مُزُونًا: إذا ضاء وجهه، ومَزَّنْتُ فلانًا: فَضَّلْتُهُ، وفلان يَتَمَزَّنُ على أصحابه: أي يتفضَّلُ عليهم، وَالمَوَازن في العرب أربعة: مازن قيس، ومازن اليمن، ومازن ربيعة، ومازن تميم، والمراد في البيت مازن تميم، واللَّقيطة: فعيلة بمعنى مفعولة، ودخلت الهاء فيها لأنّه أراد بها الاسم؛ فإذا أردت الصّفة كانت بغير هاء، كقولكَ: جارية لقيطٌ، وأصله من التقطت الشَّيء إذا وجدته مطروحًا فأخذته، ولا يسمى لقيطًا حتى تأخذه، وهو ما دام على الأرض مَنْبُوذ، كأنه يعيّرهم أن أُمّهم بنت أَمَةٍ التُقِطَت فرُبِّيت كما يُفعَل بالولد إذا كان لغير رِشْدَة، وقيل: اللّقيطة هٰهنا نسب وليس بشتم، وزعم أبو محمد الأعرابي أن الرواية:

. . . . لم تستبح إبلي   بنو الشَّقيقةِ من ذهل بن شيبانا

قال: الشَّقيقة هي بنت عباد بن زيد بن عمرو بن ذهل بن شيبان، وهي أُم سيار وَسُمَيْر وعبد الله وعمرو بني أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وهم سَيَّارة مَرَدَة ليس يأتون على شيء إلاَّ أفسدوه؛ قال: وأما اللَّقيطة ـ وليس هذا موضعها ـ فهي أُم حِصن بن حذيفة وإخوته، وهم خمسة؛ واسمها نُضَيْرة بنت عُصيْم بن مَرْوَان بن وَهْب بن بَغِيض بن مالك بن سعد بن عدي بن فَزارة، وإنما أُلْحَقَ بها هذا الاسمَ أنَّ أباها لم يكن له ولد غيرها، والعرب ذلك الدَّهْر كانت تَئِدُ الجواري فلما رآها انتشرب نفسه عليها وَرَقَّ لها وقال لأُمها: استرضعيها وأخفيها من الناس، فكان أوَّلَ مَن نَدِسَ أمرها وفَطِن لها حَمَلُ بن بدر، فقال لأخيه من أبيه حذيفة وتحته العُذْرِيَّة ليس له ولد إلا منها وهو مُسْهِر، وبه كان يكتني: مَا لَكَ لا تتزوج وتجمع النساء نُرْزَق منك عضدًا، قال: ومَنْ لي بالنساء التي تلائمني وتشبهني؟ قد علمت ما لقيت في العذرية وطَلَبها، قال: قد التقطتُ لك امرأة ترضاها وتشبهك، قال: مَن هِيَ؟ قال: بنتٌ لِعُصَيم بن مروان بن وهب، قال: وإن له لَبِنْتًا؟ قال: نعم، قال: فما لي لم أسمع بها؟ قال: كانت مُخْفاةً وقد خُبِّرْتُ خبرها،

قال: فأنت رسولي إلى عُصَيم فيها، قال: فأتاه فزوَّجه إياها وبهذا سُمِّيت اللَّقيطة، وهي أُم حِصْن ومالك ومعاوية وورد وشريك بني حذيفة، وإياهم عَنَى زَبَّان بن سيار بقوله: [الكامل]

أَعْدَدْتُهَا لِبَنِي اللَّقيطة فوقَهَا ... رُمْحٌ وَسَيْفٌ صَارِمٌ وَسَلِيلُ

والذُّهْلُ في اللّغة: قطعة من اللَّيل، وإنما سُمِّيَ به لأن النوم يُذهِلُ النَّاسَ فيه، وكذلك دَهْل ـ بالدال وفتحها ـ قال الشَّاعر يصف ناقة: [البسيط]

مَضَى مِنَ اللَّيلِ دَهْلٌ وَهْيَ وَاحِدَةٌ ... كَأَنَّهَا طَائِرٌ بِالدَّوِّ مَذْعُورُ(١)

وَشَيْبَان: فَعْلاَن من شاب يشيب، وقد أجاز قوم أن يكون من شاب يَشُوب فبني على شَيَّبَان بالتشديد، كما قالوا: رجل هَيَّبَان: أي جبان، ثم خففت الياءُ كما قالوا رَيْحَان، وهو من الرَّوْح، وريح رَيْدَانة من راد يَرُود، وَالعَيْدَان من النخل الطِّوال يجب أن يكون اشتقاقه من العود، فكان أصله عَيَّدَان ثم خفِّف، فإن قيل: لو كان شيبان من شاب يشوب إذا خلط لكان شوبان كَخَوْذَان وَخَوْلان، فالجواب أنه يمكن أن يكون فَيْعَلاَن كَهيَّبَان وَتَيَّحَان وكان أصله شَيْوَبان فلما اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأُدغمت الياء في الياء فصار شَيَّبَان، ثمّ إنّ العين حُذِفَتْ تخفيفًا، كحذفهم إياها من هَيِّن ومَيِّتٍ فبقيت شَيْبَان، والاستباحة قيل: هي في معنى الإباحة، وقيل: الاستباحة أخذ الشَّيء مباحًا، والإباحة التَّخلية بينه وبين مَن يريده، يقال: أبحته لك فاستبحته، ومثله أَنَخْتُ البعير فاستناخ، وَأمْرَرْتُ الشيء فاستمرّ، وكان الأصل في الإباحة إظهار الشَّيء للمناظر ليتناوله مَنْ شاء، ومنه باح بسرّه بَوْحًا وبُوُوحًا.

وقوله «لو كنت من مازن»، لو: حرف يدلُّ على امتناعِ الشَّيءِ لامتناع غيره، فإن قيل: فما الذي امتنع في قوله:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي

والاستباحة واقعة، قيل له: إن قوله «لم تستبح» نفي الاستباحة، وإذا امتنع هذا النفي وقعت الاستباحة، فكأنه إنما امتنع ترك الاستباحة لامتناع كونه من مازن.

٢ ـ إذًا لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ ... عِنْدَ الحَفِيظَةِ إنْ ذُو لُوثَةٍ لاَنَا

---

(١) البيت لأبي جهمة الذهلي في لسان العرب (ذهل)؛ وفي كتاب تهذيب الألفاظ لمؤلف هذا الكتاب ص ٤١٣؛ وبلا نسبة في اللسان (دهل)؛ وجمهرة اللغة ص ١٨٣؛ والمخصّص ٩/٤٥؛ وتاج العروس (دهل).

إذًا: من الحروف اللاّزمة للفعل العاملة فيه النصب، ويقع على الفعل المستقبل وما كان في معنى المستقبل، نحو «إذًا لَقَامَ» ونحو قول النابغة: [البسيط]

إذًا فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ يَدِي(١)

ويقع في أول الكلام، ووسطه، وآخره؛ فإذا ابْتُدِيءَ به لزمه العمل، ويُكتَب بالألف والنون، قالَ الفرّاء: إذا أعملتها كتبتها بالألف، لأن بإعمالها لا تلتبس بإذا الزّمانية، وإذا ألغيتها كتبتها بالنون لئلا تلتبس بإذا الزمانية. وَالحَفِيظة والحِفْظَةُ: الغضب في الشَّيء الذي يجب أن يحفظ، و«إذًا لقام بِنصري» جوابُ محذوف، واللاّم في «لَقَام» جواب يمين مضمرة، والتقدير إذًا واللّهِ لقامَ، فإن قِيلَ: فأين جواب «لو كنت»؟ قلت: هو «لم تستبحْ» وفائدة إذن هو أنه أخرج البيت الثاني مُخْرج جواب قائل قال له: ولو استباحوا ماذا كان يفعل بنو مازن؟ فقال: إذًا لقام بنصري معشر خشن، قال سيبويه: إذًا جواب وجزاء، وإذا كان كذلك فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء على فعل المستبيح، ويجوز أن يكون «إذًا لقام» جواب له، كأنه أُجيب بجوابين، وهذا كما تقول: لو كنتَ حرًّا لاستقبحت ما تفعله العبيد إذًا لاستحسنت ما تفعله الأحرار، وابن جني يجعل إذًا بدلاً من لم تستبح في البيت الذي قبله، واللُّوثة: الضَّعف، وقيل: اللِّين والاسترخاء، ومنه يقال: هو مُلْتَاث، ورجل أَلْوَثُ: مسترخ، وامرأة لَوْثاء، فأما اللَّوْث فالقوة والغلظ، يقال: ناقة ذات لوث، قال الأعشى(٢): [البسيط]

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إذَا عَثَرَتْ ... فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَن أَقُول لَعَا

عفرناة: شديدة، ومن ثم سمّي الأسد ليثًا لِقوّتِهِ وغلظه، وأصله لَيِّث فخفّف، كما يقال طَيْف الخيال وأصله طَيِّف، وهو من الواو طاف يطوف، وأصل اللَّوث من تَرَكُّبِ الشَّيء بعضه على بعض، ومنه لوث العمامة، و«ذو لوثة» يرتفع ذو عند حُذّاق النحويين بفعلٍ مضمر الفعلُ الذي بعده تفسيره، وهو لاَنَ، وتقديره إن لان ذو لوثة لان، وإنما قالوا هذا لأن «إنْ» لمَّا كان شرطًا كان بالفعل أولى، وعمله الجزم؛ فيجب أن لا يفارق معموله في التقدير واللَّفظ، وقوله «لَقَام بنصري» يقال: قام بالأمر، إذا تكفَّل به، وهو القائم

---

(١) البيت في ديوان النابغة ص ٢٥؛ والأزهيّة ص ٥٢؛ وخزانة الأدب ٥/ ٧٣؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٧٥؛ ولسان العرب (ندي)؛ وبلا نسبة في مجالس ثعلب ص ٣٦٦؛ ومغني اللبيب ١/ ٢٥. وصدره: «ما إن أتيتُ بشيءٍ أنتَ تكرهُهُ».

(٢) ديوان الأعشى ص ١٥٣؛ ولسان العرب (لوث) و(تعس)؛ والتنبيه والإيضاح ١/ ١٨٧؛ وتهذيب اللغة ٢/ ٧٩ و٣/ ١٩٢؛ وجمهرة اللغة ص ٩٥٢؛ وكتاب العين ٨/ ٢٣٩؛ وأساس البلاغة (لعو)؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٩٢؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٦٥.

والقَيِّمُ، وقام عليه: إذا ساسه ووليه، ومنه القَيّوم والقَيّام في صفات الله عَزَّ وجَلَّ، و«القوم» قيل: هم الرّجال دون النّساء، كأنه في الأصل جمع قائم؛ لأن الرجال هم الذين يقومون بالأمر، وقد فَرَّقَ زهير بين النّساء والقوم بقوله[1]: [الوافر]

وما أدري وَسوف إخالُ أدري أَقَوْمٌ آلُ حِصنٍ أَمْ نِساءُ
فإنْ تَكُنِ النِّساءُ مُخَبَّآتٍ فحقٌّ لِكُلِّ مُحْصَنَةٍ هِدَاءُ

والمعشر: اسم لجماعة لا واحد له من لفظه، وَالخُشُن: جمع أخشن، وهو في صفات الرجال مثل يراد به إباء الضيم وامتناع الجانب، يقول: لو لم أكن من بني العنبر وكنت من بني مازن ثم نالني من بني اللَّقيطة ما نالني من استباحتهم إبلي لكان فيهم مَنْ ينصرني عليهم، ويأخذ بحقّي منهم، ويدافع عني بقوّة إذا لان ذو الضَّعف والوَهن فلم يدفع ضيمًا ولم يَحْم حَقيقةً، ومَنْ روى اللَّوْثة بالفتح قال: إذا لان ذو القوة، وكان أبلغ في المعنى، إلاّ أنّ الرّواية الضّمّ، وقد طابق الخشونة بِاللّين، كأنه قال: معشر خَشِنون عند الحفيظة إن كان ذوو اللُّوثَةِ لَيِّنين عندها، وصف بني مازن بِالشَّجاعةِ ووصف قومه بِالْخَشْيَة والإِحجام، فدلّ اختلاف الصّفتين على أن أحد الموصوفين غير الآخر، وذكر بعضهم أن هذا القائل كان من مازن إلاّ أنه يعاتب قومه لأنهم تركوا معاونته حتى انتهبت إبله؛ فيقول: لو كنت منهم لعاونوني، وهذا كما يقول الرجل لولده: لو كنت أباك لأطعتني، أي لست تُنزِلني منزلةَ الآباء، والوجه الأول هو الصحيح، ومَن قال بالوجه الثّاني قال: إن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بنو أخي العنبر بن عمرو بن تميم، وإذا كان كذلك فمدح هذا الشّاعر لهم يجري مجرى الافتخار بهم، وفي بني مازن عصبية شديدة قد عُرِفوا بها وحُمِدوا من أجلها، ولذلك قال بعض الشّعراء[2] موبّخًا لغيرهم: [الطويل]

فَهلاّ سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبةِ مازنٍ وَهَلْ كُفَلائِي في الوفاء سَوَاءُ
كأنَّ دنانيرًا على قَسِمَاتِهِمْ وإنْ كانَ قد شَفَّ الوجوهَ لِقَاءُ

وقصد الشّاعرُ في هذه الأبيات إلى بعث قومه على الانتقام له من أعدائه، لا إلى ذمّهم، وقد سلك طريقة كَبْشَةَ أُخت عَمْرو بن معدِيكرب في قولها: [الطويل]

أرسلَ عبدُ اللّهِ إذْ حانَ يَوْمُهُ إلى قَوْمِهِ لا تعقلوا لَهُمُ دَمي[3]

---

(١) انظر ديوان زهير ص ٧٢ بشرع الأعلم الشنتمري. والهِداء: زفاف العروس إلى زوجها.
(٢) البيتان في اللسان (قسم) مع بيتين آخَرين وقد نسبهما لمحرز بن مكعبر الضّبّي.
(٣) لسان العرب (عقل)، وتاج العروس (ع ق ل).

ومرادها تهييجه على طلب ثأر أخيه، لا ذَمّه، وجواب «إنْ ذو لوثةٍ لانا» محذوف، دَلَّ عليه قوله «خشن» أي: إن لانَ ذو لوثة خشنوا هم، ودلَّ المفرد الذي هو خُشُنٌ على الجملة التي هي خشنوا ويخشنون لمشابهة اسم الفاعل وما يجري مجراه الجملة بما فيها من الضمير نحو: مررتُ برجلٍ مُحْسِنٍ إذا سُئِلَ، أي: إذا سُئِلَ أحسنَ.

٣ ـ قَوْمٌ إذَا الشَّرُّ أبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ طَارُوا إلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا

النَّاجذ: ضرس الحلم، وهو أقصى الأضراس، وهي أربعة: من كل جانب واحد من فوق، وواحد من أسفل، تنبت بعد أن يشبَّ الغلام، وتسمى أضراس العقل، ومن ثم قيل «رجل مُنَجَّذ» إذا أحكمته التجارب، قال سُحَيْم: [الوافر]

وَمَاذَا يَدَّرِي الشعراء مِنّي وَقَدْ جاوزتُ حَدَّ الأربعينِ[(١)]
أخو خَمْسِينَ مجتمعٍ أَشُدِّي وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤون

وقال بعضهم: النَّواجذ الضَّواحك، واحْتَجَّ بحديثِ النَّبيّ ﷺ «ضحك حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ»[(٢)] قال: وأقاصي الأسنان لا يُبْدِيهَا الضَّحك، مع أنه رُوِيَ أن ضحكه ﷺ كان تبسّمًا، والصحيح الأوّل؛ لأن الخبر محمول على المبالغة وإنْ لم تَبْدُ النَّواجذ، وإبداء الشَّرّ نواجذَه مَثَلٌ لِشِدَّتِهِ وصولتِهِ، وذلك أنَّ السَّبُعَ إذا صال أو شَدَّ كَشَّر عن أنيابه؛ فشبّه الشَّرَّ به في حال شِدّتِهِ، والإنسان أيضًا إذا حمل على عَدُوِّهِ ربما كَشَّرَ فتبدو ضواحكُه، فجعل ذلك مثلاً للشر إذا اشتد وغلظ، ويقال: عَضَّ على ناجذَيْهِ، إذا صبر على الأمر، ويقول الرّجل لصاحبه: لأُرِيَنَّكَ ناجذي، إذا أراد أن يَتَشَدَّدَ عليه، كأنه يكشّر له ويكافح في وجهه، وجواب «إذا» قوله «طاروا» يقال: طرتُ إلى كذا: أي أسرعتُ إليه، وطرتُ بكذا: أي سبقت به، ووُحْدَانًا: جمع واحد، وواحد صفة، كصاحب وصُحْبان وراكب ورُكبان، وذلك إذا جعلته بمعنى الفرد، فتغير حكمه وتنقله عن أصله، وقد جاء عن العرب واحد بمعنى فرد، وهو قول النابغة: [الطويل]

لكَ الخيرُ إنْ وَارَتْ بك الأرضُ واحدًا وأصبحَ جدّ النّاس يَظْلَعُ عاثِرَا[(٣)]

وكان من طَلاَق الجاهلية «أنتِ واحدة»: أي منفردة لا زوج لك، ويجوز أن يقال: أُحْدَان جمع رجل وَحَد، وهو المنفرد، قال ابن دريد: رجل وحد أي منفرد،

---

(١) ورد البيت في تذكرة النحاة ص ٤٨٠؛ وخزانة الأدب ٨/ ٦١، ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٨؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٢٧؛ وشرح ابن عقيل ص ٤١؛ وشرح المفصل ٥/ ١١.
(٢) الحديث في مجمع الزوائد للهيثمي ٥/ ٢٠١؛ ومصنّف ابن أبي شيبة ١١/ ٣٧٩؛ والضعفاء للعقيلي ١/ ١٢٣.
(٣) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٦٨؛ وأساس البلاغة (عثر).

والجمع أُحْدَان، وقد رُوِيَ في البيت «أحدان» وأصله وُحْدَان، قُلِبَتْ واوه همزة لضمّتها مثل أُجُوه وَأُقِّتَتْ، والزّرافات: الجماعات، واحدتها زَرَافَة بفتح الزّاي، وقد حُكِيَ في الزرافة تشديد الفاء، ويقال: جاء القوم بزرافتهم: أي جماعتهم، واشتقاقه من الزّرف وهو الجمع والزيادة على الشّيء، ومنه زَرَّفَ فلانٌ في حديثه، إذا كذبَ؛ لأنه زاد فيه وجمع إليه ما ليس منه، ويقال: زرفت القوم قُدَّامي: أي فَرَّقتهم فِرَقًا، ومعنى البيت أنّهم لحرصهم على القتال لا ينتظر بعضهم بعضًا لأنّ كُلاً منهم يعتقد أن الإجابة تعيّنت عليه، فإذا سمعوا بذكر الحرب أسرعوا إليها مجتمعين ومتفرّقين؛ ومثله: [الكامل]

قومٌ إذا هتفَ الصَّريخُ رَأيتَهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ(١)

سافعٌ: آخِذٌ بناصيةِ فَرَسِهِ، من قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾(٢).

٤ - لاَ يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ ... فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا

قوله «يندبهم»: أي يدعوهم، وأصل النُّدْبة الدُّعاء، وإن اشتهرت ببكاء الأموات وقولهم عند البكاء وافلاناه، وتوسّعوا فيه فقالوا: نُدِبَ فلانٌ لكذا: أي نُصِبَ ورُشِّحَ للقيام به، وندبته للأمر فانتدبَ له، ورجل نَدْبٌ: يَنْتَدِبُ للأمور إذا نُدِبَ إليها، ويقولون: تكلّم فلانٌ وانتدَبَ له فلان، إذا عارضه، والبرهان: البيّنة، قال بعضهم: برهان فُعْلاَن من البَرْهِ: وهو القطع، وقال أبو الفتح: برهان عندنا فُعْلال كَقُرطاس وقُرْنَاس، وليست نونه زائدة، يدلّ على ذلك قولك: بَرْهَنْتُ له على كذا: أي أقمتُ الدَّليلَ عليه، ونظيره دِهْقَان، هو فِعْلاَل، بدليل قولهم: تدهقنت، وليس في الكلام تفعلن، وقد كان القياس في نون بُرْهَان وَدِهْقَان أن تكونا زائدتين حملاً على الأكثر، ولكن ورد السَّماع بما أرغب عن القياس؛ فترك لذلك.

ومعنى البيت أنهم إذا دُعُوا إلى الحرب أسرعوا إليها غير سائلين مَنْ دعاهم لها، ولا باحثين عن سببها؛ لأن الجبان ربّما تعلّلَ بذلك فتباطأ عن الحرب، ونحوه قول سلامة بن جَنْدَل: [البسيط]

إنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ ... كَانَ الصُّرَاخَ له قَرْعُ الظَّنَابيبِ(٣)

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب في ديوانه ص ١٤٥؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٢٠٠؛ والمقاصد النحوية ٤/ ١٤٦.

(٢) سورة العلق، الآية: ١٥.

(٣) البيت في ديوانه ص ١٢٣؛ ولسان العرب (ظنب)؛ وأساس البلاغة ص ٢٥٢؛ وتاج العروس ٣/ ٢٩٨؛ وكتاب العين ٨/ ١٦٥؛ والكامل ص ٣؛ والمفضليات ص ٤٦.

يقول: إذا دعانا إلى إعانته أجبناه إليها مُجدِّين، والظُّنبُوب: عَظْمُ السَّاقِ، يقال: قرع لهذا الأمر ظُنبوبه إذا جَدَّ فيه.

٥ - لَكِنَّ قَومِي وَإن كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإنْ هَانَا

عَدَدٌ فَعَلٌ بمعنى معدود، كَقَبَض بمعنى مَقْبُوض، وحَسَب بمعنى محسوب، وصفهم بأنهم يؤثرون السَّلامة والعفو عن الجُنَاةِ ما أمكن، ولو أرادوا الانتقام لَقدروا بِعَدَدهم وَعُدَدهم، هذا إذا كان المراد به المعنى الثَّاني في أنه لا يهجو قومه، وإذا كان المراد به المعنى الأول فإنّه يهجوهم ويُعَيِّرهم بالجبن في هذا البيت، وقد قابل الشَّرط بِالشرط في الصّدر والعجز وطابق العدد والكثرة بالهون والخفّة.

٦ - يَجْزونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إحْسَانَا

قوله «من ظلم» يُروى بفتح الظّاء وضَمّها، والفتح أحسن لأنّ الظَّلْم بالفتح المصدر، والظُّلم بالضّم الاسم، والظلم: انتقاص الحظ والنصيب، وقيل: هو وضع الشّيء في غير موضعه، وينتصب «إحسانًا» بيجزون مضمرًا، كأنه قال: ويجزون من الإساءة إحسانًا، وجاز حذفه لأن الفعل قبله دَلَّ عليه.

٧ - كَأَنَّ رَبَّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْيَتِهِ سِوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إنْسَانَا

الخَشْيَةُ وَالخَشْيُ والمَخْشَاةُ: مصدر خَشِيَ، ويقولون: هذا المكان أخشى من هذا، وهو نادر، لأن المكان يُخْشَى فهو مفعول، ورجل خَشْيَانٌ وامرأةٌ خَشْيَانةٌ، وقوله «سِواهم من جميع النَّاسِ» استثناءٌ مُقَدَّمٌ، ولو وقعَ مَوقِعَهُ لكان الكلام لم يخلق لخشيته إنسانًا سواهم، فكان يجوز في «سواهم» البدل والاستثناء والصّفة، فلما قَدَّمَ بطل أن يكون بدلاً أو صفة لأنهما لا يتقدمان على الموصوف والمبدل منه، فبقي أن يكون استثناء، ووصفه لقومه بخشيةِ الله تَهَكُّمٌ واستهزاء.

٨ - فلَيتَ لِي بِهِمُ قَوْمًا إذَا رَكِبُوا شَدُّوا الإغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانَا

ويُرْوَى «شَنُّوا الإِغارةَ» أي فَرَّقوها، يقال: شَنَّ عليهم الغارةَ بالشين معجمة، وسَنَّ عليه درعه بالسِّين، إذا صَبَّها عليه، وكذلك سَنَّ الماءَ على وجهه، إذا صَبَّهُ عليه، ومَنْ روى «شَدُّوا الإغارةَ» فليست الإغارة هنا مفعولاً به ولا انتصابها على ذلك، لكن انتصابها انتصاب المفعول له، أي شَدُّوا لِلإغارة، كقولك: حملوا لِلإغارة فرسانًا وركبانًا، أي في هذه الحالة، وهو كقول الآخر: [الوافر]

شَدَدْنَا شَدَّةً فقتلتُ منهم

أي حملنا حملةً.

وشددت هذه غير متعدية، وإذا أُرِيدَ تعديتها وُصِلَتْ بعلى، قال: [الوافر]

أَشُدُّ على الكتيبة لاَ أُبَالي أَحَتْفِي كَانَ فيها أم سِوَاهَا[1]

يقول: قومي وإن كان عددهم كثيرًا لا يختارون الإضرار بالأعداء فليت الله بَدَّلني بهم قومًا لهم نَجْدَةٌ وبأسٌ يركبون فيغيرون، ومعنى قوله «فرسانًا وركبانًا» يعني أنهم كانوا يقاتلون على الخيل والإبل، ومنه حديث يُروَى في يوم القادسية معناه أن عمر سأل سعد بن أبي وقاص فقال: أخبرني أيّ فارس كان أشجع؟ وأيّ راكبٍ كان أشدّ غناء؟ وأيّ راجلٍ كان أصبر؟ فذكرهم له ومَيَّزَهم.

خبر هذه الأبيات: قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنَّى التَّيميّ من تَيْم قريش مَوْلًى لهم: أغار ناسٌ من بني شيبان على رجل من بَلْعَنْبَر يقالُ له قُرَيْط بن أُنَيْف فأخذوا له ثلاثين بعيرًا، فاستنجدَ أصحابه فلم ينجدوه، فأتى بني مازن فركبَ معه نفرٌ فاطردوا لبني شيبان مائة بعير، ودفعوها إلى قُرَيْط وخرجوا معه حتى صار إلى قومه، فقال قريطٌ هذه الأبيات، والخبر يدلُّ على أنه يمدحُ بني مازن ويهجو قومه، كما تقدم.

[٢] وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ[2] في حرب البسوس:

وهو شَهْل بن شَيْبَان بن ربيعة بن زِمَّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وليس في العرب شَهل بالشّين معجمة غيره على ما ذكروه، وقال أبو محمد الأعرابي: في بجيلة أيضًا شهل، قرأت على أبي الندى في جمهرة النَّسب عن هشام بن محمد بن السّائب الكلبيّ قال: في بجيلة شهل بن أنمار بن إراش بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأخوه أشهل بن أنمار، قال: وإنما ذكرت ذلك لئلا تغترّ بقولهم «ليس في العرب شهل بالشين منقوطة غيره» فإذا مَرَّ بك هذا الاسم في نسب بجيلة صَحَّفْتَ فقلت سهل بن أنمار، بالسين غير المعجمة، فاعرفه. وفي التابعين أبو شهلة، وفي الأنصار عبد الأشهل، والأشهل صنم، والفِنْدُ في اللّغة: القطعة العظيمة من الجبل، وجمعه أفناد، قيل: لُقِّبَ به لعظم شخصه، وقِيلَ: لُقِّبَ به لأنه قال لأصحابه في يوم حرب: اسْتَنِدُوا إليَّ فإني لكم فِنْدٌ، وقيل: لُقِّبَ الفند لأن بكر بن وائل بعثوا إلى بني حنيفة في حرب البسوس

---

(١) البيت هو للعباس بن مرداس في خزانة الأدب ٢/٤٣٨؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٥٨.

(٢) الفِند الزِّمَّاني: شاعر جاهلي كان سيّد بكر وفارسها (ت ٧٠ ق.هـ/ ٥٥٥ م). ترجمته في الأغاني ٢٠/١٤٣ (بولاق)؛ وشرح الأمالي ٥٧٩؛ والخزانة ٢/٥٨.

يستنصرونهم فأَمَدُّوهم به، وعداد بني زِمَّان في بني حنيفة، فلما أتى بكرًا ـ وهو مُسِنٌّ يكثر في سنّه جدًا حتى يقال إنّه جاوز الثلاثمائة يومئذ ـ قالوا: وما يغني هذا العَشَبَة عَنّا؟ قال: أوَمَا ترضون أنْ أكونَ لكم فِنْدًا تَأْوُون إليه، وَالعَشَبَةُ وَالعَشَمَةُ جميعًا الشَّيخ الكبير، وأما شهل فإنهم يقولون: امرأة شَهْلة كهلة، ولا يكادون يُفَرِّقون بينهما، وقد قال: [الرجز]

بَـاتَـتْ تُـنَـزِّي دَلْـوَهَـا تَـنْـزِيًـا   كَـمَـا تُـنَـزِّي شَـهْـلَـةٌ صَـبِـيًّـا[1]

ولا يقولون لِلرّجل شَهْل، فقد يجوز أن يكون الاسم قد سمع في بعض الأحوال جاريًا على المذكّر فَنُقِلَ فسمّي به على تلك اللّغة، أو تكون الهاء حذفت منه لتغيير العلمية، وإذا كانوا قد قالوا في النّكرة: [الرمل]

أَبْـلِـغِ الـنُّـعْـمَـانَ عَـنِّـي مَـأْلُـكَـا[2]

فحذفوا الهاء من مَأْلُكة، فحذفها في العلم من شَهْلة أجود، قال أبو الفتح: ولا أقول إن شَهْلاً من الأعلام المرتجلة لأنهم قالوا: شَهْلة، وشهل هو شهلة ليس بينهما إلا الهاء، وفيها من الاحتمال ما تقدم ذكره، قال: وأما شَيْبَان فمرتجل علمًا، ولا أعرفه جنسًا، وهو فَعْلاَن من شاب يَشِيب، أو فَيْعَلاَن من شاب يشوب، وقد تقدم ذكره، ولا يجوز أن يكون فَيْعَالاً من لفظ شبانة؛ لأنه لو كان كذلك لكان مصروفًا، وأما زِمَّان فيحتمل أنْ يكون فِعْلاَن من باب زَمَمْتُ النَّاقَة، أو يكون فِعَّالاً من الزّمن، أو فِعْمَالاً على قول الأصمعي في الهِرْمَاس إنه من الهرس وهو الدقّ، والأول أَعْلَى، وهو قياس مذهب سيبويه فيما فيه حرفان بينهما مضعف وبعدهما الألف والنون، فقياسه أن تكون الألف والنون زائدتين كزِمَّان وَحِمان، إذا جهلت اشتقاقه، فإن عرفته قطعتَ باليقين في بابه، وزِمَّان مما ارتجل للتعريف نحو حَمْدَان وَعِمْرَان، قال أبو الفتح: ولا أعرفُ زِمَّان في الأجناس.

١ ـ صَـفَـحْـنَـا عَـنْ بَـنِـي ذُهْـلِ   وَقُـلْـنَـا الـقَـوْمُ إِخْـوَانُ

من الهزج الأول، والقافية متواتر.

---

(١) الرجز بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/٢٨٨؛ وأوضح المسالك ٣/ ٢٤٠؛ والمخصّص ٣/ ١٠٤؛ وشرح شواهد الشافية ص ٦٧؛ وشرح ابن عقيل ص ٤٣٣؛ وشرح المفصّل ٦/٥٨؛ ولسان العرب (شهل) و(نزا).

(٢) عجز البيت: «أنه قد طال حبسي وانتظاري». والبيت لعدي بن زيد في ديوانه ص ٩٣؛ والأغاني ٢/ ٩٤؛ وخزانة الأدب ٨/ ٥١٣؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٥٨؛ والشعر والشعراء ١/ ٢٣٥.

ويُرْوَى: «صَفَحْنَا عن بَني هند» وهي هند بنت مُرّ بن أدّ أُخت تميم، وهي أُم بكر وتغلب ابني وائل، فيقول: صفحنا عن بني تغلب لأنهم إخوتنا عَطَفَتْنَا عليهم الرَّحِم، والصَّفح: العفو، ويقال: أعرضتُ عن هذا الأمر صَفْحًا، إذا تركته، ويقال: أصفحت عنه، كما يقال: أضربتُ عنه، ويقال: أَبْدَى لي صَفْحَتَه، إذا أمكنكَ من نفسه، يقول: أعرضنا عنهم وَوَلَّيناهم صَفْحَةَ أعناقنا ووجوهنا، وهي جوانبها، فلم نؤاخذهم بما كان منهم.

٢ ـ عَسَى الأيَّامُ أنْ يَرْجِعْـ ـنَ قَوْمًا كالَّذِي كانُوا

إنما نَكَّرَ «قَوْمًا» لأن فائدته مثل فائدة المعارف، ألا ترى أنه لا فَصْلَ بين أن تقول: عَفَوْتُ عن زيد فلعلَّ الأيام تَرُدُّ رَجُلاً مثل الذي كان، وبين أن تقول: فلعلَّ الأيام تَرُدُّ الرجلَ كالذي كان، لأنك تريد في الموضعين بقولك تردّ «الرجل» أو «رجلاً» شيئًا واحدًا، والمعنى فعلنا ذلك رجاءَ أن تردَّهم الأيام إلى ما كانوا عليه من قبل، وعسى: من أفعال المقاربة، وأن يرجعنَ: في موضع خبر عسى، ولو قال عسى أن تَرْجِعَ الأيامُ قومًا لكان أن ترجع في موضع فاعل عسى، وكان يكتفى به، وذلك أن عسى لمقاربة الفعل، والفعل لا بدّ له من الفاعل، فإذا تقدَّمَ الفعل مع أو وتبعه الفاعل فقد حصل ما يطلبه، وإذا وليه الاسم بَقِيَ ينتظر الفعل، وإن ارتفع ذلك الاسم به، فيجري الفعل مع أن بعده مجرى خبر كان بعد اسم كان، وقوله يرجعن: أي يَرْدُدْنَ، ورجع من باب فعل وَفَعَلْتُه، يقال: رجع فلانٌ رُجُوعًا ومَرْجِعًا ورُجْعَى ورجعانًا، وَرَجَعْتُه رَجْعًا، وخبر كان محذوف، كأنه قال: كالذي كانوه أي كما كانوا عليه قبلُ من الائتلاف والاتفاق، والضمير الذي أظهرناه في كانوه، هو الذي تصحُّ الصّلة به؛ لأنَّ الموصولَ لا بدّ أن يكون في صلته ضمير يعود إليه إذا كان اسمًا، والذي ليس يرجع إليه من كانوا شيء إلا ما أبرزناه من الضمير، ومَنْ جَوَّزَ حذف الجار والمجرور من الصفة في نحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾[1] لا يَسُوغُ له أن يُقَدِّرَ في الصّلة أيضًا كذلك، وإذا كان الأمر على هذا فلا يجوز أن يكون التقدير يرجعن قومًا كالذي كانوا عليه، لأن مثل «عليه» لا يجوز حذفه من الصّلة، لا تقول: الذي دخلت جالس، وأنت تريد الَّذي دخلتُ عليه، وبمثل هذا تَوَصَّلَ مَنْ زعمَ في الآية أن التقدير واتَّقوا يومًا لا تجزيه نفس عن نفس شيئًا لأنه قال: الصفة كالصلة، فكما لا يجوز حذف فيه وأشباهه من الصّلة كذلك لا يجوز حذفها من الصفة، فاعلمه، ويجوز أن يكون المراد به كالذين كانوا وحذف النون تخفيفًا، والمعنى يرجعن قومًا كالذين كانوا هم من قبل، وفي هذا الوجه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

يجوز أن يجعل الذي للجنس، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[1] ثم قال: (أولئك) والفصل بين هذا الوجه والوجه الأوّل أنه أمل في الوجه الأوّل أنهم إذا عفوا عنهم أدّبتهم الأيام وردّتْ أحوالهم في التّوادّ كأحوالهم فيما مضى، وفي الوجه الثّاني أن ترجعَ الأيام أنفسهم إذا صفحوا عنهم كما عُهِدَتْ: سلامةَ صدورٍ، وكَرَمَ عهودٍ.

٣ ـ فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهْوَ عُرْيَانُ

«لما» عَلَمٌ لِلظَّرف، وهو لوقوع الشّيء لوقوع غيره، ولهذا لا بدّ له من جواب، ويُروَى: «فأضحى وهو عريان» وفائدة أصبح وأمسى وظَلَّ في هذا المكان على حَدِّ الفائدة في صار لو وقع موقعها، ألاَ ترى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾[2] والبشارة بِالأُنثى تقع ليلاً ونهارًا، وكذلك يقول «أصبحوا خاسرين» و«أمسوا نادمين» وإن كانوا في كل أوقاتهم على ذلك، ويقال: صَرَّح الشَّيءَ، إذا كشفه، وصرح هو، كقولك بَيَّنَ الشيءَ وبَيَّنَ هو: أي تَبَيَّنَ، وَفَعَّلَ بمعنى تَفَعَّلَ واسِعٌ، يقال: وَجَّهَ بمعنى تَوَجَّهَ، وَقَدَّمَ بمعنى تقدَّمَ، وَنَبَّهَ بمعنى تنبّه، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ، وقيل: صَرَّحَ خلص، شَبَّهَهُ بِاللَّبن الصَّريح وهو الَّذي قد ذهبت رَغْوَتُهُ، وإذا ذهبتِ الرُّغوةُ فاللَّبنُ عُرْيانٌ، وقوله «فأمسى وهو عريانُ» أي منكشف لا سِتْرَ دونه.

٤ ـ وَلَمْ يَبْقَ سِوَى العُدْوَا نِ دِنَّاهُمْ كَمَا دَانُوا

العُدْوَان: الظّلم، عدا يعدو، واعتدى يعتدي، إذا جارَ وظلَمَ، وأصله من مجاوزةِ الحدِّ، عدا الشَّيءَ يعدوه، إذا تجاوزه، وجواب «لما صَرَّح» في البيت الذي قبله «دِنَّاهم» في هذا البيت، ومعنى دناهم فعلنا بهم مثل فِعْلهم بنا، والدِّين: لفظة مشتركة في عدّة معانٍ: الجزاء، والطّاعة، والحساب؛ وهو هٰهنا الجزاء، وفي المثل «كما تدين تُدان»[3] فالأوّل ليس بجزاء ولكنه سُمِّيَ جزاءً لمجاورته لفظ الجزاء، والنَّاس يقولون: الجزاء بالجزاء والبادي أظلم، والدِّين أيضًا: الملّة والعادة، وقِيلَ: مَنْ دَانَ نفسَهُ رَبِحَ، أي مَنْ حاسبَ نفسه، وقيل: يوم الدِّين يوم الحساب، ومعناه أنه يقول: صفحنا عنهم، وقعدنا عن حَربِهم، وذكرنا القرابةَ بينهم، وظننا أنّ حالهم ترجعُ إلى الحسنى، فلما أبوا إلاّ الشَّرَّ ركبناه فيهم.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣. (٢) سورة النحل، الآية: ٥٨.
(٣) المثل في مجمع الأمثال ٢/١٣٢؛ والمستقصى ٢/٢٣١ (رقم المثل ٧٨١)؛ وتمثال الأمثال ٢/٥٢٨ (رقم المثل ٣٥٨) وقد ذكر الأبيات.

٥ - مَشَيْنَا مِشْيَةَ اللَّيْثِ غَدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ

ويُرْوَى: «شَدَدْنَا شِدَّةَ اللَّيْثِ» وكَرَّرَ اللَّيثَ في البيت ولم يأتِ بضميره تفخيمًا وتهويلاً، وهم يفعلون ذلك في أسماء الأجناس والأعلام، قال عديّ بن زيد: [الخفيف]

لاَ أرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا(١)

ومعناه مشينا إليهم مِشْيَةَ الأسدِ ابتكرَ وهو جائعٌ، وكَنَى عن الجوع بالغضب لأنه يصحبه، ومَن روى «عدا» بالعين غير معجمة على أن يكون من العُدْوَان فليست روايته بحسنة، لأن اللَّيثَ عادته العدوان، واللَّيث من أسماء الأسد، ويقال: اسْتَلْيَثَ الرّجلُ، إذا اشتدَّ وقَوِيَ.

٦ - بِضَرْبٍ فِيهِ تَوْهِينٌ وَتَخْضِيعٌ وَإِقْرَانُ

توهين: تفعيل من الوَهْن، وهو الضعف، وتخضيع: تفعيل من الخُضُوع، وهو الذّلّ، وأصله التّطامن، ظَلِيمٌ(٢) أَخْضَعُ، ونعامة خَضْعَاء، في عنقها تطامن، ويقال: خَضَعَ الرّجلُ وأخضعَ، إذا لَيَّنَ كلامه للنساء، وفي الحديث نَهَى أن يَخْضَعَ الرجُل لغير امرأته: أي يلين، والإقران: اللِّين والاسترخاء، يقال: أقرن الحِبْنُ(٣) وَاسْتَقْرَن، إذا نَضِجَ، والباء في قوله «بضرب» تتعلق بمشينا، أي: مشينا بضربٍ في ذلك الضَّرب تضعيفٌ للمضروب وتذليل، قيل: وليس هذا الوصف بالجيد، والجيد أن يقول: بضربٍ يَفْلق الهام وَيَتِرُّ العَظْمَ(٤)، كما قال الآخر: [الطويل]

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ سَكَنَاتِهِ وَينقعُ مِنْ هَامِ الرِّجَالِ بِمَشْرِبِ

فأما أن يقولَ ضرب يوهي ويرخي فإن أدنى الضَّرب يوجبُ هذا، ويجوز أن يكون المعنى فيه توهين وصوت في القطع وكسر العظام. وإقران: أي إطاقة، ويكون حينئذ تخضيع من الخضعة وَالخَيْضَعَة، وهو اختلاط الصّوت في الحرب، ومنه قوله: [الرجز]

الضَّارِبِينَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ(٥)

---

(١) البيت في ديوانه ص ٦٥؛ وخزانة الأدب ١/٣٧٨، ٣٧٩؛ وشرح شواهد المغني ٢/١٧٦؛ والكتاب ١/٦٢.

(٢) الظَّليم: ذَكَر النّعام وجمعه ظُلْمان. (٣) الحِبْن: خراج كالدُّمّل.

(٤) تَرَّ العظمُ يَتِرُّ: بان وانقطع بِضَربه.

(٥) الخيضعة: صوت القتال، والبيت للبيد في لسان العرب (خضع):

المطعمونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ الضَّاربونَ الهامَ تحت الخَيْضَعَهْ

قال الأصمعي: ويقال للسّياط خضعة، ولا أدري أَمِنَ الصَّوتِ هو أم من القطع، وقيل: إقران غلبة، وقيل: مواصلة لا فتور فيها، ومنه «أَقْرَنَتِ الشّاةُ» إذا رَمَتْ ببعرها يَتَّصِلُ بعضُه ببعضٍ، ويُروى تخذيع: وهو القطع، ويُروى:

بِـضَـرْبٍ فـيـه تَـفْـجِـيـعٌ ... وَتَـأْيِـيـمٌ وَإِرْنَـانُ

أي يفجع الأخ بالأخ والولد بالوالد، والتَّأييم: قتل الأزواج، أَيَّمْتُ المرأةَ إذا قتلتَ زوجها فصارت أيِّمًا، والإرنان: من الرّنين، وهو رفع الصَّوت بالبكاء، يقال: أَرَنَّ، وَرَنَّ لغة.

٧ ـ وَطَـعْـنٍ كَـفَـمِ الـزِّقِّ ... غَـذَا وَالـزِّقُّ مَـلآنُ

غذا بالذال معجمة: سال، والغَذَوَان: السَّيَلاَن «وغذا» في موضع النَّصب على الحال، والأجود أن تُجْعَلَ قد معه مضمرةً، وصف الطّعن بالسّعة، وذكر أن الدم يسيل من موضع الطّعنة كما يسيل الماء من فم القربة، كما قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا نَـفَـذَتْـهُـمُ كَـرَّتْ عَـلَـيْـهِـمْ ... بِـطَـعْـنٍ مِـثْـلِ أَفْـوَاهِ الـخُـبُـورِ

جمع خبر، وهي المزادة.

٨ ـ وَبَـعْـضُ الـحِـلْـمِ عِـنْـدَ الـجَـهْـ ... ـلِ لِـلـذِّلَّـةِ إِذْعَـانُ

يقال: أذعن لكذا، إذا انقاد له، وأذعَنَ بكذا، أقَرَّ به، قيل: رَصْفُ هذا البيت رديء، ومعناه إذا حلمت عن الجاهل ركبك فلحقتك مذلّة، والجيّد في هذا المعنى قول الآخر: [الطويل]

إِذَا الحِلْمُ لَمْ يَنْفَعْكَ فَالجَهْلُ أَحْزَمُ

وقول الآخر: [الطويل]

تَرَفَّعْتُ عَنْ شَتْم العَشِيرَةِ؛ إِنَّنِي ... رَأَيْتُ أَبِي قَدْ كَفَّ عَنْ شَتْمِهِمْ قَبْلِي
حَلِيمٌ إِذَا مَا الحِلْمُ كَانَ جَلاَلَةً ... وأَجْهلُ أَحْيَانًا إِذَا الْتَمَسُوا جَهْلِي

٩ ـ وَفـي الـشَّـرِّ نَـجَـاةٌ حِـيـ ... ـنَ لاَ يُـنْـجِـيـكَ إِحْـسَـانُ

أراد في دفع الشَّرِّ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد في عمل الشَّرِّ نجاة، كأنه يريد وفي الإساءة مَخْلَصٌ إذا لم يُخَلِّصْكَ الإحسانُ، وهذا التقدير يردّ قول مَن قال في هذا البيت إنه كان يجوز أن يقول وفي الشَّرِّ نجاةٌ حين لا ينجيكَ الخيرُ، أو في الإساءة نجاة حين لا ينجيك الإحسان، لأن قول الشّاعر إلى هذا المعنى يؤول.

وخبر هذه الأبيات مع غيرها يجيء فيما بعد إن شاء الله.

[٣] وقال أبو الغُول الطُّهَوِيُّ:

وهو شاعر إسلامي، والغول في كلامهم: كل ما غال أي أهلك، وقالوا في المثل: الغَضَبُ غُولُ الحلمِ، وقال أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح(١): [الوافر]

صَحَوْتُ عَنِ الصِّبَا وَاللَّهْوُ غُولٌ وَنَفْسُ المَرْءِ آوِنَةً مَكُولُ(٢)

من قولهم «بئرٌ مَكُول»: أي قليلة الماء، أي نفس المرء أحيانًا قليلةُ الخير وسَمَّوا الحية غُولاً لأنَّ سمّها يَغُولُ: أي يُهْلِكُ، والغول التي تذكرها العرب وتزعم أنها من الحيوان قد اختلف فيها، فقيل: إنها من مَرَدَةِ الجنّ، وقالوا في قول امرىء القيس: [الطويل]

وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأَنْيَابِ أَغْوَالِ(٣)

أراد جمع غول وهي السَّاحرة من الجنِّ، وعابَ بعضُهم هذا القول؛ لأن الغول شيء لم تثبت له حقيقة، وقال قوم: إنما أراد جمع غول وهي دابة تظهر في بلاد العرب ويكون لها كُلَّ زمَانٍ من أزمنة السَّنةِ لَوْنٌ، مخالفٌ لِلونِها الأول، وذلك أراد كعب بن زهير بقوله: [البسيط]

فَمَا تَدُومُ عَلَى وَصْلٍ تَكُونُ بِهِ كَمَا تَلَوَّنُ في أثْوابِهَا الغُولُ(٤)

والذي صَحَّ من مذهب العرب في الغول أنهم يعتقدون أنها مخلوقة خلق المرأة، وادَّعى بَعْضُهم أنه تزوجها؛ ولهم في هذا المعنى وفي غيره في الغول أشعار كثيرة ليس هذا موضع إيرادها، ودخول اللاَّم في الغول هنا كدخولها في أبي العباس وأبي القاسم؛ وهذه اللاّم في الأعلام إنَّما بابها الصّفات، والغول في الحقيقة ليست صفة، لكنها لمّا كانت إلى النُّكرِ والدَّعارةِ(٥) دخلت طريق الوصف من هذا الوجه، كما ألحق من منع من العرب أفعى الصّرفَ بالوصف من جهة المعنى لا من جهة اللّفظ، ألا ترى أن معنى الغول عندهم الخبث والنكارة، فجرى مجرى الخبيث والمنكر كما أن الفِنْدَ دخلته اللاّم لما فيه من معنى الصّفة؛ ألا تراه مشبهًا بالفند من الجبل فكأنه الضّخم أو العظم، وأما الطُّهَوِيُّ فمنسوبٌ إلى طُهَيَّةَ وهي أُمّ قبيلة من العرب، والنَّسبُ إليها طُهَوِيٌّ وطُهْوِي، وطَهْوِي؛ فأما الطُّهَوِيُّ فعلى القياس، وطُهْوِي شاذ، وكذلك طَهْوِيٌّ، وَطُهَيَّة تصغير طاهية، والطَّاهي: الطَّبَّاخ، يقال:

---

(١) أُحَيْحَة بن الجُلاَح: الأوسي: شاعر جاهلي من دُهاة العرب وشجعانهم في الجاهلية (ت ١٣٠ق.هـ/ ٤٩٧م)؛ (ترجمته في الأغاني ١٣/ ١١٥؛ وخزانة الأدب ٢/ ٢٣).

(٢) لسان العرب (مكل)، وتاج العروس (مكل). (٣) صدر البيت: أَيَقْتُلُني والمَشْرَفِيُّ مُضاجِعي.

(٤) ديوان كعب زهير ص ٨؛ والمخصّص ١٧/ ٥؛ والمذكّر والمؤنّث للأنباري ص ٤١١؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٩٦١ و٩٨٨.

(٥) الدَّعارة: الخبث.

طَهَوْتُ اللَّحمَ طَهْوًا، وقيل لأبي هريرة: أأَنْتَ سَمِعْتَها من رسولِ الله ﷺ؟ فقال: فما كان طَهْوِي، أي بأيّ شيءٍ كان شغلي، وما كان عملي، وقياس تحقير طاهي طويهية، غير أنه حُقِّرَ تحقيرَ التّرخيم، كقول الأعشى: [الطويل]

أَتَـيْـتُ حُـرَيْـثًـا زائـرًا عَـنْ جـنـابـةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِيَ جَامِدًا[1]

يريد تحقير حارث، وقال أبو العلاء: طهيّة هي بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة، ولدت ثلاثة أحياء وهم: عوف وأبو سُود وَجُشَيْش بن مالك بن حنظلة فنسبوا إلى أُمهم، واشتقاق طهية من قولهم «طهوتُ اللّحمَ» إذا طبخته، أو من قولك «طَهَت الإبلُ» إذا ذهبت على وجوهها في الأرض، أو من الطّهاء: وهو الغيم الرقيق.

١ ـ فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي

من الوافر الأول والقافية متواتر.

قوله: «فدت نفسي» لفظه لفظ الخبر، والمعنى معنى الدّعاء، ويُروَى «صَدَّقوا فيهم ظنوني» فيكون «صدقوا» صفة لفوارس، و«ظنوني» مفعول بها، ويُروَى «صُدِّقَتْ فيهم ظُنوني» ويكون «ظنوني» في موضع رفع بِصُدِّقَتْ، و«صَدَّقَتْ فيهم ظنوني» بفتح الصَّاد يدلّ على تكثير الفعل، و«ظنوني» يرتفع بالفعل، وقوله «صُدِّقَت فيهم ظنوني» صناعة الشّعر في نحو هذا توجب «صَدَّقُوا» وذلك أنه قد عاد عليهم الضَّمير مجموعًا مذكّرًا وهو «هم» من «فيهم» ولو اتَّبعَ صدّقت لكان فيها وتخصيص اليمين في قوله «وما ملكت يميني» لفضلها وقوة التّصرّف بها، وهو يقيمون البعضَ مقامَ الجملة فينسبون إليه الأحداث والأخبار كثيرًا، على ذلك قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾[2] وقولهم «عُذتُ بِحَقْوِ[3] فلان» و«هو عَبْدُ المَقَذِّ[4]» و«حُرُّ الوَجْهِ» وفَوَارس: شاذّ في الجموع عند سيبويه، لأن فَوَاعل إنما يكون جمع فاعلة في صلة ما يعقل دون فاعل، واستدرك هالك في الهوالك، وقول الفرزدق: [الكامل]

وَإِذَا الـرِّجَـالُ رَأَوْا يَـزِيـدَ رَأَيْـتَـهُـمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ[5]

---

(١) ديوان الأعشى ص ١١٥؛ والدّرر ١/ ٢٣١؛ وبلا نسبة في همع الهوامع ١/ ٧٤.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤.
(٣) الحَقْوُ: الخاصرة ومن المجاز: الحَقْوُ: الإزار.
(٤) المَقَذّ: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس، ويقال: فلان لئيم المقذّين: أي هجين. (اللسان ق ذ ذ).
(٥) في ديوان الفرزدق ١/ ٣٠٤؛ وجمهرة اللغة ص ٦٠٧؛ وخزانة الأدب ١/ ٢٠٦؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٦٧؛ وشرح المفصّل ٥/ ٥٦؛ والكتاب ٣/ ٦٣٣؛ ولسان العرب (نكس).

وبيت عُتَيْبَةَ: [الوافر]

وَمِثْلِي فِي غَوائِبِكُم قليلُ[1]

وخارج وخوارج، وقال المبرّد: هو الأصل في جمعه، ويجوز في الشعر، ومعناه أنهم حَقَّقُوا ما ظننته فيهم من البَسَالة ومنع الحَرِيم فجعلوه يقينًا.

٢ - فَوَارِسَ لاَ يَمَلُّونَ المَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَا الحَرْبِ الزَّبُونِ

يقال: مَلِلْتُ الشَّيء أَمَلُّه مَلاَلاً وَمَلاَلَةً وَمَلَلاً، بمعنى سَئِمْتُهُ، ويجوزُ الرَّفع في «فوارس» على أن يكون خبر ابتداء مُضْمَر، كأنه قال هم فوارس، ويجوز النصب فيه على أن يكون بدلاً من فوارس الأول، و«لا يملون» في موضع الصّفة للفوارس، والزَّبُون: الدَّفوع، وَالزَّبْنُ: الدَّفْعُ، ومنه اشتقاق الزَّبَانِيَة، وإنَّما شُبِّهَت الحرب بالناقةِ الزَّبُون فَوُصِفَتْ بِصفتها، وهي التي تَزْبِنُ حالبَها وتدفعه برجلِها، ويقال: ثَبَتَ في مَرْحَى الحرب: أي حيث دارت رحاها، ورحا الحرب: مُسْتَدَارُهَا، شبّه بمستدارِ الرَّحا، والمعنى الجامع بينهما أنَّ الحربَ تحطمُ وتكسرُ، وكذلك الرَّحا، وأنَّ الرّجال يدورون في الحرب كما تدور الرّحا.

٣ - وَلا يَجْزُونَ مِنْ حَسَنٍ بِسَيْءٍ وَلاَ يَجْزُونَ مِنْ غِلَظٍ بِلِينِ

قوله «بِسَيْءٍ» أراد بِسيِّءٍ فَخَفَّفَ كما يخفّف هَيِّن وَلَيِّن، ويروى «من حُسْنٍ بِسُوءٍ» ويُرْوَى «من حسن بسَوْأى» على فَعْلى، والرواية الأولى أحسن وأدخل في مختار الطّباق، لأن وجه الكلام أن يقال: حسن وسيىء، ولا يحسن أن يقال حسن وسوأى، وإنما يحسن السَّوأى مع الحسنى، والمعنى أنهم يجزون كلاً بفعله إنْ خيرًا فخيرًا وإنْ شَرًّا فشرًّا، وهو خلاف قول العنبري: [البسيط]

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً

البيت.

٤ - وَلاَ تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُوا بِالحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينِ

يقال: بَلِيَ الثَّوبُ يَبْلَى بَلاَءَ وَبِلَى، إذا فتحت الباء مددتَ، وإذا كسرتَ قصرتَ، وَالبَسَالة: الشّجاعة، رجلٌ باسلٌ وبَسُولٌ، وَالبَسْلُ: الحرام والحلال جميعًا، وأصل البسالة من البَسْلِ الحرامِ، وذلك أن الباسل ممتنعٌ من قرنِهِ كأنه مُحَرَّمٌ عليه أن يناله بمكروهٍ،

(١) البيت لعتيبة بن الحارث في أمالي ابن الشجري ص ١٤١؛ وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢/١٥٣ وتمامه:

أُحامي عن ذِمارِ بَني أبيكُم ومِثلي في غوائِبكم قليلُ

و«أَبسلَ الرَّجلُ القومَ» إذا أسلمهم وعَرَّضَهُم للهلكةِ، ويجوز أن يكون اشتقاق الباسل من هذا لأنه يُسْلِمُ نفسه للمهالك، والبسالة يوصف بها الرّجال والأُسود، أسد باسل وبَسُول، وقوله «صَلُوا بالحرب» أي باشروها وقاسوها، والصِّلاءَ - بالكسر ممدود وبالفتح مقصور - النّار، وَصَلِيَ النّار وصلى بها صَلًى؛ فالصّلى بالقصر اسم ومصدر، وفي القرآن ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾[1] وَالمَصْلِيُّ وَالصَّلِيُّ: المَشْوِيُّ، والعربُ تشبّهُ الحربَ بالنّار وصاحبَ الحرب بموقد النّار، فيقال: فلانٌ مِحَشُّ[2] حَرْبٍ، إذا كان يقوم بأمرها، وأصل الحَشِّ الإيقاد؛ ومعنى قوله «ولاَ تَبْلَى بَسالتُهم» أي لا يضعفون عن الحرب وإن تكرَّرت عليهم زمانًا بعد زمانٍ، وذلك أن الأمور الشّداد إذا تكرَّرت على الرَّجُلِ هَدَّتْهُ وأضعفته، ومَن رواه «تُبلى» جعله من الاختبار، من قولهم «بَلَوْتُ الشَّيءَ» إذا اختبرته، وتكون البسالة على هذه الرّواية الكراهة، كَأنّه قال: لا يعرف لهم فيها كراهة، وتبلى: تعرف، قال الرّاجز:

قَدْ كُنْتَ قَبْلَ اليَوْمِ تَزْدَرِينِي فَالْيَوْمَ أَبْلُوكَ وَتَبْتَلِينِي

أي: أعرفك وتعرفني؛ ومَن جعل البسالة العبوس يقول: لا يعرف لهم عبوس في الحرب لإلفهم لها واستهانتهم بها، فإنْ قِيلَ: أين جواب الشَّرط في قوله «وإن هم صلوا بالحرب»؟ قيل: هو متقدّم، والتقدير: إنْ مُنُوا بالحرب لم تخلق شجاعتهم، وفصل بين الفعل وبين إنْ بهُمْ لأنه ماضٍ لم يظهرْ فيه أثر إنْ بالجزم، ولو كان الفعل مستقبلاً لظهر الجزم فيه، ولَمَا حسنَ الفصل بينه وبين إنْ بالاسم؛ يقبح أن يقال: إنْ زيدٌ يَأْتِيني أُكْرِمْهُ، وتقول: إنِ اللّهُ أقدرني على زيدٍ فعلتُ به كذا، وهذا شيءٌ يجوزُ في إنْ دون سائر حروف الجزاء لأنه الأصل في الجزاء، والحرف الذي لا يزول عنه.

٥ - هُمُ مَنَعُوا حِمَى الوَقَبَى بِضَرْبٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ المَنُونِ[3]

الحِمى: المكان الممنوع، وهو موضع الماء والكلأ، يقال: أحميتُ الموضعَ، إذا جعلته حِمى وَحَمَيْتُه، إذا حفظته، وَالوَقَبَى: موضع، وهو مأخوذ من الوقب، وهو مثل النّقرة في الصَّخرة، يقال: وَقَبَ الشّيء، إذا دخل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾[4] قيل: أراد اللّيل إذا دخل، وقيل: أراد القمر إذا خسفَ، وقيل: أراد الحية إذا لدغت، وكأن الغاسق نَابُهَا لأنَّ السّمّ يغسقُ منه: أي يسيل، وَوَقَبَ نابُهَا إذا دخل في اللّديغِ، ويقال للصوتِ الذي يسمع في بطن الفرس إذا مشى أو عدا: الوقيب، وقيل: إنه

(١) سورة المسد، الآية: ٣. (٢) مِحَشٌّ لها: مُوقِدٌ لها.

(٣) الوَقَبى: ضبطه ياقوت بفتح القاف وفي المرزوقي بسكون القاف.

(٤) سورة الفلق، الآية: ٣.

صوت تقلقل جُرْدَانِهِ في قُنْبِهِ، وخبر الوقبى نذكره بعد الفراغ من شرح هذه الأبيات إن شاء الله، والأشتات: جمع شَتّ، وهو المتفرّق، وقد شَتَّ وَأَشْتَتُّهُ أنا، وقوله «بضربٍ يُؤَلِّف» قد وقع المنع والضَّرب جميعًا حكاية حال، ولولا ذلك لقال بضربٍ أَلَّفَ، ويؤلِّف: من صفة الضرب، وفي معناه ذكروا وجوهًا؛ قالوا: أراد أنّ هذا الضرب يجمع بين منايا قوم متفرقي الأمكنة لو أتتهم مناياهم في أمكنتهم لأَتتهم متفرقة فاجتمعوا في موضع واحد فأتتهم المنايا مجتمعة، وقالوا: يجوز أن يكون المعنى أن أسباب الموت مختلفة، وهذا الضّرب جمع بين الأسباب كلّها، ويجوز أن يكون المراد ضربٌ لا ينفس المضروب ولا يمهله، لأنه جمع فِرَقَ الموت.

٦ - فَـنَـكَّـبَ عَـنْـهُـمُ دَرْءَ الأَعَـادِي وَدَاوَوْا بِـالـجُـنُـونِ مِـنَ الـجُـنُـونِ

نَكَّبَ: قد جاء متعدّيًا إلى مفعولين، قال أوس بن حَجَر: [البسيط]

نَـكَّـبْـتُـهَـا مَـاءَهُـمْ لَـمَّـا رَأَيْـتُـهُـمُ صُهْبَ السِّبَالِ بِأَيديهِم بيازيرُ(١)

عنى بصهبِ السّبال الأعداء، والبيازير: العصيُّ العظام الواحدة بيزارة، والأكثر نَكَّبْتُه عن كذا، وأصل النّكب الميل، ومنه نكبتُ الإناءَ، والنَّكباء منه أيضًا، معناه أنَّ الضَّرْبَ حَرَّفَ عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعداء وخلافهم، والدَّرْءُ: أصله الدَّفْعُ، ثم استعمل في الخلاف؛ لأن المختلفين يتدافعان، «ودَاوَوْا بالجنونِ من الجنون» أي: داووا الشَّرَّ بِالشَّرِّ، كما قالوا: الحديد بالحديد يفلح، والجنون هٰهنا مثل، ومعناه اللّجاج في الشَّرّ وركوب الرّأس فيه.

٧ - وَلاَ يَـرْعَـوْنَ أَكْـنَـافَ الـهُـوَيْـنَـى إِذَا حَـلُّـوا وَلاَ أَرْضَ الـهُـدُونِ

ويُروَى «روض الهُدُون» الهُوَينى: تصغير الهُونَى، والهُونَى: تأنيث الأَهْوَن، ويجوز أن يكون الهُونَى فُعْلَى اسمًا مبنيًّا من الهِينَةِ، وهي السّكون، ولا تجعله تأنيث الأهون. والهدون: السّكون والصّلح، ومنه الحديث «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ»(٢) أي: صُلْحٌ على فسادٍ دخيلةٍ، وقالوا في معناه: إنّهم مِنْ عِزِّهِم وجرأتهم لا يرعون النواحي التي أباحتها المسالمة ووَطَّأَتْهَا المهادنة، ولكن النَّواحي المتحاماة، كما قال أبو النجم: [الرجز]

تَـبَـقَّـلَـتْ مِـن أَوَّلِ الـتَّـبَـقُّـلِ بَـيْـنَ رِمَـاحَـيْ مَـالِـكٍ وَنَـهْـشَـلِ

---

(١) ديوانه ص ٤٤؛ ومقاييس اللغة ١/٢٤٦.

(٢) الحديث في مستدرك الحاكم ٤/٤٣٣؛ وكنز العمال للمتّقي الهندي ٣١٣٠٤ و٣٩٦٨٨؛ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/١٦٥.

والأكناف على هذا التأويل حقيقة، ويجوز أن يقال: إنَّ المحاربةَ أَحَبُّ إليهم من المسالمة، وإن الهوينى ليست من شأنهم، فتكون الأكناف مستعارة، يصفهم بالميلِ إلى الشَّرِّ والحرص على القتال.

خبر الوَقَبَى

كان من حديث الوَقَبَى أنَّ عبدَ الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف كان عاملاً لعثمان بن عفان على البصرة وأعمالها، فاستعمل بشر بن حزن بن كهف المازني على الأحماء التي منها الوَقَبَى، فخرجَ يومًا هو وأخوه خفاف بن حزن إلى الوَقَبَى، فحفرا بها رَكِيَّتَيْن[1]: ذات القصر، والجوفاء، وهما قائمتان إلى اليوم، فلما أَنْبَطَاهُمَا إذا ماؤهما ماء الغادية عذوبة وطيبًا، وتَخَوَّفَا أن يغلبهما عبد الله بن عامر على الرَّكيتين، فدفناهما، فرقي أمرهما إلى عبد الله بن عامر، فطلب منهما الرَّكيتين، فأبيا أنْ يدفعاهما إليه، فأخرجهما منهما، وقال: بإذنِ مَنْ حفرتما هاتين الرَّكِيَّتَيْن، فخرجا من عنده هاربين، وَعَدَوَا على إبلٍ لعبد الله بن عامر فعقراها؛ وكان عبد الله استعمل خاله مَسْعَدَة السّلميّ على حفر أبي موسى، وهو الحفر الَّذي يُعرَف اليوم ببني العنبر، ثمّ إنَّ ناسًا من أفناء بكر بن وائل من بني شيبان بن ثعلبة وقيس بن ثعلبة وتَيْم اللاَّت بن ثعلبة وعجل بن لُجَيْم خرجوا وعليهم رجلٌ من بَنِي تيم اللاَّت بن ثعلبة يقال له شيبان بن خصفة ورجل من بني قيس بن ثعلبة يقال له قَبِيصة، فأتوا ماءً لبني نهشل بن دارم بِلَصَافِ[2]، فقاتلوا بني نهشل على مائهم، فظفروا بهم، وقتلوا منهم أُناسًا، وأقاموا به أيامًا ثم قالوا: ما هذا لنا بمنزل، إنَّا لفي وسط بلاد بني تميم، فاحتملوا راجعين، ونزلوا الحفر، فوجدوا الحياض مَلأى، فأوردوا الإبلَ وسقوها، وأرادوا أن يستقوا لِيملؤوا الحياضَ كما كانت، فجاء مسعدة عامل الماء فأغلظَ لهم، فقام إليه شيبان بن خصفة فضربه بالسَّيفِ على وجهه فصرعه، ونقل إلى منزله، وأقام البكريون بالماءِ أيامًا، ثم قالوا: ننزلُ الوقبى فإنها أقرب إلى بلاد بكر بن وائل فأتوها ونزلوا بها، فأرسل بشر بن حزن إلى شيبان وقبيصة البكريين: إن كنتما تريدان الثَّباتَ فَيْظَكُمَا هذا ومَنْ معكما من قومِكما فأقيما، وإن كنتم تريدان غير ذلك فأعلماني فَإنَّها أرضي ومائي، فأرسلا إليه يواعدانه ويقولان: إن رأيناك بالوقبى لَنَفْعَلَنَّ بكَ ولنصنعنَّ، فخرجَ بشر وأخوه خفاف وحريث بن سلمة بن مرارة بن مُحَفِّض الشَّاعر، وتفرَّقوا، فخرجَ منهم واحد إلى بني العنبر، وواحد إلى بني يربوع بن حنظلة، والثالث إلى بني مازن بن مالك، فأجاب مستصرخَ بني العنبر سبعةُ نفرٍ: منهم الأعور بن بشامة، وانطلقَ بعضهم يستصرخُ بني

---

(١) الرَّكِيَّة: البئر.

(٢) لَصَافِ: ماء بالدَّوِّ لبني تميم (معجم البلدان ٥/ ١٦).

نهشل لما كان من البكريين إليهم في إخراجهم إياهم من لَصَافِ وقتلهم مَن قتلوه قبل ورودهم الوقبى، فقالت بنو نهشل: والله ما لكم عندنا نُصْرَة، وانطلقَ مستصرخُ بني يربوع حتى لَقِيَ بني رِيَاح، فقالت بنو رياح: إخْوَتُنا بنو ثعلبة قُدَّامَنَا، ولسنا نقطعُ أمرًا دونهم، فعليكم بهم فنحن لهم تَبَع. فانطلقت بنو مازن حتى وردوا أغْشاشًا على بني ثعلبة، وذلك بعد أن اجتمعت من بني مازن جماعة كبيرة إليهم، فلما وردوا الماء عليهم شهرهم أهل الماء ولقوا أبا مُلَيْل عبدَ الله بن مالك الذي يُعرَف بالمحلِّف، وهو من بني عاصم بن عبيد بن ثعلبة، فأخبروه خبرهم، فقال: انزلوا أيها القوم، وعمد إلى بَكْر فَعَقَرَهُ فَقَرَاهم إياه، حتى إذا كان من العَشِيِّ وبَرَزَ أهلُ الماءِ لِبسَ بُرْدَيْنِ وَتَخَلَّقَ[1] وكذلك كانوا يفعلون إذا حَزَبَهم أمرٌ[2]، وأخذ قَنَاتَه وراحَ إلى وسط الماء، ثم نادى بأرفع صوته: يا لَيَرْبُوع، يا لَثعلبة، يا لَعاصم؛ فَخَصَّ وَعَمَّ، فثار النَّاسُ إليه، فقال: هؤلاء بنو أُمِّكم، وبنو عَمِّكم، ويدكم على العرب، وإنَّما قال: «بنو أُمكم» لأن أُم يربوع ومازن بن مالك بن عمرو جَنْدَلَةُ بنت فهر بن مالك القرشيّة، ولا قرار لكم مع بكر بن وائل إن أخذت دار بني مازن، فركبوا معه على كُلِّ صَعْبٍ وذَلُولٍ، حتى أشرفوا بهم على بني رِيَاح، فلما رأتهم بنو رياح ركبوا معهم، فانطلق القوم حتى أتوا جَوًّا مِنَ الوَقَبَى على ليلة يقال له جوُّ حَبْنَاء، فقالت بنو يربوع: يا بني مازن، دعونا فلننظر لكم ونستبرىء القوم، فقالت بنو مازن: لقد رَشُدْتم، فانطلقَ منهم سبعة نفر فيهم سُحَيم بن وَثيل والأحوص بن عبد الله الشّاعران، وَقَعْنَب بن عَتَّاب الرِّيَاحِيُّون، وأبو مُلَيْل المحلِّف، تمام سبعة نفر، حتى وردوا الماءَ على بكر بن وائل، فلما وردوا الماءَ عليهم أخبروهم أنّهم يبغون عبيدًا لهم أُبَّاقًا[3] أفلتوا منهم، فَقَرَوْهم حتى إذا أخذوا يروحون ارتابوا بهم فوثبوا عليهم فلم يتركوا في لحاهم شعرةً إلاّ نتفوها، فقال لهم اليربوعيون: إنَّا تحَرَّمْنَا بِطعامكم يا بكر بن وائل، وهذا قِرَاكم في بطوننا وحقائبنا، فاسْتَذَمُّوا بهم فأرسلوهم، فانطلقَ القومُ نحو الكوفة يُرُونَهم أنهم في أثرِ عبيدِهم، حتى إذا أمسوا رجعوا فأتوا أصحابهم وقالوا: يا بني مازن، لم نجد والله لنا ولا لكم بهم يَدَيْن، القومُ كثير؛ فتكركر القوم: أي تَرَادُّوا، والكركرة: الارتداد عن الشَّيء، فقال مَنْ ثَمَّ مِنْ بني يربوع وبني العنبر: أغيروا على نَعَمِهِمْ؛ فلنأخذه، فنكون قد أخذنا عوضًا مما صُنِعَ بنا، فوثب بشر بن حَزْن فقال: يا لمازن، قوموا إلَيَّ ولا يقومَنَّ أحدٌ من غيركم، فقاموا إليه فبرزهم، فقال: يا بني مازن، أذكركم الله أتَرْضَوْنَ أنْ تُغِيرَ يربوع والعنبر فيأخذوا النّعمَ ويكون ذهاب داركم، فقالوا:

---

(١) تَخَلَّقَ: تَطَيَّبَ بالخَلوق، وهو ضَرْبٌ من الطِّيب.

(٢) حَزَبَهم أمْرٌ: اشتدّ عليهم.

(٣) الإباقُ: هَرَبُ العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كَدِّ عمل.

فما ترى؟ قال: أرى أن تجعلوا الثَّأَى[1] بِالأَنفس فَتُقَاتلوا القومَ؛ فإن ظفرتم فاللَّهُ أظفركم، وإن تكن الأخرى كنتم قد أَبْلَيْتُم عذرًا في داركم، فتابعوه على رأيه، وقاموا إلى مَنْ ثَمَّ من بني يربوع والعنبر، فقالوا: جزاكم الله خيرًا من إخوة، فإنكم لو كنتم دعوتمونا أطعناكم، ولكنَّا نحو دعوناكم، فارْمُوا بنا في نحور القوم، وكونوا من ورائِنا فأَكْثُرُونا؛ فإنْ نحن هُزِمْنَا كنتم على حاميتكم وانصرفتم، وإن نحن ظفرنا فهي التي تريدون، وكانوا قد شارطوهم ثلث الماء؛ فقالوا: قد فعلنا، فانطلقت بنو مازن وبنو يربوع وأصبحوا على العلياء على مكان مرتفع يُشْرِف بهم على الوقَبَى، وكانت بنو يربوع على الشَّفير، فقالت بكر: هذه عيرٌ قد أشرفت عليكم، فقالت بُرَيقَة بنت شيبان التّيميّ: أحلف بالله إني أرى البيضَ تبرقُ، وإنّي لأرَى الأَسِنَّةَ تلمعُ؛ فبرزَ أبوها وهو يقول ومعه اللِّواء: يوم كيوم عصبة بني نُهشل، ثم جعل يرتجز ويقول: [الرجز]

نَـحْـنُ حَـفَـرْنَـا وَبَـدَأْنَـا أَوَّلاَ وَلَـنْ نَكُونَ الحاضِرَ المُحَوَّلا[2]

وضربَ رجلٌ من بني مازن يقال له العَجْلاَن بن خُفَيص فرسًا تحته ثم حملها عليهم وقال: قبح اللَّهُ خيلاً تجري مع الأباعر، واتبعه عُصَيْمة بن عاصم بن جُوَيْرِية الأجذم على جمل له، وهو محتجز بمُلاءةٍ له بيضاء على الدّرع وفي يده اللواء، وأراد أن يقدع المازنيين حتى يجتمعوا، فأبوا، فَلَقِيَ القوم وهم متفاوتون، فلقيَ شيبانَ أبا بريقة فطعنَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه، فانحدرَتْ مُلاءةُ عُصَيْمة من فخذيه، فنادى عُصَيْمة رجلاً من بني مازن يقال له: خُنَيْس، فقال: يا خُنَيْس، أطلقِ الملاءةَ من فخذي، فذهبَ خنيس ليطلقَ الملاءة من فخذيه، فضربه رجل من بني شيبانِ فقتله، وجاء شيبان أبو بريقة فضربَ عُصَيْمَةَ بنَ عاصم على يده اليسرى فقطع ثلاثَ أصابعٍ، وضرب عصيمةُ على رأسه فقتله، وجعل أربد بن شيبان يرتجزُ ويقول: [الرجز]

هَـا إنَّ ذا اليوم لشرّ مـجـمـوع الأَنْـكَـدانِ مَـازِنٌ وَيَـرْبُـوعْ

وَكَرَّ على عصيمة فقطعَ يده اليمنى، ونادت بكر: يا بني مازن، البقيةَ البقية، وتَهَيَّؤوا للصّلحِ، ولم يعلم بنو مازن بقتلِ صاحبهم خُنَيْس، ولا ما لقيت يد عُصَيْمَة؛ فلما رأى عصيمةَ ذلك قبض على يده المقطوعة بيد قميصه، حتى إذا امتلأَ القميص دَمًا نضح به وجوه بني مازن، ثم قال: أبقية بعد هذا أو صلح، وأراهم يده وأعلمهم بقتلِ خُنَيْس، فاقتتلوا عند ذلك قتالاً شديدًا، وشَدَّ خُفَاف بن حَزْن على شيبان بن خَصَفَة فقتله، وشَدَّ حُرَيْث بن سَلَمَة على قبيصة القيسيّ فقطع رِجله، وهزمت بكر بن وائل الهزيمة المجلية،

(١) الثَّأَى: الجراحات والقتل.

(٢) الحاضر: هم القوم النازلون على الماء، والمُحَوَّل: المغلوبون المطرودون عنه.

فأخذ رجلٌ من بني يربوع بيدي بريقة بنت شيبان ليسبيها، فقال عصيمة: لا سِبَاءَ في الإسلام، أنا جَارٌ لجميع نسائِهم من السِّباءِ، فأمرَ النِّساءَ فتحمَّلْنَ وانطلقنَ معهنَّ بشيبان أبي بريقة فدفَنَّهُ بالمكانِ الَّذي يقال له: قَارَة شيبان، وكَسَرْنَ على قبره قِدْرَه وجَفْنته، فلما أحرزوا الماءَ قالت لهم بنو يربوع: إنَّ لنا في الماء شريطة النّصف، فقالت بنو مازن: إنما جعلنا لكم الثلث على أن تقاتلوا فلم تَلُوا شيئًا من القتال، وما كان أصلُ الماءِ إلاّ لنا، ولَتَكُفُّنَّ عنَّا أو لَنَرُدَّنَّ أرماحنا في صدوركم. وأما بنو ثعلبة فقالوا: والله ما بيننا وبين بني مازن شريطة توجب لنا عليهم في هذا الماء حقًّا، فتركوهم، وأما بنو رياح فأتَوْا؛ ونذرَ قَعْنَب والأحوص الرِّياحيّان يومئذٍ أنْ لا يَرِدَا الوَقَبَى إلاّ ملجمين للقتال، فغبروا زمانًا؛ ثم إنهم اغْتَرُّوا بني مازن، فأتوا رَكِيَّةً من ركايا الوَقَبى فعقروا السَّواني[١] وألقوا جِيَفَهَا[٢] في الرَّكيّةِ فجعلَ فُصَيِّل[٣] من فُصْلاَن تلك السَّواني يَحِنُّ، فقال الأحوص بن عبد الله[٤] الرِّياحيّ: [الرجز]

يَـا أيُّـهَـا الـفُـصَـيِّـلُ الـمُـعَـنِّـي إنَّــكَ رَيَّــانُ فَـصَـمِّـتْ عَـنِّــي
يَـكْـفِـي الـفَـصِـيـلَ أَكْـلَـةٌ مِـنْ ثِـنِّ وَلاَ تَـكُـنْ آثَـرَ عِـنْـدِي مِـنِّـي[٥]

فلَمَّا نذرت بهم بنو مازن هربوا، وانطلقَ أُناس من بني أُثَاثَةَ بن مازن في أثرهم حتى أتوا ماءً لبني رياح يقال له طَلَحُ فَعَوَّرُوه وألقوا فيه السَّواني وَالحُمُرَ كما فعلوه بمائهم، فهدأت البلدة بين بني مازن وبني يربوع، واصطلح الناس، وخلصت الوَقَبَى لبني مازن، وكان مما قيل من الشّعر في الوقبى قوله: «فدت نفسي وما ملكت يميني» الأبيات المقدَّم ذكرها.

اشتقاق الأسماء المشكلة التي ذكرت في خبر الوقبى:

في نسب عبد الله بن عامر بن كريز «كُرَيْز»: تصغير كرز، وهو الجوالق الصغير، أو الخرج، وبه سُمِّيَ الرّجل كُرْزًا، ومنه قولهم في المثل «يا رُبَّ شَدٍّ في الكُرْزِ» وأصل ذلك أن مُهْرًا نتج، فحمله صاحبه في كرز، فقال قائل: يا ربّ شَدٍّ في الكرز، أي هذا المهر إذا كبر عَدَا عَدْوًا شديدًا، والشَّدُّ: العَدْوُ، فَضُرِبَ ذلك مثلاً لكلّ أمرٍ يُؤَمَّلُ أن يكون، وقد

(١) السَّوَاني: جمع السانية: وهي الدلو العظيمة التي يُسْتَقى بها، وهي هنا الناقة التي يُسْتَقى عليها.
(٢) الجِيَف: جمع الجيفة: الجثث.
(٣) الفُصَيِّل: تصغير الفَصِيل: الصغير من ولد الإبل.
(٤) ذُكِرَ في طبقات الشعراء لابن قتيبة ص ٣٢٩: الأحوص بن محمد بن عبد اللّه بن عاصم، وكذلك في الأغاني ٤/ ٤٠ (بولاق) وهو غير الأحوص الذي يجري ذِكره في هذا الخبر لأنّ هذا يربوعي رياحي والمذكور في الطبقات والأغاني: الأحوص الأنصاري.
(٥) الثِّنّ: حطام اليبيس.

يمكن أن يكون كريز تصغير ترخيم ويكون مأخوذًا من قولهم كارز أي متقبض مجتمع، قال الشَّماخ[1]: [الطويل]

فَلَمَّا رَأَيْنَ الوَرْدَ قَدْ حَالَ دُونَهُ ... دُعَافٌ إلى جَنْبِ الشَّرِيعَةِ كارِزُ[2]

أو يكون تصغير ترخيم للكَرِيز وهو الأقط الذي لم يستحكم يُبْسُهُ، وقيل: هو ضرب منه يُجعَل فيه النبت الذي يقال له: الحَمَصِيص، ولا يمتنع أن يكون كُرَيْز تصغير ترخيم من قولهم «كَبْشٌ كَرَّاز» وهو الذي يحمل عليه الراعي كُرْزه وأداته؛ قال الراجز:

يا ليت أنِّي وَسُبَيْعًا في غَنَمْ ... وَالخُرْجُ مِنْها فَوْقَ كَرَّازٍ أجَمّ[3]

وقول العامة لهذا الإناء كُرَّاز: زعم بعض العلماء أنّه ليس من كلام العرب، وأن الكُرَّاز على مثال الفُعَّال هو القارورة، وأصله أعجمي، وإذا استعملت الأسماء الأعجمية بالألف واللام فقد صار حكمها حكم العربي، فيحتمل أن يكون كُرَيْز تصغير ترخيم من كُرَّاز، وإن صحّ أن الكَريز من قولهم «كرزت الشّيء» إذا اختزنته جاز أن يكون الكُرَّاز من الفَخَّار مأخوذًا من ذلك؛ لأنه كالذي يختزن الماء، وقول العرب في التسمية «عبد شمس» قيل: إنّهم أرادوا هذه الشّمس الطّالعة، وقيل: بل شمس صنم، والأول أحسن التأويلين، وزعم النّسّابون أن أوّل مَنْ سُمِّيَ بعبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقولهم في اسم الرجل «خُفَاف» هو في معنى خَفيف، يقال: خفيق وخُفَاف، كما يقال: طَويل وطُوَال وكَبير وكُبَار، وقولهم في التسمية «نَهْشَل»، قيل: إنّه من أسماء الذئب، ولَصَافِ: موضع فيه ماء، فمنهم مَن يقول: هذه لَصافُ، ورأيت لَصافَ، ومررتُ بلصافَ؛ فيجريه مجرى ما لا ينصرف، ومنهم مَن يبنيه على الكسر في الوجوه الثلاثة، وإنما أخذت من لَصَفَ الشَّيءُ إذا برقَ. وقولهم في تسمية الرّجل «حَزْن» هو من حزن الأرض ضد السَّهل؛ و«ثعلبة» مأخوذ من أُنثى الثعالب، و«ربيعة» زعم قوم أن بَيْضَة الحديد يقال لها: ربيعة، ولا يمتنع أن يكون اشتقاق ربيعة من قولهم: رَبَعْتُ القومَ، إذا كنت لهم رابعًا، أو أخذت ربع أموالهم، أو من ربعت الحجر والحمل إذا رفعته،

---

(١) الشّمّاخ: ابن ضرار بن حرملة المازني، شاعر مخضرم وهو من طبقة لبيد والنابغة، شهد القادسية (ت ٢٢ هـ/ ٦٤٣م) (ترجمته في الإصابة ٣٩١٣؛ والأغاني ٨/ ٩٧؛ وخزانة البغدادي ١/ ٥٢٦).

(٢) البيت من قصيدة للشاعر في ديوانه ص ٤٣ وأولها:

عفا بطنُ قَوٍّ من سُليمى فَعَالِزُ ... فذاتُ الصَّفَا فالمُشْرِفاتُ النَّواشِزُ

والبيت في اللسان (ك ر ز) وقد ورد (فلما رأين المال...). والذُّعاف: السُّمّ، والشّريعة: مورد الشاربة.

(٣) ورد البيت في اللسان (ك ر ز)، وقال: الكَرّاز: الكبش الذي يضع الراعي عليه كرزه فيحمله ولا يكون إلا أجمّ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح.

و«مَسْعَدة» الغالب أن يكون أخذ من السعادة، ولا يمتنع أن يكون من السَّعْدَان الذي هو ضرب من النَّبت؛ لأن الألف والنون فيه زائدتان، فكأنّ مَسْعَدَة مَفْعَلة من ذلك، و«عُصَيْمَة» يجوز أن يكون تصغير عِصْمَة من قولهم: فلانٌ عِصْمَتي أي الذي أعتصم به، أو يكون تصغير عُصْمة من قولهم: فرس أعصم إذا كان في وظيفي يديه بياض، والوُعُولُ كُلُّها عُصْمٌ، و«أبو مليل» يجوزُ أن يكون مليل من المَلَل، ومن مُلاَل الحمّى، وهو تَكَسُّرُها وحرارتها، وهو يرجع إلى مَلَلتُ القرصَ في النار، والمَلَّةُ: الرّماد الحارّ، ويجوز أن يكون مليل من مَلَلت الثوبَ إذا خِطْته خياطة غير محكمة وهو مثل الشَّلّ؛ و«بُرَيْقَة» يجوز أن يكون تصغير بَرْقة من البَرْق، أو من قولك: برق طعامه، إذا جعل عليه زيتًا قليلاً أو دهنًا قليلاً، أو يكون تصغير بُرْقَة من الأرض، وهي أرض فيها حجارة وطين. و«قَعْنَب» زعم قوم: أنه الشديد الصّلب. و«الأحوص» إذا رُوِيَ بالحاء فهو من الحَوَص، وهو ضيق مؤخر العين، وكان بعض أهل العلم يقول: الأحوص الأنصاري بحاء غير معجمة، والأخوص اليربوعي بخاء معجمة، يعني هذا الأخوص المذكور في حديث الوَقَبى، فأما الأحوص من بني كلاب فبالحاء لا غير، وإذا قيل أخوص في صلة الرّجل فإنما يُراد به غُؤُور العين، وكذلك بئر خَوْصاء، و«جو حَبْناء» اسم موضع، والجو: بطن الوادي، وحَبْناء من قولهم: امرأة حبناء، وهي التي أصابها الحَبَن[1]، وهو سقي البطن، قال الراجز:

وَأُمُّكُـمْ وَرْهَـاءُ جَـاءَتْ بـالـغَـبَـنْ أَصَابَهَا مِنْ كَثْرَةِ الشُّرْبِ الحَبَنْ

و«سحيم» تصغير أَسْحَم على الترخيم، والأسحم: الأسود، و«وثيل» من قولهم لليف الوثيل، وقيل: الوثيل: حبل اللّيف، ومُرارة: واحدة المُرَار وهو نبت، قال حُمَيد بن ثَوْر[2]: [الطويل]

رَعَيْنَ المُرَارَ الجَوْنَ مِنْ بَطْنِ تُوضِحٍ شُـهُـورَ جُمَادَى كُلَّـهَـا وَالـمُـحَـرَّمَـا

و«عَتَّاب» يجوز أن يكون فَعَّالاً من العَتْب، أو فعَّالاً من عَتِبَ البعيرُ إذا مشى على ثلاث قوائم، قال الشّاعر: [الطويل]

إِذَا مَا تَرَاخَى الحَيُّ عَنْ كُلِّ طَارِقٍ نَـهَـضْـتُ إِلَـيْـهَـا بِـالـحُـسَـامِ لِـتَـعْـتَـبَـا

أي: تُضْرَب إحدى قوائمها بالسَّيف فتعتب، ويجوز أن يكون من قولهم: عَتَبَ القوم في السَّير، إذا انعطفوا فيه ونزلوا في موضع ليس على القَصْد، وقيل: إن العَتَبَة مُنْعَطَف الوادي، و«قَبِيصة» فَعيلة من قَبَضْتُ الشَّيءَ إذا أَخَذْتَهُ بأطرافِ أصابِعِكَ.

---

(١) الحَبَنُ: داءٌ يأخذ في البطن فيعظم منه ويرم.

(٢) حُميد بن ثَـور العامري: شاعر مخضرم، شهد حُنَيْنًا مع المشركين (ت ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) (ترجمته في شرح شواهد المغني ٧٣؛ والإصابة ١٨٣٠؛ وسمط اللآلي ٣٧٦).

[٤] **وقال جَعْفَر بن عُلْبَة الحارثي:**

الجعفر: النهر الكثير الماء، وبه سُمِّيَ الرجل، قال الشّاعر: [الطويل]

ولا نَبطيَّات يُفَجِّرْنَ جَعْفرا(١)

وعُلْبة مسَّمى بالعلبة التي يُحْتَلَبُ فيها، وهو إناء من جلود يوطر حولها قضيب: أي يعطف، قال الشّاعر: [المنسرح]

لَمْ تَتَلَفَّعْ بِفَضلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُغْذَ دَعْدُ بالعُلَبِ(٢)

وبايع رجل من العرب أن يشرب عُلْبة من لبن حليب ولا يتنحنح، فشرب بعضها، فلما جَهَدَه الأمر قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

١ - أَلَهفَا بِقُرَّى سَحْبَلٍ حِينَ أَحْلَبَتْ عَلَيْنَا الوَلَايَا وَالعَدُوُّ المُبَاسِلُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

التَّلَهُّفُ: التوجّع على الفائت بعد الإشراف عليه، و«ألهفا» يجوز أن يكون مُنادَى مفردًا، ويجوز أن يكون منادًى مضافًا، فإذا جعله مضافًا فإن أصله أَلَهْفي أو أَلَهْفِ، فإذا قال أَلَهْفَا فكأنه فرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفًا، وكذلك يا غُلاَمَا أقْبِلْ، وقوله: [الطويل]

وَهَل جَزَعٌ إنْ قُلْتُ وابأَباهُمَا

وإنما المعنى بأبي هما، وعلى ذلك قولهم في عذارٍ: عَذَارى، وفي صحارٍ: صَحَارَى، وفي بَقِيَ بَقَى، وفي رَضِيَ: رَضَى، وإذا كان أَلَهْفَا مفردًا تكون الألف قد زيدت لامتداد الصَّوت به، ليكون أدلَّ على التحسّر، وقُرَّى: اسم موضع إن أخذ من قرّ يقرّ وبابه فوزنه فُعْلَى، وإن أخذ من قَرَيْتُ الضيف أو قَرَيْتُ الماءَ في الحوض إذا جمعته أو قَرَوْت الشَّيء إذا تتبعته فوزنه فعَّل، وسَحْبَل: اسم وادٍ، ويقال لكل ما عظم واتّسع: سَحْبَل،

---

(١) صدر البيت هو: «إلى بلدٍ لا بَقَّ فيه ولا أَذَى». وقد رواه في اللسان (ج ع ف ر) بدون نسبة عن ابن جني.

(٢) البيت ثالث ثلاثة أبيات رواها في اللّسان (د ع د) ونسبها لجرير بن عطية والبيتان قبله:

يا دارُ أقوتْ بجانبِ اللَّبَبِ بينَ تِلاعِ العقيقِ فالكُتُبِ
حيثُ استقرَّتْ نَوَاهُمُ فَسُقُوا صوبَ غَمَامٍ مُجَلْجِلٍ لَجِبِ

ولعبيد الله بن قيس الرّقيّات في ملحق ديوانه ص ١٧٨، وبلا نسبة في أدب الكاتب ٢٨٢؛ وأمالي ابن الحاجب ص ٣٩٥؛ والخصائص ٣/٦١؛ وشرح قطر الندى ص ٣١٨؛ والمنصف ٢/ ٧٧.

كالجراب والوَطْب، قال الراجز:

أرسلتُ فيها قَطِمًا لم ينكلِ　　يخرجُ من رأسٍ له كالمرجلِ
شِقْشِقَةً مِثل الجِرَابِ السَّحْبَلِ(١)

ويقال: ضَبٌّ سَحْبَلٌ: أي ضخم طويل، ومعنى «أحلبت» أعانت، وأصله الإعانة في الحَلْب خاصة، ثم استمرّت في الإعانات كلّها، والولايا: جمع وَلِيَّة، وهي البرذعة، وهي تكون كناية عن النساء إن شئت، وعن الضعفاء الذين لا غناء عندهم إن شئت، وَشَبَّهُوا الرجلَ الرِّخْوَ الخوَّار بالولية لأنها رخوة منتفجة، وقيل: الولايا العشائر والقبائل، وكأنّ ولية تأنيث وَليّ، وهو القريب، ويُروَى «أجلبت» وأصل الجَلَبة رفع الأصوات، والباء تتعلق بنفس لهفا، وكذلك حين، فلا يكون حينئذ في واحد منهما ضمير لتعلقهما بنفس الظاهر، حتى كأنه قال: أتلهَّفُ في هذا الموضع في هذا الوقت، ويجوز فيه وجوه أُخَر ليس هذا موضعها، ومعنى البيت أنه يتلهف على ما نزل بهم حين أعان الأعداءَ عليهم كونُ الحرم معهم أو مَن يجري مجرى الحرم من الضعفاء الذين لا دفاع بهم لما وجب عليهم من الذَّبِّ عنهم، ومَن روى المَوَالي فهم أبناء العمّ، وإنما خصّهم بالذكر لأن الجفاء منهم أشد تأثيرًا في النفس، والعدوّ إشارة إلى الجنس، والمُبَاسل من البسالة وأجراه على لفظ العدوّ لا معناه، وفي القرآن ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾(٢) وَالمَوْلَى على وجوه: هو العبد، والسيد، وابن العمّ، والصهر، والجار، والحليف، والولي، والأولى بالشيء.

٢ ـ فَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا　　صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلاَسِلُ

التاء في «ثنتان» كالتاء في بنتان، إلا أنه لم يستعمل واحده كما استعمل بنت، وكذلك التاء في اثنتان كالتاء في ابنتان، إلا أنهم لم يقولوا اثنةٌ كما قالوا ابنة، ومجيء الهمزة في أوله أحسن لأن اللغة العالية على ذلك، قال عنترة: [الكامل]

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً　　سُودًا كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ

واللّغة الأخرى جيدة، قال الشاعر: [الطويل]

لَقِيتُ ابْنَةَ الضَّمْرِيِّ زَيْنَبَ عَنْ عُفْرِ　　وَنَحْنُ حَرَامٌ مُسْيَ عَاشِرَةِ العَشْرِ(٣)
فَقَبَّلْتُهَا ثِنْتَيْنِ كَالثَّلجِ مِنْهُمَا　　وأُخْرَى عَلَى لَوْحٍ أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ(٤)

---

(١) القَطِم: الشهوان إلى اللحم وإلى النكاح. ولم ينكل: لم يحجم ولم يتأخّر. والشّقشقة: لهاة البعير. والجراب السَّحْبَل: الواسع.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٧٧.
(٣) العُفر: قلّة الزيارة والبُعْد. واللَّوح: شدّة العطش والسّقام ونحوه.
(٤) البيت في اختلاف بسيط لابن ميادة في ملحق ديوانه ص ٢٥٠؛ والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٦٣؛=

وأراد بالثنتين خصلتين، ثم فَسَّرهما صدور رماح، وخصّ الصّدور لأن المقاتلة بها تقع، ويجوز أن يكون ذكر الصدور وإن كان المراد الكلّ، كما قال: [الكامل]

الواطئين على صدور نِعالهم

وإن كان الوطء للصدور والأعجاز، وكنّى عن الأسْر بالسلاسل، والمراد بقوله «لا بدّ منهما» على سبيل التعاقب، لا على سبيل الجمع بينهما، وإلا سقط التخيير الذي أفاده «أو» من قوله «أو سلاسل» ألا ترى أنه إذا قال: خذ الدينار أو الدرهم، فليس فيه الجمع بينهما، وإذا كان الأمر على هذا فمعناه لا بدّ من أحدهما، والعرب تذكر الشيئين وتريد أحدهما، وعلى هذا فسّر قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[1] يعني الماء العذب والملح، واللؤلؤ لا يكون إلاّ في الماء الملح دون العذب، والرجل يقول: سلبت الرجلين ثوبًا وأخذت منهما سيفًا، يريد من أحدهما، وقوله «أشرعت» أي: صوّبت للطّعن، يقول: إما أن تصبروا على القتال فنلقاكم بالرماح، وإما أن تستأسروا فنأخذكم في السلاسل، وقال أبو الفتح: لك في «منهما» وجهان: إن شئتَ كان على حذف المضاف: أي لا بدَّ من إحداهما، ألا تراه قال أو سلاسل، وأو إنما توجب أحد الشيئين، وإن شئتَ كان على ظاهره لا بدّ منهما جميعًا، فصدور الرماح لمَن يُقْتَل، والسلاسل لمَن يؤسر: أي يكون بعضنا كذا، وبعضنا كذا، فإن قيل: فهذا يوجب صدور رماح وسلاسل، قيل: لما جعلهم صنفين مقتولاً ومأسورًا كان لكل واحد منهما هذا أو هذا، فمن هنا دخله معنى أو، فهو إذًا كلام محمول على معناه.

٣ ـ فَقُلْنَا لَهُمْ تِلْكُمْ إذًا بَعْدَ كَرَّةٍ   تُغَادِرُ صَرْعَى نَوْؤهَا مُتَخَاذِلُ

يقول: أجبناهم وقلنا تلكم أي تلكم التخييرة، ولا يجوز أن تكون الإشارة بتلكم إلى واحدة من هاتين الخصلتين، لأنه لا اختيار فيهما لمختار حكمه حكم هؤلاء، إلا أن يكون الكلام على طريق التهكّم والسّخرية، وإنما المعنى يكون ذلك بعد عطفةٍ تترك بيننا قومًا مصرعين يخذلهم النهوض ولا يطيقون الحراك، و«إذًا» هو جواب وجزاء، وهو هٰهنا محذوف، وكم من «تلكم» لمجرد الخطاب فلا موضع له من الإعراب، واختار أن يقول متخاذل لأن هذا البناء يختصّ بما يحدث شيئًا بعد شيء، وعلى ذلك قولهم «تَدَاعى البناء» كأنَّ أجزاء النهوض يخذل بعضها بعضًا، والنَّوْءُ: قد يكون السقوط أيضًا، وقوله «تغادر» صفة لِلكَرَّة.

= ولأبي العميثل في البيان والتبيين ١/ ٢٨٠؛ وخزانة الأدب ٥/ ٩٥؛ وديوان المعاني ١/ ٢٧٣.

(١) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٢.

٤ - وَلَمْ نَدْرِ إنْ جِضْنَا مِنَ المَوْتِ جَيْضَةً كَمِ العُمْرُ بَاقٍ وَالمَدَى مُتَطَاوِلُ

يقال: جاضَ وحاضَ، إذا عدل وانحرف، وقوله «كم العمر باقٍ» كم في موضع الظّرف، والمعنى كم يومًا أو وقتًا العمر باقٍ، وارتفع العمر بالابتداء، والواو في قوله «والمدى متطاول» واو الحال: أي كم العمر باقٍ ومداه متطاول، فلم يأتِ بالضمير لأن الواو أغنى عنه، ويجوز أن تتعلق الحال التي دَلَّ عليها «والمدى متطاول» بإن جضنا، والتقدير لم نَدْرِ إنْ جضنا ومدانا متطاول كم العمر باقٍ: أي مدى رجائنا، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، كأنه قال: لم نعلم كم العمر باقٍ وكم المدى متطاول إنْ جضنا، وفَسَّرَ بعضهم العمر بالحين، قال: ومنه قوله عَزَّ وجلّ: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾[1] وهذا إذا حقّق راجع إلى الأوّل، وكلّهم روى هذا البيت «إنْ جِضْنَا من الموت جَيْضَةً» بكسر الهمزة على ما مرّ تفسيره، غير أبي العلاء المعرّي فإنه أخذ على «أن جضنا» بفتح الهمزة، وكأنه ذهب في هذا إلى أن «إن» بكسر الهمزة لما يستقبل، و«أن» بفتح الهمزة لما مضى؛ والشاعر في ذكر قصة قد مضت فيحمل قوله «أن جضنا» بفتح الهمزة على تقدير لما جضنا، ومعناه يقول: لم ندرِ إن حِدْنَا عن القتال الذي فيه الموت كم يكون بقاؤنا فَلِمَ نحيدُ فنحتقب[2] العار؟ ولعلنا إن حدنا لم نَعِشْ إلا قليلاً.

٥ - إذَا مَا ابْتَدَرْنَا مَأْزِقًا فَرَجَتْ لَنَا بِأَيْمَانِنَا بِيضٌ جَلَتْهَا الصَّيَاقِلُ

المأزِق: مضيق الحرب، وهو مَفْعِل من الأزق، وهو الضيق، يقول: إذا استبقنا إلى مضيق في الحرب وَسَّعَته لنا سيوف مصقولة بأيماننا، وجعل الفعل للسيوف على المجاز والسَّعَة، وقوله «جلتها الصَّياقل» ضرورة؛ لأن السيوف لا تجلوها إلا الصَّياقل، ولو كان يجلوها غيرهم وكان لجلائهم إياها فضل على جلاء غيرهم لكان لذكرهم هٰهنا معنى، وإلا فلا معنى له إلا إقامة الرّويّ فقط، كقول الآخر: [الطويل]

وَسَابِغَةِ الأَذْيَالِ زَغْفٍ مُفَاضَةٍ تَكَنَّفَهَا مِنِّي نِجَادٌ مُخَطَّطُ[3]

وليس لتخطيط النِّجاد معنى يرجع إلى الدرع، ولا إلى السيف، ولو قال اجتهد في صقلها الصَّياقل وما أشبهه كان حسنًا.

٦ - لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَوْمَ بَطْحَاءِ سَحْبَلٍ وَلِي مِنْهُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَنَامِلُ

ويُروى «ما ضَمَّتْ عليه الأنامل» بفتح الضَّاد أيضًا؛ فإذا رُويت ضَمَّتْ فالمعنى قبضته الأنامل، وإذا قلت ضُمَّتْ فالمعنى قُبِضَتْ عليه الأناملُ، والبطحاء: تأنيث الأبطح

(١) سورة يونس، الآية: ١٦. (٢) نحتقب: نجعله حقيبةً.
(٣) الزَّغف: الدرع المُحْكَمة، وقيل: الليّنة، وقيل: الواسعة الطويلة.

وهو مَسِيلٌ فيه دقاق الحصى واسع، وهما صفتان أُخرِجَتا إلى باب الأسماء، والتأنيث والتذكير فيهما يحملان على البلدة والبقعة والبلد والمكان، إلا أنه لا يقال: مكان أبطح، ولا بقعة بطحاء، ويقال: تَبَطَّحَ السَّيلُ، إذا سال عريضًا، وسَحْبَلٌ: اسم موضع أُضِيفَ البطحاء إليه، كما يقال: صحراء سَحْبَلٌ، ويقال: ضَبٌّ سَحْبَلٌ، إذا كان عريضَ البطنِ، ولا يمتنع أن يكون المكان سُمِّيَ به لاتِّساعه، وهذا البيت مثل قوله في صفة السيوف أيضًا: [المتقارب]

مَـنَـابِـرُهُـنَّ بُـطُـونُ الأَكُـفِّ وَأَغْـمَـادُهُـنَّ رُؤُوسُ الـمُـلُـوكِ

وإن كان في هذا تقسيم خلا منه المشبّه به، ومعناه إني أعمل صدر السيف فيهم لا أُزيله عنهم، فكأنما هو لهم وليس لي منه إلاّ مقبضه.

[٥] وقال أيضًا:

١ ـ لاَ يَـكْـشِـفُ الـغَـمَّـاءَ إلاَّ ابْـنُ حُـرَّةٍ يَـرَى غَـمَـرَاتِ الـمَـوْتِ ثُـمَّ يَـزُورُهَـا

من الضرب الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الغَمَّاء بفتح الغين والمدّ، والغُمَّى بالضّمّ والقَصْر، مثل العَلْياء وَالعُلْيا: الأمْرُ الشّديد الذي لا يُدرَى من أين يؤتى، وأصله من قولهم: غَمَمْتُ الشَّيءَ، إذا سترته، ومنه الغَمَمُ الشَّعْر الذي يستر الجبين من قدّام والقفا من خلف، ومنه سُمِّيَ الغمّ في القلب؛ لأنه يحجب السّرور عنه، والغمام لأنه يستر السماء، ومنه الحديث «فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العِدّة»[١] وقوله «إلا ابن حرّة» يعني أن أبناء الحرائر هم الصّابرون على المكاره في ابتناء المجد واكتساب الشَّرَف، وقوله «يرى غمران الموت» يقول: يتحققها بالمُمَارسة حتى يصير كأنه أدركها بحاسّة العين وشاهدها، فإن قيل: لِمَ عَطَفَ الزيارة على رؤية الغمرات بحرف المُهْلَة؟ وهلاّ جعلها عَقِيبَ الرُّؤْيَة؟ قلت: إنّ ثُمَّ وإن كان في عطفه المفرد على المفرد يدلّ على التّراخي فإنه في عطفه الجملة على الجملة ليس كذلك، ألا ترى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢] ولا يجوز تراخي الإيمان عن شيء مما عَدَّدَه وذكره. وأصل الزّيارة المَيْل، وهو من الزَّوْرِ وهو الميل في أحد الشِّقَّين؛ فقوله «يزورها» أي يميل إليها فيأتيها.

٢ ـ نُـقَـاسِـمُـهُـمْ أَسْـيَـافَـنَـا شَـرَّ قِـسْـمَـةٍ فَـفِـيـنَـا غَـوَاشِـيـهَـا وَفِـيـهِـمْ صُـدُورُهَـا

وضع «قِسْمَة» موضع مقاسمة، وغاشية السيف: أوّلها مما يليكَ، وصدره: الذي

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٤/٢٣.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١٢ ـ ١٧.

يضرب به. وقد تكون غاشيته غمده أيضًا. وانتصاب «شَرَّ» على المصدر. ومعناه قاسمناهم سيوفنا ففينا مقابضُها وفيهم مضاربُها. وهو كقوله: [الطويل]

لهم صدر سيفي يوم بطحاءِ سَحْبَلِ[1]

البيت.

وقوله «شَرَّ قسمةٍ» أي شَرّ قسمة لهم وخيرها لنا.

[٦] وقال أيضًا:

١ - هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجُثْمانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

من الضرب الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «هَوَايَ» فُتِحَتْ ياءُ الإضافة على الأصل، وذلك أنَّ هذه الياء لمّا كان ضميرَ اسمٍ على حرفٍ واحدٍ متطرّفٍ كرهوا أن يُسَكَّنَ فيختلّ، فجعلوا من أصله التحريك، فإذا كانَ ما قبله متحرّكًا كغلامي وداري كان لك فيه وجوه: تحريك الياء وهو الأصل، وتسكينه تخفيفًا، وحذفه في النداء إذا قلت «يا غُلامِ» وإبدال الألف منها مع انفتاح ما قبلها، كقولك «وابأباهما» و«يا غلاما» وإذا سَكَنَ ما قبله فمتى كان واوًا أو ياءً أُدْغِمَ فيه، ولم يكن بُدٌّ من تحريكه؛ لئلا يلتقي ساكنان، تقول: مُسْلِمِيَّ في الجمع، ومُسْلِمَيَّ في التثنية، وإذا كان ما قبله ألفًا كَعَصَاي وهَوَاي لم يكن بُدٌّ من الإتيان به على الأصل وهو تحريكه، لئلا يلتقي ساكنان، ولا يجوز الإدغام هنا كما جاز مع الواو والياء، لأن الألف لا تُدْغَمُ في شيء ولا يُدْغَم فيها غيرها لكونها هوائية لا معتمد لها في المخرج، إلا في لغة هذيل فإنهم يبدلون من الألف الياء ويدغمون، وعلى هذا قول أبي ذُؤَيْب في قصيدة رثى بها بنيه: [الكامل]

سَبَقُوا هَوَيَّ وَأَعْنَقُوا لِهَوَاهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ[2]

ورَاكِبٌ ورَكْبٌ مثلُ تاجرٍ وتَجْرٍ وصَاحب وصَحْب، والرَّكْبُ: رُكبانُ الإبل خاصَّةً، واليمانون: جمع يَمانٍ، خُفِّفت ياء النسب في يمنيّ فحذف إحدى الياءين وعُوِّضَ منها ألف، فقيل يَمَانٍ، وكذلك فعل في شآم، و«مُصْعِدٌ» مُبْعِدٌ، والإصعاد: الإبعاد، والصّعود: الارتفاع في الدرجة والجبل، وفي القرآن ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُنَ عَلَىٰٓ

(١) هذا صدر بيت لجعفر بن علبة الحارثي كما في تاج العروس (سحبل). وعجزه: «ولي منه ما ضُمَّتْ عليه الأناملُ».

(٢) البيت لأبي ذؤيب في شرح أشعار الهذليين ١/ ٧؛ وإنباه الرواة ١/ ٥٢؛ والدّرر ٥/ ٥١؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٠؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٢٦٢؛ وشرح قطر الندى ص ١٩١؛ وشرح المفصّل ٣/ ٣٣؛ وكتاب العين ١/ ٢٩٩.

﴿أَحَدٍ﴾[1] قيل: معناه تبعدون، وقيل: الصّعود في الدرجة والجبل، والإصعاد في السّير، وحُكِيَ أنَّ صَعْدَةَ اسمٌ عَلَمٌ للأرضِ، وأنّ الصَّعيدَ منه، ولهذا قِيلَ لحمرِ الوحش: بنات صَعْدَة، وهذا إن ثبتَ فهو كما يقال بنات البَرِّ، ويقال في الجثمان: إنّه الشّخص، والجُسْمَان الجسم، والشَّخص إنما يستعمل في بدن الإنسان إذا كان قائمًا، هذا قول الأصمعي، وذكر الخليل أن الجثمان والجسمان بمعنى واحد؛ و«جَنِيب» بمعنى مَجْنُوب مُسْتَتْبَع، يقول: هوايَ مع رُكبان الإبل القاصدين نحو اليمن مَقُودٌ معهم وبَدَني مأسُورٌ مُقَيَّدٌ بمكّةَ.

٢ ـ عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ ‏ ‏ ‏ ‏ إِلَيَّ وَبَابُ السِّجْنِ دُونِيَ مُغْلَقُ

إنما تعجّبَ من سيرها على عادة الشعراء في وصف الخيال، وذلك أنهم يُجْرونه مجْرَى المرأة نفسها، فيستطرفون منه ما يستطرفون من تلك لو وقع الفعل منها على الحقيقة مع نعمتها، والمَسْرَى مفعل يصلح أن يكون مصدرًا ومكانًا ووقتًا، والبيت يحتمل الوجوه كلّها، و«أنّى» معناه كيف أو من أين، كذا قال سيبويه؛ وقد تجرّدَ لأن يكون في معنى كيف في قول الكميت: [المنسرح]

أنّـى ومـن أيـنَ آبَـكَ الـطَّـرَبُ

قال أبو الفتح: ولا يجوز أن تكون أنّى من قوله «وأنّى تخلّصت» مجرورة عطفًا على قوله مسراها لأن أنّى استفهام لا يعمل فيه ما قبله، فإن قلت: فقد تقول: بأَيِّهِمْ مررت، ولأَيِّ شي فعلت ما فعلت؟ فتعمل فيها اللاّم والباء من قبلها، وكذلك عامّة حروف الجر نحو: من أين أقبلتَ؟ وعَلامَ ارتحلتَ؟ ونحو ذلك؛ قيل: الفرق أن اللاّم في قوله «لمسراها» متعلّقة بعجبت، وهي في قولك لمَن قلت ذلك متعلقة بالفعل بعد من، وحرف الجرّ يتّصل بما بعده فيصير جزءًا منه، فيصير العامل في الاسم المستفهم عنه كأنه إنما هو الفعل، لا حرف الجرّ، وهذا لا يجوز، ألا ترى أنك لا تقول ضربتَ مَنْ؟ ولا نزلت على مَنْ؟ وأنت تقول: مَنْ ضَرَبتَ؟ وعَلَى مَنْ نزلت؟ وكذلك تقول: بمَنْ مَرَرْت؟ ولا تقول: مررتَ بِمَنْ؟ فإذا ثبتَ ذلك بطلَ أن يكون «أنّى» من قوله «وأنّى تخلّصتْ» مجرورة عطفًا على قوله «مَسْرَاها» وإذا بطل ذلك ثبت أنها منصوبة بقوله «تخلّصت» كقولك أنّى ارتحلت: أي من أين ارتحلت؟ فكأنه لمّا قال «عجبتُ لمسراها» تمّ كلامه، ثم قال مستأنفًا آخذًا في كلام آخر «وأنّى تخلّصت» أي: ومن أين تخلصت؟ هذا وضع الإعراب ومقتضى الصّنعة فيه، فأمّا حقيقة المعنى فكأنه قال: عجبت لمسراها ولتخلّصها إلَيَّ لأنَّ العجبَ اشتمل عليهما جميعًا، ولا يستنكر أن يكون وضع الإعراب

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

مخالفًا لمحصول المعنى، ألا تراك تقول: أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ، فمعناه الحَقْ أَهْلَكَ قبلَ اللَّيلِ، وإعرابه على غير ذلك.

٣ ـ أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ[١]

الإلمام: الزّيارة الخفيّة، والتحية: السَّلام والمُلك والبقاء، والمُحَيَّا: الوجه من الإنسان لأنه يُخَصُّ عند التسليم بالذّكر فيقال: حَيَّا اللَّهُ وجهَكَ، وإن كانت الجملة مُتَلَقَّاة به، وقيل: إنَّ التحية مشتقة من الحياة، أو من الحياء، والمُحَيَّا من الفرس: حيث انفرقَ اللَّحمُ تحت الناصية، و«تَزهق» تذهب وتهلك، ومنه قيل للبئر البعيدة: القَعْر، والمَتْلَفَةِ البعيدةِ: زاهقةٌ وزهوق، وزهقت الراحلة: تقدّمت، وزهقَ السَّهمُ: أسرع، وقوله «لما تولّت» جوابه «كادت النفس» وهو علم للظرف ومتى كان علمًا للظرف لم يكن بُدٌّ من جواب لأنه يكون لوقوع الشّيء لوقوع غيره، وتزهق خبر كادت لأن كاد ككان وأخواته وهو موضوع لمشارفة الفعل فلهذا وجب أن لا يكون معه أن، تقول كاد يفعل ولا يجوز أن يفعل إلاّ في الشعر. يقول حاكيًا لحال الخيال: جاءتنا فسلّمت علينا ثم لم تلبث إلاّ قليلاً حتى قامت وأعرضت فلما تولّت كادت النفس تخرج في أثرها.

٤ ـ فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ لِشَيْءٍ وَلاَ أَنِّي مِنَ المَوْتِ أَفْرَقُ

تخشّعتُ: تكلّفتُ الخشوعَ، والخشوع في البصر والصّوت كالخضوع في البدن، ويقال: اختشعَ فلانٌ، إذا طأطأ رأسه راميًا ببصره إلى الأرض، وهو خاشعُ الطَّرْفِ خاضعُ العُنُقِ، والفَرَقُ: الخوف، فإنْ قيل: أين مفعول تحسبي؟ قلت: قد نابت الجملة التي هي قوله «أنّي تخشّعتُ بعدكم» عن المفعولين، ألا ترى أن تقديره لا تحسبيني خاشعًا، فكما أن المفعولين يحصلان من دون أنَّ كذلك إذا دخل أنَّ في الكلامِ ينوب مع ما بعده عنهما، لأنَّ اللّفظ بالمفعولين قد جعل وإن كانا في صلة أنَّ، وأنَّ وما بعده في تقدير اسم، وهذا كما تقول: لو أنكَ جِئتني لأَكْرَمْتُكَ، إذ كنت قد لفظت بالفعل في صلة أن وإن كنت لا تقول: لو مجيئك، يقول: لا تظنّي أني تكلّفتُ الخشوعَ بعدكم لشيءٍ عارضٍ، ولا أنّي أخافُ من الموت، وترك الإخبار عنها وأقبل عليها يخاطبها جَرْيًا على عادتهم في تصرفهم في الكلام، ودخلت هذه الأبيات في الحماسة لاستهانته بما اجتمع عليه من الحبس والقيد وصبره على ذلك، وقال أبو الفتح: تخشّعتُ بمعنى خَشَعت وقد جاء تَفَعَّلَ وفَعَلَ بمعنى نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾[٢] أي الكبير، وعليه بيت

---

(١) في شرح الحماسة للمرزوقي «أَتَتْنَا» بدل «أَلَمَّتْ».
(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٣.

الكتاب: [الطويل]

وَلاَ يَشْعُرُ الرُّمْحُ الأَصَمُّ كُعُوبُهُ ... بِثَرْوَةِ رَهْطِ الأَبْلَخِ المُتَظَلِّمِ[1]

أي: الظالم، وقال آخر: [الطويل]

تَظَلَّمَنِي حَقِّي كَذَا وَلَوَى يَدِي ... لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُه[2]

٥ ـ وَلاَ أَنَّ نَفْسِي يَزْدَهِيهَا وَعِيدُكُمْ ... ولا أَنَّني بِالمَشْي في القَيْدِ أَخْرَقُ

ويُروَى «وعيدهم» يقال: زَهَاهُ، وازدهاه، إذا استخفّه، ويستعمل الزَّهْوُ في الباطلِ والتَّزَيُّدِ في القول، تقول: قال زَهْوًا، وفي الكِبْرِ يقال: زُهِيَ، لا غير، وهو مَزْهُوٌّ، والأصل الخفّة، والوعد والوعيد من أصل واحد، وإن كان أحدهما في الخير والآخر في الشرّ، لكنه فُرّقَ بين المعنيين بتغيير البناءين، كما فعلوا ذلك في عدل وعديل فجعل أحدهما في الأناسي والآخر من غيرهم، وَالأَخْرَق: القليل الرّفق بالشيء، والخُرْقُ: ضدّ الرِّفق، ويُرْوَى «أَخْرُق» بضمّ الرّاء فيكون فعلاً، وَ«أَخْرَق» بفتح الرّاء فيكون صفةً، يقول: لا تظني أنَّ نفسي يَسْتَخِفُّها تَهَدُّدكم ولا أنني ضَجِرْتُ بِالمشي في القيدِ، وإذا رُوِيَ وعيدهم يكون أحسن في المعنى، يريد وعيد القوم الذين حبسوه لأجلهم، يصف نفسه بالصبر على ما يلقاه من الشّدّة.

٦ ـ وَلَكِنْ عَرَتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ ... كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ

الفعل من الصّبابة صَبِبْتُ بكسر الباء، والصّفة صَبٌّ، والأجود أن يكون «ما» في قوله «كما» موصوفة غير موصولة لأنك إذا جعلتها موصولة كانت معرفة، وفي تقدير الذي، والقصد إلى تشبيه صبابة مجهولة بمثلها، فالتقدير عَرَتْ صَبَابَةٌ تشبه صَبَابَةً كنت أكابدها فيك في ذلك الوقت، كأنه شَبَّهَ حاله فيها بعد ما مُنِيَ بها[3] بحاله من قبل، ومفعول ألقى محذوف تخفيفًا، أراد ألقاه منك، وعراه واعتراه بمعنى واحد إذا جاءه، ومنه عرا الدّار وعَروتها بفتح العين: أي حيث تعرى منه: أي تُؤْتَى، وقوله «إذ أنا مُطْلَقُ» الجملة في موضع جَرّ بالإضافة، وقد شرح بها «إذ» كأنه قال: وقت إطلاقي، يقول: عرتني في الهوى رِقَّةُ شَوْقٍ وَجَهْدُ صبابةٍ كما كنت أُقاسيه فيك حيث كنت مُطْلَقًا.

---

(١) البيت في اللسان عن ابن بري (ظلم) منسوبًا إلى الجعدي وفيه «بثروة رهط الأعيط».

(٢) البيت لفرعان بن الأعرف ضمن أبيات يقولها في ابنه منازل بن فرعان وكان منازل عاقًا له والشطر الأول: «تَغَمَّدَ حقّي ظالمًا ولوى يدي». وفي اللسان (ظلم): «تظلَّمَ مالي هكذا ولوى يدي».

(٣) عند المرزوقي «به» والضمير للحال.

حديث جَعْفر بن عُلْبَة الحارثي وسبب حبسه وقتله:

كانت بنو عقيل بن كعب وبنو الحارث بن كعب حَلُّوا بِصَيْهَدَ[1]، فلما كان عشيّة من العشيّ جاء فتيانهم يلعبون وبَرَزَت لهم فتيات ينظرنَ إليهم، فبصر رجل من بني الحارث بن كعب برجل من بني عقيل بن كعب يقال له أصغر بن محمد، وهو أحد بني الأبرص، يُومِضُ[2] بامرأة من بني الحارث؛ فركبَ الحارثيُّ فرسًا وأخذ رمحًا فطعنَ به العقيليّ في فِيهِ، فَدَقَّ نابَهُ وشقَّ لثّته، وحسب أنّ الرّمحَ قد بلغَ غير ذلك منه، فَوَلّى، واستثارَ رجل من العقيليين أخا أصغر عَبَّاسَ بن محمد، فوثبَ هاربًا في البلاد لما استثير، ووثبَ رجلٌ من بني عقيل فَرَمِيَ الحارثيّ بسهمٍ، فجذم صلبه فمات، وقالت امرأة من بني الحارث: [الوافر]

أشْـهَـدُ أنَّ وَعْـدَ الـلَّـهِ حَـقٌّ   وَأَشْـهَـدُ أنَّ عَـبَّـاسًـا جَـبَـانُ

فصارت مثلاً، وبنو الحارث إذا كان الرّجل جبانًا لم تَخْتَمِر[3] منه امرأةٌ أبدًا، ولم يُشَاوَرْ، ولا يرونه شيئًا، ولا يدعونه في دعوتهم، فغبروا دهرًا، ثم إنَّ بني عقيل حكموا بني الحارث فعقلوا لهم، وبرأ العقيلي من طعنته، ومضى زمان، ونَسِيَ النَّاسُ ذلك، ونشأ نشءٌ في بني الحارث عُيِّرُوا بما فعلت بهم بنو عقيل، وفيهم شابان مُتْرَفَان مُتَخالاَّن، وهما علي بن جُعْدُب بن عُتَيّ، وجعفر بن عُلْبَة، وزوّجوا محمد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بنتَ عُلْبَةَ أُخْت جعفر، فلقي بنو الحارث نفرًا من بني عقيل، وفي الحارثيين جَعْفَرُ بن عُلْبة وعلي بن جُعْدُب، فقتلا رجلاً من بني عقيل يقال له خُشَيْنَة، وضربا عُزْقُوبَي هذيل بن كلاب، وضربا آخَرَ بَيْنَ الشَّارِبِ والأنف فقطعوه، فلما فعلا ذلك أتيا عُلْبَةَ أبا جعفر فأخبراه الخبر، وقالا له: ما ترى لنا أنهربُ؟ فقال: لا تهربا، ولكن ائتيا صهري محمد بن هشام وأنا لكما جارٌ من أن يضيركما من هذا شيء. فأبرد إلى ابن هشام بالكتاب أنَّ علي بن جُعْدُب وجعفر بن عُلْبَة قد أحْدَثا حَدَثًا فما رأيك، فكتب إليه إني لهما جارٌ فليأتياني. وحَذِرَ بنو عقيل ابن هشام فركبوا إلى هشام بن عبد الملك، فاسْتَعْدَوْه فكتبَ لهم إلى أمير نجران ـ وهو ابن عبد الله الثقفي ـ أن خُذِ الحارثيين إنْ أقام العقيليون بَيِّنَةً فأقِدْهُمَا[4] ممّن قتلاه، وخُذْ لهم بحقِّهم، فلما لقوا الثقفيّ قال: قد لحقَ القومُ بصهرِهم ابن هشام بمكّة، ولا أقدر عليهم، وقد لحقوا بمَن هو عَلَيَّ، فرجعوا حتى أتَوْا هشامًا، فقالوا: حالَ محمد بن هشام بيننا وبين حقنا أن نأخذه من القوم، وهم أصهاره، فكتبَ له: أنْ أعْطِ

---

(١) صَيْهَد: مفازة بين مأرب وحضرموت (معجم البلدان ٣/٤٤٨).

(٢) يومض: يشير إشارة خفيّة ويسارق النظر. (٣) لم تختمر: لم تلبس الخمار.

(٤) القَوَد: قَتْلُ النفس بالنفس، القصاص.

القومَ حَقَّهُمْ واتَّقِ اللَّهَ، فلما جاء العقيليون طُلَّابُ الدّم أخذ ابنُ هشام صهره وعلي بن جعدب فقيدهما، وقال للعقيليين: ائتوني بالبيِّنة، فقالوا: قَسَامة[١]، كيف نأتي بالبيِّنة وكيف نقيمُ مَنْ يشهد لها وقد اسْتُودِي بدمائنا وَتُغْنِّيَ بها واعترف؟ قال: أما قَتْلاً فلست قاتلاً ولكني عاقل لكم ومُوفٍ نذرَ دمائكم وخيلكم، فراجع القوم الثالثة هشامًا، فكتب إليه ألاً تَطُلَّ[٢] دماء القوم وقد نطقت الأشعار واعترفوا على أنفسهم، فكتب ابن هشام إلى هشام بن عبد الملك أن رُدَّهم إليَّ إذا أتوك فإنَّ أصهاري أفضل دماءً منهم، وإني أحبسهم أرجو أن يأخذوا العقل، فرجع العقيليون الرابعة حتى أتوا هشامًا، فلما أراد رَدَّهم إليه قالُوا: ليس ينصفنا ابن هشام ولا نجاوزك أبدًا، فخذ لنا أثآرنا، فقال لهم هشام: أكتب لكم إليه يعطيكم العقل ويرضيكم فقد تحرَّز بصهرِه، فقال العقيليون: لا، إلا أن يبرزه لنا فيرى الناس أنْ قد قدرنا على حَقِّنا فنترك عن قدرة ثم نأخذ حينئذ منه العَقْلَ، فكتب لهم إلى ابن هشام بذلك، فأخذ عليهم العهدَ أنكم تَفُونَ بذا وإنّي أُعطيكم الغِيَرَ[٣]، ففعل، وقال العقيليون لرجلٍ منهم لم يكنْ يُعْرَفُ يقال له رَحْمَة بن طَوَّاف: سِرْ قريبًا مِنَّا، وادخلْ إذا دخلنا، ولا تنزلْ حيث ننزل، ولا تنتسب عقيليًّا، فإذا ما برز الرجلُ فاضربْ عُنُقَهُ وَانْخَنِسْ[٤] بين النَّاسِ، وأبْرَزَ ابن هشام جَعْفَرَ بن عُلْبَةَ عليه حُلَّته أحسن الناس، وقد وضع على العقيليين حَرَسًا أن تبدر منهم بادرة، وخاف غدرَهم، فلما برز جعفر أهوى إليه رَحْمة فقتله، فأخذه ابن هشام فحبسَهُ وأَيَسَهُ[٥] وعَذَّبه، وحبس العقيليين، وقال: لأغيظَنَّكُمْ وكان يُعَذِّبُ رَحْمَة ولا يطعمه، فمات يوم الجمعة، ولم تأتِ جمعة أخرى حتى مات هشام بن عبد الملك وقام الوليد بن يزيد وبعث يوسف بن عمر الثقفي فأخذ ابني ابن هشام فعذبهما حتى ماتا في عذابه وسجنه، وكان جعفر بن عُلْبَةَ قد قال حين لقي بني عقيل: [الطويل]

كَأَنَّ الـعُـقَـيْـلِـيِّـيـنَ يَـوْمَ لَـقِـيـتُـهُـمْ ... فِـرَاخُ الـقَـطَـا لاَقَـيْـنَ أجْـدَلَ بَـازِيَـا

أَلاَ لاَ أُبـالِـي بَـعْـدِ يَـوْمِ بِـسَـحْـبَـلٍ ... إذَا لـم أُعَـذَّبْ أنْ يَـجِـيءَ حِـمَـامِـيَـا

ومما قال وهو محبوس: [الطويل]

هَوَاي مع الرَّكبِ اليمانيين مصعد

القطعــة.

---

(١) القَسَامة: كالقَسَم، وحقيقتها أن يُقْسِمَ من أولياء الدم خمسون نفرًا على استحقاقِهم دمَ صاحبهم إذا وجدوه قتيلاً بين قوم ولم يُعرَف قاتله (لسان العرب (قسم)).

(٢) الطَّلُّ: هَدْرُ الدَّمِ.

(٣) الغِيَرُ: جمع الغِيرة: الدِّيَة.

(٤) انخنسَ: توارى عن الأنظار وتَغَيَّب.

(٥) أيسه: احتقرَه وأذَلَّهُ.

ومما قال أبوه وجعفر محبوس: [الطويل]

لَعَمْرُكِ إنَّ اللَّيْلَ يَا أُمَّ خَالِدٍ عَلَيَّ وَإنْ عَلَّلْتِنِي لَطَوِيلُ
أُحَاذِرُ أَنْبَاءً مِنَ القَوْمِ قَدْ دَنَتْ وَأَوْبَةَ أَنْقَاضٍ لَهُنَّ زَلِيلُ
لَعَمْرُكِ إنَّ ابْنِي غَدَاةَ تَقُودُهُ عُقَيْلٌ لَنَائِي النَّاصِرِينَ ذَلِيلُ

[٧] وقال أبو عَطَاءٍ السِّنْدِيُّ(١):

واسمه أفلح، مولى عنبر بن سماك بن حصين، وكان به عجمة شديدة يجعل الجيم زايًا والشين سينًا، وهو من شعراء بني أمية.

١ ـ ذَكَرْتُكِ وَالخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا وَقَدْ نَهِلَتْ مِنَّا المُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

من الضّرب الأول من الطويل، والقافية من المتواتر.

قالوا: عَنَى بالخَطِّيِّ رمح نفسه، وقيل: لم يرد رمحًا واحدًا، وإنما أراد الجنس، وهو منسوب إلى الخَطِّ، وهو سيف البحرين وعُمان، وكأنَّ قولهم الخطيطة أرض لم تمطر بين أرضين ممطورتين منه، وأصل الخطر التحرّك، وقوله «وقد نهلت منّا»: أراد من دمائنا، والنَّهَلُ من الأضداد لوقوعه على الرَّيَّان والعطشان، وكأن حقيقة النَّهل أول السَّقي، والاكتفاء به قد يقع وقد لا يقع؛ فلذلك استعمل النّاهل في الرّيّ والعطش، ومصدر «ذكرتك» ذُكر بضمّ الذّال لأن الذُّكر بالقلبِ والذِّكرَ باللّسان، ونبّه بهذا الكلام على قلّة مبالاته بالحرب واشتياقه إليها في حال اختلاف الرّمح بينهم بالطّعن، وقال أبو الفتح: قوله «وقد نَهِلَتْ منّا المثقّفة» منصوب الموضع لأنه بدل من قوله «والخَطّيّ يخطر بيننا» وذلك منصوب بقوله «ذكرتك» وجاز إبداله منه لما في الثاني من البيان الزائد على ما في الأوّل، ألا ترى أنه قد يخطر الخَطّيُّ بينهم ثم لا يكون مع ذلك ناهِلاً، على أن يكون تجاوُلٌ من غير تطاعُنٍ، ويجوز أن يكون قوله «وقد نهلت» حالاً من الضمير المجرور في بيننا فلا يكون إذًا بدلاً مما قبله.

٢ ـ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ أَدَاءٌ عَرَانِي مِنْ حِبَابِكِ أَمْ سِحْرُ

أقسم بالله على استواء علمه في الحالتين اللَّتين ذكرهما، وتُسَمَّى الألف التي في قوله «أداءٌ عراني» ألف التسوية، وكذلك لو قال «ليت شعري أزيد في الدّارِ أم عمرو» لكان الألف ألف التسوية، ومَن روى «من حَبابك» بفتح الحاء فقد قيل: إنّ معناه من أجل حُبّكِ

---

(١) أبو عطاء السّندي: شاعر فحل قويّ البديهة، من موالي بني أسد شهد حرب بني أمية وبني العباس، (توفي بعد سنة ١٨٠ هـ/ ٧٩٦ م). (ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٧٣؛ وسمط اللآلي ٦٠٢). والأبيات الثلاثة في الزهرة ١/ ٢٧٨.

ومن معظمه، ولعلّه يؤدي معنى الحب، والرواية الكثيرة «من حِبَابِك» بكسر الحاء، وهو المصدر من قولك «حابته حِبَابًا» قال أبو ذؤيب: [الطويل]

فَقُلْتُ لِقَلْبِي يَا لَكَ الخَيْرُ إِنَّمَا ... يُدَلِّيكَ فِي المَوْتِ الجَدِيدِ حِبَابُهَا[1]

ويكون مصدر حَبَبْتُهُ، ويكون جمع الحُبِّ أيضًا، وكأنه جمعه على اختلاف أحواله فيه؛ ويُروَى «مِنْ جَنَابِكِ» أي: من ناحيتك، و«من جِنابكِ» أي من مجانبتك.

٣ ـ فإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاعْذِرِينِي عَلَى الهَوَى ... وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكِ العُذْرُ

السِّحر: التمويه، يجريان مَجْرًى واحدًا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾[2] أي أخرجوه على وجهٍ في مَرْأى العين وحقيقته على خلافه، والسَّحَّارَة: لُعْبَةٌ ذلك صِفَتُها، وَعَنْزٌ مسحورةٌ: إذا عَظُمَ ضَرْعُها وقَلَّ لَبَنُها، وأرضٌ مسحورةٌ: إذا لم تُنْبِتْ شيئًا، يقول: إن كان ما بي سحرًا فلي عُذْرٌ في هواكِ لأنَّ مَن يُسْحَرْ يُحْبِبْ، وإن كانَ داءَ غيرَ السِّحْرِ فالعذرُ لكِ لأني وقعت فيه بتعرّضي لكِ وفِكْرِي في محاسنك، والدليلُ على أن «فاعذريني» في موضع فلي عذرٌ ما قابله به من قوله «فلك العذرُ» وفي هذا إسقاط سؤال السّائل: لِمَ قال اعذريني ولا ذنب له وإنما يحتاج إلى بسط العذر مَن له ذنب أو يتصور بصورته؟ ويجوز أن يكون توهّم أن تلك تَصَوَّرَتْهُ بصورةِ المذنبِ فيما أظهره من عشقه فقال لها: إنْ أنتِ فَتَنْتِنِي لما عَرَضْت عَلَيَّ من محاسِنك فلي عُذْرٌ حين افتتنتُ، وإن كُنتُ المتعرِّضَ لكِ فالعذرُ لكِ.

[٨] وقال بَلْعَاء بن قَيسٍ الكِنَانِيُّ:

قال أبو الفتح: لا أعرف بَلْعَاءَ في الأجناس اسمًا ولا صفة فأقول إنه منقول، ولا أظنُّهُ إلاَّ مرتجلاً للعلمية كعَذْنان وقَحْطَان ونحوهما، وأما قيس فمنقول من قاس الشَّيء بالشَّيء يَقِيسه عليه قَيْسًا، وأما قول العجاج: [الرجز]

بَاتَ يُقَاسِي أَمْرَهُ أَمُبْرَمُهْ ... أَعْصَمُهُ أم السَّحِيلُ أعْصَمُهْ

فإنه أراد يقايس: أي يميّز، فقلب.

١ ـ وَفَارِسٍ فِي غِمَارِ المَوْتِ مُنْغَمِسٍ ... إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقَا

من الضّرب الأول من البسيط، والقافية من المتراكب.

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٤؛ ولسان العرب (ح ب ب) و(ج د د)؛ وتاج العروس (ح ب ب) و(ج د د).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١١٦.

أي: ورُبَّ فارسٍ في غمار الموت، جعل للموت غمارًا، على السّعة، ثم جعله مُنْغَمِسًا فيها، والغِمَارُ: جمع غَمْرَة، وَتَأَلَّى وائْتَلَى وآلَى بمعنى واحد من الألِيَّةِ ولا حلف ثَمَّ إنما يريد الحَتْمَ والإيجاب، يقول: رُبَّ فارسٍ داخل في شدائد الموت إذا حلفَ على ما يُكْرَهُ منه أو يكون كريهًا في نفسهِ بَرَّ ولم يَحْنَثْ أنا فَعَلْتُ به كذا، ويُرْوَى «مَكْرُوهةٍ» والمعنى خَصْلةٍ تُكْرَهُ، فعلى هذا يكون صفة مفردة عن الموصوف، ويجوز أن يكون مصدرًا كالمصدوقة وما أشبهها من المصادر الجائية على وزن المفعول، وإذا رُوِيَ «مَكروهِهِ» فإنه أضاف المكروه إلى الفارس لوقوعه منه، والمنغمس: الدّاخل في الشّيء، ويقال: غَمَسْتُهُ في الماء وغيره، ورجل مُغَامِس: يَغْشَى الحروبَ ويتردَّدُ فيها، والغِمَارُ والغَمَرَاتُ: جمع غَمْرَة، وهو في الماء والحرب والشّرّ، وفي كلّه يرجع إلى السَّتْرِ، ورجلٌ مُغَامرٌ: يلقي نفسه في الغَمَرَات، وقال أبو الفتح: مكروهة يحتمل خلاف الرجلين سيبويه وأبي الحسن؛ فمذهب صاحب الكتاب أنه وَصْفٌ لموصوفٍ محذوف، كأنه قال: إذا تألَّى على حالٍ مكروهة صدقَ. ومذهبُ أبي الحسن أنه مصدر جاء على مفعول، وقياس قول صاحب الكتاب أن يكون فيه ضمير من الموصوف المحذوف، وقياس قول أبي الحسن ألاّ يكون فيه ضمير، كما لا يكون في الكره والكراهية والكراهة، وكأن تأنيث المكروهة يشهد لقول صاحب الكتاب وذلك أن تأنيث الصفة أَشْيَعُ وأَيْسَرُ من تأنيث المصدر؛ من حيث كان المصدر دالاً على الجنس، وإذا أفضى بك الأمر إلى الجنس ملكك جانب التنكير فاعلمه.

٢ ـ غَشَّيْتُهُ وَهْوَ في جَأْوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَواءَ الرَّأْسِ فانْفَلَقا

التَّغَشّي والغَشْي: أصله الإتيان والملابسة، ومنه الغِشَاوَة: الغطاء، وتوسّعوا فيه حتى قيل: تَغَشَّاهُمْ بالعدلِ أو الجَوْرِ، وَغَشَّيْتَهُ، كما يقال: قَنَّعته. والعَضْبُ: القاطعُ من السّيوفِ، كأنه وصف بالمصدر، والعَضْبُ: القَطْع، وتوسّعوا فيه فقالوا: عَضَبَهُ عن حاجته: أي حبسه. والسَّوَاءُ: الوَسَطُ هٰهنا، ومنه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[1] ويوضع موضع المصدر ثم يوصف به، نحو ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[2] وأصاب: بمعنى طلب، وبمعنى نال، يقال: أصبت الصواب فأخطأته. والجَأْوَاءُ: الكتيبة المُخْضَرَّة، من الجُؤْوَة يعني اخضرار السّلاح. والبسالة: من البَسْلِ وهو الحرام، كأنه لِيَمَنُّعِهِ مُحَرَّمٌ. وانفلق: انشقَّ، وفلقته: شققته. يقول: رُبَّ فارسٍ هكذا أنا ضربته وهو في جيشٍ تامِّ السّلاحِ كريهِ اللّقاء بسيفٍ قاطعٍ أصابَ رأسَه فشقّه.

---

(١) سورة الصّافّات، الآية: ٥٥

(٢) سورة فصّلت، الآية: ١٠.

٣ - بِضَرْبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالِسَةً ولاَ تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا ولا فَرَقَا

الخَلْسُ: أخذُ الشَّيءِ مُخَاتَلَةً، وقيل: الاختلاسُ أَوْحَى مِنَ الخَلْسِ، ويقال: هو لك خُلْسَةٌ، كما يقال نُهْزَةٌ، ويقال: تَعَجَّلْتُ الشَّيءَ: أي تكلَّفته على عَجَلةٍ، ويقال أيضًا: أعجلته واستعجلته وتَعَجَّلْتُهُ بمعنى، وانتصاب «جُبْنًا» على أنه مفعول له، وهو الذي يُسَمَّى مصدر العلّة، وقوله «لم تكن مني مخالسةً» خلاف قول الآخر: [الهزج]

وَقَدْ أَخْتَلِسُ الضَّرْبَـ ـةَ لاَ يَدْمَى لَهَا نَصْلِي

لأنَّ قصدَ الشَّاعر هٰهنا إلى أنه تناول من خصمه ما تناول بِتثبُّتٍ وقوةِ قلبٍ لا كما يفعله الجبان؛ يقول: لم أتكلّفْ عجلتها لضعف قلبي ولا تخوّفي من صاحبي وضربة الجبان أعجل، وقد يُوصَف الشّجاع بالمخالس والخَلِيس، وكذلك المصارع، قال أبو الفتح: يجوز أن تكون الباء في قوله «بضربة» صفة لقوله «عضبًا» أي عضبًا بضربة: أي ذا ضربة، كقولك: مررت برجل بآخِرِ رَمَقٍ: أي مررتُ به ومعه رَمَقٌ: أي آخر نفسه، وكما جاز أن تكون هذه الباء وصفًا للنكرة فكذلك جاز أن تكون حالاً للمعرفة، كقولك خرج بثيابه: أي وثيابه عليه، ومثله: [المتقارب]

وَمُسْتَنَّةٍ كَاسْتِنَانِ الخَرُو فِ وَقَدْ قَطَعَ الحَبْلَ بِالمِرْوَدِ(١)

أي: ومِرْوَده فيه، وفي هذه الباء بموضعيها كليهما ضمير؛ لتعلّقها فيهما جميعًا بالمحذوف، وقد جاء ذلك في قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾(٢) أي: متزيّنًا، ومعناه وزينته عليه، ومثله بيت الهذليّ: [الكامل]

يَعْثُرْنَ في حَدِّ الظُّبَاتِ كأنَّمَا كُسِيَتْ بُرودَ بَنِي تَزِيدَ الأَذْرُعُ(٣)

أي: يَعْثُرنَ وهنّ في الظُّباتِ: أي كائنات في الظّبات، ويجوز في الباء من قوله «بضربة» أن تكون زائدة، فيصير تقديره ضربة، فتكون ضربة إذًا بدلاً من قوله «عضبًا» وكان قياسه على هذا أن يكون ضربة به، كقولك: رأيت رجلاً سيفًا معه، إلا أنه حذفه للعلم بمكانه، قال أبو محمد الأعرابي في قوله «وفارس في غمار الموت»: لا أعرف هذا البيت

---

(١) المِرْوَد: الوتد. والبيت لرجل من بني الحارث بن كعب في لسان العرب (خ ر ف)؛ وتهذيب اللغة ٧/ ٣٥٠؛ وبلا نسبة في رصف المباني ص ١٤٥؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٣٤؛ وشرح المفصل ٨/ ٢٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٩.

(٣) لأبي ذؤيب الهذلي في خزانة الأدب ١/ ٢٧٤؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/ ١٣٤؛ وشرح اختيارات المفضّل ص ١٧٠٨؛ وشرح أشعار الهذليين ١/ ٢٥؛ ولسان العرب (ن ب ت)؛ والخصائص ٢/ ٣١٤.

في شعر بَلْعَاءَ، وأظنه مصنوعًا والذي أعرفه له:

فَإنْ تَكُنْ عَبْرَتِي ظَلَّتْ أُكَفْكِفُهَا ... فَرُبَّ قَرْنٍ أَمَلْتُ الرَّأْسَ وَالعُنُقَا

بضربة لم تكن مني مخالسة ... .

البيــت.

وسائر الناس على غير هذا الذي ذهب إليه في رَدِّه على النَّمريّ.

[٩] وقال رَبِيعَةُ بْنُ مَقْرُوم الضَّبِّيُّ:

الرَّبيعة: بيضة الحديد، والرَّبيعة: الحجرُ يُرْتَبَعُ: أي يشال، وأما مقروم فيقال: قَرَمْتُ الشَّيءَ بأسناني فهو مقروم: أي مقطوع، وقرمتُ البعير أيضًا، وهو أن تقشط جلدة خطمه فتفتل ويجعل هناك الجرير ليذل، وتلك الجلدة هي القَرْمَة، والبعير مقرومٌ، وقد يكون المقروم المأكول، من قولهم: قرمت البهمة في أول ما تأكل. وأما ضَبَّة فواحدة ضَبَّات الحديد ونحوه، والضَّبّة الأُنثى من الضِّبَابِ، أوالضَّبّة أيضًا المرة الواحدة من ضَبَّت لثته تَضِبُّ إذا سالت، قال الشاعر: [الطويل]

تَضِبُّ لِثَاتُ الخَيْلِ فِي حَجَراتِهَا ... وَتَسْمَعُ مِنْ تَحْتِ العَجَاجِ لَهَا ٱزْمَلا[1]

١ - وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا ... بِسَلِيمِ أَوْظِفَةِ القَوَائِمِ هَيْكَلِ

من الضرب الأول من الكامل، والقافية من المتدارك.

أراد بالخيل الفرسان، لا الأفراس، ألا ترى أنه قال: يوم طرادها، والطِّرادُ من الفرسان: حَمْلُ بعضهم على بعض، وعلى هذا ما رُوِيَ عن النبي ﷺ «يا خيل الله اركبي»[2]. واطِّرَادُ الماء والسَّراب والكلام: اتِّسَاقُهَا على حَدِّ الاستقامة والمراد، وجَدْوَلٌ مُطَّرِدٌ وبلد طَرَّادٌ: أي واسعٌ يَطَّرِدُ فيه السَّراب. ولـ «شهدتُ» موضعان: الحضور، من قول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] ويتعدّى هذا إلى مفعول واحد، والآخر: العلم والتّبيين، على ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[4] وهذا يتعدّى إلى مفعولين، وقد يُقْسَمُ به كما يُقْسَمُ بالعلم، فيقال: يشهد الله، كما يقال: يعلمُ الله، وأما شهادة الشاهد فلا بدّ من القول فيها، والهيكل: أصله في البناء العظيم، ثم

---

(١) البيت في اللسان (زحل) والأزمل: كل صوت مختلط، وهو يريد أزمل فسهَّلَ الهمزة من القطع إلى الوصل.

(٢) الحديث في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٥٨؛ وفتح الباري ٧/٤١٣؛ وكنز العمال ٤٣٦٣؛ وتفسير الطبري ٦/١٣٣؛ وتفسير ابن كثير ٣/٩٢؛ وكشف الخفاء للعجلوني ٢/٣٩٠، ٥٣١، ٥٣٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

وُصِفَ به الفرس، يقول: حضرتهم يوم تطاردهم بالرّماحِ وأنا على فرس ضخم سليم الأَوْظِفَة من العيوب، والأوظفة: جمع وظيف، وهو ما فوق الحافر من الفرس، ولكلّ ذي أربع ثلاثة مفاصل في رِجلَيه: الفخذ، والسّاق، والوظيف، ثم الحافر أو الخفّ أو الظّلف، وفي يديه ثلاثة مفاصل: العضد، والذّراع، والوظيف، ثم الحافر أو الخفّ أو الظلف.

٢ ـ فَدَعَوْا: نَزَالِ، فَكُنْتُ أَوّلَ نَازِلٍ وَعَلامَ أَرْكَبُهُ إذَا لَمْ أَنْزِلِ

أي: صاحوا بنَزَالِ، ومنه قيل لتطريب النائحة في نياحتها التَّدَعِّي، ويجوز أن يكونوا جعلوا نَزَالِ على التوسُّعِ هي المدعُوَّةَ، وإن كانت دُعِيَ إليها، ويشهدُ لهذا الوجه قوله: [الكامل]

دُعِيَتْ نَزَالِ وَلُجَّ فِي الذُّعْرِ(١)

وفي القرآن ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾(٢) وَنَزَالِ: اسم لانْزِلْ، مَبْنِيٌّ على الكسر، معرفةٌ مؤنَّث معدول، و«ما» من «عَلامَ» حُذِفَتْ ألفه لأنه في الاستفهام إذا اتَّصلَ بحرفِ الجرّ يُخَفَّفُ بالحذفِ، على ذلك: بِمَ، ولِمَ، وَفِيمَ، وَعَمَّ، ومِمَّ، إلا إذا اتَّصل بذا فتقول: بماذا، ولماذا، لأنه حينئذ يصير ما وذا كالشيء الواحد فلا تغيّر ما، يقول: تَنَادَوْا وقالوا نَزَالِ، فكنتُ أوّلَ النازلين، ثم قال مُظهِرًا لترك التحمّد بذلك وأنه فيما فعله كمَن أدّى واجبًا عليه: وعلامَ أركبه؟ أي لأيّ شيء أركب فرسي إذا لم أنزل إذا دُعِيتُ للنزالِ.

٣ ـ وَأَلَدَّ ذِي حَنَقٍ عَلَيَّ كَأَنَّمَا تَغْلِي عَدَاوَةُ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ

الأَلَدُّ: الشَّديدُ الخصومةِ، كأنّه لُدَّ بالخصومة: أي أُوجِرَ فَلُدَّ به، وكان لذلك اللَّدَدُ مصدر أَلَدَّ، ويقال: معناه أَلَنْدَدٌ، وقال أبو العلاء: خَصْمٌ أَلدّ: أي شديد الخصومة، كأنه يميل عمّا يريد صاحبه، أخذ من اللَّدِيد، وهو صفحة العنق وجانب الوادي، وَالحَنَقُ: شدّة الغيظ، أحنقته فَحَنِقَ، والحنق يجوز أن يكون من اللُّزوق، كأنّ الحقد لَصِقَ بصدره، ومنه يقال: أحنقتُ الدّابة، إذا أضمرتها، يقول: رُبَّ خصم شديد الخصومة ذي غيظٍ وغضب عَلَيَّ تغلي عداوته في صدره غليان المِرْجَل بما فيه إذا كان على النار أنا دَفَعْتُهُ عن نفسي، وقد أخرج التشبيه ما لا يدرك من العداوة بالحسّ إلى ما يدركه من غليان القدر حتى تَجَلّى فصار كالمشاهد، وجواب رُبَّ: هو صدر البيت الذي يليه.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٨٩ وصدره: «ولنعم حشو الدّرع أنت إذا».
(٢) سورة الفرقان، الآية: ١٣ و١٤.

٤ ـ أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَاظِرِ مِنْ عَلِ

ويُرْوَى أرجيتُه وأرجأْتُه، والهمز أفصح، ويُرْوَى أَوْجَيْتُهُ عني وأزجيتُه وكلّها تتقارب في المعنى، يقول: رُبَّ خصمٍ هكذا أنا أرجيته عن نفسي وصرفته وقد أبصرَ رُشْدَهُ، والقصدُ: ما لا سَرَفَ فيه، وكويته فوق النواظر، يقول: كَوَيته من عَلٍ فوقَ النواظر: أي من أعلاه فوق نواظره، ففيه التقديم والتأخير، ولو سكت على «من عَلٍ» لجاز أن يكون فوق النواظر ودون النواظر، لكنه بيَّن أن قصده إلى الجبين بميسمه، والنواظر: عروق في الرأس، ويجوز أن تكون سُمِّيَتْ بِالنَّواظر لأنها تَتَّصلُ بالعينين، ومنه قول الرَّاعي: [الطويل]

وبِيضٍ خِفَافٍ قَدْ عَلَتْهُنَّ كَبْوَةٌ يُدَاوَى بِهَا الصَّادُ الَّذِي في النَّوَاظِرِ[1]

يعني بالصَّاد الدَّاء الذي يسمى الصَّيْد، وإنما أراد الكبر، وعلى ذلك فَسَّروا قول جرير: [الوافر]

وأشْفِي مِن تَخَلُّجِ كُلِّ جِنٍّ وَأَكْوِي النَّاظِرَيْنَ مِنَ الخُنَانِ

أراد بالنَّاظِرَيْن العرقين، وانتصاب «فوق» يجوز أن يكون على البدل من الضمير في «كويته» وأن يجعله ظرفًا، يريد كويته في هذا المكان مما علا منه وإنّما لم يبنِ «مِنْ عَلِ» لأنه جعله نكرة كما تقول: أتيته قبلاً: أي أولاً؛ وأنت لا تقصد إلى أنه مضاف إلى معرفة مخصوصة فاعلمه، ومثله: [الطويل]

كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[2]

فالكسرة في الموضعين كسرة إعراب، وإنْ شئتَ جعلته معتلّ الآخر منقوصًا كَشجٍ وقَاضٍ، وجعلتَه في النّيةِ مضافًا، فيكون معرفةً وتنوي ضمّةَ البناءِ في موضع لامه، كما تنويها في الياء من قاضٍ وغازٍ إذا ناديتَ بهما واحدًا بعينه، قال أبو الفتح: أكثر من ترى يروي هذا البيت «أَرْجَيْتُه» بالراء، فإذا تعالى شيئًا رواه «أرجأته» بالهمز، وكلاهما تصحيف؛ وإنما هو «أوجيته» بالواو: أي أذللته وقهرته، وكذلك روينا، وكذلك وجدته أيضًا في القبيلة، وهو أفعلته من الوَجَى، وهو رُزُوح الفرس لألَمِ قوائمه، ويؤكّد ذلك قوله من بعد «وكويته» وليس أَخَّرْته من كويته في قرب أذللته من كويته ولا قريبًا من ذلك، وقوله «من عَلي» يجب أن يُكتبَ بالياء وليست الكسرة في اللاّم كسرة إعراب، ألا ترى أنه معرفة وليس بنكرة، ألا ترى معناه فوق نواظره أو النواظر منه؛ فهو إذًا معرفة يريد به شيئًا

---

(١) ورد البيت في اللسان (سنن) باختلاف في صدره: «وبِيضٍ كَسَتْهُنَّ الأَسِنَّةُ هَفْوَةً».
(٢) البيت لامرىء القيس وصدره: «مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدبرٍ معًا».

مخصوصًا، فهو إذًا كبيت أوس: [الطويل]

فَمَلَّكَ بِاللِّيطِ الَّذي تَحتَ قِشرِهَا ... كَغِرْقِيءِ بَيْضٍ كَنَّهُ القَيْضُ مِنْ عَلُ[1]

أي: من أعلاه، وإنما تعرب «عل» إذا كانت نكرة، كقولهم في النكرة: من فوقٍ، ومن عَلٍ، ومن قَبْلٍ، ومن بعدٍ، إذا لم تَرِدْ أَمرًا معلومًا فقوله إذًا:

وكويته فوق النواظر من عَلِ

عَلٍ كَشَجٍ وعَمٍ، ووزنه فَعِلٌ، والياء فيه لام الفعل، والكسرة في اللاّم قبلها ككسرة الضّاد من قاضٍ، فاعرف ذلك.

[١٠] **وقال سَعْدُ بن ناشب[2]:**

من بني مازن بن مالك بن عَمْرو بن تميم، وكان أصاب دَمًا فهدمَ بِلاَلٌ داره، قال أبو العلاء: سُمّيَ الرجل ناشبًا إمّا من قولهم: نَشِبَ في الشّيء، إذا عَلِقَ به، وإما أن يكون خَرَجَ على معنى تامِرٍ ولابنٍ: أي ذي تمرٍ ولبنٍ، فيراد أنه ذو نَشَبٍ: أي ذو مال ثابت، أو أنه ذو نُشّاب.

١ ـ سَأغْسِلُ عَنّي العارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا ... عَلَيَّ قَضاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبَا

هذه من الضّرب الثاني من الطويل، والقافية من المتدارك.

وأصل القَضَاء الحَتْم، ثم يتوسَّعُ فيه فيقال: قُضِيَ قضاؤكَ: أي فُرِغَ من أمرِكَ، فاستعمل في معنى الفراغ من الشّيء، ويُرْوَى «قضاءُ الله» و«قضاءَ اللَّهِ» بالرَّفع والنَّصب، فإذا رفعت فإنه يكون فاعلاً لِجالبًا عَلَيَّ، و«ما كان جالبًا» في موضع مفعول، ويكون القضاء بمعنى الحُكْم، والتقدير سأغسل العارَ عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء في حال جلب حكم الله عليَّ الشيءَ الذي يجلبه، وإذا نصبتَ القضاء فإنه يكون مفعولاً لجالبًا وفاعله «ما كان جالبًا» ويكون القضاءُ الموتَ المحتوم، كما يقال لِلمَصِيدِ الصَّيْدُ ولِلمخلوقِ الخَلْقُ، والمعنى جالبًا عَلَيَّ الموتَ جالبُهُ، وقيل: إن «كان» في قوله «ما كان جالبًا» في معنى صار، ومثله: [الطويل]

بِتَيْهَاءَ قَفْرٍ وَالمَطِيُّ كَأَنَّهَا ... قَطَا الحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخًا بُيُوضُهَا[3]

---

(١) البيت في اللسان (ليط)، وتاج العروس (قيض). ومَلَّكَ: أي ترك شيئًا من القشر على قلب القوس ليتمالك به. واللِّيط: قشر القصبة والقوس والقناة وكلّ شيء له متانة. والقيض: ما تفرّق من قشور البيض الأعلى.

(٢) سعد بن ناشب: شاعر، من الفتّاك المردة، من أهل البصرة. (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م)، (ترجمته في: سمط اللآلي ص ٧٩٢؛ والتبريزي ١/ ٢٥).

(٣) البيت لعمرو بن أحمر في ديوانه ص ١١٩؛ والحيوان ٥/ ٥٧٥؛ وخزانة الأدب ٩/ ٢٠١؛ وله ولابن كنزة في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٢٥؛ وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٣٧؛ وشرح الأشموني=

والغُسْلُ من الجنابة والنّفاس وللجمعة وغسل الميت كلّه بالضّمّ، وهو اسم، وما عدا ذلك فهو الغَسْل بفتح الغين، والغسل هٰهنا مثل، ومعناه: سأزيلُ عنّي العارَ كما يُزيلُ الغُسْلُ الوسخَ عن الثّوبِ، فإذا أزلت عني العار لم أُبَالِ بعد ذلك بما يقع بي من مكروه.

٢ - وَأَذْهَلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا لِعِرْضِيَ مِنْ بَاقِي المَذَمَّةِ حَاجِبَا

الذُّهول: تَرْكُ الشَّيءِ مُتَنَاسِيًا له، ومنه اشتقاق ذُهْلٍ، وانتصب «حاجبًا» على أنه مفعول ثانٍ لأجعلُ لأنه بمعنى أصير، والتقدير أجعل هَدْمَهَا حاجبًا لعرضي، ولجعل مواضع غير هذا: تكون بمعنى خلقت، فيتعدّى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] وتكون بمعنى سَمَّيْتُ فيتعدّى إلى مفعولين، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[2] وتكون بمعنى ظننت، تقول: جعلته عبدًا فشتمْتُهُ: أي ظننته، وتكون بمعنى طَفِقَ فلا تتعدّى، تقول: جعل يكلّمه: أي أقبل؛ يقول: إذا نَبَا المنزلُ بي حتى يصيرَ دَارَ الهوانِ انتقلتُ عنه وجعلتُ خَرَابَهُ وِقايةً لنفسي من العار الباقي، وهذا قريب من قوله: [الكامل]

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ[3]

وهو ضدّ المعنى الذي يقصدونه بالثّبات فيه والصَّبر عليه من الإقامة في دار الحِفَاظِ؛ لأن الانتقال ثَمَّ هو الجالب للعار، كما أن الإقامة هنا هو الجالب للعار، والمذمّة بالفتح من الذَّم وبالكسر من الذِّمام.

٣ - وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنَتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا

أراد بقوله «يَصْغُرُ» صِغَرَ القدر، وخَصَّ التِّلاد - وهو المال القديم - لأن النَّفسَ به أَضَنُّ، ونبّهَ بهذا الكلام على أنه كما يخفّ على قلبه ترك الدار والوطن خوفًا من التزام العار كذلك يقلّ في عينه إنفاق المال عند إدراك المطلوب، وجواب «إذا» مُقَدَّمٌ عليه، وهو قوله «ويصغرُ في عيني» وقوله «كنت طالبًا» أي: كنت طالبه، فحذف العائد إلى الذي.

٤ - فَإِنْ تَهْدِمُوا بِالغَدْرِ دَارِي فَإِنَّهَا تُرَاثُ كَرِيمٍ لا يُبَالِي العَوَاقِبَا

الهَدْمُ: القلعُ والتخريب، وسُمِّيَ المهدومُ هَدَمًا، وتوسّعوا فيه فقالوا للثّوبِ الخلق

= ١/١١١؛ وشرح المفصّل ٧/١٠٢؛ والمعاني الكبير ١/٣١٣.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١. (٢) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٣) البيت لعنترة بن شداد العبسي في ديوانه ص ١٧٦ وصدره: «اخذَرْ محلَّ السُّوءِ لا تَحْلُلْ بِهِ». ولعبد القيس بن خفاف التيمي في حماسة البحتري ص ١٧٩.

هِدْمٌ، وعجوزٌ مُتَهَدِّمةٌ: هَرِمَةٌ، وتهدّم عليه من الغضب، كما يقال: تَهَجَّمَ. وَالغَدْرُ: تَرْكُ الوفاءِ، ومنه غادر والغدير، ومعناه أنه يُري أعداءَه قِلّةَ فِكْرِهِ فيما يجري عليه من جهتهم، يقول: إنْ تخربوا داري بالغدر منكم فإنّها تُراثُ كريم هكذا، ويعني نفسه، وسَمَّى مِلْكَهُ ميراثًا وهو حيّ والمعنى أنه سَيُورَثُ؛ وهذا تسميةُ الشَّيءِ بما يؤول إليه، وَتُرَاثٌ: أصله وُرَاث؛ قُلِبَت الواو ياء، وقوله «كريم» أراد بالكرم التنزّه عن الأقذار، وقوله «لا يبالي العواقبا» يقال: ما باليته بَالَةً وَبالِيَةً ومُبَالاة وَبَلاَءً، وما باليت به، كأنه أخذ من البلاء، واستعمل في المفاخرة وتعداد الخِصال الحسنة، ثم كثر استعماله حتى صار يُقال في الاستهانة بالشَّيء، ويشهد لصحة ذلك قول الآخر: [الرجز]

مَـا لِـي أَرَاكَ قَـائِـمًـا تُـبَـالِـي وَأَنْـتَ قَـدْ مُـتَّ مِـنَ الـهُـزَالِ[1]

أي: تفاخر.

٥ ـ أخِي غَـمَـرَاتٍ لاَ يُـرِيـدُ عَـلَـى الَّـذِي يَـهُـمُّ بِـهِ مِـنْ مُـفْـظِـعِ الأَمْـرِ صَـاحِـبَـا

ويُرْوَى «أخي عَزَماتٍ» فالغمرات: الشَّدائد، ويقال: ما له عَزمة ولا عَزيمة: أي تَثَبُّت وَصَبر فيما يعزم عليه، وحقيقة العزم: تَوْطِينُ النَّفسِ وعَقْد القلب على ما يُرَى فِعْلُهُ، ولذلك لم يَجُز على الله تعالى، والاعتزامُ: لزومُ القَصْدِ وتَرْكُ الانثناءِ. ويُروى «من مَقْطَعِ الأمرِ» أراد فَصْله والخروج منه، و«مُفظِع الأمر» وهو من فَظُعَ الأمرُ وَأَفْظَعَ فَظَاعَةً وإفظاعًا وهو فظيعٌ وَمُفْظِعٌ، أو من أَفظعني الأمرُ فَفَظِعْتُ به: أي أعياني فَضِقْتُ به ذَرْعًا. وقوله «صاحبا» صفة في الأصل اسْتُعْمِلَت استعمالَ الأسماء فلم يَجْرِ مجرى أسماءَ الفاعلين ويجري مَجْرَى قولهم وَالِدٌ، والمعنى أنه يَصِفُ نفسَه بأنه صاحب هِمَمٍ وأخو عَزَمَاتٍ مُسْتَبِدٌّ برأيه فيها غير متّخذ رفيقًا.

٦ ـ إذَا هَـمَّ لَـمْ تُـرْدَعْ عَـزِيـمَـةُ هَـمِّـهِ وَلَـمْ يَـأْتِ مَـا يَـأْتِـي مِـنَ الأَمْـرِ هَـائِـبَـا

يقال: هَمَّ بالشَّيء يهمّ به، وقد أهمّه الأمرُ، والهَمُّ: مَا تُجِيلُ لفعله وإيقاعه فِكْرَكَ، وأصلُ الرَّدْعِ الكَفُّ، يقال: رَدَعْتُه فارتدعَ، والرَّدْعُ: ضَرْبُ الحدّادِ رؤوسَ المسامير، ويقال: ردع عنقه، إذا وَجَأَهُ، يخبر عن نفسه بأنه يتبع الرأي الأوّل إذا أراد الأمر اعتزمَ ولم يتردّد فيه كما قال الشَّاعر: [الطويل]

إذا كـنـتَ ذا رأيٍ فَكُنْ ذَا عَـزِيـمـةٍ فَـإنَّ فَـسَـادَ الـرَّأيِ أنْ تَـتَـرَدَّدَا

ومثله هنا: [الوافر]

جَـسُـورٌ، لاَ يُـرَدَّعُ عِـنْـدَ هَـمٍّ وَلاَ يَـثْـنِـي عَـزِيـمَـتَـهُ اتِّـقَـاءُ

---

(١) البيت في اللسان (بلي) غير منسوب.

وَالهَيْبَة: تكون من الذُّعْرِ ومن الإجلالِ جميعًا، ويقال للجبان: هَيُوبٌ، وَهَيُوبةٌ، الهاء فيها للمبالغة، وللمحتشم مَهِيبٌ، وفي الحديث «الإيمانُ هَيُوبٌ» ويقال: تَهَيَّبْتُ الشَّيءَ، وَتَهَيَّبَني، بمعنى، لما كان لا يلتبس، ومثله من المقلوب كثير.

٧ - فَيَا لَرِزَامٍ رَشِّحُوا بِي مُقَدِّمًا إِلَى المَوْتِ خَوَّاضًا إِلَيْهِ الكَتَائِبَا

الفاء في قوله «فيا لَرِزَام» النيّةُ بها استئنافُ ما بعدَها وإن نَسَقَ بها جملةً على جملةٍ، واللاّم من «يا لَرزام» هي لامُ الاستغاثة، ورِزَام يَنْجَرُّ به، وهم المدعوون، وأصل حركة لام الإضافة إذا دخل على ظاهر الكسر، ولهذا إذا عطف على هذه اللام بلام أخرى كُسِرَت الثانية، تقول: يا لَزَيْدٍ وَلِعَمْرٍو، لكن هذه فُتِحَتْ لكون ما بعده منادًى، ووقوع المنادى على هذا الحدّ موقع المضمرات، فكما قيل: لَهُ، ولَكَ، قيل: يَا لَزَيْدٍ، وقوله «رَشِّحُوا بي مُقَدِّمًا» بكسر الدّال، يعني مُتَقَدِّمًا، وهذا كما يُقال: وَجَّهَ وتَوجَّهَ، وَنَبَّه وَتَنَبَّهَ، وَنَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ، وعلى هذا مُقَدِّمَة الجيش، ومَن فتح الدّال فالمعنى على أنه يُقَدَّمُ لِيقيهم، وانتصاب «الكتائب» على أنّه مفعول «خَوَّاض»، ويُروَى «الكرائبا» وهي الشدائد، جمع كَرِيبَة، والأصل في الكَرْبِ: الغَمّ الذي يأخذُ بالنَّفسِ، والتَّرشيح أصله التنبيت والتربية، ومنه «رَشَّحَتِ المرأةُ وَلَدَها» إذا دَرَّجَتْهُ في اللَّبَنِ، ثم قيل: رُشِّحَ فلانٌ لكذا، تَوَسُّعًا، وتلخيصه رَشِّحُوا بترشيحِكُم إيايَ رَجُلاً جسورًا مقدِّمًا يخوضُ إلى الموت الجيوشَ لجراءته، فأقامَ الصّفةَ مقامَ الموصوفِ، ويُروَى «رَشِّحُوا بِيَ مُقْدِمًا». والكتائبُ: الجيوشُ المجتمعة.

٨ - إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَّبَ عَنْ ذِكْرِ العَوَاقِبِ جَانِبَا

قوله «ألقى بين عينيه عزمَه» أي جعله بِمرأًى منه لا يَغْفُلُ، وقد طابقَ فيه لما قبله بقوله: «ونَكَّبَ عن ذِكْرِ العواقبِ جانبًا» وانتصب «جانبًا» على أنه ظرف، ويجوز أن ينتصب «جانبًا» على المفعول، ويكون «نَكَّبَ» بمعنى حَرَّفَ، والمعنى: وانحرف عن ذكر العواقب، وأصل النُّكوب الميل، ومنه قيل للمنكب: مَنْكِب؛ لأنه في جانب من البدن.

٩ - وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلاَّ قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

نَبَّهَ على الرأي بقوله «ولم يستشرْ» وعلى الفعل بقوله «ولم يَرْضَ إلا قائمَ السَّيفِ» وانتصبَ قائم على أنه استثناء مقدَّم، ألا ترى أنَّ الأصلَ ولم يَرْضَ صاحبًا إلاّ قائمَ السيف، ولو أتى على هذا لكان الوجه أن يكون بدلاً؛ فقدَّم المستثنى كما ترى، ويُروى «ولم يستشر في أمره غَيْرَ نفسه» أي: لا يشاور أحدًا، وهذا خلاف ما يذهب إليه الناس، وأحزم منه الذي يقول: [الطويل]

خَلِيلَيَّ لَيْسَ الرَّأْيُ في صَدْرِ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَيَّ اليَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وقال أكثم بن صيفي[1]: أوّلُ الحزم المشورة، وقالت الرّوم: نحن لا نُمَلِّكُ مَن يَستشيرُ، وقالت الفرس: نحن لا نُمَلِّكُ مَن لا يستشيرُ.

[١١] وقال تأبَّطَ شَرًّا[2]:

وهو ثابت بن جابر بن سُفْيَان، قيل: إنَّه سُمِّيَ بذلك لأنه أَخذَ سيفًا تحت إبطه وخرجَ، فقيل لأُمِّه: أين هو؟ فقالت: لا أدْري تأبَّطَ شَرًّا وخرج، وقيل أيضًا: إنه أخذ سِكِّينًا تحت إبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم، فقيل تَأبَّطَ شَرًّا. وأما سُفْيَان فمرتجل للعلمية، وفيه لغات سُفْيَان وَسَفْيَان وسِفْيَان فإن أخذته من سَفَتِ الرِّيحُ تَسْفِي فهو فُعْلاَن وفَعْلاَن وفِعْلان، ويجوز أن يكون سِفْيَان فِعْيَالاً من السّفن، ولا يجوز ذلك في سُفْيَان ولا سَفْيَان؛ لأنه ليس في الكلام فُعْيَال ولا فَعْيَال، والوجه أن تكون نونه زائدة؛ لأن ذلك أكثر، ولأنه أيضًا لم يسمع مصروفًا، ويقال: إنه كان له أربعة إخوة أحدهم اسمه ريشُ بَلَغْبٍ، والآخر ريش نَسْرٍ، والآخر كَعْبُ خَدَرَ، والآخر لاَ بَوَاكي له.

١ ـ **إذَا المَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جِدُّهُ ... أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرَهُ وَهْوَ مُدْبِرُ**

هذه من الضرب الثاني من الطويل، والقافية من المتدارك.

يقول: إذا نزل به المكروه ولم يَجِدْ ناصِرًا فسبيله أن يحتالَ؛ لأن العرب تقول: الحيلةُ أبلغُ من الوسيلةِ، وذهب بعضهم إلى أن الحيلة مأخوذة من قولهم: حَالَ الشَّيءُ: أي انقلبَ عن جهته، كَأنَّ صاحبها يريد أن يستنبطَ ما يحول عند غيره، ولذلك يقال: فلانٌ حُوَّلٌ قُلَّبٌ. وقوله «جَدَّ جِدُّهُ» أي ازداد جِدّه جِدًّا، ويكون مثل قوله «استدقَّ نُحولُها[3]» لأن المعنى ازداد دقّتها[4] دقّةً، ويجوز أن يكون المعنى صار غير الجِدِّ جِدًّا فسمَّاه بِمآلِهِ، وهذا كما يقال: رِيعَ رَوْعُهُ، وخَرَجَتْ خوارجُه، وجُنَّ جُنُونه، وقوله «أضاع» يجوز أن يكون معناه وجدَ أمرَه ضائعًا، ويجوز أن يكون بمعنى ضَيَّعَ، وإذا أخذ الرَّجلُ فيما لا يعنيه قيل: فَشَتْ عليه الضَّيْعَةُ، ويقاربُه قولهم: [السريع]

اتَّسَعَ الخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ[5]

---

(١) أكثم بن صيفي: حكيم العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام، أخباره كثيرة، (ت ٩ هـ/ ٦٣٠ م)، (ترجمته في: الإصابة ١/١١٣؛ وجمهرة الأنساب ٢٠٠؛ والأعلام ١/٣٤٤).

(٢) ثابت بن جابر بن سفيان: من مضر، شاعر عدّاء من فتّاك العرب في الجاهلية. (ت ٨٠ق.هـ/ ٥٤٠ م)، (وترجمته في: شرح شواهد المغني ص ١٨؛ والذريعة ١/٣٢٥؛ والمبهج ص ٧).

(٣) هذه قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو:

وكنتم كَعَظْمِ العَاجِماتِ اكْتَنَفْنَهُ ... بِأطرافِها حَتَّى اسْتَدَقَّ نُحولُها

(٤) في المرزوقي «ازداد دَقيقُها دِقَّةً».

(٥) عجز بيت لشقران السلامي في المجتنى لابن دريد ص ٧٨؛ أو لابن حمام الأزدي في المؤتلف=

وقوله «وَهْوَ مُدْبِرُ» يجوز أن يكون الضمير للأمر، والمعنى: قاسى أمره أي شَقِيَ وهو مُوَلٍّ فائتٌ، ويجوز أن يكون الضمير للمرء، والمعنى: عالج أمره وكابده مُدْبِرًا فيه غيرَ مقبلٍ ولا منصورٍ، وتلخيص معناه إذا المرء لم يطلبْ رشده في إصلاح أمره في الوقت الذي يجب أن يفعله آلَ به أمرُه إلى هذه الحال.

٢ ـ وَلٰكِنْ أَخُو الحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلاً بِهِ الخَطْبُ إلاَّ وَهْوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ

الحزم في اللغة: الشّدّة والضّبط، ومنه الحزام والحزمة والحَيْزُوم وَالمَحْزِم، والخَطْبُ: الأمرُ المخطوب، يقال: خَطَبْتُ الأمرَ فَأَخْطَبَ، كما يقال: طَلَبْتُهُ فأطْلَبَ، يقول: صاحبُ الحزمِ هو الذي يستعدّ للأمرِ قبل نزوله، وهذا كما قيل: قَبْلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ.

٣ ـ فَذَاكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حُوَّلٌ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنْخِرٌ جَاشَ مَنْخِرُ

قوله «فذاك» إشارة إلى «أخي الحزم»، وقريعُ الدَّهرِ: يحتمل وجهين؛ يجوز أن يكون في معنى مختار الدهر، ويكونِ من «قَرَعْتُهُ» أي اخترته: بقرعتي، ويقال: هو قَرِيعُهُمْ وقريعتهم وقِرِّيعُهُمْ، ويجوز أن يكون من قَرَعَهُ الدَّهرُ بنوائبه حتى جَرَّبَ وَتَبَصَّرَ، ويكون قريع في الوجهين فَعِيلاً في معنى مفعول، ولا يمتنع أن يكون المراد بقريعِ الدَّهرِ فَحْلَ الدَّهرِ، ويكون في هذا الوجه قريع فعيل في معنى فاعل، لأنه يقرع النَّاقَة، وما تقدّم أحسن، وقوله «ما عاش» في موضع الظرف، والمعنى مُدَّةَ عَيْشِهِ، وقوله «إذَا سُدَّ منه مَنْخِرٌ» مثل للمكروب المُضيَّق عليه، وهذا كما استعمل فيه الخَنْق والخِنَاق، وأصل المنخر في الأنف من النَّخير، ويسمّى النُّخْرَة أيضًا، والجمع: النُّخَرُ، والنَّخِيرُ: مَدُّ النَّفَسِ، ونُخْرَتَا الأنفِ خَرْقَاهُ. وجاشَتِ القِدْرُ: غَلَتْ، وجاشَ البحرُ: اهتاجَ، وأصلُ الجَيْشِ الحركة والاضطراب في الموضعين: أي لافتنانه في الحيل لا يؤخذ عليه طريق إلا نَفَذَ في آخر، ويقال: رجلٌ حُوَّلٌ وحِولٌ وَحَوَالِيٌّ، قال ابن أحمر: [السريع]

أَوْ يَنْسَأَنْ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ أَنِّي حَوَالِيٌّ وأَنِّي حَذِرْ[(١)]

٤ ـ أَقُولُ لِلِحْيَانٍ وَقَدْ صَفِرَتْ لَهُمْ وِطَابِي وَيَوْمِي ضَيِّقُ الجُحْرِ مُعْوِرُ[(٢)]

لِحْيَانُ: بطنٌ من هُذَيْل، وكان تأبَّطَ شَرًّا رَاغَمَهُمْ ووَتَرَهُمْ، وكانوا يطلبون غَفْلَتَهُ،

= ص ٩٢؛ وصدره: «كنّا نُدَارِيها فقد مزّقت».

(١) البيت في اللسان (ح و ل) وقال: «قال ابن أحمر، ويقال: للمرار بن منقذ العدوي». وفي المرزوقي «يُنْسِئَنْ».

(٢) في المرزوقي «الحَجْرِ» بتقديم الحاء وفتحها وتفسير المرزوقي يحتّم هذه الرواية والمعنى: ضَيِّق الناحية.

حتَّى اتَّفق منه الصّعودُ إلى الجبلِ الذي وَصَفَهُ، ولم تكن له إلاّ طريقٌ واحدٌ، فجاؤوا وأخذوا عليه ذلك الطَّريق، فقال: أقول لهم، يعني عند مخاطبته إياهم وهو على الجبل، وقوله «وقد صَفِرَتْ لهم وِطابي» يحتمل وجوهًا: يجوز أن يكون المعنى وقد خلا قلبي من وُدِّهِم، كأنه يريد وِطاب وُدّي، ويجوز أن يكون المعنى أشرفت نفسي على الهلاك بسببهم، ويكون هذا من قوله: [الوافر]

ولـو أدرَكْـنَـه صَـفِـرَ الـوِطَـابُ[1]

ويجوز أن يكون أشار بالوِطَاب إلى الجسم: أي كاد تفارقه الرُّوح، ويجوز أن تكون الإشارة إلى ظروف العسل التي صَبَّ العسل منها على الجانب الآخر وركبه منزلقًا عليه حتى لَحِقَ بالسَّهلِ، وَمُغْوِرٌ: من أَعورَ لكَ الشّيءُ، إذا بدت لك عَوْرَتُهُ، وهي موضع المخافة، قال اللَّهُ تعالى في الحكاية عن المنافقين لـمَّا قعدوا عن نصرة النّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾[2] أي: واهية يجب سترها وتحصينها بالرّجال، وكل ما طلبته فأمكنك فقد أعْوَرَكَ وأَغْوَرَ لك، والواو في قوله «وقد صفرت لهم وطابي» واو الحال، وكذلك في «ويومي ضَيِّق الجحر» أي: أقول لهؤلاء في هذه الحالة، وقوله «ضيِّق الجحر» مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِضِيقِ منفذه وتخوّف ظَفَر الأعداءِ به، والخائفُ مُضَيَّقٌ عليه وإن كان في فضاء، قال الشَّاعر: [الطويل]

كـأنَّ فِـجَـاجَ الأَرْضِ وَهْـي عَـرِيـضَـةٌ ... عَلَى الخَائِفِ المَخْزُونِ كِفَّةُ حَابِلِ[3]

وذلك أن الحشرة إذا لجأت إلى جحرٍ ضَيّق لا منفذَ له وصل إليها الطالب، ومعنى البيت: إني أقول للحيان في هذه الحالة.

٥ ـ هُـمَـا خُـطَّـتَـا إِمَّـا إِسَـارٌ وَمِـنَّـةٌ ... وَإِمَّـا دَمٌ وَالـقَـتْـلُ بِـالـحُـرِّ أَجْـدَرُ

الخُطَّة: الخصلة، وهي مأخوذة من الخط، وهي تجري مجرى القصة، وحذف النون من خُطَّتَا إذا رفعت «إما إسار» استطالةً للاسم، كأنه استطال خطّتا ببدله، وهو قوله إما إسار، كما استطال الآخر الموصول بصلته فقال: [الكامل]

أَبَـنِـي كُـلَـيْـبٍ إنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّـذَا ... قَـتَلاَ الـمُـلُـوكَ وَفَـكَّـكَـا الأَغْـلاَلاَ[4]

---

(١) هذا عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٦٠، وصدره: «وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جريضًا».
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.
(٣) البيت في اللسان (ك ف ف) ولم ينسبه، وفيه «على الخائف المطلوب».
(٤) البيت للأخطل في ديوانه ص ٣٨٧؛ والأزهية ص ٢٩٦؛ والاشتقاق ص ٣٣٨؛ وخزانة الأدب ٣/ ١٨٥؛ وشرح المفصّل ٣/ ١٥٤؛ والكتاب ١/ ١٨٦، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٣٦٢؛ وأوضح المسالك ١/ ١٤٠؛ وخزانة الأدب ٨/ ١٠.

فحذف النون من «اللّذان» وقول الآخر: [الطويل]

لَـنَـا أَعْـنُـزٌ لُـبْـنٌ ثَـلاثٌ فَـبَـعْـضُـهَـا لأَوْلادِهَـا ثِـنْـتَـا وَمَـا بَـيْـنَـنَـا عَـنْـزُ[1]

ويجوز أن يكون الحذف على وجه الحكاية، كأنه قال: هما خطّتا قولكم إما كذا وإما كذا، فلما نوى ذلك حذف النون للإضافة، وكأنهم كانوا يُدِيرونه على الخَصْلتين فأخذ يتهكّم عليهم ويحكي مقالهم، وإذا جررت «إما إسارٍ» يكون الحذف للإضافة، والتقدير خطّتا إسارٍ، والمعنى ليس لي إلا واحدة من خصلتين اثنتين على زَغمِكُم: إما استئسار والتزام مِنّتِكُم إن رأيتم العفو، وإما قَتْلٌ، وهو بالحرّ أجدرُ مما يكسبه الذّلّ، فهاتان الخصلتان هما اللّتان أشار إليهما بقوله «هما خطتا» وقد ثلّثهما بخطة أخرى ذكرها فيما بعد، وهذا كلّه تهكّم وهُزْء، وقوله «والقتل بالحرّ أجدر» يُسَمّى اعتراضًا لوقوعه بين ما عَدَّدَهُ من الخصال، وهو قوله هما إسار ومنّة وإما دم، وقوله في البيت الذي يليه وهو:

٦ ـ وَأُخْرَى أُصَـادِي الـنَّـفْـسَ عَـنْـهَـا وَإِنَّـهَـا لَـمَـوْرِدُ حَـزْمٍ إِنْ فَـعَـلْـتُ وَمَـصْـدَرُ

المصاداة: إدارة الرأي في تدبير الشّيء والإتيان به، ومنه قولهم: إنه لَصَدَى مالٍ، إذا كان حَسَنَ القيامِ به. يقول: وهٰهنا خصلة أخرى أُداري نفسي فيها وإنها هي الموضع الذي يَرِدُهُ الحزم ويَصْدُرُ عنه إن فَعَلْتُ، وإنّما قَسَّمَ الكلامَ هذه الأقسام لأنه رآهم يَبْنُونَ أمرَه عليها، ولأنه نظر إلى جهتي الجبل فعلم أنه إن رَضِيَ الطَّريقَ الَّذي عليه بنو لِحْيَان لنفسه طريقًا كان فيها إحدى الحالتين من الأسر أو القتل بزعمِهِمْ، وإن احتال للجهة الأخرى فالحزم فيها، لأن خلاصه منها، وكان أمرًا ثالثًا، وقوله «وإنها لَموردُ حَزْمِ» اعتراضٌ أيضًا لوقوعِه بين قوله «وأخرى أصادي النّفسَ عنها» وبين قوله في البيت الذي يليه وهو:

٧ ـ فَـرَشْـتُ لَـهَـا صَـدْرِي فَـزَلَّ عَـنِ الـصَّـفـا بِـهِ جُـؤْجُـؤٌ عَـبْـلٌ وَمَـتْـنٌ مُـخَـصَّـرُ

الفَرْشُ: البَسْطُ، ثمّ توسّعوا فيه فقالوا: فَرَشْتُهُ أمري، وافترشَ لسانَه فتكلَّمَ كيف شاءَ، وقوله «لها» الضمير للخطة التي عَبَّرَ عنها بقوله «وأخرى» أي: فرشتُ من أجل هذه الخطّةِ صدري على الصَّفَا، وهذا حين صَبَّ العسلَ فزلقَ به عن الصَّفا، وقوله «به جُؤجؤ» أي به صَدْرٌ ضخمٌ وَمَتْنٌ دقيقٌ، والصَّدرُ والمتنُ صَدْرُه ومَتْنُهُ، ولكنه أخرجَهُ مخرجَ قولهم: لَقِيتُ بزيدٍ الأسدَ[2]، وزيد هو الأسد عندهم، ووضع «فرشتُ» موضعَ ألقيتُ ووضعتُ،

---

(١) بلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٥٨٠؛ والخصائص ٢/ ٤٣٠؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٤٨٧؛ وشرح شواهد الشافية ص ١٥٩؛ والممتع في التصريف ٢/ ٥٢٧.

(٢) هذا مما يسمّيه البلاغيون: «التجريد»، والباء هنا باء التجريد.

ويقال: فرشتُ ساحتي بالآجرّ، وأفرشتُ الشَّاةَ لِلذَّبح، إذا أضجعتَها، وذكر بعضهم أنه يجوز أن يكون الضمير من «لها» لِلصَّفَاة، والكلمةُ مقلوبةٌ، والمعنى فرشتها لِصدري، وفي هذا إضمارٌ قبل الذِّكرِ والقلبُ، وإذا كان كذلك فالأوَّل هو الوجه.

٨ ـ فَخَالَطَ سَهْلَ الأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ

الخَلْطُ: أصله تداخل أجزاء الشَّيء في الشيء، وقد توسّع فيه حتى قيل: رجل خَلْطٌ، إذا اختلطَ بالنّاسِ كثيرًا، يقول: أسهلْتُ ولم يؤثّر الصَّفا في صدري أثرًا ولا خَدْشًا، والموت كان قد طمعَ فيَّ فلما رآني وقد تخلَّصْتُ بَقِيَ مستحييًا ينظر ويتحيَّر، والواو في قوله «والموت» واو الحال، وهذا من فصيح الكلام، ومن الاستعارات الحسنة، وقد حمل قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[1] على أن يكون المعنى تتحيَّرون، وقوله «ينظر» يجوز أن يكون في موضع الحال، وأن يكون خبرًا بعد خبر، ويكون معناه في مقابلتي، ويقال: بيوتهم تتناظر، إذا تقابلت، لأن النظر تقليب العين نحو المرئيّ وفي مقابلته، لذلك صَحَّ أن يقال لِلأعمى: نظر إليَّ، ويجوز أن يكون معنى ينظُر يعلمُ حُسْنَ حيلتي وغَنائي فيما يَذْهَمُني، وفُسِّرَ قولُه تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[2] أي يعلمون ذلك ويتيقَّنون، وقوله «لم يكدح الصَّفا» الكَدْحُ بالأسنان والحجر دون الكَدْم، وَالكَدْم: السّحج، وهو فوق الخدش، والكَدْح أيضًا الكَسْبُ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[3] أي كاسب كسبًا فمُجازًى به، وقوله «خَزْيَان» يجوز أن يكون من الخِزْيِ: الهوان، ويجوز أن يكون من الخَزَاية: الاستحياء.

٩ ـ فَأُبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكُ آيِبًا وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُها وَهْيَ تَصْفِرُ

فَهْم: قبيلته، يقول: رجعتُ إلى قبيلتي وكِدتُ لا أؤوبُ، لمشارفتي التَّلَفَ، ويجوز أن يريد ولم أكُ آيبًا، في تقديرهم، ويُروَى «ولم آلُ آيبًا» أي: لم أدع جَهْدِي في الإياب، والأول أحسن؛ واختار أبو الفتح «وما كدت آيبًا» أي: وما كدت أؤوب، فاستعمل الاسم الذي هو الأصل المرفوض الاستعمال مَوْضِعَ الفعل الذي هو فرع، وذلك أن قولك: كِدْتُ أقومُ، أصله كِدْتُ قائمًا، ومنه: [الرجز]

أَكْثَرْتَ في العَذْلِ مُلِحًّا دَائِمَا لا تُكْثِرَنْ إنّي عَسِيتُ صَائِمَا[4]

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨٤. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٦.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٤) الرَّجز لرؤبة في ملحقات ديوانه ص ١٨٥؛ وخزانة الأدب ٩/٣١٦؛ والخصائص ١/٨٣؛ والدرر ٢/١٤٩؛ والمقاصد النحوية ٢/١٦١؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٧٥؛ وتخليص الشواهد ص ٣٠٩؛ وشرح الأشموني ١/١٢٨؛ وشرح ابن عقيل ص ١٦٤.

ومنه: عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا، و«كم مثلها» أي: مثل هذه الخطة فارقتها بالخروج منها وهي مغلوبة تَصْفِرُ، وأنا الغالب، وصفير الطائر معروف، ومنه: ما في الدار صَافِرٌ، أي: ذو صفير، وإذا كان من صفير الطائر فيكون المعنى: كم مَرَّة فارقتها وأطَلْتُ الغيبة عنها: أي عن القبيلة فهي تَلْغَط في أمري وتكثر القول في شأني، فمنهم مَن يقول: إني قتلت، ومنهم مَن يقول: إني ظَفِرْتُ فتعلو أصواتُهم ويكثرُ كلامُهم كالطَّير تجتمعُ وتصيحُ، وقال النّمريّ: أُبْتُ: رجعتُ، وَفَهْمٌ: قبيلةٌ. والهاء راجعة إلى هذيل في قوله «وكم مثلها» وقوله: «وهي تصفرُ» معناه تتأسَّفُ على فَوْتي، وقال أبو محمد الأعرابي: سألت أبا الندى عن قوله «وكم مثلها فارقتها وهي تصفر» فقال: معناه كم مثلها فارقتها وهي تتلَهَّفُ كيف أفلتُّ، والرواية الصحيحة «وما كدت آيبًا» قال: ورواية مَنْ روى «ولم أكُ آيبًا» خطأ، وفَهْم: ابن عمرو بن قيس بن عيلان، وتكلّم المرزوقي على اختيار أبي الفتح هذه الرواية رَادًّا عليه ولم يُنْصِفه.

وخبر هذه الأبيات: أن تأبَّطَ شرًّا كان يَشْتَارُ عَسلاً في غارٍ من بلاد هذيل، وكان يأتيه كُلَّ عام، وأن هذيلاً ذكر لها ذلك فرصدته لإبَّانِ ذلك، حتى إذا جاء هو وأصحابه تَدَلَّى يدخل الغار فأغارت هذيل على أصحابه وأنفروهم، ووقفوا على الغار فحرّكوا الحبلَ، فأطلعَ رأسَهُ، فقالوا: اصعدْ، فقال: علامَ أصعدُ؟ أعلى الطلاقةِ والفِدَاءِ؟ فقالوا: لاَ شَرْطَ لك، قال: أفتراكم آخِذِيَّ وقاتِلِيّ وآكِلِي جَنَايَ؟ لا واللَّهِ لا أفعلُ، ثم جعلَ يُسيل العسلَ على فم الغارِ، ثم عمدَ إلى زِقٍّ فَشَدَّهُ على صدرِه، ثم لصقَ بالعسلِ ولم يَزَلْ يزلقُ حتى جاء سَليمًا إلى أسفل الجبل، فنهضَ، وفاتهم، وبين موضعه الذي وقع فيه وبينهم مسيرة ثلاثة أيام. وفي خبرٍ آخرَ أنه كان يشتارُ عسلاً من جَبَلٍ ليس له غير طريق فأخذَ عليه لِحْيَانُ ذلك الموضع، وخَيَّرُوه النزولَ على حُكْمِهم أو إلقاء نفسه من الموضع الذي ظنّوا أنه لا يسلمُ منه، فَصَبَّ العسلَ الذي كان معه على الصَّفَا وألقى نفسه فسلم، وجعل يكلّمهم، وكان بينهم وبين الموضع الذي استقرّ به على الطريق مسيرة ثلاثة أيام؛ فلذلك قال: «فرشتُ لها صدري» وقيل فيه غير ذلك، والأخبار تختلف.

[١٢] وقال أبو كَبِيرِ الهُذَلِيُّ[(١)]:

واسمه عامر بن حُلَيْسٍ، وقيل: عُوَيْمر بن حُلَيْس، أحد بني سعد بن هُذَيْل.

---

(١) عامر بن الحليس الهذلي، أبو كبير، من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل، من شعراء الحماسة، أدرك الإسلام وأسلم، (ترجمته في سمط اللآلي ٣٨٧؛ والشعر والشعراء ٢٥٧؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٤٧٣).

الهذل: الاضطراب. ويقال: مَرَّ يُهَوْذِلُ ببَوْلِهِ، إذا هَزَّهُ وحَرَّكَهُ، وأنشد: [الرجز]

إذْ لاَ يَـزَالُ قَـائِـلٌ أَبِـنْ أَبِـنْ   هَوْذَلَةَ المِشْآةِ عَنْ ضِرْسِ اللَّبَنْ[1]

ومنه هُذَيْل أبو هذه القبيلة، وهو مرتجل لا منقول، ويجوز أن يكون تحقير هُذْلُول على التَّرخيم، وهو ما ارتفعَ من الأرض، قال: [الرجز]

يَعْلُو الهَذَالِيلَ وَيَعْلُو القَرْدَدَا[2]

ويقال للطويل: هُذْلُول؛ لأن طوله يؤدّي إلى الاضطراب، يستعمل في النَّاس وغيرهم، قال الأسدي: [الطويل]

إلَيْكَ أبَيْتَ اللَّعْنَ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي   تُعَالِجُ هُذْلُولاً مِنَ الرَّمْلِ أَسْوَدَا

وحُلَيْس: تصغير حِلْسٍ، وهو الكساء الذي يلزم ظهر البعير، ومنه قولهم: فُلاَنٌ حِلْسُ بيته، إذا لَزِمَهُ فلم يَبْرَحْ منه.

١ ـ وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلامِ بِمِغْشَمٍ   جَلْدٍ مِنَ الفِتْيَانِ غَيْرِ مُثَقَّلِ

الأوّل من الكامل، والقافية من المتدارك.

يقال: سَرَى وَأَسْرى بمعنى واحد، وقوله «على الظَّلام» أي: في الظلام، وموضعه نصب على الظَّرف، ويجوز أن يكون «على الظَّلام» في موضع الحال: أي وأنا على الظلام: أي راكب له، وَالمِغْشَم مِفْعَل من الغَشْم وهو الظّلم، فإن قيلَ: إذا كان السُّرَى لا يكون إلا ليلاً فلِمَ قال «على الظّلام»؟ ولِمَ جاء في القرآن ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[3]؟ قيل: المراد توسُّط اللَّيل والدخول في معظمه، تقول: جاء فلان البارحةَ بِلَيْلٍ: أي في معظم ظلمته، وَالجَلْد: الصّلب القويّ، ومنه الجلد من الأرض وقوله «غير مُثَقَّل» أي: كان حسن القبول مُحَبَّبًا إلى القلوب، وإذا كان الرّجُلُ عُدَّة للفِعْلِ قيل مِفْعَل نحو مِغْشَم وَمِحْرَب وَمِرْجَم، وإذا كان قويًا على الفعل قيل فَعُول مثل صَبُور وقَتُول وشَكُور، فإذا فعل الفعلَ وَقْتًا بعد وقت قيل فَعَّال مثل صَبَّار وعَلاَّم، فإذا كان الفعل عادةً له قِيلَ مِفْعَال مثل رجل مِغْوَار ومِعْطَاء ومِهْدَاء، وقال أبو رياش: المِغْشَم الذي يغشمُ الأمُورَ ويخلطها من غير تمييز، وقيل: المغشم هٰهنا مَنْ إذا خَفِيَ عليه الطريق اعتسف.

٢ ـ مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدٌ   حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ

---

(١) الرجز في اللسان (هـ ذ ل) ونسبه لابن هرمة وأوّله: «إما يزال قائل أَبِنْ أَبِنْ».
(٢) ورد في لسان العرب (هذل) ولم يزد عمّا هنا.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

الضَّمير في «حملن» للنساء، ولم يَجْرِ لهنّ ذِكْرٌ، ولكن لمّا كان المراد مفهومًا جَاز إضمارها، وقال «به» فردَّ الضَّمير على لفظ مَنْ، ولو حمل على المعنى لقال «بهم» والرواية «حُبُكَ الثِّيابِ» لأن النِّطَاقَ لا يكون له حُبُك، والحُبُك: الطّرائق، والواحد حَبِيك، وَالحُبْكَة وَالحِبَاكُ: الإزار أيضًا، يقال: احْتَبَكَتِ المرأَةُ، وقوله «عَوَاقِد حُبُكَ» حكاية الحال، وإن كان ذلك فيما مضى، ومثله قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[1] ويُروى «مما حملن به» أي: هو من الحمل الذي حَمَلْن به، ومعناه أنه من الفتيان الذين حملت أُمّهاتهم وهنّ غير مستعدّات للفراش فنشأ محمودًا مرضيًّا لم يُدْعَ عليه بِالهَبَلِ وَالثُّكْل، وحُكِيَ عن بعضِهم: إذا أردتَ أن تُنْجِبَ المرأةُ فأَغْضِبْهَا عند الجماعِ، وكذلك يقال في ولد المذعورة إنه لا يُطاق، قال الشاعر: [الطويل]

تَسَنَّمْتُهَا غَضْبىٰ فَجَاءَ مُسَهَّدًا ... وَأَنْفَعُ أَوْلادِ الرِّجَالِ المُسَهَّدُ

وذكر بعضهم أن المُهَبَّل المعتوه الذي لا يتماسك، فإن صحَّ ذلك فكأنه من الإسراع، جَمَلٌ هِبَلٌّ: سريع.

٣ ـ وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وَفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وَدَاءِ مُغْيِلِ[2]

غُبْرُ الحَيْضِ وَغُبَّرُه: بقاياه، وكذلك غُبْرُ اللَّبن: باقيه في الضَّرْعِ، وقد يكون الغُبَّر جمع غابر، وَالحِيضَةُ: الاسم، والحَيْضَة الفعلة، ويُرْوَى «ومُبَرَّأً» بالنَّصْبِ، و«مبرّىءٍ» بالجرّ؛ فالنّصب عطف على «غَيْرَ مُهَبَّلِ» كأنه قال شَبَّ في هاتين الحالتين، وإذا جررته كان عطفًا على قوله «جَلْدٍ من الفتيان» كأنّه قال: جَلْدٍ ومُبَرَّىءٍ، ولم يَرْضَ بلفظ التبرئة حتى أتى بلفظ الكلِّ معه تأكيدًا، كأنه نفى قليل ذلك وكثيره، وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنه أراد الفسادَ الذي يكون من قِبَلِها، وهم يُضيفون الشّيء إلى الشّيء لأدنى مناسبة، وَالمُغْيِل: من الغَيْلِ، وهو أن تَغْشَى المرأةَ وهي تُرْضِعُ، فذلك اللَّبنُ الغَيْلُ، ومنه حديث النَّبي ﷺ «لَهَمَمْتُ أن أنهى عن الغيلة حتى ذكر لي أنَّ فارس والروم يفعلونه فلا يضرّهم شيئًا»[3]، وسُئِلَ شيخٌ من العرب عنها، فقال: إنها لَتُدْرِكُ الفارسَ فتصرعُهُ عن فرسِه، ويُرْوَى «وداءِ مُعْضِلِ» وهو الذي لا دواء له، كأنه أعضل الأطباء وأعياهم، وأصل العَضْل المَنْع، ومنه عَضَّلَتِ المرأة، إذا نشبَ ولدها في بطنها فلم يخرج، وَعَضَلْتُهَا وَعَضَّلْتها: منعتها التزويجَ ظُلمًا، ومعناه أنها حملت به وهي طاهر ليس لها بقية حيض، ووضعته ولا داءَ به استصحبه من بطنها فلا يقبل علاجًا؛ لأن داء البطن لا يفارق، ولم ترضعه أُمه غَيْلاً، وكانت العرب

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.
(٢) في المرزوقي «وداءِ مُعْضِلِ» بدل «مُغيِلِ».
(٣) رواه مسلم في النكاح باب ٢٤ رقم ١٤٠، ١٤١؛ وأبو داود في سُننه رقم ٣٨٨٢؛ والترمذي في سُننه رقم ٢٠٧٧؛ وابن حنبل في مسنده ٦/ ٣٦١ و٤٣٤؛ والبيهقي في السُّنن الكبرى ٧/ ٢٣١ و٤٦٥.

تقول: إذا حملت المرأة في قبل الطُّهر أوّل الشّهرِ عند طلوع الفجر ثم أذكرت جاءت بما لا يُطاق، وجمع الشّاعر هذه المعاني فقال: [الخفيف]

لَقِحَتْ فِي الهِلاَلِ عَنْ قُبُلِ الطُّهْـ ـرِ وَقَـدْ لاَحَ لِـلـصَّـبَـاحِ بَـشِـيـرُ

٤ - حَـمَـلَـتْ بِـهِ فِـي لَـيْـلَـةٍ مَزْؤُودَةٍ كَـرْهًـا وَعَـقْـدُ نِـطَـاقِـهَـا لَـمْ يُـحْـلَـلِ

الزُّؤْدُ: الذُّعرُ، وقد زُئِدَ فهو مَزْؤودٌ، والمعنى حملت الأم بهذا المِغْشَمِ في ليلة مَزْؤودةٍ، لما كان الزّؤد في اللّيلة جعله لها، والأكثر في المجاز والاتّساع أن ينسب الفعل إلى الوقت فيؤتى به على أنه فاعل، كما قيل: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ، وحَسُنَ هذا لأن الظّرف قد يقدّر تقدير المفعول الصّحيح بأن ينزع منه معنى في، كما قال «ويَوْمٌ شَهِدْنَاه» فعلى ذلك تقول: ليلة مَزْؤُودَة، ويجوز أن يكون انجراره على الجوار، وهو في الحقيقة للمرأة، كما قيل: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وهذا لميلهم إلى الحمل إلى الأقرب، ولأمنهم الالتباس، ومزؤودة بالنّصب على الحال من المرأة، ومزؤودة بالرفع صفة أُقِيمَتْ مقامَ الموصوفة، وينتصب كَرْهًا على أنه مصدر في موضع الحال، والتقدير كارهة، و«عَقْدُ نطاقها لم يُحْلَلِ»: ابتداءٌ وخبرٌ، والواو للحال، وأظهر التضعيف في قوله «لم يحلل» وهو لغة تميم، ووجه الكلام لم يُحَلّ، والنّطاق: ما تنتطق به المرأة تشدّ وسطها للعمل، وذات النِّطَاقَيْنِ: أسماء بنت أبي بكر، وَالمِنطَقَةُ أُخِذَتْ من هذا، والمعنى أنها أُكْرِهَتْ ولم يُحَلَّ نطاقُها. وحُكِيَ عنها في وصف ابنها أنها قالت فيه: إنه والله شيطانٌ، ما رأيته قطّ مستثقِلاً، ولا ضَحِكًا، ولا هَمَّ بشيءٍ مُذْ كان صبيًّا إلاَّ فَعَلَهُ ولقد حملتُ به في ليلةٍ ظلماء وإنّ نطاقي لَمَشْدُودٌ، وهذه صفة تأبّط شرًّا.

٥ - فَـأَتَـتْ بِـهِ حُـوشَ الـفُـؤَادِ مُـبَـطَّـنًـا سُـهُـدًا إِذَا مَـا نَـامَ لَـيْـلُ الـهَـوْجَـلِ

حُوشُ الفؤادِ وحُوشِيُّ الفؤاد: وَحْشِيُّهُ لِحِدَّته وتوقُّدِه، ورجلٌ حُوشِيٌّ: لا يخالطُ النَّاسَ، وليل حُوشِيٌّ: مظلمٌ هائلٌ كما يقال: ليلٌ سُخَامٌ وسُخَامِي للأسود، وكذلك إبلٌ حُوشٌ وحُوشِيَّةٌ: أي وحشيّةٌ، وقيل: الحُوشُ: بلادُ الجنِّ، وَمُبَطَّنٌ: خَميص البطن، وقوله «نام ليلُ الهَوْجَلِ»: جعلَ الفعلَ للّيلِ لوقوعه فيه: أي نام الهَوْجَلُ في ليله، والهوجلُ: الثقيلُ الكسلان، وقيل الهوجلُ: الأحمقُ لا مُسْكَةَ به، وبه سُمِّيَتِ الفلاةُ لا أعلامَ بها ولا يُهتدى فيها الهوجل. أي أتت الأُمُّ بهذا الولد ذكيًّا حديدَ الفؤادِ يَسْهَرُ إذا نامَ الهوجل: أي الجافي الثقيل النّوم؛ والهوجل أيضًا: الناقة الصّلبة الشديدة، قال الشّاعر: [السريع]

وَأَقْـطَـعُ الـهَـوْجَـلَ مُـسْـتَـأْنِـسًـا بِـهَـوْجَـلٍ عَـيْـرانَـةٍ عَـنْـتَـرِيـسْ

والسُّهُدُ: الكثيرُ السُّهاد، وقال بعضُهم: سُهَدٌ مثل عُمَر، وإنما يكون ذلك في الأسماء الأعلام، وفُعُلٌ بِالضَّمِّ في النَّكِرات كثير، يقال: بابٌ فُتُحٌ، وامرأةٌ عُطُلٌ، وناقةٌ سُرُحٌ، ولسانٌ طُلُقٌ.

٦ ـ فَـإذَا نَـبَـذْتَ لَـهُ الـحَـصـاةَ رَأيْـتَـهُ يَـنْـزُو لِـوَقْـعَـتِـهَـا طُـمُـورَ الأَخْـيَـلِ

يقال: نبذتُ الشَّيءَ من يدي، إذا طرحته، وتوسّعوا فيه فقيل: صَبِيٌّ منبوذٌ، ونابذتُ فلانًا، إذا فارقته عن قِلًى، والشَّاعر إنما يحكي ما رآه منه، والمعنى إنك إذا رميته بحصاة وهو نائمٍ وجدته ينتبه انتباهَ مَنْ سَمِعَ بوقعتِها هَدَّةً عظيمةً فيطمرُ طمورُ الأخيلِ، وهو الشِّقراق، ويُروَى «فَزِعًا لوقعتها طمور الأخيل» وانتصبَ طمورَ بما دلَّ عليه قوله «فزعًا لوقعتها» كأنه قال: رأيته يطمرُ طمورَه لأن الخائفَ المتيقّظَ يفعل ذلك، والطُّمورُ: الوَثْبُ، ومنه قيل: فَرَسٌ طِمِرٌّ: أي وَثَّابٌ، وقيل: إن الطِّمِرَّ في صلة الفرس هو المشرف، ومنه قيل للموضع العالي: طَمَارِ، وابن طمار: جبلان، و«فَزِعًا» انتصابه على الحال، وجواب إذا قوله «رأيته». وقال بعضهم: الأخيل: الشَّاهين، ومنه قيل: تَخَيَّلَ الرّجلُ، إذا جَبُنَ عند القتالِ فلم يَتثبّتْ، والتَّخَيُّل: المضيّ والسّرعة والتلوُّن.

٧ ـ وَإِذَا يَـهُـبُّ مِـنَ الـمَـنَـامِ رَأَيْـتَـهُ كَـرُتُـوبِ كَـعْـبِ الـسَّـاقِ لَـيْـسَ بِـزُمَّـلِ

أصلُ هَبَّ تحرّكَ واضطربَ، ثم قيل: هَبَّ من نومه هَبًّا، وهَبَّتِ الرّيحُ هُبُوبًا، وهَبَّتِ النَّاقةُ في سيرِها هبابًا، وهَبَّ التَّيسُ هبيبًا، وأَهْبَبْتُ السَّيفَ: هَزَزْتُهُ، ويقال: رَتَبَ رتوبًا، إذا قام وانتصب، والراتبُ: القائمُ، والزُّمَّلُ والزُّمَّالُ والزُّمَّيْلُ كلّه: الضَّعيف، سُمِّيَ بذلك لتزمّله في ثوبه وقعوده عن الحرب وغيرها، يقول: إذا استيقظَ من منامه انتصبَ انتصابَ كعبِ السَّاقِ، وكعب السَّاق منتصب أبدًا في موضعه، وتحقيق الكلام وإذا يهبُّ من المنام رأيتَ رتوبه كرتوبِ كعب السَّاقِ، لكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

٨ ـ مـا إنْ يَـمَـسُّ الأَرْضَ إلاَّ مَـنْـكِـبٌ مِـنْـهُ وَحَـرْفُ الـسَّـاقِ طَـيَّ الـمِـحْـمَـلِ(١)

«إنْ»: زِيدَ لتوكيد النَّفي، ويبطُل عملُ «ما» بانضمامه إليه في لغة مَنْ يُعْمِلُهُ، وانتصب «طَيَّ» على المصدر مما دَلَّ عليه ما قبله؛ لأنه لما قال: يَمَسُّ الأرضَ منه إذا نام جانبُهُ وحَرْفُ السَّاقِ، عُلِمَ أنّه مَطْوِيٌّ غيرُ سَمينٍ، والمعنى إنه إذا نام لا ينبسطُ على الأرض ولا يتمكّنُ منها بأعضائِه كلِّها حتى لا يكاد يتشمّر عند الانتباه بسرعة، وَالمِحْمَلُ: حمالةُ السَّيفِ.

٩ ـ وَإِذَا رَمَـيْـتَ بِـهِ الـفِـجَـاجَ رَأَيْـتَـهُ يَـهْـوِي مَـخَـارِمَـهَـا هُـوِيَّ الأَجْـدَلِ

الفَجُّ: الطَّريقُ الواسع في قُبَلِ جَبَلٍ ونحوِهِ، والجمع فِجَاجٌ، وَالهُوِيُّ ـ بضم الهاء ـ هو القَصْدُ إلى أعلى، وبفتح الهاء إلى أسفل، وعلى ذلك قول زهير: [الوافر]

هَـوِيَّ الـدَّلْـوِ أَسْـلَـمَـهـا الـرِّشَـاءُ(٢)

---

(١) في المرزوقي «إلا جانبٌ» بدل «إلا مَنْكِبٌ».

(٢) البيت في ديوان زهير ص ٦٧ وصدره: «فشجّ بها الأماعز وهي تهوي».

ولا تَخْتَرْ على الضمّ في رواية البيت وإن كان قد قيل غير ذلك. والمخارمُ: جمع مَخْرِم، وهو مُنْقَطَعُ أنفِ الجبلِ، والخَرْمُ: أنفُ الجَبَلِ، وجمعه خرومٌ، ومن فصيح كلامهم: هذه يمين طلعت في المخارم، وهي التي تجعل لصاحبها منها مخرجًا. والأجدلُ: الصَّقْرُ، وهو من جدل الخَلْق، وقوله «يهوي مخارمها»: يريد في مخارمها.

١٠ - وَإِذَا نَـظَـرْتَ إِلَـى أَسِـرَّةِ وَجْـهِـهِ ... بَـرَقَـتْ كَـبَـرْقِ الـعَـارِضِ الـمُـتَـهَـلِّـلِ

الخطوط التي في الجبهة الأغلب عليها سِرَارٌ، ويُجمع على الأَسِرَّة، والتي في الكفّ الأغلب عليها سَرَرٌ وسُرٌّ، وتُجمع على الأسرار، كما قال: [السريع]

انْـظُـرْ إِلَـى كَـفٍّ وَأَسْـرَارِهَـا[(١)]

وقد قيل: الأَسِرَّةُ: الطّرائق، والعارض من السَّحاب: ما يعرض في جانبٍ من السَّماءِ، وعلى ذلك العارض في الأسنان، ولهذا قِيلَ العارضان لما يبدو من جانبيها، ويقال: تَهَلَّلَ الرّجُلُ مَرَحًا واهْتَلَّ، إذا افترَّ عن أسنانه في التّبسّم، يقول: إذا نظرت في وجهه رأيت أسارير وجهه تشرقُ إشراقَ السّحابِ المتشقّقِ بالبرقِ، يَصِفُهُ بِحُسْنِ البِشْرِ وطَلاقةِ الوجهِ.

١١ - صَـعْـبُ الـكَـرِيـهَـةِ لاَ يُـرَامُ جَـنَـابُـهُ ... مَاضِي العَزِيمَةِ كَالحُسَامِ المِقْصَلِ[(٢)]

١٢ - يَـحْـمِـي الصِّحَابَ إِذَا تَـكُـونُ عَظِيمَةٌ ... وَإِذَا هُـمُ نَـزَلُـوا فَـمَـأْوَى الـعُـيَّـلِ

العُيَّل: جمع عائل، وهو الفقير هٰهنا.

خبر هذه الأبيات: كان سبب قول أبي كَبِير هذه الأبيات أنه تزوّجَ أُمَّ تأبّطَ شَرًّا، وكان غلامًا صغيرًا، فلما رآه يكثر الدّخول على أُمّه تَنَكَّرَ له، وعرفَ ذلك أبو كبير في وجهه إلى أنْ ترعرعَ الغلامُ، فقال أبو كبير لأُمّه: وَيْحَكِ!! قد واللّهِ رَابَني أَمْرُ هذا الغلامِ، ولا آمنه، فلا أقربك، قالت: فاحْتَلْ عليه حتى تقتله، فقال له ذات يومٍ: هل لكَ أن تغزو؟ فقال: ذاكَ من أمري، قال: فامضِ بنا، فخرجا غازيين ولا زادَ معهما، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد، حتى ظَنَّ أبو كبير أن الغلام قد جاعَ، فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قومًا كانوا له أعداء، فلما رأى نارَهم من بُعْد قال له أبو كبير: وَيْحَكَ!! قد جُعْنَا، فلو ذهبتَ إلى تلك النّار فالتمستَ لنا منها شيئًا، قال: وَيْحَكَ!! وأيّ وقت جوع هذا؟ قال: أنا قد جُعْتُ فاطلبْ لي، فمضى تأبّط شرًّا فوجدَ على النّارِ رجلين من أَلَصِّ مَنْ يكون من العرب، وإنما أرسله إليهما أبو كبير على معرفة، فلما رأياه قد غشي نارهما

---

(١) صدر بيت للأعشى في ديوانه ص ١٠٧ وعجزه: «هَلْ أنتَ إن أوعدتَني ضائري». وقد ذكر المرزوقي البيت كلّه.

(٢) البيتان غير موجودين في المرزوقي. والكريهة: الحرب. والجناب: الناحية. والمِقْصَل: القاطع.

وثبا عليه، وَكَرَّ ساعيًا، واتّبعاه فلما كان أحدهما أقرب إليه من الآخر عطف عليه فرماه فقتله، ورجع إلى الآخر فرماه فقتله، ثم جاءَ إلى نارِهما فأخذ الخبز منهما فجاء به إلى أبي كبير، فقال: كلْ لا أشبعَ اللَّهُ بَطْنَكَ، ولم يأكلْ هو، فقال: ويحك!! أخبرني كيف كانت قِصَّتُكَ؟ قال: وما سؤالك عن هذا؟ كُلْ وَدَعِ المسألة فدخلتْ أبا كبير منه خيفة، وَأَهَمَّتْهُ نفسُه، ثم سأله بالصّحبةِ إلاّ حَدَّثَهُ كيف عملَ فأخبره فازدادَ له خوفًا، ثم مضيا في غزاتهما، فأصابا إبلاً ومتن به أبو كبير ثَلاثَ ليالٍ يقول له كل ليلة: اخْتَرْ أيَّ نصفي اللَّيل شئتَ تحرس فيه وأنام، وتنام النصف الآخر وأحرس، وقال: ذلك إليكَ اخترْ أيّهما شئتَ، فكان أبو كبير ينام إلى نصف اللَّيل ويحرسه تأبّط شرًّا، فإذا نام تأبَّط شرًّا نام أبو كبير أيضًا لا يحرس شيئًا، حتى استوفى الثّلاث، فلما كان في الليلة الرابعة ظَنَّ أنَّ النُّعاسَ قد غلبَ الغلامَ ينام أول اللَّيل إلى نصفِه وحرسه تأبّط شرًّا، فلما نام الغلامُ قال أبو كبير: الآن يستثقلُ نومًا وتمكنني فيه الفرصة، فلما ظنَّ أنه قد استثقلَ أخذَ حَصَاةً فخذَف[1] بها، فقام الغـلامُ كأنّه كعب، فقال: ما هذه الوجبة؟ قال: لا أدري والله سمعته في عرض الإبل، فقام وعَسَّ وَطافَ فلم يَرَ شيئًا، فعاد فنام، فلما ظَنَّ أنه قد استثقل أخذ حُصَيَّةً أصغر من تِيكَ فخذفَ بها، فقام كقيامه الأول، فقال: ما هذا الذي أسمعُ؟ قال: والله ما أدري قد سمعت كما سمعت وما أدري ما هو، ولعلّ بعض الإبلِ تحرَّكَ، فقامَ فطافَ وَعَسَّ فلم يَرَ شيئًا، فعاد فنام، فأخذ حُصَيَّةً أصغر من تلك جدًّا، فرمى بها، فوثبَ كما وثبَ أوّلاً، فطافَ وعَسَّ فلم يرَ شيئًا، فرجعَ إليه فقال: يا هذا، إني قد أنكرتُ أمرَكَ، واللَّه لَئِنْ عُدْتُ أسمعُ شيئًا من هذا لأَقتلنَّكَ، قال: فقال أبو كبير: فَبِتُّ واللَّهِ أحرسُهُ خوفًا أن يتحرّكَ شيءٌ من الإبل فيقتلني، قال: فلمّا رجعا إلى حَيِّهِما قال أبو كبير: إنَّ أُمَّ هذا لامرأة لا أَقْرَبُهَا أبدًا، وقال الأبيات التي مضت.

[١٣] وقال تأبّطَ شَرًّا:

١ ـ إنِّـي لَـمُـهْـدِ مِـنْ ثَـنـائِـي فَـقـاصِـدٌ بِهِ لابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بْنِ مالِكِ

هذا من الضَّرب الثّاني من الطويل، والقافية من المتدارك، وهذا البيت مخروم، والمخروم: ما سقط من وتده المجموع أول حرف منه.

لا يقال في الهدية إلا أهْدَيْتُ، ويقال في العروس هَدَيْتُهَا وَأَهْدَيْتُها جميعًا، والأصلُ واحدٌ، واللاَّم في قوله «لابن عمّ الصّدق» يجوز أن تتعلق بمُهْدٍ، يقال: أهديتُ له كذا، وعلى هذا تكون أعملت الفعل الأول، وما أهداه يكون محذوفًا لعلم السّامع بأنه يريد شعره وتقريظه، وكان الأجود أن يقول: فقاصد إياه به، ويجوز على قول مَن يزيد «مِنْ» في

(١) خذف بها: رمى بها.

الواجب أن يكون قوله «ثَنائي»: مفعولَ مُهْدٍ، فيكون ما أهداه مذكورًا، ويجوز أن تتعلق اللاّم بقوله «فقاصدٌ» يقال: قَصَدْتُهُ بكذا، وقصدْتُ له به، وعلى هذا تكون قد أعملْتَ الفعلَ الثَّاني، وهو المختار عندنا، ويقال: هذا ثوبُ صِدْقٍ، وأخو صِدْقٍ، وُضِعَ الصِّدقُ موضع الفَضْلِ والصَّلاحِ، والتَّسميةُ بالشَّمسِ كالتَّسميةِ بالبدرِ والهلالِ. ويقال: إنه شُمُسٌ - بضم الشِّين - ويكون علمًا لهذا الرّجل فقط كحجر في أنه علم أبي أوس الشّاعر وأبي سُلْمَى في أنه علم أبي زهير الشّاعر، والأعلام لا مضايقة فيها.

٢ - أَهُـزُّ بِـهِ فِـي نَـدْوَةِ الـحَـيِّ عِـطْـفَـهُ كـمـا هَـزَّ عِـطْـفِـي بِـالـهِـجَـانِ الأَوَارِكِ

عِطْفُ كلِّ شيء: جانبه، ويقال: ثَنَى عِطْفَهُ، إذا أعرضَ وجَفا، وكأنَّ القوسَ والرّداءَ سُمِّيَا عِطْفَيْنِ لاشتمالهما عند التَّوشُّحِ بهما على العِطْفِ، وأصلُ العِطْفِ ما عُطِفَ، كما أن الذِّبح ما ذُبِحَ، والطِّحْن ما طحن، ويقال لكلّ ما ينعطف من الجسد: عِطْف، وقيل في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾[1] أي: عنقه، وقيل: خصره، والنَّدْوة: أصله الجمع، ويقال: نَدَاهُم النَّادِي: أي جمعهم، ويقع لفظ هِجَان للواحد والجمع وذلك أن فِعَالاً وَفَعيلاً يتشاركان كثيرًا، وكما جُمع فَعيلٌ فِعَالاً كذلك يجمع فِعَال فِعَالاً، ألا ترى أن العدد والوزن فيهما واحد؛ وحرفُ المدّ من كلّ واحدٍ بإزاءِ ما في الآخر فإذا كان كذلك حُمِلَ عليه، إلا أن فِعالاً إذا كان جمعًا يُنْوَى بحركاته وأَلِفِهِ أنّها حركات بنائِه، وهو جَمْعٌ لا واحدَ له، كأن الكسرةَ في أوّله الكسرةُ التي في أوّلِ ظِرَافٍ وَكِرَام، لا الكسرةُ التي في أوّلِ حِمَارٍ وإزارٍ، وكذلك درعٌ دِلاَصٌ ودروع دِلاَصٌ. والأَوَارِك: التي ترعى الأَرَاكَ، وهو شجر؛ يقول: أَسُرُّهُ بثنائي حتى يراحَ ويطربَ كما سرّني بالإبل البِيضِ الكرام حتى اهتززتُ.

٣ - قَـلِـيـلُ الـتَّـشَـكِّي لِـلْـمُـهِـمِّ يُـصِـيـبُـهُ كَثِيرُ الهَوَى شَتَّى النَّوَى وَالمَسَالِكِ

يقول: إنّه لا يشكو ما ينزلُ به من الخطوب المهمّة إلى أحد؛ لصبره عليها، وعلمه أن شكايته غير نافعة له، ولكنه يعمل في إزالتها ودَفْعِ مضرّتها، وهو مثل قول دريد بن الصِّمَّة: [الطويل]

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ

وَالمُهِمُّ: يجوزُ أن يكونَ من الهَمِّ الذي هو الحزن، ويجوز أن يكون من الهَمّ الذي هو القصد، واستعمل لفظ القليل والقصد إلى نفي الكلّ، وهذا كما يقال: فلانٌ قليلُ الاكتراث بوعيد فلان، والمعنى: لا يكترثُ، وعلى ذلك قولهم: قَلَّ رجلٌ يقولُ ذاكَ،

---

(١) سورة الحج، الآية: ٩.

وَأَقَلُّ رجل يقول ذاك، والمعنى معنى النفي، وليس يُراد به إثبات قليل من كثير، فإنْ قيل: من أين ساغ أن يُسْتَعْمَلَ لفظُ القليلِ من الشَّيء - وهو للإثبات - في النفي؟ قلت: إنَّ القليلَ من الشَّيءِ في الأكثر يكون في حكم ما لا يعتدّ به ولا يُعَرَّجُ عليه لدخوله بخفَّةِ قدرِه في مَلَكَةِ الفناء، فلما كان كذلك استعمل لفظه في النفي على ما في ظاهره من الإثبات، وقوله «كثير الهوى شَتَّى النَّوى» طابقَ الكثيرَ بالقليلِ لفظًا لا معنًى، يعني أنه كثير الهِمَم مختلف الوجوه والطّرق، ويريد بالهوى: الجنس، وكذلك النّوى، وهي وجهته التي ينويها ومثله: [الوافر]

شَـدِيـدُ مَـجَـامِـعِ الـكَـتِـفَـيْـنِ بَـاقٍ   عَـلَى الـجِـذْثَانِ مُـخْـتَـلِفُ الـشُّـؤُونِ

ويريد بقوله «شَتَّى»: المتفرّق، وَتَشَتَّتَ الشّيءُ: تَفَرَّقَ، والأشتاتُ: جمع شَتّ، والمسالك: الطّرق، يقال: سلكت أنا، وسلكت غيري، وقد يقال: أسلكت غيري، ومنه أخذ السلك الذي تنظم فيه الخرز، وانسلكَ الرّجلُ في معنى سلكَ، قال زهير: [البسيط]

وَاقْدُرْ بِذَرْعِكَ وانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ

٤ - يَـظَـلُّ بِـمَـوْمـاةٍ وَيُـمْـسِـي بِـغَـيْـرِهَـا   جَـحِـيشًـا وَيَـعْـرَوْرِي ظُـهُـورَ الـمَـهَـالِـكِ

المَومَاةُ: المَفَازَةُ التي لا ماءَ فيها، ووزنها فَعْلَلَة، وجمعها مَوَامٍ، وإنَّما قال «يمسي بغيرها» ولم يَقُلْ يبيتُ لأن قصده إلى أن يصفه بأنه يقطع في بياض نَهاره مفازة، ولو قال يبيت لم يتبين منه ذلك: أي يقطعُ المفاوزَ لاكتساب المكارمِ، فتراه يكون نهاره في مفازة، فإذا أتى عليه المساء تجده في أخرى. جَحِيشًا: أي وحيدًا، يقال: حَلَّ فلانٌ جَحِيشًا: أي منفردًا، وانتصب «جحيشًا» على الحال. وقوله «بغيرها» لا يجوز أن يكون مستقرًا فاعلمه، وقوله «ويَعْرَوْرِي ظهورَ المهالك» أي: يَرْكَبُها، وأصله من قولهم: اعْرَوْرَيْتُ الفرسَ، إذا رَكِبْتَه عُرْيًا ليس تحتك شيء، يقول: يركبُ المهالكَ من غير أن تكون له وقاية منها.

٥ - وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيثُ يَنْتَحِي   بِـمُـنْـخَـرِقٍ مِـنْ شَـدِّهِ الـمُـتَـدارِكِ

وَفْدُ الرِّيح: أوّلُها، ومنه أخذ رؤبة قوله: [الرجز]

يسبق وفد الرّيحِ من حيث انخرق

وأخذه الأعرابي بغير لفظه فقال: [الرجز]

غَـايَـةُ مَـجْـدٍ رُفِـعَـتْ فَـمَـنْ لَـهَـا   نَـحْـنُ حَـوَيْـنَـاهـا وَكُـنَّـا أَهْـلَـهَـا
لَـوْ تُـرْسَـلُ الـرِّيحُ لَـجِـئْـنَـا قَـبْـلَـهَـا

والمعنى أنه يسبق الرِّيحَ لِخفَّتِهِ. وينتحي: يعتمد ويقصد، وينتحي: يحتمل أن يكون للممدوح ولوفد الريح، وجعل العَدْوَ منخرقًا لاتِّساعِهِ، والمنخرقُ: السَّريعُ، وهو من قولهم: ريحٌ خريقٌ: أي شديدة سريعة الهبوب، والمتدارك: المتلاحِق، وقال بعضهم: المنخرقُ الَّذي لا يضبط كما تنخرقُ الرِّيحُ الشديدة، ومن ثم سُمِّيَتِ الرِّيحُ خريقًا.

٦ ـ إذَا حَاصَ عَينَيه كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِىءٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِكِ

حَاص: بمعنى خاط، ويُروَى[١] «إذا خاطَ عينيه» والكَرى: النوم الخفيف، وكأنه من كَرَيْتُ، أي عَدَوْتُ عَدْوًا شديدًا، وقوله «خاطَ عينيه» أي مَرَّ فيهما، وليس يريد التمكّن منهما حتى يجعل أجفانهما كالمخيطة، ومنه: [الكامل]

حَتَّى تُخَيَّطَ بِالبَيَاضِ قُرُونِي[٢]

وأضافَ الكرى إلى النوم كما يضافُ البعضُ إلى الجنسِ، كأنَّ النومَ لجنس الفعل، والكرى لما كان على صفة مخصوصة، يريد أنه إذا نامت عينه لا ينام قلبه. والشَّيْحَان والشَّائح والشِّيح: الحازم، قال: [الطويل]

وَشَايَحْتَ قَبْلَ اليَوْمِ أَنَّكَ شِيحُ[٣]

والفاتكُ: الَّذي يفاجىءُ غيره بمكروهٍ أو قتلٍ، وفي الحديث «الإيمان قيد الفتك»[٤] وقال ابن دريد: هو الذي إذا هَمَّ بشيءٍ فَعَل.

٧ ـ وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رَبِيئَةَ قَلْبِهِ إلى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ صَائِكِ

ويروى:

إذَا طَلَعَتْ أُولَى العَدِيِّ فَنَفْرُهُ إلى سَلَّةٍ من صَارِمِ الغَرْبِ بَاتِك

وهي أسلم الروايتين، العَدِيّ: الرَّجَّالة يَغْدُون قُدَّامَ الخيل، وهو اسم صيغ للجَمع كالْكَليب والضَّئِين، وعلى الرّواية الأولى يقول: لا يغفلُ قلبُه عن التّحفّظِ، وعينه دَيْدَبَانُهُ[٥] إلى سَلِّ سيفِه، فإن قيل: كيف تكون العين دَيْدَبان القلب وهو يقول إذا نام

(١) كذا رواية المرزوقي.

(٢) هذا عجز بيت ذُكِرَ في اللسان (خ ي ط) لبدر بن عامر الهذلي وصدره: «تاللَّه لا أنسى منيحة واحد».

(٣) هذا عجز بيت لأبي ذُؤيب الهذلي في ديوانه ص ١١٦، واللسان (ش ب ح) وصدره: «بدرت إلى أولاهم فسبقتهم».

(٤) رواه أحمد في مسنده ١/١٦٧، هكذا «الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمنٌ». وورد في المعجم الكبير للطبراني ١٩/٣١٩؛ وفي مستدرك الحاكم ٤/٣٥٢؛ وشرح السُّنَّة للبغوي ١١/٤٥.

(٥) الدَّيدبان: الطليعة، فارسي معرّب وأصله (ديذه بان) فلما أعرب غيّرت الحركة وجُعِلَت الذال دالاً.

بعينه لم يَنَمْ بقلبه؟ أم كيف تصحّ هذه الرواية وفيها يتكرّر معنًى واحدٌ في مصراعي البيتين؟ وهل الواجب في هذا إلا أن يقال: إنَّ القلبَ هو ديدبان العين لأنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ مُنْتَبِهٌ؟ قلت: إنه وصف حالتين، فالمتقدّم صفة حال النوم، والثاني صفة حال اليقظة، والمعنى: إن العينَ رقيبُ القلبِ المنتظر لإظهار ما يكرهه، فإذا كَرِهَ القلبُ شيئًا كانت العينُ صاحبه الذي يُظهِره، فهي ربيئته إلى نزعِ سيفه. والأخلق: الأملس. والباتك: القاطع، وقوله «إلى سلّةٍ» يجوز أن يكون إلى بمعنى مع، كما تقول: هذا إلى ذاك، ويجوز أن يكون المعنى إنها ربيئته إلى أن يَسْتَلَّ سيفَه، وبعد ذلك فالعمل للقلب، ويكون للانتهاء، وقوله «من حَدٍّ أخلقَ» فيه تَوسُّعٌ، لأنَّ السيفَ يُسْتَلُّ من الغِمْدِ فيصير مسلولاً، ألا ترى قوله: [الطويل]

إذا سُـلَّ مـن جَـفْـنٍ تَـأَكَّـلَ أَثْـرُهُ عَلَى مِثْلِ مِصْحَاةِ اللُّجَيْنِ تَأَكُّلا(١)

وهذا جعل الجفن مسلولاً منه، فهو في ذلك كقولهم: أدخلت الخفَّ في رجلي، والقلنسوة في رأسي.

٨ - إذَا هَـزَّهُ فِـي عَـظْـمِ قِـرْنٍ تَـهَـلَّـلَـتْ نَـوَاجِـذُ أَفْـوَاهِ الـمَـنَـايَـا الـضَّـوَاحِـكِ

قوله «في عَظْمِ قِرْنٍ» إيذانٌ بأنه لا يتعرّضُ له إلا مَن يقاربه بأسًا وشِدّةً، ونسبة التَّهلّل إلى النّواجذ مجازٌ وسَعَةٌ، وهذا كما يقال: سُرَّ فلانٌ بكذا حتى صار لكلِّ سِنٍّ له ضَحِكٌ، وقد سُمِّيَ ما يبدو من الأسنان عند الضَّحِكِ الضَّواحِك. وقوله «إذا هَزَّهُ في عظم قِرنٍ» أي: إذا هَزَّهُ وضربه به ضحك الموت، وهو مثل، فكأنه قال: إذا هَزَّهُ لعظم قِرنٍ، وقد تُقامُ حروف الصِّفاتِ بعضها مقام بعض إذا لم يشكل، ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نَشِبَ في عظمه فهزّه فيه: أي حَرَّكَهُ، لِيتخلَّصَ منه، والتَّهلّل: الضَّحِك، شُبِّهَ بتهلّلِ البرقِ ولمعانه، وهو خلاف قوله: [الطويل]

وَالـمَـوْتُ خَـزْيَـانُ يَـنْـظُـرُ

٩ - يَرَى الوَحْشَةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ، وَيَهْتَدِي بِحَيْثُ اَهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

أي: ذلك مذهبه، وهذا كما يقال: هو يرى رأيَ أبي حنيفة أي يذهب مذهبه، ويفسّر هذا على وجهين: أحدهما أنه قد اعتادَ سلوكَ المفاوزِ والتوحّشَ عن النّاسِ؛ فقد استأنسَ بالوحدةِ، والآخَرُ أنه كثيرُ الأعداءِ لكثرةِ ما أغارَ على الناس وانتهبَ من أموالهم، فهو يستوحشُ إذا رأى النّاسَ، ويستأنسُ إذا لم يرهم وإتباعه الأنسَ بالأنيس تأكيدٌ وإظهارٌ للمبالغةِ، وهذا كما يقال: ظِلٌّ ظَلِيلٌ، وداهيةٌ دَهْيَاءُ، وهم يبنون من لفظ الشَّيء ما يتبعونه على طريق التأكيد. وقيل في أُمّ النجوم: إنّها الشَّمس، وقيل: المَجرَّة، ويُسَمَّى معظم

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ٢٠، وفي اللسان (صحا).

الشَّيء أُمَّهُ، والشَّمسُ أعظمُ الكواكبِ، وسُمِّيَ جامعُ الأشياء أُمًّا. والشوابك: المشتبكة، وإذا جعلت أُمَّ النجوم المجرّة فيجوز أن يكون المعنى أنه يستغني عن الدّليل، كما تستغني تلك: أي لا يضلُّ في قَصْدِهِ كما لا تضلُّ المجرةُ، والعرب تقول: هو أهدى من النّجمِ، قال الشَّاعر: [البسيط]

أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ إنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ وَعِنْدَ أعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ

[١٤] قَالَ قَطَرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ[(١)]:

القَطَرِيُّ: منسوبٌ إلى موضع يقال له قَطَر، وَالفُجَاءَة من قولهم: فجئه الأمر يَفْجَؤُه فَجْأَةً وفُجَاءةً، وهو أحد الخوارج، سُلِّمَ عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة، قال أبو العلاء: قطري سُمِّي بهذا الاسم ومولده موضعٌ يقال له الأَعْدَان، وَقَطَر موضع قريب من عُمَان، يقال: بعير قَطَرِيٌّ إذا نُسِبَ إلى ذلك الموضع، وكذلك ريحٌ قَطَرِيَّةٌ، إذا هَبَّتْ من نحو قَطَر، وهذا كما يسمّى الرّجل مَكِّيًّا وَسِنْدِيًّا وهو لم يولد بمكة ولا بالسّند.

١ ـ أقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مِنَ الأَبْطَالِ وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي

من الضَّرب الأول من الوافر، والقافية من المتواتر.

قوله «لها»: يعني النَّفس، والشّعاع: المتفرّق، وهذا مثل، ومعناه المبالغة في الفَزَع، وقوله «لن تراعي»: من الرَّوْع وهو الفزع. يقال: رِيعَ الرَّجلُ يُرَاعُ، المعنى إنه يذكر تشجيعه نفسه وتعريفه إياها ـ بعدما استشعرت الفزعَ ـ أن الأَجَلَ مُقَدَّرٌ وأنَّ الزيادةَ لا تلحقه، ويوضحه قوله:

٢ ـ فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الأَجَلِ الَّذِي لَكِ لَمْ تُطَاعِي

٣ ـ فَصَبْرًا فِي مَجَالِ المَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

٤ ـ وَلاَ ثَوْبُ البَقَاءِ بِثَوْبِ عِزٍّ فَيُطْوَى عَنْ أخِي الخَنَعِ اليَرَاعِ

أخو الخَنَعِ: الذَّليلُ، وَالخنوع: الذّلّة، ولا يكاد الخنوع يستعمل إلا في ذلّةٍ في غير موضعها. وَاليَرَاعِ: القصبة التي لا جوفَ لها، والرّجل الذي لا قلبَ له جبانٌ كأنه لا جوف له، فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه.

٥ ـ سَبِيلُ المَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ فَدَاعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ دَاعِي

٦ ـ ومَنْ لاَ يُغْتَبَطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَمْ وتُسْلِمْهُ المَنُونُ إلَى انْقِطَاعِ

---

(١) قطريّ بن الفجاءة أبو نعامة: من رؤساء الخوارج وأبطالهم، ومن أهل قطر، كان خطيبًا فارسًا شاعرًا، (ت ٧٨ هـ/ ٦٩٧ م)، (ترجمته في وفيات الأعيان ١/ ٤٣٠؛ والطبري ٧/ ٢٧٤؛ وسمط اللآلي ٥٩٠).

الاعتباط: أن يموت من غير علة: أي من لم يَمُتْ شابًّا مات هَرِمًا. ويسأَم: أي يسأم ما يعتريه من تكاليف الهرم، ويُرْوَى «تفض به المنون» و«يفض به القضاء».

٧ - وَمَـا لِـلـمَـرْءِ خَـيْـرٌ فِـي حَـيَـاةٍ إذا مَـا عُـدَّ مِـنْ سَـقَـطِ الـمَـتَـاعِ[1]

[١٥] وقال بعض بني قَيْس بن ثَعْلَبَة: [البسيط]

ويقال: إنها لِبَشَامَةَ بن حَزْنٍ[2] النَّهشليّ، البَشَامة: شجرة يُستاكُ بعودها، قال جرير: [الوافر]

أَتَـنْـسَـى إذْ تُـوَدِّعُـنَـا سُـلَـيْـمَـى بِـعُـودِ بَـشَـامَـةٍ سُـقِـيَ الـبَـشَـامُ

والحَزْنُ: الموضعُ الغليظ، والحزم أغلظ منه، والنَّهشل: الذّئب، فَعْلَلٌ، ويقال إنه منحوت من أصلين من نهش ونشل، وكلاهما من فعل الذئب، وقيس: مصدر قاس يقيس قَيْسًا.

١ - إنَّـا مُـحَـيُّـوكِ يَـا سَـلْـمَـى فَـحَـيِّـيـنَـا وَإنْ سَـقَـيْـتِ كِـرَامَ الـنَّـاسِ فَـاسْـقِـيـنَـا

يقال: حَيَّيْتُ الرَّجُلَ، إذا سَلَّمْتَ عليه، ومن ثم سُمِّيَ الوجهُ المُحَيَّا، وحيَّيتُ فلانًا: ملكته، والتَّحية: الملك، يقول: إنَّا مسلّمون عليك أيتها المرأة فقابلينا بمثله، وإنْ سَقَيْتِ الكرامَ فأجرينا مُجْرَاهم فإنّا منهم؛ والأصل في التحيّة أن يقالَ عند اللّقاء: حَيَّاكَ اللَّهُ، ثم اسْتُعْمِلَ في غيره من الدّعاء. وقيل في سَقَيْتِ: إن معناه إنْ دَعَوْتِ لأماثِل النّاس بالسُّقيَا فادعي لنا أيضًا، والأشهر في الدّعاء أن يقال فيه: سَقَّيْتُ فلانًا، مثقّل، والحجّة في التخفيف قول أبي ذؤيب: [المتقارب]

سَـقَـيْـتُ بِـهِ دَارَهَـا إذْ نَـأَتْ وَصَـدَّقَـتِ الـخَـالُ فِـيـنَـا الأَنُـوحَـا[3]

يقال: أَنَحَ يأْنِحُ؛ إذا زحر، وعلى هذا يكون في الكلام إضمارٌ، كأنّه قال: وإن سَقَيْتِ بظهرِ الغيبِ الكرامَ بالدّعاءِ فافعلي بنا مثله، وقولي: سقاكم اللَّهُ، وَفَصَلَ بعضُهم بين سَقَيْتُ وأَسْقَيْتُ فقال: أَسقيتُهُ: جعلتُ له سُقْيَا يفعلُ ما شاءَ، وسقيتُه أعطيته ماء لِفِيهِ، ومثله كَسَوْتُهُ وأَكْسَيْتُهُ، وبعضُهم يجعلهما سواءً، ويحتجُّ ببيتِ لبيد: [الوافر]

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُـمَـيْـرًا وَالـقَـبَـائِـلَ مِـنْ هِـلالِ[4]

---

(١) سقط المتاع: رديء المتاع. والشعر في بهجة المجالس ١/ ٤٧٢.

(٢) عند المرزوقي «بشامة بن جَزْء» ونسب ابن قتيبة الأبيات في الشعر والشعراء ص ٦٢٠ إلى نهشل بن حرّي.

(٣) البيت في اللسان (أ ن ح) والخال: المتكبّر.

(٤) البيت في اللسان (سقى).

٢ ـ وَإِنْ دَعَـوْتِ إِلَـى جُـلَّـى وَمَـكْـرُمَـةٍ   يَـوْمًـا سَـرَاةَ كِـرَامِ الـنَّـاسِ فَـادْعِـيـنَـا

جُلَّى: فُعْلَى، أجراها مجرى الأسماء، ويُرَادُ بها جليلةٌ، كما يراد بأفعلَ فاعِلٌ وفعيلٌ، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(١) أي هَيِّنٌ، وكقوله: [الطويل]

فتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ(٢)

أي: واحد، يقول: إن أشَدْتِ بذكر خيار النَّاسِ بجليلةٍ نَابَتْ أو مَكْرُمَةٍ عَرَضَتْ فأشيدي بذِكرنا أيضًا، وهذا الكلام ظاهره استعطاف لها، والقصد به التوصّل إلى بيان شَرَفِهِ واستحقاق ما يستحقّه الأشرافُ، ولا سَقْيَ ثَمَّ ولا تحيّةَ، وَالسَّرَاةُ في النّاس، وَالشَّرَاة بالشّين معجمة في المال والخيل، وفي حديث أُمّ زرع «فَنَكَحْتُ بعدَه رجلاً سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وأخذ خَطِّيًا وأراحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا»(٣) وَالجُلَّى بالألف واللاّم: تأنيث الأَجَلّ، كالأكبر والكبرى، ولا تحذف الألف واللاّم منه حينئذ؛ لأنّ أصله يكون أفعل الذي يتمّ بمن، ويقال لكلّ ما علا شيئًا: جَلَّلَهُ، ومنه الجلالة. وَسَرَاةُ القوم: سادتهم، وسراةُ كلِّ شيءٍ: أعلاه، والجمع السَّروات، ورجلٌ سَرِيٌّ بَيِّنُ السّرو، وَسَرِيَّة فعيلة من سرى يسري إذا سار ليلاً، ثم كثر حتى قيل سرية وإن سارت نهارًا، والكرام هٰهنا: الذين يَحْمُون الحريمَ ويدفعون الضَّيْمَ.

٣ ـ إِنَّـا بَـنِـي نَـهْـشَـلٍ لاَ نَـدَّعِـي لأَبٍ   عَـنْـهُ ولا هُـوَ بِـالأَبْـنَـاءِ يَـشْـرِيـنَـا

إن كان الشّعر لِلقَيْسيّ فالرواية «إنّا بني مالك» وانتصاب «بَنِي» على إضمار فعل، كأنه قال: اذكرْ بني نهشلٍ، وهذا على الاختصاص والمدح، وخبر إن «لا نَدَّعي» ولو رفع فقال «إنَّا بنو نهشلٍ» على أن يكون خبرًا لكان «لا ندعي» في موضع الحال، والفصل بين أن يكون اختصاصًا وبين أن يكون خبرًا صُرَاحًا هو أنه لو جعله خبرًا لكان قصده إلى تعريف نفسه عند المخاطب، وكان لا يخلو فعله لذلك من خُمُول فيهم أو جهل من عند المخاطب بشأنهم، فإذا جعل اختصاصًا فقد أَمِنَ من الأمرين جميعًا، وإنما قلت «خبرًا صُرَاحًا» لأن لفظ الخبر قد يُستعار لمعنى الاختصاص، لكنه يستدلّ على المراد منه بقرائنه، وعلى هذا قوله: [الرجز]

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي(٤)

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٧.
(٢) هذا عجز بيت وصدره كما في أمالي القالي ٣/ ٢١٨: «تَمَنَّى أُناسٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ».
(٣) انظر حديث أم زرع عند السيوطي في المزهر ٢/ ٥٣٢.
(٤) قائله هو أبو النجم الراجز: الفضل بن قدامة العجلي: من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م)، (ترجمته في معاهد التنصيص ١/ ١٨؛ والأغاني طبعة الدار ١٠/ ١٥٠؛ وخزانة الأدب ١/ ٤٩؛ والشعر والشعراء ٢٣٢).

وقوله: «لا نَدَّعي لأبٍ عنه» نَدَّعي: نفتعلُ، و«عنه» تَعَلَّقَ به، يقال: ادَّعى فلانٌ في بني فلان، إذا انتسبَ إليهم، وَادَّعَى عنهم، إذا عدلَ بِنَسَبِهِ عنهم، وهذا كقولهم: رغبتُ في كذا، ورغبتُ عنه. وقوله «لأبٍ» أي من أجل أبٍ، ومعناه إنَّا لا نرغبُ عن أبينا فننتسب إلى غيره، وهو لا يرغبُ عنّا، قد رَضِيَ كلٌّ مِنَّا بصاحبه. ويقال: شَرَيْتُ الشَّيءَ؛ بمعنى بِعْتُهُ واشتريته جميعًا، ومنه الشَّرْوَى وهو المِثْلُ.

٤ ـ إنْ تُبْتَدَرْ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ تَلْقَ السَّوابِقَ مِنَّا وَالمُصَلِّينَا

يقال: بادرتُ مكانَ كذا وكذا، وإلى مكان كذا، وكذلك ابْتَدَرْنَا الغايةَ، وإلى الغايةِ. وقوله «لمكرمةٍ» أي: لاكتسابِ مكرمةٍ، ويجوز أن تكون اللاّم مضيفة للغاية إلى المكرمة، كأنه يريد تسابقهم إلى أقصاها، وإنما قال «المُصَلِّين» ولم يقل المصلِّيَات مع السَّوابق لأن قصده إلى الآدميين وإن كان استعارهما من صفات الخيل، ويجوز أن يكون أخرج السَّابق لانقطاعِه عن الموصوفِ في أكثرِ الأحوالِ ولِنيابته عن المُجَلِّي ـ وهو اسم الأوَّل منها ـ إلى باب الأسماء فجمعه على السَّوابق، كما يقال: كاهلٌ وكواهلُ، وغاربٌ وغواربُ، والمُصَلِّي: الذي يتلو السَّابق فيكون رأسه عند صَلاَهُ، وَالصَّلَوَانِ: العظمان الناتئان من جانبي العجز، وقال ابن دريد: هو العظم الذي فيه مَغْرِزُ عَجْبِ الذَّنَبِ، وقال بعضُ أهلِ اللّغة: هما عرقانِ في موضع الرِّدْفِ، وأسماءُ خيل الحلبة عشرةٌ، لأنهم كانوا يرسلونها عشرةً عشرة، وسُمِّيَ كُلُّ واحدٍ منها باسم، فالأول منها السَّابق، وهو المُجَلِّي لأنه كان يجلي عن صاحبه، والثاني المُصَلِّي لأنّه يضعُ جَحْفَلَته على صَلاَ السَّابق، والثالث المُسَلِّي لأنه يسليه، والرابع التّالي، والخامس المُرْتَاح، والسَّادس العاطف، والسابع المؤمَّل، والثامن الحَظِيُّ، والتاسع اللَّطِيم لأنه يُلطَمُ عن الحجرة، والعاشر السُّكَيْت لأنه يعلوه تخشّع وسكوت، ويقال سُكَّيْت أيضًا مشدّدة الكاف، وَالفِسْكل الذي يجيء آخر الخيل في الحلبة، ويقال للحبل الذي يجعل في صدور الخيل يوم الرّهان: المَقْبِضُ وَالمِقْوَس، وقال النبي ﷺ «الخيلُ تجري بأعْرَاقِهَا وَعِتْقِهَا فإذا وضعت على المقوس جرت بجدود أربابها» وقيل في أسماء خيل الحلبة: إنَّ أوَّلَها المجلِّي، ثم المصلّي، ثم المسلِّي، ثم العاطف، ثم المرتاح، ثم الحظيّ، ثم المؤمَّل، هذه السبعة لها حظوظ، ثم اللواتي لا حظوظَ لها: اللَّطِيم، ثم الوَغْد، ثم السُّكَيْت، وقال محمد بن يزيد بن مَسْلمة بن عبد الملك بن مروان يصف الحلبة وذَكَرَ أسماء الخيل: [المتقارب]

فَجَلَّى الأغر، وَصَلَّى الكُمَيْتُ وَسَلَّى فَلَمْ يُذْمَمِ الأدْهَمُ
وَأَتْبَعَهَا رَابِعٌ تَالِيًا وَأَنَّى مِنَ المُنْجِدِ المُتْهِمُ
وَمَا ذُمَّ مُرْتَاحُهَا خَامِسًا وَقَدْ جَاءَ يَقْدَمُ مَا يَقْدَمُ
وَسَادِسُهَا العَاطِفُ المُسْتَحِيرُ يَكَادُ لِحَيْرَتِهِ يُحْرَمُ

وخَابَ المُؤَمَّلُ فِيما يَخِيبُ وَعَنَّ لَهُ الطَّائِرُ الأشْأمُ
وَجَاءَ الحَظِيُّ لَهَا ثَامِنًا فأَسْهَمَ حِصَّتَهُ المُسْهِمُ
حَدَا سَبْعَةً وَأَتَى ثَامِنًا وَثَامِنَةُ الخَيْلِ لاَ تُسْهَمُ
وَجَاءَ اللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعًا فَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُلْطَمُ
يَخِبُّ السُّكَيْتُ عَلَى إثْرِهَا وَعُلْيَاهُ مِنْ قُنْبِهِ أَعْظَمُ
عَلَى سَاقَةِ الخَيْلِ يَغْدُو بِهَا مُلِيمًا وَسَائِسُهَا أَلْوَمُ
إذَا قِيلَ مَنْ رَبُّ ذَا لَمْ يُجِبْ مِنَ الحُزْنِ بِالصَّمْتِ مُسْتَعْصِمُ

٥ ـ وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا إلاّ افْتَلَيْنَا غلامًا سَيِّدًا فِينَا

الافتلاء: الافتطام والأخذ عن الأم، ومنه الفَلُوُّ. والأَبَدُ: الدَّهرُ، وقيل: سُمِّيَت الوَحْش أوَابِدَ لأنها تُعَمَّرُ على الدَّهر ولا تموت إلا بآفةٍ، وأنْ يكونَ من التَّأبُّدِ أي التَّوَحُّش أحسنُ؛ يقول: نحن لا نخلو من سيّد ومصنوع للسيادة أي: مُرَشَّحٍ لها، فإذا هلكَ السَّيِّدُ خلفه المصنوع، كما قال أوس: [الطويل]

إذَا مُقْرَمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ تَخَمَّطَ مِنَّا نَابُ آخَرَ مُقْرَمِ(١)

٦ ـ إنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرَّوْعِ أنْفُسَنَا وَلَوْ نُسَامُ بِهَا في الأَمْنِ أُغْلِينَا

يقول: إذا كان يوم الرَّوْعِ تَقَدَّمْنَا للقاء، فإن ذهبت أنفُسنا ذهبت رخيصةً لأنَّا بَذَلْنَاهَا بِالإقدام، ولم نَمْنَعْها بالإحجام، ولكنّها يوم الأمْن غاليةٌ. والألف في قوله «أُغلينا» للإطلاق، والنون ضمير الأنفس، ومعنى أُغْلِينَ: وُجِدَتْ غاليةً، وليس يريد أنّهم مع الغلاء يمكّنون منها، بل المراد قطع المقدرة عنها، ومثل هذا: [الوافر]

نُعَرِّضُ لِلسُّيُوفِ إذَا الْتَقَيْنَا نُفُوسًا لا تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ(٢)

يقول: نبتذلُ أنفسَنا في الحروب ولا نصونها، ولو عرضَ علينا إزالتها في غيرها لامتنعنا، وهذا لحرصهم على تخليد الذِّكْرِ الجميل، والرّخص في الشّعر سهولته ولينه، وهو من قولهم فيما أظنّ: امرأةٌ رَخْصَةٌ، إذا كانت ناعمة، وقوله «ولو نُسَامُ بها» أي: نحمل على أن نسوم بها، يقال: سام بسلعته كذا وكذا، واستام أيضًا، وأغلى السَّوْمَ

(١) المُقْرَم: في الأصل البعير المكرم الذي لا يُحمَل عليه ولا يُذلَّل وإنما يكون للفحلة والضراب، ويُطلَق على الرجل العظيم الشأن المكرّم في أهله. وذرا نابه: انكسر حَدّه أو سقط وضعف. والتخمّط: هدير الفحل والتكبّر والغضب. والبيت في اللسان (ق ر م) و(خ م ط) و(ذ ر ا).

(٢) عند المرزوقي «بكلِّ ثغرٍ» بدل «إذا التقينا» و«خدودًا» بدل «نفوسًا» والبيت في الكامل ص ٦٧ للقتّال الكلابي.

والسِّيمةَ وأَسَمْتُه أنا: أي حملته على أن يُسَامَ، ولا يمتنع أن يكون قولهم «سُمْتُه» أي حملته على أَنْ سَامَ خَسْفًا أصله من ذلك، وإن استعمل في المكروه، وفي البيت طباق في موضعين: بذكر الإِرخاص والإِغلاء، والرَّوْع والأمن، ومثله للأجدع والد مسروق الفقيه: [الطويل]

لَقَدْ عَلِمَتْ نسوانُ هَمْدَانَ أَنَّنِي لَـهُـنَّ غَـدَاةَ الـرَّوْعِ غَـيْـرُ خَـذُولِ
وَأَبْذُلُ فِي الهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنَّنِي لَهُ فِي سِوَى الهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولِ

٧ - بِيضٌ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا

ويُروَى «بيضٌ مَعَارِفُنا» وهي الوجوه، والمراد بذلك نَقَاء العِرْض وانتفاء الذَّمّ وَالعَيْب، ويقال: امرأةٌ حَسَنَةُ المَعَارِفِ: أي الوجه بما يشتمل عليه، وقيل: هي الأنف وما والاه، وقيل: الحُسْنُ في الأنفِ، والملاحةُ في الأسنان، وواحد المعارف مَعْرَف وَمَعْرِفُ، وكأنَّ الوجهَ سُمِّيَ بها لأن مَعْرِفة الأجسام وَتَمْييزها به، والأشهر «بيضٌ مفارقنا» ويجوز أن يكون المراد ابْيَضَّتْ مفارقنا من كثرة ما نقاسي الشَّدائد، وهذا كما يقال: أَمْرٌ يُشِيبُ الذَّوائبَ، و«تغلي مراجلُنا» أي حروبنا، كقول الآخر: [الطويل]

تَفُورُ عَلَيْنَا قِدْرُهُمْ فَنُدِيمُهَا وَنَفْثَؤُهَا عَنَّا إذَا حَمْيُهَا غَلاَ[1]

ويجوز أن يكون المراد ابْيَضَّتْ مفارقُنا لانحسارِ الشَّعْرِ عنها باعتيادِنا لُبْسَ المَغَافِرِ والبيضِ وإِدْماننا إياه، ويكون هذا كقول الآخر: [السريع]

قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ[2]

وتكونُ المَرَاجِل على هذا كناية عن الحروب أيضًا، ويجوز أن يكون المراد ابْيَضَّتْ مفارقُنا من كثرةِ استعمال الطِّيبِ، ويكون كقول الآخر: [الطويل]

جَلاَ الأَذْفَرُ الأَحْوَى مِنَ المِسْكِ فَرْقَهُ

ويكون على هذا «تَغْلي مراجلُنا» أي: قدورنا للضِّيافة، ويجوز أن يريد مَشِيبُنَا مَشِيبُ الكِرامِ لا مَشِيبُ اللِّئامِ، كما أنشد ابن الأعرابي في نوادره: [الطويل]

وَشَيْبُ مَشِيبِ العَبْدِ في نُقْرَةِ القَفَا وَشَيْبُ كِرَامِ النَّاسِ فَوْقَ المَفَارِقِ[3]

---

(١) البيت في اللسان (ف ث أ) منسوب للنابغة الجعدي وقال: البيت في التهذيب منسوب إلى الكميت. ونفثؤها: نُسَكِّن غليانها.
(٢) البيت في اللسان (ح ص ص) منسوب لأبي قيس بن الأسلت، وكذلك في المفضليات ٢/ ٨٤.
(٣) عند المرزوقي: «وشِبتَ مَشِيبَ» ولعلَّها أصحّ.

وعلى هذا تحمل المراجل على أن يكون المراد بها قدور الضّيافة، وقوله «نأسو بأموالنا آثار أيدينا» يريد تَرَفُّعَهُمْ عن القَوَدِ ودفعَ أطماعِ النّاسِ عن مُقاصَّتِهِمْ، والأَسْوُ: المداواة: أي نقتل ونَدِي، والإساءُ: الدَّواءُ.

٨ ـ إنّي لَمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلَهُمْ　　قِيلُ الكُمَاةِ أَلاَ أَيْنَ المُحَامُونَا

الكُمَاة: جمع كَمِيّ، وهو من قولهم: كَمَى شهادَتَهُ، إذا كَتَمها، لأنَّ الشّجاعَ يستغني بأفعاله عن دَعْوَاه، فكأنه يسترُ أمرَه وشأنه لوقتِ الحاجةِ، ولأنه إذا سكتَ دَلَّ على صفاته بلاؤه، وقال أبو العلاء: الكماة في الحقيقة جمع كَام كما يقال غَازٍ وَغُزَاةٍ، وذلك من قولهم: كَمَى نفسَه في السلاح، إذا توارى فيه، وأهل العلم يتجوّزون في العبارة فيقولون: الكُمَاة جمع كَمِيٌّ، وَفَعِيل لا يجمع على هذا الوزن، وإنما استجازوا بذلك لأن فاعلاً وفَعِيلاً يشتركان كثيرًا، فيقال: عالمٌ وعليمٌ، وشاهدٌ وشهيدٌ، وحافظٌ وحفيظٌ، قال كثيّر في أن أكْمِي بمعنى أَسْتُرُ: [الطويل]

وَإنِّي لأَكْمِي النَّاسَ مَا أَنَا مُضْمِرٌ　　مَخَافَةَ أَنْ يَدْرِي لِذَلِكَ كَاشِحُ(١)

وكأن فَعيلاً أشدُّ مبالغةً، وقد جاء أَكْمَاءٌ في جمع كَمِيّ، وله نظائر كما قالوا: يتيم وأيتام، وأنشد أبو زيد: [الطويل]

تَرَكْتَ ابْنَتَيكَ لِلْمُغِيرَةِ، والقَنَا　　شَوَارِعُ، والأَكْمَاءُ تَشْرَقُ بِالدَّمِ(٢)

٩ ـ لَوْ كَانَ في الألْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا　　مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

يعني قولهم: يا لَفُلاَن، ومَنْ فارس، وما أشبهه، ويقال: خِلْتُهُ إخاله خَيْلاً ومَخِيلة وخَيَلانًا، وهذا مثل قول طَرَفة: [الطويل]

إذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أَنَّنِي　　عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

وإنّما قال «مَنْ فارس» فنكّرَ كما قال طرفة «مَنْ فَتًى» فنَكَّر، ولم يُعَرِّفْ واحدٌ منهما لأنَّ السؤالَ بالمنكر لشدّةِ إبهامه يكون أشمل لتناوله واحدًا واحدًا، لا سيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين، ولا إلى الجنس؛ فيقال: مَن الفتى؟ ومَن الفارس؟ وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

إذَا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتًى لِعَظِيمَةٍ　　فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلٰكِنَّهُ الفَتَى

١٠ ـ إذَا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ　　حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْنَاهَا بِأَيْدِينَا

---

(١) ورد البيت في اللسان (ك م ي) ونسبه لكثيِّر وفيه «يَثْرَى» بدل «يدري». ويثرى: يفرح.

(٢) البيت في اللسان «ك م ي»، ونسبه لضَمرة بن ضَمرة.

إنما قال «حَدّ الظُّبَاة» وَظُبَةُ السَّيفِ: حَدُّه لأنه أراد المضارب بأسرها، كما صلح أن يقال: أصابته ظُبَةُ السَّيفِ، صلح أن يقال: حَدّ الظّبة، وقيل: الظُّبَةُ: طَرَفُ السَّيفِ، وَالشَّبَاةُ: حَدّ طَرَفِهِ، وذكر الرّياشي أن ظبة السيف دون ذُبَابه بمقدار أربع أصابع وهو مَضْرِبه، وَظُبَته أيضًا حَدّه، وكذلك ظبة السّنان حَدّه، وقوله «وصلناها»: الضمير للسيوف ولم يجرِ لها ذِكرٌ كقول كعب بن مالك: [الكامل]

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بِخَطْوِنَا قُدُمًا فَنلْحَقُهَا إذَا لَمْ تَلْحَقِ[1]

وقال بشير بن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك: [الكامل]

وَإذَا السُّيُوفُ قَصُرْنَ أَكْمَلَهَا لَنَا حَتَّى نَنَالَ بِهَا العَدُوَّ خُطَانَا

١١ ـ وَلاَ تَرَاهُمْ وَإنْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مَعَ البُكَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ يَبْكُونا

يعني أنهم لا يموتون إلا بالقتل فقد استعادوه: أي صار لهم عادة، وإن كلّ مَنْ يُولَدُ منهم يكون سَيّدًا فلا يجزعون على مَنْ مات منهم.

١٢ ـ وَنَرْكَبُ الكُرْهَ أحْيَانًا فَيَفْرُجُهُ عَنَّا الحِفَاظُ وَأَسْيَافٌ تُوَاتِينَا

يجوز أن يكون معنى قوله «وأسيافٌ تواتينا» كقوله: فحالفنا السيوف على الدّهر، ويجوز أن يكون أراد بالسيوف رجالاً كأنهم السيوف مضاءً، والأوّل أوْلَى. و«يَفْرُجُهُ» يكشفه ويُوَسّعُهُ، يقال: فَرَجَ اللَّهُ عنه وَفَرَّجَهُ، بالتّشديدِ والتخفيفِ، ومنه سُمِّيَ ما بين القوائم الفُرُوج، وإطلاق لفظ الفَرْج على العَوْرَةِ يجري مجرى الكنايات، وعلى هذا قيل: رَجُلٌ فُرَجَةٌ، إذا كان كَشَّافًا لأسرارِه، وقال النمريُّ: قال رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة «إنّا محيّوك يا سلمى ـ البيت» قال: وفيها «إنّا بني نهشل ـ البيت» قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «اختلطَ الخاثر بالزّباد» قال في البيت الأول: هو لبعض بني قيس بن ثعلبة. ثم قال: وفيها «إنّا بني نهشل»، ولم يفرّق بين نَهْشَل الذين هم مُضَرِيّة وبين بني قيس بن ثعلبة الذين هم رَبَعِيَّه؛ فلزَّهُما في قَرَنٍ، والبيت الذي فيه «إنّا بني نهشل» لِبَشَامة بن حَزْن النّهشلي، والأبيات الأُخر لمرقّش الأكبر، وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، قال أبو عبد الله: وفيها «بيضٌ مفارقُنا ـ البيت» وهذا بيت قد فُسِّرَ على وجوه أنا ذاكر منها ما خطر ببالي: قيل بيضٌ مفارقنا أي لا دَنَسَ فينا، والعرب كلّها سُمْرٌ، فإذا وصفوا بالبياض فإنما يُراد به النقاء والطهارة في كلام يشبه هذا، قال أبو محمد الأعرابي: سألت أبا الندى عن قوله:

بيضٌ مفارقنا تغلي مراجلنا

---

(١) ديوان كعب ص ٢٤٥؛ ولسان العرب (بله).

فقال: هذه رواية ضعيفة، لأن بياضَ المفارقِ قَرَعٌ، ومِرْجَلُ الحائكِ تغلي كما تغلي مِرْجَلُ الملكِ، والرواية الصحيحة:

شُعْثٌ مَقَادِمُنَا نُهْبَى مَرَاجِلُنَا

يعني أننا أصحاب حروبٍ وقِرَى، ونظام الأبيات:

يا ذَاتَ أَجْوَارِنَا قُومِي فَحَيِّينَا

البيت.

وإنْ سَقَيْتِ.........

البيت.

وإنْ دعوت إلى جُلَّى.........

البيت.

شُعْثٌ مقادمنا نُهْبى مراجلنا

البيت.

المُطْعِمُونَ إذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ وَخَيْرُ نَادٍ رَآهُ النَّاسُ نَادِينَا

[١٦] وقال السَّموأل بن عادياء[١]:

هذا اسمٌ مرتجَلٌ غير منقول، ووزنه فَعَوْلَل كالسَّرَوْمَط وهو وعاء تكون فيه الخمر، وعادياء مثله في الارتجال وغير النقل، وهو فاعلاء من عَدَوْتُ بوزن الْقَاصِعاء وَالرَّاهِطَاء وَالسَّافِياء وَالسَّابياء وأصله عَادِواء فقُلِبَتْ لامُه للكسرة، وقال أبو العلاء: السَّموأل اسم عِبْرَاني وليس بعربي، ويقال: إن المكان الغليظ يقال له السَّموأل، وأنشدوا قول امرىء القيس: [الطويل]

أَثَرْنَ الغُبَارَ بِالكَدِيدِ السَّمَوْأَلِ[٢]

وقال قومٌ: أراد بالكديدِ والسَّموأل: الغبار، ولم يثبتْ، لأن السَّموألَ معرب، ووافق من العربية قولهم: اسْمأَلَّ الظِّلُّ، إذا قصرَ، قال: [الكامل]

يَرِدُ المِيَاهَ حَضِيرَةً وَنَفِيضَةً وِرْدَ القَطَاةِ إذَا اسْمَأَلَّ التُّبَّعُ[٣]

---

(١) السَّموأل بن عادياء الأزدي: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر. (ت ٦٥ق.هـ/ ٥٦٠ م)، (ترجمته في سمط اللآلي ٥٩٥؛ وشرح الشواهد ١٨٠؛ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٨٨).

(٢) صدر البيت: «مِسَحٌ إذا ما السّابحاتُ على الوَنَى». وهو في ديوانه ص ٢٠؛ وجمهرة اللغة ص ١١٨٨.

(٣) البيت في اللسان (سمأل) ونسبه إلى سلمى بنت مجدعة الجهنية ترثي أخاها أسعد، وذكره في (نفض) عن الجوهري منسوبًا إليها ثم نقل أن صواب اسمها هو سعدى الجهنية، ورواه في (تبع).

وعادياء: جاء ممدودًا ومقصورًا، قال النّمر بن تَوْلَب: [الكامل]

هَـلاً سَـأَلْـت بِـعَـادِيَـاء، وَبَـيْـتِـهِ   وَالخَلِّ وَالخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُمْنَعِ(١)

وقال السَّموأل: [الوافر]

بَـنَـى لِـي عَـادِيَـا بَـيْـتًـا رَفِـيـعًـا   وَمَـاءً كُـلَّـمَـا شِـئْـتُ اسْـتَـقَـيْـتُ(٢)

وقيل: السَّموأل بالهمز: طائرٌ، والسَّموّل بغير همز: أرضٌ صلبة، ويقال: إنها لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، وهو إسلامي.

١ - إِذَا الـمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ   فَـكُـلُّ رِدَاءٍ يَـرْتَـدِيـهِ جَـمِـيـلُ

الثالث من الطويل، والقافية من المتواتر.

يقال: دَنِسَ يَدْنَسُ دنسًا، وتَدَنَّسَ تَدَنُّسًا، إذا تَكَلَّفه، يقول: إذا لم يتدنّسْ باكتسابِ اللّؤمِ واعتياده فأيّ ملبسٍ يلبسه بعد ذلك كان جميلاً، وذكر الرّداء هٰهنا مستعار، وقد قيل: رداه اللَّه رداء عمله، فجعل كناية عن مكافأة العبد بما يعمله، كما جعله هذا الشّاعر كناية عن الفعل نفسه، وتحقيقه فأيّ عمل عمله بعد تجنّب اللّؤم كان حسنًا. واللّؤمُ: اسمٌ لخصالٍ تجتمع، وهي: البخل، واختيار ما تنفيه المروءة، والصَّبر على الدَّنِيَّةِ، وأصله من الالتئام، وهو الاجتماع، وإنّما سُمِّيَ لئيمًا لاجتماع هذه المعايب فيه، و«إذا» تتضمن معنى الجزاء، والفاء مع ما بعدها جوابه، وليس هذا البيت من قول الآخر: [الكامل]

لَـيْـسَ الـجَـمَـالُ بِـمِـئْـزَرٍ   فَـاعْـلَـمْ وَإِنْ رُدِّيـتَ بُـرْدَا(٣)

بسبيل فتعتقد أنه يريد بالرّداء الثياب.

٢ - وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا   فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ(٤)

أي: إن لم يصبرها على مكارهها، وأصل الضَّيْم: العدول عن الحقّ، يقال: ضَامَه ضَيْمًا، وهو مَضِيمٌ، إذا عَدَلَ به عن طريق النَّصَفَةِ واهتضَمه، ومنه قيل: قعد في ضِيمِ الجبلِ: أي في ناحية تعدل إليه، وكما استعمل الضَّيم من ضامه كذلك استعمل الهَضم واحد أهضام الوادي من هَضَم، ويبعد من طريق المعنى أن يريد بقوله «ضيمها» ضَيْمَ الغيرِ لها فأضافَ المصدرَ إلى المفعولِ؛ لأن احتمالَ ضيمِ الغيرِ لهم يأنفونَ منه ويعدّونه تَذَلُّلاً.

---

(١) البيت في ديوانه ص ٣٥٨؛ وتهذيب اللغة ٥٧١/٦؛ ولسان العرب (عود) والمعاني الكبير ص ٥٠٠؛ وتاج العروس (عود).

(٢) البيت في ديوانه ص ٣٣.

(٣) البيت لعمرو بن معديكرب.

(٤) عند المرزوقي «إذا المرءُ لم يحملْ».

٣ ـ تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا   فقلتُ لها إنَّ الكِرامَ قليلُ

يقال: عَيَّرْتُهُ كذا، وهو المختار، وقد جاء «عَيَّرته بكذا» قال عدي: [الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ   ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أي: أنكَرَتْ مِنّا قلّة عددنا فَعَدَّتْهُ عارًا فأجبتها: إن الكرامَ يَقِلّونَ، والكرم: اسم لخصال تُضَادُّ خِصَالَ اللُّؤم، واعترف الشَّاعرُ في هذا البيت بقلّة العدد، لا بقلّةِ القَدْرِ، ألا تراه جاء بالنفي في البيت الّذي يليه فقال:

وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا

وقوله «إنَّ الكرامَ قليلُ» يشتملُ على معانٍ كثيرة، وهي وَلُوعُ الدَّهر بهم، وَاعْتِيَامُ(١) الموت إيّاهم، واستقتالهم في الدفاع عن أحسابِهم، وإهانتهم كرائمَ نفوسهم مخافةَ لزومِ العارِ لهم، ومحافظتهم على عمارة ما ابتناه أسلافهم، فكلّ ذلك يقلّلُ العددَ، وقليل وكثير يوصف بهما الواحد والجمع.

٤ ـ وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا   شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلاَ وَكُهُولُ

الهاء في «بَقَايَاه» راجعة إلى لفظ «مَنْ» لا معناه؛ لأن معناه للكثرة، ولو ردّ عليه لقال بقاياهم، و«شبابٌ» مصدر في الأصل وصف به، فلذلك لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع، يقال: شَبَّ الصَّبِيُّ يَشِبُّ شَبَابًا، وشَابٌّ فاعلٌ، وفاعل لا يجمع على فَعَال؛ فَشَبَابٌ إذًا مصدر وُصِفَ به الجمع، وقوله «تسامى» أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين استثقالاً للجمع بينهما، فإن قيل: هَلاَّ أدغمتَ كما أدغمت في ادَّارَكَ، والأصل تَدَارَكَ؟ قلت: ليس هذا موضع إدغام، لأنه فعل مضارع، ألا ترى أنه لو أدغم لاحتيج إلى جلب ألف الوصل لسكون أوّله، وألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع. والكَهْل: الذي قد وَخَطَه الشَّيْبُ، ومنه «اكتهلَ النَّبْتُ» إذا شمله النَّوْرُ.

٥ ـ وَمَا ضَرَّنَا أنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا   عَزِيزٌ وَجَارُ الأكْثَرِينَ ذَلِيلُ

«وما ضَرَّنا» يجوز أن يكون «ما» حرف نفي، والمعنى لم يضرّنا، ويجوز أن يكون اسمًا مستفهمًا به على طريق التقرير، والمعنى: أيّ شيء، والواو من قوله «وجارنا عزيز» واو الحال، وكذلك الواو من قوله «وجار الأكثرين» وإنّما صلح الجمع بين الحالين لأنهما لذاتين مختلفتين، ولو كانا لذاتٍ واحدةٍ لم يصلحْ، والعزّ والعزازة استعمل في القدرة والمنع وفي الصّلابة والشّدّة، يقال: تَعَزَّزَ اللّحمُ؛ لأن الكلَّ يرجعُ إلى أصلٍ واحدٍ، كما أنَّ الذُّلَّ والذِّلَّ الذي هو ضِدّه استُعْمِلَ في الانقياد والسهولة واللّين يدعو إلى شيءٍ واحدٍ.

---

(١) اعتامَ الشيءَ: اختاره.

٦ - لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ   مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ

مثله: [الطويل]

لَنَا هَضْبَةٌ لاَ يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا   وَيَأْتِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ لِيُعْصَمَا

وأراد بذكر الجبل العزّ والسُّموّ: أي مَنْ دخلَ في جوارنا امتنعَ على طُلاَّبِهِ، وَحَلَّ واحْتَلَّ بمعنى، والطَّرْفُ: النَّظر والعين جميعًا، ومَنِيع: اسم الفاعل من مَنُعَ مَنَاعةً وَمَنَاعًا، ويجوز أن يكون فَعيلاً بمعنى مفعول: أي ممنوع منه، كما استعمل المنيع في العزّ استعمل أيضًا في العفّة؛ فقيل: امرأةٌ منيعةٌ ومُتَمنِّعةٌ، ولمكان هذا البيت نسبت القصيدة إلى السَّموأل، وظنَّ أن هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الأبلق الفرد، وفي بعض الرّوايات بيت:

هُوَ الأَبْلَقُ الفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ   يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

وقال بعضهم: الجبل هنا العزّ والمَنَعَة.

٧ - رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وسَمَا بِهِ   إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لاَ يُنَالُ طَوِيلُ

رَسَا أصلُه: أي ثبتَ أصلُه في الأرض، والرُّسُوُّ والرّسوخ يتقاربان، والثَّرى: النَّدى، وما تحت الأرض ثَرَى ويُقال: ثَرَى ثَرِيٌّ على المبالغة، وقد طابق الرُّسُوَّ بالسّمُوّ، كما قابل الأصلَ بالفرعِ.

٨ - وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا نَرَى القَتْلَ سُبَّةً   إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

كان الوجه أن يقول: ما يرون القتلَ سُبَّةً، حتى يرجع الضَّمير من صفة القوم إليه. ولا يَعْرَى منه، لكنه لمّا عَلِمَ أنَّ المرادَ بالقومِ هم قال «ما نرى» وقد جاء في الصّلة مثل هذا، وهو فيه أفظع، قال: [الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَه[1]

وَالوجه «سَمَّتْهُ» حتى لا تعرى الصّلةُ من ضمير الموصول، قال المازني: لولا صحّة مورده وتكرّره لرَدَدته، والقتلُ: إصابةُ القَتَال، والقَتَال: النفس، فكأنه إذا قال «قتلته» أراد أنه أصابَ قَتَاله: أي نفسه، كما أنه إذا قال «رَأَسَه» أراد أنه أصابَ رأسَه، يقول: إذا حَسِبَ هؤلاء القتلَ عارًا عَدَّهُ عشيرتي فخرًا، والسُّبَّةُ: ما يُسَبُّ به، كما أن الخُدْعَةَ ما يُخْدَعُ به، وأصل السَّبِّ: القَطْعُ، ثم اسْتُعْمِلَ في الشَّتْم، وهذا كما يقال: فلانٌ يقطعُ أعراضَ النّاسِ، وقوله «ما نرى» أي لا نجعلُ ذلك مذهبًا. وعامر وسلول: يعني عامر بن صعصعة، وبنو

(١) ورد في اللّسان (ح د ر) ونسب إلى الإمام علي بن أبي طالب. وحَيْدَرَةُ: الأسدُ.

سلول هم بنو مرّة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان.

٩ ـ يُقَرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ وَتَطُولُ

أي: حُبُّنا للموت، وقد ألَمَّ بقول الآخر في المصراع الأول: [الطويل]

رَأَيْتُ الكَرِيمَ الحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

لأنه يشير إلى أنهم يُعْتَبَطُونَ لاقتحامِهِم المنايا، وأن أولئك يُعَمَّرون لمجانبتهم الشَّرَّ، ويجوز أن يكون أضافَ الحبّ في قوله «حبُّ الموتِ» إلى الفاعل وهو الموت، ويكون كقوله: [الطويل]

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ(١)

ويكون على هذا «وتكرهُه آجالُهم» محمولاً على أنه إذا كرهت آجالهم الموتَ فقد كَرِهَ الموتُ آجالَهم أيضًا؛ ألا ترى قول دريد: [الطويل]

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ أَبَوْا غَيْرَهُ وَالقَدْرُ يَجْرِي إلَى القَدْرِ

وروى بعضهم «يُقَصِّرُ حُبُّ الموت» واختاره ليكون القصر بإزاء الطول، وهم لا يراعون مثل هذا إذا تناسبت المعاني وتقابلت، ويكون ذلك منهم كالمبرىء من التكلّف، ألا ترى أبا ذؤيب قال: [المتقارب]

وَشِيكُ الفُضُولِ بَعِيدُ القُفُو لِ إلاَّ مُشَاحًا بِهِ أَوْ مُشِيحَا(٢)

وكان يمكنه أن يقول «بطيء القفول» فلم يراعِ ذلك.

١٠ ـ وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ

«حَتْفَ» انتصب على الحال، ولم يستعمل منه حُتِفَ، ولا هو محتوف، وليس هذا مثل تَبَسَّمَتْ وَمِيضَ البرقِ، ويقال: إنَّ أوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بقولهم «حَتْفَ أنفِهِ» النَّبيّ ﷺ، وتحقيقه كان حتفه بأنفه أي بالأنفاس التي خرجت من أنفه عند نزوع الرّوح، لا دفعةً واحدةً، ويقال: خُصَّ الأنفُ بذلك لأنه من جهته يتقضّى الرَّمَق، ويُروى:

وما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ في فراشِهِ

---

(١) تمام البيت لطرفة بن العبد:

أرى الموتَ يَعْتَامُ الكرامَ ويَصْطفي عَقِيلَةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ

(٢) البيت في شرح أشعار الهذليين ص ٢٠٢؛ ولسان العرب (فصل) و(فضل)؛ وتاج العروس (فضل).

وهذه الرواية رواية مَن يجعل القصيدة جاهلية، وقوله «ولا طُلَّ مِنّا حيث كان قتيلُ» أي: لم يَبْطُلْ دَمُ قتيلٍ مِنّا، يقال: طُلَّ دَمُهُ، إذا بطلَ ولم يطلبْ به، وهو مطلولٌ، وقد طَلَّه فلانٌ: أبطَلَه، يقول: إنّا لا نموتُ، ولكن نقتل، ودم القتيل مِنّا لا يبطل.

١١ - تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا　　وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ

ويُرْوَى:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنَا

أي: أرواحنا، ويقال: دماؤنا، والدّمُ يُسَمَّى النَّفس، وسُمِّيَتِ النُّفَسَاءُ نفَسَاء بالدّم السّائل منها أيام ولادها، وإنّما قال «وليست على غير الظُّبَاتِ تسيلُ» ولم يقل «على غيرِها تسيلُ» في الرّوايتين لأنهم يكرّرون أسماءَ الأجناسِ والأعلامِ كثيرًا، ولا سيما إذا قصدوا التَّفخيمَ بها، كما قال عديّ: [الخفيف]

لاَ أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيْءٌ　　نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

وفي إضافة الحدّ إلى الظُّبَاتِ وجهان: أحدهما أن يكونَ أرادَ بِالظُّبَاتِ السّيوف كلّها، ثم أضافَ الحدّ إليها، وهذا كما يُسَمَّى السَّيف كما هو نصلاً، وكما يسمّى السَّهم نَصْلاً كما هو؛ والثاني أن تكون إضافة الحدّ إلى الظّبات كإضافة البعضِ إلى الكلّ ويكون التّقدير تسيلُ على الحدّ من الظُّبَاتِ، وتكون الظّبات: مضارب السّيوفِ، فإنْ قيل: كيف تَبَجَّح بأن تكون دماؤهم تسيلُ على حَدِّ السّيوفِ لا على غيره؟ قلت: إن الدّماءَ قد تُسَالُ بِالعِصِيِّ وغيرِها مما لا يكون شرفًا، فَعَدَّ القِتْلَةَ بالسَّيفِ أكرم. وسمّوا بني أسد «عبيدَ العصا» لما كان من حُجْرٍ أبي امرىءِ القيس حين أوقعَ بهم قتلهم بها لتكون قِتلتهم ذميمة، وقال الآخر[1]: [الكامل]

وَلاَ نُقَاتِلُ بِالعِصِـ　　ـيِّ ولاَ نُرَامِي بالحِجَارَهْ
إلاَّ عُلاَلَةَ أَوْ بُدَا　　هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ

وأما قوله: [المنسرح]

لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا　　رُمِّلَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمِ[2]

فإنَّ الفحلَ الهجينَ إذا تعرَّضَ للناقة الكريمة قرعَ أنفَه بِالعَصَا وضُرِبَ وَجهُهُ بها فهذا من ذاك مأخوذٌ، والمصراعُ الأوّلُ دَلَّ على الشَّجاعةِ، والثّاني على العزّ والمنعة.

١٢ - صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدَرْ وَأَخْلَصَ سِرَّنَا　　إنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ

---

(١) البيتان للأعشى في ديوانه ص ١١٤؛ وفي اللسان (ب د ه) ورواهما سيبويه ١/ ٩١ و٢٩٥.
(٢) الشعر في معجم البلدان ١/ ٦٣ (أبانان) لمهلهل بن ربيعة أخو كليب.

أي: صَفَتْ أنسابُنا فلم يَشُبْها كَدَرٌ، يقال: كَدِرَ الماءُ يَكْدَرُ كَدَرًا وكُدُورًا وَكُدُورَةً وهو أَكْدَرُ وَكَدِرٌ، وَكَدَرَ يَكْدُرُ بمعناه، والسِّرُّ هٰهنا: الأصلُ الجيّدُ، يقال: إنَّ فلانًا ليضربُ في سِرٍّ: أي في أصلٍ جَيِّدٍ، والسّرُّ في غير هذا الموضع: النّكاحُ، سُمِّيَ بذلك لأنه يُفْعَلُ سِرًّا، والسِّرُّ في غير هذا أيضًا: اسمٌ لِذكرِ الرّجل.

١٣ ـ عَلَوْنَا إلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا　　لِوَقْتٍ إلَى خَيْرِ البُطُونِ نُزُولُ

١٤ ـ فَنَحْنُ كَمَاءِ المُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا　　كَهَامٌ وَلاَ فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ

ماءُ المطر أصفى المياه عندهم، فَشبَّهَ صفاءَ أنسابِهم بصفاءِ ماءِ المطرِ. وَالمُزْنُ: السَّحابُ الأبيضُ وماؤه أطهرُ المياهِ لِسلامته من الاستعمال، ويجوز أن يكون المراد به السّخاء: أي نحن كالغيثِ ننفعُ النَّاسَ ونخلُفُ المطرَ، وسُمِّيَ المنذرُ ماء السَّماء لأنّه كان يكفي النَّاسَ إذا أجدبوا. والنِّصاب: الأَصْلُ، ومنه نِصاب السّكين، وَالْكَهَام: الكَليل الحدِّ، أي كلٌّ مِنَّا نافذٌ ماضٍ ولا فينا بخيلٌ فَيُعَدَّ، وهذا نفيُ البخلِ رأسًا، وليس يريد أن فيهم بخيلاً يعدّ، ومِثله: [السريع]

ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ[١]

أي: ليس بها ضَبٌّ رأسًا فينجحر. ويقال: كَهُمَ يَكْهُمُ وَكَهَمَ يَكْهَمُ كَهَامَةً فهو كَهَامٌ وَكَهِيمٌ، يقال ذلك للرّجل إذا ضَعُفَ، ولِلسَّيفِ إذا كَلَّ. أبو هلال: هذا البيت مَعيب لأن الكهوم والمضاء ليسا من ماء المزن في شيء، وكان ينبغي أن يقول: ونحن كماءِ المزن صَفَاءَ أخلاقٍ وبَذْلَ أَكُفٍّ: أي ونحن سيوف لا يعتريها كهوم، ولا يشينها كلول.

١٥ ـ وَنُنْكِرُ إنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ　　وَلاَ يُنْكِرُونَ القَوْلَ حِينَ نَقُولُ

هذا كقول الآخر: [الطويل]

وَمَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ عَقْدًا يَشُدُّهُ　　وَيَنْقُضُهُ مِنْهُمْ وَإنْ كَانَ مُبْرَمَا[٢]

١٦ ـ إذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلاَ قَامَ سَيِّدٌ　　قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الكِرَامُ فَعُولُ

وهذا يشبه قول حاتم: [الطويل]

إذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ　　نَظِيرٌ لَهُ يُغْنِي غَنَاهُ ويُخْلِفُ

١٧ ـ وَمَا أُخْمِدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ　　وَلاَ ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

---

(١) البيت في أساس البلاغة (ج ح ر)؛ وفي الخزانة ٤/ ٢٧٣ لابن أحمر وصدره: «لا تفزع الأرنب أهوالها».

(٢) عند المرزوقي نشدّه وننقضه.

أراد نارَ الضّيافةِ: أي نُدِيم إيقادَها فلا تطفأ دون طارقِ ليلٍ، والطُّروقُ يختصّ باللَّيلِ دونَ النَّهارِ، ويُسَمَّى النَّجمُ طارقًا لذلك.

١٨ - وَأَيَّـامُـنَـا مَـشْـهُـورَةٌ فـي عَـدُوِّنَـا لَـهَـا غُـرَرٌ مَـعْـلُـومَـةٌ وَحُـجُـولُ

أي: وقعاتنا مشهورةٌ في أعدائنا، فهي بين الأيام كالأفراس الغُرِّ المُحَجَّلَةِ بين الخيلِ، وَالحِجْلُ: أصله الخَلْخَالُ، فلمَّا كان البياضُ في موضع الخَلخالِ وفوق ذلك سُمِّيَ الفرسُ مُحَجَّلاً.

١٩ - وَأَسْـيَـافُـنَـا فـي كُـلِّ غَـرْبٍ وَمَـشْـرِقٍ بِـهَـا مِـنْ قِـرَاعِ الـدَّارِعِـيـنَ فُـلُـولُ

القِراع: المقارعة، وهو أن يقرعكَ وتقرعه، والذي تضرب به المِقْرَعَةُ وسُمِّيَتْ حلقةُ البابِ إذا كانت مستطيلة مِقْرَعة: أي تَفَلَّلَتْ سيوفُنا مما نضاربُ بها الأعداء، وقال «من قراع الدَّارعين» لأن الغرض أن يكون عدوّهم على غاية الاحتراز منهم. والدّارعين: أصحاب الدّروع، ولا يُصَرَّفُ منه فعلٌ، إنما هو بمعنى النسبة، وقوله «في كلِّ غربٍ ومشرقٍ» ظرفٌ لِقراعِ الدَّارعين، أي بأسيافنا فُلولٌ من القِراع في كلِّ شرقٍ ومغربٍ.

٢٠ - مُـعَـوَّدَةً أَنْ لاَ تُـسَـلَّ نِـصَـالُـهَـا فَـتُـغْـمَـدَ حَـتَّـى يُـسْـتَـبَـاحَ قَـبِـيـلُ

انتصبَ «مُعَوَّدَةً» على الحال، ويجوز أن يرفع على أن يكون خبر ابتداء مُضْمَر، والعامل فيه إذا كان حالاً ما يدلّ عليه قوله: «بها من قراع الدّارعين فلولُ» يقول: عُوِّدَتْ سيوفنا أَنْ لا تجرّد من أغمادِها فتردّ فيها إلا بعد أن يستباحَ بها قبيل، والقبيل: الجماعة من آباء شَتَّى، وجمعه قُبُل، والقبيلةُ: الجماعةُ من أبٍ واحدٍ، وجمعها قبائل، ويقال: عَوَّدْتُهُ كذا فَتَعَوَّدَهُ واعتادَه، والعادَةُ: من العَوْدِ وهو الرّجوعُ، ويقال: غَمَدْتُ السَّيفَ وأغمدْتُه، وأصله السَّتْرُ، ومنه تَغَمَّدَهُ اللَّهُ برحمته.

٢١ - سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاس عَنَّا وعَنْهُمُ وَلَـيْـسَ سَـوَاءً عَـالِـمٌ وَجَـهُـولُ

ويُرْوَى:

سَلِي إن جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا فَتُخْبَرِي

أي: إنْ كُنتِ جاهلةً بنا فَسَلِي النَّاسَ تُخْبَرِي بحالنا، فالعالم والجاهل مختلفان، وينتصبُ فتخبري بأن مضمرة، وهو جواب الأمر بالفاء، وَسَوَاءً: أي استواءً، كما تقول: هذا درهم تمامًا: أي تَمَّ تمامًا، وفي القرآن ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[1] أي: مستويات، وقُرِيءَ ﴿سَوَآءٍ﴾ على المصدر كأنه قال: استواءً، وحكى الأخفش: هما سَوَاءٌ وَسَوَاءان وَأَسْوَاء في الجمع.

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ١٠.

٢٢ - فَإِنَّ بَنِي الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ   تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

القُطْب: الحديد في الطبق الأسفل من الرَّحا يدور عليه الطَّبقُ الأعلى، وبه سُمِّيَ قطب السَّماء لما يدور عليه الفلك، وعلى التشبيه قالوا: فلانٌ قُطْبُ بني فلان: أي سَيّدهم الذي يلوذون به، وهو قطبُ الحربِ، والمرادُ بالقطب هٰهنا أن أمر قبيلتهم بهم يتمّ كتمامِ أمرِ الرّحا بالقطبِ، وقال أبو محمد الأعرابي في رَدِّهِ على النّمريّ: قوله: قال السَّموأل: «وأسيافنا في كل غربٍ ومشرقٍ» هذا البيت لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، لا للسَّموأل بن عادياء الغساني، ويدلّك على ذلك قوله في القصيدة: «فإن بني الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقومهم» وَالدَّيَّانُ: هو يزيد بن قَطَنٍ بن زِياد بن الحارث الأصغر بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث الأكبر، وقال النمري: فإنْ قال قائلٌ: لِمَ قَدَّمَ الغربَ على الشَّرقِ وَالعادة جارية أن يقال الشرق والغرب؟ فالجواب عن ذلك أنه قَدَّم الغربَ لحلولِه وحلولِ قومِه فيه، وأنه دارهم، والقطر الذي يدنو منهم، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «عِيٌّ صامتٌ خَيْرٌ من عيٍّ ناطِقٍ» كيف يكون الغرب منزل الحارث بن كعب، وهم ينزلون اليمن ناحية الجنوب، ولا أدري ما أنكر أبو عبد الله من رواية مَنْ رَوَى وهو الصّحيح: «وأسيافنا في كلّ شرقٍ ومغربٍ»، ومعنى ذلك أنهم يُبْعِدون الغارات في نواحي نجدٍ وتهامة، وهو قول عُرْوَةَ بن الوَرْد: [الطويل]

تقولُ لكَ الوَيْلاتُ هَلْ أَنتَ تَارِكٌ   ضُبُوءًا بِرَجْلٍ مَرَّةً وَبِمَنْسَرِ
فَيَوْمًا على نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا   وَيَوْمًا بِأَرْضٍ ذَاتِ شَثٍّ وَعَرْعَرِ

[١٧] قال الشَّمَيْذَرُ الحارثيّ:

الشَّمَيْذَرُ: صفة منقولة، وهو في الأصل السّريع الخفيف، يقال: سيرٌ شَمَيْذَرٌ: أي سريع، واشتقاقه من الشَّمْذِ والشَّذر، والشَّمْذُ: رَفْعُ النّاقة الذَّنَبَ، والشّذر: النشاط والسرعة في الأمر، وقال أبو العلاء: ويقال إن الشَّميذر السَّيِّىء الخلق، وقيل: اسم هذا الشّاعر الشَّمْذَر، وهي دابة، قال البرقي: هذا الشّعر لِسُوَيْد بن صمَيْعٍ المَرْثَدِيّ من بني الحارث، وكان قُتِلَ أخوه غِيلةً، فقتلَ قاتلَ أخيه نهارًا في بعض الأسواقِ من الحَضَرِ، وَسُوَيْد: تصغير أسود مرخَّمًا، وَصُمَيْع: تصغير أصمع وهو اللَّطيف.

١ - بَنِي عَمِّنَا لاَ تَذْكُرُوا الشِّعْرَ بَعْدَمَا   دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيَا

الضّرب الثاني من الطّويل، والقافية من المتدارك.

الصّحراء: اسم للمكان الواسع، والجمع صَحَارٍ وَصُحَرٌ، وَالغُمَيْرُ: موضع، وفي دفنهم القوافي قولان: أحدهما أنكم انهزمتم بصحراءِ الغُمَيْرِ، ولم تفعلوا ما تستوجبون به المَدْحَ، فلا تذكروا الشِّعرَ، فليس لكم مفخرة تفخرون بها في الشّعر بعد انهزامِكم: أي لا

تكلّفوا أحدًا مَذْحَكُمْ، ولا تفتخروا في شعرٍ أبدًا، فقد دفنتم القوافي بهذا الموضع لِسوءِ بلائِكم، والثاني أنه قتل شاعرهم ودفن بصحراءِ الغُمَيْرِ، يقول: لستم بقادرين على الشّعر وقد دفنتم شاعرَكم بصحراءِ الغُمَيْر، فلا تتكلّفوا ما لستم من أهلِه، فعلى هذا ذكر المضاف إليه وترك المضاف، كأنّه قال: دفنتم صاحبَ القوافي، وأراد بالقوافي القصائد، والقصيدة تُسَمَّى قافية لأنها بالقوافي تتمّ، أو سُمِّيَتْ قافية لأنها تَقْفُو الكلامَ، وقافية البيت عند الأخفش: آخِرُ كلمة في البيت، وقال غيره: القافية من كلمتين في آخر البيت، وقال آخرون: هي المصراع الأخير، والقول قول الأخفش؛ لأنّا رأيناهم إذا قالوا البيتَ حتى تبقى منه كلمة قالوا: بَقِيَت القافيةُ، ولو أنَّ شاعرًا قال لك: اجمعْ لي قوافي؛ لم تجمع له أنصافَ أبياتٍ، وإنما كنت تجمع له كلمات أواخرها الحرف الذي يريد أن يجعله رَوِيّ القصيدة، واشتقاقها من قولهم: قَفَوْتُ الرَّجُلَ، إذا جِئْتَ خَلْفَهُ، وفي القرآن﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾[1] أي: أتبعنا بعضهم بعضًا.

٢ ـ فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً   فَنَقْبَلَ ضَيْمًا أوْ نُحَكِّمَ قَاضِيَا

٣ ـ وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِيكُمْ مُسَلَّطٌ   فَنَرْضَى إذَا مَا أصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيَا

السَّلَّةُ: السَّرِقَةُ، ورجل مُسِلٌّ مُغِلٌّ: سَرَّاقٌ خَوَّانٌ، وفي بَني فلان سَلَّةٌ: أي سَرِقَةٌ، وانتصب «سَلَّةً» على أنه مصدر في موضع الحال، والتقدير تصيبونهم سالّين: أي سارقين، يقول: لسنا كمَن كنتم تقصدونه وهو منفردٌ شاذٌّ فتصيبونه سرقة فنغضي على الضَّيم أو نُحاكمكم إلى قاضٍ، ولكنّا أُولو منعة نُحْكِمُ السَّيفَ فيكم، فلا نرضى بحكم القضاةِ، بل نقضي لأنفسِنا كيفَ نريدُ، وحُكْمُ السَّيفِ أن يُضْرَبَ به حتّى ينفل، ورضاه أن يعملَ حتى يكلَّ، فإنه ما دام يقتلُ فكأنه يقبلُ الضَّرْبَ، والمعنى: إنَّا نقتلُ جهارًا لثقتنا بأنفسنا، ونحكمُ السيفَ فيكم إلى أن يكلّ، ولسنا مثلكم قتلتم منّا سرقة، وقيل: إنَّ القومَ الذين يخاطبُهم كانوا قتلوا أخاه فأخذ ديته ثم قتل قاتله.

٤ ـ وَقَدْ سَاءَنِي ما جَرَّتِ الحَرْبُ بَيْنَنَا   بَنِي عَمِّنَا لَوْ كَانَ أمْرًا مُدَانِيَا

جَرَّتْ: أي جَنَتْ، ودَلَّ قوله «لو كان أمرًا مدانيًا» على أنه لم يَسُؤْهُ ما جَنَتِ الحرب بينهم لأنه وقع باستحقاق، ألا ترى أنه قال ساءني ذلك لو كان الأمر المؤدّي إليه أمرًا مدانيًا، والمراد لو كان الأمر أمرًا مدانيًا لساءني، وإذا كان كذلك فجواب لو متقدّم، وتلخيصه لو كان ما ترددنا فيه قريبًا لساءني ما جنته الحرب بيننا ولكن الآن لم يَسُؤْني.

٥ ـ فَإنْ قُلْتُمْ إنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ   ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أسَأْنَا التَّقَاضِيَا

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

«أسأنا التّقاضيا» فيه قولان: أحدهما القتل بعد أخذ الدّية، والآخر قتل جماعة بواحد، ويحتمل أن يكون قتلنا واحدًا بواحد وأسأنا بذلك عندكم، ولم نظلم لأن القصاص حَق، ورواه بعضهم «فإن تَزْعُمُوا أَنَّا ظلمنا» والزَّعْمُ في دَفْعِ الدّعوى أبلغ، وإنما نبّه بهذا الكلام على أنه لا يَعُدُّ ما عُومِلُوا به ظلمًا، مع كون ابتدائه منهم، ولكنّا أسأنا التّقاضيا حين استخرجنا الحقَّ بالعنفِ والقهرِ، فكأنه سمّى ما عَدَّهُ أولئك ظلمًا سوءَ تَقَاضٍ، والظّلم: وَضْعُ الشّيءِ في غير موضعه، ومنه قيل للأرض الصّلبة إذا حُفِرَتْ: مظلومة، ولِلسقاءِ إذا تنوقل ما فيه قبل إدراكه: ظليم، وقيل: الظّلم: انتقاصُ الحقّ، وقوله «فلم نَكُنْ ظَلمنا» إذا كان من حكم الجواب أن يكون طبقًا للابتداء ومبنيًّا عليه فكان من الواجب أن يقول «فإن قلتم إنّا كنا ظلمنا» ألا ترى أنّا نقول في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾[1] إنه كأنه جواب قائل قال: فإن كان الله سيعذّبهم، فنفى على حَدِّ الابتداء وطريقته، لكن الشّاعر حذف من الابتداء «كنّا» لأن ما في الجواب يدلّ عليه، وفيكم كما يقول أحد الحيّين المتحاربين: حُكْمُ اللّهِ فينا نافذٌ، يريد فينا وفيكم، قال أبو محمد: هذا خطأ، والصّواب ما أنشدناه أبو الندى:

وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِينَا مُسَمَّطُ

وهذا مثل، تقول العرب «حُكْمُكَ مُسَمَّطًا» أي: احكمْ فحكمُكَ مُرْسَلٌ جَائز.

[١٨] وقال وَدَّاكُ بْنُ ثُمَيْلِ المَازِنِيُّ[2]:

وقال البرقي: هو وَدَّاك بن سِنَان بن ثُمَيْل، وَدَّاكٌ: فَعَّال من الودك والدُّكَة، وأصله الصّفة، ألا ترى أن فَعَّالاً بابه الصّفة، وقلّما يوجد في الأسماء، وفي الكتاب من ذلك الكَلاَّء والجَبَّان، قال أبو الفتح: وزادنا أبو علي الفَيَّاد ذكر البوم، ووجدت أنا الجَيَّار، وهو السّعال أو نحوه والصاروج أيضًا، وَثُمَيْل: تصغير ثمل أو ثمل أو ثامل على الترخيم، ويقال فيه أيضًا نُمَيْل بالنون، والمازن: بيض النَّمْل خاصة، قال: [الكامل]

وَتَـرَى الـذَّمِيـمَ عَـلَـى مَـراسِـنِـهِـم غِـبَّ الـهِـيَـاجِ كَـمَـازِنِ الـجَـثْـلِ[3]

يعني النّمل، فأضافه إليه احتياطًا وإن كان لا يكون إلاّ منه.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) وداك بن ثميل المازني: شاعر من الفرسان، ممّن اختار لهم أبو تمام في الحماسة. (ترجمته في: سمط اللآلي ٤٢١، ٥٤٤؛ ومعجم ما استعجم ص ٧٤٠).

(٣) البيت للحادرة في ملحق ديوانه ص ١٠٤ وبلا نسبة في اللسان (مزن) وتهذيب اللغة ١٣/ ٢٣٢؛ وجمهرة اللغة ص ١١٩؛ والمخصّص ٢/ ٥٦؛ وأساس البلاغة (رسن) و(مزن)؛ وكتاب العين ٨/ ١٧٩.

١ ـ رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تُلاَقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَفَوَانِ

من الضَّرب الثَّالث من الطويل، والقافية من المتواتر.

ويُروَى «رويدًا بني شيبان» وهو الأكثر، ورويد: تصغير إِرْوَادٍ، وهو مصدر أَرْوَدْت فلانًا على طريق التَّرخيم، وانتصابه بفعل مُضْمَر دَلَّ عليه لفظه وأكثر ما يجيء تصغير التَّرخيم في الأعلام، وقد يجعل رُوَيد اسْمًا لارْفقْ فيبنى حينئذٍ كما تُبنى أخواته من أسماء الأفعال، على ذلك ما جاء في المثل من قولهم: رُوَيْدَكَ الشِّعْرَ يَغِبُّ، وقوله «بعضَ وعيدكم»: انتصب بفعل مُضْمَر دَلَّ عليه رويد، لأن مع استعمال الرّفق كفاء عن بعض الوعيد، فكأنه لما قال أرودوا يا بني شيبان قال: كفوا بعض الوعيد، وهذا تهكّم، وقوله «تلاقوا»: انجزم على أنه جواب الأمر الذي دلَّ عليه رويد وإنما جعل للأمر الجواب لأنه ضمن معنى الجزاء والشّرط، وقوله «غدًا»: لم يشر به إلى اليوم الذي هو غَدُ يومِه، وإنما دلَّ به على تقريب الأمر، كأنه قال: تلاقوا خيلي قريبًا على سَفَوَان، وهو ماءٌ على أميالٍ من البصرة، وكانت بنو شيبان تُوعِدُ تميمًا، وتزعمُ أنّ سَفَوَانَ لهم، وأرادوا إجْلاءَ بني مازن عنه ومَن كان معهم من بني تميم.

٢ ـ تُلاَقُوا جِيَادًا لاَ تَحِيدُ عَنِ الوَغَى إذَا مَا غَدَتْ في المَأْزِقِ المُتَدَانِي

تلاقوا هذه بدل من تلاقوا الأولى، نَبَّهَ بهذا على أن المراد بالخيل الفرسان، ويجوز أن يكون أراد بالخيل الدّواب، ووصفها بأنها لا تجبن عن الوغى لدوام مُمَارستها له، ثم خبَّرَ في قوله تلاقوهم عن أربابها، والوغى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة: أصله الجَلْبَة والصّوت سُمِّيَتِ الحرب به، قال الهذلي: [الوافر]

كَأَنَّ وَغَى الخَمُوشِ بِجَانِبَيْهِ وَغَى رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِي هِيَاطِ[١]

الخَموش: البعوض، وهِيَاط: منازعة، يصف ماء. والحيد: العدول عن الشيء، والمأزِق: المضيق وأصله من الأَزْقِ وهو الضيق في الحرب، فهو مَفْعِل منه.

٣ ـ عَلَيْهَا الكُمَاةُ الغُرّ مِنْ آلِ مَازِنٍ لُيُوثُ طِعَانٍ عِنْدَ كُلِّ طِعَانِ[٢]

٤ ـ تُلاَقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيفَ صَبْرُهُمْ عَلَى مَا جَنَتْ فِيهِمْ يَدُ الحَدَثَانِ

---

(١) البيت للمتنخّل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٧٢؛ واللسان (خمش وزيط ولغط ووعى)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣١٧؛ وللهذلي في جمهرة اللغة ص ٦٠٣؛ والمخصّص ٨/ ١٨٥؛ وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١٣/ ٢٣٤؛ ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٩. ويُرْوَى (زئاطِ) كما في تاج العروس (ز أ ط).

(٢) هذا البيت غير موجود عند المرزوقي.

أي: تلاقوا من بلائهم ما يستدلُّ به على حُسْن صبرهم. على ما جَنَتْ: أي على جنايةٍ، وموضعه نصب على الحال، والعامل فيه «تعرفوا» وقوله «يَدُ الحدثان» أراد الحوادث، وليس للحدثان يد، وإنما استعار ذلك لأن أكثر الجناية باليد تكون.

٥ ـ مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ   بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِ

مَقَاديم: جمع مِقدَام، وهو الكثير الإقدام في الحرب، والرَّوْع هٰهنا: الحرب، وأصله الفزع، وسمّيت روعًا لما فيها من الفزع، وهذا مثل قول كعب: [الكامل]

نَصِلُ السُّيُوفَ إذَا قَصُرْنَ بخطوِنا(١)

وقوله «بكل رقيق الشّفرتين» أي الحدَّين، وأصل الشَّفْر القطع، وسمّي الحرف من كل شيء شفرًا لأنه كالمقطوع منه.

٦ ـ إذَا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمُ   لأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانِ

الاستنجاد: الاستنصار، يقول: هؤلاء لحرصهم على الحرب إذا استنصرهم صارخٌ ودعاهم إلى الحرب لم يطلبوا علّةً يتأخرون عنها، ومثله: [البسيط]

كُنَّا إذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ   كَانَ الصَّرَاخَ لَهُ قَرْعُ الظَّنَابِيبِ(٢)

الظَّنابيب: جمع ظُنْبُوب، وهو عظم السّاق، والصّارخ: المستغيث، والصَّارخ: المغيث، ومعنى البيت أنه إذا أتاهم مستغيث كانت إغاثتهم إياه ركوب الخيل.

[١٩] وقال سَوَّارُ بْنُ المُضَرِّبِ السَّعْدِيُّ:

من سعد بن تميم، وقال البرقي: من سعد بن كلاب، سَوَّارٌ: فعَّال من سار يسور، صفة، وأنشدوا بيت الأخطل: [البسيط]

لاَ بِالحَصُورِ ولاَ فِيهَا بِسَوَّارِ(٣)

أي: معربد، ويقال أيضًا «بسَئَّآرِ» أي لا يُسْئِرُ في قَدَحِه فضلةً من شرابه وهو قليل النّظير؛ لأنه ليس في الكلام أَفْعَلَ فهو فَعَّال، إلا أحرف يسيرة وهي هذا الحرف أَسْأَر فهو

---

(١) صدر بيت لكعب بن مالك الأنصاري كما في السِّيرة ص ٧٠٥؛ وشرح شواهد المغني ص ١٢٢؛ والخزانة ٣/ ٢٢؛ ونسبه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٢٧٩ إلى ربيعة بن مقروم. وعجزه: «قدمًا ونلحقها إذا لم تلحق».

(٢) البيت لسلامة بن جندل في المفضليات ١/ ١٢٣.

(٣) صدر البيت: «مَنْ شاربٌ مُرْتَجٌ بالكاسِ نادَمَني»، وهو في ديوان الأخطل ص ٧٩؛ وإصلاح المنطق ص ١٤٢؛ وبغية الوعاة ١/ ٢٠٥؛ واللسان (حصر وسور)؛ وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٣٣٢؛ ومجالس ثعلب ١/ ٥٧٧.

سَتّآر، وأدرك فهو دَرَّاك، وأجْبَر فلان فلانًا على كذا فهو جَبَّار، وأقْصَرَ عن الشَّيء فهو قَصَّار، وعلى أنهم قد قالوا قصرت عن الشّيء، وجبرته على كذا، والأول أفصح، ومضرَّب ـ بفتح الراء ـ أي ضُرِبَ مرة بعد مرة، وسُمِّي مُضَرَّبًا لأنه شَبَّبَ بامرأة فقال فيها: [الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ وَاجِدٌ مَلاَقِيهَا قَدْ دُيِّثَتْ بِرُكُوبِ

فحلف أخوها ليضربنّه بالسَّيفِ مائةَ ضربةٍ، فضربه فَغَشِيَ عليه، ثم أفاق فقال: [الوافر]

أَفَقْتَ وَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيقَا فَذَاكَ أَوَانُ أَبْصَرْتَ الطَّرِيقَا

وَكَانَ الجَهْلُ مِمَّا يَزْدهِينِي عَلَى غُلَوَائِهِ حَتَّى أَذُوقَا

فَسُمِّيَ مُضَرَّبًا لذلك.

١ ـ فَلَوْ سَأَلَتْ سَرَاةَ الحَيِّ سَلْمَى عَلَى أنْ قَدْ تَلَوَّنَ بِي زَمَانِي

من الضرب الأول من الوافر، والقافية من المتواتر.

وسَرَاة النّاس: خيارهم، وقال الخليل: السَّرْوُ: سَخَاءٌ في مروءة، يقال: سَرَا يَسْرُو فهو سَرِيٌّ، ولم يجىءْ على فَعَلَةٍ غيرها، يعني أن فَعَلَة يختصّ بها الصَّحيح في الجمع دون المعتل، وذلك كالفَجَرَة والفَسَقَة، وَتَلوُّن الزّمان به: تصاريفه في الخير والشّرّ، وقوله «على أن قد تلوّن» أنْ إذا وُصِلَ بالماضي أفاد حَدَثًا ماضيًا، وإذا وُصِلَ بالمستقبل أفادَ حَدَثًا مستقبلاً.

٢ ـ لَخَبَّرَهَا ذَوُو أَحْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكُلٌّ قَدْ بَلاَنِي

«لخبَّرَهَا» جواب «لو سَأَلَتْ»، وأحساب: جمع حَسَب، وهو ما يُعَدُّ ويُحْسَب عند التَّفاخر، «فكلٌّ قد بلاني» أي: قد جَرَّبني، يقال: بَلَوْته واختبرته، ومنه البَلْوَى لأن الإنسان يُخْتَبر بها، والبلاء على أربعة أوجه: نعمة، واختبار، ومكروه، وهو بمعنى البِلَى أيضًا، يقال: بَلِيَ الشيءُ بِلًى وَبَلاءً، بالكسر والقصر والفتح والمدّ، يقول: يَعْرِف حُسْنَ صنيعي أعدائي وغيرُهم، وكلٌّ يشهدُ لي بالفضل، وإذا أَقَرَّ به ذوو الأحساب كان غيرهم أقرب إلى ذلك، وهذه جملة اعترضت بين خبر ومفعوله، وهو قوله:

٣ ـ بِذَبِّي الذَّمَّ عَنْ حَسَبِي بِمَالِي وَزَبُّونَاتِ أَشْوَسَ تَيَّحَانِ

والباء من قوله «بذبّي» تتعلق بقوله «لخبّرها» والفاء في قوله «فكل» دخلت معلقةً لجواب الجملة بها، وزَبّونات: فَعُولات من الزَّبْنِ وهو الدّفع، وتَيَّحَان: هو العِرِّيضُ المِقْدَامُ، وهو فَيْعَلاَن ـ بفتح العين ـ ولا يجوز أن يُروَى بكسرها، لأنّ فَيْعِلاَن لم تَجِىءْ في الصحيح فيبنى المعتلّ عليها قياسًا، ومثل تَيَّحَان هَيَّبَان، وهما صفتان حكاهما سيبويه

بالفتح، ومثالهما من الصحيح قَيْقَبَان وَسَيْسَبان، وتَيِّحان من تاحَ يَتُوحُ ويَتيحُ، لغتان، إذا أشرف وتهيّأ، ورجل مِتْيَحٌ، وقال أبو العلاء: قوله «وزَبُّونات أشْوَسَ تَيَّحَانِ» يعني بالأشوس التَّيحان نفسه، والشَّوَسُ: أن يُضَيِّقَ الرّجل أجفانَه وينظر في أحد شقّيه من الكبر، ويقال: تَشَاوَس، إذا فعل ذلك، قال حُمَيْد بن ثور: [الطويل]

يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـي أنْ أرَى مِـنْ مَـكَـانِـهِ سُـهَـيْـلاً كَـعَـيْـنِ الأَخْـزَرِ الـمُـتَـشَـاوِس

والتَّيَّحَان: يُروى بكسر الياء وفتحها، وهو الذي يعترض في الأمور، وذهب قوم إلى أنه يعني بأشوس تَيَّحَان فرسًا وادَّعَوا أن الزَّبُّونة الأذن، وأنه كَنَّى بالزَّبونات عن رأس الفرس وهاديه، لأن الأُذنين يكونان فيه، فإذا صَحَّ ذلك فهو مثل قولهم: رماهم بِهَادي[1] فرسه وبغرّته، ونحو ذلك، كما قال عنترة: [الكامل]

مَـا زِلْـتُ أَرْمِـيـهِـمْ بِـغُـرَّةِ وَجْـهِـهِ

والمعنى لو سألَتْ سلمى خيارَ الحيّ عني لخبّرها ذوو الأحساب منهم وأعدائي، فكلٌّ قد جَرَّبني بأني أدفع العار عن شرفي بمالي وزبّوناتي، ويجوز أن يكون أراد: إنّي أدفعُ العار عن شرفي وأدفع زبّونات أشوس، وهو المتكبر.

٤ ـ وَإنّـــي لاَ أَزَالُ أَخَـــا حُـــرُوبٍ إذَا لَـمْ أَجْـنِ كُـنْـتُ مِـجَـنَّ جَـانِـي

إذا رويت «أنّي» بفتح الهمزة عطفت على «بِذَبّي الذّم» وكان موضعه جَرًّا، ويكون هذا مما شهد به الأعداء له أيضًا، وإن كسرت «إني» فهو على الاستئناف والانقطاع عمّا قبله، ومعناه إني أُمارس الحروب، فإن لم أجدْ ما يبعثني على محاربة الأعداء طلبت مَن شَقِيَ بمثل ذلك فدافعتُ دُونَه وحامَيْتُ عليه.

[٢٠] وقال بعض بني تَيم اللّه بن ثَعْلَبَةَ:

١ ـ وَلَـقَـدْ شَـهِـدْتُ الـخَـيْـلَ يَـوْمَ طِـرَادِهَـا فَـطَـعَـنْـتُ تَـحْـتَ كِـنَـانَـةِ الـمـتَـمَـطِّـرِ

من الضرب الأوّل من الكامل، والقافية من المتدارك.

قال أبو رياش: هذه الأبيات لبعض بني تَيْم اللّه بن ثَعْلَبَة يوم أوارة، وأُوَارة[2]: موضع، وهو الموضع الذي أحرق به عَمْرو بن هند بني دارم، وهي مأخوذة من أُوار النّار: أي حَرّها، ويقال للعطش: أوار، قال الراجز:

قَـدْ سُـقِـيَـتْ آبَـالُـهُـمْ بِـالـنَّـارِ وَالـنَّـارُ قَـدْ تَـشْـفِـي مِـنَ الأُوَارِ

---

(١) الهادي: العنق لأنها تتقدّم على البدن ولأنها تهدي الجسَدَ، وكلُّ متقدّم هادٍ.
(٢) أُوارة: اسم ماء أو جبل لبني تميم، قيل بناحية البحرين. (معجم البلدان ١/٢٧٣).

يعني بالنّار السِّمَة، يريد أن إبلهم وردت الماء، فلمّا رأى أصحابه سِمَتَهَا علموا أنها لقوم أعزّة فسقوها لذلك، والمتمطر: اسم رجل من لَخْم، وهو من قولهم: تَمَطَّرَ الرّجلُ، إذا أسرعَ، ويقال: مطرَ به، وقطرَ به، إذا بادر، وروى الرّياشيّ «تحتَ لبابة» وقال: اللَّبابة: ثوبٌ يَتَلَبَّبُ به الرّجلُ على ثيابه إذا تحزّمَ لحربٍ، والمرأة تتلبّبُ بِمِقْنَعَتِهَا إذا قامت للعمل، وهو أن تضعَ أحد طَرَفَيْها على منكبِها الأيسر وتخرج وسطها من تحت يدها اليمنى فتغطّي بها صدرها وتردّ الطّرفَ الآخر على منكبها الأيسر، وكذلك يتحزّمُ الفارسُ، وغيره يرويه «تحت كِنَانَةِ المُتَمَطِّر» يشير به إلى المقتل، وهذا المتمطر كأنه كان بارزه، وأراد أن يبادر إلى أمر فحال بينه وبينه، والكِنانة: من الكِنّ السَّتْر لأنه يُصَانُ بها النَّبْلُ.

٢ ـ وَنُطَاعِنُ الأَبْطَالَ عَنْ أَبْنَائِنَا   وَعَلَى بَصَائِرِنَا وَإِنْ لَمْ نُبْصِرِ

ذكر الأبناء كنايةً عن الحُرَم، والبصائر: جمع بصيرة، وهو ما يَسْتَبِدُّ به الرّجل من رأيه وعقله على ما يغيب عنه، وعلى ذا سُمِّيت الطّريقة من الدّم بصيرة؛ لأنه يُسْتَدَلُّ بها على المجروح، وفسّر قوله: [الكامل]

رَاحُوا، بَصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتافِهِمْ   وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى(١)

على وجوه: يجوز أن تكون البصائر هٰهنا الآراءَ: أي خلّفوا آراءهم وَرَاءهم، كما يقال: تركت الرأي موضع كذا، وبصيرتي يعدو بها فرسي: أي رأيه معه نافذ مستمر، وإذا جعلتها بصائر الدم يكون المعنى أنهم منهزمون مَكْلُومون في ظهورهم فدماؤهم على أكتافهم ودمي سالم في نفسي، ويجوز أن يكون المعنى أنه قُتِلَ أبوهم فأخذوا دِيَتَهُ فاشتروا بها ثيابًا فلبسوها، ويقال: بل عَيَّرَهم بأخذِ الدِّيَةِ، فكأنهم حملوا بها ثقلاً من العار على أكتافهم، وأما هذا الشّاعر فيقول: أنا أطلب ثأري على فرسي: أي أقتل بأبي، ومعنى البيت إنّا ندافع عن حُرَمِنَا على ما يعترض من الرأي في الوقت، نفعل ذلك وإن لم نبصر عاقبة الأمر، وحذف مفعول «وإن لم نبصر» لأن المراد مفهوم، وكذلك حذف جواب «إن» لأن فيما تقدم دليلاً عليه، وقد قيل في معنى هذا البيت: إنه كما حُكِيَ عن مسيلمة حين قال لِبَني حنيفة: قاتلوا عن أحسابِكم فأما الدِّينُ فلا دينَ. وقيل: إنه أراد بالأبناء هٰهنا البنات، وذهبوا إلى أن عادة العرب أن يقولوا: نقاتلُ عن نسائنا، ولا يقولون: نقاتل عن رجالنا، كقول الآخر: [الطويل]

نُقَاتِلُ يَوْمَ الرَّوْعِ دُونَ نِسَائِنَا

---

(١) البيت في اللسان (ب ص ر) بدون نسبة، وفي (و أ ي) وقد نسبه للأسْعَرِ الجُعْفِيّ. والوأى: الشديد.

٣ ـ وَلَقَدْ رَأَيْتُ الخَيْلَ شُلْنَ عَلَيْكُمُ شَوْلَ المَخَاضِ أَبَتْ عَلَى المُتَغَبِّرِ

«شُلْنَ عليكم» أي: شائلة، والتقدير وقد شُلْنَ عليكم، وأراد بالخيل هٰهنا الدَّوابَّ، وهي تشول بأذنابها إذا اشتدَّ عَدْوُهَا، ويُسْتَدَلُّ بذلك على قوة ظهورها، يقول: لقد رأيتكم منهزمين والخيل تعدو عليكم رَافعةً أذنابها رَفْعَ النُّوقِ الحوامل لها إذا طُلِب حَلْبُ غُبْرِ لبنها، والغُبْر: البقية تبقى من اللَّبن في الضَّرع، وقيل: معنى قوله «ولقد رأيت الخيل شُلْنَ عليكم» أي أشرعت فرسَانُهَا الرماحَ نحوكم كما تشول الإبل الحوامل بأذنابها عند الإباء، وقوله «أبت على المتغبّر» قد معه مضمرة، وهو واقعٌ موقع الحال، أراد رأيت الخيلَ شائلةً أذنابَها عليكم شَوْلَ المخاض، آبيةً على المتغبّر، ومَن روى «ولقد رأيتُ غَدَاةَ شُلْنَ عليكم» فقد أضمر مفعول رأيت، وهو الخيل، وساغَ ذلك لأن قوله «ولقد شَهِدْتُ الخيلَ» ـ وإنْ أُرِيدَ بها الفرسان ـ يدلّ عليه. وقال النمريّ: قال أبو رياش: في قوله «وعلى بصائرِنا وإن لم نبصرِ» البصيرة هٰهنا: اليقين، فيقول: نقاتل على ما خيلت، قال: وقال غيره: نطاعنُ في الجاهلية والإسلام، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الطويل]

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوْكُ إلاَّ كَذلِكا

أصاب أبو عبد الله فيما حكاه عن أبي رياش من تفسير هذا البيت، ولم يَدْرِ أنه أصاب؛ وأخطأ في قوله «إنه أراد نطاعن في الجاهلية والإسلام» ولم يَدْرِ أنه أخطأ، وكيف يكون ذلك وقائل هذا الشعر عَلْقَمَةُ بن شيبان بن عدي بن الحارث بن تَيْم الله وهو في عصر المنذر ذي القَرْنَيْنِ قبل الإسلام بزمان؟! وإنما قال هذا الشّعر أنه حمل يوم أُوَارَةَ على المتَمَطِّرِ أخي المنْذِرِ جَدّ النعمان ذي القَرْنَيْن فقتله، وعليه التّاج، لا يحسبه إلا المنذر، فقال:

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ يَوْمَ أُوَارَةٍ فَطَعَنْتُ تَحْتَ كِنَانَةِ المُتَمَطِّرِ
ونطاعن الأبطال ....
الأبيات.

[٢١] قال قَطَرِيّ بن الفُجَاءة المازني:

١ ـ لاَ يَرْكَنَنْ أَحَدٌ إِلَى الإِحْجَامِ يَوْمَ الوَغَى مُتَخَوِّفًا لِحِمَامِ

الضّرب الثّاني من العروض الأولى من الكامل، والقافية من المتواتر.

قوله «لا يركنن» يقال: رَكَنَ إلى الشّيءِ يَرْكُنُ، إذا مال إليه، ويقال: رَكِنَ يَرْكَنُ، بمعناه، فأما رَكَنَ يَرْكَنُ بفتح الكاف من الماضي والمستقبل جميعًا فإنها لغة ثالثة مُرَكبة من اللغتين الأوليين، وليست أصلاً. والإحجام: النُّكُوص، والإجحام مثله أيضًا، وهو

مقلوب، وقالوا: أجحم ـ بتقديم الجيم ـ إذا أقدم، وأحجم ـ بتأخير الجيم ـ إذا نكصَ، والإحجام: مطاوع حَجَمْتُ أي كَفَفْتُ وَمَنَعْتُ، فهو كالإكباب في أنه لمطاوعة كَبَبْتُ، ويقال: حَجَمْتُ البعيرَ، إذا خطمته بما يمنعه من العَضّ، ويُسَمَّى ذلك الشّيء الحِجَامَ. والمتخوِّف: الخائفُ شيئًا بعد شيء. وَالحِمَام: الموت، وأصله من قولهم: حُمَّ الشّيء، إذا قدّر.

٢ ـ فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي

الدَّريئة تُهمَز ولا تُهمز، فتجعل من الدَّرْءِ: وهو الدَّفع، ومن الدَّرْيِ: وهو الخَتْلُ، وبهذا سُمِّيَ البعيرُ الَّذي يسيب فتألفه الوحش فلا تنفر منه ثم يجيء صاحبه يستتر به فيرمي الوحش فيصطاد، والحلقة التي يُتَعَلَّم عليها الطَّعن: دَرِيَّة، ويمكن حمل البيت عليهما جميعًا، وإنما اقتصر على ذكر اليمين والقدّام لأنه يعلم أن اليسار في ذلك كاليمين، فأما الظهر فإن الفارس لا يُمْكِن منه أحدًا، فإذا أراد بالدريّة الحلقة التي يتعلّم عليها الطّعن فالمراد أنَّ الطَّعنَ يقع فيه كما يقع في تلك، وإذا أراد به الدّابّة التي يستتر بها فالمراد أنه يُتَّقَى به فيصير سترةً لغيره من الطَّعن، كما تكون تلك الدّابّة سترة للصائد، وعلى هذا تكون «للرماح» من أجل الرماح، وقوله «من عن يميني» من متعلّقة بما دلَّ عليه قوله «أراني للرماح درية» وهي تأتيني وما يجري مجراه، و«عن» من قوله «عن يميني» اسم هٰهنا، وليس بحرف، والمعنى من جانب يميني.

٣ ـ حَتَّى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِنْ دَمِي أَكْنَافَ سَرْجِي أَوْ عِنَانَ لِجَامِي

أو: هٰهنا ليست للشكّ، وإنما هي التي يراد بها أحد الأمرين على طريق التعاقب: أي إمَّا ذا وَإمَّا ذا، ولك أن تريد الجمع لأن أصل «أو» الإباحة، وهذا كما يُسْأَل الرّجل فيقال له: ما كان طعامك في بلدك؟ فيقول: الحنطة أو الأرز، والمعنى أحد هذين، على أن يكون كلّ واحد منهما بدلاً من صاحبه أو الجميع، ومعنى البيت: انتصبتُ للرّماح حتى خَضَبْتُ بما سالَ من دمي إما عنانَ لجامي وإما جوانب سَرْجي، على حسب ما اتّفقَ من الطّعنِ، فالعِنان لما سالَ من أعاليه، وجوانب السَّرْج لما سال من أسافله، ويُرْوَى «بل عنان لجامي» وقيل: إنه لم يرد بقوله «مِن دمي» دمَه، وإنما أراد دم مَن قتله، وأضافه إلى نفسه لأنه أراقه، وليس كذلك، بل أراد دم نفسه.

٤ ـ ثُمَّ انْصَرَفْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أُصَبْ جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ

الجُذوعَة: قبل الإثناء بسنة، والدّهر لجدّته يسمّى الأَزْلَمَ الجَذَعَ[1]، وكذلك يقال

(١) الأَزْلَمَ الجَذَعُ: الدّهر، وقيل الدهر الشديد المرّ، وقيل: هو المتعلّق به البلايا والمنايا وقال يعقوب: سُمِّيَ بذلك لأن المنايا مَنُوطةٌ به تابعة له. وهو نفسه الأزنَم الجَذَع بالنون أخذها من زَنَمَة=

لِمَن يرى في أمر ما على حالة واحدة: هو جذع فيه، وانتصاب «جَذَعَ البصيرة» على أنه حال وهو نَكِرَة، وقوله «جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَام» مثلان، وأصلهما في الخيل وذوات الحافر كلّها، وذلك أن المهر يُرْكَبُ بعد حولٍ سِيَاسَةً وَرِياضَةً فإذا بلغَ حَوْلَيْن فهو جَذَعٌ؛ فحينئذ يَسْتَغني عن الرّياضة، فيقول: أنا جَذَع البصيرة: أي استبصاري ويقيني لا يحتاجان إلى تهذيب ولا تأديب، كما لا يحتاج الجذع إلى الرياضة. وإقدامي قارح: أي قد بلغ النهاية، كما أن القُروح نهاية سنّ الفرس، ولا سنّ بعده، هذا تفسير قوله «جَذَعَ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ» على ما ذكره العلماء المفسّرون لهذه الأبيات، ومعنى البيت ما ذكره أبو العلاء المعري، وهو أنه يريد أنه مُذْ كان لم يَزَلْ شُجَاعًا فإقدامه قارحٌ لأنه قديم، ويعني بقوله «جذع البصيرة» أنه كان فيما سلفَ لا يَرَى رأيَ الخوارج، ثم تبصَّرَ في آخر أمره، فعلم أنهم على الحقّ فاتبعهم، فبصيرته جذعة: أي محدثة لم تطلْ عليها الأيام، وذلك أن هذا الرجل كان خارجيًّا سُلِّمَ عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة، وقد ذكرناها فيما تقدم.

[٢٢] وَقَالَ الحَرِيشُ بْنُ هِلالِ القُرَيْعِيُّ(١):

ويُروَى للعباس بن مِرْدَاس السُّلَمِيّ(٢)، ويُروَى للجَحّاف بن حكيم بن عاصم(٣) الذي قال فيه الأخطل: [الطويل]

لَقَدْ أَوْقَعَ الجَحّافُ بِالبِشْرِ وَقْعَةً ... إلى اللَّهِ مِنْهَا المُشْتَكَى وَالمُعَوَّلُ

وَالحَرِيش: يتصرّف على وجوه؛ يَحْتمِلُ أن يسمّى الضَّبُّ حَرِيشًا فيكون فَعيلاً في معنى مفعول، يقال: حَرَشْتُ الضَّبَّ، وأصله أن يجيء الرّجل إلى بيته فيضرب بيده على بابه، فإذا أحسّ الضَّبُّ به ظنَّ أنه حَيَّة، فأخرجَ إليها ذنبه ليضربَها به فيقبض عليه الحارش، ثم كثر ذلك حتى صار يسمّى كل صيد للضّبّ حَرْشًا، قال الشّاعر: [الطويل]

فَكَيْفَ تَرَى حَرْشِي بَنَات ضُبَيْبَةٍ ... أَلَسْتُ مِنَ الحُرَّاشِ غَيْرَ هِدَانِ

و«بنات ضُبَيْبَةٍ» ضرب من الضِّبابِ، وقال كثيّر: [الطويل]

وَمُحْتَرِشٍ ضَبَّ العَدَاوَةِ مِنْهُمُ ... بِحُلْوِ الخَلاَ حَرْشَ الضِّبَابِ الخَوَادِعِ

= الشاة ومَن قالها باللام أراد خفّتها.

(١) الحَرِيش بن هلال التميمي القريعي: (الإصابة) (ترجمة رقم ٢٠٨٧).

(٢) العباس بن مِرداس السُّلمي: شاعر فارس من سادات قومه أمه الخنساء الشاعرة، أسلم قبيل فتح مكة (توفي نحو ١٨ هـ/ ٦٣٩ م). (ترجمته في شرح شواهد المغني ص ٤٤؛ وخزانة الأدب ١/ ٧٣؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٥٥؛ والشعر والشعراء ص ١٠١).

(٣) الجحّاف بن حكيم السّلمي: فاتك ثائر شاعر، عاصر عبد الملك بن مروان (ت نحو ٩٠هـ/ ٧٠٩ م). (ترجمته في طبقات فحول الشعراء ص ٤١١؛ والآمدي ص ٧٦؛ والأعلام ٢/ ١٠٣).

ويقولون في المثل: «أخدع من ضَبّ حَرَشْتُهُ»، ومثل آخر: «هذا أجَلُّ من الحَرْشِ»، وذلك أنَّ الضَّبَّ كانَ يُحَذِّرُ ولدَه من الحرشِ، فسمع يومًا صوتَ فأسٍ يُحْفَرُ بها ظهرُ بيته، فقال: يا أبتِ، أهذا الحرشُ؟ فقال الضَّبُّ: يا بُنَيَّ، هذا أجَلُّ من الحرشِ(١). وَالحَرِيشُ: دُوَيْبَّةٌ مقدار الإصبع كثيرة الأرجلِ وهي تُسَمَّى دخال الأذن، وقال آخرون: الحريشُ دابَّةٌ لها قرنٌ واحدٌ، ويجوز أن يكون الحريش من قولهم: حرش البعير، إذا حَكَّ ظهره بِرَسَنه ليسرع. و«هلال» اسم الرّجل يجوز أن يكون مأخوذًا من هلال السَّماء، وهو أحسن التأويل، ولا يمتنع أن يكون مسمّى بِالهِلالِ الذي هو ذَكَر الحيات، أو بالهلال الذي هو قطعة من الرَّحا، أو بالهلال الذي هو بقية الماء في الحوض، أو بالهلال إذا أُرِيدَ به الغبارُ، أو بعض الأسنّة، ويقال للغلام المُقْتَبِلِ: هلال. و«قُرَيْع» يجوز أن يكون مصدر قَرَعْتُ الشَّيء بِالشَّيء مصغَّرًا أو تصغير ترخيم لأقرع أو تصغير قَرَع الفِصالِ(٢): وهو جدريّها، قال الراجز:

جَاءَ سُهَيْلٌ حِينَ جَاءَ بِالقَرَعْ ... غَابَ سُهَيْلٌ غَيْبَةً فَلاَ رَجَعْ

فأما القرع هذا المعروف فالعامّة تُسَكِّنُ راءَه، ويقال: إن تحريكها الأصل، قال الراجز:

بِئْسَ إدَامُ العَزَبِ المُعْتَلّ ... ثَرِيدَةٌ بِقَرَعٍ وَخَلّ

ويدلُّ على أن قُرَيْعًا الذي هو قُرَيْع بن عوف، ومن ولده الأضبط بن قُرَيْع: مرادٌ به الأقرع ثم صغّر تصغير الترخيم، قول النابغة: [الطويل]

لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهيِّنٍ ... لَقَدْ نَطَقَتْ بُطْلاً عَلَيَّ الأَقَارِعُ
أَقَارِعُ عَوْفٍ لاَ أُحَاوِلُ غَيْرَهَا ... وُجُوهَ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ يُجَادِعُ

فَرَدَّ قُرَيْعًا إلى أقرع ثم جمعه.

ومَن روى للعباس بن مرداس فالعَبَّاس: فَعَّال من العُبُوس، وَمِرْدَاس كأنه شديد صُلْب يكسر به الشّيء؛ من الرَّدس، وهو الكسر. ومَن روى للجَحَّاف فجحَّاف فَعَّال من قولهم. جَحَفَ الشَّيءَ برجله، إذا رفسه بها حتى يرمي به، وجاحف الشَّيء، إذا زاحمه ولصق به.

١ ـ شَهِدْنَ مَعَ النَّبِيّ مُسَوَّمَاتٍ ... حُنَيْنًا وَهْي دَامِيَةُ الحَوَامِي

---

(١) تاج العروس (حرش).

(٢) القَرَعُ: بَثْرٌ أبيض يخرج بالفُصلانِ وحَشْوِ الإبلِ يُسْقِطُ وَبَرَها، وهو يخرج في أعناق الفصلان وقوائمها.

من الضرب الأوّل من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية من المتواتر.

مسوَّمَات: مُعَلَّمَات، ويكون بمعنى مخلاّة مُرْسَلَة، من قولهم: سامت السّائمة، إذا أرسلت في الرعي، وقيل: المسوَّمة: المُطَهَّمَة، والتّطهيم: حُسْن الخلق، وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً﴾[1] يعني معلّمة عليها مثل الخواتيم، والسُّومة: العلامة، يصف خيلاً حضرت مع النّبيّ ﷺ وادي حُنَين وقد دَمِيَتْ حوامي حوافرها لما لحقها من التعب وكثرة العَدْو، وواحدة الحوامي حامية، وهو ما أحاط بالحافر، وأصلها من الحماية وهي المنع، وكما جعلوا للحوافر حوامي سَمَّوا ما تُطْوى به البئر من الحجارة وغيرها ليحمي جوانبها من التشعّب حوامي، وكان رسول الله ﷺ غزا هوازن بوادي حُنَين، ورئيس هوازن مالك بن عَوْفٍ النَّصْرِيّ، وهذا اليوم الذي قتل فيه دريد بن الصِّمَّة الجُشَمِي، قتله ابن لَذْعَةَ، وهو ربيعة بن رُفَيْع السُّلَميّ، غلب عليه اسم أُمه.

٢ ـ وَوَقْـعَـةَ خَـالِـدٍ شَـهِـدَتْ وَحَـكَّـتْ سَـنَـابِـكَـهَـا عَـلَـى الـبَـلَـدِ الـحَـرَامِ

يعني خالد بن الوليد بن المغيرة، وكان النبيّ ﷺ استعمله يومَ فتح مكّة على الخيل فَلَقِيَ قريشًا بالخَنْدَمَةِ[2] فقاتلهم فهزمهم، وقوله «وحَكَّتْ سنابكها»: يعني أنها وطئت أرضَ مكّة. والسّنابك: أطراف الحوافر، الواحد سنبك، فارسي معرّب.

٣ ـ نُـعَـرِّضُ لِـلـسُّـيُـوفِ إِذَا الْـتَـقَـيْـنَـا وُجُـوهًـا لاَ تُـعَـرَّضُ لِـلَّـطَـامِ

هذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المراد إنّا نضربُ بالسيوف وجوهًا لم تُضْرَبْ بالأيدي لِعزّتها، يعني وجوه الأعداء، والثاني أن يكون المعنى وجوه أنفسهم، فيكون كما قال الآخر: [المتقارب]

نُـهِـينُ الـنُّـفُـوسَ؛ وَهَـوْنُ الـنُّـفُـو سِ يَـوْمَ الـكَـرِيـهَـةِ أَوْقَـى لَـهَـا[3]

يقول: نبذل وجوهنا في الإقدام في الرّوع، وهي مصونة في غيره، لا تعرض لمكروه لفضل أحلامنا، ويروى «بكل ثَغْرٍ خدودًا» والثَّغْر بالإسكان: موضع المخافة، ولا تفتح الغين.

٤ ـ وَلَـسْـتُ بِـخَـالِـعٍ عَـنِّـي ثِـيَـابِـي إِذَا هَـرَّ الـكُـمَـاةُ وَلاَ أُرَامِـي

ثيابي: أي سلاحي، ويكنّى عن السلاح بالثياب، وبالبَزّ، كما قال الهُذَلِيّ: [الطويل]

فَوَيْلُ اُم بَزٍّ جَرَّ شَعْلٌ عَلَى الحَصَا وَوُقِّـرَ بَـزٌّ مَـا هُـنَـالِـكَ ضَـائِـعُ[4]

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٣٣ و٣٤.

(٢) الخَنْدَمة: هو جبل معروف عند مكة وكانت به وقعة يوم فتح مكة، ومنه يوم الخندمة.

(٣) ذكره الجاحظ في الحيوان ٦/ ٤٢٧ للخنساء.

(٤) البيت لقيس بن عيزارة الهُذَليّ في ديوان الهذليين ٣/ ٧٨.

البَزُّ في هذا الموضع: السّلاحُ، وَشَغْلٌ: لقب تأبّطَ شرًّا، وكان قتل رجلاً من بني هُذَيْل وأخذ سلاحه، وكان تأبّط شرًّا قصيرًا فلما لبس درعه سحبها على الأرض فلذلك قال: جَرَّ شَغْلٌ على الحصا، وذكر بعضهم أنه أراد بالبزّ السيف، وهذا يرجع إلى المعنى أيضًا، فكأنه لما تقلّد بسيفه طالت حمائله عليه لقصره فجرّه على الأرض. وقوله «إذا هَرَّ الكُماةُ»: أي كرهت، ويُروَى «إذا هَزَّ الكماة» بالزاي، يعني إذا هَزّوا سلاحَهم عند خلعها. وموضع «لا أرامي» نصب على الحال: أي لا أفعل ذلك غَيْرَ مُرَام، ويعني بالمراماة مدافعة الخصم، ويجوز أن يكون نفي الأمرين جميعًا: أي لا أخلع ثيابي تخفيفًا عن نفسي في التولّي والانهزام عند هَرِيرِ الكُماةِ، وذكر أن معناه: لا يكون سلاحي مع عدوّي الفحش وخلع الثياب كَفِعْلِ الجهّالِ، ووجه آخر، أي: لا أخلع ثيابي إذا أرادوا سَلْبَها، بل أُقاتِلُ عنها، وإذا لبستُ ثيابَ الحرب راميتُ.

٥ ـ وَلَكِنَّنِي يَجُولُ المُهْرُ تَحْتِي ... إلَى الغَارَاتِ بِالعَضْبِ الحُسَامِ

العَضْبُ: القَطْعُ والمَنْعُ، ثم قيل: سيفٌ عَضْبٌ: أي قاطعٌ، كما قيل ضَيْفٌ للضّائفِ، وقال الخليل: سُمِّيَ السيفُ حُسَامًا لأنه يَحْسِمُ العدوَّ عمّا يريد من بلوغ عداوته، وقوله «بالعضبِ» أي ومعي العضب، وهو موضع الحال.

[٢٣] وقال ابن زَيَّابَةَ التَّيْمِيُّ[١]:

زَيَّابة: اسم مرتجل للعلم، وهو فَعَّالة أو فَيْعَالة أو فَوْعَالة من لفظ الأَزْيَب، وهو النشاط، وَتَيْم: فَعْل من تَيَّمَه الحبّ أي ذلّله، ويقال أيضًا: تامه، قال: [البسيط]

تَامَتْ فُؤَادِي بِذَاتِ الجَزْعِ خرعبة ... مَرَّتْ تُرِيدُ بِذَاتِ العذبة البِيَعَا

ومنه تَيْم اللاّت: أي عبد اللاّت، ومنه قالوا: طريق مُعَبَّد: أي مذَلّل مَوْطوء؛ وقال أبو العلاء: لم يصرف الفعل من زَيَّابَةَ إلا أنهم قالوا: رجل أَزْيَبُ وهو الدعي، وقالوا للريح الأزيب فقيل: هي الجنوب، وقيل: هي الصَّبا، وقال أبو رياش: هو فارس مجلز عمرو بن لأي؛ اللأي: البطء، ومجلز: من الجلز، وهو الفتل الشديد، وجلز السوط: مقبضه، وجلز السنان: أسفله، قال أبو زبيد: [المنسرح]

حَمِدْتُ أَمْرِي وَلُمْتُ أَمْرَكَ إذْ ... أَمْسَكَ جَلْزُ السِّنَانِ بِالنَّفَسِ[٢]

وكل ذلك راجع إلى الجلز الذي هو إحكام الفتل.

---

(١) ابن زَيَّابة التيميّ: من بني تيم اللات بن ثعلبة، شاعر جاهلي، من أشراف بكر. (ترجمته في المرزباني ص ٢١٤؛ والأعلام ٥/٢٥٦).

(٢) ديوان أبي زبيد ص ١٠٦، وطبقات فحول الشعراء ص ٦١٠؛ والأغاني ١٢/١٦٠؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٧١.

١ - نُبِّئْتُ عَمْرًا غَارِزًا رَأْسَهُ   فِي سِنَةٍ يُوعِدُ أَخْوَالَهُ

الثاني من السريع، مُرْدَفٌ مطلق بوصل وخروج، والقافية متدارك.

نُبِّئْتُ: أُخْبِرْتُ، والنبأ: الخبر إلا أن فيه معنى العظم، وقوله «غارزًا رأسه» أي: مُدْخِلاً، ومنه الغرز بالإبر، ومعناه ثابتًا على ضلالته لَجُوجًا فيه لا يقلع عنه، وكل شيء أثبتّه في شيء فقد غَرَزْتَه فيه، وغرزت رِجلي في الغرز، إذا ركبت، واغترزْتُ، وغرزت الجرادة، إذا أدخلت ذنبها في الأرضِ لِتبيضَ، ورزت مثله، ومنه اشتقاق رزّة الباب، وجعل غرز الرأس كناية عن الجهل والذهاب عمّا عليه وله من التحفّظ، وقال أبو العلاء: قوله «غارزًا رأسه» على معنى الاستعارة، كما يقال: غرز فلان ذنبه في موضع كذا: أي أقام به، والسِّنةُ النّعاس، يقول: هذا الرجل كأنه وَسْنَان فقد تغيّر عقله، فهو يوعد مَن لا يجب أن يوعده، وهذا كما يقال للرجل إذا غفل أو أخطأ: أنت نائم، ويُروَى «في سَنَةٍ» بفتح السين: أي في جَدْب. والعرب تسمّي الجدب سَنَةً، ولذلك قالوا: أَسْنَتَ القومُ، إذا أجدبوا، وهذه التاء عندهم مبدلة من واو، وهي التي تظهر في قولهم سَنَوَات، قال الشّاعر: [الكامل]

عَمْرُو الَّذِي هَشَم الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ   وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[١]

وقال الشَّنفَرِي[٢]: [الطويل]

فَبِتْنَا كأَنَّ البَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا   بِرَيْحَانة جِيدت عِشَاءً وطُلَّتِ

بِرَيْحَانة مِن نَوْرِ حَلْيَةَ أَزْهَرَتْ   لَهَا أَرَجٌ مَا حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ[٣]

وقال المرزوقي: نَبّأ وأنبأ مما يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، فعمرًا انتصب على أنه مفعول ثانٍ، وغارزًا انتصب على أنه مفعول ثالث، ورأسه انتصب من غارز، وأراد بالسِّنة الغفلة، وهي ما يحدث من أوائل النوم في العين ولم يستحكم بعد، يدلّك على ذلك قوله: [الكامل]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ   فِي عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ[٤]

---

(١) البيت لمطرود بن كعب الخزاعي في الاشتقاق ص ١٣، وأمالي المرتضى ٢/٢٦٨؛ ومعجم الشعراء ص ٢٠٠؛ ولعبد الله بن الزبعرى في أمالي المرتضى ٢/٢٦٩؛ ولسان العرب (سنت) و(هشم)؛ والمقاصد النحوية ٤/١٤٠؛ وبلا نسبة في الإنصاف ٢/٦٦٣؛ وشرح المفصّل ٩/٣٦.

(٢) ديوانه ص ٣٤؛ ولسان العرب (حلا)؛ والأغاني ٢١/٢١٠؛ وديوان المفضليات ص ٢٠٢؛ وبلا نسبة في المخصّص ٤/٤١ و١٠/١٦٧.

(٣) ديوانه ص ٣٤، ولسان العرب (حلا).   (٤) البيت لعديّ بن الرقاع في اللسان (ر ن ق).

وقد فصل اللّهُ عزّ وجلّ بينهما بقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] والفعل منه وَسِنَ يَوْسَنُ وَسَنًا، وموضع «يوعد» نصب على الحال، وتوسّعوا في الغرز حتى قالوا: اغترز فلان في ركاب القوم.

٢ ـ وَتِـلْـكَ مِـنْـهُ غَـيْـرُ مَـأْمُـونَـةٍ أَنْ يَـفْـعَـلَ الـشَّـيْءَ إذَا قَـالَـهُ

أي: تلك الخصلة لا يؤمن وقوعها من عمرو، وهو فعله لما يقوله، وهذا تهكّم، و«أن يفعل» موضعه رفع على البدل من قوله «وتلك منه»، وقيل: معناه أنه ليس بِمصدِّقٍ فيها، لأنه لا يقدر على إمضاء وعده.

٣ ـ الـرُّمْـحُ لاَ أمْـلأُ كَـفِّـي بِـهِ وَالـلِّـبْـدُ لاَ أتْـبَـعُ تَـزْوَالَـهُ

يصف نفسه بالفروسية وأنه يقاتل بالرمح وغيره من السلاح، وإذا اقتصر على الرمح فكأنه ملأ كفّه به وشغلها عن غيره، وقيل: معناه أطعن به اختلاسًا، كقول الآخر: [الطويل]

لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ القَنَاةِ بَنَانِيَا[2]

والأول أحسن، وربما استحسنت العرب خلس الطعنة، قال خِدَاش بن زُهَيْر: [المتقارب]

وَطَـعْـنَـةِ خَـلْـسٍ كـفـرغِ الإزا ءِ أُفـرغَ فـي مِـشْـعَـبِ الـحَـائِـرِ

وقوله «واللِّبْدُ لا أتْبَعُ تَزْوَالَهُ» أي: أنا فارس متمكّن من نفسي، فلا أتبع اللّبد إذا مال فأميل معه: أي إني ثابت على ظهور الخيل لا يضرّني فَقْد بعض الآلة ولا تغيّر السّرج عمّا يريده الراكب.

٤ ـ وَالـدِّرْعُ لاَ أبْـغِـي بِـهَـا ثَـرْوَةً كُـلُّ امْـرِىءٍ مُـسْـتَـوْدَعٌ مَـالَـهُ

أي: درعي مالي الذي أذخره، وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

وَمَا لِيَ مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ حَصِينَةٍ وَأبْيَضَ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ صَقِيلِ

ويحتمل أن يعني بقوله «لا أبغي بها ثروة» أنه لا يبيعها فيأخذ العوض عنها فيثرى به، يقول: فعلامَ أبيعها بما لا يبقى ولا أستبقيها لدفع المكاره وكسب الذكر الباقي؟ وقوله «كلّ امرىء مستودع ماله». يحتمل وجهين: أحدهما أن يريد احتفاظه بالدرع وأن كل إنسان يحفظ ماله، فصاحب الإبل يحوطها، وكذلك صاحب الغنم وغيرها من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) البيت لعبد يغوث بن وقاص في شرح اختيارات المفضل ص ٧٧٢؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٢٣١. وصدره: «وكنت إذا ما الخيلُ شمّصها القنا».

المملوكات، فهي عنده كالوديعة التي قد لزم حفظها ومراعاتها؛ والآخر أن يريد تعزية نفسه إذ لا مال له فيقول: «كلّ امرىءٍ مستودع ماله» أي إنه سيستردُّ منه كما تُسْتَرَدُّ الوديعة، وهذا كقول الآخر: [الطويل]

وَمَا الـمَـالُ وَالأهْـلُـونَ إلاَّ وَدِيـعـةٌ   وَلاَ بُـدَّ يَـوْمًـا أَنْ تُـرَدُّ الـوَدَائِـعُ

ويجوز أن تكون «ما» من قوله «ما له» بمعنى الذي، فيكون المعنى كل امرىء مرتهن بأجله وبالذي كتب له، ولا يمتنع أن يكون أشار بما إلى ما يقتنى من أعراض الدنيا؛ ويُروَى «كلّ امرىءٍ مستودِع ماله» بكسر الدار؛ والمعنى أن ما يجمعه المرء ويكسبه إذا جاء محتوم القضاء يتركه لغيره لا محالة فلم أرغب فيه وأزهد في اكتساب المحامد؟ ويُروَى «والدّرع لا أبغي بها نَثْرَةً» وهي الواسعة؛ المعنى: إني أكتفي من الدرع ببدنه، ويجوز أن يكون معناه إني لا أبغي بها درعًا أحْصَنَ منها، يقول: إني لا أُبالي بحَصَانة الدرع وجودتها لشجاعتي وقوة قلبي.

٥ ـ إنَّـكَ يَـا عَـمْـرُو وَتَـرْكَ الـنَّـدَى   كَـالـعَـبْـدِ إذْ قَـيَّـدَ أَجْـمَـالَـهُ

قال ابن السّكّيت: يقول: أنت كالعبد اقتصر على موضع يرعى فيه ولا يتعزب بإبله، وقال غيره: أي إنك قد تركت النّدى واكتساب الشرف به فلا تفيد ولا تستفيد كالعبد يقيد أجماله وينام فيستريح، وطَلَبُ الشرف إنما يكون مع التعب، وهذا مثل قول الحطيئة: [البسيط]

دَعِ الـمَكَـارِمِ لاَ تَـرْحَـلْ لِبغْـيَتِـهَـا   وَاقْعُدْ فإنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

وقال رجل للأحنف: لا أُبالي أهجيت أم مدحت، فقال: استرحت من حيث تعب الكرام، وقيل: استراح من وضع المكارم، وقيل: معناه إنك وبخلك وحبسك مالك كالعبد قيد أجماله فلا يبرحه منها بعير؛ وكذلك أنت قيّدت مالك فلا يبرحك منه شيء، وذكر النمري هذا الوجه فقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الوافر]

فَـلا يَـدْري نُـصَـيْـرٌ مَـنْ دَحَـاهَـا   وَمَـنْ هُـو سَـاكِـنُ الـعَـرْشِ الـرَّفِـيـعِ

أخبرنا أبو النّدى قال: هذا البيت من المختل القديم؛ والصّواب: [السريع]

إنِّـــي وَحَـــوَّاء وَتَـــرْكَ الـــنَّـــدَى   كَـــالـــعَـــبْـــدِ إذْ قَـــيَّـــدَ أَجْـــمَـــالَـــهُ

قال: حوّاء فرسه، ومعناه: إني متى ما تركت الغزو على ظهر حوّاء واغتنام الأموال وتفريقها على الزائرين والسائلين لم يَبْقَ لي هم، لأن أكثر همّي في ذلك، وكنت مثل العبد إذا شبعت إبله فأراحها وقيّدها في مُراحها لم يبقَ له هم حينئذ، يقول: هَمِّي في الغزو واغتنام الأموال وبذلها.

٦ ـ آلَـيْـتُ لاَ أَدْفِـنُ قَـتْـلاَكُـمُ   فَـدَخِّـنُـوا الـمَـرْءَ وَسِـرْبَـالَـهُ

يُرْوَى أن واحدًا من المخاطبين كان أحدث في حرب حَضَرَها خوفًا على نفسه فعرّض الشاعر بهم، يريد أنهم إذا صرعوا في المعركة عثر منهم إن لم يطيبوا على مثل ما فعله ذلك الواحد المعرّض به فافتضحوا، وقيل: إنه عَيَّرَ رجلاً منهم طُعِنَ فأحدث، فقال «دخّنوه»: أي بَخّروه لِتَطِيبَ رائحته، فإني لا أدفن القتيل منكم إلا طاهرًا، وكان المطعون ربما أحدث، فكانوا لا يقاتلون إلا على جُوعٍ، والسِّرْبال: القميص، والسِّربال: الدّرع، وآليت: حلفت، والألِيَّة: اليمين.

[٢٤] وقال الحارث بن هَمَّامٍ الشَّيْبَانِيُّ:

الحارثُ: الكاسب، وهَمَّام: فَعَّال من هَمَّ يهمّ.

١ ـ أَيَـا ابْـنَ زَيَّـابَـةَ إنْ تَـلْـقَـنِـي لاَ تَـلْـقَـنـي فـي الـنَّـعَـمِ الـعَـازِبِ

الضرب الثاني من السريع، مؤسّس مطلق موصول، والقافية متدارك.

قال أبو العلاء: يقول: لست بِتَرْعِيَّة أكون في النعم الذي قد عَزَب عن أربابه: أي بعد، وإنما أنا صاحب فرس ورمح أُغِيرُ على الأعداء وأُحارب من ٱبتغى حربي.

٢ ـ وَتَـلْـقَـنِـي يَـشْـتَـدُّ بِـي أَجْـرَدٌ مُـسْـتَـقْـدِمُ الـبِـرْكَـةِ كـالـرَّاكِـبِ

زعموا أن الراكب هٰهنا فَسِيلة لم تنقطع من أُمها، ويجوز أن يعني طولَ عنق الفرس وأنه يوازي الرّاكب على ظهره، ويكون هاديه هو الذي يستقدم البركة، فيكون الكاف من قوله «كالراكب» في موضع رفع بفعلها، ولا يمتنع أن يكون الفعل للبركة والكاف في موضع نصب، والبركة وَالبَرْكُ: الصدر، وقيل: هو وسط الصدر، وهو حيث انضمت الفهدتان من أعاليهما، وعظم البركة مما يستحبّ في الفرس، وأراد أنها عظمت حتى كأنها قد استقدمت: أي تقدّمت، وتقدّم واستقدم وتأخّر واستأخر سواءٌ، وقال بعضهم: معناه أنه مشرف الصَّدر إشراف الراكب، وقيل: كالراكب، يقول: هو من إشرافه كأنه راكب لا مركوب، ومن هٰهنا أخذ أبو تمام: [الطويل]

أُنَاسٌ إذَا تُـدْعَي نَـزَالِ إلى الـوَغَى رأيْـتَـهُـمُ رَجْـلَـى كَـأَنَّـهُـمُ رَكْـبُ

يَصِفُهُمْ بطولِ القامات، ويجوز أن يكون معنى قوله: «مستقدم البركة كالراكب» أنه يتقدّم في الحروب كراكبه، من حدّة نفسه وجراءته.

[٢٥] فأجابه ابن زَيَّابة على وزنها:

١ ـ يَـا لَـهْـفَ زَيَّـابَـةَ لِـلْـحَـارِثِ الـصَّـ ـابِـحِ فَـالْـغَـانِـمِ فَـالآيِـبِ

قال أبو هلال: زَيَّابة أبوه، يقول: يا لَهْف أبي على الحارث إذ صبح قومي بالغارة فغنم وآب سالمًا أن لا أكون لقيته فقتلته، وإنما يريد يَا لَهْفَ نفسي، فأقام أباه مقام نفسه،

ويقال: صَبَّحَ الرَّجلُ القَوْمَ، بالتشديد، كما قال اللّهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾(١) وَصَبَحَهُمْ، بالتخفيف، إذا سقاهم صَبُوحًا، فقوله «الصّابح» فكأنه جعل الغارة لهم صَبُوحًا. وقيل: صَبَحْتُهُ وصَبَّحْتُه في الغارة بمعنى، وقال أبو العلاء: يا لهف زيابة كقولهم: يا لَهْف أمي، لأن زيّابة أمه، والصابح الذي يصبح القوم بالغارة، ولمّا كانت هذه الصفات متراخية حَسُنَ إدخال فاء العطف؛ لأن الصابح قبل الغانم، والغانم أمام الآيب، ويقبح أن تدخل الفاء إذا كانت الصفات مجتمعة في الموصوف، فلا يحسن أن يقال: عجبت من فلان الأزرق العين فالأشم الأنف فالشديد الساعد إلا على وجه يبعد؛ لأن زرقة العين وشمم الأنف وشدّة الساعد قد اجتمعن في الموصوف.

٢ ـ وَاللَّهِ لَوْ لاقَيْتُه خَالِيًا ... لآبَ سَيْفَانَا مَعَ الغَالِبِ

أي: لو لاقيته لقتلته أو قتلني فآب السيفان مع الغالب، وفي هذا الكلام صفة لنفسه بالشجاعة وقلّة البلاء بالموت، وإنصاف للمحارب، وهذا مثل قول الرجل لصاحبه عند المنافسة في القوة: لو صارعتني لَصَرَعَ أحدنا صاحبه، وهو في مذهب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٢) وإنما ادّعى الفضل على الحارث، والدليل على ذلك قوله:

٣ ـ أَنَا ابْنُ زَيَّابَةَ إنْ تَدْعُنِي ... آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الكَاذِبِ

هذا يحتمل وجهين: أحدهما إنك إن دعوتني علمت حقيقة ما أقول، فادعني واخلص من الظّنّ، لأنك تظن بي العجز عن لقائك؛ والظنّ من شأن الكاذب، مثل ما يقال: القيام بهذا الأمر على فلان: أي هو الذي يقوم به؛ والآخر أن يكون معنى قوله «والظن على الكاذب» أي: يكون عَوْنًا عليه مع الأعداء، كما تقول: رأيك عليك: أي إنك تُسيئه فيكون كالمتظاهر عليك: أي إنْ تَدْعُني وظننت أنك تغلبني فإني أغلبك فيعود ظنّك كاذبًا؛ وقال بعضهم: أراد أن الحارث يصبح أعداءه بالغارة فيغنم ويؤوب سالمًا، قال: فوصفه بالفتك والظفر وحُسْن العاقبة. وهكذا ذكره النمري، فقال أبو محمد الأعرابي رادًا عليه: هذا موضع المثل: «أخطَأتِ اَسْتُكَ الحُفْرَةَ» كيف ذكره بالفتك والظفر وهو أعدى عدوّ له؟ وإنما المعنى أنه لهف أُمه وهي زَيَّابة أن لا يلحقه في بعض غاراته فيقتله أو يأسره، واسم هذا الشاعر سَلَمَةُ بْنُ ذُهْلٍ، ويُعرَف بابن زيّابة، ومثل هذا البيت في تلهيف الأُم والتحسّر على الغائب قول النابغة الذبياني: [الكامل]

يَا لَهْف أُمّي بَعْدَ أُسرة جَعْوَلٍ ... أَنْ لاَ أُلاَقِيَهُمْ ورَهْطِ عِرَارِ

(١) سورة القمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

[٢٦] قال الأَشْتَرُ النَّخَعِيّ[١]:

أما الأشتر فمن شَتَرِ العين، وهو معروف، والأشتر في اللغة: المنخرق جفن العين، وإنما سُمِّي به لشترة كانت بإحدى عينيه، والنَّخَعُ: اسم مرتجل للتعريف، وهو من قولهم: انْتَخَع الرجل عن أرضه انتخاعًا، إذا بَعُدَ عنها، والنَّخَعُ هذا: أبو قبيلة من العرب.

١ - بَقَّيْتُ وَفْرِي وَانْحَرَفْتُ عَنِ العُلاَ وَلَقِيتُ أَضْيَافي بِوَجْهِ عَبُوسِ

من الضرب الثاني من الكامل، مردف مطلق موصول، وقافيتها من المتواتر.

قال أبو هلال: الأشتر هو مالك بن الحارث بن عبد يَغُوثَ بن مَسْلَمَةَ بن الحارث بن جذيمة، وفي الشعراء آخر يقال له الأشتر بن عامر أحد بني عَوْف بن ولاَّد بن تَيْم اللاَّت، ومنهم الأشتر الحَماميُّ الأَزْدِيّ من بني حَمَامَةَ من أزْدِ عُمَانَ، وبعث عليٌّ عليه السلام مالكًا الأشتر على مصر فكاتب مُعَاويةُ جَانستانَ، وكان في طريقه، فسَمَّه فمات.

وقال أبو العلاء: الذي ينبغي أن يحمل عليه معنى قوله «بَقَّيْتُ وَفْرِي» أن الوفرَ المال، وذلك المشهور من كلام العرب، وذكر أبو محمد الدُّيمَرْتِيُّ أن الوَفْرَ هٰهنا الشَّعر، وأنكر ذلك عليه أكثر أهل العلم، ولا يمتنع في القياس أن يسمّى الشعر وفرًا؛ لأنه كالفِرَةِ في الجسد، ولأنهم قد سَمَّوْا شعر الرأس إذا كَثُر وَفْرَةً، وإذا صَحَّ ذلك لم يحسن أن يحمل البيت عليه؛ لأن توفير شعر الرأس ليس من جنس الانحراف عن معالي الأمور ولقاء الضيف بالوجه العابس، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ وعن غيره من صلحاء السلف أنهم كانوا يُوَفِّرُونَ شعورهم، فإن ذهب إلى أنه أراد بالوَفْر الذي جاءت السُّنَّة بإماطته عن الجسد فهو أيضًا ليس بلائق؛ إذ كان منافيًا لِما بعده، وقد كانوا في الجاهلية يكرهون ذلك، ورُوِيَ أن بشر بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك قال للأسدي الذي قتله: أَجْرِ لي سراويلي فإني لم أَسْتَعِنْ، يعني لم يحلق عانته، وذكر بعض مَن انتصر للدِّيمَرْتي أنَّ الوفرَ في معنى الشعر ذكره الأصمعي في بعض ما أملاه من تسمية خلق الإنسان، وذكر أنه أملاه خمس عشرة مرة، فكل نسخة من إملائه تخالف سائر النسخ في نقص أو زيادة، ولا يجوز أن يعدل عن أن الوفر المال الكثير. والعبوس: الكلوح عن غضب، وتوسّعوا فيه فقالوا: يوم عَبُوس: أي شديد وهو جبس عبس في اللئيم، وهذا من الأيمان الشريفة، واللّفظ لفظ الخبر، وظاهره الدعاء ومحصوله القسم: أي بقيت مالي ولم أنفقه فيما يكسبني الذكر ورفع القدر.

---

(١) الأشتر النَّخَعِي: مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، أميرٌ من كبار الشجعان، كان رئيس قومه، حضر اليرموك وذهبت عينه بها (ت ٣٧ هـ/ ٦٥٧ م). (ترجمته في الإصابة ترجمة رقم ٨٣٤٣)؛ والولاة والقضاة ص ٢٣؛ والمرزباني ص ٣٦٢؛ ودائرة المعارف الإسلامية ٢/ ٢١٠).

٢ ـ إنْ لَمْ أشُنَّ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً   لَمْ تَخْلُ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نُفُوسِ

يدعو على نفسه بما يكسبه سوء الثناء إن لم يفرق الغارة على ابن حرب، يعني معاوية بن أبي سفيان، وهذا المعنى مأخوذ من قول عَدِيّ بن زيد: [الوافر]

فَإنْ لَمْ تَنْدَمُوا فَثَكِلْتُ عَمْرًا   وَهَاجَرْتُ الـمُرَوَّقَ وَالسَّمَاعَا
وَلاَ وَضَعَتْ إلَيَّ عَلَى فِرَاشٍ   حَصَانٌ يَوْمَ خَلْوَتِهَا قِنَاعَا
وَمَا مَلَكَتْ يَدَايَ عِنَانَ طِرْفٍ   وَلاَ أبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شُعَاعَا

والشَّنّ بالشين معجمة في الغارة، والسّنّ غير معجمة في الماء، وأصلها في الماء، ثم توسّع في ذلك، وسمّي الخيل غارة لما كانت من قبلها تكون، وموضع «لم تَخْلُ يومًا» نصب على الصفة للغارة: أي خيلاً جرت عادتها بذلك، والنِّهَابُ: يجوز أن يكون مصدر ناهبته، ويجوز أن يكون جمع النَّهْب، وجواب «إن لم أشن» فيما تقدم.

٣ ـ خَيلاً كَأمْثَالِ السَّعَالِي شُزَّبًا   تَغْدُو بِبِيضٍ فِي الكَرِيهَةِ شُوسِ

الشُزَّب: الضُمَّرُ، والشُوس: جمع أشوس، يقال: شَاسَ يَشُوسُ، وشَوِس يَشْوَسُ، إذا عرف في نظره الغضب أو الكبر، وانتصب «خيلاً» على أنه بدل من «غارة» وشبّه الخيل في ضمرها وسرعة نفارها بالسعالي، وهي الغيلان، وقيل: بنات الغيلان، وانتصب «شُزَّبًا» على أنه صفة الخيل: لأن قوله «كأمثال» أيضًا صفة، ويجوز أن يكون حالاً للمضمر في «كأمثال السعالي». وقوله «تعدو ببيض» أيضًا صفة، إمّا لقوله «شزبًا» وإما للأول، وإذا جمع بين مفردات وجمل في الوصف فالترتيب المختار تقديم المفردات على الجمل، وقد جاء البيت على ذلك، والعرب تجعل البياض كناية عن الكرم كأنها تريد نقاء العرض، على ذلك قوله: أُمك بيضاء من قضاعة، وقولهم: بيض الوجوه، فالمراد أنهم لم يفعلوا شيئًا يشينهم فيغيّر لونهم عند ذكره، وقد قالوا في ضدّه: أوجههم كَالحُمَم، وسود الوجوه، ويجوز أن يعني بالبيض المشهورين، ويجوز أن يعني أنه لا تكسف ألوانهم عند الكريهة، وقوله «في الكريهة» الكريهة للحوق الهاء بها لحق بباب الأسماء، ويستعمل في نوازل الدهر، وهو ظرف إن شئت لما دلّ عليه قوله «بيض» من الكرم، وإن شئت لقوله «شوس» والكرم في الكرائه نزاهة النفس عن لوازم العار.

٤ ـ حَمِيَ الحَدِيدُ عَلَيهِمُ فَكَأنَّهُ   وَمَضَانُ بَرْقٍ أوْ شُعَاعُ شُمُوسِ

شعاع الشمس: انتشار ضوئها، يقال: أشَعَّتِ الشمس، إذا انتشر شعاعها، وجمع الشموس لاختلاف مطالعها، وقال أبو هلال: الحديد إذا كان مَجْلوًّا وطلعت عليه الشمس برق، وإن لم يحم، وإذا لم يكن مجلوًّا لم يكن له بريق وإن حَمِيَ، فقوله حَمِيَ فصار له ومضان رديء لا وجه له.

[٢٧] **وقال مَعْدَان بن جَوَّاسٍ الكِنْدِيُّ**[(١)]:

ويُروَى لِحُجَيَّةَ بن المضرَّبِ السَّكُوني، الحاء قبل الجيم، ويكنّى أبا حَوْطٍ، شاعر جاهلي، وفارس مُقَدَّم، حليف في بني أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبَانَ. قال أبو الفتح: مَعْدَان: اسم مرتجل من معد يمعد إذا أبعد الذهاب، وقال أبو العلاء: مَعْدَان: يحتمل أن يكون من المعد، وهو نحو الخطف والاختلاس، يقال: امتعد الذئبُ الشاةَ، إذا اختلسها، ويقال: معدَ الرّجلُ، إذا صار لصًّا، وهو راجع إلى ذلك المعنى. قال الراجز:

أَخْشَى عَلَيْهَا طَيِّئًا وَأَسَدَا وَخَارِبَيْنِ خَرَبَا وَمَعَدَا

لاَ يَحْسَبَانِ اللَّهَ إلاَّ رَقَدَا

ولا يمتنع أن يكون مَعْدَانُ من المعد، وهو الشّيء الغضّ، ويقال: مَعَد الدلْوَ، إذا نزعها نزعًا شديدًا، قال الراجز:

يَا سَعْدُ يَا ابْنَ عَمَلٍ يَا سَعْدُ هَلْ يُرْوِيَنْ ذَوْدَكَ نَزْعٌ مَعْدُ

ويقال: معد معدًا، إذا خطا خطوًا سريعًا؛ وهذا كلّه راجع إلى الخطف وزعم قوم أن مَعِدَةَ الإنسان سُمِّيت بذلك لشدّتها، وما أراها إلا من بعض ما ذكر من الألفاظ، وَجَوَّاس: فَعَّال من جَاسَ البلادَ يَجُوسها، إذا تخلَّلها، قال الله تعالى: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾[(٢)] وقرأ أبو السَّمَّال: (فحاسوا) قال أبو زيد: فقلت له: إنما هو جاسوا، فقال: جاسوا وحاسوا واحد، وهو صفة منقولة كَشَدَّادٍ وَغَلاَّق، قال أبو الفتح: وأنا أرى أنّ حاسوا من الحَيْس، وهو الخلط، كأنه إذا وطىء المكان وَذَلَّلَهُ فقد خلط بعضه ببعض، ويجوز أن يكون حاسوا من الواوي من حَوِس الرجل يحوس حَوَسًا، إذا كان شجاعًا، وهو الأحوس، وذلك أنه إذا كان شجاعًا أقدم على الأمور وتعجرف فيها وتورّدها، فالمعنى قريب، ولا يجوز أن يكون حاسوا إتباعًا لجاسوا، ألا ترى أنه منفرد من صاحبه. وَكِنْدَةُ: مرتجل، وهو فِعْلَةٌ من كَنَدَ النعمة إذا كفرها، وقال أبو العلاء: كِنْدَة مأخوذ من الغلظة وكثرة اللحم، واسم كندة فيما قيل عُفَيْر، ويجوز أن يكون مأخوذًا من الكَنُود: أي الكفور، قال أبو رياش: هو من السَّكون، وهؤلاء الرهط مجاورون في بني شيبان.

١ ـ إنْ كَانَ مَا بُلِّغتَ عَنِّي فَلاَمَنِي صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الأنَامِلُ

من الطويل الثاني، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك، والبيت الأول مخروم.

---

(١) معدان بن جوّاسٍ الكنديُّ: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان نصرانيًا. (ت ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). (ترجمته في: سمط اللآلي ص ٤٥٧؛ والمرزباني ص ٤٠٧ والإصابة: ٨٤٤٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥.

قوله «صديقي»: يجب أن يريد به الكثرة لا الواحد، ولفظه لفظ الخبر، والمعنى معنى الدعاء، والمراد القسم، وقوله «لامني»: في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأنا لامني، والفاء مع ما بعده جواب إنْ، والمعنى إنْ كان ما أُدِّيَ إليكَ عني حَقًّا ففعلتُ ما استحققت به لوم الصديق واسترخت أناملي، وخصّ الأنامل لأن أكثر المنافع بها، فإن قيل: اليمين في الشرط كيف تصحّ؟ قلت: هذا كلام مبطل لما ادُّعِيَ عليه نافٍ له، فاليمين تناولت نفي ما أثبت فيه، ودلّ على ذلك فحوى الكلام، ويجوز في «إنْ كان» أن تكون «كان» التامّة لا الناقصة فيكتفي بالفاعل، ولا يحتاج أن يضمر بعده حقًّا، والمعنى إن وقع ما بُلِّغتَ عني وحدث، وجاز إضمار خبر كان إذا جعلتها ناقصة لأن في الكلام والحال دليلاً عليه، ولأن دخوله على المبتدأ والخبر، فكما يحذف الخبر في ذلك الباب يحذف هنا. وقوله «وَشَلَّت» الشَّلَلُ: فَعَلٌ، ولا يجوز في معناه شَلٌّ، يقال شَلِلْتِ يا يدُ، ومصدر فَعِلَ فَعَلٌ في غير المتعدي، وأما الشَّلُّ فالطَّرد، شَلَلْتُ ـ بالفتح ـ إذا طردت.

٢ ـ وَكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا في رِدَائِهِ وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِيَّ قَاتِلُ

«وحدي» انتصب على المصدر، وهو في موضع التوحّد، ومن النحويين مَن يجعله وإن كان معرفة في موضع الحال، قال أبو سعيد: هو ينتصب عند الخليل وسيبويه على الحال، وهو اسم يجعل في موضع المصدر الذي يكون حالاً، والمصدر الذي هذا الاسم في موضعه في موضع اسم هو الحال في الأصل، فإذا قال القائل: مررت بزيد وحده، فتقديره مررت بزيد إفرادًا له بمروري: أي أفردته بالمرور إفرادًا، وهو في معنى مررت بزيد مُفرِدًا له أنا بالمرور، وقوله «أعاديَّ» بناه على الفتح لخفّته ولأنه الأصل في ياء الضمير إذا حرّك، وعلى هذا تقول: هؤلاء بَنِيَّ ومُعْطِيَّ، وأَعَادِيَّ: يجوز أن يكون أفَاعِلَ وأضافه، ويجوز أن يكون أفاعِيل كأنابيب، وخفّفه كما خفّف أثَافِ، ثم أضافه، ويجوز أن يكون لَمَّا رام الإضافة اجتمع ثلاث ياآت فحذف مدة أفاعيل، ومعنى قوله «وكَفَّنْتُ وحدي منذرًا» أي: أكون غريبًا لا أجد مُعينًا، وقوله «في ردائه» أي: لا أجد كَفَنًا، قال النمري: منذر ابنه وَحَوْط أخوه، وقال أبو محمد الأعرابي رادًا عليه: هذا موضع المثل: [الطويل]

إذَا هَبَطَتْ حَورَانَ مِنْ أرْضِ عَالِجٍ فَقُولاَ لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ كَذلِكِ

غلط أبو عبد الله هٰهنا من ثلاثة أوجه: أحدها أنه نسب هذا البيت إلى مَعْدَانَ بن جَوّاس، وهو لِحُجَيَّة بن المُضَرَّب، والثاني أنه قال مُنذِر ابنه، والثالث أنه قال حَوْط أخوه، وإنما المنذر أخوه، وهو المنذر بن المضرب، وحَوْط ابنه، وبه كان يكتني حُجَيَّةُ، وفيه يقول مَعْدَان بن جَوّاس: [الطويل]

وَرِثْتُ أبَا حَوْطٍ حُجَيَّةَ شِعْرَهُ وَأَوْرَثَنِي شِعْرَ السَّكُون المُضَرَّبُ

ثم إن هذا البيت متعلق بقصة لا يكاد يشفي الغليل في معرفة معناه إلا بها، وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغار على بني تميم، فنذروا به، ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب، وكان فيمن كان معه حُجَيَّة بن المضرب، وكانت أُخته فُكَيْهَةُ بنت المُضرَّب تحتَ ضَمْرَةَ بن ضمرة، وهي أم حَرِّيٍّ، فنذر بنو تميم بالنعمان بن المنذر، فهزموه، فاتَّهم النعمان حُجَيَّةَ أن يكون أنذرهم، فقال:

إنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي فَلامَنِي ... صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الأَنَامِلُ

وما بعده.

[٢٨] قال زُفَرُ بْنُ الحارث(١):

ابن مُعَاذٍ بن يزيد بن عمرو الصَّعِق بن خُوَيْلد بن نُفَيْل بن عمرو بن كلاب، يَوْمُ مَرْجِ رَاهِطٍ موضع كانت لهم فيه وقعة بالشام، وهو اليوم الذي قتل فيه الضَّحَّاك بن قَيْس الفِهْرِيُّ. زُفَر: مَعْدُول عن زافر، ولذلك لم يُصْرَف لاجتماع التعريف والعدل فيه، ويدلّ على أنه معدول أنك لا تجده في الأجناس، كما تجد نحو صُرَد وَنُغَر، وأما قوله: [البسيط]

يَأْبَى الظُّلاَمَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ(٢)

فقال أبو علي: إنك إن سمّيت بهذا صرفته لدخول اللاّم عليه، كما تصرفه إذا سميت صُرَدًا وجُرَذًا وَحُطَمًا ولُبَدًا، قال أبو العلاء: يقال زَفَرَ الشَّيءَ، إذا حمله، ويقال للحمل: زفر، وجمعه أزفار، قال القَتَّالُ الكلابي: [البسيط]

طِوَالُ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدوا ... رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارِ

ويجوز أن يكون زُفَر فُعَلاً من الزفير، والحارث: مأخوذ من الحَرْث، وأصله الكسب، ثم قيل لشق الأرض بالسكة: حرث، لأنه يؤدي إلى الكسب، ويسمّى الزرع حَرْثًا؛ لأنه بالحرث يكون، فأما الحرث في قول قَيْسِ بنِ الخَطِيم: [الطويل]

وَلَمَّا هَبَطْنَا الحَرْثَ قَالَ أَمِيرُنا ... حَرَامٌ عَلَيْنَا الخَمْرُ مَا لَمْ نُحَارِبِ

فيقال: إنه أراد موضعًا بالمدينة، وقيل: إن الحَرْثَ المكان السهل، ولعله سمّي حَرْثًا لأنه يُحْرَث فيه. ومُعَاز: مأخوذ من الشّدة، ومنه اشتقاق الأمعز من الأرض،

---

(١) زفر بن الحارث: أبو الهذيل: أمير، من التابعين من أهل الجزيرة، كان كبير قيس في زمانه. شهد صفّين مع معاوية، وشهد وقعة مرج راهط. (ت ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م). (ترجمته في: خزانة الأدب ١/ ٣٩٣؛ وشرح ابن الحاجب ص ٣٠٠).

(٢) هذا البيت لأعشى باهلة من قصيدة رواها له ابن الشجري ص ٨ يرثي فيها أخاه المنتشر بن وهب، وصدره: «أخو رغائبَ يُعطيها ويُسْأَلُها».

ويزيد: مُسَمًّى بالفعل، وَخُلَيْدٌ: تصغير خلد، وله مواضع، يقال: خَلَد، إذا طال مكثه، وخَلَد إلى الأرض مثل أخلد، إذا لصق بها، ويقال: خَلَد، إذا أبطأ عنه الشيب، يَخْلِد ويَخلُد، وَأخلَدَ يُخْلِد فهو مُخْلِد بمعناه، والصَّعِق - واسمه عمرو - وقيل: خويلد، وإنما قيل له الصَّعِق لأنه أصابته صاعقة، وقيل: بل ضُرِبَ على رأسه فكان لا يستطيع أن يسمع صوتًا شديدًا، وَنُفَيْل: يجوز أن يكون تصغير نَوْفَلٍ على معنى الترخيم، والنَّوْفَل: الكثير العطاء، وقيل: النوفل هي العطية مثل النافلة، ويجوز أن يكون تصغير نَفَل من الأنفال: أي الغنائم، أو نفل من النبات، وعَمْرو: يجوز أن يكون من عُمُور الأسنان، وهو اللحم الذي بينها؛ ومن العُمْر في معنى العَمْر: أي الحياة؛ وبيت ابن أحمر يفسر على الوجهين: [الكامل]

بَـانَ الـشَّـبَـابُ وَأخْـلَـفَ الـعُـمْـرُ   وَتَــغَــيَّــرَ الإِخْــوَانُ وَالــدَّهْــرُ

فإذا قيل: إن العمر هٰهنا من عمور الأسنان فمعنى «أخلف» تغيّرت رائحته ولا يمتنع أن يكون عمرو من عَمَرْت الأرض أو من العمر إذا أُريد به القرط، ويقال: هو حلقته، وكِلاَب: يجوز أن يكون جمع كَلْب، كما سمّوا الرجل أَنْمَارًا وأَكْلُبًا، ويجوز أن يكون مصدر كَالَب يُكَالب مكالبة وكِلابًا، إذا عادى وخاصم.

١ - وَكُـنَّـا حَـسِـبْـنَـا كُـلَّ بَـيْـضـاء شَـحْـمَـةً   لَـيَـالِـيَ لاَقَـيْـنَـا جُـذَامَ وَحِـمْـيَـرا

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية من المتدارك.

يقول: كنا نطمع في أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن، وهذا من قولهم في المثل: ما كلّ بيضاء شَحْمَة، ومثله ما كل سَوْدَاءَ تَمْرَة. وجُذَام: اسمه عمرو، ويقال: إنهم كانوا يُسَمُّون بهذه الأسماء الفظيعة لتكون لعدوهم كالطِّيَرَة، فسمَّوا بالجذام هذا الداء، وبغَيْظ، وبحنظلة، ومرة، ونحو ذلك، وإنما أخذ الجُذَام من الجَذْم، وهو القطع، ويقال: ما سمعت له جذمة ولا زجمة: أي كلمة لتقطُّع الصوت بها عند النطق، ويُرْوَى «صُدَاءَ وَحِمْيَرَا».

وصداء: اسم يجوز أن يكون من صدى العطش، ومن صدأ الحديد؛ فإن كان من صدى العطش فهمزته منقلبة من ياء، وإن كان من صدأ الحديد فهمزته أصلية، وحِمْير: اسمه العَرَنْجج، وزعموا أنه سُمّيَ حميرًا لأنه كان يلبس ثيابًا حُمْرًا، فأما العرنجج فنونه زائدة، وكذلك أحد جيميه، ووزنه فَعَنْلَل، فيجوز أن يكون من عَرِج الرجل إذا مشى مشية العُرْجان، أو من عرج إذا صار أعرج، أو من عَرَجَ في السلم إذا رقي فيه، أو من عرج الإبل وهو القطيع العظيم منها، أو من عرج الشمس وهو مغيبها، وجذام وحمير من اليمن، ومعناه إنّا حسبنا أن الناس شَرَعٌ في الخور والجبن، حتى لقينا جذام وحمير فلقينا بأسًا وشدة.

٢ ـ فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّبْعَ بالنَّبْع بَعْضَهُ ... بِبَعْضٍ أَبَتْ عِيدَانُهُ أنْ تَكَسَّرَا

النَّبع: شجر صلب تنبت بالجبال، تعمل منها القِسِيّ، ومن الأمثال: النبعُ يَقْرَعُ بَعْضُه بعضًا، فضربه مثلاً لهم ولأعدائهم، والرواية «عيدانه أن تكسّرا» على أن الهاء راجعة إلى النبع، قال أبو العلاء: ولم يَقل الرجل والله أعلم إلا عيدانهم، يعني القوم الذين حاربوه، لأنه شهد لهم بالصبر، وليس هو من ذمّ أصحابه كما قال عمرو بن معديكرب: [الطويل]

فَلَوْ أنَّ قَوْمِي أَنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ ... نَطَقْتُ وَلٰكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ

وجواب «لما» قوله «أبت»: أي فلما قرع الرجال بعضهم بعضًا ثبت كلّ واحد منهم لصاحبه ولم ينكل فكأنهم نبع قرع بعضه ببعض فلم يتكسّر.

٣ ـ وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةً تَغْلَبِيَّةً ... يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرا

يعني تغلب بن حُلْوَان بن عمران بن الحاف بن قُضَاعة، لأن الظفر في يوم مرج راهط كان لكلب بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلْوَان، وليس لتغلب وائل هٰهنا مدخل، وجواب لما فيما بعد، وهو سقيناهم، وإنما احتاج إلى الجواب لما كان علمًا للظرف، لأنه يجيء لوقوع الشيء لوقوع غيره، واللام من قوله «للمنية» يجوز أن تتعلق بيقودون، ويجوز أن تتعلق بقوله «ضمّرا»: أي ضُمِّرَتْ لها.

٤ ـ سَقَيْنَاهُمُ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا ... وَلَكِنَّهُمْ كانُوا عَلَى المَوْتِ أَصْبَرَا

شهد لهم بالغلبة، واعترف أنهم أهل صبر، وبعض الناس يتأوّل قوله:

وَلٰكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى المَوْتِ أَصْبَرَا

تأوّلاً فاسدًا، ويزعم أنه أراد أن القتل كان فيها أكثر، وليس هذا القول بشيء، لأن الخبر مشهور، وقد أقر زُفَرُ بن الحارث بالهزيمة في قوله: [الطويل]

أَرِينِي سِلاَحِي لاَ أَبَا لَكِ إنَّنِي ... أَرَى الحَرْبَ لاَ تَزْدَادُ إلاَّ تَمَادِيَا
وَلَمْ تُرَ مِنِّي نَبْوَةٌ قَبْلَ هٰذِهِ ... فِرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرَائِيَا

يعني ابنه كَعْبًا ومَوْلاه مِسْكَانَ.

عَشِيَّةَ أُجْرِي بِالصَّعِيدِ وَلاَ أَرَى ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَنْ عَلَيَّ وَلاَ لِيَا
أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إنْ أَسَأْتُهُ ... بِصَالِحِ أَيَّامِي وَحُسْنِ بَلائِيَا
وَقَدْ يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى ... وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا

وقوله «أَصْبَرَا» أي: أصبر منّا، وأَفْعَلُ الذي يتم بمَن تحذف منه من في باب الخبر، دون الوصف، وساغ ذلك فيه لأن الخبر كما يجوز حذفه بأسره لقيام الدلالة عليه يجوز حذف بعضه أيضًا له.

[٢٩] وقال عامر بن الطُّفَيل(١):

قال أبو الفتح: هو تصغير طِفْل أو طَفْل، وأنْ يكون تحقيل طَفْلٍ بالفتح أقيسُ؛ ألا ترى إلى ثبات لام التعريف مع العلمية، وبابها هنالك الصفات، نحو الحارث والعباس، وطَفْل صفة، وتأنيثه طَفْلَة، فهو كَصَعْب وَصَعْبة، فأما الطِّفل فليس تمكنه في الوصف تمكن الطَّفْل، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾(٢) فأوقعه جنسًا، وهذا باب يغلب عليه الاسم لا الصفة، نحو الشاة والبعير والإنسان والملك، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(٣) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾(٤) ونحو ذلك، وقد جاء شيء من ذلك في الصفة نحو قوله: [الرجز]

إن تَبْخَلِي يَا جُمْلُ أوْ تَعْتَلِّي　　　أوْ تُصْبِحِي في الظَّاعِنِ المُوَلِّي

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾(٥) وقال سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾(٦) وكل واحد من هذه الصفات لا يُوقَعُ هذا الموقع إلا بعد أن يجري مجرى الاسم الصريح، وقال: [الرجز]

عَلَى رُؤُوس كَرُؤُوسِ الطَّائِرِ

ويجوز أن يكون تصغير طَفَل، وَالطَّفَل: آخر النهار.

١ ـ طُلِّقْتِ إنْ لَمْ تَسْأَلِي أيُّ فَارِسٍ　　　حَلِيلُكِ إذْ لاقَى صُدَاءَ وخَثْعَمَا

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

طُلِّقْتِ: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون على معنى الدّعاء، والآخر أن يكون معنى الإخبار، والمراد قَرُبَ طلاقك، وهذا كما يقال للإنسان إذا أشرف على الهلكة: هَلَكْتَ يا فلان، وهو لم يهلك بعد: أي قربت من أن تهلك، ومنه قول مالك بن عوف النَّصْري لمّا نظر إلى جيش المسلمين: هَلَكَتْ هَوَازِنُ فلا هَوَازِنَ بعد اليوم. وحليل المرأة: زوجها، قيل له ذلك لأنها تحِلُّ له ويحلّ لها. وقيل: بل سُمِّي بذلك لأنه يُحَالُّهَا في موضع واحد: أي يحلّ معها، ومن هذا الوجه قالوا للجارة حليلة، قال

---

(١) عامر بن الطُّفَيل الكلابيّ: من بني عامر بن صعصعة، فارس قومه، وأحد فتّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كان أعور أُصيبت عينه في إحدى وقائعه عقيمًا لا يولد له، وهو ابن عمّ لبيد الشاعر. (ت ١١ هـ/ ٦٣٢ م). (ترجمته في الإصابة: ٦٥٥٠؛ والشعر والشعراء ص ١١٨؛ ورغبة الآمل ٢/ ١٧٦).

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة العصر، الآية: ٢.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢٧.

(٦) سورة الرعد، الآية: ٤٢.

أوس بن حجر: [الوافر]

وَلَسْتُ بِأطْلَسِ الثَّوْبَيْنِ يُصْبي حَلِيلَتَهُ إذَا مَا النَّاسُ نَامُوا

وَخَثْعَم: زعم قوم أنهم سُمُّوا بذلك من التخثعم، وهو التلطّخ بالدم، ويذكر أنهم نحروا بعيرًا وغَمَسُوا أيديهم في دمه واختلفوا عليه، وقال بعض النّاس: كان لهم جمل يسمّى خثعم يحتملون عليه فسمّوا خثعم.

٢ ـ أكُرُّ عَلَيْهِمْ دَعْلَجًا وَلَبَانُهُ إذَا مَا اشْتَكَى وَقْعَ الرِّمَاحِ تَحَمْحَمَا

دَعْلَجٌ: اسم فرسه، أخذ من الدَّعْلَجَة، وهو اختلاط الألوان في الشّيء، وقيل: الدَّعْلَجَة وَثْبٌ كوثب الفأر أو اليربوع، ويُروَى:

إذَا مَا اشْتَكَى وَقْعَ السِّلاَحِ تَحَمْحَمَا

والسلاح يقال لكلّ ما دفع به العدو من سيف ورمح وغير ذلك، ويذكَّر ويؤنَّث، قال: [الكامل]

تُمْسِي كَألْوَاحِ السِّلاَحِ وتُضْـ ـحِي كَالمَهَاةِ صَبِيحَةَ القَطْرِ

يعني بالسلاح هٰهنا السيوف، وقال الطِّرِمَّاح: [الطويل]

يَهُزُّ سِلاَحًا لَمْ يَرِثْهَا كَلاَلَةً يَشُكُّ بِهَا مِنْهَا أُصُولَ المَغَابِنِ(١)

والصحيح أن يُروَى «وَلَبَانُهُ» بالرفع، جعل الفعل للصدر على المجاز والسّعة لكونه موقع الطعن، وبعض الناس روى «ولبانه» بفتح النون، والرفع أحسن، وقال أبو هلال: مَن نصب جعل التحمحم للفرس، ومَن رفع جعله للّبان، وبيته على كِلا الوجهين مَعِيب، فأما وجه عيبه في حال النصب فهو أنه إذا قال «أكرُّ» فقد استغنى عن ذكر اللّبان لأنه إذا كَرَّه فقد كرّ جميع جسده فليست به حاجة إلى ذكر اللَّبان، ووجه عيبه في حال الرفع أنه يجعل التحمحم للَّبان، ولأن يجعله للفرس أحسنُ، وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الوافر]

إذَا أفْسَدْتَ أوّلَ كُلِّ أمْرٍ أَبَتْ أعْجَازُهُ إلاَّ التِوَاءَا

والصَّواب:

أُقَدِّمُ فِيهِمْ دَعْلَجًا وَأكُرُّهُ إذَا أكْرَهوا فِيهِ الرِّمَاحَ تَحَمْحَمَا

والبيت لعبد عمرو بن شُرَيح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب فارس دَعْلَج قاله يوم

---

(١) البيت في ديوانه ص ٥٠٩؛ ولسان العرب (سلح)، وتاج العروس (سلح)؛ والمخصّص ١٧/ ٢٠؛ وأساس البلاغة (كلل).

فَيْفِ الريح، وليس هو لعامر بن الطفيل، وأنشد في تَصْدَاق ذلك لمروان بن سُرَاقة الجَعْفَرِي: [الرجز]

وَعَـبـدُ عَـمْـرٍو مَـنَـعَ الـقِـيَـامَـا وَدَغْـلَـجَـا أقْـدَمَـهُ إقْـدَامَـا

لَـوْلاَ الَّـذي أجْـشَـمَـهُـمْ إجْشَـامَـا لَـجَـعَـلَـتْـهُـمْ مَـذْحِـجٌ نَـعَـامَـا

[٣٠] وَقَالَ عَمرو بن مَعْدِيكرِبَ الزُّبَيْدِي[١]:

عمرو قد تقدّم تفسيره، واشتقاق مَعْدي مثل اشتقاق مَعْدَان، ويزيد عليه بأنه يجوز أن يكون من العُدْوَان فتقلب الواو ياء إذا بُنِيَ على مَفْعِل، أو يكون بُنِيَ على مَفْعُول فقُلِبَت الواو ياء كما قال الحارثي: [الطويل]

وَقَدْ عَلِمَتْ عِرْسِي مُلَيْكَةُ أنَّنِي أنَا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عَلَيْهِ وَعَادِيَا[٢]

ثم خُفِّفت الياء لطول الاسم، لأنه جعل مع الاسم الثاني كالشّيء الواحد، وكَرِبَ: يجوز أن يكون من الكَرْب الذي هو أشدّ من الغمّ، ومن كَرَبَ في معنى قارب، ومن أكربت الدلو إذا شددتها بالكَرَب، وهو الحبل الذي يشدُّ على العراقي، وقال أبو الفتح: فسّر أبو العباس أحمد بن يحيىٰ معديكرب أنه مَن عَدَاهُ الكربُ: أي تجاوزه وانصرف عنه، وقد ذكرنا وجه شذوذه لمجيئه وهو معتلّ اللاّم على مَفْعِل وبابه مَفْعَلٌ كالمَدْعَى وَالمَشْتَى، ومثله في الشذوذ مَأْوِي الإبل، وتوهم الفرّاء أن مَأْقِي العين من هذا، وليس منه، لأن ميم مأقي أصل؛ لقولهم مُوق ومَاق وأَمْآق، وهو فعل، فشذوذه ليس من هذا الضرب. وَزُبَيْد: تصغير زُبْد أو زَبْد، والزَّبْد: العطاء، يقال: زَبَدَهُ يَزْبِدُهُ زَبْدًا، إذا أعطاه.

١ ـ وَلَـمَّـا رَأيْـتُ الـخَـيْـلَ زُورًا كَـأنَّـهـا جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِـلَـتْ فَـاسْـبَـطَـرَّتِ[٣]

من الضَّرب الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

زور: جمع أزور، وهـو المعوج الزَّوْر: أي هي مائلة من وقع الطعن فيها، أو للطعن، والجداول: جمع جَدْوَل، وهو النهر الصغير، يقول: لمّا رأيت الفرسان منحرفين للطعن وقد خَلَّوْا أعِنَّةَ دوابهم وأرسلوها كأنها أنهار زَرْعٍ أرسلت مياهها فاسْبَطَرَّت: أي

---

(١) عمرو بن معدي كرب الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المعروفة، أسلم ثم ارتدّ بعد وفاة النبي ثم رجع إلى الإسلام وشهد القادسية. (ت ٢١ هـ/ ٦٤٢ م). (ترجمته في الإصابة ترجمة (٥٩٧٢)، وابن سعد ٥/ ٣٨٣؛ والشعر والشعراء ١٣٨).

(٢) هو لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في خزانة الأدب ٢/ ١٠١؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٩١؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٨٥؛ ولسان العرب (نظر)؛ والكتاب ٤/ ٣٨٥؛ وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٦٩؛ وأمالي ابن الحاجب ص ٣٣١؛ وأوضح المسالك ٤/ ٣٩٠.

(٣) عند المرزوقي «خُلِّيَتْ» بدل «أُرسِلت».

امتدت، والتشبيه وقع على جَرْي الماء في الأنهار لا على الأنهار، ويجوز أن يقال: إنها امتدّت في السير منهزمة، أو يريد أنها تثجّ دمًا فكأنها جداول تجري.

٢ ـ فَجَاشَتْ إِلَيَّ النَّفْسُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتِ

جاشت النَّفْسُ: حَمِيَتْ من الفزع وارتفعت مثل القِدْرِ تجيشُ فيرتفع ما فيها، فردّت على مكروهها: أي فرددتها وسكنتها على شدة فثبتت، وقيل: كان عمرو من الشجعان الذين شهدوا على أنفسهم بالجبن في بعض الأحوال، قال المرزوقي: واعترض بعضهم فقال: لولا أنه جبان لما جاشت إليه النفس، وليس الأمر على ما توهّم؛ لأن ما ذكره عمرو وغيره من هذا المعنى بيان حال النفس، ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يَدْهَمُهَا عند الوَهْلَةِ الأولى، ثم يختلفان: فالجبان يركب نفرته، والشجاع يدفعها فتثبت. وقوله «أولَ مرة» وذات مرة لا يكونان إلا ظرفين لأن مَرَّة ليس باسم للزمان لازم، وإنما هو مدخل عليه، فإذا قلت مَرَّةً فإنما حقيقتها فَعْلَةٌ واحدة، ويجوز أن يكون وقتًا واحدًا، ويجوز أن تكون الفاء في «فجاشت» زائدة في قول الكوفيين وأبي الحسن الأخفش، ويكون جاشت جوابًا لِلَمَّا، والمعنى لمَّا رأيت الخيل هكذا خافت نفسي وثارت، وطريقة أكثر البصريين في مثله أن يكون الجواب محذوفًا، كأنه قال: لمَّا رأيت الخيل هكذا فجاشت نفسي فردّت على ما كرهت طَعَنْتُ أو أبليت، يدلّك على ذلك قوله:

عَلامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ سَاعِدِي

فحذف طعنت أو أبليت، لأن المراد مفهوم، وهذا كما حذفوا جواب لو رأيت زيدًا وفي يده السيف، وحذف الجواب في مثل هذا الموضع أبلغ وأدلّ على المراد وأحسن؛ بدلالة أن المولى إذا قال لعبده: «والله لئن قمت إليك» وسكت جالت الأفكار له بما لم تجلْ له لو أتى بالجواب ونصَّ على مؤاخذته بضرب من العذاب.

٣ ـ عَلامَ تَقُولُ الرُّمْحُ يُثْقِلُ عَاتِقِي ... إِذَا أَنَا لَمْ أَطْعُنْ إِذَا الخَيْلُ كَرَّتِ[١]

«ما» في الاستفهام إذا اتصل بحرف جر تحذف الألف من آخره تخفيفًا، على ذلك: فيمَ، وبِمَ، ولِمَ، إلا إذا اتصل «ما» بذا نحو لماذا، فإنه حينئذ يُترَك على تمامه، وقوله «تقول الرمح» يُروَى بفتح الحاء وضمها، فإذا نصبت جعلت «تقول» في معنى تظنّ، وهم يحملون القول على الظن عند الخطاب والكلام استفهام، وعلى ذلك قوله: [الكامل]

فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا[٢]

(١) عند المرزوقي «ساعدي» بدل «عاتقي».

(٢) هذا عجز بيت وصدره: «أمّا الرحيلُ فدُونَ بعدِ غدٍ». وهو لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٤٠٢؛ =

أي: متى تظنّ ذلك؟ فجعل القول بدل الظن لمّا كان القول ترجمة عن الظن، والخطاب والاستفهام يحتملان ما لا يحتمل غيرهما، وإذا رفعت الرمح فالقول متروك على بابه، والرمح يرتفع بالابتداء، والكلام حكاية، والمعنى بأيّ حجّة أحمل السلاح إذا لم أُقاتل عند كَرِّ الخيل: أي إنما أتكلّف مؤنة حمل الرمح للطعن به، وإلا فما معنى حملي إياه، وقوله «إذا أنا لم أطعن» أي: لم يُثْقِلْ ساعديَّ الرمح في وقت تركي الطعن بزمان كَرّ الخيل؟ فإذا الأول ظرف لقوله «يثقل» وإذا الثاني ظرف لقوله «لم أطعن».

٤ ـ لَحَا اللَّهُ جَرْمًا كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ فَازْبَأَرَّتِ

«كلما» انتصب على الظرف، وانتصب «وُجُوهَ» على الشّتم، ويجوز أن يكون انتصابه على البدل من قوله «جَرْمًا» ومعنى «لحا اللّه»: قَشَرَ اللّه، أي فعل بهم ذلك غداة كل يوم، والذرور في الشمس أصله الانتشار والتفريق، ويقال اْزبأرّ: أي انتفش حتى ظهر أصول شعره، قال: [الرمل]

فَهْوَ وَرْدُ اللَّوْنِ فِي ازْبِئْرَارِهِ وَكُمَيْتُ اللَّوْنِ مَا لَمْ يَزْبَئِرّ[1]

والمهارشة والمخارشة سواء، هارشت: واثبت؛ وازبأرّت: تهيأتْ للقتال، وازبأر الرجل: تهيّأ للشرّ.

٥ ـ فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إذْ تَلَاقَتَا وَلَكِنَّ جَرْمًا فِي اللِّقَاءِ ابْذَعَرَّتِ

جَرْمٌ وَنَهْدٌ: قبيلتان من قضاعة، وكانت جَرْمٌ ونَهْدٌ في بني الحارث بن كعب فقتلت جَرْم رَجُلاً من بني الحارث يقال له معاذ بن يزيد، فارتحلت جرم فتحوّلوا إلى بني زُبَيْد قوم عمرو بن معديكرب، فجاءت بنو الحارث يطلبون بدم صاحبهم، فعبَّى عمرو جَرْمًا لبني نهد، وتَعبَّى هو وقومه لبني الحارث، فكرهت جرم دماء بني نهد ففرّت، وانهزمت بنو زبيد، فلامهم عمرو، وابذعرّت: تفرقت، قال: [البسيط]

مَارَ الزَّمَانُ بِجَرْمٍ فَابْذَعَرَّ لَهَا جَمْعٌ وَكَانُوا كِرَامَ القَيْظِ والجمدِ

وأضاف نهدًا إلى ضمير جَرْم لاعتقادهم الاكتفاء بها. ويقال: أغنى فلان فلانًا: إذا أقام به في حرب أو جدال، ومثله أغنيت عنك مَغْنَى فلان، ومَغْنَاتَهُ.

٦ ـ ظَلِلْتُ كَأَنّي لِلرِّمَاحِ دَرِيَّةٌ أُقَاتِلُ عَنْ أَبْنَاءِ جَرْمٍ وَفَرَّتِ

= وخزانة الأدب ٢/ ٤٣٩؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٧٩؛ وشرح المفصّل ٧/ ٧٨؛ والكتاب ١/ ١٢٤؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ٧٤؛ ورصف المباني ص ٨٩؛ ولسان العرب (شيع).

(١) البيت للمرار بن منقذ الحنظلي في لسان العرب (زأبر)؛ وتاج العروس (زبر)؛ وتهذيب اللغة ١٣/ ١٩٧؛ والمخصّص ٦/ ١٥١؛ وجمهرة اللغة ص ١٣٣١؛ وبلا نسبة في كتاب العين ٧/ ٤٠١.

أي: بقيت نهاري منتصبًا في وجوه الأعداء، والطعنُ يأتيني من جوانبي، أذُبُّ عن جَرْمٍ وقد هربت؛ وَالدَّرِيَّة: حلقة يتعلم عليها الطعنَ شبّه نفسه بها لما كان الطعن يأتيه من كل جانب، ويجوز أن يكون المعنى كأني للرماح صيد؛ فقد حكى أبو زيد أنه يقال للصيد خاصة دَرِيَّة غير مهموز، ودَرَايا، فكأنه من دَرَيْتُ: أي ختلت، فأما الدّابّة التي يستتر بها من الصيد فبالهمز، يقال: دَرَأتها نحو الصيد، وإلى الصيد، وللصيد، إذا سُقْتها نحوه، هذا من الدَّرْء وهو الدفع، وقد تسمى تلك الدّابّة الذريعة والسَّيقة، قال: [البسيط]

إذَا نَـصَـبْـنَـا لِـقَـوْمٍ لاَ نَـدِبُّ لَـهُـمْ كَـمَـا تَـدِبُّ إلَـى الـوَحْـشِـيَّـةِ الـذُّرُعُ

جمع ذريعة كَصُحُف وصحيفة، وقوله «أُقاتل» في موضع الحال إن جعلت قوله «كأني للرماح» خبر ظللت، وإن جعلت «كأني» الحال فأقاتل في موضع الخبر لظللت حينئذ.

٧ ـ فَـلَـوْ أنَّ قَـوْمِـي أنْـطَـقَـتْـنِـي رِمَـاحُـهُـمْ نَـطَـقْـتُ وَلَـكِـنَّ الـرِّمَـاحَ أَجَـرَّتِ

النطق استعمل في الكلام وغيره، ولذلك قيل: «منطق الطير» ثم توسّعوا فقالوا: نَطَقَ الكتابُ بكذا، يقول: لو أنهم أبْلَوْا في الحرب بَلاَءً حسنًا لمدحتهم وذكرت بلاءهم، ولكنهم قصّروا فأجَرُّوا لساني فما أنطق بمدحهم، والافتخارِ بهم، والإجْرَارُ: أن يُشَقّ لسان الفصيل لئلا يرضع أمه ويجعل فيه عُوَيْد، وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها؛ ومثله قول عبد يَغوث: [الطويل]

أقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْم، أَطْلِقُوا عَنْ لِسانِيَا[1]

أي: أساؤوا إليَّ فسكتّ عن مدحهم، فكأنهم شدّوا لساني، وقوله «أطلقوا عن لسانيا» أي: أحْسِنوا إليَّ ينطلقْ لساني بشكركم.

[٣١] قال سَيَّارُ بن قَصِيرٍ الطَّائِيّ:

قال أبو الفتح: سَيَّار: فَعَّال من سَارَ يَسِير أو فَيْعَال أو فَوْعال، ويجوز أن يكون فَيْعَالاً من سار يَسُور، وهو صفة منقولة، إلا أن يكون فَوْعالاً؛ فإنه يختصّ بالاسم، وقصير: صفة منقولة كسَيَّار، وأما طَيِّىء فَفَيْعِل من طاء يَطُوء إذا جاءَ وذهب، وأصله طَيْوِىء فقلب كسَيِّد وَمَيِّت، فإذا أُضيف إليه قلت طَائي، وأصله طَيِّئِيٌّ كطَيِّعي فَحذفت تخفيفًا ورفضًا لها البتّة فبقي طَيْئيٌّ كَطَيْعي، ثم أُبدلت الياء ألفًا استحسانًا استمرّ لا وجوبًا عن قوّة علّة، ومثله من القلب قولهم في النسب إلى الحِيرة: حَارِيٌّ، وقولهم في يَيْأس وَيَيْبس: يَاءَسَ ويَابَسَ، وقول مَنْ زعم أنه سُمِّيَ بطيىء لأنه أول مَن طوى المناهل من كلام غير أهل الصناعة.

---

(١) البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي في المفضليات ١/ ٥٥.

١ - لَـوْ شَـهِـدَتْ أُمُّ الـقُـدَيْـدِ طِـعَـانَـنَـا   بِـمَـرْعَـشَ خَـيْـلَ الإِرْمِـنِـيِّ أَرَنَّـتِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

جواب «لو» قوله «أَرَنَّتِ» ويقال: رَنَّ وأَرَنَّ بمعنى، والرنين: صوت مع بكاء، وأُم القُدَيد: قيل هي امرأته، ويجوز أن يكون تصغير القَدِّ من قولك: قَدَدْتُ الشَّيءَ، إذا قطعته طولاً، أو قَدّ الإنسان، أو القدّ الذي هو مسك السخلة، أو القدّ المعروف، ولو صغرت القُدَاد الذي هو وجع في البطن أو القَدِيد من اللَّحم تصغير الترخيم لقلت: قُدَيْد، ومَرْعَش: من ثغور إرمينية، يقول: لو حضرت هذه المرأة مطاعنتنا بمَرْعَش خيل هذا الرجل الإرمني لولولت وضجَّت إشفاقًا علينا لكثرتهم وقلّتنا، والباء من قوله «بمرعش» تعلّق بطعاننا، وهو ظرف مكان له قد عمل فيه، وإنما قيل هذا لئلا يتوهّم أنه تعلق بشهدت، أو لأنه في موضع الحال للخيل أو للمطاعنين فيكون قد فصل به بين الصلة والموصول وهي طعاننا وخيل الإرمني.

٢ - عَـشِـيَّـةَ أَرْمِـي جَـمْـعَـهُـمْ بِـلَـبَـانِـهِ   وَنَـفْـسِـي وَقَـدْ وَطَّـنْـتُـهَـا فَـاطْـمَـأَنَّـتِ

انتصب «عشية» على أنه ظرف لطعاننا، ويجوز أن يكون ظرفًا لشهدت، ولا يجوز أن يكون ظرفًا لأرمي؛ لأن أرمي أُضيفت عشية إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ومَنْ روى «ونفسي قد وطّنتها» تكون الواو للحال، ونفسي ترتفع بالابتداء، ووطّنتها في موضع الخبر، ومَن روى «ونفسي وقد وطّنتها» فإن نفسي تكون في موضع الجرّ عطفًا على «بلبانه»، أي: أرمي جيشهم بنفسي وفرسي، ويكون «قد وطّنتها» في موضع الحال، وتحقيق الكلام وقد وطّنتها على الشرّ فسكَنَتْ إليه ورضيت به.

٣ - وَلاَحِـقَـةِ الآطَـالِ أَسْـنَـدْتُ صَـفَّـهَـا   إِلَى صَفٍّ أُخْرَى مِنْ عِدًا فَاقْشَعَرَّتِ

الآطال: جمع إِطِل وإِطْل، وهو الكشح، وأَيْطَل مثله، يقول: رُبَّ خَيْلٍ قد لحقت بطونها بظهورها أَمَلْتُ صفّها إلى صفّ خيل مثلها من الأعداء فخافت لقلّتنا وكثرتهم؛ وأصل الاقشعرار تَقَبُّض الجلد وانتصاب الشّعر، وقد تكلّم الناس في قول امرىء القَيس: [المتقارب]

والـقَـلْـبُ من خشيـةٍ مـقـشـعـرّ[١]

فقال بعضهم: الاقشعرار لا يصحّ في القلب؛ لأنه يُخْبَر عمّا عليه شَعَر، ولا شعر على القلب، وقال غيره: إنما هذا كناية عن الوجل، ولمّا كان الاقشعرار يقع عنده كنّى عنه، وإذا كان كذا فكأنه قال: والقلب من خشية وَجِلٌ.

---

(١) ديوانه ص ٩، وهو بتمامه:

فـبـتُّ أُكـابـدُ لـيـل الـتـمـا   م والـقـلـبُ مـن خشيـةٍ مـقـشـعـرّ

[٣٢] وقال بعض بني بَوْلاَنَ من طيّىء:

قال أبو الفتح: بَوْلان: اسم مرتجل غير منقول، وهو فَعْلاَن من البول، وقال أبو العلاء: يجوز أن يكون اشتقاق بَوْلاَن هذه القبيلة من قولهم: ما جرى ذلك على بالي: أي على خَلَدِي. وقال بعضهم: البال الحال، وكان بعض السّلف إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: بخير أصلَحَ اللّٰه بالكم، ولا يمتنع أن يكون بَوْلاَن من البول من قولهم: رجل بُوَلَةٌ إذا كان كثير البول، والبُوَال: داءٌ يصيب الغنم فتبول حتى تموت.

١ ـ نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي ... نَارٍ مِنَ الحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ

الأول من المنسرح، مطلق مجرّد موصول، والقافية متراكب.

جَدِيلة: من الجَدْل، وهو الفَتْل، وزعموا أن جديلة أُمهم، ويُقال: ضرمت النار تضرم ضَرَمًا إذا التهبت، ويقال لِما تلتهب به النار سريعًا الضِّرام، والضِّرام: الشّخت من الحطب وما لا جمر له، وما له جمر فهو جَزْل، والضَّرَم هٰهنا: الاضطرام، وقد يكون الضَّرَم النار بعينها. والجَحْمَة: اسْتِعَارُ النار، من قولهم: جَحَمتِ النّار تَجْحَم جَحْمًا وجَحَمًا فهي جاحمةٌ، إذا اضطرمت، ومنه الجَحِيم ويقال: وصفت النار بالجحمة لحُمرتها، ولذلك سُمِّيت عين الأسد جَحْمَة لحُمرتها ولأنها تتراءى بالليل كأنها نار، والجحمة: العين، لغة يمانية، وعين الأسد خاصّة في كلّ اللغات الجحمة. يقول: حبسنا هؤلاء القوم على نار من الحرب شديدة الالتهاب، وليس للنار إبقاء على شيء، فشبّه بها الحرب لقلّة إبقائها على أهلها.

٢ ـ نَسْتَوْقِدُ النَّبْلَ بِالحَضِيضِ وَنَصـ ... ـطَادُ نُفُوسًا بُنَتْ عَلَى الكَرَمِ

ويُروَى «تستوقد النّبل» يعني أن الحرب تفعل ذلك، وقوله «نستوقد النّبل» من فصيح الكلام، كأنه جعل خروج النار من الحجر عند صَدْمة النبل له استيقادًا منهم لها، وتوسّعوا في الوقد حتى قيل: قلبٌ وَقَّادٌ، فإن قيل: هَلاَّ قال: نستقدح النّبل فكان أصحّ؟ قلت: الذي قال أفصح، وقد قيل: زَنْدٌ ميقادٌ، إذا كان سريع الوَرْي، ويُرْوى «تستوقد النّبلُ» و«تصطاد» فيجعل الفعل للنّبل، والمعنى إن نبلنا تجوز المرمى وتصيب الحجارة فتُوري نارًا، وفي البيت تقديم وتأخير، والمعنى إنها تصيب النفوس ثم تمرق منها فتصيب الحجارة؛ وهو مثل قول النابغة في صفة السيوف: [الطويل]

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وَيُوقِدْنَ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَاحِبِ[1]

(١) البيت في ديوانه ص ٤٦؛ ولسان العرب (حبحب) و(صفح)؛ ومقاييس اللغة ٢٨/٢ و٢٩٣/٣؛ والتنبيه والإيضاح ٥٨/١؛ ومجمل اللغة ٢٨/٢؛ وكتاب العين ٧٧/٥؛ وجمهرة اللغة ص ١٧٤.

وقوله «بُنَتْ على الكَرَم» أصله بُنِيَتْ فأخرجه على لغة طَيّىء لأنهم يقولون في بَقِيَ بَقَا وفِي رَضِيَ رَضَا وفي بادية بَادَاة كأنهم يَفرّون من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فتنقلب الياء ألفًا. والحضيض: قرار الأرض عند سفح الجبل، وقال أبو محمد الأعرابي فيما ردّه على النمري عند قوله «واحد النّبل سهم، ولا يقال له نبلة»: هذا موضع المثل: «أحاديثُ زبَّانَ اسْتَهُ عام صَعَّدا» مثل هذا من الشعر لا يقنع واحد النبل وجمعه ولا يعرف معناه البتّة إلا بمعرفة القصة، وهذا الشعر لرجل من بَلْقَيْن، وسبب ذلك أن القين بن جَسْر وَطيِّئًا كانوا حلفاء، ثم لم تزل كلب بأوس بن حارثة حتى قاتل القين يوم مَلْكَان، فحبسهم بنو القين ثلاثة أيام ولياليها لا يقدرون على الماء، فنزلوا على حكم الحارث بن زَهْدَم أخي بني كنانة بن القين، فقال شاعر القين يومئذ: نَحْنُ حَبَسْنَا بني جديلة.

[٣٣] وقال رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرِ الطَّائِيُّ:

١ ـ يَا أيّها الرَّاكِبُ المُزجِي مَطِيَّتَهُ ... سائِلْ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

من الضرب الثاني من البسيط، مطلق موصول، والقافية متواتر.

وهذه الأبيات شاذّة في الشعر القديم؛ لأن العادة قد جرت إذا استعملوا هذا الوزن أن يكون اللّين فيه كاملاً، وذلك أن يكون قبل الرَّوِيّ ألف، أو واو قبلها ضمّة، أو ياء قبلها كسرة. وقوله الصَّوْت قد جاء بالواو وما قبلها مفتوح، وَالمُزجي: السائق، يقال: زَجَا الشّيءَ يَزْجُو زَجْوًا، وزَجَاءً، وأزْجَيْته وزَجَّيْته، إذا اسْتَحْثَثْتَه، والمطيّة: من المطا، وهو الظهر، يقال: مَطَاهُ وامْتَطَاهُ، إذا ركبه، وللحوق الهاء به صار اسمًا، ويُروَى «بَلِّغْ بني أسد» وقوله «ما هذه الصوت» الجملة في موضع المفعول، وارتفع الصوت على أنه عطف البيان، وأراد بالصوت الجَلَبَةَ أو الصّيحة، وهذا الكلام تهكّم، ويجوز أن يكون المراد بقوله «ما هذه الصوت» ما هذه القصة التي تتأدّى إليَّ عنكم، يقال: ذهب صَوْتُ هذ الأمر في الناس: أي انتشر، فكأنه على هذا يوهمهم أنه لم يصحّ عنده ما يقال، وأنهم إن لم يقيموا المعذرة والدلالة على براءة الساحة عاقبهم.

٢ ـ وَقُلْ لَهُمْ بَادِرُوا بالعُذْرِ وَالتَمِسُوا ... قَوْلاً يُبَرِّئُكُمْ إنّي أَنَا المَوْتُ

مفعول «بادروا» محذوف، كأنه قال: بادروا العقاب بالعذر: أي سابقوه، والتمسوا: أي اطلبوا قولاً يبرّىء ساحتكم إني أنا حَتْفُكُمْ إن لم تفعلوا: أي أُقَرِّبُ حتفكم، ولمس والتمس بمعنى، قال: [الوافر]

إلاَمَ عَلَيَّ تَبْكِيهِ ... وَأَلْمَسُهُ فَلاَ أَجِدُهْ

وقوله «يبرّئكم» في موضع صفة للقول: أي قولاً مبرّئًا لكم من الذنب.

٣ ـ إنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بَقِيَّتُكُمْ   فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ

يقول: إذا جنى منكم نفر وأتاني آخرون ينتفون من جنايتهم ويعتذرون بغير عذر واضح لم ينفعهم ذلك عندي ولم تفوتوني بأنفسكم، فالتمسوا عذرًا واضحًا يبرّئكم مما ذُكِرَ عنكم، ويُروَى «ثم يأتيني يقينكم» يعني صحة ذنوبكم، ويُروَى «تَقِيَّتُكم» أي: حذركم، يعني أنه لا ينجيكم ولا تفوتني مكافأتكم. و«بقيتكم» يفسّر على وجهين: أحدهما أن يكون المعنى ثم يأتيني خياركم وأماثلكم يقيمون معذرة أنفسهم أنهم لم يساعدوكم لا بالرأي ولا بالفعل، وهذا كما يقال: فلان من بقية أهله: أي من أفاضلهم، والآخر أن يكون المعنى ببقيتكم الذين لم يذنبوا: أي يأتون متنصّلين بأنهم قد فارقوكم وأسلموكم لعِظَم جنايتكم.

[٣٤] وقال أُنَيفُ بْنُ زَبَّانَ النَّبْهَانِيّ من طيىء:

أنيف: تحقير أَنْف، وأنف كل شيء: أوله، ويجوز أن يكون تصغير أُنُف من قولهم: رَوْضة أُنُفٌ، ويجوز أن يكون تصغير الأنَفِ من قولهم: أَنِفَ أَنَفًا، وَزَبَّان: مرتجل للعلمية، وهو فَعْلاَن من الزَّبَب والأزبّ، وليس بفَعَّالٍ من الزَّبْنِ، ألا تراه غير مصروف في نحو قوله: [البسيط]

هَجَوْتَ زَبَّانَ ثُمَّ جِئْتَ مُعْتَذِرًا   مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدَعِ(١)

«لم تهجو» كقوله: ألم يأتيك، وقال أبو العلاء: ومَن روى «ربان» بالراء فهو من رَبَبْتُ الشَّيءَ، إذا أصلحته، ونَبْهَان: فَعْلاَن من الانتباه، أو من النباهة، فإن كان من الانتباه فهو كقولهم في التسمية: يَقْظَان، وإن كان من النباهة فهو كتسميتهم بشَرِيف ونحوه من عالٍ وغيره.

١ ـ جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ   كَتَائِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا

الثاني من الطويل، مطلق مردف بوصل وخروج، والقافية متدارك.

واحدة الكتائب كَتيبة وهو العسكر المجتمع، تَكَتَّبَ: تجمّع، وقيل: هي العسكر الذي يجتمع فيه جميع ما يحتاج إليه للحرب، ومنه كَتَبْتُ الكتاب: أي جمعت فيه الحروف والمعاني المحتاج إليها، وَالمُقْرِفُ: الذي أُمّه عربية وأبوه مَوْلًى، وهو المُذَرَّع أيضًا، والهَجين: الذي أبوه عربيّ وَأُمُّه أَمَةٌ. وَيُرْدِي: يهلك، ويردي مع ما بعده في موضع الصفة للكتائب: أي جمعنا لهؤلاء القوم جيوشًا يعجز المقرفون فيها ويلحقهم

(١) البيت لزبّان بن العلاء في معجم الأدباء ١١/١٥٨؛ وبلا نسبة في تاج العروس (زبب) و(زبن)، والإنصاف ١/٢٤؛ وخزانة الأدب ٨/٣٥٩؛ والدّرر ١/١٦٢؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/٦٣٠؛ وشرح المفصّل ١٠/١٠٤.

الضّعف والخَوَر فلا يقومون بها حقَّ القيام فيرجعون بعارها ويصيبهم نكالها فيخمل ذكرهم فكأنهم قد هلكوا.

٢ ـ لَهُمْ عَجُزٌ بِالرَّمْلِ فَالحَزْنِ فَاللِّوَى   وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّـيْ جَدِيسَ رِعَالُهَا

الرّعيلُ: قطعة من الخيل متقدّمة، وتوسّعوا فيه فقالوا: أراعيل الرياح، ويقال: اسْتَرْعَلَ فلان: أي خرج في الرعيل الأول، وَاللِّوى: حيث يَرِقُّ الرمل فيخرج السائر فيه إلى الحَزْنِ، وقد ألوى القوم، إذا صاروا إلى اللِّوى، وهو هٰهنا موضع بعينه. وطَسْمٌ وجديس: أُمّة من العرب انقرضوا، وقيل: أراد بالحيّين جدسًا وجديسًا، وذكرهم والقصد إلى بلادهم وديارهم، يقول: أوائل هذه الخيل قد جاوزت حَيَّيْ جديس وأواخرها بالحزن فاللّوى.

٣ ـ وَتَحتَ نُحُورِ الخَيلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ   تُتَاحُ لِغِرَّاتِ القُلُوبِ نِبَالُهَا

الحَرْشَفُ: الجماعة الكثيرة، يقال: جاء بالحرشف والدخيس، إذا جاء بالجمع الكثير، والأصل في الحرشف أن يستعمل في الجراد، ثم استعير للجماعة من الرَّجَّالة، على التشبيه. وَرَجْلَة: موضوعة لأدنى العدد، بدلالة أنك تقول: ثلاثة رَجْلة، ومن عادتهم أن يقدّموا الرَّجَّالة عند تعبئة الجيش، وأراد قطعة من الرَّجَّالة، وتُتَاحُ: تُقَدَّرُ، وموضعه جرّ على الصفة لرَجْلة. وغِرّات: جمع غِرَّة، وهي صفة، يقال: رجلٌ غِرٌّ، وجارية غِرَّة وغريرة، ومصدره الغَرَارة، وحبة القلب: خالصته، وسويداؤه: علقة سوداء في جوفه: أي تحت صدور الدواب قطعة من الرّجّالة تقدر نبالها للقلوب الغافلة: أي لهم حِذْقٌ بالرّمي فهم يرمون حَبَّات القلوب فلا يخطئون.

٤ ـ أَبَى لَهُمُ أنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ   بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

هذا الكلام من صفة الكتائب، و«أن يعرفوا» في موضع المفعول لأبى، وفاعله قوله «أنهم بنو ناتق»، وقوله «كانت»: من صفة الناتق، والناتق: المرأة الكثيرة الولادة، يقال: نَتَقَتْ تَنْتِق نَتْقًا، وأصل النَّتْق الاقتلاع، كأنها اقتلعت ما في رحمها اقتلاعًا، وفي القرآن﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾[1] أي: اقتلعناه من أصله فجعلناه كالمظلة على رؤوسهم، وكثرة العدد مما يفتخر به، يقول: منع لهم معرفة الضيم كثرة عددهم: أي أبى بهم أن يُضَاموا كثرةُ عددهم، وجعل العيال كناية عن الأولاد، وهو جمع عَيِّل، كَجَيِّد وجياد.

٥ ـ فَلَمَّا أَتَينَا السَّفحَ مِنْ بَطْنِ حَائِلٍ   بِحَيثُ تَلاَقَى طَلْحُهَا وَسَيَالُهَا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

السفح: أسفل الجبل حيث يغلظ، والطَّلْح والسَّيَال: ضربان من الشجر، وحائل: موضع، والباء في قوله «بحيث» تتعلق بفعل دلَّ عليه «أتينا السفْح» كأنه قال: حَصَلْنَا بحيث تلاقَى، وموضعه من الإعراب نصب على الحال للمضمرين في «أتينا» والسفح لاشتهاره بما وضع له أغنى عن إضافته إلى الجبل، وجواب لَمَّا قوله:

٦ ـ دَعَوْا لِنِزَارٍ وَانْتَمَيْنَا لِطَيِّئٍ   كَأُسْدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنِزَالُهَا

انتمينا: انتسبنا: أي قالوا يا لنزار وقلنا يا لطيئ مشابهين للأسود، وقوله «كأسد الشَّرَى»: حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وكأنه قال: كإقدام أسد الشّرى إقدامُهَا ونزالُها، وجاز الحذف لأنه لا يلتبس وجه التشبيه بغيره؛ والشَّرَى: موضع تنسب إليه الأسود المتناهية في الجراءة.

٧ ـ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بَيَّنَ السَّيْفُ بَيْنَنَا   لِسَائِلَةٍ عَنَّا حَفِيٌّ سُؤَالُهَا

الإحفاء يكون في السؤال عن الشيء، ويكون في طلب، وفي طلب الشّيء من الغير، وهو المبالغة فيهما، يقال: أَحْفَى في المسألة وتَحَفَّى فيها، إذا بالغ فيها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[1] أي: بَرًّا مَعْنِيًّا، ومنه أَحْفَى شاربه إذا استقصى قَصَّه. أي لمّا تحاربنا أظهر السيف رجالنا وميّز بيننا وبين المنتسبين إلى نزال لامرأةٍ مبالِغَةٍ في السؤال عنّا، فالذي بَيَّنه السيف حُسْنَ بلاء أحد الفريقين وزيادته فيما يحمد من الصبر والثّبات على صاحبه، وقد حذفه من اللفظ لأن المفاعيل تحذف كثيرًا إذا دلَّ الدليلُ عليها.

٨ ـ وَلَمَّا تَدَانَوْا بِالرِّمَاحِ تَضَلَّعَتْ   صُدُورُ الْقَنَا مِنْهُمْ وَعَلَّتْ نِهَالُهَا

قوله «تضلّعت صدورُ القنا منهم»: حقيقته أن يستعمل فيما له ضِلَعٌ، وعند الارتواء تنتفخ الأضلاع، واستعاره هٰهنا، ويقال: تَضَلَّع شِبَعًا وتحبّب رِيًّا، وخصَّ الصدور لأن الطّعن بها يكون، ويقال: عَلَّ إبلَه يَعُلُّ ويَعِلُّ، فَعَلَّتْ هي، ويجوز أن يقال: معنى تضلّعت تعوَّجت فيها، ورمحٌ ضَلِعٌ: مائلٌ، والضَّلَعُ: المَيْلُ.

٩ ـ وَلَمَّا عَصَيْنَا بِالسُّيُوفِ تَقَطَّعَتْ   وَسَائِلُ كَانَتْ قَبْلُ سِلْمًا حِبَالُهَا

يقال: عَصَوْت بالعصا، وعَصَيْت بالسيف، إذا ضربت بهما، والأصل واحد، ولكنهم أَحَبُّوا أن يفرّقوا بينهما، كما قالوا: طَلَّقْتُ المرأةَ، وأَطْلَقْتُ البعيرَ من عقاله، والأصل واحد، يقول: لمّا تجالدنا بالسيوف وقتل بعضنا بعضًا تقطّع ما كان بيننا من القرب فصارت عداوات، والسِّلم: المسالمة، والحبال هٰهنا: يجوز أن تكون مثلاً،

(١) سورة مريم، الآية: ٤٧.

ويجوز أن تكون العهود، فإن جعل الحبال مثلاً فالمعنى أنّ حبال تلك الوسائل كانت مفتولة على الصّلح فتقطّعت باستعمال السيوف، ويقال: وَسَّلْتُ إليه بوسيلة، وَتَوَسَّلْتُ: أي تقرّبت إليه بقربة.

١٠ ـ فَوَلَّوْا وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمُ ... قَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُهَا وَطِوَالُهَا

«وأطراف الرماح» في موضع الحال للمضمرين في «ولّوا» وذكر الأطراف لأن الطعن بها يقع، وإن كانت الرماح بأسرها مقصودة، يقول: انهزموا وأسنّة الرماح متمكّنة منهم ومقتدرة عليهم طوالها وأوساطها. والمربوع والمرتبع: ما بين القصير والطويل، وارتفع «مربوعاتها» على البدل من الأطراف وهذا يبيّن أن القصد بها إلى جميعها لا إلى بعضها.

[٣٥] وَقَالَ عَمْرُو بن مَعْدِيكرب:

١ ـ لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ... فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

٢ ـ إِنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ ... وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا

من مُرَفَّل الكامل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

قوله «فاعلم» اعتراض تأكّدَ به الكلام، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾(١) لأن قوله «وإن ردّيت» متعلق بما قبله تعلق جواب القسم بالقسم، يقول: ليس الجمال فيما تلبسه من الثياب، وكانوا يأتزرون ببُرْدٍ ويرتدون بآخر، ويُسَمَّيَان حُلَّة، وباجتماعهما كان يكمل اللّبوس حتى كانت خِلْعَة ملوكهم لا تعدوهما، ولذلك سُمِّيَ مَن سُمِّيَ ذا البُرْدَين، وقوله «وإن رُدِّيتَ بُرْدًا» في موضع الحال، كأنه قال: ليس جمالك بمِئزرٍ مُرَدًّى معه بُرْدًا، والحال قد يكون فيه معنى الشرط كما أن الشرط فيه معنى الحال؛ فالأول كقولك: لأفعلنّه كائنًا ما كان: أي إن كان هذا وإن كان هذا، والثاني كبيت الكتاب(٢): [البسيط]

عَاوِدْ هَرَاةَ وَإِنْ مَعْمُورُهَا خَرِبَا

لأنّ الواو منه في موضع الحال كما هو في بيت عمرو، وفيه لفظ الشرط ومعناه، وما قبله نائب عن الجواب، والمعنى إن خرب معمور هراة فعاودها، وكذلك بيت عمرو تقديره: إن رُدِّيتَ بُرْدًا على مئزر فليس الجمال ذلك، وقوله «إن الجمال معادنٌ ومناقب» المعادن: الجواهر، يعنون الأصول الكريمة، وجوهر الشيء: أصله فارسي معرّب، ويجوز أن يكون عربيًا فوْعَلاً من الجهر وقال رسول الله ﷺ: «الناس معادن فخيارهم في

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) كتاب سيبويه ١/ ٤٥٧.

الجاهلية خيارهم في الإسلام»[1]، وأصل المعدن من عَدَنَ بالمكان إذا أقام به، وقيل: اشتقاقه من عدنت الحجر إذا قلعته، والمناقب: الطرق من طرق الخير، ومناقب الإنسان: ما عُرِفَ فيه من الخصال الجميلة، والواحدة مَنْقَبة، والنقيب كأنه منه، نَقِيبٌ بَيِّنُ النَّقَابة - بفتح النون مثل الكفالة - فأمّا العِرَافة فبكسر العين؛ والمجد: الشرف والرّفعة، وبه سُمِّيت الأرض المرتفعة مَجْدًا ونَجْدًا، ويجوز أن يكون أصله الكثرة من قولهم: أمْجَدْتُ الدّابّة عَلَفًا: أي وَسَّعته لها، يقول: جمال المرء في أصوله الزكيّة وأفعال له كريمة تُورِثُ المجدَ والشّرفَ.

٣ - أَعْـدَدْت لِـلْـحَـدَثَـانِ سَـا بِـغَـةً وَعَـدَّاءً عَـلَـنْـدَى

أعْدَدْتُ وأعْتَدْتُ واحد، والاسم العُدَّة والعَتَاد، يقول: هَيَّأت لنوائب الدهر: أي لدفعِها، دِرْعًا واسعة وفرسًا ضخمًا شديدًا جَيِّد العَدْو كثيره. وَالعَلَنْدى ألفه للإلحاق، كسفرجل، وأصل الكلمة ثلاثي، والنون والألف زائدتان، فهو من العَلْدِ؛ قال الخليل: هو الغليظ الشديد من كلّ شيء، والدليل على أن الألف للإلحاق أنك تقول للمؤنث: عَلنداةٌ، وأنك تُنَوِّنُ فتقول: عَلَنْدًى، وذكر بعضهم أن العلندى الضَّخم من الخيل والإبل جميعًا، وجمعه علاند، وإن شئتَ عَلاَدِ. وفرس عَدَّاء وعدوان: كثير العدو، ويقال: جمل عَلَنْدًى، وناقة علنداة، وقد جاء في الشعر القديم علندى في صفة الناقة، قال المرقِّش: [الطويل]

فَهَلْ تُبْلِغَنِّيهِمْ عَلَى البُعْدِ جَسْرَةٌ أَمُونٌ عَلَنْدَى جَلْعَدٌ غَيْرُ شَارِفِ

واستعمل العَلَنْدَى في صفات الخيل والمراد به الشديد وأكثر ما يستعمل في الإبل.

٤ - نَـهْـدًا وَذَا شُـطَـبٍ يَـقُـدُّ الـبَـيْـضَ وَالأَبْـدَانَ قَـدًّا

يقال: فرسٌ نَهْدٌ: أي ضخم طويل، والأُنثى نَهْدَة ومنه قيل للجارية إذا عظم ثدياها ولم يتكسّرا: ناهد. والشُّطَب وَالشُّطُب: طرائق السيف، وسيفٌ مُشَطَّبٌ منه، والأبدان: جمع بَدَن، وهي الدرع القصيرة، قال علقمة: [الطويل]

تَخَشْخَشُ أَبْدَانُ السِّلاحِ عَلَيْهِمُ كَمَا خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحَصَادِ جَنُوبُ

والقدّ: القَطْعُ طولاً، والقطّ عرضًا.

٥ - وعَـلِـمْـتُ أَنّـي يَـوْمَ ذَا كَ مُـنَـازِلٌ كَـعْـبًـا وَنَـهْـدَا

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٢/٤٣٨ و٣/٣٦٧؛ والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١/٧٤؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٢١.

يجوز أن يُشار بذاك إلى أمر قد علمه السامعون، وهو الحرب، لأن النِّزال يكون فيها، ويجوز أن يكون أشار بذاك إلى السلاح الذي زعم أنه أَعَدّه، ويجوز أن يكون أشار إلى الحدثان، ومعنى البيت: علمت أني منازل هؤلاء فأعددتُ لهم هذا السلاح لعلمي بالحاجة إليه.

٦ ـ قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الحَدِيـ ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا وَقِدًّا

انتصب «حَلَقًا» على أنه بدل من الحديد، ويريد به الدروع التي نُسِجَت حلقتين حلقتين، وَالقِدّ: أراد به اليَلَبَ، وهو شبه درع كان يُتَّخَذُ من القدّ، ويُروَى «خُلُقًا وَقَدًّا» ويكون انتصاب «خُلُقًا» على التمييز: أي تشبّهوا بالنمر في أخلاقهم وخِلَقِهِم، ودلَّ على الخِلَقِ قوله «قَدًّا»؛ ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الدّروع واليَلَب تشبّهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب، وَيجوز أن يريد بتنمّروا تلوّنوا بألوان النمر لطول ثباتهم، وحينئذ يصحّ أن يكون انتصاب «خُلُقًا» على التمييز والمعنى الأول أجود، ويجوز أن يكون المعنى أنهم أشبهوا النّمور إذا لبسوا الدروع لما في جلود النّمور من البقع شبّهها بِحَلَقِ الزَّرد، ويجوز أن يكون المعنى أنّ جلودهم وألوانهم ازبَدَّتْ من الغضب فصاروا مثل النّمور، فإن قيل: كيف دخل قوله «وقِدّا» بالعطف على «حَلَقًا» في أن يكون لابس الحديد وليس منه؟ قيل: لمّا كان يُغني غَنَاءَ دِرعِ الحديد جاز أن يصحبه في أن يكون بدلاً، وقوله «إذا لبسوا الحديد» ظرف لتنمّروا، وقال أبو العلاء: قوله تنمّروا أي لبسوها فصارت لهم كالنَّمرات، والنَّمِرَةُ: كساء صغير فيه بياض وسواد فنصب حلق على أنه مفعول، ويحتمل أن يكون تنمّروا يراد به اختلاف ألوان ما لبسوه فيكون نصب حَلَق على التفسير.

٧ ـ كُلُّ امْرِىءٍ يَجْرِي إِلَى يَوْمِ الهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا

هذا كما قيل في المثل: قبل الرِّمَاءِ تُمْلأُ الكنائنُ، والضمير من صلة «ما» محذوف استطالة للاسم ويجوز أن يكون «استعدّ» فعلاً ليوم الهياج لا لكلّ امرىء، ويكون معناه بما كلّف يوم الهياج أن يُعَدَّ له، يقال: استعددتَه كذا: أي سألته أن يعدَّ.

٨ ـ لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا يَفْحَصْنَ بِالمَعْزَاءِ شَدًّا

الأمعز والمَعْزَاء: الأرض الصلبة ذات الحجارة، والجمع المُعْز والأماعز والمَعْزاوات، والأصل في المَعْز الصّلابة، يقال: رجلٌ ماعزٌ وَمَعِزٌ. ومعنى «يَفْحَصْنَ» يؤثرن لشدّة العدو في المعزاء حتى يصير بها لآثارهم كالأفاحيص، وانتصب «شدًّا» على أن يكون مفعولاً له، كأنه قال: يفحصن بالمعزاء لشدّهنَّ، ويجوز أن يكون «شَدًّا» مصدرًا في موضع الحال: أي يفعلن ذلك بالمعزاء شادّات، ويُروَى «يمحصن» والمحص: العدو الشديد، وينتصب شدًّا على أنه مصدر من غير لفظه، كأنه قال: يشددنِ شدًّا، وجواب لما قوله «نازلت» فيما بعد.

٩ ـ وَبَـدَتْ لَـمِـيـسُ كَـأنَّـهـا ... بَـدْرُ الـسَّـمَـاءِ إذَا تَـبَـدَّى

قوله «كأنها بدر السماء» في موضع الحال للمرأة: أي بدت مشبهة البدر، و«إذا تبدّى» ظرف لما دلَّ عليه «كأن» من معنى الفعل: أي برزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها كأنها قد أرسلت نقابها، ودلَّ على هذا بقوله «كأنَّها بدر السماء إذا تبدّى» وإنما فعلت ذلك إما للتشبيه بالإماء حتى تأمن السباء، أو لما تداخلها من الرعب، ومثله: [الطويل]

وَنِسْوَتُكُمْ في الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا ... يُـخَـلْـنَ إمَـاءً وَالإمَـاءُ حَـرَائِـرُ

١٠ ـ وَبَـدَتْ مَـحَـاسِـنُـهَـا الَّـتِـي ... تَـخْـفَـى وكَـانَ الأمْـرُ جِـدًّا

١١ ـ نَـازَلْـتُ كَـبْـشَـهُـمُ وَلَـمْ أَرَ ... مِـنْ نِـزَالِ الـكَـبْـشِ بُـدَّا

«لا بدّ» يستعمل استعمال لا محالة، وتحقيقه لا مَحِيد ولا مَعْدِل، ومنه قولهم: استبدّ فلانٌ بالأمر: أي انفرد به، والبَدَدُ: مصدر الأبدّ، وهذا جواب قوله «لما رأيت»، وكبشُ الكتيبة: رئيسُها، يقول: لمَّا رأيتُ الشدّة نازلتُ كبشَ الأعداء ولم يردعني الفزع من منازلته.

١٢ ـ هُـمْ يَـنْـذُرُونَ دَمِـي وَأَنْـ ... ـذُرُ إنْ لَـقِـيـتُ بِـأَنْ أَشُـدَّا

يقول: هم ينذرون أنهم إذا لقوني قتلوني وأنذر الحملة عليهم.

١٣ ـ كَـمْ مِـنْ أخٍ لِـيَ صَـالِـحٍ ... بَـوَّأْتُـهُ بِـيَـدَيَّ لَـحْـدَا

بَوّأته: أنزلته، وَالمُبَوَّأ: المنزل، وفي القرآن﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[1] وَمَباءة الإبل: مَبْرَكُهَا، وسمّيت بذلك لأنها تبوء إليها: أي ترجع، وسُمّي اللَّحدُ لحدًا لأنه حُفِر في جانب القبر، ومنه قيل: أَلْحَدَ الرّجلُ، إذا مال عن الدين فصار في جانب، ويقال: لحد ومُلْحَد وملحود بمعنى: أي كم من أخ موثوق فُجِعْتُ به، ولمّا فرغ من التبجح بالشجاعة ذكر صبره على البلاء.

١٤ ـ مَـا إنْ جَـزِعْـتُ ولاَ هَـلِـ ... ـعْـتُ وَلاَ يَـرُدُّ بُـكَـايَ زَنْـدَا

الهَلَع: أفحش الجزع؛ لأنه جَزَع مع قلّة صبر، فكأنه قال: ما جزعت عليه حزنًا هَيِّنًا ولا فظيعًا، وهذا نفي للحزن رأسًا، وقوله «ولا يردّ بُكاي زندًا»: يستعملون الزَّنْد في معنى القلّة؛ كما يستعملون الفُوفَ والنَّقِيرَ والقِطْميرَ، وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا قلَّلوا مالَ الرجل: زَنْدَانِ في مُرَقَّعَةٍ، ويُروَى «ولا يردّ بكايَ ردًّا» أي: مردودًا، ويُروَى «زيدًا» وقالوا: يعني أخًا له، قالوا: ولا تصحّ هذه الرواية؛ لأن بعضهم ذكر أنه فتّش عن نسب عمرو فلم يجد له نسيبًا ولا شقيقًا يسمّى زيدًا، على أن قوله «كم من أخٍ لي» يلائمه فيما يقتضيه سياق

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩٣.

اللفظ ونظام المعنى، وذكروا في هذه الرواية أنه يريد بزيد أخا عمر بن الخطاب، وكان حليفًا له في الجاهلية، وروى ابن دريد:

مـا إنْ جَـزِعْـتُ وَلاَ هَـلِـعْـتُ ... وَلاَ لَـطَـمْـتُ عَـلَـيْـهِ خَـدَّا

ومجاز الكلام إني لم أجزع ولم أهلع لفقدان مَن فقدته، ولو جزعت وهلعت لم يردّ ذلك عليَّ شيئًا.

١٥ ـ أَلْـبَـسْـتُـهُ أَثْـوَابَـهُ ... وَخُـلِـقْـتُ يَـوْمَ خُـلِـقْـتُ جَـلْـدَا

أي: كفّنته ودفنته وتجلّدت بعده.

١٦ ـ أُغْـنِـي غَـنَـاءَ الـذَّاهِـبِـيـ ... ـنَ أُعَـدُّ لِـلأَعْـدَاءِ عَـدَّا

يجوز أن يريد بالذاهبين مَن انقرضَ من عشيرته، ويكون المعنى أنه المعتمد عليه بعدهم، ويجوز أن يريد بهم المتغيّبين عن المشاهد والمعارك، وقوله «أعدّ للأعداء» يجوز أن يكون المعنى يقول فيّ الأعداء: خذوا فلانًا فإنه يُعَدّ بكذا من الفرسان، ويقال إن عَمْرًا كان يُعَدّ بألف فارس، ويجوز أن يكون المعنى أُهَيّأ للأعداء معدودًا، فيكون «عدًّا» انتصابه على الحال، وموضوعًا موضع المعدود، وأُعَدُّ مستقبَل أُعْدِدْت: أي هُيِّئْتُ، ويُروَى «أُعِدُّ للأعداءِ» أي: أُعِدُّ لهم السلاحَ، ويُروَى «أَعُدُّ للأعداء» بفتح الهمزة، ويحتمل معنيين: أحدهما أن يقول أَعُدُّ لهم وقعاتي وأيامي عند المفاخرة، والثاني أن يقول أَعُدُّ لهم كلّ ما يحتاج إليه من عَدَدٍ وَعُدّة. وهذا يرجع معناه إلى معنى رواية مَن يروي «أُعِدُّ للأعداء» بضم الهمزة وكسر العين، وفي هذه الرواية يجوز أن يكون «عَدًّا» مفعولاً به، والمعنى أعدّ لها معدوداتها.

١٧ ـ ذَهَـبَ الَّـذِيـنَ أُحِـبُّـهُـمْ ... وَبَـقِـيـتُ مِـثْـلَ الـسَّـيْـفِ فَـرْدَا

ينتصب «فردًا» على الحال: أي منفردًا: أي قد مضى قُرَنَائي فصرتُ وحدي لا صاحبَ لي يعينني على الأمور، كالسيف لا ثاني له في غمد.

[٣٦] وقال عمرو أيضًا:

١ ـ وَلَـقَـدْ أَجْـمَـعُ رِجْـلَـيَّ بِـهَـا ... حَـذَرَ الـمَـوْتِ وَإِنِّـي لَـفَـرُورُ

من الرمل الأوّل إذا أطلقت، ومن الثاني إذا قيّدت، مردف في الضربين جميعًا، والقافية من المتواتر إذا أطلقت، ومن المترادف إذا قيّدت.

وروى بعضهم «لَقَرُور» بالقاف من القَرَار، وقال: إن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار، وذلك غلط؛ لأن قوله «كُلّ ما ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ» يدلّ على أنه ذكر حالين: حال ثبات، وحال فرار، فحال الفرار قوله «ولقد أَجْمَعُ رِجْلَيَّ بِهَا» والحال الأخرى قوله «ولقد أعطفها» والمعنى: أنّي أفرُّ إذا كان الفرار أحزم. ولو ذكر حالاً واحدة لم يحسن أن يقول «كل ما

ذلك مني خلق» وإنما دلَّ على عقله وحزمه في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار، وليست الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة، إنما ذلك هَوَجٌ، والشجاعة أن يتقدّم وغالب ظنه أنه يغلب ويظفر؛ فأما إذا علم أنه إذا أقدم هلك ثم أقدم فإن ذلك جنون لأن كل واحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك، وإنما الشأن في أن يحمد غِبَّ إقدامه، كما قال: [الطويل]

أُقَاتِلُ حَتَّى لاَ أرَى لِي مُقَاتَلاً وَأَنْجُو إذَا غَمَّ الجَبَانُ مِنَ الكَرْبِ

ومثله لزيد الخيل: [الطويل]

أُقَاتِلُ مَا كَانَ القِتَالُ حَزَامَةً وَأَنْجُو إذَا لَمْ يَنْجُ إلاَّ المُكَيِّسُ

غيره: [الطويل]

شُجَاعٌ إذَا مَا أمْكَنَتْنِيَ فُرْصَةٌ وإنْ لَمْ تَكُنْ لِي فُرْصَةٌ فَجَبَانُ

وإنما هذا كلام مَن جمع إلى شجاعته وإقدامه حَذَرًا وَحَزْمًا، وقوله «أجمع رجليَّ بها» أي: بفرس أضمّهما عليها أستدرُّ الجريَ، و«حَذَرَ الموت» مفعول له.

٢ ـ وَلَقَدْ أعْطِفُهَا كَارِهَةً حِينَ لِلنَّفْسِ مِنَ المَوْتِ هَرِيرُ

وهذا القول يدلّ على أنه يفرُّ ثم يعطف، والهرير: من الصوت، هرَّ يَهِرُّ هَرِيرًا، وهرّ إذا كره أيضًا، وهو المراد هٰهنا: أي للنفس من الموت كراهةٌ.

٣ ـ كُلُّ مَا ذَلِكَ مِنِّي خُلُقٌ وَبِكُلٍّ أنَا فِي الرَّوْعِ جَدِيرُ

«ما» زائدة، ويقال: هو جديرٌ بكذا، ولكذا، وجدير أن ينال كذا، ولقد جَدُرَ جَدَارَةً: أي هو خليق بكذا.

٤ ـ وَابْنُ صُبْحٍ سَادِرًا يُوعِدُنِي مَا لَهُ في النَّاسِ مَا عِشْتُ مُجِيرُ

يقال: أتى فلان سادرًا، إذا جاء من غير جهته، و«ابن صبح» فيه قولان: أحدهما أنه رماه بأنه لغير رِشْدَةٍ: أي حملت به أُمه وقت الصّبح ممَّن أغار على قبيلته، فنسبه إلى الصبح، والآخر أنه يستهزىء به: أي يغير وقت الصبح كما يفعله الشجاع فنسبه إليه، كما قالوا: ابن الحرب، وابن الفيافي، وقوله «ما عشت» ظرف، بيانه أن «ما» مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزمان معه محذوف، كأنه قال: مدة عيشي.

[٣٧] وَقَالَ قَيسُ بْنُ الخَطِيمِ(١):

ابن عديّ بن عمرو بن سَوَاد بن ظَفَر الأَوْسِيّ؛ قيس: من قاس الشّيءَ يقيسه قيسًا

---

(١) قيس بن الخطيم: شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام. (ت ٢ق.هـ/ ٦٢٠ م). (ترجمته في: الأغاني ٢/ ١٥٤؛ والإصابة: ٧٣٥٠؛ ورغبة الآمل: ٦/ ٧١).

إذا حمله على غيره، وهي المقايسة، ويقال: قاس الماشي في الطريق، إذا مشى فيه كأنه يقيس مقدار خَطْوِه، وزعموا أنِ القيس اسم صنم، ولذلك سمّوا الرجلَ عبد القيس. وَالخَطِيم: من قولهم: خَطَمْته، إذا ضربت خطمه، وسُمّي الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه، فهو إذًا صفةٌ غالبة، كنابغة، وَعَدِيّ: يجوز أن يكون في معنى مَعْدُوّ أي مصروف، ولا يمتنع أن يكون في معنى فاعل، كما يقال: عالٍ وعَليّ، وأوس: الذّئب، والأَوْسُ: العطيّة.

١ - طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ القِيسِ طَعْنَةَ ثَائِرٍ لَـهَـا نَـفَـذٌ لَـوْلاَ الـشَّـعَـاعُ أَضَـاءَهَـا

الثاني من الطويل، مطلق مردف بوصل وخروج، والقافية متدارك.

الشَّعَاعُ: المتفرّق، ومنه شَعَّ الغارةَ، وتطاير القوم شَعَاعًا، والنَّفَذُ: الخَرْق، يقول: لول انتشار الدّم لأضاءها، وأضاءها: جواب لولا، والمبتدأ هو الشَّعَاعُ، وخبره محذوف، كأنه قال: لولا الشعاع مانع لأضاءها، ومَنْ روى «الشُّعَاع» - بضم الشّين - فإنه يريد نور الشمس، والأوّل أحسن، يقول: طعنته طعنة مَن يطلب بثأره فلم أبق غاية، والنَّفَذُ: ما ينفذ من الطعنة، والجمع أنفاذ، قال الشّاعر: [الطويل]

وَعَـاوٍ عَـوَى مِنْ غَيْـرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَـافِـيَـةٍ أَنْـفَـاذُهَـا تَـقْـطُـرُ الـدَّمَـا[1]

ويُرْوَى «نَفَثٌ» يعني ما نفثت الطّعنة من الدم.

٢ - مَـلَـكْـتُ بِـهَـا كَـفِّي فَـأَنْـهَـرْتُ فَـتْـقَـهـا يَـرَى قَـائِـمٌ مِـنْ دُونِـهَـا مَـا وَرَاءَهَـا

«ملكتُ» من قولهم: مَلَكْتُ العجينَ، وأملكته، إذا بالغت في عَجْنه: أي شَدَدْت بهذه الطعنة كَفِّي ووَسَّعْتُ خرقها حتى يرى القائم من دونها الشيء الذي وراءها، ويجوز أن يكون معنى «مَلَكْت بها كفّي» أي تمكّنت من فعلها فأطقت تصريف كفّي في إيقاعها على مرادي، وهذا كما تقول: أنا أملك هذا الأمر، إذا كنت قادرًا عليه؛ كأنه أشار بهذا الكلام أن الطعنة لم تكن على دهش واختلاس، ويُرْوَى:

يَرَى قَـائِمًـا مِنْ دُونـهَـا مَنْ وراءَهَـا

ويكون المعنى يرى منْ وراءها إذا كان قائمًا من دونها، ووراء هٰهنا خَلْف، وَ«مَنْ دُونَهَا» أي مَنْ قُدَّامَهَا، ومعنى «أنهرته» أي وسَّعته حتى جعلته كالنهر سَعَةً، والنهر نفسه سُمِّيَ نَهْرًا لاتّساعه، ومنه المنهرة، وهي فضاء بين بيوت الحيّ يُلْقُون فيه كُنَاسَتَهم.

٣ - يَـهُـونُ عَـلَـيَّ أَنْ تَـرُدَّ جِـرَاحُـهَـا عُـيُـونَ الأَوَاسِي إِذْ حَـمِـدْتُ بَـلاَءَهَـا

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ٩٨٠؛ ولسان العرب (دمى)؛ وأساس البلاغة (نفذ).

الأواسي: النساء المُداوِيات للجراح؛ والفعل منها أَسَوْتُ؛ ويقال للرجال: الآسُونَ والأُسَاة، وإنما ذكر النساء لأنهم يأنفون من الصناعات ويعلِّمونها العبيد والإماء، وحرائر النساء أحيانًا إذا لم يكنَّ في غاية بعيدة من الشّرف، يقول: إذ نظرت الأواسي إلى هذه الطعنة ردّت عيونهنّ من قبحها.

٤ ـ وَسَاعَدَنِي فِيهَا ابْنُ عَمْرِو بْن عَامِرٍ خِـدَاشٌ فَـأَدَّى نِـعْـمَـةً وَأَفَـاءَهَـا

خِدَاشٌ: جمع خَدْش، وهو جرح لا يسيل دمه، ويجوز أن يكون مصدر خَادَشْت، وقوله «فأدّى نعمة» يجوز أن ينتصب «نعمةً» على الحال، ويكون مفعول «أدّى» محذوفًا، كأنه قال: فأدّاها نعمة ويدًا استحقَّ عليها شكرًا، ويجوز أن ينتصب على أنه مفعول أدَّى، ويكون المعنى ساعدني في هذه الطعنة خِدَاشٌ فأدَّى صَنِيعةً كانت لي عنده بمساعدته واتخذها مغنمًا لنفسه أيضًا، ويجوز أن يكون «أفاءها» من الفَيْء الغنيمة، ومن الفَيء الرّجوع: أي أدّاها ورجعها إلى مُضطَنعها[1] بعد أن كادت تفوتني؛ لأن الأيادي قروض؛ وكان الخَطِيمُ قتله رجل من بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ، وقتل جَدَّ قيسٍ عَدِيَّ بن عمرو رجلٌ من عبد القيس يسكن هَجَر، وكان قيس يوم قتل أبوه صبيًّا صغيرًا، وكانت أُمه خشيت أن يبلغ قَيْسًا مقتلُهما فيخرج للطلب بثأرهما فيهلك؛ فعمدت إلى جثوتين من تُرَاب ووضعت عليهما حجارة، فصارتا كهيئة قبرين، وقالت: هَـٰذَان قبرا أبيك وجَدِّك، فنازع قيسٌ فَتًى من فتيان بني ظَفَرَ، فقال له: لو ألقيت شدَّتَك على قاتل أبيك وجدّك كان أولى بك، فاغتاظ وقال لأمه: إن أخبرتني بخبرهما وإلا قتلتكِ أو قتلت نفسي، فأخبرته بمقتلهما، وقاتليهما، فسار حتى أتى مَرَّ الظَّهْرَانِ، فسأل عن خِدَاش بن زهير، وكان للخطيم عنده يَدٌ فأخرجت إليه امرأة خِدَاش طعامًا، فتناول منه قليلاً، فقالت: إني أظنّك ثائرًا، ورأى خِدَاش أثرَ قدمه فقال: كأنَّ قدم هذا الفتى قَدَمُ الخطيم، ثم انتسب له، وأخبره ما جاء من أجله، فقاد خداش: إن قاتل أبيك ابنُ عمي، وإن أردت دَفْعَه إليك مُنِعْت، وأنا أجلس العشيّة إلى جنبه، فإذا رأيتني أضرب بيدِي على فخذه فَشُدَّ عليه واقتله، وأنا أمنعك من قومه؛ ففعل، ووثب القوم إليه ليقتلوه، فحال خِدَاش بينه وبينهم، وقال: إنما قَتَلَ قاتل أبيه، ثم ركب معه حتى أتيا البحرين، فلما دَنَوَا من قرية قاتل جدّه تَكَمَّن خِدَاش في دارةٍ من الرمل، وأتى قيسٌ قاتل جدّه فقال له: كنت أُريد بلادكم حتى إذا كنت بهذا الرمل أُتِيحَ لي لصٌّ من لصوص قومك فسلبني، وقد جئتك لتركب معي فتستنقذ لي سَلَبِي، فأمر الرجل ناسًا من قومه بالركوب معه، فضحك قيس، فقال: ما أضحككَ؟ قال: لو كان السيّد منّا لم يفعل فعلك، إنما يخرج وحده إذا

(١) مُضطَنَعها: اسم مكان من الفعل اصطنعَ.

استعين على شيء، فأَنِفَ الرّجلُ أن يخرجَ معه أصحابه، فركب وحده حتى أتى الدارة، فنهض إليه خِدَاش فصار في وجهه، وطعنه قيس في خاصرته فقتله، وَكَمَنَا في الرمل أيامًا حتى هدأ الطلب، ثم رحلا إلى أرْضَيْهما، فهذا معنى قوله «وساعدني فيها ابن عمرو بن عامر خداش».

٥ ـ وَكُنْتُ آمْرَءًا لاَ أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُسَبُّ بِهَا إلاَّ كَشَفْتُ غِطَاءَهَا

ويُروَى «لا أُسْمَعُ الدهرَ سُبَّةً» إلا كشفت غطاءها: أي لم أتركها ملتبسة على سامعها، بل كشفتها ليعلم أني مكذوب عليَّ فيها أو يريد بكشف غطائها إزالتها عن نفسه.

٦ ـ فَإِنِّيَ في الحَرْبِ الضَّرُوس مُوَكَّلٌ بِإِقْدَامِ نَفْسٍ مَا أُرِيدُ بَقَاءَهَا

الضَّرُوس: الشديدة، من ضَرْس البئر؛ وهو طَيُّهَا بالحجارة، ويُروَى «العَوَان» وهي التي قوتل فيها مرّةً بعد مرّة.

٧ ـ إذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْبَعًا خَطَّ مِئْزَرِي وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي في السَّمَاحِ رِشَاءَهَا[1]

«خَطُّ مئزري» بفتح الخاء؛ جعل الفعل للمئزر: أي إنه يصل إلى الأرض فيؤثّر فيها، ويُروَى «حُطَّ» بحاء غير معجمة مضمومة، والمعنيان واحد، والمعنى أنه يسكر فيسحب مئزره، كما قال زهير: [الوافر]

يَجُرُّونَ البُرُودَ وَقَدْ تَمَشَّتْ حُمَيَّا الكَاسِ فِيهِمْ وَالغِنَاءُ

وقوله:

وَأَتْبَعْتُ دَلْوِي فِي السَّمَاحِ رِشَاءَهَا

أي: أتممتُ ما بقي عليَّ من السّماح في حال الصَّحْوِ؛ كأن معظمه فَعَله صاحيًا، والباقي منه تمّمه في حال السّكر، وهذا الكلام يجري مجرى المثل في قولهم: أتبع الفرس لجامها، وأتبع الدلو رشاءها: أي تَمِّمْ ما بقي عليك من أمرك، وكأنه يضرب لمَن جاد بالكثير وترك القليل الحقير.

٨ ـ مَتَى يَأْتِ هَذَا المَوْتُ لاَ تُلْفَ حَاجَةٌ لِنَفْسِيَ إلاَّ قَدْ قَضَيْتُ قَضَاءَهَا

ويُرْوَى «لا يُلْفِ حَاجَةً» على أن يكون الفعل للموت، و«لا تُلْفَ حاجَةٌ» على ما لم يُسَمَّ فاعله: أي لا يوجد، ومعنى «قد قضيت قضاءها» أي: فرغت منها كقضائي لأمثالها، وقوله «هذا الموت» يجوز أن يكون تصوّره حاضرًا لمعرفته بإدراكه لا محالة، فأشار إليه، ويجوز أن يكون لدوام استقتاله وتحدّثه بمجيئه أشار إليه على جهة التقريب.

---

(١) عند المرزوقي «شربتُ» بدل «اصطبحتُ».

٩ ـ ثَأَرْتُ عَدِيًّا وَالخَطِيمَ فَلَمْ أُضِعْ وِلايَةَ أَشْيَاخٍ جُعِلْتُ إِزَاءَهَا[1]

ثأرته: طلبت بثأره ثأرًا، والثأر: المصدر، والثأر: المطلوب بالدم، سُمِّيَ بالمصدر، يقال: فلانٌ الثَّأر المنيم، أي هو الذي إذا قتل أنام طالب الدم عن الطلب، والمثؤور به: المقتول، والثُّؤْرة: المصدر على مثال فُعْلَة، قال الشاعر: [الطويل]

طَلَبْتُ بِهِ ثَأْرِي وَأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي بَنِي عَامِرٍ هَلْ كُنْتُ فِي ثُؤْرَتِي نِكْسَا

وقوله «جعلت إزاءها» أي: جعلوني أقوم بها، من قولك: فلانٌ إزاء مال، إذا كان يقوم بإصلاحه.

[٣٨] قال الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[2]:

وهو أخو أبي جَهْل، وكان هرب يوم بدر لمّا أنزل اللّه على رسوله النصر، قال أبو الفتح: هِشام: مصدر هَاشَمْتُهُ هِشَامًا، وهو فاعلته من الهَشْم، وهو الكسر، قالت بنت هاشم جدّ النبيّ ﷺ: [الكامل]

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ[3]

ويُروَى «مُضْمِتُونَ» قال الأصمعي في تفسيره: هَشَمَ ماله فأطعم الثريد، وقال أبو العلاء: هِشَام: من هشمتُ الشيءَ إذا كسرته، وأصل ذلك أن يكون في شيء يابس إلاّ أنه ليس بصعب المكسر، ومنه قيل للشجرة اليابسة: هَشِيمة، وللنبت اليابس: هَشيم، والمُغِيرة ـ بضمّ الميم ـ أجود اللغتين، وقد حُكِيَ بالكسر على الإتباع، وهو من أَغَرْتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فتله، أو من أغار على العدوّ، أو من أغار المرأة، ومَخْزُوم: من خَزَمْت البعير، إذا جعلت في أنفه خزامة، وهي حلقة من شعر.

١ ـ اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ

الضرب الأول من الكامل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

قوله «اللّهُ يَعْلَمُ» لفظه لفظ الخبر، وقصده إلى الحلف؛ لأنه يستشهد بربّه، فيقول:

(١) البيتان السادس والتاسع غير موجودين عند المرزوقي.

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي: صحابي، شهد بدرًا مع المشركين فعيّره حسان وأسلم يوم فتح مكة (ت ١٨ هـ/ ٦٣٩ م). (ترجمته في الإصابة ١/ ٢٩٣؛ والاستيعاب ١/ ٣٠٧؛ وابن عساكر ٤/ ٥؛ وثمار القلوب ص ٢٣٨).

(٣) البيت لمطرود بن كعب الخزاعي في الاشتقاق ص ١٣، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٦٨؛ ومعجم الشعراء ص ٢٠٠؛ ولعبد اللّه بن الزبعرى في أمالي المرتضى ٢/ ٢٦٩؛ وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٦٣؛ وخزانة الأدب ١١/ ٣٦٧؛ وشرح المفصّل ٩/ ٣٦؛ ونوادر أبي زيد ص ١٦٧.

عَلِمَ اللَّهُ ما تركتُ مقاتلتهم حتَّى جَرَحوني، وَعَنَى بالأشقر المزبد: الدم، وزبده: البياض الذي يعلوه، وكان لمّا هرب يوم بدر عَيَّرَهُ حسان بذلك، فقال: [الكامل]

إنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بْنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أنْ يُقَاتِلَ عَنْهُمُ وَنَجَا بِرَأسِ طِمِرَّةٍ وَلِجَامِ

فاعتذر من هربه، وقال:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ

ولمّا صار ابن الأشعث إلى رُتْبِيلَ تمثَّل رُتْبِيل بقول حسان:

إنْ كُنْتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي

البيتين.

فقال ابن الأشعث: أَوَ مَا سَمِعْتَ ما ردّ عليه الحَارث بن هشام؟ فقال: وما هو؟ قال:

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ

الأبيات.

فقال رتبيلُ: يا معشرَ العرب، حَسَّنْتُمْ كلَّ شيءٍ حتّى حسّنتم الفرارَ. وجعل الدَّمَ مُزْبدًا لأنه إذا بدر من الطعنة أزبد: أي علاه زبد، يعني أنه ما انهزم حتى جرح فرسه، فعلاه دمه، أو جُرِحَ هو فَعَلا فرسه دمه.

٢ ـ وَشَمِمْتُ رِيحَ المَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَالخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ[(١)]

ويُرْوَى «ووجدت» وهو مَثَل؛ ومعناه أنه غلب ظنّه أنه لو وقف قتل، والتِّلْقَاء: مأخوذ من لقيت، فيجوز أن يستعمل في معنى اللقاء، وعلى ذلك حملوا قول الراعي: [البسيط]

أمَّلْتُ خَيْرَكَ هَلْ تَأْتِي مَوَاعِدُهُ فَاليَوْمَ قَصَّرَ عَنْ تِلْقَائِكَ الأمَلُ

وأكثر ما يستعمل تلقاء في معنى نحو الشيء، كما جاء في الكتاب العزيز: ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾[(٢)] أي نحوهم.

٣ ـ وَعَلِمْتُ أنِّي إنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا أُقْتَلْ وَلاَ يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي

انتصب «واحدًا» على الحال، والمعنى منفردًا، وواحد هٰهنا صفة، وأراد حتى علمت، وإنما أطلق لفظة علمت لارتفاع الشبه عن اعتقاده ذلك، والمعنى: حتى تيقّنتُ أني

---

(١) البيت غير موجود عند المرزوقي. (٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٧.

إن ثَبَتُّ لقتالهم قتلت ولا يضرّ حضوري أعدائي، بل ينفعهم؛ لأنهم إذا كنت وحدي قتلوني ففرحوا وغنموا.

٤ ـ فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالأَحِبَّةُ فِيهِمُ   طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُرْصِدِ

يعني بالأحبّة أخاه أبا جهل ورهطه من أهل مكة، تركهم في المجمع فقتلوا وأسروا، ويجوز أن يكون المراد أعرضت عنهم ودماؤهم وَأسراؤهم فيهم لم أظفر بهم: أي دماء أحبتي وأُسرائي، ويقال: صَدَّ عنّي فلان صُدُودًا، إذا صرف وجهه، وصددته أنا عن كذا، وحكي أصْدَدْته، وليس بشيء، وانتصب «طَمَعًا» على أنه مفعول له، وقوله «بعقاب يوم مُرْصِدِ» أي: لطمعي في أن يعقبَ اللَّهُ لي يومًا يرصد الشرّ لهم ويمكّنني منهم فأنتهز الفرصة، ويقال: رَصَدْتُ فلانًا بالمكافأة، ورصدت له، وأرصدته، وأنا مُرْصِدٌ لفلان بما كان منه حتى أُكافئه، ويجوز أن يكون منتصبًا على أنه مصدر في موضع الحال، والتقدير: صَدَدْتُ عنهم طامعًا، والعقاب يجوز أن يُراد به المكافأة، يقال: أولاه خيرًا فعقبه بِشَرٍّ، عُقْبَةً وَعِقَابًا وَعُقْبَى. ومَن روى «سَرْمد» فهو دوام الزّمان واتّصاله من ليل أو نهار فيكون المعنى بعقاب يوم طويل يتصل زمانه ويمتد بلاؤه، وأيام الغمّ والمحنة توصف بالطول، ولهذا قيل: مضى لفلان يوم كأيام، وشهرٌ كدهر(١).

[٣٩] وقال الفَرَّارُ السُّلَمِيُّ:

واسمه حَيَّان بن الحكم، حَيَّان: فَعْلاَن من الحياء، والسُّلمي: منسوب إلى سُلَيم، وهو تصغير سَلْم: الدّلو لها عروة واحدة، أو سِلْم الذي هو الصّلح، أو السَّلَم الذي هو الاستسلام.

١ ـ وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ   حَتَّى إِذَا التَبَسَتْ نَفَضْتُ لَهَا يَدِي

الأول من الكامل؛ مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

سألت أبا محمد الدهان اللّغوي عن قوله «وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ» وقت قراءتي عليه، فقال: سألت أبا الحسن السِّمْسِمِيَّ عنه، فقرأ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾(٢) يقول: رُبَّ كتيبةٍ خلطتها بكتيبة فلما اختلطت نفضتُ يدي منهم، وخلّيتهم وشأنهم، وتوسّعوا في النَّفْضِ وأصله الإلقاء والإماطة، فقيل: نفضتُ اليدَ من فلان، ولِفُلان أشدُّ النَّفْضِ، إذا وكّلته إلى نفسه، واستعار نفض اليد للإعراض عنها، ويُروَى «نفضتُ بها يدي» وهذا يحتمل وجهين: أحدهما بها أي بفرسه: أي قَرَعَهَا بسوطه، فكأنه لمّا ضرب فرسه نفض يده بسرعة ضربه، والآخر بِالمِقْرَعة أو المِخْصَرَة.

---

(١) القصة مع الشعر في الأغاني في أخبار حسان ١٧٣/٤، (دار الكتب العلمية).
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٦.

٢ ـ فَتَرَكْتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظُهُورَهُمْ   مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ

تَقِصُ: أي تَكْسِرُ، ومنه وَقَصْتُ العيدانَ: أي كَسَرْتُها، وقيل لقطع العود الذي يتبخّر به وقص؛ قال حميد بن ثور: [البسيط]

لا تصطلي النار إلا مجمرًا أرِجًا   قد كَسَّرَتْ من يَلَنْجُوجٍ لَهَا وَقَصَا

و«تَقِصُ الرّماحَ» في موضع الحال لهم، وكذلك قوله:

مِنْ بَيْنِ مُنْعَفِرٍ وَآخَرَ مُسْنَدِ

والعامل في الأوّل «تركتهم»، وفي الثاني «تَقِصُ»، يقول: فارقتهم والرماح تختلف بالطعن بينهم وتكسر ظهورهم وهم من بين مصروع أُلْقِيَ في العفر وهو التراب، وآخر مطعون أو مجروح، وقد أسند إلى ما يمسكه وبه رمق.

٣ ـ مَا كَانَ يَنْفَعُنِي مَقَالُ نِسَائِهِمْ   وَقُتِلْتُ دُونَ رِجَالِهَا: لا تَبْعَدِ

يجوز أن تكون «ما» استفهامًا؛ و«كان» تجعل الناقصة، ويجوز أن يكون نفيًا، وتجعل «كان» مؤكدة، و«لاَ تَبْعَدْ» أي: لا تَهْلِكْ، بَعِدَ الرّجلُ يَبْعَدُ، إذا هَلِكَ وفي القرآن﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[1] والرجل بَعِدٌ، وفي الدّعاء على الرجل «بَعِدْتَ» أي: هَلِكْتَ: أي ما ينفعني أن يندبنني ويقلنَ لا تبعد وقد بعدت، ولا تبعد: كلمة تُقال للميت.

[٤٠] وقال بعض بني أسد:

١ ـ يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بنِ وَهْبٍ   بِأَسْفَلِ ذي الجَذَاةِ يَدَ الكَرِيمِ[2]

الأول من الوافر؛ مردف مطلق موصول، والقافية من المتواتر.

يَدَيْتُ وأيديت بمعنى واحد، وإنما عَدَّى يديت بعلى لأنه أُجْرِيَ مجرى أنعمت، وهم يحملون النظير على النظير، كما يحملون النقيض على النقيض، وأيديت أكثر، يقال: أيْدَيْتُ إليه يَدًا، إذا أنعمت عليه، واليد: النعمة، ويجب أن يكون مصدر يَدَيْت يَدْيًا، مثل جَرَيْت جَرْيًا، لكنه وضع اليَدَ مكانه، فإن قيل: ما تنكر أن يكون اسم الحدث وقد حذف لامه كما حذف من اسم العين؟ قلت: اسم الحدث لم يكثر كثرة اسم العين، وإذا كان حذف اللام من اسم العين لكثرة الاستعمال فيجب أن يكون اسم الحدث الذي لم يكثر استعماله لا يجري مجراه، يقول: أنعمت عليه إنعام كريم، والحَسْحَاس: من قولهم: حَسْحَسْت الشّواءَ على النّار، إذا قلبته عليها، وقيل: بل الحَسْحَسَة نفض الرماد عنه، وقال

(١) سورة هود، الآية: ٩٥.

(٢) عند المرزوقي «الجداة» بالدال المهملة وهي رواية معجم البلدان، وقال ياقوت: «موضع في بلاد غطفان».

قوم: الحَسْحَاسُ شِوَاء لم ينضج، وذو الجِذاة: موضع، والجذاة: شجرة، وجمعها جِذًا، وعلى ذلك فسّروا قول ابن مُقْبِل: [البسيط]

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَقْتَبِسْنَ لَهَا   جَزْلَ الجِذَا غَيْرَ خَوَّارٍ وَلاَ دَعِرِ

وقال قوم: الجذا جمع الجذوة من النار، وقال أبو هلال: ذو الجذاة موضع بفتح الجيم، وقال النمريّ: الجذاة بالكسر، وهي الرواية المشهورة ويُرْوَى «ابن حَسَّاس».

٢ ـ قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الحَمَّاءِ لَمَّا   شَهِدْتُ وَغَابَ عَنْ دَارِ الحَمِيمِ

الحَمَّاء: اسم فرسه، فيجوز أن يكون ذلك اسمها، ويجوز أن يكون وصفًا لها؛ والحمَّاء: تأنيث الأحَمِّ، وهو الأسود من كل شيء، وقد رُوِيَ «من الجمّاء» فيحتمل أن يكون من جَمَّ الجري إذا كثر؛ ولا يمتنع أن يكون للواحدة من الخيل الجُمِّ، وهي التي لا رماح مع أصحابها؛ لأنهم يجعلون الرماح قرون الخيل: أي حبست عليه فرسي فأردفته، وكان ابن حسحاس هذا قد صرع يوم جَبَلَةَ فرآه الأسدي مجروحًا فأردفه، ويجوز أن يكون عَنَى أنه قصر منها فقاتل عنه، والوجه هو الأول، وحذف مفعول «شهدت» لأنه أمِنَ الالتباس، وحَميم الرجل: أخوه وصديقه، وإنّما أخذ من أنه يحتمّ له، والاحتمام مثل الاهتمام إلا أنه مع كرب وسهر، وقالوا: الاحتمام باللّيل والاهتمام بالنهار، ويجوز أن يكون مرادهم به في الأصل أنّ كل واحد من الحميمين إذا حُمَّ صاحبه من الحمّى حُمَّ هو من الاهتمام واشتقاق الحمّى من حاء وميمين، ويدلُّ على ذلك قولهم: محموم، قال: [الرجز]

يَوْهَجُ مِثْلَ وَهَجِ المَحْمُومِ   أوْ كَمَدَاكِ العُرُسِ اللَّطِيمِ

وقوله «وغاب عن دار الحميم» كان وجهه أن يقول: لمّا شهدت وغاب حميمه، وجواب لما قَصَرْتُ، وهو مُقَدَّم.

٣ ـ أُنَبِّئُهُ بِأَنَّ الجُرْحَ يُشْوِي   وَأَنَّكَ فَوْقَ عِجْلِزَةٍ جَمُومِ

يُشْوِي: أي يخطىء، من قولهم: رماه فأشواه، إذا أصاب غير المقتل، وَالعِجْلِزَة: الصّلبة، وَالجَمُوم: الذي لا ينقطع جريه، والمراد أن تبليغكَ المأمَنَ سهلٌ وأن ما بك من الجرح هَيِّنٌ.

٤ ـ وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَكُنْتُ مِنْهُ   مَكَانَ الفَرْقَدَيْنِ مِنَ النُّجُومِ

يقول: لو شئت لبعدت منه بعد الفرقدين من النجوم السيّارة، وهي التي تحلّ فيها النيران، والفرقدان لا حلول فيه، وهذا يجري مجرى قولهم: هو مني مَنَاطَ الثُّرَيَّا، في أن المراد به التبعيد، ويجوز أن يريد بعدت منه بعد الفرقدين من النجوم، فيكون «من

النجوم» تبيينًا، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1] ويجوز أن يريد بالنجوم نبات الأرض؛ لأنَّ كلّ ما طلع فقد نَجَمَ، ويكون المعنى بعد الفرقدين من الأرض ومنابتها.

٥ ـ ذَكَـرْتُ تَـعِـلَّـةَ الـفِـتْـيَـانِ يَـوْمًـا وَإلْـحَـاقَ الـمَـلامَـةِ بِـالـمُـلِـيـمِ

تَعِلَّة: مصدر عَلَّلته، وتَعِلَّة الفتيان: حديثهم الذي يتعلّلون به، فيقولون: أحسن فلان، وأساء فلان، يقول: علمت أن فعلي سيذكر ويقال فيه الشعر فيتغنّى به فيعلّل بعض الناس به بعضًا حسنًا كان أو قبيحًا فاخترت الثناء الحسن وتجنّبتُ الذي أُلامُ عليه من إسلام ابن الحسحاس. وقال النمري في قوله «أنبئه بأن الجرح يُشْوي» يقول لصاحبه أَقْدِمْ وَلاَ تَخِم؛ فإن الجرح ربما أخطأ المقتل فلم يضرّ كبير ضرر، وأنت أيضًا على فرس جواد، فإن شئت كررت، وإن شئت فررت، وهذا القول مما يسكّن الروع ويربط الجأش، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الطويل]

أَرَادَ طَرِيقَ العُنْصَلَيْنِ فَيَاسَرَتْ بِهِ العِيسُ في نَائي الصُّوَى مُتَشَائِمِ

العنصل: وادٍ بين اليمامة والدّهناء، وثنّاه بما حوله، ومعنى البيت أنه رأى صاحبه جريحًا فاحتمله خلف فرسه وجعل يؤسيه ويقوّيه بأن الجرح يشوي أي يخطىء المقتل، كأنه أشار إلى جرحه فقال: الجرح يشوي: أي هذا الجرح الذي بكَ، وهو في المجاز كقوله: [الطويل]

سَمَا البَرْقُ مِنْ نحوِ الحِجَازِ فَشَاقَنِي وَكُلُّ حِجَازِيٍّ لَهُ البَرْقُ شَائِقُ

أي: هذا البرق، كأنه إلى برق بعينه أشار، وقوله:

وَأَنْـتَ فَـوْقَ عِـجْـلِـزَةٍ جَـمُـومِ

أي: فوق فرسي وهي الدّهماء، وإنها تبلغك أهلك، وكان سبب ذلك أن معقل بن عامر الأسدي أخا حَضْرَميّ بن عامر، وهو فارس الدَّهماء، مَرَّ يوم جَبَلَةَ على ابن الحسحاس بن وَهْب الأعيوي وهو صريع فاحتمله إلى رحله وداواه حتى بَرِىءَ ثم كساه وأدَّاه إلى أهله، وقال: [الطويل]

يَدَيْتُ عَلَى ابْنِ حَسْحَاسِ بْنِ وَهْبٍ بِأَسْفَلِ ذِي الجِذَاةِ يَدَ الكَرِيمِ
قَصَرْتُ لَهُ مِنَ الدَّهْمَاءِ لَمَّا شَهِدْتُ وَغَابَ مَنْ لَهُ مِنْ حَمِيمِ

[٤١] وقال الشَّدَّاخُ بنَ يَعْمَرَ الكِنَانِيُّ:

من كنانة بن خُزَيمة، وسُمِّيَ شَدَّاخًا لأنه شَدَخَ الدماء بين قريش وخُزَاعة: أي

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠.

أهدرها، قال في بعض الحروب: قد شَدَخْتُ الدّيات تحت قدمي: أي أبطلتها، ويَعْمَرُ: منقول من الفعل، كيزيد ويشكر، وخزيمة: مسمّى بتصغير خَزَمَة، وهي واحدة الخَزَمِ، وهو شجر يفتل من لحائه الحِبَالُ، قال الراجز:

دَلّ فَـقَـدْ أَصْـبَـحَ مَـا تُـدَلّـي مِـثْـلَ رِشَـاءِ الـخَـزَمِ الـمُـبْـتَـلِّ

وهذا التأويل أشبه من أن يكون مسمّى بتصغير خَزْمَةَ بسكون الزاي من قولك: خَزَمْتُ البعير.

١ ـ قَـاتِـلـي الـقَـوْمَ يَـا خُـزَاعَ ولاَ يَـدْخُـلْـكُـمْ مِـنْ قِـتَـالِـهِـمْ فَـشَـلُ

من أوّل المنسرح، مطلق موصول مجرد، والقافية من المتراكب.

قال أبو العلاء: قوله «قاتلي القوم» كأنه مخروم، والخرم: سقوط حرف متحرك من أول كل شعر أصل بناء أوّله على حرفين متحركين والثالث ساكن، وذلك لا يجوز في هذا الوزن على رأي الخليل، قال: والذي أعتقد أنه جائز، وقد ذكره أبو رياش على ما يجب من صحّة الوزن، وهو «فقاتلي القوم يا خزاع» يُرْوَى قاتلي وقاتلوا؛ على اللّفظ مرّة وعلى المعنى أخرى. وجعل النهي في اللفظ للفشل، والمراد لا تفشلوا: أي لا يتداخلكم الجبن والضّعف.

٢ ـ الـقَـوْمُ أمْـثَـالُـكُـمْ لَـهُـمْ شَـعَـرٌ فِي الرَّأْسِ لاَ يُنْشَرُونَ إنْ قُتِلُوا

أي: هم مثلكم مخلوقون خلقة الآدميين، وإذا قتل منهم الرجل لم يعش، وقد زعم أن بعض العرب كان يعتقد في الفرس أنهم لا يموتون، وذلك جهل من قائله؛ لأن الإنسان لا يجهل أنّ النّاس كلّهم سَوَاء في الموت، وأما قول عَمْرو بن معديكرب لما لَقِيَ جنود فارس مع المسلمين: [الرجز]

أَنَـا أَبُـو ثَـوْرٍ وَسَـيْـفِـي ذُو الـنُّـونْ أَضْـرِبُـهُـمْ ضَـرْبَ غُـلاَمٍ مَـجْـنُـونْ
يَـــالَ زُبَـيْـدٍ إنَّـهُـمْ يَـمُـوتُـونْ

فإنما أراد حَثّهم على القتال، وهو نحو ما أراد الشَّدَّاخ، وسألت أبا محمد الدَّهّان اللّغوي عن معنى قوله «القوم أمثالكم ـ البيت» فقال: سألت أبا الحسن السِّمْسِمي عنه فقرأ ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾[1].

٣ ـ أَكُـلَّـمَـا حَـارَبَـتْ خُـزَاعَـةُ تَـخْـ ـدُونِـي كَـأنّـي لأُمِّـهِـمْ جَـمَـلُ

قال الخليل: خُزَاعة من خَزَعَ عن أصحابه إذا تخلّف؛ لأنهم تخلّفوا عن قومهم بمكة أيام سَيْل العَرِم، يقول: أتسوقني خزاعة كلّما حاربت لنصرها والدفاع عنها، كأني ناضحٌ

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

لأُمّهم يُسْتَقَى عليه الماء، فيقال له: أقْبِلْ بالدَّلْوِ وأدبرْ. وذكرَ الأُمَّ تغليظًا للقول وتخشينًا، وقوله «كأنّي لأُمهم» في موضع الحال: أي تحدوني مشبهًا جملاً لأُمّهم، و«كلما» ظرف لقوله «تحدوني» أي: إن انقدتُ لها قبل فإنّي لا أنقاد الآن.

وخبر هذه الأبيات: أنه كان بين بني كنانة وخزاعة حِلْفٌ على التناصر والتعاضد على سائر الناس، فاقتتلت خزاعة وبنو أسد، فاعتلتها بنو أسد، فاستعانت خزاعة ببني كنانة، فذكر الشَّدَّاخ قرابة بني أسد، فخذَّلَ كنانة عن نصرة خزاعة فقال قاتلي القوم، وبهذا السبب انحدرت بنو أسد من تهامة إلى نجد غضبًا على بني كنانة إذ لم تنصرهم.

[٤٢] وقال الحُصَين بن الحُمَام المُرّيُّ(١):

هو تحقير حِصْن، ويمكن أن يكون تحقير الحُصْن مصدر الحُصُنِ كما يسمُّون رشيدًا، ولا يحقر المصدر إلا بعد التسمية به، قال أبو العلاء: ولا يمتنع أن يكون تصغير ترخيم للحِصَان من الخيل أو الحَصَان من النساء، أو المِحْصَن من القفل، أو المحصن إذا أُريد به الزبيل، والحُمَام: حمى الإبل خاصة، ويقال: حُمَّى وحُمَّةٌ يؤنّث مرة بالتاء وأخرى بالألف، وأنشد أبو زيد لضباب بن سُبَيْع بن عوف: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ بَرَّ الضِّبَابَ بنوه ... وَبَعْضُ البَنِينَ حُمَّةٌ وَسُعَالُ

و«الحُمَام» قيل: إنه عرق الخيل، وإذا أخذ من ذلك فهو مثل الحميم؛ لأن العرق يسمّى حميمًا، فيكون هذا من باب طَوِيل وطُوَال، وإنما أخذ من الماء الحميم، وهو الحار، وهو الحُصَيْن بن الحُمَام المرّي، مُرَّةَ غطفان، وهو مُرَّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قيس بن عيلان، ويقال: إن مرّة هؤلاء هو مرّة بن عَوْف بن لؤيّ بن غالب من قريش، وقد دعاهم عمر بن الخطاب إلى الرجوع إلى نسبهم، ووفدت عليه مشايخهم، فقالوا له: أتجعلون لنا نصيبًا في الخلافة؟ قال: لا، قالوا: ففي الشورى؟ قال: لا، فقالوا: لا نخرج ونحن أُنوف قريش فنكون أذنابًا فيكم.

١ ـ تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

يقول: لمّا تأخّرت طمع فِيَّ العدوُّ وتصوَّرَ فِيَّ الجبن فاجترأ عَلَيَّ، والقتل إلى الجبان أسرع؛ لأنّ كلّ أحد يطمع فيه، وقيل: إن الجبان حَتْفُه من فَوْقِهِ، فتقدمت، فكان التقدّم

(١) الحصين بن الحُمام المريُّ: شاعر فارس جاهلي، كان سيد بني سهم بن مرّة ويلقب «مانع الضيم» في شعره حكمة، أدرك الإسلام. (ت ١٠ق.هـ/ ٦١٢ م). (ترجمته في سمط اللآلي ص ٢٢٦؛ وخزانة البغدادي ٢/ ٩).

أَنْجَى لي، والعرب تقول: الشجاع مُوَقًّى: أي تتهيبه الأقران فيتحامونه، فيكون ذلك وقاية له، ويجوز أن يكون المعنى أحجمت مستبقيًا لعيشي فلم أجد لنفسي عيشًا كما يكون في الإقدام، وذلك أن الأُحدوثة الجميلة إنما تكون بالتقدّم لا بالتأخّر، وقوله «حياةً مثل أن أتقدما» معناه حياة تشبه الحياة المكتسبة بالتقدّم.

٢ ـ فَلَسْنَا عَلَى الأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا

أي: لسنا بدامية الكلوم على الأعقاب، ولو لم يجعل الإخبار عن أنفسهم لكان الكلام ليست كلومنا بدامية على الأعقاب، يقول: نحن لا نُوَلِّي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا، ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا؛ فإن أصابنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا، وقوله «تقطر الدَّما» إذا رُوِيَتْ بالتاء كان المعنى تقطر الكلومُ الدَّمَ، فيكون الدَّمَا مفعولاً به، يقال: قطر الدمُ، وَقَطَرْته، وإن شئت جعلت الدم منصوبًا على التمييز، كأنه أراد تقطر دمًا، وأدخل الألف واللام ولم يعتدّ بهما، كقول الآخر: [الوافر]

وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا[1]

ويجوز أن يُرْوَى يقطر الدّما ـ بالياء ـ ويكون الدما في موضع رفع على أنه فاعل يقطر، لكنه ردّه على الأصل فأتى به مقصورًا وإن كان الاستعمال بحذف لامه.

٣ ـ نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

يقول: نُشَقِّقُ هاماتٍ من رجال يَكْرُمُونَ علينا لأنّهم منّا، وهم كانوا أسبقَ إلى العقوق، وأصلُ العقوق: القَطْعُ، يقال: عَقَّ الرَّحِمَ، كما يقال: قطعها، وجمع العاق أَعِقَّة، وهو جمع نادر.

[٤٣] وقال رجل من بني عُقَيْل:

وحاربه بنو عمّه فقتل منهم، وعُقَيل: تصغير عَقْل أو عَقل مصدر عَقِل، ويجوز أن يكون تحقير عَقِيل تحقير الترخيم، ويجوز أن يكون تصغير عِقَال وتصغير أَعْقَلَ تصغير الترخيم منهما.

١ ـ بِكُرْهِ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةٍ صِقَالِ

من الوافر الأول، مطلق مردف موصول، والقافية من المتواتر.

المُرْهَفَة: السّيوف، وإرهاف السيف: أن يرقّق حدّه، أرهفته إرهافًا وَرَهَفْتُهُ، وخَصْرٌ مُرْهَفٌ: ضامر، وفَرَسٌ مُرْهَفٌ: متقارب الضّلوع، وهو في الفرس عيب، وصِقَال: جمع

(١) هذا عجز بيت وصدره: «فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ» وهو لحارث بن ظالم في الأغاني ١١/١١٩؛ والإنصاف ص ١٣٣؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٢٥٨؛ والكتاب ١/٢٠١؛ والمقتضب ٤/١٦١.

صَقيل، ويُروَى «بمرهفة النضال» يعني السّهام، والنضال: المراماة، وهو كقولك: سهام النضال، يقول: بمشقّة رؤسائنا وكراهتهم نباكركم بسيوف مرقّقة الحدّ مصقولة. وإنما قال «بِكُرْهِ سراتنا» لأنّ الرؤساء يحبُّون التألّف بين العشيرة وإصلاح ذات البين؛ إذ كان عزّ الرئيس بأصحابه، ويجوز أن يكون ذكر السَّراة والمراد الجميع؛ والمعنى على كُرْهٍ منّا نقاتلكم، ولكنكم ألجأتمونا إليه، وجمع صَقِيلاً وهو فَعيل بمعنى مفعول على صِقَال، وذلك على غير بابه، لأن التكسير على فِعَال يكون في فعيل إذا كان بمعنى فاعل، نحو ظريف وظراف، ومثله قولهم فَصِيل وفصال؛ وساغ ذلك لاتّفاقهما في الزنة والوصفية، ويُروَى «بمرهفة الصِّقَال» وتكون إضافة المرهفة إلى الصقال كإضافة البعض إلى الكلّ لأن المعنى بالمرقّقة الحدّ من الصقال: أي من السيوف المصقولة.

٢ ـ نُعَدِّيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنكُمْ وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ النِّصَالِ

نُعَدِّيهنَّ: نصرفهنَّ، يقال: عَدِّ الهَمَّ عنكَ: أي اصْرِفْهُ، والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى نصرف عنكم السيوف إبقاء عليكم وكراهة لاستئصالكم، وإن كانت نصالها قد تفلّلت من كثرة ما نقارع بها الأعداء، ويجوز أن يكون المعنى نصرفها وإن تثلّمت بكم وفيكم؛ لأن القدرة تُذْهِب الحفيظة.

٣ ـ لَهَا لَوْنٌ مِن الهَامَاتِ كَابٍ وَإِنْ كَانَتْ تُحَادَثُ بِالصِّقَالِ

قوله «من الهامات» أي: من دماء الهامات، و«كابٍ» من قولهم: كبا وَجْهُهُ؛ إذا ازبَدَّ، وكبا نور الصّبح والشمس إذا نقص، وجواب «إن كانت» فيما تقدم عليه، والجملة في موضع الصفة للمرهفة، والمعنى أنها لا تزال تراها صَدِئَةً على تعهّدنا لها بالصقال لأنّا لا نعرّيها من العمل.

٤ ـ وَنَبْكِي حِينَ نَقْتُلُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لاَ نُبَالِي

يقول: نبكي قتلاكم لما يجمعنا وإياكم من الرحم الماسّة، ونقتلكم إذا أحوجتمونا إليه؛ فنحن نأتيه كأنّا لا نكرهه، ونبالي: نفاعل من البلاء، فإذا قال «لا أُباليه» أراد لا أحتفل به فأعاده بلائي وبلاءه، وحكى سيبويه «ما أُباليه بَالَةً» وذكر أن البَالَةَ كالحالة وأنه حذف ياؤه حذف تخفيف لا حذف قياس، قال أبو العلاء: المبالاة أكثر ما تستعمل في النفي، وربما استعملوها في الإيجاب إلا أنهم لا يقولون «باليت بكذا» حتى يكون في أوّل الكلام أو في آخره مجيء المبالاة وهي منفية مثل أن يقال «مَا بَالَى بكَ صديقك، ولكن بالى عبدك» أو يقال «إن باليت بهذا الأمر فما بالى بك أخوك» قال زهير: [الوافر]

لَقَدْ بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى وَلٰكِنْ أُمُّ أَوْفَى لاَ تُبَالِي

[٤٤] وَقَالَ القَتَّالُ الكِلاَبِيُّ[١]:

واختلف في اسمه؛ فقيل: عبد الله، وقيل: عبيد بن مُجِيبِ بن المَضْرَحِيّ بن عامر الهِصَّان بن كعب بن عدي بن أبي بكر بن كلاب، فإن كان عبد الله فالمقصد فيه معروف، وإن قيل عبيد جاز أن يكون تصغير العَبْد ضدّ الحرّ، أو العبد وهو ضرب من النبت، قال الراجز:

فَــرَّقَــهَـــا الــعَــبْــدُ بِــعُــنْــظُــوَان ... فَــالــيَــوْم مِــنْــهَــا يَــوْم أرْوَنَـــان

ويجوز أن يكون تصغير عَبَدٍ، وهو الأنف؛ فإذا حُمِلَ على تصغير الترخيم جاز أن يكون مكبره عَابِدًا ومَعْبَدًا وَعَبَّادًا وَعَبُودًا وَأعْبد، وغير ذلك مما فيه الزوائد، ومُجيب مَن أجاب الداعي، وكثر ذلك حتى قيل: أجابت الأرض، إذا أنبتت، ومن ذلك سُمِّيت المرأة تجيبُ وهي أُم قبيلة من العرب منهم كنانة بن بشر التُّجِيبِيُّ الذي قتل عثمان وقد اختلف فيه، وَالمَضْرَحِيّ أخذ من المضرحى، وهو النسر الأبيض، وربما استعمل في الأسود من النسور، ووُصِفَ الصَّقرُ به، يريدون أنه ينقضُّ في جانب، أو يضرح الصَّيدَ: أي يدفعه، من قولهم: ضَرَحَ الفَرَسُ بِرِجله، إذا ضرب، وقولهم «الهِصَّان» مأخوذ من هَصَّ الشَّيءَ يَهُصُّه إذا شَدَخَهُ، وكعب: مأخوذ من كعب العظام، قال الشاعر: [المتقارب]

سُــمِّــيــتَ كَــعْــبًــا بِــشَــرِّ الــعِــظَــامِ ... وَكَــانَ أَبُــوكَ يُــسَــمَّــى الــجُــعَــلْ

والكعب: بقية السمن في النِّحْي[٢]، وكل عقدة من القناة يقال لها كعب.

١ - نَشَــدْتُ زِيَادًا وَالــمَــقَــامَــةُ بَــيْــنَــنَــا ... وَذَكَّــرتُــهُ أرْحَــام سِــعْــرٍ وَهَــيْــثَــمِ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية من المتدارك.

يقال: نَشَدْتُك اللَّهَ والرَّحِمَ، وناشدتك اللَّهَ: أي سألتك باللَّه وبالرّحم: أي أقسمت على زياد باللَّه أن يكفَّ وأهل المجلس بيننا حاضرون، وذكَّرته من أرحام هذين الرجلين ما يجمعني وإياه طَلَبًا للصلح؛ فلم ينته، وهَيْثَم من أشياء كثيرة يقال لولد النسر هيثم، وكذلك لفرخ العقاب، وكثيبٌ هَيْثَمٌ: سَهْل، وقال قطرب: هو الكثيب الأحمر، وساعدٌ هَيْثم: ناعم، والهيثم: ضربٌ من الشَّجر طيب الرائحة.

٢ - فَــلَــمَّــا رَأَيْــتُ أنَّــهُ غَــيْــرُ مُــنْــتَــهٍ ... أَمَــلْــتُ لَــهُ كَــفِّــي بِــلَــدْنٍ مُــقَــوَّمِ

يقول: لمّا رأيته لا ينتهي بالقول ولا يَرْعَوِي بالزّجر حَدَرْتُ له كفّي برمحٍ ليِّنٍ مُثَقَّفٍ فطعنته به، وقوله «أملتُ له» أي: من أجله.

---

(١) عبيد أبو بكر بن كلاب: جدّ جاهلي من بني عامر بن صعصعة من العدنانية. (ترجمته في: سبائك الذهب ٤٥؛ ونهاية الأرب ٢٨٣).

(٢) النِّحْيُ: جَرَّة من الفخّار يُجعَلُ فيها اللبن ليمخض.

٣ ـ وَلَمَّا رَأَيتُ أنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ نَدِمْتُ عَلَيهِ أيَّ سَاعةِ مَنْدَمِ

يقول: لمّا قتلته ندمت عليه حين لم تنفع الندامة؛ وانتصب «أيَّ ساعةِ مندم» على الظرف؛ لأن أيًا لمّا كان للبعض من الكلّ جعل حكمه حكم المضاف إليه من جميع الأجناس.

وخبر هذه الأبيات: أن القَتَّالَ كان يتحدّث إلى ابنةِ عَمٍّ له ولها أخ غائب، فلما قَدِمَ رأى القتّال يتحدّث إلى أُخته فنهاه، وحلف له لَئِنْ رآه ثانية ليقتلنّه، فلما كان بعد ذلك رآه عندها فأخذ له السيف، ورآه القَتَّالُ فخرجَ هاربًا، وخرج في أثره، فلما دنا منه ناشده القَتَّال بالله وبالرحم فلم يلتفت إليه، فبينا هو يسعى وقد كاد يلحقه وَجد رمحًا مركوزًا عند بيت فأخذه القَتَّال ثم عطف عليه فقتله، ثم خرج هاربًا وأصحاب القتيل يطلبونه، فمرّ بابنة عَمٍّ له تُدْعَى زينب متنحّية عن الماء، فدخل عليها، فقالت: ويحكَ!! ما دهاك؟ قال: ألقي عَلَيَّ ثيابَكِ، فألقتْ عليه ثيابها، وألبسته برقعها، وكان تمسُّ حنّاء، فأخذ من الحنّاء فلطَّخَ به يديه، وتنحّتْ عنه، ومرَّ الطلبُ فلما أتوا البيت قالوا له وهم يظنونه زينب: أين الخبيث؟ فقال مجيبًا لهم: أخذ هٰهنا، لغير الوجه الذي يريد أخذه، فلما عرف أنْ قد بعدوا أخذ في وجهٍ آخَرَ، فلحقَ بِعَمَايَةَ[1]، وهو جبل، وأنشأ يقول: [الطويل]

جَزَى اللّٰهُ عَنَّا وَالجَزَاء بِكَفِّهِ عَمَايَةَ خَيْرًا أمَّ كُلِّ طَرِيدِ
فَلاَ يَزْدَهِيهَا القَوْمُ أنْ نَزَلُوا بِهَا وَأنْ أرْسَلَ السُّلْطَانُ كُلَّ بَرِيدِ
حَمَتْنِيَ مِنْهَا كُلُّ عَنقَاءَ عَيْطَلٍ وَكُلُّ صَفًا جَمُّ القِلاَتِ كَؤُودِ

فمكث بعماية زمانًا يأتيه أخٌ له بما يحتاج إليه، وألِفَه نمرٌ فجعل لا يصيد صيدًا إلا قاسمه القَتَّال، ولا يصيد القَتَّال صيدًا إلا قاسمه النمر، وإن أخاه صالح عنه فأتاه ناصره بصلحه للقوم، وأقبلا منحدرين من الجبل، حتى إذا أسهلا عرف النمر أنه يريد الذهاب، فجعل يمرّ عن يمينه وشماله وقدّامه وخلفه، فلما خَشِيَ أن يقتله رماه بسهم فقتله، وقال في ذلك: [الطويل]

أَرْسَلَ مَرْوَانُ إلَيَّ رِسَالَةً لآتِيَهُ إنِّي إذًا لَمُضَلَّلُ
وَمَا بِيَ عِصْيَانٌ وَلاَ بُعْدُ مرحلٍ وَلٰكِنَّنِي مِنْ سِجْنِ مَرْوَانَ أوْجَلُ
وَفِي سَاحَةِ العَنْقَاءِ أوْ في عَمَايَةٍ أو الأُدْمَى مِنْ رَهْبَةِ القَوْمِ مَوْئِلُ
وَلِي صَاحِبٌ فِي الغَارِ هَدَّكَ صَاحِبًا أبُو الجَوْنِ إلاَّ أنهُ لاَ يُعَلَّلُ

(١) عَمَاية: جبل معروف بالبحرين (معجم البلدان ٤/ ١٥٢).

قوله «هَدَّك صاحبًا» على سبيل المدح، والرُّواة يفسّرونه على كفاك من رجل، وهو يرجع إلى هذا الغرض، وإنما هو من هَدَدْتُ الحائطَ إذا نقضته، فيراد أن هذا الرجل يغلبك، ويقولون: مررت برجل هَدَّكَ من رجل، فيخفضونه على الصفة إذا جعلوه اسمًا، ومعناه الانفصال، كأنه قال: مررت برجل هَدٍّ لك، وأبو الجون: يعني النمر، ويجوز «لا يعلِّل» على أن يكون الفعل له، و«لا يعلَّلُ» على أن يكون مفعولاً.

إذَا مَا الْتَقَيْنَا كَانَ أُنْسَ حَدِيثِنَا صِمَاتٌ وَطَرْفٌ كَالمَعَابِلِ أَطْحَلُ(١)

الأطحل: الذي لونه لون الرماد، وقيل: أصل الأطحل أن يكون لونه كلون الطحال.

كِلانَا عَدُوٌّ لَوْ يَرَى فِي عَدُوِّهِ مَهَزًّا وَكُلٌّ فِي العَدَاوَةِ مُجْمِلُ
وَكَانَتْ لَنَا قَلْتٌ بِأَرْضِ مَضَلَّةٍ شَرِيعَتُنَا لأَيِّنَا جَاءَ أَوَّلُ(٢)
تَضَمَّنَتِ الأَرْوَى لَنَا بِشِوَائِنَا كِلانَا لَهُ مِنْهَا سَدِيفٌ مُخَرْدَلُ(٣)

الأروى: جمع أُروِيَّة، وهي إناث الوعول، ووزن أروى عند سيبويه أفعل، وعند سعيد بن مسعدة فعلى.

فَأَغْلِبُهُ فِي صَنْعَةِ الزَّادِ إِنَّنِي أُمِيطُ الأَذَى عَنْهُ وَمَا إنْ يُهَلَّلُ

يُهَلِّلُ: من قولهم: ما هَلَّل عن قرنه: أي ما توقّف عنه ولا نكل، يعني أنه يأكله نيئًا.

[٤٥] وقال قَيسُ بنُ زُهَير بن جَذِيمة العَبْسِيُّ(٤) في قتله حَمَلَ بن بَدْرِ يوم جَفْرِ الهَبَاءَةِ:

١ ـ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بنِ بَدْرٍ وَسَيْفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي

من الوافر الأوّل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

كان حَمَلُ بن بدر قتل مالك بن زهير أخا قيس، فظفر به وبأخيه حذيفة، فقتلهما.

٢ ـ فَإنْ أَكُ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إلاَّ بَنَانِي

---

(١) المعابل: جمع المِعْبَلَة: النّصل العريض الطويل. والأطحل: اسم اللون وهو لون الرماد.
(٢) القَلْت: النُّقْرَة تكون في الجبل يستنقع فيها الماء.
(٣) السَّديف: شحم السَّنَام.
(٤) قيس بن زهير بن جذيمة العبسيُّ: أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، يلقّب بقيس الرأي، لجودة رأيه. (ت ١٠ هـ/ ٦٣١ م). (ترجمته في: الكامل لابن الأثير ١/ ٢٠٤؛ وسمط اللآلي ٥٨٢ و٨٢٣؛ والميداني ١/ ١٨٤).

يقول: إن كنت سكَّنْتُ لوعتي بقتلهم فإني لم أقطع بهم إلا أطراف أصابعي، وذلك أن عِزّي كان بهم، فكانوا كالكفّ، فلما فقدتهم صِرْتُ كمَن قطعت أنامله، وهذا مما جرى بين عبس وفزارة بسبب داحس والغبراء، ومن الأمثال في هذه الطريقة: «بالساعد تبطش الكفّ» يقول: هم مني فإذا قتلتهم فكأني قطعت شيئًا من جسدي.

[٤٦] وقال الحارث بن وَعْلَةَ الذُّهْلِيُّ:

الوَعْلَة: الصخرة المشرفة من أعلى الجبل، وهو الموضع المنيع منه، قال أبو العلاء: قولهم في اسم الرجل وَعْلَة زعموا أن الوَعْلَة مثل الوألة، وهو ما يجتمع في الدار من البعر ونحوه، وقيل: الوعلة: البعرة، ويجوز أن يكون الرجل سُمِّيَ بالأُنثى من الوعول على لغة مَن سكَّن العين فقال وَعْلَة في وَعِلة، وقال قوم: يقال لعُرْوَة الإناء وعْلة، فإن صَحَّ ذلك فهو من قولهم «لاَ وَعْلَ»: أي لا ملجأً ولا بُدَّ؛ لأن الإناء كأنه يلجأ إليها ويفتقر إلى أن يحمل بها، قال ذو الرّمّة: [البسيط]

حَتَّى إذَا لَمْ يَجِدْ وَعْلاً ونَجْنَجَهَا ... مَخَافَةَ الرَّمْيِ حَتَّى كُلُّهَا هِيمُ

نَجْنَجها: مَنَعَها.

١ ـ قَوْمي هُمُ قَتَلُوا، أُمَيمَ، أخِي ... فَإذَا رَمَيتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

الضّرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

يقول: قَوْمي يا أُميمة هم الذين فجعوني بأخي، ووتروني فيه، فإذا رُمْتُ الانتصار منهم عاد ذلك بالنّكاية في نفسي؛ لأنَّ عِزَّ الرّجلِ بعشيرته، وهذا الكلام تَحَزُّنٌ وتَفَجُّعٌ، وليس بإخبار.

٢ ـ فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ جَلَلاً ... وَلَئِنْ سَطَوْتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي

يقال: عَفَوْتُ عن الذَّنب عفوًا، إذا صفحْتَ عنه، وحذف حرف الجر فوصل لأعفونَّ بنفسه، والمعنى: إنْ تركتُ طلب الانتقام منهم صفحت عن أمر عظيم، وإن انتقمت منهم أوهنت عظمي: أي أضعفته؛ وَالوَهْنُ وَالوَهْيُ جميعًا: الضّعف، والسّطْوُ: الأَخْذُ بعنفٍ، وَالجَلَلُ: من الأضداد؛ يكون الصغير، ويكون العظيم، وهو المراد هٰهنا، وفي كل واحد من المصراعين يمين مضمرة جوابها في الأول لأعفون، وفي الثاني لأوهنن، واللاّم في الموضعين مُوَطِّئة للقسم.

٣ ـ لاَ تَأْمَنَنْ قَوْمًا ظَلَمْتَهُمُ ... وَبَدَأْتَهُمْ بِالشَّتْمِ وَالرَّغْمِ

حَوَّلَ الكلام فيه عن الإخبار إلى الخطاب متوعّدًا، والرَّغْمُ: مصدر رَغَمْتُ فلانًا، إذا قلت له رَغْمًا أو فعلت به ما يرغم أنفه ويذلّه، والرَّغَامُ: التراب وحكى الخليل أرغمته: حملته على ما لا يقدر على الامتناع منه.

٤ ـ أَنْ يَـأبِـرُوا نَـخْـلاً لِـغَـيْـرِهِـمُ   وَالـشَّـيْءُ تَـحْـقِـرُهُ وَقَـدْ يَـنْـمِـي

يقول: إذا ظلمتهم فلا تأمنهم أن ينتقموا منك فتشتفي أعداؤك منكَ فتكون كمَن أصلح أمرَ غيره، وهو كقولهم: فلانٌ يَخطِبُ في حَبْلِ غيره، وقولهم: رُبَّ ساعٍ لِقاعِدٍ[1]؛ وموضع قوله «أن يأبِروا» نصب على البدل من «قومًا» في البيت الذي قبله، كأنه قال: لا تأمن أَبْرَ قوم ظلمتهم نخلاً لغيرهم، يقال: أَبَرْتُ النَّخلَ وَأَبَّرْتُهُ، إذا ألقحتَه، وقال بعضهم: معناه إنْ ظلَمتمونا تَحَوَّلْنا عنكم فلا يكون لكم بعدنا مقامٌ فتتحوّلون أو يملككم العدوّ فيكون ما أبرنا نحن وأنتم لهم دوننا ودونكم، وقال أبو العلاء: قد اخْتُلِفَ في معنى هذا البيت؛ فقيل: أراد أنه يفارقُهم ويهبطُ هو وقومه أرضًا ذات نخل كان لغيرهم فيدفعونهم عنه ويأبرونه، كأنه يتهدّدهم بِتَرَحُّلِهِ عنهم؛ لأن ذلك يؤدّيهم إلى الذّلّ، واستدلّوا على هذا الوجه بقوله في القصيدة: [الكامل]

قَـوِّضْ خِـيَـامَـكَ وَالْـتَـمِـسْ بَـلَـدًا   يَـنْـأى عَـنِ الـغَـاشِـيـكَ بـالـظُّـلْـمِ

وقيل: بل يريد أنه يحاربهم فيصلحهم لغيره فيجعلهم كالنّخل التي قد أبرت؛ إذ كان عدوّهم ينال غرضه منهم إذا أعانه عليهم، وقيل: بل عنى أنه يسبي نساءهم فتوطأ فيكون ذل كالإبار الذي هو تلقيح النخل، وهذا الوجه أشبه بمذهب العرب مما تقدّم، لأنهم يكنّون عن النخلة بالمرأة، قال الشاعر يخاطب امرأة: [الوافر]

أَلاَ يـا نَـخْـلَـةً مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ   عَـلَـيْـكِ وَرَحْـمَـةُ الـلَّـهِ الـسَّـلاَمُ
سَـأَلْـتُ الـنَّـاسَ عَـنْـكِ فَـخَـبَّـرُونِـي   هَـنَـا مِـنْ ذَاكَ يَـكْـرَهُـهُ الـكِـرَامُ
وَلَـيْـسَ بِـمَـا أَحَـلَّ الـلَّـهُ بَـأْسٌ   إذا هُـوَ لَـمْ يُـخَـالِـطْـهُ الـحَـرَامُ

٥ ـ وَزَعَـمْـتُـمْ أَنْ لاَ حُـلُـومَ لَـنَـا   إنَّ الـعَـصَـا قُـرِعَـتْ لِـذِي الـحِـلْـمِ

أكثر ما يستعمل الزَّعْم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب، ولذلك قالوا تزعم أي تكذب، وزعم في غير مَزْعَم: أي طمع في غير مَطْمَعٍ، و«أن» في «أَنْ لا حلومَ لنا» مخفّفة من الثقيلة، يريد أنه لا حلومَ لنا، والهاء ضمير الأمر والحديث، و«لا حلوم» في موضع الخبر، والتقدير: زعمتم أنَّ الأمرَ والشَّأنَ لا حلوم لنا، فإنْ كان الأمر على ما زعمتم فنبّهونا أنتم فإن عامر بن الظَّرِب كان يُقْرَعُ له العصا فينبّه لما كان يزيغ في الحكم لكِبَر سِنّه، وهذا تهكّم منهم: أي عرضتم في قولكم بأنّا سفهاءُ فاكتفينا بالتعريضِ عن التّصريح، كاكتفاءِ ذي

(١) المثل في تمثال الأمثال رقم (٢٥٧)؛ وفي المستقصى رقم (٣٣٤)؛ ومجمع الأمثال ٤١٨/١؛ وفي فصل المقال ٢٨٧؛ وقد ذُكِرَ في المستقصى أن المثل مأخوذ من قول النابغة في أبيات له والبيت:

أتـى أهـلـه مـنـه حِـبـاءٌ ونـعـمـة   ورُبَّ امرىءٍ يـسـعـى لآخَـرَ قـاعِـدِ

الحِلْم بقرعِ العصا، وذو الحلم الذي قُرِعَتْ له العصا مختلفٌ فيه؛ فاليمن تقول: إنه عَمْرو بن حُمَمَةَ الدَّوْسِيُّ، روى ذلك الشّعبي عن ابن عباس، ومُضَر تَدَّعِيه، فتقول: عامر بن الظَّرِب العَدْوَاني، وإياه عَنَى ذو الإصبع في قوله: [الوافر]

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلاَ يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وتَدَّعِيه ربيعةُ، فتقول: قيس بن خالد الشَّيْبَاني، وهو جدّ بِسْطَام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد، وتدّعيه بنو قيس بن ثعلبة لسعد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ؛ فأما ما يدعى لعمرو بن حُمَمَة فالخبر فيه وفي عامر بن الظَّرِب واحد، وهو أنه كلّ واحد منهما كان حَكَمًا للعرب يتحاكمون إليه في كلّ معضلة، وهو لعمرو بن حُمَمَةَ في هذا الحديث أشهر، وذلك أن العرب أتوه يتحاكمون إليه فغلط في حكومته، وكان قد أَسَنَّ، فقالت له ابنته: إنك قد صِرْتَ تَهِمُ في حُكْمِكَ: أي تغلط، فقال: إذا رأيت ذلك مني فاقرعي العصا، فكان إذا قرعت له العصا فَطِنَ.

وأمّا ما تدّعيه بنو قيس بن ثعلبة فيزعمون أنَّ أوّلَ مَن قرع العصا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، قرعها لأخيه عمرو بن مالك، وذلك حين لَقِيَ النّعمانُ سَعْدًا ومعه خيلٌ بعضها يُقاد وبعضها أعراء مُهْمَلَة، فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها، فقال سعد: إني لم أقدْ هذه لأمنعها، ولم أُعْرِ هذه لأضيعها، فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيثٌ يُحْمَدُ أثره أو روى شجره، فقال سعد: أمّا المطرُ فغزيرٌ، وأمّا الورقُ فشكيرٌ، وأمّا النافذةُ فساهرةٌ، وأما الحازرة فَشَبْعَى نائمة، وأمّا الرِّمْثَاءُ فقد امتلأتْ مَسَارِبُها، وابتلّت جنابتها، ويُروَى جنابثها، وأمّا الجوف فغدر لا تطلع، وأما الحذف فعزاف لا ينكع، يفتر إذا يرتع، فقال النعمان وَحَسَده على ما رأى من ذَرَبِ لسانه: وأبيك إنّكَ لَمُفَوَّهٌ، فإنْ شِئْتَ أتيتك بما تعيا عن جوابه، فقال: شِئْتُ إنْ لم يَكُنْ منك إفراطٌ ولا إبعاط؛ فأمر النعمان وصيفًا فلطمه، وإنما أراد أن يتعدّى في القول فيقتله، فقال: ما جواب هذه؟ فقال سعد: سَفِيهٌ مأمورٌ، فأرسلها مثلاً، قال النعمان للوصيف: الطمْهُ أُخرى، فلطمَه، قال: ما جوابُ هذه؟ قال: لو نُهِيَ عَنِ الأولى لم يعُد للأخرى فأرسلَها مثلاً، فقال النّعمان: الْطمْه أُخرى، ففعل، فقال: ما جواب هذه؟ فقال: رَبٌّ يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ، فقال: الطمْه أخرى ففعل فقال: ما جواب هذه؟ فقال: مَلَكْتَ فأَسْجِحْ، فقال النّعمان: أجبتَ فاقعدْ. فمكثَ عنده ما مكثَ، ثم بدا للنّعمان أن يبعثَ رائدًا يرتادُ له الكلأَ، فبعث عمرو بن مالك أخا سعد بن مالك، فأبطأ عليه؛ فأغضبه ذلك فأقسَمَ: لَئِنْ جاء حامدًا للكلإ أو ذامًّا ليقتلنّه. فلمّا قَدِمَ عَمْرٌو دخل على النعمان وعنده النّاسُ وسعدٌ قاعدٌ لديه مع الناس، وكان قد عرفَ ما أقسم به النعمان من يمينه فقال سعد: أتأذنُ لي فأكلّمه؟ قال: إن كلّمته قطعتُ لسانَكَ. قال: فأُشيرُ إليه، قال: إن أشرتَ إليه

قطعْتُ يدَكَ، قال: فأُومىءُ إليه، قال: إذًا أَنْزَعُ حَدَقَتَيْكَ، قال: فأقرعُ له العَصَا، قال: اقرعْ، فتناول عصًا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائمٌ فقرعَ بعصاه العصا الأخرى قرعةً واحدة، فنظر إليه أخوه، ثم أومأ بالعصا نحوه، فعرف أنه يقول مكانك، ثم قرع العصا قرعة واحدة، ثم رفعها إلى السَّماءِ ثم مسحَ عصاه بالأخرى، فعرف أنه يقول: قُلْ له لم أجِدْ جَدْبًا، ثم قرعَ العصا مرارًا بطرف عصاه ثم رفعها شيئًا فعرف أنه يقول: ولا نباتًا، ثم قرعَ العصا قرعةً وأقبل بها نحو النّعمان، فعرفَ أنه يقول كلمه، فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان فقال له النعمان: هل حمدتَ خصبًا أو ذممت جدبًا؟ فقال: لم أحمدْ بقلاً، الأرضُ مُمْسِكَةٌ لا خَصْبُها يُعْرَفُ، ولا جَدْبُها يُوصَفُ، رائدُها واقفٌ، ومنكرُها عارفٌ، وآمِنُها خائفٌ، فقال النّعمان: أولى لك بذلك نجوتَ، فنجا. وهو أوّل مَن قُرِعَتْ له العصا، فقال سعد بن مالك لقرعه العصا: [الطويل]

قَرَعْتُ العَصَا حَتَّى تَبَيَّنَ صَاحِبِي ... وَلَمْ تَكُ لَوْلاَ ذَاكَ لِلْقَوْمِ تُقْرَعُ
فَقَالَ رَأَيْتُ الأَرْضَ لَيْسَتْ بِمُمْحِلٍ ... وَلاَ سَارِحٌ مِنْهَا عَلَى الرَّعْيِ يَشْبَعُ
سَوَاءٌ فَلاَ جَدْبٌ فَيُعْرَفُ جَدْبُهَا ... وَلاَ صَابَهَا غَيْثٌ غَزِيرٌ فَتُمْرِعُ
فَنَجَّى بِهَا حَوْبَاءَ نَفْسٍ كَرِيمَةٍ ... وَقَدْ كَادَ لَوْلاَ ذَاكَ فِيهِمْ يُقَطَّعُ

قول سعد «أما الورق فشكير»: يعني أنه صغير لم يكبر، «وأما النافذة فساهرة»: يعني التي قد نفذت من الهزال فلم يَبْقَ فيها قوة فهي ساهرة لأنّها لم تشبع بعد، فسهرها لفَقْد الشبع، و«الحازرة» يجب أن تكون من قولهم: حزرة المال: خياره أي هي تقتدرُ بقوتِها على الرَّعْي فتشبع فتنام، و«الرّمثاء» أرض فيها رمث، و«المسارب» جمع مَسْرَب، وهي المواضع التي تسرب فيها المال، وقوله «ابتلّت جنابتها» فهي مثل الجناب، وإذا قيل «جنابثها» فيجوز أن يكون مثل الجنابذ، وهي جمع جُنْبُذَة، والجُنْبذة: المكان المرتفع، فأُبْدِلَت الثاء من الذال، كما قالوا جَثٌ وَجَذٌ، ومَن روى «الرهماء» فيجوز أن يكون من الأرض التي قد أصابها الرّهام، والجوف: البطن من الأرض، والغُدُر: جمع غدير، يعني أنَّ الوادي لم يكثر المطر فيسيل فيه فيرتفع سيله إلى جوانبه فيجاوز حدّ الغدران، والحذف: ضرب من الشَّاءِ صغار، وعزاف: يعني أنها تعزف نفوسُها عن الماء لكثرته، ولا ينكعْ: أي لا يقطع شربها، يقال: نكع وأنكع إذا قطع، قال: [الطويل]

بَنِي ثُعَلٍ لاَ تَنْكعُوا العَنْزَ شِرْبَهَا ... بَنِي ثُعَلٍ مَنْ يَنْكَعِ العَنْزَ ظَالِمُ

وتفتر: تكشف أسنانها إذا رفعت رؤوسها من الرَّعْي، وأولى لك: كلمة تُقال للرّجل إذا نجا من شَرٍّ بعدما كاد يصيبه، وقوله «حوباء نفس كريمة» فيه وجوه يقال: إن الحَوْباء

النّفس، فإذا أخذ بها فإنما أُضيفت الحوباء إلى النفس في شعر سعد لاختلاف اللفظين، وربما قالوا الحَوباء خالص النفس، وقال بعضهم: الحوباء روح القلب.

٦ ـ وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْءَ المُقَيِّدِ نَابِتَ الهَرِمِ

أي: أثّرت فينا تأثير الحَنِقِ الغضبان، كما يؤثّر البعيرُ المقيّد إذا وَطِىءَ هذه الشجرة الضعيفة، وخصَّ المقيّد لأنّ وطأته أثقل؛ لأنه لا يتمكن من وضع قوائمه على حسب إرادته، كما خصَّ الحَنِقَ لأن إبقاءه أقلّ، وانتصب «وَطْءَ المقيِّد» على البدل: أي وَطْأً يشبه هذا الوطء، ومما حُكِيَ عن العرب: أعوذ باللّه من وطأة الذّليل: أي من أنْ يطأني؛ لأن وطأته أشدّ لسوء ملكته، كما قال الآخر: [الطويل]

وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ(١)

وعلى هذا قيل: ضربه ضربةَ الجبان، وضبطَه ضبطَ الأعمى، وخصَّ النابت وأراد الحديث النبات وهو أغضُّ له وأرقّ، ويُروَى «يابس الهرم».

٧ ـ وَتَرَكْتَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ لَوْ كُنْتَ تَسْتَبْقِي مِنَ اللَّحْمِ

الوَضَمُ: خِوَانُ الجزار، يقال: وَضَمْتُ اللَّحْمَ، إذا وضعته على الوَضَم وأوضمته: جعلتُ له وَضَمًا، والمِيضَمة: الموضع الذي يوضع عليه الوضم: أي تركتنا لا دفاعَ بنا كاللّحم على الوضم يتناوله مَنْ شاء. لو كنتَ تستبقي من اللّحم: أي لو كنت تتركُ بقيّة، وجواب لو فيما تقدّم، جعل ذلك مثلاً لاستفساده لهم وسماحته بهم.

[٤٧] وَقَالَ أعْرَابِيٌّ(٢) قَتَلَ أخوه ابنًا له فقدِّمَ إليه ليقتادَ منه فألقى السَّيفَ في يده وَأنشأ يقول:

١ ـ أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ

الأول من البسيط، مطلق موصول مجرّد، والقافية من المتراكب.

تَأْسَاء: تَفْعَال من الأُسْوَةِ، والتَّعزيةُ: اشتقّت من العزاز، وهي الأرض الصّلبة، ومعناه تقوية القلب، وقيل: إنّها تَفْعِله من عَزْوْته إلى أبيه، لأن المصاب يذكر أسلافه فيهون عليه ما أصابه، يقول: أُعَزِّي النَّفسَ عنه متأسّيًا بغيري ممَّن قُتِلَ ولدُه، وهذا على مذهب الخنساء حيث تقول: [الوافر]

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٧٧ وهو:

فإنّكَ لم يَفْخَرْ عليكَ كفاخرٍ ضعيفٍ، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ المُغَلَّبِ

(٢) الشعر في الزهرة ٢/ ٥٥٠، وينسبه للعريان بن سهلة النبهاني.

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أخِي وَلٰكِنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

وانتصابه على أنه مصدر في موضع الحال، وقوله «إحدى يَدَيَّ» في موضع المبتدأ، و«أصابتني» خبره وقوله «لم تُرِدِ» في موضع الحال، والجملة في موضع النصب على أنه مفعول لقوله أقول.

٢ ـ كِلاَهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ هَذَا أخِي حِينَ أدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

يقول: كُلُّ واحد من الأخ الواتر والابن المفقود يصلح لأن يُرْضَى به عِوَضًا من فقدان الآخر.

[٤٨] وقال إياسُ بن قَبِيصَةَ الطَّائِيّ(١):

قال أبو الفتح: إياس: مصدر أُسْتُهُ أأُوسه إياسًا، إذا أعطيته، قال أبو علي: سَمَّوُا الرَّجلَ إياسًا كما سمّوه عَطَاءً، وتوهّم أبو سعيد السّكري أنّ إياسًا مصدر قولهم أَيِسْتُ من الشَّيءِ، وهو سَهْوٌ ظاهرٌ، وذلك أن أيستُ مقلوبة من يَئِسْتُ، ولا مصدر لأيست، ولو كان له مصدر لكان أصلاً لا مقلوبًا، كما أن جبذت لما كان له مصدر وهو الجبذ حكمنا بأنه أصل غير مقلوب من جذب، ويؤكّد أن أيست مقلوبة من يئست صحّة عينها، ولو لم تكن مقلوبة لوجب إعلالها، وأن تقول: إسْتُ، كَهِبْتُ وَخِلْتُ، وجعلوا تصحيح العين دلالة على أنها في موضع الهمزة من يَئِسْتُ، فكما أن الهمزة هنا صحيحة لا محالة فكذلك صحّت العين للإرادة بها ما لا بدَّ من صحته، كما صَحَّت العين في عَورَ وحَولَ لتكون صِحَّتها دلالة على أنها فيما لا بدّ من صِحّةِ عَيْنِها أعني: اعْوَرَّ واحْوَلَّ. وقَبِيصَة: اسم مرتجل للعلم، وهو من قبصتُ الشَّيءَ، وهو الأَخْذُ بأطراف الأصابع، وقبيصة: ملك الحيرة بعد النعمان، وكان كسرى قتل النعمان وَوَلَّى إياس بن قبيصة على ثغور العرب، وفي ولاية إياس بُعِثَ النبي ﷺ.

١ ـ مَا وَلَدَتْنِي حَاصِنٌ رَبَعِيَّةٌ لَئِنْ أنَا مَالأْتُ الهَوَى لاتِّبَاعِهَا

الثاني من الطويل، مطلق مردف بوصل وخروج، والقافية متدارك. مالأتُ: عاونتُ وشايعتُ، والممالأة: المعاونة، وهو مأخوذ من قولهم: هو مَليء بكذا وكذا، وقد مَلُؤَ يَملؤ مَلاءةً، وهذا الكلام خبر يجري مجرى اليمين، واللاّم من «لئن» تؤذن بأنَّ الكلامَ قَسَمٌ؛ فيقول: لست ابن امرأة من بني ربيعة عفيفة إن كنت شايعتُ الهوى في طلب امرأة، والمعنى لست لِرِشْدَةٍ إن فعلت ذلك، والحَصَان: العفيفة، والاسم الحُصْن، والحَصَان

(١) إياس بن قَبيصة الطائي: من أشراف طيّىء وفصحائها وشجعانها في الجاهلية (ت ٤ ق.هـ/ ٦١٨ م). (ترجمته في ابن خلدون ٢/ ٢٦٥؛ وابن الأثير ١/ ١٧٣؛ والعرب قبل الإسلام ص ٢١٢).

أيضًا: ذات الزوج، وكذلك المُحْصَنة، وقد حَصَنَتْ وحَصُنَتْ وأُحْصِنَتْ، وفي القرآن ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾(١) أي إذا تَزَوَّجْنَ؛ والرجلُ مُحْصَنٌ إذا كان ذا زوجٍ.

٢ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ رَحْبٌ فَسِيحَةٌ فَهَلْ تُعْجِزَنِّي بُقْعَةٌ مِنْ بِقاعِها

البقعة: قطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها، عن الخليل، وقوله «ألم تَرَ» كلمة يواقف بها المخاطب في تحقيق الأمور، وربّما صحبها معنى التعجب، يقول: أنتَ تعلم أن الأرض واسعة عريضة وأن بقاعها لا تنبو بي ولو نَبَتْ لم تُعْجِزْني، فكما أني في هذا بهذه الصفة فكذلك أنا في الأول: أي في اتّباعِ هذه المرأة.

٣ ـ وَمَبْثُوثَةٍ بَثَّ الدَّبَى مُسْبَطِرَّةٍ رَدَدْتُ عَلَى بِطائِها مِنْ سِراعِها

أي: رُبَّ خيلٍ متفرّقةٍ ممتدّةٍ في وجه الأرض، رَدَدْتُ أوّلها على آخرها: أي ضربتُ وجوه أوائلها حتى ألحقتها بأواخرها، يريد أنه كان رئيسًا مُطاعًا.

٤ ـ وَأَقْدَمْتُ وَالخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنا لأَعْلَمَ مَنْ جَبانُها مِنْ شُجاعِها

الواو في قوله «والخطّيّ» واو الحال، واللاّم في «لأعلم» لام العلة: أي لأتبيّنَ الجبانَ من الشجاع: أي فعلت ذلك ليبين فضلي على غيري.

[٤٩] وقال رجلٌ(٢) من بني تميم:

وطلب منه بعض الملوك فرسًا يقال له سَكَاب فمنعه إياها.

١ ـ أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنَّ سَكَابِ عِلْقٌ نَفِيسٌ لاَ تُعَارُ ولاَ تُبَاعُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

«أبيْتَ اللّعنَ» تحيّة كانت تُحَيَّا بها ملوكُ الجاهلية، يريدون إنكَ أبيت الأمر الذي تلعن عليه إذا فعلته، وأصلُ اللّعنِ: الطَّرْد، وسَكَاب إذا أعربته منعته الصّرف؛ لأنه علم، فلحصول التعريف فيه والتأنيث مع كثرة الحروف يمنع الصَّرْف، والشاعر تميمي، وهذا لغة قومه، وإذا بنيته على الكسر أجريته مجرى حَذَامِ؛ لأنه مؤنث، وهذه اللّغة حجازية، واشتقاق سَكَاب من سَكَبْتُ إذا صَبَبْتَ، ويقال في صفة الفرس: هو بَحْرٌ، وسَكْبٌ، وقوله «عِلْقٌ نفيسٌ» أي مالٌ يُبْخَلُ به، ويقال: عالقته بعِلقي وعِلْقِهِ، إذا خاطرته بكرائم المال،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٥.

(٢) هو عبيدة بن ربيعة بن قحطان بن ناشرة المازني كما ورد في كتاب الخيل لابن الأعرابي ص ٦٢ حيث ذكر الأبيات.

يقول: منعت أن تفعل ما تستحقّ به اللّعن إن فرسي متاع نفيس لا يُعْرَضُ للبيع ولا يُبْذَلُ للإعارة.

٢ ـ مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنَا   يُجَاعُ لَهَا العِيَالُ وَلاَ تُجَاعُ

أي: تُفْدَى من كرمها وعتقها وَتُؤْثَر على العيال فتشبع ويُجاع العيال، والعرب تُؤْثِرُ الخيلَ على الأنفس والأولاد، فتشبعها وتجيعهم، قال مالك بن نويرة: [الطويل]

جَزَانِي دَوَائِي ذُو الخِمَارِ وَصَنْعَتِي   إذَا بَاتَ أَطْوَاءً بَنِيَّ الأَصَاغِرُ

٣ ـ سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلاَهَا   إذَا نُسِبَا يَضُمُّهُمَا الكُرَاعُ

«سليلة» أُلْحِقَ الهاءُ بها وإن كان فعيلاً في معنى مفعول لأنه جُعِلَ اسمًا، كما تقول: هي قبيلة بني فلان، ومعنى سُلَّ: نُزِعَ، وأصل الكُرَاع في اللّغة: أنف يتقدّم في الجبل، فَسُمِّيَ هذا الفحل به لعظمه، فأما الكراع الاسم الجامع للخيل فهو غير هذا، يقول: هي ولد فرسين سابقين إذا انتسبا انتهيا إلى كراع.

٤ ـ فَلاَ تَطْمَعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فِيهَا   وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ

أي: ارفعْ طمعَكَ في تحصيل هذه الفرس، وَدَفْعُكَ عنها نقدر عليه بوجهٍ ما، والمعنى أنّي لا أُسْعِفُكَ بها اسْتَبَعْتَها أو اسْتَوْهَبْتَها، ما وجدتُ إلى الرَّدِّ سبيلاً، ومنعكها: أي منعكَ عنها، يقال: منعتك كذا، ومنعتك عن كذا، وأما المَنَعَة فهو مصدر كالحركة والجلبة من منعَ مَناعةً ومَناعًا فهو مَنيعٌ.

[٥٠] وقالت امرأة من طَيِّىء:

١ ـ دَعَا دَعْوَة يَوْمَ الشَّرَى يَا لَمَالِكِ   وَمَن لاَ يُجَبْ عِنْدَ الحَفِيظَةِ يُكْلَمِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

الشَّرَى: مكان، والحفيظة: الغضب، أي استغاثَ هذا الرّجلُ بهذا الموضع فلم يُجَبْ، وقولها «يُكْلَم» كناية عن الغَلَبة والقتل، وأصل الكَلْم: الجرح، وقولها «يا لمالك» اللاّم فيه للإضافة، وإنما فتح لأنه دخل على ما هو واقع موقع المضمر، فكما تفتح لام الإضافة مع المضمر كذلك فتح مع المنادى لوقوعه موقعه، فإن قيل: فما المدعو؟ قيل: مالك، كأنه قال دعائي لمالك.

٢ ـ فَيَا ضَيْعَةَ الفِتْيَانِ إذْ يَعْتُلُونَهُ   بِبَطْنِ الشَّرَى مِثْلَ الفَنِيقِ المُسَدَّمِ

العَتْلُ: القودُ بعنف، يقال: عَتَلَهُ يَعْتِلُه ويَعْتُلُه، والعَتَلة: المجثاث، وهي الحديدة التي يُقْلَعُ بها الفسيلُ، و«يا ضيعةَ الفتيان» لَفْظُه لفظ النّداء، ومعناه الخبر؛ كأنه قال: ضاع الفتيان جدًا، فيقول على وجه التعجب والاختصاص: ما أضيعَ الفتيان في ذلك الوقت!! كأنه لمّا لم يُنْصَرْ في تلك الحال كان الفتيان ضائعين؛ إذ كانوا يعنّفون في

قودهم إياه وهو كأنّه فحلٌ مشدودُ الفَمِ خوفًا من صياله، وذلك أنه كان أحد الفتيان، فحين أضاعوه ضاعوا، والفَنِيقُ: الفحلُ المُفَنَّقُ، وهو المنعم، من قولهم: تَفَنَّق في عيشه، إذا تَنَعَّمَ، وجاريةٌ فُنُقٌ: مُنَعَّمةٌ؛ لأن الفحل يصنع للفِحْلة، والمُسَدَّم: المكعوم، وهو المشدود الدم الهائج الممنوع، وإنما يُفعَل به ذلك إذا هاج خوفًا من عضاضه، وهو سَدِمٌ، وَالسَّدِمُ أيضًا: الحزين، وهو سادم نادم، والسُّدُمُ من قولهم: ماء أسدام، ومياه أسدام، وسُدُم، وهي التي تغيّرت من طول المكث، والسَّديم: الضَّباب الرقيق، قال المرزوقي: ذكر بعضهم أن هذا المقتول هو بَهْدَل بن قِرْفَةَ أحد بني نَبْهَان، وأخذ بسبب دم ابن جَعْدَة المخزومي، فقتل بالمدينة صبرًا، قال: وما اقتصّ في الأبيات يدلّ على خلافه، قال الشيخ أبو زكريا رحمه الله: بل الذي اقتصّ في الأبيات يدلّ على صحته؛ بدليل ما قرأته على أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي علي بن شاذان، عن أبي سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القَطّان، عن أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري، في أخبار اللّصوص، قال: أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنَّى، قال: خرج عَوْن بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة بن أبي وَهْب بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك حاجًّا في خلافة عبد الملك بن مروان. فعرضَ له اللّصوصُ أَسْفَلَ من زُبَالة[1] فيهم السَّمْهَرِيّ بن بشر العُكْلي وَبَهْدَل ومروان ابنا قِرْفَةَ الطّائيّان، وقِرْفَة أُمهما، وأبوهما حَيَّان الطائي، وقيل: بل كان راجعًا من عند عبد الملك يريد المدينة وهو يومئذٍ صائمٌ، فقالوا له: العُرَاضة؛ أي مُرْ لنا بشيء، فقال: يا غلام، جَفِّنْ[2] لهم، فقالوا: واللّه ما نريدُ الطَّعامَ، فقال: عَرِّضْهُم، فقالوا: ولا ذاكَ نريد، فعلم أنهم لصوص، فأخذ لهم أُهبَتَهُ، وأناخَ رَوَاحِلَهُ وعَقَلها، وقاتلهم وقاتلوه، وكان بَهْدَلُ لا يسقطُ له سَهْمٌ فرماه فأقْصَدَهُ[3]، وأغاروا في ثقله، فلم يروا ما كانوا يظنون، فلما رأوا ذلك هربوا وتركوه، ولم يأخذوا شيئًا منه، وسُقِطَ في أيديهم، وكان معه خال له من طيِّـىء من بني حارثة بن لأم وعِدَّةٌ من أعوانه، فبلغ عبد الملك بن مروان الخبر، فكتب إلى هشام بن إسماعيل - وهو عامله بالمدينة - وإلى الحجاج بن يوسف - وهو عامله بالعراق - وإلى عامله باليمامة؛ أن يطلبوا قَتَلَة عَوْنٍ، وأن يأخذوا السُّعَاة بذلك أشدَّ الأَخْذِ. وَتَفَرَّقَ اللّصوص، وانشأم السَّمهريُّ في بلاد غَطَفَان ما شاء الله، حتى مَرَّ بهم أيوب بن سَلَمَة المخزوميّ، فقالوا: هذا قاتلُ ابنِ عَمِّكَ فَدُونَكَهُ، فأخذه وحمله إلى هشام بن إسماعيل، فحبسه في سجن المدينة، فوجد من

(١) زُبالة: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق، وقال السكوني: زبالة بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق. (معجم البلدان ٣/ ١٢٩).
(٢) جَفِّنْ: حَضِّر لهم الطعام.
(٣) أقصده: أصاب منه المَقْتَلَ.

الناس غَفْلَةً في يوم جمعة فرمى بنفسه من فوق حائط السجن، وفضَّ قيدَه، وشدّه بساقِه، ونجا، فلما أدركه اللّيلُ كسرَ القيدَ وألقاه، وهمس طلقًا، فبينا ينظر عن يمينه وشماله رأى غرابًا يُنَشْنِشُ ريشَهُ ويطرحُه، فقال لراعٍ من لِهْبِ لَقِيَهُ ـ وَلِهْبٌ: قبيلة، لهم علم بالزَّجْرِ ـ: ما تقولُ في رجل هَرَبَ من السِّجنِ؟ فنظر عن يمينه فلم يَرَ شيئًا، ونظر عن شماله فرأى غرابًا على شجَرة بانٍ ينتفُ ريشَهُ ويبدّدُه، فقال: إنْ صَدَقَتِ الطَّيْرُ صُلِبَ، فقال: بِفِيكَ الحَجَرُ، فَمَرَّ السَّمْهَرِيُّ، وقال: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهَا البَيْتُ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهْ ... فَلاَ البَيْتُ مَنْسِيٌّ وَلاَ أَنْتَ زَائِرُهْ

يَقِرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى قِصَدَ القَنَا ... وَصَرْعَى كُمَاةٍ في وَغًى أنا حَاضِرُهْ

فَإنْ أَنْجُ يَا لَيْلَى فَرُبَّ فَتًى نَجَا ... وَإنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَبَيْنٌ أُحَاذِرُهْ

رَأَيْتُ غُرَابًا وَاقِعًا فَوْقَ بَانَةٍ ... يُنَشْنِشُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهْ

فَكَانَ اغْتِرَابًا بِالغُرَابِ وَنِيَّةً ... وَبِالبَانِ بَيْنٌ بَيِّنٌ لَكِ طَائِرُهْ

فاعترض في بلاد قضاعة حتى أتى عُذْرَة متنكّرًا فسقى لهم وحلب، ثم تَحَيَّنَ غفلتهم فقعدَ على ناقةٍ لهم وملأ فروجها ورمى بها الفِجَاجَ ليلاً، فلما أصبحوا طلبوه فاستقبله سعَة من الأرض فَظَنَّ أنه الطريق فسار مَلِيًّا ثم رأى الجبال ملتفّة أمامه فعلمَ أنه ضالٌّ فرجعَ على أدراجه فوجدَ القومَ قعودًا في طريقه، فنزل عنها، وتَوَقَّلَ في الجبل حتىٰ أتى بلاد بني أسد، وقد جُعِلَ فيه جُعْلٌ كثيرٌ، فلما صار بصحراء مَنْعِجٍ[1] مَرَّ بابني فائد بن حبيب الفَقْعَسِيَّ فقال: اسقياني، فسقياه، ثم نظرا إلى ساقَيْهِ فإذا فيهما كُدُوحٌ طَرِيَّةٌ، فقالا: السَّمْهَرِيُّ واللَّه، فوثبا عليه، فقعدا على ظهره، فغلبهما، فاستغاثا بأُختهما، فقالت: أَلِي الشّرك في جُعْلكما؟ قالا: نعم، فألقت الجَرِيرَ في عنقه بأُنْشُوطَةٍ، فانطلقا به إلى عثمان بن حَيَّان المُرِّيِّ وهو يومئذٍ أمير المدينة، فدفعه إلى ابن أخي عَوْن، فقال له السّمهري: أتقتلني وأنتَ لا تعلم أقاتل عَمِّكَ أنا أم لا، ٱدْنُ منّي أَدُلُّكَ على قاتِله، وإنما أراد أن يقطعَ أنفَهُ، فنودي: إياك والكَلْبَ، فقتله، وَأُخِذَتْ طيِّـىء بِبَهْدَل ومروان ابني قِرْفَة، فقالوا: إن حبستمونا لم نقدرْ عليهما، ولكن خَلُّونا فنتنحَّسَ عنهما: أي نبحث، لغة طائيّة، وكانا قد تأبّدا مع الوحش يرميان الصيد وهو رزقهما، فلما طال ذلك بهما هبط مروان إلى راعٍ فتحدّث إليه فسقاه، فلما لَهَا انطلق الراعي فدَلَّ عليه؛ ليجتعلَ: أي يأخذ الجعل، ولِيريحَ قومَهُ من الأخذ به، فأخذوه، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك، فأتوا به عثمان بن حَيَّان عامله بالمدينة، فقتله، وأما بهدل فكان يأوي إلى

---

(١) مَنْعِج: وادٍ يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن فلج، ومنعج: وادٍ لبني أسد كثير المياه. (معجم البلدان ٥/ ٢١٢).

هضبة من سَلْمَى بعد مَرْوَان، ولمّا وجدوا مروان في بلاد طَيِّىء ألَحّوا عليهم، فبلغ سيدًا من سادات طَيِّىء مَنْزِل بَهْدَلٍ بتلك الهضبة، فجاء حتى حَلَّ بأهله أسْفَلَهَا، فكان إذا كان النهار خرج الرجال من القباب وأخلوا النساء، فكان بهدل يأتي بنتين للسيد فيُسائلهما: مَنْ أنتم؟ وما حالكم؟ حتّى اطمأنَّ، فحدّثتا أباهما، فأعَدَّ له أقوامًا وأمر بنتيه أن تدهناه وتغسلا رأسه ثم تفلياه، وأكمن له كَمِينًا، وقال لهما: إذا طلع القوم عليكما فخُذا بشعره على غير سجيجته، فَفَعَلَتَا فأخذوه، فأتوا به عثمان بن حَيَّان، فقتله أيضًا فقالت بنت بَهْدَل هذه الأبيات ترثيه.

٣ ـ أَمَا في بَنِي حِصْنٍ مِنَ ابنِ كَرِيهَةٍ مِنَ القَوْمِ طَلاَّبِ التِّرَاتِ غَشَمْشَمِ

ابن كريهة: كأنه من كثرة غشيانه للكريهة ابن لها، والكريهة: الشّدّة في الحرب، وَالغَشَمْشَم: الذي يركب رأسَهُ ولا يَهَابُ الإقدامَ، وقيل: الكثير الغَشْم: أي الظّلم، والتِّرَاتُ: الذُّحول الواحدة تِرَةٌ، وهذا الكلام بَعْثٌ وتحضيضٌ على طلب الدم والتِّرَة إذ فاتت نصرته حَيًّا.

٤ ـ فَيَقْتُلَ جَبْرًا بِامْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءً ولَكِنْ لاَ تَكَايُلَ بِالدَّمِ

يقال: باءَ فلانٌ بفلانٍ يَبُوء بَوَاءً، إذا ارْتُضِيَ لقتله بَدَلاً منه، وَأَبَأْتُ فلانًا بفلان؛ إذا قتلته به، وانتصب «فَيَقْتُلَ» على أنه جواب التمنّي بالفاء والعامل في الفعل أن مضمرة: أي أما فيهم رجل هكذا فيقتل هذا الرّجل برجلٍ لم يكن له نظيرًا فيكون في دمه وفاءً بدمه، ولكن سقطت المكايلة في الدّماء منذ جاء الإسلام، فلا يقتل بدل الواحد إلا واحد، شريفًا كان أو وضيعًا.

[٥١] وقال بعض بني فَقْعَس، وهو حَيٌّ من بني أسد:

وقيل: هو مُرَّة بن عَدَّاء الفَقْعَسِيُّ، وَفَقْعَسٌ: اسم مرتجل غير منقول، كمَعْدَان ونحوه، وقيل: الفَقْعَسَة: البَلاَدة.

١ ـ رَأَيْتُ مَوَالِيَّ الأُلَى يَخْذُلُونَنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إذْ يَتَقَلَّبُ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

الموالي: هٰهنا بنو العم، والأُلى: في معنى الّذين، و«يخذلونني» من صلته، و«على حدثان الدَّهر»: في موضع الحال: أي يخذلونني مقياسًا لما يحدث في الدهر أوانَ تقلّبه وتغيّره.

٢ ـ فَهَلاَّ أعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا إذَا الخَصْمُ أَبْزَى مَائِلُ الرَّأْسِ أنْكَبُ

قوله «تفاقدوا» دعاء، وقد اعترض بين أوّل الكلام وآخره، لكنه أكَّدَ ما يقتضُه فصلحَ لذلك، يقول: هَلاَّ جعلوني عُدَّةً لرجلٍ مثلي، فَقَدَ بعضهم بعضًا، قال أبو العلاء: قال أبو

رياش: قوله «أبزى» أي تحامل على خصمه ليظلمه، وجعل أبزى فعلاً، ولا يمتنع ذلك، وإنما المعروف أن يقال: بَزَوْتُ الرَّجُلَ، ومنه اشتقاق البازي من الطير إذا استعمل على وزن القاضي، وإذا أخذ بهذا القول وجعل أبزى فعلاً وجب أن يرفع «الخصم» بفعل مضمر يفسّره قوله أبزى، وبرفع «مائل الرأس» على أنه بدل من الخصم، والأجود أن يجعل أبزى اسمًا من قولهم: رجل أبزى، وامرأة بَزْواء، وهو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره، أو ما بين كتفيه. قال كثير: [الطويل]

مِنَ القَوْمِ أَبْزَى مُنْحَنٍ مُتَبَاطِنُ

وإنما وصفوا الخصم بذلك كما قالوا: حَدِبَ وَقَعِسَ، ويقال: تبازى الرّجل، إذا فعل في مشيه فعلاً يخيّل أنه أبزى، قال الشاعر، وهو أُحَيْحَةُ بن الجُلاَحِ: [الهزج]

وَخَفِّضْ عَنْكَ فِي المِشْيَةِ ... لاَ يُغْنِي تَبَازِيكَا

وقال قوم: البَزَى: دخُولُ الصَّدر وخروج أسفل البطن، قال الشاعر: [الرمل]

فَتَبَازَتْ فَتَبَازَخْتُ لَهَا ... جِلْسَةَ الجَازِرِ يَسْتَنْجِي الوَتَرْ

وإذا جعل «أبزى» اسمًا وجب أن يُرْوَى «إذِ الخَصْم» وهذه الرواية أشبه بصناعة الشعر، وإن كانوا قد قالوا «أبزى الخصم» فإنّ «بزى» أكثر، ورفع الخصم في هذا الوجه على الابتداء؛ وأبزى هٰهنا مثل، ومعناه الراصد المخاتل لأن المخاتل ربما انثنى فيخرج عجزه، والأنكب: المائل، وأصله الذي يشتكي منكبيه فهو يمشي في شِقٍّ، ومائل الرأس: أي مصعّر من الكبر.

٣ - وَهَلاَّ أَعَدُّونِي لِمِثْلِي تَفَاقَدُوا ... وَفِي الأَرْضِ مَبْثُوثٌ شُجَاعٌ وَعَقْرَبُ

الشجاع: الحيّة الخبيث، قال اليربوعي: [السريع]

يَغْدُو فَلاَ تَكْذِبُ شَدَّاتُهُ ... ثُمَّتَ يَنْبَاعُ انْبِيَاعَ الشُّجَاعْ

وقد سَمَّاه جرير الأشجع؛ فقال: [الكامل]

أَبْلِغْ بَنِي رَغْوَانَ أَنَّ أَخَاهُمُ ... قَدْ عَضَّهُ فقَضَى عَلَيْهِ الأَشْجَعُ

قال أبو العلاء: يقال: إن رَغْوَان لقب مُجَاشع بن دارم، وذلك أنه قَدِمَ في رَهْطٍ على بعض الملوك فحجبهم الملكُ، فرغا مجاشعٌ رُغَاءَ البعير، فَسَمِعَهُ الملكُ، فأذنَ له ولأصحابه، فَسُمِّيَ رَغْوَان، فلذلك صار جرير يذكر لهم الرّغاء في الهجاء، قال: [الطويل]

تَرَاغَيْتُمُ يَوْمَ الزُّبَيْرِ كَأَنَّكُمْ ... ضِبَاعٌ بِذِي قَارٍ تَمَنَّى الأَمَانِيَا

ويقولون لمجاشع أيضًا: أبو رغوان، قال جرير: [الطويل]

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ... ضَرَبْتَ، وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وكنّى بالعقرب في البيت عن الأعداء والشرّ، وارتفاع «شجاع» يجوز أن يكون على البدل، ويجوز أن يكون على الابتداء، و«مبثوثٌ» خبر له قُدِّمَ عليه، ويجوز أن يُنْصَبَ مبثوث على الحال ويجعل «في الأرض» الخبر، ولم يُثَنِّ مبثوث لأن القصد بالشجاع والعقرب إلى جيل الأعداء فكأنهما شيء واحد، يقول: قد امتلأت الأرض من الأعداء فهلاّ أعَدُّوني لهم.

٤ ـ فلاَ تَأْخُذُوا عَقْلاً مِنَ القَوْمِ أَنَّنِي   أَرَى العَارَ يَبْقَى والمَعَاقِلُ تَذهَبُ

إن شئت رفعتَ «المعاقل» على الاستئناف، وإن شئتَ عطفته على «العار» يقول: لا ترغبوا في قبول الدّية فإنه عارٌ، والعارُ يبقى أثره والأموال تفنى، والمعاقل: جمع مَعْقُلَة، وَالمَعْقُلة والعَقْل: مصدر وُصِفَ به، من عَقَلْتُ المقتولَ إذا أعطيت ديته، وحكى الأصمعي: صار دمه مَعْقُلَةً على قومه: أي صاروا يَدُونه وكان أخْذُ الدِّيةِ عندهم من أشدِّ العارِ، قال الشاعر: [الطويل]

إذَا صُبَّ مَا فِي الوَطْبِ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ   دَمُ الشَّيْخِ فَاشْرَبْ مِنْ دَمِ الشَّيْخِ أوْ دَعَا

يقول: إنّ الذي تشربونه من لبن الإبل الذي أخذتموها في دِيَةِ شيخكم إنما هو دمه تشربونه، وقال آخر لرجل أخذَ الدِّيَةَ تمرًا: [الطويل]

فَظَلَّ يَضُوزُ التَّمْرَ وَالتَّمْرُ منقعٌ   بوردِ كَلَوْنِ الأرْجُوَان سَبَائِبُهْ[1]

٥ ـ كَأَنَّكَ لَمْ تُسْبَقْ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً   إذَا أنْتَ أدْرَكْتَ الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

يقول: مَن أدرك ما طلبه من الثأر فكأنه لم يُصَبْ ولم يوترْ، وهذا بَعْثٌ على طَلَبِ الدَّمِ، ومثله غير أنه بعث على طلب المال: [الطويل]

كَأَنَّ الفَتَى لَمْ يَعْرَ يَوْمًا إذَا اكْتَسَى   وَلَمْ يَكُ في بُؤْسٍ إذَا مَا تَمَوَّلاَ

[٥٢] وقال آخر:

١ ـ فَلَوْ أنَّ حَيًّا يَقْبَلُ المَالَ فِدْيَةً   لَسُقْنَا لَهُمْ سَيْلاً مِن المَالِ مُفْعَمَا

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

انتصب «فِدْيَةً» على الحال، والمال: يريد به الإبل لا غير، ونَكَّرَ قولَه «حَيًّا» وهو يقصد قَصْدَ حَيٍّ بعينه؛ لأن المراد كان مفهومًا عند مَن عرف القصة، وقوله «سيلاً مُفْعَمًا»: والسَّيْلُ يُفْعَمُ به الشَّيءُ يجوز أن يكون من باب «هَمٌّ ناصِبٌ» وما أشبهه، ويكون المعنى سيلاً ذا إفعام، ولكن أكثر ما يجيء معنى النسبة فيما كان للفاعل، كطَالِق ومُرْضِع، ومثله

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (ضوز)؛ والمخصّص ٥/٢٨؛ وجمهرة اللغة ص ٨١٣؛ ومقاييس اللغة ٣/٣٧٨؛ ومجمل اللغة ٣/٢٩٦.

نخلةٌ مُوقِرٌ، ويجوز أن يكون عَبَّرَ عن الكثرة بقوله مفعم، كما عبَّر في قولهم: شِعْرٌ شاعرٌ، ومَوْتٌ مائتٌ، عن التناهي بلفظ فاعل، وإن كان الموت لا يموت والشِّعر لا يشعر، كما أن السَّيل لا يفعمُ، المعنى لو كانت معاملتنا مع حيٍّ يرى قبول المال فدَاءً لأرضيناه بالمال الكثير.

٢ ـ ولَـكِـنْ أَبَـى قَـوْمٌ أُصِـيـبَ أَخُـوهُـمُ   رِضا العَارِ فاخْتَارُوا على اللَّبَنِ الدَّمَا

أي: امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرِّضا بالدَّنِيَّة وآثروا طلب الدم على قبول الدِّيَة، وجعل اللّبن كناية عن الإبل التي تُؤَدَّى عَقْلاً لأنه منها، وكما نَكَّر حَيًّا في البيت الأوّل نَكَّرَ أيضًا في الثاني فقال «أبى قومٌ» والغرض بهما على حَدٍّ واحد، ولا يجوز أن يكون «يقبل المال فديةً» صفة لقوله حَيًّا لأنه يبقى أنّ بلا خبر، فأما قوله «أُصيبَ أخوهم» فهو صفة لقوله «قوم» وقوله «رضا العار» في موضع المفعول: أي أبوا أن يرضوا العار خُطَّةً لأنفسهم.

[٥٣] وقالت كَبْشَة[١] أُخت عَمْرو بن معديكرب:

كبشة: اسم مرتجل علمًا، وليس بتأنيث كَبْش؛ لأن ذلك لا مؤنَّث له من لفظه، إنما هي نعجة، كما قالوا: تيس، ولم يقولوا تيسة، استغنوا بعنز، وقالوا: رجل، ولم يقولوا رجلة، إلاّ في مواضع قليلة؛ قال: [المديد]

هَـتَـكُـوا جَـيْـبَ فَـتَـاتِـهِـمُ   لَـمْ يُـبَـالُـوا حُـرْمَـةَ الـرَّجُـلَـهْ

١ ـ أَرْسَـلَ عَـبْـدُ الـلَّـهِ إذْ حَـانَ يَـوْمُـهُ   إلـى قَـوْمِـهِ لاَ تَـعْـقِـلُـوا لَـهُـمْ دَمِـي

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية من المتدارك.

عبد اللّه: أخو عمرو بن معديكرب، وقولها «أرسل عبد اللّه» إنّما تَكَلَّمَتْ به على أنه إخبار عمّا فعله عبد اللّه، وغرضها تحضيضهم على إدراك الثأر، ويقال: عَقَلْتُ فُلاَنًا، إذا أعطيت ديته، وجعل هذا المعقول الدم لأن المراد مفهوم، كأنه قال: لا تأخذوا بدل دَمي عَقْلاً.

٢ ـ ولا تَـأْخُـذُوا مِـنْـهُـمْ إفَـالاً وَأَبْـكُـرَا   وَأُتْـرَكَ فـي بَـيْـتٍ بِـصَـعْـدَةَ مُـظْـلِـمِ

٣ ـ وَدَعْ عَـنْـكَ عَـمْـرًا إنَّ عَـمْـرًا مُـسَـالِـمٌ   وَهَـلْ بَطْنُ عَمْرٍو غَيْرُ شِبْرٍ لِـمَطْعَمِ

الإفال: جمع أفِيل، وهو الذي أتت عليه سبعة أشهر أو ثمانية من أولاد الإبل، إن قيل: لِمَ ذَكَرَ الإفال والأَبْكُر وما يُؤَدَّى في الدِّيَاتِ لا يكون منهما؟ قلت: أراد تحقير

(١) كبشة بنت معديكرب: شاعرة صحابية، أدركت الإسلام. (ت ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م). (ترجمتها في الإصابة، كتاب النساء ترجمة ٩١٩؛ والشعر والشعراء، طبعة الحلبي ٥/ ٢٢٣؛ والأعلام ٦/ ٧٠).

الدِّيات، كَما يقول الرّجل إذا أراد تحقيرَ أمْرِ خِلْعَةٍ فاز بها إنسانٌ: إنما أُعْطِيَ خِرَقًا وَفُلُوسًا، وإن كانت الثّيابُ المعطاةُ كسوة فاخرة، والمال المحقّر جائزة سنيّة.

وقولها «ودَعْ عنكَ عمرًا» أي: خالف عمرًا إن هو مَالَ إلى الصّلحِ ورغب في أخذ الدّية، وقولها:

وَهَلْ بَطْنُ عَمْرِو غَيْرُ شِبْرٍ لِمَطْعَمِ

تزهيدٌ في الدِّيَةِ، كما رُوِيَ في الخبر «هل بطن ابن آدم إلاّ شبر في شبر» لمّا أُرِيدَ تزهيده في الدنيا، وقولها «وَأُتْرَكَ في بَيْتٍ بِصَعْدَةَ مُظْلِمِ» صَعْدَة: مِخْلاَف من مَخاليف اليمن، ويسمّيها غيرهم المزالف، وهم أهل الحجاز، ويسمّيها أهل نجد المذارع، شبّهوها بمذارع الأديم وهي كرعانه، وواحدة المذارع مَذْرَعَة، وواحدة المزالف مَزْلَفَة. وإنما جعل قبره مظلمًا لأنهم كانوا يزعمون أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره، فإنْ أُهْدِرَ دَمُهُ أو قُبِلَتْ دِيته يبقى قبره مظلمًا.

٤ ـ فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَثْأَرُوا وَاتَّدَيْتُمْ فَمَشُّوا بِآذانِ النَّعَامِ المُصَلَّمِ

«اتَّدَيْتُم» معناه قبلتم الدّية، يقال: وَدِيْتُهُ فَاتَّدَى، كما يقال: وَهَبْته فاتّهب: أي قَبِلَ الهِبَةَ، وفي الحديث «هَمَمْتُ أنْ لا أَتَّهِبَ إلاَّ مَن قُرَشِيٍّ أو أنصاريّ»[1] ومثله قضيتُ الدَّينَ فاقتضاه: أي قَبِلَهُ وتوفره. وقولها «فَمَشُّوا بآذان»: أي امشوا، وضَعَّفَ الفعل للتكثير، ومَنْ روى «فَمُشُّوا» بضمّ الميم فمعناه: امسحوا، ويقال لمنديل الغَمَر: المَشُوش، والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذِلاَّءَ بآذان مُجَدَّعَةٍ كآذانِ النّعامِ، ووصف النّعام بالصّلم تصغيرًا لها وإن كانت خلقة، يقول: كأنكم مما تعيّرون ليست لكم آذان تسمعون بها فامشوا بغير آذان: أي صُمًّا عمّا يتكلّمُ به النّاسُ من عَيبكم، واختلف في النّعام؛ فقيل: إنها كلُّها صُلْمٌ، وقيل: إنها صُمٌّ لا تسمعُ شيئًا وليس لها آذان، وإنما تعرف ما تحتاج إليه بالشّمّ.

٥ ـ ولاَ تَرِدُوا إلاَّ فُضُولَ نِسَائِكُمْ إذا ارْتَمَلَتْ أعْقَابُهُنَّ مِنَ الدَّمِ

يقال: تَرَمَّل وارتمل، إذا تلطَّخَ بالدّم، وكان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدَّمَ الرّجالُ ثم العضاريطُ والرُّعاةُ ثم النّساء، إذا صَدَرَتْ كلُّ فرقةٍ عنه فكنَّ يَغسِلْنَ أنفسَهنَّ وثيابهنّ ويتطهرون آمنات مما يزعجهنّ؛ فمَن تأخّرَ عن الماء حتى تصدرَ النساءُ فهو الغاية في الذّلّ، وجعل النساء مُرْتَمِلات بدم الحيض تفظيعًا للشأن، وقال النمري: قال أبو رياش: يقول: إذا قُبِلَتِ الدِّيَةُ فلا تأنفوا بعدها من شيء كما تأنف العرب، واغشوا نساءكم وهُنَّ

(١) الحديث في كنز العمال رقم ١٤٤٨٠.

حُيَّضٌ، والفضولُ هٰهنا: بقايا الحيض، وسُمِّيَ الغشيانُ وردًا مجازًا، وقال أبو محمد الأعرابي: معناه لا ترِدوا المواسم بعد أخذِ الدّية إلا وأعراضكم دَنِسَة من العار كأنكم نساء حُيَّضٌ، وهذا كما قال جرير: [الكامل]

لاَ تَذْكُرُوا حُلَلَ المُلُوكِ فإنَّكُمْ بَعْدَ الزُّبَيْرِ كَحَائِضٍ لَمْ تغْسِلِ

[٥٤] وقال عنترة بن الأخرس المَعْنِيُّ من طيِّىء:

قال أبو الفتح: العنتر والعنترة جميعًا الذّباب الأزرق، فهو منقول أيضًا، ويقال للذباب أيضًا: العَنْتَرُ، والنون والتاء أصلان عندنا، والمعن: الشّيءُ اليسير، قال: [الوافر]

فإنَّ هَلاَكَ مَالِك غَيْرُ مَعْنِ

أي: غير يسير، وبه سُمِّيَ الرّجلُ، وهو منقول، سمّوه به كما سمّوا بصغير ويسير، قال أبو العلاء: عنترة مسمّى بالواحد من الذّباب، يقال: عنترة، وعنتر في الجمع، وقال قوم: العنترة: الشّدّة، وقال أبو هلال: يُعرَف بعنترة بن عُكْبَرَة، وَعُكْبَرَة أمّ أُمّه، وبها يُعرَف، وهو شاعرٌ فارسٌ مشهورٌ.

١ ـ أَطِلْ حَمْلَ الشَّنَاءَةِ لِي وبُغْضِي وعِشْ ما شِئْتَ فَانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ

الأوّل من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

الرّواية الجيدة «حَمْلَ الشَّنَاءة» بالميم، ويُروَى «حَبْلَ الشناءة» بالباء، وهو استعارة حسنة أيضًا، جعل للشناءة حَبْلاً، وَالشَّنَاءَةُ: بُغْضٌ مختلطٌ بعداوةٍ وسوء خلق، كما أن الشَّنَفَ اسم لشدّة العداوة، ويقال: ضَارَهُ يَضِيرُه وَضَرَّهُ يَضُرُّهُ بمعنًى واحد، وانتصب موضع «ما شئت» على أنه ظرف، ومَنْ: مفعول تضير، لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله: أي انظر تضيرُ مَنْ، ومثله: [الطويل]

فَإِنَّكَ إِنْ أَبْغَضْتَنِي مَا ضَرَرْتَنِي وَإِنْ رُمْتَ نَفْعِي مَا وَسِعْتُ لِذٰلِكَا

٢ ـ فَمَا بِيَدَيْكَ نَفْعٌ أَرْتَجِيهِ وَغَيْرُ صُدُودِكَ الخَطْبُ الكَبِيرُ

ويُرْوَى «فما بيديك خَيْرٌ أرتجيه» وأرتجيه: في موضع الصّفة للنفع: أي نفعٌ مُرْتَجًى، وهذا تبيين لقلّة مبالاته ببغضائه وعداوته، وقوله «غير صدودك الخطب الكبير» أي: صدودُ غَيْرِكَ خَطْبٌ كبيرٌ، فأمّا صدودُك فلا، فقلب، ويجوز أن يكون المعنى: إنّ ما يأتي من الحوادث غير صدودك خطب كبير، وأما صدودك فسهل يسير.

٣ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ شِعْرِي سَارَ عَنِّي وشِعْرُكَ حَوْلَ بَيْتِكَ مَا يَسِيرُ

هذا تقريرٌ له في بيان فضله عليه وسلامة عرضه من قَرْفِه إياه، يقول: شعرك الذي قلته فِيَّ لم يعلقْ بي ذَمُّهُ؛ لأنه كان كَذِبًا، وشِعري الذي قلتُه فيك يطوفُ حول بيتك لا

يفارقُكَ، لأنه كان صدقًا، ويجوز أن يكون المعنى أن شِعري سار عَنّيَ لأن الرُّوَاةَ احتملوه استجادةً له، وشِعركَ الذي قُلْتَهُ فِيَّ فلازم لكَ لزهد النّاس فيه، وساغ الوجهان جميعًا لأن المصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل، فعلى ذلك جاز أن يقول شعرك ويريد شعري المقول فيك.

٤ ـ إذَا أَبْصَرْتَنِي أعْرَضْتَ عَنِّي ... كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

يقول: من بُغْضِكَ لي لا تقدر على النظر إلَيَّ، كأن بيني وبينك الشمس، كما قال الآخر: [الطويل]

وَمَوْلًى كَأنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... إذَا مَا التَقَيْنَا لَيْسَ مِمَّنْ أُعَاتِبُهْ

أي: لا حاجة لي في وُدِّهِ فأصلحه بالعتاب، ومثله قول أوس: [البسيط]

إذْ يشزرونَ إلَيَّ الطَّرْفَ عَنْ عُرُضٍ ... كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مِنْ بِغْضَتِي عُورُ

[٥٥] وقال الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الأنصاري[١]:

هذه صفة منقولة، وَالحَوَص: ضِيقٌ في العين كأنها مخيطة، وكسروا الأحوص حُوصًا وأحاوص، قال الأعشى: [الطويل]

أَتَانِي وَعِيدُ الحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الأَحَاوِصَا

١ ـ إنّي على ما قَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ ... أنْمِي عَلَى البَغْضَاءِ والشَّنَآنِ

الثاني من الكامل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

«علمت» بمعنى عرفت، ولهذا اكتفى بمفعول واحد، ومعنى البيت إني مَرْمُوقٌ محسودٌ على ما قد عرفته من أحوالي زائد كل يوم على بغضاء النّاس، وقوله «على ما قد علمت» و«على البغضاء» جميعًا في موضع الحال، والعامل في الأوّل قوله «محسَّد» وفي الثاني «أنمي» ويجوز أن يكون «على ما قد علمت» من صلة مُحَسَّد، كما تقول: حسدته على كذا.

٢ ـ مَا تَعْتَرِينِي مِنْ خُطُوبِ مُلِمَّةٍ ... إلاَّ تُشَرِّفُنِي وَتُعْظِمُ شَانِي

يقال: عراه واعتراه، إذا جاءه، وأضاف الخطوب إلى ملمّة لأنه أراد بها أوائل أمر عظيم، وأصلُ الخَطْبِ الطّلب، يقال: خَطَبْتُ كذا فَأَخْطَبَني، كما يقال: طلبته فأطلبني،

---

(١) الأحوص الأنصاري: هو عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه بن عاصم، من بني ضُبيعة: شاعر هجاء، صافي الدّيباجة، كان مقدّمًا في النسيب في عصره (ت ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م). (ترجمته في الأغاني ٤/ ٤٠؛ والشعر والشعراء ص ٢٠٤؛ والذريعة ١/ ٣١٩؛ وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٢٣٢).

فكأنه أراد أوائل ملمة وأسبابًا لها تطلبُه، ويقال: هذا خَطْبُ أمرٍ عظيمٍ، وهذا خَطْبُ أمرٍ يسيرٍ، وقوله «إلاّ تُشَرِّفُني وترفع شاني» أي: لحُسْن بلائه فيها وصبره عليها.

٣ - فـإذَا تَـزُولُ تَـزُولُ عَـنْ مُـتَـخَـمِّـطٍ   تُـخْـشَـى بَـوَادِرُهُ لَـدَى الأَقْـرَانِ

المتخمّط: المتكبّر الغضبان، وبوادره: ما يَبْدُرُ من مكروهه وسطواته، والأقران: النُّظَرَاء في البأس والشدّة: أي إذا تكشَّفت الملمّات انكشفَتْ عن رجلٍ متكبّر تُخَافُ فلتاتُهُ وبدراتُه عند نظرائه في البأس والشدّة، ومعناه إن الدّواهي إذا نزلت بساحته لا تلينُ لها عريكتُه، وقوله «تُخْشى بوادره»: في موضع الصفة للمتخمّط.

٤ - إنّـي إذَا خَـفِـيَ الـرِّجَـالُ وَجَـدْتَـنِـي   كـالـشَّـمْـسِ لاَ تَـخْـفَـى بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

من هٰهنا أخذ بشار قوله: [البسيط]

أَنَا الْمُرَعَّثُ لاَ أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ   ذَرَّتْ بِيَ الشَّمْسُ لِلْقَاصِي وَلِلدَّانِي

وقال أبو هلال: من حديث هذا الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد، عن الجوهري، عن أبي زيد، عن رجاله، أن الأحوص رَكِبَ إلى الوليد بن عبد الملك ومحمد بن عمرو بن حزم رماه ببعض السّوء، فَلَقِيَهُ رجلٌ من بني مخزوم، فوعده أن يعينه على ابن حزم، فقال للوليد: واللّه لو كان الّذي رماني به ابنُ حزم من أمر الدين [إلا أن دناءته لاجتنبه][1]، فكيف وهو من أكبر معاصي اللّه، وأنا الذي أقول: [الطويل]

لَـظَـلُّـوا وأيـديـهـم إلـيـك تـشـيـرُ

فقام المخزومي وأثنى على ابن حزم، فقال الأحوص: هذا واللّه كما قال الشاعر: [الطويل]

وَكُنْتَ كَذِئْبِ السُّوءِ لَمَّا رَأَى دَمًا   بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ[2]

ثم قَدِمَ الأحوص المدينة فأخذه ابن حزم وضربه، وأقامه على البُلُسِ[3] في سوق المدينة فجعل يصيح:

إني عَلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ مُحَسَّدٌ

الأبيـات.

---

(١) هكذا في الأصل أما في الأغاني: «لاجتنبته»، والجملة تصبح أصحّ.

(٢) الشعر للفرزدق.

(٣) البُلُسُ: جمع بلاس: غرائر كبار من مسوح يشهّر عليها مَنْ ينكّل به ويُنادى عليه.

[٥٦] وقال الفضل بن العباس بن عُتْبَة بن أبي لَهَب[١]:

عُتْبَة: اسم مرتجل غير منقول، وتسمى به المرأة أيضًا.

١ - مَهلاً بَنِي عَمِّنَا مَهلاً مَوَالِينَا   لاَ تَنْبُشُوا بَيْنَنَا مَا كَانَ مَدْفُونَا

الثاني من البسيط، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

أي: رِفقًا يا بني عَمِّنا، وهذا التكرار يريد به التأكيد، ويجوز أن يكون هذا الكلام تهكّمًا، ويجوز أن يكون رآهم ابتدؤوا في أمر لم يأمن معه تفاقم الشّأن فاسترفقهم لذلك، وذكر الدّفن والنبش استعارة في الإظهار والكتمان.

٢ - لاَ تَطْمَعُوا أنْ تُهِينُونَا وَنُكْرِمَكُمْ   وَأنْ نَكُفَّ الأذَى عَنْكُمْ وَتُؤْذُونَا

يريد لا تطمعوا في أن تهينونا، فأوصل الفعل بنفسه من دون في؛ لأن أنْ الخفيفة والشّديدة إذا اتصل بها حروف الجرّ حَسُنَ حذفها لطول الكلام بها، تقول: أنا راغب في أن ألقاك، وطامع في أن يحسن زيد إليك، ولو قلت أنا راغب أن ألقاك وطامع أن يحسن زيد إليك لجاز، ولو جعلت مكان «أنْ» المصدر فقلت «أنا راغب في لقائك» لم يجز حذف حرف الجرّ، لا تقول «أنا راغب لقاءك» لأن ما كان يطول الكلام به لم يحصل، يقول: لا تقدروا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم بالإكرام.

٣ - مَهلاً بَنِي عَمِّنَا عَنْ نَحتِ أثْلَتِنا   سِيرُوا رُوَيْدًا كما كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

يقال: نَحَتَ أَثْلَتَهُ، إذا ذَمَّهُ وَتَنَقَّصَهُ، وقوله «سيروا رويدًا» أي سَيْرًا تُرْوِدُونَ فيه: أي ترفقون فيه كما كنتم تسيرون: أي ارجعوا إلى سيرتكم الأولى.

٤ - اللّهُ يَعْلَمُ أنّا لاَ نُحِبُّكُمْ   وَلاَ نَلُومُكُمُ أنْ لاَ تُحِبُّونَا

أي: قد أبغضناكم فلا لوم عليكم إن أبغضتمونا.

٥ - كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ   بِنِعْمَةِ اللّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا

قوله «بنعمة الله» هو كما جاء في القرآن ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٢] وقوله «نقليكم وتقلونا» إشارة إلى الحال، وحذف المفعول من الثاني لأن في الكلام ما يدلّ عليه، ويجوز أن يكون «تقلوننا» فحذف النون النائبة عن الإعراب، وهو لغة حجازية، ومثله: [الرجز]

قَدْ رُفِعَ الفَخُّ فَمَاذَا تَحْذَرِي[٣]

---

(١) الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب: شاعر، من فصحاء بني هاشم كان معاصرًا للفرزدق والأحوص (ت ٩٥ هـ/ ٧١٤ م). (ترجمته في: نسب قريش ص ٩٠؛ وسمط اللآلي ص ٧٠١).

(٢) سورة القلم، الآية: ٢.

(٣) يُنسَب البيت لكليب وائل هكذا:

يَا لَكِ مِن قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ   خَلا لَكِ الجوُّ فَبِيضي واحذِري =

يريد تحذرين، وعلى هذا قول الآخر: [الوافر]

إلـى مَـنْ بـالـحَـنِـيـنِ تُـشَـوِّقِـيـنِـي

وهذا يؤكد مذهب سيبويه في تجويزه للشاعر حذف حركة الإعراب عند الضَّرورة، وقال أبو هلال في قوله «بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا» جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من اللَّه عليهم لأنهم مع التباغض يتفرقون، وفي تفرّقهم صلاح لهم، وفي قرب بعضهم من بعض مضرّة عليهم.

[٥٧] وقال الطِّرِمَّاح بن حكيم[١]:

قال أبو الفتح: الطرماح الطويل، قال: [الرجز]

فَـهْـوَ طِـرِمَـاحٌ طَـوِيـلٌ قَـصَـبُـهْ

ويقال: طَرْمَحَ بناءه، إذا أطاله، قال: [البسيط]

طَـرْمَـحَ أَقْـطَـارَهَـا أَحْـوَى لِـوَالِـدَةٍ ... صَحْمَاء وَالفَحْلُ لِلضِّرْغَامِ يَنْتَسِبُ[٢]

يصف إبلاً أكلت الكلأ حتى عَلَت أسنمتها، طرمح: أطال، أحوى: النبتُ للونه، وصحماء: الأرض لسوادها وصفرتها، والفحل: يعني المطر، والضّرغام: أراد كان بنَوْء الأسد فلم يمكنه، فقال: الضرغام، أي هذا المطر منسوب إلى نوء الأسد، وقال أبو هلال: كان الطِّرماح معلّمًا بالكوفة، قال بعض العلماء: لو تقدمت أيامه قليلاً لفضل على الفرزدق وجرير، ومن عجيب ما رُوِيَ من حديثه أنه قعد للناس وقال: اسألوني عن الغريب، وقد أحكمته كلّه، فقال له رجل: ما معنى الطرماح؟ فلم يعرفه.

١ ـ لَـقَـدْ زَادَنِـي حُـبًّـا لِـنَـفْـسِـيَ أَنَّـنِـي ... بَـغِـيـضٌ إلى كُـلِّ امْـرِىءٍ غَـيْـرِ طَـائِـلِ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

قوله «أنني بغيض» في موضع الفاعل، والمعنى زادني بغاضتي إلى كل رجل لا فضلَ فيه ولا خيرَ عنده حُبًّا لنفسي؛ لأن التمايز بيني وبينه هو الذي أدّاه إلى بغضي، ولو كان بيننا تشاكُلٌ لما كان كذلك، فازددتُ بذلك محبّة لنفسي؛ لأني لو كنت مثله لأَحبّني، وقوله «غير طائل» هو من طال عليهم يَطُولُ طَوْلاً، والطَّوْلُ: الفضل، وقال الخليل: يقال للشّيء

= وفي الحيوان للدميري نسب لطرفة بن العبد.

(١) الطِّرمَّاح بن حكيم: شاعر إسلامي فحل، اعتقد مذهب الأزارقة، كان معاصرًا للكميت وصديقًا له. (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م). (وترجمته في: تهذيب ابن عساكر ٧/ ٥٢؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٤١٨؛ والذريعة ١/ ٣٣٨).

(٢) البيت في تاج العروس (طرمح).

الدُّون الخسيس: هذا غير طائل، والمذكر والمؤنث فيه سواء، ويقال: زدت فضلاً، كما يقال: ازددت فضلاً، وزادنيه كذا.

٢ - وأَنِّـي شَـقِـيٌّ بِـالـلِّـئَـام وَلاَ تَـرَى   شَـقِـيًّـا بِـهِـمْ إلاَّ كَـرِيـمَ الـشَّـمَـائِـلِ

أصله «وأنني شقيّ» لكنه حذف النون الأول من «أنَّ» تخفيفًا لأنه اجتمع ثلاث نونات، وهو محمول في الإعراب على «أنني» من البيت الأول ومعطوف عليه، فيقول: وزادني حبًّا لنفسي أيضًا شقوتي باللِّئام حتى تَنَقَّصُوني واغتابوني، ثم قطع الإخبار، وكأنه أقبل على مخاطب ملتفتًا إليه، فقال: ولا ترى أحدًا يَشْقَى بهم إلاّ وهو كريم الطبائع.

٣ - إذَا مَـا رآنِـي قَـطَّـعَ الـطَّـرْفَ بَـيْـنَـهُ   وَبَـيْـنِـيَ فِـعْـلَ الـعَـارِفِ الـمُـتَـجَـاهِـلِ

أي: إذا أبصرني ارتدَّ طرفه عني وقطع نظره إليَّ فِعْلَ مَن يعرف الشيء ويتكلّف جهله، والطَّرْف هٰهنا مصدر طرفته إذا أبصرته، وانتصب «فعلَ العارف» على المصدر مما دلَّ عليه «قَطَّعَ الطرفَ».

٤ - مَـلأتُ عَـلَـيْـهِ الأَرْضَ حَـتَّـى كَـأَنَّـهـا   مِـنَ الـضِّـيـقِ فـي عَـيْـنَـيْـهِ كِـفَّـةُ حَـابِـلِ

يقال: ملأت عليه الأرض، إذا ضَيَّقتها عليه، وملأت منه الأرض، إذا قمت وقعدت بذكره، والحابل: ناصب الحُبَالة، يقال: حَبَلْت الصيد، واحتبلته، إذا أخذته، وتوسّعوا فيه فقالوا: احتَبَلَهُ الموتُ بحبائِله، والكِفَّةُ: يجوز أن يريد بها الحفيرة التي تُنْصَبُ الحبائلُ فيها، لأنها تُجعَل كالطَّوق، وهذا أقرب لأن الخليل فسّر الكِفّة على ذلك، وجاز إضافتها إلى الحابل، كما يجوز إضافة نفس الحبالة إليه، وأصل الكلمة من الجمع، ومنه قيل «النّاس كافّة» أي: أجمعون، ومثله في المعنى قول الآخر: [الطويل]

كَأَنَّ فِجَاجَ الأَرْضِ وَهْيَ عَرِيضَـةٌ   على الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةُ حَابِلِ

يقول: قد ضاقت به الأرض من عداوتي فكأنني ملأتها عليه، ويجوز أن يكون المراد أنه يخافني في كلّ مسلك يسلكه.

٥ - أَكُـلُّ امْـرِىءٍ أَلْـفَـى أَبَـاهُ مُـقَـصِّـرًا   مُـعَـادٍ لأَهْـلِ الـمَـكْـرُمَـاتِ الأوائِـلِ

٦ - إذَا ذُكِـرَتْ مَـسْـعـاةُ وَالِـدِهِ اضْـطَـنَـى   وَلاَ يَـضْـطَـنِـي مِـنْ شَـتْـمِ أَهْـلِ الـفَـضَـائِـلِ

ألفى أباه: أي وجده، وَالمَسْعَاة هنا المصدر مثل السَّعْي، وهو العمل، وفي القرآن ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1] واضطنى: افتعل من الضَّنى، يقال: ضَنِيَ يَضْنَى، إذا دقَّ وصغر جسمه ومن ثم سُمِّيَ المرضُ ضَنًى لما يورث من الهُزَال، يقول: إنه يَضْنَى إذا ذكر صَنِيعَ والده لقبحه، ومع هذا يشتمُ أهلَ الفضائلِ ولا يضنى منه، يصفه بالقِحَةِ.

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

٧ ـ وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلاَ عَزَّ أَهْلُهَا   مِنَ النَّاسِ إلاَّ بِالقَنَا وَالقَنَابِلِ

القنا: الرّماح، والقنابل: جماعات الخيل، الواحدة قنبلة.

[٥٨] قال بعض بني فَقْعَس:

١ ـ وَذَوِي ضِبَابٍ مُظْهِرِينَ عَدَاوَةً   قَرِحَى القُلُوبِ مُعَاوِدِي الأَفْنَادِ

الثاني من الكامل، مردف مطلق موصول، والقافية متواتر.

الضَّبّ: الحِقْد الخفي، وإنّما سُمِّيَ ضَبًّا لأنّ الضّبّ طول شتائه يخدع في جحره فلا يظهر، ويُروَى الإفناد والأفناد، بكسر الهمزة وفتحها، فالكسر مصدر أفند يُفْنِد إفنادًا إذا أتى بالفَنَد، وإذا روي الأفناد ـ بفتح الهمزة ـ فهو جمع الفَنَد، وهو الفحش والخطأ في الرأي، وأفْنَدْتُ الرجلَ إذا خَطَّأت رأيه إفنادًا، وَفَنَّدْته تفنيدًا، يقول: هم أعداء قرحت قلوبهم من الغيظ عليّ، فهم يعاودون في قول الخَنَى، وقوله «وذوي ضِبَاب» أي رُبَّ قومٍ ذَوي أحْقَاد.

٢ ـ نَاسَيْتُهُمْ بَغْضَاءَهُمْ وَتَرَكْتُهُمْ   وَهُمُ إذَا ذُكِرَ الصَّدِيقُ أَعَادِي

جواب رُبَّ قوله «ناسيتهم» أي: رُبَّ قوم هكذا ناسيت بغضهم لي حتى نسوا، لأن المناساة من اثنين فصاعدًا، وتركتهم وهم من جملة الأعداء إذا ميّزت بالذكر الأصدقاء: أي صاروا لي كالأصدقاء وهم في الحقيقة أعداء، إذا ذكر الصديق عند الشدائد لم يذكروا، وأراد بالصّديق الجمع، يقول: لم أُكاشفهم ولا أظهرتُ لهم عِلمي بعداوتهم لأعدّهم لمَن هو أبعد منهم وأشدّ عداوة، ويوضحه قوله:

٣ ـ كَيْمَا أُعِدَّهُمُ لأَبْعَدَ مِنْهُمُ   وَلَقَدْ يُجَاءُ إلَى ذَوِي الأحْقَادِ

أي: قد يضطرُّ الإنسانُ إلى نصرة بني الأعمام وإنْ كانوا مُنْطَوين على ضغائن، وهذا كما قيل لبعض حكماء العرب: ما تقول في ابن العمِّ؟ قال: عَدُوُّكَ وعدوُّ عَدُوِّكَ، ويقال: أجاءه إلى كذا وأشاءه بمعنى واحد، وأصله من المجيء، قال اللّه تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾(١) أي: أَلْجَأَهَا، وقال أبو هلال: يقول: ربما يضطر الإنسان إلى أعدائه في بعض الأمور، ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَإنِّي لأَسْتَبْقِي ٱمْرَأَ السُّوءِ عُدَّةً   لِعدوَةِ عِرِّيضٍ مِنَ النَّاسِ جَانِبِ
أَخَافُ كِلاَبَ الأَبْعَدِينَ وَنَبْحَهَا   إذَا لَمْ يُجَاوِبْهَا كِلاَبُ الأقَارِبِ

وقال النمري في قوله «لأبعد منهم» أي: لمَن هو أبعد عداوة منهم: أي أشدّ، من قوله عزّ وجلّ: ﴿ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾(٢) قال أبو محمد الأعرابي: غلط من وجهين:

---

(١) سورة مريم، الآية: ٢٣.   (٢) سورة النساء، الآية: ١٦٧.

أحدهما أنه قال هذا الشعر لرجل من بني فَقْعَس، وإنما هو لمِرْدَاس بن جُشَيْشٍ أخي بني سعد بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيْمَة، والآخر قوله «لأبعد عداوة منهم» وإنما هو لأبعد قرابةً منهم، وهو مثل قول حَضْرَمِيّ بن عامر: [الكامل]

وَلَقَدْ طَوَيْتُكُمُ عَلَى بُلَلاَتِكُمْ وعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الأَذْرَابِ
كَيْمَا أُعِدَّكُمُ لأَبْعَدَ مِنْكُمُ وَلَقَدْ يُجَاءُ إِلَى ذَوِي الأَنْسَابِ

[٥٩] وقال يزيد بن الحكم الكلابي:

١ ـ دَفَعْنَاكُمْ بِالقَوْلِ حَتَّى بَطِرْتُمْ وَبِالرَّاحِ حَتَّى كَانَ دَفْعَ الأَصَابِعِ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

يقول: وعظناكم أولاً باللسان حتى أبطركم ذلك، وصرنا إلى الدَّفْعِ بالرَّاحِ، وفي محاورات قريش أن بعضهم قال لآخر منهم مستضعفًا لما أورده عليه: هذا دفع بالرَّاح، فقال مجيبًا: كلاّ إنَّ معها الأصابع، والرَّاحُ: جمعُ راحة، والدفع بالرَّاح لا يضرّ المدفوع كبيرَ ضررٍ، وفي الدفع بالأصابع بعض الأذى، يقول: دفعناكم بالقولِ فبطرتم، فصرنا إلى ما هو أغلظ منه فلم ترتدعوا به، فصرنا إلى ما فيه النّكاية، وقد أحسن إبراهيم بن العباس في جمعه هذه المعاني في قوله: [الطويل]

أَنَاةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَهَا وَعِيدٌ فَإِنْ لَمْ يُجْدِ أَجْدَتْ عَزَائِمُهُ

وانتصب «دَفْعَ» على أنه خبر «كان» واسمه مضمر، كأنه قال: حتى كان الدفع دفع الأصابع، ولك أن ترفعه على أن يكون اسمه، وتضمر الخبر، كأنه قال: حتى كان دفعُ الأصابع دفعنا، أو على أن يكون «كان» بمعنى حدث فيكتفى بالفاعل، وهي التي تسمّى كان التامّة.

٢ ـ فَلَمَّا رَأَيْنَا جَهْلَكُمْ غَيْرَ مُنْتَهٍ وَمَا غَابَ مِنْ أَحْلاَمِكُمْ غَيْرَ رَاجِعِ

الأحلام هٰهنا: العقول؛ أي لمّا تماديتم في جهلكم ولم ترجعوا إلى ما يوجبه العقل.

٣ ـ مَسِسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئًا وَكُلُّنَا إِلَى حَسَبٍ فِي قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ

يجوز أن يكون «مَسِسْنَا» بمعنى أصبنا واختبرنا، لأن المسّ باليد قد يُقصَد به الاختبار، ويجوز أن يكون بمعنى طلبنا، وقيل في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾(١) المعنى لا يطلبه، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾(٢) وقوله

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٢) سورة الجن، الآية: ٨.

«وكلنا إلى حسب» أي: نتتمي وننتهي فإلى تعلق بهذا وما أشبهه من المضمرات، وهذا كما يقال: أنا منك وإليك، وقوله «كلنا» أي: كلّ واحد منّا، يعني أهل بيتهم: أي افتخرنا بالآباء بعض الافتخار، وكلّ واحد منّا شريف.

٤ - فَلَمَّا بَلَغْنَا الأُمَّهَاتِ وَجَدْتُمُ بَنِي عَمِّكُمْ كَانُوا كِرَامَ المَضَاجِعِ

جعل المضاجع كناية عن الأزواج: أي نظرنا فإذا نحن وأنتم سواء في شرف الآباء، ولكننا أكرم أُمهات منكم.

٥ - بَنِي عَمِّنَا لاَ تَشْتِمُونَا ودَافِعُوا عَلَى حَسَبٍ مَا فَاتَ قِيدَ الأَكَارِعِ[1]

يقول: هو في موضعه لم يَزَلْ عنه قدر كراع، وذكر الجمع والمراد به الواحد.

٦ - وَكُنَّا بَنِي عَمٍّ نَزَا الجَهْلُ بَيْنَنَا فَكُلٌّ يُوَفَّى حَقَّهُ غَيْرَ وَادِعِ

أراد بالجهل ما يدعو إليه الجهل من الشّر، يقول: وثب الشّر في المكروه بيننا أي ارتفع وعلا فكلٌّ يأخذ منه بنصيب، وأراد أنّا نتحارب والحرب لا دَعَة فيها فلهذا قال غير وادع.

[٦٠] وقال جابر بن رَالاَنَ السَّنْبَسيُّ:

مَن همز «رألان» فهو فَعْلاَن من لفظ الرَّأل، ومَن لم يهمزه احتمل أمرين: أحدهما أن يكون تخفيف رألان، كقولك في تخفيف رأس: رَاس، والآخر أن يكون فَعْلاَن من «روّلت الخبز في السّمن ونحوه» إذا أشبعته منه، و«رَوّل الفرس» إذا أدلى، ومنه الرّاوول لِلسّن الزّائدة من وراء الأسنان، وكان قياسه رَوَلان كَالجَوَلان، غير أنه أُعِلَّ على ما جاء من نحو دَارَان وَمَاهَان، و«سَنْبَسٌ» اسم مرتجل غير منقول كنظائره، وقال أبو العلاء: يجوز أن يكون رَألاَن فعلان من الرُّؤال وهو لعاب الخيل، و«سنبس» يقال: إن المراد به قلّة الجسم والهزال، وقيل: إن السنبس حَبّ نَبْت يؤكل، وليس السبس بمعروف فيحكم على النون بزيادتها.

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَخْزَى إذَا مَا نَسَبْتَنِي إذَا لَمْ تَقُلْ بُطْلاً عَلَيَّ ومَيْنَا

الثالث من الطويل، مطلق موصول، والقافية متواتر.

وذكر سيبويه في باب الإدغام أن الثالث من الطويل لا يستعمل إلا بلين كامل، وأنكر أن يجيء في قوافيه مثل المَيْن وما أشبهه مما قبل يائه فتحة لأن لينه لم يكمل، وإنما كماله بأن يكسر ما قبل الياء، أو يضمّ ما قبل الواو، أو يكون بألف.

---

(١) الأكارع: جمع الكراع: مستدقّ الساق من الفرس وغيره.

قوله «لعمرك»: مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: لَعَمْرُكَ ما أقسم به، و«أخزى» يجوز أن يكون من الخزي الهوان، ويجوز أن يكون من الخَزَاية الاستحياء، والبُطْل: الباطل، وَالمَيْن: الكذب، رجلٌ مَائِنٌ ومَيُون، وقوله «إذا ما نسبتني» ظرف لقوله «ما أخزى» و«إذا لم تَقُلْ» يجوز أن يكون بدلاً منه، ولولا أنه كرّر «إذا» لكان الكلام ما أخزى إذا ما نسبتني ولم تقل بُطْلاً ومَيْنًا، ولا يجوز أن يكون العامل في «إذا» نسبتني؛ لأن إذا قد أُضيف إليه وبيّن به، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ويجوز أن يكون «إذا» الأول بما اتصل به وما عمل فيه الجملة في جواب «إذا» الثانية، كأنه قال: إذا لم تقل بطلاً عَلَيَّ فلعمرك ما أخزى إذا ما نسبتني، وانتصب «بُطْلاً» على أنه مفعول «لم تقل» لأن القول يحكي بعده الجمل فيعمل في مواضعها لا في لفظها، ويقع المفرد بعده ـ إذا كان معنى الجملة ـ منصوبًا.

٢ ـ ولَكِنَّمَا يَخْزَى امْرُؤٌ تَكْلِمُ اَسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إذَا الرِّمَاحُ هَوَيْنَا

«تكلم اَسته» أي: تجرحها، لكونه موليًا منهزمًا. وقومه: بنو عمّه: أي حين ينهزم يُوَلِّي الدّبرَ فيطعن في اَسته فيخزى: أي فيذلّ ويهون، أو إذا ذكر ذلك يستحيي ويخجل؛ و«هَوَيْنَ»: انْحَطَطْنَ لِلطّعن، أو عمدنَ له، وقال «قنا قومه»: يريد أن قومه يقاتلونه لبغضه لهم، وكفى بهذا خزيًا.

٣ ـ فإنْ تُبْغِضُونَا بِغْضَةً في صُدُورِكُمْ فَإنَّا جَدَعْنَا مِنْكُمُ وَشَرَيْنَا

قوله «في صدوركم» بما تعلق به في موضع الصفة للبغضة، «وشرينا» أي: أسرناكم وبِعْنَاكم وجَدَعنا آذان بعضكم، وقيل: فضحناكم حتى صرتم بمنزلة المجدوع المبيع، ومعناه إن تبغضونا فحقّ لكم لأنّا قهرناكم وذَلّلْنَاكم وبالغنا في الإساءة إليكم، وقوله «في صدوركم» أي: بغضة لا تظهرونها هَيْبَةً لنا وَفزَعًا منّا.

٤ ـ ونَحْنُ غَلَبْنَا بِالجِبَالِ وعِزِّهَا وَنَحْنُ وَرِثْنَا غَيِّثًا وَبُدَيْنَا

أراد بالجبال أَجَأ وَسَلْمى وهضابهما، ولذلك جمع، «وعِزّها» أراد عِزَّ أربابها وسكّانها، والمراد أنهم يمتنعون بها فيعزّون لأنها تمنعهم فلا يلحقهم ضَيْم وقيل: أراد بالجبال جبال طيىء أجأ وسلمى والعوجاء، وذكروا أنها أسماء ناس: زعموا أن أجأ كان يعشق سَلمى، والعوجاء تجمع بينهما، فأُخِذُوا فصُلِبُوا على هذه الجبال؛ فسُمِّيت الجبال بأسمائهم، وغَيِّث وبُدَين: أسماء رجلين من طيىء والغيث في غير هذا الموضع عدو يجيء بعد عدو، ويقال: فرس ذو غيث، إذا كان يجيء بعَدْوِ بعد عدو.

٥ ـ وأيُّ ثَنَايَا المَجْدِ لَمْ نَطَّلِعْ لَهَا وأنْتُمْ غِضَابٌ تَحْرُقُونَ عَلَيْنَا

الاستفهام هنا يجري مجرى النفي، كأنه قال: ما ثَنِيَّةٌ من ثنايا المجد إلا اطّلعناها. وَالثَّنِيَّة: فعيلة من ثَنَيْتُ أي عَطَفْتُ، ويقال: حَرَق نابَه يَحْرُقُ حَرْقًا وَحُرُوقًا من الغَيْظِ، وذكر الخليل حريق الناب كصريف النَّاب. ويقال: فلان يَحْرق على الأُرَّمَ وَالأُزَّمِ؛ فالأرم: الأكل، والأزم: العَضّ، وهما جميعًا بالأسنان، والمعنى يحرق عَلَيَّ أسنانه، والمتوعّد يفعل ذلك يظهر به شدّة الغيظ، واكتفى بقوله «تحرقون» عن ذكر المفعول؛ لأن المراد مفهوم، يقول: أي جبل من العزّ لم نَعْلُه وأنتم تنظرون إلينا غِضابًا متغيّظين علينا.

[٦١] وقال سَبْرَةُ بن عَمْرو الفَقْعَسِيُّ وعيَّرَهُ ضَمْرَةُ بن ضَمْرَة كَثْرَةَ إبله:

وَسَبْرة: منقولة من الغداة الباردة.

١ ـ أَتَنْسَى دِفَاعِي عَنْكَ إِذْ أَنْتَ مُسْلِمٌ وقَدْ سَالَ مِنْ ذُلٍّ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

قوله «أتنسى دفاعي» لفظه لفظ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار: أي لِمَ تنسى مدافعتي عنكَ حين كنت مخذولاً لا ناصرَ معك. وقُراقر: وادٍ، ومن كلامهم: سال عليك الذُّلُّ كما يسيل السّيل، فيكون المعنى على هذا جرى عليك سيل من ذلٍّ، ولا يمتنع أن يكون لحقه ما لحقه من الذّلّ من ناحية قُرَاقر فلذلك خصّه، ويقال: أسلمته، وَسَلَّمته؛ إذا خلَّيْتَ بينه وبين مَن يريد النّكاية فيه، «وقد سال» في موضع الحال، قال النمري: يقول: سال هذا الوادي عليك فلم تستطع الانتقال عنه ذلاً وضعفًا، وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: ضَلَّ الدُّرَيص نَفَقَهُ؛ الصّواب «وقَدْ سَالَ مِنْ ذُلٍّ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ» يعني نصر بن قُعَيْن بن الحارث بن ثَعْلَبَة بن دُودَان بن أسد بن خُزَيمة يقول: دافعتهم عنكَ حين سال الوادي بهم عليك، كما قال الآخر: [الطويل]

وَنَحْنُ أَسَلْنَا مُصْعِدًا بَطْنَ حَائِلٍ وَلَمْ يُرَ وَادٍ قَبْلَهُ سَالَ مُصْعِدَا

يعني أنهم أسالوه بالرجال، وهذا الذي ذكره أحسن ما قيل في هذ البيت، كأنَّ الوادي سال عليهم بالرجال.

٢ ـ وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وُجُوهُهَا يُخَلْنَ إِمَاءً وَالإِمَاءُ حَرَائِرُ

«وِنسوتكم» مع خبره جملة انعطفت على قوله «وَقَدْ سَالَ مِنْ ذُلٍّ عَلَيْكَ قُرَاقِرُ» وقوله «والإماء حرائر» أي: اللاّتي يُحْسَبْنَ إماء حرائر، وكانت الحرّة في مثل ذلك الوقت تتشبّه بالأمة لكي يزهد في سبيها، ويجوز أن يكون المعنى إنَّكم تفرّقتم وتركتم إماءكم فيما تركتم فَصِرْنَ بمنزلة الحرائر، ولو قال «تخلن إماءً وهنَّ حرائر» لَكَان مأخذُ الكلام أقرب، لكنه عَدَلَ إلى «والإماء حرائر» ليكون الذكر به أفخم، وقال «بادٍ وجوهُها» لتقدّم

الفعل، وأن تأنيث الفعل[1] غير حقيقي، ولو قال «بادية» لجاز.

٣ ـ أعَيَّرتَنا ألبانَها ولُحومَها وذلكَ عارٌ يا ابنَ رَيطَةَ ظاهِرُ

هذا استفهام على وجه الإنكار والتقريع، يريد: لِمَ عَيَّرتَنا ألبانَ الإبل ولحومها واقتناء الإبل مباحٌ لا محظورٌ. وعار ظاهر: أي زائل، قال أبو ذؤيب: [الطويل]

وَعَيَّرَهَا الوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

أي: ذاهب زائل، والواو واو الحال في قوله «وذلك عار» أي: أتعيّرناها والحال تلك.

٤ ـ نُحَابِي بِها أكْفاءَنَا ونُهِينُها ونَشْرَبُ فِي أثْمانِها ونُقامِرُ

بَيَّنَ وجوه تَصَرُّفهم فيما عيّرهم به فقال: نجعلها حِبَاءً لِنُظَرائنا، ونبيعها فنصرف أثمانها إلى الخمر والإنفاق، ونضرب بالقداح عليها في الميسر عند اشتداد الزّمان، ذكر أبو عبيدة أن سَبْرَةَ بن عمرو قال هذه الأبيات في منافرة عَبَّاد بن أَنْفِ الكلب وَمَعْبَد بن نَضْلَة بن الأشتر الفَقْعَسي، وهو أخو خالد بن نضلة الذي يقول فيه الأسود بن يعفر: [الطويل]

وَمِنْ قَبْلُ مَاتَ الخَالِدَانِ كِلاَهُمَا عَمِيدُ بَنِي جَحْوَانَ وَابْنُ المُضَلَّلِ

يعني قيس بن مالك بن مُنْقِذِ بن طريف، تنافر إلى ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل بن دَارِم وبينهما مائة من الإبل خَطَر؛ فقال عباد لضمرة: تلك مائة من الإبل وَتُنَفِّرني على مَعْبَد، ففعل؛ فهو أول مَن ارتشى من حُكَّام الجاهلية، فلما عرف مَعْبَد ذلك قال: أما بالعير من قماص، فأنشط الإبل التي كان خطرها وطردها، وجمع العقل فأحرقها، فسمّي محرق العقل، فطلب عَبَّاد الخطر وادَّعى النفور عليه من ضمرة، فقال سَبْرَة بن عمرو: [الرجز]

نَاكَ أَبَاهُ ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَهْ فِي شَرَجِ البَلْقَاءِ أولي نَظْرَهْ
وَاللَّهِ لاَ نَعْقِلُ مِنْهَا بَكْرَهْ أَوْ يَقْضِيَ النُّعْمَانُ فِيهَا أَمْرَهْ

فتحاكموا إلى النعمان بن المنذر. فقال: ائتوا عُزَّى، فأتوها، فردّهم سَادِنُهَا فلم يُعْطَ عباد الخطر، وغرمَ لضمرة مائة من الإبل، وعلمَ النّاس أنَّ فَقْعَسًا أفضل من الصَّيْداء، وقال سبرة: [الكامل]

يَا ضَمْر كَيْفَ حَكَمْتَ أُمُّكَ هَابِلٌ وَالحُكْمُ مَسْؤُولٌ بِهِ المُتَعَمِّدُ
أَحَفِظْتَ عَهْدَكَ أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهَا لاَ يُنْشَدُ

---

(١) عند المرزوقي «وإن تأنيث الوجوه».

شَنْعَاء فَاقِرَة تُجَلِّلُ نَهْشَلاً دَنَسًا تَغُورُ بِهِ الرِّفَاقُ وَتُنْجِدُ
إنَّ الرِّكَابَ أَمَالَ حُكْمُكَ حُبَّها فَلَكَ اللِّقَاءُ وَرَاكِبٌ مُتَجَرِّدُ
لاَ شَيْءَ يَعْدِلُهَا وَلَكِنْ دُونَهَا خَرْطُ القَتَادِ تَخَافُ شَوْكَتَهَا اليَدُ
فَضَحَ العَشِيرَةَ وَاسْتَمَرَّ كَأَنَّهُ كَلْبٌ يُبَصْبِصُ لِلْخطال وَيُطْرَدُ

وقــال: [الطويل]

أَضَمْرَة يَرْجُو أَبْلَقَ الاسْتِ وَالقَفَا مَالاً وَلاَ قَرْضًا وَلاَ فَرْضَا

وكان معبد أبرص، وبعده «أتنسى دفاعي» الأبيات.

[٦٢] فقال آخر من بني فقعس:

قال أبو هلال: هو لعمرو بن مسعود بن عبد مُرَارة.

١ ـ أَيَبْغِي آلُ شَدَّادٍ عَلَيْنَا وَمَا يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

قوله «وَمَا يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلُ» أي: لا يحمل فصيل لهم على رُغَاء بأن يُفْصَل بينه وبين أُمه بنحر أو هبة ضَنًّا به، ويجوز أن يُراد به ما لهم فصيل فيرغى، يرميهم بالفقر، فيكون كقوله: [السريع]

وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

أي: لا ضبّ بها فينجحر.

٢ ـ فَإنْ تَغْمِزْ مَفَاصِلَنا تَجِدْها غِلاَظًا في أَنَامِلِ مَنْ يَصُولُ[1]

أي: إن زرتمونا وجدتمونا غلاظًا على مَن يصول علينا قال أبو العلاء في قوله «وَمَا يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلُ» لا يذهب به مذهبَ البخل وأنهم لا يعطون أحدًا فصيلاً، ولكن يحمل على أنهم لا يؤذون، كما يقال: ما تُرَوَّعُ له شاةٌ: أي فلِمَ يتعرّضون لنا بالأذاة ونحن عنهم كافّون، ويجوز أن يصفهم بأنهم أذِلَّةٌ لا يظلمون أحدًا ولا يَرْغَى فصيل لأجلهم، كقوله: [الطويل]

قُبَيِّلَةٌ لاَ يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلاَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

وقال: والدّليل على أنه لم يُرِدْ بالإرغاء معنى الهبة قوله «فَإنْ تَغْمِزْ مَفاصِلَنا تَجِدْها» لأن هذا الكلام دالٌّ على تهدّد ووعيد.

(١) عند المرزوقي «تَجِدْنا».

[٦٣] **وقال جَزْءُ بْنُ كُلَيْبِ الفَقْعَسِيُّ:**

قال أبو محمد الأعرابي: هو جرير بن كليب، لا جزء، فأما جزء فهو منقول من جَزَأت الشَّيء أجْزَؤه جزءًا، إذا أخذت جزءًا منه، ومنه الشعر المجزوء.

١ ـ تَبَغَّى ابْنُ كُوزٍ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا لِيَسْتَادَ مِنَّا أنْ شَتَوْنَا لَيَالِيَا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

قوله «والسَّفاهة كاسمها» اعتراض دخل بين «تَبَغَّى» ومفعوله، والأصل في السَّفَه الخِفّة، يقول: السَّفاهة قبيحة كما أن اسمها قبيح، وإنما قال هذا لأن السّفه كما ينكر فعله كذلك يكره اسمه، فإن قيل: ما اسم السفاهة حتى قال والسفاهة كاسمها؟ قلت: قوله والسفاهة أراد ما يسمى سفاهة: أي المسمّى بهذا الاسم قبيح، كما أن الاسم الذي هو السفه قبيح، ويجوز أن يكون «تبغى» أي أدخل نفسه في البغي حتى عدا طَوْرَه، ويكون بمعنى تَطَلَّب. وقوله «ليستاد منّا» أتى بالفعل واللام لأن تَبَغَّى مثل أراد، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[1] والمعنى إطفاء نور اللّه، وكذلك هذا المراد به تبغى الاستيادَ منّا: أي تطلّب النكاح في ساداتنا من أجل أنّا دخلنا في الشتاء، وشتونا: بمعنى أشتينا، والشتاء: الجدب، و«أن شتونا» موضعه نصب، أصله لأن شتونا، فلما حذف الحرف الجار وصل الفعل فعمل.

٢ ـ فَمَا أكْبَرُ الأشْيَاءِ عِنْدِي حَزَازَةً بِأنْ أُبْتَ مَزْرِيًّا عَلَيْكَ وَزارِيَا

انتصب «حزازة» على التمييز، والباء في قوله «بأن أُبْتَ» هو الباء في «مَا زَيدٌ بمنطلق» ويقال: زَرَيْتُ عليه فعلَه، إذا عِبْتَه عليه، وأَزريتُ به إذا وضعتَ منه: أي ليس انصرافَكَ عَنّا عائبًا علينا تقطيعه في الصدر: أي إرغامك وإسخاطك يهون علينا، وقال أبو هلال: يقول: ليس يشتدّ عَلَيَّ رجوعك خائبًا غير ظافر بطَلِبَتِك مَزْرِيًّا عليك بِرَدِّنا إيّاكَ وزاريًا علينا لتقديرك أنّا أسأنا إلى أنفسنا بانصرافنا عنك.

٣ ـ وَإنَّا عَلَى عَضِّ الزَّمانِ الَّذِي تَرَى نُعالِجُ مِنْ كُرْهِ المَخَازِي الدَّوَاهِيَا

موضع «على عَضِّ الزمان» حال: أي نحن نقاسي الدّواهي من شدّة الحال وكلب الزمان هَرَبًا من المخازي.

٤ ـ فَلاَ تَطْلُبَنْهَا يَا ابْنَ كُوزٍ فَإنَّهُ غَذَا النَّاسُ مُذْ قَامَ النَّبِيُّ الجَوَارِيَا

أي لا تطلب التَّزوُّجَ بالمرأة التي خطبتها فلك في سائر النساء مندوحة، فإن النساء قد كَثرنَ بعد مبعثِ رسول الله ﷺ، والعرب كانت قبل ذلك تَئِدُ البنات، وأَصْلُ الوَأْدِ الثّقل،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

وذلك أنها كانت تثقل بالتراب، وأول مَن منعَ عن الوأدِ صَعْصَعَةُ بن ناجية جَدُّ الفرزدق، وذلك أنه أضلّ ناقتين له فخرج في بغَائِهما، فلما أجَنَّهُ اللَّيلُ رُفِعَتْ له نار فأَمَّها، فإذا شيخٌ وامرأةٌ مَاخِضٌ، فَسَلَّمَ فردّ الشَّيخ، فسأله عن الناقتين، فقال: وجدتهما وقد أحيانا اللّٰه بهما، ثم قال الشيخ لِنساءٍ كُنَّ عنده: إنْ جاءنا غلامٌ فما أدري ما أصنع به، وإن جاءتنا جارية فاقتلنها ولا أسمعن صوتها، فجاءت جارية فاشتراها صعصعة بناقتيه وجمله الذي ركبه في طلبهما، وجعل ذلك سُنَّةً فكلّ مَن أراد أن يَئِدَ ابنةً له جاءه فاشتراها منه بلقحتين وجمل، فجاء الإسلام وقد فَدَى ثلثمائة موؤودة، فقال الفرزدق: [المتقارب]

وَجَـدِّي الَّـذِي مَـنَـعَ الـوَائِـدَاتِ وَأَحْـيَـا الـوَئِـيـدَ فَـلَـمْ تُـوأَدِ

ويجوز أن يكون المعنى إنّا لا نزوِّجُكَ إيّاها فإن تَزَوُّجَكَ إياها وَأْدٌ لها، إذ كان في تزويجك إيّاها إضاعةً لها، وقال أبو محمد الأعرابي: يقول: لولا الإسلام وأنه منع من الوأد لوأدت بنتي مخافة أن يخطبها مثلك، وابن كوز هو يزيد بن حذيفة بن كوز أسدي أيضًا.

٥ ـ وإنَّ الَّـتِـي حُـدِّثْـتَـهَـا فـي أُنُـوفِـنَـا وأَعْـنَـاقِـنَـا مِـنَ الإِبـاءِ كَـمَـا هِـيَـا

الإباء: الكبر والنَّخْوة هٰهنا، يقول: إن أصابتنا السَّنَة فنحن على ما كنّا عليه من عزَّةِ النَّفس وشَرَفِ الهِمّة، وقيل: معناه نحن على ما كنّا عليه في الجاهلية من الكِبْر والنخوة وإن كنّا قد أسلمنا، وقوله «في أُنوفنا» في موضع المفعول الثالث لِحُدِّثْتَهَا، وقوله «كما هِيَا» في موضع خبر إنَّ، وما زائدة، وأراد كهي: أي هي باقية بحالها، ويجوز أن يكون هي مبتدأ، وكما في موضع الخبر، ويقولون: أنا كما أنت: أي تشابهنا، ويكون «ما» نكرة غير موصوفة، ويجوز أن يكون حذف صفته كأنه كما حدّثته، وإنما خصَّ الأُنوف والأعناق بالذّكر لأنه يقال: في أنفِ فلانٍ خُنْزُوَانَة، وذَمَّ فلان بأنفه، وأَنْفُهُ أَنْفُ اللَّيْثِ، إذا أرادوا الكِبر والصّعوبة، وفي عنقه صَوَرٌ مثله.

[٦٤] وقال زِيَادة الحارثيّ(١):

من بَني الحارث بن سعد أخو عُذْرة، قال أبو رياش: هو زيادة بن زيد من سعد هُذَيم بن ليث بن سود بن أَسْلُم بن الحَاف بن قُضَاعة.

١ ـ لَـمْ أَرَ قَـوْمًـا مِـثْـلَـنـا خَـيْـرَ قَـوْمِـهِـمْ أَقَـلَّ بِـهِ مِـنَّـا عَـلَـى قَـوْمِـهِـمْ فَـخْـرا

الأول من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متواتر.

---

(١) زيادة الحارثي: هو سعد هذيم بن ليث من قضاعة: جدّ جاهلي، حضنه حبشي اسمه هذيم فأُضيف إليه. (ترجمته في جمهرة الأنساب ص ٤١٨؛ والأعلام ٣/ ١٣٤).

ينتصب «خير قومهم» على أنه بدل من قوله «قومًا» ويجوز أن يكون صفة و«أقل» ينتصب على أنه مفعول ثانٍ، و«فخرًا» ينتصب على التميز، والضمير في «به» يرجع إلى ما ذكره ودلّ عليه من قوله «خير قومهم» ومثله: [الوافر]

إذَا زُجِـرَ الـسَّـفِـيـهُ جَـرَى إلَـيْـهِ[1]

وتقدير البيت لم أرَ خيرَ قوم مثلنا أقلّ بذلك فخرًا مِنّا على قومنا، والمعنى إنَّا لا نبغي على قومنا ولا نتكبّر عليهم، بَل نعدهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم.

٢ - وَمَا تَـزدَهِـيـنَـا الـكِـبْـرِيـاءُ عَـلَـيْـهِـمُ إذَا كَـلَّـمُـونَـا أنْ نُـكَـلِّـمَـهُـمْ نَـزْرَا

تزدهينا: تستخفّنا، وانتصب قوله «نزرًا» على أنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال: نكلّمهم كلامًا نَزْرًا، والأصل في ازدهى ازتهى لأنه افتعل من الزَّهْو، يقول: لا يستخفّنا الكبر على قومنا إذا كلّمونا أن نكلّمهم قليلاً.

٣ - وَنَـحْـنُ بَـنُـو مَـاءِ الـسَّـمَـاءِ فَـلاَ نَـرَى لأَنْـفُـسِـنَـا مِـنْ دُونِ مَـمْـلَـكَـةٍ قَـصْـرَا

القَصْرُ هٰهنا: الغاية، يقال: قَصْرُك أن تفعل كذا، وماء السماء: امرأة كانت في حُسنها وصفاء بشرتها مثل ماء السماء فسمّيت به، وماء السماء الملك سُمِّي بذلك؛ لأنه كان للنّاسِ بمنزلة المطر في جوده، يقول: نحن بنو مَلِك فلا نرى لأنفسنا غايةً دون أن نكون ملوكًا.

[٦٥] وقال ابنه مِسْوَرٌ حين عَرَضَ عليه سَعيد بن العاصي سَبْعَ دِيَاتٍ فأَبى:

ويقال: هي لعمّه عبد الرّحمٰن.

١ - أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ رَهِـيـنَـةِ رَمْـسٍ ذِي تُـرَابٍ وَجَـنْـدَلِ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متدارك.

ألف الاستفهام دخل هٰهنا على معنى الإنكار، وتناول الفعل الذي في صدر البيت الثاني؛ لأن ألف الاستفهام يطلب الفعل، والمعنى أأذكر بالبقيا بعد المدفون بنعف هذا الجبل، وهو ما استقبلك منه، المرهون في قبرٍ ذي تراب وجندل، والنَّعف: اشتقّ منه انتعف له: أي تعرَّضَ، والمناعفة: المعارضة من رجلين في طريقين، وقوله «رهينة رمس» جعل رهينة اسمًا فلهذا ألحق بها الهاء، والرَّمْسُ: القبر، والأصل في الرَّمس التغطية، يقال: رَمَسْتُهُ في التراب، وقيل في النعف: إنّه المكان المرتفع في اعتراض.

---

(١) وعجز البيت: «وخَالَفَ والسفيهُ إلى خِلافِ»، وهو في الخزانة ٣/٣٨٣؛ وأمالي ابن الشجري ١/ ٦٨ و٢/٣٠٥.

٢ ـ أُذَكَّرُ بِالبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِي   وَبُقْيَايَ أَنِّي جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلِي

يقول: أَأُسَامُ البُقْيا على مَن وَتَرني، وإبقائي عليه أني أجهد في قتله ولا أُقصّر، والإبقاء لا يكون الجهد، ولكن المعنى يكون هذا مني عِوَضًا عن ذلك، ومثله قول الآخر: [الوافر]

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ(١)

والبُقْيَا: اسم على فُعْلى مبني من الإبقاء في معناه، والواو منه واو الحال، ولو لم يَأْتِ به لكان الكلام على الاستئناف والانقطاع مما قبله؛ ويقال: لا آلو في كذا، ولا آتلي: أي لا أقصّر؛ ولا آلو كذا: أي لا أستطيعه.

٣ ـ فإنْ لَمْ أَنَلْ ثَأْرِي مِنَ اليَوْمِ أَوْ غَدٍ   بَنِي عَمِّنَا فَالدَّهْرُ ذُو مُتَطَوَّلِ

يقول: إن لم أدرك ثأري قريبًا ففي الدّهر تَطَاوُلٌ، وَمُتَطَوَّل: مصدر مثل تَطَوُّل، وذكر اليوم والغد إشارة إلى تقريب الوقت في المستقبل، كما يقال في الماضي: كان بالأمس يفعل كذا، ونحو هذا في المعنى قولهم: إنَّ مَعَ اليوم غَدًا؛ قال الشاعر: [الوافر]

فَإِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبُ

وقولهم: لم يَفتْ مَنْ لم يمتْ.

٤ ـ فَلاَ يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ   لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجَّلِ

يدعو على نفسه بأنْ يُسْلَبَ الرّياسةَ فلا يُدْعَى للحروب والنّوائب إنْ لم يجتهدْ في الطَّلَبِ بثأره فإمّا أن يُقْتَلَ وإمّا أن يظفرَ، وهذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الدعاء فالمعنى معنى القسم، وقوله «أو أُعَجَّل» يريد لمثلها فحذف.

٥ ـ أنختُمْ عَلَيْنَا كَلْكَلَ الحَرْبِ مَرَّةً   فَنَحْنُ مُنِيخُوهَا عَلَيْكُمْ بِكَلْكَلِ

الكَلْكَل: الصّدر، وهو هٰهنا مثل، وكذلك الإناخة، وهذا الكلام تهدد في أنه سيكافئهم على ما بدؤوا به.

٦ ـ يَقُولُ رِجَالٌ مَا أُصِيبَ لَهُمْ أَبٌ   ولاَ مِنْ أَخٍ أَقْبِلْ عَلَى المَالِ تُعْقَلِ

يقول: يشيرون عليّ بأخذ الدّية ولم يُصِبْهُمْ ما أصابني، ولعلّهم لو أُصيبوا بما أصبت به لم تقنعهم الدّية، وقال بعض الحكماء: كُلٌّ حَلِيمٌ عند غَضَبِ غَيْرِه. ونحوه المثل السائر: وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ، أي لا يساعده على شَجَاه ويلومه.

---

(١) صدره: «وخيل دلفت لها بخيلٍ».

٧ ـ كَـرِيـمٌ أَصَـابَـتْـهُ ذِئابٌ كَـثِـيـرَةٌ   فَلَمْ يَذرِ حَتَّى جِئْنَ مِنْ كُلِّ مَدْخَلِ

ويُرْوَى «حتى جِئْنَ في غير مدخل» أراد بالذئاب الأعداء، وقوله «حتى جئن من غير مدخل» أي: من مداخل كثيرة، ويقع في بعض النسخ «ديات كثيرة».

٨ ـ ذكـرْتُ أَبـا أَرْوَى فـأَسْـبَـلَـتْ عَـبْـرَةٌ   مِنَ الدَّمْعِ ما كَادَتْ عَنِ العَيْنِ تَنْجَلِي

[٦٦] وقال بعض بَني جَرْم من طَيّـىء:

جَرْم: منقول من جَرَمْت: أي قطعت.

١ ـ إِخَـالُـكَ مُـوعِـدِي بِـبَـنـي جُـفَـيْـفٍ   وَهَـالَـةَ؛ إِنَّـنـي أَنْـهَـاكِ هَـالاَ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

قال أبو العلاء: يُروَى «أخالك» بفتح الهمزة، و«إخالك» بكسرها، فإذا فتحت الهمزة يحتمل وجهين؛ يجوز أن يكون المراد بالهمزة الاستفهام دخلت على قوله «خالك» يعني أخا الأم، والآخر من خِلْتُ، وإخال فيه ضَرْبٌ من الاستهانة، يقول: أحسبك تهدّدني ببني جُفَيْف وبهالة، ثم أقبل على هالة فقال: إنني أزجرك عن نصرة مَن يعاديني، ومثل هذا الكلام يسمّى التفاتًا، والعرب قد تجمع في الخطاب والإخبار بين عِدَّة ثم تُقْبِلُ أو تلتفت من بينهم إلى واحد؛ لكونه أكبرهم أو أحسنهم استماعًا، ويقال: خلت أخال، وإخال طائية، فكثر استعمالها في ألسنة غيرها حتى صار «أَخَال» كالمرفوض، والهالة: الدارة حول القمر في اللغة، فإذا أَنَّثَ خطابها فإنه جعلها قبيلة، وإذا ذَكَّرها فعلى إرادة رجل هو أبو القبيلة، وإذا جمع فعلى المعنى؛ وفي جميع ذلك قد صَرَّفَ كلامه.

٢ ـ فَـإِلاَّ تَـنْـتَـهِـي يَـا هَـالَ عَـنِّـي   أَدَعْـكِ لِـمَـنْ يُـعَـادِيـنِـي نَـكَـالاَ

النَّكال: اسم لما يُجْعَل عِبْرَةً للغير، ويقال: نَكَل يَنْكُل ونَكِل يَنْكَل؛ الأولى تميمية، والأخرى حجازية، يقول: إن لم تنتهي عني أنزلت بك عقوبة يَتَّعِظُ بها مَنْ يعاديني، و«تنتهي» أنّثه على إرادة القبيلة.

٣ ـ إِذَا أَخْـصَـبْـتُـمُ كُـنْـتُـمْ عَـدُوًّا   وَإِنْ أَجْـدَبْـتُـمْ كُـنْـتُـمْ عِـيَـالاَ

يَصِفُهُمْ بِالأَشَرِ وَالبَطَر وسوء الحِفَاظ: أي إذا وَجَدتم سَعَةً عاديتمونا، وإن أَضقتم وضعتم كلّكم علينا.

[٦٧] وقال آخر:

قال أبو هلال: لم يذكر أبو تمام اسمه، واسمه الحكم بن زهرة، قال الجمحي: زهرة أُمه، وهو الحكم بن المقداد بن الحكم بن الصباح أحد بني مخاشن بن عُصَيم، ثم

أحد بني زهرة بن قيس بن عمرو بن ثُرْمُلَةَ بن مخاشن بن شَمْخ بن فزارة، ويُعرَف بالحكم الأصم الفزاري، وقال أبو رياش: هو لعُوَيف القَوَافي.

١ - اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ   واللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ ومَا وَلَدَا

الضرب الأول من البسيط، مطلق موصول مجرد، والقافية متراكب.

وَبْر: ابن الأضبط، قبيلة من كلاب، وأصله دويبة كالهرّ تكون في الجبال وتدجن في البيوت، والجمع وبار، واللُّؤم: البخل مع دناءة الأصل، وربما سمّيت الدناءة وحدها لؤمًا، فَضَّلَ اللّؤمَ في اللفظ عليهم والقصد به إلى تفضيله على أخلاقهم؛ لأن الشّرط تشبيه الأحداث بالأحداث والذوات بالذوات، وإذا كان كذلك فقد حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، كأنه قال: اللّؤمُ أكرمُ من أخلاق وَبْرٍ وَأخلاق والده، وقوله «والده» دخل فيه كلّ أب لهم، كما دخل في قوله «وما ولد» كل ولد لهم، وقال أبو هلال: يقول اللّؤمُ نفسه أكرم من وبر ووالده وأولاده، إن قيل: لِمَ لم يقل ومَنْ ولدا؟ قلت: أشار إلى الجنس، و«ما» يقع للأجناس.

٢ - قَوْمٌ إذا مَا جَنَى جَانِيهِمُ أَمِنُوا   مِنْ لُؤْمِ أَحْسَابِهِمْ أَنْ يُقْتَلوا قَوَدَا

يقول: هم قوم إذا جَرَّ واحد منهم جريرة أَمِنَ جميعهم لدقّة أصولهم ولؤم أحسابهم أن يؤاخذ كلّهم بها، فكيف الواحد منهم، كأنهم لا يعدّون بَوَاءً بقتيل، وَالقَوَد: أن يقتل القاتل بالقتيل، فيقال: أقدته به، وإذا أتى الرجل صاحبه بمكروهة فانتقم منه بمثلها قيل: استقادها منه، ونقله أبو تمام فقال: [الكامل]

أَمَّا الهِجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ   وَالمَدْحُ عَنكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّهُ   عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

٣ - وَاللُّؤْمُ دَاءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ   لاَ يُقْتَلُونَ بِدَاءِ غَيْرِهِ أَبَدَا

أي: داؤهم الدَّناءة يقتلون به دون غيره من الأدواء، وهذا مأخوذ من قولهم: العيوب مقاتل.

[٦٨] وقال آخر:

١ - أَلاَ أَبْلِغَا خُلَّتِي رَاشِدًا   وصِنْوِي قَدِيمًا إذَا مَا اتَّصَلْ

من المتقارب الثالث، مقيد مجرّد، والقافية متدارك.

«قديمًا» انتصبَ على الظَّرف لقوله «خُلّتي» والمراد أبْلِغا خليلي قديمًا راشدًا، وصِنوي إذا ما انتسب، وَالصِّنوان: الفرعان يخرجان من أصل واحد، ويقال للأخوين: هما صنوان، تشبيهًا بذلك، وَعَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه، يقال صِنْوٌ وَصِنْوانِ في التثنية وَصِنْوانٌ في الجمع،

ولا يُعرَف له نظير إلا قِنْوٌ، وقوله «اتصل» أي: انتسبَ، وهذا يدلّ على أن راشدًا من أهلِهِ، وإذا كان هكذا كان قوله «قديمًا» عيبًا؛ لأنه لا يقال: إنَّ زيدًا من أهلي أو من بني أعمامي قديمًا، والصَّواب أن معنى «اتَّصلَ» قال: يا لفلان، وفي حديث النبي ﷺ «مَنِ اتَّصلَ فأَعِضُّوهُ»[1] أي: مَنْ قال يَا لَفُلاَن، وقال الأعشى: [الطويل]

إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبَكْر بْنَ وَائِلٍ   وَبَكْر سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ

وقال أبو عبيدة: من ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾[2] وإنما أراد أبلغه إذا اتَّصلَ ولم يرد أنه صِنوي إذا اتّصلَ أو أنه صِنوي قديمًا، وإنما أراد خلّتي قديمًا ويجوز أن يكون صِنوي إذا اتّصلَ: أي انتسب لأن نَسَبي مثل نسبه في الشرف فهو مثلي إذا انتسب.

٢ ـ بِأنَّ الدَّقِيقَ يَهِيجُ الجَلِيلَ   وَأنَّ العَزِيزَ إذا شَاءَ ذَلْ[3]

الباء دخلت للتأكيد، وموضع أنَّ مفعول ثانٍ من أبلغا، يقول: أبلغاه أنَّ صغير الأمور يجني الكبير، وأن العزيزَ من الرجال متى أراد عاد ذليلاً بأن يَعْدُو طَوْره ويستعمل ما لا يهمّه ولا يعنيه، ومثله: الشَّرُّ يَبْدَؤه صِغَارُه، وَالحَرْبُ أوَّل ما تكون فتيّةً، وكم مَطَر بدؤه مُطَير: أي إن لم تتدارك الصغير صار جليلاً.

٣ ـ وَأنَّ الحَزَامَةَ أنْ تَصْرِفُوا   لِحَيٍّ سِوَانا صُدُورَ الأَسَلْ

الأَسَل: الرِّماح، قال بعضهم: معناه أن ذلّ العزيز في محاربة قومه، وذلك أنه إذا حاربهم فغلبهم فَتَّ في عضدِ نفسه، وإن غلبوه لم يَجِدْ مَنْ ينصره عليهم.

٤ ـ فَإنْ كُنْتَ سَيِّدَنَا سُدْتَنَا   وَإنْ كُنْتَ لِلْخَالِ فَاذْهَبْ فَخَلْ

يقول: إن رُمْتَ سيادتنا من وجهها سُدْتَ، وإن كنتَ للكبرِ فاذهبْ واحسبْ أنكَ سَيِّدٌ فإنكَ لا تكون، هذا إذا رويت «خَلْ» بفتح الخاء، وإن رويت «خُلْ» بضمّها فالمعنى: اذهبْ وَتَكَبَّرْ فإنَّا لا ننقادُ لكَ والعرب تقول: سَيِّدُ القومِ أشقاهم قال: [الوافر]

وَإنَّ سِيَادَةَ الأَقْوَامِ فَاعْلَمْ   ذُرَا صَعْدَاءَ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ

ويقال في الكبر: خَالَ يَخُول وَيَخَال خَوْلاً وَخَالاً، وفي الظَّنّ خَالَ يَخَالُ لا غير، وقوله «فاذهب» أمر من قولهم: ذهب يقول كذا، وعلى هذا قوله: [البسيط]

فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالأَيَّام مِنْ عَجَبِ[4]

---

(١) الحديث «مَن اتَّصَلَ بالقبائل فأعِضوه». وهو في مصنف ابن أبي شيبة ١٥/٣٢، ٣٣؛ وفي كنز العمال للمتقي الهندي ١٣٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٠.   (٣) في رواية: إذا ساءَ ذَلْ.

(٤) صدر البيت: «فاليوم قرَّبتَ تهجونا وتَشْتِمُنا»، وهو في الكتاب ١/٣٩٢؛ والخزانة ٢/٣٣٨؛=

وكذلك قولهم للغريم: قم فأعطني حقي، فالأمر في الحقيقة بالعطية لا بما سواه وأجري مجراه قولهم: أخذ يتمسك بكذا، ويتحدث بكذا، وجعل يشتمه، وقام يهزأ به، وقعد يظن أنه أمير، وليس القصد إلى فعل القيام والقعود، ولكن زيادة بالتصوير للحال والتأكيد للقصة.

[٦٩] وقال بعض بني أسد - واقتتل فريقان من قومه على بئرٍ ادّعاها كلٌّ -:

١ - كِلاَ أَخَوَيْنَا إِنْ يُرَعْ يَدْعُ قَوْمَهُ ذَوِي جَامِلٍ دَثْرٍ وَجَمْعٍ عَرَمْرَمِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

يقول: كِلا صَاحِبَيْنَا إنْ يفزع يَسْتَغِثْ بقوم ذوي عَدَدٍ وعدّة، والجامل: الإبل، وهو اسم صيغ للجمع، وهي ذكور الإبل وإناثها، والجِمال: ذكورها، والدَّثْر: الكثير، والعَرمرم: الجيش العظيم، وَعُرَام الجيش: حدّهم وكثرتهم، وانتصب «ذوي» على الحال، والجزاء مع جوابه خبر المبتدأ، وهو كِلا، يقول: كِلا أخوينا إذا فزع دعا قومه لنصرته، وهذه صفتهم في الكثرة، يريد أنه إذا دعاهم أعانوه بأنفسهم وأموالهم.

٢ - كِلاَ أَخَوَيْنَا ذُو رِجَالٍ كَأَنَّهُمْ أُسُودُ الشَّرَى مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ ضَيْغَمِ

الشَّرَى: موضع تُنسَب إليه الأُسود، والأغلب: الغليظ العنق، والضَّيغم: فَيْعل من الضَّغْم، وهو العضّ، وكِلاَ موحّد اللّفظ موضوع للمثنى، لكن المراد به هنا كل واحد.

٣ - فَمَا الرُّشْدُ في أنْ تَشْتَرُوا بِنَعِيمِكُمْ بَئِيسًا وَلاَ أَنْ تَشْرَبُوا المَاءَ بِالدَّمِ

يقول: ليس الرُّشْدُ أن يقتل بعضكم بعضًا فتختلط مياهكم بالدماء، وهو كقول جرير: [الطويل]

فَمَا زَالَتِ القَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا بِدَجْلَةَ حَتَّى مَاءُ دَجْلَةَ أَشْكَلُ

ويجوز أن يكون المعنى ليس من الرشد أن تقتلوا على هذه فيختلط شربكم منها بالدماء، ويجوز أن يكون المعنى إنه ليس من الرشد أن تشربوا الماء بما يُرَاقُ من دمائكم، فكأن الدم ثمن للماء، والبئيس: يكون مصدرًا كالبُؤْس ويوضع في مقابلة النعيم، ويجوز أن يكون بعد قوله بنعيمكم حذف، كأنه قال: تشتروا بنعيمكم عيشًا بئيسًا، والبئيس أيضًا الشديد.

= والإنصاف ص ٢٧٣.

[٧٠] وقال حُرَيْث بن عَنّابِ النبهاني(١):

قال أبو الفتح: حُرَيث: تصغير حارث، وعناب: اسم مرتجل غير منقول، وهذا أحد الأمثلة التي جاءت على فَعَّالٍ اسمًا لا صفة، وهي الكَلاَّء والجَبَّان وَالفَيَّاد ذَكَر البوم وَالجَيَّار في الصدر، وهو أيضًا الصّاروج، وَالعَقَّار أحد الأنبتة، وَعَنَّاب هذا الرجل، وَالخَطَّارُ دُهْن طيب، ويجوز أن يكون عَنَّاب من العِنَب كتَمَّار من التمر وعَطَّار من العِطْر فيكون منقولاً إذًا، وقال أبو العلاء: نَبْهَان: عَبْدٌ كفل أبا هذا الحي من طيِّىء فسُمِّي نبهان، ونبهان: من تنبّهَ النائم، ولا يمتنع أن يكون من النباهة ضد الخمول.

١ - تعالَوْا أُفَاخِرْكُمْ أَأَعْيَا وَفَقْعَسٌ إِلَى المَجْدِ أدْنَى أَمْ عَشيرَةُ حاتِمِ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

بنو أعيا: ابن طريف بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وبنو فَقْعَس: حيّ من بني أسد، وأسد وطيِّىء حليفان؛ وقال المرزوقي: وروى بعضهم «أعيار فقعس» وزعم أن أعيا لا يعرف اسم قبيلة، وأن هذا تصحيف استدركه فأما إنكاره لأعيا قبيلة فلا وجه له لأن بني أعيا من قبائل سعد بن قيس، وهو مشهور ذكره النَّسَّابون وغيرهم، وهب بن أعيا بن طريف الأسدي معروف معدود في الأعلام، وأما من طريق النظم فلأن تكون القبيلة مقابلة بمثلها ومذكورة في المنافرة معها أحسن من أن تقابل الأفراد بالقبيلة، وأعيار: إشارة إلى الأفراد يُراد بها الرؤساء، يقال: هو عير قومه: أي سيّدهم، والنسخ كلّها متّفقة على «أعيا وفقعس».

٢ - إلَى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلاَنَ فَيْصَلٍ وَآخَرَ مِنْ حَيَّيْ رَبِيعَةَ عالِمِ

قيل: عَيْلاَن بالعين غير معجمة جبل وُلِدَ عنده قيس فنُسِبَ إليه، وليس بأب، وقيل فيه غير ذلك، وقالوا: أراد بأحد الحَكَمَيْنِ عامر بن الظَّرِب وبالآخر دَغْفَلاً النَّسَّابة، وَالفَيْصَل: الذي يفصلُ الأمور، والياء دخلته لتلحقه ببناء جعفر، كما أن الضَّيغم فَيْعَل من الضّغم، والبناءان لحصول الياء فيهما صارا صفتين بعد أن كانا مصدرين لأن أصلهما الفصل والضغم فلمّا حصلت الياء فيهما وصف بهما وأفادا مبالغة في المعنى، ألا ترى أن فَيْصَلاً يفيد ما لا يفيده فاصل، وكذلك ضيغم يفيد ما لا يفيده ضاغم، وقوله «أأعيا وفقعس» استفهام في الأصل نقل عن بابه، والمعنى: أُنَافِرُكم بالقضية التي يكون نتيجتها هذا الاستفهام إلى حكم، ولم يُثَنِّ «أدنى» وإن كان خبرًا عن الاثنين لأنه أفعل الذي يتمّ

(١) حريث بن عنّابِ الطائي: من شعراء العصر الأموي، كان بدويًا، لا يتصدّى للناس بمدح أو هجاء. (ت ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). (ترجمته في: سمط اللآلي ص ٨٣؛ وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٣٧، ٢٤١؛ وتاريخ بغداد ٨/ ٢٦٥).

بمَن، وقد دخل عليه الاستفهام، فيجب أن يستوي فيه الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث، وهذا الكلام لو أتى به على وجهه لكان أُم عشيرة حاتم أدنى إلى المجد منهم، لكنه حذف إذ كان هذا المراد مفهومًا، وقال النمري: الحكم من قيس عَيْلان عامر بن الظَّرِب العَدْواني، والآخر الذي هو من حَيَّيْ ربيعة دَغْفَلٌ، وحيّا ربيعة بكر وتغلب، ورجل واحد لا يكون من حَيَّين، وإنما يريد من أحد حَيَّي ربيعة، كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1] والقريتان: مكّة والطّائف، وكقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[2] وهذان يخرجان من البحر الملح، فإنْ قال قائل: إنما أراد أن أباه من تغلب وأُمه من بكر فهو من الحيَّين، تقول على هذا لمَن ولده العباس وعليّ عليهما السلام من قبل أبيه وأُمه: هو عباسي علوي؛ فإنما ضاق عَطَنه عمّا ذكرناه، على أن هذا وجه صحيح، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: كَثْرَةُ الإسهاب من الإعجاب، كيف يكون الحكم من قيس عيلان هٰهنا عامر بن الظّرب العدواني وهو قبل الإسلام بمائتي عام، ومتى لَحِقَهُ حُرَيْث بن عَنَّاب وهو في عصر عمر بن الخطاب؟ وبعد ذلك إلى زمن معاوية؟ وإنما عَنَى بالحكم من قيس عيلان هَرِمَ بن قُطْبَة بن سَيَّار بن عمرو الفزاري، والحكم من حَيَّيْ ربيعة دَغْفَلاً النَّسَّابة، وحَيَّا ربيعة ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة وذُهل بن ثعلبة، وهو عَمّ ذهل بن شيبان وعمّ الرجل أبوه.

٣ ـ ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى إذَا قَامَ مَيْلُكُمْ ضَرَبْنَا العِدَا عَنْكُمْ بِبِيضٍ صَوَارِمِ

«قام ميلكم» بمعنى تَقَوَّم، وترك الخلاف، يقول: ضربناكم حتى إذا استقمتم ضربنا أعداءَكم بسيوف قواطع، يدلّ بذلك على قدرتهم عليهم وعلى غيرهم.

٤ ـ فَحُلُّوا بِأَكْنَافِي وَأَكْنَافِ مَعْشَرِي أَكُنْ حِرزَكُمْ فِي المَأْقِطِ المُتَلَاحِمِ

المأقِط: المضيق في الحرب، والمتلاحم: يجوز أن يكون من الالتحام لأن كلّ شيء كان متباينًا ثم تلاءم يقال فيه: التحم، وتلاحم، ويجوز أن يكون من الملحمة لأن أهلها يتلاحمون فيها، يقال: لحمته فهو لحيم، يقول: حُلُّوا بناحيتي وناحية معشري نكن لكم حِرْزًا في الحروب.

٥ ـ فَقَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أُضِيفَكُمْ إلَيَّ وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمِ

«أضيفكم إلَيَّ» أي: أضمّكم، ومنه اشتقاق الضّيف؛ لأنه يضاف إلى الأهل فَيُعَال معهم، يقول: قد كان أوصاني أبي بِضمّكم إلَيَّ وزجر مَن أراد ظلمكم عنكم.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣١. (٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٢٢.

[٧١] وقال إبراهيم بن كُنَيْفِ النَّبْهَانِيّ[(١)]:

قال أبو العلاء: إبراهيم: اسم قديم ليس بعربي، وقد تكلّمت به العرب على وجوه، فقالوا: إبراهيم وهو المشهور، وإبراهام وقد قرىء به، وإبراهـم على حذف الياء، وإبرهم، ويُروَى أن عبد المطلب قال: [الرجز]

عُـذْتُ بِـمـا عَـاذَ بِـهِ إِبْـرَاهِـمُ ... مُـسْـتَـقْـبِـلَ الـقِـبْـلَـةِ وَهْـوَ قَـائِـمُ

ويُرْوَى لعبد المطلب أيضًا: [الرَّمَل]

نـحْـنُ آلُ الـلَّـهِ فـي كَـعْـبَـتِـهِ ... لَـمْ يَـزَلْ ذَاكَ عَـلَـى عَـهْـدِ أَبْـرَهَـمْ

والكنف في اسم الرجل مأخوذ من الكنف المعروف، وإذا قيل: كُنَيْفٌ جاز أن يكون تصغير الكَنَف من قولهم: هو في كنف فلان: أي يكنفه ويحوطه، من الكنف المعروف.

١ - تَـعَـزَّ فـإنَّ الـصَّـبْـرَ بِـالـحُـرِّ أَجْـمَـلُ ... وَلَـيْـسَ عَـلَـى رَيْـبِ الـزَّمَـان مُـعَـوَّلُ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متدارك.

التَّعَزِّي: التَّصبّر، والعزاء: الصبر، يقال: عزا الرّجُل عزاءً، إذا صَبَرَ، ورجلٌ عَزِيٌّ: أي صَبُورٌ، وفي بناء تَفَعَّلَ زيادة تكلّف، والخطاب للنفس على طريق التسلية، يقول: تَصَبَّرْ فإنَّ الصَّبْرَ بالرجلِ الكريمِ أحسن من التخشّع فيما لا يحسن الخضوع فيه وله، والأصل في الصبر الحبس ومنه قولهم: قتل فلان صبرًا، وقوله:

وليـس عـلـى رَيْـبِ الـزّمـان مُـعَـوَّلُ

المُعَوَّلُ: المحمّل، يقال: عَوَّلْتَ على فلان، إذا حَمَّلْتَهُ شيئًا من أمرِكَ، والمعوَّل: المُتَّكَل، يقال: عَوِّل عَلَيَّ: أي اتَّكلَ عَلَيَّ، وعَوِّلْ عَلَيَّ: أي احملْ عَلَيَّ ما تريدُ، والعَوْلُ: شدّةُ الأمر إذا تفاقم وزاد، ومنه عَوْلُ الفريضة إذا زادت عولاً، ويجوزُ أن يكون من «عالني الأمر» إذا أثقلني وغلبني، فأمّا العالة وهو نحو الخيمة من الشجر فيجب أن يكون من الزيادة، ويقال: عَوَّلَ الراعي، إذا اتَّخذَ عالةً، وقيل: إنه يعمد إلى أغصان شجرة فيشدُّها إلى أغصان شجرة تقاربها ثم يظلّلها بما يَعْضِدُ من الحطب، قال عبد مناف بن رِبْعِ الهذلي: [البسيط]

الطَّعْنُ شغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ ... ضَرْبَ المُعَوِّلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ العَضَدَا

٢ - فَلَوْ كَانَ يُغْنِي أنْ يُرَى المَرْءُ جازِعًا ... لِـحَـادِثَـةٍ أَوْ كَـانَ يُـغْـنِـي الـتَّـذَلُّـلُ

---

(١) إبراهيم بن كنيف النبهاني: شاعر إسلامي. (ترجمته في: سمط اللآلي ص ٤٣٠، والأعلام ١/ ٥٣).

٣ ـ لَكَانَ التَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ونَائِبَةٍ بِالحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ

إذا جعلت «كان» لا ضمير فيها ففي البيت ضرورتان: إحداهما إسكان الياء من التعزّي، وهو في موضع نصب؛ لأن التعزّي خبر كان، والأخرى أنه جعل اسم كان نكرة وهو قوله «أَولى وأَجمل» وخبرها معرفة، وذلك قوله التَّعَزِّي، والنحويون يُجيزون أن يضمر في كان الشّأن والقصة ثم يقع الابتداء بعدها والخبر، وقَلَّما يذهب العرب إلى هذا الوجه، وعليه أنشدوا قول العُجَيْر السَّلولي: [الطويل]

إذَا مُتُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَانِ شَامِتٌ وَآخَرُ مُثْنٍ بالَّذِي كُنْتُ أَصْنَعُ[1]

يقول: لو كان في الجزع منفعة لما كان يحسن، وكان الصبر أحسن منه، فكيف وليس فيه منفعة؟ وهذا البيت يوضحه.

٤ ـ فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ وَما لامْرِىءٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَزْحَلُ

يعدو: يتجاوز، عداه يعدوه وتَعَدَّاه يتعدّاه، ومَزْحَل: مبعد، يقال: زحل يزحل زحلاً، إذا تباعد، أي: لا يجاوز أحدٌ ما قَدَّرَهُ اللَّهُ عليه وليس له عند مَبْعَدٌ، ومن هٰهنا أخذ ابن الرومي وأحسنَ: [الطويل]

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَعَنْهُ مَذَاهِبٌ فَكَيْفَ إذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هُنَاكَ يَحِقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجَبُ
فَشَدَّ امْرُؤ بِالصَّبْرِ كَفًّا فإنَّهُ لَهُ عِصْمَةٌ أَسْبَابُهَا مَا تُقَضَّبُ
هُوَ المَهْرَبُ المُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ نَوَائِبُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ مَهْرَبُ

٥ ـ فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ بِبُؤْسَى وَنُعْمَى وَالحَوَادِثُ تَفْعَلُ
٦ ـ فَمَا لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبَةً وَلاَ ذَلَّلَتْنَا لِلَّتِي لَيْسَ تَجْمُلُ

العرب تضرب المثل بالقَنَاة فيقولون: قناة بني فلان صُلْبَة: أي هم أعِزَّاء أَشِدَّاء، وقناتهم خَوَّارة: أي هم ضِعافٌ أَذِلَّةٌ، قال: [الكامل]

كَانَتْ قَنَاتِي لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ فَأَلاَنَهَا الإِصْبَاحُ وَالإِمْسَاءُ[2]

(١) البيت للعجير السلولي في الأزهيّة ص ١٩٠؛ وتخليص الشواهد ص ٢٤٦؛ وخزانة الأدب ٩/ ٧٢؛ والدرر ١/ ٢٢٣؛ والكتاب ١/ ٧١؛ وبلا نسبة في أسرار العربية ص ١٣٦؛ وشرح الأشموني ١/ ١١٧؛ وهمع الهوامع ١/ ٦٧.

(٢) البيت للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٠؛ وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣/ ٧٠؛ ولعمرو بن قميئة في ملحق ديوانه ص ٢٠٤؛ وزهر الآداب ١/ ٢٢٣؛ ولبعض شعراء الجاهلية في الكامل ١/ ٢٨٤.

وقالت امرأة من العرب: [البسيط]

إذَا قَنَاةُ امْرِئٍ أَزْرَى بِهَا خَوَرُ هَزَّ ابْنُ سَعْدٍ قَنَاةً صُلْبَةَ العُودِ

وقوله «والحوادثُ تفعلُ» يُسَمَّى اعتراضًا، والمعنى أنها تفعل الأفعال المعروفة والمنكورة، وتأتي باللِّين والصعوبة، ومثل هذا من الاعتراض يزيد القصة تأكيدًا، وهو هنا حائل بين الجزاء وجوابه؛ لأن جواب «إنْ تَكُنْ» قوله «فما لَيَّنت منّا قناة صليبة» أي: لم يُلَيِّنا الدَّهرُ بتصرّفه علينا.

٧ ـ وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نُفُوسًا كَرِيمَةً تُحَمَّلُ مَا لاَ يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ

يجوز أن يكون معنى «رَحَلْنَاها» رحلنا لها، والضمير للحوادث، ويكون كقولهم: كِلْتُكَ وَكِلْتُ لَكَ، وَوَزَنْتُكَ وَوَزَنْتُ لك، ويكون «نفوسًا» مفعولاً لرحلنا، ويجوز أن يكون الضمير المنصوب في رحلناها للنفوس، على أن يكون مفعولاً، وأتى بالضمير قبل الذّكر ثم جعل قوله «نفوسًا» بدلاً منها على طريق التبيين، والمعنى رحلنا أنفسنا الكريمة ثقل الدهر، من قولك: رَحَلْتُ البعيرَ، إذا وضعتَ عليه الرَّحْلَ.

٨ ـ وَقَيْنَا بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنَّا نُفُوسَنَا فَصَحَّتْ لَنَا الأَعْرَاضُ وَالنَّاسُ هُزَّلُ

كأنه أراد فصحّت لنا الأعراض بحُسْنِ صبرنا وأعراض الناس هُزَّلٌ لقلّة صبرهم على الشّدائد التي نحن نصبر عليها.

[٧٢] وقال آخر:

١ ـ وَكَمْ دَهَمَتْنِي مِنْ خُطُوبٍ مُلِمَّةٍ صَبَرْتُ عَلَيْهَا ثُمَّ لَمْ أَتَخَشَّعِ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متدارك.

دهمتني: فاجأتني، يقول: مرارًا كثيرة فاجأتني خطوبٌ شديدةٌ، وموضع «كم» على هذا ظرف، و«مِنْ» زائدة على طريقة الأخفش؛ لأنه يجوز زيادة من في الواجب، ويستدلّ بقول بعضهم: قَدْ كَانَ مِنْ مَطَرٍ فَخَلِّ عَنِّي؛ فكأنه قال: كم مرة دهمتني خطوب كثيرة، ويكون قوله «صبرتُ عليها» صفة للخطوب، ويجوز أن يكون «كم» في موضع الابتداء، و«من خطوب» هو بيان له، وقد فصلَ بينهما بخبره وهو دهمتني، وتقديره كم من خطوب دهمتني: أي كثير من الخطوب دهمتني، وفائدة العطف بثمّ من قوله «ثم لم أتخشع» إبانة الاستمرار في الصَّبر إلى أن انكشفت تلك الخطوب، والخطوب: الأمور العظام الواحد خَطْبٌ، وقيل: إنه اسم للأمر المكروه دون المحبوب، وقيل: هو المحبوب والمكروه جميعًا، والملمّة: من قولهم: أَلَمَّ به، إذا أتاه، يقول: حملت فَوَادِحَ الدهر فلم أخضع، والتَّخَشُّعُ: الخُضوع.

٢ ـ فَأَدْرَكْتُ ثَأْرِي وَالَّذِي قَدْ فَعَلْتُمُ قَلاَئِدُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لَمْ تَقَطَّعِ

«الذي قد فعلتم» يعني من القعود عن نصره، وقوله «في أعناقكم لم تقطع» نحو قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1] وهم يُشَبِّهون العار اللازم الذي لا يفارقُ أصحابه بالقلادة في العنق، ويقولون: تَقَلَّدَ الأمرَ، إذا ألزمَهُ نَفْسَهُ، وَالمُقَلَّد: السَّيِّد قُلِّدَ أُمورَ قومِه.

[٧٣] وقال عُوَيْف القَوَافي الفَزَاري[2]:

قال أبو رياش: وكانت أُخته عند عيينة بن أسماء فطلَّقها، فكان مراغمًا لعيينة، وقال: الحرّة تطلق لغير بأس، فلما أخذ الحجاج عيينة فحبسه قال عُوَيْفٌ، وهو تحقير عوف، وهو الحال، ويقال الذكر، ومنه قيل نعم عوفك: أي حالك، ويقال ذلك أيضًا للباني بأهله، كأنّه كناية عن الذكر.

١ - ذَهَبَ الرُّقَادُ فَمَا يُحَسُّ رُقَادُ ... مِمَّا شَجَاكَ وَنَامَتِ العُوَّادُ

الثاني من الكامل، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

الرُّقاد والرّقود: النوم باللَّيل، وعَرَّفَ الأوّل تعريفَ الجِنْسِ، ونَكَّرَ الثاني لأنه أراد نوعًا من الجنس، كأن المراد ذهب النّوم على اختلافه حتى ما يرى لنوع منه مختصّ أثر ممّا شجاك: أي حزنك: أي اخْتُصِصْتُ بما عَرِيَ منه عُوَّادُكَ.

٢ - خَبَرٌ أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ مُوجِعٌ ... كَادَتْ عَلَيْهِ تَصَدَّعُ الأَكْبَادُ

٣ - بَلَغَ النُّفُوسَ بَلاؤُهُ فَكَأَنَّنَا ... مَوْتَى وَفِينَا الرُّوحُ وَالأَجْسَادُ

الأجساد هٰهنا: جمع جَسَدٍ، وهو الدّم، قال النابغة: [البسيط]

وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ

أي: وفينا الروح والدم، ولو اكتفى بأحدهما جاز، ولكن أراد التأكيد وبلاؤه يعني بلاء الخبر.

٤ - يَرْجُونَ عَثْرَةَ جَدِّنَا وَلَوَ أَنَّهُمْ ... لاَ يَدْفَعُونَ بِنَا المَكَارِهَ بَادُوا

بادوا: هلكوا، والبائد: الهالك، أي يرجون هلاكنا ولولا مكاننا هلكوا، ويقال: عَثَرَ جَدُّ فلان، إذا ذهب أمرُه وهلكَ.

٥ - لَمَّا أَتَانِي عَنْ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ ... أَمْسَى عَلَيْهِ تَظَاهَرُ الأَقْيَادُ[3]

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.
(٢) عويف بن معاوية: هو عويف القوافي: شاعر، اشتهر في الدولة الأموية بالشام. (ت ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). (وترجمته في سمط اللآلي ص ٨١٤؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٨٧).
(٣) عند المرزوقي «أمست عليه».

«لمّا» ظرف لقوله «نخلت له نفسي» في البيت الذي يليه، لأن لمّا إذا وَلِيهُ الفعلُ الماضي كان علمًا للظّرف وفُسِّرَ بحين، وقوله «تظاهر الأقياد» أي: يكون بعضها فوق بعض، ومنه قولهم: ظَاهَرَ بين دِرْعَيْن، إذا لبس الواحدة منهما فوق الأخرى، قال علقمة بن عَبَدَة: [الطويل]

مُظَاهِرُ سِرْبَالَيْ حَدِيدٍ عَلَيْهِمَا عَقِيلاَ حَرُوبٍ مِخْذَمٌ وَرَسُوبُ[1]

وقوله «تَظَاهَرُ» يريد تتظاهر، يعني قيدًا فوق قيدٍ كأنهما تعاونا عليه، من قولهم: ظاهرتُ فلانًا إذا عاونته، فأنا ظَهِيرُه كقولك عاشرته فأنا عَشيرُه، ويجوز أن يكون من قولهم: ظهر فوق البيت إذا عَلاَه، وقوله «تظاهَرُ فوقه الأقيادُ» والأقياد لا تكون فوق الإنسان، وإنما أراد أنها قد غلبته وقهرته، من قولهم: أتاه من فوق ومن علو: أي قهره، وقرب منه «إن الجبان حَتْفُه من فوقه» أي: هو قاهره وغالبه وغير مُنجيه منه جبنه، ويجوز أن يكون «تظاهر من فوقه الأقياد» أي فوق جسمه، وقولهم «إنَّ الجبان حتفه من فوقه» أي: هو مقدّر يأتيه من فوقه، والناس يقولون: إن المقادير تنزل من السماء.

٦ - نَخَلَتْ لَهُ نَفْسِي النَّصِيحَةَ إِنَّهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الأَحْقَادُ

«نخلَتْ له» أي: خلصتها له وجاءت بصريحها كالشيء الذي يُنْخَلُ بالمنخل فيؤخَذُ جيّدُه وخيارُه، ومنه «تَنَخَّلْتُ الشَّيءَ» إذا اخترته، ويجوز أن يُرْوَى «أنه عند الشّدائد» و«إنه» بفتح الهمزة وكسرها، فإذا رُوِيَ بالفتح كان المعنى لأنه، وإذا رُوِيَ بالكسر كان على الاستئناف، ومثل قوله «عِنْدَ الشَّدَائِدِ تَذْهَبُ الأَحْقَادُ» قول القَطَامي: [الطويل]

وَتَرْفَضُّ عِنْدَ المُحْفِظَاتِ الكَتَائِفُ[2]

والكتائف: العداوات، يقول: إن العداوات تذهب عند المصائب، هذا وجه في شعر الكميت[3]، والجيّد في معنى بيت الكميت أن يكون شبّه القبائل التي تنظر الرّجل من غير بني أبيه بالضّبات التي يُلأَمُ بها الإناء، ونصرة هؤلاء إذا احتيج إليها ضعيفة ليست كنصرة عشيرة الرّجل.

٧ - وَذَكَرْتُ أَيَّ فَتًى يَسُدُّ مَكَانَهُ بِالرِّفْدِ حِينَ تَقَاصَرُ الأَرْفَادُ

---

(١) في ديوان علقمة ص ٤٤؛ وفي لسان العرب (خذم)؛ ومعجم البلدان ٥/ ٢٠٥؛ وشرح اختيارات المفضّل ص ١٥٩٢؛ وتاج العروس (رسب)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٠٩.
(٢) صدر البيت: «أخوكَ الَّذي لا يَمْلِكُ الحِسَّ نَفْسُهُ».
(٣) لعلّه يريد «القطامي» لأن الكلام عنه.

مصدر ذكرتُ هذا الذُّكر بضمّ الذّال لأنه بالقلب، وقوله «بالرِّفدِ» يريد ببذل الرِّفد، فحذف المضاف، يقال: رَفَدْت الرَّجلَ أرْفُدُهُ رِفدًا؛ إذا أعطيته، ثم سُمِّيت العَطِيَّةُ رِفْدًا بكسر الرّاء، وجمعه الأرفاد، وأرفدته مَحْكِيٌّ لكنه ليس بالمُتَخَيِّر، و«تَقَاصَرُ» أي: تتقاصَرُ، فحذف إحدى التاءين تخفيفًا، وهو في موضع الجرّ لإضافة حين إليه.

٨ ـ أمْ مَنْ يُهِينُ لَنَا كَرَائِم مَالِهِ وَلَنَا إذَا عُدْنَا إلَيْهِ مَعَادُ[١]

أي: مَنْ يبذلُ لنا خيار ماله ويكون لنا عنده معادٌ إذا عُدْنا بعد هذا المذكور، وأم هذه هي المنقطعة، والاستفهام دخل الكلام على طريق التَّوَجُّع والتَّلَهُّف لما جرى على عيينة المذكور، وكرائم: جمع كريمة، وقد أُجْرِيَ مجرى الأسماء حتى جاء في الحديث «إذا أتاكم كَرِيمُ قَوم فَأَكْرِمُوه»[٢] والمعاد يكون موضعًا ومصدرًا ووقتًا، وإهانة المال تكون بالبذل والنَّحر للضِّيفان.

[٧٤] وقال بشر بن المغيرة:

وهو ابن أخي المهلّب بن أبي صفرة؛ البِشْرُ: الطَّلاَقَةُ، ويُرْوَى أن اسمه كان بُسْرًا، والبُسْرُ: الغَضُّ من كلِّ شَيءٍ، وهو أيضًا الماء القريب العهد بالسَّحاب، وقولهم في المُغِيرة المِغِيرة ليس من باب شِعِير وَبِعِير وشِهِيد، وحكى أبو زيد من هذا قول بعض العرب الجنة لمَن خاف وِعِيد اللّه، وليس المُغِيرَة من هذا، وذلك أن الإتباعَ في هذا إنما هو في المفتوح الأول، فأما المُغِيرة فإنها اسم الفاعل من أغار فأوّلها مضمومٌ، والكَسْرُ في أوّلها شاذٌّ، وإنّما هو بمنزلة قولهم: مِنْتِن ومِنْخِر، وهذا لا يُقاس، وباب شِعِير ورِغِيف وضِئِيل يُقَاسُ كلّه، والمُهَلَّبُ: مُفعَّل من «هَلَّبْتُ ذَنَبَ الفَرَسِ» أي: أخَذْتُ هُلْبَه: أي شعره، كأنّه صفة منقولة، ورجل من العرب يقال له الهَلِبُ[٣]، وذلك لأنه كان أقرع فمسحَ رسول الله ﷺ على رأسه فنبت شعره، فَسُمِّيَ الهَلِبَ، وهذه صفة غلبت عليه كالصَّعِق.

١ ـ جَفَانِي الأَمِيرُ وَالمُغِيرَةُ قَدْ جَفَا وَأَمْسَى يَزِيدُ لِي قَدِ ازْوَرَّ جَانِبُهْ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

أراد بالأمير المهلَّبَ بن أبي صُفْرة، والمغيرة أخوه، ويزيد ابنه، وقائل هذا بِشر بن المغيرة، وهو أحد الفرسان المشهورين، فيقول: جفاني عَمّي المهلّب وأبي المغيرة وصار

---

(١) هناك بيت تاسع في ديوان الحماسة برواية الجواليقي (دار الكتب العلمية ط ١ ١٩٩٨):

ورأيتُ في وجهِ العدوِّ شكاسةً وتنكَّرَتْ لي أوجهٌ وبلادُ

(٢) الحديث في سُنن ابن ماجه (٣٧١٢)؛ والسُّنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٦٨؛ وحلية الأولياء ٦/ ٢٠٥؛ وإتحاف السادة المتقين ٤/ ١٨٤.

(٣) الهَلِبُ: هو لقب أبي قبيصة يزيد بن قنافة الطائي.

ابن عَمّي يزيد لاقتدائه بهما منحرفًا عنّي غير مائل إلَيَّ، والازورار: الانحراف، وهو مِنَ الزَّوَرِ نتوء أحد شِقَّي الصَّدْرِ واطمئنان الآخر.

٢ ـ وَكُلُّهُمُ قَدْ نَالَ شِبْعًا لِبَطْنِهِ وَشِبْعُ الفَتَى لُؤْمٌ إذَا جَاعَ صَاحِبُهْ

شِبْعُ الرَّجل: قَدْرُ ما يُشْبِعُهُ من الطعام، والشِّبَع: الانتهاء والامتلاء من الطّعام، والشِّبْع لا يكون لؤمًا إنما الانفراد به دون مَنْ له حاجة إلى الطعام لُؤْمٌ، فقال «وشِبْعُ الفتى لؤمٌ» لأنَّ المرادَ به يُعْرَف منه وبما بعده، ومنهم مَن لا يفرِّق بين الشِّبْع والشِّبَع فلذلك استعمل الشِّبْعَ هٰهنا موضع الشِّبَع واستُعْمِلَ الشِّبْع في غير الطَّعام فقالوا: صِبْغ مُشْبَع؛ وَتَشَبَّع الرّجل: تكبّر.

٣ ـ فَيَا عَمِّ مَهْلاً وَاتَّخِذْنِي لِنَوْبَةٍ تَنُوبُ فَإنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ عَجَائِبُهْ

قال الأصمعي: مَهْلاً: زَجْر، أصله مَهْ زِيدَتْ عليه لا، والنوبة: النائبة، يقول: اتّخذني لنوبة فإن الدَّهر لا تُؤْمَنُ بوائِقُه، قد يُحْتَاج إلى المُسْتَغْنَى عنه لنائبةٍ تَحْدُثُ، وحذف الياء من قوله «يا عَمِّ» لوقوعه موقع ما يحذف في الباب، وهو التنوين، ولأن الكسرة تَدُلُّ عليه.

٤ ـ أَنَا السَّيْفُ إلاَّ أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً وَمِثْلِيَ لاَ تَنْبُو عَلَيْكَ مَضَارِبُهْ

المضارب: جمع مَضْرِبٍ، وهو الموضع الذي يُضْرَبُ به من السيف، بكسر الرّاء، وَالمَضْرَبُ بالفتح المكان والمصدر، والضريبة: الموضع الذي تقع فيه الضَّرْبَةُ من جسد المضروب، والنُّبُوُّ: أن يَرْتَدَّ السيفُ عن الضَّريبةِ من غير تأثير فيها، وكان بشر بن المغيرة بخراسان مع المهلب فلم يُوَلِّهِ شيئًا، فقال: [الكامل]

مَا خَيْرُ أرْضٍ لاَ تُصِيبُ بِهَا مَالاً وَلاَ قَرْضًا وَلاَ فَرْضَا
أَمُغِيرَ هَلْ لَكَ فِي مُصَالَحَتِي إنَّ الضَّغَائِنَ تَمْنَعُ الغُمْضَا
أَجَعَلْتَ صَفْوَةَ مَا أَصَبْتَ لِغَيْرِنَا وَتَرَى الزَّمَانَ يَعُضُّنَا عَضَّا

في أبيات، ثم قال «جفاني الأمير ـ الأبيات» فوصله المغيرة وكَلَّم المهلب فيه فولاّه كُورة.

[٧٥] وقال بعض بني عَبْد شمس من فَقْعَسٍ:

١ ـ يَا أيُّهَا الرَّاكِبَانِ السَّائِرَانِ مَعًا قُولاَ لِسِنْبِسَ فَلْتَقْطُفْ قَوَافِيهَا

الثاني من البسيط، مطلق مجرّد موصول بخروج، قال أبو العلاء: قول أبي رياش يَدُلُّ على أن «تقطف» من قَطَفَ الثَّمرةَ، وأن الياء في قوافيها في موضع نصب، وهو وجه حسن ويُصرَف على معنيين: أحدهما أن يجعل القَطْفَ مثل القطع، يقول: لتدع قول الشعر فيما بيننا وبينها؛ فإنَّ الحربَ أكبر أمْرًا من الهجاء، والآخر ـ وهو الذي ذَكَره النمريّ ـ أن

يكون القطفُ من قَطْفِ الثمرة، ويحمل الغرض على قولهم: اجْتَنِ ما غَرَسْتَ وكُلْ أيّها الصَّائدُ لحمَ قَنَصِكَ: أي إنْ فعلنا بهم شرًّا فهو جنايةُ قوافيهم عليهم، وهذا قولٌ حَسَنٌ جدًّا، إلا أن ما بعده يدلّ على أنهم لم يجازوهم بعد، لقوله:

إنّـي امْـرُؤٌ مُـكْـرِمٌ نَـفْـسِـي وَمُـتَّـئِـدٌ

البيـت.

ولا يمتنع أن يكون قوله «فلتقطف قوافيها» من قِطَافِ الدَّابة، وهو أن تُقَارِبَ الخَطْوَ، ويكون «قوافيها» في موضع رفع، والمراد لِتُقِلَّ من المقال فإنهم قد اتَّسعوا فيه، وضَرَبَ القِطَافَ مثلاً لِكَفِّهم عن بعض القول، ومن أمثالهم: لأُلْحِقَنَّ قُطُوفَهَا بِالوَسَاع، والوَسَاع: الواسعة الخطو، وإن رُوِيَتْ «فَلتُقْطِف» بضمّ التاء فهو وجهٌ جيّدٌ، ويكون قوافيها في موضع نصب من قولهم «أقْطَفْتُ الدّابة» إذا حملتها على القطاف، ومَن جعل الفعل للقوافي وجعله من قطاف الدّابة جاز أن يُرْوَى فلْتَقْطِفْ بكسر الطاء وضمّها، ومن قطف الثمرة فَلْتَقْطِفْ بكسر الطّاء، والقِطْفُ: المقطوف.

٢ ـ إنّـي امْـرُؤٌ مُـكْـرِمٌ نَـفْـسِـي وَمُـتَّـئِـدٌ   مِـنْ أَنْ أُقَـاذِعَـهَـا حَـتَّـى أُجَـازِيَـهَـا

المُتَّئِدُ: مِنَ التُّؤدة، وهي الأناة في الأمر والتمكّث فيه، وقوله «من أن أقاذعها» التقدير لا أُقاذِعُها لكن أجازيها لأنَّ حتى الداخلة على الفعل مرّة تكون بمعنى «إلى أن» ومرّة بمعنى «لكي»، ويجوز أن يكون المعنى لا أُقاذِعُها إلى أن أُجازيها فعلاً، والقذع: الرَّمْيُ بِالفحش: أي لا أقول من القذع مثل ما يقولون: أي لا أرضى أن أقول قصيدة بقصيدة حتى أُجازيها بالفعل.

٣ ـ لَـمَّـا رَأَوْهَـا مِـنَ الأَجْـزَاعِ طَـالِـعَـةً   شُـعْـثًـا فَـوَارِسُـهـا شُـعْـثًـا نَـوَاصِـيـهَـا

يقول: لمّا رأوا الخيلَ بارزةً لهم من أجْزَاع الوادي طالعةً عليهم وهي شُعْثٌ وفرسانُها شُعْثٌ: أي غُبْرٌ لِطولِ السَّفَرِ، وأضمر الخيل وإن لم يَجْرِ لها ذكر لأن الحالة الحاضرة تدلّ عليه، ويجوز أن يكون تقدّم ذكرها فيما تركه من الأبيات، وجواب «لمّا» قوله:

٤ ـ لاَذَتْ هُـنَـالِـكَ بِـالأَشْـعَـافِ عَـالِـمَـةً   أَنْ قَـدْ أَطَـاعَـتْ بِـلَـيْـلٍ أَمْـرَ غَـاوِيـهَـا

أشعاف: جمع شَعَفَة، وهي أعلى الجبل، وأعلى كلّ شيء، ولذلك قيل شَعَفَة القلب لرأسه عند مُعَلّق النِّيَاط، و«هنالك» ظرف، ويكون للزّمان والمكان جميعًا، وزيادة اللاّم تكون للتأكيد فيه، كأنَّ البُعْدَ فيما يُشار إليه بهنالك أبلغ مما يكون فيما يشار إليه بهناك، وهذا على طريقة ما نقوله في ذلك وذاك، وقوله «أن قد أطاعت» أنْ: مخفّفة من الثقيلة: أي عالمة أنها قد أطاعت، ويقولون لما لم يعمل بتثبّت وحُسْن تدبّر: هذا أمر قُدِّرَ بِلَيْلٍ،

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾[1] هذا قول المرزوقي، وقال أبو هلال: يقول: أطاعوا الأمر الذي دَبَّرَهُ لهم باللّيل غاويهم، وإنّما يدبّر باللّيل ليتوفّر عليه ولا يشتغل بغيره فيكون حظّه من الإبرام أكثر لِخلوّ البال باللّيل واجتماع الفكر فيه، وفي القرآن ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ وقال الرّياشي: لاذت يعني سنبس، شَبَّهَ هجاءه الذي بعث به إليهم بالخيل عليها الفرسان، وإنّما هجا بعد طول احتمال.

[٧٦] وقال آخر في ابن له:

١ ـ لا تَـعْـذِلِـي فـي حُـنْـدُجٍ إنَّ حُـنْـدُجًـا   وَلَـيْـثَ عِـفِـرِّيـنِ لَـدَيَّ سَـوَاءُ

الثالث من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

قال أبو العلاء: حُنْدُج: اسم الرّجل، مأخوذ من الحندج، وهو كثيب صغير من الرّمل ربما أنبتَ الشّجر، وقد جاءت الحنادج في معنى الصّغار من الإبل، و«ليث عِفِرِّين» له مواضع أشبهها بهذا البيت أن يكون من قولهم في الحكاية عن العرب ابن عشرين طالب نسين يعنون النساء، ابن ثلاثين أبصر ناظرين، ابن أربعين أبطش باطشين، ابن خمسين ليث عِفِرِّين، فيكون المعنى إنَّ حندجًا وإنْ كان طفلاً فكأنّه في نفسي رجلٌ قد كَمُلَ عقلُه وتجربته لأنهم يصفون ابن الخمسين بذلك، قال سُحَيْم بن وَثِيل: [الوافر]

أَخُـو خَـمْـسِـينَ مُـجْـتَـمِـعٌ أَشُـدِّي   وَنَـجَّـذَنِـي مُـدَاوَرَةُ الـشُّـؤُونِ

وإنما قالوا لابن الخمسين «ليث عِفِرِّين» لأنهم يقولون في المثل: أشْجَع من لَيْث عِفِرِّين، حكى ذلك الأصمعي وغيره، وزعم أن ليث عِفِرِّين دُوَيْبَّةٌ يتحدّى الرّاكب ويضرب بذنبه يتعرّض له، وقال أبو عمرو الشيباني: ليث عفرّين مُرَادٌ به الأسد، وقال غير هذين: ليثُ عِفِرِّين دُوَيْبَّة تكون عند الحيطان تجمع التراب، فإذا أحسَّ بإنسان حَثَا الترابَ فيما قبله، وقال بعض الناس: عِفِرِّين موضع، فهذا المثل في قولهم كقول القائل: أشجع من لَيْث خَفَّانَ، ويجوز أن يكون عِفِرِّين جمع عِفِرٍّ يعني به الأسد، لأنه يُعَفِّر القرن: أي يلقيه في العَفْر، وهو التراب، فيكون هذا اللّفظ مثل قولهم: أَسَدُ أُسْدٍ وَلَيْثُ لُيُوثٍ، والرواية في هذا البيت جاءت بالتنوين كأنَّ «عِفِرِّين» كلمة غير مجموعة ونونها كنون مِسْكِينٍ وقد جاءت في الشّعر الفصيح غير مصروفة، وينشد لعمرو بن قَمِئَة: [مخلع البسيط]

الـكَـأْسُ مِـلْـكٌ لِـمَـنْ أَعْـمَـلَـهَـا   وَالـمُـلْـكُ مِـنْـهُ صَـغِـيـرٌ وَكَـبِـيـرُ
مِـنْـهَـا الـصَّـبُـوحُ الَّـتِـي تَـتْـرُكُـنِـي   لَـيْـثَ عِـفِـرِّيـنَ وَالـمَـالُ كَـثِـيـرُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨١.

فَعِفِرّين لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون جاريًا مَجْرَى مسكين فصرف في موضع ولم يُصْرفْ في الآخر لأنه اسم موضع، وإمّا أن يكون جمعًا شُبِّهَت نونه بنون مسلمين في هذا البيت لأنهم ربما فعلوا ذلك، ومنه البيت الذي يُرْوَى لِذِي الإصبع العَدْوَاني: [البسيط]

إنِّـي أَبِـيٌّ أَبِـيٌّ ذُو مُـحَـافَـظَـةٍ   وَابْـنُ أَبـيٍّ أَبـيٍّ مِـنْ أَبِـيِّـيـنِ

والمثل الذي فيه ليث عفرّين يُرْوَى بفتح النّون لا غير، وقال غيره: قد قيل في ليث عِفرّين: إنها التي تصيد الذُّباب وثبًا، شبّهه في كَيْدِه وَمَكْرِه به، وقد وصف الخبيث المنكر بالعِفْرِ والعِفْرِيَة وَعَفَرْنَى، وسواء: مصدر في الأصل وصف به، ويقال للأسد أيضًا: عِفْرٌ، وعَفَرْنَى.

٢ ـ حَـمَـيْـتُ عَـلَـى الـعُـهَّـارِ أَطْـهَـارَ أُمِّـهِ   وَبَـعْـضُ الـرِّجَـالِ الـمُـدَّعِـيـنَ غُـثَـاءُ

العُهَّار: جمع عاهر، والعَهْر وَالعُهُور: الفجور، وخصّ الأطهار لِما في المحيض من الاعتزال، ويجوز أن يريد بقوله «حميت على العهّار» ما أراد امرؤ القيس بقوله: [الطويل]

وَأَمْنَعُ عِرْسِي أَنْ يُزَنَّ بِهَا الخَالِي[(١)]

يعني لِشِدّة غيرته، وقال النمري: الوجه عندي أن يريد بذلك أنّي اخترتها قبل التّزوّج من بيت كريم وشرفٍ قديم وعفّة معلومة ونجابة مشهورة، فكأنني بذلك حميت أمه؛ وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «جَهِلَ النُّعْمَانُ لَغَانِينَ وَادِي سُبُلاَتٍ[(٢)]» إنما وصف الشّاعر ابن أُمّه، يقول: لم أُسَيِّبْهَا كما تسيبُ الإماءُ، فجاءت به لِرِشْدَةٍ، وإذا وقفت على قصّة البيت عرفت مصداق ما قلته، أكتبنا أبو النّدى قال: كان رجلٌ من بني جَنَاب من بَلْقَيْن عنده ابنة عمّ له منها ابن يقال له سَيَّار، وكان له ابن من أَمَة يقال له دُمْلُج، فكانت الحرّة إذا رأته يلطفُ دُمْلُجًا ببعض اللُّطف لامَتْه وغَضِبَتْ، فأنشأ يقول: [الطويل]

أَلاَئِـمَـتِـي فِـي دُمْـلُـجٍ إنَّ دُمْـلُـجَـا   وشـركَـةَ سَـيَّـارٍ إلَـيَّ سَـوَاءُ
شَـغَـلْـتُ عَـنِ الـعُـشَّـاقِ أطْـهَـارَ أُمِّـهِ   وَبَـعْـضُ الـرِّجَـالِ الـمُـدَّعِـيـنَ زِنَـاءُ

(١) صدر البيت: «كذبت لقد أصبي على المرء عِرسه».
(٢) ورد المثل في مجمع الأمثال ١٥٩/١ «جهل من لغانين سبلات»، ولغانين: جمع لغنون وهو مدخل الوادي. وسبلات: جمع سبيل، والمثل يُضرَب لمَن يُقْدِم على أمر يجهل ما فيه من المشقّة والجهد.

والمدَّعي أصله أنّ رجلاً أغار على أَمَةٍ لبعض أهله فولدت غلامًا فدعته له فاشتراه أو وهبوه له، وقوله «وبعضُ الرّجال» أي: وبعض دعاوى الرجال، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والجُفَاء[1]: ما تنفيه القِدْرُ عند الغَلْي، وفي القرآن﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾[2] يقال: جَفَأَت القِدرُ بزبدها، إذا رَمَتْ به: أي بعض الرّجال سقط لا يعتدّ به، كما أن زَبَدَ القدر غير مُعْتَدّ به، يقول: بعض الأبناء الذين ينسبون إلى الآباء جُفَاء باطل ليسوا لآبائهم.

٣ ـ فَجَاءَتْ بِهِ سَبْطَ البَنَانِ كَأَنَّمَا ... عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ لِوَاءُ

يمدحه بالطول، والعرب تستحبّه، وتمدح به، وتكره القصر وتذمّه قال مسلم: [الطويل]

يَقُومُ مَعَ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ قَامَةً ... وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادِ

يقول: جاءت به أُمّه طويلاً كأن عمامته على رأسه لواء لطول قامته.

[٧٧] وقال آخر:

قال أبو رياش: هو لأبي الشَّغْب العَبْسي، وقال أبو عبيدة: للأقرع بن مُعَاذ القُشَيْري.

١ ـ رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ ... وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بِرِّهِ عَتْبُ

الأول من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

قوله «ليس في برّه عَتْبُ» قالوا: أي ليس فيه فساد، قال أبو هلال: الوجه أن يقال: إنه لا يَمُنّ ببرّه فينكر منه ذلك، يقال: عَتَبْتُ على الرّجلِ عَتْبًا، إذا أنكرت منه شيئًا من فِعْلِهِ، ويجوز أن يقال: إنه يَعُمُّ بالبرّ جميع أهله فليس يَعْتِبُ عليه أحدٌ منهم، أو يقوم بجميع ما يحتاج إليه أبوه فلا يعتب عليه في شيء.

٢ ـ إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ حَزَازَةً ... فَأَنْتَ الحَلَالُ الحُلْوُ وَالبَارِدُ العَذْبُ

«إذا» يتضمّن معنى الجزاء، ولهذا احتاج إلى الجواب فجعل بالفاء، فيقول: إذا كان الأولاد تحزيزًا: أي تقطيعًا في القلوب لعقوقهم في موضع البرّ فأنت العسل مَشُوبًا بالماء العذب، كأنه يشير إلى سهولة جانبه وحُسْن طاعته، قال الخليل: الحَزَازة: وَجَعٌ في القلب من غيظٍ أو أذًى، والحَزَّاز بالتشديد كذلك.

---

(١) الجُفاء غير واردة في رواية الكتاب وإنما وردت عند المرزوقي.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

٣ ـ لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ

يقال: دَمِثٌ ودَمِيثٌ: أي سَهْلٌ، كما يُقال: سَمِجٌ وسَمِيجٌ، وأصِلٌ وأصيلٌ؛ والتَّدميثُ: التَّسهيل، ومن أمثالهم: [البسيط]

دَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجَعَا

يقول: هو سهلٌ لنا ومُمتنعٌ على الأعداء.

٤ ـ وَتَأْخُذُهُ عِنْدَ المَكَارِمِ هِزَّةٌ كَمَا اهْتَزَّ تَحْتَ البَارِحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ

هِزَّةٌ: أي نشاط وخِفّة للنَّدَى، وهو المعروف، كما تستخفّ الرّيح الغصن إذا مَرَّت به، يقول: يأخذه عند ابتناء المكارم اهتزاز كاهتزاز الغصن تحت هذه الريح، والبارح: ريحٌ حارّة تأتي من قِبَلِ اليمن، أخذ من البَرْح، وهو الأمر الشديد العجب، ويقال في المثل: بنت بَرْح شرك على رأسك، يعنون الداهية تقع، وقال أبو هلال: هو فارسيّ معرب، وأصله بره؛ وقال الشاعر: [الطويل]

وَسَلْمَى لَعَمْرُ اللَّهِ عِلْقُ مَضِنَّةٍ وَلَكِنَّهَا بَرْحٌ عَلَى المُتَأَهِّلِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الأُقْحُوَانَ مُنَوِّرًا وَلَمْ أَرَ تَنُّومًا تَذَكَّرْتُ مَنْزِلِي

هذا الشِّعر لرجلٍ تزوَّجَ امرأةً فوجدها جميلة إلا أن شعرها شائب، وكانت له امرأة شابّةٌ، يقول: لمَّا رأيت شيبها كأنه نَوْرُ الأقحوان ولم أرَ تنوُّمًا أي شعرًا أسود لأن التّنوّم يُوصَفُ بالسَّوادِ، ويقال: إن التّنوّم شجر الشهدانج، وقوله «تذكَّرت منزلي» أي: لأنَّ فيه امرأة شابة، وخصَّ البارح لأنها تَهُبُّ في الصيف، والغُصْنُ في الصيف ألين منه في الشتاء.

[٧٨] وقال آخر:

وذُكِرَ أنه لعبد الصَّمد بن المُعَذَّل، وقيل: للحُسَيْن بن مُطَيْر.

١ ـ وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي مِنَ النَّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَيَّ كِرَامُ

ثالث الطويل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «وفارقتُ حتى ما أحِنُّ مِنَ النَّوى» يقول: أَلِفْتُ مفارقةَ الوطنِ والإخوان شيئًا بعد شيء واعتدتُ التباعُدَ حتى لا أُبالي مَنْ تناءى منهم وإن كرموا عَلَيَّ عند المجاورة، فإن قيل: كيف تعلق «حتى» بفارقتُ وما معناه؟ قلت: أراد تكرّرت المفارقة عَلَيَّ وقتًا بعد وقت إلى أنْ صِرْتُ لا أُبالي بالفراق، فمعنى حتّى: إلى أن.

٢ ـ فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الحَبِيبِ تَنَامُ

جعلت: بمعنى طفقت وأقبلتُ، ولذلك لا يتعدّى، يقول: أخذت نفسي تصبرُ على النَّأْيِ وتنطوي على الفراق فلا يظهر منها جَزَعٌ، وعيني تنام على فَقْدِ الصّديق فلا تسهر؛ لما

تعوّدت من فراق الأحبة، والعرب تقول: أَسَافَ حَتَّى ما يشتكي السَّوَاف، والسَّوافُ: ذهابُ المالِ، والشدائد تهون بشيئين: العادة، والتوقّع، وذلك أنَّ المعتاد للمكروه لا يألم منه كبيرَ أَلَم، والمتوقِّعُ له لا يجزعُ جَزَعَ مَنْ يَفْجَؤُهُ على غفلةٍ، وأُصيب عمر بن عبد العزيز بمصيبة فلَم يجزع لها، فقيل له فيه، فقال: أَمْرٌ كنَّا نتوقّعه فلمّا وقع لم نحزن له.

[٧٩] وقال آخر:

قال أبو العلاء: هذا يُروَى لمؤرِّج السَّدُوسي، وكان مُؤرِّجٌ يكنّى أبا فَيْدٍ، وإنما أخذ هذا الاسم من قولهم: أرَّجْتُ الشيء، إذا طيبته، وريحان أرِجٌ وأريج: أي طيب، ويقال: أرَّجْتُ الحربَ والنار، إذا سعَّرتهما، ومن ذلك قيل لرجل من بني عجل مُؤرِّج لأنه أرَّجَ الحرب؛ ويقال: إن الفَيْدَ ورق الزَّعْفرَان.

١ - رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أُرَاعُ لَهُ وَبِالمَصَائِبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي

ثاني البسيط، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

يقول: فُزِّعتُ بالفراقِ مَرَّةً بعد أخرى حتى صرت لا أرتاع له.

٢ - لَمْ يَتْرُكِ الدَّهرُ لِي عِلْقًا أَضَنُّ بِهِ إلاَّ اصْطَفَاهُ بِنَأْيٍ أَوْ بِهِجْرَانِ

أي: لم أدخرْ لِنفسي عِلْقًا نافست فيه إلاَّ زاحمني الدَّهر عليه فاستأثره إما بإيقاعِ بُعْدٍ بيننا أو إحداث هجران توسّطنا، ومثله قول الرّشيد: [الوافر]

أَرَانِي كُلَّمَا أَحْبَبْتُ شَيْئًا مِنَ الأشْيَاءِ حَلَّ بِهِ الفَنَاءُ

ومن حديثه أنه لمَّا انصرفَ الرَّشيد من جنازة ضياء جاريته دنا منه إسماعيل بن إسحٰق الأزرق المديني، وكان مُضحِكًا له، فقال له: يا سيّدي، لِمَ تجزعُ هذا الجزع؟ قال: وَيْحَكَ!! أما ترى ما ابْتُلِيتُ به؟ ما أحبّ أحدًا إلا مات، قال: يا سيّدي، فأحببني حتى أموت، قال: إن الحبّ ليس بشيء يُصْنَعُ، ولكن يقعُ وتهيّجه الأسبابُ، قال: فقلْ إني أحبّكَ، فقال: إني أحبّك، فانصرفَ وحُمَّ فمات واغتمَّ الرَّشيدُ عليه.

[٨٠] وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيّ(١):

١ - وَمَا أَنَا بِالمُسْتَنْكِرِ البَيْنِ إنَّنِي بِذِي لَطَفِ الجِيرَانِ قِدْمًا مُفَجَّعُ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

---

(١) طفيل الغنوي: من قيس عيلان، شاعر جاهلي، وهو أوصف العرب للخيل. (ت ١٣ق.هـ/ ٦١٠ م). (ترجمته في: شرح شواهد المغني ص ١٢٥؛ وسمط اللآلي ص ٢١٠؛ والشعر والشعراء ص ١٧٣).

يقال: نَكِر وأنكر واستنكر بمعنى واحد، وقوله «بذي لطف الجيران» أراد بلَطَف الجيران: أي باللَّطيف منهم، و«قِدْمًا» ظرف لِلمُفَجَّع.

٢ - جَدِيرٌ بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحِبْتُهُمْ   إذا أَنَسٌ عَزُّوا عَلَيَّ تَصَدَّعُوا

«به» أي بالبين، يشير إلى أنه يَفِدُ على الملوك فلا يخلو من صاحب له يفقده بالموت أو بالظّعن، والأَنَسُ: مَنْ تَأْنَسُ به، وتصدَّعُوا: تفرّقوا، ومنه تَصَدَّعَتِ الأرضُ بفلان، إذا تَغَيَّبَ هاربًا.

٣ - وَإِنِّيَ بِالمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي   وَلاَ ضَائِرِي فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ

هذا كقول الآخر: [الطويل]

أُقَلِّبُ عَيْنِي لاَ أَرَى مَنْ أُحِبُّهُ   وفي الدَّارِ مِمَّنْ لاَ أُحِبُّ كَثِيرُ

[٨١] وقال الراعي(١):

سُمِّيَ بذلك لكثرة شعره في الإبل، وجودة معرفته بها، فهي صفة غلبت عليه، واسمه عُبَيْد بن حُصَيْن بن جَنْدَلِ بن قَطَن بن ربيعة بن عبد اللّه بن الحارث بن نُمَيْر، وكان مِنْ جِلَّةِ قومِه.

١ - وَقَدْ قَادَنِي الجِيرَانُ حِينًا وَقُدْتُهُمْ   وَفَارَقْتُ حَتَّى ما تَحِنُّ جِمَالِيَا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

يقول: كنتُ أنقادُ لهم لإلْفِي إيّاهم، وينقادون لي لعطفي عليهم؛ فلا نفترق، ثم فارقت مَنْ أُحِبُّ مرّةً بعد أخرى وقومًا بعد قوم، فصرتُ لا أحزنُ للفراق، ونسب الحنين إلى الجمال لأنها في الحنين أقلّ صَبْرًا، وربما هامت على وجوهها، وقيل: ذكر الجمال وأراد نفسه، والجمال أيضًا إذا فارقت أعطانها فراقًا طويلاً نَسِيَتْها فلم تحنّ إليها.

٢ - رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكُّرَ إخْوَتِي   وَمَالُكَ أَنْسَانِي بِوَهْبِينَ مَالِيَا

أي: شغلني رجاؤكَ عن تَذَكُّر إخوتي، ومالك أنساني مالي، قال أبو هلال: وهذا كما قال: [الوافر]

هَرَاقَ المَاءَ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا

ووَهْبِينُ(٢): اسم موضع، كأنّه جمع وَهْب، فإنْ شِئتَ قلت هذه وهبينٌ ورأيت وهبين،

(١) عبيد بن حصين الراعي: شاعر من فحول المحدثين، عاصر جريرًا والفرزدق. (ت ٩٠ هـ/ ٧٠٩ م). (ترجمته في: شرح الشواهد ص ١١٦؛ وسمط اللآلي ص ٥٠؛ والتبريزي ١/ ١٤٦).

(٢) وهبين: جبل من جبال الدهناء، معجم البلدان ٥/ ٣٨٥.

ومررتُ بوهبين، فأجريتها مجرى الزيدين وإن شئت قلت: هذه وهبينُ، ورأيت وهبينَ، ومررت بوَهْبينَ، فأجريتها مجرى ما لا ينصرف.

[٨٢] وقال آخر[١]:

١ - وَإِنَّـا لَـتُـصْـبِـحُ أَسْـيَـافُـنَـا إِذَا مَـا اصْـطَـبَـحْـنَـا بِـيَـوْمٍ سَـفُـوكِ

من المتقارب الأول، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «تُصْبَحُ» بفتح الباء على ما لَم يُسَمَّ فاعله فيكون المعنى إنّا لَنَسْقِي أسيافَنا الصَّبُوحَ بيوم سَفوكٍ إذا ما اصْطَبَحْنَ، ومَنْ روى «تُصْبِحُ» بكسر الباء فخبر تصبح في البيت الثاني وهو:

٢ - مَـنَـابِـرهُـنَّ بُـطُـونُ الأَكُـفِّ وَأَغْـمَـادُهُـنَّ رُؤُوسُ الـمُـلُـوكِ

والمعنى: إنَّا لَتَصِيرُ أسيافنا إذا شَرِبَتِ الصَّبوح في يوم سَفُوكٍ لِلدِّماء بهذه الحالة، ونسبةُ السَّفْكِ إلى اليوم مجاز، وإنما نسبَ إليه لَمَّا كان يقَع فيه، فهو كقولهم: نهاره صائم، والمنابر: مواضع النَّبْرِ وهو الصّوت، لأنها نصبت للمواعظ والخطب، وأراد أنها تُنْتَضى فتخطبَ واعظة للأعداءِ زاجرةً لهم.

[٨٣] وقال آخر[٢]:

١ - لاَ يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ العَيْشِ في دَعَةٍ نُـزُوعُ نَـفْـسٍ إِلَـى أَهْـلٍ وَأَوْطَـانِ

٢ - تَـلْـقَـى بِكُـلِّ بِـلاَدٍ إِنْ حَـلَـلْـتَ بِـهَـا أَهْـلاً بِـأَهْـلٍ وَجِـيـرَانًـا بِـجِـيـرَانِ

الثاني من البسيط، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «نِزَاعُ نفسٍ» وهو أجود؛ لأن النزوع اشتهاره في الكَفِّ عن الشَّيء، والنزاع في الشَّوق، وإن كان جائزًا وقوع أحدهما موقع الآخر في الشّوق، ويقال: ناقة نازع ونَزُوع، وقد أنْزَعُوا إذا حَنَّتْ إبلهم، والنَّزْعُ: الجَذْبُ، ويقال: خرج نازع يَدٍ، إذا خرج عن الطَّاعة، وقوله «تلقى بكلّ بلاد» تسلية النفس عن الأهل، وإنما ضمن أبو تمام هذه الأبيات باب الحماسة لأنّها صادرة عن قسوة شديدة وقلّة فكر في التحوُّلِ عن الإلفِ، ولأنَّ تَرْكَ الوطنِ والإخلال بالعشيرة ربّما أدّى إلى القتل وتلف النفس؛ فالصَّبر عليه كالصبر على القتل، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ

---

(١) الأبيات في ديوان المعاني ٢/ ٤٠٠ وقد نسبها للحمّاني.

(٢) ذُكِرَ في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «أنه لإبراهيم بن العباس الصولي». والأبيات في الحماسة البصرية ٢/ ٢٢٠.

أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ﴾[1] ويُرْوَى «تلقى بكلّ بلاد أنت ساكنها» وقال أبو سَرْج: سمعني أبو دُلَف أنشد «لا يمنعنَّك خفضَ العيش في دَعَة» البيتين، فقال: هذا أَلأَمُ ما قالته العرب، وإنما جعله ألأم ما قِيلَ لأنه يدلُّ على قلّة رعاية، وشدّة قساوة، وحنينُ الرّجلِ إلى وطنه مَنْقَبَةٌ له، لما فيه من الدّلالة على كَرَمِ الطّينةِ وتمامِ العقلِ وكذلك حنينه إلى أليفه وصديقه. وقالت الحكماء: حَنِينُ الرَّجُلِ إلى وَطَنِهِ من علامات الرّشدة، وقال بُزُرْجَمِهْرُ: من علامات العاقل برّهُ بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومُداراته لأهل زمانه. وقال أعرابيّ: لا تَشْكُ بلدًا فيه قبائلك، ولا تجفُ أرضًا فيها قوابلك، وقالت العرب: أَكْرَمُ الخَيْلِ أَشَدُّها جَزَعًا مِنَ السَّوطِ، وأَكْيَسُ الصّبيان أشدُّهم بغضًا للمكتبِ، وأكرمُ الصَّفايا أشدّها حنينًا إلى أوطانها، وأكرم المهارة أشدُّها ملازمةً لأمهاتها، وأكرمُ النّاسِ آلَفُهُمْ لِلنَّاسِ. وقيل: كان خالد بن عبد الله القَسْرِيّ يُطْعِمُ الأعرابَ في حطمة أصابتهم، في كلّ يوم يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزًا وسويقًا وتمرًا، فقيل لأعرابي: لو أتيتَ خالدًا فإنه يطعمُ الأعراب، فقال: [الطويل]

يَقُولُ ابْنُ حَجَّاجٍ تَجَهَّزْ ولاَ تَمُتْ ... هُـزَالاً بِـحَـرَّانَ تَـعَـاوَى كِـلاَبُـهَـا
فَـقَـدْ أَخْـبَـرَ الـرُّكْـبَـانُ أَنَّ جـذيـذَةً ... تُبَاحُ وَرُغْفَانًا شِبَاعًا رِغَابُهَا[2]
وَمَـاء فُـرَاتٍ مَـا اشْـتَـهَـيْـتَ وَقِـربَـة ... يَدِبُّ دَبِيبَ النَّمْلِ فِيكَ شَرَابُهَا
فَـأُقْـسِـمُ لا أَبْـتَـاعُ رُغْـفَـانَ خَـالِـدٍ ... بِـأَرْوَاحِ نَـجْـدٍ مَـا أَقَـامَ تُـرَابُـهَـا
إِذَا نَـأَجَـتْ بِـالـعَـرْمَـتَـيْـنِ وَصَـارَةٍ ... رِيَاحُ الخُزَامَى حينَ تَنْدَى رِحَابُهَا

[٨٤] وقال بعضُ بني أسد:

قيل: هي لعبد العزيز بن زُرَارة[3].

١ - إلاَّ أَكُـنْ مِـمَّـنْ عَـلِـمْـتِ فَـإِنَّـنِـي ... إِلَـى نَـسَـبٍ مِـمَّـنْ جَـهِـلْـتِ كـريـمِ

الثالث من الطويل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

يقول: إلاَّ أَكُنْ مِمّن عرفتهم بالشّرف فإني أنتمي إلى نَسَبٍ كريم ممّن جهلتهم، كأنه يريد ليس الاعتبار بما تعدّينه أو تعرفينه نسبًا، لكن الاعتبار بحصول الكرم على أيّ وجهٍ كان، وقوله «إلى نسبٍ» يتعلّق بفعل مضمر، كأنه قال: فإنني أنتمي إلى نسب.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٦.

(٢) الجذيذة: نوع من الطعام يُصنَع من السويق الغليظ.

(٣) عبد العزيز بن زُرارة الكلابيّ: قائد من الشجعان المقدّمين في زمن معاوية، كان فيمن غزا القسطنطينية وأبلى في قتال الروم بلاءً عجيبًا (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) ترجمته في (الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٩).

٢ - وَإلاَّ أكُــنْ كُــلَّ الــجَــوَادِ فَــإنَّــنِــي عـلـى الزَّادِ في الظَّـلْـمَـاءِ غَـيْـرُ شَـتِـيـمِ

يقول: إنْ لم أكُنِ النهاية في الجود فإنني لا أشتم بسبب الزّاد في الليلة المظلمة، ويقال: زيد الشّجاع كلّ الشجاع أي الكامل في معناه، وتعلّق «على» من قوله «على الزاد» بشتيم وإن كان مضافًا إليه؛ لأنه أُجْرِيَ «غير» مجرى لا، لأنها للنفي، فحمل الكلام على المعنى، كأنه قال: إنني على الزاد لا أشتم، وقيل: معناه إن لم أكنْ متناهيًا في السخاء فإني طَلْق الوجه بَسَّام عند القِرَى لا أعبسُ فيقبحَ وجهي، وقال أبو العلاء: يقعُ في النسخ أن الشتيم القبيح الوجه، وهو كذلك، إلا أن هذا الموضع ليس مِمَّا يُذْكَرُ فيه القُبْح، وإنما يريد: إني لا أشتمُ على الزّاد لأنني أُوَفِّره على صاحبي أو ضيفي فينصرف وهو لي حامد لا يذمّني بالبخل أو كثرة الأكل، قال الآخر: [الكامل]

الـفَـقْـرُ خَـيْـرٌ مِـنْ مَـبِـيـتٍ بِـتُّـهُ بِـجَنُـوبِ نَـخْـلَـةَ عِـنْـدَ آلِ مُـعَـارِك
جَـاؤُوا بِقُرْصٍ مِنْ شَعِيرٍ مُخْرَقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ غُلاَمِهِمْ ذِي الحَارِكِ[1]
بـرك عَـلَـى جَـنْـبِ الـخِـوَانِ مُـعَـاوِدٍ أَكْـلَ الـطَّـعَـامِ بِـلُـقْـمَـةِ الـمُـتَـدَارِكِ

وليس شتيم في البيت إلاَّ في معنى مشتوم، وإنما قالوا لقبيح الوجه شتيم لأنه يُشْتَمُ فيقال: لعنه اللّه ما أقبحَ وجهه، أو قَبَّحَهُ اللّهُ، أو نحو ذلك، ولا يمتنع أن يحمل شتيم في البيت على قبح الوجه، كما يقال: قد ٱبْيَضَّ وجهُ فلان، وقد بَيَّضَ وَجْهَهُ، إذا فعل فِعلاً يُحْمَدُ عليه، وقد ٱسْوَدَّ وجهُه، إذا فعل فعلاً يُذَمُّ عليه.

٣ - وَإلاَّ أكُــنْ كُــلَّ الــشُّــجَــاعِ فَــإنَّــنِــي بِـضَـرْبِ الـطُّـلاَ وَالـهَـامِ حَـقُّ عَـلِـيـمِ

الباء من قوله «بضربِ الطُّلاَ» يتعلق بقوله «عليم» فإن قِيلَ: كيف ساغَ ذلك والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله؟ قلت: لمّا كان قوله «حق عليم» لا زيادة فيه إلا التوكيد لم يُعْتَدَّ بالمضاف، فحمل الكلام على المعنى لا على اللّفظ، فكأنه قال: إنني بضربِ الطُّلاَ عَليمٌ جِدًّا، ويجري هذا المجرى إجازتهم لقول القائل أنتَ زَيْدًا غَيْرُ ضاربٍ، مع امتناعهم من إجازة أنتَ زيدًا مثلُ ضاربٍ، لمّا كان معنى غير معنى «لا» فحمل الكلام على المعنى لا على اللفظ، حتى كأنه قال: أنت زيدًا ضارب، والطُّلا: الأعناق، وقيل: أعراض الأعناق، الواحدة طلية وطلاوة، ومنه سُمِّيَ الطَّلِيّ طليًا للبهمة ولد الشّاة لأنه يُرْبَق في عنقه الربق، وهو أيضًا الطّلاء.

---

(١) البيتان الأول والثاني بلا نسبة في تاج العروس (جلف) والبيت الثاني:
جـاؤوا بِـجِـلْـفٍ مـن شـعـيـرٍ يـابـسٍ بـيـنـي وبـيـن غـلامِـهِـمْ ذِي الـحَـارِكِ
والجِلْفُ: الغليظُ اليابسُ من الخبزِ، أو هو الخبز غير المأدوم.

[٨٥] وقال عَمْرو بن شَأْسٍ(١):

هذه صفة منقولة، وذلك أن الشَّأس والشَّأز جميعًا المكان النابىء الغليظ، ومكان شئز مثله، وهو شأس بن أبي بُلَيّ، واسمه عبيد بن ثعلبة بن رُوَيْبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن دُودَانِ بن أسد بن خزيمة، وهو مخضرم، أدرك الإسلام وهو شيخٌ كبير، وكانت له امرأة من قومه وابنٌ من أَمَةٍ سوداءَ يقال له عِرَار، فكانت تعيّره إياه وتؤذيه ويؤذيها، فأنكر عمرو عليها أذاها له فقال:

١ ـ أَرَادَتْ عِـرَارًا بِـالـهَـوَانِ، وَمَـنْ يُـرِدْ عِـرَارًا لَـعَـمْـرِي بِـالـهَـوَانِ فَـقَـدْ ظَـلَـمْ

الثاني من الطويل، مقيد مجرّد، والقافية متدارك.

سُمِّيَ الرجل «عِرَارًا» من قولهم: عَارَّ الظَّلِيمُ يعارّ عرار، إذا صاح، يقول: أرادت امرأتي إهانة عِرَار، ومَنْ يطلب ذلك في مثله فقد وضع الشيء في غير موضعه.

٢ ـ فَإِنْ كُـنْـتِ مِـنِّي أَوْ تُـرِيـدِيـنَ صُـحْـبَـتِـي فَـكُـونِي لَـهُ كَـالـسَّـمْـنِ رُبَّـتْ لَـهُ الأَدَمْ

نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب، يقول: فإن كنتِ توافقينني ـ من قولهم «فلان منّا» أي: يوافقنا ـ فكوني له كالسَّمْن: أي كالسّمن الذي لا يتغيّر لأن الأديم يُعَالَج بِربِّ التمرِ لِئَلاً يفسد السمن، وسقَاءٌ مَرْبُوب: مُصْلَح، والأَدَم: جمع أديم، وله نظائر قليلة، وهي إهَابٌ وأَهَبٌ وأَفِيقٌ وأَفَقٌ: أي أديم، وعمود وعَمَد وقَضِيم وقَضَم، يعني الصحيفة البيضاء.

٣ ـ وَإِنْ كُـنْـتِ تَـهْـوَيْـنَ الـفِـرَاقَ ظَـعِـيـنَـتِـي فَـكُـونـي لَـهُ كَـالـذِّئْـبِ ضَـاعَـتْ لَـهُ الـغَـنَـمْ

يقول: وإن كنت تُؤْثِرينَ مفارقتي فأسيئي عشرته وكوني له كالذّئب ضاعت له الغنم من أجل وقوعه فيها، ويجوز أن يريد بقوله «ضاعت له الغنم» فاتته الغنم بعد أن أمكنته، والسبع إذا شارفت فريسته ثم فاتته كان ذلك مهيجًا له وداعيًا إلى الفساد فيما يمكنه، وهذا تهدُّدٌ منه لها، وليس هو على حقيقة الأمر.

٤ ـ وَإِلاَّ فَـسِـيـرِي مِـثْـلَ مَـا سَـارَ رَاكِـبٌ تَـجَـشَّـمَ خِـمْـسًـا لَـيْـسَ فِـي سَـيْـرِهِ أَمَـمْ

أي: وإلاَّ فارقيني، وليكنْ سَيْرُكِ سَيْرَ راكبٍ تكلّف ورود الماء لِلخِمْس(٢)، و«تجشّم» من صفة راكب، وَالأَمَم: القرب والقصد، وأراد أنه على غير قصد فيكون أشقى له، ويُرْوَى «ليس في سيره يتم» واليتم: الغفلة، ومنه قيل اليتيم لأنه مغفول عنه.

---

(١) عَمْرو بن شأس: شاعر جاهلي مخضرم أدرك الإسلام وأسلم، شهد القادسية. (ت ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م). (ترجمته في: الإصابة ص ٥٨٦٨؛ والاستيعاب ٢/ ٥١٩؛ وسمط اللآلي ص ٧٥٠).

(٢) الخِمس: من أظماء الإبل: أن ترعى ثلاثة أيام وتردّ الرابع، سوى اليوم الذي شربت فيه فيكون شرب اليوم الخامس.

٥ ـ وَإِنَّ عِـرَارًا إِنْ يَـكُـنْ ذَا شَـكِـيـمَـةٍ تُـقَاسِـينَهَا مِنْهُ فَمَا أَمْلِكُ الشِّيَمْ

الشَّكيمة هٰهنا: شدّة النفس وشراسة الخلق، يقال: فلانٌ شديد الشَّكيمة، إذا كان شديد النفس، وقيل: إذا كان شديد اللّسان ذا بَيَان شديد العارضة، ومنه شكيمة اللّجام: الحديدة المعترضة في الفم؛ والشّيمة: الخليقة، يقول: لا أقدرُ على تغيير خلقه، وهذا كأنه جواب لاعتذارها من قلّة الملاءمة بينهما، فإمّا أن تلائميه على ما تقاسينه من شراسته وإمّا أن تفارقيني فإنه أحبُّ إليَّ منكِ.

٦ ـ وَإِنَّ عِـرَارًا إِنْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ وَاضِـحٍ فَإِنِّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذَا المَنْكِبِ العَمَمْ

الجَوْن: الأسود، والعَمَمُ: التام، وكان عِرار هذا أحد فصحاء العقلاء، وتوجّه عن المهلّب بن أبي صفرة إلى الحجّاج رسولاً في بعض فتوحه، فلمّا مَثُلَ بين يَدَي الحجاج لم يَعْرِفْه وازْدَرَاهُ، فلما استنطَقَهُ أبانَ وأعربَ ما شاءَ، وبلغ الغاية والمراد في كلّ ما سأل، فأنشد الحجّاج متمثّلاً:

أَرَادَتْ عِـرَارًا بِـالـهَـوَانِ وَمَـنْ يُـرِدْ عِرَارًا لَعَمْرِي بِالهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمْ

فقال عرار: أنا أيّدَ اللّه الأمير عرار، فأُعْجِبَ به وبذلك الاتفاق، وفي هذه الطريقة قول المأمون لإبراهيم بن المهدي: [الخفيف]

إِنْ يَكُـنْ لِـلسَّـوَادِ فِـيـكَ نَـصِـيبٌ فَبَيَاضُ الأَخْلاَقِ مِنْكَ نَصِيبِي

وأنكر أبو محمد الأعرابي قول النمريّ «الأَمَم القصد» يقول الرّجل للرّجل: لو ظلمتني ظلمًا أَمَمًا: أي قصدًا، فقال: هذا موضع المثل «أَوْدَى العَيْرُ إلا ضَرْطَهْ» والصّواب «تجشّم خمسًا ليس في سيره يتم» يقال: ما في سيره يتم وأتم: أي إبطاء، وهذه الرواية حسنة، والأولى لا تحيل معنى، فاجتهد عمرو بن شأس أن يصلحَ بين امرأته وابنه فلم يمكنه ذلك فطلّقها ثم ندمَ فقال: [الطويل]

تَـذَكَّرَ ذِكْـرَى أُمِّ حَـسَّـانَ فَـاقْـشَـعَرْ عَـلَـى دُبُـرٍ لَـمَّـا تَـبَـيَّـنَ مَـا ائْـتَـمَـرْ
حِـفَـاظًـا وَلَـمْ تَـنْـزِعْ هَـوَايَ أَثِـيـمَـةٌ كَـذَلِـكَ سَـاءَ الـمَـرْءِ يَـخْـلِـجُـهُ الـقَـدَرْ
فَـآلَـيْـتُ لا أَشْـرِي زُبَـيْـبًـا بِـغَـيْـرِهِ لِـكُـلِّ أُنَـاسٍ فِـي بَـعِـيـرِهِـمُ خَـبَـرْ

الزّبيب: تصغير الأزبّ مرخّمًا، والأَزَبُّ: الكثير شعر الوجه والجسد من الإبل، وفي المثل «كلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ»[١].

(١) المثل في: تمثال الأمثال ص ٥١٥؛ والمستقصى ٢/ ٢٢٣؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٠٦؛ والدّرة الفاخرة ٢/ ٢٩٨؛ واللسان (ز ب ب).

[٨٦] وقال آخر، وهو إسحٰق بن خلف[(١)]:

١ - لَـوْلا أُمَـيْـمَـةُ لَـمْ أَجْزَعْ مِـنَ الـعَـدَمِ وَلَـمْ أُقَاسِ الدُّجَى في حِنْدِسِ الظُّلَـمِ

الضرب الأول من البسيط، مطلق مجرّد موصول، والقافية متراكب ويُرْوَى:

ولم أجُبْ في اللَّيالي حندسَ الظّلم

والمبتدأ بعد لولا يحذف خبره أبدًا، ويستغني بجواب لولا عنه، والتقدير لولا أُميمة مانعة لم أجزع، يقول: لولا ابنتي أُميمة لم أخف الفقر ولم أرحل في طلب المال، وَالحِنْدِس: شدّة الظلمة، وقد اشتقَّ منه الفعل فقيل: حَنْدَسَ اللَّيْلُ وهو مُحَنْدِسٌ، ومعنى «لم أجُبْ» لم أقطع وقاطع المواضع المظلمة كأنه قاطع للظّلمة، وإضافة الحِندس إلى الظّلم كإضافة البعض إلى الكلّ: أي في الشّديد من الظّلم، ويقال: تَحَنْدَسَ الرَّجلُ، إذا ضعفَ وسقطَ.

٢ - وَزَادَنِي رَغْبَةً في الـعَـيْـشِ مَـعْـرِفَـتِي ذُلَّ الـيَـتِـيـمَـةِ يَـجْـفُـوهـا ذَوُو الـرَّحِـمِ

موضع «يجفوها ذوو الرحم» من الإعراب نصب على الحال لليتيمة، والتقدير زادني معرفتي بِذُلِّ اليتيمة إذا جفاها ذووها رغبةً في العيش.

٣ - أُحَـاذِرُ الـفَـقْـرَ يَـوْمًـا أَنْ يُـلِـمَّ بِـهَـا فَيَهْتِكَ السِّتْرَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ

موضع «أن يلمّ بها» نصب على البدل من الفقر، والمعنى أُحاذر إلمام الفقر بها فيكشف السّترَ عَمَّنْ لا دفاعَ به، والعرب تقول: النّساءُ لَحْمٌ على وَضَم إلا ما ذُبَّ عنه، وموضع الوَضَم مِيضَمة، والجمع المواضم.

٤ - تَـهْـوَى حَـيَـاتِـي وَأَهْـوَى مَـوْتَـهَـا شَـفَـقًـا وَالـمَـوْتُ أَكْـرَمُ نَـزَّالٍ عَـلَـى الـحُـرَمِ

هذا كما قيل: نِعْمَ الخَتَنُ القَبْرُ، ودَفْنُ البناتِ من المَكْرُمَاتِ؛ وانتصب «شفقًا» على أنه مفعول له.

٥ - أَخْـشَـى فَـظَـاظَـةَ عَـمٍّ أَوْ جَـفَـاءَ أَخٍ وَكُنْتُ أُبْقِي عَلَيْهَا مِنْ أَذَى الكَلِمِ

هذا تفسير قوله «أهوى موتها شفقًا» يقول: أشفق من مغالظة عَمٍّ لها أو جفوة أَخ تَلْحَقُها، والكَلِمُ: جمع كلمة، ومعنى أذى الكَلِم: الأذى الذي يلحق من الكَلِم: أي مَا كنت أُسْمِعُها كلمة تؤذيها فضلاً عن الغلظة والجفاء.

---

(١) إسحٰق بن خلف، المعروف بابن الطبيب، كان في منشأه من أهل الفتوّة. (ت ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م). (وترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٠؛ والأعلام ١/ ٢٨٦).

[٨٧] **وقال آخرُ، وهو حِطَّان بن المُعَلَّى**[١]:

قال أبو العلاء: حِطَّانُ فِعْلاَن من الحطّ، ولا ينبغي أن يحمل على غير ذلك؛ لأن الحطن لم يستعملوه، وحططت ضد رفعت، وكلّ كلمة تُشْتَقُّ من هذا اللفظ فهي راجعة إلى ذلك الأصل، يقال: حَطّ البعير إذا اعتمد في زمامه كأنه يحطُّ رأسه، والناقة حطوط، ويقال للذي يحطّ به الأديم ـ أي يرسم ـ مِحَطّ لأنه يحطّ عليه: أي يوضع، ثم قالوا للمرأة: مَحْطُوطة الكشح، ومحطوطة المتن، فإذا قالوا محطوطة المتن فإنما يُرَادُ أنَّ مَتْنَها كأنه قد ملس بالمحطّ، وإذا قيلَ محطوطة الكشحين احتمل هذا الوجه، والأجود أن يتأوَّلَ أنَّ رَوَادِفَها ارتفعت وأن كشحها حطّ لضمره، وقد يجوز مثل هذا في المتن، قال القطامي: [البسيط]

بَيْضَاءُ مَحْطُوطَةُ المَتْنَيْنِ بَهكَنَةٌ   رَيَّـا الـرَّوادِفِ لَـمْ تُـمْغِـلْ بِـأَوْلاَدِ[٢]

١ ـ أَنْـزَلَـنِـي الـدَّهْـرُ عَـلَـى حُـكْـمِـهِ   مِـنْ شـامِـخٍ عَـالٍ إِلَـى خَـفْـضِ

الضّرب الثالث من السريع، مطلق مجرد موصول، والقافية متواتر.

الشَّامِخُ: العالي، والخَفْضُ: ضِدّ الرَّفع، وهو مصدر وُضِعَ موضع المفعول، يريد إلى مكان مخفوض، يقول: إني كنت قويًّا فصيَّرني الدهر إلى الضعف.

٢ ـ وَغَـالَـنِـي الـدَّهْـرُ بِـوَفْـرِ الـغِـنَـى   فَـلَـيْـسَ لِـي مَـالٌ سِـوَى عِـرْضِـي

غالني: أهلكني، وعالني بالعين غير معجمة: غلبني، وموضع «سوى» نصب على أنه استثناء خارج، وهذا الاستثناء يتأكّد به انتفاء الغِنى، ومثله: [الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهُمْ   بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[٣]

ويجوز أن يكون المعنى ليس لي غِنًى سوى غِنَى نفسي فحذف المضاف، يقول: غلبني الدّهر على كثرة المال، فلم يَبْقَ لي مال سوى نفسي، هذا إذا جعلت العِرض النفس، يقال: صُنْتُ عنك عِرضي: أي نفسي، وقوله «بوفر الغنى» أي: بسبب وفر الغنى، فحذف المضاف، وتتعلَّق الباء منه بقوله «غالني»، والوَفْرُ: كثرة المال، وأضافه إلى الغنى لأن المراد المال الذي يحصل به الغنى، ويجوز أن يكون موضع «بوفر الغنى» نصبًا على الحال للدهر، كما تقول: فاتني فلان بكذا، والمعنى فاتني مستحبًّا له، ومثله جاءني في

---

(١) حطان بن المُعلَّى: شاعر إسلامي. (ترجمته في: سمط اللآلي ٨٠٣).

(٢) البيت في ديوانه ص ٧٩؛ ولسان العرب (حطط) و(مغل)؛ وتاج العروس (حطط)؛ ومعاهد التنصيص ٢/١٤٨؛ وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢/ ١٤.

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٤٤؛ والأزهيّة ص ١٨٠؛ وإصلاح المنطق ص ٢٤؛ وخزانة الأدب ٣/ ٣٢٧؛ وبلا نسبة في لسان العرب (قرع) و(فلل).

أطمار: أي لابسًا لها، ويجوز أن يكون حمل الكلام على المعنى فعَدّى غالني تعدية فجعني لأنه في معناه؛ فكأنه قال: فجعني بِوَفْرِ الغِنى وأصابني.

٣ - أَبْكَانِيَ الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي

قوله «بما يرضي» يدلُّ على أنه أضمر مع قوله «أبكاني الدهر» شيئًا يكون في مقابلته، وحذف لأن المراد مفهوم، والمعنى أبكاني الدّهر بما يسخط، وقوله «يا ربما» المنادى فيه محذوف، كأنه قال: يا قوم ربّما، وهذا النداء على وجه التحسّر والتوجّع من معاملة الدّهر وسوء تنقّله، وقوله «ربما» ما هذه دخلت كافّةً لِرُبَّ عن العمل، ومخرجةً لها إلى أن تصير مشتركة، حتى جاز وقوع «أضحكني» بعده، ومثله قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١) ومعنى البيت أبكانيَ الدّهرُ بما أسخطني، ويا قوم ربما أضحكني الدهر فيما مضى بما أرضاني، ومثله قول الآخر: [الطويل]

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

٤ - لَوْلاَ بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضِ

بُنَيَّاتٌ: في موضع المبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه محدودًا بما اتّصلَ به من الصفات، وجواب لولا «لكان لي مضطربٌ» في البيت الذي يليه، واستغنى به عن خبر المبتدأ، والتقدير: لولا بنياتٌ صفاتهنّ هذه مانعةٌ لَفَعَلْتُ، ومعنى البيت لولا بنيات لي صغيرات كفراخ القطا التي عليها الزّغب - وهو الشعر اللّيِّن لِصِغرِهِنَّ - اجتمعن لي في مدّة يسيرة فمن ثانية بعد أولى وواحدة إلى جنب أخرى لكان لي كذا وكذا، ومثله: [الطويل]

تَجَمَّعْنَ مِنْ شَتَّى ثَلاثًا وَأَرْبَعًا وَوَاحِدَةً حَتَّى اجْتَمَعْنَ ثَمَانِيَا

أي: جِئْنَ متواليات، ويُرْوَى «رَدَدْنَ من بعضي إلى بعضي» بفتح الراء من رَدَدْنَ، وأضافه إلى بعضي، والمعنى: قَوَّسْنَني وَحَنَيْنَ من ظهري، ويجوز في الرواية الأولى أن يكون المعنى أن هذه البنات زُوِّجْنَ فرددنَ مع بنات لهنَّ صغار، يقال: ابنتك مردودة: أي مُطَلَّقة، وإلى في معنى مع، يقال: هذا إلى ذاك: أي معه، ويكون «من بعض إلى بعض» في موضع الحال: أي رددن مع غيرِهِنَّ، ويجوز أن يُرْوَى «رُدِدْنَ» على ما لم يسمّ فاعله، و«من بعضي إلى بعضي» مُضَافَيْن، والمعنى كُنَّ في صلبي فلمّا ولدتهنّ صرنَ في كَبِدي، فهي تحترق عليهنّ لِفَرْطِ شفقتي، ويُرْوَى «جمعن من بعضٍ إلى بعضٍ» أبو هلال: قوله «رددن من بعض إلى بعض» كلام ليس تحته كبير معنى، ولعله يريد أنهنّ من أُمّهات شتّى فرددن من هذه إلى هذه فلم يعبّر عن ذلك تعبيرًا صحيحًا.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢.

٥ ـ لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالعَرْضِ

المُضْطَرب: يكون الاضطراب، ويكون موضع الاضطراب، يقول: لولا خوفي من ضياعِهِنَّ لَكَانَ لي مجال واسع في الأرض، وإنما لزمت مكاني بسببهنَّ.

٦ ـ وَإِنَّمَا أَوْلاَدُنَا بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ

«تمشي على الأرض» في موضع الحال للأولاد، و«بيننا» ظرف لتمشي، والتقدير: أولادُنا وهي ماشيةٌ على الأرض بيننا أكبادنا، وقوله «إنّما» تدخل لتحقيق الشيء على وجه مع نفي غيره عنه.

٧ ـ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ على بَعْضِهِمْ لامْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الغُمْضِ

[٨٨] وقال حَيَّان بن ربيعة الطائي:

حَيَّان: فَعْلاَن من الحَياة، ويجوز أن يكون فَعْلاَن من حَيِيتُ، وأصله على هذا حَوْيَان كَطيَّان الذي أصله طَوْيَان، ويجوز أن يكون فَعَّالاً من الحين، وفَوْعَالاً وفَيْعَالاً أيضًا منه، والوجه أن تكون نونه زائدة لترك صرفه، قال أبو هلال: هكذا قال أبو تمام، ونحن نقول: هو حيّان بن عُلَيْق بن ربيعة الطائي أخو بني أَخْزَمَ ثم أحد بني عَدِيّ بن أَخْزَمَ بن أبي أخزم ابن عمرو بن ثُعَل، وفي نسخة أبي أحمد «جَبَّار بن ربيعة»، وهو غلط، وليس فيهم جَبَّار بن ربيعة، إنما هو جبار بن جزء بن ضرار ابن أخي الشماخ بن ضرار، وجبار بن مالك بن حمار الشَّمْخي من فزارة، وجبار بن عمرو بن عُمَيْرة الطائي، ويُعرَف بالأسد الرَّهِيص، وأما جَبَّار بن ربيعة فليس بمعروف ولا مذكور.

١ ـ لَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي ذَوُو جِدٍّ إِذَا لُبِسَ الحَدِيدُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

يقول: شهدت القبائل أن قومي يجدّون في الحروب إذا لبسَ أهلها السلاح، ويُبْلون فيها، ويُرْوَى «ذوو حَدٍّ» والحدّ: السلاح، و«إذا لبس الحديد» ظرف لقوله «ذوو جِدّ» كأنه قال: إنهم يجتهدون في ذلك الوقت و«أنَّ قومي» مع ما بعده سَدَّ مسدَّ مفعولي علم. ثم قال:

٢ ـ وَأَنَّا نِعْمَ أَحْلاسُ القَوَافِي إِذَا اسْتَعَرَ التَّنَافُرُ وَالنَّشِيدُ

أي: ويشهدون أيضًا أنّا نِعْمَ أصحاب القوافي عند التفاخر والتناشد، والحِلْسُ: أصله البرذعة وما يلي الظّهر تحت الرَّحْل، ثم يُستعمَلُ على طريق التشبيه على وجهين: يقال في الذّمّ: فلانٌ كالحِلْسِ المُلْقَى، فيمن لا غناءَ عنده ولا كفاية إذا حَزَبَهُ أمرٌ، ويقال فيمن لزم ظهور الخيل: هم أَحْلاَسُها، وهذا إذا مُدِحُوا بالفروسية، ثم قالوا: هذا من أحلاسِ فلانٍ: أي ليس من آلاته، قال المرزوقي: وقد مَرَّ بي أيضًا أنه يقال للكفل الذي ليس بفارس: هو

كالحِلْس، وأحلاس البيت: ما يلقى تحت حُرِّ متاعه، وفي خبر «الفقير مَن لا تشبع نفسه، وإن كان من ذَهَبٍ حِلْسُهُ» يقول: نحن شعراء نقوم بالقوافي حقّ القيام، ويجوز أن يكون معناه إنّا موضع للمدح لا يفارقنا لحُسْن أفعالنا، واستعر: التهب، والتنافر: التفاخر، والاستعار هٰهنا: الكثرة.

٣ ـ وَأَنّـا نَـضْـرِبُ الـمَـلْـحَـاءَ حَـتَّـى ... تُـوَلِّـي وَالـسُّـيُـوفُ لَـنَـا شُـهُـودُ

أي: وشَهِدُوا أيضًا أنّا نضاربُ الكتيبةَ البيضاء لكثرة سلاحها فنغلبهم حتى تولّي منهزمةً وسيوفنا لها حاضرة، والملحاء: من الملحة، وهو البياض يخالطه سواد، يعني لون الحديد في الكتيبة، ويُروَى «نَضْرُبُ المُلحاء» بضمّ الراء يقال: ضاربته فَضَرَبْتُهُ أَضْرُبُهُ: أي غلبته في الضِّرَابِ، والسيوف لنا شهود لأنّا قد فَلَلْنَاهَا بالقراعِ.

[٨٩] وقال الأعْرَجُ المَعْنِيُّ[١]:

مَعْن طَيِّىء، وقيل: الصَّحيح أنها لعمرو بن يثربي:

١ ـ أَنَـا أَبُـو بَـرْزَةَ إِذْ جَـدَّ الـوَهَـلْ
٢ ـ خُـلِـقْـتُ غَـيْـرَ زُمَّـلٍ وَلاَ وَكَـلْ

من مشطور الرجز، مقيد مجرّد، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «أنا أبو بردة» والوَهَل: الفَزَع، وَهِلَ الرَّجلُ يَوْهَل وَهَلاً، وهو وَهِل، والزُّمَّل: الضعيف، سُمِّيَ بذلك لأنه يتزمَّلُ بثيابه وينام، وهو زُمَّلٌ وَزُمَّيْلٌ وَزمَّيْلَة وزُمَّال، والوَكَل: الذي يَتَّكِلُ على غيره في الأمور، يقال: رجلٌ وَكَلٌ ووُكَلَة وَتُكَلَة، يقول: أنا الذي لشهرته تُغني كنيته عن صفاته، فإن قيل: ما العامل في قوله «إِذْ جَدَّ الوَهَلْ»؟ قلت: ما دَلَّ عليه قوله «أنا أبو برزة» من المعنى الذي بيّنته هو العامل، ومثله: [الرجز]

أَنَـا أَبُـو الـنَّـجْـمِ وَشِـعْـرِي شِـعْـرِي

٣ ـ ذَا قُـوَّةٍ وَذَا شَـبَـابٍ مُـقْـتَـبَـلْ
٤ ـ لاَ جَـزَعَ الـيَـوْمَ عَـلَـى قُـرْبِ الأَجَـلْ

قوله «مقتبل» يقول: خلقت مقتبل الشباب لم تبلني السّنون ولم يضعفني ما مَسَّني من النوائب والهموم، فإن قيل: ما الزيادة في قوله «ذا قوّة» على قوله «غير زمل»؟ قلت: يجوز أن يكون ذا قوة مصروفًا إلى الرأي، وغير زمل مصروفًا إلى البنية، ويجوز أن

---

(١) الأعرج المَعْنِيّ: هو عدي بن عمرو بن سويد بن ريان الأعرج الطائي المعني، وقيل اسمه سويد بن عدي وهو شاعر مخضرم. (معجم المرزباني ٢٥١).

يكون المراد بذا قوة الجَلادَة، لأنه ليس مَنْ كان غيرَ ضعيف كان جَلْدًا، وقوله «لا جزعَ اليوم» اليوم ظرف لقرب الأجل، و«على قرب الأجل» خبر لـ «لا»، ويجوز أن يجعل اليوم خبرًا، ويجعل «على قرب الأجل» تبيينًا له أو حالاً، وإن جعلته خبرًا بعد خبر كما تقول «هذا حلوٌ حامضٌ» جاز أيضًا، قال المرزوقي: وذكر بعض المتأخرين - يعني ابن جني، ولم ينصفْه حيث لم يُسَمِّه في كتابه - أنه لا يجوز أن يكون معنى «على» هنا معناها في قولك: جَزِعْتُ على كذا: أي أشفقتُ عليه؛ لأنّه غير الغرض المقصود، ألا ترى أنَّ معناها لا جزعَ اليوم من الموت على أن الأجل قريب منّا، فإذا قَرِبَ مِنّا فلم نجزعْ منه فما ظنّك بنا إذا بَعُدَ عنّا.

٥ - الـمَـوْتُ أَحْـلَـى عِـنْـدَنَـا مِـنَ الـعَـسَـلْ

٦ - نَـحْـنُ بَـنِـي ضَـبَّـةَ أَصْـحَـابُ الـجَـمَـلْ

انتصاب «بني ضَبَّةَ» بفعل مُضْمَر، والقصد فيه الاختصاص والمدح، وخبر الابتداء الذي هو نحن «أصحابُ»، والتقدير نحن أذكر بني ضبة أصحابُ الجمل، وهذا الكلام يُنَبِّهُ به على أنهم مُجِدُّونَ في طلب دم عثمان لأن الذين خرجوا مع عائشة وقاتلوا يوم الجمل كان دعواهم طلب الثأر، ولو قال «نحن بنو ضبّة» لكان يسقطُ فخامة الذّكر وتعظيمه، وكان يصير أصحاب: صفة، وبنو: خبرًا، وكان يجوز أن يكونا جميعًا خَبَرَيْنِ ويجوز أن يكون أصحاب بدلاً من بنو.

٧ - نَـحْـنُ بَـنُـو الـمَـوْتِ إِذَا الـمَـوْتُ نَـزَلْ

٨ - نَـنْـعَـى ابْـنَ عَـفَّـانَ بِـأَطْـرَافِ الأَسَـلْ

النَّعْيُ: الإخبار بموت الرَّجُلِ، نَعَاه يَنْعَاه نَعْيًا وَنَعِيًا وأتانا نَعِيُه، والأَسَلُ: الرِّماحُ.

٩ - رُدُّوا عَـلَـيْـنَـا شَـيْـخَـنَـا ثُـمَّ بَـجَـلْ

موضع «بَجَل» رفع على الابتداء، وخبره مُضْمَرٌ كأنّه قال: ثم بجلنا ذاك: أي حسبنا، وثمّ: عاطفة جملة على جملة، وقال لبيد: [الرمل]

بَـجَـلِـي الآنَ مِـنَ الـعَـيْـشِ بَـجَـلْ[1]

وحكى الأخفش أن «بَجَلْ» ساكنة أبدًا، يقولون: بَجَلْكَ كما يقولون: قَدْكَ وَقَطْك، إلا أنهم يقولون: بَجَلي، ولا يقولون: بَجَلْنِي كما يقولون: قَطْنِي وقَدْنِي، وهو القياس مع مجيئه على السكون.

(١) صدره: «فمتى أهلك فلا أحفله».

[٩٠] وقال آخر، وقيل: إنّه لرجل من بني أسد:

١ - دَاوِ ابْنَ عَمِّ السُّوءِ بِالنَّأْيِ وَالغِنَى   كَفَى بِالغِنَى وَالنَّأْيِ عَنْهُ مُدَاوِيَا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، القافية متدارك.

يقول: تَبَاعَدْ عن ابن عمّك إذا كان رديئًا، واستغنِ عنه، فإنّكما إذا تقاربتما تحاسدتما وتباغضتما، وقيل: مِنْ لُؤْمِ الحسود أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب، وقال بعضهم: تباعدوا في الدّيار تَقَارَبُوا في المودّة، وقوله «كفى بِالغنى» موضع بِالغنى رفع بِكفى، و«مداويا» يجوز أن يكونَ حالاً ويجوز أن يكون تمييزًا وهو أحسن، ومثله﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[١].

٢ - جَزَى اللَّهُ عَنِّي مِحْصَنًا بِبَلائِهِ   وَإِنْ كَانَ مَوْلاَيَ القَرِيبَ وخَالِيَا

مِحصن: هو ابن عمّه الّذي تَأَذّى به فدعا عليه، يقول: جزاه اللّه بفعله فينا إنْ خيرًا فخيرًا وإنْ شرًّا فَشَرًّا وإنْ كان مُتَّصِلَ السَّببِ بِطَرفَي أبي وأُمي.

٣ - يَسُلُّ الغِنَى والنَّأْيُ أَدْواءَ صَدْرِهِ   وَيُبْدِي التَّدانِي غِلْظَةً وَتَقَالِيَا

السَّلُّ: النَّزْعُ، ومعنى البيت كالمثل السائر: فَرِّقْ بَيْن مَعَدٍّ تَحَابَّ.

٤ - أَعَانَ عَلَيَّ الدَّهْرَ إِذْ حَكَّ بَرْكَهُ   كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَّلْتَهُ بِيَ كَافِيَا

ويُرْوَى «إذْ حَلَّ بَرْكُهُ» يقول: لمَّا انقلبَ الزّمانُ عَلَيَّ واشتدّ صار عَلَيَّ مع الزّمان، والبَرْكُ: الصَّدر، وأصله في الإبل لأنها تبركُ على الصّدر، ثم استعير في غيرها، وإنَّما خَصَّ الصَّدرَ لأنّ البعير إذا وضع صدره على شيء فقد وضع ثقله عليه، ثم يُقال: رماهم الزّمان بِكَلْكَلِهِ، وأَخْنَى عليهم بِجِرَانِهِ، يقول: لو لم يُعِنْ عَلَيَّ كان في إساءةِ الدَّهرِ إِلَيَّ كفاية، وقوله «كافيًا» يجوز أن يكون تمييزًا ويجوز أن يكون في موضع المصدر: أراد كفى الدّهر لو وكّلته بي كفاية، واسم الفاعل يقع موقع المصدر كثيرًا، كما يقع المصدر موقع اسم الفاعل، ومثله قول بِشر: [الوافر]

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ[٢]

فقوله «كافٍ» في أحد الوجوه مصدر، لكنه لم ينصبْه، وجعله كقول الآخر: [الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالقَاعِ القَرِقْ[٣]

في ترك إعراب المعتلّ في موضع النصب أيضًا، إذ كان من العرب مَن يستثقل الفتحة في الياء، والتقدير كفى النَّأْيُ من أسماء كافيًا: أي كفاية، وقد جاء في المثل «أَعْطِ القوسَ

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩، وسورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٢) وعجز البيت: «وليسَ لنأيِها إذْ طالَ شافِ». (٣) وعجز البيت: «أيدي جَوَارٍ يتعاطينَ الوَرِقْ».

بَارِيهَا» يسكون الياء في باريها، ولم يَرْوِ أحدٌ «بارِيَهَا» فليس يجوز إلاَّ ما حُكِيَ لأنّ الأمثال لا تغيّر.

[٩١] وقال رجل من بني كَلْب[١]:

١ ـ وَحَـنَّـتْ نَـاقَـتِـي طَـرَبًـا وَشَـوْقًـا   إلَـى مَـنْ بِـالـحَـنِـيـنِ تُـشَـوِّقِـيـنِـي

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

انتصب «طَرَبًا» على أنّه في موضع الحال، أو على أنه مفعول له، وأوّل البيت خبر عن راحلته، وآخره خطاب لها، وقوله «تشوّقيني» حذف نونه استثقالاً لاجتماع نونين، والأصل تشوقينني، ومثله: [الوافر]

يَـسُـوءُ الـفَـالِـيَـاتِ إذَا فَـلَـيْـنِـي[٢]

وإنما خاطب الناقة منكرًا عليها ما ظهر منها، فقال: تشوقينني بحنينك إلى مَنْ، أراد أنه مع حصول اليأس لا يجب أنْ تَحِنَّ، ويجوز أن يكون المعنى تعظيم المشتاق إليه، فكأنه قال: تشوقينني إلى مَنْ بحنينِكِ: أي إلى إنسان وأيّ إنسان، وَمَنْ من قوله «إلى مَنْ» في هذا الوجه تكون نكرة غير موصوفة، وإن كان الكلام خبرًا، وفي الأول تكون استفهامًا، وتقول: مَرَرْتُ بما صالح، وبمَن كريم، تريد بإنسان كريم، وقد حُمِلَ قوله عَزَّ وجل: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾[٣] على أن معناه مثلاً شيئًا بعوضة فهي على هذا نكرة موصوفة.

٢ ـ فَـإنِّـي مِـثْـلُ مـا تَـجِـدِيـنَ وَجْـدِي   وَلَـكِـنْ أَصْـحَـبَـتْ عَـنْـهُـمْ قَـرُونِـي

قوله «مثل ما تجدين» خبر يجوز أن يكون خبرًا مقدّمًا والمبتدأ وَجْدي فيكون التقدير إني وجدي مثل ما تجدين، والجملة خبر إنّ، ويجوز أن يكون «مثل» خبر إنّ، ووجدي بدلاً من الضّمير المتّصل بإنّي، كأنه قال: إنّ وجدي مثل ما تجدين، وما بمعنى الذي، وتجدين من صلته، والضمير العائد إليه محذوف، كأنه قال: مثل ما تجدينه: أي مثل الوجد الذي تجدينه، ويجوز أن يكون «ما» مع الفعل في تقدير المصدر، كأنه قال: إني وجدي مثل وجدك، والأصل في إني إنّني لكنه حذف نونه لاجتماع ثلاث نونات، ويجوز أن تكون لم يأتِ بنون العماد، كما لم يُؤْتَ به في لَعَلّي ولَيْتِي، والمعنى إنَّ وَجْدِي مثلَ وجدِكِ، ولكن تابعتني نفسي بِاليأس منهم، وأنتِ لا تعرفين اليأسَ، والإصحاب: الانقياد، والقَرون وَالقَرُونة: النَّفس، يقال: أخذت قَرُوني من هذا الأمر: أي رَفَضْتُهُ واطَّرَحْتُه.

---

(١) عند المرزوقي «من بني كليب».

(٢) صدر البيت: «تراهُ كالثَّغَامِ يُعَلُّ مِسْكًا».

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

٣ ـ رَأَوا عَـرْشِـي تَـثَـلَّـمَ جَـانِـبَـاهُ   فَـلَـمَّـا أنْ تَـثَـلَّـمَ أَفْـرَدُونِـي

العَرْشُ: سريرُ الملك وقوام أمرِ الرّجل وعِزّه؛ فإذا زال قِيلَ: ثُلَّ عَرْشُهُ وتَثَلَّمَ: أي صار فيه ثلمة.

٤ ـ هَـنِـيـئًـا لابْـنِ عَـمِّ الـسَّـوْءِ أَنِّـي   مُـجَـاوِرَةُ بَـنِـي ثُـعَـلٍ لَـبُـونِـي

«أنّي» في موضع الفاعل لهنيئًا، و«مجاورة» ارتفع على أن يكون خبر أن، و«لَبُوني» في موضع الرّفع على أنها فاعلة لمجاورة، وبني ثُعَل: مفعول به، والمعنى ليهنَ ابنَ عَمِّ السَّوء بعدي عنهم ومجاورةُ لبوني لغيرهم، واللّبون: الناقة التي بها لبن، ويجوز أن يرتفع مجاورة على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ لبوني، والجملة كما هي تكون خبر أن، ويجوز أن يكون لبوني بدلاً من الضمير المتصل بأني، والخبر مجاورة، والمعنى والتقدير أنَّ لبوني مجاورة بني ثعل، وأخبر في هذا الكلام بأنَّ ما حصلَ من بعده عن العشيرة كانوا يتمنونه، ويجوز أن يكون وعيدًا وتهكّمًا.

[٩٢] وقال رجل من بَنِي أسد:

١ ـ وَمَـا أَنَـا بِـالـنِّـكْـسِ الـدَّنِـيِّ وَلاَ الَّـذِي   إذَا صَـدَّ عَـنِّـي ذُو الـمَـوَدَّةِ أَحْـرَبُ

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

النِّكْسُ: أصله في السّهام، ونقل إلى الضعيف من الرجال، يقال: نكسته نَكْسًا، ثم سُمِّيَ المنكوسُ نِكْسًا، كما يقال: نقضته نَقْضًا، ثم يُسَمَّى المنقوض نِقْضًا بكسر النون، كأنَّ السَّهمَ انكسَر فوقه فنكسَ فسمِّيَ نكسًا، يقول: ما أنا بالمستضعف اللّئيم ولا الذي إذا انحرفَ عنه مَنْ يُوَادُّهُ دعا بالويلِ والحرب، فقال: وَاحَرَباه، ومثله: [البسيط]

وَلاَ أَقُـولُ إذَا مَـا خَـلَّـةٌ صَـرَمَـتْ   يَا وَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ شَوْقٍ وَإشْفَاقِ[١]

ويجوز أن يكون معنى أحرب أغتاظ، وهذا أسلك في طريق العربية، قال جرير: [البسيط]

إنِّي إذَا الشَّاعِرُ المَغْرُورُ حَرَّبَنِي   جَـارٌ لِقَـبْـرٍ عَـلَـى مَـرَّانَ مَرْمُـوسُ

وكان يجب أن يقول «ولا الذي إذا صَدَّ عنه ذو المودّة يحرُب» حتى يكون في الصّلة ما يعود إلى الموصول، لكنه لمّا كان القصد في الإخبار إلى نفسه وكان الآخر هو الأول لم يُبَالِ بِرَدِّ الضميرِ على الأول، وحمل الكلام على المعنى لأَمْنِهِ من الالتباس، وهو مع ذلك قبيح عند النحويين.

(١) البيت لتأبط شرًا في المفضليات ١/ ٢٦.

٢ ـ وَلَـكِـنَّـنِـي إنْ دَامَ دُمْـتُ وَإنْ يَـكُـنْ لَـهُ مَـذْهَـبٌ عَـنّـي فَـلِـي عَـنْـهُ مَـذْهَـبُ

ويُرْوَى «ولكنني ما دام دمت» ويكون موضع «ما دام» ظرفًا وخبر لَكِنَّ: دمتُ، وفي الأولى يكون الجزاء وجوابه خبرًا.

٣ ـ ألاَ إنَّ خَـيْـرَ الـوُدِّ وُدٌّ تَـطَـوَّعَـتْ لَـهُ الـنَّـفْـسُ لا وُدٌّ أَتَـى وَهْـوَ مُـتْـعَـبُ

أي: أتى بِكرهٍ ولم يأتِ بسهولة، ومثله قول الآخر قالوا: هو لمسلم بن الوليد: [الطويل]

وَلاَ خَيْـرَ فِـي وُدِّ امْـرِىءٍ مُـتَـكَـارِهٍ عَلَيْكَ وَلاَ فِي صَاحِبٍ لاَ تُـوَافِـقُـهْ

إذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الوُدِّ مِثْلَ مَا بَـذَلْـتُ لَـهُ فَـاعْـلَـمْ بِـأنِّـي مُـفَـارِقُـهْ

فَإنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ فَلاَ خَيْرَ عِنْدَهُ وَإنْ شِئْتَ فَاجْعَلْهُ صَدِيقًا تُمَاذِقُهْ[1]

[٩٣] قال أبو حَنْبَل الطَّائي[2]:

حَنْبَل: صفة منقولة، يقال فرو حنبل، إذا كان قصيرًا، والنون أصل، والكلمة بها رباعية، قال أبو هلال: اسمه جارية بن مُرٍّ الثُّعَلِيّ، وهو الذي نزل عليه امرؤ القيس فأشارت عليه امرأته بالغدرِ به فأبى، وكان أعور سناطًا، قصير السّاقين، فقالت ابنته: واللّٰهِ ما رأيتُ كاليوم ساقَيْ وَافٍ، فقال: هما سَاقَا غادرٍ شَرٍّ[3]، فذهبَ مثلاً، يُضْرَبُ للزَّرِيّ الذي له خصال محمودة.

١ ـ لَـقَـدْ بَـلاَنِـي عَـلَـى ما كَـانَ مِـنْ حَـدَثٍ عِـنْـدَ اخْـتِـلاَفِ زِجَـاجِ الـقَـوْمِ سَـيَّـارُ

الثاني من البسيط، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

بلاني: اختبرني، وارتفع سيّار بقوله «بلاني» واللاّم في «لقد» تؤذن بيمين، يقول: لقد خبّرني هذا الرجل على ما اتّفقَ من حدث فعرف حُسْنَ بلائي عند اختلاف القنا بالطّعن، وَذَكَرَ الزِّجَاج، والمراد الرّماح بكمالها، ومثله قول الآخر: [الكامل]

الـوَاطِـئِـيـنَ عَـلَـى صُـدُورِ نِـعَـالِـهِـم

وإنما توطأُ النَّعل كُلّها، ويقال: زَجَجْتُهُ بالرّمح، إذا زَرَقْتَه به.

٢ ـ حَـتَّـى وَفَـيْـتُ بِـهَـا دُهْـمًـا مُـعَـقَّـلَـةً كَـالـقَـارِ أَرْدَفَـهُ مِـنْ خَـلْـفِـهِ قَـارُ

---

(١) ماذقه في الودّ: لم يخلص له.

(٢) أبو حنبل الطائي: هو جارية بن مرّ، شاعر جاهلي فارس.

(٣) قصة المثل في تمثال الأمثال ص ٥٨٣؛ والمستقصى ١/ ٤٣٤؛ والدرّة الفاخرة ٢/ ٤١٧؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٤٣٨.

كان لسيّار إبل سِيقَتْ فتضمّنها له بأعيانها أو شَرْوَاها، يقول: أخذ سيّار ينتظر ماذا يكون منّي فيما تضمّنت، حتى وَفَيْتُ بإبله سودًا مشدودة بِعُقلِهَا، كأنها في سوادِها قارٌ عُولِيَ بقارٍ، يُراد به تأكيد السّواد، ويقال: ردفته وأردفته، إذا جِئْت بعده، ورَدِفَكُم ورَدِفَ لكم: أي تَبِعَكُمْ وجاءَ بعدَكم، وانتصب «دهمًا» على أنّه للإبل وفائدة قوله «كقار» تصوير للإبل بألوانها، وفائدة قوله «معقلة» أنه سَلَّمَهَا في مبارِكِها آمنة، ويجوز أن يكون أراد بالقار جمع قارة، وهي الجبال، فشبّهها في عِظَمِها بها.

٣ ـ قَدْ كانَ سَيْرٌ فَحُلُّوا عَنْ حَمُولَتِكُمْ   إنِّـي لِـكُـلِّ امْـرِىءٍ مِـنْ جَـارِه جَـارُ

يقول: قد كان سير للخوف والحذر قبل هذا الوقت، فأما الساعة وقد بلغتم المأمن في جواري فحلّوا عن أحمالكم، إني لكلِّ رجلٍ منكم جارٌ بدلاً من جارِه الأوّل، ويُحْتَمَلُ أن يكون معناه إني لكلِّ رجلٍ مجيرٌ مِمَّنْ يجاوره أو ممّن يُدانيه بسوءٍ. والجار: المجير والمستجير، والأول أجود، والحَمُولة: جمع حمل، ودخلت الهاء فيه توكيدًا لتأنيث الجمع، والحَمُولة: الإبل التي يُحمَل عليها، وهي فَعُولة كالقتوبة والرَّكوبة، ولا يجري على الموصوف، لا يقال: دابّة حَمُولةٌ، ويقال: إن هذه الأبيات لعامر بن جُوَين حين أجار سَيَّار بن مَوْألة بن عامر بن مالك بن تَيْم اللَّه بن ثعلبة، وكان سيّار جارًا لِرجل من بَنِي ثُعَل يقال له عَدِي بن أفلت، فمرّ عامر بن جوين بعديّ بن أفلت، وقد قامَرَهُ سَيّار بن مَوْألة بالقداحِ فقمَرهُ عَدِيٌّ حتى غَلِقَ مالَ سيّار، فظعَن الحيّ، فقال سيّار لِقَيْنَتَيْن له: تخلّفا بِأهلِكما بعد الحيِّ حتى ينزلوا، فإذا نزلوا فانطلقا بِرَحْلِكُما حتى تَفِدَا إلى رَحْلِ عامر بن جُوَيْن ففعلتا، فجاء عَدِيُّ بن أفلت، فأراد أن ينقلهما ورَحْلَهُما، فأبى ذلك عامر بن جُوَيْن، وقال: قد جاورني الرّجلُ، فلما خرج امرؤ القيس بن حجر عند عامر بن جُوَين فنزل على أبي حَنْبل جارية بن مُرٍّ تَهادى أبو حنبل وعامر الشعر، فقال عامر:

لَقَدْ بَلاَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ

... الأبيـات.

وهي أبيات يقول في بعضها بيتًا في آخره «ويشتمني في الناسِ أوضار» أي: الأوساخ، يُعَرِّضُ بأبي حنبل، فقال أبو حنبل حين سمع هذا البيتِ: «أما وذُو بَيْتُهُ بسماء لقد عرضَ لي هذه القافية فأكرمت عامرًا منها»، أراد والذي بيته في السماء.

[٩٤] وقال يزيد بن حمار السَّكُونيُّ يومَ ذي قَارِ(١):

السَّكُون: مرتجل ارتجال الصّفة، يدلُّ على أنه كذلك وجود اللاّم فيه معرفة، فجرت

(١) يزيد بن حمار السّكوني: من فرسان الجاهلية، شهد حرب «ذي قار» وكان حليفًا لبني شيبان. (الترجمة في: النقائض ص ٦٤٢ـ ٦٤٤؛ والأعلام ٩/ ٢٣٣).

مجراها في العباس والحارث والصَّعِق، هكذا قال أبو تمام، والصَّحيح أنه عَدِيّ بن يزيد بن حمار، بعد الألف راء، ابن عَبَّاد بن سلمة بن عوف بن تراغم بن معاوية بن ثعلبة بن عقبة بن سَكون، واسم تراغم مالك، وعديّ جاهليّ، ويُعْرَفُ بالجَوْن، وكان نازلاً في بني شيبان.

١ - إنّي حَمِدْتُ بَنِي شَيْبَانَ إذْ خَمَدَتْ   نِيرَانُ قَوْمِي وَفِيهِمْ شُبَّتِ النَّارُ

الثاني من البسيط، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

قوله «خمدت نيران قومي» يجوز أن يكون المراد به أنَّ الحربَ سكنت فيما بين قومي وشَبَّتْ الحرب في بني شيبان، ويجوز أن يكون المراد به النار نفسها وهو الوجه لذكره المَحْل في قوله:

٢ - وَمِنْ تَكَرُّمِهِمْ فِي المَحْلِ أنَّهُمُ   لاَ يَعْلَمُ الجارُ فِيهِمْ أنَّهُ الجَارُ

أي: يُجْرُونَهُ مُجْرى أنفسهم، حتى يُقَدَّرَ أنه منهم، ويُرْوَى «لا يُعْلَمُ الجار» أي لا يُعْرَف أنه غريب فإن كلّ مَنْ رآه قَدَّرَ أنه منهم لإكرامهم له.

٣ - حَتَّى يَكُونَ عَزِيزًا مِنْ نُفُوسِهِم   أوْ أنْ يَبِينَ جَمِيعًا وَهُوَ مُخْتَارُ

أي: ما دام مُقيمًا فيهم كأنّه واحدٌ منهم، أو أن يَبِينَ جميعًا: أي يفارق مجتمعة أسبابه، وهو مختار، لا يخرج كرهًا، ونصب «جميعًا» على الحال: أي يبيّن جميعةً أسبابه، ويجوز أن يكون على الحال من الّذين يفارقُهم، يعني أن يفارقهم وهم مجتمعون لتوديعه، وقوله «حتى يكون عزيزًا» بمنزلة قولهم: أكْرَمَني زيدٌ حتى آثَرَني على نَفْسِهِ، معناه إلى أنْ آثَرَني على نفسه، ويكون منصوبًا بحتى، وإذا جعل غاية نصب، كقولك: سرت حتى أدخلَهَا: أي إلى أن أدخلها، وقد يجوز الرفع بعد حتّى إذا كان معناه معنى الحال، تقول: حتى أدْخُلُها؛ إذا كنت في حال الدّخول، قال حسان: [الكامل]

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلابُهُمْ

بالرفع، التقدير يغشون وهذه حالهم، ومجموع معنى الأبيات أنه يقول: إني حَمِدْتُ هؤلاء القوم حين أطفئت نيران قومي وتغيّرت وأوقدت نيران بني شيبان فنزلت فيهم، ومن كرمهم عند الشّدّة أنهم يعزّونَ الجار حتى يقدّر أنه منهم، ثم إذا أراد التَّرَحُّل عنهم ترحّل وهو موفورٌ لم يتهضّمْ له مالٌ ولا أهلٌ، ثم وصفَ عِزّ الجار فيهم وشبّهه بِوَعِلٍ بين الوعلين لا يكون ضخمًا فيعجز عن النفوذ في قُلَلِ الجبال ولا شَخْتًا فيضعف عن التَّوَقُّلِ في الشواهقِ، فقال:

٤ - كَأنَّهُ صَدَعٌ فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ   مِنْ دُونِهِ لِعِتَاقِ الطَّيْرِ أوْكَارُ

أي: كأنه وَسَطٌ من الأوعال في رأس شاهقة: أي قُلَّةٍ مرتفعة لا تَصِلُ عِتَاقُ الطير إليه: أي جَوارِحُها، ويجوز أن يكون قوله «حتى يكون عزيزًا من نفوسهم» معناه أنهم يعاملونه بهذه المعاملة إلى أن يكون عزيزًا فيما بين ظهرانيهم أو يختار مفارقتهم، والمعنى ذلك له فيهم ما اعتزّ بجوارهم أو مال إلى فراقِهم، ويجوز أن يكون قوله «من نفوسِهم»: في موضع الحال، و«عزيزًا»: خبر كان، وإنْ جعلت «عزيزًا» في موضع الحال و«من نفوسهم» خبرًا جاز، والمعنى حتى يكون كأنه من أصلهم، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾(١) أي من جنسكم ومن بطانتكم.

[٩٥] وقال آخر(٢):

١ ـ نَـزَلْـتُ عَـلَـى آلِ الـمُـهَـلَّـبِ شَـاتِـيًـا غَـرِيبًـا عَـنِ الأَوْطَانِ فِـي زَمَـنٍ مَـحْـلِ

الأول من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متواتر.

شاتيًا: أي داخلاً في الشتاء، والشّتاء عندهم الجَدْب، ويقال: زَمَنٌ مَحْلٌ، وُصِفَ بالمصدر، وماحِلٌ ومُمْحِلٌ، والأصل في المَحْلِ: انقطاعُ المطر ويُبْسُ الكَلَإِ، ويقال: أرضٌ مَحْلٌ، وأرضٌ مُحُولٌ، وصف بالجمع، كأنه أُجْرِيَ على أقطاع الأرض كما يقال ثَوبٌ مِزَقٌ.

٢ ـ فَـمَـا زَالَ بِـي إِكْـرَامُـهُـمْ وَاقْـتِـفـاؤُهُـمْ وَإِلْـطَـافُـهُـمْ حَـتَّـى حَـسِـبْـتُـهُـمْ أَهْـلِـي

الاقتفاء من القَفِيّ وهو ما يُؤْثَرُ به الضَّيف وأصل الاقتفاء اتّباع الأَثر كأنهم يتتبعون أموره فيصلحونها ويُرْوَى «افتقادهم» أي تفقّدهم.

[٩٦] وقال جابر بن الثعلب الطائي:

قال أبو الفتح: الثعلب أشياء: أحدها واحد الثعالب، والأُنثى ثعلبة، وتسمّى الاست أيضًا ثعلبة، وطرف الرمح الداخل في السّنان يقال له ثعلب أيضًا، قال: [الرجز]

وَثَـعْـلَـبُ الـعَـامِـلِ فِـيـهِ مُـنْـكَـسِـرْ

وقال الآخر: [المتقارب]

وَفِـي ضَـبْـنِـهِ ثَـعْـلَـبٌ مُـنْـكَـسِـرْ

والثَّعلب: مجرى الماء من جَرِينِ التَّمْرِ والمِرْبَدِ(٣)، غير أن هذا الاسم الذي نحن

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) في شرح الحماسة برواية الجواليقي «قال الأخنس الطائي يمدح المهلب»، وفي البيان والتبيين لبكير بن الأخنس: وهو من شعراء العصر الأموي.

(٣) يقال إذا نُشِرَ التمر في الجرين وخشوا عليه المطرَ عَمِلوا له جُحرًا يسيلُ منه ماء المطر فاسم ذلك=

بصدده هو منقول من الثعلب الحيوان، وذلك أن فيه مع علميته لام التعريف، وهذا يلحقه بالصفة نحو الحارث والمظفَّر وليس في هذه الأشياء المقدّم ذكرها ما يشابه الوصف إلا الثعلب لِمَا فيه من الخبثِ والخِبِّ[1]؛ ألا تراه قال: [السريع]

كُلُّهُمُ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبِ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَهْ

فكأنه قال جابر ابن الخبيث أو الخِبّ أو المنكر.

١ ـ وَقَامَ إِلَيَّ العَاذِلاَتُ يَلُمْنَنِي ... يَقُلْنَ أَلاَ تَنْفَكُّ تَرْحَلُ مَرْحَلاَ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «أَلاَ يا ارْحَلْ لأَهْلِكَ مَرْحَلاَ» أي: أَلاَ تزال ترحل ارتحالاً، و«مَرْحَلا» انتصب على المصدر، كما تقول: أما تَنْفَكُّ تخرجُ مَخْرَجًا، وموضع «يلمنني» موضع الحال، و«يقلن» في موضع البدل من «يلمنني» أي: يقلنَ لي ارْحلْ فإنَّ الفتى الحازم يركب اللَّيل ليتموّل: أي ليصيب مالاً.

٢ ـ فَإِنَّ الفَتَى ذَا الحَزْمِ رَامٍ بِنَفْسِهِ ... جَوَاشِنَ هٰذَا اللَّيْلِ كَيْ يَتَمَوَّلاَ

جواشنُ اللَّيلِ: صدورُه وأوائلُه، واللَّيل بإزاء النهار في الاستعمال، واللَّيلة بإزاء اليوم.

٣ ـ وَمَنْ يَفْتَقِرْ فِي قَوْمِهِ يَحْمَدِ الغِنَى ... وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ العَمِّ مُخْوِلاَ

«يَحْمَدُ الغنى» إذا عَدِمَهُ عرفَ فضلَه فحمده، وإنما تُعرَف الأمور بأضدادها ومن هنا أخذ أبو تمام قوله: [الوافر]

وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الأَوْبَاتِ إلاَّ ... لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرحِ الوَدَاعِ

وقوله «واسط العم» سِطَةُ الحَسَبِ: كَرَمُهُ، والفعل منه وَسَطَ يَسِطُ، قال: [الرجز]

وَقَدْ وَسَطْتَ مَالِكًا وَحَنْظَلاَ

وقول رسول الله ﷺ: «أنا أوسط قريشَ حَسَبًا» أي: أكرمهم، ولم يرد أن حسبه بين الرفيع والدّون، وهو من واسطة القلادة، والمخْول: الكريم الخال، والمعمّ: الكريم العمّ؛ يقول: يحمد الغِنى ولا يحمد قومه عند الفقر لأنهم يحقرونه، ودَلَّ على هذا المعنى بقوله:

وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ وَاسِطَ العَمِّ مُخْوِلاَ

= الجُحر: الثّعلب. والمِربَد: موضع يُجَفَّف فيه التمر.

(١) الخِبُّ: الفساد والخداع.

٤ ـ وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ   وَإِنْ كَانَ أَسْرَى مِنْ رِجَالٍ وَأَحْوَلاَ

أحول: أي أكثر حيلةً، وأصل الياء في الحيلة واو، وإنما صارت ياء لانكسار ما قبلها.

٥ ـ كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرَ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى   وَلَمْ يَكُ صُعْلُوكًا إِذَا مَا تَمَوَّلاَ

الصعلوك: الفقير، وتصعلكَ الرّجلُ: إذا افتقرَ، يقول: إذا اكتسى فكأنه لم يَعْرَ قطّ، وإذا تَمَوَّلَ فكأنه لم يفتقر البتَّة، وقال الشاعر: [الطويل]

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعْلُكِ وَالغِنَى   وَكُلٌّ كَأَنْ لَمْ نَلْقَهُ حِينَ أَدْبَرَا

٦ ـ وَلَمْ يَكُ فِي بُؤْسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً   يُنَاغِي غَزالاً فَاتِرَ الطَّرْفِ أَكْحَلاَ

المناغاة: المغازلة، وأصله من النَّغْيَةِ، وهو الصَّوت اللَّطيف والنّغمة الحَسَنَة الخفيفة، ويقال: ما رَجَعَ إلى نغية: أي كلمة، ويُرْوَى «سَاجِيَ الطَّرْفِ» والسَّاجِي: السَّاكن.

٧ ـ إِذَا جَانِبٌ أَعْيَاكَ فَاعْمِدْ لِجَانِبٍ   فَإِنَّكَ لاَقٍ فِي بِلاَدٍ مُعَوَّلاَ

المُعَوَّلُ: المُتَّكل، ومثله قول المحدّث: [الوافر]

إِذَا مَا ضِقْتَ فِي أَرْضٍ فَدَعْهَا   وَحُثَّ اليَعْمَلاَتِ عَلَى وَجَاهَا[1]
وَلاَ يَغْرُرْكَ حَظُّ أَخِيكَ مِنْهَا   إِذَا صَفِرَتْ يَمِينُكَ مِنْ جَدَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ   وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ نَفْسًا سِوَاهَا

[٩٧] وقال بعض طيِّىء:

١ ـ إِنْ أَدَعِ الشِّعْرَ فَلَمْ أُكْدِهِ   إِذْ أَزَمَ الحَقُّ عَلَى البَاطِلِ

الثاني من السريع، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

قوله «إذْ أَزَمَ»[2] ظرف لقوله «أَدَع» وتقدير الكلام: إنْ أَدَعِ الشّعرَ إذ أَزَمَ الحقُّ على الباطلِ فلم أُكْدِهِ. ويريد بالحقِّ: كَبْرَتَهُ وشَيْخُوخَتَهُ وما أَخَذَ به النَّفْسَ عنده من مراعاةِ الحقّ والرّجوعِ عن الهَزْلِ، وأراد بالباطل الصِّبا واللّهو، ومعناه: إني لم أترك الشّعر عن عَجْزٍ، يقال: أَكْدَى الرَّجُلُ: أي انقطعَ ما عنده.

٢ ـ قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ   وَأُكْثِرُ الصَّدَّ عَنِ الجَاهِلِ

---

(١) اليَعْمَلاَت: جمع اليَعْمَلَة: من الإبل، الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل، ولا يقال ذلك إلا للأنثى. والوَجي: أن يَرِقَّ القَدَمُ أو الحافر فينسج.
(٢) عند المرزوقي: الأَزْمُ: العَضُّ، وتُوُسِّعَ فيه فقيل: «نِعْمَ الدواءُ الأَزْمُ» يريدون الحِمْيَة.

أي: قد كنت أجري الشِّعرَ على حَقِّه وكُنهِهِ، ومع ذلك كنت أُكثِرُ الإعراضَ عن الجهّالِ، قال أبو هلال: ليس قوله «قَدْ كُنْتُ أُجْرِيهِ عَلَى وَجْهِهِ» لَفقًا لقوله «وَأُكْثِرُ الصَّدَّ عَنِ الجَاهِلِ» وهذا أحد عيوب الشعر، ومثله قول الأعشى: [الطويل]

وَإِنَّ امْـرَءًا أَسْـرَى إِلَـيْـكِ وَدُونَـهُ ... فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ[1]

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ الْمُوَفَّقُ

ليس قوله «أن تستجيبي لِصَوتِهِ» لفقًا لقوله «أَنَّ المُعَانَ الموفَّق».

[٩٨] وقال آخر[2]:

١ - زَعَمَ الـعَـوَاذِلُ أَنَّ نَـاقَـةَ جُـنْـدُبٍ ... بِـجَـنُـوبِ خَـبْـتٍ عُـرِّيَـتْ وَأُجِـمَّـتِ

أول الكامل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

جُنْدُب: اسم هذا الرّجل، وَخَبْت: ماء لكلب، وعُرِّيَتْ: من الرَّحْلِ، وأُجِمَّتْ: أي أُرِيحَتْ من الرّكوب، يقول: زعموا أن جندبًا قد أَلْقَى رَحْلَهُ وأراحَ راحلته وقعدَ عن السَّفر، ثم قال:

٢ - كَـذَبَ الـعَـوَاذِلُ لَـوْ رَأَيْـنَ مُـنَـاخَـنَـا ... بِـالـقَـادِسِـيَّـةِ قُـلْـنَ لَـجَّ وَجُـنَّـتِ

ويُرْوَى «لَجَّ وذَلَّت» أي: لَجَّ جُنْدُب في التباعد وذَلَّتِ الناقةُ من طول السَّفر، وجُنَّتْ: أي جُنَّتْ ناقته، وهذا رجل بَلَغَهُ أنه ذُكِرَ بالتقصير في السير إلى العدوّ فانتفى من ذلك وكَذَّبَ العواذلَ فيما حَكَيْنَ عنه، والقادسية موضع قريب من الكوفة، وقيل: إنّما سُمِّيَتِ القادسية لأنَّ كِسْرى وَلاَّها القادس الهروي، وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأن إبراهيم عليه السّلام غسلَ رَأْسَهُ فيها فأخذت مِنَ القُدْسِ وهو الطُّهْرُ.

[٩٩] وقال الراعي[3]:

١ - كَـفَـانـي عِـرِفَّـانُ الـكَـرَى وَكَـفَـيْـتُـهُ ... كُـلُـوءَ الـنُّـجُـومِ وَالـنُّـعَـاسُ مُـعَـانِـقُـهْ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

عِرِفَّان: اسم صاحبه، قال أبو العلاء: ويُرْوَى «عُرُفَّان الكَرَى» مسمّى بِالعُرُفان، وهو دويبة، وقيل: ضَرْبٌ من الجراد، فيقول: نام هذا الرجل وكفاني الاشتغالَ بالنوم، وكَلأْتُ النّجومَ فَكَفَيْتُهُ السَّهرَ، وقد لازمَ النّعاس وعانقه، قال أبو هلال: وهذا معنًى فاسد؛ لأن

(١) فيافٍ: جمع الفَيْفى: المفازة التي لا ماء فيها مع الاستواء والسّعة. والتنوفات: جمع التنوفة: الأرض الواسعة البعيدة ما بين الأطراف وهي أيضًا الفلاة البعيدة.
(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «وقال آخر من طيّىء وهو جندب بن عمار».
(٣) هو الراعي النميري: عبيد بن حصين وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم ٨١.

صاحبه إذا نام لم يكتفِ هو من النوم، وإنما يقال: كفاني فلان الأمر، إذا قام به دونك فأغناك عن القيام به، وليس كذلك النوم، ويُرْوَى «كفانِيَ عِرْفَانَ الكَرى» أي معرفته، والرواية الأولى أجود.

٢ ـ فَبَاتَ يُرِيهِ عِرْسَهُ وَبَنَاتِهِ وَبِتُّ أُرِيهِ النَّجْمَ أيْنَ مَخافِقُهْ

هذا تَظَنُّنٌ من القول؛ لأن السَّاهر لا يعلم من حال النّائم أنّه يحلمُ أو لا يحلم، وإنما نبّه بهذا الكلام على استحكام نومه وتلذّذِه به، إذ كانت الأحلام لا تحصل للنائم إلاّ عند ذلك، ولمّا قال: باتَ النوم يُرِيه امرأته وبناته، قال في مقابلته على الطريقة التي في البيت الأول «وبتّ أُريه النجم» وهذا الجنس يكثر في كلام البلغاء، ومثله قوله عزَّ وجل: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[1] و﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[2] والمخافق: المغارب، وأصل الخفق: الاضطراب، فقوله «أين مخافقه» أي: أين مغيبه.

[١٠٠] وقال آخر[3]:

١ ـ فَلَسْتُ بِنَازِلٍ إلاّ أَلَمَّتْ بِرَحْلِي أوْ خَيَالَتُهَا الكَذُوبُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

هذا رجل خرجَ مسافرًا وقد نَأى عن حبيبته، فيقول: لا أنزلُ منزلاً إلا أَلَمَّتِ التي أهواها بِرَحْلِي أوْ أَلَمَّتْ خَيالَتُها الكَذُوب، وجعلها كَذُوبًا لأنه لا حقيقة لها، ويقال: خَيَال وخَيَالَة، كما يقال: مكان ومكانة.

٢ ـ وَقَدْ جَعَلَتْ قَلُوصُ ابْنَيْ سُهَيْلٍ مِنَ الأكْوَارِ مَرْتَعُهَا قَرِيبُ

أي: لم تتباعد في الرَّعْي لما حطَّ رَحْلها لما بها من الإعياء، فبركت مكانها أو رَعَتْ رَعْيًا قريبًا ثم بَرَكَتْ، وقال أبو العلاء: ويُرْوَى «فَقَدْ جَعَلَتْ قَلُوصَ ابْنَيْ سُهَيلٍ» وكثير من الناس يرفع القلوص، وهو وجه رديء؛ لأن القائل إذا قال جعلت وهو يريد المقاربة لم يكن بُدّ من إتيانه بالفعل كما قال: [الطويل]

جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلاَ قِلًى أَزُورُكُمُ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرَا

وعلى ذلك جميع ما يرد، فإذا قال القائل «جعل زيد فعله جميل» ولم يأتِ بلفظ الفعل فإنما يحمله على المعنى، كأنه قال: جعل زيد يجمل، وأحسن من هذا الوجه أن تنصبَ قلوصَ ويكون في جعلت ضمير يعود على المرأة المذكورة، وليست جعلت في هذا الوجه في معنى المقاربة، وإنما هي بمعنى صيَّرت فلا تفتقر إلى الفعل، ويكون قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٤ و١٥.
(٣) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «الرجل من بُحْتَر بن عَتود».

«مرتعها قريب» جملة في موضع المفعول الثاني، كما يقال: جعلت أَخَاكَ مَالُهُ كثير، وفي الوجه الأوّل جعلت بمعنى طَفِقَتْ، ولذلك لا تتعدّى و«مرتعها قريب» في موضع الحال: أي أقبلت قلوص هذين الرجلين قريبة المرتع من رِحالهم.

٣ ـ كَـأنَّ لَـهَـا بِـرَحْـلِ الـقَـوْمِ بَـوًّا وَمَـا إنْ طِـبُّـهـا إلاَّ الـلُّـغُـوبُ(١)

اللُّغوبُ: الإعياءُ، يقول: وما داؤها إلاّ الكَلال فقد لزمت لما بها من الإعياء رَحْلَ القوم كأنَّ لها في الرَّحْلِ بَوًّا فهي لا تبرح، والبَوُّ: جِلدُ الحُوَار يُحْشَى ثُمَامًا(٢) أو غيره ويُقَرَّبُ إلى أُمِّهِ لِتَرْأَمَهُ وتَدُرَّ عليه؛ وذلك إذا فقدت ولدها بذبحٍ أو غيره.

[١٠١] وقال آخر، وضرب بنو عَمٍّ له مَوْلًى له اسمه حَوْشَب:

وَالحَوْشَب: العظيم البطن، ويقال: إن هذا لجندل بن عمرو، والجندل: الصَّخْر.

١ ـ إنْ كُـنْـتُ لاَ أُرْمَـى وَتُـرْمَـى كِـنَـانَـتِـي تُصِبْ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشْحِي وَمَنْكِبِي

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «جائحات النَّبْلِ» أي مجتاحات: أي مُهلكات، و«جانحات» بالنون، قالوا: هي كاسرات الجناح من قولهم «جَنَحَهُ» إذا أصابَ جناحَهُ، وهذا أجود؛ لأنه لا يقال: رماه فاجتاحه، ويجوز أن يكون جانحات ما جنحَ إليه من السهام: أي مالَ، وقال «تُرْمَى كنانتي» فَذَكَرَ الكِنانة وأراد الخاصرة لأنها موضع الكنانة، وقال أبو سعيد الضَّرير النيسابوري صاحب الأصمعي: جعل الكنانة مثلاً لمولاه لأنه كان يَستودِعُهُ سِرّه كما يستودِعُ الرجل الكنانة سهمه، يقول: إنْ رَمَى مولاي ولم أَرمِ فكأن النَّبْلَ أصابتني فأغضب وأنتصر، وقيل: هذا مَثَلٌ مضروب، وذلك أنَّ رَجُلاً من بني فَزَارة وآخر من بني أسد التقيا، وكانا رامِيَيْنِ، ومع الفزاريّ كِنانةٌ جديدة، ومع الأسدي كنانة رَثَّة، فقال الأسديُّ: أيّنا أَرْمَى؟ فقال الفزاري: أنا، فقال الأسديّ: فانصبْ كِنانَتَكَ أرْمي فيها، فإني أنصب كنانتي حتى ترمي فيها، فنصبَ الأسديُّ كنانَتَهُ، وجعل الفزاريّ يرميها حتى أنفدَ سهامَهُ كلّها، فلمّا رأى الأسديّ سهام الفزاريّ قد نَفَدَتْ قال: انصبْ لي كنانتك حتى أرميها، فنصبَها وسَدَّدَ السَّهْمَ نحوه حتى قتله، فَضُرِبَ مثلاً لمَن يعمل عملاً وهو يُرِي غيره، يقول: إذا تُعُرِّض لمَن يليني فقد تُعُرِّضَ لي، وأكون بمنزلةِ مَنْ تُرْمَى كِنانته وهي عليه لا يؤمن أن يصيبه ما يطيشُ من الشّدّة، والنَّبْل: اسم صيغ للجمع، والكِنانة: ما يُغَطَّى به الشَّيء في الأصل، واختصّ به الجعبة، وهو من الكِنّ كالستارة من السِّترِ، وقد

(١) الطِّبُّ: أصلُه العِلم، وهنا الداء الذي يُعْلم ويُعْرَف. واللُّغُوبُ: التعب والإعياء.
(٢) الثُّمام: نبت ضعيف قصير لا يطول.

فصل بين كَنَنْت وأَكْنَنْت فجعل أكننت لما يضمر في القلب من الحديث والسّرّ وكَنَنْتُ لما يستر بشيء، وقال ابن دريد: الكِنانة لا تكون إلا للنّبل، وتكون مِنْ أَدَم، فإذا كانت من خشب فهي جَفِير، وإن كانت من قطعتين مقرونتين فهي قرن، والجَعبة تكون للنّبل والنّشاب جميعًا.

٢ ـ فَقُلْ لِبَنِي عَمِّي فَقَدْ وَأَبِيهِمُ ... مُنُوا بِهَرِيتِ الشِّدْقِ أَشْوَسَ أَغْلَبِ

الهرتُ: سِعَةُ الشِّدْقِ، ويقال: مُنِيَ له كذا: أي قُدِّرَ له كذا، وقوله «مُنُوا» أي: بُلُوا بمَن هذه صفته، وهي من صفات الأسد.

٣ ـ أَفِيقُوا بَنِي حَزْنٍ وَأَهْوَاؤُنَا مَعًا ... وَأَرْحَامُنَا مَوْصُولَةٌ لَمْ تُقَضَّبِ

يستعطفهم ويقول: انتبهوا من غفلتِكم قبل وقوع الحرب مجتمعة أهواؤنا، موصولة أرحامنا، لم تُقَضَّبِ: لم تُقْطَعْ؛ أي اتركوا التجاهل علينا قبل أن تتفرّق أهواؤنا فتبغضونا ونبغضكم فيجري بيننا المكروه.

٤ ـ وَلاَ تَبْعَثُوهَا بَعْدَ شَدِّ عِقَالِهَا ... ذَمِيمَةَ ذِكْرِ الغِبِّ في المُتَعَقَّبِ

هذا مَثَل: أي لا تبعثوا الحرب بعد السِّلْم.

٥ ـ فَإِنْ تَبْعَثُوها تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... قَبِيحَةَ ذِكْرِ الغِبِّ لِلْمُتَغَبِّبِ

أي: إنْ تبعثوا الحرب تذمّوها لما يلحقهم فيها من القتل، قبيحة، ذكر الغبّ للمتغبب، المَغَبُّ والمَغَبَّةُ والعُقْبَى والعاقبة واحد.

٦ ـ سَآخُذُ مِنْكُمْ آلَ حَزْنٍ بِحَوْشَبِ ... وَإِنْ كَانَ لِي مَوْلًى وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي

ويُرْوَى «وَإِنْ كَانَ مَوْلاَيَ وَكُنْتُمْ بَنِي أَبِي» على الزحاف الذي هو الكفّ وليس في الحماسة بيت مكفوف غيره ويُرْوَى «مَوْلًى لي» فعلى هذا يسلم من الزحاف والأولى أشبه بطريقة الشعراء، ألا ترى أنهما معرفتان مضافتان مولاي وبني أبي.

[١٠٢] وقال آخر(١):

١ ـ أَبُوكَ أَبُوكَ أَرْبَدُ غَيْرَ شَكٍّ ... أَحَلَّكَ فِي المَخَازِي حَيْثُ حَلاَّ

الوافر الأول، والقافية متواتر، وهو مطلق مجرد موصول.

ارتفع «أبوك» بالابتداء. وكَرَّره تأكيدًا، وأَرْبَدُ: بدل منه، وخبر المبتدأ «أَحَلَّكَ» وانتصب غير على المصدر وهو مما يؤكّد به ما قبله، ومثله حقًّا وما أشبهه والمعنى: إنَّ لُؤْمَ أبيه موروث وإنه قد اقتدى بسلفه.

---

(١) هو جميل بن معمر العذري حسب المرزوقي وديوان الحماسة برواية الجواليقي.

٢ - فَمَا أَنفِيكَ كَيْ تَزدَادَ لُؤْمًا   لِأَلْأَمَ مِنْ أَبِيكَ وَلاَ أَذَلاَّ

أي: لا أُبَرِّئُكَ من أبيك طلبًا لأن أنسبك إلى مَن هو ألأم منه لتزداد لؤمًا وذلاً لأن أباك النهاية في هذين، وانتصب لؤمًا على التمييز، واللاَّم من «لألأم» تعلّق بفعل مضمر، كأنه قال: ما أنفيكَ من أبيك وأدعوك لِأَلأَم منه، لأنه إذا نفاه من أبيه فقد جعله لغيره، ويجوز أن يحمل الكلام فيه على المعنى فَيُتَصَوَّرَ أَنْفِيكَ بِأدعُوكَ ويُعَدَّى تَعْدِيَتَهُ، ومثله قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[1] وعلى هذا يحمل قول الفرزدق: [الرجز]

قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي[2]

لمّا كانَ معناه صَرَفَهُ عَنِّي.

[١٠٣] قال جميل بن عبد اللّه بن مَعْمَرٍ العذريّ:

قال أبو العلاء: جميل أخذ من الجميل الشّحم المُذاب؛ لأن الإنسان إذا سمن وحَسُنَت حاله ظهر جماله بذلك، ولهذه العلّة قالوا في المثل: قال أرِنِي حَسَنًا قال أُرِيكَ سَمِينًا.

١ - أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدَهُ   وَجَدِّي يَا حَجَّاجُ فَارِسُ شَمَّرا

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

أصله «سارقُ بُرْدَ الضَّيف» لكنه أضافه إلى الضَّيف بناءً على قولهم: سَرَقْتُ الضَّيْفَ بُرْدَهُ، والمراد سرقتُ من الضَّيفِ، لكنه حَذَفَ الجار تخفيفًا ووصل الفعل فعمل فيه، وعلى هذا يقال: اخْتَرْتُ الرِّجالَ زيدًا، وهو مختار الرِّجال زيدًا، وشَمَّر: اسم فرس، ينشد بفتح الشين وكسرها؛ فإذا فتحت الشين فهو مسمّى بالفعل الماضي، كما سُمِّيَ الرجل خَضَّمَ لكثرة أكله ويكون على هذا مأخوذًا من قولهم: شَمَّرَ ثَوبَهُ إذا رفعه، وَشَمَّرَ في الأمر إذا جَدَّ فيه، وَشَمَّرَ السَّهْمَ وغيره إذا أرسله؛ وإذا كسرتَ الشين فهو اسم على فِعَّلٍ مثل الإِمَّر والهِلَّع، ويجب أن يكون على هذا الوجه اسم فرس أُنثى، وهو علم لمؤنث كامرأة تسمّيها بِقِنَّب ودِنَّب، هذا ما ذكره أبو العلاء في هذه الكلمة، وحُبَاب يجوز أن يكون بدلاً، وسارق الضَّيف خبرًا، ويجوز أن يكون حباب خبرًا، وسارق الضَّيف صفةً، وهذا أجود حتى يكون في مقابلة فارس شمّرا.

٢ - بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ   لآبَاءِ صِدْقٍ يَلْقَهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا

كما فَضَّلَ جَدَّهُ على أبيه في البيت الأوّل فضَّلَ نفسه عليه في البيت الثاني، والمعنى إن الولد يَتَقَيَّلُ أباه، فإذا كان صالحًا فهو صالح، وإنْ كان غير ذلك فهو مثله، وقوله «ومن

(١) سورة النازعات، الآية: ١٨.

(٢) صدره: «كيف تراني قالبًا مجنّي».

يَكُنْ لآباء صدق» أي: مَنْ كانَ وَلَدَ آباءٍ كِرام عُرِفَ بهم ولَقِيَهُمْ أَنّى سارَ، ويجوز أن يكون بمعنى سَيَّر رواحلَه، ويقال: هذا رجل صدق، إذا كان مَرْضِيًّا من الرجال، وليس الصّدق هٰهنا خلاف الكذب.

٣ ـ فَإِنْ تَغْضَبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهُ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرا

أي: إن سخطتم ما قسم اللَّهُ تعالى لكم وجعله نصيبكم فَلَلَّهُ كان أعلم بكم وبقدر استحقاقكم لما لم يَرَكُمْ أهلاً لأكثر منه، والمعنى إنَّ ما حصلتم عليه من البخسِ في القسمةِ حكمةٌ من اللَّهِ عَزَّ وجلَّ ونصفة.

[١٠٤] وقال أبو النَّشْنَاش[١]:

قال أبو العلاء: كان الأصمعي يقول: أبو النَّشَّاش على وزن فَعَّال وهو من النشيش، يقال: نَشَّتِ الجرّةُ، إذا بَعُدَ عهدها بالماء، فإذا قرعت به سمع لها صوت كالغَلَيَان، وكذلك نَشَّ الحوضُ إذا كان الحرّ شديدًا فنشّ إذا استقى الماء وأُصيب به، قال لبيد: [الرمل]

فَهَرَقْنَا لَهُمَا فِي دَائِرٍ لِضَوَاحِيهِ نَشِيشٌ بِالبَلَلْ

ومنه قيل: سبخة نشّاشة، وسُئِلَ بعض العرب عن السّبخة النشاشة فقال: هي التي لا يجفّ ثراها ولا ينبتُ مرعاها، وقيل: نَشَّ المِسكَ يَنُشُّه نَشًّا، وهو مثل السَّهْك والدّق، وإذا قيل أبو النشناش فهو مثل الزَّلْزَال والقَلْقَال، ووزن النشناش على رأي سيبويه فَعْلاَل، وعلى رأي الفَرَّاء فَعْفَال، وعلى مذهب قوم من أهل اللّغة وزنه فَعْفَاع، والنَّشْنَشَة تستعمل في معنى القطع، وقيل: النشنشة تقليب الشَّيء وممارسته حتى يُسمَع له صوت ليس بِعَالٍ، قال الراجز:

عَنَشْنَشٌ تَغْدُو بِهِ عَنَشْنَشَهْ لِلدِّرْعِ فَوْقَ مَنْكِبَيْهِ نَشْنَشَهْ

ويُرْوى خَشْخَشَهْ، ويقال: نَشْنَشَ الطَّائِرُ رِيشَهُ، إذا نَتَفَهُ وألقاه، قال: [الطويل]

رَأَيْتُ غُرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ يُنَشْنِشُ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُه[٢]

١ ـ إِذَا المَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يُرِحْ سَوَامًا وَلَمْ تَعْطِفْ عليهِ أقارِبُهْ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

(١) أبو النشناش: قال في تاج العروس: كنية شاعر وهو القائل في نفسه:
ونائيةِ الأرجاءِ طاميةِ الصُّوَى خَدَت بأبي النشناشِ فيها ركائِبُهْ
(٢) البيت في تاج العروس (نشنش) بدون نسبة.

يقال: سَرَحْتُ الماشيةَ، إذا أخرجتَها بالغداة إلى المرعى، وأرحتها: إذا رَدَدْتها بالعَشِيّ، فإن قيل: ولِمَ قال: «وَلَمْ يُرِحْ سوامًا» والنكرة إذا أُعِيدَ ذِكْرُها يجب تعريفها، بدلالة أنك تقول: رأيت رجلاً بمكان كذا فقال لي الرجل كذا؟ قلت: يجوز أن يكون نكّرهما لأنه تصوّر المُرَاحَ بما دخله من التناقض والتزايد بالأخذ منه والرّدّ إليه غير المسروح، وإذا كان كذلك فالثاني غير الأول، ويجوز أن يكون السَّوَام الثاني غير الأول لأن المكثرين منهم يأمرون رِعَاءهم بحبس قطع من المال على الحقوق العارضة، وإذا كان كذلك سقط السّؤال، والمعنى: إذا كان الرَّجُلُ لم يَكُنْ ذا مالٍ يُسْرَحُ بعضُه ويُرَاحُ عليه بعضه على حسب ما يتّفق ولم يكن له أقارب يتعطّفون عليه فالموت خيرٌ له.

٢ ـ فَلَلْمَوْتُ خيرٌ لِلْفَتَى مِنْ قُعُودِهِ عَدِيمًا وَمِنْ مَوْلًى تَدِبُّ عَقَارِبُهْ

قوله «فَلَلموتُ» جواب «إذا» في البيت الأول لِتَضَمُّنِهِ معنى الجزاء، يقول: إذا الرّجل لم يكنْ على ما وصفت فورود الموت خيرٌ له من قعوده راضيًا بفقره وبإفضالِ مَوْلًى يؤذيه بِالمنّ، ودبيبُ العقارب كناية عن الأذى، وانتصب «عديمًا» على الحال، ويجوز أن يكون معنى قوله «ومن مولًى تدبّ عقاربه» أن يحصل الفساد بين العشيرة بأنَّ كُلاًّ يقصدُ صاحبَه بالمساءةِ.

٣ ـ وَنَائِيَةِ الأَرْجَاءِ طَامِسَةِ الصُّوَى خَدَتْ بِأَبِي النَّشْنَاشِ فِيهَا رَكَائِبُهْ

«نائية» انْجَرَّتْ بإضمار رُبَّ، والواو داخلة للعطف، ولم يصِرْ بدلاً من رُبَّ، بدلالة وقوع الفاء العاطفة موقعه، وبل، في مثل قوله: [الطويل]

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ[1]

و«بَلْ بَلَدٍ»[2] والأرجاء: النواحي، واحدها رَجًا، والطَّامس: الدَّارس، يقال: طَمَس وطَسَمَ، والصُّوَى: الأعلام، الواحدة صُوَّةٌ، وخَدَتْ: أسرَعَتْ، ومصدره الخَدَيَان، والرَّكائب: جمع رَكُوبة، وهي المركوبة، ولا تتبع الموصوف، بل تستعمل على انفرادها، ومثلها الحَلُوبة، يقول: رُبَّ مفازةٍ بعيدةِ الأطرافِ دارسة الأعلام سارت بأبي النشناش فيها رواحله.

٤ ـ لِيَكْسِبَ مَجْدًا أوْ لِيُدْرِكَ مَغْنَمًا جَزِيلاً وَهَذَا الدَّهْرُ جَمٌّ عَجَائِبُهْ

---

(١) هذا من بيت لامرىء القيس وتمامه:
فمثلكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فألهيتُها عن ذِي تمائمَ محولِ

(٢) هذه قطعة من بيت وتمامه:
بل بَلَدٍ مِلْءِ الفِجاجِ قَتَمُهْ لا يُشْتَرَى كَتَّانُهُ وجَهْرَمُهْ

أي: لطلبِ المجدِ وكسبِ المالِ، وهذا الكلام تَبَجُّحٌ منه بأنّه لم يجعل الفقرَ ضجيعًا.

٥ ـ وَسَائِلَةٍ بِالغَيْبِ عَنِّي وَسَائِلِ وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهْ

أي: ورُبَّ رجلٍ وامرأةٍ سألا بظهرِ الغيب لما تداخل القلوب من هيبتي والإشفاق من وقعتي، ثم قال مستفهمًا على طريق الإنكار: ومَن يسأل الصعلوك أين مذاهبه؟ أي يجب أن لا يُسْأَل الصّعاليكُ عن مذاهبهم وطرقهم لأنها لا تُعْلَمُ، وكان وجه الكلام أن يقول: ومَن يسأل عن الصعلوك، فيكون وفق قوله: وسائلة بالغيب عنِّي، لكنه عدل عنه إلى ما قاله تأكيدًا للمراد، وذلك أنه إذا كان سؤال نفسه عن مذهبه منكرًا لاستبهامه عليه فسؤال غيره عنه أبعد من الصواب.

٦ ـ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ ضَاجَعَهُ الفَتَى وَلاَ كَسَوادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهْ

يقول: لم أرَ كالفقر يَتَّخِذُهُ الفتى ضجيعًا: أي يرضى به ويلزومه له، ولم أرَ كسواد اللّيلِ أَكْدَى راكبَه والطّالب فيه، والمعنى يجب أن لا يحصل واحد منهما لا الرضا بالفقر ولا الإخفاق مع ركوب اللّيل، والإخفاق: أن يغزو فلا يغنم أو يرجو فيخيب، وقوله «أخفق طالبه» أي: الطّالب فيه، وهذا من إضافة الشّيء إلى الشّيء لكونه فيه، ويقع في بعض النسخ بعد قوله ليكسب مجدًا.

٧ ـ فَعِشْ مُعْدِمًا أَوْ مُتْ كَرِيمًا فَإِنَّنِي أَرَى المَوْتَ لاَ يَنْجُو مِنَ المَوْتِ هَارِبُهْ

٨ ـ وَلَوْ كَانَ حَيٌّ نَاجِيًا مِنْ مَنِيَّةٍ لَكَانَ أَثِيرًا حِينَ جَدَّتْ رَكَائِبُهْ

أي: لو نجا حَيٌّ من الحِمام لكان هذا الصّعلوك الذي يطلب المجد وتَسْري به في الليل الرّكائبُ أثيرًا بذلك: أي خليقًا به.

[١٠٥] وقال آخر[١]:

١ ـ أَلاَ قَالَتِ العَصْمَاءُ يَوْمَ لَقِيتُهَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ البَالِ أَفْرَعَا

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

انتصب «حديثًا» على الظرف و«ناعم البال»: مفعول ثانٍ لأراك، والأفرع: التامّ شعر الرّأس، ويُرْوَى:

كَبِرْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعَا

---

(١) روى هذه الحماسية صاحب الخزانة ١/ ٤٨٢ وذكر أنّ أحدًا لم يعرف نسبتها. والبيت الأول ورد في ديوان متمّم بن نويرة ص ١١٣ وفيه «ألا قالت الخنساء».

أي: لم تَجْزَعْ حين ينفعها الجزع فإني شبتُ في وقت المَشِيبِ، وهذا كقولك للرجل إذا رأى رأيًا خطأً: لم تَرَ شيئًا، ويجوز أن يكون المراد قالت: كبرت ولم تجزعْ أنت أيها المرء من الشيب مجزعًا؛ فيكون كبرتَ إلى آخر البيت في موضع النَّصب لأنها قالت ذلك، ومَنْ رَوى «حديثًا ناعِمَ البَالِ أفْرَعَا» فمعناه أراك حديث السّنّ تامّ الشَّعْرِ ليس لك غير ذلك: أي لا مال لكَ ولا حال.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهَا لاَ تُنْكِرِيني فَقَلَّما ... يَسُودُ الفَتَى حَتَّى يَشِيبَ وَيَصْلَعَا

«قلّما» يفيد النفي هٰهنا، و«ما» تكون كافّة لِقَلَّ عن طلب الفاعل، وناقلة له عن الاسم إلى الفعل؛ فإذا قلت: قلّما يقوم زيدٌ، فكأنك قلت: ما يقوم زيدٌ، يدلُّ على ذلك أنهم قالوا: قَلَّ رَجُلٌ يقولُ ذلك إلا زيد، وأُجْرِيَ مجرى ما يقول ذلك إلاَّ زيد، وقالوا أيضًا: قلّما يقولُ زيدٌ، فأجروا خِلافه مجراه، فقالوا كَثُرَ ما يقولُ زيدٌ، وعلى ذلك بيت الكتاب[1]: [الطويل]

صَدَدْتِ فَأطْوَلْتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا ... وِصَالٌ عَلَى طُولِ الصُّدُودِ يَدُومُ

ويجوز أن يكون «ما» من «قلّما يسودُ الفتى» مع الفعل في تقدير المصدر كأنه قال: قَلَّ سيادة الفتى أن يبرزَ استكمالها إلا مع هذه الحالة، ومثله قول لبيد: [الرّمل]

قَلَّمَا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُهُ ... بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأُوَلْ

لأنه ليس يريد نفي التعريس رأسًا؛ إذ كان يعتاده قُطَّاع الفلاة؛ بل يريد عَرَّسَ تعريسًا قليلاً فهِجته.

٣ ـ وَلَلْقَارِحُ اليَعْبُوبُ خَيْرٌ عُلاَلَةً ... مِنَ الجَذَعِ المُزْجَى وَأَبْعَدُ مَنْزَعَا

اليعبوب: الفرس الكثير الجَرْي، وَالعُلاَلَة: البقية من الجري وغيره، وهنا يريد الجري، قال الشاعر: [الكامل]

إلاَّ عُلاَلَةَ أوْ بُدَا ... هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ

فالبُدَاهة: أول الجري، والعُلالة: آخره، والقروح: انتهاء السّنّ، والجذع: أن يلبث ثلاثين شهرًا وليس سنّ تسقط ولا تنبت، والمُزْجَى: الذي يُزْجى في مسيره قليلاً قليلاً، ويُرْوَى المُرْخَى، والمرخى: بفتح الخاء وكسرها، والإرخاءُ: لينٌ في العَدْوِ، وإذا رُوِيَ بفتح الخاء فهو المُرْسَل المُهْمَلُ، وَالمَنْزَع: النّزوع إلى الغاية، وانتصاب علالة ومنزعًا على التمييز، يقول: الفرس المتناهي في القوة والسّن أبعد غاية من ابن سنتين وهو مهملٌ لم يُرْكَبْ ولم يُرَضْ.

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ١٢ و٤٥٩ ونسبه إلى عمر بن أبي ربيعة.

[١٠٦] وقال آخر:

١ ـ أَلاَ قَالَتِ الخَنْسَاءُ يَوْمَ لَقِيتُهَا عَهِدْتُكَ دَهْرًا طَاوِيَ الكَشْحِ أَهْضَمَا

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

الأهضم: الخميص البطن، يقال: امرأة هضيم، أي: قالت هذه المرأة رَأَيْتُكَ زمانًا لطيفَ البطنِ دقيق الخصرِ مشمّرًا.

٢ ـ فَإمَّا تَرَيْنِي اليَوْمَ أَصْبَحْتُ بَادِنًا لَدَيْكِ فَقَدْ أُلْفَى عَلَى البُزْلِ مِرْجَمَا

البادن: الثقيل البدن، وأصله في السّمن، يقال: بَدُنَ الرجل فهو بدين، إذا سمن، وَبَدَن فهو بادنٌ، وبَدَّن، إذا ثَقُلَ من السّن، يقول: فإمَّا تريني اليومَ ثقيلاً لا أُكْثِرُ الحركةَ فقد أُلْفَى: أي أُوجَدُ، مِرْجَمًا على البُزْلِ، يعني كثرة الأسفار، أي أرمي بها المفاوزَ، ويُرْوَى «فقد أُلْفَى على البرك» وهي جماعة الإبل في مراحها، وَالمِرْجَم: الذي يَرْجُمُ الآفاقَ بنفسِهِ، ويقال: فرسٌ مِرْجَمٌ: شديدُ الجَرْي.

[١٠٧] وقال شَبِيبُ بن عَوَانَةَ الطَّائِي:

شَبِيب: مصدر شَبَّ الفرسُ شبيبًا، وأما عَوَانة فاسمٌ مرتجلٌ غير منقول، وهو من لفظ العَوْنِ، لكنّا لا نعرفه جنسًا، إنما الجنس عَوَان، وهي النَّصَفُ، قال أبو هلال: ورواه بعض علماء البصرة للكَرَوَّس الطَّائي[1]، وهو الكَرَوَّس بن زيد بن الأَخْزَم بن مَصَاد بن مَعْقِل بن مالك بن عَمْرو بن ثُمَامة بن مالك بن جَدْعاء بن ذُهْل بن رُومان بن جُنْدُب بن خارجة بن سَعْد بن فُطْرَة، وفُطْرَة هو جَدِيلة، وخاصَمَ ابنَ عَمٍّ له، إلى مروان بن الحكم فحبسه مروان، فقال:

١ ـ قَضَى بَيْنَنَا مَرْوَانُ أَمْسِ قَضِيَّةً فَمَا زَادَنَا مَرْوَانُ إلاَّ تَنَائِيَا

من الطويل الثاني، مطلق موصول مؤسس.

يقول: حَكَمَ مروانُ بن الحكم علينا حكمًا، فما زادنا إلاَّ تباعدًا، وأراد اختلافًا وَبُعْدًا عَنِ الرِّضا بتلك القضية.

٢ ـ فَلَوْ كُنْتُ بِالأَرْضِ الفَضَاءِ لَعِفْتُهَا وَلَكِنْ أَتَتْ أَبْوَابُهُ مِنْ وَرَائِيَا

لَعِفتها: أي كَرِهْتُها، ووراء: بمعنى قدّام هٰهنا، يقول: كنت محبوسًا في دارِهِ فلم أجسرْ على إظهار الكراهة لحكمِهِ، ورَدَّدَ اسم مروان في البيت تفخيمًا لا وجوبًا.

(١) الكروس زيد بن حصن الطائي: شاعر إسلامي من أهل الكوفة. (ت ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م). (وترجمته في: المرزباني ٣٥٦؛ والأعلام ٦/ ٧٨).

[١٠٨] **وقال جميل بن عبد الله بن مَعْمَر العُذْرِيُّ:**

قال أبو العلاء: العذريّ منسوبٌ إلى عُذْرَةَ بن سعد هُذَيْم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وإنما سُمِّيَ بالعُذْرةِ من الشَّعر، وهي الخصلة منه، وجمعها عُذَر، قال القُرَيْعِيُّ: [الطويل]

قَصِيرَ يَدِ السِّرْبَالِ أَغْيَدَ لِلصِّبَا ... أُدَرِّي عَلَى المَتْنَيْنِ ذَا عُذَرٍ جَعْدِ

وهُذَيْم: اسم عبد حضن سعدًا فنسب إليه، وَالهَذْمُ: القَطْعُ، وبعض النسّابين يقول في أَسْلَم «أسْلُم» بضمِّ اللامّ، فإنْ صَحَّ ذلك فإنّما سُمِّيَ بجمع سَلْم وهو الدّلو له عُرْوَة واحدة، والحاف: يُخْتَلَفُ فيه، ويختلق النسّابون أبياتًا مصنوعة يستشهدون بها على اسمه، ويَدَّعي بعضُهم أنَّ اسْمَهُ إلحاف سُمِّيَ بمصدر أَلْحَف السّائلُ يُلْحِفُ إلحافًا، وبعضُهم يجعلُ أَلِفَهُ التي تَلْحَقُ لام التعريف، فإذا أخذَ بهذا القول جاز أن يكون مرادًا به الحَافِي فحذفت الياء، كما قالوا العَاص وهم يريدون العاصي، ويجوز أن يكون الحاف جمع حَافَة حافة الشيء وهي جانبه، وَقُضَاعة قيل: إنه سُمِّيَ بذلك لأنه انقضعَ من قومِهِ: أي انقطع، وقيل: القَضْعُ: وَجَعٌ في الجوفِ، وقيل: القَهْرُ والظُّلْمُ، وقال قوم: يقال لكلبة الماءِ قضاعة، وقال أبو هلال: في الشعراء ثلاثة يُدْعَوْن جميلاً، منهم جميل بن عبد اللّه بن مَعْمر، ويُكْنَى أبا عمرو، وقال بعضهم: هو جميل بن عبد اللّه بن قَمِئَة العُذْريّ، ولم يكن أبوه يُعرَف إلا بابن قَمِئَة، وقال الزُّبَيْر بن بَكّار: هو جميل بن عبد الله بن حُنّ بن ربيعة بن حَرَام بن ضَبَّة بن عبد بن كثير بن عُذْرة بن سعد بن هُذَيْم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، وهو قائل الشّعر الذي أنشده أبو تمام، وجميل بن المُعَلَّى أحد بني عَمِيرَة بن جُؤَيَّة بن لَوذَان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فَزَارة، وهو القائل: [الوافر]

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا ... فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلاَ وَاللَّهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلاَ الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

وجميل بن سيدان الأسديّ القائل: [الطويل]

أَيَا جُمْلُ هَلْ دَيْنٌ مُؤَدّى لِحِينِهِ ... فَقَدْ حَلَّ ذَاكَ الدَّيْنُ وَاحْتَاجَ طَالِبُهْ
وَطَالَتْ بِهِ أَحْلاَمُهُ إِنْ قَضَيْتِهِ ... وَظَلَّ بِمَا مَنَّيْتِ يَلْمَعُ حَاجِبُهْ
أَجِدِّي وِصَالاً أَوْ أَبِينِي صَرِيمَةً ... فَأَكْرَم أَنْ لا يَكْذِبَ المَرءَ صَاحِبُهْ

وكان جميل بن عبد اللّه عشق بُثَيْنَةَ وهو غلام، فلما كبرَ خطبَها، فَرُدَّ عنها، فكان يأتيها سِرًّا، وكان منزلها وادي القرى، فاجتمعَ أهلُها ليأخذوه فاستخفى وقال: [الطويل]

وَلَوْ أَنَّ أَلْفًا دُونَ بَثْنَةَ كُلُّهُمْ ... غَيَارَى وَكُلٌّ حَارِبٌ مُزمِعٌ قَتْلِي

لَـحَـاوَلْـتُـهَـا إِمَّـا نَـهَـارًا مُـحَـاوِرًا　　　وَإِمَّا سُرَى لَيْلٍ وَلَـو قُطِعَتْ رِجْلِي

وهجاهم، فاسْتَعْدَوا عليه مروان ـ وهو عامل المدينة ـ فنذرَ لَيَقْطَعَنَّ لسانَه، فلحق بجذام، وقال: [الطويل]

أَتَـانِـيَ عَـنْ مَـرْوَانَ بِـالـغَـيْـبِ أَنَّـهُ　　　مُـقِـيـدٌ دَمِـي أَوْ قَـاطِـعٌ مِـن لِـسَـانِـيَـا

فَفِي العِيسِ مَنْجَاةٌ وَفِي الأَرْضِ مَهْرَبٌ　　　إِذَا نَـحْـنُ رفـعـنـا لَـهُـنَّ الـمَـثَـانِـيَـا

وأقام هناك حتى عُزِلَ مروان فرجعَ إلى أهلِه، وكان يختلفُ إليها سِرًّا فنذرَ قومُها دَمَهُ فقال:

١ ـ فَـلَـيْـتَ رِجَـالاً فِـيـكِ قَـدْ نَـذَرُوا دَمِـي　　　وَهَـمُّـوا بِـقَـتْـلِـي يَـا بُـثَـيْـنَ لَـقُـونِـي

الثالث من الطويل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

فيك: أي في معناك وسببك، و«قد نذروا» من صفة «رجالاً»، و«لقوني» خبر ليت، وفي هذا الكلام إيهامٌ أنهم لا يجسرون على التَّعَرُّضِ له، وقد فسَّر نكوصهم عن الإقدام عليه بقوله:

٢ ـ إِذَا مَـا رَأَوْنِـي طَـالِـعًـا مِـنْ ثَـنِـيَّـةٍ　　　يَـقُـولُـونَ مَـنْ هَـذَا وَقَـدْ عَـرَفُـونِـي

يقول: إذا ما رأوني طالعًا في ثَنِيَّةٍ مُقْبِلاً إليهم يتجاهلونني جُبنًا وإحجامًا.

٣ ـ يَـقُـولُـونَ لـي أَهْـلاً وَسَـهْـلاً وَمَـرْحَـبًـا　　　وَلَـوْ ظَـفِـرُوا بِـي سَـاعَـةً قَـتَـلُـونِـي

٤ ـ وَكَـيْـفَ وَلاَ تُـوفِـي دِمَـاؤُهُـمُ دَمِـي　　　وَلاَ مَـالُـهُـمْ ذُو نَـدْهَـةٍ فَـيَـدُونِـي

النُّدْهَةُ والنَّدْهَةُ: كَثْرَةُ المالِ، وقال قومٌ: النّدهة: العشرون من الإبل والمائة من الضَّأنِ والألف من الصَّامت[١]، ويقال: وَدَاه يَدِيهِ وَدْيًا وَدِيَةً، وقوله «وَلاَ تُوفِي دِمَاؤُهُم دَمِي» أي دماؤهم كلّهم لا تفي بدمي، ويقال: أوفى به ووفى وأوفاه يُوفيهِ إيفاءً، إذا قَضَى دَيْنَهُ على الوفاء.

ومن هذه القطعة فيما قرأته على أبي العلاء:

لَـحَا اللَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُ الوُدُّ عَنْدَهُ　　　وَمَـنْ حَـبْـلُـهُ إِنْ مُـدَّ غَـيْـرُ مَتِيـنِ

وَمَنْ هُو إِنْ تُحْدِثْ لَهُ العَيْنُ نَظْرَةً　　　يُـقَـضِّـبْ لَـهَـا أَسْـبَـابَ كُـلِّ قَـرِيـنِ

يُقَضِّبُ: يَقْطَعُ، قَضَبْتُه واقْتَضَبْته.

وَمَـنْ هُـوَ ذُو لَـوْنَـيْـنِ لَـيْـسَ بِـدَائِـمٍ　　　عَـلَـى خُـلُـقٍ خَـوَّانُ كُـلِّ أَمِـيـنِ

---

(١) الصَّامت من المال: الذهب والفضّة، ومن الإبل: عشرون.

[١٠٩] وقال يَحْيَىٰ بن منصور الحَنَفيّ:

قال أبو رياش: هذا غلط من أبي تمام، يحيىٰ بن منصور هو ذُهْلي وهذه الأبيات لموسى بن جابر الحنفي[١]، وحنيفة يقال: إنّما سُمِّيَ بذلك لأنه التقى هو وجذيمة من عبد القيس فضربه جذيمة فَحَنَفَ رِجْلَهُ؛ وضربَ هو جذيمة فجذَم يَدَهُ.

١ - وَجَدْنَا أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِبَلْدَةٍ سُوَى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ وَالفِزْرِ

الأوّل من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

الفِزْرُ: لَقَبُ سعد بن زيد تميم، وكان سعد أنهب معزاه بعكاظ وضرب به المثل فقيل: لا يجتمع كذا وكذا حتى يجتمع مِعْزى الفِزْر، وقد يقال لجماعة المعزى الفِزْر، سُمِّيَ به، وقوله «سِوًى»: في موضع جَرّ على أنه صفة لبلدة، والمعنى وجدنا أبانا حَلَّ ببلدة متوسّطة، لديار قيس عيلان وسعد بن زيد مناة: أي حَلَّ بين مُضَر ونَأَى عن ربيعة، لأنّ قيسًا والفِزْر من مُضَر، وقال الأخفش: سوًى وسَوَاء في معنى العِدْل، وفي القرآن ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾[٢] أي عدلاً.

٢ - فَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا العَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنَخْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

أي: لمّا خَذَلَتْنا عشيرتنا، وهم ربيعة، اكتفينا بأنفسنا وأقمنا بدارِ الحِفَاظ واتَّخَذْنَا السّيُوفَ حُلَفَاء على الدَّهر.

٣ - فَمَا أَسْلَمَتْنَا عِنْدَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلاَ نَحْنُ أَغْضَيْنَا الجُفُونَ عَلَى وِتْرِ

أي فما خذلتنا في يوم حرب، ولا نحن أَغْضَيْنَا جُفُونَنا على وِتْرٍ وحِقْدٍ، يعني أنّهم أدركوا كُلَّ ثأرٍ.

[١١٠] وقال أبو صَخْرٍ الهُذَليّ[٣]:

١ - رَأَيْتُ فُضَيْلَةَ القُرَشِيَّ لَمَّا رَأَيْتُ الخَيْلَ تُشْجَرُ بِالرِّمَاحِ

من أول الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

«رأيت فضيلة»: أي ضربت رِئَتَه، ويجوز أن يكون من رؤية العين: أي رأيته في مُشْتَجَرِ الرّماحِ وكان شَهِدَ هذا الشاعر وفُضَيْلة الحَرْبَ، فعاد ولم يعد فُضَيْلة، فَسُئِلَ عنه

---

(١) موسى بن جابر الحنفيّ: شاعر مُكْثِر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، من أهل اليمامة. ترجمته في (المرزباني ص ٣٧٦، وسمط اللآلي: الذيل ص ٣٥).

(٢) سورة طه، الآية: ٥٨.

(٣) أبو صخر الهُذَليّ: هو عبد الله بن سلمة من بني هذيل شاعر من الفصحاء، كان في العصر الأموي. (ت ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). (وترجمته في: سمط اللآلي ص ٣٩٩؛ وشواهد المغني ص ٦٢؛ وخزانة البغدادي ١/ ٥٥٥).

فجمجم في الجواب، ومَن روى «فضيلةَ القرشيِّ» جعل القرشي جِنسًا لاَ عَيْنًا، والمعنى رأيت فضيلة القرشيين عند اشتجارِ الخيل بالرّماح، وجواب «لمَّا» مُقَدَّمٌ وهو رأيتُ في صدر البيت، يريد عند هذا الأمر بَانَ فَضْلُهُم على النَّاس، وكلّ شيء دخلَ بعضُه في بعضٍ فقد تَشَاجَر، ومنه سُمِّيَ المشجر مشجرًا وتَشاجَرَ القومُ بالرّماحِ: تطاعنوا.

٢ ـ وَرَنَّــقَــتِ الــمَــنِــيَّــةُ فَــهْــيَ ظِــلٌّ　　　عَــلَــى الأَبْــطَــالِ دَانِــيَــةُ الــجَــنَــاحِ

انعطفت رَنَّقَتْ على الفعل الذي تناوله لما، والمعنى لما رأيت الخيل تشجر بالرماح وأشرفت المنية عليهم إشراف الطائر على ما يريد انكداره عليه بانت فضيلتهم، ويقال «رَنَّق الطَّائرُ» وهو أن يبسطَ جناحيه ولا يقبضُهما، وارتفع «دانية» على أنها صفة لِلظّلّ، وأَنَّثَها على المعنى، ويجوز أن يُرْوَى دانيةً بالنصب على أن يكون حالاً.

٣ ـ فَــكَــانَ أَشَــدَّهُــمْ قَــلْــبًــا وَبَــأْسًــا　　　وَأَصْــبَــرَ فِــي الــحُــرُوبِ عــلــى الــجِــرَاحِ

[١١١] وقال بعض بني عبس:

وعَبْسٌ والحارث بن كعب بن ضَبَّة إخوة لأُم، وعَبْس منقول من المصدر، ويقال: عَبَس يَعْبِس عَبْسًا وعُبُوسًا، والعبس: ضرب من النبت، قال أبو حاتم: هو الذي يسمّى الشابابك.

١ ـ أَرِقُّ لأَرْحَــامٍ أَرَاهَــا قَــرِيــبَــةً　　　لِــحَــارِ بْــنِ كَــعْــبٍ لاَ لِــجَــرْمٍ وَرَاسِــبِ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مؤسس، والقافية متدارك.

رخّم الحارث في غير النداء وذلك جائز في الشعر، يقول: يَرِقُّ قلبي لأرحام مشتبكة بيننا من جهة الحارث بن كعب لا من جهة جَرْم ورَاسب، يقول: إن نسب الحارث بن كعب في نزار وإن كان عِدَادهم في اليمن، وراسب من جَرْم، وجَرْم من قضاعة.

٢ ـ وَأَنَّــا نَــرَى أَقْــدَامَــنَــا فــي نِــعَــالِــهِــمْ　　　وَآنُــفَــنَــا بَــيْــنَ الــلِّــحَــى وَالــحَــوَاجِــبِ

يخبر أن نسب الحارث بن كعب في نزار وإن كان عدادهم وأنسابهم في اليمن، وأنهم يرون أقدامهم وآنُفَهم تُشْبِهُ أقدامَهم وآنُفَهم لهذه القرابة، وأنّه يَرِقُّ لهم لذلك إذ كانوا قومه، وقال «بين اللِّحَى» ولم يَقُلْ بين لحاهم لأنه اكتفى بإضافة الأقدام والنّعال، وذكر الأطراف لأنها تظهر للعيون والمَشَابِهُ تَعَلَّقُ بها أكثر.

٣ ـ وَأَخْــلاَقَــنَــا إِعْــطَــاءَنَــا وَإِبَــاءَنَــا　　　إِذَا مَــا أَبَــيْــنَــا لا نَــدُرُّ لِــعَــاصِــبِ

جعل الشبه في البيت الذي قبله في الخَلْق وهٰهنا في الخُلُق تأكيدًا للأمر، وكان يجب أن يقول وأخلاقنا أخلاقهم فاعتمد على أن العطف في قوله «أقدامنا» يَدُلُّ ويُغْنِي؛ لما يفيده من الاشتراك، كما يُغني قولهم «قام زيدٌ وعَمْرٌو» فكأنّه قال: وأَنَّا نرى أخلاقنا كأخلاقهم إذا

أَعْطَيْنا أو أَبَيْنا، وقوله «لا نَدُرُّ لِعاصِبِ» أي: لا نعطي على القَسْر، وهو من قولهم: عصبت الناقة، إذا شدَدت فخذيها عند الحلب لِتُدِرَّ، وناقةٌ عَصُوبٌ: لا تدرُّ إلا على العصب، ويقال: إن أَشَحَّ بَطْنَيْنِ في العرب الحارثُ بن كعب وبَنُو عبس، وكانت بنو عبس أخوالَ الوليد وسليمان ابني عبد الملك، أُمّهما ولاّدة بنت العباس بن جزء بن أسيد بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس؛ فَزارَ مُسَاوِرُ بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة الوليدَ بْنَ عبد الملك يجتديه، فَقَصَّرَ به، فدخل المساور على عبد الملك فقال: [الوافر]

ثَـلاثَـةَ أشْـهُـرٍ فِـي دَارِ نَـزْرٍ ... نُـرَجِّي نَـائِـلاً عِـنْـدَ الـوَلِـيـدِ
فَـلاَ يُـرْجَـى الـوَلِـيـدُ بِـدَارِ نَـزْرٍ ... ولٰـكِـنْ إنْ نَـجَـوْتِ فَـلاَ تَـعُـودِي
فَـإنْ زَهِـدَ الـوَلِـيـدُ كَـمَـا عَـلِـمْـتُـمْ ... فَـمَـا ورِثَ الـزَّهَـادَةَ مِـنْ بَـعِـيـدِ

فقال عبد الملك: وَيْلَكَ!!! أمن قبلنا أم قبلكم؟ فقال: بل من قبلنا يا أمير المؤمنين.

[١١٢] وقال رجل من حِمْيَر في وقعة كانت لبني عبد مَناة وكلب على حمير:

فَقُتِلَ فيها عَلْقَمَةُ بن ذي يَزَن الحميريّ، قال أبو الفتح: حِمْيَر علم مرتجل وليس جنسًا، وهو قبيلة، فلذلك لم يصرفه. وزعم ابن الكلبي أنه كان يلبس حُلَلاً حَمْراء فَسُمِّيَ به، والعَلْقَمَة: المرارة، وأما ذو يَزَنَ فإنَّ يَزَنَ منه غير مصروف للتعريف ووزن الفعل، وذلك أن أصله يَزَان فألزم في العلم التخفيف فيزان كَيَسَال، فكما لا ينصرف يَسَال معرفة فكذلك لا ينصرف يَزَن، ويدلّ على أن أصله يزان ما حكاه الأصمعي من قولهم: رمح يَزَانِيّ وأَزَانيّ، وقالوا أيضًا أَيْزَنيّ فهذا عَيْفَليّ مقلوب، وقالوا: آزنيٌّ، فهذا فاعليٌّ قُدِّمَتْ فيه العين على همزة أفعل، كما قدّمت الهمزة على ياء يَفْعل فصار تقديره أَأْزني فأبدلت الهمزة ألفًا لوقوعها ساكنة حَشْوًا بعد الهمزة المفتوحة، وهذا واضح، ويجوز أن يكون آزني عافلي، والأوّل أوجه.

١ - مَـنْ رَأَى يَـوْمَـنَـا وَيَـوْمَ بَـنِـي الـتَّـ ... ـيْـمِ إذِ الْـتَـفَّ صِـيـقُـهُ بِـدَمِـهْ

الأول من المنسرح، مطلق موصول مجرّد، والقافية متراكب.

قوله «مَنْ رأى» لفظه استفهام، ومعناه التفظيع، وأراد باليوم الوقعة، ولولا ذلك لَمَا صلح أن يكون إذ ظرفًا له، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[1] ألا ترى أنّ في قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ معنى فعل، فصار يومئذ ظرفًا له، كأنه قال فذلك النقر يومئذ

(١) سورة المدّثر، الآية: ٨ و٩.

نقر يوم عسير، فيقول: مَنْ شاهد يومنا مع بني التيم حين التفَّ غبار الجوّ بالدم، وأضافه إلى اليوم لكونه فيه، والتفافه كان برشاش الدم القاطر من الجراح، والصِّيقُ: الغبارُ، ويقال صِيقَةٌ أيضًا، قال رؤبة: [الرجز]

يَتْرُكْنَ تُرْبَ الأَرْضِ مَجْنُونَ الصِّيَقِ(١)

وصِيَقٌ: جمع صِيقَة.

٢ ـ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُمْ أَشِبٌ شَدُّوا حَيَازِيمَهُمْ عَلَى أَلَمِهْ

أَشِبٌ: أي كثير الجَلَبَة، ومكان أَشِبٌ: فيه شجرٌ ملتفٌّ، وجواب «لمّا» شَدُّوا، والحَيْزُومُ: الصَّدْرُ؛ لأنه موضع الحزم والعزم لاشتماله على القلب الذي هو موضعهما، ويسمّى حزيمًا أيضًا، كأنه الموضع الذي يُشَدُّ بالحزام، والحزام من الحزم أيضًا، وشد الحَيَازيم مَثَل للصَّبر على ما لحقهم، وقوله «على ألمه» يعني عَلَى الألم الكائن في يومهم، وقيل: أراد ألم الحيازيم فردّ على الواحد، وقوله «مَن رأى» على معنى يا مَنْ رأى، وهو تمام الوزن، والبيت من المنسرح، وإنما جاز حذف حرف النداء لأنه استفهام، والمستفهم كالمنادى، فحذف حرف النداء من اللَّفظ وإن كان ثابتًا في الحكم.

٣ ـ كَأَنَّمَا الأُسْدُ فِي عَرِينِهِمِ وَنَحْنُ كَاللَّيْلِ جَاشَ فِي قَتَمِهْ

شَبَّهَ بني التَّيْم بالأسد في الأَجَمَة، وشبّه نفسه وقومه باللَّيل المقبل، لأن اللَّيل لا يمتنع منه شيء، بل يدخل على كل شيءٍ غالبًا، ويُرْوَى «في غشمه» أي: سواده، والقَتَام وَالقَتَم والقَتَمة يجيء في الظُّلمة والغبار والرِّيح، وجاء الفعل منه فقيل قَتِمَ يَقْتَمُ قَتَمًا وقَتَامًا، وقال المرزوقي: ذكر بعضهم أنه أراد بالقَتَمِ القَتَام فحذف الألف، كما قال غيره ورواه قُطْرُبٌ: [الوافر]

أَلاَ لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِي سُهَيْلٍ إِذَا مَا اللَّهُ بَارَكَ فِي الرِّجَالِ

ومصدر ما كان على فَعِل الفَعَل في الأكثر، فلا أدري لِمَ أَنْكَرَهُ حتى اعتذَرَ بما ذكره، هذا قول المرزوقي، وعنى بالبعض ابن جني، والذي ذكره ابن جني من أن القَتَم المراد به القَتَام هو الوجه؛ لأن ذكر الاسم الذي هو القَتَام في هذا الموضع أحسنُ من ذكرِ المصدر الذي هو القَتَم، والعَرِينُ: الأَجَمَةُ، أَجَمَة الأسدِ، ثم يسمّى مُقْتَتَلُ القوم عرينًا، ويقال للرَّجل: هو عِرْنَةٌ لا يُطَاقُ، إذا كان خبيثًا، وقوله «في عرينهم» موضعه موضع الحال، والأُسْدُ: خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: كأنّما هم الأُسْدُ في مقتتلهم، ونحن كاللَّيلِ في

(١) البيت مع آخر في تاج العروس (صيق).

هولنا وإدراكنا ويكون قوله «جاش في قتمه» في موضع الحال أيضًا، والأجود أن يكون قد معه مضمرًا: أي كاللّيل وقد جاش.

٤ ـ لا يُسْلِمُونَ الغَداةَ جارَهُمُ حَتَّى يَزِلَّ الشِّراكُ عَنْ قَدَمِهْ

أي: لا يُسلمون الجار إلى أن يموت فيهم، مدحهم بحسن المحاماة عن الجار، وقوله «الغداة» أشار به إلى غداة اللّقاء، وقوله «حَتَّى يَزِلَّ الشِّراكُ عَنْ قَدَمِهْ» فيه قلب، والأصل زَلَّتِ القَدَمُ عن الشِّراك، وهذا مثل لموته، لأنه لا يلبسها بعده، واحتمل الكلام القلب؛ لأن المعنى لا يحيل[1] كما لا يحيل في قولهم: أدخلتُ الخُفَّ في رِجلي، والقلنسوةَ في رأسي، ويجوز أن تكون الهاء راجعة إلى الشّراك، ويكون الكلام مثلاً لتفظيع الأمر، وهذا كما يُقال: زالَ السَّرْجُ عن المَعَدَّيْنِ[2]، وبلغَ الحِزامُ الطُّبْيَيْنِ.

٥ ـ وَلاَ يَخِيمُ اللِّقَاءَ فَارِسُهُمْ حَتَّى يَشُقَّ الصُّفُوفَ مِنْ كَرَمِهْ

أي: لا يَجْبُنُ عن اللِّقاء فارِسُهُمْ، بل يُقْدِمُ إقدامًا يخرقُ الصّفوف عِزّةَ نَفسٍ وكَرَمًا، كأنه لا يرضى دون المنزلتين في اللّقاء لنفسه، بل يأبى إلا النهاية والعلوّ، وقالوا «حتى يشقَّ الصفوفَ» إلى أن يشقّ الصفوف من كَرَمِهِ، لأنه لا يرضى العار، و«اللّقاء» ينتصب على المفعول، والأصل عن اللقاء، فلما حذف حرف الجرّ تخفيفًا وَصَلَ الفعل فعمل، ويجوز أن يكون ظرفًا كمَطْلَع الشَّمْس، أراد وقت اللّقاء.

٦ ـ مَا بَرِحَ التَّيْمُ يَعْتَزُونَ وَزُرْ قُ الخَطِّ تَشْفِي السَّقِيمَ مِنْ سَقَمِهْ

ما برح وما زال بمعنى، وليس هذا من البَرَاح من المكان، ألا ترى أنّ اللّه تعالى قال: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾[3] ومُحَالٌ أن يبلغَ هذا الموضع وهو لم يبرحْ من مكانه، وكأن الكلمة في اللغة تدلُّ على معنى المجاوزة، ولذلك قيل: [المتقارب]

أبْـرَحْـتَ رَبًّـا وأَبْـرَحْـتَ جـارًا[4]

أي: جاوزت ما يكون عليه أمثالك: أي ما زالوا ينتسبون وَيَدْعُون بيالفلان، وزرقُ الخطِّ تَشْفي المتكبّرَ من كِبْرِهِ، ويجوز أن يكون قوله السقيم كناية عن المنافق المداجي، ويجوز أن يكون المعنى والرّماح في اختلافها تشفي الموتورين من أوتارِهم وذحولِهم وجعل الفعل للرماح على المجاز والسَّعَة، وزرق الخطّ الواو واو الحال، ويَعْتَزُونَ: خبر ما برح.

---

(١) عند المرزوقي «لا يُخِيلُ» ولا يُخيلُ: لا يشتبه ولا يلتبس، ولعلّه الصواب.

(٢) المَعَدّان: هما موضع دفّتي السّرج. (٣) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٤) هذا من بيت للأعشى في ديوانه ص ٣٧ وتمامه:

تـقـول ابـنـتـي حـيـن جَـدَّ الـرَّحـيـ ـلُ أَبْـرَحْـتَ ربًّـا وأبـرحـتَ جـارا

٧ ـ حَتَّى تَوَلَّتْ جُمُوعُ حِمْيَرَ وَالفَـ ـلُ سَرِيعًا يَهْوِي إِلَى أَمَمِهْ[١]

أي: ما زالوا بهذه الحالة إلى أن انهزمت جيوش حمير، وَالفَلُّ: مصدر في الأصل وصف به، وهو موضوع موضع المفعول، ولذلك جاز أن يقال: رَجُلٌ فَلٌّ، ومثله رجل فَرٌّ، إلا أنه موضوع موضع فارٌ، ويقع للواحد والجميع.

٨ ـ وَكَمْ تَرَكْنَا هُنَاكَ مِنْ بَطَلٍ تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيَاحُ فِي لِمَمِهْ

موضع «كم» نصب على المفعول من تركنا، يقول: وكثيرًا تركنا في تلك المعركة من الأبطال وهم مُصَرَّعُون، وأشار بقوله «هناك» إلى معترك القوم.

خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: كان من حديث هذه الأبيات أن بلاد بني سعد أَجْدَبَتْ، فانتجع بنو تَيْم بن مرّ وبنو عبد مَنَاة بن أُدّ، وهم تَيْم وعَدِيّ وعُكْل وهم الرباب وهذا الحي من كَلْب ونسب قضاعة يومئذ إلى سعد ولكنهم تيمّنوا بعد وانتموا إلى مالك بن حمير وسعد هُذَيْم وهم عُذْرة وَضَبَّة والحارث وسَلاَمَانُ ووائل وعَوَانة وجُلْهُمَة وهم حَيّ من بني سعد ومُعَاوية وأبوهم وهم صُحَار وهو سعد هُذَيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأُمهم عاتكة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة بن إلياس، فانتجعت هذه القبائل صحراء صَنْعَاء فَرَعَوْا فيها، ثم وقعت الحرب بين حمير وصُحَار، فظهرت عليهم صُحَار، وقتلوا ملكًا من ملوكهم يُدْعَى ذا ثات، فقال بعض الحميريين: [الرجز]

إِنَّ صُحَارًا قَتَلَتْ ذَا ثَاتِ وَأَلْصَقُوا المِبْضَعَ بِاللَّبَّاتِ

فجمعت حمير لِصُحَار فارتحلت صُحَار من البيداء، فلحقت ببلاد مَعَدّ فثارت حمير إلى كلب تطلبهم بدم ذي ثات، وكلم إخوة صحار، فاستنجدت كلبٌ تَيْمَ الرباب فأنجدتهم على حمير، وظعنَ بنو تيم من البيداء فلحقوا ببلادهم، فقال بعض شعراء التَّيْم حين ظعنوا عنهم وخلّوا بيوتهم بينهم وبين حمير:

يَا تَيْمُ كُونِي جَذِلَهْ أَغْنَى امْرُؤٌ مَا قِبَلَهْ[٢]
إِذْ هُزِمَتْ عَمْرٌو وَفَرَّتْ حَنْظَلَهْ فَاسْتَوْغَلَتْ سَعْدٌ وَكَانَتْ وَغِلَهْ[٣]

فصارت حِمْيَر إلى التَّيْم وَعَدِيٍّ وعُكْل بني عبد مَنَاة وإلى كلب بن وَبْرة فظهرت بنو عبد مناة وكلب على حمير وقتلت التيم علقمة بن ذي يزن، فقال بعض شعراء حمير الأبيات التي مضت.

---

(١) عند المرزوقي «فالفَلُّ».
(٢) هذا البيت من مجزوء الرجز.
(٣) البيت من الرجز التام.

[١١٣] وقال حَسَّان بن نُشْبَةَ العَدَوِي في ذلك:

أخو بني عدي بن عبد مناة بن أدّ، قال أبو محمد الأعرابي: هذا الاسم مُصَحَّف، والصَّواب جِسَاس بن نُشْبة، مثل عِسَاس قال جرير يهجو جُخْدُبَ بن خَرْعَب التَّيْمِي: [الطويل]

أَجُخْدُبُ أَشْبَهْتَ التِي كَانَ بَظْرُهَا ... كَطُرْثُوثِ أرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ أُنَاسِ

لَقَدْ شَهِدَتْ تَيْمٌ عَلَى أُمِّ جُخْدُبٍ ... وَكَانَ سَرَاةُ التَّيْمِ رَهْطَ جِسَاسِ

يعني جِسَاسَ بن نُشْبَةَ التَّيميّ هذا، وقال أبو الفتح: حَسَّان فَعْلَان من الحِسّ، وليس بفَعَّال من الحسن، يدلّ على ذلك منعهم إياه الصَّرفَ، ولو كان فَعَّالاً لانصرفَ، كعَبَّاد وَحَمَّاد، ونُشْبَة: اسم من أسماء الذئاب معرفة وينبغي أن يكون سُمِّيَ بذلك لإنشابه أظافيره في الفريسة، وقد سمّوا أيضًا نُشَيْبة فينبغي أن يكون تحقير نُشْبة هذا، وعديّ: جمع عادٍ كغاز وغزيّ ومَنَاة علم مرتجل اسم صنم، وهو فَعَلَة من مَنَاهُ يَمْنِيه إذا قدَّرَهُ، وذلك لما كانوا يعتقدون فيها، ولإجرائهم إياه مُجْرَى ما ينطقُ ويدبر، ولهذا سَمَّوْها يَغُوث وَيَعُوق: أي يُغِيث تارة وَيَعُوق أُخرى، يقال: غُثْتُ الرَّجُلَ أغوثه مثل أغثته، قال: [الوافر]

مَتَى يَأْتِي غُوَاثُكَ مَنْ تَغُوثُ

أي: تُغِيثُ، وهمزة أُدٍّ عندنا بدل من واو وُدٍّ، كذا تَلَقَّاه أصحابنا، ويشبه أن يكون ذلك لإيثارهم معنى الودّ والمودّة كما سَمّوه محبوبًا ومحبًا وحبان وحبيبًا، والإِدّ: الشَّيء المنكر، ولأنهم قالوا: عبد وَدّ، وقالوا: وَدَدْتُ الرَّجُلَ أَوَدُّهُ وَدًّا ووُدًّا ووِدًّا وَوِدَادًا ووَدادًا ووَدَادَةً وَمَوَدَّة، وكذلك الودادة في التمني، قال: [الطويل]

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الوَدَادَةُ أَنَّنِي ... بِمَا فِي ضَمِيرِ الحَاجِبِيَّةِ عَالِمُ

١ ـ نَحْنُ أَجَرْنَا الحَيَّ كَلْبًا وَقَدْ أَتَتْ ... لَهَا حِمْيَرٌ تُزْجِي الوَشِيجَ المُقَوَّمَا(١)

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

قوله «أجرنا الحيّ» أي: أدخلنا في جوارنا هذه القبيلة، وضَمَنَّا لها الذَّبَّ عنها، وتزجي: أي تسوق، وَالوشيج: أصله عروق القنا، ثم جعل الرماح أنفسها وشيجًا، وسُمِّيَتْ وشيجًا لتداخل بعضها في بعض عند اجتماعها، يقال: وشجت عروق الشجر، إذا التفَّ بعضها على بعض.

٢ ـ تَرَكْنَا لَهُمْ شِقَّ الشِّمَالِ فَأَصْبَحُوا ... جَمِيعًا يُزَجُّونَ المَطِيَّ المُخَزَّمَا

---

(١) عند المرزوقي: «ونحن».

أي: تركنا لحمير، والعرب تجعل الشّمال كناية عن الشُّؤم، ومن أمثالهم صَبَحْنَاهم فغدوا شَامَةً، ويقولون: خَلَّيْنَاهم والجانبَ الأشأم، وخلّيناهم وناحية الشّؤم، وكأنهم يقولون ذلك للمنهزم، ومعنى البيت خلّينا لهم في الانهزام شقّ الشّؤم وجانبه، فأصبحوا يُزْجُونَ مطاياهم مخزمة حسرى، والخَزْم: الشّد والقَطْع، يقال شراكٌ مخزومٌ: أي مقطوع.

٣ ـ فَلَمَّا دَنَوْا صُلْنَا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ سَحَابَتُنَا تَنْدَى أَسِرَّتُهَا دَمَا

أي: لما قربوا منّا في الالتقاء صُلْنَا عليهم وبطشنا بهم فبدَّدَ شملَهُم جيشُنَا الذي كأنه سحابة تندى طرائِقُها دمًا، جعلَ السَّحابَةَ تَرشحُ بالدم لما كثرَ سفكهم له، وتَنْدَى: في موضع الحال، وانتصب دمًا على التمييز، ويقال: صالَ على قرنه، إذا أوقع به واستطال عليه حتى يذلّ له، والأسِرَّة: الأوساط والطَّرَائِق واحدها سِرَرٌ، ويُستعمل في بطون الأودية أيضًا.

٤ ـ فَغَادَرْنَ قَيْلاً مِنْ مَقَاوِلِ حِمْيَرٍ كَأَنَّ بِخَدَّيْهِ مِنَ الدَّمِ عَنْدَمَا

القَيْلُ: هو الذي يَنفُذُ قَوْلُه ويُعتَمَدُ أَمْرُه ونَهْيُهُ، ووُصِفَ به الملكُ كما وصف بالهمّام، لما كان إذا هَمَّ بالشيء فعلَ ولا يُرَدّ، وقيل للسان «مِقْوَل» لما كان آلة في القول، والمقَاوِل والمقاولة: جمع قَيْلٍ، والعندم: دم الأخوين، وقيل: البَقّم.

٥ ـ أَمَرَّ عَلَى أَفْوَاهِ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهَا مَطاعِمُنَا يَمْجُجْنَ صَابًا وَعَلْقَمَا

يقول: صارت مطاعمُنا مُرَّةً على أفواه مَن ذاقها حتى إنها تمجّ بعد ذوقها صابًا وعلقمًا، والصَّابُ: شجرٌ لها لبن إذا أصابَ العين حلبها، والعلقم: شجر مرّ، وقيل هو الحنظل، وحكي أن العلقمة المرارة، ويقال: عَلْقَمَ الحنظل، إذا أدركت مرارته، وقوله «يَمْجُجنَ» حال للأفواه، والتقدير أمَرَّ مطاعمنا على أفواه الذائقين طعمها ماجَّةً صابًا وعلقمًا، والمعنى إذا خبرنا حصل منّا على ما هو كذلك؛ وجاز في طعمها إبراز الضمير قبل الذّكر لأن الكلام يحتمل نيّة التقديم والتأخير لمّا كان رتبة الفاعل ـ وهو مطاعمنا ـ التقديم، ورتبة المفعول وما يجري مجراه التأخير ـ وهو «على أفواه مَنْ ذاق طَعْمَهَا» ـ؛ والطَّعْمُ: الذَّوْقُ، وَالمَطَاعم: جمع مَطْعَم، ويقال: هو حسن المطعم: أي طيّب الطعام.

[١١٤] وقال في ذلك أيضًا:

١ ـ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَفْدِ حَيًّا سِوَاهُمُ فِدَاءٌ لِتَيْمِ يَوْمَ كَلْبٍ وَحِمْيَرَا

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متدارك.

جواب الشرط في قوله «إنْ لم أفد» قد اشتمل عليه الكلام؛ لأن المعنى إنْ لم أفْدِ غيرهم ترفّعًا فإني أفديهم لما كان منهم من حُسْن البلاء يوم اجتماع كلب وحمير للقتال.

٢ ـ أَبَوْا أَنْ يُبِيحُوا جَارَهُمْ لِعَدُوِّهِمْ وَقَدْ ثَارَ نَقْعُ المَوْتِ حَتَّى تَكَوْثَرا

الفعل لتيم، يقول: امتنعوا من أن يُخَلّوا بين جيرانهم قبيلة كلب وبين أعدائِهم حمير، وقد ارتفعَ غبارُ الموتِ حتّى التفَّ بالجو، وأراد بالجار والعدوّ الكثرة؛ إذ كان المراد بهما القبيلتين، وإنما أضاف النَّقْع إلى الموت تهويلاً، ويجوز أن يريد بالموت الحرب، وَتَكَوْثر: تَفَوْعل من الكثرة، والمراد به التراكم؛ ويُرْوَى «تَكَوَّرَا» من كَوَّر العمامة، والمعنى واحد.

٣ ـ سَمَوْا نَحْوَ قَيْلِ القَوْمِ يَبْتَدِرُونَهُ بِأَسْيَافِهِمْ حَتَّى هَوَى فَتَقَطَّرا

أي عَلَوْا نحو الملك حتى هوى ـ أي سقط ـ على أحد قُطْرَيْهِ: أي جانبيه، وفي الكلام اختصار، كأنه قال: ابتدروه بالأسياف وضربوه حتى سقط، فحذف «ضربوه»، وموضع «يبتدرونه» نصب على الحال، وتعلق «حتى» بالمحذوف الذي بيَّنته.

٤ ـ وَكَانوا كَأَنْفِ اللَّيْثِ لاَ شَمَّ مَرْغَمًا وَلاَ نَالَ قَطُّ الصَّيْدَ حَتَّى تَعَفَّرا

الأَسَدُ أحْمَى الحيوان أنفًا، ويبلُغ من عُجْبِهِ بنفسِه أنه لا يتواضعُ لأكْلِ صَيْدِ غيره، ونسبت الأنفة إلى الأنف، كما تُنْسَبُ الحميّة إليه، ولا ينالُ الصيد حتى يكون هو المعفِّر له، والعفر: التراب، هذا إذا رُوِيَت «قطُّ الصَّيْدَ» ويُرْوَى «ولا نال فَظَّ الصَّيْدِ» والفَظُّ: ماء الكرش، افتظظتُ الكرشَ، إذا استخرجت ذلك الماء منه، والمعنى ولا نال الفَظّ من بطن الصَّيد حتى يتعفّر: أي يسقط في العفر، ويتمكّن فيه، والأسد يبدأ من المصيد بحشو بطنه؛ فلذلك خصَّ الفظَّ، وبخط عبد السلام البصري «قَصَّ الصَّيدِ» وقَطُّ في الماضي كأبدًا في المستقبل وهو معرفة مبني كأمْسِ، وأبدًا نكرة كغدًا، ولا نال ولا شمّ في معنى لم يَنَلْ ولم يشمّ، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[1].

[١١٥] وقال في ذلك هِلال بن رَزِين[2] أحد بني ثور بن عبد مَنَاة بن أدّ:

قال أبو الفتح: الهلال أوّل الشهر، والهلال قطعة حجر مدوّر، والهلال الحيّة الذَّكَر، والرَّزِين: الثقيل، والمرأة رَزَان، ومثله شيء حَصِينٌ وامرأة حَصَان، ومثله العدل والعديل، فرّقوا بين هذه المعاني باختلاف الصور والأصل واحد.

١ ـ وَبِالبَيْدَاءِ لَمَّا أَنْ تَلاَقَتْ بِهَا كَلْبٌ وَحَلَّ بِهَا النُّذُورُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣١.

(٢) هلال بن رزين: من بني ثور بن عبد مناة بن أدّ: شاعر جاهلي. (ترجمته في المرزباني ص ٤٨٢؛ والأعلام ٩/ ٩٢).

البيداء: موضع معروف هٰهنا، يقول: لمّا تلاقت كلب وحمير بهذا المكان وأدركوا الأوتار وحلّ بها النذور: أي سقطت الأقسام عن الحالفين بها لإدراكهم الأوتار، وجواب «لَمَّا» يجوز أن يكون ما دَلَّ عليه قوله «فحانت حمير» فيما يجيءُ بعد، ويجوز أن يكون قوله «أَجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ» وعند مَن يجوز زيادة الحروف في مثل هذا المكان يكون «وحلّ بها النذور» أو «فحانت» الجوابَ، فتكون الفاء والواو مقحمة، وهكذا يقولون في قول اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[1] عندهم الواو زائدة فالمراد فتحت.

٢ ـ فَحَانَتْ حِمْيَرٌ لَمَّا التَقَيْنَا وَكَانَ لَهُمْ بِهَا يَوْمٌ عَسِيرُ

أي: هلكتْ حِمْيَرٌ لأنّ الدّبرة كانت عليهم، ويقال: يوم وأمر عَسِرٌ وعَسيرٌ، والفعل عَسُرَ بالضّمّ وعَسِرَ بالكسر؛ ويقال هو العُسْر واليسر والعُسْرَى واليُسْرَى.

٣ ـ وَأَيْقَنَتِ القَبَائِلُ مِنْ جَنَابٍ وَعَامِرٍ أَنْ سَيَمْنَعُهَا نَصِيرُ

جَنَاب وعامر: بطون بني كلب، وقال أبو رياش: يعني عامر الأَجْدَار، وهم بطن عظيم من كلب؛ وإنما لُقّبَ بالأجدار لأنه وُلِدَ في أصل جِدار. وهو أخو عامر بن صعصعة لأُمّهِ، وجَنَاب بن هُبَل بن عبد الله من كلب، ونصير: ظَهِير ومُعين، ويعني بالنّصير بني التَّيْم، وجعل اللّفظ نَكِرَة ليكون أبلغ في تعظيم النصرة؛ كأنه أراد نصير من النّصار: أي كامل في معناه، وقوله «أن سيمنعها» السين في الفعل عوض لِئَلاً تلتبس المخفّفة بالناصبة للفعل، والهاء التي أضمرته ضمير الأمر والشأن.

٤ ـ أَجَادَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ فَدَرَّتْ عَلَيْهِمْ صَوْبَ سَارِيَةٍ دَرُورُ

الدَّجْن: إلباس الغيم، والدُّجُنَّة: الظُّلْمة، وليلة مِدْجَان، فيقول: أَتَتْ سحابةُ الجيش بمَطَرٍ جود فَوَبَلَتْ وَبْلَ مُدْجِنَةٍ: أي سحابة لها إظلام لكثافتها وقربها من الأرض فصبّتْ عليهم المنايا دَرَّ سارِيَةٍ، والدَّرُور: هي الكثيرة الدَّرِّ، ويرتفع على أنه فاعل دَرَّتْ؛ وَصَوْبَ مصدر من غير لفظه، كأنه قال: صابت دَرُورٌ صَوْبَ سارية، وقيل: جادت ودرَّت فعلان جميعًا للدَّرُور، فهو كما يقال: قام وقعد زيد، والدَّرُور: حَرْبٌ تَدُرُّ بالدّماءِ. ويقال: جادت وأجادت بمعنى، والمراد جادت دَرُور فَدَرَّتْ عليهم كَوَبْلِ مُدْجِنَةٍ وكَصَوْبِ ساريةٍ، والأوَّل أقرب، ويُرْوَى «صَوْبُ سَارِيَةٍ» قال أبو رياش: أَنَّثَ الصَّوْبَ لأنه أراد الدفعة.

٥ ـ فَوَلَّوْا تَحْتَ قِطْقِطِهَا سِرَاعًا تَكُبُّهُمُ المُهَنَّدَةُ الذُّكُورُ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

يعني انهزمت حمير، والقِطْقِط: صغارُ البَرَدِ الذي يُتَوَهَّمُ مطرًا، شبّه النَّبْلَ النافذة إليهم بالقطقط من السّحاب، يقول: انهزموا أَوَّلَ الأمر ولم يثبتوا، وقوله «تكبُّهم» أي تصرعهم، والمُهَنَّدَةُ: السّيوف طُبِعَتْ على عمل الهند، وقيل: هي الهندية، والذُّكور: جمع ذكر، وهو الفولاذ، ويقال: هَنَّدْت السَّيفَ، إذا حددته، وموضع «تَكُبُّهُم» نصب على الحال.

ثم جمعت حمير لتَيْم فظهرت على تيم، فقتلوهم وأسروهم، وخصّوا منهم قومًا، وَاستعبدوا قومًا حتى غزا الأضبط بن قُرَيْع صنعاء، فاستنقذ أسْراهم وأصاب في حمير ونَكَى نكايةً شديدة، وقال جرير يذكر تَيْمًا وأَسْرَ حِمْيَرٍ لهم: [البسيط]

يَدْعُوكَ تَيْمٌ وَتَيْمٌ في قُرَى سَبَإٍ ... قَدْ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الجَوَامِيسِ

وقال بعض شعراء تيم وهو في يد تبع يحضّضُ تميمًا وضبّة ويعيّرهم خذلانهم: [الكامل]

أَبْلِغْ لَدَيْكَ مُحَلِّمًا ... ذَا العِزِّ وَالشَّرَفِ القَدِيمِ
وَالأَضْبَطَ السَّعْدِيَّ بَلِّغْ ... وَالأَكَارِمَ مِنْ تَمِيمِ

والأضبط هو أوّل مَنْ سَارَ بِجَنَاحين وقَلْب ومَيْمَنة ومَيْسَرة، ومُحَلّم بن سُوَيط الضَّبي هو الذي عناه الفرزدق في قوله «والرئيس الأول[1]» وهو الذي عناه ذو الرّمة في قوله: [الطويل]

وَهُمْ عَلَّمُوا النَّاسَ الرِّيَاسَةَ لَمْ يَسِرْ ... بِهَا غَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْشَرُ

وهو الذي سار بالنّاسِ وله مُجَنِّبتان ومُقَدّمة وسَاقَة في هذه الغزاة، فظفر بحمير.

فلما بلغ النَّمِرَ بن مُرَّة بن حمّان والأَضْبَط بن قُرَيع هذا الشعر جَمَعَا بني تميم، ثم ساروا إلى صنعاء، وبلغ الخبر أهل اليمن، فقال بعضهم أبياتًا منها: [الطويل]

فَيَا رَاكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَا ... فَوَارِسَ سَوْءٍ مِنْ صُدَاءٍ وَمِنْ نَهْدِ
إذَا الأَضْبَطُ السَّعْدِيُّ جَاءَ بِجَيْشِهِ ... فَيَا رُبَّ خَوْدٍ مُجْتَلاَةٍ عَلَى لِبْدِ
فَإمَّا أَعَدُّوا لِلْخَمِيسِ كِفَاءَهُ ... وَإمَّا اتَّقَوْا قُرْدُودَةَ الخَيْلِ بِالبُعْدِ

---

(١) والبيت هو:

زيدُ الفوارسِ وابن زيدٍ منهمُ ... وأبو قبيصةَ والرّئيسُ الأوّلُ

ومطلع القصيدة:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنا ... بيتًا دعائمُهُ أعزُّ وأطولُ

الكِفاء: الكُفْء، والقُرْدُودُ: وسيط ظهر الإنسان من عند عجزه إلى بين كتفيه المستدقّ، وهو السّيساء من الحمير، فَضَرَبَهُ مثلاً في الخيل لتتبُّع بعضها بعضًا.

فقدَّم نمر والأضبط في خيلهما اليمنَ، فأغارا حتى انتهيا إلى صنعاء، فقاتلا بها حمير، فظهرا عليهم، وأصابا فيهم، واستنقذا مَنْ كان في أيديهم من أَسَارَى التّيم، وأقاما بأرض اليمن حَوْلاً، فذكروا أنّ الأضبط بن قريع بنى بها أُطْمًا[1] فهو معروف بِأُطم الأضبط.

[١١٦] **وقال جَزْء بن ضِرار أخو الشَّمَّاخ:**

ضرار: مصدر ضَارَرْته فاعلته من الضرر، والشَّمّاخ: صفة منقولة أو غالبة.

١ ـ أَتَانِي فَلَمْ أُسْرَرْ بِهِ حِينَ جَاءَنِي حَدِيثٌ بِأَعْلَى القُنَّتَيْنِ عَجِيبُ

الثالث من الطويل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

تقديره أتاني حديث عجيب بأعلى القنتين فلم أُسْرَرْ به حين جاءني، وإنّما استعجب من الحديث لتضمّنه ما كرهه. وكان يردّه بما يقوى في أمله من ضدّه، وقد اجتمع فعلان أتاني وجاءني فأعمل الأول، ومثله قول الآخر: [الوافر]

وَلَمْ أَمْدَحْ لأُرْضِيَهُ بِشِعْرِي لَئِيمًا أنْ يُقَالَ أَصَابَ مَالاَ

القُنَّتَان: جبلٌ أسود مشرف بعض الإشراف، وليس فيه شواهق ولا صخور؛ يُنْبِتُ الكلأَ.

٢ ـ تَصَامَمْتُهُ لَمَّا أَتَانِي يَقِينُهُ وَأَفْرَعَ مِنْهُ مُخْطِىءٌ وَمُصِيبُ

أي تصامَمْتُ منه: أي أظهرت صَمَمًا وتغافلت حين أتاني يقينُه فتيقّنت، وأفرع منه مخطىء ومصيب؛ فالمخطىء الأول الذي كذّبه، والمصيب الثاني الذي صدّقه، وأفرع معناه: صادف الفَرْعَ، وإذا كان هكذا فلا يقتضي مفعولاً، ويجوز أن يكون معناه أفرع الغير فيكون مفعوله محذوفًا، ويُرْوى «أفزع» من الفزع الخوف: أي أفزع المخطىء في حكايته والمصيب فيها فظاعة.

٣ ـ وَحُدِّثْتُ قَوْمِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فِيهِمُ وَعَهْدُهُمُ بِالحَادِثَاتِ قَرِيبُ

---

(١) الأُطُمُ: القصر أو هو كلّ حصن بُنِيَ بالحجارة. وقد ذُكِرَ أطم الأضبط بن قريع في تاج العروس (أطم) وذكر شعرًا قاله الأضبط:

وبنيتُ أُطْمًا في ديارهم لأُثْبِتَ التَّقْهِيرَ بالغضبِ

وذُكِرَ البيت في اللسان بين ثلاثة أبيات.

حُدِّثْتُ: يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل؛ فالأول قام مقام الفاعل، وضميره التاء، والثاني قومي، والثالث أحدث الدّهر فيهم، ومفعول أحدث محذوف، كأنه قال: أحدث الدهر فيهم أحداثًا، كما قال الآخر «فَإِنْ تُكَلِّمْك تَبَلِّتِ»(١). أي تبلت كلامها، ويجوز أن يكون أجرى قوله «أحدثَ الدهر فيهم» مجرى قولهم: نكى الدهر فيهم، فاستغنى عن المفعول، وقوله «وعهدهم بالحادثات قريب» يجوز أن يكون من جملة ما بلغ، ويجوز أن يكون الواو للحال، كأنه نكى الدَّهر فيهم وحالهم قرب الدهر بحوادثه، ويجوز أن يكون جاريًا مجرى الاعتراض بين ما قبله وما بعده، وحقيقة معناه تصديقه لما خبر به، وأن قومه من الكرام الذين لا يسلمون على الدهر، بل يولع بالتأثير فيهم.

٤ ـ فَإِنْ يَكُ حَقًّا مَا أَتَانِي فَإِنَّهُمْ   كِرَامٌ إِذَا مَا النَّائِبَاتُ تَنُوبُ

جواب «فإنْ يَكُ حَقًّا» ما دلَّ عليه قولهم «فإنّهم كرام» لأن معناه فإنهم يصبرون صبر الكرام، ومثله قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾(٢)؛ لأن المعنى فإنكَ تملكُهم وتقدر عليهم.

٥ ـ فَقِيرُهُمُ مُبْدِي الغِنَى وَغَنِيُّهُمْ   لَهُ وَرَقٌ لِلسَّائِلِينَ رَطِيبُ

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ للنّدى، وأصله هٰهنا ورق الشجر، وبه عيش المال الإبل والغنم، فإذا لم يمنعوا من الورق عاشَ الناسُ في فنائهم، هذا الأصل، ثم يتمثّلُ به بعدُ لغيره من ضروب المنافع، ويُقال: وَرَّقَت الشَّجرةُ وأَوْرَقَتْ، وشجرةٌ وَرِيقةٌ، إذا كَثُرَ وَرَقُها، والوِرَاقُ: زمن خروج الوَرَق كالصِّرَام والجِدَاد.

٦ ـ ذَلُولُهُمُ صَعْبُ القِيَادِ وَصَعْبُهُمْ   ذَلُولٌ بِحَقِّ الرَّاغِبِينَ رَكُوبُ

يقول: مَنْ كان منهم سهل الجانب تراه متعسّرًا إذا سِيمَ الضَّيْمَ، والأَبِيُّ منهم معترفٌ بِحَقِّ الرّاغبين يركبُ به فلا يمتنع.

٧ ـ إِذَا رَنَّقَتْ أَخْلاقَ قَوْمٍ مُصِيبَةٌ   تَصَفَّى لَهَا أَخْلاقُهُمْ وَتَطِيبُ

أي: إذا كَدَّرَتِ المصائبُ أخلاقَ النَّاسِ فتغيّرت فإنَّ أخلاقَ هؤلاء تصفى لها: أي كلّما ازدادوا امتحانًا بالدّهر ازدادوا طلاقةً وبشاشةً.

٨ ـ وَمَنْ يَغْمُرُوا مِنْهُمْ بِفَضْلٍ فَإِنَّهُ   إِذَا مَا انْتَمَى فِي آخَرِينَ نَجِيبُ

---

(١) هذه قطعة من بيت للشنفرى، وتمامه:
كأنّ لها في الأرضِ نِسْيًا تقصُّهُ   على أُمِّها، وإن تُحَدِّثْكَ تَبْلِتِ
وتبلت: تقطع كلامها، والبلْت: القطع.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

حذف مفعول «يغمروا» لأنه لا يلتبس، أراد ومَن يغمروه: أي المفضول فيهم إذا انتمى في غيرهم كان فاضلاً، وأصلُ الغَمْرِ: التَّغْطِيَةُ، ومنه قولهم: دخل في غمارِ النّاسِ، والنَّجيبُ: الكريم مِنَ النَّاس والخيل والإبل، ولذلك قيل للمختار من كلّ شيء: المُنْتَجَبُ، وقد نَجُبَ الرَّجُلُ نَجابةً، وأنْجبَ، أتى بأولاد نجباء.

[١١٧] **وقال القُطَامِيُّ[(١)]:**

قال أبو الفتح: القُطَامِيّ: الصقر، سُمِّيَ الشّاعر به من قوله: [الرجز]

يَحُطُّهُنَّ جَانِبًا فَجَانِبَا صَكَّ القُطَامِيِّ قَطًا قَوارِبَا

ويقال القَطَامِيُّ بفتح القاف، والقُطَامِيُّ بضمها، والقَطَام بالفتح وبغير ياء، قال أبو هلال: اسمه عُمَيْر بن شُيَيْم بن عمرو بن عَبَّاد بن بكر بن عامر بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب، وكان فحلاً رقيق الحواشي كثير الأمثال، فمنها قوله: [البسيط]

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَ خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلأُمِّ المُخْطِىءِ الهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
والعَيْشُ لا عَيْشَ إلاَّ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلاَ حَالَ إلاَّ سَوْفَ تَنْتَقِلُ

١ - مَنْ تَكُنِ الحَضَارَةُ أعْجَبَتْهُ فَأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرانَا

الأول من الوافر، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

المراد بالحضارة أهل الحضر، فحذف المضاف، يدلّ على ذلك قوله «فأيّ رجال بادية» لأن التفضيل إنّما يصحُّ بين البدويين والحضريين، وأيّ هذه تضاف إلى النكرة ولا تضاف إلى أكثر من الذي جعلته خبرًا لأنك تريد صفته، ألا ترى أنك تقول: مررت برجلٍ أيِّ رَجُلٍ، وأيُّ رجل أخوك، إذا جعلته خبرًا يكون مخرج الكلام المدح والتعجّب، كأنك قلت: نهايةٌ في الرّجولية أخوك، فعلى هذا قوله «فأيّ رجال بادية» يقول: مَنْ أعجبته رجال الحضر فأيّ رجال بدْوٍ نحن إذا حصلت الرّجال، والمعنى أيّ أُناسٍ نحن وإن كنّا من أهل البدو، والمراد التمدّح.

٢ - وَمَنْ رَبَطَ الجِحَاشَ فَإنَّ فِينَا قَنًا سُلُبًا وَأفْرَاسًا حِسَانَا

يقول: مَن ربط الحُمُرَ واقتناها وكان عيشه منها فإنّا أربابُ الغزو، ويُروى «قنا سَلِبًا»

(١) القُطَامي: عُمَيْر بن شُيَيْم كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم. (ت ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م).
(والترجمة في: الشعر والشعراء ص ٢٧٧؛ وسمط اللآلي ص ١٣٢؛ والتبريزي ١/ ١٨١).

و«سُلُبًا» فالسَّلبُ: الطّويل صفة الواحد وقد يُوصَفُ الجمعُ بصفة الواحد إذا كان على بنائه، وسُلُبٌ: جمع سلوب، أي هي تسلب الأنفس.

٣ ـ وَكُنَّ إذَا أغْزنَ عَلَى جَنَابٍ وَأَعْوَزَهُنَّ نَهْبٌ حَيْثُ كَانَا

«وكُنَّ» يعني الخيل، أنزلها منزلة أربابها وهم المغيرون، والنَّهْب: ما ينتهب ويقال: عَوِزَ الرَّجُلُ كذا عَوَزًا، وأَعْوَزَهُ الدَّهرُ: أفقره، وأعوز الرّجل: ساءَتْ حاله، وهذا لا يتعدّى، وقوله «إذا أَغْزَنَ» ظَرف لقوله:

٤ ـ أغَرْنَ مِنَ الضِّبَابِ عَلَى حُلُول وَضَبَّةَ إنَّهُ مَنْ حَانَ حَانَا

هو جواب له، والجملة خبر «كُنَّ» والضِّباب: يشتمل على ضَبَّة وَضُبَيْب وحِسل وحُسَيْل، فلذلك سمّوا الضِّباب، والحيّ الحلولُ: الذين يكونون في مكانٍ واحدٍ، يقول: إنَّهم لاعتيادهم الغارة لا يصبرون عنها، حتّى إذا أعوزَهُمُ الأَباعدُ عَطَفُوا على الأقاربِ، أَلاَ تَرى أنه تَمَّمَ ذلك بقوله:

٥ ـ وَأحْيَانًا عَلَى بَكْرٍ أَخِينَا إذَا مَا لَمْ نَجِدْ إلاَّ أَخَانَا

«على بكر» تعلّق بفعل مُضْمَر دَلَّ عليه ما تقدّم فيما قبله، كأنه قال: وأحيانًا على بكر أغْزنَ، وقوله «إنه من حان حانا» يسمّى الالتفات، كأنه التفت إلى إنسان فقال: إنّه من هَلَكَ بِغَزْوِنا فقد هلك.

[١١٨] وقال الأعرج المَعْنيُّ(١):

وهو رجل من الخوارج.

١ ـ أَرَى أُمَّ سَهْلٍ مَا تَزَالُ تَفَجَّعُ تَلُومُ وَمَا أَدْرِي عَلاَمَ تَوَجَّعُ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

قوله «ما تزال» يريد به اتّصال تلكَ الحالة منها؛ لأنَّ ما زال لدوام الماضي وما يزال هو مستقبل ما زال، فيصير لامتداد الحال، فإن قيل: أليس زال ضدّ دام فكيف يفيد معنى الدوام وهو للنفي؟ قلت: لمّا دخل ما النافية عليه تغيَّرَ معناه إلى الإيجاب؛ لأنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إيجاب، فعاد إلى معنى الدّوام، و«تَلُومُ» في موضع الحال: أي تفجع لائمة، وقوله «وما أدري علامَ تَوَجَّعُ» يريد وما أدري ما مقتضى هذا السؤال.

٢ ـ تَلُومُ عَلَى أنْ أمْنَحَ الوَرْدَ لِقْحَةً وَمَا تَسْتَوِي وَالوَرْدَ سَاعَةَ تَفْزَعُ(٢)

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٨٩). (٢) عند المرزوقي: «أن أُعطيَ».

أي: تُعِيبُ عَلَيَّ في إيثاري فرسي الورد بلبن لقِحة، وهي الناقة التي بها لبن، وما تستوي هي مع الورد ساعة الفزع، والوَرْدَ: منصوب على أنه مفعول معه، يريد لا تستوي هي مع الورد، ولو أراد ما تستوي هي وما يستوي الورد لم يكن يجوز إلاَّ الرّفع، والعامل في هذا المفعول لا يعمل إلا بتوسّط الواو بينهما، وإذا أردتَ تجريد الفعل له على ما يدلّ عليه قوله تستوي يكون تقديره إذا أظهرته عاملاً فيه وما تساوى الورد، وعلى هذا قولهم: استوى الماء والخشبةَ؛ لأنَّ المعنى ساوَى الماءُ الخشبةَ، فإن قيل: كيف قال «ولا أدري عَلاَمَ تَوَجُّعُ» ثم أتبعه بقوله «تلوم على أن أعطي» وهل كذب نفسه؟ فالجواب أن قوله «وما أدري» إنكارٌ وتفظيعٌ للشَّأنِ، والمُتَضَجِّرُ بالشّيء يقول ذلك وإن كان عالمًا، وروى بعضهم «والوَرْدُ» بالرَّفع، وكان الأجود أن يقول: وما تستوي هي والورد؛ لأنَّ عطف الظاهر على المضمر المرفوع ضعيفٌ حتى يؤكّد، ويكون المعنى وما تستوي أُمُّ سهلٍ وفرسي في ذلك الوقت.

٣ - إذَا هِـيَ قَـامَـتْ حَـاسِـرًا مُـشْـمَـعِـلَّـةً نَـخِـيـبَ الـفُـؤَادِ رَأْسُـهَـا مَـا يُـقَـنَّـعُ

«إذا هي قامت» بيان للحال ساعة الفزع، وموضع «إذا» نصب على أنه بدل من «ساعة تفزع» ويكون على ذلك قوله «هنالك يجزيني» من البيت الذي يليه منقطعًا وإن كانت علّة إيثاره باللّبن إياه وانتفاء المساواة بينه وبين المرأة، وقوله «مُشْمَعِلة» أي: جَادَّة في العَدْوِ، منخوبة القلب: أي طائرة اللّبِّ لا قِنَاعَ عليها لِدَهَشِهَا، ويُرْوَى «رَأْسَهَا ما تُقَنِّع» فينتصب لأنه مفعول مُقَدَّم، ويجوز أن يكون «إذا هي قامت» استئناف كلام، وحينئذ يكون جواب «إذا» قوله «هنالك يجزيني».

٤ - وَقُـمْـتُ إلَـيْـهِ بِـالـلِّـجَـامِ مُـيَـسِّـرًا هُـنَـالِـكَ يَـجْـزِيـنِـي بِـمَـا كُـنْـتُ أَصْـنَـعُ

مُيَسِّرًا: مهيَّئًا، وفي القرآن ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] و«هنالك» إشارة إلى الوقت، ويستعمل في المكان والعامل فيه «يجزيني».

[١١٩] وقال حُجْر بن خالد بن محمود بن عَمْرو بن مَرْثد بن مالك بن ضُبَيْعَةَ بن قَيس بن ثَعْلبة:

قال أبو العلاء: الحُجْرُ الحرام، وكذلك الحِجْر أيضًا، ومَرْثَد: من رَثَدْت المتاعَ بعضه فوق بعض، ومتاع رَثيد ومرثود.

١ - كَـلْـبِـيَّـةٌ عَـلِـقَ الـفُـؤَادُ بِـذِكْـرِهَـا مَـا إنْ تَـزَالُ تَـرَى لَـهَـا أَهْـوَالاَ

الثاني من الكامل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

(١) سورة الليل، الآية: ٧.

يقول: عَلِقَ الفؤادُ بِذِكْرِ امرأةٍ كلبيّة، وهذا كما يقال: عَلِقَ بقلبه علاقته، ويجوز أن يكون جعل الفؤاد تابعًا لِلذِّكْر، فكأنّه تعلّق به، وكلّ شيء وقع موقعه قيل: عَلِقَ مَعَالِقَهُ، وجعل صدر البيت على الإخبار عنها، ثم نقل الكلام إلى مخاطبة نفسه. ويجوز أن يكون استمرّ في الإخبار عنها، ويكون المعنى عَلِقَها الفؤادُ ولا تزالُ هي تقاسي أنت بسببها أهوالاً.

٢ - فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لاَ أَبَا لَكِ إِنَّنِي فِي أَرْضِ فَارِسَ مُوثَقٌ أَحْوَالاَ

يقال: قَنِيَ يَقْنَى وَقَنَا يَقْنُو، قال المتلمّس: [الطويل]

كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطٍّ مُضَلَّلِ(١)

وقوله «لا أَبا لكِ» بَعْثٌ وتحضيضٌ، وليس بنفي لأبيها، وخير لا محذوف، لأن المعنى لا أباك، ودخلت اللاّم مؤكّدة للإضافة؛ لأنّ هذه إضافة لا تخصّص فساغ تأكيدها باللاّم، ولو كانت الإضافة متخصّصة لكان لا يعمل في «لا أبا لك» وتقدير الخبر لا أبوك موجود، وإنّما قال «مُوثَقٌ» ولم يكن قد أسر لعلمه بما يؤول أمره إليه في مقصده، كأنه لما وَطَّنَ نفسَه على ترك التّحامي والإبقاء علم أنّ أحسن العاقبتين فيه الأسر فذكره، وهذا كقول الآخر: [الرجز]

قَدْ يَتِمَتْ بِنْتِي وَآمَتْ كَنَّتِي

فهذا وجه، ويجوز أن يكون قال هذه الأبيات بعد الأسر.

٣ - وَإِذَا هَلَكْتُ فَلاَ تُرِيدِي عَاجِزًا غُسًّا وَلاَ بَرَمًا وَلاَ مِعْزَالاَ

ليس قصده في هذه الوصاة إلى أن يَبْعَثَها إلى تَخَيُّرِ الرّجال، وإنما المراد اطلبي مِثْلي، وهو يعلم أنّها لا تظفرُ بمَن يماثِلُهُ أو يقارِبُهُ، والغُسُّ: الضَّعيفُ، والبَرَمُ: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، والمِعْزَال: الذي لا ينزل مع القوم في السفر، ولكن ينزل ناحية، ومثله لابن الأحمر: [الوافر]

فَإِمَّا زَالَ سَرْحٌ عَنْ مَعَدٍّ فَأَجْدِرْ بِالحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا
فَلاَ تَصِلِي بِمَطْرُوقٍ إِذَا مَا سَرَى فِي القَوْمِ لَيْلاً مُسْتَكِينَا
إِذَا شَرِبَ المُرِضَّةَ قَالَ أَوْكِي عَلَى مَا فِي سِقَائِكِ قَدْ رَوِينَا(٢)

---

(١) صدره: «أَلْفَيْتُهُ بالثّني من جذبِ كافرٍ». والبيت في تاج العروس (قنو) واللسان (قنو). واختلف في أقنو فقيل: أحفظُ وألزِمُ، وقيل: أجزي وأكافىء، وقيل: أرضى.

(٢) أَوْكَى عليها: شَدَّها بالوكاء، والوِكاءُ: رِباطُ القِرْبَةِ الذي يُشَدُّ به رأسُها.

٤ ـ وَاسْتَبْدِلِي خَتَنًا لأَهْلِكِ، مِثْلُهُ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الأَبْطَالا[1]

«مثله» يرتفع بالابتداء، وما بعده في موضع الخبر له، والجملة في موضع الصّفة لِلْخَتَنِ، ولا يجوز نصب مثله.

٥ ـ غَيْرُ الجَدِيرِ بِأَنْ تَكُون لَقُوحُهُ رَبًّا عَلَيْهِ وَلاَ الفَصِيلُ عِيَالاَ

«غيرُ الجديرِ» من صفة الخَتَن: أي لا يكون خليقًا بأن يكون مملوكًا لمالكه لا مالكًا، ويحلّ الفصيل منه محلّ العيال، لا محلّ المال، واللَّقوح صفة، يقال: ناقة لَقُوح، إذا كان بها لبن، فإذا أرادوا استعمالها على حدِّ الأسماء قالوا لِقْحَة، يقال: هذه لِقْحَة فلان للناقة الحلوب، ولا يقال: نَاقَةٌ لِقْحَةٌ.

[١٢٠] وقال رُشَيْد بن رُمَيْض العَنْبَري/ العنزيّ:

قال أبو الفتح: رُمَيْض: تحقير رَمَضٍ، يقال: رَمِضَ الرَّجُلُ يَرْمَضُ رَمَضًا، إذا أصابه حَرُّ الشَّمسِ، قال: قرأته على محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيىٰ: [الرجز]

ظَلَّتْ وَظَلَّ يَوْمُهَا حَوْب حَلِ وَظَلَّ يَوْمٌ لأَبِي الهَجَنْجَلِ
ضَاحِي المَقِيلِ دَائِم التَّبَدُّلِ بَيْنَ العَمُودَيْنِ عَلَيَّ مِبْذَلِي
أرْمَضُ مِنْ تَحْتُ وَأَضْحَى مِنْ عَلِ

١ ـ بَاتُوا نِيَامًا وَابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ
٢ ـ بَاتَ يُقَاسِيهَا غُلامٌ كَالزُّلَمْ

من مشطور الرّجز، مقيد مجرد، يجتمع في قوافيها المتراكب والمتدارك، والمتراكب داخل على المتدارك.

أي: بات يعاني الغارة كيف يوقعها غلام مُدمج الخَلْق خفيف كأنه قدح.

٣ ـ خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ القَدَمْ
٤ ـ قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ لِسَوَّاقٍ حُطَمْ

خَدَلَّجُ الساقين: ممتلئهما، وخَفَّاق القدم: سريع الخطو ضراب بها للأرض يسمع لها خفقان لشدة وطئه «قد لفّها اللّيلُ» جعل الفعل لِلَّيْلِ على المجاز وأصل الحَطْم الكسر، والمعنى جمعها بِرَجُلٍ متناهي القوة عنيف السَّوْق لا يرفقُ بوسائِقِهِ رفق الرعاة ولا رفق الجزار، وذلك أن الراعي مُكْتَرًى لاستصلاحِ مرعيه، والجزار لا يستهلكُ ماله، يفسره قوله:

٥ ـ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلاَ غَنَمْ .

---

(١) الخَتَن: الصّهر.

٦ ـ وَلاَ بِـجَـزَّارٍ عَـلَـى ظَـهْـرِ وَضَـمْ

٧ ـ مَـنْ يَـلْـقَـنِـي يُـودِ كـمـا أَوْدَتْ إرَمْ

قال أبو رياش: هذه قالها في غارة الحُطم وهو شُرَيْح بن شُرَحْبيل بن عمرو بن مَرْثد، أغار على اليمن فقتل وليعة بن معديكرب أخا قيس وسَبَى بنت قيس بن معديكرب أُخت الأشعث بن قيس فبعث الأشعث يعرض في فدائها بكلّ قرن من قرونها مائة من الإبل فلم يفعل الحُطَمُ وماتت عنده عطشًا.

[١٢١] وقال جعفَر بن عُلْبة الحارثي(١) حين لَقِيَ بني عُقَيل، وقد تقدّم خبره:

١ ـ أَلاَ لاَ أُبَـالـي بَـعْـدَ يَـوْمِ بِـسَـحْـبَـلِ ... إِذَا لَـمْ أُعَـذَّبْ أَنْ يَـجِـيءَ حِـمَـامِـيَـا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

يقال: لا أُبالي كذا، ولا أُبالي بكذا، و«إذا لم أُعَذَّبْ» ظرف لِلاأُبالي أي لا أُبَالي بالموت إذا سلمت من عذاب اللَّه تعالى.

٢ ـ تَـرَكْـتُ بِـجَـنْـبَـيْ سَـحْـبَـلٍ وَتِـلاَعِـهِ ... مُـرَاقَ دَمٍ لاَ يَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ ثَـاوِيَـا

أي تركت بجانبي هذا الوادي ومسايل مائه «مُرَاقَ دم» يجوز أن يريد به موضعًا أُرِيقَ به دَمٌ، كما يجوز أن يريد به دمًا مُراقًا، لكنه إذا أُريد به الموضع يكون لا يبرح من صفة الدم، ويجوز أن يريد به رجلاً قد أُرِيقَ دمه ويكون كقولك: هو حسن وجه، وذكر بعضهم أن المراد مُرَاق دم لا يزال ذكره باقيًا على الدهر؛ فحذف المضاف، والتِّلاَع: جمع تَلْعَة، وهي أرض مرتفعة يتردَّدُ فيها السَّيْلُ إلى بطنِ الوادي، ومن الاستعارة الحسنة قولهم: فلان لا يُوثَقُ بسَيْل تَلْعَتِه(٢)، إذا كان لا يَصْدُقُ في أخباره.

٣ ـ إِذَا مَـا أَتَـيْـتَ الـحَـارِثِـيَّـاتِ فَـانْـعَـنِـي ... لَـهُـنَّ وَخَـبِّـرْهُـنَّ أَنْ لاَ تَـلاَقِـيَـا

«أنْ» مخفّفة من الثقيلة، واسمها مُضْمَر، و«تلاقيا» نصب بلا، وخبره محذوف، والمراد لا تلاقي لنا، والهاء في أنه ضمير الأمر والشأن، والجملة خبر «أنْ» وهذا البيت مع ما بعده يُرْوَى في شعر مالك بن الرَّيْب.

٤ ـ وَقَـوِّدْ قَـلُـوصِـي بَـيْـنَـهُـنَّ فَـإِنَّـهَـا ... سَـتُـضْـحِـكُ مَـسْـرُورًا وَتُـبْـكِي بَـوَاكِـيَـا

---

(١) جعفر بن علبة بن ربيعة الحارثي أبو عارم: شاعر غزل مقلّ، كان فارسًا مذكورًا، ومن شعراء الحماسة. (ت ١٢٥ هـ/٧٤٣ م). (ترجمته في: معاهد التنصيص ١/ ١٢٠، وخزانة البغدادي ٤/ ٤٢٢؛ والأعلام ٢/ ١١٩).

(٢) أساس البلاغة (تلع).

قوله «سَتُضْحِكُ مَسْرُورًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا» من باب وصف الشَّيء بما يؤول إليه، وقيل: المسرور الشَّامت، والبواكي: الصّدِيق، والقَلوص قال الخليل: هي الناقة الباقية على السير لا تزال قلوصًا حتّى تبزلَ، وإنما سُمِّيَتْ قلوصًا لطول قوائمها ولم تجسم بعد.

[١٢٢] وقال آخر[١]:

١ ـ لَعَمْري لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرُ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَإِنْ عَالَوْا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ[٢]

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

خبر «لَعَمْري» مُضمَر، و«لَرَهط» جوابه، والرَّهْط يقع على ما دون العشرة، ولهذا دخل عليه من العدد أسماء الآحاد، فقيل: ثَلاثَةُ رَهْطٍ، ومثله نَفَر، ولو كان يقع على الكثير لَمَا جاز ذلك فيه، ألا ترى أنك لا تقول: ثَلاثَةُ إبِلٍ، وانتصاب «بقية» على التمييز، وموضع «وإن عَالَوْا به» نصب على الحال للرّهط، وجواب الشّرط فيما دَلَّ عليه قوله «خيرٌ بقية»؛ وقوله «كلَّ مَرْكَب» يريد به كل مركب مذموم، وعاليت بفلان بمعنى أعليته، يقول: لَعِتْرَةُ الرجل أحسنُ إبقاءً عليه وإن أركبوه مراكبَ صعبةً.

٢ ـ مِنَ الجَانِبِ الأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا غِنًى جَزِيلٍ وَلَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ

«من الجانب الأقصى» أي: الأبعد، ومن تتعلق بقوله خير بقية، لأن معناه أفعل الذي يتمّ بمن، وقوله «وإن كان ذا غِنًى» في موضع الحال، والجانب يريد الجنس لا واحدًا بعينه، وقوله «ولم يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّب» يجري مجرى الالتفات، وهو توكيد للخبر الذي أورده.

٣ ـ إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ وَلَمْ تَكُ مِنْهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

هذا الكلام تحذيرٌ من الاغترارِ بالأجانب؛ وَبَعْثٌ على طَلَبِ موافقتهم وترك الخلاف عليهم بعد الحصول فيهم، ويُرْوَى:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًا لَسْتَ مِنْهُمُ

أي: وأنت لا تهوى هواهم، وقوله «كُلْ ما عُلِفْتَ» مَثَلٌ.

[١٢٣] وقال البُرْجُ بن مُسْهِرٍ الطائي[٣]:

قال أبو هلال: هو البُرْج بن مُسْهِر بن جُلاَس أحد بني جَدِيلة ثم أحد بني طريف بن

---

(١) الأبيات في الحيوان ٣/ ١٠٣؛ والبيان ٣/ ٢٥٠ لخالد بن نضلة؛ وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «رُوِيَتْ لنهشل بن حَري».

(٢) في الحماسة رواية الجواليقي «تعِلَّة» بدل «بقيّة»: والتَّعِلَّة: ما يُشْتَغَلُ به ويُتَعلَّل.

(٣) البرج بن مسهر بن جلاس الطائي: شاعر، من معمَّري الجاهلية. (ت ٣٠ ق.هـ/ ٥٩٥ م). (ترجمته في: الأعلام ٤/ ١٧).

عمرو بن ثُمَامة بن مالك بن جَذْعاء بن ذُهْل بن رومَان بن جُنْدُب بن خارجة بن سَعْد بن فُطْرَة وهو جَدِيلة، من طَيّىء، وجاور كلبًا فلم يَحمدْهم، وهو من مُعَمَّري الجاهلية، وقال أبو الفتح: دخول اللاّم في البُرْج وهو علم يَدُلُّكَ على مراعاتهم فيه مذهب الصّفة واعتقادهم لذلك، فجرى ذلك مجرى قولهم القَوِيّ المَنِيع لو نقلته فسمّيت به وفيه الألف واللاّم كقولهم المظفّر والمطهّر.

١ - فَنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَّا رَأَيْنَا فِي جِوَارِهِمِ هَنَاتِ

أول الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

قوله «فنِعْمَ الحيُّ كلبٌ» تهكّم وسخرية، وجاز أن يأتي به بلفظ المدح لأنه بما بعده يبيِّن الغرض فيكون أبلغ في الهزء، والهَنَات: الأمور المنكرة، ولا يستعمل إلاّ في الشرّ، وهي جمع هَنَة، وإنما يكنَّى به عن المحقّرات، كأنه يرى الإبقاء والمجاملة ويجري الأمر على المداجاة وتَرْك المجاهرة، وقد تجمع هَنَة على هَنَوَات، فمَن رَدَّ اللاّم في الجمع ردّه في النسبة أيضًا، ومَن لم يردّه فهو في النسبة بالخيار إن شاء قال: هَنِيٌّ، وإن شاء قال: هَنَوِيٌّ، والاستثناء في هذا المكان يكون منقطعًا، وكان فارق قومه مُرَاغمًا لهم، وجاور كلبًا فلم يحمد جوارهم ففارقهم ذامًّا لهم، وقد جاء عن بعض المحدثين هَنَات في الخير، كتب الحسن بن وهب إلى أخ له: [السريع]

ظَبْيُكَ هذَا حَسَنٌ وَجْهُهُ وَمَا سِوَى ذَاكَ جَمِيعًا يُعَابْ
فَافْهَمْ كَلامِي يَا أَبَا عَامِرٍ لاَ يُشْبِهُ العُنْوَانُ مَا فِي الكِتابْ

فكتب إليه: [السريع]

وَرَاءَ مَا رَاقَكَ مِنْ حُسْنِهِ مَنَافِعٌ مَخْبَرُهَا يُسْتَطَابْ
مِنْ طِيبِ مَسْمُوعٍ إذَا مَا شَدَا يَحْلُو بِهِ العَيْشُ وَيصْفُو الشَّرَابْ
وَعِشْرَةٌ مَحْمُودَةٌ تَحْتَهَا مُسَاعَدَاتٌ وَهَنَاتٌ عِذَابْ

٢ - وَنِعْمَ الحَيُّ كَلْبٌ غَيْرَ أَنَّا رُزِئْنَا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ بَنَاتِ

يقال: فلان مُرَزَّأٌ في ماله، فيكون مدحًا، وفلان مرزأ في أهله، فيكون تَرَحُّمًا وتوجّعًا، ومثل هذا التهكّم قول الآخر: [المنسرح]

فِدًى لِسَلْمَى ثَوْبَاي إذْ دَنِسَ الـ ـقَوْمُ وَإذْ يَدْسِمُونَ مَا دَسَمُوا

وقوله «من بنين» دخل من للتفصيل، كأنه قال: رُزِئْنَا أُناسًا من بنين ومن بنات، ومفعول «رزئنا» محذوف، ويجوز أن يكون زاد من في الواجب على مذهب الأخفش، وما حكاه عنهم من قولهم: «قد كان من مطر» فيكون المراد رزئنا بنين وبنات.

٣ ـ فَإنَّ الغَدْرَ قَدْ أمْسَى وَأضْحَى   مُقِيمًا بَيْنَ خَبْتَ إلى المُسَاتِ

الفاء ربطت الجملة التي بعدها بما تقدم ورتبتها عليه، وخَبْت وَالمُسَات: ماءانِ لكلب، يقول: الغدر مقيم في كلب بين هذين: أي في أول ديارهم وآخرها، وفائدة قوله «أمسى وأضحى» بيان اتصال الوقت.

٤ ـ تَرَكْنَا قَوْمَنَا مِنْ حَرْبِ عَامٍ   ألاَ يَا قَوْمِ لِلأمْرِ الشَّتَاتِ

«ألا يا قوم» تَعَجّب؛ والشَّتَات: مصدر وصف به، واللاّم في الأمر لام الإضافة، لكن فائدته ما ذكرناه من التعجب، وأتى به مع المدعو؛ وقد يقال: يا لزيد، فيكون المنادى محذوفًا. وهذه اللاّم تدخل مفتوحة في المنادى يُرَادُ به الاعتزاء[١]، كقولك: يا لبكر، ويا لتميم، يقول: انتقلنا عن قومنا وفارقناهم منذ زمن الحرب التي اتّفقت بيننا عامًا أوّل، ثم أخذ يستعطفهم وَيَتَذَمَّم من مُرَاغَمتهم ويُظْهِرُ الحاجةَ إليهم، فقال: يا قوم أقبلوا لما اخْتَلَّ من حالنا، وقوله «من حرب عام» جعل من بدل منذ لأنه في المكان مثله في الزمان، كما قال زهير: [الكامل]

مِنْ حِجَجٍ ومِنْ شَهْرِ[٢]

٥ ـ وَأخْرَجْنَا الأيَامَى مِنْ حُصُونٍ   بِهَا دارُ الإقَامَةِ وَالثَّبَاتِ

وصف النساء بما آلَ أَمْرُهُنَّ إليه من الأيْمَةِ، وإنْ كُنَّ وقت الإخراج ذوات بعول، والفعل من الأيْمَة آمَ، ويقع على الرَّجُلِ والمرأةِ، وأيِّم من الفعل فَيْعل، وجمعه أيَايِم على فَيَاعل. وَأيَامَى مقلوبٌ، كأنَّه قَدَّمَ اللاّم على العين فصار أيَامِي على فَيَالِع، ثم فَرُّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألِفًا.

٦ ـ فَإنْ نَرْجِعْ إلى الجَبَلَيْنِ يَوْمًا   نُصَالِحْ قَوْمَنَا حَتَّى المَمَاتِ

أي: إن اتَّفَقَ لنا عَودة إلى بلادنا تركنا الخلاف على ذوينا وأقمنا بها، وَقوله «حتى الممات» أرادَ به إلى حين الممات، فحذف المضاف، والمَمَات: يكون مصدرًا، وإن جعلته اسمًا للحين فلا حذف.

خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: كان البُرْجُ بن مُسْهِر الطائي جاورَ كلبًا أيام الفساد، وهو يوم له خبر طويل، فكان من حديث ما كان بين طيّىء زمن الفساد وبين جَدِيلة والغَوْث، أنَّ جديلة كانت بالسّهل والغوث كانت بالجبل في سلمى وأَجَأ، وأجأ لبني ثُعَل، وسلمى لبني نَبْهَان، أنَّ رجلاً من جَدِيلة كانت له ناقة عند رجل من بني ثُعَل،

---

(١) الاعتزاء: الادّعاء والانتماء في الحرب ومثله التعزّي.

(٢) البيت بتمامه:

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الحَجْرِ   أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ ومِنْ دَهْرِ

فجاء يطلبُها فتغيّب عنه أو منعه إياها، فجاء رَهْطٌ مَن جَدِيلَة مع صاحبهم، فأغاروا على صِرْمَةِ رجلٍ من الغَوْث يُدْعى بِالحَسْحَاس، فقال أحد الجَدَلِيِّينَ وكان يقال له مُصَاب: [الرجز]

نَحْنُ أَخَذْنَا إِبِلَ الحَسْحَاسِ ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَذَلَّ النَّاسِ
عَبْدًا لَئِيمًا مِنْ بَنِي خنَاسِ

فطلبهم بنو ثُعَل، فلحقوهم في منازلهم، فرمى رجل من جديلة وهو مُصاب بسهم، فقال الثُّعَليّ:

نَحْنُ رَدَدْنَا إِبِلَ الحَسْحَاسِ ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ أَعَزَّ النَّاسِ
يَا رُبَّ أَدْمَاءَ بِهَا قِنْعَاسِ ... تَبْتَلِعُ العُودَ الطَّوِيلَ العَاسِي

فمضت جديلة حتى أقبل قوم من الغَوْث، من عند ملك من ملوك غَسّان، فَلَقِيَهُمْ جديلةُ على ماء يُدْعَى صبَاحَ، فقتلوهم وطرحوهم في ذلك الماء، وكانوا ثمانية، فقال ابن جُوَيْن: [الكامل]

قَتَلُوا ثَمَانِيَةً بِظِنَّةِ وَاحِدٍ ... تِلْكَ المُقَطَّر مِنْ أَسِرَّتِهَا الدَّمُ

وهو يُرْوَى لبني سليم، ويُرْوَى لذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل، ثم التقوا وجَمَّعُوا جمعًا كثيفًا بالناصفة، فهزمت الغَوْث يومئذ، وقتلت فيهم قتلى كثيرة، ثم جَمَّعُوا، فالتقوا على حَوْق فظهرت الغوث على جديلة، فأدركوا وزادوا، وهو زمن الفساد، فقال رجل من الغوث: [المنسرح]

نَحْنُ حَبَسْنَا بَنِي جَدِيلَةَ فِي ... نَارٍ مِنَ الحَرْبِ جَحْمَةِ الضَّرَمِ

وقال ابن عَنَمَةَ البَوْلاني يحضّض قومه: [المديد]

أَصْبَحَ العَجْزُ وَأَمْسَى مُقِيمًا ... بِمَوالِي ثُعَلٍ أَجْمَعِينَا
ثُمَّ حَاشَى لِهَنِيِّ بْنِ عَمْرِو ... لَيْسَ مَوْلاَهُم مِنَ المُسْلِمِينَا

وقال الأعرج بن رباب، وخرجت بنو جديلة حتى لحقت بكلب، وزعمت الغوثُ يومئذٍ أنهم شربوا في جَمَاجِم جديلة: [الوافر]

بَكَيْنَا بِالرِّمَاحِ غَدَاةَ حَوْقٍ ... عَلَى قَتْلَى بِنَاصِفَةٍ كِرَامِ
جَمَاجِمَ طُرِّحَتْ بِجَنُوبِ حَوْقٍ ... كَأَنَّ شُؤُونَهَا بَيْضُ النَّعَامِ
لَقَدْ عَلِمَتْ جَدِيلَةُ مَا فَشِلْنَا ... وَلاَ سِرْنَا إِلَى الأُفُقِ الشَّآمِي

وهي طويلة، قال أبو العلاء: حَوْق يجوز أن يكون مأخوذًا من قولهم: حُقتُ البيت، إذا كنسته، وَحُقْتُ السِّنانَ إذا أَحْدَدْتَه، ويقال لما حول حَشفة الذَّكر حَوْق وحُوق، وقوله

«كأن شؤونها» أراد الذي تتصل به شؤونها، وكان رجل من جديلة قتلته بنو ثُعَل يوم قَارَات فاحتزَّ أحد سِنْبِس أُذنيه واختصف بهما أعقاب نعليه، وقال البُرْج بن مُسْهِر «نِعْمَ الحيُّ كلبٌ، الأبيات التي مضت» فأجابه فضالة بن أبي مُعرض البُحْتُري: [الوافر]

عَلاَمَ هَجَوْتَ كَلْبًا يَا حِمَارا ... أَقَامَ بِذِلَّةٍ حَتَّى المَمَاتِ

فإنَّكَ قَدْ سَلَحْتَ بِبَابِ بُصْرى ... وَإنَّكَ قَدْ سَلَحْتَ بِأَذْرِعَاتِ

وَقَدْ شَرِبَ القُعَيْسَ وَأَجْشَمَتْهُ ... وَبَيْتِ اللّهِ إحْدَى المُنْكَرَاتِ

القُعَيْس: شراب لهم، وأقامت هذه الحرب فيهم خمسًا وعشرين سنة، وفي هذه الحرب يقول حاتم طيِّىء: [الكامل]

إنْ كُنْتِ كَارِهَةً لِعِيشَتِنَا ... هَاتَا فَحُلِّي فِي بَنِي بَدرِ

[١٢٤] وقال مُوسَى بن جَابِرِ الحنفيّ[(١)]:

قال أبو العلاء: موسى منقول من العبرانية، ولم أعلم أنَّ في العرب مَن سُمِّي موسى زمانَ الجاهلية؛ وإنّما حدث هذا في الإسلام لمّا نزل القرآن وسمّى المسلمون أبناءَهم بأسماء الأنبياء على سبيل التَّبَرُّكِ، فوجب إذا كان الأمر كذلك أن يُصْرَفَ موسى في النّكرة لأنه جارٍ مجرى الأعجمية، فأمّا موسى الحديد فقد حكي تذكيرها وتأنيثها فإنْ كانت مذكّرة وسُمِّيَ بها إنسانٌ صُرِفَ لأنها حينئذٍ تكون على مُفْعَل مثل مُعْطًى ومُسْقًى، وقد حكوا أَوْسَيْتُ رأسَه، إذا حلقته، وإنْ حُمِلَتْ على التأنيث وسُمِّيَ بها الرجلُ لم تُصْرَفْ في المعرفة وصُرِفَتْ في النَّكِرَة، وقد ذهب قوم إلى أن أَلِفَها للتأنيث؛ فإنْ أخذ بهذا القول لم تُصرَف في المعرفة ولا في النكرة، وادّعوا أنها من مَاسَ يَمِيسُ، إذا قطع، وأن الياء قُلِبَت واوًا للضمة، وليس المَيْسُ في معنى القطع معروفًا في كلام الفصحاء، ولكن يجوز إن كانت ألفها للتأنيث أن تكون من مَاسَ في مشيته مَيْسًا إذا تَمَايَلَ، فيرادُ أَنَّها تميلُ على الرأسِ إذا حلق هٰهنا وهٰهنا وأن نِصَابهَا يضطرب فكأنها تميسُ، وقال أبو الفتح: إذا سَمَّتِ العرب بموسى فإنما يعنون به الاسم الأعجمي، لا موسى الحديد، فهو عندهم كعيسى وإسماعيل ويونس ويوسف، فإن قلت: ما أنكرت أن يكون ترك صرفه معرفة إنما هو لاجتماع التعريف والتأنيث لا العجمة؟ فهو قول، والأول أجود؛ ليكون كسائر أخواته نحو عيسى وإبراهيم من أسماء الأنبياء ولأنهم يتباركون بالتسمية بها.

١ ـ لاَ أَشْتَهِي يَا قَوْمِ إلاَّ كَارِهًا ... بَابَ الأمِيرِ وَلاَ دِفَاعَ الحَاجِبِ

الأول من الكامل، مطلق مؤسّس موصول، والقافية متدارك.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٠٩).

إذا كَرِهَهُ لم يشتهه، ومعناه لا آتيهم إلا كارهًا، وجعل الإتيان شهوة لأن أكثر الإتيان مع الشهوة.

٢ ـ وَمِنَ الرِّجَالِ أَسِنَّةٌ مَذْرُوبَةٌ وَمُزَنَّدُونَ حُضُورُهُمْ كَالغَائِبِ

ويُرْوَى «شهودهم كالغائب» والمَذْرُوبة: المحدّدة، والمزندون: مُشْتَقٌّ من الزَّنْد، والزّند يُضرَب به المثل في القلّة، والمُزَنَّدُ: المُبَخَّلُ المُقَلَّل، وقوله «شهودهم كالغائب» أي: لا غَناء عندهم؛ فحضورهم كغيبتهم، وأراد بالغائب الكثرة لا التوحيد، وكان من حقّ التقسيم أن يقول: منهم مزندون، لكنه اكتفى بمَن الأوّل، ومثله قوله تعالى: ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾(١) قال أبو علي الفارسي: كلّ صفتين يتنافيان ويتدافعان فلا يصحُّ احتماعُهما لموصوف لا بدّ من إضمار «مِنْ» معهما إذا فُصِّلَ جُمْلَةٌ بهما، متى لم يَجِيء ظاهرًا، ثم أنشدَ: [الطويل]

وَمَا زَوَّدُوني غَيْرَ سَحْقِ عِمَامَةٍ وَخَمْسِ مِيءٍ مِنْهَا قَسِيٌّ وَزَائِفُ(٢)

وقال: يريد ومنها زائف، وهذا كما تقول: زيدٌ منطلقٌ وعَمْرٌو، والمعنى وعمرٌو منطلقٌ، فحذف اكتفاء بالخبر عن الأول وعلمًا بأن العطف ذاك حاله، فَإِنْ أمكنَ اجتماع صفتين لموصوف واحد اسْتُغْنِيَ عن إضمار من، وذلك قولك: صاحباك منهما ظريف وكريم.

٣ ـ مِنْهُمْ لُيُوثٌ لاَ تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمَشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الحَاطِبِ

قوله «وبعضهم مما قمشت» ينوب فيه ذكر البعض عن قوله «ومنهم» لأن مِنْ للتبعيض، فاستغنى به، وقوله «وضمَّ حبلُ الحاطب» كقول الآخر: [الرجز]

وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الأَدَمْ(٣)

قال الأصمعي: لأنَّ بيت الأدم يجمع الجَيِّدَ والرديء ففيه من كلّ جلد رقعة، وكذلك الحاطب يجمع في حَبْله الجيدَ والرديء والرّطب واليابس وربما وقعت في حبله أفعى.

[١٢٥] وقال آخر من بني أسد، قالها في يوم اليمامة:

١ ـ أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ خَوَّدَ رَأْلُهَا مَكَانَكِ لَمَّا تُشْفِقي حِينَ مُشْفَقِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٢) البيت لِمُزَرِّد كما جاء في اللسان (سحق وقسا ومأى).

(٣) ورد البيت في اللسان (أ د م) وتمامه:

النَّاسُ أخيافٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بيتُ الأَدَمْ

يقال للمذعور المرتاع «خَوَّدَ رَأْلُهُ» والرَّأْلُ: فَرْخُ النَّعام، وهذا مثل، ويقال: خَفَّتْ نَعَامَتُهُ، إذا نَفَرَ، وإنما خَصَّ النَّعامةَ لأنّك لا تراها أبدًا إلا نافرة، قالوا: وأصناف الوحش إذا نشأت في فَلاَةٍ لم يمرّ بها إنسان يهيجها فإنها لا تفزع منه إذا رأته، ولذلك قال ذو الرّمّة: [الطويل]

وَكُـلّ أَحَـمَّ الـمُـقْـلَـتَـيْـن كَـأَنَّـهُ　　　أَخُو الإنْسِ مِنْ طُولِ الخَلاَءِ المُغَفَّلِ

والنّعام تنفرُ منه على كلّ حالٍ، وقوله «مكانك»: أمر، وهو موضوع موضع الفعل الذي عمل فيه ومكتفي به عنه، وقوله «لما تشفقي حين مُشْفَقٍ» تأنيس: أي لم تخافي وقت مخافة، والإشفاق: الذُّعر، وقد يختلط بالنصح ويتجرّد عنه وأصل الشفقة الضعف، ومنه ثوب شَفَق، يقول: ليس هذا وقت الإشفاق فاصبري فإنه وقت الصبر.

٢ ـ مَكَانَكِ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي　　　عَمَايَةُ هٰذَا العَارِضِ المُتَأَلِّقِ

العارضُ: السَّحَابُ، وهٰهنا أراد به الجيش، وجعل التألّق مثلاً لِلَمَعَان الأسلحة، ويُرْوَى «غَيَاية هذا العارض» والغياية والعماية من طريق واحد لأنهما من الغَيِّ والعَمَى، وإنما طلب من النفس الصبر إلى ذلك الوقت لأنَّ مَن ثبتَ في الحرب إلى انكشاف الحال فقد أعطاها حقّها وهذا كان يوم اليمامة، وبعد البيتين:

وَكُونِي مَعَ التَّالِي سَبِيلَ مُحَمَّدٍ　　　وَإِنْ كَذَبَتْ نَفْسُ المُقَصِّرِ فَاصْدُقِي

إذَا قَالَ سَيْفُ اللَّهِ كُرُّوا عَلَيْهِمِ　　　كَرَرْنَا وَلَمْ نَحْفِلْ بِقَوْلِ المُعَوِّقِ

ويُرْوَى أنَّ رجلاً من الأزدِ دخل على يزيد بن المهلّب حين خُلِعَ، فسار إليه مَسْلَمَة بن عبد الملك والعباس بن الوليد لقتاله، فقال له الأزديُّ: السّلامُ عليك يا أمير المؤمنين، فقال:

رُوَيْدَكِ حَتَّى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلِي　　　عَمَايَةُ هٰذَا العَارِضِ المُتَأَلِّقِ

[١٢٦] وقال موسى بن جابر:

١ ـ قُلْتُ لِزَيْدٍ لاَ تُتَرْتِرْ فَإِنَّهُمْ　　　يَرَوْنَ المَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي(١)

الأول من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متواتر.

التّرترة: العجلة وكثرة الحركة، وهي كالتّلتلة، ويُرْوَى «لا تبربر» والبربرة: كثرة الكلام والحركة، ويُروى «لا تُبَزْبِزْ» ومعانيها متقاربة، ويقال: رجل بَزْبَاز، وبُزَابز، إذا كان تكثر حركاته وتخفّ، يقول: لا تقلق ولا تجبن فإنهم يرون المنايا: أي يعلمون أنهم لا

(١) عند المرزوقي: «وقلتُ».

يصلون إلينا إلا بعد أن نصيب منهم، و«يرون» يجوز أن يكون من الرأي المذهب، ويجوز أن يكون المراد بيرون المنايا أي يقاسون المنايا، ويكون معنى «دون قتلك» كقولهم: دون هذا الأمر خَرْطُ القَتَاد[1].

٢ - فَإنْ وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعْهَا وَإنْ أبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الحَرْبِ مِثْلُكَ أوْ مِثْلي

يقول: إن سالموا فسَالِمْ، وإن أبوا فَعِدَّةُ الحربِ مثلي أو مثلك، يقال: فلان عُرْضَة كذا: أي مطيقٌ له قادرٌ عليه.

٣ - وَإنْ رَفَعُوا الحَرْبَ العَوَانَ الَّتِي تَرَى فَشُبَّ وَقُودَ الحَرْبِ بِالحَطَبِ الجَزْلِ

جعل الرفع في مقابلة الوضع من البيت الذي قبله، والعَوَانُ: التي قُوتِلَ فيها مرّة بعد أخرى.

قال أبو رياش: رُوِيَ أن عبد الرحمٰن بن الأشعث بن قيس لمّا خُلِعَ كتبَ الحجاج بخبره إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: يكفيك ما أوصى به البكري أخاه زيدًا، فلما ورد الكتاب لم يَدْرِ ما أوصى به، فصاح صائحُه: مَنْ يَعْرِفْ ما أَوصى به البكريّ أخاه زيدًا قضيتُ حاجَتَهُ، فقامَ أعرابيٌّ قد طالت إقامته وقال: أنا أعرفها، فأُدْخِلَ إلى الحجّاج فأنشده هذه الأبيات، فقال: وأبيك إنها لَهِيَ، فقضى حاجته.

[١٢٧] وقال موسى بن جابر أيضًا:

١ - إذَا ذُكِرَ ابْنَا العَنْبَرِيَّةِ لَمْ تَضِقْ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بِاسْتِهِ مَنْ أُفَاخِرُ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

قوله «لم تَضِقْ ذِراعي» مثل، ويقال: ذَرْعي، قال الخليل: الذِّراع: اسم جامع لكل ما يُسَمَّى يدًا: أي إذا ذُكِرَ هذان الرّجلان من آبائي لم يُعْيِني عليه مَنْ أُسَاجِلُهُ، وذِكْرُ الاسْتِ تقبيحٌ لفعله وتشنيعٌ عليه في التَّوَلِّي والإدبار.

٢ - هِلالانِ حَمَّالانِ في كُلِّ شَتْوَةٍ مِنَ الثِّقْلِ مَا لاَ تَسْتَطِيعُ الأَبَاعِرُ

أي: هما في الاشتهار والانتفاع بمكانهما بمنزلة هلالين، ويتكلّفان في كلّ جَدْبٍ ومَحْلٍ من الأثقال والأعباء ما لو صارت أجرامًا لعجز عن النهوض بها وتحملها البُعْران، هذا قول المرزوقي، وقال النمريّ: أي هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم وأثقال الصنائع ما لو أنه يوزن لم تستطعْ حَمْله الإبل، وهي أثقل الحيوان حملاً وأكثره صبرًا، وقال أبو العلاء: قد تَأَوَّلَ النمريّ له معنى قد يجوز مثله، ولكنه بعيد،

---

(١) الخرط: قَشْرُ الورق عن الشجر اجتذابًا بالكفّ. والقتاد: شجر له شوك أمثال الإبَر وله وُريقة غبراء وثمرة كأنها عَجمة النوى. والمثل في اللسان (قتد، خرط).

وإنما ينبغي أن يحمل الشّيء على ما كثر، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قِرى الأضياف ومن نَحْرِ الإبل ما لا تستطيعه الأباعرُ: أي إنّها لا تَقْوَى عليه لأنه يُهْلِكُها، وهذا مجانسٌ قولهم: بنو فلان ظَلاَّمُون لِلْجُزُرِ، قال ابن مقبل: [البسيط]

عَـادَ الأَذِلَّـةُ فـي دَارٍ وَكَـانَ بِـهَـا ... خُرْسُ الشَّقَاشِقِ ظَلاَّمُونَ لِلْجُزُرِ

أي: أنهم يعقرونها كثيرًا؛ فكأنَّ ذلك ظُلْمٌ لها، ونحو منه قول الآخر: [الطويل]

قَتِيلاَنِ لاَ تَبْكِي المَخَاضُ عَلَيْهِمَا ... إذَا شَبِـعَـتْ مِـنْ قَـرْمَـلٍ وَأَفَـانِ

أي: كانا يعقرانها فلما قُتِلا لم تَبْكِ عليهما، فلا تعدلن عمّا ذكره أبو العلاء إلى غيره، وقال أبو محمد الأعرابي: سألت أبا النّدى عن قوله «هلالان» مَنْ هما؟ فقال: هما مِرْدَاس وعامر ابنا شماس بن لأي من بني أنف الناقة، أُمّهما من بَنِي العنبر، وهما خالا موسى بن جابر الحنفي، وهذا خلاف ما ذكره المرزوقي.

[١٢٨] وقال أيضًا:

١ ـ أَلَـمْ تَـرَيَـا أنّـي حَـمَـيْـتُ حَـقِـيـقَـتـي ... وَبَاشَرْتُ حَدَّ المَوْتِ وَالمَوْتُ دُونُـهَـا

الثاني من الطويل، مطلق مردف بوصل وخروج، والقافية متدارك.

الحقيقة: الخَصْلَة التي يجب على الإنسان حمايتها، والضّمير من قوله «دونها» يرجع إلى ما دلَّ عليه حَمَيْتُ من الحماية، والواو من قوله «والموت» واو الحال، ويجوز أن يكون قوله «والموت دونها» أي قريب من الحقيقة التي دفعت عنها، قال أبو العلاء: الأحسن رفع دونها، ويكون في معنى صغير، كأنه قال: والموت صغير هذه الخطّة، لأنهم اتّسَعُوا في هذه الكلمة حتّى قالوا «رَجُلٌ دُونٌ» أي إنّهُ من أَخِسَّاءِ النَّاسِ، قال الشَّاعر: [المتقارب]

إذَا مَـا عَـلاَ الـمَـرْءُ رَامَ الـعَـلاَءَ ... وَيَقْـنَـعُ بِـالـدُّونِ مَـنْ كَـانَ دُونَـا[1]

وكان سيبويه يكره رفع دون إذ كانت للظرف ويُضَعِّفُهُ، وقد أجازه على ذلك وفي كتابه هذا البيت، والنسخ تختلف، وهو غير موجود في بعضها، والبيت: [الطويل]

وَبَيْـدَاءَ يَـحْـمِي دُونُـهَـا مَـا وَرَاءَهَـا ... وَلاَ يَخْتَطِيهَا الدَّهْرَ إلاَّ المُخَاطِرُ[2]

---

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (دون)؛ وجمهرة اللغة ص ٦٨٦؛ وتاج العروس (دون).

(٢) البيت لذي الرّمّة في ديوانه ص ١٠٢٥؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ١٦٥؛ وبلا نسبة في الدّرر ٣/ ١٣٠؛ وهمع الهوامع ١/ ٢١٣.

ولو أنشدَ مُنشِدٌ ففتحَ النّون في بيت الحنفي لَكَانَ في الشّعر عَيْبٌ نحو الإقواء، ومثله قليلٌ؛ لأنهم يُقْوُونَ في المرفوع والمخفوض الذي لا هاء بعد رَوِيِّه وإذا جاءت الهاء بعد الرَّوِيِّ فإنَّ تَغَيُّرَ الإعراب قليل، ورَووا أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد قول الأعشى: [الكامل]

هـٰذَا النَّـهَـارُ بَـدَا لَـهَـا مِـنْ هَـمِّـهِ　　　مَـا بَـالُـهَـا بِـالـلَّـيـلِ زَالَ زَوَالُـهَـا

فيرفع الزَّوال، والقوافي منصوبة في كلِّ القصيدة، وقد استشهدوا بشعر عِمْرانَ بن حِطَّان الخارجي، وفي ديوانه قصيدة بعد رَوِيِّها هاء وقوافيها مشتركة في الرفع والفتح. وأولها: [الكامل]

الـحَـمْـدُ لِـلَّـهِ الَّـذِي　　　يَـعْـفُـو وَيَـشْـتَـدُّ انْـتِـقَـامُـهْ

وفيـهـا:

فَـهُـنَـاكَ مَـجْـزَأَةُ بْـنُ ثَـوْ　　　رٍ كَـانَ أَشْـجَـعَ مِـنْ أُسَـامَـهْ

والحقيقة: ما يحقّ على الرجل أن يحميه، فيدخل في هذا اللَّفظ المرأة والجارة والمال وغير ذلك، وتسمّى الرّاية حقيقة، وهي داخلة في المعنى الأوّل، قال الراجز:

وَنَـحْـنُ فِـي الأَزْمِـنَـةِ الـعَـوَارِقِ　　　خَـيْـرٌ إلى جَـارِ الـشِّـتَـاءِ الـطَّـارِقِ

وَنَـحْـنُ أَحْـمَـى بَـعْـدُ لِـلْـحَـقَـائِـقِ

وقيل: معنى قولهم «حامي الحقيقة» أي: حام عند ما يحقّ من الأمور؛ لأن الصارخ إذا قال «الخَيْلَ الخيلَ» أو نحو ذلك؛ جاز أن يكون صادقًا وكاذبًا، فحامي الحقيقة هو الذي يَحمِي في الحربِ الَّتي يَصحُّ خبرُها عند المُخْبِرِ.

٢ ـ وَجُـدْتُ بِـنَـفْـسٍ لاَ يُـجَـادُ بِـمِـثْـلِـهَـا　　　وَقُـلْـتُ اطْـمَـئِـنِّـي حِـيـنَ سَـاءَتْ ظُـنُـونُـهَـا

٣ ـ وَمَـا خَـيْـرُ مَـالٍ لاَ يَـقِـي الـذَّمَّ رَبَّـهُ　　　بِـنَـفْـسِ امْـرِئٍ فِـي حَـقِّـهَـا لاَ يُـهِـيـنُـهَـا

«وما خيرُ مالٍ»: لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار الذي يجري مجرى النفي، يقول: أيُّ خَيْرٍ في مالٍ لا يصونُ صاحبه من ذمٍّ؟ ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَيَـبْـتَـذِلُ الـنَّـفْـسَ الـمَـصُـونَـةَ نَـفْـسَـهُ　　　إذَا مَـا رَأَى حَـقًّـا عَـلَـيْـهِ ابْـتِـذَالَـهَـا

[١٢٩] وقال أيضًا:

١ ـ ذَهَـبْـتُـمْ وَلُـذْتُـمْ بِـالأَمِـيـرِ وَقُـلْـتُـمْ　　　تَـرَكْـنَـا أَحَـادِيـثًـا وَلَـحْـمًـا مُـوَضَّـعَـا[١]

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

(١) عند المرزوقي «فَلُذْتُمْ».

يلومُ قَومَهُ على ما كان منهم من القعود عن نصرتِه، واعتلالهم بالمعاذير المَشُوبَة بالكَذِبِ، يقول: التجأْتُم إلى الأميرِ وقُلْتُمْ تركنا قومًا يقولون ولا يفعلون فهم كاللَّحم المُوَضَّعِ تتعلَّقُ الأطماعُ بتناوله وأخذه، هذا إذا رويته بفتح التاء من «تَركنا» ويكون كقول الآخر: [الوافر]

رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً   وَحُسْنُ القَوْلِ مِن حُسْنِ الفَعَالِ

وإنْ رُوِيَتْ بضمِّ التاء من «تُرِكْنَا» كان المعنى ادَّعيتم علينا لما أردتم مفارقتنا وخذلاننا، وقلتم تركنا أُحدوثة النّاس.

٢ ـ فَمَا زَادَنِي إلاَّ سَنَاءً وَرِفْعَةً   وَمَا زَادَكُمْ في النَّاسِ إلاَّ تَخَضُّعَا

أي: فلم يزدني قولكم إلا ارتفاع محلّ، ولم يزدكم في الناس إلا تذلّلاً، لأنَّ مَن لا يَصْلُحَ لِعَشِيرتِهِ لا يَسْكُنُ إليه النَّاسُ البُعَدَاءُ.

٣ ـ فَمَا نَفَرَتْ جِنِّي وَلاَ فُلَّ مِبْرَدِي   وَلاَ أَصْبَحَتْ طَيْرِي مِنَ الخَوْفِ وُقَّعَا

يجوز أن يريد لم يَنْخَزِلْ ـ لما أتيتم وأخبرتم ـ أصحابي الذين هم كالجنّ، ولا فُلَّ لساني الذي هو كالمِبْرَدِ، ولا ذُعِرَ جَأْشي فصارت طيري واقعة، وقد قيل في قوله «فما نَفَرَتْ جِنِّي»: إنه مثل لِفَلَتَاتِهِ وبَدَراتِهِ، وإن ذكره المبرد مثل لسلاحه، وإن ذكر الطير مَثَل لِصِيتِهِ وذكره الذاهب في الناس، ويجوز في هذا الوجه أن يريد ذكاءه ونشاطه، وقيل في ضِدِّهِ: هو سَاكِنُ الطَّائر، وكأنَّ على رؤوسهم الطير، ويجوز أن يشير بالجنّ إلى ما يَدَّعِيهِ الشّعراء مِنْ أنَّ لِكُلِّ منهم تابعًا من الجنّ يستعينُ به فيما يَحْزُبُهُ، ويجعل المراد بالمبرد في هذا الوجه اللّسان لا غير، ويجوز أن يريد بالطير سراياه وطوائف خيله التي كانت تذهب في الغارات والارتباء وتَجسّس الأخبار وغيرها، وقال أبو العلاء: كانت العرب تذكُر الجِنّ كثيرًا وتُشَبِّهُ الرَّجُلَ النَّافِذَ في الأمور بالجِنيِّ والشَّيطان، فلذلك قالوا: نَفَرَت جِنُّهُ، إذا ضَعُفَ وذلَّ، وقوله «ولا فُلَّ مِبْرَدي» مَثَلٌ ضَرَبَهُ ولا مِبْرَدَ هناك، لأنَّ الصَّانعَ إذا انْفَلَّ مِبْرَدُهُ فقد تعذَّرَ عليه ما يبغيه، وقوله «ولا أصبحت طيري من الخوف وُقَّعَا» مَثَل أيضًا، وأصل هذا المثل يحتمل أمورًا: منها أن الطَّيرَ إذا سَمِعَتِ الصَّاعقةَ وقعت إلى الأرض، وعلى ذلك حملوا قول علقمة: [الطويل]

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ   صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

ومنها أن البعير إذا أنْضَى وقعَ بالفلاةِ فسَقطَتْ عليه الطَّيْرُ، وإنَّما تطمع فيه لِضعفِهِ، قال: [الكامل]

وإذَا أَحُلُّ قَتُودَهَا بِتَنُوفَةٍ   جَعَلَتْ تُلِيحُ إلَى الغُرَابِ الأَعْوَرِ

ويجوز أن يحمل وقوع الطَّير على أن الرجل إذا قتل أو جرح فلم تبقَ له نهضةٌ وقعتْ عليه الطَّير لِتَأْكُلَهُ.

[١٣٠] وقال حُرَيْث بن جابر بن سُرَيّ بن سَلَمَةَ بن عبد بن ثعلبة بن يَرْبُوع بن ثعلبة بن الدُّئل بن حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل:

قال أبو العلاء: لُجَيْم يجوز أن يكون تصغير ترخيم لِمُلْجَمٍ أو لجام، أو تصغير لُجَمٍ، واللّجم: دويبةٌ يُتَشاءَمُ بها وتُوصَفُ بِالعطاسِ، قال الراجز:

أَغْـدُو فَـلاَ أُحَـاذِرُ الـشَّـكِـيـسَـا وَلاَ أَخَـافُ الـلُّـجَـمَ الـعَـاطُـوسَـا

١ ـ لَـعَـمْـرُكَ مَـا أنصَفْتَنِي حِـينَ سُـمْـتـنـي هَـوَاكَ مَـعَ الـمَـوْلَـى وَأَنْ لاَ هَـوى لِـيَـا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

يقول: ما أعطيتني النَّصَفة حين عرضْتَ عَلَيَّ الرّضا بأن يكون لك هَوًى مع مولاك حتى تنتقمَ له وتذبَّ عنه وأنْ لا يكونَ لي هَوًى مع مَوْلاَيَ فَأُخَلِّي بينه وبين أعدائِهِ، وقوله «وأَنْ لا هوى ليا» يريد وأنه لا هوى ليا، ثم بَيَّنَ في البيت الثاني كيف يتعصّب لمواليه، فقال:

٢ ـ إذَا ظُـلِـمَ الـمَـوْلَـى فَـزِعْـتُ لِـظُـلْـمِـهِ فَـحَـرَّكَ أَحْـشَـائِـي وَهَـرَّتْ كِـلاَبِـيَـا

ويُرْوَى «وحَرَّكَ أحشائي» وهذا كما يقال: هذا أَمْرٌ قد حَرَّكَ مِنّي، إذا اضطربت له وقوله «حَرَّكَ أحشائي» يجوز أن يكون تحرَّكَتْ أحشاؤُه لِوَجِيبِ قلبه وخَفَقَانِهِ، وَنَبَحَتْ كِلابُه لِتَهَيُّئِه لِلانتقام وتَدَجُّجِهِ في السّلاح له وتَجَمُّعِ أصحابه، والكلب ينكر أصحابه إذا رآهم بهذه الحال، أنشد الأصمعي في مثله: [الطويل]

أُنَـاسٌ إذَا مَـا أَنْـكَـرَ الـكَـلْـبُ أَهْـلَـهُ حَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءَ مُظْلِمِ

ووجه آخر، وهو أن يكون تحرّكَتْ أحشاؤه لإعداد ما يعده، والمتسرّع يلحقه ذلك، ومثله: [الطويل]

أشَارَتْ لَهُ الحَرْبُ العَوَانُ فَجَاءَهَا يُـقَـعْـقِـعُ بِـالأَقْـرَابِ أَوَّلَ مَـنْ أَتَـى

وقعقعة الأقراب لِتَحَرُّكِ الأحشاء.

[١٣١] وقال البَعِيثُ بن حُرَيْث:

قال أبو رياش: هو ابن حُرَيث بن جابر الذي مضى ذكره، وليس بصاحب القبّة بصفّين، قال أبو الفتح: هو اسم مرتجل للعلمية، وقد يمكن أن يكون صفة منقولة فيكون فَعِيلاً في معنى مفعول كأنه في المعنى مبعوث، قال الشَّنفرى: [الطويل]

أَوِ الخَشْرَمُ المَبْثُوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ مَـحَـابِيضُ أَرْسَاهُنَّ شَارٍ مُعَسِّلُ

قال أبو العلاء: البعيث بن حُرَيث لا يُعرَف له اسم غيره، وأما البعيث المجاشعي فاسمه خداش بن بشر، وإنما سُمِّيَ البعيث بقوله: [الطويل]

تَبَعَّثَ مِنِّي مَا تَبَعَّثَ بَعْدَمَا أُمِرَّتْ قُوَايَ وَاسْتَجَدَّ عَزِيمِي

١ - خَيَالٌ لأُمِّ السَّلْسَبِيلِ وَدُونَهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْبَرِيدِ المُذَبْذَبِ

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرد، والقافية متدارك.

خبر الابتداء محذوف، كأنه قال: خيال لهذه المرأة زارني أوْ أتاني وبيني وبينها مسيرة شهر للبريد المسرع، قال أبو العلاء: أُم السَّلسبيل امرأة، والسلسبيل: الماء السهل المَسَاغ، ولو أنَّ هذا الشعر لبعض الشعراء الذين عرفوا الصّناعة المولّدة وتَنَطَّسوا في الأغراض لَجَازَ أن يعني بالسّلسبيل الرِّيق على وجه التشبيه، وتكون الأُمّ هٰهنا على غير معنى الكنية، ولكن يُراد أن ريقها لا يزال سلسبيلاً، كما يقال: فلانة أُم الضّيفان، وفلان أبو الأيتام: أي يحفظهم ويكثرون عنده، والبريد هٰهنا مخصوص به الدّابّة المركوبة، والمُذَبْذَب: الذي لا يستقرّ، وقولهم «أبرَد إلَيَّ فلان» أي: بعثَ بريدًا، وإنما يعني رسولاً لأن البريد كَثُرَ في كلامهم حتى أخرجوه عن أصله، وحقيقته أنه شيء ينصب في موضع فيبرد فيه: أي يثبت من قولهم: برد عليه حق، أي ثبت، قال الرّاجز:

اليَوْمُ يَوْمٌ بَارِدٌ سَمُومُهُ مَنْ عَجَزَ اليَوْمَ فَلاَ تَلُومُهُ

ثم قِيلَ للدّابَّةِ التي تسير من ذلك الموضع إلى مثله «بريد»، وهي كلمة قد استعملت في القديم، قال امرؤ القيس: [الطويل]

عَلَى كلِّ مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعَاوِدٍ بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرْبَرَا

ويجوز أن يعني بالبريد المقدار الذي إذا ساره السّائر برد حرارة سيره بالراحة، فإنْ قِيلَ: لِمَ نَكَّرَ فقال «خَيَالٌ لأُمِّ السلسبيل»؟ قلت: يجوز أن يكون كان يرى خيالها على هيآت مختلفة فاعتقد لاختلاف هيآته أنه عدة خيالات، فلذلك نكَّره، كأنه قصد إلى واحد منها، ومثله قول الآخر: [المتقارب]

خَيَالٌ لِزَيْنَبَ قَدْ هَاجَ لِي نُكَاسًا مِنَ الحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالْ

٢ - فَقُلْتُ لَهُ أهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا فَرَدَّتْ بِتَأْهِيلٍ وَسَهْلٍ وَمَرْحَبِ

الخيال يُذَكَّر ويُؤَنَّث، وانتصب «أهلاً» بفعل مضمر كأنه قال: أتيت أهلاً لا غرباءَ، والتأهيل: مصدر «أَهَّلْتُه» إذا قلت له أهلاً، وكان يجب أن يقول: فَرَدَّتْ بتأهيل وتسهيل وترحيب، لو أتى بالكلام على حَدٍّ واحد، لكنه أتى في بعضه بحكاية اللّفظ وفي بعضه ببناء الإخبار، وقال سيبويه: إذا قال الرَّادُّ «وَبِكَ أهْلاً» فإنما يقول: أنت عندي بمنزلة مَن يُقال له هذا لو جئتني.

٣ ـ مَـعَـاذَ الإلـٰهِ أَنْ تَـكُـونَ كَـظَـبْـيَـةٍ ... وَلاَ دُمْـيَـةٍ وَلاَ عَـقِـيـلَـةِ رَبْـرَبِ

«معاذ» انتصب على المصدر، والمعنى أَستعيذُ باللّه وأعوذ باللّه معاذًا، كأنه أَنِفَ وصار يَرْبَأُ بصديقته أن تكون في الحُسْن بحيث تُشَبَّهُ بالظَّبْيَةِ أو الصورة المنقوشة أو بِكَرِيمةٍ من بقر الوحش؛ إذ كانت هذه الأشياء عنده دونها، وقاصرة عن حُسْنها، والعقيلة: الكريمة من النساء والدُّرّ وكلّ شيء، والرَّبْرَب: القطيع من البقر.

٤ ـ وَلَـكِـنَّـهـا زَادَتْ عَـلَـى الـحُـسْـنِ كُـلِّـهِ ... كَـمَـالاً وَمِـنْ طِـيـبٍ عَـلَـى كُـلِّ طَـيِّـبِ

«كمالاً» ينتصب على التمييز، والمعنى أنه يزيد حُسْنها على كل حُسْنٍ كمالاً، لأنه لا حُسْنَ إلاّ وتدخله نقيصة سوى حُسْنها، وكذلك كلّ طيب تتخلّله حطيطة إلاّ طيبها، وقوله «من طيب» أي: وزادت من طيبها على كلِّ طِيبٍ طيبًا، والغرض أن يُبَيِّنَ لِمَ أَنْكَرَ تشبيهها بغيرها فقال: هي تترفّع عن ذلك إذ كانت جامعة للمحاسن.

٥ ـ وَإِنَّ مَـسِـيـرِي فـي الـبِـلاَدِ وَمَـنْـزِلِـي ... لَـبِـالـمَـنْـزِلِ الأَقْـصَـى إذَا لَـمْ أُقَـرَّبِ

يقول: مكاني الذي أسير فيه من البلاد وموضعي الذي أنزل فيه لأَبْعَدُ المنازل إذا لم يلحقني فيهما تقريبٌ وتعظيمٌ، وقوله «أُقَرَّب» بمعنى أُكَرَّم وأُدْنَى على طريق الإعظام، وليس يريد به تقليل المسافة، ويجوز أن يكون المعنى إذا لم أقرّب كنت بمنزلة المطرود المنفي وإن كنت مقيمًا دانيًا، وكان الواجب أن يقول بالمنزل والمسير، فاكتفى بأحدهما، وآثر المنزل بالذكر لأن النزول لا يكون إلا بعد السير، ودلَّ بهذا الكلام على أنه لا يرضى في متصرّفاته إلا بما يقضي بتبجيله ويُفضي إلى اصطفائه والرفع منه، وأنه لا يصبر على الهوان.

٦ ـ وَلَـسْـتُ وَإِنْ قُـرِّبْـتُ يَـوْمًـا بِـبَـائِـعٍ ... خَلاَقِي وَلاَ دِينِي ٱبْتِغَاءَ التَّحَبُّبِ[1]

يقول: لستُ وإن قُرِّبْتُ وبُجِّلْتُ ببائع نصيبي من شرفي أو موضعي من عشيرتي طلبًا للتحبُّبِ إلى مَنْ أُجاوره، والخَلاَقُ: الحظّ والنّصيب من الصَّلاح، وانتصب «ابتغاء التحبّب» على أنه مفعول له.

٧ ـ وَيَـعْـتَـدُّهُ قَـوْمٌ كَـثِـيـرٌ تِـجَـارَةً ... وَيَـمْـنَـعُـنِـي مِـنْ ذَاكَ دِيـنِـي وَمَـنْـصِـبِـي

يقول: ويعتدُّ ما تبرأتُ منه وأنفتُ من فعله كثيرٌ من الناسِ تجارةً رابحةً، وأنا يُزَهِّدُني فيه شرفي، وهذا القول يجوز أن يكون تنزيهًا لنفسه وتزكيةً لفعاله ويجوز أن يكون قاصدًا فيه التعريض بغيره.

---

(١) عند المرزوقي «ولا قومي» بدل «ولا ديني».

٨ ـ دَعَانِي يَزِيدُ بَعْدَ مَا سَاءَ ظَنُّهُ   وَعَبْسٌ وَقَدْ كانا على حَدِّ مَنْكَبِ

أي: كانا أشرفا على الهلاك، هذا إذا رُوِيَتْ بفتح الكاف، ويقال: أصابه نَكَبٌ من الدَّهر وَمَنْكَبٌ وَنَكْبَة ونُكُوب كثيرة، ومنه حافرٌ نكيبٌ ومنكوبٌ، إذا أَثَّر فيه حجر أو غيره، ويُرْوَى «على حَدِّ مَنْكِب» بكسر الكاف يعني أنهما كانا مهاجرين له، يقال: فلان معي على حَدِّ مَنْكِبٍ: أي كلّما رآني التوى ولم يَتَلَقَّني بوجهه، وتَنَكَّبَ عنّي، أي: اجتنبني، وَالمَنْكِب من كلِّ شيء: جانبه وناحيته، ومثله قولهم: فلان يلقاني على حَرْفٍ، وفي القرآن: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾(١) ويجوز أن يريد بقوله «بعد ما ساءَ ظنّه» بعد تَسَلُّطِ اليأس والقنوط من الحياة.

٩ ـ وَقَدْ عَلِمَا أنَّ العَشِيرَةَ كُلَّهَا   سِوَى مَحْضَرِي مِنْ خاذِلِينَ وَغُيَّبِ

دَلَّ بهذا الكلام على الضّرورة الداعية إلى الاستغاثة به، يقول: استغاثا بي مُتَيَقِّنين أنَّ كلّ عشيرتهما إذا لم أحضرْ من بين شاهد لا ينصر وغائب لا يحضر، قال أبو العلاء في قوله «ولا دمية»: الدُّمْيَةُ: الصّورة، وإنما قيل لها ذلك لأنها كانت تصوّر في أوّل الأمر بالحمرة فكأنها أخذت من الدم، وهو من ذوات الياء، قال: [الوافر]

فَلَوْ أنَّا عَلَى حَجَرٍ ذُبِحْنَا   جَرَى الدَّمَيَانِ بِالخَبَرِ اليَقِينِ

وليس قولهم «دَمِيتُ» بدليل على أنَّ الدَّم أصله الياء لأن الواو إذا سكنت وقبلها كسرة قلبت إلى الياء، كقولهم: شَقِيتُ وَغَبِيتُ وهو من الشِّقْوَة والغَبَاوة، وقال في قوله «ولكنها زادت على الحسن كلّه كمالاً ومن طيب»: لما كان كمال ينتصب على التمييز، وهو مقدّر على معنى «من» حسن أن يقول «ومن طيب»؛ لأن المعنى من كمال، وقال في قوله «إن مسيري في البلاد ومنزلي لَبِالمنزلِ الأقصى» الباء في قوله «لَبِالمَنْزِلِ» تُؤَدِّي معنى في، كما يقال: فلانٌ بِالدَّارِ: أي فيها، وهذا أحسن من أن تجعل الباء في قوله «لَبِالمنزل» زائدة؛ لأن خبر إن ليس مما تُزاد فيه الباء وإن كانت قد جاءت زائدة في مواضع لم تَجْرِ عادتها بأن تُزاد فيها، قال الشّاعر: [المتقارب]

بِحَسْبِكَ فِي القَوْمِ أنْ يَعْلَمُوا   بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرّ

وقال الرّاجز:

نَحْنُ بَنُو ضَبَّةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ   نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالفَرَجْ

فأما قول امرىء القيس: [الطويل]

فَإنْ تَنأَ عَنْهَا حِقْبَةً لاَ تُلاقِهَا   فَإنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بِالمُجَرَّبِ

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

فالباء في «بالمجرب» مؤدّية معنى في: أي إنك في الأمر الذي قد جرب فإن كسرت الراء من المجرّب فلا وجه له، إلاّ أن تجعل الباء زائدة، وإنما تُزاد كثيرًا على معنى التأكيد إذا كان في أوّل الكلام نفي، كقولك: ما أنت بقائم ولست ببارح، ويحسُن أن يقال: ما رجعتُ بِخَائِبٍ: أي خائبًا، لما تقدمت «ما» في أوّل الكلام حَسُنَ دخول الباء، قال الشاعر: [الوافر]

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ[(١)]

١٠ ـ فَكُنْتُ أَنَا الحامي حَقِيقَةَ وائِلٍ كَمَا كَانَ يَحْمِي عَنْ حَقَائِقِهَا أَبِي

[١٣٢] وقال المُثَلَّم بن رياح بن ظالم المُرِّيُّ:

قال أبو هلال: لا أعرف المثلّم هذا، ولم يذكر فيمن اسمه المثلم من الشعراء وإنما المثلّم المعروف هو المثلّم البَلَوِيُّ، واسمه عبد الرحمٰن بن قُطْبَةَ بن حَوْط أحد بني حَرَام بن شَعْل، وفيهم أبو المثلَّم الهُذَلِيّ الخُنَاعِي من بني خُنَاعة بن سَعْد بن هُذَيْل، والمُثَلَّم بن عَطَاء بن قُطْبَة من بني ثَعْلبة بن عَدِي بن فَزَارة، والمثلَّم بن المُشَخَّرَة الضَّبِّيُّ ثم العَائذي، والمثلّم بن عَمْرو التَّنُوخيّ المذكور في الحماسة، والمثلم الغَسَّاني واسمه الحارث بن كَعْب.

١ ـ مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي سِنَانًا رِسَالَةً وَشِجْنَةَ أَنْ قُومَا خُذَا الحَقَّ أَوْ دَعَا

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

قوله «أَنْ قُومَا» أَنْ: مُخَفَّفَة من الثّقيلة، والمراد أنَّه: قُومَا، ومِثْله قوله في الدّعاء: أَمَا أَنْ جزاكَ اللّهُ خيرًا، ويجوز أن تكون أن المفسِّرَة، كأنه فَسَّرَ الرّسالَة بِقُومَا خُذَا الحَقَّ، ومثله قولهم: أَتَفْخَرُ عَلَيَّ أَنْ أصحابُكَ أكثر من أصحابي؟ وأنْ هذه تجري مَجْرى أي في أنه يفسِّر، ولو قال «قُومَا وخُذَا الحقَّ» فأتى بحرف العطف كما قال اللّه تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[(٢)] كان أفصح، وقد جاء مثله بغير العاطف كثيرًا، وقوله «قوما» ليس المراد به فعل القيام، ولكنه وصلة في الكلام، وقد بيّن فيما مضى أمثاله، ويجوز أن يكون قوله «خُذَا الحقّ» على طريق التَّهكّم: أي إنْ قدرتما على أَخْذِ الحقِّ المُدَّعَى فخذا، ويجوز أن يكون المعنى تَرْكُكما ما سمّيتماه حقًّا وطَلَبُكما له عندي سواء، على طريق التهدّد.

---

(١) تمام البيت:
فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكَابٌ حَكِيمُ بنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا
(٢) سورة المدّثر، الآية: ٢ و٣.

٢ ـ سَأَكْفِيكَ جَنْبِي وَضْعَهُ وِسَادَهُ   وَأَغْضَبُ إنْ لَمْ تُعْطِ بِالحَقِّ أَشْجَعا

أي: سأكفيكَ أمري كله، يقول: إن تكلَّمَتْ أشجعُ غضبت ونصرتها عليك، وأما أنا فلا أحتاج إلى نصرك، وهو أشجع بن رَيْث بن سِنَان بن غَطَفَان بن سَعْد بن قيس عَيْلان بن أبي حارثة المُرِّيّ أبو هَرِم، وشِجْنَةُ: اسم رجل، وقوله: «إن لم تُعْطِ بالحقِّ» قيل فيه: إن مفعول تُعْطِ الثاني محذوف، ومعنى بالحقّ بالعدل والإنصاف، كأنه قال: تُعْطِ أشْجَعَ ما يجب له بالحق، وقيل: أراد بتُعْطِ تُعَامِل فَعَدَّاهُ تعديته، وقيل: بالحقّ هو المفعول الثاني، لكنه زاد الباء فيه تأكيدًا، كما قال الآخر: «لا يَقْرَأْن بالسور»(١) قال المرزوقي: ويغلب في نفسي أن الشاعر قال:

وَأَغْضَبُ إنْ لَمْ تُعْطِيَا الحَقَّ أَشْجَعَا

لأنّه ثَنَّى الرسالة من قوله على أن تكون متوجّهة نحو اثنين سنانٍ وشِجْنَةَ ومخاطبه من بعد أحدهما في قوله «سأكفيكَ» على عادتهم في الافتنان والتّصرّف، ولا يمتنع من رجوعه على ما نبّأ من كلامه عليه من ذكر الاثنين، وهذا ظاهر؛ وقال أبو العلاء: قولهم في اسم الرجل سنان أشبه الأشياء أن يكون مأخوذًا من سنان الرُمح وإن ادُّعِيَ أنه مسمّى بالسِّنان الذي يُرَادُ به المسَنّ فلا يمتنع ذلك؛ لأنهم قد سمّوا حَجَرًا وفَهْدًا وجَنْدَلاً، والسِّنان أيضًا مصدر سَانَّ البعيرُ الناقةَ إذا عارضها في العَدْو، فيكون كأنّه يريد أن يتنوخها، وشِجْنَة: مأخوذ من شَجَنَ الشيء إذا تداخل بعضه في بعض، ومنه قولهم في المثل «الحديث ذو شجون» أي: يَتَّصِل بعضه ببعض، وقولهم «ذو شجون» الأحسن فيه أن يكون الشُّجُون جمع شِجْن أو شَجَن لأنّ فِعْلاً وفَعَلاً قد يشتركان كما قالوا رِبْح ورَبح وسِلْم وسَلَم، ويجوز أن يكون الشّجون مصدر شَجُنَ، ومنه الأشجان إذا أُريد به الهموم والأحزان، وقد سمّوا الحاجة شَجَنًا، قال الراجز:

إنِّـي سَـأُبْـدِي لَـكِ فِـيـمَـا أُبْـدِي   لِـي شَـجَـنَـانِ شَـجَـنٌ بِـنَـجْـدِ
وَشَـجَـنٌ لِـي بِـبِـلَادِ الـهِـنْـدِ

قال أبو هلال في قوله «إن لم تُعطِ بالحقّ»: هكذا روي، وهو تصحيف قبيح، والصحيح «وأغْضَبُ إنْ لَمْ يُغْضِبِ الحَقُّ أشْجَعَا» يقول: سأكفيك أمري كلّه ولا أحمّلك شيئًا وأغضب لكَ ولِحَقِّكَ إن لم يغضبْ له أشجع.

٣ ـ تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمِ   صِيَاحَ بَنَاتِ المَاءِ أَصْبَحْنَ جُوَّعَا

---

(١) تمام البيت: [البسيط]

هـنَّ الحرائر لا رَبَّاتُ أخمِرَةٍ   سُودُ المحاجِرِ لا يقرأْنَ بالسُّورِ

أصل الصِّيَاح للحيوان، وقد يخصّون به شيئًا دون شيء، وكثر استعمالهم «صاح الغراب»، وقلّما يقولون: صاحَ الطَّيْر، قال: [الطويل]

أَلاَ يَا غُرَابًا صَاحَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا   أَفِقْ لاَ خَلَوْتَ الدَّهْرَ مِنْ صَيَحَانِ

وحَسُنَ أن يستعمل الصّياح للرّماح لأنه شبّه أصواتها بأصوات بنات الماء، وهي من الحيوان، فقيل: أراد جمع طائر يقال له ابن ماء، أراد الضفادع، وأراد صوت وقعها فيهم عند المطاعنة.

٤ ـ لَفَفْنَا البُيُوتَ بِالبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا   بَنِي عَمِّنَا مَنْ يَرْمِهِمْ يَرْمِنَا مَعَا

أي: بيوت أشجع بيوتنا، ومثله: [الوافر]

فَأَمْسَى كَعْبُهَا كَعْبًا وَكَانَتْ   مِنَ الشَّنَآنِ قَدْ دُعِيَتْ كِعَابَا

أي: مثل بني عَمّنا، منصوب على أحد شيئين: إما أنْ يكون قريناهم فصاروا بني عمّنا أي مثل بني عمّنا نذبُّ عنهم ونحميهم، وإما أن يكون بني منصوبًا على النداء: أي يا بني عمّنا، وإن كان القوم بني أعمامهم على الحقيقة فليس إلا هذا الوجه.

[١٣٣] وقال حُصَين بن حُمَام المُرِّيّ(١):

أبو هلال: الحمام هو ابن ربيعة بن مَساب بن حَرَام بن وائلة بن سَهْم بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض.

١ ـ فَقُلْتُ لَهُمْ يَا آلَ ذُبْيَانَ مَا لَكُمْ   تَفَاقَدْتُمُ لاَ تُقْدِمُونَ مُقَدَّمَا

الثاني من الطويل، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

قوله «تفاقدتم» أي: فقد بعضُكم بعضًا، وضع «مُقَدَّمًا» موضع الإقدام، وساغ ذلك لأن مصادر الكلمات الصّادرة عن أصل واحد يوضع بعضها موضع بعض لداعٍ يدعو، إذا لم يكن ثَمَّ مَانِعٌ، وإنما قلتُ هذا لأنَّ قَدَّمَ قد يكون مَرَّةً مُتعدِّيًا، ومرّة يكون بمعنى تَقَدَّمَ فلا يتعدّى، ومُقَدَّمًا هٰهنا يكون مصدر ما لا يتعدّى فهو مثل تَقَدَّم لو قاله، ومنه مُقَدِّمَةُ الجيش يُراد به متقدمته، وقوله «تفاقدتم» اعتراض بين «ما لكم» وبين «لا تقدمون» وهو دعاء عليهم، ومثله في الأمرين جميعًا قول الآخر: [السريع]

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا   قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانْ

وإن كان هذا دعاء خير.

(١) الحُصَيْن بن حُمَام بن ربيعة المُرِّيّ الذبيانيّ، أبو يزيد: شاعر فارس جاهليّ، كان سيّد بني سهم بن مرّة، في شعره حِكَمٌ. وهو ممّن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية (ت نحو ١٠ ق.هـ/ ٦١٢ م). ترجمته في (المؤتلف والمختلف ٩١؛ والشعر والشعراء ص ٢٤٧).

٢ ـ مَوَالِيكُمْ مَوْلَى الوِلاَدَةِ مِنْهُمُ   وَمَوْلَى اليَمِينِ حَابِسٌ قَدْ تُقُسِّمَا

ويُرْوَى «حابسًا متقسّما» قال المرزوقي: إنما قسم الموالي هذه القسمة لأن المولى له مواضع في استعمالهم: منها المولى في الدين، وهو الولي، على ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(١) وقول النبي ﷺ: «مَن كنت مولاه فَعَلِيٌّ مولاه»(٢) وقوله: «مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأسلمُ وغفار موالي الله ورسوله»(٣) ومنها العَصَبة وبنو العمّ، وهم الذين سمّاهم الشاعر «مولى الولادة» ومنها الحليف، وهو مَن انْضَمَّ إليكَ فَعَزَّ بِعِزِّكَ وامتنعَ بمنعكَ، وهو الذي سمّاه «مولى اليمين» لأنّه يُقْسِمُ له عند الانضمام، ومنها المعتِق والمعتَق، يقول: فتداركوا الّذين ينتسبون بولاء النسب وولاء الحلف والنصرة؛ فكلٌّ منهم ذو حبس على الشّرّ متقسّم الحال مُغَار عليه، وقوله «حابسًا» في معنى محبوس، لكنه أخرج مخرج النسب: أي ذو حَبْس، وانتصابه على الحال، وقوله «مواليكم» على هذا انتصب بفعل مضمر، كأنه قال: أعينوا مواليكم وتداركوا مواليكم، ويُرْوَى «حابس متقسّمًا» و«قد تقسّما» وقيل: هو اسم علم، وارتفاعه على أنه بدل من مولى اليمين، و«قد تقسّم» في موضع الخبر، واكتفى بالإخبار عن المولَيَيْن لأن الموالي انقسموا إليهما.

٣ ـ وَقُلْتُ تَبَيَّنْ هَلْ تَرَى بَيْنَ ضَارِجٍ   وَنِهْيِ الأَكُفِّ صَارِخًا غَيْرَ أَعْجَمَا

ويُرْوَى:

وقلتُ تَبَيَّنْ أَنَّ مَا بَيْنَ ضَارِجٍ   ونِهْيِ الأَكُفِّ صَارِخٌ غَيْرُ أَخْزَمَا

وضارج: ماء لبني عبس، كأنه أقبل على واحد منهم فقال: تأمل هل ترى بين هذين الموضعين صارخًا غير منقطع، وقال أبو العلاء: المعنى أنهم يتواترون أرسالاً في الصُّراخ غير مجتمعين له، بل يتبع بعضهم بعضًا في أرضكم ودياركم يستنصرون فلا يُنْصَرون فما لكم لا تأنفون، ومَن روى «غير أعجما» فالأعجم الذي لا يفصح، و«صارخ» قيل: مغيث، وأخزم: جبل، ومعنى البيت على هذا أنه ليس بين هذين الماءين مَفْزَع إلاَّ هذا الجبل.

٤ ـ مِنَ الصُّبْحِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ لاَ تَرَى   مِنَ الخَيْلِ إلاَّ خَارِجِيًا مُسَوَّمَا

قوله «من الصّبح» استعمل من مكان مذ لأن من للمكان ومذ للزمان إلا أنه لتمكّن مِن في الجرّ جاز دخولها على مذ، وقال أبو العلاء في قوله «إلا خارجيًا مُسَوَّما»: كانوا في

(١) سورة محمد، الآية: ١١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١٥/ ٨٤، ١١٨؛ والهيثمي في موارد الظمآن ص ٢٢٠٢؛ والزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٢/ ٢٢٧؛ والتبريزي في مشكاة المصابيح ص ٦٠٨٢.

(٣) رواه القرطبي في تفسيره ١/ ٢٦٧.

القديم قبل الإسلام يُسَمُّون مَن خرج شجاعًا أو كريمًا وهو ابن جبان أو بخيل ونحو ذلك «خارجيًا» وكذلك يقولون للفرس الجواد إذا بَرَّزَ وأبواه ليسا كذلك «خارجي» قال الشاعر: [الطويل]

أَكُرُّ صَرِيحَ الخَيْلِ في كُلِّ مَوْطِنٍ إِذَا مَا رَضِيتُ الخَارِجِيَّ المُوَضَّعَا

ثم صاروا في الإسلام يجعلون الخارجي مَن خالف السلطان والجماعة قال الشاعر: [الطويل]

وَمِيعَادُ قَوْمٍ إِنْ أَرَادُوا لِقَاءَنَا بِجَمْعٍ مِنَّى إِنْ كَانَ لِلنَّاسِ مَجْمَعُ
يَرَوْا خَارِجِيًّا لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ تُشِيرُ لَهُمْ كَفٌّ إِلَيْهِ وَإِصْبَعُ

والخارجي في شعر حصين: رجل خلع طاعة الملك، ومُسَوَّم: له علامة يُعْرَفُ بها.

٥ ـ عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَا

مُحَرِّق: أحد ملوك لَخْم، حَرَّقَ قومًا فَسُمِّيَ مُحَرِّقا، وقال قوم: إنّما تعني العربُ بمحرِّق: الملك الحميري الذي حرقَ أصحاب الأخدود، وقيل: إنه ذو نواس الذي غَرَّقَ نفسه في البحر لمّا هزمته الحبشة، وقد سمّوا عمرو بن هند مُحَرِّقًا لأنه حرق بني دارم يوم أُوارَة، وقيل: إنّه حَرَّقَ تخت ملكهم، ويقولون للدروع وآلة الحرب: تُرَاث مُحَرِّق: أي كان ملكًا يجمع السلاح، وقال: كساهم محرّق، ثم قال «صفائح» الخ.

٦ ـ صَفَائِحَ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطَّرِدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مُبْهَمَا

يعني السيوف ولم تَجْرِ العادة أن يقولوا: كسوته سيفًا، وإنما جازَ ذلك لأنه جاء في آخر الكلام قوله «ومُطَّرِدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ» إذ كانت الدّروع تُلْبَس كما تُلْبَس الكسوة من الثياب، قال قيس بن الخطيم: [الطويل]

وَلَمَّا رَأَيْتُ الحَرْبَ حَرْبًا تَجَرَّدَتْ لَبِسْتُ مَعَ البُرْدَيْنِ ثَوْبَ المُحَارِبِ

فلما أخبر عن شيء يحتمل أن يقال فيه كسوت حَسُنَ أن يجعل معه غيره، كما قال الحطيئة: [الطويل]

سَقَوْا جَارَكَ العَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَه وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ
سَنَامًا وَمَحْضًا أَنْبَتَ اللَّحْمَ فَاكْتَسَتْ عِظَامُ امْرِىءٍ مَا كَانَ يَشْبَعُ طَائِرُهْ

٧ ـ وَلَمَّا رَأَيْنَا الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ مُظْلِمَا

أضمر في «كان» قبل الذكر لمّا كان المعنى مفهومًا، كأنه قال: وإن كان اليوم أو الوقت، أو نحو ذلك، ومنه قول الآخر: [الطويل]

فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبَ أَشْنَعَا

وقوله «ذا كواكب» هو مأخوذ من قولهم: أراه الكواكب نهارًا، وهو شيء نطقوا به في الدّهر الأول، يريدون شدّة الأمر وعظم الخَطْب، قال طرفة: [الرّمل]

إنْ تُـنَـوِّلْـهُ فَـقَـدْ تَـمْـنَـعُـهُ وَتُـرِيـهِ الـنَّـجْـمَ يَـجْـرِي بِـالـظُّـهُـرْ

وقال الفرزدق: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ سارَ ابْنُ يُوسُفَ سِيرَةً أَرَتْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ مُظْهِرَةً تَجْرِي

وادّعى بعضُ الناس أن ذلك أوّل ما قيل في يوم حَليمة لأن الغبارَ ثارَ حتى حجبَ الشَّمسَ فظهرت الكواكب، وهذا كَذِبٌ ظاهرٌ؛ لأن الغبارَ إذا ستر الشَّمسَ فهو للنجم أستر، ويجوز أن يكون ضربهم هذا المثل مأخوذًا من كسوف الشمس؛ لأن الناس في كلّ زمان يعظّمون ذلك، وإذا كسفت وذهب ضوؤها رُؤِيَتِ النّجوم، ويحتمل أن يكون أصل ذلك في الحرب، وهو أشبه ما يقال؛ لأن الأسنّة تشبّه بالنحوم، قال الأفوَهُ: [الرّمل]

جَـحْـفَـلٌ أَوْرَقُ فِـيـهِ هَـبْـوَةٌ وَنُـجُـومٌ تَـتَـلَـظَّـى وَشَـرَارْ(١)

وقد شبّهوا الفرسان إذا لبسوا الحديد بالنجوم، قال الشاعر: [الكامل]

قَـوْمٌ إذَا لَـبِـسُـوا الـحَـدِيـدَ كَـأَنَّـهُـمْ في البَيْضِ وَالحَلَقِ الدِّلَاصِ نُجُومُ(٢)

ولا يبعد أن يكون قولهم «أراه الكواكب نهارًا» جاريًا مَجْرَى قولهم: وقعَ القومُ في سَلَى جَمَلٍ: أي في أمرٍ لا يكون مثله؛ لأن السَّلَى للناقة لا للجمل، فيريدون أنه أراه حالاً لم تجرِ العادة بمثلها.

٨ ـ صَـبَـرْنَـا وَكَـانَ الـصَّـبْـرُ مِـنَّـا سَـجِـيَّـةً بِـأَسْـيَـافِـنَـا يَـقْـطَـعْـنَ كَـفًّـا وَمِـعْـصَـمـا

يجوز أن تتعلّق الباء في «بأسيافنا» بصَبَرْنا، واعترض بينهما قوله «وكَانَ الصَّبر منّا سَجِيَّة» و«يقطعنَ» في موضع الحال للأسياف، وفي طريقته قول نَهْشَل بن حَرِّيٍّ: [الطويل]

وَيَـوْمٍ كَـأَنَّ الـمُـصْـطَـلِـيـنَ بِـحَـرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَارٌ قُعُودٌ عَلَى الجَمْرِ
صَـبَـرْنَـا لَـهُ حَـتَّـى تَـجَـلَّـى وَإِنَّـمَـا تُـفَـرَّجُ أَيَّـامُ الـكَـرِيـهَـةِ بِـالـصَّـبْـرِ

٩ ـ نُـفَـلِّـقُ هَـامًـا مِـنْ رِجَـالٍ أَعِـزَّةٍ عَـلَـيْـنَـا وَهُـمْ كَـانُـوا أَعَـقَّ وَأَظْـلَـمَـا

١٠ ـ وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ الـوُدَّ لَـيْـسَ بِـنَـافِـعِـي عَـمَـدْتُ إِلَـى الأَمْـرِ الَّـذِي كَـانَ أَحْـزَمَـا

جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾(٣) وكلُّ ذلك

---

(١) الهَبْوَة: الغَبَرَة. (٢) الدِّلاصُ: اللَّيِّنُ البَرّاقُ الأملس.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢١.

مجاز واتساع، وصلح أن يريد بقوله «أحزم» أحزم من غيره لوقوعه خبرًا؛ لأنه كما يجوز حذف الخبر بأسره إذا دلّ عليه دليل كذلك يجوز حذف ما يتمُّ به منه إذا لم يلتبسْ بغيره ولم يختلّ الكلام بسببه، وقوله: «ولمّا رأيت الودّ» حذف المضاف فيه وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال: لمّا رأيت مراعاة الودّ ومحافظته أو إظها الودّ وإبقاءه، ومعنى البيت لمّا رأيتهم لا يرتدعون عن ركوب الرّأس قصدت إلى ما كان أجمع للحزم معهم من مُكاشفتهم وترك الإبقاء عليهم.

١١ ـ فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِذِلَّةٍ وَلاَ مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

ويُرْوَى:

وَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الحَيَاةِ بِسُبَّةٍ

يقال «ابتاع الشيء» بمعنى اشترى، وإن كان بعته بمعنى اشتريته وبعته جميعًا، والسُّبَّةُ: الخصلة يسبّ بها كالهُجْنة والعرّة، يقول: فعلت ذاك لأني لستُ ممَّن يطلب العيشَ مع الصَّبْرِ على الذّلّ ولا ممّن يرتقي في الأسباب خوفًا من الموت، بل الميتة الحسنة على ما يعبقها من الأُحدوثة الجميلة آثَرُ عندنا من العيشة الذَّمِيمةِ على ما يخالطها من الدَّنِيَّة.

خبر حصين بن الحمام المريّ: قال أبو رياش: كان من شأن خُصَيْلة وذكر حصين إياهم أن مرّة بن عَوف تزوّج مُلَيكة بنت مالك بن خُصَيلة المريّة، فولدت له سَهْمَ بن مرّة، وهم رهط حُصَين، ثم خرج خاطبًا حتى خطب حَرْقَفَة البَلَوِيَّة، فقالت: ما أنا متزوّجتك حتى توثق لي أن لا تتزوّج عَلَيَّ، فحلفَ لها بِالعُزَّيَيْنِ وَمَثْجَرَةَ تتصبب بأيدي مَجْزَرة إني لا أتزوج عليك، فتزوّجته، فخرج بها يسير ومعها خُصَيْلة ابنها من البَلَوَيّ، فأقبلا يسيران هو وهي حتى نظرا نيرانَ أهله، فقالت حَرْقَفَةُ: ما هذه النيران؟ فقال: أما هاتيك فنار بَنِيَّ وامرأتي، فقالت: أَغَدْرًا سائر اللَّيلة؟ فقال: ما غدرتُ بكِ، ولكنّي غَدَرْتُ بسواكِ، فقالت: أما واللّه لأُفَرِّقَنَّ هذه النارَ أنوارًا، فكانت معه ثم حملت بِصِرْمَةَ، وحملت مليكة بغَيْظِ بن مرّة، فأتت حَرْقَفَة مرّة فقالت: يا مُرَّ طَلِّقْ مليكة قبل أن تفضحك فإن في بطنها جارية شيماء مشؤومة، فَفَرِقَ عند ذلك مرّة، وأخذ مليكةَ المخاضُ، فلم يَزَلْ مرّة يتحسّى الخبر حتى سمع صوت صبي، فقال: يا مليكَ، ما عندكِ؟ قالت: ما أخبرتك الخبيثة؟ فقال: أخبرتني أنك والدة جارية شيماء مشؤومة، فقالت: كَذَبَتْ، ولكني ولدت غَيْظَهَا، فَسُمِّيَ غيظًا، ثم حملت حَرْقَفَةُ فولدت الصَّارِدَ بن مرّة، وخرج خُصَيْلة إلى بَليٍّ فأصاب أنف ابنها البلوي أحد بني هرم، فلما أصابه أقبل فارًّا حتى نزل بمرّة، فقال: إني أصبتُ رجلاً من قومي وجدعت أنفه، فجاؤوا في أثره يطلبونه، حتى انتهى إلى مرّة، فقالوا: يا مُرَّ، قد أصابنا هذا الرجل وهو أخونا فَرُدَّهُ إلينا، قال مرّة:

ليس منكم، فقالوا: احلفْ عليه، فحلفَ إنّه لمنهم وما هو من بليّ، فهو حيث يقول حصين:

حَلفْنَا عَلَيْكُمْ إذْ تَفَرَّقَ أَمْرُكم

فأما قوله:

مَـوَالِـيَـنَـا مَـوْلَـى الـوِلاَدَةِ مِـنْـكُـمْ وَمَوْلَى اليَمِينِ حَابِسًا مُتَقَسّمَا

فإن ألْب فزارة وَمَيْلَهم كان مع بني صرمة فأعانهم زَبَّان بن عمرو بن جابر، وقوله «ومولى اليمين» يعني الذين يحالفونهم.

[١٣٤] وقال ابن دارة[١]:

١ ـ يـا زِمْـلُ إنِّـي إنْ تَـكُـنْ لِـي حَـادِيًـا أَعْـكِـرْ عَـلَـيْـكَ وَإنْ تَـرُغْ لاَ تَـسْـبِـقِ

الأول من الكامل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

يقول: إن تخلَّفتَ عنّي حتى يكونَ مكانك مني مكان الحادي من البعير أَعْطِفْ عليك، وإن تقدّمتني هاربًا مني لم تفتني، وتَرُغْ: من رَوَغان الثعلب وهو الخِدَاع.

٢ ـ إنِّـي امْـرُؤٌ تَـجِـدُ الـرِّجَـالُ عَـدَاوَتِـي وَجْـدَ الـرِّكَـابِ مِـنَ الـذُّبَـابِ الأَزْرَقِ

«عداوتي» تنتصب على المفعول، كأنه قال: تجد الرجال من عداوتي فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل فعمل، يدلُّ على ذلك قوله «وَجْدَ الرّكاب من الذّباب» ومثله: [البسيط]

أسْتَغْفِرُ اللّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ[٢]

وقوله «عداوتي» يجوز أن يكون مضافًا إلى الفاعل: أي عداوتي لهم، ويجوز أن يكون مضافًا إلى المفعول: أي عداوتهم لي؛ ومعنى تَجِدُ: تحزنُ، ولذلك كان الوَجْدُ مصدره، ويجوز أن يكون تجد بمعنى تعلم، ويكون «عداوتي» المفعول الأول، و«وَجْدَ الركاب» المفعول الثاني، والمعنى أنَّ عداوتهم لي تُقْلِقُهم وتنزيهم: أي ينالهم من عداوتي ما ينال تلك من الذّباب الأزرق.

خبر ابن دارة: قال أبو رياش: ابن دارة هو سالم بن مُسَافع بن يَرْبُوع، ويَرْبُوع هو دَارَة وقيل: مسافع بن عقبة بن يربوع بن كعب بن عديّ بن جُشَم بن عَوْف بن بُهْثَة بن عبد اللّه بن غَطَفَان، وإنما سُمِّيَ يربوع دارة أنَّ رجلاً من بَنِي الصَّارد بن مُرَّة بن عَوْف بن

(١) ابن دارة: هو سالم بن مسافع: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان هَجَّاءً (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م) ترجمته في (الإصابة ٢/ ١٠٨؛ وخزانة البغدادي ١/ ٢٩١).
(٢) وعجز البيت: «رَبَّ العِبادِ إليه الوجهُ والعَمَلُ».

سعد بن ذُبْيَان يقال له كَعْبٌ قتل ابن عَمٍّ ليربوع بن كعب يقال له دِرْصٌ، فقتل يربوع كَعْبًا بابنِ عَمِّهِ، وأخذ ابنة كَعْب، ثم أرسلها، فأتت قومها فَنَعَتْ أباها كعبًا، فقالوا: مَنْ قتله؟ فقالت: غلامٌ كأنَّ وجهه دارة القمر من بني جُشَم بن عوف بن بُهْثَة، فَسُمِّيَ بذلك، ونسب إليه سالم.

وكان الذي هاجَ قتله أنّه كان مُرَّةُ بن وَاقع وَجْهًا من وجوه بني فزارة، وكانت عنده امرأة من أشراف بني فزارة ففاكهته امرأته ذات ليلة فطلّقها البتّة، واحتملت إلى أهلها، ومُرَّة يظنُّ أنه على رَدِّها قادرٌ إذا شاءَ، حتى أتى لذلك عام وهما كذلك، ثم خطبها حمل بن القُلَيْب الفزاريّ ورجل آخر من بني فزارة يقال له عليّ، وخطبها ابن دارة؛ فبلغ ذلك مُرَّة، فأراد أن يُراجعها فأبَتْ عليه واختارت عَلِيًّا، وارتجز سالم بن دارة فقال: [الرجز]

إنَّ الَّــذِي طَـلَّـقَ عَـامًـا أوَّلاَ ... وَسَـالِـمًـا وابْنَ الـقُـلَـيْـبِ حَـمَـلاَ
كُـلُّـهُـمُ صَـارَ خَـطِـيـبًـا مـحـوَّلا ... يَحُكُّ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهَا الكَلْكَلاَ

فركب مُرَّة بن واقع إلى معاوية، وقيل: إلى عثمان، فقال: إن الأعراب أهل جفَاء، وإني قلت كلمة بيني وبين امرأتي لم أُرِدْ ما تبلغ فتزوّجَتْ رجلاً، وإنما أتيتكَ مبادرًا قبل أن يبنيَ بها، فامْنَعْ لي امرأتي، فقال معاوية: لقد ذكرت أمرًا صغيرًا في أمر عظيم، أمل اللَّه عظيم، وامرأتك أمرها صغير، ولا سبيلَ لكَ عليها، ففرَّقَ بينهما معاوية وهو يومئذٍ على الشّام عاملاً لعثمان، فقال سالم في ذلك قبل أن يَقْدُم مُرَّة من عند معاوية والقوم ينتظرونه: [البسيط]

يـا لَـيْـتَ مُـرَّةَ يـأْتِـيـهَـا فَـيَـجْـعَـلَـهَـا ... خَيْرَ البِنَاءِ وَيُجْزَى منهما الجَازي

فجاء مرّة وقد ابتنى بها عليّ، فغضبَ على سالم، وجعل يشتمه حتى قال: أيُّها العبد من مُحَوَّلة، ما أنتَ وذكر نسائنا؛ ومحوَّلة بنو عبد اللَّه بن غطفان، وكانوا يُقال لهم بنو عبد العزّى، فوفدوا على النبي ﷺ فقال: مَن أنتم؟ فقالوا: نحن بنو عبد العزّى، فقال: بل أنتم بنو عبد اللَّه، فسمّتهم العرب بني مُحَوَّلة، فقال سالم بن دارة: مهلاً يا مُرَّة، فإني لم أفعل تأبيدًا، كأنه يريد لم آتِ بآبدة؛ وما بي بأسٌ ولا ذنبٌ لي، وإنما مزحت، فأبى مُرَّة إلاّ شتمه، فقال سالم وقد غضب: [الرجز]

يَـا مُـرَّ يَـا ابْـنَ وَاقِـعٍ يـا أنْـتَـا

أوقع «يا» على المنادى المحذوف، كأنه قال: يا مرّة أنت، وقد ادّعى قومٌ أن «أنت» يجوز نداؤها، ولا ينبغي أن تعدلَ عن الوجه الأول: [الرجز]

أنـتَ الَّـذِي طَـلَّـقْـتَ لَـمَّـا جُـعْـتَـا ... فَـضَـمَّـهَـا الـبَـدْرِيُّ إذْ طَـلَّـقْـتَـا

حَتَّى إذَا اضْطَبَحْتَ وَاغْتَبَقْتَا أَقْبَلْتَ مُعْتَادًا لِمَا تَرَكْتَا
أَرَدْتَ أَنْ تَرُدَّهَا كَذَبْتَا أَوْدَى بَنُو بَدْرٍ بِهَا وَأَنْتَا

أخذه من الأون وهو البطء.

تُقْسِمُ وَسْطَ الْقَوْمِ مَا فَارَقْتَا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ وَقَدْ أَسَأْتَا

ثمّ تواعدا أن يلتقيا، وعَظُمَ في صدور بَني فزارة قول سالم، فأغمضوا على ذلك، ثم تواقف ابن واقع وسالم على رهان، وفيهم يومئذٍ ابن بيشة أحد بني عبد مناف بن عقيل، فقال سالم لجميع بني فزارة: إنّي أحمدُ اللّهَ كعهدِكم وبعدكم وأستعهدكم من مُرَّة، فقال مُرّة: واللّه لا أزال أهجوه ما بَلَّ ريقي لِساني، وجاءت بنو فزارة بامرأةٍ من بني غراب ترجز يقال لها غاضرة، فلما رآها سالم نهقَ كما ينهقُ الحمار، ثم قال: [الرجز]

قَدْ سَبَّنِيَ بَنُو الغُرَابِ الأَحْمَرِ

يقول: الغربان تكون بُقْعًا وسُودًا وأنتم بنو غراب أحمر، ينسبهم إلى الأعاجم؛ لأن الحمرة فيهم أكثر:

جُبْنًا وَجَهْلاً وَتَمَنَّوْا مُنْكَرِي كُلُّ عَجُوزٍ مِنْهُمْ وَمُعْصِرِ
غَاضِرَ، أَدِّي رِشْوَتِي لاَ تَغْدِرِي وَأَبْشِرِي بِعَزَبٍ مُصَدَّرِ
شَرَّابِ أَلْبَانِ الخَلاَيَا مُقْفِرِ يَحْمِلُ عَرْدًا كَالوَظِيفِ الأَعْجَرِ(١)
وَفَيشَةً مَتَى تَرَيْهَا تُسْفِرِي حَمْرَاءَ كَالنَّوْرَجِ فَوْقَ الأَنْدَرِ(٢)
تَقْلِبُ أَحْيَانًا حَمَالِيقَ الحِرِ مُعَقَّدٍ مُشَعَّرٍ مُسَيَّرِ(٣)
كَأَنَّمَا أَحَسَّ جَيْشَ المُنْذِرِ إنْ تَمْنَعِي قَعْوَكِ أَمْنَعْ مِحْوَرِي(٤)
بِقَعْوِ أُخْرَى كَعْثَبٍ مُدَوَّرِ(٥)

النَّورج: شيءٌ يدقُّ به أهل الشّام حَبَّهُمْ، وفيه يقول الشاعر: [الكامل]

عَيْرَانَةٌ حَرْفٌ تَصِرُّ نُيُوبُهَا في النَّاجِيَاتِ كَمَا يَصِرُّ النَّوْرَجُ(٦)

---

(١) العَرْد: الذَّكَر الصُّلْب الشديد. والوظيف لكلّ ذي أربع: ما فوق الرُّسغ إلى مفصل الساق. والأعجر: الصلب الشديد.
(٢) الفَيْشَة: الذَّكَر المنتفخ، والأندر: البيدر من القمح.
(٣) حماليق المرأة: ما انضمّ عليه شُفرا عَوْرَتِها.
(٤) القَعْو: ما تدور فيه البَكَرة إذا كان من خشب. والمحور: الحديدة التي تدور عليها البكرة. والقعو: أصل الفخذ.
(٥) الكَعْثَب: الفَرْج الضخم.
(٦) العيرانة: من الإبل: الناجية في نشاط. والحَرْف: الناقة الضامرة.

والقَعْوُ: الذي تكون فيه البكرة من خشبٍ، فإذا كان حديدًا فهو خطّاف، وقيل: القعو هي البكرة. قال عمّار بن البولانية في النوارج: [الطويل]

ألا ليتَ لِي نَجْدًا وطِيب تُرابها ... بِهذا الَّذِي تَجْرِي عَلَيْهِ النَّوارجُ

فلمّا قالها سالم ألهاها الاستماع أن تَرُدَّ عليه، ثم لوى درعها فكشف عنها فحجز الناسُ بينهما، وافترق الناس ولابن دارة الظّفر. وعمّ بني فزارة بالهجاء لمّا أعانت عليه بنو غراب، وقال يهجو مرّة بن واقع المازني: [السريع]

حَدَنْدَبَا بَدَنْدَيَا منك الآن ... استمعوا أنشدكم يا ولدان

إن بني فزارة بن ذبيان ... قد طرقت ناقتهم بإنسان

مشيأ أعجب بخلق الرحمٰن

المشيأ: المقبّح الوجه.

غَلَبْتُمُ النَّاسَ بِأكلِ الجرذان ... كل متلّ كالعمود جوفان

وسرق الجار ونيك البعران

حدبدبا: كلمة جاء بها في معنى التعجب مما هو فيه وأصلها لعبة يلعبها الصّبيان ويُخْتَلَفُ في لفظها فبعضهم يقول حديديا بياءين وبعضهم يقول حدندبا ومنهم مَن يقول حديدبا يقول اجتمعوا يا صبية لتلعبوا هذه اللعبة وإنّما غرضه أن يعجب النّاس مما هو فيه ويعلمهم أنه في أمر كلعب الصبيان وقال سالم يهجو بني فزارة: [البسيط]

إنَّ فزارة قوم فيهم خور ... وفي الرقاب إذا أبصرتها عجر

لهم قلوب إذا أشبعتهم كمرا ... ولا قلوب إذا ما لم تكن كمر

تغلي القدور بجوفان مقطّعة ... مثل الفراسن لم ينبت لها شعر

وفي ذلك يقول الفرزدق ويهجو عمرو بن هبيرة الفزاري: [البسيط]

جَهّزْ فإنك ممتارٌ ومنتجع ... إلى فزارة عيرًا تحمل الكَمَرا

إنَّ الفزاريَّ لو يعمى فأطعمه ... أيرَ الحمارِ طبيب أبرأ البصرا

وقال في المعنى الآخر الفرزدق: [الوافر]

أمير المؤمنين وأنت عفّ ... كريم لستَ بالوالي الحريص

أأطعمت العراقَ ورَافِدَيْهِ ... فزاريًا أحذ يد القميص

ولم يكُ قبلها راعي مخاضٍ ... ليأمنه على وركي قلوص

تبنك بالعراق أبو المثنى ... وعلَّم قومَهُ أكلَ الخبيصِ

وقال سالم يهجو بني فزارة: [البسيط]

يا صاحِبَيَّ أَلِمَّا بي على الدَّارِ ... بين الهشوم وشطي ذات أمّار
تعتادها من رياح الصيف معصفة ... تعتادها بين أرجاب وأصفار

هي طويلة وفيها:

بَلِّغْ فزارة أَني إن أُسالمها ... حتى ينيكَ زميل أم دينار

هي أُم زميل كانت تكنّى أُم دينار:

في أسكتين يغيبُ الحوقُ بينهما ... وكَعْثب كسنام البكر مرمار
أبعد أُم إياس طالَ مدرعها ... يلوي وينزع من خزي ومن عار
لا تَأْمَنَنَّ فزاريًا خلوتَ به ... من بعد ما امتل أير العير في النار
يملها تارةً فيها وينهسه ... دامي اللثات معيدًا أكله ضار
وإن خلوتَ به في الأرض وحدكما ... فاحفظ قلوصك واكتبها بأسيار
إنّي أخاف عليها أن يلبثها ... عاري الجواعر يَغْشَاها بقسبار
إنَّ الفزاري لا ينفكُّ مغتلمًا ... من التّواكةِ تهدارًا بتهدار
أنا ابن دارة معروفًا له نسبي ... وهل بدارة يا لَلْناسِ من عار
جرثومة نبتَتْ في العزِّ واعتدلَتْ ... تنفي الجراثيم عن عُرفٍ وإنكار
من صلبِ قيس وأخوالي بَنُو أسدٍ ... من أكرم النّاس زندي فيهم واري

ويقال إنَّ عديّ بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في أن يتزوج امرأة يزيد بن المهلّب فكتبَ إليه عمر: أما بعد إن الفزاري لا ينفكُّ وكتب إن كان فيك فضلٌ فعُدْ به على عيالك فلم يَزَلْ يهجوهم وحلفَ زميل بن أبير أحد بني عبد اللّه بن مناف أن لا يأكل لحمًا ولا يغسل رأسه ولا يأتي امرأة حتى يقتله فالتقى زميل بابن دارة وابن دارة منحدر إلى الكوفة وزميل يريد البادية فقال له سالم: لا أبا لكَ ألم يأن لكَ أن تحلَّ يميني؟ فقال له زميل: إني أعتذر إليك إنه واللّه ما في القوم حديدة إلا أن يكون مخيطًا. فافترقا وسار سالم حتى قَدِمَ على أخيه بالكوفة فمكث غير بعيد ثم لحقَ بقومه بالبادية فجعل ينشد ثم ورد المدينة في جلب ثم خرج منها فلَقِيَ زميلاً عشاء وزميل داخل المدينة فكلّمه وناداه وقال: ألا تحلّ يميني؟ ثم انطلق واتبعه زميل في الظلمة فلم يسمع إلا خواته أي حسّه وقد غَشِيَهُ بالسّيفِ فدفع الراحلة وأدركه زميل فضربه فأصاب مؤخرة الرَّحْلِ وحذا عضده ذبابَ السيف حذية أوضحت، ورجع إلى المدينة يتداوى بها فزعموا أن بسرة بنت عيينة بن أسماء ويقال إنها بنت منظور بن زبان بن سيار وكانت تحت

عثمان بن عفان دسّت إلى الطبيب سمًّا في دوائه فمات وقال قبل موته: [البسيط]

أبْلغْ أبا سالم عنّي مغلغلة ... فلا تكوننّ أدنى القوم للعار

لا تأخذنَّ مائة منهم مجلّلة ... واضربْ بسيفِكَ منظور بن سيار

وقال الناس لمّا قُتِلَ قد محوا عن أنفسهم وفي ذلك يقول الكميت بن معروف: [الطويل]

فلا تكثروا فيها الضجاج فإنه ... محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقال زميل: [الرجز]

أنا زميل قاتل ابْنِ داره ... وغاسلُ المخزاةِ عن فزاره

ثم جعلت عقله البكاره

[١٣٥] وقال بَشَامَةُ بن حَزْن:

قال أبو هلال في الشعراء رجلان يُقال لهما بشامة أحدهما بشامة بن الغدير وهو عمرو بن هلال بن سهم بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان القائل: [المتقارب]

هجرت أمامة هجرًا طويلا ... وحملك النّأى عبئًا ثقيلا

والآخر بَشَامة بن حزن النّهشلي وهذا الشعر له وقال الآمدي هو لبشامة بن الغدير.

١ - وَلَقَدْ غَضِبْتُ لِخِنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا ... لَمَّا وَنَى عَنْ نَصْرِهَا خُذَّالُهَا

الأوّل من الكامل مطلق مردف بوصل وخروج، والقافية متدارك. خندف لقب لليلى امرأة إلياس بن مضر بن نزار وإنما لُقِّبَتْ بذلك لقولها لزوجها يومًا ما زلت أُخَنْدِفُ في أثركم، والخَنْدَفَةُ مِشيةٌ كالهَرْوَلَة، فقال لها: وأنتِ خِنْدِفٌ. فلزمها فصارت مُضَرُ نَسْلَيْنِ أحدهما ولد قيس عِيلان والآخر خِندف. ويُروَى أنَّ رجلاً على عهد الزّبير ظُلِمَ فنادى: يَا لَخِنْدِفَ فخرج إليه الزبير وفي يده السيف وهو يقول: خندف إليك أيها المخندف والله لَئِنْ كنتَ مظلومًا لأنْصرَنَّكَ. يقول: غضبت لِنَسْلَيْ مُضَرَ خِندف وقيس لمّا فتر عن معاونتها نُصَّارُهَا، وإنّما قال خُذّالها ولم يقلْ نصّارها لأنه وصفهم بما آلَ إليه أمرهم وجواب لمّا ونى ما هو صدر البيت.

٢ - دَافَعْتُ عَنْ أعْرَاضِهَا فَمَنَعْتُهَا ... وَلَدَيَّ فِي أمْثَالِهَا أَمْثَالُهَا

أي ولَدَيَّ في أمثال هذه القبائل أمثال هذه النصرة، هذا وجه ويجوز أن يريد ولَدَيَّ في أمثال هذه النصرة أمثال هذه القصيدة أو في أمثال هذه الحروب أمثال هذه النصرة.

٣ - إنّي امرُؤٌ أَسِمُ القَصَائِدَ لِلْعِدَا ... إنَّ القَصَائِدَ شَرُّهَا أَغْفَالُهَا

قال أبو العلاء: أي اجعل فيها شيئًا تشهر به وتعرف كما تعرف الناقة بسمتها، وأما الشعراء اليوم فيجعلون الموسوم من الشعر ما ذكر في قافيته اسم الممدوح كقول الأعشى: [الطويل]

فآليت أنْ أرثي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقي محمّدا

فأمّا القدماء فلم يخصّصوا ذلك وربما ذكروا اسمَ الممدوح وربّما لم يذكروه كقول النابغة: [الطويل]

عفا ذو حسًى من فرتنا فالفوارع

ولم يذكر اسم النعمان وجعلها موسومة على مذهب المحدّثين بالقوم الذين وشوا به فقال: [الطويل]

لَعَمْرِي وما عمري عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأَقَارِعُ

أقارعُ عوفٍ لا أُحاولُ غَيرَها ... وجوه قرودٍ تبتغي مَنْ تُجَادِعُ

٤ ـ قَوْمي بَنُو الحَرْبِ العَوَانِ بِجَمْعِهِمْ ... والمَشْرَفِيَّةُ والقَنَا إشْعالُها

المشارف: أرض تشرفُ على أرض العرب وإليها تُنْسَبُ السّيوفُ، وقوله إشعالها على حذف المضاف كأنه قال والمشرفية والقنا ذوات إشعالها، ويجوز أن يكون الحذف من الأول كأنه قال وسل المشرفية وحمل القنا وما يجري هذا المجرى وإنما افتقر إلى ذلك لأن الاسم الذي بُدِىء به لا يكون مصدرًا على الحقيقة كما أنك إذا قلت: أخوك شَرِبَ فالمعنى ذو شرب ويُرْوَى والمشرفية بالجرّ وعلى هذا يتمّ الكلام بقوله العوان، والباء من بجمعهم تتعلق بإشعالها وإذا رفعتَ المشرفية يكون تمام الكلام عند قوله بجمعهم لأن الباء منه حينئذٍ تتعلّقُ بقوله العَوَان، والمعنى: قَومي بنو الحرب التي عونت باجتماعهم واستأنف الكلام بعده ويقال أشعلت النار في الحطب وأشعلت الخيل في الغارة وأشعلته غضبًا.

٥ ـ ما زالَ مَعْرُوفًا لِمُرَّةَ في الوَغَى ... عَلُّ القَنَا وَعَلَيْهِم إنْهالُها

ما زال: لدوام الماضي وارتفع عَلُّ القنا على أنه اسمه وخبره: معروفًا وإنما قال وعليهم إنهالها كأنه يجعل ذلك واجبًا عليهم.

٦ ـ مِنْ عَهْدِ عَادٍ كانَ مَعْرُوفًا لَنا ... أَسْرُ المُلُوكِ وَقَتْلُها وَقِتالُها

مِن في موضع منذ لقوّتها وكثرة تصرّفها وتمكّنها في باب الجرّ.

[١٣٦] وقال أَرْطَأَة بن سُهَيَّة:

قال أبو الفتح أرطأة واحدة الأرطى وهي فعلاة لقولهم أديم مأروط، وحكى أبو الحسن أديم مرطى فأرطى على هذا أفعل وينبغي أن يكونَ لامه ياء حَمْلاً على الأكثر ويقال

أيضًا أديم مؤرطى فهذا مفعلى كمسلقى ومجعبى ومَنْ قال مرطى فمؤرطى عنده مؤفعل كقولها: [الطويل]

تَدَلَّتْ على حص ظماء كأنها كرار غلام في كساء مؤرنب

فمؤرنب مؤفعل لأنه فيما فُسِّرَ: المتّخذ من جلود الأرانب. وسُهَيَّة تحقير سهوة يقال فرس سهوة إذا كانت سهلة الجري ويجوز أن يكون تصغير السّهوة وهي أوتاد تعارض من داخل الخباء أو البيت يجعل عليها المتاع ونحوه ويجوز أن يكون تصغير سهوة وهي المرة الواحدة من سهوت ويجوز أن يكون تحقير الساهية على تحقير الترخيم كقولهم في فاطمة فطيمة.

١ ـ وَنَحْنُ بَنُو عَمٍّ عَلَى ذاتِ بَيْنِنا زَرَابِيُّ فِيها بِغْضَةٌ وَتَنافُسُ

الثاني من الطويل مطلق مؤسس موصول والقافية متدارك، قال أبو العلاء: إذا صحّ أن الزرابي يُرَادُ بها العداوات والقوارص فهي من قولهم زربت البهمَ في الزريبة إذا أدخلته فيها ومعروف من كلامهم أن يقال بيني وبينه دسيس عداوة قال الشاعر: [الكامل]

لا تَسْأَما لي من دسيسِ عداوةٍ أبدًا فليس بِمسئمي أن تسأما

وقيل إنها في ديوان أرطأة زرائب على مثال غرائب فكله جمع زريبة فجعل العداوة زريبة لأنها تزرب في القلب أي تدخل وهذا نحو قولهم للعقد ضبّ لأنه يكون في القلب كما يكون الضبُّ في بيته، وقد يحتمل زرابي إذا كانت بتشديد الياء وجهًا آخر وما أجدر الشاعر أن يكون أراده دون غيره وذلك أن يجعل الزرابي يُرَادُ بها الطّنافس والبسط ويكون ذات بينهم الساحة التي بين بيوتهم، أي إنَّا تُبْسَطُ لنا الزرابي ونقعد عليها متقاربين في الأماكن متباعدين بالقلوب فلا يُسَلِّم بعضنا على بعض وإن سلّم عليه لم يَرْدُدِ الجوابَ وإذا عطس لم يسمّته، يقال: سمّت العاطس بالسين والشين إذا دعا له فقال رحمك اللَّهُ أو نحوه ويجوز أن تكون الزرائب جمع زريبة أي الموضع الذي يُجعَل فيه البهم والغنم ويُستعار فيجعل مكانًا للعداوة الكامنة في الصَّدر وواحد الزرابي البسط زريبة وزربي وقال الخليل في الزرابي إنها القطوع الحيرية الرقيقة وفي بعض كلام الفصحاء فرشت بيننا قطوع النمائم. وقوله ذات بيننا كأنه أراد بذات البين خالصة النسب والقرابة ثم جعل فوقها ما قد غمرها من زرابي الفساد ويُرْوَى على ذاك بيننا أي على ما يجمعنا من الرَّحم تنائي بعضنا عن بعض.

٢ ـ وَنَحْنُ كَصَدْعِ العُسِّ إنْ يُعْطَ شاعِبًا يَدَعْهُ وفيه عَيْبُهُ مُتَشاخِسُ

العُسّ: القدح الضَّخم والشاعب هٰهنا مصلح الأقداح، والمتشاخس: المتفاوت المتباين ومنه قولهم تشاخسَتْ أسنانه من الكبر إذا اختلفت وهو أن يسقط بعضها ويميل

بعضها وقيل الشَّخْسُ في الأصل فتح الفم للتثاؤب، أي استحكم الفسادُ بيننا حتى لا نقبل صلحًا.

٣ - كَفَى بَيْنُنَا أَنْ لا تُرَدَّ تَحِيَّةٌ عَلَى جانِبٍ ولا يُشَمَّتَ عاطِسُ

قال المرزوقي: قوله كفى بيننا هو بين الذي كان ظرفًا فنقله إلى باب الأسماء. ومثله قوله عزَّ وجلّ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾(١) وقول الشاعر: [الوافر]

كأنَّ رِمَاحَهُمْ أشطانُ بئرٍ بعيدٍ بين جَالَيْها جَرُورُ(٢)

وقال أبو علي الفارسي في اشتقاق التّسميت بالسّين غير معجمة كأنّه رَدَّهُ إلى سمته وهديه وفي التشميت بالشين كأنه التثبيت من الشوامت وهي القوائم، ويجوز أن يُرْوَى أن لا تردّ بالرفع كذلك ولا يشمّت على أن تجعل أنْ مخفّفة من الثقيلة ومثله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾(٣) بالرفع والنصب، وقال النمريّ: أكثر أهل العلم لا يدري ما الزرابي هٰهنا وهي البسط ذوات الألوان. وذات البين: العداوة يقول: على عداوتنا غطاء حسن والعداوة تحتها كامنة. قال أبو محمد الأعرابي هذا موضع المثل: [الوافر]

تردد في است مارية الهموم فما تدري أتظعن أم تقيمُ

تاه أبو عبد اللّه في تفسير هذا البيت لمّا لم يعرف صِحّة متنه والصّواب ما أنشده أبو الندى ثم وجدته بعد ذلك: [الوافر]

ونحن بنو عَمٍّ على ذاكَ بيننا زآنب فيها بغضة وتنافس

قال: قوله على ذاك أي على أنّا بنو عَمٍّ، والزآنبُ: القوارصُ، قال: ولا أعرفُ لها واحدًا، وكذلك ذكر أبو هلال.

[١٣٧] وقال عَقِيلُ بن عُلَّفَة المرّيّ(٤):

قال أبو الفتح: عقيل اسم مرتجل ويمكن أن يكون فعيلاً في معنى مفعول أي معقول، قال المبرّد: قال لي عمارة بن عقيل أنشدني من شعر شاعركم هذا الذي قد فتنتم به فأنشدته لأبي تمام: [الطويل]

أُنَاسٌ إذا ما استلحم الرّوع صدعوا صدور العوالي في صدور الكتائب

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٢) البيت ضمن القصيدة في أمالي القالي ٢/١٢٩ - ١٣٣.

(٣) سورة طٰه، الآية: ٨٩.

(٤) عَقِيل بن عُلَّفَة: أبو العُمَيْس: شاعر مُجيدٌ مُقِلٌّ، من شعراء الدولة الأموية. (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). (ترجمته في الأغاني ١١/٨١؛ وسمط اللآلي ص ١٨٥؛ وخزانة البغدادي ٢/٢٧٨؛ وجمهرة الأنساب ص ٢٤١).

ذلك: [الخفيف]

وَقَرَى بَاعِثُ أُسَيِّدَ حَرْبًا   في النَّوَاحِي يُشِبُّ مِنْهَا الضِّرَامَا
جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرًا بِأَخِيهِ   يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمُ وَالغُلامَا
فَمَلأْنَا الدِّلاءَ حَتَّى عُرَاهَا   عَلَقًا بَرَّدَ القُلُوبَ السِّقَامَا(١)

[١٧٧] وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ:

١ - أيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ   كَبِيرٍ يَفَنٍ بَالِ

من الهزج الأوّل، والقافية متواتر.

أرادَ: يا طعنةَ شيخ، وما: زائدة، وهذا اللَّفظ لفظ الثَّناء، والمعنى معنى التعجب، كأنَّه أرادَ: ما أهْوَلَها مِنْ طَعنةٍ ويا لها مِنْ طعنةٍ بَدَرَتْ من شيخ كبيرِ السِّنِّ، وَاليَفَنُ: الشَّيْخُ الهَرِمُ، ويجوز أن يكون المنادى محذوفًا، فيكون التنبيه بيا مُتَنَاوِلاً غير الطَّعنةِ، وينتصبُ على هذا طعنة بفعل مُضْمَر، كأنه أراد: يا قوم اذكروا طعنةَ شيخٍ، كما قال: [الطويل]

أَيَا شَاعِرًا لاَ شَاعِرَ اليَوْمَ مِثْلُهُ   جَرِيرٌ وَلَكِنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ(٢)

المنادى محذوف، وشاعرًا: ليس بمنادى، لأنه مقصود إلى واحد بعينه، والمنادى إذا كان مقصودًا إليه يُعَرَّفُ، كقولك: يا رَجُلُ، وَيَا غُلاَمُ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشَّاعر، ويجوز أن يكون غيره؛ فإنْ كانَ المنادى غيره فكأنه قال لِمَن بحضرته: يا هذا، حَسْبُكَ به شاعرًا، على المَدْحِ والتَّعَجُّبِ منه، ثم بَيَّنَ أنه جريرٌ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم: نِعْمَ رجلاً زيدٌ، ويجوز أن يكون «حَسْبُكَ به» على شريطة التفسير، و«به» في موضع اسم مرفوع لا بُدَّ منه، ويجوز أن يكون «حَسْبُكَ به» الهاء لِلشّاعر الَّذي جرى ذِكره ثم وَكَّدَهُ بقوله: جرير، أي هو جرير؛ وتقديرهما - أعني الخليل ويونس - يا قائل الشّعر، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور، كأنه قال: يا شعراء عليكم شاعرًا لا شاعرَ اليومَ مِثله، أو حَسْبُكُمْ به شَاعِرًا، فهذا ظاهرُ كلامِ سيبويه، ويجوز أن يكون يا قائلَ الشِّعْرِ المحذوف هو الشاعر المذكور، وينتصبُ شاعرًا على الحال، ولا شاعر اليوم: في موضع النعت له، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة كأنه قال: يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله.

---

(١) العُرَى: جمع العُرْوَة: هي مقبض الدّلو، والعَلَق: الدَّم.

(٢) البيت للصلتان العبدي في خزانة الأدب ٢/ ١٧٤؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٦٥؛ والشعر والشعراء ١/ ٥٠٨؛ والكتاب ٢/ ٢٣٧؛ ولسان العرب (كرب)؛ ومعاهد التنصيص ١/ ١١٩؛ والمرزوقي ص ٥٣٨.

٢ ـ تُـقِـيـمُ الـمَـأْتَـمَ الأعْـلَـى عَـلَـى جَـهْـدٍ وَإعْـوَالِ

«تقيم المأتم»: من صفة الطَّعنة، وكأنه كان تناولَ بها رئيسًا فلذلك وصف المأتم بالأعلى، والمأتم أصله أن يقعَ على النّساء يجتمعنَ في الخيرِ والشَّرِّ، واشتقاقُه من الأَتْم وهو الضَّمّ والجمع، ومنه الأتوم وهي المرأة التي صار مسلكاها واحدًا، وكأنه مصدر وُصِفَ به، ويجوز أن يُرَادَ به أهل المأتم، فحذف المضاف كما يقال: جاء المجلس، والمراد أهل المجلس، والإعوالُ: رَفْعُ الصَّوتِ بِالبكاء.

٣ ـ وَلَـوْلاَ نَـبْـلُ عَـوْضَ فـي حُـظُـبَّـايَ وَأوْصَـالِـي

عَوْضُ: اسم للدَّهر يُبْنَى على الفتح، وقد يُبْنَى على الضّمّ، والضّمّ فيه حكاه الكوفيون ويقال: لا أفعلُه عَوْضُ العائضين، وإنّما بُنِيَ لِتَضمّنه معنى الألف واللاّم. والخُضُمَّة[1]: ما غَلُظَ من السَّاعِدِ، يقال: خُضُمَّة وخُضُبَّة، وقوله «حظُبَّاي» أي جِسمي، ويقال: إنَّ الحُظُبَّى عِرْقٌ في الظَّهرِ، ومعنى البيت: لولا رَميُ الدَّهْرِ في مفاصلي لَكَانَ تأثيري في الحربِ أكثر مِمّا كان، ونَبْلُ الدَّهْرِ: حَوادِثُه.

٤ ـ لَـطَـاعَـنْـتُ صُـدُورَ الـخَـيْـلِ طَـعْـنًـا لَـيْـسَ بِـالآلِـي

أرادَ بالخيلِ الفُرسان، ويجوز أن يريد بِالصّدور الأكابر والرُّؤساء، والآلي: المُقَصِّر، وجعلَ التَّقْصِيرَ لِلطَّعن على المجاز.

٥ ـ تَـرَى الـخَـيْـلَ عَـلَـى آثَـارِ مُـهْـرِي فـي الـسَّـنَـا الـعَـالِـي

موضع «على آثار مُهْرِي»: نصب على الحال، والمعنى تابعين، و«في السَّنا» في موضع المفعول الثاني لِتَرى؛ ومعنى السَّنَا قِيلَ: النُّور العالي، وهٰهنا يريد به بريقَ السِّلاحِ، كأنَّهم يُقَدِّمونه ويَتَّقُونَ به، هذا مَعْنًى، والأَجودُ أن يكون المعنى: ترى الفُرسانَ إذا تَبِعَتْ أَثَرِي في مَجْدٍ عَالٍ: أي إنَّهم يرضونَ بِرئاستي عليهم ويُرْوَى «في الثُّبَا العالي» والأصل العالية، ولكن ذكره على اللَّفْظِ لأنَّ ثُبَا مثل زلم، وهي جمع ثُبَة، وهي الجماعة، وقال بعضهم: الثُّبَا هٰهنا مجالسُ الأشرافِ.

٦ ـ وَلاَ تُـبْـقِـي صُـرُوفُ الـدَّهْـرِ إنْـسَـانًـا عَـلَـى حَـالِ

هذه تَسْلية لِنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوة، وقوله «على حال» في موضع الصّفة لإنسان، وتعلّق على بمُضْمَر، كأنه قال: لا تُبقي حوادثُ الدَّهر إنسانًا قائمًا أو ثابتًا على حال، بل يُبَدَّلُ ويُحَوَّلُ.

٧ ـ تَـفَـتَّـيْـتُ بِـهَـا إذْ كَـرِهَ الـشَّـكَّـةَ أمْـثَـالِـي

---

(١) هذا اللفظ في رواية المرزوقي.

الشِّكَّة: ما يُلْبَسُ من السِّلاح، وقد شَكَّ الرَّجلُ في السِّلاح، إذا لَبِسَهُ؛ يَشُكُّ شَكًّا، وهو شَاكٌّ، وَتَفَتَّيْتُ: أي تَخَلَّقْتُ بِأخلاقِ الفتيانِ وأنا شيخٌ، ويُرْوَى «الشَّكَّة» وعَنَى طَعْنَةً انتظَمَ بها رَجُلَيْنِ على فرسٍ في حَرْبِ البَسوسِ.

٨ ـ كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ بَعْدَ إجْفَالِ

الدِّفْنِسُ: الحمقاء، والوَرْهَاء: المُتَساقِطةُ العَقلِ الضَّعيفةُ التَّماسُكِ، شَبَّهَ اتِّساعَ الطَّعنة وسرعة خروج الدم منها بِاتِّساع جيبِ المرأة الحمقاءِ ونُزُوّها في رَوْعِها. وقد سلكَ آخر هذا المسلك فقال في معنى هذا ولفظه: [الهزج]

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ وَهْيَ تَسْتَفْلِي(١)

ومعنى «تستفلي» تطلب فَلْيَ شعرها، وقد أخرجت يدها من جيبها فذعرت في تلك الحالة فلم تصبر لِرَدِّ اليدِ ولم ترفقْ بجيبها فمزّقته، وموضع «جيب الدِّفنس»: نصب على الحال: أي تَكَلَّفْتُهَا مشبهةً جيبَ الدِّفْنس وقد رِيعَتْ بعد إجفالةٍ، وقيل: الدِّفنس التي تضعُ جَيْبَها على طَرَفِ أَنفِها، يُرَادُ أَنَّها مِنْ عَجَلَتِها لا تستتمُّ لِبْسَ ثيابها.

[١٧٨] وقال رَبيعَة بن مَقْرُوم:

١ ـ أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ؛ وَإنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

«أخوكَ أخوكَ» يحتمل وجهين: أحدهما أن تكون اللَّفظة الثَّانية تَوْكِيدًا لِلَّفْظَةِ الأولى، ويكون «مَنْ» وما بعدها خبرَ المبتدأ، والمعنى أخوك الصَّادقُ الأُخُوَّةِ مَنْ يَفعلُ بكَ هذه الأفعال، والوجهُ الآخَرُ أن يجعلَ أخوك الثاني خبر الأول كما تقول: فُلاَنٌ فلان: أي الَّذي قد عُرِفَ، ومنه قول الشَّاعر: [الوافر]

فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

وأما قول الآخر: [الطويل]

سَلاَمٌ هِيَ الدُّنْيَا قُرُوضٌ وَإنَّمَا أُخُوكَ أخُوكَ المُرْتَجَى في الشَّدَائِدِ

فهو مثل البيت الأول؛ فإن شئتَ جعلت قوله أخوك الثانية توكيدًا وجعلت «المرتجى» خبرًا، وإنْ شِئتَ جعلت قوله أخوك الثاني خبرًا و«المُرْتَجى» نعتًا له ويكون قوله «مَنْ يَدْنُو» وما بعده من البيان الدَّاخل في صلته بدلاً من قوله أخوك الثاني، فهذا

---

(١) البيت لامرىء القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب) و(فقا) وله أو للفند الزمّاني في اللسان (دفنس)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٧٤؛ وللفند الزمّاني في تاج العروس (دفنس) و(وره) وبلا نسبة في اللسان (وره)؛ وأساس البلاغة (فلي).

المعنى يحتمل أن يكون حَثًّا على إكرامِ الغريبِ إذا نصح وأخلصَ، كما قال الأعشى: [الطويل]

فإنَّ القَريبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرِ لاَ مَنْ تَنَسَّبَا

ويجوز أن يكون وَصَاةً بِالأخ المناسبِ وإخبارًا أن المؤاخى بغير النسب لا يُنْتَفَعُ بإخائه.

٢ ـ إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي وَزَادَ سِلاَحُهُ مِنْكَ اقْتِرَابَا

يجوز أن يكون هذا الكلام مُتَّصِلاً بما قبله، والضَّمير في «حاربَ» لأخوكَ، و«مَنْ تُعادي»: في موضع المفعول من حاربتَ، ويكون المعنى: إذا حاربتَ مَنْ تُعَادي حاربَ هذا المؤاخي معك، ويجوز أن يكون مُنْقَطِعًا مِمَّا قبله ويكون مثلاً مَضْروبًا، فيقول: إذا كاشَفْتَ عَدُوَّكَ بَعَثَهُ ذلك على مكاشفتِهِ، وازدادَ عُدَّتَه مِنْكَ دُنُوًّا، وإذا جامَلْتَهُ وداجَيْتَهُ بَقِيَ على ما ينطوي عليه مُسَاتِرًا لا مُجَاهِرًا، أرادَ أنك إذا حاربتَ قَرُبَ مِنكَ ومعه سلاحُهُ لِيُعِينَكَ، فذكر قُرْبَ السِّلاحِ منه لِيدلَّ على أنه أراد إعانته على عَدُوِّه، ولو ذكر أنه يقرب نفسَهُ منه لم يدلّ على ذلكَ لأنه يجوز أن يقربَ منه ولا يُعِينُه.

٣ ـ وَكُنْتُ إِذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ حِبَالِي مَاتَ أَوْ تَبِعَ الجِذَابَا

يقول: إذا جاذبني قَرِينٌ لي حَبْلاً بيني وبينه فإمَّا أن ينقطعَ دون شَأْوِي إلى الجِذَابِ فيهلكَ، وإمَّا أن يَتَّبِعَ صَاغِرًا فينقادَ.

٤ ـ فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِي حَنَقٍ لَظَاهُ عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

يُضْمِرونَ «رُبَّ» بعد الفاء كما يضمرونها بعد الواو، وإضمارهم إياها مع غير الواو يَدُلّ على أن الواو ليستْ بَدَلاً مِنْ رُبَّ، ونحوٌ منه قول امرىء القيس على رأي مَنْ خَفَضَ: [الطويل]

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ(١)

يقول: إنْ أَمُتْ فَرُبَّ رَجُلٍ ذي غَضَبٍ تكادُ نارُ عَداوَتِهِ تتوقَّدُ توقُّدًا أنا فعلتُ به كذا، و«لَظَاهُ» في موضع المبتدأ، و«تكاد تلتهبُ» في موضع الخبر، والجملة في موضع الصِّفة لـ «ذِي حَنَقٍ»، والمجرور بِرُبَّ يقعُ موصوفًا في الأكثر، وجواب رُبَّ فيما بعد، والفاء من قوله «فذي حَنَقٍ» مع ما بعده جوابُ الجزاءِ فَإِنْ قِيلَ: إنَّ الفاءَ في جواب

(١) البيت في ديوانه ص ١٢؛ والأزهيَّة ص ٢٤٤؛ والجنى الداني ص ٧٥؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٥٠؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٤٠٢؛ ولسان العرب (رضع)، و(غيل)؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٣٣٦.

الثاني من البسيط مطلق مجرّد بوصل وخروج والقافية متواتر. قوله: يبدؤه أي يبدأ منه فحذف حرف الجرّ ووصلَ الفعلَ فنصب، يقول أوائل الأمور ضعيفة ثم تستحكم على مَرّ الأيام ويُرْوَى «وَلَيْسَ يَصْلَى بِجُلِّ الحَرْبِ جانِيها» أي يجنيها الضعيف والعاجز ويَصْلَى بها القوي الحازم لأنه لا يجد من نصرة قريبه بُدًّا وجلّ الشيء أكثره ومعظمه، وهذا من الأبيات التي صدورُها أمثال وأعجازها أمثال مثل قول النابغة: [الطويل]

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمه   على شعثٍ أيّ الرّجال المهذّب

يقول إنَّ سببَ الحرب يسيرٌ يجرّه أدنى شيء ثم يتفاقم حتى يفوت التلافي مثل حرب بكر وتغلب كان سببها ناقة رُمِيَت في ضرعها وكانت مدّة الحرب أربعين سنةً، وكان سبب حرب داحس والغبراء منع خطر وكانت مدّتها مثل ذلك، وكانت حرب ابني قيلة أكثر من ثلاثين سنة وكان سببها كسعة رجل.

٢ ـ الحَرْبُ يَلْحَقُ فيها الكارِهُونَ كما   تَدْنُو الصِّحاحُ إلَى الجَرْبَى فَتُعْدِيها

أي شَرُّ الحرب يُعْدِي إعداءَ الجَرَبِ وتنال مضرّتها غير الجاني إذا دخلَ مع الجُنَاةِ كما يدنو الصحيح إلى الأجرب فيعديه.

٣ ـ إنّي رَأَيتُكَ تَقْضِي الدَّيْنَ طالِبَهُ   وَقَطْرَةُ الدَّمِ مَكْرُوهٌ تَقاضِيها

هذا البيت يصلح أن يكون مدحًا فيكون المعنى: إني رأيتُكَ تخرجُ إلى المدينين سريعًا من دينهم عليك غير مدافع لهم بما في ذمّتِكَ وإذا طُولِبْتَ بدمٍ شَقَّ تقاضيكَ به وصَعُبَ نَيْلُهُ من جِهَتِكَ فعلى هذا قوله «مكروهٌ تقاضيها» معناه مكروه تقاضيك بها ويجوز أن يكون ذَمًّا فيكون المعنى: إني رأيتُكَ بأهونِ سَعْيٍ تخرجُ من الأوتار والدّماء إلى طلاّبها فلا كلفة في نيلها وإدراكها من جهتك والتقاضي بالدم عَسِرٌ إلاّ إذا كان عندكَ وذلك لضعف كيدك، فالدَّين في هذا الوجه يُرَادُ به الوتر والدَّم وقوله مكروه تقاضيها يعني تقاضي غيرك بها ومثل قوله مكروه تقاضيها فيما أُضيف إليه قول لبيد: [الكامل]

بَاكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بِسُحْرَةٍ[1]

لأن المعنى باكرت حاجتي إليها.

٤ ـ تَرَى الرِّجالَ قُعُودًا يَأنِحُونَ لَها   دَأْبَ المُعَضِّلِ إذْ ضاقَتْ مَلاقِيها

يقال: أنحَ يأنح إذا زجر والدَّأبُ: العادة، ويقال عضلت المرأة: إذا نشب ولدها في رحمها، والملاقي: يُرَادُ بها ملاقي الرَّحم أي ترى الرّجال يلقون من الشّدّة فيها ما تلقى هذه إذا عَسُرَ عليها خروجُ وَلَدِها.

---

(١) البيت من معلّقته وعجزه: «لأعلّ منها حين هَبَّ نيامُها».

[١٤١] وقال شُرَيْح بن قِرْوَاش العبسيّ:

قال أبو الفتح: شُرَيْح يشبه أن يكون مما ألزم من الأسماء التحقير كالثريا واللّجين والجميل والكعيت والسكيت وذلك أنَّا لا نعرفُ في اللّغة ما يصلحُ أن يكون مكبّره إنما هو الشرح مصدر شرحت الشيءَ أي وَسَّعْتُه والمصدر ليس مِمَّا يصلحُ تحقيرُه إلاّ بعد التسمية به كفضيل تحقير فضل علمًا، وعلى أنَّ بطنًا من العرب يقال لهم بنو شرح وربما كُني عن فرج المرأة فقيل له شريح فأُلْزِمَ التحقير امتهانًا له. وأما قِرواش فمرتجل علمًا وليس بمنقول وهو من لفظ القرش ومثله في الوزن جلواخ وقرواح ودرواس أنشدنا أبو علي قال أنشد أبو زيد: [البسيط]

بِتنا وباتَ سَقِيط الطَّلِّ يضرِبُنا عِنْدَ النُّدول قرانا قبح درواس

إذا ملا بطنه ألبانها حلبًا باتت تغنيه وضرى ذات أجراسِ

الندول: اسم رجلٍ، ودرواس: كلب كان له، وعنى بالوضرى: اسْته، وأجراسها: أصواتها.

١ - لَمَّا رَأَيْتُ النَّفْسَ جَاشَتْ عَكَرْتُهَا عَلَى مِسْحَلٍ وَأَيَّ سَاعَةِ مَعْكَرِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

مِسْحَل: اسم رجل مُسَمَّى بالحمار الوحشي، لأنَّ السَّحيل صوته، والعكر: العطف، يقال: فلانٌ عَكَّارٌ في الحروب، وقوله «وأيّ ساعةِ معكرِ» إذا رويته بالرفع يكون مبتدأ وخبره محذوف، كأنه قال: وأيّ ساعة معكر تلك الساعة، وإذا رويته بالنصب يكون ظرفًا ويكون العامل فيه مضمرًا، كأنه قال: وعكرت أي وقت معكر.

٢ - عَشِيَّةَ نَازَلْتُ الفَوَارِسَ عِنْدَهُ وَزَلَّ سِنَانِي عَنْ شُرَيْحِ بْنِ مُسْهِرِ

«عشيّةَ» انتصب على أن يكون بدلاً من قوله «وأيّ ساعة معكرِ» إذا نصبت «أيًّا»، وإن رفعته فانتصاب عشيّة على أن يكون ظرفًا، والعامل فيه فعل مضمر دلَّ عليه ما قبله، كأنه قال: عكرت عشية، ولا يكون العامل «نازلت» لأنه مضاف إليه وبيان للوقت، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف: أي عشية نازلت الفرسان بحضرته وحين زلَّ سِناني، وإنما زَلَّ سُنانُ رمحِه عنه وسلم من طعنته لأنه كان لَبِسَ درعًا تحت ثيابه وهو لا يشعر بها، فكأنه يعتذر ويتلهّف.

٣ - وَأُقْسِمُ لَوْلاَ دِرْعُهُ لَتَرَكْتُهُ عَلَيْهِ عَوَافٍ مِنْ ضِبَاعٍ وَأَنْسُرِ

«أقسم» يمين، والمحلوف به محذوف، وهو لفظة اللّه عزَّ وجلّ، ولكثرة مجيئها مع «أقسم» صار وهو محذوف كالمنطوق به، وجواب القسم استغنى عنه بقوله لولا، يقول:

لولا درعه لتركته قتيلاً تأكله السِّباع والطيور، والعافي والمعتفي واحد، ومنه قول الشاعر: [المتقارب]

لَـعَـزَّ عَـلَـيْـنَـا وَنِـعْـمَ الـفَـتَـى مَـصِـيـرُكَ يـا عَـمْـرُو لِـلْـعَـافِـيَـهْ

أي: عَزَّ علينا أن تُقْتَلَ وتُتْرَكَ للطيرِ والسِّباع.

٤ - وَمَـا غَـمَـرَاتُ الـمَـوْتِ إلاَّ نِـزَالُـكَ الـ ـكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الكَمِيِّ المُقَطَّرِ

يقول: ما شدائد الموت إلا منازلتك الكميّ فوق لحم الكميّ: أي فوق جِيَفِ القَتْلى، وسُئِلَ بعضُهم: ما أشدّ ما رأيت فيما زاولته من الحروب؟ فقال الزَّلَق على العَلَق، وفي هذا البيت إدماج، والإدماج: أن تكون علامة التعريف في النصف الأول من البيت والمعرّف في النصف الثاني، وهو يقلُّ في الأوزان الطِّوال ويَكْثُرُ في القِصار، كقول الأعشى: [المنسرح]

اسْـتَـأْثَـرَ الـلَّـهُ بِـالـمَـكَـارِمِ وَالـ ـعَـدْلِ وَوَلَّـى الـمَـلاَمَـةَ الـرَّجُـلاَ

وَالـشِّـعْـرُ قَـلَّـدْتُـهُ سَـلاَمَـةَ ذَا الـ ـإِفْضَالِ وَالشَّيءُ حَيْثُ مَا جُعِلاَ

قال أبو رياش: لَقِيَ شُريح بن مسهر أخو بلحارث بن كعب مِسْحَل بن شيطان بن جَذِيم بن جذيمة بن رواحة، فطعن مسحلاً فصرعه، فحمل شُرَيْح بن قِرْوَاش على شريح بن مسهر، فطعنه فصرعه، واستنقذ مِسحلاً، وقال هذه الأبيات.

[١٤٢] قال طَرَفَةُ الجَذِيمِيُّ:

قال أبو الفتح: طَرَفَة واحدة الطَّرْفاء، ومثله قَصَبة وَقَصْبَاء وَحَلَفَة وَحَلْفاء، وقال الأصمعي: هي حَلِفَة بكسر اللاّم، وغيره يفتحها، وحكى أبو زيد وأبو الحسن فيما أظنّ قَصْبَاءَةً وَحَلْفَاءَةً وطَرْفَاءةً، وهذا من شاذّ التصريف، وجَذِيمة علم مرتجل، وليس منقولاً، ويجوز أن يكون من جَذَمْت يده: أي قطعتها، فيكون اسمًا كالنَّطِيحة وَالذَّبِيحَةِ.

١ - يَـا رَاكِـبًـا إمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغًـا بَنِي فَقْعَسٍ قَوْلَ امْرِىءٍ نَاخِلِ الصَّدْرِ

الأوّل من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متواتر.

يخاطب واحدًا من الرّكبان غير معيّن، وإنما نَكَّرَ المدعوّ لأمرين: أحدهما شدّة اهتمامه بالرسالة وتحميلها كائنًا مَنْ كان، والثاني أنه أرادَ أن يضعَ رسالة ظاهرها أنها أودعت متحمّلاً، علمًا بأن الرسالة بنفسها إذا ضُمِّنَتِ الشِّعْرَ وعقدت به ستبلغُ على أفواهِ الرُّواةِ، وقوله «ناخل الصَّدر» يريد مُصَفًّى ما في الصَّدْرِ فحذف المضاف، أو يريد ناخل الصّدر لما

يَعِيهِ، فجعل الفعل للصّدر توسّعًا، والمعنى إنه موافقُ الباطنِ لِلظّاهر، ويقال: نَخَلْتُ الودَّ والنّصح لفلان، إذا أخْلصتهما.

٢ ـ فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ عَنْ كَشَاحَةٍ وَلاَ طِيبِ نَفْسٍ عَنْكُمْ آخِرَ الدَّهْرِ

أي لم أُوْثِرْ فراقَكُمْ لعداوةٍ لازمةٍ لِكَشْحي، ولا لِسُلُوِّ نَفْسٍ عنكم آخر الدَّهر، وإنما قرن السُّلُوّ بقوله «آخر الدهر» لِيري أن ذلك في التقدير ليس بحاصل ولا واقع أبدًا، وهذا كما يقال: لا أفعل كذا ما دامت السّمٰوات والأرض.

٣ ـ وَلَكِنَّنِي كُنْتُ امْرءًا مِنْ قَبِيلَةٍ بَغَتْ وَأَتَتْنِي بِالمَظَالِمِ والفَخْرِ

هذا كشف للعذر وذكر للسبب الموجب للمجانبة والفرقة.

٤ ـ فَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إنْ لَمْ أَبِتْهُمُ عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ نَابِيَةِ الظَّهْرِ

انتقل عن الخطاب إلى الإخبار حين تَوَعَّدهم وإن كان الكلّ من جملة الرسالة، ويُرْوَى «لِشَرِّ النَّاسِ» بالكسر، والمعنى: أنا ابنُ شَرِّ النَّاسِ، والآلة: الحالة، واستعار الحدب للآلة لأنه تخالف في الخلق وفقد اتّساق، وكذلك استعار الظهر لَمَّا استعار الحدب لأنه يكون في الظهر، وجواب الجزاء الفاء في قوله «فإني لَشَرُّ النّاسِ».

٥ ـ وَحَتَّى يَفِرَّ النَّاسُ مِنْ شَرِّ بَيْنِنَا وَنَقْعُدَ لاَ نَدْرِي أَنَنْزِعُ أَمْ نُجْرِي

تعلق «حتّى» بفعل مُضْمَرٍ، كأنه قال: وأُديمُ ذلك لهم حتّى يَفِرَّ الناسُ أي إلى أن يفرَّ الناسُ فلا ندري أَنُقْصِرُ ونَكُفُّ أم نَجري ونَنْفُذُ، وقوله «لا ندري» في موضع الحال، وهذا إلمام بما سار به المثل من قصّة السائلة للسّمن في قوله: [الطويل]

وَكُنْتُ كَذاتِ القِدْرِ لَمْ تَدْرِ إذْ غَلَتْ أَتُنْزِلُهَا مَذْمُومَةً أَمْ تُدِيمُهَا[1]

وبالمثل السَّائر: اختلطَ الخاثرُ بالزُّبَادِ[2].

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عبس، هو ابن فقعس بن طريف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثَعْلَبة بن دُودَان بن أسد بن خزيمة، وذلك أن حَيَّة بنتَ مالك بن مُرَّة كانت تحت فَقْعَسٍ، فمات عنها، فخلف عليها رَوَاحة، فولدت جذيمة على فراشه، فزعموا أنها تزوجته وهي حبلى بجذيمة فولدته لثلاثة أشهر، فجاء جذيمة يطلب بميراثه من أبيه، فقال

(١) البيت لبشر بن أبي خازم في المفضليات ٢/١٣١. وعند المرزوقي «تُذِيبُها» بدل «تديمُها».

(٢) الزُّبَاد: الزُّبْد، وجاء في لسان العرب (زبد): «وقالوا في موضع الشدّة: اختلط الخاثر بالزُّباد: أي اختلط الخير بالشرّ والجيد بالرديء والصالح بالطالح، ويُضرَب مثلاً لاختلاط الحقّ بالباطل».

له أعيا بن طريف: ما أعرفك ولا لك عندي ميراث، فقال له: ويحك أعطني ولو بكرًا أستحقُّ به النَّسَبَ، فمنعه، فأنشأ جذيمة يقول: [الكامل]

أَغْـيَـيْـتَـنِـي كُـلَّ الـعَـيَـا ءِ فَـلاَ أَغَـرَّ وَلاَ بَـهِـيـمْ

فسمى «أعيا» بهذا البيت، وثبت نسب جذيمة في بني عبس، ولذلك يقول قيس بن زهير: [الطويل]

وَجَـدْنَـا أَبَـانَـا فـي جَـذِيـمَـةَ ثَـابِـتًـا وَلَـسْـتُ بِـعَـبْـسِـيٍّ وَلاَ مُـتَـعَـبِّـسِ
وَلٰكِنَّنِي مِنْ فَقْعَسٍ وَابْنِ فَقْعَس

[١٤٣] وقال أُبَيُّ بن حُمَام العَبْسِيُّ:

وحُمَام: هو ابن جابر بن قراد بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيْعَةَ بن عبس.

١ - تَـمَـنَّـى لِـيَ الـمَـوْتَ الـمُـعَـجَّـلَ خَـالِـدٌ وَلاَ خَيْرَ فِـيمَنْ لَيْسَ يُعْرَفُ حَاسِدُهْ[1]

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

أي: حسدني خالد فتمنّى لِيَ الموت، وإذا لم يكن للرجل حاسدٌ، فإنما هو مغمور لا خيرَ عِنْدَه ولا فيه، وإنّما يكون الحسّاد حيث يكون الفضل.

٢ - فَـخَـلِّ مَـقَـامًـا لَـمْ تَـكُـنْ لِـتَـسُـدَّهُ عَـزِيـزًا عَـلَـى عَـبْـسٍ وَذُبْـيَـانَ ذَائِـدُهْ

أي: مَنْ سَدَّ ذلك المقام وذادَ ما بدا من الشَّرِّ عَزَّ على قومه وَعَظُم في أعينهم يقول لخالد: دَعِ السّيادةَ فلستَ بأهلٍ لها، وإنما يستحقُّ السيادةَ مَنْ يدفعُ عن قومه ولستَ بقادر على ذلك، واللاّم في «لِتسدّه» لام الجحود، وهي لام الإضافة، والفعل بعده ينتصب بأن مضمرة، ولا تظهر البتّة.

[١٤٤] وقال أيضًا:

١ - لَـسْـتُ بِـمَـوْلَـى سَـوْأَةٍ أُدْعَـى لَـهَـا فَـإِنَّ لِـسَـوْءَاتِ الأُمُـورِ مَـوَالِـيَـا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

قوله «أُدَّعَى لها» أي أُنْسَب إليها فإن لسوءات الأمور، يقول: للخير أهل وللشرّ أهل.

٢ - وَلَـنْ يَـجِـدَ الـنَّـاسُ الـصَّـدِيـقَ وَلاَ الـعِـدَا أَدِيـمِـي إِذَا عَـدُّوا أَدِيـمِـيَ وَاهِـيَـا

---

(١) البيت في عيون الأخبار ٢/ ١١.

جعلَ الأديمَ هٰهُنَا مثلاً، وإن لم يكن ثَمَّ أديم، ومثل ذلك كثير، كما قال القطَامِيّ: [الوافر]

وَلٰـكِـنَّ الأَدِيـمَ إذَا تَـفَـرَّى   بِـلًـى وَتَـعَـيُّـنًـا أَعْـيَـا الـصَّـنَـاعَـا

أي: إنَّ فسادَ الأمرِ إذا استحكَمَ لم يمكنْ فيه الصّلاح، والأديم: اسم يجب أن يكون من أدمت الطّعام إذا خلطته بالأدم، وذلك أن يُجعَل في الدباغ؛ فكأنه يؤدم بذلك: أي يصلح، وإذا قِيلَ بهذا القول وجب أن يكون فعيلاً في معنى مفعول، ولكنه كثر وأرادوا أن يفرّقوا بينه وبين غيره فألزموه حالاً لا تشبه حال ما قاربه، وكذلك الرغيف ألزموه حال فعيل الذي ليس بمنقول، فقالوا أرْغِفَة ورُغْفَان، وقوله «وَلَنْ يَجِدَ النَّاسُ الصَّدِيقُ وَلاَ العِدَى» زاد «لا» مؤكدة للنفي؛ لأنه لو قال الصّديق والعدى لم يكنْ فيه دليل على أن كلّ واحد منهم لن يجدَ، ولتوهّم الجمع بينهما دون الإفراد، فإذا جاءت «لا» نَفَت البتّة، وأراد بالأديم عِرْضَه ونفسه: أي لن يجد الناس عِرضي ضعيفًا.

٣ ـ وَإِنَّ نِـجَـارِي يَـا ابْـنَ غَـنْـمٍ مُـخَـالِـفٌ   نِـجَـارَ الـلِّـئَـامِ فَـابْـغِـنِـي مِـنْ وَرَائِـيَـا

النِّجار: الأصل، وهذا تعريض بالمخاطب، يقول: أصلي مخالف لأصول الأدنياء، وقوله «فابغني من ورائيا» أي: من خلفي، يقول: اطلبني إذا غبتُ عنكَ وفُتُّك، فأمّا إذا حضرتُ فإنك لا تقاومني، هذا إذا جعلت وراء بمعنى خلف، فإنْ جعلته بمعنى قُدّام فالمعنى إذا تقدّمتني، وفيه تَهَكُّم، ويجوز أن يكون المعنى إنّي كريم الأصل رفيع المحلّ ومَنْ كان كذلك لا يظفر به إلا بالخضوع والتذلّل له فابغني وأنت تابع حتى تنالني، وإلاّ لم تبلغ مرادَكَ مني، ويقال: فلانٌ من وراءِ فلان، إذا كان ناصرًا له أو تابعًا، وأنشد ابن السكّيت: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا كَانَ الْقَرَنْبَى وَرَهْطُهُ   بِعَمِّي وَلاَ خَالِي وَلاَ مِنْ وَرَائِيَا

أي: ولا ناصري، فأمّا قولهم «اللَّهُ مِنْ ورائِكَ» فالمعنى طالبك ومترصِّدٌ لك، وعلى القول الآخر يكون «من ورائي» في موضع الحال لضمير الفاعل في ابغ.

٤ ـ وَسِـيَّـان عِـنْـدِي أَنْ أَمُـوتَ وَأَنْ أُرَى   كَـبَـعْـضِ الـرِّجَـالِ يُـوطِـنُـونَ الـمَـخَـازِيَـا

ارتفع «سِيَّان» على أنه خبر متقدّم لقوله «أن أموت وأن أُرى» والمعنى مِثْلاَن عندي موتي وأن أُرى كمَن يألف المخازي ويرضاها وطنًا، وهذا تعريضٌ بالمخاطب أيضًا.

٥ ـ وَلَـسْـتُ بِـهَـيَّـابٍ لِـمَـنْ لاَ يَـهَـابُـنِـي   وَلَـسْـتُ أَرَى لِـلْـمَـرْءِ مَـا لاَ يَـرَى لِـيَـا

حذف مفعول «يرى» تخفيفًا، وهذا الحذف سائغ: جعلت «ما» معرفة وكان ما بعده صلة أو جعلته نكرة وكان صفة.

٦ - إذَا المَرْءُ لَمْ يُحْبِبْكَ إلاَّ تَكَرُّهًا   عِرَاضَ العَلُوقِ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ بَاقِيَا

انتصب «تَكَرُّهًا» على أنه مصدر في موضع الحال، والتقدير إلا مُتَكَرِّهًا، وانتصب «عِرَاضَ العَلُوق» على أنه مصدر مما دلَّ عليه قوله «لم يحببك إلاَّ تكرهًا» لأن المعنى إذا الرّجلُ عارضَكَ في الحبِّ عراضَ العلوق لم يكنْ ذلك الحبّ باقيًا ولا ثابتًا، والعَلوق: هي الناقة التي تَرْأَمُ وَلَدَها وتلمسه حتى يأنسَ بها فإذا أراد ارتضاع اللَّبنِ منها ضربَتْهُ وطردَتْه.

[١٤٥] وقال عنترة:

قال أبو هلال: يعني عنترة بن مُعَاوِية بن شدّاد بن قُرَاد بن مخزوم بن مالك بن قُطَيْعة بن عبس، وكنيته أبو المغلّس، وفي الشعراء جماعة يقال لهم عنترة: منهم هذا، ومنهم عَنْتَرة بن عُكْبَرة الطائي، وهو عنترة بن الأخرس، وقد مَرَّ ذِكْرُهُ، ومنهم عَنْتَرَة بن عَرُوس مولى ثقيف، وكان مُوَلَّدًا في بلاد أزدشنوءة شاعر راجز.

١ - يُذَبِّبُ وَرْدٌ عَلَى إثْرِهِ   وَأمْكَنَهُ وَقْعُ مِرْدَى خَشِبْ

الضّرب الثالث من المتقارب، مقيد مجرّد، والقافية متدارك.

هذا وَرْدُ بن حابس، طلب نَضْلة الأسدي بِوِتْرٍ كان له عنده، والتذبيب مثل الطِّراد، وأصله الإسراع، وقوله «وَأمْكَنَهُ وَقْعُ مِرْدَى خَشِبْ» أي: ساعده على ذلك وقع فرس صلب كالحجر لأن المِرْدَى يكسر به الصخور، ويقال مِرْدَى من الرَّدَيَانِ: أي فرس سريع العَدْو، وكأن قوله «وَقْعُ مِرْدَى» من قولهم: وَقَعْتُ الحديدةَ، إذا ضَرَبْتَها بالمَيْقَعَةِ، كأنَّ الفَرَسَ تضربُ الأرضَ بحوافرها ضربَ الحديد بالميقعة، وقيل: مِرْدَى مِنَ الرَّدَى، وهو الهلاك، وقيل: وَرْدٌ اسم فرسه، وقيل: المِردى في البيت السيف من الرّدى، وَخشب: خشن بُدِيءَ طبعه، ومَن جعل مِرْدَى فرسَه قال: خشب غليظ العظام، ويُروى «جَشِب» وهو الغليظ العظام، والمجشاب: الغليظ مع قِصَر فيه، وقال أبو العلاء: يقال: سيف خشيب، إذا لم تكمل صنعته، وكذلك خشبت الشعر، قال المزرِّد: [الطويل]

فَإنْ تَخْشَبَا أَخْشَبْ وَإنْ تَتَنَخَّلاَ   وَإنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمَا أَتَنَخَّلِ

أي: وإن كنت أصغر منكما، أخذه من الفتى، وحذف الياء من خشيب لتهاونهم بالزوائد إذا كانت من حروف المدّ واللِّين، ومثل ذلك قولهم أصِل في معنى أصيل، وكأنهم اعتقدوا في خشيب مثل ما اعتقدوا في أديم من أنه غير منقول عن مفعول فلذلك حذفوا الياء، وحذفها من فعيل الذي في معنى فاعل أوجه من حذفها في مثل قولك رجل قتيل وقتل.

٢ - تَتَابَعَ لاَ يَبْتَغِي غَيْرَهُ   بِأَبْيَضَ كَالقَبَسِ المُلْتَهِبْ

أي: تمادى هذا الرجل لا يبتغي غير نَضْلة، والتّتابع في الشّرّ دون الخير، ويُروَى «يتابع» ومفعول يتابع محذوف، ويجوز أن يكون الفعل للرجل، ويجوز أن يكون للفرس، كأنَّ المراد يتابع الرَّكْضَ والعَدْوَ، وموضع «لا يبتغي» نصب على الحال، والباء من قوله «بأبيض» يجوز أن تتعلق بيتابع، ويجوز أن تتعلق بـ «لا يبتغي» وقوله «بأبيض» يجوز أن يريد به سيفًا، والقبس: النار شبّهه بها، ويجوز أن يريد به رجلاً كريمًا، ويكون على هذا يتابع للفرس.

٣ - فَمَنْ يَكُ فِي قَتْلِهِ يَمْتَرِي فَإِنَّ أَبَا نَوْفَلٍ قَدْ شَجِبْ

أضاف المصدر في «قتله» إلى المفعول، وأبو نوفل: كنية نضلة، ويقال: شَجِب وشَجَب، إذا هلك، فهو شَجِبٌ.

٤ - وَغَادَرْنَ نَضْلَةَ فِي مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأَسِنَّةَ كَالمُحْتَطِبْ

النون في «غادرن» ضمير الخيل، ويُحْكَى أن المحتطب دويبة تمرُّ على الأرض فتعلقُ بها العيدانُ، ويكون المعنى يجرُّ الأسنّةَ كما تجرّ هذه الدويبة العيدانَ، والوجه أن يحمل على المعهود في تركهم الرماح في المطعون، من قولهم: أجررته الرمح، إذا طعنته وتركته فيه ليكون أعْنَتَ له.

[١٤٦] وقال عُرْوَة بن الوَرْد[١]:

سُمِّيَ بالعُرْوَة من الشّجر، وهو ما لا يَيْبَسُ في الشّتاء فتستغيث به الإبل في الجدب.

١ - لَحَا اللّهُ صُعْلُوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصَافِي المُشَاشِ آلِفًا كلَّ مَجْزَرِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

«لحا اللّه» كلمة تستعمل في السَّبّ، وأصله اللّوْم والقشر أيضًا، والصعلوك: الفقير، والمشاش: كلُّ عَظْم هَشّ دسم، والواحدة مُشَاشة، وقوله «مصافي المشاش» نكرة، وانتصب على أنه صفةٌ لقوله «صعلوكًا» وإضافته ضعيفة، لأن المُشَاشَ أُشِيرَ به إلى الجنس فلا يحصل التخصيص بالإضافة إليه، وعلى هذا قوله «قَيْدُ الأوابدِ»[٢] و«دَرَكُ

---

(١) عروة بن الورد بن زيد العبسي، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها، وكان يُلَقَّب بعروة الصعاليك لجمعه إيّاهم وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. (ت نحو ٣٠ق.هـ/ ٥٩٤ م). (ترجمته في الأغاني ٣/ ٧٣؛ وجمهرة أشعار العرب ص ١١٤؛ والشعر والشعراء ص ٢٦٠).

(٢) قيد الأوابد: أول مَن ابتدعها امرؤ القيس وذلك في قوله:

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هيكلِ

ويستعمل مجازًا للفرس الجَوَاد الذي يلحَق الطرائد من الوحش ويمنعها من الفوات فكأنها مُقَيَّدَة=

الطَّرِيدةِ»[1] وما أشبهه، والمجزر: الموضع الذي تُنْحَرُ فيه الإبلُ.

٢ - يَعُدُّ الغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ ... أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

الميسَّر: ضد المُجنَّب، يقال: يَسَّرَ الرَّجُلُ، ويَسَّرت غنمه، وجَنَّبَ الرجل، إذا قَلَّتْ حَلوبته في الإبل وغيره، قال: [البسيط]

وكُلُّ عَامٍ عَلَيْهَا عَامُ تَجْنِيبِ[2]

٣ - يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا ... يَحُتُّ الحَصَا عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

أي: ينام لدناءةِ هِمَّتِهِ ثم يأتي الصَّباحُ عليه وهو ناعسٌ يَحُتُّ ما لصقَ به من الحصا، ويحتُّ ويحطُّ يتقاربان، والعفر: التراب، يقال: عَفَّرْتُه فَتَعَفَّر.

٤ - يُعِينُ نِسَاءَ الحَيِّ مَا يَسْتَعِنَّهُ ... وَيُمْسِي طَلِيحًا كَالبَعِيرِ المُحَسَّرِ

المحسَّر: المُعْيِي، وكذلك الطليح.

٥ - وَلَكِنَّ صُعْلُوكًا صَفِيحَةُ وَجْهِهِ ... كَضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

يجيء خبر «لكن» فيما بعد، وصفيحة الوجه: عرضه، وكذلك صَفْحُه، وموضع «صفيحة وجهه» مع خبره نصب على أن يكون صفة لصعلوكًا وحذف المضاف من قوله «صفيحة وجهه» لأن المراد ضوء صفيحة وجهه كضوء شهاب.

٦ - مُطِلاًّ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ ... بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ المَنِيحِ المُشَهَّرِ

يقال: أَطَلَّ على أعدائه، إذا أوفى عليهم، والمَنِيحُ والسَّفِيحُ والوَغْد: قِدَاح لا أنصباء لها، وإنّما يكثرُ بها القِدَاح فهي تُجَال أبدًا، وتزجر حالاً بعد حال، فشبّه الصّعلوك به. وقال أبو العلاء: المَنيح يُسْتَعْمَلُ في موضعين: أحدهما أن يكون لا حَظَّ له، والآخر أن يستعملوه في معنى المستعار؛ لأن العارية يقال لها المِنْحَة، وكان الرجل منهم إذا لم يكن له قدح استعار قدحًا من غيره، والمعنى في هذا البيت يحتمل الوجهين، فإنْ حُمِلَ على المستعار فالمراد به قدحٌ فائزٌ، والذي يستعيره يزجره كما يزجرُ الفرس، لأنَّ الأَيْسَار كانوا يقفون عند المفيض فيتكلّم كلّ واحد منهم كأنه يخاطب قدحه فيأمره بالفوز ويَحُثُّه عليه ويحذّره من أن يخيبَ فذلك زجره إياه.

٧ - إذَا بَعُدُوا لاَ يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ ... تَشَوُّفَ أَهْلِ الغَائِبِ المُتَنَظَّرِ

= له لا تعدو.

(١) يقال: فرسٌ دَرَكُ الطريدة: يُدركها ويَلْحَقُ بها.

(٢) البيت للجميح بن منقذ يذكر فيه امرأته، وصدره: «لمّا رأت إبِلِي قَلَّتْ حَلُوبَتُها».

انتصب «تَشَوُّفَ» على المصدر ممّا دلَّ عليه «لا يأمنون اقترابه» ومفعول تَشَوُّف محذوف، كأنه قال: تَشَوُّفَ أَهْلِ الغائبِ رُجُوعَه.

٨ ـ فَذٰلِكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَهَا حَمِيدًا، وَإنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فَأَجْدِرِ

قوله «إنْ يَلْقَ المنيَّةَ» خبر قوله: «ولكن صعلوكًا» لو انفرد عن قوله «فذلك» لكنه لمّا تراخى الخبر عن المخبر عنه وتباعد المقتضى عن المقتضِي له أتى بقوله «فذلك» مشيرًا به إلى الصّعلوك، فصار «إن يلقَ» خبرًا عنه، وساغ ذلك لأن المراد بالأول والثاني واحد، ومِمّا أُجْرِيَ هذا المجرى لحصول مثل هذا التَّراخي فيه قول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾(١) فأعاد قوله (فأن) كما ترى.

[١٤٧] وقال عَنْتَرَةُ:

١ ـ تَرَكْتُ بَنِي الهُجَيْمِ لَهُمْ دَوَارٌ إذَا تَمْضِي جَمَاعَتُهُمْ تَعُود

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

دَوَار: صنم، بفتح الدّال وضمّها، وكانوا يدورون حوله: أي قتلتُ من بني الهجيم قتيلاً فهم يطوفون حوله كما يُطَافُ على الصَّنمِ أو النّسك، فإذا انقضتْ جماعةٌ منهم عادتْ جماعةٌ أخرى للنَّظارة، وقوله «جماعتهم» يريد جماعة منهم فأضاف البعض إلى الكلِّ، وليس يريد جملتهم، وهو في حكم النَّكِرَات، وموضع «لهم دَوَارٌ» نصب على الحال، وقوله «تعود» فاعله مضمر، وهو جماعة أخرى، فاكتفى بذكر الأول عنها، وقيل: يريد كأنّهم لِفرسي دوار أكرّ عليهم وأطوف بهم كما يُطافُ بذلك الصّنم، و«جماعتهم» ينتصب على هذا الوجه لأن «تمضي» هذا يتعدّى، ومعناه يجاوزهم.

٢ ـ تَرَكْتُ جُرَيَّةَ العَمْرِيَّ فِيهِ شَدِيدُ العَيْرِ مُعْتَدِلٌ شَدِيدُ

إنما قال «العمري» لأن الهُجَيْمَ ابْنُ عمرو، وقوله «فيه شديد العَيْرِ» نصب على الحال، والعير: الناتىء في وسط النَّصْلِ، وقد أُقِيمَ الصّفة مقامَ الموصوف لأنَّ المرادَ به سهمٌ شديد العير، ولولا ما حصل من الاختصاص بإضافة الشديد إلى العير لَمَا جاز ذلك فيه؛ لأن الصفة لا تقوم مقام الموصوف حتى تدلَّ عليه دلالةً قوية، فأما إذا كانت عامَّةً في

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

أجناسٍ فلا يجوز ذلك فيه، لو قلت «مررت بطويل» وأنت تريد رجلاً لم يحسن، لأن الطويل يكون في غير الرجال كما يكون في الرجال، ولو قلت «مررت بكاتب» لَحَسُنَ؛ إذ كانت الكتابة مختصّة.

٣ ـ فَإِنْ يَبْرَأْ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ　　　وَإِنْ يُفْقَدْ فَحُقَّ لَهُ الفُقُودُ

كان الواحد منهم إذا رمى بسهم وأراد سلامة الرمية منه رقى سهمه، وإذا أراد إهلاكه لم يفعلْ ذلك، وقوله «فَحُقَّ له الفقود» لأن الفاء تجلب في الجزاء إذا كان الجواب بالابتداء والخبر، ولو قُصِدَ إلى أن يكون الفعل جوابًا لاستغنى عن الفاء.

٤ ـ وَمَا يَدْرِي جُرَيَّةُ أَنَّ نَبْلِي　　　يَكُونُ جَفِيرَهَا البَطَلُ النَّجِيدُ

ويُرْوَى «وهل يدري جُرَيَّة» والجَفير: الجعبة، ويجوز أن يريدَ بالبطل النَّجِيد جُرَيَّة بعينه، ثم يجوز أن يكون متهكِّمًا فيما وصف به، ويجوز أن يكون مادحًا له، لأنَّ مَدْحَ خصمه وقد غلبه راجعٌ إليه.

[١٤٨] وقال قيس بنُ زُهَيرَ يرثي حُذَيفَةَ وَحَمَلاً ابني بَدْرِ الفَزارِيَّيْن:

١ ـ تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاس مَيْتٌ　　　عَلَى جَفْرِ الهَبَاءَة لاَ يَرِيمُ

الأول من الوافر، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

ويُرْوَى:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا

والمعنى وهو حيّ؛ وقوله «على جَفْرِ الهباءة» خبر «أنَّ» ويُروى «ميتًا» وإعرابه كالإعراب في «حيًّا» ويُرْوى «مَيْتٌ» وارتفاعه على أنه خبر «أن» و«على جفر الهباءة» في موضع الصفة له، ومعنى تَعَلَّمْ: اعْلَمْ، ولا يُقال في جوابه تَعَلَّمْتُ استغناءً عنه بعَلِمْتُ، وجَفْر الهباءة: بئر قريبة القعر ماؤها معين كثير، وكان حَمَل انهزم في وقعة بين عبس وذبيان، فلما انتهى إلى الهَبَاءَة أَمِنَ لبُعدها عن الطلب، فرمى بنفسه إلى الماء ليبترِدَ فاتفقَ لحاق قيس به وهو في البئر مع عدَّةٍ من ذويه فقُتِلُوا عن آخرهم.

٢ ـ وَلَوْلاَ ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي　　　عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

أشار بالظّلم إلى ما جرى فيهم من أمر داحس والغبراء وإنكاره السَّبقَ وركوبه البَغْيَ، وقوله «ما طلع النجوم» ينتصب على أنه بدل من «الدّهْرَ» و«ما طلع» بمنزلة

المصدر، وقد حذفَ اسم الزمان معه، والمراد بذكر الدهر التكثير والمبالغة، فمعنى «عليه الدَّهر» طول الدهر، [ويقال: بَغَى الرجلُ على فلانٍ: أي جَارَ، وبغى الفرسُ في عَدْوِهِ، وهو فرسٌ باغٍ، وذلك إذا اختال ومرح، وإذا استعمل في الفَخَار والاستطالة فهو من هذا][1]، وكان ظلمه أنه قتل مالك بن زهير بأخيه عوف بن بدر بعد أخذ الدِّيَة.

٣ ـ وَلَكِنَّ الفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَى وَالبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ

الوَخَامة: الثِّقَلُ يَعْرِضُ من الطّعامِ، يقال: وَخُمَ وَخَامَةً فهو وَخِيمٌ ووَخِمٌ، لا يُسْتَمْرَأُ[2].

٤ ـ أظُنُّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الحَلِيمُ

أي: إذا أُحْرِجَ الحليمُ وأُحْوِجَ تكلّف ما لا يكون معهودًا في طَبْعِهِ، وإنَّما نَبَّهَ بهذا الكلام على أنه يَتَحلَّمُ على الأَدْنَيْنَ[3] ويصبر على أذاهم، وأن مَن حُمّل فوق وسعه خرج عن المعتاد منه إلى غيره.

٥ ـ وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ ومَارَسُونِي فَمُعْوَجٌّ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ

[١٤٩] وقال مُسَاوِرُ بْن هند[4]:

ابن قَيْسِ بن زُهَيْر بن حُذَيفة بن خُزَيمة بن رَوَاحة، قال أبو الفتح: هو منقول من اسم الفاعل، يقال: سَاوَر فهو مُسَاور: أي واثب، والسَّوَّار: المعربد[5]، ومن أبيات الكتاب: [الطويل]

تُسَاوِرُ سَوَّارًا إلى المَجْدِ وَالعُلا وَفِي ذِمَّتِي لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلا[6]

---

(١) من الواضح أن هذه الجملة تتناسب مع الشرح في البيت التالي وليس مع هذا البيت.

(٢) في لسان العرب (١٢/ ٦٣١ ـ مادة وخم): «... وطعام وخيم: غير موافق، وقد وَخُم وخامة. وتوخّمه واستوخمه: لم يستمرئه ولا حمد مغبّته».

(٣) الأَدْنَيْن: جمع الأدنى، وهو أقرب الناس إليه.

(٤) مساور بن هند: شاعر معمّر، وُلِدَ في حرب داحس والغبراء قبل الإسلام، وهو وأبوه وجدّه من أشراف بني عبس (توفي نحو ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م) ترجمته في معاهد التنصيص ١/ ٢٨٣؛ والشعر والشعراء ص ١٢٥؛ والإصابة ترجمة (٨٤٠٥)؛ والأغاني ٩/ ١٥١.

(٥) في لسان العرب (٤/ ٣٨٥ ـ مادة سور): «السّوّار: الذي تسور الخمر في رأسه سريعًا كأنه هو الذي يسور».

(٦) البيت لليلى الأخيلية في ديوانها ص ١٠١؛ وتخليص الشواهد ص ٢٠٧؛ وخزانة الأدب ٦/ ٢٤٣، =

وأما هندٌ فعلم مرتجل، تُقال للمائة من الإبل هُنَيْدة، وقال الزياديّ: يقال للمائتين هند، وأما قوله: [الرجز]

وَبَـلْـدَةٍ يَـدْعُـو صَـدَاهَـا هِـنْـدَا

فإنه حكى الصَّوت، وهو يشبه هذا القول، ومثله قول الآخر: [الرجز]

تَدْعُو الأَشَاخِيبُ هِشَامًا تَهْشَمُهْ

حكى صوتَ شَخْبِ اللَّبَنِ[1]، وهو يشبه قوله هشام، ومثله قول الراعي: [الطويل]

إذَا مَا دَعَتْ شِيبًا بِجَنْبَيْ عُنَيْزَةٍ مَشَافِرُهَا في مَاءِ مُزْنٍ وَبَاقِلِ

وكذلك قول الآخر: [الخفيف]

بَيْنَمَا نَحْنُ مُرْتَعُونَ بِفَلْجٍ قَالَتِ الدُّلَّحُ الرِّوَاءُ إنِيهِ[2]

إنيه: صوت رزمة السَّحاب، قال: وأنشدنا أبو علي لراعي شاء: [الرجز]

يَـدْعُـونَـنِـي بِـالـمَـاءِ مَـاءً أَسْـوَدَا

الماء: صوت الشَّاء، كقول ذي الرُّمَّة: [البسيط]

لاَ يَنْعَشُ الطَّرْفَ إلاَّ مَا تَخَوَّنَهُ دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ المَاءِ مَبْغُومُ

ويُحكى عن ابن الخياط أنه قال: بقيت أربعين سنة لا أُنشد هذا البيت إلا باسم الماء، يعني هذا الماء المشروب، وكذلك أيضًا يُحكى عنه أنه قال: بقيت كذا وكذا سنة لا أعرف وزن ازْعَوَى من الفعل، والأصوات الخارجة مخرج الأسماء كثيرة، وفيما ذكرناه كافٍ بإذن اللّٰه.

١ ـ سَائِلْ تَمِيمًا هَلْ وَفَيْتُ فَإِنَّنِي أَعْدَدْتُ مَكْرُمَتِي لِيَوْمِ سِبَابِ

الثاني من الكامل، مطلق مردف موصول، والقافية متواتر.

= وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣١٥؛ والكتاب ٣/ ٥١٢.

(١) الشَّخْبُ والشُّخْبُ: ما خرج من الضرع من اللبن إذا احتُلب. انظر لسان العرب (١/ ٤٨٥ ـ مادة شخب).

(٢) الدُّلَّح: قال في اللسان (٢/ ٤٣٥ ـ مادة دلح): «...وسحابة دَلُوح ودالحة: مثقلة بالماء كثيرة الماء، والجمع دُلُحٌ مثل قَدُوم وقُدُم، ودالح ودُلَّح مثل راكع ورُكَّع».

يقول: سَلْ تميمًا هل كان مِني وفاءٌ لما تَضَمَّنْتُهُ لجاري، فإني رجلٌ نَظّارٌ في أعقاب الأحاديث أخلص أفعالي مما يُعَدُّ سُبَّةً.

٢ ـ وَأَخَذْتُ جَارَ بَنِي سَلامَةَ عَنْوَةً فَدَفَعْتُ رِبْقَتَهُ إلى عَتَّابِ

كان عتّاب هذا مستظهرًا بذمّته فلَحِقَهُ من بَني سلامة اهتضامٌ في أمرٍ فجاء مساور ومَكّنَهُ من جارِهم وأعطاه رِبْقَتَهُ المتحكّم فيه.

٣ ـ وَجَلَبْتُهُ مِنْ أَهْلِ أُبْضَةَ طَائِعًا حَتَّى تَحَكَّمَ فِيهِ أَهْلُ إرابِ

الهاء من «جَلَبْتُهُ» ترجع إلى جار بني سلامة، وأُبْضَةُ: اسم ماء، وقوله «جلبته طائعًا» تنبيه على أنه وإنْ لَزِمَهُ لجارِه الانتقامُ له من خَصْمِه ومهتضمه فقد تبرّعَ له بما لم يكن عليه وتكلّف فيه ما لم يلزمه، وإراب: ماء لبني العنبر، وأُبضة: لطيّىء، والأَبْضُ كالعقل، ومنه المَأْبِضُ في الرِّجْلِ، وقِيلَ للغراب «مُؤْتَبِضُ النَّسَا» لأنّه يَحْجِلُ فكأنه مأبوضٌ.

٤ ـ قَتَلُوا ابْنَ أُخْتِهِم وَجَارَ بُيُوتِهِمْ مِنْ حَيْنِهِمْ وَسَفَاهَةِ الأَلْبَابِ

يقول: أسرت الرجلَ ودفعته إليهم ليمنّوا عليه، ولو أردتُ قتله لَقَتلته؛ فقتلوه لخفّة عقولهم.

٥ ـ غَدَرَتْ جَذِيمَةُ غَيْرَ أَنّي لَمْ أَكُنْ أَبَدًا لأُولِفَ غَدْرَةَ أَثْوَابِي

يعني قومه إذ قتلوا الأَسيرَ الذي دفعَهُ إليهم وكان ابن أُخته وجار بيوتهم، يقول: غير أني لم أغدرْ ولم أكُنْ لأُولِفَ غَدْرَةَ أثوابي، واللاّم في «لأولفَ» لام الجحود، وانتصابُ الفعل بأنْ مضمرة، وموضع «لأولفَ» نصب على أنه خبر «كان» وانتصاب «غَيْرَ» على أنه استثناء منقطع، وذكر الثوب على عادتهم في الكناية عن النفس، وعلى هذا قوله: [الكامل]

نُبِّئْتُ أنَّ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ فَهُرِيقَ في ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرِ(١)

٦ ـ وَإذا فَعَلْتُمْ ذَلِكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الأَحْسَابِ

الخطاب تَوَجَّهَ إلى جذيمة، وهو منهم، ولذلك جعل لهم أَحْسَابًا يحتاج إلى الذَّبِّ عنها.

---

(١) البيت عند المرزوقي في نفس الحماسية.

قال الرياشي: **كان من خبر هذه الأبيات**: والذي ساقها حديث ابن المُكَعْبَر الهُجَيْمِي؛ وذلك أن مروان بن أبي الحليل العبسي أخا بني مالك بن زهير ضرب ابن المكعبر ضربةً فشَجَّهُ، والمُكَعْبَر ابن أُخت المُسَاور بن هند، فتركه ابن المكعبر ولم يَعْرِضْ له فيها، ثم إنَّ بني قيس بن زهير قاتلوا بني مالك بن زهير إخوتهم، فغدا ابن المكعبر ينصر أخواله بني قيس بن زهير، وضربه زيد بن أبي حليل فلم يُجْهِزْ عليه، ومروان بن أبي حليل عند امرأة من بني عبس بناظِرَةَ[1] فبعث المساور بن هند رجلين من بني عبس معهما عَتَّاب بن المكعبر تحت اللَّيل، حتى طرقوا ناظرةَ ومعهم فرس وناقة، فربطوا الفرس وأناخوا النَّاقةَ، وانطلقَ عَتَّاب حتى أتى مروان بن أبي حليل عند المرأة، فقال: إنَّا قد أردنا أنْ نُحْدِرَ خيلَنَا العراقَ وقد أقسمَ صاحبنا أن لا ينحدر حتى يأتيه بحقّه، فقال: أيْ هااللّه لأعطينَّكُمْ حَقَّكُم، فانطلقَ فخرج معه حتى أتى الرجلين، فأخذاه، فسمعت المرأة غَيْطَلَةَ الرجلين، وقوله: أدركوا، فأقبلت تسعى حتى تمنعهما، فأخذها أحد الرجلين فصرعها، ثم وجأَ[2] بالحجارة فخذيها حتى أثقلها، ثم شَدَّاه وَثَاقًا، وقالا لابن المكعبر: الحَقْ بقومِكَ يا أخا بني تميم فخرج حتى أتى بني حِذْيَم من بني عبس، فأرادوا أن ينزعوه منهم، فقال: إنما هو ثأري، فهابَ القومُ أن يعرضوا له، فمضى حتى أتى بلاد قومه بني المُدِلّ من بني الهجَيم، ثم بعث راكبًا يَعْلَمُ له عِلْمَ أخيه فوجده قد مات، فلما علمَ الخبر قال له مروان: يا عَتَّابُ أنتَ أَوْلى من هٰهنا بي وأدناهم مني، فأحسن تجهيز خالك وأجمل في قتله؛ ثم إنَّ بني المُكَعْبر جَلَوا عن بني عبس فلحقوا ببني تميم، وتركوا إبلاً عظيمة في بني عبس، فأغار عليها بنو عبس فذهبوا بها فسكتت بنو تميم حتى مَرَّتْ عِيرٌ لبني عبس إلى هَجَر أربعمائة راحلة فتركوهم حتى امتاروا، ونصبوا عليهم العيون حتى انصرفوا، ثم أغاروا عليها بطرف الشقيق، فأخذوا الإبل وما عليها، فلما رأى ذلك بنو عبس أتوا مروان بن الحكم وهو أمير المدينة، فقالوا: قتلنا المساور بن هند بابن أُخته، وانتهبنا. فبعث مروان إلى المساور فأخذه فضمّنه كلّ طعام وراحلة أخذته بنو تميم من بني عبس، فركب حتى أتى بني تميم، فقالوا: مرحَبًا يا أبا الصَّمْعَاء نعطيكَ ما أدركت، فاقبلْ ما بَقِيَ وَوُجِدَ في أيدي القوم، فردّوه عليه، فأتى بني عبس فقالوا:

(١) ناظرة: جبل من أعلى الشقيق وقيل: ناظرة وشَرْج ماءان لعبس (معجم البلدان ٥/ ٢٥٢).
(٢) وجأ: ضرب.

واللّه ما رددت علينا أموالنا، فعقبوا إلى مروان، فبعث إليه، فقال المساور: [الكامل]

أَحَلَمْتَ أَمْ طَرَقَتْكَ أُمُّ الهَيْثَمِ ... وَمَتَى تَهِمْ أَبَدًا بِشَيْءٍ تَحْلُمِ
وَإِذَا دَعَا الدَّاعِي عَلَيَّ رَقَصْتُمُ ... رَقْصَ الخَنَافِسِ في شِعَابِ الأَخْرَمِ
أَسَدٌ عَلَيَّ وَلِلْعَدُوِّ عَشِيرَةٌ ... هذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ مَوْلَى الأَشْأَمِ
فَتَعَلَّمَا مَرْوَانُ أَنَّكَ إِنْ تَشَأْ ... تَقْدِرْ عَلَيَّ فَتُلْقِنِي فِي الأَدْهَمِ
أَرَأَيْتَكَ القَوْمَ الَّذِينَ أَمَرْتَنِي ... بِرِكَابِهِمْ وَجِهَازِهَا المُتَقَسَّمِ
حَلَفُوا لَئِنْ فَقَدُوا بَعِيرًا وَاحِدًا ... أَوْ حُلَّتَيْنِ لَتَخْضِبَنِّي بِالدَّمِ
حَالَتْ دُرُوءُ بَنِي تَمِيمٍ دُونَهَا ... وَطِعَانُ أَلْفَيْ فَارِسٍ مُسْتَلْئِمِ
أَقْبَلْتُ أَحْدُوهَا كَأَنِّي غَانِمٌ ... وَلَقَدْ رَأَى نَبْهَانُ أَنْ لَمْ أَغْنَمِ

وقال أيضًا «غدرت جذيمة. . . الأبياتَ» فأقبلَتْ بنو عبس على المُسَاور فقالوا: قد فضحتَ أهلَ بيتِكَ وأغضبتهم، فعفا عنهم، فحمل له مائة بعير، فجمعها أحسن ما يكون ثم أقبل بها إلى بني أبي الحليل حتى إذا دنا منهم لَقِيَهُ رجلٌ من أصحابه، فقال: إني سمعتُ زيد بن أبي حليل يقول: [الوافر]

لاَ تَجْزَعْ أَبَا الصَّمْعَاءِ وَادْلَحْ ... لِسَيْفِي بَعْدَ جَارِكَ بِالمِئِينِ[1]

فصرف مساور صدور الإبل حتى ردَّها إلى بني المكعبر، وقال: [الوافر]

لَمَّا أَنْ بَدَتْ أَعْنَاقُ كُومٍ ... عَلَى أَثْبَاجِهَا مِثْلِ الأُرُومِ
تَنَاهَى جَدُّهُمْ عَنْهُمْ فَخَابُوا ... وَأَحْرَزَهَا جُدُودُ بَنِي تَمِيمِ
أَلَمْ تَرَنِي قَرَنْتُ أَخَا جُرَيٍّ ... كَمِثْلِ البَكْرِ يُقْرَنُ لِلْغَرِيمِ
وَقُلْتُ لِقَائِدَيْهَا انْعَيَاهَا ... إلى أَهْلِ الجِفَارِ ذَوِي القَصِيمِ
فَأَبْلِغْهَا بَنِي الدُّؤَلِ بْنِ عَمْرٍو ... وأَبْلِغْهَا سَرَاةَ بَنِي الهَجِيمِ

وقال أبو العلاء: قوله في خبر مساور فسمعت المرأة غَيْطَلَةَ الرجلين، يقال لكل

(١) دَلَح الرجلُ: إذا مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه.

مختلط: غَيْطَلٌ وغَيْطَلة، وكذلك يقال للشجر الملتفّ، ولِضَوْءِ الصُّبْحِ إذا اختلطَ بظلام اللَّيل، قال امرؤ القيس: [المتقارب]

فَـظَـلَّ يُـرَنِّـحُ فـي غَـيْـطَـلٍ ... كَـمَـا يَـسْـتَـدِيرُ الـحِـمَـارُ الـنَّـعِـرْ

فيجوز أن يكون الغيطل هٰهنا للمصيد؛ لأنه يختلط عليه أمره، ويحتمل أن يكون للصَّادَةِ لأنهم يُجْلِبُون فَرَحًا بالصَّيد، ولا يمتنع أن يسمّى الغبار غيطلاً؛ وقوله: [الكامل]

وَإذَا دَعَـا الـدَّاعِـي عَـلَـيَّ رَقَـصْـتُـمُ ... رَقْصَ الخَنَافِسِ في شِعَابِ الأَخْرَمِ[1]

يريد أنَّهم يفرحون بدعاء الدَّاعي عليه فيرقصون كما ترقص الخنافس، وإنما يريد أنهم صغار الشَّأن، وأنَّ الدَّمَامَةَ فيهم ظاهرة، والأخرم: جبل أو موضع، وإنما شُبِّهَ بالأنف الأخرم، وقد سمّوا منقطعَ أنفِ الجبل المخرم، وقال قوم: المخرم الطريق في الجبل، وقوله:

هـٰذَا لَـعَـمْـرُ أَبِـيـكَ مَـوْلَـى الأَشْـأَمِ

يريد مولى الأمر الأَشْأم، والمولى هٰهنا: ابن العمّ، وقوله «فتلقّني في الأدهم» محمول على الهزء، كما يقول الرجل للرجل إذا عَلِمَ أنه لا يصلُ إلى مساءته: لا تطرحني في السجن: أي إنكَ لا تصلُ إلى ذلك، والأدهم: القيد، وقوله «أرأيتك القوم الذين» الكاف التي في قوله «أرأيتك» لا موضع لها من الإعراب عند البصريين لأنها زائدة دخولها في الكلام كخروجها، وكذلك الكاف في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[2] إنما هي مثل الكاف في قولهم ذاك وذلك وأولئك وكان بعض الكوفيين يجعل الكاف في موضع رفع، وبعضهم يجعلها منصوبة، ويقال: إن في مصحف ابن مسعود ﴿أرأيتك ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[3] بكاف ثابتة، وكذلك ما جرى هذا المجرى مما فيه «أرأيت» فأما قول عمر بن أبي ربيعة: [الطويل]

أَرَيْتَكَ إذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ ... وُقِيتَ وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ

فالكاف في قوله «أريتكَ» يجوز أن تكون مثل الكاف التي تقدَّمَ ذكرها، ولا يمتنع أن تكون الكاف في هذا البيت منصوبةً بالفعل؛ لأن أفعال العلم والشك يمكن أن تُعَدَّى إلى المضمر إذا اتصلت بالمضمرات، وليس كذلك سائر الأفعال، فيقال: ظننتني، كما

---

(١) الأخرم: اسم لعدة مواضع، منها جبل في ديار بني سُليم، وأيضًا جبل في طرف الدّهناء، وأخرم جبل قبل تُوز بأربعة أميال من أرض نجد (معجم البلدان ١/ ١٢١).
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٢.
(٣) سورة الماعون، الآية: ١.

يقال: ظَنَنْتُ نفسي، ولا يقال: ضربتُني، كما يقولون: ضربتُ نفسي، ويقولون للمخاطب: حَسَبْتُكَ أيّها الرجل قائمًا، كما يقولون: حسبت نَفْسَكَ، ولا يُجِيزون: ضرَبْتَكَ، والمراد ضربت نفسك، وقوله:

حَـالَـتْ دُرُوءُ بَـنِـي تَـمِـيـم دُونَـهَـا

الدُّروء: جمع دَرْء، وأصل الدرء الدَّفْع، ثم كثر ذلك حتى قِيلَ لِحَدِّ الشَّيءِ دَرْءٌ، لأنه يدفع به، ويقال لأنوف تندر من الجبل دروء، قال الهذليّ: [الطويل]

تَـهَـابُ الـعُـقَـابُ أنْ تَـمُـرَّ بِـرَيْـدِهِ ... وَتَـنْـبُـو دُرُوءٌ دُونَـهُ بِـالأجَـادِلِ

وقوله «مثل الأروم» الأُروم: جمع أرم، وهو العلم من الحجارة، شَبَّهَ أسنمتها بالأعلام المنصوبة على جهة المبالغة، وقوله «سراة بني الهَجِيم» الذي جرت العادة به أن يقال في هذا الحيّ من بني تميم بنو الهُجَيْم على لفظ التصغير فيجوز أن يكون جاء به على لفظ فَعِيل لتكونَ القافية خالية من العيب؛ وليس ذلك بأبعد من قول الخنساء: [الوافر]

كَـمَـا أقْـرَرْتُ عَـيْـنـي مِـنْ هِـشَـامِ ... وَكَـانَـتْ لاَ تَـنَـامُ وَلاَ تُـنِـيـمُ

أرادت هاشم بن حرملة المريّ، وقالت أُخت حازوق الخارجيّ: [الطويل]

أُقَلِّبُ عَيْنِي في الفَوَارِسِ لاَ أرَى ... حُزَاقًا وَعَينِي كَالحَجَاةِ مِنَ القَطْرِ

نقلته إلى حُزَاق من حَازوق، وإن كان الشاعر ترك اسم القبيلة على حاله ففي الأبيات سِنَاد، وهو أحد عيوب الشعر، وقوله:

وَقُـلْـتُ لِـقَـائِـدَيْـهَـا انْـعَـيَـاهَـا

هو من استنعى إذا تقدَّمَ: أي وجهاها، ثم قال «فأبلغها» فخاطب الواحد بعد الاثنين، وذلك موجود في كلامهم: يخرجون من خطاب الاثنين إلى الواحد ومن خطاب الواحد إلى الاثنين، أنشد الفرّاء: [الوافر]

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لاَ تَحْبِسَانَا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحَا[1]

فهذه رواية على الأمر؛ ومَنْ روى «فأُبْلِغُهَا» على معنى الإخبار عن النفس فقد خلص من هذا.

---

(١) البيت لمضرّس بن ربعي في شرح شواهد الشافية ص ٤٨٢، وله أو ليزيد بن الطثرية في لسان العرب (جزز)؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٥٩١؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٨٥؛ وسرّ صناعة الإعراب ص ١٨٧؛ وشرح الأشموني ٣/ ٨٧٤.

[١٥٠] وقال العبَّاس بن مِرْدَاس[١] السُّلَمِيُّ:

أصل الرَّدْس رمي بحجر عظيم، فمرداس مفعال من ذلك، قال العجاج: [الرجز]

يُـغَـمِّـدُ الأَعْـدَاء رَأْسًـا مِـرْدَسَـا

ومِفْعَل ومِفْعَال أُختان، كقولهم: مِنسَجٌ وَمِنسَاج، وَمِفْتَح وَمِفْتَاح، ويقال لحجر يُلقى في البئر لينظر أبها ماء أم لا: مِرْدَاس.

١ - أَبْـلِـغْ أَبَـا سَـلْـمَـى رَسُـولاً يَـرُوعُـهُ وَلَـوْ حَـلَّ ذَا سِـدْرٍ وَأَهْـلِـي بِـعَـسْـجَـلِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرد موصول، والقافية متدارك.

سلمى: اسم يستعمل للنساء، وربما اسْتُعْمِلَ لِلرّجال، ويجب أن تكون مشتقة من السَّلاَمَة، وسَلْمى: جمع سليم: أي لديغ، وحكى أبو مسحل في المثل: أَنْفٌ في المَاءِ وَآسْتٌ في السَّلْمَاء، وزعم أنَّ السَّلماء الأرضُ، فإذا صَحَّ ذلك فيجوز أن يكون اشتقَّ لها الاسم من السِّلاَم، وهي الحجارة، ولا يمتنع أن يكون اسم المرأة أخذ من هذا المعنى، وظاهر المثل الذي تَقَدَّمَ يوجبُ أن يكون السَّلمى إذا أُريد بها الأرض ممدودة؛ لأنهم ربما جاؤوا بالمثل مَسْجُوعًا، كقولهم: «عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَهْ، نَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهْ»[٢]؛ وقد يجوز أن يكون أصلها المدّ ثم تقصر وقد جاءت أشياء حُكِيَ فيها المدّ والقَصْر، فلعلّ هذا الاسم من نحو ذلك، وأما سُلْمَى بالضّمّ فإنه يقال: هذا أسلم من هذا، فإن أُدْخِلَتِ الألف واللاّم حذف الخافض وما بعده فقيل: هذا الأسلم، وهذه السُّلمى، وكذلك الأحسن والحُسْنى والأكبر والكُبْرى، والقياس في جميعه مطّرد، وذكر سيبويه أنَّ الألف واللام تلزم الفُعْلى من هذا الباب، وعلى ذلك الأكثر من كلام العرب، وربما استعملوها بغير الألف واللاَّم، كقولهم: أُخرى، وَدُنْيَا؛ وهما معدولتان عن الألف واللاّم، وفي القرآن ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[٣] وقال الأعشى: [البسيط]

عُـلِّـقْـتُـهَـا عَـرَضًـا وَعُـلِّـقَـتْ رَجُـلاً غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

والرسول: الرّسالة، قال كُثَيِّر: [الطويل]

لَقَدْ كَذَبَ الوَاشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِـسِـرٍّ وَلاَ أَرْسَـلْـتُـهُـمْ بِـرَسُـولِ

---

(١) العباس بن مِرداس: صحابي، أسلم قبل فتح مكة، وأُمه الخنساء الشاعرة، وهو شاعر فارس من سادات قومه (توفي نحو ١٨ هـ/ ٦٣٩ م) ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/ ١٣٠؛ والإصابة ترجمة (٤٥٠٢)؛ وابن سعد ٤/ ١٥؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٥٥.

(٢) المثل في تاج العروس (بجر) «وقال المفضّل: بُجَيْر وبُجَرَة كانا أخوين في الدهر القديم، وقال أهل اللغة إن ذا بُجْرَةٍ في سُرَّته عَيَّر غيره بما فيه». والبُجْرَة: العُقدة في البطن.

(٣) سورة النجم، الآية: ٢٠.

وإذا اسْتُعْمِلَ الرَّسُولُ في الإنس جاز أن يقع على الواحد والاثنين والجميع، وفي الكتاب العزيز: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] وقال أبو ذؤيب: [المتقارب]

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو ... لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الخَبَرْ

و«ذو سِدْرٍ»: موضعٌ يُنْبِتُ السِّدْر، وهو شجر النَّبْق، وعَسْجَلٌ: موضعٌ من حَرَّة بني سُلَيْم، وبينهما مسافة بعيدة، والرَّسولُ يقعُ على الرِّسالة والمُرْسَلِ جميعًا، ويجري مَجْرَى المصادر في وقوعه على الواحد وما فوقه، وقوله «يروعه» أي يُفْزِعُهُ على ما بيننا من البعد أو لما فيه من التحذير، فيقول: أدِّ رسالةَ مُتَنَصِّح متقرِّب.

٢ ـ رَسُولَ ٱمْرِىءٍ يُهْدِي إِلَيْكَ رِسَالَةً ... فَإِنْ مَعْشَرٌ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَابْخَلِ

قوله «فإنْ معشرٌ جادوا بِعِرْضِكَ» تعريضٌ بمَن كان يَغُشُّهُ، ونقل الكلام في البيت الثاني عن الإخبار إلى الخطاب لتكون الرسالة أبلغ، و«مَعْشَرٌ» يرتفع بفعل مُضْمَرٍ جادوا يفسّره، لأَنَّ إنْ بالفعل أولى.

٣ ـ وَإِنْ بَوَّؤُوكَ مَبْرَكًا غَيْرَ طَائِلٍ ... غَلِيظًا فَلاَ تَنْزِلْ بِهِ وَتَحَوَّلِ

يقال: بَوَّأْتُهُ مُبَوَّأَ صِدْقٍ: أي أَحْلَلْتُهُ، والمَبَاءَةُ: المنزل، يقول: وإن حَمَلوكَ على مركبٍ غيرِ وَطِيءٍ فلا تَرْضَ به وانتقلْ عنه، وقوله «غير طائل» يجب أن يكون من الطَّوْلِ: الفَضْلِ؛ يقال: طَالَ عليهم طَوْلاً فهو طائلٌ، والمعنى لا خَيْرَ فيه فَيَطُولَ على غيره، وقوله «فلا تنزل به»: الفاء مع ما بعده جواب الشَّرط، وموضع «لا تنزلْ» رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: فأنتَ لا تنزل به.

٤ ـ وَلاَ تَطْعَمَنْ مَا يَعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ ... أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمُ بِالمُثَمَّلِ

المُثَمَّلُ: هو السَّمُّ الَّذي قد خُلِطَ به ما يقوِّيه ويُهَيِّجُهُ ليكون أنفذ، ويقال لِلصُّوفةِ الَّتي توضع في الهِناء عند الطَّلْي به: الثَّمَلَةُ، و«على قُرْباهم» على قرابَتِهم: أي سَقَوْكَ السَّمّ وإنْ كانوا أقرباءك فلا تَغْتَرَّ بهم وكُنْ ذا أنفة.

٥ ـ أَبَعْدَ الإزارِ مُجْسَدًا لَكَ شَاهِدًا ... أُتِيتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيَّلِ

هذا الكلام وإن كان لفظُهُ لفظ الاستفهام فمعناه أنَّه قَدَّرَ أنَّ الدَّمَ على الإزار فوجب أن يعرف صاحب الجناية، وهو نحو مما قال الهذليّ: [الطويل]

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِّ القَتِيلِ وَثَوْبِهِ ... وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَّ القَتِيلِ إِزَارُهَا

والمُجْسَدُ: الَّذي قد صُبِغَ بالجِسَادِ، وهو الزَّعفران، وإنما يريد في هذا الموضع الدّم لأنَّه يُشْبِهُ الزعفران، ومعنى «لم يتزيّلْ» لم يفارق الدَّمَ ولم يَنْفَكَّ مِمّا خالطه منه.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٦.

٦ ـ أَرَاكَ إذَا قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا   يُقَالُ لَهُ بِالغَرْبِ أَدْبِرْ وَأَقْبِلِ

النَّاضِحُ: البعيرُ الَّذِي يُسْتَقَى عليه الماءُ، والنَّضْحُ من الحياض: ما قَرُبَ مِنَ البئرِ فَيُفْرَغُ الماءُ من الدَّلْوِ فيه، يقول: أَبَعْدَ الإزارِ مَخْضوبًا بالدّم أتيت به في الدار شاهدًا تصالحهم، فإنْ فعلتَ ذلك صِرْتَ كالنَّاضحِ للقوم انقيادًا لهم.

٧ ـ فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ   وَفِيهَا مَقَالٌ لامْرِىءٍ مُتَذَلِّلِ

أي: خُذْ هذه الخطَّة إن رضيت بها، فإنّها ليست بعزيزة، فإن قال لَكَ قائلٌ: إنَّكَ ذليلٌ، فلا تُنكِرْ؛ فإنَّكَ لم تدفعْ ذلك وأقررتَ به.

[١٥١] وقال أيضًا:

١ ـ أَتَشْحَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا   وَتَتْرُكُ أَرْمَاحًا بِهِنَّ تُكَابِدُ

الثاني من الطَّويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

الشَّحْذُ: الإحدادُ، وهذا مثل، يقول: أتُعِينُ أعداءَنا علينا؟ وقوله «وتترك أرماحًا» أي: وتتركُ شَحْذَ أرماحٍ، فحذفَ المضاف، والباء من قوله «بأيدي» تتعلّقُ بِمُضْمَرٍ، كأنَّه قال: أرماحًا مستقرّةً وحاصلةً بالأيدي، وخَصَّ من بين العُدَدِ الرِّماح لأنّها أخصّ بهم، ويجوز أن يكون كَنى بالأرماحِ عن الرّجال، والمعنى أتُهَيِّجُ أصحابَ أعدائي عَلَيَّ وتتركُ أصحابي الذين بهم أُكابدُ أعدائي، والمكابدة: معالجة الأقرانِ، يقال: كابَدْتُ الشَّيءَ مُكابَدَةً وكِبَادًا، إذا قاسيته في مشقّةٍ، والكَبَد: الشّدّة.

٢ ـ عَلَيْكَ بِجَارِ القَوْمِ عَبْدِ بنِ حَبْتَرٍ   فَلاَ تَرْشُدَنْ إلاَّ وَجَارُكَ رَاشِدُ

الباء تتعلق بعليكَ، لأن معنى عليك: خُذْ، فكما يقال: خُذْ كذا، وبكذا، يقال أيضًا: عليكَ كذا، وبكذا، يقول: انْتَصِفْ لجارِكَ وانتقمْ له بأنْ تؤثّر في جارِ القوم فإنَّكَ لا تكون راشدًا إلاَّ وقد رَشَدَ جارُكَ معكَ، يقال: رَشَدَ يَرْشَدُ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ.

٣ ـ فَإنْ غَضِبَتْ فِيهَا حَبِيبُ بنُ حَبْتَرٍ   فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الأَبَاعِدُ

الضمير في «فيها» للفَعْلَةِ والخُطَّةِ: أي إنْ يَتَسَخَّطْ هؤلاء القوم ممّا تتكلّفه لجارك من الذَّبِّ عنه والانتقام له فلا تُبَالِ بهم وخُذْ في أمره بما يحمدك فيه الأباعدُ دون الأقاربِ، فإنَّ الأخبارَ إذا انتشرَتْ عنكَ بالوفاءِ استرجَحَكَ الأجانبُ، وتسليمُ الجارِ يجلبُ الذَّمَّ ويُلْحِقُ العارَ.

٤ ـ إذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أُولِي النُّهَى   أَضَاعَتْ وَأَصْغَتْ خَدَّ مَنْ هُوَ فَارِدُ

أصل النَّجْوَى: المُسَارَّة، فاستُعِيرَتْ لِلمشورة لأنّها في الأكثر بها، ويقال: فلان نَجِيُّ فلان، يقول: إذا طالت المناجاة مع غير أرباب الآراء القويّةِ ضَيَّعَتِ المُستَشِير،

وأمالَتْ خَدَّهُ، وصار في الانفرادِ بما يعانيه بمنزلة مَنْ لا ناصرَ له ولا مشيرَ لوقوع التَّشاوُرِ على غير حَدِّهِ، وقد جمع بين فعلين في قوله «أضاعت وأصغت» فأعمل الثاني، وهو المختار عند البصريين، ويجوز أن يكون مفعول أضاعت غير «خَدَّ مَنْ هو فاردُ» فحَذَفَهُ، كأنه قال: أضاعَتْ رَبَّها، وكان الحكم في هذا الوجه أن يقولَ لو أظهر المفعول: وأصغتْ خدّه لكونه فاردًا وحيدًا؛ لكنه لمّا كان الآخر هو الأوّل وقد حذفه لم يُبَالِ بإظهارِه لأنَّ الّذي هو فاردٌ هو رَبُّ النَّجوى لا غير.

٥ - فَحَارِبْ فَإِنْ مَوْلاَكَ حَارَدَ نَصْرُهُ فَفِي السَّيْفِ مَوْلًى نَصْرُهُ لاَ يُحَارِدُ

يقول: حاربْ مَنْ قَصَدَ جارَكَ وأعانَ عليه، ولا تقعدْ عن نُصْرَتِهِ، فإنْ لم يُعاونْكَ مواليكَ فيما تَرُومُه فاستنصرْ بِالسَّيفِ؛ فإنَّ فيه مَوْلًى لكَ لا يخذلك؛ والمحاردة: أصلها في قلّة اللَّبن، واستعير في غيرها.

[١٥٢] وقال أيضًا، وهي من المُنْصفات[١]:

١ - فَلَمْ أرَ مِثْلَ الحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلاَ مِثْلَنَا يَوْمَ التَقَيْنَا فَوَارِسَا

مثل الوزن الذي قبلها.

أشار بالحيّ إلى قوم معهودين، يقول: لم أَرَ مُغَارًا عليه كالحيّ الذين صَبَّحْنَاهم، ولا مُغِيرًا مثلنا يوم لَقِينَاهم، وانتصبَ قوله «حيًّا مصبحًا» على التمييز، وفيه دلالة على جواز قول القائل: عشرون درهمًا وَضَحًا[٢]، وكذلك قوله «فوارسًا» تمييز وتعيين، ويجوز أن يكون الأول والثاني في موضع الحال، والمصَبَّح: الذي يُؤْتَى صباحًا للغارة، ويُستَعْمَلُ في الخير، يقال: صَبَّحَكَ اللّه بخيرٍ، فإن قيل: لِمَ قال «فوارس» والتمييز يُؤْتَى به مُوَحَّد اللّفظ؟ قلت: إذا لم يتبيّن كثرة العدد واختلاف الجنس من المميّز يُؤْتَى بِالتمييز مجموع اللّفظ متى أُريد التنبيه على ذلك، وعلى هذا قول اللّه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[٣] وكأنه لمّا كانت أعمالهم مختلفة كثيرة نَبَّهَ على ذلك بقوله: ﴿أَعْمَالًا﴾ ولو قال عملاً لَكان السَّامع لا يبعدُ في وَهْمِهِ أنّهم خَسِروا في عملٍ واحدٍ، فكذلك قوله «فوارسًا» جمعه حتى يكون فيه إيذان بالكثرة.

٢ - أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ القَوَانِسَا

المصراع الأول ينصرفُ إلى أعدائه، وهم بنو أسد، والثاني إلى عشيرته، والمراد

---

(١) المنصفات: القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، ويُرْوَى أن أوّل مَنْ أنصف في شعره مهلهل بن ربيعة.

(٢) الوَضَح: النقيّ الأبيض.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٣.

لم أرَ أحسنَ كَرًّا وأبلغَ حِمايةً للحقائقِ منهم، ولا أضربَ للقوانس مِنَّا، وانتصبَ القوانس من فعل دَلَّ عليه قوله «وأضربَ مِنَّا» ولا يجوز أن يكون انتصابه بِأضرب؛ لأن أفعلَ الذي لا يتم بِمِنْ[1] لا يعملُ إلا في النّكرات، تقول: هو أحسن منك وجهًا، وأفعل هذا يجري مجرى فعل التعجب، ولذلك تَعَدَّى إلى المفعول الثَّاني باللاّم، فقلت: ما أضربَ زيدًا لِعَمْرو وما أوْهَبَكَ لِلدَّراهم وما أقتلَكَ للأقرانِ؛ فإن حُذِفَت اللاّم قبحَ إلاَّ أن تضمر فعلاً، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2] موضع «حيث» نصب بما دلَّ عليه «أعلم» والقَوْنَس: أعلى البَيْضَةِ، وقونس الفرس: ما بين أُذنيه.

٣ ـ إذَا مَا شَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ المَذَاكِي وَالرِّمَاحَ المَدَاعِسَا[3]

ويُرْوَى «حَمَلْنا حملةً» يقول: إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل والرّماح لِلدَّعْسِ، والدَّعْسُ في الأصل: الدفع، ثم يُستعمل في الطَّعْن وشدّة الوطء والجماع، والذَّكاءُ: ضِدُّ الفَتاءِ، يقال: فَرَسٌ مُذْكٍ ومُذَكٌّ، إذا تَمَّ سِنُّهُ وكَمُلَ قوّته، وفي المثل: «جَرْيُ المُذْكِيات غِلاَبٌ»، ويقال: «غِلاء»، ويقال: فَتَاءُ فلان كَذَكاءِ فلان، وكتذكيةِ فلانٍ، أي حَزَامته على نقصانِ سِنِّهِ كحزامةِ ذلك مع استكماله.

٤ ـ إذا الخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرّهَا عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إلاَّ عَوَابِسَا

أي إذا الخيلُ دَارَتْ عن مَصْروعٍ مِنَّا كَرَرْنَاها عليهم لِنصرعَ منهم مثل ما صرعوا منّا، ويجوز أنْ يريدَ: إذا جَالَتِ الخيلُ عن صَرِيعٍ منهم لا يقنعنا ذلك منهم، بل نَكُرُّهَا عليهم لمثله، وإنْ كَرِهَتِ الكَرَّ للبَأْسِ فلم تَرْجِعْ إلاّ كوالحَ، والعامل في قوله «إذا الخيلُ» نَكُرُّهَا، وهو جوابه أيضًا؛ و«إلاَّ عوابسا» في موضع الحال، و«الخيل» ارتفع بفعل مُضْمَر ما بعده يُفَسِّرُهُ.

[١٥٣] وقال عبد الشَّارق بن عبد العُزَّى الجُهَنِيّ[4]، وهي من المُنْصِفات:

قال أبو الفتح: الشَّارق: اسم صنم لهم، ولذلك قالوا: عبد الشَّارق، كقولهم: عبد العُزَّى، وكلاهما صنم، ومثله عبد يَغُوث، وعبد وُدّ، ونحو ذلك؛ ويجوز أن يكون الشَّارق من قولهم «عبد الشَّارق» هو قرن الشّمس، كقولهم: لا أُكَلِّمُكَ ما ذَرَّ شَارِقٌ: أي ما طلعَ قرنُ الشَّمْسِ، فقولهم إذًا «عبد الشَّارق» كقولهم: عبد شمس؛ فأما العُزَّى وهو

---

(١) عند المرزوقي: «لأن أَفْعَلَ الذي يتمُّ بِمِنْ لا يعملُ».
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤. (٣) عند المرزوقي: «الدَّوَاعِسا».
(٤) عبد الشارق بن عبد العزى، شاعر جاهلي ولم نعثر على ترجمته، والأبيات في الخالدين ص ٨٩؛ والبيت الأول فقط في الحماسة البصرية ١/ ٥٤.

اسم صنم فإنّه تأنيث الأعَزّ، كما أن الجُلَّى تأنيث الأجل، وأما قول الآخر: [البسيط]

وَإنْ دَعَوْتِ إلى جُلَّى وَمَكْرُمَةٍ[1]

فليست الجُلَّى فيه تأنيث الأجل، ألاَ ترى أنَّ فُعْلَى أفعل لا تنكر، إنّما هي معرفة باللاّم أو بالإضافة، لا تقول: صُغْرى، وَلاَ كُبْرَى، ولا وُسْطَى؛ وإنما جُلَّى في البيت مَصْدَر بمنزلة الجَلاَلِ وَالجَلاَلَة، ومثلها من المصادر على فُعْلَى الرُّجْعَى والنُّعْمَى والبُؤْسى، يقال: آنِسْنِي بِرُجْعى منكَ: أي برجوع، ولكَ عِنْدي آلاَءٌ ونُعْمى، ولا أَجْزِيكَ بُؤسَى بِبُؤْسَى، وكذلك قراءة مَنْ قرأ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنَى﴾[2] أي: إحسانًا وَحُسْنًا، وقد أنكر ذلك أبو حاتم، ولا وجه لإنكاره إياه؛ لما ذكرناه، أَنَّثوا العُزَّى في اسم الصّنم كما أنّثوه في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[3].

١ ـ أَلاَ حُـيِّـيـتِ عَـنَّـا يـا رُدَيْـنَـا نُـحَـيِّـيهَـا وَإنْ كَـرُمَـتْ عَـلَـيْـنَـا

الأول من الوافر، مطلق موصول، والقافية متواتر.

رُدَيْنة: من أسماء النّساء، ويجوز أن يكون اشتقاق رُدَيْنة من الرَّدْنِ الذي تمارسه النساء، ويقال «جمل رَادِنِيّ» قيل: هو الشَّديدُ الحُمْرَةِ، وقيل: هو الذي بين الأصفر والأحمر، وزعَمَ قومٌ أنَّ الزعفرانَ يُقَالُ له الرَّادِنُ، وأنَّ البعير نُسِبَ إليه، وقد استعملوا من هذا اللَّفظ أشياء فقالوا لأصلِ الكمّ: رُدْن، ولِلخَزِّ: رَدَنٌ وقيل: الرَّدَنُ ما نُسِجَ مما تردنُه النساءُ، وهذا اشتقاقٌ مطّرد، وقالوا للنعاس أُرْدُنّ قال الراجز:

قَـدْ أَخَـذَتْـنِـي نَـعْـسَـةٌ أُرْدُنُّ وَمَـوْهَـبٌ مُـبْـزٍ بِـهَـا مُـصِـنُّ[4]

والعامة يقولون للناعس: عينه تردنُ وتغزلُ، والرَّدن والغزل متقاربان، وأراد يا ردينة فرَخَّمَ، وقوله «نحيِّيها» هي تحيّة الوداع، يعني نودِّعُها ونفارقُها وإنْ كرمَتْ علينا، وقال أبو رياش: قيل إنَّ الرجلَ إذا عُرِفَ بِحُبِّ المرأةِ لم يزوِّجوه إيّاها، فإذا سَلَّمَ عليها عُرِفَ أنّه يهواها، فقال: نسلّمُ عليها وإن كانَ في السلام يَأْسٌ منها، وهذا من إفراطِ شَوْقِهِ وغَلَبَةِ هواه، وقيل: التّحية السّلام، وكان هذا الشاعر غائبًا عن ردينة فحنَّ إليها واشتاقَ إلى قُرْبِها، فقال: لا خُصِصْت عنّا يا ردينة بتحيّة، ثم قال معتذرًا من التسليم عليها في حال الغيبة: نُحَيِّيها وإنْ كرمتْ علينا، يعني وإنْ جَلَّتْ عندنا من أن يتولّى تحيتها غيرنا غَيْرَةً مِنّا عليها.

---

(١) البيت يُنسب لبشامة بن حزن النهشليّ وعجزه: «يومًا سَرَاة كِرامِ الناسِ فادعينا». وأورده أبو تمام في الجزء الأول ونسبه إلى بعض بني قيس بن ثعلبة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ١٩ و٢٠.

(٤) البيت في تاج العروس (ردن) وقد نسبه لأبّاق الدُّبَيْريّ؛ ومُبْزٍ: أي قويّ عليها، يقول: إن مَوْهَبًا صبورٌ على دَفْعِ النوم وإن كان شديدَ النُّعاس.

٢ ـ رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدِ اخْتَوَيْنَا

الأَضَمُ: شِدَّةُ الحقدِ، واختوينا: أي لم نطعمْ، وكانوا يتخفّفون للحرب ويكرهون أنْ يُقْتَلَ الرجلُ أو تصيبه طعنةٌ في بطنه أو ضربة فيخرجُ منه الطعام فيعيّر بذلك، وفي تقليل الطعام وجهٌ آخر، وهو أنَّ الأمعاء إذا امتلأتْ كان أخذ الطَّعْنِ منها أكثر، ويجوز أن يكون معنى قوله «اختوينا» أي خَلَوْنا من كُلِّ شيءٍ إلاَّ من الغضبِ، ويُرْوى «اجتوينا» وهو افتعلنا من الجَوَى، وهو داء الجوف، يعني أنَّ نارَ العداوةِ أَحْرَقَتْ قلوبَنا، وهذه الرواية جيّدة لمكان الأَضْمَات في البيت، ويُرْوَى «احتوينا» أي: مَلأْنا أيدينا من الغنائم، يقول: لو رأيتنا على الصّفة التي ذكرها لَهَالَكِ ذلك، وجواب لو محذوف، لأنَّ الأبيات التابعة لهذا البيت جميعها مقصور على بيان القصة.

٣ ـ فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَبِيئًا فَقَالَ أَلاَ انْعَمُوا بِالقَوْمِ عَيْنَا

الرَّبيء والرَّبيئة: الطّليعة، والجمع ربايا، وقوله «انعموا بالقوم عينًا» يعني أنَّ العدوّ في قِلَّةِ عددٍ؛ ولو قال «عيونًا» لكان أحسن، غير أنَّ الواحد ينوبُ عن الجمع في مثل هذا، وعينًا: ينتصب على التمييز.

٤ ـ وَدَسُّوا فَارِسًا مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ نَغْدُرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا

أي: أخفوه، وأصلُ الدَّسِّ إخفاءُ الشّيء تحتَ غيره، وفي القرآن ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾[1] ويقال: انْدَسَّ إلى فلان: أي أتاه بالنّمائم، فَإِنْ قيل: ما فائدة ذِكْرِ الغدرِ هٰهنا، والفارس الذي أنفذوه داسوسًا من غير أن يكون منهم أمان يوجب له السّلامة؟ قلت: كأنَّ المرادَ أنّا لم نستعملْ مَكْرًا باحتباسِ الرّسولِ، إذ كان في منعه الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم، فيكون كالغدر بهم، ويجوز أن يكون ذلك الفارسُ ظهرَ لهم ثقةً بالمعرفة بينه وبينهم فَعَدَّ ظهورَهُ أخذًا لِلأمان عليهم.

٥ ـ فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرِدًا وَجِئْنَا كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكَبُ وَازِعَيْنَا

يقول: تسارعوا مقبلين نحونا، وكأنّهم في كثرتهم وتعجّلهم قطعة من السّحاب، فيها بَرَدٌ، ووجه التشبيه أنَّ لهم حفقًا ووقعًا شديدًا متتابعًا كما تكون كذلك السّحاب ونحن لِكثرتنا وإتياننا على ما يعترضُ في طريقنا كالسَّيلِ الذي لا يُبْقي ولا يَذَرُ، ومعنى «نركب وازعينا» أي: لا ننقادُ لِمَن يريدُ ضبطَنا من الجيشين جميعًا، ولفظ التثنية يحتمل أن يكون أُريد به الكثرة فثنّى على عادتهم في نحو لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ويُحْتَمَلُ أن يكونَ لِكلِّ واحد من العسكرَيْن وازعٌ وهو أميرهم الذي يأمرهم وينهاهم[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٩.

(٢) أشار المرزوقي إلى هذه القضية فقال: «لم يُثَنِّ ـ وازِعَينا ـ لأنه يشير إلى رجلين، لكنه أراد الكثرة=

٦ - تَـنَـادَوْا يَـا لَـبُـهْـثَـةَ إذْ رَأَوْنَـا فَـقُـلْـنَـا أَحْسِنِـي ضَـرْبًـا جُـهَـيْـنَـا

بِهْثَةُ: بطنان في العرب: بُهثة في بني سُلَيْم، وبُهْثَةُ في بني ضُبَيْعَةَ ورَبيعَةَ وهو ربيعة أَضْجَمَ، وبُهثة في اللّغة: وَلَدُ الزِّنا، واشتقاقه مِنَ البهث، وهو البشر والارتياح، واللاّم من «يا لَبهثة» لام الجرّ، وتعلقت بيا حرف النداء، ولا يجوز أن يقال: تعلَّقت بالفعل الذي دلَّ عليه «يا» لأنَّ ذلك الفعل لمّا لم يخرجْ إلى الوجود سقطَ حُكْمُهُ، وفتحت لوقوع المنادى موقع المضمر، وبُهثةُ مَدْعُوَّةٌ، والجارّ والمجرور في موضع نصب لأنّه منادى، وقوله «أحسني ضربًا» يجوز أن يكون «ضربًا» مفعولاً به من أحسني، ويجوز أن يكون في موضع الحال: أي ضاربة، ويُرْوَى «أحْسِنِي مَلأً» معناه خُلُقًا، والمراد مُخَالَفَة أهلِ الحرب المستنصرين، وهذه رواية أبي زيد، وقال ابن السِّكِّيت: معناه أحسني تَمالُؤًا: أي تَعَاوُنًا، يقال: مَالأْتُ على فلانٍ، وكأنه من قولهم: رجلٌ مَليءٌ وقد مَلُؤَ يَمْلُؤُ مَلاَءَةً ومَلاَءَ، قال أبو العلاء: إذا حُمِلَ البيت على أنّ المعنى أحسني خلقًا صحَّ الغرضُ، وأشبه بعض الكلام بعضًا، كأنهم لمّا لقوهم قذفوهم بما يكرهون لما ذكروا بُهثةَ وهو لغير رشدٍ قالوا أحسني مَلأً أي خُلُقًا إذ كان السّباب ليس بجميل؛ وجُهينة: مشتقّةٌ من غِلَظِ الخُلُقِ والشدّة.

٧ - سَـمِـعْـنَـا دَعْـوَةً عَـنْ ظَـهْـرِ غَـيْـبٍ فَـجُـلْـنَـا جَـوْلَـةً ثُـمَّ ارْعَـوَيْـنَـا

أي: دعوة تَأَدَّتْ من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دَوْرَةً ثم رجعنا إلى أماكننا، وهذا يجوز أن يكون فعَلُوه مكيدةً، ويجوز أن يكون خافوا الكَمين فجالوا لِيتأمّلوا، فلما أَمِنُوا رَجَعُوا، وقوله «عن ظهر غيبٍ» يقال: فعل فلان كذا بِظهر الغيبِ، وأتاني بخبر عن ظهر الغيب، وقوله «ثم ارعوينا» يقال: ارْعَوَى عن الجهل ارْعِوَاءً وَرَعْوَى حَسَنة ورُعْوَى، إذا رَجَعَ، وارْعَوى عنه إذا كَفَّ، وحُكِيَ عن ابن الخياط النحويّ الذي كان من أصحاب ثعلب أنه قال: أقمتُ سنينَ أَسألُ عن وزن ارْعَوَى فلم أجدْ مَنْ يعرفُه، قال أبو العلاء: ووزنُه له فرعٌ وأصلٌ، وأصلُه أن يكونَ على افْعَلَّ نحو احْمَرَّ واخْضَرَّ، كأنه ارْعَوَّ وكرهوا أن يقولوا ذلك لأن الواو المشدّدة لم تقعْ في آخر الماضي ولا المضارع، ولو نطقوا بقولهم ارْعَوَّ ثم استعملوه مع التاء لَوَجَبَ إظهارُ الواوين، كما أنهم إذا رَدُّوا احْمَرَّ إلى التّاء قالوا: احْمَرَرْتُ فأظهروا فالمدغم، ولم يمكنهم أن يقولوا «ارْعَوَوْتُ» فيجمعوا بين الواوين، كما أنهم لم يقولوا «اغْزَوَوْت» فقلبوا الواو الثانية ياء، ولا ريبَ أن إحدى الواوين زائدة كما أن إحدى الراءين في احْمَرَّ كذلك، فإنْ قِيلَ: ما الموجود في وزن

= والجِنس بالوازِع، ثم ثَنَّى مُبيِّنًا اختلاف الطائفتين من الخَيْلَيْن، ولا يجوز أن يُرْوَى (وازِعينا) بكسر العين لما يحصلُ من العيب بالسِّناد مع ارتفاع الضرورة».

ارْعَوَى؟ فجائز أن يقال: افْعَلَلَ، ولو قال قائل افْعَلَى لكان وجهًا، والأوّل أقيس، ولو قال: ابنوا من الغزو مثل احْمَرَّ لقيل: اغْزَوَى، كما قيل: ارْعَوَى، وكذلك جميع ذوات الثلاثة التي واوها في موضع اللاّم؛ والياء جارية هذا المجرى، ولم يثبت أنه جاء في الكلام القديم شيء على مثال ارْعَوَى إلا أنه قد جاء في شعر يُطْعَنُ فيه «مُجْحَوٍ» مأخوذ من جَحَا بالمكان إذا أقام به، و«مُدْحَوٍ» وهو من دَحَوْت فهذا يدلُّ على اجْحَوَى وادْحَوَى.

٨ ـ فَلَمَّا أنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً   أنَخْنَا لِلْكَلاكِلِ فَارْتَمَيْنَا

هذه المواقَفَة التي أشار إليها يجوز أن تكون للتعبئة والتّهيئة، ويجوز أن تكون لِتَدَاعي الأبطال والمبارزة، وقوله «قليلاً» يجوز أن يريد به زمانًا قليلاً، فيكون ظرفًا، ويجوز أن يريد تواقفًا، فيكون صفةً لمصدر محذوف، والصّفات تنوبُ عن المصادر والظّروف، وجواب «لمّا» أنخنا، ومفعوله محذوف والمعنى: إنّا بعد المطاردة نزلنا وأنخنا لِلصّدورِ فتناضَلْنا، واللاَّم في «لِلكلاكِلِ» يجوز أن تكون زائدة؛ ويجوز أن تكون بمعنى على.

٩ ـ فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا   مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إلَيْنَا

أي: لمّا رَمَيْنا ففنِيَتِ السِّهامُ وانْكَسَرَتِ القِسِيُّ تقدَّمنا إليهم فتجالدنا بالسيوف.

١٠ ـ تَلألُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لأُخْرَى   إذَا حَجَلُوا بِأسْيَافٍ رَدَيْنَا

انتصب «تَلألؤَ مُزْنَةٍ» على أنّه مِمّا دلّ عليه «مشينا نحوهم ومشوا إلينا» لأنَّ في ذلك تلألؤ السّلاح من الجانبين جميعًا، وقوله «إذا حَجَلوا بأسياف» يقول: إذا كان مَشْيُهُمْ إلينا حَجَلانًا كان مَشْيُنا إليهم رَدَيانًا، والرَّدَيانُ فوق الحَجَلان؛ لأنَّ الحَجَلانَ تَقارُبُ خَطْوٍ كَمَشْيِ المُقَيَّدِ، والرَّدَيَانُ عَدْوُ الحمارِ بين آرِيِّهِ ومُتَمَعَّكِهِ، وقال أبو زيد: هذا من رَدَيانِ الجواري إذا لَعِبْنَ تَرْفَعُ إحداهُنَّ رِجْلاً وتخطو بأخرى خطوتين ثمَّ تَضَعُها وترفعُ الأخرى؛ تفعل ذلك مرارًا.

١١ ـ شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنهُمْ   ثَلاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا

قَيْن: اسم رجل كان مشهورًا فيهم بالبأس والنجدة، فلذلك عَيَّنَ عليه، وقوله «ثلاثةَ فِتيةٍ» فتية من أبنية القليل كغِلْمَةٍ وصِبْيَةٍ، ولذلك أضاف الثلاثة إليها، وبناء الكثير الفِتْيَان.

١٢ ـ وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا   بِأرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا

إنْ قيل: ما فائدة قوله «شَدَّةً أخرى» ولم يَكُنْ قد تقدَّمَ لهم الأولى؟ قلت: يجوز أن يكون أراد توالى بيننا حملتان الأولى منّا والأخرى منهم؛ لأن قصده اقتصاص الحال

الدائرة بينهم، ويجوز أن يكون أراد أن يبيّن أنهم كانوا السّابقين والمبتدئين، فوصفَ شَدَّتَهُمْ بِالأخرى ليعلمَ أنَّ المتقدّم في الذكر كانت له الأولى.

١٣ ـ وَكَـانَ أخـي جُـوَيْـنٌ ذَا حِـفَـاظٍ وَكَـانَ الـقَـتْـلُ لِـلْـفِـتْـيَـانِ زَيْـنَـا

نَبَّهَ على أنّه لِحُسْنِ محافظته على الشّرف ثبتَ حتى قُتِلَ وأنَّ قِتْلَتَهُ كانت محمودةً تَزِينُ ولا تَشِينُ.

١٤ ـ فَـآبُـوا بِـالـرِّمَـاحِ مُـكَـسَّـرَاتٍ وَأُبْـنَـا بِـالـسُّـيُـوفِ قَـدِ انْـحَـنَـيْـنَـا

جعل فيه أعلى الصّفتين لنفسه وإن كان الظاهر من قصده في الوصف الجَرْي على سَنَنِ النَّصَفِ، يشهدُ لذلك ما رَتَّبَهُ زهير في قوله: [البسيط]

يَطْعُنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا إذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا

وأما قول الآخر: [الطويل]

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّمَا[1]

فليس من التَّنَاصُفِ في شيء؛ إذ كان المعنى إنَّا عند الطِّعان نُذْرِيهم عن ظهور الدَّوَاب فنغنمُ دَوابَّهُم ونفوزُ بها، وهم يستنقذون رماحَنا لأنّا نكسِرُها فيهم إذا طعناهم وَنُجِرُّها فيفوزون بها؛ فيقول: انصرفوا وقد تكسَّرَتْ رماحُنا بالإجرار، ورجعنا وقد تثنَّتْ سيوفُنا بإعمالِنا إيّاها في البَيْضِ والدّروعِ وقتَ الجِلاد.

١٥ ـ فَبَـاتُـوا بِـالـصَّـعِـيـدِ لَـهُـمْ أُحَـاحٌ وَلَـوْ خَـفَّـتْ لَـنَـا الـكَـلْـمَـى سَـرَيْـنَـا

الأُحَاحُ: صوتٌ من الصَّدْرِ يشبه الأَنين، والأُحَاح: العَطَشُ أيضًا، وأصله الصَّوت، يريد أنهم صُرِعوا وبهم عَطَشٌ، ومَنْ كانت هذه حاله جاء من صدره صوتٌ يشبه الكرير، وقال الرياشيّ: لهم أُحَاحٌ من حَرِّ جراحاتهم: أي لو خَفَّتْ جراحات الجرحى وخفّوا معنا في السَّيرِ لَسِرْنا إلى قومِنا في بَرْدِ اللَّيل، والكَلْمَى: الجَرْحَى، والواحد كَليم، والأُحَاح: ما يَجِدُه الرجلُ في صدرِه من الحرارة حتى يقول: حَسِّ، أح، وهما كلمتان تقولهما العرب عند الوجع، ومنه قول النبي ﷺ: «لولا أن طلحة قال حَسِّ لطارَ مع الملائكة» وأما أَحّ[2] فهو مثل قول العجم عند الوجع أخ، وليست من كلام العرب بالخاء، ويُروى أنَّ شَبِيبًا لمّا اشتدَّ أَمْرُه على الحجّاج وحَصَرَهُ في القصر أشار على الحجّاج بعضُ جلسائه أن يَضُمَّ جَمْعَه ويخرج إليه، فإنما هو في قلّة، وكان مع الحجّاج عشرة آلاف من أهل الشّام سِوى جند العراق، فأمر غلامًا شجاعًا فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركبَ فرسَهُ وصاحَ

---

(١) البيت للحصين بن الحمام المريّ في المفضليات ١/٦٣.

(٢) راجع تاج العروس (أحح).

في الجند فجمعهم وخرج، فقال النَّاسُ: قد خرجَ الحجّاجُ، ولا يشكُّ الجندُ أنّه الحجّاج، فلما صفوا أقبل شَبيب في خيله، فسأل: أين الحجاج؟ فأومئوا إليه، فحمل عليه حتّى خلصَ إليه فضربه بالعمود، فلما أحسَّ بوقعه قال: أخ، فانصرفَ شبيبٌ، وقال: قبحك اللّٰهُ يا ابنَ أُمِّ الحجاج، أَتَتَّقي الموت بالعبيد، وقتلَ الغلام، وقال أبو العلاء في قوله «وكان أخي جوين ذا حفاظ»: لا مِرْيَةَ أن جُوينًا هٰهنا اسم رجل، وكان بعض النّاس يتأوّلُ أنَّ الأخَ يقال له جَوْن وجُوَيْن ويستشهد بهذا الشعر، وهذا قول لا خَفَاءَ بفساده على ذي لُبٍّ، وكان صاحب هذه المقالة يحتجُّ بقول القَتّال: [الطويل]

وَلِي صَاحِبٌ بالغَارِ هَدَّكَ صَاحِبًا ... هُوَ الجَوْنُ إلاَّ أَنَّهُ لاَ يُعَلَّلُ

وهذا البيت يحتمل أنْ يدعى فيه أن الجَوْن يُراد به الأخ، وأما البيت الأول فلا يسوغ فيه دعواه، والظاهر أنَّ القَتَّالَ أراد بالجَوْن صفة النّمر؛ لأنَّ الجَوْن من الأضداد: يوصف به الأبيض، والأسود، والأحمر، وفي النمر بياضٌ وسوادٌ، ومما يجوز أنْ يتأوَّلَ أن يكون للْقَتَّال أخ أو صديق يقال له الجون فيريد أن هذا النمر قد جرى عندي مجرى الأخ، وهذا مثل قولهم «تحيته الضرب» و«عتابه السيف» أي: قد أقامهما مقام التحية والعتاب، ولو كان لرجل قريب يقال له خالد فشحطَ عنه فصادفَ رجلاً يقال له عمرو أو زيد فجعل يقول «أنت خالد» أي: أنت الذي تنوب منابه؛ لكان ذلك جائزًا بلا اختلاف، ومن هذا النوع قول الشَّنْفَرَى: [الطويل]

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ[1]
هُمُ الأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ عِنْدَهُمْ ... مُضَاعٌ وَلاَ الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

[١٥٤] وقال بِشْرُ بن أُبَيّ بن حُمَام العَبْسِيّ[2] لبني زُهَيْر بن جَذِيمة، ويُروى بُشَيْر:

١ ـ إنَّ الرِّبَاطَ النُّكْدَ مِنْ آلِ دَاحِسٍ ... أَبَيْنَ فَمَا يُفْلِحْنَ يَوْمَ رِهَانِ

الثالث من الطويل، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

الرِّباطُ: الخَيْلُ المربوطة هنا، واحدها ربيط، والرّباط من الخيل: الخَمْسُ فما فوقها، وقيل: هو مصدر رَابَطَ يُرَابط مُرَابطة وَرِبَاطًا، فلذلك وقع على الجميع والواحد، والنُّكْد: جمع أنكد، وهو القليل الخير، وداحس: اسم فرس لقيس بن زُهَيْر بن جَذِيمة العَبْسِيّ، وكان غلقها حُذَيْفَة بن بَدْرٍ الفَزَارِيّ على خَطَر عشرين بعيرًا، وجعلا الغاية بينهما

---

(١) العَمَلَّسُ: الذئب الخبيث، والأرقطُ: النَّمِرُ، لِلَوْنه، صفة غالبة غلبةَ الاسم. والزُّهلول: الأملس من كل شيء. والجيألُ: الضَّبُعُ. والعَرفاء: الضبع، لكثرة شعر رقبتها وقيل: لطول عُرْفِها. والبيت في تاج العروس (رقط وجأل وعرف).

(٢) أُبَيّ بن حُمَام: ورد له ترجمة في الحماسية رقم ١٤٢.

مائة غَلْوَة، والمِضْمار أربعين ليلة، والمجرى من ذات الإصَاد، وكان حذيفة أمرَ فِتْيانًا من فَزَارة ـ لمَّا تغالَق هو وقيس بن زهير على أن يجري حذيفة الخَطَّار والحنفاء، وقيل: قُرْزُلاً والحنفاء، ويجري قيس داحسًا والغبراء ـ أن يقعدوا بِشِعبِ سُمِّيَ بعد ذلك شعب الحَيْس، وذلك أنَّ حذيفة أطعمهم هناك حَيْسًا، وقال: إنْ مَرَّ بكم داحس متقدّمًا فأمسكوه، فلما طلع داحس سابقًا أمسكوه، ولم يعرفوا الغبراء، وهي خلف داحس مُصَلِّية، ثم أرسلوه فوردت الغبراء سابقة، فلطمتها بنو فزارة، وَحَلَّؤُوهَا عن الماء، وأَبَتْ أنْ تُقِرَّ لقيس بالسَّبْقِ، ومنعوه الخطر، فوقع بينهم الشّرّ، فغزاهم قيس، فلحقَ عوف بن بدر أخا حذيفة بن بدر فقتله، ثم وداه مائة ناقة مُتْلِيَةً عُشَرَاء، وَالعُشَرَاءُ: التي قد أتى على حملها عشرة أشهر، والمُتلية التي قد نتجَ بعضها والباقي يتلوها بالنتاج، والحامل متلية، والتي يتبعها ولدها متلية، ثم قتل حَمَلُ بن بدر مالكَ بْنَ زهير أخا قيس، فأرسلَ قيس إلى حذيفة أنِ ٱرْدُدْ إلينا إبلنا مع أولادها، وكانت قد ولدت عندهمَ، فقد قتلتم بقتيلكم، فقالت بنو فزارة: أنعطيهم أكثر مما أعْطَوْنَا، وأمسكوا أولادها، وأبَى قيس إلاّ أن يأخذها مع أولادها، ثم قتل جُنَيْدِبُ بن خَلَفٍ العبسيُّ مالكًا أخا حذيفة؛ فهاج الحرب بين بني عبس وفزارة، ثم قتل قيسٌ حذيفَةَ بن بدر وأخاه حَمَلَ بن بدر، ولحق قيس بعُمَان، وهو قوله: «جلبن».

٢ ـ جَـلَـبْـنَ بِـإِذْنِ الـلَّـهِ مَـقْـتَـلَ مَـالِـكٍ وَطَـرَّحْـنَ قَـيْـسًـا مِـنْ وَرَاءِ عُـمَـانِ

٣ ـ لُطِمْنَ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ يَـرَوْنَ الأَذَى مِـنْ ذِلَّـةٍ وَهَـوَانِ

قال «لُطِمْنَ» وإنما لطم داحس وحده، فأنكر حذيفة السبق ظلمًا: فتأدّى ذلك إلى الشّرّ، واتّصَلَتِ الحربُ، وبَقِيَتْ أربعين سنةً، فحمل بينهم الدماء الحارثُ بن عَوْفٍ المُرِّيُّ، وقتل في تلك الحروب مالكُ بن زهير أخو قيس، فلمّا تدانى صلح عبس وذبيان قال قيس للربيع بن زياد: ارجعوا إلى قومكم فصالحوهم فهم خيرٌ لكم من الغربة، وأمّا أنا فواللَّه ما أنظر في وجه غطفانيّة أبدًا، وقد قتلت أباها أو أخاها أو حميمًا لها، ثم فارقهم فلزم بُرْقَةَ عُمَان حتى هلكَ هناك، وهذا معنى قوله:

وَطَـرَّحْـنَ قَـيْـسًـا مِـنْ وَرَاءِ عُـمَـانِ

ويُروى «وَطَوَّحْنَ» أي: أسقطن، وقوله في البيت الأوّل:

أَبَـيْـنَ فَـمَـا يُـفْـلِـحْـنَ يَـوْمَ رِهَـانِ

أي: أَبَيْنَ الفلاحَ، ودَلَّ عليه بقوله «فما يُفْلِحْنَ» أي: لا يأتينَ بخير أبدًا، والرِّهان: المراهنة، والإصادُ: رَدْهَة بين أجبل، والإصاد: جمع أصيدة، وهي مثل الحظيرة من الصّخر، فأمّا الأُصْدَةُ فهو ثوبٌ لم تتمّ خياطته، وقيل: هي البقيرة، وقيل: بل هي

الصُّدْرَة، قال الشَّاعر: [البسيط]

مِثْلِ البُرَامِ غَدَا في أُصْدَةٍ خَلَقٍ ... لَمْ يَسْتَعِنْ وَحَوَامي المَوْتِ تَغْشَاهُ

وقد يجوز أن تُجْمَعَ الأُصْدَة على الإصاد كما قالوا: جُفرة وَجِفَار، وَنُقْرَة ونقار، وذات الإصاد يريد البقعة التي فيها الإصاد.

٤ ـ سَيُمْنَعُ مِنكَ السَّبْقُ إنْ كُنتَ سَابِقًا ... وَتُقْتَلُ إنْ زَلَّتْ بِكَ القَدَمَانِ

أي: إنْ سَبَقْتَ لم تُعْطَ السَّبْقَ؛ لأنه كان منتقلاً إلى بني عَمِّه وأهل بيته، أراد إنك لا تعطى النصفة وتقتل إن زَلَّتْ بك القدمان؛ يعني: إنْ سُبِقْتَ فَمَنَعْتَ قتلت.

[١٥٥] وقال غَلاَّق بن مَرْوَان بن الحَكَم بن زِنْبَاع:

قال أبو الفتح: يكون غَلاق هذا فَعَّالاً من غَلِقَ الرَّهْنُ فهو غَلاَّق كعلم فهو عَلاَّم وَسَلِمَ فهو سَلاَّم، ويجوز أن يكون من أغْلَقَ البابَ ونحوه، وهذا أقلهما لعزة فَعَّال من أفعل، إنّما جاءَ منه أسْأر فهوَ سَئَّار وأدرك فهو دَرَّاك وأجْبَرَ فهو جَبَّار وأقْصَرَ فهو قَصَّار، ومروان: علم مرتجل.

١ ـ هُمُ قَطَعُوا الأرْحَامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ... وَأجْرَوْا إلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا المَحَارِمَا

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

٢ ـ فَيَا لَيْتَهُمْ كَانُوا لأُخْرَى مَكَانَهَا ... وَلَمْ تَلِدِي شَيْئًا مِنَ القَوْمِ فَاطِمَا

قوله «أجروا إليها» الإجراء: يُسْتَعْمَل في المنكر المذموم، ومفعوله محذوف، كأنه قال: أَجْرَوْا فعلهم إليها، والضمير في «إليها» للقطيعة؛ لأنَّ الفعلَ يدلُّ على مصدره، وهذا كما يقال: مَنْ كَذَبَ كان شَرًّا له: أي كان الكَذِبُ شرًّا له، والمراد ما أجرى إليه القوم في سبق داحس من قطيعة الرحم[(١)]، وقوله «فيا ليتهم كانوا»: البيت على كلامين: صدره إخبار[(٢)]، وعجزه خطاب لفاطمة، وهي أُختٌ لهم، ومثله في أنّه على كلامين قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾[(٣)]، وقوله «كانوا لأُخرى مكانَها» أي: لِقَرَابِةٍ أُخْرى مكان هذه القرابة، لأنَّ ظُلْمَ ذَوِي القُرْبَى أشدّ تأثيرًا.

٣ ـ فَمَا تَدَّعِي مِنْ خَيْرِ عَدْوَةِ دَاحِسٍ ... وَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمَا

وإنّما قال «ما تَدَّعي» لأنّهم كانوا يعلّلونَ سبق داحس وينكرونه؛ فلهذا عَلَّق ما

(١) إلى هنا الشرح تابع للبيت الأول.

(٢) صدر هذا البيت ليس إخبارًا وإنما هو تَمَنٍّ، والإخبار إنما في صدر البيت الأول.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٩.

حكاه عنه بالدَّعوى، وقوله «من خير عَذْوَةِ» أي: من نفعه وسناء ذكره، «ولم تَنْجُ منها» أي: من العَذْوة.

٤ - شَأَمْتُمْ بِهَا حَيَّيْ بَغِيضٍ وَغَرَّبَتْ   أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَالَى الأَعَاجِمَا

قال أبو زيد: يقال: شَأَمَ فلانٌ أصحابَهُ، إذا أصابَهُم الشُّؤْمُ من قِبَلِهِ، و«بها» يريد بالعَذْوة، وهذا تفسير قوله «فلم تَنْجُ منها يا ابنَ وبرةَ سالمًا» أي: أوقعتم لعدوته الشُّؤْمَ في حَيَّيْ عبس وذبيان، وأخرج أبوك يعني قيس بن زهير إلى بلاد العجم، حتى صار يواليهم إلى أن مات.

٥ - وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً   فَطِرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الجَمَاجِمَا

أي: وكانت بنو ذبيان لكم يا بني عبس مَلاَذًا وعزًّا لما يجمعكم وإياهم من الأُخوّة فتسرّعتم إلى القطيعة.

٦ - فَأَضْحَتْ زُهَيْرٌ في السِّنِينَ الَّتِي مَضَتْ   وَمَا بَعْدُ لاَ يُدْعَوْنَ إلاَّ الأَشَائِمَا

أَنَّثَ الفعلَ لأنه أراد بذكر زهير القبيلة بأسْرِها، ومعنى «يُدْعَوْنَ» يُسَمّونَ، كما قال ابن أحمر: [البسيط]

وَكُنْتُ أدْعُو قَذَاهَا الإِثْمِدَ القَرِدَا[1]

يريد أُسَمِّي، ولذلك تَعَدَّى إلى مفعولين، والأشائم: جمع أَشْأَم، وقوله: «في السّنين» يجوز أن يكون ظرفًا لقوله «لا يُدعَون» وقوله «وما بعد» يُراد به فيما بعد، فيكون «ما» معطوفًا على السنين، ويجوز أن يكون موضع «ما» نصبًا على أن يكون معطوفًا على موضع في السنين، لا على لفظه، لأنَّ موضعه نصب لكونه ظرفًا، ويجوز أن تكون «ما» صلة، كأنه في السنين الماضية وبعدها، ويجوز أنْ يُرْوَى «وَمِنْ بَعْدُ لاَ يُدْعَوْنَ» وهو حسن، قال المرزوقي: وذكر بعضهم أن «ما» من قوله «وما بعد» لا يجوز أن تكون إلاَّ صلةً وزائدةً، لأن بعد لمَّا جُعِلَ غايةً ودخلَهُ النُّقصانُ بحذفِ ما كان مضافًا إليه امتنع من أن يكون مبنيًّا على شيء وخبرًا عنه، وإذا امتنعَ من ذلك امتنع من أن يكون صلة الموصول؛ لأن الذي يكون من صلة الظّروف والجُمَل هو ما جاز أن يكون خبر المبتدأ، وليس الأمر على ما قاله، ألاَ ترى أنَّ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾[2] معناه ومن قبل الذي فرَّطتم

(١) البيت لابن أحمر في ديوانه ص ٤٩؛ ولسان العرب (دعا وهوا)؛ وجمهرة اللغة ص ١٦٤؛ والمخصص ٩/٩٨؛ وتهذيب اللغة ٣/١٢٤؛ والمذكر والمؤنث للأنباري ص ٢٥٨، وصدره: «أهدى لها مِشْقَصًا جَشْرًا فَشَبْرَقَها».

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٧٩ و٨٠.

في يوسف: أي قدَّمتم، ويجوز أن يُرَادَ ومن قبل تفريطكم، فيكون «ما» مع الفعل في تقدير مصدر، وعلى الوجهين جميعًا «ما» في موضع رفع، و«من قبل» خبره، وذكر أبو إسحٰق الزجّاج في «ما» من الآية ثلاثة أوجه: ما ذكرناه أحدها، وإذا كان الأمر على هذا فما ذكر هذا القائل غير صحيح؛ لأني قد أريتكه، أعني بعد وهو غاية؛ خبرًا، وكونه صلة تابع لكونه خبرًا فاعلمه، هذا رَدُّ المرزوقي على ابن جنّي، وقد أنْحَى عليه ولم يُنْصِفْهُ بقوله «وما ذكر هذا القائل غير صحيح» لأنَّ الذي ذهب إليه ابن جني أحسن من الَّذي ذهب إليه المرزوقي، وأما قوله: «وذكر الزّجّاج في «ما» من الآية ثلاثة أوجه ما ذكرناه أحدها» فهو كما ذكره؛ غير أنَّ الذي ذكره ابن جني هو أجود الوجوه الثلاثة التي ذكرها الزجّاج، وكتابه يدلُّ عليه، وغير الزجّاج من النحويين ذكر في الآية الوجه الذي ذكره المرزوقي وقال: فيه قبح للتفرقة بين حرف العطف والمعطوف بمَن قبل، ثم قال: وهو عند الكوفيين حسن؛ وليس للمرزوقي أن يتركَ المختار من قول البصريين ويعدل إلى قول الكوفيين ردًّا على ابن جني رحمه اللَّه.

[١٥٦] وقال المُسَاور بن هند بن زهير:

١ - أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ ... وَفَقَدْتُ أَتْرَابِي فَأَيْنَ المَغْبَرُ

الأول من الكامل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

أكثر ما يُستَعْمَل الأتْرَاب في النساء، يقال: هذه تِرْبُ فلانة، إذا كانت على سِنِّها، وربما اسْتُعْمِلَ ذلك في الرجال، وأكثر الناس ينشد «وفقدتُ أصحابي» وَمُتَقَفَّر: متتبع، من قولك: قَفَرْتُ الشَّيء وَتَقَفَّرْتُهُ، إذا تَتَبَّعْتَهُ، ويقال: غَبَرَ إذا مَضَى وإذا بَقِيَ، والمَغْبَرُ هٰهنا بمعنى البقاء.

٢ - وَأَرَى الغَوَانِيَ بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي ... أَعْرَضْنَ ثَمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ

الغواني: جمع غانية، وهي التي تستغني بزوجِها عن الرِّجال، وقيل: هي التي تَغْنَى بمحاسِنها عن التَّزَيُّنِ بالحِليّ، وقال أبو عبيدة: هي المتزوّجة، وأنشد لجميل: [الطويل]

حَبَبْتُ الأَيَامَى إذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ ... فَلَمَّا تَغَنَّتْ أَعْلَقَتْنِي الغَوَانِيَا

وقال آخر: [البسيط]

أَزْمَانَ لَيْلَى كَعَابٌ غَيْرُ غَانِيَةٍ(١)

وقوله «أَوْجَهْنَني» أي: كنتُ ذَا جاهٍ عندهم، ومنه «أَوْجَهَ السُّلطانُ فلانًا» إذا جعله

(١) البيت منسوب لنصيب في اللسان (غنا) وعجزه: «وأنت أمرد معروف لك العزل».

وَجْهًا، و«شيخ» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، والتاء في «ثُمَّتَ» علامة التأنيث للقصة، وجعلت مفتوحة فرقًا بينها وبين التي تلحق الاسم والفعل.

٣ ـ وَرَأَيْنَ رَأْسِيَ صَارَ وَجْهًا كُلُّهُ إلاَّ قَفَايَ وَلِحْيَةً ما تُضْفَرُ

قوله «صار وجهًا كلّه» ارتفع كلّه على أنه توكيد للمضمر في صار، أو على أنه اسم صار، أو على أنه يرتفع بفعله، وفعله ما دلَّ عليه قوله وجهًا، كأنَّ المُرَادَ تَوَجَّه كلّه، ويكون كقولك: رأيتُ زيدًا قَيْسِيًّا أبوه: أي تَقَيَّس، ومَرَرْتُ بسرجٍ خَزٌّ صُفَّتُهُ، يقول: انحسرَ الشَّعْرُ عن رأسي حتى صارَ كلّه كوجهي، إلاَّ قفاي فإنَّ به نُبَذًا من الشّعر، وإلاَّ لحية لا تُقام مقام الذؤابة في الضّفر والتّجمّل فقوله «ولحيةٌ ما تُضْفَرُ» تَحَسُّرٌ على ما عَدِمَ في رأسِه من الضّفائرِ، وإن كانت اللِّحية لم يُعْتَدْ ضَفْرُها.

٤ ـ وَرَأَيْنَ شَيْخًا قَدْ تَحَنَّى ظَهْرُهُ يَمْشِي فَيَقْعَسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ

يَقْعَسُ: أي يرفعُ رأسَهُ إلى السَّماءِ من يبسِ عنقه وتَشَنُّجِ أخادعه وعلابيه، والكبيرُ يَيْبَسُ عنقه إلى فوق أو إلى أسفل، ويُروَى «يُقْعَسُ» أي: يضطرِبُ، ومنه تَقَعْوَشَتِ الخيمة إذا سَقَطَتْ، والقَعَسُ: ضدّ الحَدَب، وروى أبو هلال «يمشي فَيَقْعُسُ» بضمّ العين، قال: وهو أن يمشي مِشْيَةَ القُعْسَان كما تقول: عَرَجَ يَعْرُجُ، إذا مَشَى مِشْيَةَ العُرجَانِ، وكان الواجبُ أن يقولَ «أو يعثرُ فيكبّ» لأنَّ العثار قبل السّقوط للوجه، لكنه لم يبالِ بتغيير الترتيب لأَمْنِهِ من الالتباس، وهذا دون ما يجيء في كلامهم من القلب، مثل قوله: [المديد]

كما أسلمت وحشية وَهَقَا[1]

ويقال: قَعِسَ يَقْعَسُ قَعَسًا إذا صار أَقْعَسَ خلقةً، وَقَعَسَ يَقْعُسُ، إذا تكلَّفَ مشية القُعْسَان.

٥ ـ لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً عَمْيَاءَ تُوقَدُ نارُهَا وَتُسَعَّرُ

هَرُّوهَا: أي كرهوها، والفتنة العمياء: التي لا يُهْتَدَى فيها لوجهِ أمرٍ، وجواب لمّا منتظر، وهو هٰهنا محذوف يدلُّ عليه الكلام، كأنه قال: انقبضنا عن النهوض فيها والحراك لِنَنْظُرَ ماذا يكون، وإنَّما قَدَّمَ ما اقْتَصَّهُ من ضعفه وكبره لِيُرِيَ العُذْرَ فيما يعجزُ عنه من النّهوضِ في الفتنة التي ذكرها.

٦ ـ وَتَشَبَّعُوا شُعَبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ فِيهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ

---

(١) هذا جزء من بيت بلا نسبة في المحتسب ١١٨/٢ وتمامه:

أسلموها في دِمَشْقَ كما أسلَمَتْ وَحشيّةٌ وَهَقَا

«أمير المؤمنين» لفظة معروفة لِلإضافة المعتادة في هذه اللّفظة المألوفة على الحدِّ الذي ترى، ولكن التنوين منوي، وإذا كان كذلك فهي في حكم النكرات، وإنما ساغ ذلك لأن قوله «أميرٌ» يُشَارُ به إلى الحال: أي فيها أميرٌ على المؤمنين، واسم الفاعل إذا أُريد به الحال أو الاستقبال كان إضافته على وجه التخصيص لا على وجه التعريف، ويصير التنوين الذي هو الأصل منويًا فيه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[1] و﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[2] وهذا البيت بما فيه منعطف على قوله «هَرُّوا فِتنةً».

٧ ـ وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إنْ هِيَ أعْرَضَتْ ... أنَّا لَنَا الشَّيْخُ الأغَرُّ الأكْبَرُ

يقول على وجه التَّوَعُّد: لَتَعْلَمَنَّ هذه القبيلة إنْ تَوَجَّهَتْ نحونا أنّا لنا هذا الرئيس المشهور الشَّأن، ويقال: عَنَى به زُهَيْرَ بن جذيمة العبسيّ، وقيل: هو قبل زهير، ويُرْوَى «إنْ هي أدبرت» والمعنى إنْ وَلَّتْ وأعرضَتْ فإنّها ستعلم أنَّا نكتفي من دونهم، ويجوز أن يكون المراد بأدبرَتْ: تركت الحقَّ، وجواب «إنْ» في قوله «ولتعلمنّ ذبيان».

٨ ـ وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدْقَةٌ ... زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أزْوَرُ

رُدَيْنَة: امرأة السَّمْهَرِيّ، وكان صاحبَ قَنًا يبيعه، فإذا غابَ باعَتْ ردينةُ مكانَه، وكانا يُثَقِّفَان الرِّمَاحَ، فالرُّدَيْنِيَّةُ: منسوبةٌ إلى رُدَيْنة، والسَّمْهَرِيَّةُ: منسوبةٌ إلى سَمْهَر، والصَّدْقُ: الصُّلْبُ، ومنه قيل لِلصَّدق: صدق؛ لأنَّ له قوةً ليست للكذبِ، ونظر إليه نظرة صَدْقَة: أي صُلْبَةٌ، وَصَدَقوهم القتالَ: صَلُبُوا فيه واشتدّوا، وتمرٌ صادقُ الحلاوةِ: شَديدُها، والأَزْوَرُ: أصله المائل، يعني أنها لا تستقيمُ وحامِلُها أيضًا لا يستقيمُ، والمعنى: إنَّ مَنْ أرادَ تقويمنا لم نَتَقَوَّمْ له، ويجوز أن يكون المراد أنَّ قناتهم مائلة لِلطَّعْنِ وصاحبها مائل ليطعنَ بها الأعداء، ولم يَرْضَ ذكر القناة وما جرت به العادة من وَصْفِ صلابتها واعوجاجها عند الطَّعن بها حتى عقبها بقوله: «حامِلُها كذلك أزور» وإنَّما أراد التأكيد والمبالغة وتبيين قوة الامتناع على مَن يطلب اقتسارهم، وارتفع «حاملها» بالابتداء، وقد أخبر عنه بخبرين: كذلك، وأزور، وقوله «كذلك» إذا وقع هذا الموقع لا يغيّر بل يكون للمذكّر والمؤنّث على حالة واحدة، وأنشد أبو زيد: [البسيط]

أمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلَى فَرَسٍ ... وَلاَ كَذا رَجُلاً إلاَّ بِأصْحَابِ[3]

والمعنى ولا كما أنا السَّاعةَ رَجُلاً.

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤. (٢) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٣) ذكره أبو زيد في نوادره ص ٥ ونسبه إلى حييّ بن وائل.

[١٥٧] **وقال عُرْوَة بن الوَرْد العَبْسِيّ:**

العروة للمرود والجوالق وغيرهما، والعروة أيضًا: القطعة الجيدة من الكلأ وجمعها عُرًا، وأنشد أبو زيد: [الكامل]

خَلَعَ المُلوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِه   شَجَرُ العُرَا وَعُرَاعِرُ الأَقْوَامِ(١)

قال أبو الفتح: قال أبو بكر: هو جمع عرعرة، وهي أعلى الجبل، فقلت لأبي عليّ: كيف يكون جمعًا وهو مضموم الأول؟ فقال: يكون اسمًا للجمع بمنزلة الجامل والباقر والسَّفْر والرَّكب. والوَرْدُ: الفرس يَضْرب إلى الحمرة، وكذلك الأسد، قال: [الطويل]

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ   وَيَا ابْنَةَ ذِي الجَدَّيْنِ وَالفَرَسِ الوَرْدِ

وما أحسن ماجاء به الطائيّ في قوله: [الطويل]

أَرُدُّ يَدِي عَنْ عِرْضِ حُرٍّ وَمَنْطِقِي   وَأَمْلَؤُهَا مِن لِبْدَةِ الأَسَدِ الوَرْدِ

وجمع وَرْدٍ وُرْدٌ، وهو صفة، ويقال في مؤنثه وَرْدة، قال اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾(٢) ومثل وَرْد وَوُرْد في تكسير فَعْل على فُعْل كَثّ وَكُثّ وَثَطّ وثُطّ وَسَهْم حَشْرٌ وَحُشْر، ومثله من الأسماء سَقْف وَسُقْف ورَهْن ورُهْن.

١ ـ قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الكَنِيفِ تَرَوَّحُوا   عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَمَا وَانَ رُزَّحِ

الثاني من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متدارك.

تقدير البيت: قلتُ لِقوم رُزَّح عَشِيَّةَ بِتْنَا عندَما وانَ في الكنيف تَرَوَّحُوا؛ يقال: رَزَح البعيرُ رُزُوحًا؛ إذا أعيا، وإبِلٌ رَزْحَى، وقومٌ رِزَاحٌ: أي مهازيل ساقطون، والكنيف: الحظيرة من الشجر.

٢ ـ تَنَالُوا الغِنَى أوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ   إلَى مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ

قوله «تناولوا الغِنَى» جواب الأمر من البيت الأول، وهو «تَرَوَّحوا» وقوله «مستراح» الفعل إذا بلغ الأربعة فما زاد استوى فيه لفظ المصدر والمفعول واسم الزَّمان والمكان، فقوله مستراح يحتمل ذلك كلّه، فإذا حملته على المصدر فالمعنى إلى استراحة يأتي بها الحِمام، وإذا حُمِلَ على معنى المكان فكأنّه قال: إلى مكان تستريحون فيه، وذلك المكان هو القبر، وإذا حُمِلَ على الزَّمان فالمعنى إلى وقتٍ تستريحون فيه، وإذا جُعِلَ

---

(١) البيت في تاج العروس (عرر) ونسبه إلى مهلهل، ونسبه ابن بري لشرحبيل بن مالك يمدح معديكرب بن عكب.

(٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٣٧.

مُستراحًا مفعولاً فهو من قولهم: استراح الشَّيءَ، واسْتَرْوَحَه؛ إذا وجد رائحته كما يستروحُ الذِّئبُ.

٣ - وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا ... مِنَ المَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

أي: مَنْ يَكُ مثلي مُعِيلاً مُقترًا من المال يَطْرَحْ نفسه في كلِّ بلاء ومشقّة.

٤ - لِيَبْلُغَ عُذْرًا أوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

ويُرْوَى «غنيمة» أي: يَطْرَحْ نفسَه في كلِّ بلاءٍ لينال مالاً أو ليقيمَ لنفسِه عذرًا فلا يُنْسَبُ إلى الكسلِ والجُبْنِ، ومَنْ أبلغَ نفسَهُ ما فيه العذر كمن غنمَ.

قال أبو رياش: كان سبب هذه الأبيات أنَّ مَعَدًّا تتابَعَتْ عليها سَنَوَات فجهد النَّاس إليها جهدًا شديدًا، وكانت غطفان من أحسن مَعَدّ فيها حالاً، وكان في بعض تلك السنين عُرْوَة بن الوَرْد بن بحابس[1] بن زيد بن عبد اللَّه بن ناشب بن سفيان بن هَرِم بن عوف[2] بن غالب بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ، وكنيته أبو نَجْدَة، ويُعْرَفُ بعُرْوَةِ الصَّعَاليك؛ غائبًا فرجع مخفقًا وقد أهلكَ إبله وخيله وجاء إلى قومه بحال شديدة، فإذا فَخِذ عروة: أي قومه قُصْرَةً، قد حظروا عليهم كنيفًا لمّا أعوزتهم المكاسب، وقالوا: نَمُوتُ فيها جوعًا خيرٌ من أن تأكلنا الذئاب، فأتاهم عروة فنزعَ عنهم كنيفهم، وقال لهم: اخرجوا وهذه قَلُوصي فقدِّدوا لحمها واحملوا أسلحتكم على هذه القَلوص حتى أُصيب لكم ما تعيشون به أو أموت، فخرج مُتَيَامِنًا عن المدينة يريد أرضَ قُضَاعة وقصد بَلْقَيْن، فمرَّ بمالك بن حمار بن مُخَاشن بن لأي بن شَمْخ بن فزارة، وقد أنفد ما معه، فقال له مالك: وَيْحَكَ!! أين تنطلقُ بفتيانك هؤلاء تهلكهم ضيعة؟ قال: إن الضيْعَة ما تأمرني به، دعني ألتمسُ معاشًا لي ولقومي أو أموت فالموت خير من الهزل، فقال له مالك: إن أطعتني رجعت على حَرْسيْن، وهما جبلان في أرض بني فزارة، فقال عروة: كيف أصنع بمَن كنت عَوَّدْته إذا جاءني وعَرَاني؟ فقال: يعذركَ إذا لم يكن عندك شيء، فقال: ولكنني لا أعذر نفسي بترك الطلب، فقال هذه الأبيات، وهي أكثر منها، فأعطاه مالك بعيرًا فقسمه بين أصحابه، وسار حتى أتى أرض بني القين، وهم بأرض التّيه، فهبط أرضًا ذات لَخَاقيق فيها ماء، فرأى آثارًا فقال: هذه آثار مَنْ يَرِدُ الماء، فاكمنوا فأحْرِ أن يكون قد جاءكم رزق في أرض بني القين، وتلك عُرًا من الشجر العِظام إذا أجدب النَّاسُ رَعوها، فعاشوا فيها، فأقاموا يومًا، ثم ورد عليهم فَصِيل، فقالوا: دعنا فلنأخذ هذا

---

(١) كذا في الأصل، وفي الأغاني ٣/ ٧٣: ابن عَمْرو بن زيد.

(٢) في الأغاني ٣/ ٧٣ (ابن ناشب بن هريم بن لُدَيْم بن عوذ بن غالب).

الفصيل فنأكل منه فنعيش به أيامًا؛ فقال: إنكم إذًا تنفروا أهله إنْ هَمُّوا برعي هذا الشجر، وإن بعد هذا الفصيل إبلاً؛ فتركوه، فندمَ قومُ عروة، فجعلوا يلومونه؛ فوردت الإبل بعد خَمْس، فوردت منها مائة معها فُصْلاَنها فيها فارس معه سلاحه وظعينته، فلما وردت الإبل خرج إليه عروة فرماه بسهم في مرجع كتفيه فأخرجه من ثَنْدُوَتِه؛ واستاق الإبل والظَّعينة حتَّى أتى قومه فأحياهم، وقال في ذلك: [الطويل]

أَلَيْسَ وَرَائِي أَنْ أدِبَّ على العَصَا ... فَيَأْمَنَ أعْدائِي وَيَسْأَمَني أَهْلي[١]
رَهِينَةَ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُلاَعِبُنِي الوِلْدَانُ أهْدِجُ كَالرَّأْلِ[٢]
أقِيمُوا بَنِي لُبْنَى صُدورَ رِكابِكُمْ ... فَإنَّ مَنَايَا القَوْمِ شَرٌّ مِنْ الهَزْلِ[٣]

قولهم في اسم المرأة لبنى ولُبَيْنَى مأخوذٌ من اللّبنى، وهو ضربٌ من الطِّيبِ يقال هو الميعة، وفي الحديث «إن لِلشَّيطانِ بنتًا يُقَالُ لها لُبَيْنَى».

فإنَّكُمُ لَنْ تَبْلُغُوا كُلَّ هِمَّتِي ... وَلاَ أَرَبِي حَتَّى تَرَوْا مَنْبِتَ النَّخْلِ[٤]

يثرب، ومَنْبِتُ الأثل: بلاد بني القين.

فَلَوْ كُنْتُ مَثْلُوجَ الفُؤَادِ إذَا بَدَتْ ... بِلاَدُ الأَعَادِي لاَ أُمِرُّ وَلاَ أُحْلِي
رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ إذْ قَالَ مَالِكٌ ... هَلَكْتَ وَهَلْ يُلْحَى عَلَى بِغْيَةٍ مِثْلِي
لَعَلَّ انْطِلاَقِي فِي البِلاَدِ وَرِحْلَتِي ... وَشَدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّةِ بالرَّحْلِ[٥]
سَيَدْفَعُني يَوْمًا إلَى رَبِّ هَجْمَةٍ ... يُدَافِعُ عَنْهَا بالعُقُوق وبِالبُخْلِ
قَلِيلٌ تَوالِيهَا وَطَالِبُ وِتْرِهَا ... إذَا صِحْتُ فِيهَا بالفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ
إذَا مَا هَبَطْنَا مَنْهَلاً في تَنُوفَةٍ ... بَعَثْنَا رَبِيبًا فِي المَرَابِىء كالجِذْلِ
يُقَلِّبُ فِي الأَرْضِ الفَضَاءِ بِطَرْفِهِ ... وَهُنَّ مُنَاخَاتٌ وَمِرجَلُنَا تَغْلي

وكان عُروة إذا أصابت الناسَ السَّنَةُ وتركوا المريض والضعيف والكبير في ديارهم يجمع أشباه هؤلاء من عشيرته ثم يحفر الأبيات ويكنف الكُنُفَ ويكسبهم ويكسوهم، فإذا

---

(١) في الأغاني: «فيشمتَ أعدائي».
(٢) في الأغاني: «يُطيفُ بي الولدانُ أهْدَجَ»، وأهْدَج: وصفٌ من الهَدْج أو الهَدَجان، وهو اضطراب المشي من الكبر، ولهذا سمّوا مشية الشيخ هدجانًا. والرّأل: ولد النعام أو حوليه وشُبِّه به الشيخ في مشيته لأن في مشيه ارتعاشًا.
(٣) في الأغاني: «فكلّ منايا النَّفْسِ خيرٌ من الهَزْلِ».
(٤) في الأغاني: «منبتَ الأثلِ» ومنبت النخل: بيثرب.
(٥) في الأغاني «ارتيادي في البلاد وحيلتي».

قَوِيَ منهم واحدٌ خرجَ به معه فأغار وكسب أصحابه الباقين، حتى إذا أخصبَ النَّاسُ وألبنوا وذهبت السَّنَةُ لحق كلّ إنسان بأهله، وقسمَ لكل إنسان نصيبه من الغنم، إن كانوا قد غنموا، فربما عاد أحدهم غنيًا، فبذلك سُمِّيَ عُرْوَةَ الصَّعاليك، وكان صعلوكًا فقيرًا مثلهم، وأما أَشْيَمُ بن شراحيل بن عبد رُضَا بن عوف بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة فسُمِّيَ مأوى الصعاليك لأنه كان يَعُولهم ويفضل عليهم حتى يستغنوا.

وذُكِرَ أن عروة كان مع قوم من عشيرته في شتاء شديد قد سعى عليهم شتاءَه كلّه وكَنَّفَ عليهم، وكان أول ما أصاب لهم ناقتان دَهْمَاوَانِ فنحر إحداهما وجعل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى، فجعل يَتَنَقَّلُ بهم من مكان إلى مكان، وكان ما بين النَّقْدَة[1] والرَّبَذَة[2] ماء يقال له مَاوَان نزل بهم عليه، ثم إنَّ اللَّه قَيَّضَ له رجلاً صاحب مائة من الإبل قد فَرَّ بها من عقوق أهله، وذلك أول ما ألبنَ النّاس واحتلبوا؛ فقتله وأخذ إبلَه وامرأتَه، وكانت حسناء، فأتى بالإبل الكنيفَ فجعل يحلبُها ثم يحملهم عليها، حتى إذا دَنَوْا من بلادِهم وعشائرِهم أقبلَ يَقْسِمُهَا فيهم، وأخذ مثل نصيب أحدهم، واستخلصَ المرأةَ لنفسِه، فقالوا: لا واللاّتِ لا نَرْضَى حتى تجعل المرأة نصيبًا، فمَن شاء أخذها من سهمه، فجعل يهمّ أن يحمل عليهم ليقتلهم وينتزع ما معهم ثم يتذكّر صنيعه بهم وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع، ففكّر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يردّ عليهم الإبل إلاّ راحلة يحمل عليها امرأته حتى يلحقَ بأهله، فأبوا إلا أن يجعل الراحلة لهم، فانتدبَ رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه، وأفقرها عروة: أي منحَهُ إيّاها منيحة إذا استغنى عنها رَدَّها، فقال عروة يذكر ذلك: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ أَصْحَابَ الكَنِيفِ وَجَدْتُهُمْ ... كَمَا النَّاسِ لَمَّا أَخْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا[3]

وَإِنِّي لَمَدْفُوعٌ إِلَيَّ وَلاَؤُهُمْ ... بِمَاوَانَ إِذْ نَمْشِي وَإِذْ نَتَمَلْمَلُ

وَإِذْ مَا يُرِيحُ النَّاسُ صَرْمَاءُ جَوْنَةً ... يَنُوسُ عَلَيْهَا رَحْلُهَا مَا يُحَوَّلُ

صَرْمَاء جَوْنة: قِدْرٌ سوداء يُطْبَخُ فيها كلّ عَشِيَّة ما تفترُ، وشَبَّهَ القِدر بالنّاقة المصرمة التي قد انقطعت أخلافها.

مُوَقَّعَةُ الصَّفْحَيْنِ حَدْبَاءُ شَارِفٌ ... تُقَيَّدُ أَحْيَانًا لَدَيْهِمْ وَتُرْحَلُ

---

(١) نَقْدَة: اسم موضع في ديار بني عامر (معجم البلدان ٥/ ٢٩٨)؛ وفي الأغاني: «النَّقِرَة» وهي من منازل حاجّ الكوفة بين أُضاخ وماوان (معجم البلدان ٥/ ٢٩٩).

(٢) الرَّبَذَة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عِرق على طريق الحجاز (معجم البلدان ٣/ ٢٤).

(٣) في الأغاني (٣/ ٨٠): «أمرعوا» بدل «أخصبوا».

لَدَيْهَا مِنَ الوِلدَانِ مَا قَدْ رَأَيْتُمُ وَتَمْشِي بِجَنْبَيْهَا أَرَامِلُ عُيَّلُ
وَقُلْتُ لَهَا يَا أُمّ بَيْضَاء فِتْيَةٌ طَعَامُهُمْ مِنْ ذِي قُدُورٍ مُعَجَّلُ
بَضِيعٍ مِنَ النِّيبِ السِّمَانِ وَمُسْخنٍ مِنَ المَاءِ نَغْلُوه بِآخَرَ مِنْ عَلُ
وَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَذِي الأُمِّ أَرْهَنَتْ لَهُ مَاءَ عَيْنَيْهَا تُفَدِّي وَتُجْمِلُ

أرهنت: أي أدامت، وهذا مثل تقول المرأة لولدها ربّيتك ماء عيني فضلاً عن كلّ شيء.

فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبَابَهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى جَدِيدٌ تَكَحَّلُ
فَبَاتَتْ بِحَدِّ المِرْفَقَيْنِ مُكِبَّةً تُوَخْوِحُ مِمَّا نَابَهَا وَتُوَلْوِلُ
تَخَيَّرُ مِنْ أَمْرَيْنِ لَيْسَا بِغِبْطَةٍ هُوَ الثُّكْلُ إلاَّ أَنَّهَا قَدْ تَجَمَّلُ

أي: تتخيّر ما تريد أن تصنع ثم ترجع فتقول: هو ولدي وما أصنع به.

كَلَيْلَة شَيْبَاءَ الَّتِي لَسْتُ نَاسِيًا وَلَيْلَتِنَا إذْ مَنَّ مَا مَنَّ قَرْمَلُ

ليلة شيباء هي الدَّاهية، كأنه وقع فيها فنجا منها على ظهر فرس يقال له قرمل.

أقُولُ لَهُ يَا مَالِ إنك هَابِلٌ مَتَى حُبست على أفيح فَتُعْقَلُ
بِدَيْمُومَةٍ مَا إنْ تَكَادُ تَرَى لَهَا مِنَ الظَّمأ الكومُ الجِلادُ تَنَوَّلُ
تَنَكَّرُ آيَاتُ البِلاَدِ لِمَالِكٍ وَأَيْقَنَ أنْ لاَ شَيءَ فِيمَا يُقَوَّلُ

[١٥٨] وقال أبو الأبيض العَبْسيّ:

قال أبو هلال: وكان في أيام هشام بن عبد الملك، وخرج مجاهدًا في بعض الوجوه، فرأى في المنام كأنّه أكل تمرًا وزبدًا ودخل الجنة، فلما كان من الغد أكل تمرًا وزبدًا وتقدَّمَ فقاتل حتّى قُتِلَ.

١ ـ ألاَ لَيتَ شِعْرِي هَلْ يَقُولَنْ فَوَارِسٌ وقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَومَ ذاك قُفُولُ

الثالث من الطويل، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

قوله «ألا ليتَ شِعري» شِعري اسم ليت، وخبره مُضْمَرٌ اسْتُغْنِيَ عنه بمفعول شِعْرِي، وليت شِعْرِي: لا يَجِيءُ إلاَّ هكذا، كما أن لولا يجيء أبدًا محذوف خبر الابتداء الذي بعده، وقد استُغْنِيَ عنه بجوابه، وذلك قولك: لولا عبد اللّه لفعلت، وقوله «هل يقولن فوارس» سَدَّ مسدَّ مفعول شِعري، ومعنى الكلام ليتَ عِلمي واقعٌ هل يقع هذا القول من الفرسانِ في تلك الحالة، ومفعول يَقُولَنْ: أول البيت الثاني، وهو قوله «تركنا» وقوله «وقد حان منهم يوم ذلك قفول» موضعه نصب على الحال، ويوم ذاك إشارة إلى ملاقاة الأعداء.

٢ ـ تَرَكْنَا ولَمْ نُجْنِنْ مِنَ الطَّيرِ لَحْمَهُ ... أَبَا الأَبَيْضِ العَبْسِيَّ وَهْوَ قَتِيلُ

موضع «ولم نجنن من الطير لحمه» منصوب على الحال، فإنْ قيل: هل تُقَدِّرُ في الكلام بعد الاستفهام شيئًا لأنك إذا استفهمت عن شيء كان ما تستفهم عنه وخلافه سواء عندك وإلاّ لم تكن مستفهمًا؟ قلت: لا بدَّ من التقدير؛ ولولا ذلك لامتنعَ الاستفهام، فإن قيل: فما المقدَّر بعد الاستفهام هنا من حرفي العطب «أم» أو «أو»؟ وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدّر؟ قلت: المعنى على «أو» بدلالة أنه يُجَابُ مثل هذا الكلام بنعم أو لا، إذ كان المعنى على ليتني علمت هل يقع ذلك منهم، فأمّا تقدير أم وهي عاطفة فلا يصحُّ في مثل هذا الموضع.

٣ ـ وَذِي أَمَلٍ يَرجُو تُرَاثِي وَإِنَّ مَا ... يَصِيرُ لَهُ مِنِّي غَدًا لَقَلِيلُ

أي ورُبَّ كلّ ذي أمل، و«ما» يُكْتَبُ مفصولاً لأنه بمعنى الذي.

٤ ـ وَمَا لِيَ مَالٌ غَيرُ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ ... وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ صَقِيلُ

٥ ـ وَأَسْمَرُ خَطِّيُّ القَنَاةِ مُثَقَّفٌ ... وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

٦ ـ أَقِيهِ بِنَفْسِي في الحُرُوبِ وَأَتَّقِي ... بِهَادِيهِ إِنِّي لِلْخَلِيلِ وَصُولُ

يقول: أحفظُ مَقَاتِلَ فرسي بفخذي ورجلي وأتَّقِي مِمَّا يأتيني بعنقه، ثم قال «إنّي للخليل وَصُولُ» أي: لا أخْذُلُهُ في الشَّدائد ولا أنتفعُ به إلاّ وأنْفَعُهُ.

[١٥٩] وقال قيس بن زهير في بني زياد الربيع وعُمَارة وأنس، وكان يقال لهم الكَمَلة:

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ... ذِمَارَ أَبِيهِمْ فِيمَنْ يُضِيعُ

الأول من الوافر مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

يعني بني زياد العبسيين الكَمَلَة وأُمّهم فاطمة بنت الخُرْشُبّ الأنمارية، وهي إحدى المُنْجِبَات، وقِيلَ لها: أيّ بنيك أفضل؟ فقالت: ربيع الواقعة، بل عمارة الواهب، بل قيس الحافظ، بل أنس الفوارس، ثَكِلْتُهُمْ إن كنت أدري أيّهم أفضل، وكان رأتْ في منامِها كَأنَّ قائلاً قال لها عَشَرةٌ هَذَرَةٌ أحَبُّ إليك أم ثلاثة كعشرة؟ فلما انتبهت قَصَّتْ رؤياها على زوجها، فقال: إن عادوك فقولي له ثلاثة كعشرة، فرجعت إلى المنام ورأت مثل ما رأتْ من قبل، فجعلت في الجواب بل ثلاثة كعشرة، فولدت بنين ثلاثة صار كلٌّ منهم أبا قبيلة، وهم: رَبيع، وعُمَارَةُ، وأنَسٌ، وكما جعلَ الأمَّ جنيّة لخروجها فيما أتت به عن المعتاد من الإنس جعل الأولاد سيوفًا في قوله:

٢ ـ بَنُو جِنِّيَّةٍ وَلَدَتْ سُيُوفًا ... صَوَارِمَ كُلُّهَا ذَكَرٌ صَنِيعُ

أي: مصنوع بين الحديد اللّيّن والفولاذ، ويُروَى بنو «حِنِّيَّةٍ» الحِنّ: قبيلة من الجن، وبنو حُنٍّ: حَيٌّ من قُضَاعَةَ وهو حُنّ بن دَرَّاج من أخوال قصيّ بن كلاب.

٣ - شَـرَى وُدِّي وَشُـكْـرِي مِـنْ بَـعِـيـدِ لآخِـرِ غَـالِـبٍ أَبـدًا رَبِـيـعُ

يقال: شَرَيْتُ الشَّيء، بمعنى اشتريته وبعته جميعًا، وكذلك بعتُ يصلح للأمرين، ومن شَرَيْتُ الشَّرْوَى، وهو المِثْلُ، لكن لامه وهو ياء قُلِبَتْ واوًا لأنَّ فَعْلَى إذا كان اسمًا ولامه ياء يُفْعَلُ به ذلك فرقًا بين الاسم والصّفة، وعلى هذا قولهم الفَتْوَى، يقول: اشترى ربيعُ الحفاظِ على بُعده مني وُدِّي له وثنائي عليه وعلى آخر رجل يبقى من بني غالب أبدًا، وقوله «من بعيد» في موضع الحال، واللاّم في «لَعَمْرُكَ» لام الابتداء، وخبر المبتدأ محذوف، كأنه قال: لَعَمْرُكَ قسمي، وإنّما شكرَ الربيعَ بن زياد لقيامه معه ونصرته إيّاه في حرب داحس، وذلك أن الربيع قد كان سَاوَم قَيْسًا على دِرْعٍ له، والربيعُ راكبٌ وقيسٌ راجلٌ، فلمّا وضعها على قَرَبُوسه ركضَ فَرَسَهُ، فمضى بها، فلما انتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أُمّه فاطمة بنت الخُرْشُبّ يريد أن يَرْتَهِنَها بِدِرعِه، فقالت: أين ضَلَّ حِلْمُكَ يا قيسُ؟ أترجو الصَّلاحَ فيما بينك وبين بني زياد وقد ذهبت بأُمهم يَمْنَةً وَيَسْرَةً وقال الناس ما شاؤوا وحَسْبُكَ من شَرٍّ سماعه، فذهبت مثلاً، وعلمَ قيسٌ أنها صدقت، فأرسلها وأغار على إبل الربيع فاستاقها، وكان هذا بينهما، فلما قتلَ حُذَيفةُ مالك بن زهير ظَنَّ قيسٌ أنَّ الربيعَ لا يقوم معه بطلب ثأر أخيه لما بينهما من الشحناء، فلما قام معه قال قيس:

شَـرَى وُدِّي وَشُـكْـرِي مِـنْ بَـعِـيـدِ

أي: كان بيني وبينه بعد فألقى العداوة وراء ظهره ونصرني للرّحم والقرابة، وغالب: من عبس، وقال أبو هلال: وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم، وكان جاور حاتم زمن الفساد بني زياد بن عبد اللّه بن عبس فأحسنوا جواره فقال فيهم هذه الأبيات.

[١٦٠] وقال هُذبَةُ بن خَشْرَم(١):

قال أبو الفتح: هي واحدة الهُذْب، وهي للثوبِ، وللأرطى هُذْب واحدته هدبة، والهُدَّاب: اسم يجمعهما جميعًا، واحدته هدابة، قال العجاج: [الرجز]

وَشَـجَـرَ الـهُـدَّابَ عَـنْـهُ فَجَفَا بِـسَـلْـهَـبَـيْـنِ فَـوْقَ أَنْـفِ أَذْلَـفَـا

والخَشْرَم: جماعة النحل، وهو أيضًا الثول والدَّبْر.

١ - إنِّـي مِـنْ قُـضَـاعَـةَ مَـنْ يَـكِـدْهَـا أَكِـدْهُ وَهْـيَ مِـنِّـي فـي أَمَـانِ

الأول من الوافر، مطلق موصول مردف، والقافية متواتر.

(١) هُدْبَة بن خَشْرَم: من بني عامر بن ثعلبة، شاعر مرتجلٌ فصيح وراوية، وكان راوية للحطيئة (ت نحو ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). (ترجمته في الأغاني ٢١/ ٢٥٧ دار الكتب العلمية؛ والشعر والشعراء ص ٢٤٩).

قوله «إني من قضاعة» لا يريد به نسبة نفسه إلى قُضَاعة فقط، بل أراد اختصاصه بهم وتعصّبه لهم، وهذا كما يقال: أنا من فلان وإلى فلان: أي ابتدائي منه وانتهائي إليه يعني أنه يهوى هَوَى قُضَاعة وضِلَعُهُ معها.

٢ ـ وَلَسْتَ بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِمْ   وَلَكِنْ مِدْرَهُ الحَرْبِ العَوَانِ

السَّفْسَاف: ما لا خيرَ فيه من الأفعال والأقوال، وفي الحديث «إن اللَّه يحبُّ معالي الأمور ويبغضُ سَفْسَافَهَا» فإنْ قِيلَ: أين عجز البيت من صدره في النظام؟ وهلاّ قالَ بعد ما نفى عن نفسه من الشعر الرَّكِيك: ولكني شاعر المتخيَّر الرَّصين؟ قلت: إنّما أراد التّنبيهَ على فَضْلِهِ فيهم وطَوْله عليهم ليدخل تحته الأمران جميعًا، والمِدْرَهُ قيل: هو السَّيد الذي يدفع به الشّرّ فينظم أمور الحرب، وقيل: إنه من دَرَهَ علينا أي طلعَ، وقيل: من دَرَأَ أي دَفَعَ، والهاء فيه بدل من الهمزة.

٣ ـ سَأَهْجُو مَنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ   وَأُعْرِضُ مِنْهُمُ عَمَّنْ هَجَانِي

قوله «من سواهم» يتعلق بمَن هجاهم، وموضعه نصب على الحال، والإعراض هنا الترك: أي أترك مَن هجاني منهم فلا أهجوه، يقول: إني أكيدُ أعداءَ قومي ولا أكيدُهم، ولستُ بالشّاعر الضَّعيفِ الكلام، لكني قيّم الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة.

خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات والذي هاج الحرب بين بني عامر بن عبد اللَّه بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هُذَيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وبين بني رَقَاشِ، وهم بنو قُرَّة بن خَشْرَم بن عبد اللَّه بن ذبيان، وهم رَهْطُ زيادة بن زيد وبنوها من رهط هُدْبة بن خَشْرَم بن كُرْز بن أبي حَيَّة بن سَلَمة الكاهن بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد اللَّه بن ذبيان؛ أن حَوْطَ بن خَشْرَم أخا هُدْبة بن خَشْرَم رَاهَنَ زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلبهما[1] على يوم وليلة من الغاية في زمن وغرة من القيظ، فتزوّدوا الماء في الأداوي والقِرَبِ، وكانت أُختُ حَوْط سَلْمى بنتُ خشرم تحت زيادة بن زيد، فمال صَغْوُها[2] مع أخيها على زوجها، فَوَهَّنَتْ[3] أوْعِيَة زيادة، ففنِيَ ماؤه قبل ماء صاحبه، ففي ذلك يقول زيادة: [الرجز]

قَدْ جَعَلَتْ نَفْسِيَ فِي أديم   مُحَرَّمِ الدِّبَاغِ ذِي هُزُومِ[4]

(١) في الأغاني ص ٢٥٩ «مُطْلَقهما» ومعناها: موضع إطلاقهما.
(٢) الصَّغْوُ: المَيْلُ.   (٣) وَهَّنَتْ: أضعفت.
(٤) الهزوم: الشقوق.

ثُـمَّ رَمَـتْ بِـي عُـرُضَ الـدَّيْـمُـومِ ... فـي بَـارِحٍ مِـنْ وَهَـجِ الـسَّـمُـومِ[1]

عِـنْـدَ اطِّـلاَعِ وَغْـرَةِ الـنُّـجُـومِ

المُحرَّمُ: الذي لم ينضجْ دباغه، والهُزُوم: الكسور.

ثمّ إن هُدْبَةَ بن خَشْرَم وزيادة خرجا في ركب من بني الحارث حُجَّاجًا، ومع هدبة أُخته فاطمة حاجَّة، فاعتقبَ القوم السَّوْق، فنزل زيادة بن زيد، فقال: [الرجز]

عُوجِـي عَلَـيْنَا وارْبَعِي يَا فَاطِمَا ... مَـا دُونَ أنْ يُـرَى الـبَـعِـيـرُ قَـائِـمَـا

يقول: سيري سيرًا ضعيفًا ولا تَقِفي لِغيركِ فيُستَراب بنا.

فَـعَـرَّجَـتْ مُـطَّـرِدًا عُـرَاهِـمَـا ... فَـعْـمًـا يَـبُـذُّ الـقُـطُـفَ الـرَّوَاسِـمَـا

العُرَاهم والعُرْهم والعُرْهُوم: القويُّ الشّديدُ، والفَعْم: الممتلىء.

كَـأَنَّ فـي الـمَـثْـنَـاة مِـنْـهُ عَـائِـمَـا ... عَـوْمَ الـسَّـفِـيـنِ تَـرْكَـبُ الـزَّمَـازِمَـا[2]

الزَّمازم: الجماعات، يقال لكلِّ مجتمع زمزوم وزمزمة، وأراد مجتمع الماء.

يَـا أَيُّـهَـا الـغَـازِي رَجَـعْـتَ سَـالِـمَـا ... مِـنَ الـغَـزَاةِ مُـسْـتَـفِـيـدًا غَـانِـمَـا

يَـا أَيُّـهـٰذَا الـلاَّئِـمِـي تَـعَـاجُـمَـا ... إنْ كُـنْـتَ بِـالـحُـبِّ طَـبِـيـبًـا عَـالِـمَـا

فـاعْـلَـمْ بَـأَنَّ الـكَـيَّ وَالـتَّـمَـائِـمَـا ... لَـنْ يَـنْـفَـعَ الـقَـلْـبَ المُـصَـابَ الـهَـائِـمَـا

وَلاَ الـلِّـقَـاءُ دُونَ أنْ تُـبَـاغِـمَـا ... خَـوْدًا كَـأَنَّ الـبُـوصَ وَالـمـآكِـمَـا

المباغمة: مثل المناغمة، وهو الكلام الضَّعيف، وإنّما أُخِذَ من بُغَام الظَّبْيَةِ والنَّاقة إذا بَغَمَتْ بغمةً ضعيفةً دونَ أن تَرْغُو، والمآكِمُ: جمع مَأْكَمة، والمأكمتان: ناحيتا العجز.

مِـنْـهَـا نَـقًـا مُـخَـالِـطًـا صَـرَائِـمَـا ... خَـيْـرٌ مِـنَ اسْـتِـقْـبَـالِـكَ الـسَّـمَـائِـمَـا

وَمِـنْ نِـدَاءٍ تَـبْـتَـغِـي مَـعَـاكِـمَـا

يريد أنه يقول: يا فلان اعكمني: أي أعِنّي على جملي.

فغضب هدبة فنزل ورجز بأُخت لزيادة في الحيّ، وقال: أُختي تسمع وأُخته غائبة وأُخت زيادة يقال لها أُم خازم:

لَـقَـدْ أرَانِـي وَالـغُـلاَمَ الـحَـازِمَـا ... نُـزْجِـي الـمـطِـيَّ ضُـمَّـرًا سَـوَاهِـمَـا

---

(١) العُـرُض: الجانب والناحية. والديموم: المفازة الواسعة. والبارح: الريح الحارة صيفًا. والسموم: الحرّ الشديد.

(٢) الشطر الثاني في الأغاني «إنَّكَ واللَّه لأنْ تُباغِما».

مَـتَـى يَـقُـودُ الـذُّبَّـلَ الـرَّوَاسِـمَـا ... وَالـجِـلَّـةَ الـنَّـاجِـيَـةَ الـعَـيَـاهِـمَـا

العيهوم: الماضي من الإبل الجريء.

إذَا بَـلَـغْـنَ عَـاسِـمًـا وَعَـاسِـمَـا ... ثُـمَّ وَرَدْنَ مُـسْـتَـحِـيـرًا قَـاتِـمَـا

وَرَجَّـعَ الـحَـادِي لَـهَـا الـهَـمَـاهِـمَـا ... أَزْجَـفْـنَ بِـالـسَّـوَالِـفِ الـجَـمَـاجِـمَـا

تَـسْـمَـعُ لِـلْـمَـرْوِ بِـهِ قَـمَـاقِـمَـا ... كَـمَـا يُـطِـنُّ الـصَّـيْـرَفُ الـدَّرَاهِـمَـا

يَـبْـلُـغْـنَ أُمَّ خَـازِمٍ وَخَـازِمَـا ... ألاَ تَـرَيْـنَ الـدَّمْـعَ مِـنِّـي سَـاجِـمَـا

حِـذَارَ دَارٍ مِـنْـك أَنْ تُـلاَئِـمَـا ... قَـدْ رُعْـتِ بِـالـبَـيْـنِ جَـلِـيـدًا حَـازِمَـا

عَـلَـى نَـجَـاةٍ تَـشْـتَـكِـي الـمَـنَـاسِـمَـا ... غَـادَرَ مِـنْـهَـا الـنَّـصُّ وَجْـهًـا سَـاهِـمَـا

تُـطَـبِّـقُ الأَخْـفَـافَ وَالـقَـوَائِـمَـا ... وَالـلَّـهِ لاَ يَـشْـفِـي الـفُـؤَادَ الـهَـائِـمَـا

تَـمْـسَـاحُـكَ الـلَّـبَّـاتِ وَالـمَـآكِـمَـا ... وَلاَ الـلِّـمَـامُ دُونَ أَنْ تُـلاَزِمَـا

وَلاَ الـلِّـزَامُ دُونَ أَنْ تُـفَـاقِـمَـا ... وَلاَ الـفِـقَـامُ دُونَ أَنْ تُـفَـاغِـمَـا

المفاغمة: استنشاق الرائحة الطيبة.

وَتَـرْكَـبُ الـقَـوَائِـمُ الـقَـوَائِـمَـا

فقال أشياخ بني الحارث: اركبا لا حَمَلَكُما اللَّه فإنّنا قومٌ حُجَّاجٌ، ودَعُونَا من هذا، ووعظوهما، فأمسكا، وقَضَوْا حَجَّهُمْ ورجعوا إلى الحيّ، فالتقى نفرٌ من بني عامر رهط هُدْبة فيهم أبو جبر وهو رأسهم الذي لا يعصونه وَخَشْرَم أبو هُدْبة وزُفَر عَمُّ هُدْبة، وهو الذي بعثَ الشّرّ، والحجّاج بن سلامة، وأبو ناشب، ونفرٌ من بني رَقاشِ رهطِ زيادة فيهم زيادة وإخوته عبد الرحمٰن ونَفَّاع وأدْرَعُ؛ بوَادٍ من أودية حرَّتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغسَّانية ـ وهو أدْرَعُ ـ وأبو جبر، وكان زُفَرُ عَمُّ هُدْبة يُعْزَى إلى رجل من بني رقاش، فقال أدْرَعُ: [الرجز]

أدّوا إلَـيْـنَـا زُفَـرَا ... نَـعْـرِفْ مِـنْـهُ الـنَّـظَـرَا

وَعَـيْـنَـهُ وَالأَثَـرَا

فغضب هدبة، وادَّعَى قومه حقًّا على بَنِي رقاش، فتداعَوْا إلى السّلطان، ثم اصطلحوا على أن يُدْفَعَ إليهم أدْرَعُ فيخلو به نَفَرٌ منهم، فما رأوا عليه أمْضَوْهُ، فلمّا خَلَوْا به ضربوه الحَدَّ ضَرْبًا مُبَرِّحًا، فراحَ بنو رقاش، وقد أضمروا الحربَ والغضَب، فقال عبد الرَّحمٰن: [الوافر]

أَلاَ أَبْـلِـغْ أَبَـا جَـبْـرٍ رَسُـولاً ... فَـمَـا بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـكُـمُ عِـتَـابُ

أَلَـمْ تَـعْـلَـمْ بِـأَنَّ الـقَـوْمَ رَاحُـوا ... عَـشِـيَّـةَ فَـارَقُـوكَ وَهُـمْ غِـضَـابُ

وَلَجَّ الشَّرُّ بينهم، فقال قوم زيادة له: اهْجُ هدبةَ وقومَهُ، فقال: إنّي لم أَبْسِطْ لساني على قومٍ قَطُّ إلاّ جهدوا على تبلي من شدّة هجائي، ولكن انطلقوا لنضربه، فخرج زيادة في رهطٍ قومه فيهم نَفَّاع يطلبون هُدْبة، فوجدوا الحيّ خُلُوفًا ووجدوا هدبة وأباه خشرما، فضربوهما بسيوفهم ضربَ قوم مبقين تخذيعًا، فأصاب خشرما شَجَّاتٌ في رأسه، ووقع بذراع هدبة حزّ كالتوقيف، وزعمَ نَفَّاع أنه لم ينزع تلك اللَّيلة حتى وَطِيءَ بقدمِه ركب ريحانة أم هدبة، فقال قائلهم: [الوافر]

شَجَجْنَا خَشْرَمًا فِي الرَّأْسِ سَبْعًا ... وَخَـذَّعْـنَـا هُـدَيْـبَـةَ إِذْ هَـجَـانَـا
كَـذَاكَ الـعَـبْـدُ إِنَّ الـعَـبْـدَ يَـوْمًـا ... إِذَا وَقَّـفْـتَـهُ بِـالـسَّـيْـفِ لاَنَـا
تَـرَكْـنَـا بِـالـعُـوَيْـنِـدِ مِـنْ حُـسَـيْـن ... نِـسَـاءَ الـحَـيِّ يَـلْـقُـطْـنَ الـجُـمَـانَـا

أي أمَّنَّا نساءَنا فتركناهنّ يلقطنَ الجمانَ على هينتهنّ، والعويند وحسين: موضعان فأجابه هدبة: [الوافر]

إِنَّ الـدَّهْـرَ مُـؤْتَـنِـفٌ طَـوِيـلٌ ... وَشَـرُّ الـخَـيْـلِ أَقْـصَـرُهَـا عِـنَـانَـا
وَلَـيْـسَ أَخُـو الـحُـرُوبِ بِـمَـنْ إِذَا مَـا ... مَـرَتْـهُ الـحَـرْبُ بَـعْـدَ الـعَـصْـب لاَنَـا

ثم إنَّ هدبة جمع رهطًا من قومه وأصحابه فقصدوا لزيادة في ربيع قليل العدد؛ لأن الناس في الربيع تَفَرَّقُ بهم المحال، فأتوهم ليلاً في وادٍ يقال له خَشُوب وزيادة وأبياته على ماء يدعى سَخْنَةَ، فلما بعثوا ركابهم وقد أردفَ هدبة رجلاً من أصحابه انقطع صدار بعيره فقالت ريحانة أُم هدبة: يا بني عامر، لم أرَ كاللَّيلة فَألاً لا تخرجوا ليلتكم هذه، فقال: أَنُنْهى؟ واللّه لَنَخْرُجَنَّ، ثم شدَّ بصدار آخر، فلمّا بعث بعيرَه انقطعَ، فنهته عن الخروج، فلم ينتهِ وشدَّ بصدارٍ آخر، وركب فرجع عنه نفر من قومه ومضى حتى بَيَّتَ زيادة، فلما غشوه جعل يرتجز ويقول: [الرجز]

مِـنْ أَيْـنَ جَـاءَتْ عَـامِـرُ الـقُـبُـوحِ ... لاَ مَـرْحَـبًـا بِـأُمَّـةِ الـمَـسِـيـحِ
لَـنْ تَـقْـبَـلُـوا الـعَـقْـلَ مَـعَ الـفُـضُـوحِ ... وَلَـنْ تُـبِـيـحُـوا الـحَـيَّ فـي سَـرِيـحِ
حَـتَّـى تَـذُوقُـوا خَـدَبَ الـصَّـفِـيـحِ

الخَدَبُ: الضَّرْبُ الشَّديد، ضَرْبة خدباء، ورجلٌ أخدبُ، إذا كان فيه هوج، وجعل نَفَّاع أخوه يرتجز ويقول: [الرجز]

قَدْ عَلِمَتْ أَنِّي إِلَى الدَّاعِي عَجِلْ ... أَحوسُ دُونَ الدَّارِ بِالرُّمْحِ الخَطِلْ
لاَ عَـجِـلٌ طِـعَـانُـه وَلاَ فَـشِـلْ ... وَالمَشْرَفِيِّ ذِي المُتُونِ المُعْتَدِلْ
لاَ بَأْسَ بِالمَوْتِ إِذَا حَانَ الأَجَلْ

وجعل هدبة يرتجز ويقول:

إنّي إذَا اسْتَخْفَى الجَبانُ بالخدر ... وَكَانَ بِالكَفِّ شِهَابٌ كَالشَّرَرْ

الخدر: المكان المظلم الغامض، وسُمِّيَ يوم الغيم اليوم الخدر.

صَدْقُ القَنَاةِ غَيْرُ شَغْشَاعِ العُذَرْ ... حَمَّالُ مَا حُمِّلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ

وهي طويلة.

ثم التقى هدبة ونَفَّاع فضربَ هدبةُ نفاعًا فأطَنَّ داغضة رِجْلِه التي زعم أنه وَطِيءَ بها على ركب ريحانة أُم هدبة، والدَّاغضة: العضلة، فاعتمد على رمح، وجعل يُذَبِّبُ بسيفه عن نفسه، وقيل: بل كان زيادة قَاوَلَ فَتًى من رهط هدبة فقال له زيادة: أتُكَلِّمني وقد وضعتُ رِجلي على ركبِ أُمِّكَ؟ فنذر الفتى قَطْعَ رِجْلِهِ، فلمّا أحسَّ بهدبة وأصحابه ليلةَ البياتِ كَمَنَ في بيت زيادة تحت الكفاء وخرج زيادة فضربه فأطَنَّ رِجْلَهُ، فاعتمدَ على رمح، وجعل يُذَبِّبُ بسيفه عن نفسه حتى غشيه هدبة فصرعه، فزعموا أن زيادة جدع أنف هدبة في تذبيبه، وقيل: بل عانقَ هدبة فعضّه فاستأصل أنفه، وضربه القومُ حتى ظنوا أنهم قد أجهزوا عليه، ثم أتوا منزل أدْرَع أخي زيادة فصَوَّتوا به، فخرج عليهم فحاضرهم فلما أحضروا في أثره قالت لهم امرأته: ما تريدون من رُوَيْعِينَا قبّحكم اللّه، هَلُمّوا يخرج أدرع، فلما رجعوا إليها قالوا لها: أين هو؟ قالت: لا أدرع لكم عندي، هو الذي مضى بين أيديكم ولكني أردت لأنفّس عنه، وفي ذلك يقول هدبة: [الطويل]

وَكَانَتْ شِفاءَ النَّفْسِ مِمَّا أصَابَها ... غَدَاتَئِذٍ لَوْ نِلْتُ بِالسَّيْفِ أدْرَعَا

وَأُقْسِمُ لَوْ أدْرَكْتُهُ لَكَسَوْتُهُ ... حُسَامًا إذَا مَا خَالَطَ العَظْمَ أَسْرعَا

وانصرف هدبةُ وأصحابه ولا يعلم بأنه جدع، فاستقبل نقبًا: أي طريقًا، وهبّت الرّيحُ فأصابت أنفه فلمسه فإذا هو أجدع، فقال: يا بَنِي عامر، جُدِعْتُ، ورجع إلى زيادة فوجده صريعًا بين النساء يبكينَ عليه، فقلن له: يا فتى بني الحارث، ننشدك اللّه في شيخ بني الحارث، فاحتزَّ أنفه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: ظَفِرَتْ يداكَ إنما هو جَدْعٌ بِجَدْعٍ، فكَرَّ عليه ومعه رجلان غَوِيَّانِ، فلما رأته النسوة قلن: يا سيد بني الحارث، ما لهذا كانت ترجوك نساء بني الحارث، فضرب عاتقه بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه، فانصرفَ إلى أهله فأخبرهم، وشَبَّتِ الحرْبُ بين الحيّين، ونأى كلُّ واحد منهما عن صاحبه، واستعدى أصحاب زيادة سعيد بن العاصي، وهو عامل يومئذٍ على المدينة، فأخذ أبا نمير عَمَّ هدبة ورجلين معه، فحبسهم في السجن، ثم إنَّ هدبةَ أعطى بيده وأراد أن يخلي عن عمّه وصاحبيه فلطّخوه بدعوى من جراحات وترويع النساء، فأمر بهدبة إلى الحبس، فقال: [الوافر]

أَلاَ نَغَقَ الغُرَابُ عَلَيْكَ ظُهْرًا ... أَلاَ في فِيكَ مِنْ ذَاكَ التُّرَابُ[1]
يُخَبِّرُنَا الغُرَابُ بِأَنْ سَتَنأَى ... حَبَائِبُنَا؛ فَقَدْتُكَ يَا غُرَابُ

ثم رفع سعيد إلى معاوية، وبعث معهم بهدبة، فوفد إلى معاوية وَفْدُ بني رَقَاش فيهم عبد الرحمٰن بن زيد، ووفد بني عامر وفيهم أبو جَبْر، فشكا عبد الرحمٰن قتل أخيه وتَزْوِيعَ نسائه وتكلّم أبو جبر بكلام كأنه يردّ عليه، فقال لهدبة: أخبرني خبرك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنْ شئتَ بشعر وإنْ شئت قصصتُ عليك، قال: أنشدني فعسى أنْ أستغني عن قَصَصِكَ بِشِعرك، فقال هدبة: [الطويل]

أَلاَ يَا لَقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالدَّهْرِ

وهي طويلة، حتى انتهى إلى قوله:

رُمِينَا فَرَامَيْنَا فَصَادَفَ رَمْيُنَا ... مَنِيَّةَ نَفْسٍ في كِتَابٍ وَفي قَدْرِ[2]
وَأَنْتَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فَمَا لَنَا ... وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدًى وَلاَ عَنْكَ مِنْ قَصْرِ
فَإِنْ يَكُ في أَمْوَالِنَا لاَ نَضِقْ بِهَا ... ذِرَاعًا، وَإِنْ صَبْرٌ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ

فقال معاوية: أسمعك تعترفُ بدمِ صاحبهم؛ فلم يَتَعَدَّ هُدبةُ وكرهها أبو جبر، فقال معاوية: هل لزيادة ولدٌ؟ قال: نعم، غلام صغير، فقال: لا أجعل القَوَدَ إليك يا عبد الرحمٰن لأنَّكَ لا تكره أن تقتل عدوّك ولا تبالي أن لا يأخذ الدَّرَّ غيرك، ولكن ذلك إلى ابن زيادة إذا احتلمَ، فإنْ شَاءَ قتل وإن شاء أخذ العقل، ثم كتب إلى سعيد فضمن هدبة السّجن وتَرَبَّصَ بلوغ المسور بن زيادة، فقال هدبة في السجن أشعارًا كثيرة منها ما رُوِيَ عنه ومنها ما ذهب، فمكث هدبة في السجن ما شاء اللّه أن يمكثَ، حتى أدرك المسور بن زيادة، وذلك خمس سنين أو ستّ سنين، وجعل عبد الرحمٰن بن زيد يقدم المدينة فيكلّمه القرشيون وغيرهم، وكان أهل المدينة رَقُّوا لهدبة لوفائه وشعره وأنه أول مَصْبُورٍ رأوه في المدينة بعد زمن النّبي ﷺ، وأضعفوا له الدّية حتى بلغت عشرًا: حَمَلَ الحسينُ بن علي بن أبي طالب عليهما السلام دِية، وسعيد بن العاص دِية، وعبد اللّه بن عمر بن الخطاب دِيةً، وعمرو بن عثمان بن عفان دِيةً، وعبد اللّه بن جعفر دِيةً، وجعل يُرَدِّدُ عليهم الإباء، فلما أكثروا عليهم أنشأ يقول: [الوافر]

يُعَزِّي عَنْ زِيَادَةَ كُلُّ صَاحٍ ... خَلِيٍّ لاَ تُؤَوِّبُهُ الهُجُومُ
وَكَيْفَ تَجَلُّدُ الأَدْنَيْنَ عَنْهُ ... وَلَمْ يُقْتَلْ بِهِ الثَّارُ المُنِيمُ
فَلَوْ كُنْتُ القَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا ... تَجَرَّدَ لاَ أَلَفُّ وَلاَ سَؤُومُ

(١) نَغَقَ يَنْغَقُ: صاحَ.

(٢) في الأغاني «منا يا رجال في كتابٍ وفي قَدْرِ».

وَلاَ جَثَّامَةٌ فِي الرَّحْلِ مِثْلِي ... وَلاَ ضَرِعٌ إِذَا أَمْسَى نَؤُومُ
غَشُومٌ حِينَ يُبْصِرُ مُسْتَقَادًا ... وَخَيْرُ الطَّالِبِي الوَتْرِ الغَشُومُ

فأُنشدت هدبة، فقال: إنَّ فيه لَمَطْمَعًا فعودوا، فعادوا، فقال حين عادوا إليه: [الطويل]

بِاسْتِ امْرِىءٍ وَاسْتِ التي زَحَرَتْ بِهِ ... إِذَا سَاقَ مَالاً مِنْ أخٍ هُوَ ثَائِرُهْ
فَأُقْسِمُ لاَ أَنْسَى زِيَادَةَ مَرَّةً ... مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ رَيْثَمَا أَنَا ذَاكِرُهْ
وَكَانَ ابْنَ أُمِّي لَمْ يُعَيَّرْ بِسَوْأَةٍ ... وَلاَ دَنَسٍ جَرَّبْتُ فِيمَا أُعَاشِرُهْ
وَإِنِّي وَإِنْ ظَنَّ الرِّجَالُ ظُنُونَهُمْ ... عَلَى صِيرِ أَمْرٍ لَمْ تَخَالَجْ مَصَادِرُهْ

وقال عبد الرحمٰن أيضًا، وهي من الحماسة: [الطويل]

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَنَهْنَهْتُ عَبْرَةً ... مِنَ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ النَّحْرِ تَنْجَلِي
أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رَهِينَةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

الأبيات، فلما سمعَ هدبة هذه الأبيات قال: واللّه لا يقبل عقلاً أبدًا فدعوه جُزِيتُمْ خيرًا، فمات عبد الرحمٰن في تلك السنين قبل احتلام مسور بن زيادة، فلما احتلم المسور خرج به في تلك الليلة إلى المدينة، فبعث إلى هدبة إخوانه من قريش بِكَفَنٍ وحنوطٍ، ثم بعث إليه فأخرج في سلطان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فقال هدبة: [الطويل]

أَلاَ عَلِّلاَنِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ ... وَقَبْلَ اطِّلاَعِ النَّفْسِ بَيْنَ الجَوَانِحِ
وَقَبْلَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدٍ ... إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي تَفِيضُ عُيُونُهُمْ ... وَغُودِرْتُ في لَحْدٍ عَلَيَّ صَفَائِحِي
يَقُولُونَ: هَلْ أَصْلَحْتُمُ لأَخِيكُمُ؟ ... وَمَا القَبْرُ في الأَرْضِ الفَضَاءِ بِصَالِحِ

وقال لمَّا خرج إلى القوم: [الطويل]

أَذَا العَرْشِ إِنِّي مُسْلِمٌ بِكَ عَائِذٌ ... مِنَ النَّارِ ذُو بَثٍّ إِلَيْكَ فَقِيرُ
بَغِيضٌ إِلَيَّ الظُّلْمُ مَا لَمْ أُصَبْ بِهِ ... مِنَ الظُّلْمِ مَشْعُوفُ الفُؤَادِ نَفِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ قَالُوا أَمِيرٌ وَتَابِعٌ ... وَحُرَّاسُ أَبْوَابٍ لَهُنَّ صَرِيرُ
لأَعْلَمُ أَنَّ الأَمْرَ أَمْرُكَ: إِنْ تَدِنْ ... فَرَبٌّ، وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ غَفُورُ

فلمّا خرج به صاحب الشّرطة لقيه عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت الأنصاري فقال له: أنشدني يا هدبة، فقال: أعلى هذه الحال؟ قال: نعم، فأنشده: [الطويل]

لَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِي ... وَلاَ جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ

وَلاَ أَتَمَنَّى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِي ... وَلَكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ[1]
وَحَرَّبَنِي مَوْلاَيَ حَتَّى غَشِيتُهُ ... مَتَى مَا يُحَرِّبْكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحْرَبِ

فلما فارقه جعل ينتحبُ، فقالوا: ما شأنك؟ فقال: لا آتي الموت إلا شدًا، فلما جاء المكان وبركَ للقتل قامت امرأة زيادة أُم المسور، فقالت: أتذكر لَيْلَةَ لَيلَةَ إن كان اللّه ليطالبك بها، وهي محتجزة، فَسَلَّت السيف ثم قالت لابنها: اضرب بأبي أنت وأمي، فضربه ضربةً فأبانت رأسه، ووثب رهط هدبة فَنَحُوهُ عنه حتى دُفن[2].

[١٦١] وقال عَمْرو بن كُلْثوم التَّغْلبيّ[3]:

كُلثوم: عَلَم مرتجل غير منقول، وهو من الكَلْثَمة، وهي غلظ الوجه وامتلاؤه، ومنه سُمِّيَت المرأةُ كَلْثَم، قال: [الطويل]

خَلِيلَيَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّمَا ... عَلَى كَلْثَمٍ؛ لاَ يُبْعِدُ اللَّهُ كَلْثَمَا

وسُمِّيت المرأة كلثم كما سُمِّيت جهمة.

١ ـ مَعَاذَ الإلٰهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هَالِكٍ أَو أَنْ نَضِجَّ مِنَ القَتْلِ

الأول من الطويل، مطلق مجرّد موصول، والقافية متواتر.

معاذَ الإلٰه: من المصادر التي لا تكون إلا منصوبة؛ لأنها وُضِعَتْ مَوضِعًا واحدًا من الإضافة على ما ترى فلا يتصرّف، والعياذ في معناه ومن أصله، وهو يتصرّفُ مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا وبالألف واللاّم، وانتصب «معاذ الإلٰه» على إضمار فعل ترك إظهاره، ويقولون: عائذًا باللّه من شرّها؛ فيجري مجرى «عياذًا باللّه» كأنه قال: أعوذ باللّه عائذًا وعياذًا، يَصِفُ شدّةَ صبرهم في المصائب.

٢ ـ قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا ... بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِي أَرَاكٍ وَذِي أَثْلِ

المقارعة: مضاربةُ القوم في الحرب، وكلُّ شيء ضَرَبْتَهُ بشيء فقد قَرَعْتَهُ، وهذا على حذف المضاف، كأنه قال: قراع أصحاب السّيوف بالسّيوف، والأصل في البَرَاح: الأرض التي لا بناءَ فيها ولا عمران، وجعل البراح بدلاً من قوله بأرض، فلذلك قال

---

(١) البيتان الأول والثاني في تاريخ الطبري ٣/ ٥٣٦؛ وعند الطبري في البيت الأول «ولست» وفي البيت الثاني «ولا أتبغى».

(٢) القصة مع الشعر في الخزانة ٤/ ٨٤ (بولاق).

(٣) عمرو بن كلثوم: من بني تغلب، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، وكان من أعزّ الناس نفسًا ومن الشجعان وقد عُمِّر طويلاً (ت نحو ٤٠ق.هـ/ ٥٨٤ م). (ترجمته في الأغاني ١١/ ٥٢؛ والشعر والشعراء ص ٦٦، وخزانة البغدادي ١/ ٥١٩).

«ذي أراك» ولم يَقُلْ ذات أراك؛ والأثل والأراك ينبتان في السَّهْل أكثر؛ فَوَكَّدَ بِذِكرِهما أنهم غير متمنّعين بهضاب وجبال.

٣ ـ فَمَا أَبْقَتِ الأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا ... سِوَى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ

أراد بالأيام الوَقَعَات و«مِلْمَالِ» أرادَ: مِنَ المالِ، فجعلَ الحذفَ بدلاً من الإدغام لمّا التقى بالنّون واللاّم حرفان يتقاربان الأول متحرّك والثاني ساكن سكونًا لازمًا، والمعنى ما بَقّى تأثير الحوادث من الأموالِ إلا بقايا أذواد، والجِذْمُ: الأصْلُ، والأذوادُ: جمع ذَوْدٍ، والذَّوْدُ: جمعٌ يقعُ على ما دونَ العشرةِ، وأكثرُ أهلِ اللّغة يقول: إنّما يقعُ على الإناث دُونَ الذُّكور؛ وبعضهم يجوِّز وقوعها على الذُّكور أيضًا، وما في البيت يشهد للأول، والمحذَّفَةُ: المَقْطُوعَةُ، وقيل: إنّما قِيلَ للإبلِ ذَوْدٌ لأنّها تُذَادُ أو يُذَادُ عنها.

٤ ـ ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ: فَأَثْمَانُ خَيْلِنا ... وَأَقْوَاتُنَا، وَمَا نَسُوقُ إِلَى القَتْلِ

«ثلاثةُ أثلاثٍ» يرتفعُ على أنه خبر مبتدأ محذوف، وما بعدها تفسير لها وتفصيل، كأنه قال: أموالنا ثلاثة أثلاث: ثُلثٌ نشتري به الخيل، وثلثٌ نشتري به أقواتنا، وثلثٌ نعطيه في الدِّيَات، وقوله «وما نسوقُ إلى القتل» كقول الآخر: [البسيط]

نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا[1]

[١٦٢] وقال المُثَلَّم بن عمرو التنوخي[2]:

تنوخ: هم أولادُ تَيْم اللَّه بن أسد بن وَبْرة، وهي اسم قبيلة؛ يجوز أن يكون فَعُولاً من تَنَخَ بالمكان: أي أقام به، ويجوز أن يكون تَفْعُل من الإناخة، فأما التَّنُوفة ففَعُولة لا غير، ألاَ تراهم قالوا في تكسيرها تنائف بالهمز، ولو كانت تفعل لقالوا تناوف، ولكان يجب في تنوفة أن تصحّ أيضًا فيقال تَنْوفة كما صَحّتْ تَدْورة للفرق بين الاسم والفعل.

١ ـ إنِّي أَبَى اللَّهُ أنْ أمُوتَ وَفِي ... صَدْرِيَ هَمٌّ كَأَنَّهُ جَبَلُ

الأول من المنسرح، مطلق مجرّد موصول، والقافية متراكب.

أراد بالهمّ دَمًا يطلبُهُ أو حقدًا يَنْقُضُهُ، وكأنَّ هذا الكلام إيذانٌ بأنه مجتهدٌ في الطلب، والواو من قوله «وفي صدري» واو الحال، وموضع «كأنه جبل»: صفة للهمّ؛

(١) هذا عجز بيت لبشامة النهشلي مَرّ في الحماسية (١٤) وصدره: «بيضٌ مفارقنا تغلي مراجلنا».
(٢) ذكره الآمدي في المؤتلف ص ١٨١؛ والمرزباني في معجمه ص ١٨١؛ وأنشد الآمدي هذه الأبيات ثم قال: «وهذه الأبيات في أشعار الهذليين ص ٢٥ للبريق بن عياض الهذليّ».

والهمُّ يجوزُ أن يكونَ مصدر هَمَمْتُ بِالشَّيءِ ويجوز أن يكون واحد الهموم، وقال أبو هلال: يقول: أمضيتُ همومي كلّها، وبلغتُ مرادي فيها، وأبى اللَّهُ أنْ أموتَ ولي هَمٌّ لم أُمْضِهِ.

٢ ـ يَمْنَعُني لَذَّةَ الشَّرابِ وَإنْ كانَ قِطابًا كأنَّهُ العَسَلُ

«يمنعني لَذَّةَ الشَّرابِ» من صفة الهمّ أيضًا: أي تَصُدُّني تلكَ الهمومُ عن التَّلَذُّذِ بالشَّراب، وقوله «قِطَابًا» أي يقطب، والقطب: المَزْج، ويُرْوَى «وإن كانَ رُضابًا» وهو الرِّيقُ، وإنّما قال ذلك لأنَّ واحدًا منهم إذا أُصِيبَ بوترٍ كان يعقدُ على نفسه نذرًا في مجانبةِ بعضِ اللَّذّاتِ.

٣ ـ حَتَّى أرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أكْسَاءِ خَيْلٍ كَأنَّهَا الإبِلُ

«الصَّموتُ» يجوز أن يكون اسم فرسٍ، أو اسم حَيٍّ من العربِ، وقد استعملوا الصَّمُوتَ في صفة الدّرع، واشتقاق ذلك كلّه من «صَمَتَ» إذا سَكَتَ، والأكساء: المآخير[1]، واحدها كَسْءٌ، و«حتى» إنْ شئتَ تتعلّق بإني أبى اللّه، وإنْ شِئتَ بيمنعني، والتقدير في الوجهين يأبى اللَّهُ موتي حتى أرى هذا الأمرَ، أو يمنعني الهمُّ الالتذاذَ بالشَّرابِ حتى أراه وأُشاهده، والوجه أن يعني بِالصَّمُوت اسم فرسه، وبفارسِه نفسه، وقال أبو هلال: الصَّمُوتُ: فرسٌ، تَمَنَّى أن يلقى فارسه، وشبّه الخيل بالإبل لعظمها وطولها، وذلك مستحبٌّ في الخيل، ويُروَى «كأنها أُبُلٌ» بضم الهمزة والباء، وهي جمع أبيل، والأبيل: العصا، والخيل تُشَبَّه بالعِصيِّ في ضمرها وصلابة لحمها، قال امْرُؤ القيس: «كَأَنَّهَا هِرَاوةُ منوال»[2].

٤ ـ لاَ تَحْسَبَنِّي مُحَجَّلاً سَبِطَ السَّاقَينِ أبْكِي أنْ يَظْلَعَ الجَمَلُ

يجوز أن يعني بِالمُحَجَّل امرأة تَألفُ الحِجَالَ، أو تلبسُ الأحْجَالَ، وهي الخلاخيل، والسَّبِط: ضِدّ الجَعْد، والجَعْدُ مِنَ النَّاسِ: يُرَادُ به الضَّخم المجتمع، ولا يمتنع أن يعني بالمحجل رَجُلاً عليه حِجْلٌ: أي قَيْدٌ، يريد أني لستُ كالمقيَّدِ أجزع إذا نزلَتْ بي نكبة وإن كانت هيّنة؛ لأنَّ ظلع الجمل خَطْبٌ سَهْلٌ، وقوله «أبكي أن يظلعَ الجمل» صرف الكلام إلى الإخبار عن نفسه، ولو قال «يبكي أن يظلع الجمل» لكان الكلام أحسن في قِرَانِ النَّظْم، وقال أبو هلال: «مُحَجَّلاً»: أي صاحب الحجال، وهو الخِدْر: أي لا تحسبني لزومًا للنساء، و«سَبِطَ السَّاقين» أي رخْو السَّاقين، يقول: إني ذو

---

(١) عند المرزوقي: «أكساء الخيل: أدبارها».

(٢) هذه قطعة من بيت في لاميّة لامرىء القيس وهو بتمامه:

بِعِجْلِزَةٍ قد أَتْرَزَ الجَرْيُ لَحْمَهَا كُمَيْتٍ كأنَّهَا هِرَاوَةُ مِنْوالِ

تشمير، وقوله «أبكي أن يظلعَ الجمل» أي: لست بِمُكَارٍ يبكي إذا ظَلَعَ جَمَلُهُ، ويجوز أن يكون المراد إني قادر على المشي فلا أُبالي بظلع راحلتي.

٥ ـ إنِّي امْرُؤٌ مِنْ تَنُوخَ نَاصِرُهُ مُحْتَمِلٌ في الحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا

أي: أنتسبُ إلى تَنُوخ، وأَهْوَى هواها، و«ناصره»: نَكِرَة لأنَّ إضافته إضافة تخصيص لا إضافة تعريف، والتنوين منويٌّ فيه، أراد ناصِرٌ له، وقوله «ما احتملوا»: أراد ما احتملوه، فحذف المفعول لِطُولِ الصِّلَةِ، قال أبو هلال: ويُروَى «ناصرهم» أي ناصرٌ لهم، قال: وهذا الشعر في أشعار هُذَيْل لِلْبُرَيْقِ بن عياض الهذلي، وقال «إني امرؤٌ من هُذَيْل».

[١٦٣] وقال عبد الله بن سَبْرَةَ الحَرَشِيُّ:

الحَرَشِيُّ: منسوب إلى حَرَش موضع باليمن.

١ ـ إذَا شَالَتِ الجَوْزَاءُ وَالنَّجْمُ طَالِعٌ فَكُلُّ مَخَاضَاتِ الفُرَاتِ مَعَابِرُ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسس موصول، والقافية متدارك.

شَالَتِ الجوزاءُ: ارتفعت، وأراد بالنجم الثريّا، وقوله «طالع» أي طالع بالغداة، فحذف الغداةَ، والثُّرَيَّا أصلها من الثَّرْوَةِ، وهي الكثرة في العدد، والمخاضات: المعابر، واحدتها مخاضة، وإنّما ذَكَرَ الثُّرَيَّا مع الجوزاء لأنهما إذا طلعتا فذلك حين يشتدُّ الحرُّ، قال أبو زُبَيْد: [الخفيف]

أيُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِي حِينَ لاَحَتْ لِلصَّابِحِ الجَوْزَاءُ
وَنَفَى الجُنْدُبُ الحَصَا بِكُرَاعَيْـ ـهِ وَأذْكَتْ نِيرَانَهَا المَعْزَاءُ

يقول: إذا شالَتِ الجوزاءُ وطَلعَتِ الثُّريا واشتدَّ الحرُّ فَقَلَّ ماءُ الفرات وأمكن أن يُخَاضَ فيه فكل مخاضاته مَعَابِرُ يُعْبَرُ فيها إلى العدو.

٢ ـ وَإنِّي إذا ضَنَّ الأمِيرُ بِإذْنِهِ عَلَى الإذْنِ مِنْ نَفْسِي إذَا شِئْتُ قَادِرُ

أي: إن لم يؤذَن له في القفول قَفَلَ هو من غير إذن.

قال أبو رياش: كان عبدُ الله بن سَبْرَةَ هذا أحَدَ فُتَّاكِ العرب في الإسلام وكان رجُلٌ من الروم يقال له سَعْد الطَّلائع يأتي صاحب الصَّوَائف، والصوائف: جمع صائفة، وهي الغَزَاة في الصَّيف، وكانوا في صَدْرِ الإسلام يقولون: وَلِيَ فلانٌ الصَّائِفَةَ، إذا كان أمير الجيش الذي يغزو الصَّائفة؛ فيقول سعد لصاحب الصَّوَائف: ابعثْ معي جُنْدًا أدُلُّهُمْ على عَوْرَات الرّوم، فيتوغَّلُ بهم، وقد جعلَ لهم كمينًا من الروم؛ فَيُقْتَلُون، فأكثر، فقال يومًا لصاحب الصائفة: ابعثْ معي رجلاً من أصحابك فإني قد عَرَفْتُ غِرَّةً لهم فانتدب عبدُ الله بن سَبْرَةَ ومضى معه حتى انتهى إلى غَيْضَةٍ، فقال لعبد الله: ادخلْ، فقال له

عبد اللّه: أنا الدَّليلُ أم أنتَ؟ فأبى، وعرفَ عبد اللّه ما أرادَ، فقتله، وخرجَ عليه بَطْرِيقٌ من بَطَارِقَتِهم، فاختلفَ هو وعبد اللّه ضَرْبَتَيْنِ فضربَه عبدُ اللّه فقتله، وضربَهُ الرُّوميّ فقطع إصبعين له، ورجع، فَسُئِلَ عن سعد، فقال: [الطويل]

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنْ حَالِ سَعْدٍ وَلَمْ أَكُنْ ... لآخُذَ شَيْئًا فِي الحَوَادِثِ عَنْ سَعْدِ
وَعَهْدِي بِسَعْدٍ وَسْطَ شَجْرَاءَ جَمَّةٍ ... وَمَا لِي بِسَعْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ

وقال في أصبعيه قصيدة منها: [البسيط]

وَيْلُ أمِّ جَارٍ غَدَاةَ الجِسْرِ فَارَقَنِي ... أَعْزِزْ عَلَيَّ بِهِ إِذْ بَانَ وَانْقَطَعَا
فَمَا أَسِيتُ عَلَيْهَا أَنْ أُصَاحِبَهَا ... لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَى أَنْ لاَ تَفُوتَ مَعَا
وَقَائِلٍ كَانَ مِنْ شَأْنِي بِمَجْهَلَةٍ ... هَلاَّ اتَّقَيْتَ عَدُوَّ اللّهِ إِذْ صُرِعَا
وَكَيْفَ أَتْرُكُهُ يَمْشِي بِمُنْصُلِهِ ... صَلْتًا وَأَنْكُلُ عَنْهُ بَعْدَمَا وَقَعَا
مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ خُلُقِي ... وَلَوْ تَقَارَبَ مِنِّي المَوْتُ فَاكْتَنَعَا
وَيْلُ امِّهِ كَافِرًا وَلَّتْ كَتِيبَتُهُ ... جَانٍ وَقَدْ ضَيَّعُوا الأَحْسَابَ فَارْتَجَعَا
يَمْشِي إلى مُسْتَمِيتٍ مِثْلِهِ بَطَلٍ ... حَتَّى إِذَا أَمْكَنَا سَيْفَيْهِمَا امْتَنَعَا
كُلٌّ يَنُوءُ بِمَاضِي الحَدِّ ذِي شُطَبٍ ... عَضْبٍ جَلاَ القَيْنُ عَنْ ذَرِّيِّهِ الطَّبَعَا
حَاسَيْتُهُ المَوْتَ حَتَّى اشْتَفَّ آخِرَهُ ... فَمَا اسْتَكَانَ لَهُ شَكْوَى وَلاَ جَزَعَا[1]

اشْتَفَّ: شَرِبَ الشُّفافة وهي آخر قطرة تبقى في الإناء، ومنه «شَرُّ الشُّرْب الاِشْتِفَافُ وَشَرُّ الأَكْلِ الاقْتِفافُ» والاقتفاف: أن يأكلَ حتى لا يبقى منه شيئًا.

بَنَانَتَيْنِ وَجُذْمُورًا أُقِيمُ بِهِ ... صَدْرَ القَنَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

قوله «وَيْلُ أمِّ جارٍ» بعضُ النَّاس يضمُّ لام «ويلُ أم» وبعضهم يكسرها فالذين ضمّوها نَحَوْا بها نحو الضَّمَّةِ التي في أوّل أمّ، والذين كسروا جعلوا اللاّم على أصلِها، فإنْ كان هذا اللَّفظ «وَيْ» على معنى التعجب ثم جاؤوا باللاّم فالذين ضمّوا كأنهم قالوا في أول الأمر لأمه فضمّوا اللاّم كراهةَ أن يخرجوا من كسرٍ إلى ضَمٍّ، والذين كسروا اللاّم لم يحدثوا إلاّ وصل ألف القطع، وهذا تأويل أوجه من تأويل مَنْ يَزْعمُ أنَّ «وَيْل أمه» مِنَ الويلِ؛ لأنه إذا كان كذلك وجبَ أن تكون اللاّم مفتوحة لأن مذهب العرب في «وَيْل» إذا أضافوه أن ينصبوا اللاّم فيقولون «وَيْلَ فلان» ونصبه على مذهب المصدر، وأجاز قوم أن

(١) البيت في تاج العروس (شفف) كذا:

سَاقَيْتُهُ المَوتَ حتّى اشتفَّ آخِرَهُ ... مما استكانَ لِمَا لاقى ولا سَكَنا

يكون نصبه على إضمار فعل، وقوله:

لقد جهَدْتُ عَلَى أنْ لا تَفُوتَ مَعَا

عند بعض النّحويين أنَّ «معًا» في هذا الموضع تنتصب على الظَّرف كما كانت منتصبة عليه في قولهم «معهم» وإنّما مَضَتِ الإضافة وبَقِيَتْ عِلَّةُ النَّصْبِ على ما كان عليه، كما تقول: قُمْتُ خَلْفَهُ، ثم تقول: قُمْتُ خَلْفًا؛ إلاَّ أنَّ قولَهم «معًا» كلمة نُقِلَتْ من شيء إلى شيء وقال قوم: تُنْصَبُ «معًا» على معنى الحال؛ لأنها نُقِلَتْ من ذلك الموضع، وصار معناها إذا قيل «جاءَ القومُ مَعًا» جميعًا، وقوله «يمشي إلى مُستميت» المستميت: الذي يطلبُ الموت، كما تقول استبانَ الرَّجُلُ الأمرَ، واستغاثَ زيدًا، واستغاثه: أي طلب غِيَاثَهُ ومَعُونَتَهُ، وقوله:

بَـنَـانَـتَـيْـنِ وَجُـذْمُـورًا أُقِـيـمُ بِـهِ

جُذمورُ السَّعَفَةِ: أصْلُها، شَبَّهَ يَدَه به، ومنه قول الحجاج لعليّ بن أصمع، وكان عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام قطعه في سرقة فقطعَ أصابعه من أصولها، فجاء إلى الحجّاج وقال: إنَّ أهلي عَقُوني، قال: بماذا؟ قال: بتسميتهم إياي عليًا، فاقْلِبِ اسمي، فقال: قد سَمَّيْتُكَ سعيدًا، ووَلَّيْتُكَ البارجاه، وأجريتُ عليكَ كلَّ يوم دَانِقَيْن وطَسُّوجا، وأُقْسِمُ باللَّه لَئِنْ زدت عليه شيئًا لأَقْطَعَنَّ ما بَقَّى أبو تراب من جُذْمُورها. وكان رجلٌ يقال له فَيرُوز عَطَّار يبايعُ القَيْسِيَّاتِ بأثناء الفرات، فأتته قَيْسِيَّةٌ فاشترَتْ منه عِطْرًا وأكبّت تَنَاوَلُ شيئًا، فضرب على أَلْيَتِهَا، فقالت: يا عبد اللَّه بن سَبْرة ولا عَبْدَ اللَّه بالوادي، فتغلغلت هذه الكلمة إليه وهو بِقَالِي قَلا[1]، فأقبل حتى أخذ فيروز فذبحه، وقال: [البسيط]

إنَّ الـمَـنَـايَـا لِـفَـيْـرُوزٍ لـمـعـرضـة ... يَـغْـتَـالُـهُ الـبَـحْـرُ أوْ يَـغْـتَـالُـهُ الأَسَـدُ
أوْ عَقْرَبٌ أوْ شَجًا في الحَلْقِ مُعْتَرِضٌ ... أوْ حَـيَّـةٌ فـي أعَـالِـي رَأْسِـهَـا رُبَـدُ
أوْ مُضْمَرُ الغَيْظِ لَمْ يَعْلَمْ بِإِحْنَتِهِ ... وَمَـا يُـجَـمْـجِـمُ فـي حَـيْـزُومِـهِ أحَـدُ

أصل الجَمْجَمَة في الكلام، يقال: جَمْجَمَ؛ إذا لم يُبِنْ، واسْتُعِيرَ في غير ذلك فقيل: تَجَمْجَمَ عن الأمر؛ إذا لم يُقْدِمْ، وقيل: كانت امرأة أرملة قيسية في بعض مدائن الشام، فتعرَّض لها بعض المتَعزِّبَة، فجعل يخطبها في العلانية، ويُرَاوِدُها عن نفسِها في

---

(١) قَلاَ: بأرمينية العُظمى من نواحي خلاط ولم تزل أرمينية في أيدي الفرس حتى جاء الإسلام وكانت أمور الدنيا تتشتّت في بعض الأحيان وصاروا كملوك الطوائف حتى ملك أرمينية قُمّس وهو رجل منهم فاجتمع له ملكهم وعندما مات ملكتهم امرأة وكانت تسمّى قالي فبَنَت مدينة وسمَّتها قالي قاله ومعناه: إحسان قالني وصوّرت نفسها على باب من أبوابها فعرّبت العرب قالي قاله فقالوا: «قاليقلا» (معجم البلدان ٤/ ٢٢٩).

السِّرِّ، فمرَّ بها قوم فيهم ابن سَبْرَة فأرسلَتْ إليهم خَادِمَةً لها تسألهم هل فيهم رجل من قيس، قال ابن سبرة: نعم، فما حاجَتُكِ؟ قالت: أنا مولاةُ امرأةٍ من قيس ولها إليك حاجةٌ، فأتاها فأخبرته خبرَ الرَّجُلِ، فقال ابعثي إليه حتى أُكمله، فبعثتْ إليه، فراحَ مُهَيَّئًا يرجو غير الذي لَقِيَ، فدخل فضربه ابن سبرة بسيفه حتى قتله، ثم حفرَ له في بيتها قامة، وقال لجاريتها: ادخلي فأخْرِجي التراب، فلمَّا دخلت الجارية الحُفْرَةَ ضربَها فقتلَها، فصاحَتِ المرأةُ؛ فقال لها: اسْكتِي فإنّكِ إنْ أنذرتِ بنا هلكنا جميعًا، ولم يَكُنْ أمرك لِيَنْكَتِمَ مع هذه الجارية، فقالت واللَّه ما كان لي على وجه الأرض غيرها، فدفنَ أمرَ الجارية ثم أتى أصحابه وقد استبطؤوهُ وساءَ ظنُّهم فيه، فاستخبروه وسألوه ما بطأ به، فقال: دعوني من المسألة وأخرجوا نفقاتِكم إليَّ، فأخرجوا ما معهم، فجمع لها سبعين دينارًا ثم أتى بها المرأة وقال: اشتري خادمًا مكان خادمك، وقال: [الطويل]

دَعَتْنِي وَمَا تَدْرِي عَلامَ أُجِيبُهَا ... مُقَنَّعَةٌ عَنْهَا أَخُو الضَّيم شَاسِعُ
لأَدْفَعَ عَنْهَا صِئْبِلاً مُضْمَئِلَّةً ... وَفي اللَّه وَابْنِ العَمِّ لِلضَّيْمِ دَافِعُ(١)
فَلَمَّا أَمَتُّ الضَّيْمَ عَنْهَا تَبَادَرَتْ ... أَسًى ضُلِّلَتْ مِنْهَا هُنَاكَ الْمَدَامِعُ
بُكَاءَ عَلَى مَمْلُوكَةٍ قُتِلَتْ لَهَا ... وَمَا قُتِلَتْ إلاَّ لِتَخْفَى الوَدَائِعُ
وقلتُ لها لا تجزعي إنَّ سِرّنَا ... مَتَى مَا يَجُزْنَا لاَ مَحَالَةَ شَائِعُ
أَرَحْتُكِ من خوفٍ وذو العرش مخلفٌ ... وفي الصَّبرِ أجرٌ حين تَعْرُو الفَجَائِعُ
وَهٰذِي لَكُمْ سَبْعُونَ أَوْسًا مَكَانَهَا ... وَفِيهَا إخَالُ خَادِمٌ لَكَ نَافِعُ

(الأوْس: العِوَض، أبطل «إخال» هٰهنا لمّا تقدّم حرف الخفض، ومثله: [البسيط]

أبالأَرَاجِيزِ يَا ابْنَ اللُّؤْم تُوعِدُني ... وَفي الأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللُّؤْمُ وَالخَوَرُ)(٢)
فَبُعْدًا له مَيْتًا وَلاَ تَبْعَدُ الَّتي ... بِهِ قُرِنَتْ في القَبْرِ مَا حُمَّ وَاقِعُ
إذَا لَمْ يَزَعْ ذا الجَهْلِ حِلْمٌ وَلا تُقًى ... ففي السَّيْفِ تَقويمٌ لِذي الجَهْلِ وَازِعُ
سَتَبْكِي عَلَيْهِ عِرْسُ سُوءٍ لَئِيمَةٌ ... بِهَا لَخَنٌ مِنْ بَاطِنِ اللَّيْثِ رَادِعُ

ويُرْوَى «أُم سوء»، واللَّخَنُ ما يركب وطب اللبن من الوسخ.

عَلَى مُحْصَنٍ لَمْ يُغْنِهِ اللَّهُ بِالغِنَى ... وَلَمْ يَدْرِ مَا إني لِذِي العَرْشِ قَامِعُ

---

(١) الصِّئْبِل: الدّاهية. والمُضْمئلة: الداهية أيضًا.
(٢) البيت لجرير في ملحق ديوانه ص ١٠٢٨؛ وفي شرح أبيات سيبويه ١/ ٤٠٧ ولسان العرب (خيل)؛ وللعين المنقري في تخليص الشواهد ص ٤٤٥؛ وخزانة الأدب ١/ ٢٥٧؛ وشرح المفصّل ٧/ ٨٤؛ والكتاب ١/ ١٢٠؛ وأوضح المسالك ٢/ ٥٨.

رَحَضْتُ بِهَا عَارًا وَكُنْتُ مَكَانَهُ   وَمَا يَقْضِ لاَ تُسْدَدْ عَلَيْهِ المَطَالِعُ[1]

«مكانه» أي: مكان مَن يرحض العار.

أَقُولُ لَدُنْ فَكَّرْتُ عَقْبَ مُصَابِهِ   إلٰهي تَجَاوَزْ إنَّ عَفْوَكَ وَاسِعُ

وَإِنِّي أخُو الذَّنْبِ العَظِيمِ وَإِنَّنِي   إِلَيْكَ مِنَ الخَوْفِ المُبَاغِتِ ضَالِعُ

لِيَ الوَيْلُ إنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ   بِمَنِّكَ لي عِنْدَ الشَّفَاعَةِ شافِعُ

وَأُبْتُ إلى صَحْبِي وَقَد سَاءَ ظَنُّهُمْ   وَكُلُّهُمْ بَاكٍ عَلَيَّ وَجَازِعُ

يَقُولُونَ مَا ذُقْنا مِنَ الهَمِّ أكْلَةً   وَمَا ذَاقَ مِنَّا بَعْدَكَ النَّوْمَ هَاجِعُ

فَقُلْتُ لَهُمْ رُوحُوا فَقَد كَانَ بَعْدَكُمْ   لَنَا نَبَأٌ وَاللَّهُ رَاءٍ وَسَامِعُ

فَلاَ يُعْطِيَا ضَيْمًا فَتَى خَشْيَةَ الرَّدَى   وَلاَ يَطْمَعَنْ أنْ يُعْجِزَ المَوْتَ طَامِعُ

[١٦٤] وقال الربيع بن زياد العبسيّ:

١ ـ حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ البِلاَ   دَ حَتَّى إذا اضطَرَمَتْ أجْذَمَا

الثالث من المتقارب، مطلق موصول مجرّد، والقافية متدارك.

يقول: ألْهَبَ قَيْسُ بن زهير البلاد عَلَيَّ نارًا، فلما اسْتَعَرَتْ هَرَبَ وتركني؛ والإجْذَامُ: الإسراعُ؛ وإنما قال هذا لأن قيسًا تركَ أرضَ العرب وانتقل إلى عُمَان بعد إثارة الفتن واهتياج الشرّ في سبق دَاحِسٍ.

٢ ـ جَنِيَّةُ حَرْبٍ جَنَاهَا فَمَا   تُفَرِّجَ عَنْهُ وَمَا أُسْلِمَا

أي: ما تكشفُ عنه ولم يسلم لمَن أراده من الأعداء: أي لم يخذل قيس، وجَنِيَّة: خَصْلة جَنَاها عليهم قيس بن زهير، وتكون بمعنى الجناية أيضًا، والمعنى إنه جَنَاها على قومه فأعانوه وثبتوا معه ولم ينكشفوا عنه ولم يُسْلِموه لأعدائِهِ ولكنهم مَنَعُوه.

٣ ـ غَدَاةَ مَرَرْتَ بِآلِ الرَّبَا   بِ تُعْجَلُ بِالرَّكْضِ أنْ تُلْجِمَا

«غداةَ مَرَرْتُ» ظرف لما دَلَّ عليه قوله «أجذما» أي هَرَبْتُ في ذلك الوقت، و«تُعْجَلُ»: في موضع الحال، والمعنى: اجْتَزْتَ بآلِ هذه المرأة مستعجلاً تركضُ الأعداءُ في أَثَرِكَ حَتَّى لم تَتَّسِعْ لإلْجَامِ دَابَّتِكَ ولم تؤمن رَيْثَ إصلاح أمرِكَ، والرَّبَابُ ـ بفتح الراء ـ اسم المرأة، وبكسرها اسم القبيلة، و«أن تُلجِمَ» في موضع النصب من «تُعْجَل» وكان الواجب أن يقول تعجل بِالركضِ عن أن تلجمَ فحذف الجار ووصل الفعل فعمل.

---

(١) رَحَضْتُ عارًا: غسلته (وهو مجاز).

٤ ـ فَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمِ الهَرِيـ ـرِ إذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا

«مالَ سَرْجُكَ» مَثَلٌ لاضطرابِ الأمرِ وفَشَلِ الرَّأي، ويقال «استقدم» بمعنى تقدّم، و«استأخَرَ» بمعنى تأخر، ويوم الهرير في الجاهلية، وليلة الهرير في الإسلام ليلة من ليالي صفّين.

٥ ـ عَطَفْنَا وَرَاءَكَ أفْرَاسَنَا وَقَدْ أسْلَمَ الشَّفَتَانِ الفَمَا

أي: تَعَطَّفْنا عليك في ذلك الوقت ودافعنا دُونَكَ، وذكر الفمَ كناية عن الأسنان ومثله: [الكامل]

إذ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ(١)

والواو من قوله «وقد أسلم الشفتان» واو الحال: أي كلحَ فتجافت شفته عن فمه، والمراد أنه بعل بأمره ودهش فانفتحَ فُوهُ فلم يَقْدِرْ على ضَمِّهِ من الخوف أو من الجهد، وهم يصفون الشّجاع بالكلوح والطّلاقة.

٦ ـ إذَا نَفَرَتْ مِنْ بَيَاضِ السُّيُو فِ قُلْنَا لَهَا أقْدِمِي مُقْدَمَا

ذكر القول هٰهنا كناية عن الفعل، وهذا كما يقال «قال برأسه كذا» إذا حرّكه، و«قال بسوطه» إذا أشار إليه، والمُقْدَم: الإقدام، وحقيقة الكلام إذا نَفَرَت قَدَّمْنَاها تقديمًا.

[١٦٥] وقال الشَّنفَرى الأزْدِيُّ(٢):

قال أبو العلاء: تَكَلَّم بعضُ النَّاسِ في اشتقاق هذا الاسم؛ فزعمَ قومٌ أنه يُرَادُ به الأسدُ، وقيل: الجملُ الكثير الشَّعْرِ، ويجب أن يكون من قولهم «في رأسه شنفارة» إذا كان حَادًّا، فإنْ كانت النونُ في الشَّنْفَرى زائدةٌ فيجوز أن يكون من قولهم «أُذُنٌ شُفَارِيَّة» إذا كانت كثيرة الشَّعْر والوَبَر، وقالوا «ضَبٌّ شُفَارِيٌّ» إذا كان طويلاً ضخمًا، وقالوا: شَفَّرَ الرَّجُلُ، إذا أقلَّ العطيَّة؛ وشَفَّرَ المالُ، إذا قَلَّ، قال الشَّاعر في صفة النساء: [الخفيف]

وَلِعَاتٌ بِهَاتِ هَاتِ؛ وَإنْ شَفَّـ ـرَ يَوْمًا سَأَلْنَ فِيهِ الخِلاَعَا(٣)

وقال البَعيثُ: [الطويل]

فَإنْ كُنْتَ تَبْغِي السَّحَّ فَالْتَمِسِ الغِنَى بِجَمْعِكَ لِلدُّنيا إنِ المَالُ شَنْفَرَا

---

(١) هذا عجز بيت لعنترة وصدره: «ولقد حفظتُ وصاةَ عَمّي بالضُّحى».

(٢) الشَّنفَرى: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، شاعر جاهلي من فحول الطبقة الثانية وكان من فُتَّاكِ العرب وعَدَّائيهم. (ت نحو ٧٠ق.هـ/ ٥٢٥ م). (ترجمته في الأغاني ٢١/ ١٣٤؛ وخزانة الأدب ٢/ ١٦).

(٣) البيت في تاج العروس (شفر) ونسبه لإسماعيل بن عمّار. والشطر الثاني: «مالٌ أرذن منكَ الخِلاعا».

١ ـ لاَ تَقْبُرُونِي إِنَّ قَبْرِي مُحَرَّمٌ   عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرِ

الثاني من الطويل، مؤسس مطلق موصول، والقافية متدارك.

في قوله «ولكن أَبْشِرِي أُمَّ عامر» وجهان: أحدهما أَبْشِري أُمَّ عامرٍ بأكلي إذا تُرِكْتُ ولم أُدْفَنْ؛ والثاني اتركوني للتي يقال لها أبشري أم عامر، ويُرْوَى «خامري» أي استتري وتواري، وهذا في أنه جملة جعل لقبًا، وشرطها أن تحكي كتأبط شَرًّا وما أشبهه، وإنّما جُعِلَتْ لَقَبًا لها لأنَّ العادةَ في اصطياد الضَّبُع أنْ يُقْصَدَ وِجَارُهَا ويُحْفَرَ وهي تتأخّرُ قليلاً قليلاً، والصَّائِدُ يقول: أُمُّ عامرٍ ليست هٰهنا، أَبْشِري أُمَّ عامرٍ بِشَاءٍ هَزْلَى وجَرَادٍ عَظْلَى، فلا يزالُ يحفرُ ويقول هذا الكلام والضَّبُعُ تتأخّرُ حتى تبلغَ أقصى وِجَارها فتخرجَ حينئذٍ منه بأغلظ عُنُفٍ، فكأنه قال: لا تقبروني إذا قُتِلْتُ فقد حرمَ دفني عليكم، ولكن الذي يقال له أُمّ عامر وَلِيُّ أمري دُونَكُم، وحَكَى سيبويه عن الخليل في قول الأخطل: [الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الفَتَاةِ بِمَعْزِلِ   فَأَبِيتُ لاَ حَرِمٌ وَلاَ مَحْرُومُ[(١)]

أنه أراد فأبيت الذي يقال له لا حرم، فحكى، ثم قال: ويقوّيه في ذلك قوله: [الطويل]

عَلَى حِينَ أنْ كَانَتْ عُقَيْلٌ وَشَائِظًا   وَكَانَتْ كِلاَبٌ خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ[(٢)]

فحكى ذلك الكلام، وكنى به عن الضَّبع، ويحتمل أن يكون البيت على كلامين، كأنهُ قال «لا تدفنوني» مخاطبًا أصحابه، وليس يريد نهيهم عن ذلك، ولكن يريد كشف حاله لهم وبيان عاقبة أمره فيهم، ثم أقبل على الضبع فقال «أبشري يا أُمَّ عامِرٍ بِأَكلي» وهذا يكون في تحويل الكلام عن شيء إلى آخر، كقول اللّه عزَّ وجل: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِۖ﴾[(٣)]. وقال أبو هلال: أراد أنَّ مثلي في كثرة ما نال من الناس ووترهم يصير مَصيره إلى أن يقتل ويطرح للسِّباع تأكله ولا يُدفَن؛ لأنَّ العَدُوَّ الفاحش العداوة يفعل ذلك به طلبًا للتشفّي منه، فلفظه لَفْظُ النهي والمعنى إخبارٌ؛ قال: وقال بعضهم: أراد إنَّ شَرَفي أنْ أُقْتَلَ وتأكلني السِّباعُ، وقيل: إذا قُتِلَ ولم يُقْبَرْ كان أشدَّ على قومه وأَحَضَّ لهم على طلب الثَّأْرِ، فكأنه مَكَرَ بهم، وقيل: يجوز أن يكون أراد أن يخالفوه فيقبروه بإيثارهم مخالفته، وكل هذا وجه، إلاَّ أن الأوَّلَ أقرب.

---

(١) البيت للأخطل في ديوانه ص ٦١٦؛ وتذكرة النحاة ص ٤٧٧؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥١٠؛ وشرح المفصّل ٣/١٤٦؛ والكتاب ٢/ ٨٤، واللسان (ضمر).

(٢) البيت للربيع الأسدي في الكتاب ٢/ ٨٥، وبلا نسبة في لسان العرب (وشظ).

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٩.

٢ ـ إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغُودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي

«إذا»: ظرف لقوله «لا تقبروني» ولمَّا دَلَّ اللفظ والحال وقد جعل خبر المبتدأ الذي بعد لكن وهو قوله «أبشري أُم عامرٍ بأكلي وبِتَوَلِّي أمري» ويجوز أن يكون ظَرْفًا لقوله «أبشري» في القول الثاني، وإنما قال «وفي الرأس أكثري» لأنَّ الحواسَّ خَمْسٌ فأربعٌ منها في الرَّأْسِ: البصر للمرئيات، والأُذُن لِلسَّمَعِ، والأنف لِلشَّمِّ، والفمُ لِلذَّوق؛ قال أبو هلال: وقيل: إنَّ الرَّأْسَ يُعْرَفُ مفردًا عن الجَسد، ولا يُعْرَفُ الجسدُ مفردًا من الرّأس، قال: وليس هذا بشيء، وقد اعترضَ بين المعطوف والمعطوف عليه، وساغَ ذلك لأنه يسدّد ذلك المعنى المطلوب ويؤكده، وقوله «وَغُودِرَ عِنْدَ المُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي» يُرْوَى بفتح الثاء فيكون ظرفًا وإشارة إلى المعركة، ويُرْوَى «ثُمَّ» بضمّ الثاء ويكون حرف العطف عطف سائري به في المضمر في «غودر»، والمعنى وغودر رَأْسُهُ ثم سائره حيث التقى القومُ لِلتَّطَارُد، والأولى أجْود، وإنّما ضَعُفَتْ هذه لأنَّ عَطْفَ الظَّاهِرِ على المُضْمَرِ المرفوع ضعيفٌ حتى يُؤَكَّدَ، وتأكيدُه: وغُودِرَ هو عند المُلْتَقى ثُمَّ سائرُهُ. ويجوز أن يكون «سائره»[1] في موضع النصب معطوفًا على رأسي، كأنه احتملوا رأسَهُ ثم سائِرَهُ فيكون أقربَ؛ ويُروَى «إذا احتملت رأسي».

٣ ـ هُنَالِكَ لاَ أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلاً بِالجَرَائِرِ

«هنالك» إشارة إلى الوقت الذي يَتَناهى فيه الأَمَدُ، وهو ظَرْفٌ لِلاَ أَرْجُو، والمعنى: في ذلك الوقت لا أطمعُ في حياةٍ سَارَّةٍ لي وأنا مخذولٌ مُسْلَمٌ بجرائري في القبائل لا يُرَى إلا شَامِتٌ أو طالبٌ للانتقام منّي، و«سَجِيسَ اللَّيالي»: امتدادُه وسلاسَتُهُ في الاتّصالِ، وهو اسم الفاعل من سَجَسَ، وهو ظرفٌ لقوله «مُبْسَلاً بِالجرائرِ» وانتصبَ «مُبْسَلاً» على الحال، وقوله «لا أرجو حياة» يجوز أن يريد البعث بعد الموت، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ مُقِرًّا بالبعثِ لكنه لم يحمدْ عاقبته لكثرة جرائره، فقال «لا أرجو حياة تسرّني» لم يَنْفِ الحياةَ أصلاً، وإنما نفى حياةً تَسُرُّ، والمُبْسَل: المُسْلَمُ.

ذكروا أن الشَّنْفَرَى من الأَوَاس بن الحَجْر بن الهَنْو بن الأسد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كَهْلاَن بن سَبَأ، وأنَّ بَنِي شَبَابَةَ حَيًّا من فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلاَن أَسَرُوا الشَّنْفَرى وهو غلام صغير، فلم يَزَلْ فيهم، ثم إن بني سَلاَمَان بن مُفَرِّج بن عَوْف بن مَيْدَعان بن مالك بن الأسد أسروا رجلاً من بني شَبَابَة من فَهْم، ففدته بنو شَبابة بالشَّنْفَرَى، فكان الشَّنْفرى في بني سَلاَمَان لا يحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، وكان اتَّخَذَهُ ابنًا، فقال لها: اغْسِلِي رأسي يا أُخَيَّةُ، فأنكرَتْ أن

---

(١) الأصح (سائري).

يكونَ أَخاها، ولطَمَتْ وَجهَهُ، فذهبَ مُغاضبًا، حتى قَدِمَ الرَّجلُ الَّذي اشتراه من فَهْم، وكان غائبًا، فقال له الشَّنفرى: مِمَّنْ أنا؟ قال: مِنَ الأَوَاس بن الحَجْر، فقال: أما إني لا أدعكم حتى أقتل منكم مائةَ رجل بما اعتبدتموني، فقام يقتلُهم حتَّى قتلَ تسعة وتسعين رجلاً، وضربَ الرجل الذي تمّمَ به المائة جمجمة الشَّنْفَرَى بعد موته فعقرت قدمه فمات منها، وقال الشَّنفرى للجارية السَّلاَمِيَّة[1]: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي وَالأَمَانِيُّ ضَلَّةٌ ... بِمَا ضَرَبَتْ كَفُّ الفَتَاةِ هَجِينَهَا

وَلَوْ عَلِمَتْ جَعْسُوسُ أَنْسَابَ وَالِدِي ... وَوَالِدِهَا ظَلَّتْ تَقَاصَرُ دُونَهَا

قعسوس: لقبٌ لها، وجعسوس بلغة أزد شنوءة.

أَنَا ابْنُ خِيَارِ الحَجْرِ بَيْتًا وَمَنْصِبًا ... وَأُمِّي ابْنَةُ الأَحْرَارِ لَوْ تَعْرِفِينَهَا

فلم يَزَلْ يقتلهم حتى قعدَ له أسِيدُ بن جابر السَّلاَمِيّ وخازم النُّقْمِيّ بِالنَّاصف من أبيدةٍ، وأبيدة: وادٍ، ومعهما ابن أخي أسيد بن جابر، وكان الشَّنْفَرى لا يرى سوادًا باللَّيل إلاَّ رماه، فمرَّ، فأبصر السوادَ فوقفَ، وقال: كَأَنَّكَ شيء، ثم رَمَى فشَكَّ ذراعَ ابن أخي أسيد بن جابر إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشَّنفَرى: إنْ كنتَ شيئًا فقد أصَبْتُكَ، وإنْ لم تكنْ شيئًا فقد أَمِنْتُكَ، وكان خازم باطحًا: أي منبطحًا بالطريق يرصده، فنادى أُسَيْدُ بن جابر: يا خازم، أَصْلِتْ، أي سُلَّ سَيْفَكَ، فقال الشَّنْفَرى: إذا ما تضرب، فَأَصْلَتَ الشَّنفرى، فقطع اثنتين من أصابع خازم، وضبطه خازم حتى لَحِقَهُ أسيد وابن أخيه، فجبذوه وأخذوا سِلاحَهُ، وصَرَعَ الشَّنفرى خازمًا، فضبطه ابن أخي أسيد، وأخذ أسيد برِجل ابن أخيه، فقال: رِجْلُ مَنْ هذه؟ فقال الشَّنْفَرى: رِجلي، فقال ابن أخي أسيد: هي رِجلي، فأرسلها، وأخذوا الشَّنْفَرى، فأدُّوه إلى أهلِهم، فقالوا له: أنشدنا، فقال: إنما النَّشِيدُ عل المَسَرَّة، فأرسلها مثلاً، ثم رَمَوْه في عينه، وقال له السَّلاَمي: أطْرِفُكَ، فقال الشَّنْفَرى: كَاكَ نفعل، يريد كذلك، وكان الشَّنفرى إذا أبصر رجلاً من بَنِي سَلاَمان قال: أطْرِفُكَ، ثم يرميه في عينِهِ، ثم ضربوا يَدَهُ فتبعرصَتْ: أي اضْطَرَبَتْ، فقال الشَّنْفَرى: [الرجز]

لاَ تَبْعَدِي إمَّا ذَهَبْتِ شَامَهْ ... فَرُبَّ وَادٍ نَفَّرَتْ حَمَامَهْ

وَرُبَّ خَرْقٍ قَطَعَتْ قَتَامَهْ ... وَرُبَّ قَرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهْ

ثم قالوا له: أين نقبركَ؟ فقال:

لا تقبروني إنَّ قبري محرم

الأبيات.

(١) انظر الديوان ص ١٤٠.

[١٦٦] وقالَ تَأَبَّطَ شَرًّا:

وهو ثابت بن جابر، وهو من فَهْم، وَفَهْم وعَدْوَان أَخوان وكان خطبَ امرأةً من عَبْسٍ من بني قارب، فأرادت نكاحه، فوعدته، فلما جاءها وَجَدَها قد نَزَعَتْ، فقال لها: ما غَيَّرَكِ؟ فقالت: واللَّه إنَّ الحسبَ لَكَرِيمٌ، ولكنَّ قَوْمي قالوا: ما تصنعينَ برجلٍ يُقْتَلُ عند أحدِ اليومين وَتَبْقَيْنَ بلا زوجٍ؛ فانصرفَ عنها وهو يقول:

١ ـ وَقَالُوا لَهَا لاَ تَنْكِحِيهِ فَإِنَّهُ لأَوَّلِ نَصْلٍ أَنْ يُلاَقِيَ مَجْمَعَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يجوز أن يكون موضع «أن يلاقي» رفعًا بالابتداء؛ وخبره «لأول نصل» والجملة في موضع خبر إن، والتقدير إنَّ تأبَّطَ شَرًّا مُلاَقاتُه مَجْمَعًا لأوَّلِ نصلٍ يجرّده، ويجوز أن يكون موضع «أن يلاقي» نصبًا على أن يكون بدلاً من الهاء في «إنه» كأنه قال: إن ملاقاته مجمعًا لأول نصل، والهاء من «فإنه» يجوز أن تكون لتأبَّطَ شَرًّا، وهو الأجود في الوجهين، ويجوز أن تكون للأمر والشَّأن في الوجه الأوّل، ويكون تفسيره الجملة؛ ويجوز أن تكون في موضع الظرف: أي زمن أن يلاقي مَجْمَعًا، والمعنى: هو لأوَّلِ نَصْلٍ إذا لاقى مجمعًا: أي يُقْتَلُ بأوَّلِ نَصْلٍ يعمل في ذلك الوقت، ويُرْوى «أن يلاقي مصرعًا»: وَالمَصْرَع يجوز أن يكون مصدرًا ومكانًا وزمانًا، وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول «يلاقي» ويجوز أن يكون مفعول «يلاقي» محذوفًا ويكون «مصرعًا» في موضع الحال، كأنه قال: أن يلاقيه ذا مَصْرَع: أي مصروعًا، فحذف المضاف.

٢ ـ فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْيٍ فَتِيلاً وَحَاذَرَتْ تَأَيُّمَهَا مِنْ لاَبِسِ اللَّيْلِ أَرْوَعَا

الفَتِيلُ والنَّقِيرُ والقِطْمِيرُ يُضْرَبُ المثل بها في حَقَارة الشَّيء، والأروعُ: يكون المُرَوَّعُ الحديدُ الفؤادِ، ويكون الجميل، وقوله «وحاذَرَت»: في موضع الحال، والأجود أن يضمرَ معها قد: أي لم تَرَ فتيلاً من الرَّأي محاذرة، والمعنى لم تَرَ من الصَّوَابِ في الانصراف عنّي شيئًا قليلاً، والتَّأَيُّمُ: الأيْمَةُ، تأيَّمَتِ المرأةُ تَأَيُّمًا وآمَتْ تئيمُ أَيْمَةً وأُيُومًا؛ إذا بَقِيَتْ بلا زوجٍ.

٣ ـ قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأْرِ أَوْ يَلْقَى كَمِيًّا مُسَفَّعَا

«قليل غرار النوم» من صفة لابسِ اللَّيلِ، فإنْ قِيلَ: ما معنى «قليل غِرار النوم»؟ وإذا كان الغِرَارُ القليلُ من النوم فأنت لا تقول: هو قليلُ قليلِ النوم، قلت: يجوز أن يُرَادَ بالقليلِ النَّفْيُ لا إثباتُ شَيءٍ منه، والمعنى: لا ينامُ الغِرارَ، فكيف ما فوقَهُ؟ ويجوز أن يكون المعنى: نومُه قليلٌ ما يَقِلُّ من النوم: أي نومُه قليلُ القَلِيلِ، يريد أنه مُسَهَّدٌ وأنَّ أكثرَ ما يَهتمُّ له طلبُ دَمِ الثَّأرِ أو ملاقاةُ كَمِيٍّ مُسَفَّعِ الوَجْهِ لِدَوامِ تَبَذُّلِهِ في الحروب،

وقوله «أو يَلْقَى» أنْ مُضْمَرة بين أو والفعل، ولولا ذلك لم يَجُزْ عَطْفُ الفِعْلِ على الاسم لاختلافِهما، وإذا أُضمِرَ «أنْ» يصيرُ حرفُ العطف ناسقًا اسمًا على اسم، والتقدير: أكبرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأْرِ أو لِقَاءُ كَمِيٍّ، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1] والتقدير: أو أنْ يرسل رسولاً، حتى تكون أنْ مع الفعل في تقدير مصدر مَنْسُوق على قوله: ﴿وَحْيًا﴾ إذ قد يَمْتَنِعُ أن يُحْمَلَ على أن يُكَلِّمَ، قال أبو هلال: ويُرْوَى «مشنعًا» بالنون؛ قالوا: وهو الذي عليه سلاحه.

٤ ـ يُمَاصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمَهُ   وما ضَرْبُهُ هامَ العِدا لِيُشَجَّعَا

يجوز أن يكون «يماصِعُهُ» صفةً لِكَمِيًّا مُسَفَّعًا لأنَّ مثله من الأفعال يكون صفة للنكرة وحالاً للمعرفة، ويكون الثناء على خَصْمه الذي هَمُّه مُلاقَاته كالثَّناءِ عليه، ويجوز أن يكون راجعًا إلى الأوَّل وداخلاً في صفاته فيتبع قوله «قليلُ غِرارِ النَّوم»، وأصْلُ المماصعة: الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ والرَّمْيُ، يقال: مَصَعَ بِذَنَبِه؛ إذا حَرَّكَهُ، ومَصَعَ الطَّائر بِذَرْقِهِ: إذا رَمَى به، وقوله «كُلٌّ» أي: كُلُّ واحدٍ من الناسِ، فأفردَ وهو في النِّيَّةِ مضاف، ومعنى البيت أنَّ كلّ مَنْ قاتَلَ هذا الرجل قاتله طمعًا في أن ينسبَهُ قومه إلى الشَّجاعة وما ضَرْبُهُ هام العدا لمثل ذلك، وقوله «يشجِّعُ قومَهُ» أي: لأن يشجّعَ قومه، والمفعول محذوف، بدلالة قوله: «وما ضَرْبُهُ هامَ العِدَا لِيُشَجَّعا»، فلما حذفَ «أنْ» رفَعَ الفعل، وعلى هذا التفسير يكون «قومه» مرفوعًا: أي يشجّعه قومُه، ويُروَى «كلٌّ يُشَجِّعُ يَوْمَه» أي: في اليوم الذي لَقِيَ العدوَّ، ويُرْوَى «كلٌّ يُشَجِّعُ نفسَه» ومَنْ روى «كلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمَهُ» بالنَّصب فالمعنى راجعٌ إلى ما ذكرناه أيضًا لأن شجاعته في نفسه شجاعة قومه، فكأنه بإقدامه في الحروب كسبَ لِقومه ذكر الشجاعة فيهم ونسبها إليهم.

٥ ـ قَلِيلُ ادِّخَارِ الزَّادِ إلا تَعِلَّةً   فَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ والتَصَقَ المِعَا

تَعِلَّةً: تَفْعِلَةً من عَلَّلْتُهُ بكذا، فهو كالتَّقْدِمَة من قَدَّمْتُ، والشَّراسِيفُ: مَقَاطُ الأضلاع، ولا يَنْشِزُ إلاَّ لِلهزالِ، وذكر القلَّة هٰهنا مقصود به إلى النفي لا غير، بدلالة مجيء الاستثناء بعده، وإذا كان كذلك لم يثبتِ القليلُ به، والمعنى: ما يَدَّخِرُ مِنَ الزَّادِ إلاَّ قَدْرًا يَتَعَلَّلُ به، فقد أَثَّرَ الطَّوَى فيه حتى هزلَ فترى رؤوس أضلاعِه شاخصةً، وعلى هذا قول اللّه تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾[2] و﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٥١ و٥٢.
(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤١.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٤٢.

٦ - يَبِيتُ بِمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ ... وَيُصْبِحُ لا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا

مَغْنَى الوَحْش: منزلُها، يقال: غَنِيتُ بمكانِ كذا وكذا، إذا نزلت به؛ أغْنَى غَنَى مفتوح الأوَّل، وَغَنِينا أيضًا عِشْنَا، وفي القرآن﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾[1] أي: كأنْ لم يعيشوا، يقول: طالَ ملازمته الوَحْشَ حتى أَلِفْنَهُ فلا يحميها مراتِعَهَا: أي لا يَمْنَعُها عن الرَّعي إذا حَضَرَها، وقوله «لا يحمي لها» أي لا يحمي من أجلها مَرْعًى؛ كأنه لا يمنعُها من الرَّعْيِ فهي لا تخاف منه لأن هِمَّتَهُ مصروفةٌ إلى غيرها.

٧ - عَلَى غِرَّةٍ أَوْ نُهْزَةٍ مِنْ مُكَانِسٍ ... أَطَالَ نِزَالَ القَوْمِ حَتَّى تَسَعْسَعَا

على تتعلق بقوله: لا يحمي، والمعنى: لا يحافظ لها ولا يترقَّبها إلا على غَفْلَةٍ واغترارٍ منه إيّاها، والمُكَانِسُ: المُلازِمُ لِلكِنَاسِ، وَتَسَعْسَعَ من قولهم: تسعسع الشَّهْرُ، إذا وَلَّى، وروى أبو هلال «تَشَعْشَعَا» قال: من قولهم: رجلٌ شَعْشَاع: أي حُلْوٌ خفيفٌ: أي صار لبقًا بالنّزال مليح الطِّعانِ والضِّرابِ لطول عادته لذلك، والمصراع الأوّل ينافي المصراع الثاني؛ لأنَّ الأوَّل في صفة الوحش والثاني في صفته.

٨ - وَمَنْ يُغْرَ بِالأَعْدَاءِ لاَ بُدَّ أَنَّهُ ... سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَصْرَعِ المَوْتِ مَصْرَعَا

أي: وَمَنْ يَلْهَجْ بمحاربةِ الأعداءِ لا بدَّ أنْ يَلْقَى بذلك مَصْرَعًا.

٩ - رَأَيْنَ فَتًى لاَ صَيْدُ وَحْشٍ يُهِمُّهُ ... فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحْنَهُ مَعَا

يريد أن يبيّنَ سببَ أُنْسِهَا به بِأشْفَى مِمَّا قَدَّمَهُ، فيقول: رأت الوحشُ به فَتًى صَيْدُ الوَحْشِ ليسَ مِمَّا يُخْطِرُهُ ببالٍ، فقوله «لا صَيْدُ وَحْشٍ يُهِمُّهُ»: من صِفَةِ الفتى، ونَفَى بقوله «لا» الفعلَ؛ فلذلك لم يُكَرِّرْ «لا» مرتين كما يقال: لا عَبْدٌ لكَ ولا جاريةٌ، وإذا كان ذلك فقد أضمرَ بعد «لا» فعلاً، وجعلَ الصَّيْدَ يرتفعُ به، ويكون الفعل الظاهر بعده تفسيرًا له، كأنه قال: لا يُهِمُّهُ صَيْدُ وحشٍ يُهِمُّهُ، والمصافحةُ: أصْلُها في ممارسة صفحة إحدى اليدينِ الأخرى عند السَّلام، فاستعارها للتمكين والاستسلام، وقوله «معًا» في موضع الحال: أي مُصطحِبةً ومُجتمِعَةً.

١٠ - وَلَكِنَّ أَرْبَابَ المَخَاضِ يَشُقُّهُمْ ... إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِدًا أَوْ مُشَيَّعَا

المخاض: هي النّوق الحوامل، وهو اسم صِيغَ للجماعة منها، ولا واحد لها من لفظها، وإنَّمَا خَصَّها لأنَّ التَّنَافُسَ فيها أكثر، كأنّه قال: لا يُهِمُّهُ طَلَبُ الوحشِ لَكِنْ يُهِمُّهُ قَصْدُ أربابِ الإبلِ في أموالهم، وانتصب «واحدًا» على الحال، والعامل فيه «اقتفروه» أي:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٢.

منفردًا، ويقال: اقْتَفَرْتُ الوحشَ، إذا تتبّعتَ أثَرَهَا، ومعنى «يَشُفُّهُمْ» يُهزِلُهُمْ ويكدُ عَيْشَهُمْ.

١١ ـ وَإنِّـي وَإنْ عُـمِّـرْتُ أَعْـلَـمُ أنَّـنِـي سَأَلْقَى سِنانَ المَوْتِ يَبْرُقُ أَصْلَعَا

جواب الشّرط في قوله «أعلم أنني» وهو على إرادة الفاء، ويجوز على نِيَّةِ التقديم والتأخير، وأصلع: أي مُنْكَشِفٌ بارز لا يستره شيء: أي قُصَارَاي الموتُ وإن طالَ عمري.

[١٦٧] وقال بعض بني قيس[١] بن ثعلبة:

١ ـ دَعَـوْتُ بَـنِـي قَـيْـسٍ إلَـيَّ فَـشَـمَّـرَتْ خَـنـاذِيـذُ مِـنْ سَـعْـدٍ طِـوالُ الـسَّـوَاعِـدِ

الثاني من الطويل، مطلق مؤسّس موصول؛ والقافية متدارك.

الخناذيذ: يُسْتَعْمَلُ في فحول الخيل، ويقال: إنه من الأضداد وإنه يقال خِنذيذٌ لِلفَحْلِ وللخصي، وليس الخصاء مما يُحْمَدُ في الخيل، وإنّما يجيء الخِنْذيذ في صفة الفرس الجواد، قال بشر بن أبي خازم يصف الفحل: [الوافر]

وَخِـنْـذِيـذٍ تَـرَى الـغُـرْمُـولَ مِـنْـهُ كَـطَـيِّ الـزِّقِّ عَـلَّـقَـهُ الـتِّـجَـارُ

يعني بِالتِّجار الخمارين؛ فقد ثبتَ أن الخِنذيذ عندهم وصفٌ محمودٌ، ويجوز أن يكون الخِنذيذ إنما اسْتُعْمِلَ في الخيل على النَّقْلِ من موضعٍ إلى موضع؛ لأنهم يقولون لما أشرف من أنوف الجبال: خناذيذ، فلعلهم قالوا ذلك للخَيل كما قالُوا فَرَسٌ سَهْبٌ، إذا كان كثير الجري، لما قالوا: مكان سَهْبٌ أي واسع، كأنهم أرادوا بالخناذيذ من الخيل الطِّوَالَ الصِّلابَ، شَبَّهوها بخناذيذِ الجبال، قال مالك بن الرَّيْب: [الطويل]

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أجِدْ سِوَى السَّيْفِ والرُّمْحِ الرُّدَيْنِي بَاكِيَا
وأشـقـرَ خـنْـذِيـذٍ يَـجُـرُّ عِـنَـانَـهُ إلى المَاءِ لم يَتْرُكْ لَهُ المَوْتُ سَاقِيَا

وقوله: طوال السواعد أي ممتدة القامات مبسوطة الأيدي بالضَّرب والطَّعن، ويجوز أن يريد بالطُّوال الاقتدار والغلبة، كما يقال في السَّلاطة: هو طويل اللِّسان، والخناذيذُ: الكِرَام من الرجال أيضًا، كما يُسْتَعارُ القُرُوم المصاعب لهم، ومَنْ زعمَ أن الخناذيذ الخصيان والفحولة فقوله بعيد من الصواب، و«طوال» يكون جمع طَويل وَطُوَال، ومفعول «شمرت» محذوف، والمراد: رَفَعَتْ ذيولَها متخفّفة للقتال.

٢ ـ إذَا مَـا قُـلُـوبُ الـقَـوْمِ طَـارَتْ مَـخَـافَـةً مِنَ المَوْتِ أرْسَوْا بِالنُّفُوسِ المَوَاجِدِ

(١) عند المرزوقي «بعضُ بني قَقْعَس».

جواب «إذا» قوله «أَرْسَوْا» وأرسوا مفعوله محذوف؛ كأنه قال: أرسوا قلوبهم بالنفوس الكريمة: أي أثبتوها، والمواجد: جمع ماجدة، وأصله الكثرة، يقول: إذا طارت القلوب من الخوف ففرَّ أصحَابُ هؤلاء ثبتوا بالنّفوس الشّريفة.

[١٦٨] وقال سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة[١] بن قيس بن ثعلبة جَدُّ طَرَفَةَ بن العَبْد:

١ - يـا بُـؤْسَ لِـلْـحَـرْبِ الَّـتـي ... وَضَـعَـتْ أرَاهِـطَ فَـاسْـتَـراحُـوا

من مرفّل الكامل، مطلق مردف موصول، والقافية متدارك.

اللاّم في قوله «يا بُؤْسَ لِلحربِ» دخلت لتأكيد الإضافة في هذا الموضع، وهي إضافة لا تُخَصِّص ولا تُعَرِّف، وهذه اللاَّم على هذا الحدّ لا تجيء إلاَّ في بابين: أحدهما باب النفي بلا، وذلك نحو «لا غُلاَمَيْ لك ولا أَبَا لَكَ» وما أشبههما، والثاني باب النداء في قولك «يا بُؤْسَ للحرب» وإنّما المعنى: يا بؤسَ الحربِ، ألا ترى أنه لو لم يُرِدِ الإضافَة لَنَوَّنَ يا بؤسَ في النصب لكونه نكرة، أو كان يجعله معرفة فيبنيه على الضمِّ، وقد أتى الشاعر به في باب النفي على أصله في الإضافة فقال: [الوافر]

أَبِـالْـمَـوْتِ الَّـذِي لاَ بُـدَّ أَنِّـي ... مُـلاَقٍ - لاَ أَبَـاكِ - تُـخَـوِّفِـيـنِـي[٢]

والذي يدلُّ على أن هذه الإضافة لا تخصّص أن «لا» قد عملَ معها، وهو إنما يعمل في النَّكِرَات، وأراهط: جمع جمع، كأنهم قالوا رَهْط وأَرْهُط ثم قالوا أراهط، كما قالوا زَنْد وأَزْنُد وأَزَاند، قال الهذليّ: [الطويل]

أَقَبَّا الـكشوحِ أهْـضَـمَـانِ كِلاَهُـمَـا ... كَـعَـالِـيَـةِ الـخَـطِّـيِّ وَارِي الأَزَانِـدِ

وسيبويه عنده أن العرب لم تنطقْ بأرهط، وقد حكاه غيره، فإذا نصبت «أراهط» جعلتَ الحرب الفاعلة، وليس الوضع هٰهنا ضدّ الرفع، وإنما المراد أنها تركتهم فلم تكلّفهم القتال فيها، وإنّما يَعْني سعدُ بن مالك الحارثَ بن عُبَادٍ ومَنْ كان مثله في اعتزال الحرب، وقد رُوِيَ أن الحارث لمّا حارب مع بني بكر بعد قتل بُجَير قال: أتراني ممّن وَضَعَتْهُ الحرب؟ فهذا يدلُّ على النصب، ومَنْ رفع «أراهطُ» فالمعنى: يا بؤسَ لِلحربِ التي وضعتها أراهطُ، وهذا اللَّفظ هو الأصل؛ لأن قولك: تَرَكَ بنو فلانٍ الحربَ، هو واجب الكلام، وقولك: تَرَكَتِ الحربُ بني فلان، مَجَاز واتّساع، ومثل

---

(١) سعد بن مالك: من سراة بني بكر وفرسانها المعدودين في الجاهلية قُتِلَ في حرب البسوس (ترجمته في خزانة البغدادي ١/ ٢٢٣؛ والجمحي ٣٤؛ وفي شعراء النصرانية ٢٦٤).

(٢) البيت لأبي حية النميري في ديوانه ص ١٧٧؛ وخزانة الأدب ٤/ ١٠٠؛ والدّرر ٢/ ٢١٩؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢١١ واللسان (أبى)؛ والمرزوقي ص ٥٠١.

الوجه الذي تُرْفَعُ فيه أراهط قول الحنفي: [الطويل]

فإنْ وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعْهَا وَإِنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

وقال أبو هلال: اللاّم في قوله «للحرب» زائدة، والدَّليل على ذلك أنه أضاف، ولو لم يكن مضافًا كان يجب أن يقول: يا بؤسًا للحربِ، ونحن نقول: إنه أراد يا بُؤْسَى فَرَخَّمَ، فقال يا بُؤْسَ؛ كما تقول في ترخيم سلمى: يا سَلْمَ، فإنْ قِيلَ: لا يرخّم إلاّ اسم علم، قلنا: قد جاء في الشّعر ترخيم ما ليس بعلم، وهو قوله:

يـا تَـلْـعَ سَـيْـلُـكِ غَـامِـضُ

وذلك أنكَ جعلته معرفة في النداء، والتَّرخيمُ إنما يكون في المعارف، وقوله «فاستراحوا» أي: لما صَغُرَ شأنُهم فقعدوا عن طَلَبِ المعالي وتحمّل المشقّات في ابتغاء الحمدِ، وقال بعض الأعراب لرجلٍ: إنّه قد وضع المكارمَ فاستراحَ؛ وقال رجل للأحنف: لا أبالي أَهُجِيتُ أمْ مُدِحْتُ، فقال: استرحت من حيث تعب الكرام، وقال الخليل بن أحمد: إراحتهم من الدنيا بالقتل، ومعنى وضعتهم على هذا أنها قتلتهم.

٢ - وَالـحَـرْبُ لاَ يَـبْـقَـى لِـجَـا حِـمِـهَـا الـتَّـخَـيُّـلُ وَالـمِـرَاحُ

يجوز أن يريد صاحب التَّخَيُّل، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، الجاحم: الملتهب: أي مَن كان ذا خيلاء وَمَرَح ثم بُلِيَ بالحرب شغلته عن خيلائه ومَرَحِه، على هذا يدلُّ ظاهرُ الكلام، وقيل: معناه لا يصبرُ ذو الخيلاءِ والمَرَحِ على حَرِّ الحرب، وفَحْوَى البيت لا يدلُّ على هذ المعنى، ولكن البيت الثاني يدلّ عليه وهو قوله «إلاّ الفتى».

٣ - إلاَّ الـفَـتَـى الـصَّـبَّـارُ فـي الـنَّـجَـ ـدَاتِ وَالـفَـرَسُ الـوَقَـاحُ

«إلاّ الفتى» ارتفع على أنه بدل من التَّخَيُّل، وهذه لغة تميم، ولغة سائر العرب النصب فيما كان استثناء خارجًا، وإن كان جائيًا بعد النفي؛ لأنَّ كَوْنَهُ ليس من الأوّل يبعد البدل فيه، والنصب كان جائزًا على كلِّ وجه، والنجدات: الشدائد، والصبر: أصله الحبس، وصَبَّار: فَعَّال بناء للمبالغة، ولا يجوز أن يكون اسم الفاعل من صَبَّرَ لأن اسم الفاعل من صَبَّر مُصَبِّر.

٤ - وَالـنَّـثْـرَةُ الـحَـصْـدَاءُ وَالـ ـبَـيْـضُ الـمُـكَـلَّـلُ وَالـرِّمَـاحُ

الحصداءُ: الجَدْلاءُ، ومصدره الحَصْدُ، ويقال: حَصِدَ يَحْصَدُ حَصَدًا، وأَحْصَدْتُهُ فهو مُحْصَدٌ، وقوله «والبيض المُكَلَّلُ»: يعني المسامير لأنها غُشِّيَتْ وسُمِّرَتْ.

٥ - وَتَـسَـاقُـطُ الأَوْشَـاظُ وَالـذِّ نَـبَـاتُ إذْ جُـهِـدَ الـفِـضَـاحُ

ويُرْوَى «وتساقطَ التَّنْوَاط» قوله «وتساقطَ التَّنْوَاط» ينعطف على قوله «وضعت أراهط فاستراحوا» يقول: وتساقط الدُّخَلاءَ والهُجَنَاءُ الَّذين نِيطُوا بِصميم العرب فلم يكونوا منهم، والتَّنْوَاط مصدر في الأصل كالتَّرْدَاد والتَّكرار، فكأنَّ المُرَاد ذو التَّنْوَاط، فَحُذِفَ المضافُ وأُقِيمَ المُضَافُ إليه مَقَامَهُ، ويجوز أن يكون وصفه به كما يُوصَفُ بالمصادر، وذكر بعضهم أن التَّنْوَاط ما يُعَلَّقُ على الفَرَس من إداوةٍ وغيرها، لأنَّ كلَّ ذلك قد نِيطَ به ثم أُطْلِقَ تشبيهًا على الدُّخَلاءِ، واسْتُعْمِلَتْ هذه اللفظة في الدَّعِيِّ، فيجوز أن يريد بذوي التَّنْوَاط الأدْعِياء. والذِّنَبَات: التباع والعُسَفَاء، وذكر بعضهم أن الذنبات لا يقال في الناس، وإنما يقال أذناب، كما قال: [البسيط]

قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ والأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا[1]

ومن حيث جاز الأذنابُ واستعارتُها جازَ استعارةُ الذِّنَبَةِ والذِّنَبَاتِ، وهم المتخلّفون، يقول: إذا بلغَ الأمرُ إلى حَدٍّ يقع من التقصير فيه الفضيحة سقط هؤلاء فيكون الغناء فيه للرّؤَسَاء لما لهم فيه من قوة الرَّأْي وصدق اللّقاء.

٦ ـ وَالكَرُّ بَعْدَ الفَرِّ إذْ كُرِهَ التَّقَدُّمُ وَالنِّطَاحُ

٧ ـ كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ ساقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

هذا مثل تضربه العرب في كشف السَّاق، وذلك أنَّ الرجلَ إذا أرادَ أن يمارسَ أمرًا شَمَّرَ ذَيْلَهُ، فاستعملَ ذلك في الأنيس، ثم نقل إلى الحرب وغيرها من خطوب الدَّهر التي تعظمُ وتشتدُّ، وقد قيل: السَّاق اسم لِلشِّدَّةِ، وفُسِّر عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[2] فقيل: المعنى يوم يكشفُ عن شِدَّةٍ.

٨ ـ فَالهَمُّ بَيْضَاتُ الخُدُورِ هُنَاكَ لاَ النَّعَمُ المُرَاحُ

أراد بِبيضاتِ الخدورِ النّساء، ويجوز أن يكون قولهم للمرأة «بيضة الخدر» من قبل أنهم شَبَّهوها ببيضة النَّعَامَةِ، ولا يمتنعُ أنْ يكونَ قولهم «بيضة الخدر» يُرَادُ بها حقيقة ما ينصب من أجله لأنهم قد قالوا «بيضة الصَّيف»: يريدون شدّة حَرِّهِ؛ وقالوا للرَّجُلِ الخاملِ الذي لا يُعْرَفُ نَسَبُهُ «هو بَيْضَةُ البلدِ» ولِلرجلِ المشهور «هو بيضةُ البلد» قالت أُخت عمرو بن عبد وُدّ ترثيه وكان عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام قتله: [البسيط]

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَمْ تَخْلُ نَفْسِيَ طُولَ الدَّهْرِ مِنْ كَمَدِ
لكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لاَ يُعَابُ بِهِ وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يُدْعَى بَيْضَةَ البَلَدِ[3]

---

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٦.
(٢) سورة القلم، الآية: ٤٢.
(٣) البيتان في تاج العروس (بيض).

فهذا مدح، وقال الراعي: [البسيط]

أَبَتْ قُضَاعَةُ لَمْ تَعْرِفْ لَكُم نَسَبًا   وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ البَلَدِ[1]

ويقال: إن أصل ذلك أن توجد بيضة في مكان خالٍ فيقال: هذه بيضة البلد، كأنّما باضها هو، يقول: هَمُّنا أن نَسْبي النساء لا أن نُغِيرَ على النَّعَم.

٩ - بِئْسَ الخَلائِفُ بَعْدَنا   أَوْلادُ يَشْكُرَ وَاللِّقَاحُ

يُروَى «اللَّقَاح» بفتح اللامّ و«اللِّقاح» بكسرها، يقول: خَلَّفْنا مَنْ لا دِفاعَ به من الرِّجال والأموال فبِئْسَ الخلائفُ بَعْدَنا؛ جعل أولاد يَشْكُر كاللِّقاح - وهي الإبل بلا لبن - في حاجتها إلى مَنْ يَذُبُّ عنها، ومَنْ روى واللَّقاح - بفتح اللاّم - فالمراد بَنُو حنيفة، وكانوا لا يدينون للملوك، ويكون الكلام على هذا تهكّمًا يعني أنهم لا يَحْمُونَ حَوْزَتَهم بعدنا فهي لمَن غلبَ.

١٠ - مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِها   فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ

أي: أنا المشهور بأبيه المُسْتَغْنِي عن تطويلِ نَسَبِهِ، وقوله «لا بَرَاحُ» الوجه فيه النصب، لكن الضرورة دَعَتْ إلى رفعِها، وقال سيبويه: جعل «لا» كليس هنا فرفع النَّكِرَة، وجعل الخبر مضمرًا، كأنه قال: لاَ بَرَاحَ عِندي في الحرب؛ وهذا يقلُّ في الشّعر ولا يكثرُ، وجعل غيره «براح»: مبتدأ والخبر مضمرًا، وإنما يحسنُ ذلك إذا تكرَّر لا كقول القائل: لا درهم لي ولا دينار، ولا عبد لي ولا أمة، إلا أنه جوَّز للشاعر الرفع في النَّكِرَة بعد «لا» وإن لم يُكَرِّرْ لأنَّ أصلَ ما ينفي بلا الرفع، فكأنه من باب رَدِّ الشَّيء إلى أصله؛ ويقال: ما برحت من مكان كذا وكذا: أي ما زلت، بَرَاحًا وَبُرُوحًا، وما برحت أفعل كذا بَرَاحًا: أي أقمت على فعله، مثل ما زلت أفعله، فالبَرَاح الأوّل في المكان، والثاني في الزّمان، ولا بُدَّ له من خبر.

١١ - صَبْرًا بَنِي قَيْسٍ لَهَا   حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَاحُوا

أي: اصبروا لهذه الحرب حتّى تقتلوا أعداءَكُم فتُريحوهم من شِدَّتِها أو يقتلوكم فيُريحوكم من ذلك، ونحو هذا قولهم للميت: مستريح، أو مستراح.

١٢ - إنَّ المُوَائِلَ خَوْفَهَا   يَعْتَاقُهُ الأَجَلُ المُتَاحُ

الموائل: الذي يطلب الموئل، خَوْفَهَا: أي خوف الحرب، ونصب الخوف بالموائل، ويعتاقه: أي يشغلُهُ الأجلُ عن النَّجاءِ فيقعُ فيما يكرهُ منها، والمُتَاحُ: المُقَدَّرُ،

---

(١) البيت في تاج العروس (بيض) باختلاف بسيط في اللفظ.

وهو كقولهم: لا ينفعُ مِمَّا هو واقعٌ التَّوَقِّي[1].

١٣ ـ هَـيْـهَـاتَ حَـالَ الـمَـوْتُ دُو نَ الـفَـوْتِ وَانْـتُـضِـيَ الـسِّـلاَحُ

أراد أن الموتَ قد حالَ دون أن يفوت الرجل فيذهب عن هذه الحروب منهزمًا، يريد أنه ليس إلاّ القتل أو الغلب.

١٤ ـ كَـيْـفَ الـحَـيَـاةُ إذَا خَـلَـتْ مِـنَّـا الـظَّـوَاهِـرُ وَالـبِـطَـاحُ

الظواهر: أعالي الأودية، والبِطاح: بطونها، وهو من نوادر الجمع واحدها أبْطَح وبَطْحَاء.

١٥ ـ أَيْـنَ الأَعِـزَّةُ وَالأَسِـنَّـةُ عِـنْـدَ ذَلِـكَ وَالـسَّـمَـاحُ

قال أبو رياش: هذه الأبيات قالها سعْد يُعَرِّضُ بالحارث بن عُبَاد بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة، وكان من حُكَّام ربيعة وفرسانها المعدودين، وكان قد اعتزل حَرْبَ ابني وائل وَتَنَحَّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحَلَّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ولم يشدد فيها عُرْوَة ولم يحلّ منها عُقْدة، وقال: «لا نَاقَةٌ لي فيها ولا جَمَل» فذهبت مثلاً، فلم يزل الحارث بن عُبَاد معتزلاً لحربهم متنحّيًا حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج بُجَيْر بن عَمْرِو بن عُباد في أثر إبل له نَدَّتْ يطلبها، فعرض له مُهَلْهِل بن ربيعة بن مرّة بن الحارث بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل في مِقْنَب من مَقَانِب بني تغلب يطلبون غِرَّة بكر بن وائل، فلمَّا نظر إليه أعجبه الغلام وما رأى من جماله وهيئته، فقال له: مَنْ أنت يا غلام؟ فقال: أنا بجير بن عمرو بن عُبَاد، قال: فمَن خالك؟ قال: أُمي أخيذة؛ فَبَوَّأَ له الرّمحَ ليطعنه به، فقال له امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم وكان من أشراف بني تغلب وساداتهم وكان على مُقَدَّمتهم زمانًا طويلاً: لا تفعل، فواللّهِ لَئِنْ قتلته لَيُقْتَلَنَّ به منكم كبش يُسْأَلُ عن خاله مَن هو، وإيَّاكَ أن تَحْقِرَ البَغْيَ والظُّلم فإنَّ عاقبتهما وبئة، وقد اعتزَلَنَا عَمُّه وأبوه وأهل بيته واعتزلوا قومهم وتركوا قتالاً مع بكر بن وائل، فخلِّ عنه وأطعني، فأبى على امرىء القيس المهلهلُ إلاَّ قتله، فطعنه برمحه حتى خرج من ظهره، وقال: بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ[2] كُلَيبٍ، فبلغ كلامُه عَمَّ الغلام الحارث بن عُبَاد، وما كان من أمره، وكان من أحلم أهل زمانه وأشدّهم بأسًا وبدنًا، وكان أحد حكّام وائل، وامرؤ القيس بن أبان الآخر، فقال الحارث: نِعْمَ القتيلُ قتيلٌ أصلحَ بين ابْنَيْ وائلٍ فَكَفَّ سُفَهَاءَهم وَحَقَنَ دماءَهم. فقيل له: إنَّ

---

(١) يوجد بيت في هذه الحماسية بعد هذا في رواية الجواليقي وهو:

يَـا لَـيْـلَـةً طَـالَـتْ عَـلَـيَّ تَـفَـجُّـعًـا فـمـتـى الـصَّـبَـاحُ

(٢) باء فلان بفلان: قُتِلَ به. وشِسعُ النعل: قِبالُها الذي يُشَدُّ إلى زمامها.

المهلهلَ إنَّما قتله بشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ، فلم يقبلْ ذلك، ولم يعجل على القوم، وأرسلَ إليهم وإلى امرىء القيس: إنْ كنتم إنما قتلتم بُجَيْرًا بكليبٍ وانقطعَتِ الحربُ بينكم وبين إخوانكم فإنِّي راضٍ بذلك وَطَيَّبْتُ به نفسي ليهدأَ هذا الأمرُ، فأرسل إليه المهلهل: إنما قتلته بِشِسْعِ نعل كليب، فقال الحارث بن عباد لأمَةٍ له: رُدِّي جمالك ألحقك الشَّرُّ بِأهلك، فمن أناس ما أنت، فذهبت مثلاً، ودعا بفرسه وكانت تسمّى النَّعَامَة، فَجَزَّ ناصيتها، وهلب ذنبها، ويقال: قطعه؛ وكان أول مَن فعل ذلك بالخيل على ما زعموا، فقال بعض العرب: رَدَّهَا جَذَعَة، وقال في مردود جواب المهلهل عليه: [الخفيف]

لاَ بُجَيْرٌ أغْنَى قَتِيلاً وَلاَ رَهْـ ... ـطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلاَلِ

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

هذا مثل ضَرَبَه، لأن الناقة إذا حالت وقَرَعَهَا الفحلُ كان أسرع للقاحها، وإنما يعظم أمر الحرب.

لَمْ أكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـ ... ـهُ وَإنِّي بِحَرِّهَا اليَوْمَ صَالِي

قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّي ... إنَّ قَتْلَ الكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَالِي

ثم ارتحل بجماعة أهل بيته ومَنْ كان معه من قومه، حتى نزلَ مع جماعة بكر بن وائل، وعليهم يومئذٍ الحارث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، فكان يوم التَّحَالُق[1].

[١٦٩] وقالَ جَحْدَرُ بن ضُبَيْعَة[2] بن قيس بن ثعلبة بن ضُبَيْعَة:

وجَحْدَر: اسمه رَبيعة، وإنما جَحْدَرَهُ قصره، وجَحْدر: هو الجَعْدُ القصير من الناس، فهو صفة منقولة.

١ ـ قَدْ يَتِمَتْ بِنْتِي وَآمَتْ كَنَّتي

٢ ـ وَشَعِثَتْ بَعْدَ الرِّهَانِ جُمَّتي

من مشطور الرجز، والقافية من المتدارك.

قوله «يَتِمَتْ» مصدره اليُتْم، وقوله «آمَتْ» مصدره الأيْمَة والأُيُوم، و«الكَنَّةُ» قال الخليل: هي امرأة الأخ أو الابن، ويشهد لما قاله قول الشَّاعر: [مجزوء الخفيف]

هِيَ مَا كَنَّتي وَتَزْ ... عُمُ أنِّي لَهَا حَمُو

---

(١) الأبيات والقصة ببعض التصرُّف في الأغاني ٥/ ٥٢ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) جاء في المرزوقي: «قال جحدرٌ، وهو ربيعة بن ضُبَيعة».

وهذا الشَّاعر من بني كُنَّة[1]، وبنو كُنَّةَ: بَطْنٌ من العربِ، وكان فيه أخوان لأَحَدِهما امرأةٌ فَهَوِيَهَا أخوه وكتمَ داءَهُ فسَلَّ جِسمُه ضرًّا وهزالاً، واستعجم أمره على أهله، فلما خِيفَ عليه الموت أحضروا الحارث بن كَلَدَةَ، وكان طبيب العرب، فلما رآه واسْتَبْهَمَ أمرُه عليه قال: أطْعِمُوه واسقوه نبيذًا، فلما شَرِبَ أنشأ يقول: [الهزج]

أَلاَ رِفْــقَــا أَلاَ رِفْــقَــا ... قَــلِــيــلاً مَــا أُكُــونَــنَّــهْ
أَلِــمَّــا بِــي عَــلَــى الأَبْــيَــا ... تِ بِــالْــخَــيْــفِ أَزُرْهُــنَّــهْ
غَــزَالاً مَــا رَأَيْــتُ الــيَــوْ ... مَ فــي وَفْــدِ بَــنِــي كُــنَّــهْ
غَــضِــيــضَ الــطَّــرْفِ مَــرْبُــوبًــا ... وَفِــي مَــنْــطِــقِــهِ غُــنَّــهْ

فقال الطبيب: قد كاد يُبْدي عَمَّا في نفسه، فزيدوه من الشَّراب، ففعلوا؛ فلما شربَ ثانيةً أنشأ يقول: [مجزوء الخفيف]

أَيُّــهَــا الــرَّكْــبُ سَــلِّــمُــوا ... وَارْبَــعُــوا كَــي تُــكَــلَّــمُــوا
وَتُــقَــضُّــوا لُــبَــانَــةً ... وَتُــحَــيُّــوا وَتَــغْــنَــمُــوا
خَــرَجَــتْ مُــزْنَــةٌ مِــنَ الْــ ... ـبَــحْــرِ رَيَّــا تَــحَــمْــحَــمُ
هِــيَ مَــا كَــنَّــتِــي وَتَــزْ ... عُــمُ أَنِّــي لَــهَــا حَــمُــو

فلما سمعَ أخوه مقالته طَلَّقَ للوقتِ امرأتَهُ ونزلَ عنها لأخيه، فأبى المريضُ تَزَوُّجَها حياءً من أخيه، فلم يَزَلْ على حالته حتى قضى نَحْبَهُ[2].

ويعني جحدر بالكَنَّة امرأة نفسه، والشَّعَثُ والشُّعُوثَةُ: اغْبِرَارُ الشَّعْرِ وتلبّده.

٣ ـ رُدُّوا عَــلَــيَّ الــخَــيْــلَ إنْ أَلَــمَّــتِ

٤ ـ إنْ لَــمْ يُــنَــاجِــزْهَــا فَــجُــزُّوا لِــمَّــتِــي

يريد اصرفوا وجوهها إلَيَّ، والمناجزة: المعاجلة بالقتال.

٥ ـ قَــدْ عَــلِــمَــتْ وَالِــدَةٌ مَــا ضَــمَّــتِ

٦ ـ مَــا لَــفَّــفَــتْ فــي خِــرَقٍ وَشَــمَّــتِ

ويُرْوَى «ولففت» فمَن رواه هكذا فهو عطف على «ضمّت» ومَن رواه «ما لفَّفت» أبدل «ما» الثانية من الأولى، كقولك: قد عرفت ما عندكَ ما في ضميرك، وإنَّما يبدلُ

---

(١) بنو كُنَّة: قبيلة من العرب، نُسِبوا إلى أُمهم وضبطه الجوهري بفتح الكاف، والضمّ عن ابن دريد.

(٢) القصة والشعر في: ذمّ الهوى ص ٢٢٠؛ ومصارع العشاق ٢/٢٠٨؛ وتزيين الأسواق ص ٢٧٨؛ واعتلال القلوب المخطوط ص ١٥٦؛ وعيون الأخبار ٤/١٣١؛ وروضة المحبين ص ٣٤٨.

الموصوف من الموصول لما تتضمّنه صلة الثّاني من زيادة البيان والفائدة، وإلاّ فنفس الموصولين مجرّدين من الصّلة بمنزلة واحدة، وقد يجوز أن تكون «ما» استفهامًا فتكون منصوبة الموضع بما بعدها من الفعل، وتكون الجملة الثانية مُبْدَلَة من الجملة الأولى، والتَّكْرَارُ على هذا الوجه تفخيمٌ لِلقصة: أي قد عُلِمَتْ جلادتي وشهامتي وأنا صغير، كما قال الكميت: [الكامل]

وَرَأَوْا عَـلَـيْـكَ وَمِـنْـكَ فِـي الـــ ـــمَـهْـدِ الـنُّـهَـى ذَاتَ الـبَـصَـائِـرْ

٧ ـ إذَا الـكُـمَـاةُ بِـالـكُـمَـاةِ الـتَـفَّـتِ

٨ ـ أَمُـخْـدَجٌ فـي الـحَـرْبِ أَمْ أَتَـمَّـتِ

المخدج: الناقص الخلق.

هذه قالها في يوم التحالق: وذلك أن بكر بن وائل اجتمعوا واحتشدوا فقال الحارث بن عُبَاد للحارث بن همام: هل أنت مُطِيعِي يا حارِ فيما أُريد أن أعمله؟ فقال له الحارث بن همام: هل أجِدُ بُدًّا من طاعَتِكَ والمصير إلى أمركَ؟ فقال له الحارث بن عباد: إنَّ القومَ كانوا لكَ ولِقومِكَ مُسْتَقلِّين فزادهم ذلك في الحرب جرأةً عليكم، فقَاتِلْهُمْ بالنساء فضلاً عن الرجال، فقال له الحارث بن همام: وكيف قِتالُ النساء؟ قال: قَلِّدْ كل امرأةٍ منهنَّ إداوةً من ماء، وأعْطِهَا هراوةً، واجعلْ جَمْعَهُنَّ من ورائِكم، فإنَّ ذلك يزيدكم جدًّا في القتال واجتهادًا، وعَلِّمُوا بعلامات يَعْرِفْنَها، فإذا مَرَّتِ المرأةُ منهنَّ على صريع منكم عرفته بعلامة فسَقَتْهُ من الماءِ ونَعَشَتْهُ، وإذا مَرَّتْ على رجلٍ من غيرِكم ضربَتْهُ بالهراوةِ فقتلَتْهُ وأتَتْ عليه. فأطاعوه وفعلوا ذلك، وحَلَقَتْ بنو بكر يومئذٍ رؤوسَهَا استبسالاً للموت، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم، ولم يبقَ منهم أحدٌ إلاَّ حَلَقَ رأسَه؛ غير جحدر فإنَّه كان رجلاً دميمًا حَسَن اللّمّة فارسًا من الفرسان المعدودين، فقال: يا قوم، إنْ حَلَقْتُمْ رأسي شَوَّهْتُم بي، فدعوا لِمّتي لأوّلِ فارسٍ يطلعُ من الثَّنِيَّةِ غدًا من القوم، ففعلوا ذلك وتركوا لِمّتَهُ، وقال عامر بن تَيْم اللاَّت بن ثعلبة يومئذٍ لِلنَّاسِ: قطعوا ثمار سِياطكم، فإنَّ الرجلَ منكم يضربُ فرسَه فينقبَ بطنَه ولا يعلمُ أو يعقره أو يؤثر به أثرًا قبيحًا، ففعلوا ذلك، وهو أوّل يوم قطعت فيه ثمار السِّياط على ما يزعمون، فَسُمِّيَ عامر بن مالك مقطِّع الجذم؛ لذلك، والتقى الناس يومئذ بأشدّ ما يكون من القتال، وجالت بكر بن وائل جولة، فصعدَ البُرَكُ ـ وهو عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس ـ في ثنيّة قِضَّةَ ومعه أُمه على ناقة لها، فلما توسط الثَّنِيَّة ضرب عرقوبي الناقة ثم نادى: أنا البرك، أبرك حيث أدرك، ثم انتضى سيفه، وقال: واللّه لا يمرّ بي رجل من بكر بن وائل منهزمًا إلا ضربته بالسيف، أفي كلِّ يوم فرار وعار؟ وقال في ذلك: [الطويل]

سَدَدْتُ كَمَا سَدَّ ابْنُ بِيضٍ طَرِيقَهُ فَلَنْ يَجِدُوا فَرْطَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعَا

وكان ابن بيض رجلاً من العماليق مجاورًا للقمان بن عاد، وكان له عليه خراج كلّ عام ثيابًا يؤدِّيها إليه، وكان يريدُ الخلاصَ من لقمان ومفارقته فلا يقدر على ذلك خوفًا من لقمان، فلما أحسَّ بغفلة من لقمان ارتحلَ يريد قومَهُ، ثم خافَ الطَّلَبَ وعَلِمَ أنَّه لا يفوته، حتى مَرَّ على ثنيَّة ليس للقمان طريق غيرها فعمدَ إلى ما كان يعطي لقمان من الثياب فوضعه في الثنيَّة، ومضى لِشَأنِه، وفقده لقمان فاتّبعه فلما صارَ إلى الثنيّة وَجَدَ الثّيابَ فقال لِمَنْ معه: قد واللّه سدّ ابن بيض طريقنا واتَّقَانَا بِحقّنا، وإنَّ اتّباعه لَمِنَ البَغْي، فارجعوا بنا، فأخذ الثّيابَ ورجعَ، فضربته العرب مثلاً، وهو قول بشامة بن حزن: [المتقارب]

كَـثَـوْب ابـنِ بـيـضٍ وَقَـاهُـمْ بِـهِ ... فَـسَـدَّ عَـلَـى الـسَّـالِـكِـينَ الـسَّـبِـيلاَ

وكان مع الفند ـ وهو شهل بن شيبان ـ بنتان له جاريتان بَذِيَّتَانِ فتكشفت إحداهما وهي تحضّض النّاس وتقول: [الرجز]

وَغًـى وَغًـى وَغًـى وَغًـى ... حَـرَّ الـحـرار وَالـتَّـظَّـى
وَمُـلِـئَـتْ مـنـه الـرُّبَـا ... يا حَبَّذَا المحلقونَ بالضُّحَى

وقالت بنت الفِنْدِ الأخرى: [الرجز]

نـحـنُ بـنـاتُ طـارِقْ ... نَـمْـشِي عَـلَـى الـنَّـمَـارِقْ
إنْ تُـقْـبِـلُـوا نُـعَـانِـقْ ... أوْ تُـدْبِـرُوا نُـفَـارِقْ

ثم إنَّ بَكرًا عطفت على القوم بعد ذلك فقاتلوهم قتالاً شديدًا، وأتاهم جَحْدَر بأول فارس طلعَ من الثنية من بني تغلب، كما كان ضمن لهم، واستعرض الحارث بن عُبَاد القوم يومئذ من جانب لا يقف على أحد من بني تغلب إلا صرعه، وإذا اشتهر موضعه قصد إليه فاحتمله عن سرجه حتى يأتي به أصحابه وهو لا يعرفه، فحمل على رجل منهم لا يعرفُه كفعلاته وكان الرَّجُل من فرسانهم ومِمَّنِ اشتهرَ موضعه وحاله، فقال له الرجل: ارفقْ بي وأدُلُّكَ على عَديّ بن ربيعة، قال له الحارث: دُلَّني عليه وأنتَ آمِنٌ، قال: لا واللّه أو يُجيرُني عليكَ هذا الشَّيْخُ ـ يعني عَوْفَ بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ـ فقال له الحارث: يا عوف أجِرْهُ عَلَيَّ، قال له عوف: اقتلْ أسيركَ، قال: أَجِرْهُ، قال: أسألُكَ بِالرَّحِم إلاَّ قَتَلْتَهُ، قال له الحارث: بل أسألُكَ بالرّحم إلاَّ أجرته، وجعل عوف يتخوَّفُ أن يكونَ يغدرُ به، وقد عرفَهُ عوف وعرف الرجلُ عوفًا، وكانت قبل ذلك بينهما مودّةٌ وخلةٌ، فلمّا أكثرَ عليه الحارث بن عباد قال له عوف: خَلِّه حتى يصيرَ خلفَ ظهري وبين كتفي، فلما فعل الحارث ذلك به قال له عوف: خَبِّرْهُ مَنْ أنت! قال: أنا عديّ بن ربيعة، فقال له الحارث: أَحِلْني على غيرك، قال: أترضى بامرىء القيس بن أبان؟ قال: نعم، أين هو؟

قال: أترى صاحب الفرس الشَّقراء، التي يَعْطِفُها كيف يشاءُ، المعتجر بالعمامة الحمراء؟ قال: نعمِ، فحمل الحارث بن عباد عليه، فاحتضنه فجاء به إلى أصحابه ثم قتله ببجير بن عمرو بن عُبَاد، وقال الحارث: «رمح الجبان أطول»، فذهبت مثلاً، وقال الحارث في ذلك: [الخفيف]

طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحُرُوبِ وَلَمْ يُطـ ـلَلْ قَـتِـيـلٌ أَبَـانَـهُ ابْـنُ أَبَـانِ(1)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَـمْ أعْـ ـرِفْ عَـدِيًّا إذْ أمْـكَـنَـتْـنِـي الـيَـدَانِ
فَـارِسٌ يَـضْـرِبُ الـكَـتِـيـبَـةَ بِـالـسَّـيْـ ـفِ وَتَـسْـمُـو أمَـامَـهُ الـعَـيْـنَـانِ

وامرؤ القيس بن أبان هو الذي قال لمهلهل يوم قَتل بُجَيرًا: فواللّه لَئِنْ قتلتَهُ ليقتلنَّ به رجل لا يسأل عن خاله، فكان هو المقتول به، وحمل رجلٌ من بني تغلب على امرأة من بكر بن وائل وخلفه رديف يقال له البزباز بن مازن، ومع المرأة صبيّ، فطعنَ الصَّبيَّ برمحه، فرفعه وهو يقول: ويل لأمِّ الفرخِ، ويقال: إنَّ البزبازَ هو الذي أمره أن يطعنَ الصَّبِيَّ، فبنو تغلب يتشاءمون بالبزباز وقومه لما أشار به؛ فرآه الفِنْدُ فحملَ عليه فطعنه ورديفه فانتظمهما برمحه، وقال الأبيات التي أولها: [الهزج]

أَيَـا طَـعْـنَـةَ مَـا شَـيْـخٍ كَـبِـيـرٍ يَـفَـنٍ بَـالِـي

وهي تأتي فيما بعد إن شاء اللّه؛ وأصابت جحدرًا يومئذ جراحٌ شديدةٌ فخرَّ صريعًا مع القتلى، فَمَرَّتْ به النساءُ ولم يكن حلقَ رأسَه، فوَجَدْنَهُ ذا لِمَّةٍ؛ فظَنَنَّهُ من بني تغلب فقتلنه، واقتتلَ الفرسان يومئذٍ قتالاً شديدًا، وصبرَ بعضُهم لبعضٍ أشدّ ما يكون من الصَّبر حتى كان آخر النهار من ذلك اليوم، فانهزمَتْ بنو تغلب ومَضَتْ على وجوهها، ولحقتْ بِالظَّعْنِ بقيّة يومها وليلتها، فاتبعهم سَرَعَان بكر بن وائل، وتخلَّفَ الحارث بن عُبَاد، وكان سعد قد عيَّره باعتزالِه حربَ قومه بقوله: [الكامل]

يَـا بُـؤْسَ لِـلْـحَـرْبِ الَّـتِـي وَضَـعَـتْ أرَاهِـطَ فَـاسْـتَـرَاحُـوا

فقال له: أتراني ممَّن وضعته الحرب؟ فقال: لا، ولكن لا مخبأ لعطر بعد عَرُوس، تمّ الخبر.

[١٧٠] وقال شَمَّاس بن أسود الطُّهَوِي لِحَرِّيّ بن ضَمْرة بن ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل:

شَمَّاس: من الفَرَس الشَّمُوس؛ وإنما يريدون أنه أبيٌّ عزيز، وهذا أشبه من اليوم

(1) في الأغاني ص ٥٤ (دار الكتب العلمية): «أَبَأْتُهُ ابنَ».

الشَّامِس، وإن كان ذلك جائزًا، وسُمِّيَتِ الخمرُ شموسًا تشبيهًا بالفرس الشَّمُوس؛ لأنَّها تحملُ الشَّاربَ على غير ما يحسن.

١ ـ أغَـرَّكَ يَـوْمًـا أنْ يُـقَـالَ ابْـنُ دَارِمٍ وَتُقْصَى كَمَا يُقْصَى مِنَ البَرْكِ أجْرَبُ؟

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «أغَرَّكَ يومًا»: لفظُه لفظُ الاستفهام ومعناه التَّوبيخ، يقال: غَرَّهُ، إذا غَشَّهُ وخبره[1] بما لا يجبُ السّكون إليه، ويقال: ما غَرَّكَ مني: أي لِمَ وَثِقْتَ بي، وما غَرَّكَ بي: أي لِمَ اجترأتَ عَلَيَّ، وما غَرَّكَ عَنّي: أي لِمَ غَفلْتَ عَنِّي، فيقول: اغتررتُ بقولِ النَّاسِ فيكَ هو ابن دارم وإنْ أُخِّرَتْ مَنزِلَتُكَ: أي أغَرَّكَ شرفُ آبائِكِ واقتصرتَ عليه وظَنَنْتَهُ شرفًا لكَ وأنتَ تُقْصَى أي تُبْعَدُ كما يُبْعَدُ الأجربُ من جماعة الإبلِ مخافةَ عَدْوَاه، وقوله «ابن دارم»: يجوز أن يكون مبتدأ وخبرُه محذوف، وأن يكون خبرًا والمبتدأ محذوف، والمُضْمَر في الوجهين أنتَ أو هو.

٢ ـ قَضَى فِيكُمْ قَيْسٌ بِمَا الحَقُّ غَيْرُهُ كَـذَلِـكَ يَـخْـزُوكَ الـعَـزِيـزُ الـمُـدَرَّبُ

وروى أبو هلال «قضى فيكم نُوسٌ بما الحقُّ غيره» نُوس: رجل، أي قضى فيكم بغير الحقِّ فرضيتَ لِضَعْفِكَ «كذلك يخزوكَ» أي يَسُوسُكَ، والعزيز: الغالب، والمُدَرَّبُ: البصيرُ بالأمور المعتاد لها.

٣ ـ فَـأَدِّ إلَـى قَـيْـسِ بـن حَـسَّـانَ ذَوْدَهُ وَمَا نِيلَ مِنْكَ التَّمْرُ أوْ هُوَ أطْيَبُ

معناه أنه أخذَ منه أكثرَ مِمَّا أخذَ من جاره، والواو من قوله «وما نِيلَ» واو الحال، كأنَّه قال: أدِّهِ وأنتَ إذا أُكِلْتَ مُسْتَطَابٌ، وقوله «أو هو أطيبُ»: أي: أطيبُ من التَّمْرِ، والحذفُ من الخبر جائزٌ، و«أوْ» هي أوِ الإباحَة، أراد أنَّ فيما أصابَكَ من المكروهِ شفاءً لِغَيْظٍ وبردًا على الفؤاد.

٤ ـ فَإلاَّ تَصِلْ رِحْمَ ابنَ عَمْرِو بنِ مَرْثَدِ يُعَلِّمْكَ وَصْلَ الرِّحْمِ عَضْبٌ مُجَرَّبُ

يقول: إن لم تفعلْهُ طوعًا فعلته كرهًا.

كان من خبر هذه الأبيات أنَّ قيسَ بن حسّان بن عمرو بن مَرْثَد بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة كان نازلاً في أخواله بني مُجَاشع، وكان رجلٌ من بَنِي أسدٍ يُقَالُ له عمرو بن عمران جارًا لحرّيّ بن ضَمْرَةَ بن ضَمْرَة، فأخذ قيس بن حسان بَكرًا من إبلِ عَمْرو بن عمران، فأتى عمرو حرّيّ بن ضمرة فقال: إنَّ قيسًا قد أخذَ بكرًا من إبِلي وأنا جارُكَ، فَغَضِبَ حَرِّيّ فأتى قيسًا فضربَهُ بالسَّيفِ ضربةً على ساعده، فقطع

(١) عند المرزوقي: «ختره» وختره: غَشّه وخدعه.

زنده، ثم أخذَ من إبله ثلاثين بعيرًا فدفعها جميعًا إلى عمرو بن عمران، فقال حريّ: [الطويل]

عَمْرو بْنَ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهَجْمَةٍ ... مَكَانَ قَلُوصٍ رَازِمٍ أنْ أُعَيَّرَا
وَأوْفَيْتُهُ مِنْهُ ثَلاثِينَ جِلَّةً ... وَلَمْ يَكُ نَصْرِي اليَوْمَ أنْ أتَدَبَّرَا

قوله «أنِ أُعَيَّرَا» أي: مخافَةَ أنْ أُعَيَّرَ، وهم يحذفون المصدر مع أن كثيرًا، ومنه الآية ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] أي: مخافة أن تضلَّ، وقوله «أن أتدبَّرا» أي: أتدبَّر الأمر وأنظر في عاقبته وأُفكّر فيما يجيء بعد، وهي طويلة، وقال أيضًا: [الطويل]

عَمْرو بْنَ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهَجْمَةٍ ... فَآبَ وَلَمْ يُقْرَفْ بِعَوْرَاءَ جَارِيَا
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا هَنِيًّا فَإنَّهَا ... سَتُغْنِيكَ يَوْمًا أنْ تَمَنَّى الأَمَانِيَا

فانطلقَ قيس بن حسان إلى أخواله بني مجاشع فأخبرهم بالذي صنع به حَرِيّ فغضبوا من ذلك ومشوا إلى بني نهشل، فقالوا: يا بني نهشل، إن لم نكنْ أخوالَ قيس بن حسان فإنّكم أخواله، فَرُدُّوا عليه إبله فكلّموا حريّ بن ضمرة فأبى أنْ يَرُدَّها، فقال لهم بنو مجاشع: إمَّا أنْ تردّوا الإبلَ، وإمَّا أنْ تخلعوا حريّ بن ضمرة، فخلعوه، وأخذه بنو مجاشع بأضاخ، فضربوه وجرّوه وأخذوا منه أكثر من الإبل التي كان أخذ من قيس بن حسان، فلمّا رأى ذلك أتى بني نهشل فقال: يا بني نهشل، إنه قد أتى إليَّ أمرٌ قبيحٌ، فانصروني، فأبوا أن ينصروه، وقالوا: إنكَ قطعتَ إخوتَكَ وأسأتَ فيما بينك وبينهم، فقال في ذلك حريّ بن ضمرة يعيّر بني نهشل خذلانهم إياه: [البسيط]

إنِّيَ إنْ أسْتَطِعْ وَالدَّهْرُ ذُو أمَلٍ ... أجْعَلْ لأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ أشْطَانَا
يَشْفِي الغَلِيلَ وَيَجْزِي العَامِدِينَ لَهَا ... بِالظُّلْمِ ظُلْمًا وَبِالعُدْوَانِ عُدْوَانَا

وأخذتْ بنو مجاشع أيضًا عبد عمرو أبا عجرد بن ضمرة بن ضمرة فضربوه ضربًا شديدًا وأوثقوه حتى ردَّت عليهم الإبل، وولي ذلك منهم نواس بن عامر بن جؤي بن سفيان بن مجاشع، وكان أبو عجرد قد أسرَ حسان بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد، فكان يَتَمَنَّنُ بها على نواس، فيقول: ناصية ابن عمّكم عندي، فقال الفرزدق: [الطويل]

نَحْنُ أَخَذْنَا عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمْ نَجِدْ ... لَهُ عَبْد عَمْرٍو عَنْ رَحَى الشَّرِّ مَذْهَبَا
فَجِئْنَا عَلَى رَغْمِ العُدَاةِ نَقُودُهُ ... إلى الحَيِّ نُغْشِيهِ الحُزُونَةَ مُتْعَبَا
بِنَاصِيَةِ القَيْسِيِّ يَسْعَى عَلَيْكُمُ ... غُلامًا وَيَسْقِيكُمْ ذُعَافًا مُقَشَّبَا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

فقال شماس بن أسود:

أَغَـرَّكَ يَـوْمًـا أَنْ يُـقَـالَ ابْـنُ دَارِمِ

الأبيـات.

وقال حَرِّيٌّ يردّ عليه: [الطويل]

لَنَا رَأْسُ رِبْعِيٍّ مِنَ العِزِّ مصعب		لَدُنْ أنْ أقَامَتْ فِي تِهَامَةَ كَبْكَبُ

أصل الرِّبْعِيّ الذي يكون في الرَّبيع من نَبْتٍ وغيره، وقالوا: غزاة ربعيّة؛ إذا كانت في وقت الرّبيع، وقالوا لأولاد الرَّجُل في أول عمره: رِبْعِيُّونَ، وأراد حَرِّيّ أنَّ عِزَّهُمْ قديمٌ، تَمَّ الخبر.

[١٧١] وقال حُجْرُ بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة:

**١ ـ وَجَدْنَا أَبَانَا حَلَّ فِي المَجْدِ بَيْتُهُ		وَأَعْيَا رِجَالاً آخَرِينَ مَطَالِعُهْ**

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «حَلَّ في المجدِ بيتُه»: في موضع المفعول الثاني لوجد؛ لأنه بمعنى علم، والبيت لا يحلّ، وإنما يحلّ فيه، ولكنه رَمَى بالكلامِ على السّعةِ والمجازِ، لأن المعنى لا يحيلُ، يقول: وجدنا أبانا حَلَّ بيته في الشَّرَفِ وصعبَ على رجال آخرين فلم يبلغوه.

**٢ ـ فَمَنْ يَسْعَ مِنَّا لاَ يَنَلْ مِثْلَ سَعْيِهِ		وَلَكِنْ مَتَى مَا يَرْتَحِلْ فَهْوَ تَابِعُهْ**

يقول: مَنْ طَلَبَ نَيْلَ مكانِهِ من الشَّرَفِ كان أقصى غايته بعد استفراغ مجهوده أنْ يكون تابعًا له.

**٣ ـ يَسُودُ ثِنَانَا مَنْ سِوَانَا وَبَدْؤُنَا		يَسُودُ مَعَدًّا كُلَّهَا لاَ تُدَافِعُهْ**

الثُّنَى: مَنْ دون الرئيس لكنه يليه في الرُّتْبَة، مثل وليّ العهد في الإسلام، والبَدْءُ: السَّيِّدُ غيرُ مُدَافَع عن أَوَّلِيَّةِ سيادتِه، فكأنَّ المرادَ بهما الأول في الرِّياسة والثَّاني، وأَصْلُ الثُّنَى من ثَنَيْتُ الشَّيء، وفي الحديث «لا ثِنَى في الصَّدَقَةِ» أي: لا تُؤْخَذُ في السَّنَةِ مرّتين، ويقال: ثَنَيْتُ الشَّيءَ ثَنْيًا، ثم يُسمّى المثنى ثنيًا، وما يثنّى به هو أيضًا ثنيًا، وعلى هذا الضّعف يقال: ضَعَفْتُ الشّيء، مخفّفًا، بمعنى ضاعفت، ثم يسمّى المضعوف ضِعفًا بالكسر، والمضعوف به ضِعفًا أيضًا، والبَدْءُ: العظمُ المنفصلُ بما عليه من اللَّحم، كأنه من هذا، ومعناه: إنَّ المغمور فينا إذا حصلَ في غيرنا سَادَهم، والرَّئِيسُ تُسَلَّمُ له الرّياسة على قبائل مَعَدٍّ كُلِّها غيرَ معارَضٍ فيها ولا مُدَافَعٍ عنها.

**٤ ـ وَنَحْنُ الَّذِينَ لاَ يُرَوَّعُ جَارُنَا		وَبَعْضُهُمُ لِلْغَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهْ**

أي: تصمُّ مسامِعُه عن ذِكْرِ العارِ فلا يبالي بِذَمِّ النَّاسِ له، وفي طريقته: [الكامل]

إنْ يَجْبُنُوا أوْ يَغْدِرُوا أوْ يَبْخَلُوا لاَ يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِيـ ـنَ كأنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا[1]

٥ ـ نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبَعْضُهُمُ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهْ

نُدَهْدِقُ: نَغْلي، والدَّهْدَقة: الصَّوت، ويقال للقِدْرِ «دهادق» إذا سمعت صوتَ غليانها، وقيل: ندهدقُ نطرحُ بعضَ اللَّحْمِ على بعضٍ مُقَطعًا، وقال صاحب العين: الدَّهْدَقة: دَوَرَانُ البضعة الكبيرة في القِدْرِ إذا غَلَتْ تراها تعلو مرة وتسفلُ أخرى، والبَاعُ: مَثَلٌ، ويعني به الشَّرف والفَضْل؛ و«فلانٌ طويلُ البَاعِ رَحْبُ الذِّرَاع»: يُرَادُ به البسطة والشَّرف، ومَنْ روى «الباغ» بالغين منقوطة أراد الباغي، فحذفَ الياء، والبَضْع: القَطْع، أي نَتَوَلَّى ذلك كَرَمًا مِنَّا على اعتسافٍ وسُوءِ تأَتٍّ، ويجوز أن يكون البَضْع جمع بضعة فيكون المعنى إنَّا نقلبُها في القدور ولعظمها يُسْمَعُ لها في التقلُّبِ صوتٌ، والمناقعُ: القدور الصِّغار مِنَ الحجارةِ تكون لِلْفَطيم والصَّبي يطرح فيها اللَّبن والتّمر يطعمه، وهي الأتوار[2] أيضًا على ما قِيلَ، وقالوا: المناقع واحدها مِنْقَعٌ، وأصله ما يُنْقَعُ فيه الشَّيءُ، فاستعاره، وقوله «بِذَمٍّ» في موضع الحال تقديره تغلي مذمومةً.

٦ ـ وَيَحْلُبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إذَا شَتَا سَدِيفَ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهْ

«السَّدِيفُ» قالوا: هو شَحْمُ السَّنَام: أي يمضغُهُ الضَّيْفُ فيخرجُ له دَسَمُهُ فكأنه يحلبُه، ويُرْوَى «ويَحْلُبُ ضِرْسَ الضَّيْفِ» بالنَّصب، و«سَدِيفٌ» بالرَّفع: أي إذا رآه تَحَلَّبَ فُوهُ من الشَّهْوَةِ، ويُروى «ونحلبُ ضِرْسَ الضَّيْفِ» يعني أن الضَّيْفَ إذا جاءَ حُلِبَ له ونحن نجعلُ حَلْبَنا له سديفَ السَّنَام، ويقال: حَلَبْتُهُ، وَحَلَبْتُ له، يقول: إذا اشتدَّ الزَّمانُ فإنَّ الضَّيْفَ فينا يأكلُ سديفَ السَّنَامِ من الإبلِ السِّمانِ على ما تختاره أصابعُه في الجِفَانِ، والسَّدِيفُ: قِطَعُ السَّنَام، وتَسْتَرِيه: تختارُه، وموضع «تستريه» نصب على الحال للسَّدِيفِ، والعامل فيه «يحلبُ» كأنه قال: يحلبُهُ الضِّرسُ مُختارًا بالأصابعِ.

٧ ـ مَنَعْنَا حِمَانَا وَاسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حِمَى كُلِّ قَوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهْ

الهاء في «مراتعه» ترجع إلى «حِمَى كلِّ قومٍ» والمعنى: الحِمى الذي استجارَ مراتِعُهُ

---

(١) البيتان في عيون الأخبار ٢/ ٢٩؛ وديوان المعاني ١/ ١٨٢؛ وأمالي القالي ٣/ ٨٣؛ وخزانة الأدب ٣/ ٦٦٠؛ والبيان والتبيين ٣/ ٣٣٣؛ ومحاضرات الراغب ١/ ١٥٠؛ والصناعتين ١/ ١٥٠. وقال الجاحظ عن أبي عبيدة إن هذه الأبيات من الشوارد التي لا أربابَ لها.
(٢) الأتوار: جمع التَّور: إناء من صفر أو حجارة كالإجانة.

بِالممتنع القويّ؛ ويُرْوَى «مستحير» وكأنه يريد التفاف العشب من الكثرةِ وفرط الحمايةَ له.

فلما قال حجر بن خالد «يَسُودُ ثنانا مَنْ سوانا ـ البيت» رفع عمرو بن كلثوم التغلبي يَدَهُ فلطَمَهُ بين يَدَي الملكِ، فغضبَ الملكُ، وقام ابن كلثوم، فلمّا كان اللَّيْلُ أقبلَ حجر حتى دخل على عمرو بن كلثوم قُبّتَهُ فلطَمَهُ، فنادى: يا آلَ تغلبَ، قال: فواللّه ما زالتِ الخيلُ تَثُوبُ حتى ظَنَنْتُ أنَّ الأرض كلّها خيلٌ، ولجأت إلى كسر بيت، ونحن بالحيرة، فلمّا كان آخر ذلك إذا مُنَادٍ ينادي فوق قصرِ الملك يا حجر بن خالد، أنا لكَ جارٌ، قال: فواللّهِ ما زالَتْ تلكَ الخيلُ تتصدَّعُ حتى ما بَقِيَ منهم أحدٌ، قال: فأقبلت إلى باب القصر، فدخلتُ عليه، فقال لي الملك: أقتلتَ الرَّجُلَ؟ قال: قلت: بل لطمته، قال: أُفٌّ لكَ، فقال حجر يمدحه: [الطويل]

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الفَاعِلِينَ فَلَمْ أجِدْ ... كَفِعْلِ أبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلاَ
يُسَاقُ الغَمَامُ الحُوُ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ ... إلَيْكَ فَأضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلاَ
فَأصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ ... وَإنْ كَانَ قَدْ أخْوَى المَرَابِيعَ سَائِلا

أخْوَى: لم يُمْطِرْ.

فَإنْ أنْتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ البَاعُ وَالنَّدَى ... وَتُصْبِحْ قَلُوصُ الحَرْبِ جَرْدَاءَ حَائِلاَ
فَلاَ مَلِكٌ مَا يَبْلُغَنَّكَ سَبْقُهُ ... وَلاَ سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلاَ

«ما»: زائدة في الموضعين، ويقال: قالها في عبد عمرو بن بِشر بن مرثد حين أحدثَ حَدَثًا فاطّرَدَهُ الملكُ؛ فلما مدحَهُ حجر بهذه الأبيات قال: ارجعْ إلى بني عمرو فَأْتِني بهم، فأتاه بهم، فأكرمَهُمْ وأعْطَاهم.

[١٧٢] وقال حجر بن خالد أيضًا:

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا ألِيَّاءُ بْنُ عَبْدٍ ... بِذِي لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الفَعَالِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

ألِيَّاء: فعيلاء من ألَوْتُ.

٢ ـ غَدَاةَ أتَاهُ جَبَّارٌ بِإدٍّ ... مُعَضِّلَةٍ وَحَادَ عَنِ القِتَالِ

جَبَّار: رَجُل، والإدّ: المُنْكَر، قال اللّه تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إدًّا﴾(١) وقد أفردها هنا غير موصوفة فأجراها مجرى أسماء الدّواهي، وأنَّثَ المُعَضِّلة على تأنيث الإدِّ في

(١) سورة مريم، الآية: ٨٩.

المعنى، والمُعضِّلة: الدَّاهِية العَسِرَة الضَّيِّقَة، من قولهم: عَضَلَ به الأمرُ، إذا اشتدَّ عليه، ومنه قولهم: عُضْلَةٌ من العُضَلِ، وغَدَاةَ: ظرف للفعل الذي دَلَّ عليه قول «بذي لونين مختلف الفعال» كأنه جلبَ عليه هذا الرجل أمرًا منكرًا وهربَ هو، ويُروى «غداةَ أتاه جَبَّار بعبدٍ * مُغَفَّلَهُ» ومعناه أن جَبَّارًا جاءه بعبدٍ مغفّله كأنه يستغفله وحادَ هو عن القتال فقتله أَلِيَّاءُ، ويُروَى «جَبَّار بن عبد مغفّله» كأنه استغفله لمَّا أتى جبار أَلِيَّاء بن عبد ففضَّ أَلِيَّاء بن عبد مجامع الكتفين من جبَّار.

٣ ـ فَفَضَّ مَجَامِعَ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ   بِأَبْيَضَ مَا يُغِبُّ عَنِ الصِّقَالِ

الفَضُّ: الكَسْرُ والتَّفْرِيقُ، يقول: فَصَلَ مَجْمَعُ كَتِفَيْهِ بِضربةٍ من سيفٍ يُحَادَثُ بِالصَّقْلِ: أي ما يزال يَخْضِبُهُ بالدِّماءِ ثمَّ يَمْسَحُهُ فهو كلّ يوم يُصْقَلُ لأنه في كلّ يوم يخضبُ فجعلَ مَسْحَ الدَّمِ عنه صقالاً.

٤ ـ فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا   بِذِي لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ العَوَالِي

جعل الجيشَ أَزَبَّ لِكثرةِ الرِّماحِ، وأصل الزَّبَبِ في الشّعر، والمثل «كُلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ» يعني البعير الكثير الشَّعْر على الوجه والعُثْنُون لأنَّ ما حول عينيه يُخَيِّلُ إليه المناظرَ على خلافِ ما تكونُ عليه فينفر، والعوالي: جمع عالية: الرّمح، ويُراد بها جنس الرّماح.

٥ ـ وَلَكِنَّا نَأَيْنَا وَاكْتَفَيْتُمْ   وَلاَ يَنْأَى الحَفِيُّ عَنِ السُّؤَالِ

المعنى إنّا لو شهدناكم نصرناكم على أنّكم لا تحتاجون إلى نصرتِنا لِقوّتكم إلاَّ أَنَّا لم نَنْأَ عن السُّؤال لِحفاوتنا بكم، والحفاوةُ: العناية، أي لم يكنْ بأحدِ الحَيَّيْنِ افتقارٌ إلى الآخَر فصار ذلك سببًا في التَّنائي وعذرًا في التأخر عن المعاونة، ودَلَّ بقوله «ولا يَنْأَى الحَفِيُّ عن السؤال» على أنَّ القلوبَ في التَّعَطُّفِ على ما يُوجِبُه الوداد ويقال: فلان حَفِي بفلان ظاهر الحفوة أي البرّ.

[١٧٣] وقال غسان بن وعلة(١):

أحد بني مرّة بن عباد، ويقال: إنها للنمر بن تَوْلَب، قال أبو الفتح: غسان علم مرتجل، ويجوز أن يكون من أحد شيئين: إما من قولهم: فلان غُسٌّ: أي ضعيف، قال الشاعر: [الطويل]

فلم أَرْقِهِ إنْ يَنْجُ مِنْهَا وَإِنْ يَمُتْ   فَطَعْنَةُ لاَ غُسٌّ وَلاَ بِمُغَمَّرِ(٢)

---

(١) عند المرزوقي: «حَسَّان بن عُلَبَة».
(٢) البيت لزهير بن مسعود في اللسان (غسس).

وقـال: [البسيط]

غُسُّ الأَمَانَةِ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورُ(1)

فإن كان من الغُسِّ فهو فَعْلاَن، وإن كان من الغسن، وهي خصل العرف، فهو فَعَّال، وينبغي أن يكون من الأول لامتناعهم من صرفه، قال: [الطويل]

وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ... كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ

١ ـ إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمُ ... غَرِيبًا فَلاَ يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: إذا كنتَ بعيدًا عن وَطَنِكَ من قِبَلِ أبيكَ وحاصلاً في بني سعد لِكَوْنِ أُمِّكَ منهم فلا تغترّ بهم، وقوله «في سعد» يجوز أن يكون خبرًا، ويجعل «غريبًا» منتصبًا على الحال، ويكون العامل فيه «كنت» أو العامل في الظّرف ويجوز ويجوز أن يجعل «في سعدٍ» لَغْوًا، ويجعل «غريبًا» خبر كان، وقوله «فلا يَغْرُرْكَ»: جعل النَّهْيَ في اللَّفظ للخال، والمعنى لا تغترّ بِخَالِكَ من سعدٍ لأنَّ المنهي هو المخاطَب، ومثل هذا قولهم: لاَ أَرَيَنَّكَ هٰهُنا.

٢ ـ فَإِنَّ ابنَ أُخْتِ القَوْمِ مُصْغًى إِنَاؤُهُ ... إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

المُصْغَى: المُمَال: أي يُنْقَصُ حَظُّهُ وَيُظْلَمُ إذا لم تَكُنْ أعمامُه أَقْوَى من أخوالِه، وجعلَ إصغاءَ الإناءِ مَثَلاً لِنُقْصَانِ الحَقِّ لأنَّ الإناءَ إذا أُصْغِيَ أي أُمِيلَ نقصَ ما يسعُهُ، وجواب «إذا لم يزاحِمْ» مُقَدَّمٌ، وهو ظرفٌ لإصغاءِ الإناءِ، ومِثله: [الطويل]

بَنُونَا بَنُو أَبنَائِنَا وَبَنَاتُنَا ... بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الأَبَاعِدِ(2)

وروى ابن دريد هذا الشّعر لِلنمرِ بن تولب في بني سعد، وهم أخواله، وأغاروا على إبله فقال «إذا كنت في سعد ـ البيت» وبَعْدَه:

إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ ... إِلَى الغَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمِ المُرْدِ

كَيْسَان: اسم للغدر، وبعده «فإنَّ ابنَ أُختِ القوم ـ البيت».

---

(١) البيت لأوس بن حجر في اللسان وصدره: «مُخَلَّفُونَ ويقضي الناسُ أَمْرَهُمُ».

(٢) البيت للفرزدق في خزانة الأدب ١/٤٤٢؛ وبلا نسبة في الإنصاف ١/٦٦؛ وأوضح المسالك ١/١٠٦؛ وتخليص الشواهد ص ١٩٨؛ وشرح شواهد المغني ٢/٨٤٨؛ وشرح ابن عقيل ص ١١٩؛ وشرح المفصّل ١/٩٩ و٩/١٣٢؛ وهمع الهوامع ١/١٠٢.

[١٧٤] وقال بعضُ بني جهينة[1] في وقعة كلب وفزارة:

جُهَيْنَةُ: اسم مرتجل من الجهن، وهو غلظ الوجه، وكأنه تحقير جَهْنَة أو نحوها، والفزارة: أم الببر، قال: [الكامل]

وَلَقَدْ رَأَيْتُ فَزارةَ وَهَدَبَّسًا ... والفَزرُ يتبع فزرةً كالضَّيْوَن

الفزر: ابنه، والفزارة: أُخته، والهدبس: أخوه، أثبت هذا أحمد بن يحيىٰ فقبله ولم يدفعه.

١ ـ أَلاَ هَلْ أَتَى الأنْصَارَ أَنَّ ابنَ بَحْدَلٍ ... حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا[2]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «الأشراف» و«الأمصار». حُمَيْد: من بني فزارة، وجُهَيْنة وكَلْب: من قضاعة، وقَرَّتْ عيونُها: أي سُرُّوا وفرِحُوا.

٢ ـ وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ ... لِتُقْلِعَ إلاَّ عِنْدَ أَمْرٍ يُهِينُهَا[3]

يعني قيس بن عيلان: أي أنزلَ حُمَيْدٌ قيسًا بالهوانِ، ولم تَكُنْ قيسٌ لِتَكُفَّ إلاَّ إذا أُهِينَتْ وأُذِلَّتْ، ويقال: أَقْلَعَتِ السَّحابةُ، إذا انْقَشَعَتْ، تُقْلِعُ إقلاعًا.

٣ ـ فَقَدْ تُرِكَتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بنِ بَحْدَلٍ ... كَثِيرًا ضَوَاحِيهَا قَلِيلاً دَفِينُهَا

الضَّوَاحي: البوارِز، يقال: ضَحَا يَضْحَى ضَحْيًا وَضَحِيَ يَضْحَى، إذا برزَ لِلشَّمْس، يقول: كَثُرَتِ القَتْلَى فعجزوا عن دَفْنِها، وقوله «قليلاً» لم يُرِدْ أَنَّ القليلَ منهم دُفِنوا، أرادَ أنه لم يُدْفَنْ منهم أحدٌ، ومثله: [الطويل]

قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّه ... سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ المُحَبَّرُ

أي: ليس له ظِلٌّ.

٤ ـ فَإنَّا وَكَلْبًا كَاليَدَيْنِ مَتَى تَقَعْ ... شِمَالُكَ فِي الهَيْجَا تُعِنْهَا يَمِينُهَا

يقال للقوم إذا كانت نصرتهم واحدة: هم يَدٌ واحدةٌ، وفي الحديث «يَسْعَى بذِمَّتهم أَدْنَاهُم، وَهُمْ يَدٌ على مَنْ سِوَاهُمْ».

قال أبو رياش: خبر هذه الأبيات أنه لمّا كانت فتنة ابن الزُّبير، وكان عبد الملك بن مروان يقاتل مصعب بن الزُّبير، وكانت قيس زبيرية، وأن زفر بن الحارث

(١) الأبيات في الأغاني ١٩/ ٢١٤ وقد نسبها إلى سِنان بن جابر الجهنيّ.
(٢) الشطر الأول في الأغاني «لقد طار في الآفاقِ أنَّ ابنَ بحدلٍ».
(٣) في الأغاني «وعَرَّف قيسًا».

الكلابي وعمير بن الحباب السّلمي كانا يُغِيرَانِ على كلب، وكانت أبناء القيسيات من بني أمية يفخرون على أبناء الكلبيات بما تفعل بهم قيس، في البدو والحضر، فقال خالد بن يزيد بن معاوية للكلبيين: هل رجلٌ فيه خيرٌ يُغِيرُ على بادية قيس وأكفيه تباعة السلطان، فإنَّ أبناءَ القيسيات قد أهلكونا بالفخر علينا بما تفتكُ قيسٌ في الجاهلية والإسلام، فقال حُمَيْد بن بحدل خال يزيد بن معاوية: أنا لها إنْ كفيتني تباعة السّلطان، فقال خالد: أنا أكْفِيكَها إنْ فعلتَ، قال: وكيف تكفينيها؟ قال: أُرْسِلُكَ مُصَدِّقًا على باديتهم وأكتبُ لكَ عهدًا على لسان عبد الملك بن مروان بأخذِ الصَّدقة منهم حتى تنالَ حاجتك على غِرَّةٍ منهم ثم تنصرفُ، فقال له حميد: هذا الوجه الذي تنال به كفايتي. فكتبَ خالد بعد مقتل ابن الزبير لحميد بن بحدل عهدًا على صدقات أهل البدو فيه أخذ الصّدقة ممّن لقي من أموال المسلمين، فسار بجمعٍ غيرِ كثيرٍ من قومه حتى ورد على بني عبد وُدّ وبني عليم بجنوب دومة وخبت، فاستحلفهم على قيس، وأخبرهم بالّذي قال خالد وفارقه عليه، وسارَ بناس معه ذوي عدد فأدرك ناسًا من بني فزارة متفرقين للنّجعة[1]، فأصاب أوَّلَهُمْ زيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وكان ابن أُم ولد، وكان رَجُلَ صِدْقٍ، وكانت بنو بدر أبوا أن يُزَوِّجُوهُ، فتزوَّجَ في بني بَوْلاَنَ من طيّء من أهل الجبلين، فولدت له بنين، فأدركته كلب وهو آخر بني فزارة وليس معه إلاَّ بنوه وهم صغارٌ دَلَّهُمْ عليه أذانه بصلاة الفجرِ، فذبحوه عَنْوَةً، وأخذوا إبِلَه مائة، ثم لقوا بجانب الأَجْفُرِ[2] خمسةً من بني عنبس بن عيينة بن حصن خلف أهلهم، فقاتلوهم قتالاً شديدًا وشغلوهم عن النّاسِ حتى أمسوا، ثم ظهروا على الفتية، ولم يكنْ معهم سلاحٌ ولا خيلٌ، فأساؤوا الضَّرْبَ فيهم بالسّيوف حتى حسبوا أنهم قتلوهم، وقطعوا عِلْبَاوَيْ[3] ناشرة بن عنبسة، ولم يقطعوا نخاعَه، فتركوا الفتيةَ وهم يرونَ أنهم قتلوهم، فأرسلَ اللّه الدَّبُورَ فدفَنَتْهُمْ ودَحَسَتْ جِرَاحَهُمْ ترابًا فشفاهم اللّهُ بذلك، وكان أجودَ إساءٍ[4] في الأرض، وسار الكلبيّون مِنْ عشيّتهم حتى أصبحوا الغد بجانب العاه[5]، فأدركوا عبدَ اللّه بن عمّار بن عيينة بن حصن يسيرُ بأهلِه وليس معه رجلٌ غير ابنه الجعد بن عبد اللّه، فلما نظر إليهم الجعد لبسَ سلاحَهُ وركبَ فرسَهُ فنزلوا، واعتزلَ الفَتَى، فقال لهم الشَّيخ عبد اللّه بن عمّار: ما أنتم؟ قالوا: نحن سُعاةٌ بَعَثَنا عبدُ الملك بن مروان على صدقات مَنْ لَقِينا من العرب، قال: أمعكم عهدٌ؟

(١) النجعة: طلب الكلأ.

(٢) الأجفُر: ماءٌ لبني يربوع انتزعَتْه منهم بنو جذيمة، وهو موضع بين فَيْد والخُزَيمية (معجم البلدان ١/ ١٠٢).

(٣) العِلْباء: هو عَصَبٌ في العُنُق يأخذُ إلى الكاهل، وهما عِلْبَاوانِ (تاج العروس «علب»).

(٤) الإساء: الدواء.

(٥) العاه: جبل بأرض فزارة (معجم البلدان ٤/ ٧٣).

قالوا: نعم، قالوا: فأقرئوناه، فجاؤوا بِسِجِلٍّ مُسَجَّلٍ من عبد الملك بن مروان لحميد بن بحدل على صدقات مَنْ لَقِيَ من العرب والبدو: مَنْ أعطاه وكتبَ له فقد بَرِيءَ، ومَنْ عصاه فقد عَصَى اللّهَ ورسولَه وأمير المؤمنين ونزعَ يَدَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، فقال عبد اللّه بن عمّار: سمعًا وطاعةً، هذه صدقةُ مالي فخذوها، فقالوا: وما تُغْني عَنّا صدقةُ مالِكَ؟ قال: فما أصنعُ؟ قالوا: تطلبُ قومَكَ فزارة فتضمّها فتأتينا بِصدقاتها، وتُوَاعِدُنا مكانًا من أرضِكَ نقيمُ لكَ به حتى تأتينا بصدقاتِ بَني فزارة، قال: ما أقوى على ذلك، ما فزارةُ مقيمةٌ ولا مجتمعةٌ، إنَّ أوّلها بالمضاجعِ وإنّي لآخِرُها رجلاً، وأنتم أقوى على طَلَبِها مني، وقد سِرْتُم أبعد من ذلك من الشَّأمِ حتى أدركتم آخرهم باللّوى، وما أنا بِالشّابِّ السِّنّ، وما معي من بَنِيَّ وأهلي غير غلام واحد، وأنتم مدركون كلَّ يوم منهم صرمًا حتى تدركوا أوّلهم، إنما هم منتجعون يرعون حيث أدركوا المرعى، قالوا: بل هم فَارُّون بالصَّدَقة من أمير المؤمنين، مُفارِقون لِلطَّاعَة، مُلازمون للمعصية، قال: كَلاَّ لَعَمْري إنّما هم لأَهْلُ سَمْعٍ وطاعةٍ، وإنّما هم منتجعونَ، وهذا أقربُ ما كنتم منهم، قالوا: ما لكَ بُدٌّ من أن تطلبهم وتكفيناهم؛ قال: ما أقوى على ذلك، وهذه صدقة مالي خذوها، قالوا: وكيف تعطينا الصّدقة وتسمع وتطيع وهذا ابنكَ يكابرنا، قال: ما عليكم من ابني، خذوا صدقة مالي وانصرفوا إن كنتم مُصدّقين، قالوا: هذا تحقيق ما كان من قتالكم مع ابن الزبير، قال: ما فعلنا، إنما نحن أهل بدو نُؤَدّي الصدقَة إلى مَنْ قام، قالوا: إن كنتَ صادقًا فأنزل ابنكَ، قال: وماذا عليكم من ابني؟ إنه رأى رجالاً وخيلاً وسلاحًا فخاف على دَمه، قالوا: فلينزلْ وهو آمنٌ، فأتى الشيخُ ابنَه فقال له: انزلْ، فقال: يا أبتِ إنّي أرى عيونَ الذَّبَحَةِ، أَعْطِهِمْ ما أردتَ ودعني أمنعُ دمي، فرجع إليهم، وقال: دعوه وخذوا صدقتكم وانصرفوا فإنه قد أشفقَ على دَمِهِ، قالوا: ما نحنُ بقابلين منك شيئًا حتى ينزل؛ فقال: قد أبى أنْ ينزلَ، وما لكم في نزوله من حاجة، فخذوا صدقتكم وانصرفوا، قالوا: أبيت إلاّ نزوعًا إلى المعصية، يا غلام هَلُمَّ الدَّوَاةَ والقِرطاسَ قد أدركنا حاجتنا نكتبُ إلى أمير المؤمنين إنّا وجدنا ابن عيينة قد حالَ بيننا وبين بني فزارة، قال: لا تفعلوا فإني لم أفعلْ، فكتبوا إلى عبد الملك: إنّا قَدِمنا على بني فزارة فوجدنا أدناهم عبد اللّه بن عمّار بن عيينة، ووجدناه على المعصيةِ، فَعَازَّنا وحالَ بيننا وبين فزارة. ثم أرسلوا به راكبًا إلى عبد الملك، قال: يا قوم لا تفعلوا ولا تَدَّعُوا عَلَيَّ ما لم أفعلْ، وأنا أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ أنْ تَعْصُوني وأنا طائعٌ سامعٌ، فقالوا: إن كنتَ كما تقولُ فأنزلْ ابنَكَ، فقال: إنا واللّه قد أربنا بكم أفهو آمِنٌ إنْ نزلَ؟ قالوا: نعم؛ فأخذَ عليهم العهودَ والمواثيقَ العِظام لَئِنْ نزلَ لا يُريبوه ولا يجاوزوا به أخذ صدقتهم، فقام الشَّيخُ إلى ابنه وقال: بهلني اللّه إن لم تنزل، فنزل وضرب وجه فرسه ورمى برمحه، وقال: أُفٍّ لكَ بعد اليوم، وأقبل به أبوه حتى أتاهم به؛ فعاتبوه وقالوا: دخلت في المعصية، وشققتَ العصا، وكابرتَ السّلطان،

قال: ما فعلت ولكني كنت قد أغوتني عشيرتي، وذهبوا عنّي، ورأيت خيلاً ورجالاً وسلاحًا، فأشفقتُ منها، قالوا: خذوه؛ بعدما عاتبوه ساعة، فاقتادوه إلى الصّفا لِيذبحوه عليه، فالتفَت إلى أبيه فكلحَ[1] إليه بِشِدْقِهِ يذكّره أنّه قد أقاده القوم، فقال الشيخ: ما أنسَ لا أنسَ كلحةَ الجعد إليَّ وأنا أقدته القوم، فذبحوه على الصّفا، وضربوا الشَّيخَ ضربًا شديدًا حتى ظنّوا أنهم قتلوه، ثم انصرفوا وزعموا أن فرسَ الجعدِ لم تزلْ تبحثُ عن دَمِهِ حتى ماتت. ثم مرَّ الكلبيّون على ناس من بني مازن من بني فزارة في أُخريات النَّاس فأصابوا ما أصابوا منهم، ثم انصرفوا راجعين على أثرهم، فتلاحقت الرّكبان، وأخبرت النَّاسَ ما كان، فركبَ خالد بن دثار بن كريز بن قطبة بن سيّار إلى عبد الملك فأخبره بالذي فُعِلَ بهم ونِيلَ منهم، فقال عبد الملك: كم قُتِلَ منكم؟ فسمّى له عددًا أكثر ممّن قُتِلَ منهم، فقال: الدِّية أخرجها لك من أُعطيات قضاعة، فقال: واللّه لا نأخذ من أُعطيات قضاعة ثمن دمائنا، فقال: لا بأس أعطيكَ نِصفَها من بيت المال، فإنْ وفّيتم إلى قابل[2] أعطيتكم النّصف الباقي، ولا أرى أن تفوا، فيقال: إن عبد الملك حَرَّضَهم بهذه الكلمة، فقال زفر بن الحارث الكلابيّ: خذوا ما طَفَّ لكم؛ واتّخذوه قوّةً، فإذا خرجتم فليس لابن الزرقاء عليكم إمرة، فجعلوا ما أخذوه في السّلاح والخيل، وكانت أُمّ عبد العزيز بن مروان كَلبيّة، وأُم بشر بن مروان قيسيّة، فدخل عبد العزيز على عبد الملك بن مروان وعنده بِشر بن مروان، فقال له: يا أبا مروان، هل علمتَ ما فعل أخوالي بأخوالِكَ؟ قال: وماذا يا أبا الأصبغ؟ قال: خرجت سريّة من حيّ كلب، حتى أتوا على حيّ قيس فأهمدوه، فقال: أخوالك أضيق أَسْتَاهًا من ذلك، وأصبح بشر بن مروان فجاءه الخبر، وجاءه حلحلة بن قيس وسعيد بن أبان وخالد بن دثار وقد شقَّ جبّته ليس عليه عطافٌ ولا حذاء، وغَضِبَ بنو القيسيّات، وأخبر عبد الملك بذلك فأرسل إلى حلحلة وصاحبيه فأرضاهم بالدِّيات، فجعلوا ما أخذوه في السّلاح والخيل، ثم جمعوا، فقال غلام من بني فزارة لحلحلة ولبنيه: واللّه ما أنتم بشيء ولا عندكم شيء، إن هذه الضّباع قتلت رجالكم، وأخذت أموالكم، ثم أنتم هؤلاء لا تخرجون، قال: يا ابن أخي، استعدّ واعلمْ أنّي غضبان على قوم قتلوا بردة، يعني ابنه، وكان حلحلة يهتف ويقول: هل أحسستم بردة وفلانًا وفلانًا؟ يعدّدُ القتلى ويحثّهم على طلب الثّأر، فجرى بينهم خلف كثير ثم استقامَ أمرهم وأرسلوا الخيل في بطن المعا، فذلك قول ابن سهيّة: [الوافر]

فلما أنْ طَلَعْنَ نَعَيْنَ جَعْدًا وقَتْلَى العاهِ إذ قُتِلُوا غرورا[3]

(١) كلحَ إليه بشدقه: كشَّر عن أسنانه، وكلحَ بالأصل: عبَس وكشّر.
(٢) قابل: العام المقبل.
(٣) العاه: جبل بأرض فزارة، ويوم العاه: من أيام العرب: (معجم البلدان ٤/ ٧٣).

بِـلأْيٍ مَـا تَـنَـاوَلَ مُـلـجِـمُـوهـا نَـوَاصِـيَ قُـرَّحٍ ذَهَـبَـتْ صُـدُورَا

وقتلوا مَن أدركوا من كلب، فيقال: لم يفلتْ بها ذَكَرٌ إلاَّ رجلاً واحدًا سبقَ الخيلَ على رِجليه وهو يرتجز:

كُـلُّ فَـتًـى مُـصَـبَّـحٌ فـي أهْـلِـهِ وَالـمَـوْتُ أدْنَـى مِـنْ شِـرَاكِ نَـعْـلِـهِ

وقال عُوَيف القوافي في يوم بنات قين، وهو الموضع الذي وقعت فيه هذه الوقعة: [الوافر]

كَـأنَّ الـخَـيْـلَ يَـوْمَ بَـنَـاتِ قَـيْـنٍ يَـريـنَ وَرَاءَهُـمْ مَـا يَـبْـتَـغِـيـنَـا

وفي يوم بنات قين يقول ابن سهيّة: [الوافر]

وَقَـعْـنَـا وَقْـعَـةً بِـرؤُوسِ كَـلْـبٍ شَـفَـتْ قَـيْـسًـا وَأخْـفَـرَتِ الأَمِـيـرَا

وجعل ناشرة بن عنبس يتبع القتلى فيُجْهِزَ عليهم، فيقال له: ما تبتغي من هؤلاء؟ فيقول: إنَّ عندي من النخاع علمًا، وهو الذي كانت علباواه قُطِعَتا فبرأ هو وإخوته، فلمّا أوقعت فزارة بكلب يوم بنات قين دخل بشر على عبد الملك وعنده عبد العزيز فقال: يا أبا الأصبغ، هل علمتَ ما فَعَلَ أخوالي بأخوالِكَ؟ فقال: أَبَعْدَ الصُّلْحِ وبعد ضمانِ أمير المؤمنين، فذمرهما[1] عبد الملك، فسكتا، وجاء مستغيث كلب إلى عبد العزيز بن مروان قد شقَّ جبّته وطرح عطافه وحذاءه فأدخله إلى عبد الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين أُخْفِرَتْ ذِمَّتُكَ، ونُقِضَ عَهْدُكَ، وأُكِلَ مَالُكَ، وقُتِلَتْ رَعِيَّتُكَ، فغضبَ عبد الملك غضبًا شديدًا، وكتب إلى الحجّاج بن يوسف وهو على الحجاز والطّائف واليمامة واليمن أن اركبْ إلى بني فزارة فلا تتركْ بها محتلمًا إلا قتلته. وإنَّ الحجّاج جَهَّزَ إليهم الخيل وسار حتى نزلَ على ماء لهم يقال له لُقَاطَةُ[2]، وعليه بنو عديّ بن فزارة، وهم جُلّ أهلها، وتجمَّعت غطفان وتحالفوا أن لا يخذلَ بعضهم بعضًا وكتبت إليهم قيس: إنَّ الذي في أعناقكم في أعناقنا إنْ خذلناكم؛ وبلغ ذلك الحجّاج، فقال لأهل نصيحته: ما في الأرض مولود في هذا الحيّ من قيس أشأمُ عليها مِني إنْ قتلت بنو فزارة، وقال حلحلة وسعيد: لا خيرَ فينا بعد هذا اليوم إن قتلت فزارة؛ فأتيا الحجّاج حتى وضعا أيديهما في يده، فقالا: ما تصنع ببني فزارة ونحن صاحبا كلب؟ فسرّ بذلك وشَدَّهما في الحديد، وكتبَ إلى عبد الملك بأخذهما، وإنَّ بني فزارة قد تفرّقوا وذهبوا، وإنَّ غطفان قد تحالفت وتعاقدت، وإنَّ قيسًا قد فعلت مثل ذلك، فخشيتُ أن أفتقَ على أمير المؤمنين فتقًا لا يرتقه أبدًا. فكتب إليه أنْ قد أصبتَ وأحسنتَ؛ فسرحَ الرجلين، فلمّا قَدِما على

---

(١) ذمرهُ: تهدّده ولامه.

(٢) لُقَاطَه: موضع قريب من الحاجر من منازل بني فزارة قُتِلَ فيه مالك بن زهير (معجم البلدان ٥/ ٢١).

عبد الملك وعنده جماعة من كلب يغدون ويروحون عليه وأذنَ للناس فقال عبد الملك: حلحل، قال: بل حلحلة، قال: بل حلحل، قال: بل حلحلة كما سمّانيه أبي، قال: أخفرتَ ذِمَّةَ أمير المؤمنين ونقضتَ عَهْدَهُ وأكلتَ ماله، قال: لا بل قضيتُ نذري، وبلغت وتري، وشفيتُ وَحْرِي، فقال: قد أقاد اللّه منك، قال: واللّه ما أقادَ اللّهُ منّي بسوءٍ يا ابن الزَّرقاء. فدفعه إلى سُعَير بن سُوَيْد بن عَرْفَجَةَ، وسويد فيمن قتل يوم بنات قين، فقال سُعَير: متى عَهْدُكَ بسُوَيْد يا حَلحَلة؟ قال: عهدي به في بنات قين قد تَقَطَّعَ خُرْؤه في اسْتِهِ، قال: أمَ وَاللّهِ لأَقتلنَّكَ، قال: كذبتَ واللّهِ، إنكَ أذلّ من ذلك وألأم، إنّما يقتلني ابنُ الزرقاء، يعني عبد الملك، فقال له بشر: صَبْرًا يا حلحلة، فقال: [الرجز]

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ جُلَبْ   قَدْ أَثَّرَ البِطَانُ فِيهِ وَالحَقَبْ[1]

ودفع سعيد إلى أخي بني عُلَيم، وقال له عبد الملك ما قال لحلحلة، فردَّ عليه كما قال حلحلة، وقال بشر: صبرًا يا سعيد، فقال: [الرجز]

أَصْبَرُ مِنْ ذِي ضَاغِطٍ عَرَكْرَكِ   أَلْقَى بَوَانِي زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ[2]

وكان حلحلة عند دخوله على عبد الملك قيل له: سَلِّمْ على أمير المؤمنين، فقال: [الطويل]

سَلاَمٌ عَلَى حَيَّيْ عَدِيٍّ وَمَازِنٍ   وَشَمْخٍ وَخُصَّا بِالسَّلاَمِ أَبَا وَهْبِ
فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي وَقَدْ شَفَا   غَلِيلَ فُؤَادِي مَا أَتَيْتُ إِلَى كَلْبِ
فَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِي وَأَفْنَيْتُ جَمْعَهُمْ   وأَثْلَجَ لَمَّا أَنْ قَتَلْتُهُمْ قَلْبِي
شَفَى النَّفْسَ مَا لاَقَتْ رُفَيْدَةُ كُلُّهَا   وَأَحْيَاءُ وَدٍّ مِنْ طِعَانٍ وَمِنْ ضَرْبِ

وهذه الأبيات من قصيدة قالها قبل ذلك مع غيرها، ويجيء في يوم بنات القين أشعار كثيرة في الفخر والمراثي وغيرها، وأخبار كثيرة ليس هذا موضعها، وفيما ذكر كفاية.

[١٧٥] وقالَ المُنَخَّلُ بْنُ الحارِثِ اليَشْكُرِيُّ[3]:

قال أبو هلال: المُنَخَّل بن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليَشْكُري، جاهليّ،

(١) العَوْد: المُسِنُّ من الإبل والشّاء. والجُلَبُ: جمع الجُلْبَة: جلدة تُجعل على القَتَب. والبِطان: الحِزام الذي يُجعل تحت بطن الدّابّة. والحَقَب: الحزام الذي يَلي حَقْوَ البعير.

(٢) العَرَكْرَك: الجمل القويّ الغليظ. البَواني: جمع البانِيَة: في الأصل أضلاع الصدر، وقيل الأكتاف والقوائم. والزَّوْر: أعلى وسط الصدر أو ملتقى عظام الصدر. والبيت في تاج العروس (عرك) والصحاح.

(٣) المُنَخّل اليَشكري: شاعر جاهلي، ضربت العرب به المثل في الغائب الذي لا يُرجى إيابه (توفي نحو ٢٠ق.هـ/ ٦٠٣ م). ترجمته في الشعر والشعراء ص ١٥٠؛ والأغاني ١٥٨/٩، ١٨/١٥٢.

كان ينادمُ النُّعمانَ بن المنذر، وهو الذي سعى بالنابغة الذبياني إلى النعمان في أمر المتجرِّدة فلحق النابغة بآلِ جَفْنَةَ الغسانيين.

١ ـ إنْ كُنتِ عَاذِلَتِي فَسِيرِي نَحْوَ العِرَاقِ وَلاَ تَحُورِي

من مُرَفَّل الكامل، والقافية متواتر.

أي: إن كنتِ تعذلِينني فاذهبي عني فلستِ لي بصاحبةٍ، وقال أبو العلاء: يقول: إنْ كنتِ عَاذِلتي لِقلّةِ مَالي وتحبّينَ أنْ أستغني فسيري نحو العراق فإني أسْتَغني فيه، وإنَّما قال ذلك لأن النعمان بن المنذر كان يكرمُهُ ويقرِّبُهُ، ودار النعمان بِالحيرَة، والحيرةُ من العراق، ولا تحوري: أي لا ترجعي، يقال: حارَ يَحُورُ، إذا رَجَعَ.

٢ ـ لاَ تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَا لِي وَانْظُرِي كَرَمِي وَخِيرِي

جُلُّ الشَّيءِ: مُعْظَمُهُ، والخِيرُ: الكَرَمُ، يقول: لا تَسْأَلِي النَّاسَ عن مالي وكثرته، وسائلي النَّاسَ عن كَرَمِي وعن خلقي، يريد أنه ليسَ بكثير المال ولكنّه كريم.

٣ ـ وَفَوَارِسٍ كَأُوَارِ حَرِّ النَّارِ أَحْلاَسِ الذُّكُورِ[1]

الأُوَارُ: الوهج، أي هم في التهابِهم وتَلَظّيهم إذا لَقُوا ولُقُوا كذلك، وأحْلاَسُ الذُّكور: فرسانُ الخَيْلِ القُرَّح، ويقال: وَأَرَتِ النَّارُ، إذا تَوَهَّجَتْ، ومنه الإرَةُ، وإذا كان كذلك فالأصل في أُوَارِ وُآرٌ، فَإمَّا أن يكون قَلبَ فقدَّمَ الهمزةَ، وإمَّا أن يكون لَيَّنَ الهمزة، ثم أبدلَ من الواو المضمومة التي هي فاء الفعل همزةً، كما فعل في وُقِّتَ إذا قِيلَ أُقِّتَ، فصار أُوارًا، ولو قال «كَأُوَارِ النَّارِ» كان أجود؛ لأنَّ أُوَارَ النَّارِ وحَرَّها سَوَاءٌ.

٤ ـ شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ القَتِيرِ

يقول: شَدُّوا دوابرَ بَيْضِهم إلى الدُّروعِ مخافةَ أن تسقطَ إذا أجروا الخيل. والقتير: مسامير الدّروع، والدَّوابِر: الأواخر.

٥ ـ وَاسْتَلأَمُوا وَتَلَبَّبُوا إنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ

اسْتَلأمُوا: أي لَبِسُوا اللأَمَات، وهي الدّروع، وتَلَبَّبوا: أي تحزَّموا، لأنَّ التَّلَبُّبَ من شأن المُغِير.

٦ ـ وَعَلَى الجِيَادِ المُضْمَرَا تِ فَوَارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ

الواو من قوله «وعلى الجياد» واو الحال، كأنه قال: شَدّوا دوابرَ بَيْضِهم والحال هذه، يريد: رُبَّ فرسان تَشَمَّروا واسْتَعَدُّوا معي للغارةِ أو لِدِفاعِ المغيرينَ وبإزائِنا خَيْلٌ

---

(١) الحِلْسُ: كلُّ شيءٍ وَلِيَ الظَّهرَ تحت الرَّحْل.

هكذا، وقيل: إنَّ جواب رُبَّ لم يَجِيء بعد، وإنَّما أعاد ذِكْرَ الفرسانِ مع الجياد لِتَباعُدِ جوابِ رُبَّ عنه بما حالَ بينهما، وجوابه «أقررتُ عيني من أولئك» وليس في المختار، وهو يُرْوَى بعد قوله «يخرجن».

٧ ـ يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الغُبَا رِ يَجِفْنَ بِالنَّعَمِ الكَثِيرِ

يقال: وَجَفَ يَجِفُ، إذا أسرعَ، وَجِيفًا، وأوجف إيجافًا: كذلك.

٨ ـ أقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أولـ ـئِكَ وَالفَوَائِحِ بِالعَبِيرِ

٩ ـ وَإذا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ بِجَوَانِبِ البَيْتِ الكَسِيرِ

تَنَاوَحَتْ: هَبَّتْ صبًا مرةً وشمالاً مرةً وجنوبًا مرةً، والكسير: الذي له كسور، وهي ما مَسَّ الأرضَ من هُدَّابِ خِيامِهِم، وفيها حبالٌ تُشَدُّ بها يُقَالُ لها الأُصُر الواحد إصار، فأخبر أن الرِّياح تشتدُّ حتَّى تَسْتَخِفَّ هذا البيت الثَّقيل ذا الكسور في العام المُمْحِل.

١٠ ـ أَلْفَيْتَنِي هَشَّ اليَدَيْـ ـنِ بِمَرْيِ قِدْحِي أوْ شَجِيرِي

«أَلْفَيْتَنِي» جواب قوله «وإذا الرِّياح» يقول: تجدني في ذلك الوقت خفيفَ اليد بِمَسْحِ القِداحِ، وعند حضور الأيسار نشيطًا في إجالتها حريصًا على فَوْزِها، والشَّجِير: الغريب، يقال: نزل بينهم شجيرًا: أي غريبًا، وإنما يعني قِدْحًا يتبرَّكُ به فيستعار من الغير، فإذا أجالَهُ الياسِرُ مع قِداحِهِ كان كالشَّجِير فيما بينها والدَّخِيل، وقيل: الشَّجير: القِدح مع القِداح ليس من شجرها التي هي منها، يقول: كأنَّ القِداح كلّها من نبع إلاَّ هذا الشَّجير، يقول: فأنا أمسح هذا وهذا: أي أضربُ بها عن نفسي وعن غيري: أيْ بقِدحي وقدحه، وأغرم عنه غرمًا إذا لزمه، وأُوفِّرُ عليه غُنْمَه إنْ غَنِمَه، ومثله: [البسيط]

إنِّـي أُتَـمِّـمُ أيْـسَـارِي وَأمْـنَـحُـهُـمْ مَثْنَى الأيَادِي وَأكْسُو الجَفْنَةَ الأدُمَا

ويُرْوَى «سجيري» بسين غير منقوطة، وهو الصَّديق، والمراد به هنا السَّيف، جعله كالمُصَادِق له، وقيل: المعنى أضرب بالقدح الذي جرَّبته، والذي لم أُجَرِّبْه من القِداح المستعارة حُبًّا لِلنَّدى واهتزازًا له.

١١ ـ وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الفَتَا ةِ الخِدْرَ في اليَوْمِ المَطِيرِ

خَصَّ يوم المطر لأنه يوم لزوم المنزل، وليس بيوم صيدٍ ولا زيارة، واللَّهْوُ فيه أطيب لِخلوِّ البالِ فيه.

١٢ ـ الكَاعِبِ الحَسْنَاءِ تَرْ فُلُ في الدِّمَقْسِ وَفِي الحَرِيرِ(١)

---

(١) الكاعب: التي نَهَدَ ثَدْيَاها.

أي: في أجناس الحرير الأبيض منها وغير الأبيض، وَالدِّمَقْسُ: هو الأبيض.

١٣ ـ فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ القَطَاةِ إلَى الغَدِيرِ

تدافعتْ: مُطَاوِعَةُ دافَعْتُ، ومُطاوعةُ دَفَعْتُ انْدَفَعَ، إلاّ أنه يُوضَعُ كلٌّ مَوْضِعَ صاحِبِهِ، وانتصبَ «مَشْيَ» على أنه مصدرٌ من غير لَفْظِهِ، لأنَّ معنى تدافعتْ مَشَتْ، والقصدُ إلى التَّشبيهِ، وهذه المِشْيَةُ فيما يُقالُ أحسن المَشْيِ لأَمْنِها وسرورِها بالمورد وعُجْبِها بِالخَلاءِ، وسيبويه يُضْمِرُ في مثل هذا الموضع فعلاً من لفظ المصدر إنْ وَجَدَهُ وإلا قَدَّره وجعلَ الظَّاهِرَ دَليلاً عليه.

١٤ ـ وَلَثِمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفُّسِ الظَّبْيِ الغَرِيرِ[1]

العقير يُطَوِّلُ نَفَسَهُ، فلهذا خَصَّهُ: أي تنفستُ الصُّعَداء لموضعي من قلبها، والبهير: المبهور، وهو الذي يعلو نَفَسُهُ من مواصلة تَعَبٍ، والاسم: البُهْرُ، وأصلُ الكَلِمَةِ السّعة، ومنه قيل: بُهْرَة الوادي، لِوسطه.

١٥ ـ فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَخَّـ ـلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ

ويُرْوَى «من غرور»؛ وقيل: هو قلّة اللَّحم: أي من أَثَرِ الحَرُور، والحَرُورُ: حَرُّ الشَّمْسِ، والسَّمُوم: الرِّيح الحارّة ليلاً هَبَّتْ أو نهارًا، وقيل: السَّمُومُ الرِّيحُ الحارّة بِالنَّهارِ، والحَرُورُ بِاللَّيْلِ، ومنهم مَن يعكس هذا فيجعل السَّموم بِاللَّيل والحَرُور بالنَّهار، والوجه الأوّل قول الخليل، والمعنى أنها رأته على غير ما عَهِدَتْهُ فتعجَّبَتْ وقالت: ما بِجِسْمِكَ من حَرور! كما يقول: ما لَقِينا من فلان! على جهة الاستعظام والتَّعَجُّب، وقيل: الحَرُور هنا الحُمَّى.

١٦ ـ مَا شَفَّ غَيْرُ حُبِّـ ـكِ فَاهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي

«سيري» أي هَوِّني عليك الأمر، وعلى نحو من هذا يحمل قول اللَّه تعالى: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُواْ وَاصْبِرُواْ﴾[2] إذ لم يكن ثَمَّ مَشْيٌ ولا انطلاقٌ، ويجوز أن يكون «سيري» أمرًا بِالسَّيْرِ، فقد قال فيما تقدم «فدفعتها فتدافعتْ» وقيل: معناه ما هَزَلني غير حُبّكِ فأمْسِكي عنّي وسِيري فيَّ بسيرة حسنة، ولم يُرِدِ السَّيْرَ.

١٧ ـ وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي

هذا بيانُ تَطَاوُلِ الألفة بينهما.

---

(١) في قافية البيت ثلاث روايات: الغرير، العقير، البهير، وعند المرزوقي «العقير»، وقد فَسَّرَها في الشرح هنا.

(٢) سورة صٓ، الآية: ٦.

١٨ ـ وَلَـقَـدْ شَـرِبْـتُ مِـنَ الـمُـدَا مَـةِ بِـالـصَّـغِـيـرِ وَبِـالـكَـبِـيـرِ

يعني بصغير ماله وكبيره، ولم يُرِدْ إناءً صغيرًا وإناءً كبيرًا، والذي يحقّق هذا قوله:

١٩ ـ وَشَـرِبْـتُ بِـالـخَـيْـلِ الإِنَـا ثِ وَبِـالـمُـطَـهَّـمَـةِ الـذُّكُـورِ

وهذا مثل قول الآخر: [الطويل]

شَرِبْتُ بِقِيرَاطٍ وَأَسْكَرْتُ صُحْبَتِي وَرُحْتُ وَلِي عِنْدَ التِّجَارِ حِسَابُ

قيراط: اسم ناقته، وقيل: بالصَّغير الدّرهم وبالكبير الدينار.

٢٠ ـ فَـإِذَا انْـتَـشَـيْـتُ فَـإِنَّـنِـي رَبُّ الـخَـوَرْنَـقِ وَالـسَّـدِيـرِ[١]

٢١ ـ وَإِذَا صَـحَـوْتُ فَـإِنَّـنِـي رَبُّ الـشُّـوَيْـهَـةِ وَالـبَـعِـيـرِ

٢٢ ـ يَـا هِـنْـدُ مَـنْ لِـمُـتَـيَّـمٍ يَـا هِـنْـدُ لِـلْـعَـانِـي الأَسِـيـرِ

هي هند بنت المنذر بن ماء السماء، وهي عمّة النّعمان بن المنذر، وكان المُنَخَّل يُتَّهمُ بِالمُتَجَرِّدة امرأة النعمان، وكانت فاجرة وكانت ولدت له غلامين يقال: إنهما ابنا المُنَخَّل، فذكر بعضُ مَنْ يُحَدِّثُ أنَّ النعمانَ كان له يوم يركبُ فيه فيطيل، وله إِبَّانٌ[٢] يُعْرَفُ فيه مَجِيئُهُ، وأنَّ المُنَخَّل كان يأتيها فيكون عندنا حتى إذا جاءَ النعمان أخرجته، فجاءها ذاتَ يوم وقد رَكِبَ النعمان فَلاعَبَتْه بقيدٍ جَعَلَتْه في رِجله ورِجلِها، فهما على حالهما تلك إذ دخل النعمان قبل إِبَّانِهِ الذي كان يَجِيءُ فيه، فوجدهما على حالهما، فأخذه فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحب سجنه، رجل من لخم صاحب الفرات، لِيُعَذِّبَهُ، ويقال: عِكَبّ بن عِكَبٍّ التغلبي، فقيَّده عِكَبٌّ وجعل يَجُرُّه بِقَيْدِه، فقال في ذلك المنخّل لابنيه: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغُ الـحُـرَّيْـنِ عَـنِّـي بِـأَنَّ الـقَـوْمَ قَـدْ قَـتَـلُـوا أُبَـيَّـا
يُـدَوِّرُ بِـي عِـكَـبٌّ فِـي مَـعَـدٍّ وَيَـطْـعُـنُ بِـالـصُّـمُـلَّـةِ فِي قَـفَـيَّـا[٣]

---

(١) الخَوَرْنَق: هو قصر كان بظهر الحيرة وقالوا إنّ الذي أمر ببنائه هو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو... وبناه في ستين سنة، وقيل غيره (معجم البلدان ٢/ ٤٠١). والسّدير: موضع معروف بالحيرة، وقيل: هو قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم (معجم البلدان ٣/ ٢٠١).

(٢) إِبَّان: وقت وحين.

(٣) الصُّمُلَّة: العصا. والبيت في تاج العروس (صمل).

ومما قاله أيضًا: [الخفيف]

طُلَّ وَسْطَ العِبَادِ قَتْلي بِلاَ جُر ... مٍ وَقَوْمِي ينْتِجونَ السِّخَالا(١)

ويقع في بعضِ النّسَخ:

٢٣ - يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ الـ ... ـتَّنُّومِ لَمْ تُعْكَفْ بِزُورِ

ويحتمل وجهين، يجوز أن يكون في صِفَةِ النّساءِ فيكون من قولهم «عَكَفَتِ المرأةُ شَعْرَها وعَكَّفَتْه» أي أَلْزَمَتْ بعضه بعضًا، وجعلته ضفائر، وإذا كان كذلك احتمل «أساود التَّنُّوم» وجهين: أحدهما أن يكون أراد هذا الشَّجر لأنه يَسْوَدُّ كُلّه، والآخر يريد بالأساود: جمع الأَسْوَد من الحيّات لأنَّ غدائرَ النّساءِ تُشَبَّهُ بها، هذا إذا وقعَ هذا البيت عند وَصْفِهِ النِّسَاءَ، وإنْ وقعَ عندَ وَصْفِهِ الخيلَ فمعناه أَنَّ الخيلَ تَجِيءُ بِالفوارس فكأنّها تعكفُها كعَكْفِ الشَّعر وهو يعني مذكرات فهو محمول على الجماعات، ويكون قد وصف الرّجال بالأساود من الحيّات؛ لأنَّ الرجلَ قد يُوصَفُ بأنّه كَالحيّةِ إذا كان شجاعًا مَخْشِيَّ الشَّرّ.

[١٧٦] وقال باعث بن صُرَيم بن أسد بن تيم بن ثعلبة بن غُبَر بن حبيب بن كعب بن يَشْكُر:

١ - سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوَائِلٍ ... أَمْ هلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

بَلْبَالُها: اهتمامُها بِطَلَبِ الثَّأرِ، وقوله «أم هل»: الاستفهام تامّ دونَ هل؛ لأن «أم» هذه المنقطعة، ولا تكون العاطفة، لأن تلك تجيءُ عديلة الألفِ، وقوله «شفيتُ النَّفْسَ» يجوز أن يريد به نفسه، ويجوز أن يكون المراد به الكثرة والجنس، كأنه يريد أنه شَفَى الموتورينَ منه، وأُسَيِّد: قبيلة لا تنصرف للتعريف والتأنيث، ولو لم يكن اسم قبيلة لم ينصرفْ أيضًا لأنه تصغير أَسْوَد، وأَفْعَلُ إذا كان صِفَةً لا ينصرفُ في معرفة ولا نَكِرَة، وإذا صُغِّرَ على هذا المثال لم يَنْصَرِفْ أيضًا.

٢ - إذْ أَرْسَلُونِي مَائِحًا بِدِلاَئِهِمْ ... فَمَلأْتُهَا عَلَقًا إلى أَسْبَالِهَا

«إذْ» ظَرف لقوله «ثأرتُ» أو لقوله «شفيتُ» وانتصبَ «عَلَقًا» على التمييز، وأسبالها: أعالِيها، وسَبَلَةُ الرَّجُلِ منه، واختارَ بعضُهم أن يرويه «إلى إسْبَالها» بكسر الهمزة مصدر أَسْبَلَ إسبالاً، وليس بالمختار، ولا يمتنع أنْ يريدَ بأسبال الدَّلْوِ العُقَدَ التي تَتَّصِل بالعَرَاقي، ويجوز أن يعني بها فروغ الدّلو، كأنّها لمّا كان يخرج منها الماء شُبِّهَتْ بِسَبَلِ

---

(١) السِّخال: جمع السَّخْلة: ولدُ الشّاة ما كان من المعز والضأن ذكرًا كان أو أُنثى.

المطر، يقول: هل شَفَيْتُ النَّفسَ لما بعثوني طالبًا بِتِرَاتِهم فأكثرتُ مِنَ القَتْلِ، والمَيْحُ والدَّلْوُ مَثَلان هنا.

٣ - إنِّي ومَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا وَالبَدْرَ لَيلَةَ نِصْفِهَا وَهِلاَلِهَا

سَمَك: رفع، ومنه سُمِّيَ عمود البيت المِسْمَاك، وجواب القسم في «آليت أثقفُ» وهو خبر إن أيضًا، وقوله «ليلة نِصْفِها» أضاف النِّصْف إلى السَّماء لمّا كان استكمال البدر عند انتصاف الشّهر في السّماء فلاجتماعها في ظهور البدر كاملاً في السّماء ساغَتِ الإضافةُ بينهما، على عادتهم في إضافة الشّيء إلى الشّيء لأَدْنى مناسبة بينهما، وعلى هذا قول الآخر «ضوء برق ووابله» وأبعد منه قول الآخر: [الرجز]

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا عَشِيَّةَ الهِلاَلِ أَوْ سِرَارِهَا

فأضاف السِّرَار إلى العَشِيَّة لاعتقاده أن استسرارَ القَمَرِ في العَشِيَّات كما أن طلوعه فيها. وقال أبو العلاء في هذا البيت: إنَّ حمل الكلام على التقديم والتأخير كأنه قال «إنّي ومَنْ سَمكَ السَّماءَ ليلة نصفها وهلالها وَالبَدْرَ» فذلك غير ممتنع، فإن جعل البدر لا يُرادُ به التأخير انتقل المعنى الأول؛ لأنَّ الغرض يتحوّلُ إلى وجه آخر، فأما الهاء في «نصفها وهلالها» فهي إضمار راجع إلى شيء معلوم عند السَّامع لم يتقدّم له ذكر، كأنه قال: ليلة نصف الشهور وليلة هلالها، ويحتمل أن تكون الهاء راجعة إلى السماء: أي ليلةَ انتصاف الشَّهْرِ الَّذي فيه يكملُ القمر، وذلك إذا جعلَ البدرَ متأخّرًا في المعنى، فإن صرف إلى أن المراد البدر الواقع في ليلة نصفها وهلالها جاز أن يعني بالهلال البدر؛ لأنه يكون هلالاً، وهذا متعارف في الكلام لو قِيلَ لِرَجُلٍ شيخ أو كهلٍ: هذا طفل بني فلان: أي الَّذي كان طفلاً؛ لَكَانَ القَوْلُ غَيْرَ مطعون فيه، ومنه قولهم في بدء الإسلام: محمدٌ يتيمُ قريش أي الذي كان يتيمًا لأنه ﷺ لم يُبْعَثْ إلاَّ بعد الأربعين.

٤ - آلَيتُ أثْقَفُ مِنْهُمُ ذَا لِحْيَةٍ أَبَدًا فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا

قوله «أثْقَفُ» هو الجواب، وحذف معه لا، لأنه أمِنَ التباسه بالواجب؛ إذ لو أراد الواجب لقال لأثْقفَنْ، فلمّا كانت صيغة الواجب بما يلزمها من اللاّم وإحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة مخالفةً لصيغة النفي لم يُبالِ بحذفِ حرف النَّفْي، ومثله: [الطويل]

فَقُلْتُ يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا(١)

لأن المراد لا أبْرَحُ، فإنْ قِيلَ: إذا كان القَسَمُ يتناولُ ما ذكرت من قوله «لا أثْقفُ» فما معنى قوله «آليتُ» وهل يصحُّ أن يُقَالَ: إنِّي حَلَفْتُ واللَّهِ لا أفْعَلُ كذا؟ قلت: إن قوله

(١) هذا صدر بيت لامرىء القيس وعجزه: «ولو قطعوا رأسي لَدَيْكِ وأوصالي».

«آليتُ» دخل مؤكدًا للقسم على أحد وجهين أحدهما: أنَّه لَمَّا تطاولَ الكلامُ باليمين وبَعُدَ ما بين إنَّ وخَبَرِه ذكرَ آليتُ، ثمَّ أتى بما هو الجواب، والثَّاني أنه لمّا كانَ آليتُ لو اكْتَفى به مُغْنِيًا عن ذِكْرِ المُقْسَم به صار كَمُكَرِّرِ اليمينِ فجرى مَجْرى قوله: واللَّهِ واللَّهِ، وما أشبَهَه؛ فأمّا قوله «فتنظرُ عينُه في مالها»: فلفظه لفظ الجواب، والمعنى معنى الحال من الصّفة النّكرة التي قبله، كأنه قال: لا أظفرُ أبدًا بِذي لِحْيَةٍ إلاَّ لم تنظرْ عَيْنُه في مالِهَا، ومثله من أبيات الكتاب للفرزدق: [الطويل]

وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ في نَدِيِّنَا فَيَنْطِقُ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أعْرَفُ[1]

لأن المعنى ناطقًا، فإنْ قِيلَ: هل يجوز أن يكون جوابًا؟ قلت: لا، وذلك أنَّ المعنى يَفْسُدُ وينعكسُ؛ لأنَّ التقدير حينئذٍ: لا أثْقَفُهُ فكيف يَنْظُرُ؟ أي لو ثَقِفْتُهُ لنظر؛ لأنَّ وجه الجواب أنْ يتعلَّقَ وقوع الثّاني بوقوع الأوّل ويمتنع بامتناعه، وفي هذا خروج عَمَّا يقصده المتكلّم، ومثله في باب الواو: [البسيط]

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَه[2]

أي آتيًا مثله؛ أبو هلال: أثقفُ: أظفرُ، والمعنى لأَجْتَهِدَنَّ وَلأَطْلبنَّ حتى أظفرَ ولا أظفر منهم برجل مُلْتَحٍ فتنظر عينه في مالها: أي أقتله فلا تنظر عينه في مالها؛ والهاء في مالِها راجعة إلى العينِ، وجعل المال لها وهو لصاحبها.

٥ - وَخِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا أُصُلاً وَكَانَ مُنَشَّرًا بِشِمَالِهَا

يقول: إنَّها سُبِيَتْ فَلَحِقَها عَشِيًّا بعد أن يَئِسَتْ لأنَّ الغارةَ تكون بالغداة فلما رأته اطمأنّتْ فَلاَثَتْ خِمارَها بِرَأسِها، ومعلومٌ أن باعِثًا لم يَلِ عقدَ الخمار، وإنّما كان السبب في أن عقدت المرأة، وهذا كما يقال: قَتَلَ خالدُ بن الوليد مالكَ بن نُوَيْرَة: أي كان الّذي أعانَ على قتله، وإنّما قتله ضِرَارُ بن الأزور؛ أي أَمِنَتْ هذه بي، والبيت الآخر ضدّه وهو:

٦ - وَعَقِيلَةٍ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيِّمٌ مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا

العقيلة: كريمةُ الحيِّ، والقَيِّم: زوجُها، والتَّغَطْرُس: النَّخْوة، يعني أنه يَذُبُّ عنها وهذه صفته أبديت عن خلخالها أي أغَرْتُ على حَيِّها فتشمَّرَتْ للهرب فظهر خلخالها، يقول: فيَّ نَفْعٌ وضرٌّ، ولا يكون الرَّجُلُ كاملاً إلاَّ إذا نفعَ وضَرَّ.

---

(١) البيت في ديوان الفرزدق ٢/ ٢٩؛ وجمهرة أشعار العرب ص ٨٨٧؛ وخزانة الأدب ٨/ ٥٤٠؛ والرّدّ على النحاة ص ١٥٤؛ والكتاب ٣/ ٣٢؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٣٩٠.

(٢) هذا صدر بيت وعجزه: «عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ». والبيت لأبي الأسود الدؤلي في شرح شواهد المغني ص ١٩٤.

٧ ـ وَكَتِيبَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ كَالأُسْدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أشْبَالِهَا

أي: فيها لمع سواد من البروز لِلشَّمسِ، «بَوَاسل» رَدّه إلى الكتيبة، وفواعل في صفة الرِّجال قليلٌ، يقال: فارسٌ وفوارس، وهالك وهوالك، وناكس وَنواكس، وخارج وخوارج.

٨ ـ قدْ قُدْتُ أوّلَ عُنْفُوَانِ رَعِيلِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أمْثَالِهَا

العُنْفُوَان: هو الأوّل، وإنّما أضاف الأول إليه كأنه أراد قُدْتُ سوابقَ أوائِلها، وحقيقة العنفوان من اعْتَنَفْتُ الشَّيءَ إذا اسْتَأْنَفْتَهُ، وأمثالها، يعني أمثال هذه الكتيبة من العدو، وقال أمثالها فردّه إلى المعنى لأن الكتيبة هي الخيل والرّجال.

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنَّ وائل بن صُرَيم كان ذا منزلة من السّلطان، وكان مَفْتُوقَ اللِّسان حُلْوَهُ، جميلاً، فبعثه عَمْرو بن هند ساعيًا على تميم، فأخذ الإتاوة منهم غير بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، فأتاهم وهم بِطُوَيْلع، فنزل بهم، وجمع الشَّاءَ والنَّعَمَ وأمرَ بإحصائِه، فبينا هو جالسٌ على شفيرِ بئر جلس إليه شيخ من بني أُسَيِّد، فحدَّثه، فغفل وائل، فدفعه الشَّيخُ في البئر، فوقع فيها ورَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه وهم يرتجزون ويقولون: [الرجز]

يَا أيُّهَا المَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إنِّي رَأيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا

فبلغ أخاه باعثًا خبرُه، فعقد لواءً وسار في بني غُبَرَ، وآلى أن يقتلَهم على دم وائل حتى تمتلئَ دَلْوُه دَمًا، فقتل ثمانين رجلاً، وأسرَ جماعةً، وقتل رجلاً منهم يقال له قُمَامَةُ فذبحَهُ حتى ألقى دلوه فخرجَتْ ملأى دمًا ولم يَزَلْ يُغِيرُ عليهم زمانًا ويقتلُ منهم حتى إنَّ المرأةَ من بَنِي أُسَيِّد كانت تعثرُ فتقول: تَعِسَتْ غُبَر، ولا لَقِيَتِ الظَّفَرَ، وَلا سُقِيَتِ المَطَرَ، وعَدِمَتِ النَّفَر. وقال في ذلك نصر بن عاصم بن الحليف من بني ربيعة بن عامر بن جُهَيْلِ بن ثعلبة بن غُبَر: [الطويل]

ومِنَّا الَّذِي فَكَّ العُنَاةَ فَعَالُهُ بِحَوْمَلَ لَمَّا اسْتَبْطَؤُوا كُلَّ رَاحِلِ[1]
مُلُوكِيَّةٌ كَانَتْ لَهُمْ وَرِيَاسَةٌ عَلَى العَهْدِ مِنْ عَصْرِ القُرُونِ الأوَائِلِ
وَمِنَّا الَّذِي غَشَّى طَوِيَّ طُوَيْلِعٍ ذَبَائِحَ مِنْ غَالِي الدَّمِ المُتَفَاضِلِ

قوله «ومِنّا الذي فكَّ العناة» يعني راشد بن شهاب بن عَبْدَةَ بن عُصَم بن ربيعة بن عامر بن جُهَيْل بن ثعلبة بن غُبَر فيما كان من حَمْل الدِّيات، وقال المُنَخَّل اليَشْكُري في

(١) حَوْمَل: اسم موضع ذُكِرَ في شعر امرىء القيس (معجم البلدان ٢/ ٣٢٥).

ذلك: [الخفيف]

وَقَرَى بَاعِثٌ أُسَيِّدَ حَرْبًا ... في النَّوَاحِي يُشِبُّ مِنْهَا الضِّرَامَا
جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرًا بِأخِيهِ ... يَقْتُلُ الكَهْلَ مِنْهُمُ وَالغُلاَمَا
فَمَلأْنَا الدِّلاَءَ حَتَّى عُرَاهَا ... عَلَقًا بَرْدَ القُلُوبَ السِّقَامَا[1]

[١٧٧] وقال الفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ:

١ - أيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخِ ... كَبِيرِ يَفَنٍ بَالِ

من الهزج الأوّل، والقافية متواتر.

أرادَ: يا طعنةَ شيخ، وما: زائدة، وهذا اللَّفظ لفظ الثَّناء، والمعنى معنى التعجب، كأنَّه أرادَ: ما أهْوَلَها مِنْ طَعنةٍ ويا لها مِنْ طعنةٍ بَدَرَتْ من شيخ كبيرِ السِّنِّ، وَاليَفَنُ: الشَّيْخُ الهَرِمُ، ويجوز أن يكون المنادى محذوفًا، فيكون التّنبيه بيا مُتَنَاوِلاً غير الطَّعنةِ، وينتصبُ على هذا طعنة بفعل مُضْمَر، كأنه أراد: يا قوم اذكروا طعنةَ شيخٍ، كما قال: [الطويل]

أيَا شَاعِرًا لاَ شَاعِرَ اليَوْمَ مِثْلُهُ ... جَرِيرٌ وَلٰكِنْ في كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ[2]

المنادى محذوف، وشاعرًا: ليس بمنادي، لأنه مقصود إلى واحد بعينه، والمنادى إذا كان مقصودًا إليه يُعَرَّفُ، كقولك: يا رَجُلُ، وَيَا غُلاَمُ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشّاعر، ويجوز أن يكون غيره؛ فإنْ كانَ المنادى غيره فكأنه قال لمَن بحضرته: يا هذا، حَسْبُكَ به شاعرًا، على المَدْحِ والتَّعَجُّبِ منه، ثم بَيَّنَ أنه جريرٌ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم: نِعْمَ رجلاً زيدٌ، ويجوز أن يكون «حَسْبُكَ به» على شريطة التفسير، و«به» في موضع اسم مرفوع لا بُدَّ منه، ويجوز أن يكون «حَسْبُكَ به» الهاء لِلشّاعر الَّذي جرى ذِكره ثم وَكَّدَهُ بقوله: جرير، أي هو جرير؛ وتقديرهما - أعني الخليل ويونس - يا قائل الشّعر، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور، كأنه قال: يا شعراء عليكم شاعرًا لا شاعرَ اليومَ مِثله، أو حَسْبُكُمْ به شَاعِرًا، فهذا ظاهرُ كلامِ سيبويه، ويجوز أن يكون يا قائلَ الشِّعْرِ المحذوف هو الشاعر المذكور، وينتصبُ شاعرًا على الحال، ولا شاعر اليوم: في موضع النعت له، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة كأنه قال: يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله.

---

(١) العُرَى: جمع العُرْوَة: هي مقبض الدّلو، والعَلَق: الدَّم.
(٢) البيتُ للصلتان العبدي في خزانة الأدب ٢/ ١٧٤؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٦٥؛ والشعر والشعراء ١/ ٥٠٨؛ والكتاب ٢/ ٢٣٧؛ ولسان العرب (كرب)؛ ومعاهد التنصيص ١/ ١١٩؛ والمرزوقي ص ٥٣٨.

٢ ـ تُـقِـيـمُ الـمَـأْتَـمَ الأعْـلَـى عَـلَـى جَـهْـدٍ وَإعْـوَالِ

«تقيم المأتم»: من صفة الطَّعنة، وكأنه كان تناولَ بها رئيسًا فلذلك وصف المأتم بالأعلى، والمأتم أصله أن يقعَ على النّساء يجتمعنَ في الخيرِ والشَّرِّ، واشتقاقُه من الأَتْمِ وهو الضَّمّ والجمع، ومنه الأتوم وهي المرأة التي صار مسلكاها واحدًا، وكأنه مصدر وُصِفَ به، ويجوز أن يُرَادَ به أهل المأتم، فحذف المضاف كما يقال: جاء المجلس، والمراد أهل المجلس، والإعوالُ: رَفْعُ الصَّوتِ بِالبكاء.

٣ ـ وَلَـوْلاَ نَـبْـلُ عَـوْضَ فـي حُـظُـبَّـايَ وَأَوْصَـالِـي

عَوْضُ: اسم للدَّهر يُبْنَى على الفتح، وقد يُبْنَى على الضّمّ، والضّمّ فيه حكاه الكوفيون ويقال: لا أفعلُه عَوْضُ العائضين، وإنّما بُنِيَ لِتَضمّنه معنى الألف واللاّم. والخُضُمَّة[1]: ما غَلُظَ من السَّاعِدِ، يقال: خُضُمَّة وخُضُبَّة، وقوله «حظُبَّاي» أي جِسمي، ويقال: إنَّ الحُظُبَّى عِرْقٌ في الظَّهرِ، ومعنى البيت: لولا رَميُ الدَّهْرِ في مفاصلي لَكَانَ تأثيري في الحربِ أكثر مِمّا كان، ونَبْلُ الدَّهْرِ: حَوادِثُه.

٤ ـ لَـطَـاعَـنْـتُ صُـدُورَ الـخَـيْـلِ طَـعْـنًـا لَـيْـسَ بِـالآلِـي

أرادَ بالخيلِ الفُرسان، ويجوز أن يريد بِالصّدور الأكابر والرُّؤساء، والآلي: المُقَصِّر، وجعلَ التَّقْصِيرَ لِلطَّعن على المجاز.

٥ ـ تَـرَى الـخَـيْـلَ عَـلَـى آثَـارِ مُـهْـرِي فـي السَّـنَـا الـعَـالِـي

موضع «على آثار مُهْرِي»: نصب على الحال، والمعنى تابعين، و«في السَّنا» في موضع المفعول الثاني لِتَرى؛ ومعنى السَّنَا قِيلَ: النُّور العالي، وهٰهنا يريد به بريقَ السِّلاح، كأنّهم يُقَدِّمونه ويَتَّقُونَ به، هذا مَعْنًى، والأَجودُ أن يكون المعنى: ترى الفُرسانَ إذا تَبِعَتْ أَثَرِي في مَجْدٍ عَالٍ: أي إنَّهم يرضونَ بِرئاستي عليهم ويُرْوَى «في الثُّبَا العالي» والأصل العالية، ولكن ذكره على اللَّفْظِ لأنَّ ثُبَا مثل زلم، وهي جمع ثُبَة، وهي الجماعة، وقال بعضهم: الثُّبَا هٰهنا مجالسُ الأشرافِ.

٦ ـ وَلاَ تُـبْـقِـي صُـرُوفُ الـدَّهْـرِ إِنْـسَـانًـا عَـلَـى حَـالِ

هذه تَسْلية لِنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوة، وقوله «على حال» في موضع الصّفة لإنسان، وتعلّق على بمُضْمَر، كأنه قال: لا تُبقي حوادثُ الدَّهر إنسانًا قائمًا أو ثابتًا على حال، بل يُبَدَّلُ ويُحَوَّلُ.

٧ ـ تَـفَـتَّـيْـتُ بِـهَـا إِذْ كَـرِهَ الـشَّـكَّـةَ أَمْـثَـالِـي

(١) هذا اللفظ في رواية المرزوقي.

الشِّكَّة: ما يُلْبَسُ من السِّلاح، وقد شَكَّ الرَّجلُ في السِّلاح، إذا لَبِسَهُ؛ يَشُكُّ شَكًّا، وهو شَاكٌّ، وَتَفَتَّيْتُ: أي تَخَلَّقْتُ بِأخلاقِ الفتيانِ وأنا شيخٌ، ويُرْوَى «الشَّكَّة» وعَنَى طَعْنَةً انتظمَ بها رَجُلَيْنِ على فرسٍ في حَربِ البَسوسِ.

٨ ـ كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ بَعْدَ إجْفَالِ

الدِّفْنِسُ: الحمقاء، والوَرْهَاء: المُتَساقِطةُ العَقلِ الضَّعيفةُ التَّماسُكِ، شَبَّهَ اتِّسَاعَ الطَّعنة وسرعة خروج الدم منها بِاتِّساع جيبِ المرأة الحمقاءِ ونُزُوّها في رَوْعِها. وقد سلك آخر هذا المسلك فقال في معنى هذا ولفظه: [الهزج]

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَا ءِ رِيعَتْ وَهْيَ تَسْتَفْلِي(١)

ومعنى «تستفلي» تطلب فَلْيَ شعرها، وقد أخرجت يدها من جيبها فذعرت في تلك الحالة فلم تصبر لِرَدِّ اليدِ ولم ترفقْ بجيبها فمزّقته، وموضع «جيب الدِّفنس»: نصب على الحال: أي تَكَلَّفْتُهَا مشبهةً جيبَ الدِّفْنس وقد رِيعَتْ بعد إجفالةٍ، وقيل: الدِّفنس التي تضعُ جَيْبَها على طَرَفِ أنفِها، يُرَادُ أنَّها مِنْ عَجَلَتِها لا تستتمُّ لِبْسَ ثيابِها.

[١٧٨] وقال رَبيعَة بن مَقْرُوم:

١ ـ أَخُوكَ أخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ؛ وَإنْ دُعِيَ اسْتَجَابَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

«أخوكَ أخوكَ» يحتمل وجهين: أحدهما أن تكون اللَّفظة الثَّانية تَوْكِيدًا لِلَّفْظَةِ الأولى، ويكون «مَنْ» وما بعدها خبرَ المبتدأ، والمعنى أخوك الصَّادقُ الأُخُوَّةِ مَنْ يَفعلُ بكَ هذه الأفعال، والوجهُ الآخَرُ أن يجعلَ أخوك الثاني خبر الأول كما تقول: فُلاَن فلان: أي الَّذي قد عُرِفَ، ومنه قول الشَّاعر: [الوافر]

فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إنَّ الحُرَّ حُرُّ

وأما قول الآخر: [الطويل]

سَلاَمٌ هِيَ الدُّنْيَا قُرُوضٌ وَإنَّمَا أخُوكَ أخُوكَ المُرْتَجَى في الشَّدَائِدِ

فهو مثل البيت الأول؛ فإن شئتَ جعلت قوله أخوك الثانية توكيدًا وجعلت «المرتجى» خبرًا، وإنْ شِئتَ جعلت قوله أخوك الثاني خبرًا و«المُرْتَجى» نعتًا له ويكون قوله «مَنْ يَدْنُو» وما بعده من البيان الدَّاخل في صلته بدلاً من قوله أخوك الثاني، فهذا

---

(١) البيت لامرىء القيس بن عابس الكندي في اللسان (عرقب) و(فقا) وله أو للفند الزِّمّاني في اللسان (دفنس)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٧٤؛ وللفند الزِّمّاني في تاج العروس (دفنس) و(وره) وبلا نسبة في اللسان (وره)؛ وأساس البلاغة (فلي).

المعنى يحتمل أن يكون حَثًّا على إكرامِ الغريبِ إذا نصح وأخلصَ، كما قال الأعشى: [الطويل]

فـإنَّ الـقَـريـبَ مَـنْ يُـقَـرِّبُ نَـفْـسَـهُ لَـعَـمْرُ أبِيكَ الخَيْرِ لاَ مَنْ تَنَسَّبَا

ويجوز أن يكون وَصَاةً بِالأخ المناسبِ وإخبارًا أن المؤاخى بغير النسب لا يُنْتَفَعُ بإخائه.

٢ ـ إذَا حَـارَبْـتَ حَـارَبَ مَـنْ تُـعَـادِي وَزَادَ سِـلاَحُـهُ مِـنْـكَ اقْـتِـرَابَـا

يجوز أن يكون هذا الكلام مُتَّصِلاً بما قبله، والضَّمير في «حاربَ» لأخِوكَ، و«مَنْ تُعادي»: في موضع المفعول من حاربتَ، ويكون المعنى: إذا حاربتَ مَنْ تُعَادي حاربَ هذا المؤاخي معك، ويجوز أن يكون مُنْقَطِعًا مِمَّا قبله ويكون مثلاً مَضْروبًا، فيقول: إذا كاشَفْتَ عَدُوَّكَ بَعَثَهُ ذلك على مكاشفتِهِ، وازدادَ عُدَّتهُ مِنْكَ دُنُوًّا، وإذا جامَلْتَهُ وداجَيْتَهُ بَقِيَ على ما ينطوي عليه مُسَاتِرًا لا مُجاهِرًا، أرادَ أنك إذا حاربتَ قَرُبَ مِنكَ ومعه سلاحُهُ لِيُعِينَكَ، فذكر قُرْبَ السِّلاحِ منه لِيدلَّ على أنه أراد إعانته على عَدُوِّه، ولو ذكر أنه يقرب نفسَهُ منه لم يدلّ على ذلكَ لأنه يجوز أن يقربَ منه ولا يُعِينُه.

٣ ـ وَكُـنْـتُ إذَا قَـرِيـنِـي جَـاذَبَـتْـهُ حِـبَـالِـي مَـاتَ أَوْ تَـبِـعَ الـجِـذَابَـا

يقول: إذا جاذبني قَرِينٌ لي حَبْلاً بيني وبينه فإمَّا أن ينقطعَ دون شَأْوي إلى الجِذَابِ فيهلكَ، وإمَّا أن يَتَّبِعَ صَاغِرًا فينقادَ.

٤ ـ فَـإنْ أَهْـلِـكْ فَـذِي حَـنَـقٍ لَـظَـاهُ عَـلَـيَّ تَـكَـادُ تَـلْـتَـهِـبُ الْـتِـهَـابَـا

يُضْمِرونَ «رُبَّ» بعد الفاء كما يضمرونها بعد الواو، وإضمارهم إياها مع غير الواو يَدُلّ على أن الواو ليستْ بَدَلاً مِنْ رُبَّ، ونحوٌ منه قول امرىء القيس على رأي مَنْ خَفَض: [الطويل]

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ(١)

يقول: إنْ أمتْ فَرُبَّ رَجُلٍ ذي غَضَبٍ تكادُ نارُ عَداوَتِهِ تتوقَّدُ توقُّدًا أنا فعلتُ به كذا، و«لَظَاهُ» في موضع المبتدأ، و«تكاد تلتهبُ» في موضع الخبر، والجملة في موضع الصِّفة لـ «ذِي حَنَقٍ»، والمجرور بِرُبَّ يقعُ موصوفًا في الأكثر، وجواب رُبَّ فيما بعد، والفاء من قوله «فذي حَنَقٍ» مع ما بعده جوابُ الجزاءِ فَإنْ قِيلَ: إنَّ الفاءَ في جواب

(١) البيت في ديوانه ص ١٢؛ والأزهيَّة ص ٢٤٤؛ والجنى الداني ص ٧٥؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٥٠؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٤٠٢؛ ولسان العرب (رضع)، و(غيل)؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٣٣٦.

الجَزاء إنّما يَجِيءُ إذا خالفَ الجملة التي تكون خبرًا الجملةَ التي تكون شرطًا بأن تكونَ مبتدأ وخبرًا فكيف يكون تقديرهما بعد الفاء هٰهنا؟ قلت: يكون التقدير: إنْ أهْلِكْ فالأمرُ والشَّأْنُ رُبَّ ذِي حَنَقٍ.

٥ - مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحَسَّى ذَنُوبَ الشَّرِّ مَلأَى أوْ قُرَابَا

قوله «مخضتُ بِدَلوِهِ»: جواب رُبَّ إنسانٍ هكذا أنا حَرَّكْتُ بِدَلْوه حتى مَلأتُها، جعلَ الدَّلْوَ كِنايةً عن السَّبَب الّذي جاذَبَه فيه، وقُرَابُ الماء[1]: أن يقاربَ الامتلاء، ويقال قِرَاب بالكسر، كأنَّ المرادَ أن هذا المعادي الممتلىء غيظًا لمَّا ألقى دَلْوَهُ يَستقي بها الماءَ من بِئري مَلأتُها شَرًّا وجعلتُه سقياه، والمخضُ ـ بالخاء معجمة ـ تحريك الدَّلْوِ في البِئْرِ لِتَمتلىء، والذَّنوبُ: الدَّلْوُ التي لها ذَنَبٌ والجمع أذْنِبَةٌ، وهي هنا مثل، يقول: جَنَيْتُ عليه الشَّرَّ حتى مَلَّه وجَشَّمْتُهُ إيّاه حتى تَجَشَّمه كُلَّه أو جُلَّهُ.

٦ - بِمِثْلِي فَاشْهَدِ النَّجْوَى وَعَالِنْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَالقَوْمَ الغِضَابَا

أي: جَاهِرْ بمثلي الأعداء وكاشِفهم لِيَكُفُّوا عنكَ؛ فمثلي يصلحُ لِدَفْعِ المكارهِ وكشفِ النَّوائبِ.

٧ - فَإنَّ المُوعِدِيَّ يَرَوْنَ دُونِي أُسُودَ خَفِيَّةَ الغُلْبَ الرِّقَابَا

يريد الغُلْبَ رِقَابًا، وانتصابه على التشبيه بِالضَّاربِ الرَّجُلَ، وروي بيت النابغة: [الوافر]

وَنُمْسِكْ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ أجَبِّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ[2]

قالوا: يعني أجَبَّ ظَهْرًا، وقال الحارث بن ظالم: [الوافر]

فَمَا قَوْمِي بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ وَلاَ بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا

يعني الشُّعْرَ رقَابًا، فلما أدخل الألف واللام نصب على ما ذكرنا.

٨ - كَأنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا عَلاَ لَوْنَ الأَشَاجِعِ أوْ خِضَابَا

أي: كأنَّ على سواعد هذه الأُسود الوَرْسَ أو الخِضَابَ من كثرة ما افترست الفرائس، والأشاجِعُ: عُرُوق ظاهر الكفِّ، والواحد أشجع.

---

(١) عند المرزوقي (قرابُ المَلْءِ) وهو الأصح في المعنى.
(٢) البيت في ديوان النابغة ص ١٠٦؛ والأغاني ١١/ ٢٦؛ وخزانة الأدب ٧/ ٥١١؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٨؛ وشرح المفصّل ٦/ ٨٣؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٥٧٩؛ وشرح الأشموني ٣/ ٥٩١.

[١٧٩] قال سُلمِيُّ بن ربيعة[1] من بني السِّيدِ بن ضَبَّةَ:

وكأنه منسوب إلى سلمى، قال أبو الفتح: سُلمي: اسم علم مرتجل، والسِّيد: الذِّئب، والأُنثى سِيدَانَة، وهذا يَدُلُّكَ على قِلَّةِ حَفْلِهم بالألف والنون، ووجه الدَّلالة منه أن التاء في نحو هذا إنّما تلحقُ نفسَ المِثالِ المذكّر فرقًا نحو ذِئْبٍ وذئبة، وعليه باب قائم وقائمة، وقد نراهم قالوا سِيدٌ وسيدانة، فلولا أنهم لم يعتدوا بالألف والنون حتى كأنَّهُم قالوا سِيدَة لِذِئْبَة لم يجز ذلك، فإذا صَحَّ ذلك ثبتَ به عِندَكَ قوّة تَرْكِ اعتدادِهم بالألف والنون، وأما ضَبَّة فمنقول، وهي في الكلام على أضْرُبٍ: ضَبَّةُ الحديدِ، وأُنْثى الضِّبَاب، والطَّلعة، والمرّة الواحدة من ضَبَّتْ لِثَتُهُ.

١ ـ حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرْبَةً فَاحْتَلَّتِ ... فَلْجًا وَأَهْلُكَ بِاللِّوَى فَالْحَلَّتِ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

تُمَاضِرُ: من أسماءِ النّساء، وقد ذكرها بعضُ النَّاس فيما أغفله سيبويه من الأبنية، وليس الأمر كذلك؛ لأنَّ تُمَاضِرَ مسمّاة بالفعل المضارع الذي هو مأخوذ من اللَّبن الماضر، وهو الحامض، أو من قولهم: عَيْشٌ مَضِرٌ: أي نَاعمٌ، وقيل: المُضَرُ: الأبيضُ، و«غَرْبَةً» أي: دارًا بعيدةً، والحَلَّة: موضع في بلاد بَنِي ضبَّة، وقالوا: الحلّة حَزْن ببلاد ضَبّة، وفَلْجٌ: وادٍ في طريق البصرة، وبينهما مسيرة عشر: أي حَلَّت بعيدةً منك؛ إنْ قيل: لِمَ قالَ حَلَّتْ ثمّ قال احْتَلَّتْ؟ وهَلاّ اكتفى بأحدِهما؟ قلت: نَبَّهَ بالأوّلِ أنّها اختارَتِ البُعْدَ منه والتَّغَرُّبَ عنه، وبالثّاني الاستقرار، فكأنه قال: نزلت في الغربة واستوطنت فلجًا، وفَلَجٌ ـ بفتح اللاّم ـ موضع، وفَلْجٌ ـ بسكون اللاّم ـ: ماء.

٢ ـ وَكَأَنَّ فِي الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ ... أَوْ سُنْبُلاً كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَّتِ

ثَنّى العينين ثم قال «كُحِلت به» فيجوز أن يكون جعل الاثنين جمعًا كما جاء في القرآن ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾[2] وكما قال الفرزدق: [الوافر]

فَلَوْ بَخِلَتْ يَدَايَ بِهَا وَضَنَّتْ ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

وإنما البابُ أن يقول: ضَنَّتَا، فالأشبهُ أن يكونَ جعلَ الاثنين جمعًا، وقد يجوز أن تخرجَ من الإخبار عن الاثنين إلى الإخبار عن الواحد، كما تخرج من الإخبار عن الواحد

---

(١) عند المرزوقي «سَلَمَى» بفتح السين والميم وكذلك ضبطه القالي في أمالي القالي (١/ ٨٢)؛ وكذا ضبطه في نوادر أبي زيد ١٢٠. والأبيات في الخزانة ٣:٤٠٢؛ ونوادر أبي زيد والأمالي. ونسبها الأصمعي في الأصمعيات لعلباء بن أرقم.

(٢) سورة صۤ، الآية: ٢٢.

إلى الإخبار عن الاثنين، قال امرؤ القيس: [المتقارب]

وعَـيْـنٌ لَـهَـا حَـدْرَةٌ بَـدْرَةٌ فَـشُـقَّـتْ مَـآقِـيـهِـمَـا مِـنْ أُخُـرْ

وقول الآخر: [الطويل]

خَلِيلَيَّ قُومَا في عَطَالَةَ فَانْظرَا أَنَارًا تَرَى مِنْ نَحْوِ بَابَيْنِ أمْ بَرْقَا[1]

والقَرَنْفُل والسُّنْبُل: من أخلاط الأدوية التي تحرقُ العينَ وَتُسِيلُ الدُّموعَ، وَانْهَلَّ وَاسْتَهلَّ: إذا سَالَ.

٣ ـ زَعَـمَـتْ تُـمَاضِـرُ أنَّـنِـي إمَّـا أَمُـتْ يَـسْـدُدْ أُبَـيْـنُـوهَـا الأَصَـاغِـرُ خَـلَّـتِـي

قال أبو العلاء: أُبَيْنُوها: تصغير أبناء، ولمّا ذكر سيبويه هذا الجمع عَبَّرَ بعبارة توهمُ أنّه جمع ابنًا على أفْعُلٍ، ثم صَغَّرَ كما يُقَالُ أعْشَى وَأُعَيْشٍ، والجمع أُعَيْشُون، وإنما أراد أن الألف التي في أبناء وبعدها الهمزة تُحْذَف فيصير تصغيره كتصغير أفعل، كأنَّ أبا العلاء يريد أن مُكَبَّر هذا الجمع أبْنَى على وزن أفْعَل مفتوح العين بوزن أعْمَى، ثم حُقِّرَ فصار أُبَيْنٍ كَأُعَيْمٍ، ثمّ جُمِعَ بالواو والنون فصار أُبَيْنُونَ، ثم حُذِفَتِ النون لِلإضافة، وكأنَّ الأصلَ أبْنَاء على أفْعَالٍ، فالهمزة لام الكَلِمَة، وهي مُنقلبة من واو، فلمّا حُذِفَتِ الألفُ من أفعال رجعت اللاّمُ إلى ما كانت، فصارت ألفًا في آخر الكلمة، فصار أبْنَى كأعمى ثم صُغِّرَ على ما تقدّم، وقال: ويحسن أنْ يُقَالَ جمع ابنًا على أفْعُلٍ لأنَّ أصلَهُ فَعَل كما يقال زَمَنٌ وأزمُنٌ، ثم صَغَّره وجمعه، وقال قوم: إنّما أرادَ بُنَيُّونَ، وَابْنٌ من ذوات الواو فنقلها إلى أوّلِ الاسم، ثم هَمَزَها لِلضَّمَّةِ، كما قالوا: وُجُوهٌ وأُجُوهٌ، ووُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ، كما قال الشاعر: [السريع]

مَـنْ يَـكُ لاَ سَـاءَ فَـقَـدْ سَـاءَنِـي تَـرْكُ أُبَـيْـنِـيـكَ إلَـى غَـيْـرِ رَاعْ

فقوله «أُبَيْنُوهَا» على هذا تصغير أبْنَى مقصورًا عند البصريين، وهو اسم صِيغَ للجمع كَأَرْوَى وَأَضْحَى، فهو على أفْعَل بفتح العين، وعند الكوفيين تصغير أَبْنٍ مثل دَلْوٍ وَأَدْلٍ على أفْعُل بضم العين؛ فإن قيل: كيف ساغَ أن يقول «خَلَّتِي» وإذا مات لم تكن له خلّة؟ قلت: أضافها إلى نفسه لما كان يَسُدُّهَا أيام حياته، فكأنه قال: الخَلَّة التي كنت أسُدُّها، وهذا من إضافة الشَّيء إلى الشَّيء على حَدِّ قولهم: شِهابُ القَذْفِ، أُضِيفَ الشِّهابُ إلى القَذْفِ لما كان من رَمْيِ الرَّامي، ووجوه الإضافات واسعة، وكانَ قولُه «خلّتي» أي موضعي وهي الفرجة والثّلمة فيهم بموته.

٤ ـ تَـرِبَـتْ يَـدَاكِ وَهَـلْ رَأيْـتِ لِـقَـوْمِـهِ مِـثْـلِـي عَـلَـى يُـسْـرِي وَحِـيـنَ تَـعِـلَّـتِـي

---

(١) البيت في معجم البلدان (عطالة) وقد ذكر أنه لسُوَيد بن كراع العُكْليّ.

«تَرِبَتْ يَدَاكِ» أي صار في يَدَيْكِ التُّرَابُ مما تُؤَمِّلِينَ، هل رأيتِ أعْطَى مِنِّي على حالِ عسرتي ويُسري؟ ويقال: اعْتَلَّ ما في يَدِ الرَّجُلِ، إذا قَلَّ مالُه، يقول: هل رأيتِ رجلاً أَكْفَى لِمضلعةٍ منّي: أي داهيةٍ تملأُ الأَضْلاعَ كَرْبًا وَهَوْلاً، وَالتَّعِلَّة: من عَلَّلْتُ، كأنّه أراد حين أفتقرُ فأحتاجُ إلى العِلَلِ: أي الحُجَجِ، أو إلى أن أُعَلِّل نَفسي كما يُعَلَّلُ العليلُ، والقياس يُوجبُ أن تَعِلَّة مصدرٌ على تَفْعِلة، وهذا البناء مُطَّرد على فَعَّل كَتَكْرِمة وَتَعْزِية من كَرَّمْتُه وعَزَّيْتُهُ، فإذا جاؤوا إلى المضعف مثل ربَّبْتُ وَعَلَّلْتُ أدغموا فقالوا التَّرِبَّة وَالتَّعِلَّة، وقد ذهب بعض الناس إلى أن التَّرِبَّة وبابها ليست مصدر فَعَّلَ وإنما هي بناء موضوع من الثلاثي، والقول الأول أشبه.

٥ ـ رَجُلاً إذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِينَهُ أَكْفَى لِمُعْضِلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ

انتصبَ «رجلاً» على أنه بدل من «مثلي» كأنه قال: هل رأيتِ لقومِه رجلاً أكْفى لِلشَّدائِدِ منّي، فحذفَ «منّي» لأنَّ المُرَادَ مفهومٌ، وأراد لقومي فلم يَسْتَوِ له، فجعل الضَّمير بالهاء على معنى الرجل.

٦ ـ وَمُنَاخِ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وَفَارِس نَهِلَتْ قَنَاتِي مِنْ مَطَاهُ وَعَلَّتِ

يجوز أن يعني بِمُناخ نازلة: مُنَاخَ رفقة نزلت به، ولا يمتنع أن يكون عَنَى نازلةً من نوازلِ الدَّهْرِ، واستعار الإناخة، وكان بعضُ أهلِ العلم ينكرُ قوله «نَهِلَتْ قناتي من مطاه وعَلَّتِ» ويزعمُ أنه إذا طعنَ الفارس لم يقفْ له حتى تعلَّ منه القنَاةُ، وهذا كلام ليس بشيء، والبيت يحتمل وجهين: أحدهما أن يكونَ أرادَ أنَّ قناتي رَوِيَتْ من مَطَاهُ، فجعل النَّهَلَ والعَلَل كناية عن الرّيّ؛ لأنَّ النَّاهِلَ إذا عَلَّ فقد تَنَاهَى في الشّرْبِ، وهذا كقول الآخر: [الكامل]

نَهِلَ الزَّمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّدِ

وليس هناك نَهَلٌ ولا عَلٌّ، والآخر أنه يريد أنها نَهَلَتْ من فارسٍ وَعَلَّتْ من غيره، لأنَّ صاحبَ القناة يجوز أن يطعنَ في السَّاعة الواحدة مرارًا، ويجوز أن يكون المراد أنها نهلَتْ منه وعَلَّتْ من غيره: أي لم يكن بَلائي مَقْصورًا على طعنةٍ واحدةٍ، والمَطَا: الظَّهْر، جعله مُوَلّيًا مُنْهَزِمًا، ولو جعله مُقْبِلاً كان أفخم له، لأنَّه لا مؤنةَ في طعنِ المُنهزمِ، وكان ينبغي أن يقول: نهلت قناتي من حَشَاه.

٧ ـ وَإذَا العَذَارَى بِالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْجَلَتْ نَصْبَ القُدُورِ فَمَلَّتِ

العَذَارَى: جمع عذراء، وأصله عَذَاريّ بتشديد الياء، فالياء الأولى مُبْدَلَة من المدّة قبل الهمزة، كما تُبْدَلُ في سِرْبَال إذا قلت: سَرَابِيل، فلما انقلبت المدةُ ياءً لانكسار ما قبلها وكان الأصل في همزة التأنيث ألفًا عادت إلى أصلها لِزوال الألف قبلها فأُبْدِلَ منها

ياء ثم أُدْغِمَتِ الأولى في الثّانية فقيل عَذارِيّ، وكذلك في صحراء صَحَارِيّ، ثم حُذِفَتْ إحدى الياءين تخفيفًا، فقيل عَذَارِي وصَحَارِي، ثم فَرُّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفًا فقيل: عَذَارَى وصَحَارَى، وخصَّ العَذَارى بِالذِّكرِ لِفَرْطِ حَيائِهِنَّ وشدّة انقباضهنَّ، وجعل «نَصْبَ القدور» مفعول «استعجلتْ» على المجاز والسّعة، ويجوز أن يكون المراد استعجلتْ غَيْرَها بِنَصْبِ القدورِ أو في نصبها، فحذفَ، والمراد أنها طلبت العجلة في نَصْبِها ومَلَّتْ قبل إدراكها: أي أَكَبَّتْ على النّار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع، وعلى هذا يكون «وملّت» بالواو، وغير أبي تمام يرويه «واستبطأت نصبَ القُدُورِ فملّت».

٨ ـ دَارَتْ بِـأرْزَاقِ الـعُـفَـاةِ مَـغَـالِـقٌ   بِـيَـدَيَّ مِـنْ قَـمَـعِ الـعِـشَـارِ الـجِـلَّـةِ

أي: دَارَتْ بِيَدَيَّ مغالقٌ بِأرزاقِ العُفَاة من قَمَعِ العِشارِ، ففصلَ بالفاعلِ بين الأرزاقِ وبين «مِنْ قَمَعِ العِشارِ»، وإنما سُمِّيَت القداحُ مغالقَ لأنَّ الجزر تغلق عندها وتهلكُ بها، وَالعِشار: جمع عُشَرَاء، وهي التي أتى عليها من حَمْلِها عشرة أشهر، وتُسَمَّى به بعد وضعها الحمل بأشهر.

٩ ـ وَلَـقَـدْ رَأيْـتُ ثَـأَى الـعَـشِـيـرَةِ بَـيْـنَـهَـا   وكَـفَـيْـتُ جَـانِـيَـهَـا الـلَّـتَـيَّـا والَّـتـي

الثَّأَى: الفَسَاد، والرَّأْبُ: الإصلاحُ، وقوله «جانِيها» إن فتحتَ الياء كان واحدًا، وإن أدَّى معنى الجمع، وإنْ سَكَّنْتَ الياء جازَ أن يكونَ جمعًا سَالِمًا وأن يكونَ واحدًا وقد حُذِفَتْ فَتحتُها؛ واللَّتيا والَّتي: اللَّتيا تصغير التي فجعلهما اسمين للكبيرة والصغيرة من الدَّواهي، ولهذا استغنيا عن الصّلة وانتقلا عن كونهما موصولين، ويذهب بعضهم إلى أن صلتيهما محذوفتان لدلالة الحال عليهما والمعنى أنه يكفي عشيرته الجليل من الأمور والحقير منها فلا يحوجهم إلى غيره.

١٠ ـ وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَرَفَدْتُهَا   نُصْحِي وَلَمْ تُصِبِ الـعَـشِـيـرَةَ زَلَّتِي

يقال: رَفَدْتُ وأرْفَدْتُ، إذا أعطيتَ، لغتان فصيحتان، والمعنى أنه ينصحُ لهم ويصفحُ عن جاهلهم ولم تُصِبْهم عَثْرَتُه، والرِّفْدُ: المعونةُ، ومنه قيل: رفادة الجرحِ، ورَفَدَ بنو فلانٍ فلانًا، إذا سَوَّدُوهُ، تَرْفيدًا.

١١ ـ وَكَـفَـيْـتُ مَـوْلاَيَ الأَحَـمَّ جَـرِيـرَتِـي   وَحَبَسْتُ سَائِمَتِي عَلى ذِي الـخَـلَّـةِ

الأَحَمُّ: الأَخَصُّ والأَمَسُّ، وهو أفعل من الحميم: أي لم يُؤَاخَذُوا بِجرائري، والسَّائمة: المال الرَّاعي، والخَلَّة: الحاجة والفقر، أي حَبَسْتها على أصحاب الحاجات منهم لينالوها.

[١٨٠] وقَالَ أُبَيُّ بنُ سُلْمِيّ بن رَبيعة بن زَبَّان الضَّبِّيُّ:

قال أبو الفتح: أُبَيٌّ تصغير أب، ويجوز أن يكون تصغير آبٍ على الترخيم، أو تحقير أبيٍّ وأصله أُبَيِّيٌ بثلاث ياآت الوسطى منها مكسورة ككسرة الياء من ظُرَيِّف فحذف الطرف، لا على رأي أبي عمرو، ألا تراه كان يقول في تحقير أحْوَى أُحَيٌّ حتى ألزمه سيبويه أن يقول في تحقير عَطَاء عُطَيٌّ؛ ويجوز أن يكون تحقير أب من قولك هذا تيس أبٍ وعنز أبواء، ويجوز أن يكون تحقير اسم رجل سمّي أبًا من قولهم: تيس أب، وهو ما أنشده أبو زيد: [الطويل]

أَقُـولُ لِـكَـنَّـازٍ تَـدَكَّـلْ فَـإِنَّـه أَبَى لاَ أَظُنُّ الضَّأْنَ مِنْهُ نَوَاجِيَا(١)

ويجوز أن يكون تحقير إباء مصدر أبَيْت، ولست أقول: إن المصدر يُحقر، ولكنه كأنّ إنسانًا سُمِّيَ إباء كما سُمِّيَ مَضَاء ثم حقر، فإن قيل: ولِمَ لم يحقّر المصدر نفسه؟ قيل: لم يجز ذلك لانتقاض المعنى به، وذلك أن المصدر اسم لجنس فعله، والجنس أبدًا غايةُ الغايات في معناه، وما كانت هذه صفته في الشياع والانتشار فما أبعده من التحقير، وهو الغاية في العموم، ولذلك لم تُثَنَّ المصادر ولم تكسر إلا أن توقع على الأنواع، وامتناع المصادر من ذلك كامتناع الأفعال، وأما زَبَّان فمرتجل علمًا، مثاله فَعْلاَن من الأزَبِّ والزَّبَب، وليس بفعال من الزبن لامتناعه من الصرف.

١ - وَخَـيْـلٍ تَـلاَفَـيْـتُ رَيْـعَـانَـهـا بِـعِـجْـلِـزَةٍ جَـمَـزَى الـمُـدَّخَـرْ

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

رَيْعَان كل شيء: أوله، والعِجْلِزة: الفرس الصَّلبة، وجَمَزَى: فَعَلَى من الجمز وهو سرعة السير، وهذا مما يوصف به الإناث والذكور، والألف للتأنيث، قال الرّياشيّ: ولم يوصف الذكر بشيء آخره هكذا إلاّ هذا الحرف، وحرف آخر: وهو قول الهذلي: [المتقارب]

أَوَ اَصْـحَـمُ حَـامٍ جَـرَامِـيـزَهُ حَـزَابِـيَـةٌ حَـيَـدَى بِـالـدِّحَـالِ(٢)

والمُدَّخَر: ما يدّخره الدّابة من عَدْوه: أي رُبَّ خَيْلٍ تداركتها وهي منهزمة أو راجعة بنهبٍ من غارة بفرس هذه صفتها.

---

(١) البيت لابن أحمر في اللسان (أبي) و(دكل).

(٢) البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٩٩؛ ولسان العرب (حزب وحيد وجمز وجرمز)؛ والتنبيه والإيضاح ١/٦١؛ وتاج العروس (حزب وجرمز وجمز ودحل وصحم)؛ وللهذلي في مقاييس اللغة ٢/١٢٣؛ وبلا نسبة في لسان العرب (صحم)؛ وتاج العروس (حيد)؛ والمخصّص ١٥/٦٩.

٢ ـ جَمُومِ الجِرَاءِ إذَا عُوقِبَتْ   وَإنْ نُوزِقَتْ بَرَّزَتْ بِالحُضُرْ

جَمُوم: يجمّ لها جري بعد جري، وعُوقِبَتْ: طلب منها عقب: أي جري بعد جري، وأول الجري نزقة وآخره عقب، وقوله «وإن نوزقت» أي إذا جرت الخيل معها الجري الأول، وهو من النَّزَق: أي النشاط، برزت عليهنّ بالحضر وهو العدو الشديد.

٣ ـ سَبُوحٍ إذَا اعْتَرَضَتْ في العِنَانِ   مَرُوحٍ مُلَمْلَمَةٍ كَالحَجَرْ

أي: كأنّها تَسْبَح في جَرْيِها، وقوله «إذا اعترضت» أي: إذا اعترتها صعوبة، وهي العُرْضِيَّة، ويُرْوَى «اعتزمت» أي: انتحت، ويُروَى «اعترمت» أي: سطت وعالت، والعُرَام: مفارقة القَصْد والخروج عن الحدّ، وقوله «في العنان» في موضع الحال، كما يقال: جاء فلان في جُبَّة: أي وعليه جُبَّة، وململمة: صلبة، من قولهم: لممت الشَّيءَ، إذا جمعته؛ وأصله مُلَمَّمَة.

٤ ـ دُفِعْنَ عَلَى نَعَمٍ بِالبِرَا   قِ مِنْ حَيْثُ أفْضَى بِهِ ذُو شَمِرْ

قوله «دفعن على نعم» جواب رُبَّ إذا جعلت قوله «تلافيت ريعانها» من صفة «وخيل» حملاً على ما يجيء المجرور بربّ في الأكثر من لزوم الوصف له، وقد جاء غير موصوف، وإن قَلَّ، وعلى هذا يكون تلافيت الجواب، ودفعن من صفة الخيل، والمعنى دفعت هذه الخيل على إبل بالبراق من حيث أدّاهُ إلى الفضاءِ ذو شَمِرٍ، وهو مكان، وقوله «أفضى به» الضمير لِلنَّعَمِ، وهو مذكّر، يقال: هذا نَعَمٌ واردٌ، والبِرَاقُ: جمع برقة، وهو موضع فيه حجارة بيض وسود.

٥ ـ فَلَو طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا   لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ

أي: لو كان يطير فرس قبل هذه لَطَارت هذه من سرعتها، ولكن هذا ما لا يكون.

٦ ـ فَمَا سَوْذَنِيقٌ عَلَى مَرْبَأٍ   خَفِيفُ الفُؤَادِ حَدِيدُ النَّظَرْ

السَّوْذَنيق: من جوارح الطّير، وهو الشّاهين.

٧ ـ رَأى أرْنَبًا سَنَحَتْ بِالفَضَاءِ   فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الخَمَرْ

الوَلَجَات: جمع وَلَجَة، وهو موضع الولوج، وموضع «وَلَجَاتِ» نصبٌ على أن يكون مفعول «بادرها»؛ وَالخَمَرُ: ما واراكَ من الشجر، ويقال: بادرت كذا، وإلى كذا.

٨ ـ بِأسْرَعَ مِنْهَا وَلاَ مِنْزَعٌ   يُقَمِّصُهُ رَكْضُهُ بِالوَتَرْ

قوله «بأسرع منها»: خبر ما، يقول: ما سوذنيق هذا وصفه بأسرع من فرسي، ولا سَهْمٌ يُنَزِّيه رَكْضُ الوَتَرِ به، والمِنْزَعُ: السَّهْم، يقال: نَزَعْتُ في القوسِ نَزْعًا، وانتزعتُ له بِمِنْزَعٍ ونزعتُ: أيْ بِسَهْمٍ، وفي المَثَل: عاد السَّهْمُ إلى النَّزَعَةِ في معنى رَجَعَ الحَقُّ إلى

أهلِه، و«يُقَمِّصُ» أي يُجْري، يقال: قمصَ البحرُ بالسَّفينةِ إذا حَرَّكَها بالموجِ، حتى كأنها بعير يقمص، وإنما جعل الرَّكْضَ للوَتَرِ لأنه هو الذي يَزُجُّ بالسَّهم ويدفعه، فكأنه يركضُه، وهذا نحو من قول الآخر: ما أمسكَ الحبل حافزه، وما أشبهه؛ لأنَّ الركض للوتر وجعله للسّهم، ويمكن أن يُتْرَكَ على ظاهره فيجعل السهم راكضًا من حيث كان راكبًا للوتر، والرَّكْض: تحريكُ الفارس رِجليه على الفرس عند الاستحثاث، وإذا كان كذلك فكأن السهم هو الذي ركض الوتر وإن كان الحفزُ للوتر.

[١٨١] وقال زَيْدُ الفَوارِسِ بن حُصَيْن(١) بن ضِرَار الضَّبِيّ:

١ - تَـألَّـى ابْـنُ أَوْسٍ حَـلْـفَـةً لَـيَـرُدُنِـي عَـلـى نِـسْـوَةٍ كَـأَنَّـهُـنَّ مَـفَـائِـدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

آلَى الرجل وائْتَلَى وتَأَلَّى بمعنى، وهذه الأبنية من الألِيَّة وهي اليمين، وَ«حَلْفَةً» انتصب على أنّه مصدر من غير لفظه، وقوله «لَيَرُدُنِي» يُرْوَى بفتح اللاّم وضَمِّ الدّال على أن تكون اللاّم لام اليمين، وذكر سيبويه أنَّ لام القسم يلزمها إحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة، وقال أيضًا: وقد تحذف النّون في الشعر وهذا الموضع بالرّواية الثانية جاء على ما سَوَّغه؛ وقد جاء أبعد من هذا في الاستعمال وهو حذف اللاّم وإثبات النون، قال: [الكامل]

وَقَـتِـيـلَ مُـرَّةَ أَثْـأَرَنَّ فَـإِنَّـهُ فَـرْغٌ وَإِنَّ أَخَـاهُـمُ لَـمْ يُـقْـصَـدِ(٢)

والمَفَائد: جمع مِفْأَد، وهي المساعير والسفافيد، ومَنْ روى «لِيَرُدّنِي» فالمعنى حلف لهذا الأمر، وجواب القسم يكون محذوفًا مُقَدَّرًا، ويُسْتَدَلُّ عليه بما ذكره وقال بعض المتقدمين: تقول: حلف لَيَفْعَلَنَّ، فإذا حذفتَ النون كسرت اللاّم وأعملتها إعمال لام كي، والموضع موضع القسم، والمعنى معناه، وأنشد: [الطويل]

إِذَا قُلْتُ قَدْنِي قَالَ بِاللّهِ حَلْفَةً لِتُغْنِيَ عَنِّي ذَا إِنَائِكِ أَجْمَعَا(٣)

وقيل: مثل تَأَلَّى ليردّني «أراد ليفعل كذا» وفي القرآن ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

(١) زيد الفوارس: شاعر جاهلي، فارس (خزانة الأدب للبغدادي ١/٥١٦ و٥١٧؛ وبلوغ الأرب للألوسي ٢/١٣٧، ١٨٩).

(٢) البيت لعامر بن الطفيل في ديوانه ص ١٤٥، وهو من شواهد الخزانة ٤/٢١٦. وقتيل: يُروَى بالأوجه الثلاثة، وقتيل مُرَّة هو أخوه حنظلة بن الطفيل، وعند المرزوقي «فِرْغٌ» بدل «فرعٌ».

(٣) البيت لحريث بن عناب في خزانة الأدب ١١/٤٣٤؛ والدّرر ٤/٢١٧؛ ومجالس ثعلب ص ٦٠٦؛ والمقاصد النحوية ١/٣٥٤؛ وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٠٧؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٩؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٥٥٩.

﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1] كأنَّ الفعل دَلَّ على المصدر، واللاَّم مع الاسم المجرور به في موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ، كأنه قال: أراد لي كذا.

٢ ـ قَصَرْتُ لَهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ إِنَّمَا يُنَجِّي مِنَ المَوْتِ الكَرِيمُ المُنَاجِدُ

شَوْلة: اسم فرسه، وقوله «إنما يُنَجِّي من الموت الكريم» يعني أنَّه خَلَّصَ نفسَه لما عَلَّقَ الرَّجاءَ به.

٣ ـ دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْءِ بَيْنِنَا فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الرِّمَاحَ مَصَايِدُ

أي: استغاثَ بي على ما بيننا من عداوةٍ وبغضاء فأجبته بعد ما هَوَّنْتُ عليه ما خَوَّفَهُ وبَيَّنْتُ أنَّ الرّماحَ حبائلُ الرّجالِ ومصايدهم، فلا تُبالِ بالموت إذا كان على وجهه لا يتعقَّبُهُ عارٌ.

٤ ـ وَقُلْتُ لَهُ كُنْ عَنْ شِمَالِي فَإِنَّنِي سَأَكْفِيكَ إِنْ ذَادَ المَنِيَّةَ ذَائِدُ

إنما قال «كُنْ عن شمالي» لأن الضَّرْبَ والطَّعْنَ والرَّمْيَ في العِطْفِ وما شاكَلَ ذلك من الجانب الأيسر أمكن منه من الأيمن، ووجه آخر؛ وهو أن العطف في الجانب الأيسر، فقال له: كُنْ في الجانب الَّذي أنا مَعْنِيٌّ به، وقيل: إنما قال «كُنْ عن شِمالي» لأنه موضع المُعَان المنصور، واليمنى موضع الناصر، يقال: أنا على يمينك، وعن يمينك: أي نَاصِرُكَ، كأنَّه أمرهُ أنْ يكونَ على ميسرةِ الجيش، ويكون هو على المَيْمَنَةِ، لأنَّهم يجعلون على ميمنة العسكر كُلَّ موثوقٍ به، وهذا أحسن وجه يحمل عليه قوله «وقلت له كن عن شمالي»[2].

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنَّ زيد الفوارس أقبلَ هو وعَلْقَمَة بن مرهوب ورجل من بني هَاجَرَ ورجل من بني صُبْح وحَسَّان بن المُنْذِر بن ضِرَار حتى نزلوا ببني جَدِيلة من طَيِّىء، وكان بنو جَدِيلة قد ولدوا جَبَّار بن صَخْر بن ضِرار، فأبى زيد وعلقمة أنْ ينزلا مع حَسَّان وركبا وجوههما، فقال أوس بن حارثة بن لأم لحسان: مَنْ هٰذَانِ معك؟ قال: زيد الفوارس، وعلقمة بن مرهوب، فقال لابنه قيس بن أوس: اركبْ فارددهما عَلَيَّ فركبَ فقال: إن أبي يُقْسِمُ عليكما لترجعَانّ، فأبَيَا، فأغلظَ لهما، فرجع إليه زيد فقتله، فلما رأى ذلك ابن مرهوب، وكان مصارمًا لزيد، قال: يا زيد أُذَكِّرُكَ اللّه أن تتركني، فربعَ عليه، فلما أبطأَ على أوس ابنه تحذّر حسان الذي كان عنده، فركب هو وصاحباه، فلمّا انتهوا إلى زيد ورأوا ما صنع قال لِبُرَيْمَةَ وهو أهون مَنْ معه:

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

(٢) هذا حل المعنى، وليس هو حل الذي ذكره من الإعراب.

ارجعْ إلى درعي نسيتها عند أوس فأتني بها، فإنْ قال لكَ: مَنْ أنتَ؟ فقل: أنا ابن ضرار، فرجع بُرَيْمَةُ إليه فقال له: مَن أنت؟ فقال: أنا ابن ضرار، فقتله، وقال: كريم بكريم، وقيل: إنَّ قيس بن أوس لمّا لحق زيدًا ناداه: يا زيد ارجع، فقال زيد: إلامَ أرجع؟ فقال قيس: واللاَّت والعُزَّى لأَرُدَّنَّكَ أَسِيرًا إلى نسوةٍ تركتهنَّ، فقتله زيد، وقال: تَأَلَّى ابنُ أوسٍ حلفة ـ الأبيات.

[١٨٢] **وقال الرُّقَاد بن المُنذِر بن ضرار الضَّبِّي**[١]:

قال أبو الفتح: هذا في الأصل من رَقَد يَرْقُدُ، ودخول اللاّم عليه وهو علم يمكّن فيه حال الصفة كالحارث والطفيل، وهذا إنما هو على جريان المصدر صفة، نحو قولك: هذا رَجُل رُقَاد: أي راقد، كقولك: رجل عَدل: أي عادل، وَصَوْم: أي صائم، ومثله الفَضْل والعلاء وأشباهه كثيرة.

١ ـ لَقَدْ عَلِمَتْ عَوْذٌ وَبُهثَةُ أَنَّنِي ... بِوَادِي حُمَامٍ لاَ أُحَاوِلُ مَغْنَمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

بُهْثَة: من سُلَيْم بطنٌ منهم، والبُهْثَة في اللّغة: وَلَدُ البَغِيّ، والبَهْثُ: البِشْرُ وحُسْنُ اللّقاءِ، وَالحُمَامُ بِضمِّ الحاء: حُمَّى الإبِلِ والدَّوَابّ، يقول: لقد عَلِمَتْ هاتان القبيلتان أنّي قَصَرْتُ بغيتي على طلب الثّأر في هذه الوقعة دُونَ طَلَبِ المَغْنَمِ، وقال أبو رياش: عَوْذ بن غالب من بني عبس، وبُهْثة من عبد اللّه بن غطفان.

٢ ـ وَلَكِنَّ أَصْحَابِي الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ ... تَعَادَوْا سِرَاعًا وَاتَّقَوْا بِابْنِ أَزْنَمَا

يريد بِالأصحاب مَنْ لاقاه من الأعداء، وَتَعَادَوْا: أي تبادروا مسرعين، ويجوز أن يكون من «عَادَى بينهم»: أي والى، فيكون المعنى تَوَالَوْا، ومن هذا قولهم: تعادى القوم: أي مات بعضهم في إثْرِ بعضٍ، وقوله «واتّقوا بِابْنِ أَزْنَما» يريد جعلوه بيني وبينهم لأنه ثبتَ في وجه القومِ يَشْغَلُهُمْ لِيَسْلَمَ أصحابُهُ.

٣ ـ فَرَكَّبْتُ فِيهِ إذْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ ... بِمُنْقَطَعِ الطَّرْفَاءِ لَدْنًا مُقَوَّمَا

الباء من قوله «بمنقطع الطَّرفاء» تتعلق بقوله «رَكَّبت» أي: طعنته لما عرفتُ مَحلّه من أصحابه وموضعه من البلاء، ولا يمتنع أن يكون معنى قوله «عرفت مكانه» عرفت موضعه ومقامه، لأن الرئيس يخفي مكانه ويُخْمِلُ نفسَه كثيرًا وحينئذٍ تتعلّق الباء من «بمنقطع الطَّرفاء» بقوله «مكانه» ولكن قوله «واتقوا بابن أزنما» يأبى إلاّ القول الأول.

٤ ـ وَلَوْ أَنَّ رُمْحِي لَمْ يَخُنِّي انْكِسَارُهُ ... جَعَلْتُ لَهُ مِنْ صَالِحِ القَوْمِ تَوْأَمَا

(١) عند المرزوقي: «الوَقَّاد بن المنذر».

التوأم: زِنته فَوْعَل، واشتقاقه من الوئام، والتاء فيه مُبْدَلة من الواو، وكأن الولد وَاءَمَ في الإتيان غيره: أي وَافَق، وخَصَّ الصَّالحين منهم لأنهم يَتَبجَّحون بقتل الملوك والرُّؤساء.

٥ ـ وَلَوْ أنَّ في يُمْنَى الكَتِيبَةِ شَدَّتِي ۞ إِذًا قَامَتِ العَوْجَاءُ تَبْعَثُ مَأْتَمَا

كأنَّهُ خَفِيَ عليه مكان واتره فلم يعلمْ أهو في الميمنة أم في الميسرة فأخذ يتلَهَّفُ على ما فاته منه، وَالشَّدَّة: الحملة، يقول: لو اتَّفقتْ حملتي في يُمْنَى الكتيبة بدلاً من يُسْرَاها لَقَامَتْ أمّه وقد ثَكِلَتْهُ تَهِيجُ المأتَمَ لِلنَّوْح عليه، ولكن نَجَّاه منّي ذهابُ مَقامِهِ عن عِلمي، وجعلها عَوْجَاء إما على طريق السَّبّ كما قال[1]: [الكامل]

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٍ ۞ فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي

فيكون العِوَج في تلك لِتَفاوُتِ خِلْقَتِها وزَوَالِها عن سَنَنِ الاستقامة كَالْفَدَع في هذه، وإمَّا أن يكون أراد أنَّها مضرورةٌ مجهودةٌ، أو يكون لَقَبًا لها، والمأتمُ: أصله في الضمّ والجمع.

[١٨٣] وقــــال:

١ ـ إِذَا المُهْرَةُ الشَّقْرَاءُ أَدْرَكَ ظَهْرُهَا ۞ فَشَبَّ الإِلٰهُ الحَرْبَ بَيْنَ القَبَائِلِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «أَرْكَبَ ظَهْرُهَا» أي: حَانَ أنْ يُرْكب، وجعل الفعل لِلظَّهر على التوسّع؛ إذ كان موضع الرّكوب، ويكون «أركب» كما يقال: أَحْصَدَ الزَّرْعُ، و«أدرك ظهرها» من أدرك الثَّمَرُ إذا أمكنَ الانتفاع به، وارتفاع المُهْرَة بفعل مضمر بعد إذا يكون الظّاهر تفسيره: أي إذا قَوِيَ وصار بحيث يُرْكَبُ فشبَّ اللّه الحربَ حينئذٍ بين القبائل، يعني أنه إذا رَكِبَها لا يبالي بما يكون من الحروب.

٢ ـ وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ بِضِرَامِهَا ۞ لَهَا وَهَجٌ لِلْمُصْطَلِي غَيْرُ طَائِلِ

قوله «وأوقد نارًا بينهم» من جملة الدّعاء، والكلام يدلّ على استعجاله لحصول الحالة التي يتمنّاها، يقول: أَجّجَ بينهم نار الحربِ بما يلهبها حتى يصيرَ لها وَهَجٌ لا خيرَ فيه لِمَنْ يَدنو منه، وخصَّ الضِّرَامَ لأنه يسرعُ ذهابَ النَّارِ فيه فيعلو لَهَبُها، فإنْ قِيلَ: لِمَ كَرَّرَ طلبَ إيقادِ النَّارِ في البيت الأول والثاني؟ قيل: أراد به نار الخلاف حتى إنَّ مَنْ دخل فيهم طالبًا لِصلاحِ بينهم لم يقدرْ على إزالته.

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ص٤٥١، يهجو جريرًا؛ وفي الأشباه والنظائر ٨/ ١٢٣؛ وأوضح المسالك ٤/ ٢٧١؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٥١١؛ وشرح المفصّل ٤/ ١٣٣؛ والكتاب ٢/ ٧٢، ١٦٢؛ ولسان العرب (عشر)؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٤٨٩.

٣ - إذَا حَمَلَتْنِي وَالسِّلاحَ مُشِيحَةً   إلى الرَّوْعِ لَمْ أُصْبِحْ عَلَى سِلْمِ وَائِلِ

المشيح والمشائح والشِّيح واحد، قال: [الطويل]

وَشَايَحْتَ قَبْلَ اليَوْمِ إنَّكَ شِيحُ[(١)]

والمشايحة: المجادّة، والمشيح: الحازم: أي إذا تَمَّتْ لي آلة الحرب لم أُسالِمْ وائلاً.

٤ - فِدًى لِفَتًى أَلْقَى إلَيَّ بِرَأْسِهَا   تِلادِي وَأَهْلِي مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلِ

«ألقى إلَيَّ بِرأسها» أي: وَهَبَهَا لي وأمكنني من قيادها، وذكر الرّأس كما يقال: هو يرتبط كذا رأسًا، والمعنى أفدي بمالي القديم وأهلي المصادِقين فَتًى مَكَّنني من هذه المهَرَة ومَلَّكَنيها، وقوله «من صديقٍ وجامل» تبيين؛ فالصّديق تفسير الأهل، والجامل تفسير المال التّلاد، ويُرْوى «من صديق وحامل» فيكون من تفسير الأهل خاصّةً، كأنّه يريد وأهلي من مُصَادِقٍ لي وبَارٌ بي، ويقال: حمله على كذا مَرْكَبًا، إذا أعطاه، كأنه قال: كُلُّ مَنْ حَمَلني على فرسٍ من أهلي فهو فداءٌ لِمَنْ حَمَلني على هذا المُهْر لأنه يقع دونه في القَدْرِ. أبو هلال: كان ينبغي أنْ يقول من صديق وعدوّ فَأمّا أن يقول من صديق وإبل فرديء جدًّا لأنه جعل الإبل من الأهل، وإن ردَّ الجامل إلى التّلاد فرديء أيضًا، لأن قوله من صديق يحتاج إلى قسم آخر وإلا فالكلام مبتر لا خير فيه.

[١٨٤] وقال شَمْعَلَةُ بن الأخضر[(٢)] بن هُبَيْرَةَ بن المنذر بن ضِرَار الضَّبيّ:

قال أبو العلاء: الشَّمْعَلة أصل بناء «اشمَعَلَّ» إذا أسرع، قال أمية بن أبي الصَّلْت: [الوافر]

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ   وَآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِي[(٣)]

والأخضر: يُنْعَتُ به الرّجلُ على معنى المدح، وعلى معنى الذّم، وإذا مُدِحَ به احْتُمِلَ أنْ يكونَ مشبهًا بالبحر؛ لأن البحر يُوصَفُ بِالخضرة، أو بالربيع، وهذان الوصفان لِمَنْ ذُكِرَ بالجود، ويُوصَفُ الإنسانُ بِالأخضر لأن الخُضْرَة من ألوان العرب قال: [الرمل]

وأنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي   أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ العَرَبْ[(٤)]

---

(١) هذا عجز بيت لأبي ذؤيب الهذليّ في ديوان الهذليين ١/١١٦؛ واللسان (شيح) وصدره: «بَدَرْتَ إلى أُولاهُمْ فَسَبَقْتَهُمْ».

(٢) شمعلة بن الأخضر: شاعر فارس جاهلي (المؤتلف والمختلف ص ١٤١؛ والأعلام ٣/٢٥٦).

(٣) البيت في اللّسان (شمعل).

(٤) البيت في اللّسان (خضر) وقد نسبه للفضل بن العباس بن عُتْبَة بن أبي لهب، وأراد بالخضرة سمرة لونه وإنما يريد بذلك نسبه الخالص وأنه عربيٌّ محض.

وإذا جاؤوا بالخضرة في معنى الذم فإنّما أرادوا أنهم قد اخْضَرُّوا من اللّؤم؛ لأنَّ السَّوَادَ إذا اشتدَّ جعل خضرة فقيل: ليلٌ أخْضَر، واخْضَرَّ اللَّيلُ، قال القطامي: [الرجز]

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقًا قِسْبَرًا   وَقَلْبِي مَنْسِمَكِ الْمُغْبَرَّا
وَبَادِرِي اللَّيْلَ إذَا مَا اخْضَرَّا[١]

وقال جرير: [الطويل]

كَسَا اللُّؤْمُ تَيْمًا خُضْرَةً في جُلُودِهَا   فَوَيْلٌ لِتَيْم مِنْ مَطَارِفِهَا الْخُضْرِ

وهُبَيْرة: تصغير هَبْرَةٍ، وهي القطعة المستديرة من اللَّحم، قال أبو الفتح: شَمْعَلة: منقولٌ من الشَّمْعَلة وهي الناقة السريعة، وهُبَيْرة: منقول من تصغير هبرة.

١ ـ وَيَوْمَ شَقِيقَةِ الحَسَنَيْنِ لاَقَتْ   بَنُو شَيْبَانَ آجَالاً قِصَارَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الشَّقِيقة: رملةٌ عظيمةٌ، وقيل: رملة بين رملتين، وهي في الأصل صفة فَجُعِلَت اسمًا وأُلْحِقَ بها الهاء، والحسنان: رملتان ببلاد بني تميم، وقيل: كثيب ضمَّ إليه قطعة أرض يقرب منه، وكان فيه مقتل بِسْطَام بن قيس الشَّيبانيّ.

٢ ـ شَكَكْنَا بِالرِّمَاحِ وَهُنَّ زُورٌ   صِمَاخَيْ كَبْشِهِم حَتَّى اسْتَدَارَا

الشَّكُّ: النَّظْمُ، يقول: انتظمنا بِالرِّماح والخيل منحرفة لِلطَّعْنِ صِمَاخَيْ كَبْشِهِم، يعني بسطامًا، وكان قد أغار على بَنِي ضَبَّة واستاقَ إبلها، فلمّا لحقوه أخذ بسطام يُعَرْقِبُ الإبلَ، فقالوا له: يا بسطام، ما هذا السَّفَهُ؟ لا تعقرْها لا أبا لكَ إمَّا لنا وإمَّا لَكَ، ثم أُصِيبَ في صِمَاخِهِ ـ وهو الخَرْقُ البَاطِنُ الَّذي يُفْضِي من الأُذنِ إلى الرَّأْس ـ قتله عاصم بن خليفة الضبّي، وكان مَضعوفًا، ورأته أُمُّه يقمعُ حديدةً له فقالت له: ما تفعلُ بهذه؟ فقال: أقتل بها بسطامًا، فقالت مستنكرةً: اَسْتُ أُمِّكَ أضيقُ من ذلك، ويُحْكَى أنّه أدركَ الإسلامَ وأسلَمَ، فكان إذا وردَ بابَ عمر بن الخطاب واستأذنَ يقول: عاصم بن خليفة قاتل بسطام بن قيس بالباب، مفتخرًا، واستدار: أخذه دُوَارٌ.

٣ ـ فَخَرَّ عَلَى الأَلاَءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ   وَقَدْ كَانَ الدِّمَاءُ لَهُ خِمَارَا

الأَلاَءة: شجرةٌ حَسَنَةُ المَرْأَى قبيحة المخبر، ولهذا شُبِّهَ بها كلُّ مَنْ قَصُرَ مَخْبَرُهُ عن مَنْظَرِه، قال: [الوافر]

فَإنَّكُمُ وَمَدْحَكُمُ بُجَيْرًا   أَبَا لَجَإٍ كَمَا امْتُدِحَ الأَلاَءُ[٢]

(١) ذكر الأبيات في اللسان (خضر) باختلاف في الرواية.
(٢) البيت في اللسان (ألا) ونسبه لبشر بن أبي خازم.

يَـرَاهُ الـنَّـاسُ أخْـضَـرَ مِـنْ بَـعِـيـدٍ   وَيَـمْـنَـعُـهُ الـمَـرَارَةُ وَالإِبَـاءُ

وخَرَّ: أي سقط، وقوله «لم يُوسَّدْ»: في موضع الحال، وهو بيان لكونه مقتولاً وأنَّ سقوطَهُ كان لذلك، والخمر والخِمَار: كلُّ ما واراكَ.

[١٨٥] وقال حُسَيْل بن سُجَيْح الضَّبيّ:

قال أبو الفتح: هو منقول من تصغير حِسْل، وهو وَلَدُ الضَّبِّ، وقالوا في تكسيره: حِسَلَةٌ، وسُجَيْح: يحتمل أن يكون تحقير أسْجَح، وهو البعير الرقيق المشفر، قال: [الطويل]

وَخَـدٌّ كَـمِـرْآةِ الـغَـرِيـبَـةِ أَسْـجَـحُ(١)

وكان بنو ضَبَّة انتجعوا أرضَ بني عامر بِالشُّرَيْف فطلبتهم بنو عامر فسار حُسَيْل في أُخْرَياتِ بني ضبّة فمنع بني عامر من النَّيْلِ منهم، وقال «لقد منع ـ الأبيات».

١ ـ لَـقَـدْ عَـلِـمَ الـحَـيُّ الـمُـصَـبَّـحُ أنَّـنِـي   غَـدَاةَ لَـقِـيـنَـا بِـالـشُّـرَيْـفِ الأَحَـامِـسَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: صَبَحْت ـ مُخَفَّفًا ومُشَدَّدًا ـ إذا قصدته للغارة صَبَاحًا، وفي المثل: «صَبَحْنَاهُمْ فَغَدَوْا شَأْمَةً»(٢)، والأحامس: لَقَبٌ لِبَني عامر بن صعصعة، وولدت قبائل منهم مجد بنت تيم بن غالب القرشي، وقريش، وكلّ مَنْ ولدته من العرب حُمْس وجُمِعَ جمعَ الأسماءِ وإنْ كان صفةً في الأصل، فهو كالأبطح وما أشبهه، وَشُرَيْفٌ: موضعٌ بِنَجْدٍ، وكذلك الشَّرف، وقوله «غداة لقينا» ظرف لقوله «جَعَلْتُ».

٢ ـ جَـعَـلْـتُ لَـبَـانَ الـجَـوْنِ لِـلْـقَـوْمِ غَـايَـةً   مِـنَ الـطَّـعْـنِ حتَّـى آضَ أحْـمَـرَ وَارِسَـا

إن قيل: هلاّ جعلت «غداة» ظرفًا لِعَلِمَ أو للقينا، قلت: لا يجوز أن يكون ظرفًا لِعَلِمَ لأنه إذا جُعِلَ كذلك صار أجنبيًا مما دخل في صلة أن وحائلاً بينه وبين خبره، وهو قوله «جعلت لبان الجَوْنِ»، والفصل بين الموصول وما في صلته بالأجنبي منه غير جائز، ولا يجوز أن يكون ظرفًا لِلقينا لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يجوز أن يكون عاملاً في المضاف، و«جعلت» هٰهنا تتعدّى إلى مفعولين لأنه بمعنى صَيَّرْتُ، والجَوْنُ: اسم فرسه، والوَرْسُ: صِبْغٌ أحمر، يقال: ثوب وَرْس ووَارِس: أي أحمر، وورسَتِ الصَّخرة

(١) هذا عجز بيت ذكره في اللّسان (سجح) ونسبه لذي الرّمّة، وصدره: «لها أُذُنٌ حَشْرٌ وذِفْرَى أَسِيلَةٌ». وقال: وخَصَّ مرآة الغريبة وهي التي لم تتزوّج في قومها فهي لا تجد مَن يُعْنَى بها ويدلُّها لإصلاح وجهها فمرآتها دائمًا مجلوّة لأنها تريها عيوبها.
(٢) أورده الميداني ١/ ٣٦٧.

في الماء، إذا ركبها الطحلب فاصفرّت وامْلاَسَّت، ولَبَانُ الفرس: صَدْره، وقوله «غاية» أي: ينتهون إليها، ورُوِيَ «غابة» أي: صار كالأَجَمَة من كثرة ما انكسر من الرّماح فيه: أي قد علم القوم الذين صبحناهم بالغارة أني جعلت صَدْرَ فرسي غرضًا للطعن حتى صار هكذا.

٣ ـ وأرْهَبْتُ أُوْلَى القَوْمِ حَتَّى تَنَهْنَهوا   كَمَا ذُدْتَ يَوْمَ الوِرْدِ هِيمًا خَوَامِسَا

أي: خَوَّفْتُ أوائِلَهم حتى كَفُّوا كما تكفُّ إبلاً عِطاشًا وردتْ لِخِمْسٍ فازدحمتْ على الماء يوم الورد، والهِيمُ: التي بها الهُيَام، وهو داء يصحبه العطش الشديد: أي هم شجعان يركبونني وأنا أطردهم.

٤ ـ بِمُطَّرِدٍ لَدْنٍ صِحَاحٍ كُعُوبُهُ   وَذِي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يَقُدُّ القَوَانِسَا

الباء من قوله «بمطّرد» تعلق بقوله «أرهبت» بمطّرد: أي رمح مُسْتَوٍ؛ وذي رَوْنقٍ: أي سيف ذي ماء، والعَضْبُ: القاطع، وَالقَوْنسُ: أعلى البَيْضَةِ.

٥ ـ وَبَيْضَاءَ مِنْ نَسْجِ ابْنِ دَاودَ نَثْرَةٍ   تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ المَلاَبِسَا

عنى بالبيضاء درعًا، وإنما قال «من نسج ابن داود» كما قال الآخر: [الطويل]

ونَسْجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاءَ ذَائِلِ(١)

وللعرب عادة معلومة في إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وتسمية الشَّيء باسم غيره إذا كان من سببه، وانتصب «الملابسا» على المفعول، لأن الفعل وصل إليه بعد حذف حرف الجر، وأصله تخيرتها يوم اللّقاء من الملابس.

٦ ـ وَحِرْمِيَّةٍ مَنْسُوبَةٍ وَسَلاَجِمٍ   خِفَافٍ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَّ قَالِسَا

حِرْمِيَّة: قوس مُتَّخذَة من شجر الحِرْم، وَالسَّلاَجِم: الطِّوال، وانتصب «قالسًا» على الحال للسّمّ، كأنه قال ترى السّمَّ ذا قلس ممجوجًا به من جوانب حدودها.

٧ ـ فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَّنِي اللَّيلُ عَنْهُمُ   أُطَرِّفُ عَنِّي فَارِسًا ثُمَّ فَارِسَا

ويُرْوَى «أُطَرِّف فُرْسَانًا وألحقُ فارسًا» ومعنى أُطَرِّف أي أجعله مني في طرفٍ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون خبر ما زال، وأراد بقوله «فارسًا ثم فارسًا» المداومة والاتصال.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٦٤ وفي اللسان (قضض وذيل)، وصدره: «وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَة تُبَّعِيَّة». وقال: الذّائل: الدّرع الطويلة الذّيْل، والصَّموت: الدّرع التي إذا صُبَّتْ لم يسمع لها صوت.

٨ - وَلاَ يَحْمَدُ القَوْمُ الكِرَامُ أَخَاهُمُ الـ ـعَتِيدَ السِّلاحِ عَنْهُمُ أَنْ يُمَارِسَا

أي: لا ينبغي أن يحمدوه فإن ذلك واجبٌ عليه، وقوله «عنهم»: يتعلّق بالعتيد السّلاح، ولا يجوز أن يتعلّق بيمارس؛ لأنه لو كان كذلك لكان في صلة أن فلم يجزْ تقديمه عليه، ويكون المعنى: أخاهم المُعِدَّ السِّلاح عنهم النائب مَنابَهُمْ ومعنى «أخاهم» الواحد منهم، كما يقال: يا أخا بكرٍ أو تميم.

[١٨٦] قال مُحْرِز بن المُكَعْبَرِ الضَّبي(١):

يقال: كَعْبَرْتُ الزَّرْعَ، إذا قطعتَ كَعَابِرَهُ، وهي عُقَدُ أنابيبه، الواحدة كعبرة، والمُكَعْبَر: اسم المفعول من هذا، وقد قِيلَ: المكعبر في اسم الرجل أيضًا هذا اسم الفاعل.

١ - نَجَّى ابْنَ نُعْمَانَ عَوْفًا مِنْ أَسِنَّتِنَا إيغَالُهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالَتِ الجِذَمُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

قال الخليل: الإيغالُ في السَّيْرِ: الإمعانُ فيه مع دخول فيما بين جبال أو في أرض العدوّ؛ وقال غيره: هو إسراعٌ في إبعادٍ، والرَّكْضُ: ينتصب على أنه مفعول من الإيغال، كما يُقَالُ: أبْعَدَ السَّيْرَ، وأسْرَعَ السَّيْرَ، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال، كأنه قال: إيغاله راكضًا، وأدخل الألف واللاَّم على حَدِّ دخولهما في قوله «فأرسلها العِرَاكَ» و«أوردها التَّقْرِيبَ» وَالجِذْمُ: بقايا السِّياط، وجِذْمُ كل شيء: أصله، وجَذَمْتُ الشَّيءَ: قَطَعْتُه، والجِذْمَةُ: القِطْعَةُ من الحبلِ وغيره.

٢ - حَتَّى أتى عَلَمَ الدَّهْنَا يُوَاعِسُهُ وَاللَّهُ أعْلَمُ بِالصَّمَّانِ مَا جَشِمُوا

يواعسه: يسير في وعسائه، وهي الرَّمْلَة اللَّيِّنة، والسَّيْرُ فيها يَصْعُبُ، ويقال: وَعَسْتُ المكانَ وَعْسًا، إذا وَطِئته وطأً شديدًا، وسُمِّيَ الأثرُ الوَعْسَ، وسُمِّي ضربٌ من سَيْرِ الإبلِ المواعَسَة، من هذا، وحقيقة قوله «يواعسه» أي: يواعس إليه أو فيه: أي يمدّ سيره إليه أو فيه، والصَّمَّان: الأرض الصّلبة، واحدتها صمّانة، وموضع «ما» من قوله «ما جشموا» نصب على المفعول من جشموا، يقول: أوغلَ الرَّكْضَ حتى بلغ جبال الدّهناء مواعسًا في رملها، واللَّه يعلم لأيِّ شيء تخلَّفَ هو وأصحابه من السير في الصّمان، وموضع «يواعسه» نصب على الحال، ويجوز أن يكون موضع «ما» من قوله «ما جشموا» نصبًا على المفعول من فعل دلّ عليه اللَّه أعلم، ومثله في القرآن ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾(٢).

---

(١) محرز بن المكعبر: شاعر جاهلي من بني ربيعة بن كعب من ضبّة (معجم ما استعجم ص ١٠٧٣؛ والمرزباني ص ٤٠٥؛ والبيان والتبيين ٤/ ٤٢؛ والأعلام ٦/ ١٧١).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٣ ـ **حَتَّى انتَهَوْا لِمِيَاهِ الجَوْفِ ظَاهِرَةً مَا لَمْ تَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادٌ وَلاَ إِرَمُ**

الجَوْفُ: وادٍ، و«ظاهرة» انتصب على أنه مصدر مِمَّا دَلَّ عليه «حتى انتهوا»، وتلخيص الكلام حتى صاروا إلى مياه هذا الوادي نصف النهار سيرًا لم تَسِرْ مثله واحدة من هاتين الأُمَّتَيْنِ لما دخلِ عليهم من الرعب، قال أبو هلال: عاد وإِرَم واحد، فجعلهما اثنين غَلَطًا، وظاهرة: أي مُظهرة، ويجوز أن يجعل ظاهرةً حالاً للمياه، قال أبو رياش: الذي عناه محرز هو عَوْفُ بن نعمان من بني شيبان، وهو سَيِّدُ بَني هند، يقول فيه عبد اللّه بن عَدَّاء البُرْجِمِيُّ: [البسيط]

لَوْ كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ تَدَارَكَنِي عَوْفُ بْنُ نُعْمَانَ أَوْ عِمْرَانُ أَوْ مَطَرُ
قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِجَارِهِمُ لَمْ يُسْلِمُوهُ وَلَمْ تَسْنَحْ لَهُ البَقَرُ

العرب تتشاءم بالبقر لِحِدَّةِ قرونها، وعَنَى عمران بن مرة بن الحارث بن مُرَّة بن دُبِّ بن مُرَّة بن ذهل بن شيبان وكان من فرسان بني شيبان، وقتله بنو قشير، وله يقول النّابغة الجعدي: [المديد]

تَرَكُوا عِمْرَانَ مُنْجَدِلاً لِضِبَاعٍ حَوْلَهُ رَزَمَهْ[1]

[١٨٧] وقال عامر بن شَقِيق من بَنِي كُوزِ بن كَعْبِ بن بَجَالَةَ بن ذهل بن مالك:

شقيق: يجوز أن يكون سُمِّيَ بقولهم «هو شقيقه» أي أخوه، أو بالشَّقِيق الذي هو نبت، أو بالشَّقيق جمع شقيقة من الرّمل؛ وهي أرض صلبة بين رَمْلَيْنِ.

١ ـ **أَلاَ حَلَّتْ هُنَيْدَةُ بَطْنَ قَوٍّ بِأَقْوَاعِ المَصَامَةِ فَالعُيُونَا**

الضَّرَب الأوَّل من الوافر، والقافية متواتر.

قَوّ: موضع، وأقواع: جمع قَاع، وَالمَصَامَة: موضع.

٢ ـ **فَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرَيْهِ أَكُفَّ القَوْمِ تَخْرُقُ بِالقَنِينَا**

يقول: لو رأيتِ ولا أراكِ اللَّهُ مِثله مشهدَ القومِ وأَكُفُّهُم تُخْرَقُ بالرِّماحِ لَرَأَيْتِ أمرًا هائلاً، وجواب لو محذوف، كما يقال: لو رأيت زيدًا وفي يده السّيف، فقوله «ولن تريه»: دعاء، وأكثر ما يقع الدّعاء يقع بلا، وبلن يجيء قليلاً، يقال: لن يبارك اللّه في كذا، وتريد الدعاء، كما يقال: لا يبارك اللّه، وقد فسّر قُطْرُب قولَ اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[2] على أنه دعاء، ويجوز أن يكون قوله «ولن تريه» إخبارًا بأنها وقد فاتها رؤية ذلك فيما مضى لا ترى مثله في المستأنف فظاعةً؛ لأن الخطب خرج عن

(١) ديوانه ص ٢٠٣ (منشورات المكتب الإسلامي، ط ١). ورَزَمة: باركة على الفريسة.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٧.

المعتاد، وقوله «تخرقُ»: أي تثقب، ومنه خَرَقْتُ الأرضَ، واخْتَرَقْتُها، وريحٌ خَريقٌ، ويُرْوَى تَخْرُقُ بفتح التاء وضمِّ الرَّاء ـ وله وجهان: أحدهما أن يكون من الخُرْقِ ضِدَّ الرِّفْق، كأنَّ الأكُفَّ كانت تخرقُ في الطَّعْنِ ولا ترفقُ لِشِدَّةِ الأمر، والثاني: أن يكون من الخَرْقِ، ويكون المفعول محذوفًا لأن الكلام يدلُّ عليه، وفي هذا الوجه يجوز كسر الرّاء من تخرِق، وَالقنِين: جمع قَنَاة جمع المنقوص، كما قالوا: إضين في جمع إضاة، وهو جمع سالم، كأنه يجعل هذا البناء جُبْرَانًا له مما نقص منه، ويجيء أيضًا في أسماء الدَّواهي كالأقْوَرِين والفِتَكْرِين، كأنه بلغ بها رتبة الناطقين تهويلاً، وقد حُكِيَ كسرُ القاف من القِنين، وحينئذٍ يكون كعَصًا وَعِصِيّ، ويكون وزنه فُعُولاً، والنون بَدَلٌ من لام الفعل، ويحمل على هذا سنة وسنين إذا جعلت الإعراب في النون، قال أبو هلال: «ولَن تريه» أي أنتِ لا تشهدين حَرْبًا فترين ذلك، يعني امرأة، وإنَّما ذلك للرِّجال، والقنِين جمع القَنَا، وتَخرق: تنتظم، والخَرْقُ: الطَّعْنُ الخفيف، وليس هذا بالمختار، لأن الطعن قَلَّمَا يقع بِالأكُفّ، وتَخْرُق من الخُرْق أجود الروايتين، وتخرق أيضًا من المِخْرَاق: أي تلعب كما يلعب الصبيان بِالمخاريق، ويُرْوَى: بِالقُلِينا قُلَة.

٣ ـ بِـذِي فِـرَقَـيْـنِ يَـوْمَ بَـنُـو حُـبَـيْـبِ نُـيُـوبَـهُـمُ عَـلَـيْـنَـا يَـخْـرِقُـونَـا

ذو فِرْقَيْنِ: هضبة في بلاد بني أسد من ناحية الفرات، وقوله «بذي فرقين» يجوز أن يتعلّق بقوله «لو رأيتِ» ويجوز أن يتعلّق بتخرقُ بِالقنينا، وكذلك قوله «يوم بنو حبيب» يجوز أن يكون ظرفًا لِكُلٍّ واحدٍ من الفعلين، لأنهما ظرفان: أحدهما للزّمان، والآخر للمكان؛ وأضاف اليوم إلى الجملة التي بعده لأنَّ الأزمنةَ تُضَافُ إلى الجمل من الابتداء والخبر والفعل والفاعل تبيينًا لها، ويقال: هو يَحْرُقُ أنيابَه، إذا حَكَّ بعضَها ببعضٍ تهديدًا، ويقال: هو يَحْرِقُ عليه الأُرَمَ: أي يَصْرِفُ بِأنيابه تَغَيُّظًا، وحُكي فيه الأَزْم بِالزَّاي، والأَزْمُ: العَضُّ، ويقال: حَرَقَهُ بالمِبْرَدِ، إذا بَرَدَهُ، وحكى أبو حاتم: فلانٌ يَحْرُقُ نابُهُ عَلَيَّ، بِرفع الباء، لأنه هو الذي يَحرقُ، وبيت زهير[1] يشهد بذلك: [الطويل]

أَبَى الضَّيْمَ وَالنُّعْمَانُ يَحْرُقُ نَابُهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُهْ

وقال أبو العلاء: قوله بذي فرقين أراد ذات فرقين فذكر على معنى الموضع أو الجبل، وهي التي ذكرها عبيد في قوله «فذات فرقين فالقليبِ»[2] قيل: هي ثنيّة كسنام الفالج، فلذلك سُمِّيَتْ ذات فرقين.

---

(١) البيت في ديوانه ص ١٤٣.

(٢) ذات فِرْقَيْن: هضبة بين البصرة والكوفة لبني أسد وهو جبل متفرّق، وهذا عجز بيت أورده ياقوت في (معجم البلدان ٤/ ٢٥٥) وصدره: «فراكِسٌ فَثُعَيْلبات».

٤ ـ كَفَاكِ النَّأْيُ مِمَّنْ لَمْ تَرَيْهِ وَرَجَّيْتِ العَوَاقِبَ لِلْبَنِينَا

يقول: أغناكِ بُعْدُكِ إذا اعتبرتِ عن الاستكشافِ وإنْ تَلَهَّفْتِ على ما لا تُدْرِكِينَهُ من مصارِعِهم وعَلَّقْتِ رجاءَكِ بالأولاد بأنْ يُحْسِنَ اللّهُ العُقْبَى لهم إذا بلغوا طَلَبَ الأوتارِ وقطعتِ طَمَعَكِ في الآباءِ، كأنه يقول: يَئِسْتِ من رجالك ورجوتِ البنينَ أن يخلفوا آباءهم لانقطاعِ الطَّمَعِ عنهم، وقوله «رَجَّيْتِ» قد معه مضمرة لأن الماضي بتقدير قد معه يقع موقع الحال، وضَعَّفَ لِلتكثير، كأنها كانت تكرّر الرجاءَ وتجدّده مع كلِّ حادثةٍ، كأن المعنى: لو رَأَيْتِنَا ذلكَ اليوم لَقُلْتِ إنَّا قتلنا وبعدنا ويَئِسْتِ مِنَّا فصرتِ تُرَجِّينَ العواقبَ لأولادنا بعد أن كنت ترجينها لنا، وكان البعدُ يكفيكِ من قومٍ مقتولين لا ترينهم أبدًا، ورجوت لأبنائنا الظّفر بثأرنا، وذلك لِشِدَّةِ ما كانوا فيه.

[١٨٨] وقال أبو ثُمَامة بن عَازِب الضَّبيّ:

ثُمَامة: منقولة من الثّمامة نابتة ضعيفة قال: [الكامل]

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ(١)

وقيل: ابن عارم، وقيل ابن غارب.

١ ـ رَدَدْتُ لِضَبَّةَ أَمْوَاهَهَا وَكَادَتْ بِلاَدُهُم تُسْتَلَبْ

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

أبو ثمامة كان مقيمًا على مياه ضَبَّة، وهم منتجعون، فجاء قومٌ يريدون التَّغَلُّبَ عليها فطردَهم عنها أبو ثمامة وقومه.

٢ ـ بِبَكْرِ المَطِيِّ وَإِتْبَاعِهِ وَبِالكُورِ أَرْكَبُهُ وَالقَتَبْ

ويُرْوَى «بِبَكْرِي المَطِيّ» والباء من قوله «بِكَرٍ» تتعلّق «بِرَدَدْتُ» وإنما ذكر هذه المراكب لِيدُلَّ على طول الأَمَدِ بينه وبينهم.

٣ ـ أُخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا وَأَجْثُو إِذَا مَا جَثَوْا لِلرُّكَبْ

انتصب «قائمًا» على الحال، ويقال: جَثَا لِرُكْبَتِهِ، إذا سَقَطَ، والجثو: جلسة المتشهد.

٤ ـ وَإِنْ مَنْطِقٌ زَلَّ عَنْ صاحِبِي تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبْ

يقول: إنْ زَلَّ صاحبي في منطقٍ تلافيته وتَعقَّبْتُه بمنطق صائب أغلب به، وتَعَقَّبْت: أخذت طريقًا آخَر ذا مُعْتَقَب: أي ذا مطلع كما يطلع في العُقْبَة، والعُقْبَةُ: الطَّريق في

---

(١) البيت لعبيد يقوله في شأن بني أسد وكان حجر أبو امرىء القيس الشاعر قد سامهم الخسف.

أعلى الجبل، ومَنْ رَوى «مُعْتَتَب» جعله من العَتَبة، وهي الدّرجة، أي: آخُذُ في طريق فيه درج أعتتبُ فيها حتى أغلبَ: أي آخُذ بحجّةٍ بعد حجّةٍ كما يرتقي في الدرجة عَتَبَةً بعد عتبة؛ وفصل بين إنْ والفعل بقوله «منطق»، ولو ظهر تأثيره بالجزم لم يجزْ ذلك فيه، وارتفع منطق بفعل هذا الظاهر تفسيره، فإنْ قِيلَ: في أيِّ الفعلين عملَ؟ وهل نقول: إنه عمل فيهما جميعًا؟ فغير سائغ لأن أدَاةً واحدةً لا تجزمُ شرطين في حالة واحدة، لكن الفعل المضمَر لمَّا لم يظهرْ صَارَ في حكم ما لم يعتدّ به، وإن كان الاسم يرتفع به، حتى صار التقدير: وإنْ زَلَّ منطقٌ عن صاحبي، وقد رُوِيَ تعقَّبْتُ وتَعَرْقَبْتُ، ومعنى تعقبتُ: تتبعتُ، ومثله اعتقبتُ، وقيل: المُعْتَقَب أخذ عقبة الشَّيء، وهي آخره، ومعنى تعرقَبْتُ عَدَلْتُ عنه وأخذتُ في غيره، ويقال: تعرقبتُ الفرسَ، إذا ركبتها من خلفِها، وعراقيبُ الأمور: التباساتُها وطلبُ الحِيَلِ والحجج فيها، ومعنى البيت إن بدرت من واحد منهم كلمة لم يُوَفَّقْ فيها للصَّواب أو خِفْتُ عودها بغير صلاحٍ عَدَلْتُ عنها وطلبتُ أخرى مَكَانَها.

٥ - أَفِـرُّ مِـنَ الـشَّـرِّ فـي رِخْـوَةٍ فَـكَـيْـفَ الـفِـرَارُ إذَا مَـا اقْـتَـرَبْ

يعني أنه يتفادى من الشَّرِّ ما أمكن، ولا يبتدىء الخصم، ولا يستعمل البغي، ومثله قول هُدْبَةَ: [الطويل]

وَلاَ أتَـمَـنَّـى الـشَّـرَّ وَالـشَّـرُّ تَـارِكِـي وَلٰكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أرْكَبِ(١)

[١٨٩] وقال أبو ثمامة أيضًا:

١ - قُـلْـتُ لِـمُـحْـرِزٍ لَـمَّـا الْـتَـقَـيْـنَـا تَـنَـكَّـبْ لا يُـقَـطِّـرْكَ الـزِّحَـامُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

هذا تَهَكُّم واستهزاء، كأنه يرميه بأنه لم يُبَاشِرِ الشَّدَائِدَ، ولم يقعْ في المضايق، وَتَنَكَّبْ: أي تنحَّ وكُنْ جانبًا.

٢ - أتَـسْـألُـنِـي الـسَّـوِيَّـةَ وَسْـطَ زَيْـدٍ ألاَ إنَّ الـسَّـوِيَّـةَ أنْ تُـضَـامُـوا

السَّويَّة: الإنصاف، وهو من الاستواء والسّواء، وزيد: قبيلة المخاطب، فيقول على وجه الاستهزاء: أتسألُ إنصافَكَ وأنتَ وسط رَهْطِكَ، ثم قال: إنَّ مِنَ السَّوِيَّة اهْتِضَامَكُم، وهذا من إبدالِ الشَّيءِ مِنَ الشَّيءِ، كقول الآخر: [الوافر]

تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ(٢)

(١) البيت عند المرزوقي ص ٥٧٩.

(٢) هذا عجز بيت لعمرو بن معديكرب الزبيدي ورد في الخزانة ٥٣/٤؛ وصدره: «وخيل دَلَفْتُ لها بخيلٍ».

والضَّرْبُ لا يكون تحيّة، وقوله «أتسألني السَّوِيَّة» يخاطبه مُقرِّرًا ومتوعِّدًا، والتقرير بِأَلِفِ الاستفهام، ولا حرف نفي معه يكون فيما لا يثبت ولا يُستجاز كونه.

٣ ـ فَجَارُكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمُ ظَبْيٍ وَجَارِي عِنْدَ بَيْتِي لا يُرَامُ

أي: جَارُكَ كالصَّيْدِ لِمَنْ يطلبُه، وجاري لا يُطْمَعُ فيه، وإنما قال ذلك لأن النزاع بينهما كان بسبب جار.

[١٩٠] قال عبد اللّه بن عَنَمَةَ الضَّبيّ[١] وهو من بَني غَيْظ بن السِّيد:

العَنَمَة: واحدة العنم، وهي قُضْبَان حُمْر تنبت في جوف السَّمُرة تُشَبَّهُ بها البَنَان المخضوبة، وقيل: هي أطراف الخَرُوب الشَّامي، ويقال: هو دود أحمر يكون في الرمل يُشَبَّهُ به، ويقال: بل هو شيء ينبت مُلْتَفًّا على الشَّجر يبدو أخضر ثم يحمرّ، وإنشاد بعضهم قول النابغة: [الكامل]

عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يَعْقِدِ[٢]

يدلُّ على أنه نَبْتٌ.

١ ـ أبلِغْ بَنِي الحَارِثِ المَرْجُوَّ نَصْرُهُمُ والدَّهْرُ يُحْدِثُ بَعْدَ المِرَّةِ الحَالاَ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

المِرَّة: الطَّريقة التي يستمرُّ عليها الشَّيءُ، ومنه مِرَرُ الحَبْلِ: أي قُوَاه، وإنما أراد والدَّهر يُحْدِثُ بعد الحال الحال، أو بعد المِرَّة المِرَّة، فأقام الوزن بمخالفة اللَّفْظَيْنِ، وقيل: المُرَادُ أنَّ الدَّهْرَ يُحْدِثُ الحالةَ المُنكرة بعد المِرّة، وقيل أيضًا: الحال: التراب اللَّيِّن والحمأة فاستعاره لِلضَّعفِ واللِّين، ويقال للحم المتن: حال، وللرماد الحار حال، وكل شيء متغير حال، فكأنه قال: إنَّ الدَّهْرَ يأتي بعد الأمرِ المستوي بِالأمر المتغيِّر، وجعل المِرة عبارة عن الاستواء؛ لأن الشَّيء إذا استوى قَوِيَ صاحِبُه على العمل به.

٢ ـ أنّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلاً غِرًّا عَزِيزًا وأعْمَامًا وأخْوَالاَ

أي: تركنا قومَنا وأهلَنا وكان لنا فيهم عزٌّ ومنعةٌ واخترناكم عليهم، فلم نَجِدِ البدلَ منهم: أي إنَّكم لم تبذلوا من النصرة ما أَمَّلْنَاه فيكم.

٣ ـ قَدْ كُنْتُ آخُذُ حَقِّي غَيْرَ مُهْتَضَمٍ وَسْطَ الرِّبَابِ إذَا الوَادِي بِهِمْ سَالاَ

(١) عبد اللّه بن عَنَمَة: شاعر إسلامي مخضرم شهد القادسية ترجمته في (الإصابة تر ٦٣٣٨؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٥٨٠؛ ومعجم الشعراء للمرزباني) وهو من شعراء المفضّليات.

(٢) هذا عجز بيت ورد في اللسان (عنم) وصدره: «بِمُخَضَّبٍ رَخْصٍ كأنَّ بَنَانَهُ».

غير مهتضم: أي غير مقهور وسط الرِّباب إذا جاؤوا كالسَّيلِ مختلفين تمتلىءُ منهم الطُّرُقُ والفِجَاجُ لا يرد وجوههم شيء.

٤ ـ لاَ تَجْعَلُونَا إلَى مَوْلًى يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الحِزَامِ إذَا مَا لِبْدُهُ مَالاَ

أي: لا تجعلونا مسندين إلى ابن عَمٍّ يُسْلِمُنا عند الشَّدائِدِ ويُعِينُ علينا في الحرب وإذا رأى مِنَّا ضَعْفًا اجتهدَ أن يزيده، كأنّه لمّا مال اللِّبْدُ عن ظهر الفرس دلَّ ذلك على استرخاء الحزام فحلَّ مولاهم عقده، لأنَّ ذلك يُؤَدِّي إلى اضطراب الفارس ووقوعه، فهذا وجهٌ ظاهرٌ، وإلى هذا ذهبَ الشَّاعرُ، وقال النّمريّ: إنَّ المولى إذا أرادَ حَلَّ عقدَ حِزَامِهِ حَلّه بإنشاد هجائنا مستريحًا إليه ومتعلّلاً به، وقال أبو العلاء: كان النّمريّ يذهبُ إلى أنّه كقول الآخر: [الطويل]

بِهِ تُنْقَضُ الأَحْلاَسُ وَالدِّيكُ نَائِمٌ وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ المَطِيِّ وَتُطْلَقُ

وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «مَنْ يَرْقُدْ يَحْلُمْ» وذكر في هذا البيت التفسير الأوّل، وليس لِرَدِّهِ على النّمري وجه، لأنَّ الذي ذكره محتمل كثير في أشعارهم، وكلُّ مَنْ يعمل عملاً أنشد وغَنَّى؛ قال الراجز:

لَنْ يُغْلَبَ المَاتِحُ مَا دَامَ رَجَزْ فَإنْ أَصَاخَ سَاكِتًا فَقَدْ عَجَزْ

٥ ـ مَوْلًى مِنَ الخَوْفِ يُدْعَى وَهْوَ مُشْتَمِلٌ تَرَى بِهِ عَنْ قِتَالِ القَوْمِ عُقَّالاَ

[١٩١] وقال ابن عَنَمَةَ أيضًا:

١ ـ مَا إنْ تَرَى السَّيدُ زَيْدًا في نُفُوسِهِمُ كَمَا تَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبُ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «ما إنْ تَرَى» إنْ زِيدَتْ لِتأكيدِ النَّفْي، وذكر سيبويه أن «ما» الحجازيّة إذا قُرِنَ بإنْ هذه يبطل عملُه، وَزَيْد: حَيٌّ من بني ضَبّة، وكذلك بنو كوز، وبنو السِّيدِ، وبنو مرهوب، وهذا كما يقال: الترك ليس لهم في نفوس الروم مثل ما لهم في نفوس العرب: أي إنَّ العربَ يكرمونهم أكثر من إكرام الروم: أي بنو السِّيدِ لا يوجبون له في نفوسهم من الحُرْمَةِ والتَّبْجِيلِ ما يُوجِبُه بنو كوز ومرهوب، والضَّمير على هذا من قوله «في نفوسهم» يكون للسِّيد، ولا يمتنع أن يكون الضمير لزيد، لأنه قبيلة أيضًا، وهذا كما يقال: لك في نَفْسِكَ حَقٌّ ومنزلةٌ: أي ليس منزلة زيد في نفوس بني السِّيدِ منزلته في نفوس بني كوز.

٢ ـ إنْ تَسْأَلُوا الحَقَّ نُعْطِي الحَقَّ سائِلَهُ وَالدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبُ

مُحْقَبَةٌ: أي مشدودةٌ في الحقائبِ، وأراد بالدِّرع الجِنْس، والاحتقابُ والاستحقابُ: شَدُّ الحقيبةِ من خَلْف، وكذلك قوله «والسَّيْفُ مقروبُ» أراد السيوف،

ويقال: قَرَبْتُ السَّيفَ وأَقْرَبْتُه، وغَمَدته وأغمدْتُه، وَالقُرَابُ: غشاء يكون السيف فيه مغمدًا.

٣ ـ وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَإِنَّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ لا نَطْعَمُ الخَسْفَ إِنَّ السَّمَّ مَشْرُوبُ

يقول: إن انتصرتم على أخذِ حَقِّكُم أعطيناكموه والحرب موضوعة بيننا وبينكم، وإنْ طلبتم أكثر منه أَبَيْنا أن نعطيكم إيَّاه، وأصلُ الخَسْفِ أنْ تبيتَ الدَّابَّةُ على غير عَلَفٍ، وهو حمل الإنسان على ما يكرهه، ثم اسْتُعْمِلَ في معنى الذُّلِّ، يقال: سُمْتُه الخَسْفَ، إذا حملته على الهوانِ، و«نَطْعَمُ» مستعار: أي لا نُقِرُّ به ولا نصبرُ على الذُّلِّ، وقوله «إن السُّمَّ مَشروبٌ» مثل أيضًا: أي نحن نأباه وإن كان غيرنا يقرُّ بما هو أبلغ في الهوان، أو يريد أن السَّمَّ مشروبٌ فإن احتجنا إلى شُرْبِهِ شَرِبْنَاه ولم نقبلْ ضَيْمًا؛ لأنَّ الإنسانَ يصبرُ على شُرْبِ السَّمِّ ويكون ذلك أيسر عليه من صَبْرِهِ على الضَّيْم، والمَعْشَرُ: الجماعةُ أَمْرُهُمْ واحدٌ، يقال: جاءَ القومُ مَعْشَرَ مَعْشَرَ: أي عَشَرَةً عَشَرَةً، وقال أبو العلاء: كأنه يريد كيف لا نَأْنَفُ من الخَسْفِ وقد عَلِمْنَا أنّا لا بُدَّ لنا من الموت، فيجب أن نحاربَ ولا نأمن من القتل، وذكر النمري أن السَّمَّ يعني به الموت وأن الإنسانَ لا بُدَّ له من الموت، وقال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المثل: ما طَعَنْتَ في حَوْصِهِ، إنما أراد أنَّا نخوضُ الموتَ ونحتملُ الشَّدائِدَ ولا ننزلُ تحت الضَّيمِ، وهو كما قال عبد هند بن زيد رجل من تغلب: [الطويل]

فَلاَ أسْمَعَنْ فِيكُمْ بِأمْرِ مُنَأْنِإٍ ضَعِيفٍ وَلاَ تَسْمَعْ بِهِ هَامَتِي بَعْدِي
فَإِنَّ السِّنَانَ يَرْكَبُ المَرْءُ حَدَّهُ مِنَ الخِزْيِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الأَسَدِ الوَرْدِ

وهذه الأقوال يقربُ بعضُها من بعضٍ، وكُلُّها يرجعُ إلى معنى واحد، وليس فيها ما يردّ.

٤ ـ فَازْجُرْ حِمَارَكَ لاَ يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنَا إِذًا يُرَدُّ وَقَيْدُ العَيْرِ مَكْرُوبُ

يقول: اكْفُفْ شَرَّكَ عَنَّا، وجعل الحمار كناية عن الأَذَاة، أو عن رجل من أصحاب هذا المخاطب يتعرّضُ لهم بالمَكَارِهِ، وهذا نحو من قول النابغة: [الطويل]

سَأَمْنَعُ كَلْبِي أَنْ يَرِيبَكَ نَبْحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرْعَى مُسْحُلاَنَ فَحَامِرَا

والعرب تُكْنِي بالحمار والعَيْر في أنحاء الكلام، فيقولون: قد حَلَّ حِمارَهُ أو عيره بمكان كذا، إذا أقام فيه وتمكَّنَ، وقوله «وقَيْدُ العَيْرِ مَكروب» أي مُدَانًى مُضيَّق حتى لا يقدر على الخطو، وقوله «إذًا» قال سيبويه: هو جوابٌ وجزاءٌ فالابتداء الذي هو جوابه وجزاؤه محذوفٌ مُسْتَدَلٌّ عليه في كلامه، كأنّه قال: فإنَّه إنْ رَتَعَ رَجَعَ إليكَ وقد ضُيِّقَ قَيْدُه، قال المرزوقي: أي مُلِيءَ قَيْدُهُ فَتْلاً حتى لا يمشي إلاّ بتعبٍ، كأنه يضربُ أو

يستعمل حتى يَرِمَ جِسْمُه ويؤدّي الوجعُ منه إلى موضعِ حافِرِه فيضيّق عليه، وقال النمري: قال الباهلي صاحب كتاب المعاني: قوله «مكروب» من قولك: كَرَبْتُ الشيءَ، إذا أحكمته وأوثقته، ومعنى البيت إنَّا نردُّ الحمارَ مملوءًا قيده فتلاً كما يمتلىءُ الإنسانُ كَرْبًا، وقال أبو محمدٍ الأعرابي رادًّا عليه: إنما معنى قوله «ازجرْ حِمارَكَ» يعني به فرس زيد الفوارس واسمه عرقوب فكنّى عنه بالحمار على سبيل التهكّم والهزء، وبعد البيت ما يدلّك على ذلك، وهو:

وَلاَ تكُونَنْ كَمُجْرَى دَاحِسٍ لَكُمُ

وقوله «وقيد العير مكروبُ» أي: إنهم يعقرونه، والعقر أضيق القيود، وجعل القعقاع بن عطية الباهليّ العَقْرَ عُقَالاً فقال: [الطويل]

فَخَرَّ وظيفُ القرمِ في نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عُـقَـالٌ لاَ يُـنَـشَّـطُ عَـاقِـلُـهْ

٥ ـ إنْ تَـدْعُ زَيْـدٌ بَـنِـي ذُهْـلٍ لِـمَـغْـضَـبَـةٍ نَـغْـضَـبْ لِزُرْعَةَ إنَّ الفَضْلَ مَحْسُوبُ

أي: إنْ تَدْعُ زيدٌ قومها لأمرٍ تغضب له أجبنا نحن لِقومنا أيضًا إذا دعونا وغضبنا لهم إنَّ الفضلَ محسوبُ، ويُروى «إن القِبْصَ محسوبُ» أي: معدود، نطلب ما تصنعون مِثلاً بِمِثْلٍ وعَدَدًا بِعَدَدٍ فلا يكون لكم علينا فضلٌ.

٦ ـ وَلاَ تَـكُـونَـنْ كَـمُـجْـرَى دَاحِـسٍ لَـكُـمُ فـي غَـطَـفَـانَ غَـدَاةَ الـشِّـعْـبِ عُـرْقُـوبُ

كان التّنَازُعُ بينهم في رهان وقع على عُرقوب، وهو فرسٌ لهم، فيقول: لا يكونَنْ جَرْيُ عُرقوبٍ عليكم في الشُّؤم مجرى داحس في غَطَفَان غَدَاةَ شِعْبِ الحَيْسِ فقوله «عُرقوبُ» ارتفعَ على أنّه اسم «ولَا تكونَنْ» وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مَقَامَهُ؛ لأنَّ المراد ولا يكونَنْ مجرى عرقوب كَمُجْرَى داحس، وقوله «غداةَ الشِّعْبِ» ظرف لقوله «كَمُجرى» وجعل النَّهْيَ في اللّفظ لِعُرقوب وهو في المعنى لهم، حَذَّرَهُم استعمال اللّجاج لِئَلاً يَتَأَدَّى الأمر إلى مثل ما تأدّى إليه في رهان داحس والغبراء، ومثل هذا من النّهي قولهم: لا أرَيَنَّكَ هٰهُنَا.

[١٩٢] وقال الفضل بن الأخضر بن هُبَيْرَةَ[١] الضَّبّيّ:

قال أبو هلال: هو لِلأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار بن عَمْرِو بن مالك بن كعب بن بَجَالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة بن أدّ، وقال بعضهم: هي للفضل بن الأخضر.

١ ـ ألا أيُـهَـا ذَا الـنَّـابِـحُ الـسِّـيـدَ إنَّـنِـي عَـلَـى نَـأْيِـهَـا مُـسْـتَـبْـسِـلٌ مِـنْ وَرَائِـهَـا

---

(١) عند المرزوقي للأخضر بن هبيرة.

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

وصف «أيُّ» بِذا غير جائز لأنَّ الصِّفةَ تشرحُ الاسم وتُبَيِّنه وتزيلُ اللَّبْسَ عنه، وإذا كان «أيُّ» و«ذا» مُبْهَمَيْنِ فالانشراحُ غيرُ حاصلٍ بهما، لكنه لمّا كان المعول على ما يتبعه من المعرّف بالألف واللاّم صارَ كأنه لا اعتدادَ به في الشَّرْح، فيقول: أيُّهَا المتعرِّضُ لِبني السِّيدِ إنِّني على بُعْدِها مدافعٌ عنها، وقوله «على نَأْيِها»: موضعه نصب على الحال، لأن المعنى أستبسلُ من ورائِها، وبَسَلَ واسْتَبْسَل وَتَبَسَّلَ بمعنى واحد، إذا وَطَّنَ نفسَه على الموت واستيقن به، وقال أبو هلال: من عادة كِلابِ الأعْرابِ أن تنبحَ السَّحابَ لأنَّه يؤذيها بمطره، وإذا رأتِ القَمَرَ ظَنَّتْهُ قطعةَ سَحَابٍ فنبحَتْهُ أيضًا، وليست تضرّه؛ فجعل هذا مثلاً للذي ينالُ من الشريف ويقعُ فيه ولا يضرّه، و«مستبسلٌ» أي مستسلمٌ لا أُبالي ما يُصِيبُني إذا ذَبَبْتُ عنهم، وقوله «من ورائِها» من قولك: فُلاَنٌ يرمي من وراء فلان، إذا كان يحميه ويحفظه.

٢ - دَعِ السِّـيدَ إنَّ السِّـيدَ كَانَتْ قَبِيلَةً ... تُـقَـاتِـلُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ دِونَ نِـسَـائِـهـا

٣ - عَـلَـى ذَاكَ وَدُّوا أنَّـنِـي فـي رَكِـيَّـةٍ ... تُـجَـذُّ قُـوَى أَسْـبـابِـهَـا دِونَ مـائـهـا

«ذاك» من مثل هذا الموضع لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع ولا يُؤَنَّث، ويُشَارُ به إلى الحال، يقول: على ما ذكرته فيهم ليسوا بِأَوِدَّاء لي، يتمنّون أنّي في بئرٍ تقطع طاقات حبالها دون الوصول إلى مائِها لبُعْدِ قَعْرِها، وقوله «دون مائها»: في موضع الحال، لأن دون لِلقاصر عن الشَّيء، والتقدير تُجَذّ القُوى قاصِرَةً عن الماء، وقال أبو هلال: قَدَّمَ وأخَّرَ وأساءَ، ووَجْهُ الكلامِ أنْ يقول: ألاَ أيُّهَا ذا النابح السِّيدَ دَعْها فإنّها كانت قبيلة تحوطُ حَرِيمَها، وإنّي مَعَ مَنَعَتِها وعِزَّتِها مستبسلٌ من ورائِها أيضًا وهي على ذاكَ تودّ لي الهلاكَ وتبغيني الغوائل.

[١٩٣] وقال سِنَانُ بن الفَحْل[١] أخو بني أُم الكَهْف من طَيِّىء:

١ - وَقَـالُـوا: قَـدْ جُـنِـنْـتَ، فَـقُـلْـتُ: كَـلاَّ ... وَرَبِّـي مـا جُـنِـنْـتُ وَمَـا انْـتَـشَـيْـتُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

كان الواجب أن يقول جُنِنْتَ أو سكرت، فاكتفى بِذِكْرِ أحدهما لأن النفي الذي يتعقب في الجواب ينظمهما، ومثله قول الآخر: [الوافر]

فَـمَـا أَدْرِي إذَا يَـمَّـمْـتُ وَجْـهًـا ... أُرِيـدُ الـخَـيْـرَ أيُّـهُـمـا يَـلِـيـنـي[٢]

(١) سِنان بن الفحل: شاعر إسلامي من شعراء الدولة المروانية (خزانة البغدادي ٢/ ٥١٣).
(٢) البيت للمثقب العبدي في المفضليات ٢/ ٩٢؛ وحماسة المرزوقي ص ٥٩٠.

فاكتفى بذِكْرِ أحدهما لأن ما بعده يبينهما[1]، وَلِكَلاً موضعان: أحدهما أن يكون لِلرَّدْعِ والزَّجْرِ، وحينئذٍ يَصِحُّ الاكتفاءُ به والوَقْفُ عليه، والثّاني أن يكون للتنبيه كألا وحينئذٍ يحتاجُ ما بعده إلى ما يتمُّ به، وسيبويه قصرَ تفسيرَه على أنه لِلرَّدْعِ والزَّجْرِ.

٢ ـ وَلٰكِنِّي ظُلِمْتُ فَكِدْتُ أَبْكِي مِنَ الظُّلْمِ المُبَيَّنِ أَوْ بَكَيْتُ

لكِنَّ استدراكٌ بعد نفي، وهذا الكلام بيان ما أنكر منه حين قيل إنه جنٌّ، وَذَكَرَ البكاءَ لِيُرِيَ أَنَفَتَهُ وإنْكَارَهُ لِمَا أُرِيدَ ظُلْمُهُ فيه، فأمَّا العربُ فإنَّما تَنْسُبُ أنفسَها إلى القساوةِ وتُعَيِّرُ مَنْ يبكي، قال مهلهل: [البسيط]

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلاَ نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الإِبِلِ[2]

٣ ـ فَإِنَّ المَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ

«ذو حَفَرْتُ» لفظة طائية في معنى الَّذِي، يقولون: هذا ذو قال ذاكَ، ورأيتُ ذو قال ذاك، ومَرَرْتُ بِذو قال ذاكَ، فيحتاج من الصّلة إلى مثل ما يحتاج إليه الذي، لكنّها تقعُ في لغتهم للمذكّر والمؤنّث، ولهذا صَلُحَ أنْ يقولَ: بئري ذو حفرت، والبئر مؤنثة.

٤ ـ وَقَبْلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قَدْ تَمَالَوْا عَلَيَّ فَمَا هَلِعْتُ وَلاَ دَعَوْتُ

يقول: قد بُلِيتُ قَبْلَكَ بقومٍ لُدٍّ تَأَلَّبُوا عَلَيَّ وتعاونوا، فلم أجزعْ لِمَا مُنِيتُ بهم جَزَعًا فاحِشًا ولا استنصرتُ عليهم غيري، والهَلَعُ: أفحشُ الجَزَعِ، وتمالَوْا: تفاعلوا، وهو من قولهم: هو مَلِيءٌ بكذا، فَإِنْ قِيل: كيفَ قالَ فما هَلِعْتُ وقد قال فيما قبله فكدتُ أبكي وهل الهَلَعُ إلاّ البكاءُ والجَزَعُ الفَاحِشُ الذي يظهرُ فيه الخضوعُ والانقِيادُ فهذا هو الذي اتَّضَحَ منه وزعمَ أنه لا يَظْهَرُ عليه، وقد بَيَّنّا أنَّ البكاءَ الذي ذكر أنه شارفَه أو كاد يُشَارِفُهُ كان منه على طريق الاستنكاف وإذا كان كذلك فإنَّه لم يَكُنْ عن تَخَشُّعٍ، وسَلِمَ الكَلامُ من التَّنَاقُضِ، وقال أبو هلال: قوله «ولا دعوتُ» أي: ولا استغثتُ أحدًا، وفي القرآن ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3] أي: قد ضعفتُ الآن وذلَّ جانبي فقويتَ عَلَيَّ وظَلَمْتَني، وقبلكَ قد تَعَاوَنَ عَلَيَّ الخصومُ في هذا الماءِ فغلبْتُهم ودفعْتُهم عنه، وقَرَيْتُ في حِياضي لِوَارِدة إبلي، يدلُّ على ما ذكره قوله «ولكني نَصَبْتُ الخ».

٥ ـ وَلَكِنِّي نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِي وَآلَةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ

---

(١) بعد قوله:

أَأَلْخَيْرُ الذي أنا أَبْتَغِيهِ أم الشَّرُّ الَّذي هو يبتغيني

(٢) البيت عند المرزوقي ص ٥٩١. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

أي: خاصَمْتُهُمْ بِاللّسانِ، ثمَّ بلغنا إلى الرِّمَاح فطاعَنْتُ وغَلَبْتُ، حتى قَرَيْتُ الماءَ في الحَوْضِ، وهذا ماء لِبَني أُمِّ الكَهْفِ من جَرْم طَيِّىء ولِبَني هَرِم بن العُشَراء من فَزَارة اختصمَ فيه الحَيَّانِ وهم مختلطون مجاورون.

[١٩٤] وَقال جَابِر بن حَرِيش:

١ ـ وَلَـقَـدْ أَرَانَـا يَـا سُـمَـيَّ بِـحَـائِـلٍ نَـرْعَـى القَـرِيَّ فـكـامِـسًا فـالأَصْـفَـرَا[1]

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

سُمَيَّ: ترخيم سُمَيَّة، وحائل: بطن وادٍ، والقَرِيّ: اسم وادٍ هنا، وكامس: جبل، وكذلك الأصفر، والقَرِيّ في غير هذا الموضع: مجرى الماء إلى الرّوضة، والجمع أقْرِيَةٌ وَقُرْيَان، وفي مثل:

جَرى الـوَادِي فَـطَـمَّ عَـلَـى الـقَـرِيِّ

وأرانا: بمعنى رأيتنا، مستقبل بمعنى ماضٍ.

٢ ـ فَـالـجِـزْعَ بَـيْـنَ ضُـبَـاعَـةٍ فَـرُصَـافَـةٍ فَـعُـوَارِضٍ حُـوَّ الـبَـسَـابِـسِ مُـقْـفِـرَا

ضُبَاعَة ورُصَافة: جبلان، ويُرْوَى رُضافة ـ بالضَّاد منقوطة ـ وَعُوارِض: جبل عليه قبر حاتم الطّائي، وجَوَّ البسابس[2]: خاليها، والبسبس: الفضاء من الأرض، والجوّ: الهواء، وَمُقْفِر: لا أنيسَ به، والحُوّ: جمع أحوى، وهو الأسود، والمراد به النبت، أبو هلال: مقفر أي مقفر مَنْ فيه، يريد أن مَن حصل فيه فقد أقفر: أي صار في القفر الأرض الخالية، ويجوز أن يكون هذا المكان مقفرًا كأنه داخل في القفر، ويجوز أن يكون حُوَّ البسابس نعتًا للجِزع وإنْ كان الجزع واحدًا والحوّ جمعًا لأنه للبسابس، وإنَّما يريد حُوًّا بسابسه، فلما حذفَ الهاء عَوَّضَ منها الألف واللاَّم، وحذف من حُوّ التنوين تخفيفًا، وأضاف، وجعلهما اسمًا واحدًا، وأجراه على الجِزع نعتًا له، وهو مثل قولهم: مَرَرْتُ بامرأةٍ خَصِيِّ الزَّوْجِ، ومقفرًا أيضًا قد يكون نعتًا للجِزع.

٣ ـ لاَ أَرْضَ أَكْـثَـرُ مِـنْـكِ بَـيْـضَ نَـعَـامَـةٍ وَمَـذَانِـبًـا تَـنْـدَى وَرَوْضًـا أَخْـضَـرَا

خاطب هذا الموضع، يقول: لا أرضَ أكثر خَصبًا منك ولا أخلى منكِ، فكثرة بَيْض نَعَامِكِ من كَثْرَةِ مائِك وكَلَئِكِ، والنَّعَامُ لا تَبِيضُ إلاَّ في خصب من الأرض.

٤ ـ وَمُـعَـيَّـنَـا يَـحْـمِـي الـصِّـوَارَ كَـأَنَّـهُ مُـتَـمَـخِّـطٌ قَـطِـمٌ إذَا مَـا بَـرْبَـرَا

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان ٤/٤٣٢؛ والبيت الأول في معجم البلدان ٤/٣٣٩.
(٢) هذه رواية المرزوقي.

المُعَيَّن: الثَّور، سُمِّيَ مُعَيَّنًا لِكِبَرِ عَينيه، وقيل: سُمِّيَ مُعَيَّنًا لأنَّ فيه لمع سواد وبياض، وكأنَّ على جِلْدِه عيونًا، ويُروى «مُغَبَّبًا» أي ثورًا له غَبَبٌ، ومُتَمَخِّطٌ: مُتَكَبِّر، وَقَطِمٌ: فحلٌ هائِجٌ، وبربر: صاحَ، وعطف معيّنًا على ما قبله من المنصوبات، وكلّها تنتصب على التمييز، وقوله «وَمَذَانبًا تَنْدَى» تَنْدَى في موضع الصّفة لِلمَذَانب.

٥ ـ إذْ لاَ تَخَافُ حُدُوجُنَا قَذَفَ النَّوَى قَبْلَ الفَسَادِ إقَامَةً وَتَدَيُّرَا

التَّدَيُّرُ: نزول الدّور: أي إذ كنا في هذه المنازل والأمكنة التي تَقَدَّمَ ذكرها قبل الفساد: أي قبل حرب الفساد، وهي الحرب التي كانت بين طَيِّىء خمسًا وعشرين سنة، وإنما سُمِّيَتْ بهذا الاسم لأنَّ بعضهم كان يشرب في قحف رأس صاحبه إذا قتله ويخصف نعله بِأُذُنِهِ إظهارًا للتَّشَفّي، وانتصب «إقامة» على أنه مصدر لعلة، ويجوز أن يكون في موضع الحال، فتقدير الأول لا تخاف قَذَفَ النَّوَى لإقامَتِنا وَتَدَيُّرِنَا، وتقدير الثّاني لا تخاف مقيمين ومتديرين.

وكان قيس بن حُجْر جَدُّ الطِّرماح قد جهد في تلك الأيام، ثم أصاب تمرة فعَضَّها، ونظر إليه مَوْلًى له، فلفظَها إليه، ففخر الطِّرماح به، فقال: [الطويل]

أَبِي بِالفَسَادِ الأَوَّلِ اللاَّفِظُ الَّذِي بِفِيهِ لِمَوْلاَهُ عَلَى سَاعةِ الجَهْدِ

[١٩٥] وقال إياس بن مالك بن عبد اللّه بن خَيْبَرِيّ الطائي:

١ ـ سَمَوْنَا إلى جَيْشِ الحَرُورِيِّ بَعْدَمَا تَنَاذَرَهُ أَعْرَابُهُمْ وَالمُهَاجِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الحَرُورِيَّةُ: فرقة من الخوارج، أبو هلال: الحَرَوْرِيُّ بفتح الراء الأول، وحروراء قرية كانت الخوارج فيها، والمُهَاجِر: مَنْ تركَ البدوَ وانتقل إلى الأمصار، وتَنَاذَرَهُ: تعالَمَهُ فأنذرَ بعضُهم بعضًا به، والإنذار: التخويف مع الإعلام، وأعرابهم والمهاجر يعني أهل الأمصار والبوادي.

٢ ـ بِجَمْعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ سَاجِدَةً لَهُ وَأَعْلاَمُ سَلْمَى وَالهِضَابُ النَّوَادِرُ

يريد أن هذا الجمع إذا علا الأُكَمَ والجبالَ دَقَّهَا بِالحوافر فخشعَتْ لذلك، فكأنها ساجدة، ويجوز أن يعني بالسّجود الإعظام، ويكون هذا اللّفظ من الادّعاء الَّذي يقع في الشّعر ولا حقيقة له، أي: إنَّ الجبالَ والأكمَ تُعَظِّمُه لأنه أعظم منها، والسجود عندهم من الأضداد: يكون في معنى الانتصاب، والانحناء، وكلّ شيء زالَ عن موضعه فقد نَدَرَ، ومنه نوادر الكلام، وجعل لِسَلمى أعلامًا لامتداده واتصال جبال به.

٣ ـ فَلَمَّا ادَّرَكْنَاهُمْ وَقَدْ قَلَّصَتْ بِهِمْ إلَى الحَيِّ خُوصٌ كَالحَنِيِّ ضَوَامِرُ

قَلَّصَتْ بهم: ارتفعت وضَمَّتْهُمْ إلى الحيّ، كما يقال: قَلَّصَ ثوبَه، إذا رَفَعَهُ، وقد يكون قَلَّصَ من الأضداد: يكون في معنى ارتفع، وفي معنى قصر، قال الراجز فيما يدلُّ على أن قلص يراد به ارتفع: [الرجز]

يَـا رِيَّـهَـا مِـنْ بَـارِدٍ قَـلاَّصِ قَـدْ جَـمَّ حَـتَّـى هَـمَّ بِـانْـقِـيَـاصِ[1]

وقال امرؤ القيس: [الطويل]

بَـلاَئِـقَ خُـضْـرًا مَـاؤُهُـنَّ قَـلِـيـصُ[2]

وخوص: إبل غائرات العيون، والحَنِيُّ إذا فتحت الحاء فهو جمع حَنِيَّة، يُراد بها القوس، وسُمِّيَتْ بذلك لانحنائِها، فهو فعيل في معنى مفعول، وإذا ضَمَمْتَ الحاء فهو جمع حِنْوٍ، والحَنْوُ: ما حُنِيَ من عيدان الرَّحل، ومعناه أنها أسرعت بهم نحونا، ويقال: فرسٌ مُقَلَّصٌ، إذا كان طويل القوائم، وإذا كان كذلك كان أسرع له، وقيل له مقلّص تشبيهًا بالرّجل الذي قَلَّصَ ثيابَه: أي شَمَّرَها فظهرَتْ رِجْلاه.

٤ ـ أَنَـخْـنَـا إِلَـيْـهِـمْ مِـثْـلَـهُـنَّ وَزَادُنَـا جِـيَـادُ الـسُّـيُـوفِ وَالـرِّمَـاحُ الـخَـوَاطِـرُ

يجوز أن يكون معنى «إليهم» عندهم، فقد حُكِيَ: لا تذكرْ فُلانًا إليَّ بِسوءٍ: أي عِندي، ويجوز أن يكون معناه الانتهاء، ويكون المراد: أنخنا إلى فنائِهم، و«أنخنا»: هو جواب لمّا، وإنما قال أنخنا لِمَا استمرَّتْ به عادتهم من ركوبِ الإبل وقَوْدِ الخيلِ إلى المُغَارِ إبقاءً عليها وإعدادًا لِوَقتِ الحاجةِ إليها.

٥ ـ كِـلاَ ثَـقَـلَـيْـنَـا طَـامِـعٌ بِـغَـنِـيـمَـةٍ وَقَـدْ قَـدَّرَ الـرَّحْـمـٰنُ مـا هُـوَ قَـادِرُ

أصل الثَّقَل ما يكون مع الإنسان مما يُثْقِلُه، ثم قيل الثَّقَلاَنِ يُرَادُ بهما الإنس والجنّ، كذلك تقول الرُّواة، فأما الاشتقاق والقياس فيجيزان أن يُرَادَ بالثّقلين العرب والعجم، لأنَّهما ثقل على الأرض، أو الإنس والحيوان غير الإنس؛ فأما الحديث المروي **«إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتاب اللّه، وعترتي»**[3] فإنّما شَبَّهَهُمَا بثقلِ الإنسان الذي هو جهازه وآلته: أي هذان الشيئان هما اللّذان يقومان لي مقام الثّقل الذي ينتفع به الإنسان، وقول الطّائي «كِلا ثقلينا» يريد كِلا الجيشين صاحِبَي الثّقلين، ويجوز أن يجعل الجيش ثقلاً لأنه ثقيل الوطأة، وثقل الرجل: حَشَمُه ومتاعه، وقوله «بغنيمة» أي: بسبب غنيمة، وقوله «وقد قدّرَ الرّحمٰن ما هو قادر» إنْ شِئتَ جعلت «ما» موصولاً بمعنى الذي، وإنْ

---

(١) الرجز في تاج العروس (قلص).

(٢) هذا عجز بيت في تاج العروس (بلثق) وصدره: «فأَوْرَدَها من آخِرِ اللَّيْلِ مَشْرَبًا». والبلائق: المياه المستَنقِعة، وإنما قال «خُضرًا» لأنّ الماء إذا كَثُرَ يُرَى أخضر.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٣: ١٧، والحاكم في المستدرك ٣: ١٤٨.

شِئْتَ جعلت «ما» موصوفًا بمعنى شيئًا، وعلى الوجهين وجبَ أن يقول ما هو قادره، فحذف الضمير تخفيفًا.

٦ ـ فَلَمْ أرَ يَوْمًا كَانَ أكْثَرَ سَالِبًا   ومُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لاَ يُنَاكِرُ

«كان أكثر سالبًا» من صفة اليوم، وفي الكلام حَذْفٌ، كأنه قال: من ذلك اليوم، وانتصب «سِرْبَالَهُ» على أنه مفعول ثانٍ من مُسْتَلَبًا، و«لا يناكرُ» في موضع الصّفة له، كأنه قال: وأكثر مُسْتَلَبًا هذه صفته، ومعنى لا يناكر أي لا يَقْدِرُ على الامتناع، يقال: ناكَرَني، إذا دَافَعني: أي لا ينكرُ السَّلْبَ لأنه لا يَقْدِرُ على الامتناعِ منه.

٧ ـ وَأكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي العُلاَ   يُضَارِبُ قِرْنًا دَارِعًا وَهْوَ حَاسِرُ

في هذا أيضًا حَذْفٌ وإيجاز، كما كان في البيت الأول، كأنه قال: ولم أرَ قومًا كان أكثر شابًا يطلبُ الصِّيتَ والذِّكْرَ من قومنا، وقوله «وهو حاسِرُ»: حال للمضمَر في يضارب، ويضارب ويبتغي جميعًا صفتان لقوله «يافعًا» وعلى هذا قد حذف حرف العطف من يضاربُ، لأنَّ الجُمَلَ حَقُّهَا إذا وُصِفَ بها النَّكِرَات أن يُنْسَقَ بَعْضُها على بعضٍ بحرفِ العطفِ، ويجوز أن يكون «يضارب» في موضع الحال مما في «يبتغي».

٨ ـ فَمَا كَلَّتِ الأَيْدِي وَلاَ انْأَطَرَ القَنَا   وَلاَ عَثَرَتْ مِنَّا الجُدُودُ العَوَاثِرُ

ما كَلَّتْ: أي ما ضَعُفَتْ ولم تنهزمْ، وَانْأَطَرَ: في معنى انعطفَ وتَثَنَّى، يقال: أَطَرْتُه فانْأَطَرَ، ومنه إطار الباب والمنخل، ويقال للرجل إذا هلكَ: عَثَر جَدُّه وَتَعِسَ جَدُّهُ، كما يقال: ثُلَّ عَرْشُه، وقوله «ولا عثرتْ منا الجدودُ العواثرُ» مثل قول الآخر: [الرجز]

وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ[(١)]

لأنه لم يثبت لأنفسهم جدودًا من شأنِها أن تَزِلَّ وتَعْثُرَ ثم نفى ذلك عنها في ذلك اليوم: أي لا جدودَ لهم بهذه الصّفة كما أن الشاعر الآخَر أراد أن لا ضَبَّ بها فينجحر، ومعناه كان الغلب لنا وتعثَّرَتْ جدودُ غَيرِنا.

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات: أنَّ جيشًا لِنَجْدَةَ الحَرُورِي، وإليه تنسب النَّجَدَات وهو نَجْدَة بن عامر، ويكنّى أبا المطرّح، وهو من بني حنيفة، ترى النَّجْدِية من الخوارج رأيه، عليهم رجل يقال له أبو عمرو وكان يغير على العرب، فلم يَزَلْ كذلك حتى ملأ يديه، وفعل ذلك ببني أسد وطيِّـىء حتى مَرَّ على بني مَعْن ففعلوا بهم ذلك ومضوا، ثم إنَّ بَنِي مَعْنٍ تَزَامَروا وحَرَّضَ بعضُهم بعضًا على القتال، وأخذوا ما قدروا عليه من السّلاح ثم أقبلوا في أثر القوم، فلما رآهم أبو عمرو وأصحابه قال لهم: إن بني

(١) صدر البيت: «لا تفزع الأرنب أهوالها». وهو لابن أحمر في الخزانة ٤/ ٢٧٣.

معن قد أقبلوا، وأيْمُ اللّهِ إن صَدَقُوكم القتالَ إنّهم لَخُلَقَاءُ أن يَظْهَرُوا عليكم، وقد كان مع بني مَعْن كتاب من النَّبيّ ﷺ، فلما دنوا منهم أخرجوا الكتابَ واستقبلوا القبلةَ وحملوا عليهم فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى إنَّ الرَّجُلَ من بني مَعْن كان ينتهي إلى الرجل منهم فيأخذ السيف منه فيضرب عنقه، وقد زعموا أن اللّهَ بعثَ في وجوه الحرورية جَرَادًا فأخذ بأبصارِهم، ولم يَنْجُ منهم أحدٌ إلاَّ رجلان على جمل، فذلك حيث يقول إياس الأبيات، وقد زعموا أن قائل هذه الأبيات مَرْوَان بن عبد اللّه بن حيّ.

[١٩٦] وقال الأخرم السِّنْبِسِيّ[(١)]:

قال أبو هلال: إن سنبس امرأة عمرو بن الغَوْثِ بن طَيِّىء، ولدت له ثُعَلَ وَنَبْهَانَ، فهم يسمّون بها.

١ ـ ألاَ إنَّ قُرْطًا عَلَى آلَةٍ ألاَ إنَّنِي كَيْدَهُ مَا أَكِيدُ

الأوّل من المتقارب، والقافية متواتر.

قُرْط: رجل من سِنْبِس، والآلة: الحالة، ولا يقال بغير هاء، وقوله «ألاَ إنني كَيْدَهُ ما أَكِيدُ» ما: زائدة، ومعناه إني أكيدُ كَيْدَهُ: أي أفعلُ مِثْلَ فِعْلِهِ، ويجوز أن تكون ما لِلنَّفْي: أي ما أكيده كما يكيدني لأَكونَ خيرًا منه، ثم بَيَّنَ حالَهُ وحالَ قومه بقوله:

٢ ـ بَعِيدُ الوَلاَءِ بَعِيدُ المَحَلِّ مِنْ يَنْأَ عَنْك فَذَاكَ السَّعِيدُ

٣ ـ وَعِزُّ المَحَلِّ لَنَا بَائِنٌ بَنَاهُ الإلهُ وَمَجْدٌ تَلِيدُ

البائن: الظّاهر.

٤ ـ وَمَأْثُرَةُ المَجْدِ كَانَتْ لَنَا وَأَوْرَثَنَاهَا أَبُونَا لَبِيدُ

سُمِّيَتِ المكارمُ مآثِر لأنه يأثرها الآخر عن الأول.

٥ ـ لَنَا بَاحَةُ ضَبِسٌ نَابُهَا يَهُونُ عَلى حَامِيَيْهَا الوَعِيدُ

الباحة: عَرصَةُ الدّارِ، سُمِّيَتْ باحةً لاتِّساعها، ومنه الإباحة، وهي التوسيع، والضَّبِسُ: الشّديد، ويقال: ضِبْسٌ، بكسر الضّاد وسكون الباء، قال: [الرجز]

مُهْرٌ طِمِرٌّ وَغُلاَمٌ ضِبْسُ

والنَّابُ: السَّيِّدُ المُدَافِعُ عن القوم الرَّئيسُ، وسُمِّيَ بذلك لأن السبع بِالنَّاب يجرحُ، وحامياها: أجأ وسلمى، يقول: إذا حصلنا بينهما لا نفكرُ فِيمَنْ يُوعِدُنا، وقيل: حامياها

---

(١) جاء في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «واسمه قيس بن سعد بن جابر، أحد بني ربيع».

جانباها الأَمنعان منها، مثل حوامي الحِصن، وهي البروجُ، وقيل: حامياها: الخيل والسّلاح، ثم ذكر كثرة السّلاح بها فقال:

٦ ـ بِـهَـا قُـضُـبٌ هُـنْـدُوَانِـيَّـةٌ وَعِـيـصٌ تَـزَاءَرُ فِـيـهِ الأُسُـودُ

هُنْدُوَانِيَّةٌ: منسوبةٌ إلى هندي على غير قياس، والعِيصُ: الأصلُ الكريمُ ومنابتُ كَرَائِمِ الأشجارِ المُلْتَفَّةِ، ومنه قيل: أعياصُ قُرَيْشٍ، لِكَرَائِمهم، وأصلُ العيصِ الأَجَمَة، وأراد بها كثرة الرِّماح هنا؛ ولهذا قال «تَزَاءرُ فيه الأُسود» أي: يَزْئِرُ بعضُها إلى بعض.

٧ ـ ثَـمَـانُـونَ أَلْـفًـا وَلَـمْ أُحْـصِـهِـمْ وَقَـدْ بَـلَـغَـتْ رَجْـمَـهَـا أَوْ تَـزِيـدُ

لم أُحْصِهِمْ: أي لم أبلغْ آخرَ عَدَدِهم لِعَجْزي عن تعدادهم، والأصل فيه الحصى؛ كانوا يقسمون الشَّيء عليها فإذا لم يبقَ شيءٌ قالوا: «أحصينا» أي جئنا إلى الحصى، وقيل: بل أصلُه أنهم كانوا يَعُدُّونَ الغنائمَ ويقتسمون، ثم يأخذون الحصى ويلقونَ عليها علامات، فإذا فرغوا من العَدِّ وانتهوا إلى العلامات قالوا أحصينا، و«قد بلغت رَجْمَهَا أو تزيدُ»: أي ظَنَّهَا، وأصل الرَّجْمِ الرَّمْي بالقول وغيره «أو تزيد» معناه بل تزيد.

[١٩٧] وقال عبد الرحمٰن المَعْنِيُّ ولقبه مَرْقَس في لقاء بَني مَعْن الحرورية:

قال أبو هلال: هذا الشَّاعر يُعْرَفُ بِمَرْقَس ـ بفتح الميم والقاف، والسّين غير معجمة ـ أحد بني مَعْن بن عَتُودٍ ثم أحد بني حُتَيّ بن مَعْنٍ، وقال أبو الفتح: المعن: الشَّيء القليل، قال: [الوافر]

فَـإِنَّ هَـلاَكَ مَـالِـكَ غَـيْـرُ مَـعْـنِ

أي: غير يسير، ومنه «أمعن بِحقِّه» أي: أذهبه، والماعون منه لقلته، وَمَعَنَ الماءُ يَمْعُنُ: أي سالَ قليلاً قليلاً، فكأنّه من مقلوب المنع؛ وذلك أن قلّة الشَّيء قريبة من امتناعه، ولذلك أجروا القلّة مجرى النَّفْي، حتى قالوا «قَلَّما سرت حتى أَدْخُلَها» فنصبوا كما ينصبون مع ما في قولك: «ما سرتُ حتى أَدْخُلَها»، وعلى ذلك ما حكاه سيبويه عن يونس من قولهم: كَثُرَ مَا تَقُولَنَّ ذلك، فأدخل النون حملاً لِكَثُرَ على نقيضِه الذي هو قَلَّ، وكقولهم: رُبَّما تَقُومَنَّ؛ والنون بِالنَّفي ـ أعني «ما» ـ أَوْلَى بها من كثر.

١ ـ قَـدْ قَـارَعَـتْ مَـعْـنٌ قِـرَاعًـا صُـلْـبَـا

٢ ـ قِـرَاعَ قَـوْمٍ يُـحْـسِـنُـونَ الـضَّـرْبَـا

من مشطور الرجز، والقافية متواتر.

أصل القراع الضَّرْبُ على شيءٍ صُلْبٍ، ومَعْن: قبيلة، يريد أنها ضاربت أعداءَها ضِرَابَ قومٍ لهم هداية في ملاقاةِ الأعداءِ.

٣ ـ تَـرَى مَـعَ الـرَّوْعِ الـغُـلَامَ الـشَّـطْـبَـا

الشَّطْبُ: السَّبْطُ العظامِ الخفيفُ اللَّحم، وشبّه بما يشقّ من الجريد، ومنها ما رُوِيَ في حديث أُمّ زرع «مَضْجَعُهُ كَمِسَلِّ شَطْبَة»[١] وأكثر ما يستعملون هذا الوصف بالهاء، يقولون: فرس شَطْبَة، قال عبد يغوث الحارثي: [الطويل]

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي مِنَ الخَيْلِ شَطْبَةٌ تَرَى خَلْفَهَا الجُرْدَ العِتَاقَ مَتَالِيَا

وقال علقمة: [الطويل]

فَـلَـمْ يَـنـجُ إلاَّ شَـطْـبَـةٌ بِـلِـجَـامِـهَـا وَإلاَّ طِـمِـرٌّ فِـي الـعِـنَـانِ نَـجِـيـبُ

٤ ـ إذَا أَحَـــسَّ وَجَـــعَـــا أَوْ كَـــرْبَـــا

٥ ـ دَنَـــا فَـــمَـــا يَـــزْدَادُ إلاَّ قُـــرْبَـــا

قوله «إذا أحسَّ» ظرف لِلرّوع: أي عند حصول الرَّوْع لا يتأخّر عنه، والأجود أن يكون قوله «إذا أحسَّ» ظرفًا لقوله «دنا فما يزدادُ إلاَّ قُرْبًا» وأَحَسَّ: وَجَدَ.

٦ ـ تَـمَـرُّسَ الـجَـرْبَـاءِ لاَقَـتْ جُـرْبَـا

التَّمَرُّسُ: التَّحَكُّكُ، وجُرْبًا: يجوز أن يكون جمع أجرب وَجَرْباء، فيقال: جُرْبٌ ـ بضمّ الجيم ـ كأسود وسُود وأقْلَف وَقُلْف، ويجوز أن يكون مقصورًا من جَرْباء، ولِلشاعر أن يقصرَ الممدود: أي تَمَرُّسَ الجرباءِ لاقَتْ جرباء مثلها، فَيُرْوَى بفتح الجيم.

[١٩٨] وقال عُبَيْدُ بن مَاوِيَّة الطائي:

قال أبو الفتح: الماويّة المرأة، وكأن المرأة سُمِّيَت بذلك لنقائها وماء جسمها، ألا تراها منسوبة إلى الماء، وَلذلك سَمّوها عندي المَذِيَّة، وكأنها فعيلة من مَذَى يَمْذِي، لما هناك من جريان الماء ورقّته، وألزموها في الإضافة بدل الواو كما فعلوا ذلك في الشّاوي، قال: [السريع]

مَـــاوِيَّ يَـــا رُبَّـــتَـــمَـــا غَـــارَةٍ شَـعْـوَاءَ كَـالـلَّـذْعَـةِ بِـالـمِـيـسَـمِ[٢]

وقال الآخر: [الرجز]

لاَ يَـنْـفَـعُ الـشَّـاوِيَّ فِـيـهَـا شَـاتُـهُ[٣]

---

(١) تاج العروس (شطب).

(٢) البيت لضمرة بن ضمرة في الأزهيّة ص ٢٦٢؛ وخزانة الأدب ٩/ ٣٨٤؛ والدّرر ٤/ ٢٠٨؛ وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ١٠٥؛ ولسان العرب (ربب، وشعا)؛ وهمع الهوامع ٢/ ٣٨.

(٣) هذا صدر بيت ورد في تاج العروس (شوى) ونسبه لمبشر بن هُذَيل الشمخي، وعجزه: «ولا حِمَارَاهُ ولا عَلاَتُهُ». وفي اللسان (شوى) والصحاح.

وَمَاوية ـ مُخفَّفةَ ـ الرحمةُ، يقال: أوَيْتُ لِفلانٍ إذا رحمته، مَاوِيَةً.

١ ـ ألاَ حَـيِّ لَـيْـلَـى وَأَطْـلاَلَـهَـا وَرَمْـلَـةَ رَيَّـا وَأَجْـبَـالَـهَـا

ثالث المتقارب، والقافية متدارك.

٢ ـ وَأَنْـعِـمْ بِـمَـا أَرْسَلَـتْ بَـالَـهَـا وَنَـالَ الـتَّـحِـيَّـةَ مَـنْ نَـالَـهَـا

قوله «بما أرسلت» أي: بدلاً مما أرسلت، و«ما» مع الفعل في تقدير مصدر، يعني بإرسالها، والعرب تقول: هذا بذاك، أي عوض منه، وهذا لك من ذاك، في معناه، وعلى هذا قول الشّاعر: [الطويل]

فَـلَـيْـتَ لَـنَـا مِـنْ مَـاءِ زَمْـزَمَ شَـرْبَـةً مُـبَـرَّدَةً بَـاتَـتْ عَـلَـى طَـهَـيَـانِ[1]

والبال والخَلَد يستعملان على طريقة واحدة، يقال: وقع في خَلَدِي كذا، وسقط على بالي، والمعنى أنعمَ اللّهُ بَالَها جوابًا لِتَحيّتها وجزاءً على مُرَاسَلتِها، وقوله «ونال التَّحيَّةَ مَنْ نَالَها» يجوز أن يكون المعنى وأصابَ المُلْكَ مَنْ أصاب هذه المرأة، والتَّحِيَّة: المُلْك، ويقال: نِلْتُ كذا أَنَالُ نَيْلاً، ويجوز أن يكون نال بمعنى أنال، قال أبو زيد: يقال: نُلْتُهُ أنُولُه نَوْلاً ونَوَالاً، إذا أَعْطَيْتَهُ، وعلى هذا يكون الكلام دعاءً، والمعنى: حَيَّا اللّه مَن بَلَّغَهَا التَّحيَّةَ.

٣ ـ فَـإِنِّـي لَـذُو مِـرَّةٍ مُـرَّةٍ إِذَا رَكِـبَـتْ حَـالَـةٌ حَـالَـهَـا

المِرَّة: القُوَّة، ومنه قولهم اسْتَمَرَّتْ مَرِيرَتُه، واستمرَّ عِذَارُهُ في الإباءِ والتَّمَنُّعِ، ولم يَرْضَ بأن يجعلَ لِنفسِهِ مِرَّةً حتى جعلها مُرَّةً في فَم ذائِقِها. وقوله «إذا ركبت حالةٌ حالَها» يعني إذا ازدحمت الأمورُ، والضَّمير من قوله «حالَها» يعود إلى الحالة، كأنه أضافه إليها لما كانت تليها وجعلها مركوبها، يقول: يلقى الأعداءُ مِنّي مكروهًا، وقيل: الحال الثقل: أي إذا ثقلت الحالة؛ والعرب تقول: خَفِّفْ عَنّي من حالي: أي من ثقلي، ومنه قِيلَ للكَارَةِ التي تحمل على الظهر: حال، وقيل «إذا ركبت حالة حالها» أي صعب الأمر وركبَ بعضُه بعضًا.

٤ ـ أُقَـدِّمُ بِـالـزَّجْـرِ قَـبْـلَ الـوَعِـيـدِ لِـتَـنْـهَـى الـقَـبَـائِـلُ جُـهَّـالَـهَـا

يجوز أن يكون «أُقَدِّمُ» بمعنى أَتَقدَّمُ؛ وتكون الباء من «بالزجر» في موضعه ويكون مثل نَبَّهَ وَتَنَبَّهَ، ويجوز أن يكون المراد أُقَدِّمُ الزَّجْرَ، فجعل الباء زائدة للتأكيد، كما جاء

(١) البيت للأحول الأزدي أو الكندي (يعلى بن مسلم بن قيس) في خزانة الأدب ٥/ ٢٧٦؛ ولسان العرب (حمن وطها)، ومعجم البلدان (طهيان)؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٣٧٧؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٢٣٧، ومعجم ما استعجم (شدوان وطهيان) وحماسة المرزوقي.

في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[1] كذلك، ومعناه: أزجُرُ المتعرِّضَ لي قبل الوعيدِ، كأنه يبتدىءُ بالزَّجْرِ ثم يرتقي إلى الوعيدِ ثم إلى الإيقاع.

٥ ـ وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

القافية: آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشّاعر مراعاته وإعادته في كلّ بيت، وسُمِّيَتْ بذلك لأنَّها تَقْفُو ما قبلَها، وهم يُسَمُّونَ البيت بِأَسْرِهِ قافيةً لاشْتِمَالِهِ على القافية، والقصيدة بأبياتها قافية لاشتمالها على الأبيات المُقَفَّاة، والمراد في هذا الموضع بالقافية البيت، لأنَّ نَظْمَ تسعين بيتًا في العُرْفِ والعادةِ غير مُسْتَنْكَرٍ من المقتدرين على قول الشعر، ولو أراد القصيدةَ لَبَعُدَ عن المعتادِ.

٦ ـ تَجَوَّدْتُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ قِرَاهَا وَتِسْعِينَ أَمْثَالَهَا

تَجوَّدْتُ: أي اخترتُ عند الجميعِ جَيِّدَها، وهذا كما يقال: تَنَقَّيْتُ الشَّيءَ، وتخيَّرْتُهُ، وقوله «وتسعين» أراد مع تسعين، فيكون انتصابه على أنه مفعول معه، كقوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[2] لأنَّ المُرَادَ مع شركائِكم، ويجوز أن تكون الواو عاطفة، كأنه أرادَ قِرَاها وقِرَى تسعينَ، وقِرَاها يجوز أن يكون من قَرَيْتُ الماءَ في الحَوْضِ، ومِنْ قَرَوْتُ الأرضَ، إذا تَتَبَّعْتَها، ويجوز أن يكون القِرى ما يُطْعَمُ الضَّيْفَ فاستعاره هنا.

[١٩٩] وقال جابر بن رَالاَنَ السِّنْبِسِيُّ:

١ ـ لَمَّا رَأَتْ مَعْشَرًا قَلَّتْ حَمُولَتُهُمْ قَالَتْ سُعَادُ أَهذَا مَالُكُمْ بَجَلاَ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الحَمُولة: الإبل التي يُحْمَلُ عليها، وتكون من غير الإبلِ، جرت مجرى الرَّكوبة والعَلوفة، والحُمُولة بالضَّمِّ: الأحمال، يقول: لما رَأَتْ هذه المرأة قلّة إبلِنَا قالت مُنْكِرَةً ومتعجّبةً: أهذا مالكم فحسب، و«بَجَلاً»: في موضع الحال، والمعنى أهذا مالكم مُكْتَفًى به، والأصل في «بجل» البناء على السكون، ودعت الضرورة إلى تحريكه، فحرَّكَه بالفتح، كان الواجب، إذا حُرِّكَ، الكسرَ فيه، ومِثله «وَنَعَمْ إنْ قُلْتُمَا نَعَمَا» لأنَّ نَعَمْ أيضًا مبنيٌّ على السكون فَحُرِّكَ آخرُه لِلضرورة، وقد يضاف «بجل» لكونه اسمًا، كما يضاف «قد» إذا كان بمعنى حسب، قال: [الرمل]

بَجَلي الآنَ مِنَ العَيشِ بَجَلْ[3]

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٠. (٢) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٣) البيت للبيد كما في اللسان والمقاييس (بجل) وصدره: «فمتى أهلك فلا أحفله».

وقال أبو العلاء: يجوز أن يكون نصب «بَجَلاَ» كأنه قال: «أهذا مالكم غَيْرَ مجاوزِ ما أراه»، ويجوز أن يكون أراد بَجَلي: أي حَسْبِي، فقلب الياء ألفًا لأن الأخفش وغيره حكوا أنَّ بعضَ العرب يقول: جاءني غُلاَمَا، يعني غلامي، فيقلب الياء ألفًا، وعلى هذا أنشدوا: [الوافر]

أُطَـوِّفُ مَـا أُطَـوِّف ثُـمَّ آوِي إلـى أُمَّا وَيَـكْـفِـيـنِـي الـنَّـقِـيـعُ[1]

٢ ـ إمَّـا تَـرَيْ مَـالَـنَـا أضْـحَـى بِـهِ خَـلَـلٌ فَـقَـدْ يَـكُـونُ قَـدِيـمًـا يَـرْتُـقُ الـخَـلَـلاَ

الخَلَل الأول: النَّقص، والثاني الفُرْجَةُ بين الشَّيْئَيْنِ حتى يصحَّ الرَّتْقُ معه، وفي الكلام اختصار، والمعنى أجبناها بأن قلنا: إنْ كُنْتِ تَرَيْنَ اختلالَ حالِنا فقديمًا كُنَّا نَسُدُّ الخَلَلَ بأموالِنا، وقوله «فقد يكون» جعل اللَّفظَ مُستقبلاً وإن أراد المُضِيّ؛ لاستمرارِ الحالِ على طريقةٍ واحدةٍ، ويجوز أن يكون حَكَى الحالَ، كقوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾[2] وكذلك قوله:

٣ ـ قَـدْ يَـعْـلَـمُ الـقَـوْمُ أنَّـا يَـوْمَ نَـجْـدَتِـهِـمْ لاَ نَـتَّـقِـي بـالـكَـمِـيِّ الـحَـارِدِ الأَسَـلاَ

جعل اللَّفظ مستقبلاً والمراد غيره، وقوله «لا نَتَّقِي بِالكَمِيِّ» يقول: لا نُحجِمُ فَنَتَّقِي رماحَ الأعداءِ بالشّجعان، بل غيرنا يَتَّقِي بنا؛ فنتقدَّم إذا تأخّروا، والحارد: المجتمِعُ الخَلْقِ الشَّدِيدُ المَهِيبُ الَّذي تَحْسَبُه من عِزِّهِ غَضْبَانَ.

٤ ـ لَـكِـنْ تَـرَى رَجُـلاً فِـي إثْـرِهِ رَجُـلٌ قَـدْ غَـادَرَا رَجُـلاً بِـالـقَـاعِ مُـنْـجَـدِلاَ

كأنَّ أحدهما صَرَعَ قتيلاً والآخر يتبعه لينالَ منه، ويجوز أن يكون معنى «قد غادرا» قد غادر كلُّ واحدٍ منهما رجلاً مصروعًا، كما يقال: كسانا الأميرُ حُلَّةً: أي كُلَّ واحدٍ منّا، ومثله ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[3] وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

وَهَل غَمَرَاتُ المَوْتِ إلاَّ نِزَالُكَ الْـ ـكَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الكَمِيِّ المُقَطَّرِ[4]

وقال أبو هلال: جعلَ رجلين منهم على رجلٍ واحدٍ، وهو وصف رديء، لأن من عادتهم أن يجعلوا الرجلَ يقاومُ جماعةً، وتجاوزوا ذلك إلى أن قال بعضهم: [الكامل]

وَالـجَـيْـشُ بِـاسْـمِ أَبِـيـهِـمُ يُـسْـتَـهْـزَمُ

---

(١) البيت لنفيع أو لنقيع بن جرموز في المؤتلف والمختلف ص ١٩٥؛ ونوادر أبي زيد ص ١٩؛ وبلا نسبة في الدّرر ٥/ ٤٥؛ وشرح الأشموني ٢/ ٣٣٢؛ ولسان العرب (نقع)؛ وهمع الهوامع ٢/ ٥٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٨. (٣) سورة النور، الآية: ٤.

(٤) البيت لشريح بن قرواش العبسي وقد ورد في الحماسية ١٤٠.

فجعل ذكر الرجل الواحد هازمًا للجيش.

[٢٠٠] وقال قَبيصَة بن النَّصْرَاني الجَرْمِيُّ من طيِّـىء:

يجوز أن يكون قبيصة اسمًا مرتجلاً للعلم، ويجوز أن يكون فعيلاً في معنى مفعول، من قولك: قَبَصْتُ؛ إذا أخذتَ الشَّيءَ بأطراف أصابِعكَ كالتراب ونحوه، فكأنّه في الأصل هذه تربة مقبوصة ثم صرفت إلى فعيلة فصارت اسمًا منه غير صفة، كالذَّبيحة والضَّريبة، فلحقتها الهاء على ذلك، قال أبو الفتح: ويجوز أن يكون عندنا نحن صفة، وإن لحقتها الهاء، وذلك أن القياس عندنا أن يقال: هذه امرأة قتيلة، وكَفٌّ خَضِيبة، ومِلْحَفَةٌ جَدِيدة، غير أن التاء حُذِفَتْ من نحو هذا، فقالوا مِلْحَفَة جَدِيد، وامرأة قتيل، وعَيْن كَحِيل، تشبيهًا لفعيل بِفَعُول في نحو قولك: هذه امرأة صَبُور وشَكُور وكَفُور، فجديد وبابها ممّا اطّرد في الاستعمال وشَذَّ في القياس، فاعرفْ ذلك مذهبًا لأصحابنا، والجَرْمُ: القطع.

١ ـ لَـمْ أَرَ خَـيـلاً مِـثْـلَـهَـا يَـوْمَ أَدْرَكَـتْ بَنِي شَمَجَى خَلْفَ اللُّهَيْمِ عَلَى ظَهْرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس، كما رُوِيَ «يا خَيْلَ اللَّه ارْكَبِي» وقوله «على ظهرٍ» في موضع الصّفة لقوله «خيلاً»، ولُهَيْمٌ: جبل، وقوله «عَلَى ظهر» يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون المعنى: لم أرَ خيلاً على ظهر الأرض، كما جاء في التنزيل﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[١] والثاني: أن يكون المعنى: لم أرَ خيلاً على ظهور الدَّوابّ، لكنه قصد الجنس فَوَحَّدَ، كما يقال: هو يرتبط كذا رأسًا من الدَّوَابّ، وكذا ظهرًا منها، وذكر بعضهم أن «ظهرًا» اسم ماء، كأنه قال: خلف هذا الجبل على هذا الماء، وهذا إذا ثبت يسلم للسماع، وذكر بعض أصحاب المعاني أن قوله «على ظهرٍ» يجوز أن يكون في موضع الحال من المضمر في «أدركت» أي: يومَ أدركَتْهُمْ قاهرةً لهم، وعلى قهرٍ وغلبةٍ فيهم، من قولك: ظَهَرْتُ على فلانٍ ظُهُورًا وظَهْرًا، وفي القرآن: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٢] ولما أراد بالخيل أصحابها ساغ أن يقول:

٢ ـ أَبَـرَّ بِـأَيْـمَـانٍ وَأَجْـرَأَ مُـقْـدَمَـا وَأَنْـقَـضَ مِـنَّـا لِـلَّـذِي كَـانَ مِـنْ وِتْـرِ

ويشبه هذا ما يجيء من صلة «الذي» في مثل قوله: [الرجز]

أَنَـا الَّـذِي سَـمَّـتْـنِ أُمِّـي حَـيْـدَرَهْ[٣]

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٥. (٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) ورد في اللسان (حدر) لعليّ بن أبي طالب.

ونَقْضُ الوِتْرِ: حَلُّ عَقْدِهِ باشتفاءِ النَّفْسِ من الواترِ الَّذي يُبْرِمُه، وكان الأَنِفُ منهم إذا أُصِيبَ وَوُتِرَ يَنْذُرُ أنَّه لا يَشْرَبُ خَمْرًا ولا يَقْرَبُ امرأةً، وما أشبهَ ذلك، حتى ينالَ الوِتْرَ، ومنه قوله[1]: [السريع]

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكُنْتُ امْرَءًا ... عَنْ شُرْبِهَا في شُغُلٍ شَاغِلِ

فَالْيَوْمَ أشرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إثْمًا مِنَ اللَّهِ وَلاَ وَاغِلِ[2]

وَيجوز أن يكون معنى قوله «وأنقض منّا للواتر»: أنَّا إذا وَتَرْنَا إنسانًا نَقَضْنا وِترَهُ لأنه لا يقدر على أن يطالبنا به لِعِزِّنا ومَنَعَتِنا.

٣ ـ عَشِيَّةَ قَطَّعْنَا قَرَائِنَ بَيْنِنَا ... بِأَسْيَافِنَا وَالشَّاهِدُونَ بَنُو بَدْرِ

أضاف القرائن إلى «بَينِنا» لأنه جعله اسمًا؛ ونقله من باب الظروف، وعلى هذا قراءة مَن قرأ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾[3] بالرفع، والمعنى وَصْلُكم، ولك أن تروي «قرائن بيننا» في بابه ظرفًا، كما قد قُرِىءَ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بالنصب، ويعني بالقرائن الأرحام والأواصر، وانتصب «عَشِيَّة» على أنه بدل من قوله «يوم أدركت بني شَمَجَى» فيقول: لم أرَ خيلاً تُمَاثِلُها عَشيّة أرسلناها على أعدائِنا فقطعنا باستعمال السيوف الوُصَلَ الجامعةَ لنا، وَبنُو بَدْرٍ شاهدون لِبَلائِنا.

٤ ـ فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَدْرَكَتْ ... بَنُو ثُعَلٍ تَبْلِي وَراجَعَنِي شِعْرِي

أي: أدرك بنو ثُعَل قومي بِثأري وشَفَوْا صدري وراجعني شِعري، وكانوا لا يقولون الشِّعْرَ إلاَّ إذا غَلَبُوا وقَهَرُوا وإذا قُتِلَ منهم حتى يدركوا بثأرهم، ولهذا قال: [الطويل]

دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الغُمَيْرِ القَوَافِيَا

فأراد أنه قال الشعر وافتخر بعد أن كان كالمُفْحَمِ، وقيل: يعني بالشِّعر العلم من قولهم: شعرتُ أشعُرُ، وهو العلم الذي يوصل إليه من مسلك دقيق، مأخوذ من الشَّعَرِ: أي رجع إلَيَّ عِلمي وعِرفاني وعَقلي.

[٢٠١] وقال أدهم بن أبي الزعراء:

هذه صفة منقولة، كقولك: فرسٌ دَهْمَاءُ، وأما الأدهم القيد فصفة أيضًا، غير أنها غَلَبَتْ، والزَّعْرَاءُ: القليلةُ الشَّعَرِ، قال أبو هلال: هو سُوَيْدُ بن مسعود بن جعفر بن عبد اللَّه بن طريف بن حَبِيٍّ بن عمرو بن سِلْسلَة بن غَنْمِ بن ثَوْبِ بن معْن الطائي.

---

(١) البيتان لامرىء القيس ذكرهما المرزوقي في هذا الموضع كشاهد.

(٢) عند المرزوقي: «فاليومَ أُسقَى». (٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

١ ـ قَدْ صَبَّحَتْ مَعْنٌ بِجَمْعٍ ذِي لَجَبْ

٢ ـ قَيْسًا وَعِبْدَانَهُمُ بِالْمُنْتَهَبْ

من مشطور الرجز، والقافية متدارك.

الجمع: المجتمعون، وَالجُمَاع: المتفرِّقون، ومعنى «صَبَّحَتْ» أي أَتَتْ قَيسًا صباحًا بِكتيبةٍ لها جَلَبة وصوت لِكَثْرَتِها، وَعِبْدَانٌ ـ بكسر أوله ويضمّ ـ جمع عبيد، يقال: عَبْدٌ وأَعْبُدٌ وَعَبِيدٌ وَعِبَادٌ وَعِبِدَّى وَمَعْبُودَاءُ وَعُبُدٌ وَعِبْدانٌ جمع عَبِيدٍ، و«المُنْتَهَبُ» قيل: هو مكان، وهو الصحيح، لأن الوقعة كانت فيه، وقيل: المراد به الانتهاب، أو موضع الانتهاب، والمراد بالعبيد الرُّعاة وَالعُسَفَاءُ الذين يكونون مع الإبِل، كأنّهم قصدوهم في أخْوِيَتِهم وأموالُهُمْ حاضرةٌ غير غائبةٍ.

٣ ـ وَأَسَدًا بِغَارَةٍ ذَاتِ حَدَبْ

٤ ـ رَجْرَاجَةٍ لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبْ

«ذات حَدَبٍ» يجوز أن يكون مصدر الأحْدَب، ويكون وصف الغارة بِالحَدَب كما قيل: آلَةٌ حَدْبَاءُ، وَعِزَّةٌ قَعْسَاءُ، كأنّها يَنْبُو ظَهْرُها عَمَّنْ يريدُ ركوبَها واقتِسارَها، ويجوز أن يريدَ به الارتفاع والكَثْرَة، وقال الخليل: الحَدْبُ: حُدورٌ في صَبَبٍ، يعني العَقَبَةَ، والعرب تسمّي الخيلَ غارةً لأنَّ الغارةَ من قبلها تكون، والغار بلا هاء تُستعمَل في الجمع الكثير، وفي الحديث «ما ظَنّكَ برجلٍ جمع بين هذين الغارين» وَرَجْرَاجة: تَضْطَرِبُ وتَمُوجُ من كَثْرَتِها، والأصل في الأَشَبِ الالتفافُ، يقال: غَيْضَةٌ أَشِبَةٌ، وتوسَّعوا فيه فقالوا: عند فلانٍ أُشَابَةٌ من المالِ: أي مِمّا كسبه من الحرام وممّا لا خيرَ فيه.

٥ ـ إلاَّ صَمِيمًا عَرَبًا إلَى عَرَبْ

٦ ـ تَبْكِي عَوَالِيهِمْ إذَا لَمْ تُخْتَضَبْ

الصَّميم: الخالص، ومنه قولهم: صميمُ الرَّأسِ والسّاق للعظم الذي فيه قِوَامُ العُضْوِ، وتوسَّعوا فيه فقالوا: جاء في صَميم الصَّيْفِ وغيره، وانتصَبَ «صميمًا» على أنه استثناء خارج، وجعل قوله «عربًا إلى عرب» بدلاً منه، وقوله «إذا لم تُخْتَضَبْ» يقال: خَضَبَ الرَّجُلُ شَعَرَهُ، واختضبَ، ولا يذكر الشَّعَرُ معه، وقد يكون اختضب في مطاوعة خضبَ؛ وبكاء العوالي: مثل، جعلها باكية من الحزن إذا هي لم تختضبْ بالدِّماءِ على وَجْهِ التَّوَسُّعِ.

٧ ـ مِنْ ثُغَرِ اللَّبَّاتِ يَوْمًا وَالحُجُبْ

ثُغَرُ اللَّبَّاتِ: هَزَمَاتُ التَّرَاقي، والحُجُبُ: الأَفْئِدَةُ، ويقال: لَبَبٌ ولَبَّةٌ، ولذلك رُوِيَ من ثُغَرِ اللَّبَّاتِ والألبابِ، والمعنى أنهم بُصَرَاءُ بِالطَّعْنِ فلا يصيبونَ إلاَّ المَقْتَلَ.

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أن مَعْدَان بن عُبَيْد بن عَدِيّ بن عبد اللّه بن خَيْبَرِي بن أفلت حَدَّثَ أنه تزوَّجَ امرأةً من بَني بَدْر بن فَزَارة، قال: فكان شبابٌ من بني بدر يزوروننا، فأدرك الثِّمار، فاجتمعوا على نبيذ لهم مع شباب مِنّا، فأسرع فيهم الشرابُ، فوقعَ بينهم كلام، فوثبَ غلامٌ منّا يقال له يعقوب بن سلامة فضربَ شابًا من بني بدر فَشَجَّهُ فماتَ منها، فقلت للبدريين: لكم دِيَةُ صاحِبِكُم، فأبوا إلاّ أن يدفعَ الطَّائيّ إليهم، وأبيتُ أن أفعلَ، فأتوا صاحبَ المدينة في ذلك، وكنّا قد منعنا الصَّدَقَةَ حين وقعت الفتنةُ، فكتب أميّة بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان بن عفان عامل صدقة الحليفين طَيِّـىء وأسد إلى مروان يخبره بمنعنا الصَّدقة وقَتْلِنا الرَّجُلَ، فكتب إليه أنْ سَيِّرْ إليهم جيشًا، وكتب إلَيَّ أنْ مَكِّنِ البدريينَ من صاحِبِهم وأدِّ الصَّدَقَةَ، وإلاَّ فقد أمرتُ رسولي أن يأتيني بكَ، وإنْ أبيتَ أتاني برأسِكَ، ثمّ واللّهِ لأُبيلَنَّ الخيلَ في عَرَصَاتِكَ، فأمرتُ بضربِ عُنُقِ الرّسولِ، فقال الرّسول: إنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ، وإنِّي لأَسيرُ فيكم يا معشرَ طَيِّـىء اسْتِحْيَاءً، فقلت: قد صدقتَ وخَلَّيْتُ سبيلَه، وقلت له: قلْ لمروان آلَيْتَ تُبِيلُ الخيلَ على عَرَصَاتِي، وبيني وبينك رَمْلُ عالج[1]، وعديد طيِّـىء حولي، والجبلان خلفَ ظهري، فاجْهَدْ جهْدَكَ، فلا أبقى اللّهُ عليك إن أبقيت، وكتبت إليه: [الوافر]

أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ مَـرْوَانَ عَـنِّـي ... عَـلَـى مَـا كَـانَ مِـنْ نَـأْيِ الـمَـزَارِ
أَلَـمْ تَـرَ لِـلْـخِـلاَفَـةِ كَـيْـفَ ضَـاعَـتْ ... إذَا كَـانَـتْ بِـأَبْـنَـاءِ الـسَّـرَارِي
إذَا كَـانَـتْ بِـذِي حُـمُـقٍ تَـرَاهُ ... إذَا مَـا نَـابَ أَمْـرٌ كَـالـحِـمَـارِ
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ بَـلْـقَـيْـنِ بْـنِ جَـسْـرٍ ... تَـوَلَّـوْا فـي الـضَّـلاَلَـةِ وَالـخَـسَـارِ

وكتب إليه غالب بن الحُرّ بن ثعلبة المعنيُّ من طيِّـىء: [الطويل]

لَقَدْ قُلْتُ لِلرُّكْبَانِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَمِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالقَبَائِلُ تَسْمَعُ
قِفُوا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... وَيَأْتِيكُمُ الأَمْرُ الذِي لَيْسَ يُدْفَعُ
وَحَتَّى تَرَوْا أَيْنَ الإمَامُ وَتَشْعَبُوا ... عَصَا المُلْكِ إذْ أمْسَى وَبِالمُلْكِ مَضْيَعُ
أَرَى ضَيْعَةً لِلْمَالِ أنْ لاَ يَضُمَّهُ ... إمَامٌ، وَلاَ في أهْلِهِ المَالُ يُوضَعُ

فكتب إلى عبد الواحد بن منيع السَّعدي بن سعد بن بكر وإلى أُمَيَّةَ بن عبد اللّه بن عمرو بن عثمان: أنْ سِرْ بأهل الشَّأم وأهل المدينة والبوادي وقيس وغيرهم إلى مَعْدَان حتى تأخذوا منه الصَّدَقَة وتَقِيدُوا البَدْرِيين من صاحبهم، وأَوْطِئُوا الخيلَ بلاد طَيِّـىء،

(١) رملة عالج: رملة بالبادية، بين فَيْد والقُرَيات وقيل إن رمل عالج متّصل بوَبار (معجم البلدان ٤/ ٧٠).

وأْتُوني بِمعدانَ، فسار أُميّة في ثلاثين ألفًا من أهل المدينة والشّام والبوادي من قيس وأسد وبعث إلى كلِّ صاحب ذَحْل[١] ودمنة يطلبها في طيّىء، وقَدَّمَ على مقدّمته رجلاً يقال له الحريز بن يزيد بن حَمَل من الضّباب، وثارتْ قيس تطلب الثّأْرَ من طيىء، قال مَعْدَان: وكنت في اثني عشر ألفًا، فلما انتهيتُ إلى عسكرِ أُميّة إذا جبالُ الحديدِ وعسكر لا يُرى طَرَفاه، فرفع طَيِّىء النَّارَ على أَجَأ[٢]، فاجتمعوا فنحروا الجُزُرَ[٣]، وعملوا من جلودها حَجَفًا[٤]، وطعموا من لحومِها، فقلت: يا بَنِي خَيْبَري ويا معشرَ طَيِّىء، هو واللَّهِ يومكم لبقاءِ الدَّهرِ أو لهلاكٍ، فإذا وقع النَّبْلُ عِندَكم فقبح اللَّه أجزع الفريقين؛ فصافقناهم، فرَمَوْا بِالنبل، ثم شَدَدْنا عليهم شَدَّةَ رَجُلٍ واحدٍ، فما كان إلاَّ سيف أو سيفان حتى قتل الحريز وسرحان مولى قيس، واسْتَحَرَّ القتلُ في قيس لأنهم حَامَوْا على الحريز، وكان يلي المعادنَ؛ فقتل من قيس ثلاثمائة، وانهزموا أقبحَ هزيمة وأسوأَها، فما رأيتُ عسكرًا أكثر رَنَّةً[٥] منه، وأتيتُ بِأُميَّةَ أسيرًا فَخَلَّيْتُ سبيلَه، وأتيتُ بجاريةٍ له فألحقتها به إلى المدينة، ونادى مُنَادِيّ أن لا تتبعوا مُدْبِرًا، ولا تُجْهِزُوا على جريح، وإنَّ الكتاب الذي كتب مروان لفي أيدينا ما نحسن أن نقرأه وجدناه في متاعه حتى قرأه بعض فتياني، وإذا فيه: اقْتُلْ واسْبِ، وباللَّه لو كنتُ علمتُ ما في الكتاب ما أفْلَتَ منهم صَبِيٌّ. فكتب صاحبُ المدينة إلى مروان يخبره بما صنعت طيّىء من قتل الحريز وسرحان وأسرِ أُميّة وقتل ابنه وما لقيت قيس، ومَنْ أجاب دعوته، فوَجَّهَ مروان من عنده ابنَ رِياح الغَسَّاني في عشرة آلاف، فكتب ابن هُبَيْرَة إلى مروان بقتل ابن ضُبَارة وَفُصول قَحْطَبَة متوجِّهًا من الريّ، فقال: ما نصنع بشغل عشرة آلاف في قتال أعراب طَيِّىء؛ فصرفهم إلى ابن هُبَيْرة، قال مَعدان: وكتبت إلى قَحْطَبَةَ وبعثتُ رسولاً، فوافقه بهمذان والجيش بِنَهَاوَنْد، فكتب إليَّ يُسَدِّدُ رأيي، ويُصَوِّبُ أمري، ويخبرُ أنه لو قَدِمَ الكوفةَ بعثَ إليَّ جُنْدًا، ثم كان من أمر قحطبة ما كان، وقام أبو العباس السَّفَّاح، فقدمْتُ عليه في مائتي رجل من طَيِّىء، فأمرَ لي بعشرين ألف درهم وخلعة، وحملني، وأمر لأصحابي بثلاثمائة ثلاثمائة، وخَصَّ قومًا نحوًا من ثلاثين رجلاً بخمسمائة درهم لكل رجلٍ، ولعشرة منهم بِألف لِكُلِّ رجل، فواللَّهِ ما رَزَأَنَا[٦] مروانُ ولا جندُه ولا عُمَّالُه شَاةً ولا بعيرًا، وإنَّا لأوَّلُ مَن نَقَمَ عليه، ونصر آلَ محمد، حتى انتهى إلينا صاحِبُنا قَحْطَبَة بن شبيب بن خالد بن معدان ولجأَ إلَيَّ يومئذٍ

---

(١) الذَّحْل: الثَّأر.
(٢) أجأ: أحد جَبَلَيْ طَيِّىء وهو غربي فيد (معجم البلدان ١/ ٩٤).
(٣) الجُزُر: جمع الجَزُور، ما يُجْزَر من النوق أو الغنم.
(٤) الحَجَفَ: جمع الحَجَفَة: التّرس من جلد بلا خشب.
(٥) الرَّنَّة: الصوت عمومًا أو هي خاصّة بصوت القوس ونحوه.
(٦) رزأه: أصاب منه شيئًا مهما كان أي نَقَصَه.

فرارًا من الحرب عبدُ العزيز بن أبي دَهْبَل الجَعْفَرِي، وكُنَّا أخواله، فقال عَبدُ العزيز يمدح مَعْدَانَ في قطعة: [الطويل]

وَإِنَّ امْرَءًا مَعْدَانُ في الحَرْبِ خَالُهُ إِذَا مَا ٱحْتَبَى مِنْ دُونِهِ لَمَنِيعُ

وقيلت أشعار كثيرة في وقعت المنتهب منها الأبيات البائية التي مضت؛ وقال أبو العلاء: قوله في الخبر: [الوافر]

أَلَمْ تَرَ لِلْخِلاَفَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ إِذَا كَانَتْ بِأَبْنَاءِ السَّرَارِي

السَّرَاري: جمع سُرِّيَّة، وحقّ الجمع أنْ يكونَ مُشَدَّدَ الياءِ، فخفَّفه للضرورة، وقد اختلف في اشتقاقها؛ فقيل: هي من السِّرِّ الَّذي هو النكاح، وقيل: إنما سُمِّيَ سِرًّا لأنه يُسْتَتَرُ به عن العيون، وقيل: سُمِّيَتْ سُرِّيَّةً لأنَّ مالِكَها يُسَرُّ بها وهذا أقيس من القول المتقدم؛ لأنهم يسمّون السُّرور سُرًّا بضمّ السين، قال طرفة: [الرمل]

فَفِدَاءٌ لِبَنِي قَيْسٍ عَلَى مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرٍّ وَضُرّ

مَا أَقَلَّتْ قَدَمَايَ إِنَّهُمْ نَعِمَ السَّاعُونَ في الأَمْرِ المُبِرّ

فوزنه على هذا فُعْلِيَّة، وقال قوم: إنما أخذت السُّرِّيَّة من السَّراة، وهي أعلى الشَّيء، فقيل: أراد أنَّ مالِكَها يملُك سراتها، وقيل: بل ذلك من فعل السَّراة من النَّاس، لأن السَّراري إنما يَتَّخِذُها أهل اليسار والسّعة، وقال قوم: سُمِّيت سريّة لأن مالكها يطرقُها ليلاً، فكأنه يسري إليها، ووزنها في هذه الوجوه فُعُولَة، وذلك أقيس من أن تجعل فُعِّيلة لأنَّ فُعِّيلاً إنما حكي في قولهم: كَوْكَبٌ دُرِّي ومُرِّيق للعصفر، وفُعُول وإن كان قليلاً فهو أكثر في الكلام، قالوا: السُّبُوحُ، وَالقُدُّوس، والذُّرُّوح، وحُكِيَ سُمّور، وقوله: [الطويل]

أَرَى ضَيْعَةَ الأَمْوَالِ أَنْ لاَ يَضُمَّهُ إِمَامٌ، وَلاَ فِي أَهْلِهِ المَالُ يُودَعُ

يجوز أن يكون يُودَع في معنى يُتْرَك، وتلك لغة قليلة، وقد حكوا وَدَع في معنى ترك؛ فإذا بُنِيَ الفعل على ما لم يُسَمَّ فاعله وجب أن يقال: وُدِعَ يُودَعُ، وقد رُوِيَ أنَّ بعضَهم قرأ ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[1] ورُوِيَ ذلك عن النَّبيّ ﷺ وأنشدوا بيتًا ينسب إلى أبي الأسود الدؤليّ، وهو: [الرمل]

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي مَا الَّذِي غَالَهُ فِي الوُدِّ حَتَّى وَدَعَهْ

ويجوز أن يكون يُودَع في البيت المتقدِّم محمولاً على الوديعة، كما قال: [الطويل]

وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إلاَّ وَدِيعَةٌ وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تُسْتَرَدَّ الوَدَائِعُ

---

(١) سورة الضحى، الآية: ٣.

[٢٠٢] وقال البُرْجُ بن مُسْهِر الطَّائيّ:

١ - إلَى اللَّهِ أشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوَدُّهُ ثَلاَثَ خِلاَلٍ كُلُّهَا لِي غَائِضُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

غائضُ: من غاضَ الماءُ، إذا نقصَ، وغاضه غيره، إذا نَقَصَه: أي كلّها يَكْسِرُ من نشاطي.

٢ - فَمِنْهُنَّ أنْ لاَ تَجْمَعَ الدَّهْرَ تَلْعَةٌ بُيُوتًا لَنَا يَا تَلْعَ سَيْلُكِ غَامِضُ

يجوز الرفع والنصب في «تجمع» فالنصب بأن الناصبة للفعل، والرفع بأن يكون أن مخففة من الثقيلة، أراد أنه لا تجمع، والهاء ضمير الأمر والشَّأن. والتَّلْعَةُ: أرض مرتفعة يتردَّدُ فيها السَّيلُ إلى بطن الوادي، ويُقال في المثل: فُلاَن لا يُوثَقُ بسَيْل تَلْعتِهِ، إذا كان غيرَ صَدُوقٍ في أخبارِه، وباب التّلع كلّه من الإشراف والارتفاع، وقوله «يا تَلْعُ سيلك غامض»: يُسَمِّي مثله نُقَّادُ الكلام التفاتًا، فهو مثل قول جرير فيما حكاه الأصمعي: [الوافر]

مَتَى كَانَ الخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الغَيْثَ أيَّتُهَا الخِيَامُ

دعا عليها: أي لا سالَ وَادِيكِ؛ وصلح ترخيم تلعة وإن كان نَكِرَة لأنه قصد بها في النّداء إلى واحدة بعينها، وقال النّمريّ: التَّلعَةُ مَسِيلُ الماء، ويقال في مثل: ما أخاف إلاَّ من سَيْلِ تَلْعَتِي: أي من بني أعمامي وقرائبي، والكلام يتمُّ عند قوله «بيوتًا لنا»؛ ثم قال «يا تلعُ سَيلُكِ غامضُ» أي: يأتي من حيث لا يُتَّقَى، وكذلك عداواتُ الأقاربِ، وقال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المثل: يَا نَعَام إنِّي رَجُلٌ[1]، يضرب في الحمقِ، وذكر قصة الأبيات؛ ثم قال: إنّما دعا على تلك التَّلعة التي لا تجمع بيته وبيت عمّه فقال: سيلُكِ غامضُ: أي لا سَالَ وَادِيكِ، وقال أبو العلاء: أي إنَّ الَّذي بيننا من الضّغن والبغضة خفيّ وكأنّه سيلٌ غامض الأمر لا يشعرُ به المقيمُ حتى يغشاه؛ فنحن يا تلعة نرهبُ أن نحلَّ بكِ لذلك.

٣ - وَمِنْهُنَّ أنْ لاَ أسْتَطِيعَ كَلاَمَهُ وَلاَ وُدَّهُ حَتَّى يَزُولَ عُوَارِضُ[2]

يجوز الرَّفع والنَّصْب في «لا أستطيع» على ما تقدَّمَه؛ إن قيل: كيف قال «لا أستطيع وُدَّهُ» وقد قال في البيت الأوَّل «من خليل أودّه» فأثبت الودّ؟ قلت: إنما أرادَ لا أستطيعُ مُقْتَضَى وُدِّهِ ومُوجَبَهُ، فحذفَ المضاف، وقوله «حتى يزولَ عُوارِضُ» عُوَارِض:

(١) مَثَل يُضرَب عند الهزء بالإنسان لا يحذر ما حذر (مجمع الأمثال ٢/ ٥٠٠).

(٢) عُوَارِض: جبل في أعلى ديار طَيِّـِء وناحية دار فزارة وقد استشهد ياقوت بالأبيات في (معجم البلدان ٤/ ١٦٤).

جبل: أي حتى يكون ما لا يكون، ومعناه إنّي لا أقدِرُ على وُدِّهِ أن أجْتَلِبَه لِنفسي؛ لأنّ الإنسان لا يحمل غيره على مودّته، وإنّما تكون المَوَدَّةُ طَوْعًا، ومِثله: [الطويل]

إذَا الوَصْلُ لَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ مَوَدَّةٌ ... فَلاَ خَيْرَ في وُدٍّ يَكُونُ بِشَافِعِ

٤ ـ وَمِنْهُنَّ أنْ لاَ يَجْمَعَ الغَزْوُ بَيْنَنَا ... وَفِي الغَزْوِ مَا يُلْقَى العَدُوُّ المُبَاغِضُ

«ما»: صِلَة، والمعنى وفي الغزو يُحتَاجُ إلى الصّديق المُخَالِصِ؛ إذ كان إنما يُلْقَى فيه العدو المباغض، فهذا وجه، ويجوز أن يكون المعنى: وفي الغزو قد يُلْقَى العدوُّ المباغضُ فكيف المُوَادُّ، والأوّل أشبه، وقال أبو هلال: أي لا نتقارب في غَزْوٍ ولا سَفَرٍ، والمتباغضان ربّما اجتمعا في سفرٍ وضَمَّهُمَا الغزوُ كما قال بعض الأعراب: [الطويل]

وَقَالَتْ لَنَا لَمَّا أَنَخْنَا بِبَابِهَا ... مِنَ آيَّةِ أَرْضٍ أَمْ مَنِ الرَّجُلانِ

فَقُلْتُ لَهَا أمَّا تَمِيمٌ فَأُسْرَتِي ... هُدِيتِ وَأَمَّا صَاحِبِي فَيَمَانِ

غَرِيبَانِ ضَمَّ السَّفْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتّى فَيَأْتَلِفَانِ(١)

٥ ـ وَيَتْرُكُ ذَا البَأْوِ الشَّدِيدِ كَأَنَّهُ ... مِنَ الذُّلِّ وَالبَغْضَاءِ شَهْبَاءُ مَاخِضُ

البَأْوُ: الكبر، يعني أنَّ الغزوَ يتركُ المتكبّر ممّا يناله من الذّلّ لبعض الخلاف كالماخِضِ؛ والمَخَاضُ: وَجَعُ الولادة، ويُستعمَلُ في أنواع الحيوان، يقال: مَخِضَتْ وَمُخِضَتْ، والطَّلْقُ لا يكونُ إلاّ في النساء، وإنّما خَصَّ الشَّهباءَ بِالذِّكْرِ لأنّها أنعم الإبلِ وأَرَقُّها وأقَلُّها صَبْرًا وأضعفُها، وقيل: أراد بالشَّهْبَاءِ خنزيرة، لأن الشُّهْبَةَ من ألوان الخنازير، أبو هلال: يقول: إنه يلين كلّ أحد ولا يلين هذا العدو.

٦ ـ فَسَائِلْ هَدَاكَ اللَّهُ أيُّ بَنِي أبٍ ... مِنَ النَّاسِ يَسْعَى سَعْيَنَا وَيُقَارِضُ

أي: سائِلْ أرشدكَ اللّهُ أيُّ بَنِي أبٍ يعملُ مِثْلَ عَمَلِنا، ويعطي القروض كما نعطي، ثم قال:

٧ ـ نُقَارِضُكَ الأمْوَالَ وَالوُدَّ بَيْنَنَا ... كَأَنَّ القُلُوبَ رَاضَهَا لَكَ رَائِضُ

أي: نعطيكَ أموالَنا ومحبّتَنا كأنَّ القلوبَ رِيضَتْ لَكَ.

٨ ـ كَفَى بِالقُبُورِ صَارِمًا لَوْ رَعَيْتَهُ ... وَلَكِنَّ مَا أعْلَنْتَ بَادٍ وَخَافِضُ

«بالقبور»: في موضع الرفع على أن يكون فاعل «كفى» وانتصب «صارمًا» على الحال أو التمييز، ولمّا كان القصدُ بِذِكْرِ القبور إلى ما يؤدّي إليها ـ وهو الأَجَلُ

---

(١) الشَّتَّى: جمع الشَّتيت: المتفرّق، وقوم شَتَّى: متفرّقون.

المَضروبُ ـ صَلُحَ أن يقول «صارمًا لو رَعَيْتَهُ» يقال: رَعَيْتُ النجومَ وراعَيْتُها، إذا رقبتها، وقوله «وخافض» أراد به ومنخفض، لكنه أخرجه مخرج النسبة، كأنه قال: وذو خَفْضٍ، هكذا ذكره بعضهم، والجيّد ما ذكره أبو العلاء، وهو أنه لم يذكرْ خافضًا مقابلاً به قوله «باد» ولكنه خبر معطوف على خبر، كما يقال: إنَّ فلانًا مُكْرِمٌ لكَ وكثير المال، يريد أن هذا الذي بَدَا منك خافضٌ لنا عند النّاس: أي ناقص منزلتنا في الشرف والعزّ، يقول: لو انتظرت الموت وصبرت على المجاملة مدّة العيش لَكان يكفيكَ عند حصوله ما تعجّلته من الصَّرْمِ.

قال أبو رياش: **كان سبب هذه الأبيات**: أن البُرْجَ بن مُسْهِر بن جُلاَس بن الأَرَتّ الطائي، واسم الأرتّ خالد، كان هو وعمّه أبو جابر قاعِدَيْنِ يَشْرَبَان وكانت امرأة أبي جابر جالسة، فانتشى البُرجُ فَقَبَّلها، ثمّ رأى عَمَّهُ وقد رآه، فاستحيا وكَفَّ، وقال: يا عَمِّي غلبني الشَّرَابُ، قال: أوَ لَمْ أرَكَ حين رأيْتَني كَفَفْتَ واستحيَيْتَ، ولو كان الشَّرَابُ غَلَبَكَ لم تَسْتَحِ، اذهبْ فواللَّهِ لا تجمعني وإيَّاك مَحَلَّةٌ ولا غزوةٌ، ولا نجتمعُ في بلدٍ، ولا أُكَلِّمك كلمةً أبدًا، فقال هذه الأبيات.

[٢٠٣] وقال قَبِيصَةُ بْنُ النصراني الجَرْمِيُّ:

١ ـ أَلَمْ تَرَ أنَّ الوَرْدَ عَرَّدَ صَدْرُهُ ... وَحَادَ عَنِ الدَّعْوَى وَضَوْءِ البَوَارِقِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قائل هذه الأبيات يعتذر من إحجام اتَّفَقَ منه وتَأَخُّرٍ عن الزَّحْفِ ظهرَ لِلنَّاس من فِعْلِهِ، فأخذ يُوَرِّكُ[1] بالذَّنْبِ على فرسِه وأن نفرته كانت السبب في نكوصه، فقال على سبيل التَّلَهُّفِ: أما عَلِمْتَ أنَّ فرسي الوَرْدَ انحرف عن المقصدِ صَدْرُهُ وتَولّى إلى غير الجهة التي أُريدُها، والبوارق: جمع بارقة السّيوف وسائر الأسلحة، والدَّعوى: قول الكماة: مَنْ يبَارز، وخذها وأنا فلان، وأشباهه، وقوله «عَرَّدَ صَدْرُه» أي: عَرَّدَ هو، كما تقول: ولى وجهه، والتَّعْرِيدُ: العدو، ومنه سُمِّيت العَرَّادة لأنها ترمي بالحجر المَرْمَى البعيد، ورُوِيَ «عَزَّ بِصَدْرِهِ» وهو أجود الرّوايتين.

٢ ـ وَأخْرَجَنِي مِنْ فِتْيَةٍ لَمْ أُرِدْ لَهُمْ ... فِرَاقًا وَهُمْ فِي مَأْزِقٍ مُتَضَايِقِ

الواو في قوله «وهم» واو الحال، والازقُ: الضِّيقُ في الحرب، وقال «متضايق» لأن ضِيقَ المَكَرِّ في المعارك يحصلُ شيئًا بعد شيء.

٣ ـ وعَضَّ عَلَى فَاس الـلِّجَامِ وَعَزَّنِي ... عَلَى أمْرِه إذْ رَدَّ أهْلُ الحَقَائِقِ

---

(١) ورَّكَ الذَّنبَ على غيره: أضافه إليه وحَمَّلَهُ إيّاه.

أهلُ الحقائق: هم الَّذين يبلغون فيما يَلُونَهُ ما يَحِقُّ ويَجِبُ: أي عَضَّ الفرسُ على الشَّكِيمَةِ، وغَلَبني على أمرِه، ولم أقدرْ على الكَرِّ إذ رَدَّ أهل الحقائق خيلهم إلى القنا طائعة إذ عصاني.

٤ ـ فَقُلْتُ لهُ لَمَّا بلَوْتُ بَلاءَهُ   وَأَنَّى بِمَتْعٍ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقِ

يقال: مَتَعَ بِكذا، واستمتعَ به، وَمَتَّعَه اللَّه، وأَمْتَعَهُ: أي من أين لي الاستمتاع من خليلٍ فارقته، وكيف أُساعده وأتحمّلُ عنه ثِقْلاً وقد باعدتَ بيني وبينه، «وأنّى بِمَتْعٍ»: في موضع المفعول لِقلتُ، ومَنْ روى «وَأُبْنَا تَمَتَّعْ» يدخل «وَأُبْنَا» في جملة ما اتَّصلَ بِلَمَّا، ويكون المعنى: ولمّا بلوتُ بَلاءَهُ وأكرهَني على مرادِهِ فانصرفنا من مقصدِنا قلت له متوجِّعًا: الآن تَمَتَّعْ من أجل خليل بَعَّدْتَ بيني وبينه، وجواب لمَّا في الوجهين قوله «فقلتُ» بما اتّصلَ به؛ وروى النمري «وأنّى بِمَنْعٍ من خليل مفارق» يقول: أراد خَليلُكَ فراقك فمنعُه من ذلك متعذِّر، قال: وأمَّا مَنْ روى «وأنى بِمَتْعٍ» فإنّما فَرَّ من لبس تلك الرواية، وهي المعروفة المشهورة، فاستراحَ وأراحَ، وَأُرِيهَا السُّهَا وَتُرِينِي القمر، كأنه قال لِفرسِه: تمتّعْ مني فإني مفارِقُكَ ببيعٍ أو هبةٍ أو اطِّراحٍ لِسوء بلائِكَ بي وإخراجِكَ من الحرب لي، ثم عاد إلى نفسه فقال: وأَنَّى يكون ذلك وقد جرَّبته قبل، وشهدتُ به الحرب، وأدركت عليه الثَّأْرَ، وَصِدْتُ عليه الوَحْشَ، وسبقتُ به الخيلَ، وعَدَّدَ سوابِقَه عنده وصنائِعَهُ إليه، فنفس به، وغفر تلك الزَّلّة له، وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الكامل]

ذَهَبَ ابْنُ فَسْوَةَ في بَنَاتِ طَمَارِ

يُضْرَبُ في الأباطيل. غلطَ في تفسير هذه الأبيات من جهات: منها أنه نسب الأبيات إلى قبيصة بن النصراني، وهي للأعرج المَعْنِيّ، ومنها أنه صَحَّفَ في قوله «وأنّى بِمَنْعٍ» وفي قوله «وأَنَّى بِمَتْعٍ» أيضًا، وفسَّرَهما على التصحيف، ومنها أنه لم يُفَسِّرْ قوله «وأَخرجني من فتية» والصَّوابُ ما أنْشَدَنَاه أبو النَّدى:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بَلاءَهُ   وَأُبْنَا تَمَتَّعْ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقِ

ولو عرفَ أبو عبد اللَّه صِحَّةَ مَتْنِ البيت لَكَان المعنى ينادي على نفسه، ولم يكنْ يحتاجُ إلى تسويدِ القَرَاطِيس بما لا فائدةَ فيه ولا طائلَ عِنْدَهُ، وكان من قصّة هذا الشّعر أن الأعرجَ المَعْنِيّ حاد به فرسه يوم قتلت بنو جديلة سبعة إخوة له يوم ناصفة وهو قوله: «وأخرجني من فتية ـ البيت».

٥ ـ أُحَدِّثُ مَنْ لاقَيْتُ يَوْمًا بَلاءَهُ   وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّنِي غَيْرُ صَادِقِ

بَلاَءَهُ: أي سُوءَ بَلائِهِ، يقول: إنّي إذا حَدَّثْتُ بذلك لم أُصَدَّقْ لأنه من نَسْلٍ كريمٍ، والظَّنُّ به خلافُ ما أتاه من الخلق الذَّميم، وله وجهٌ آخر، وهو أنّي إذا نحلته

الذَّنْبَ في إحجامي لم يُصَدِّقْني النَّاسُ وظَنّوا أني أحجمتُ وَجَبُنْتُ ونَحَلْتُهُ الذَّنْبَ مخافة العارِ.

[٢٠٤] **وقال أيضًا:**

١ - هَاجِرَتِي يَا بِنْتَ آلِ سَعْدِ

٢ - أَأَنْ حَلَبْتُ لِقْحَةً لِلْوَرْدِ

من سادس السريع، والقافية من المتواتر.

يُروَى «هَاجَرْتِنِي» على الخطاب، و«هَاجِرَتِي» والمعنى أنت هاجرتي، أو هاجرتي أنت، وقوله «يا ابنة آل سعد» يجوز أن يريد به يا ابنة سعد، فزاد الآل، كما تُزاد لفظة «حي» و«ذو»، ومثله قول الآخر: [البسيط]

إنَّ ابْنَ آل ضِرَارِ حِينَ أَنْدُبُهُ زَيْدًا سَعَى لِيَ سَعْيًا غَيْرَ مَكفورِ

أراد ابن ضرار، وأخرج قوله «أَأَنْ حَلَبْتُ»: مَخْرَجَ التَّقريع والتَّوبيخ وإن كان لفظه لفظ الاستفهام، لأنَّ المُرَادَ به ألأنْ حَلَبْتُ: أي أَلِهَذا الشَّأنِ كان منكِ الهجر لي.

٣ - جَهِلْتِ مِنْ عِنَانِهِ المُمْتَدِّ

٤ - وَنَظَرِي فِي عِطْفِهِ الأَلَدِّ

يجوز أن يكون زاد «من» على مذهب الأخفش في الواجب، أراد جَهِلْتِ عِنَانَهُ، ويكون قوله «ونظري» في موضع النَّصب عطفًا عليه، وعلى مذهب سيبويه يكون فيه وجهان: أحدهما أن يكونَ الكلامُ محمولاً على المعنى لأنَّ الجهلَ نَفْيُ العِلْم فكأنَّه لمّا قال «جَهِلْت» قال: ما عرفتِ وما علمتِ، والثاني أن يكون حذف مفعول جَهِلْت كأنّه قال: جَهِلْتِ من عِنانِه الطَّويل ما أعرفه من إكرامِه ونجابتِه: أي جَهِلْتِ امتدادَ عِنَانِه في الغارةِ، وإنَّما يمتدُّ عِنانُه لِطُولِ عُنُقِهِ ونظري في عطفه الذي لا يستقرُّ من المرح، وإنّما ينظر في عطفه لِعجبه به، والمُعْجَبُ بالشيء يُدِيمُ النَّظرَ إليه، وأصل الألَدِّ الشَّديد الخصومة، ومعناه هنا شدّة المرح حتى لا يستقرّ ولا يستقيم كما لا يستقرّ المخاصم ولا يستقيم.

٥ - إذا جِيَادُ الخَيْلِ جَاءَتْ تَرْدِي

٦ - مَمْلُوءَةً مِنْ غَضَبٍ وحَرْدِ

«إذا»: ظرف لما دَلَّ عليه قوله «في عِطْفِهِ الألدّ» و«تردي» في موضع الحال، والعامل فيه «جاءت»، و«مملوءة» حال، والعامل فيه «تَرْدِي»، والحَرْدُ: أصلُه القَصْد، وإذا استعمل بمعنى الغضب فهو راجع إليه.

[٢٠٥] وقال أيضاً:

١ - لَعَمْرُ أبِيكَ لاَ يَنْفَكُّ مِنَّا أخُو ثِقَةٍ يُعَاشُ بِهِ مَتِينُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

إذا رُوِيَ «لَعَمْرُ أخيكَ» فإنّه يجوز أن يريد بأخيه نفسه، كأنه قال لَعَمْرِي، وجعل نفسه أخاه على طريق الاستعطاف، ويجوز أن يكون المخاطب كان له أخٌ يعزُّ عليه ويُقْسِمُ بحياته، ولَعَمْرُ: مبتدأ، وخبره محذوف، كأنه قال: لَعَمْرُ أخيكَ قَسَمِي، أو ما أقسمُ به، ومعنى لا ينفكُّ: ما يزال، والمتين: كل صلب شديد، والمصدر المتانة، ومَاتَنْتُ الرَّجُلَ مُمَاتَنَةً إذا حاكَيْته ففعلت مثل ما يفعله من الشِّدّة.

٢ - مُفِيدٌ مُهْلِكٌ وَلِزَازُ خَصْمٍ عَلَى المِيزَانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينُ

قوله «لِزازُ خَصْمٍ» كالسِّناد والعِماد وما أشبههما، واللَّزُّ: أصله اللُّزومُ والثَّبَاتُ، على ذلك قولهم: لِزَازُ البابِ، ثم توسّعوا فقيل: هو مِلَزٌّ في الخصومة، ولزاز، وهو مُلَزَّزُ الخَلْقِ: أي مُجْتَمِعُهُ، يقول: يفيدُ أولياءَه الخيرَ ويُهْلِكُ أعداءَهُ ثم يَلْزَمُ خَصْمَهُ فلا يفارقُه أو يغلبه، وإذا وُزِنَ بغيرِه رَجَحَ عليه.

٣ - يَزِيدُ نَبَالَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةً وَبَعْضُ القَوْمِ دُونُ

النَّبَالَة: مصدر نَبُلَ، والنَّافلة: الفَضْل، ودون حقيقته: القاصر عن الشيء، هو دُونٌ في الرِّجالِ، وليس بِدون، فيجعل اسمًا: أي يقوم بما يلزمه وما لا يلزمه.

[٢٠٦] وقال خُفَافُ بن نَدْبَةَ(١):

خُفَاف: أخو خفيف في الوصف، يقال: شيءٌ خَفِيفٌ وخُفَافٌ، وله نظائر، وَالنَّدْبَة: المرأة الماضية، وجمع نَدْبٍ نُدَبَاءُ، والنَّدْبَةُ: المرّة الواحدة من قولك نَدَبْتُ الميتَ أنْدُبُهُ.

١ - أعَبَّاسُ إنَّ الَّذِي بَيْنَنَا أبَى أنْ يُجَاوِزَهُ أرْبَعُ

ثالث المتقارب، والقافية متدارك.

المخاطَب عباس بن مِرْدَاس، ومراد الشَّاعر أنْ يقولَ: يا عبَّاس إن الحُرُمَات الأربع التي تجمعني وإيّاك منعت أن يتخطّاها ما بيننا من الشَّرّ، فهو يقفُ دونها، وظاهر الكلام

(١) خُفَاف بن نَدْبة: ابن عمير بن الحارث بن الشريد السلميّ، من مضر، أو خُرَاشة، شاعر فارس من أغربة العرب، أخذ السواد من أُمه ندبة، وعاش زمنًا في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم (ت نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م) ترجمته في (الأغاني ١٦/ ١٣٣؛ والإصابة ١/ ٤٥٢؛ والشعر والشعراء ١٢٢؛ وخزانة البغدادي ١/ ٨١ و٤٧٢).

فيه قلب، لأنّه جعل الفعل الذي هو المجاوز لِلأربع، وهي الأبيّة من أن يجاوزها ما حدثَ بينهما، وصلح ذلك لأن المراد لا يلتبس، وعلى هذا قول الآخر: [المديد]

كَمَا أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا[1]

لأنَّ الوَهَقَ يُسْلِمُ الوحشيَّة، ويمكن أن يقال: إذا تعدَّى أحدُ الشَّيئين صاحبَه فقد صار الآخر تعدّاه أيضًا، وإذا كان كذلك ساغَ أن يجعل في الإخبار لكلّ واحدٍ منهما المجاوزة.

٢ - عَلائِقَ مِنْ حَسَبٍ دَاخِلٍ مَعَ الإِلِّ وَالنَّسَبِ الأَرْفَعِ

«علائق» تفسير الخصال الأربع التي أجملَها، والعلائق: جمع عِلاقة، وقوله «من حَسَبٍ داخلٍ» أي: مختلطٌ به، و«النَّسَبُ الأرفعُ»، يجوز أن يكون يعني به نسب الأب لأنه أقربُ النَّسَبَيْنِ، وأن يعني به النَّسب الرَّفيع العَلِيّ. والنسب: الرَّحِم؛ والإِلُّ: القرابة، والحَسَبُ: ما يعدّ به من الخصال الكريمة.

٣ - وَأَنَّ ثَنِيَّةَ رَأْسِ الهِجَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ لاَ تُطْلَعُ

كأنهما كانا تعاقدا أن لا يهجو أحدُهما صاحبَهُ.

٤ - وَأَبْغِضْ إِلَيَّ بِإِتْيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ آتِهَا أُدْفَعُ

قوله «وأبغض»: اسْتُعِيرَ فيها بناء الأمر للخبر لأن معناه التعجّب، والتعجّب خبر، كما يُسْتَعارُ بناءُ الخبرِ لِلأمر، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾[2] وموضع «بإتيانها»: رَفْعٌ على أنه فاعل، كأنه قال: بَغُضَ إتيانُها إلَيَّ جدًّا، يقول: ما أبْغَضَ إتيان عَقَبةِ الهجاءِ واطِّلاعَها إلَيَّ؛ لأنّي أربأُ بِنفسي عنه، ولو لم أتركْهُ تَأَثُّمًا وتَكَرُّمًا لَكانَ ما تعاقدنا عليه يدفعُني عنه ويمنعُني منه، فإذا: ظرف لقوله «أدفع» وقال أبو العلاء: يُرْوَى «أَدْفَع» بفتح الهمزة و«أُدْفَع» بِضمّها، يقول: بيني وبينك أسباب تُوجِبُ الرعاية، وتمنع من الهجاء، وإنّي لا أذكرُكَ بغير الخير، إلا أن تهجوني فأدفع عن نفسي، هذا في رأي مَنْ فتح الهمزة من «أَدْفَعُ»، ومَنْ ضَمَّها فالمراد إذا أنا لم آتِها وقد أُكْرِهْتُ على ذلك وأُلجِئْتُ إليه.

[٢٠٧] وقال مَعْبَد بن عَلْقَمَة[3]:

هو مَفْعَل من عَبَدْتُ اللّه، كقولك: ضَرَبْتُ زيدًا مَضربًا، ودخلتُ الدَّارَ مَدْخَلاً.

---

(١) هذا جزء من بيت بلا نسبة في المحتسب ٢/١١٨ وتمامه:

أسلموها في دِمَشْقَ كما أسلمت وحشيّةٌ وَهَقَا

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٣) مَعْبَد بن علقمة المازني: شاعر من الشجعان، يقال له «ابن أخضر» وأخضر هو زوج أمه، له=

١ - غُيِّبْتُ عَنْ قَتْلِ الحُتَاتِ وَلَيْتَنِي شَهِدْتُ حُتَاتًا حِينَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ[١]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الحُتَات: من قولك: حَتَتُّ الشَّيءَ اليابسَ عن الثّوب ونحوه، إذا حَكَكْتَهُ بِيَدِكَ أو بعودٍ حتى يزولَ، واستعمل الحُتَات بالألف واللاَّم ثم حَذَفَهما منه، وهم يفعلون ذلك في الأسماء التي أصلها أن تكون صفاتٍ أو مصادرَ، ولم يستمرّوا في ذلك على قياس، إلاَّ أن الضّرورة تطلق لهم أن يدخلوا الألف واللاّم على كلِّ الأعلام، وذلك أنَّهم إذا ثَنَّوْهَا أو جمعوها جاؤوا بعلامة التّعريف؛ لأنها تصيرُ نَكِرَات، فهم يقولون في اسم الرجل: العباس وعباس، والضَّحَّاك وضَحَّاك، قال الشَّاعر: [الطويل]

عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَان وَاقِفٌ بِسَيْفِ رَسُولِ اللّهِ وَالمَوْتُ كَانِعُ

وإنما يقولون في غير الشّعر: قال الضَّحَّاكُ، فيستعملونه بالألف واللاّم، وكذلك يقولون: المُرَقِّش الشّاعر، وهذا البيت يُروَى له: [الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامِ أنَّ مُرَقِّشًا أضْحَى عَلَى الأَصْحَابِ عِبْئًا مُثْقِلاَ

فإذا جَرَتْ عادتُهم بمنع الاسم من الألف واللاَّم مثل محمّد وعليّ ومالك فلا يدخلونهما عليه إلاَّ عند الضَّرورة، وإذا كان أصل التسمية بالألف واللاّم كالحارث والقاسم هان عليهم أن يحذفوا علامة التعريف، وقوله «حين ضُرِّجَ بالدّم» فهو من الضَّرْجِ، وهو الحمرة، والإضريج: ضرب من الخَزِّ أحمر، ويقال: ضَرَّجْتُ الثوب، إذا صبغته بالحمرة خاصة، وتَضَرَّجَ الخدُّ عند الخجلِ.

٢ - وفي الكَفِّ مِنِّي صَارِمٌ ذُو حَقِيقَةٍ مَتَى مَا يُقَدَّمْ في الضَّرِيبَةِ يُقْدِمِ

الحقيقة: ما يصير إليه حقّ الأمر ووجوبه.

٣ - فَيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٍ وَلَفِيفُهَا بِأنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الحُتَاتِ بِمُحْرِمِ

يقال: أحرمَ الرَّجُلُ، إذا دَخَلَ في الحَرَمِ، أو في الشَّهرِ الحَرَامِ، وفسّر قول الراعي: [الكامل]

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الخَلِيفَةَ مُحْرِمًا[٢]

= مواقف وأشعار في حرب الخوارج (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م) (ترجمته في رغبة الآمل ٧/١٩٧؛ والكامل ص ٥٩١ و٥٩٢؛ والأعلام ٨/١٧٧).

(١) عند المرزوقي «يومَ خُرِّجَ بالدّم».

(٢) البيت في جمهرة أشعار العرب ص ١٧٦؛ والخزانة ١/٥٠٣؛ واللّسان والمقاييس (حرم)، وعجزه: «ودعا فلم أَرَ مثله مقتولاً».

على أنّه كان له حرمة الإمامة والبلد والشّهر؛ لأن قتله كان في ذي الحجّة، وانتصب «فيعلم» على أنه جواب التَّمَنِّي.

٤ ـ فَقُلْ لِزُهَيْرٍ إنْ شَتَمْتَ سَرَاتَنَا فَلَسْنَا بِشَتَّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ

المُتَشَتِّم: المُتَحَكِّك بِالشَّتم والمتعرِّض له، ويصلحُ أن يكون للجنس فيدخل فيه زهير وغيره، ويصلحُ أن يُرادَ به زهير خاصة.

٥ ـ وَلَكِنَّنَا نَأْبَى الظَّلامَ وَنَعْتَصِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُصَمِّمِ

الظَّلامَ وَالظُّلامَةُ وَالمَظْلِمَةُ واحدٌ، وقوله «ونعتصي» يقال: عَصَيْتُ بالسَّيفِ واعتصيتُ، وَعَصَوْتُ بِالعَصَا، ومَرَّ يَعْتَصِي على العَصَا: أي يَتَوَكَّأُ عليها، والتَّصْمِيم: المضيُّ في الأمر.

٦ ـ وتَجْهَلُ أيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتِمُ بِالأَفْعَالِ لا بِالتَّكَلُّمِ

أفعالُ جملةِ الإنسانِ تُنْسَبُ إلى جوارِحِه على المجازِ والسَّعَةِ، فلذلك نَسَبَ الجهلَ إلى الأيدي، والمعنى: إنَّ مَا يُذَمُّ من أفعالِ القلوبِ لا نكتسبُه بوجهٍ، بل فيه الرَّأيُ الثَّاقبُ.

٧ ـ وَإنَّ التَّمَادِي في الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهُ أوْ تَقَدَّمِ

هذا تَوَعُّدٌ، يقول: أَمْرُ اللَّجَاجِ والاستمرار فيما يزيد ما بيننا فسادًا أنتَ قادر عليه، فإن شِئْتَ فَتَقَدَّمْ عليه، وإنْ شِئْتَ فتأَخَّرْ عنه.

[٢٠٨] وقال بَعْض لصوص طَيِّىء:

١ ـ وَلَمَّا أنْ رَأَيْتُ ابْنَي شُمَيْطٍ بِسِكَّةِ طَيِّىءٍ وَالبَابُ دُونِي

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

هذا اللّص كان أُنْهِيَ حالُه إلى عليّ عليه السّلام، قال أبو هلال: هو شَبِيب بن عَمْرو بن كُرَيْب، وكان يصيب الطريق في أيام عليّ، فوَجَّه في طلبه ابني شُمَيْطٍ فأحسَّ بذلك وركب فرسه العصا فنجا به، وذكر قِصَّته في هذه الأبيات وعنى بالباب المسالح أو باب البلد.

٢ ـ تَجَلَّلْتُ العَصَا وَعَلِمْتُ أنِّي رَهِينُ مُخَيَّسٍ إنْ أدْرَكُونِي

تَجَلَّلْتُ: جواب «لمّا»، وتَجَلَّلته: أي رَكِبْتُهُ فصرتُ فوق ظهرِه بمنزلة الجُلِّ، ومُخَيَّسٌ: اسم سجن بناه عَلِيٌّ بالكوفة، والتَّخْيِيس: التَّذْلِيل، قال: [البسيط]

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ والعَمَدِ

وقال: [الرجز]

أمَا تَرانِي كَيِّسًا مُكَيِّسَا
بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسَا
سَوْطًا مَتِينًا وَأمِيرًا كَيِّسَا[1]

ونافع: سجن بناه أيضًا.

٣ - وَلَوْ أنّي لَبِثْتُ لَهُمْ قَلِيلاً لَجَرُّونِي إلَى شَيْخٍ بَطِينِ

هذه صفة عليّ عليه السّلام، ورُوِيَ عن النّبي ﷺ في عِظَم بطنِه أنه قال: «هو لِكَثْرَةِ عِلْمِهِ»، وقوله «قليلاً» يجوز أن يكون ظرفًا، يريد زمانًا قليلاً، وأن يكون صفة لمصدر محذوف، يريد لبثًا قليلاً.

٤ - شَدِيدِ مَجَامِعِ الكَتِفَيْنِ باقٍ عَلَى الحَدَثَانِ مُخْتَلِفِ الشُّؤُونِ

مختلف الشؤون: يعني طرائقه في زُهدِهِ وعِلْمِه وبأسِهِ، وإقدامِه في ذات اللّه، فقال عليّ: والذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبرأ النَّسمةَ لو ظفرتُ به لَصَدَقْتُ ظَنَّهُ.

[٢٠٩] وقال حُرَيْث بن عَتّاب بن مَطَر بن سِلْسِلة بن كَعْب بن عَوْف:

١ - لَمَّا رَأيْتُ العَبْدَ نَبْهَانَ تَارِكِي بِلَمَّاعَةٍ فِيهَا الحَوَادِثُ تَخْطِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

لَمَّا: عَلَمٌ لِلظَّرْفِ، وهو لوقوع الشَّيء لوقوع غيره، وأراد بني نبهان فذكرَ الجَدَّ والمُرَادُ القَوْمُ، وسَمَّاهُ العبدَ تَهجينًا له ورَمْيًا إياه بِاللُّؤْم، واللَّمَّاعَة: المفازة تلمع بِالسَّرَابِ، وجعلها مَخُوفةً لا تُؤْمَنُ فيها نوائبُ الدَّهْرِ، وتَخْطِرُ: تَحْدُثُ وتعترضُ، ولا يمتنع أن يكون جعل اللَّمَّاعة كناية عن الأمر الشَّديد والدَّاهِية المُنْكَرة، ويكون قوله «تاركي بِلَمَّاعَةٍ» كما يقال: تركته بحالِ سوءٍ.

٢ - نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وبِابْنَيْ مُعَرِّضٍ وَسَعْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِ اللّهُ يَنْصُرُ

أي: لمَّا تركني نَبْهَان بهذه المفازة نَصَرني هؤلاء القوم، بلِ اللّه ينصرُ: أي بتوفيقه أُنْصَرُ.

٣ - وَلِلّهِ أعْطَانِي المَوَدَّةَ مِنْهُمُ وَثَبَّتَ سَاقِي بَعْدَمَا كِدْتُ أعْثُرُ

٤ - إذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأيْتَهُمْ لَهُمْ قَائِدٌ أعْمَى وَآخَرُ مُبْصِرُ

(١) ورد هذا الرجز في تاج العروس (خيس) والبيت الثالث: «بابًا حصينًا وأمينًا كَيِّسًا».

يجوز أن يكون الضَّمير في «لهم» لِناصِرِيهِ وهم الَّذين سَمَّاهم، ويكون الكلام مَدْحًا، ويجوز أن يكون لِخَاذِلِيه، ويكون الكلام ذَمًّا، ووجه المدح أن يكون المراد بقوله «إذا رَكِبَ النَّاسُ الطَّريقَ» أي: إذا انْتَوتْ نِيّاتُهم رأيت هؤلاء القوم لِعِزِّهِم وَمَنَعَتِهِم يُسَيِّرُهم اللَّيلُ والنَّهارُ؛ فالقائدُ الأعْمَى هو اللَّيْلُ، والآخَرُ المُبْصِر هو النَّهارُ، ووجه الذَّمِّ أنَّهم لِجَهْلِهم وسوءِ تَأَتِّيهِمْ إذا أبصرَ النَّاسُ مراشِدَهم وجدتَ هؤلاء يَسْتَضِيئُون برأي كلِّ واحدٍ، فهم تَبَعٌ لِكُلِّ مَنْ يشير عليهم صوابًا كان أو خطأً.

٥ ـ لَهُمْ مَنطِقَانِ يَفرَقُ النَّاسُ مِنهُمَا وَلَحْنَانِ مَعْرُوفٌ وآخَرُ مُنْكَرُ

إذا جُعِلَ الكلامُ مَدْحًا على ما تقدَّم فمعناه أنهم شعراء خطباء فالنَّاسُ يرهبون نَثْرَهم ونَظْمَهُم، ومعنى قوله «لحنان معروفٌ وآخَر مُنْكَر» أي: إنَّ لهم اصطناعًا لمواليهم فلحنُهم فيه لحنٌ معروفٌ حَسَنٌ مَرْجُوٌّ واستئصالاً لِمُعَادِيهم فلحنُهم فيه مُنْكَرٌ مَخُوفٌ، وإذا جُعِلَ ذَمًّا: يريد أنهم ذَوُو وجوهٍ مختلفةٍ وأفعالٍ غير صادقة ولهم تعريضان أحدهما يعتادونه عند نَكْثِ العهود فقد عرفه النَّاسُ من أفعالهم والآخر يتعاطونه عند إعمالِ الحِيَلِ فهو خافٍ بعد مَنكور.

٦ ـ لِكُلِّ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رِباعَةٌ وَخَيْرُهُمُ في الخَيْرِ وَالشَّرِّ بُحْتُرُ

أي: لكلِّ واحدٍ منهم أمر مستقيم وتدبير مرضيّ، وأفضلهم في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ بُحْتُر بن عَتُود، ويقال: ما في بني فلان أحد يَضْبِطُ رِبَاعَتَهُم غيرُ فلانٍ، ورِبَاعَتهم: أي أمرهم واستقامتهم، ويقال: تركناهم على سَكَناتِهم ورباعتهم أي على حالتهم الحَسَنَة، ولا يقال ذلك في غير الحسن، ويقال أيضًا: هو على رباعة قومه، وهو ذو رباعة قومه: أي سَيّدهم، فعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لِكلّهم ذو رباعة فحذف المضاف ويؤيّدُ هذا قوله «وخَيْرُهم في الخيرِ والشَّرِّ بحترُ» وقال أبو هلال: الرّباعة: ما ينبغي حفظه ورعايته، يقال: ما في بني فلان مَن يُضْبَطُ رباعته غير فلان: أي شأنه وأمره، وبنو فلان على رباعتهم: أي على مواضعهم في الجاهلية، قال الشَّاعر: [البسيط]

مَا في مَعَدٍّ فَتًى يَحْمِي رِبَاعَتَهُ إذَا يَهُمُّ بِأَمْرٍ صَالِحٍ فَعَلا

وقال ابن الخيّاط: يقول: لِكُلِّ هؤلاء أمرٌ وشأنٌ، وخَيْرُهم بُحْتُرٌ، ولا يَصْلُحُ لِلرِّياسةِ والسِّياسةِ لأنه لئيمٌ دَنِيءٌ.

[٢١٠] وقال أَبَانُ بن عَبْدَة:

أخرى[١] «عبيدة». أبو هلال: عَبْدَة بن عَيَّار بن مسعود بن جابر بن عمرو بن جَزْء.

---

(١) أي في نسخة أخرى.

١ - إذَا الـدِّيـنُ أَوْدَى بِـالـفَـسَـاد فَـقُـلْ لَـهُ يَـدَعْـنَـا وَرَأْسًـا مِـنْ مَـعَـدٍّ نُـصَـادِمُـهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أَوْدَى: أي فسدَ حتى هَلَكَ، والدِّين يجوز أن يريد به الطَّاعة والائتلاف هٰهنا، ويجوز أن يُراد به دين الإسلام، وقوله «أودى بالفساد»: أي بما ظهرَ من وُلاَةِ الأمر حين جعلوا الخلافة مُلْكًا، وقيل: أراد بالفسادِ الحربَ المعروفةَ بحربِ الفَسَادِ، والرَّأْسُ: الجماعةُ الكثيرةُ، ونُصَادِمُه: نُدَافِعُه ونصاكّه، و«نصادمه» في موضع الحال: أي مصادمين له، وقوله «يدعنا» إن شئتَ قلت: انجزمَ بلام الأمر وقد حذف، كأنه قال: ليدعنا، وإن شئت قلت: جُزِمَ على أنه جواب أمر محذوف كأنه قال: قل له دَعْهُم يَدَعْنَا، وعلى هذا قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1] كأنه قال: قل لهم افعلوا يفعلوا، وقوله «قل له» يعني الخليفة، وأصل الصَّدْم ضَرْبُكَ الشَّيءَ بشيء صلب.

٢ - بِـبِـيـضٍ خِـفَـافٍ مُـرْهَـفَـاتٍ قَـوَاطِـعٍ لِـدَاوُدَ فِـيـهَـا أَثْـرُهُ وَخَـوَاتِـمُـهْ[2]

الباء في قوله «ببيض» تتعلّق بِنُصَادِمُه من البيت الأول، وجعل السيوف خفافًا لِسرعةِ الضَّاربين بها، وقوله «لِدَاودَ فيها»: يعني عِتْقَها، وداود إنما سَرَدَ الدُّروعَ لمّا لَيَّنَ اللَّهُ الحديدَ له معجزةً، لا السّيوف، ولكن القصد إلى العِتْقِ والقِدَمِ.

٣ - وَزُرْقٍ كَـسَـتْـهَـا رِيـشَـهَـا مَـضْـرَحِـيَّـةٌ أَثِـيـثٌ خَـوَافِـي رِيـشِـهَـا وَقَـوَادِمُـهْ

عَنَى بِالزُّرْق نِصَالاً مَجْلُوَّةً، والمَضْرَحِيُّ: الكريمُ من الصّقور، وقيل: هو ما طالَ جناحاه منها، وتُوُسِّعَ فيه فقيل لِلسَّيِّدِ السَّرِيِّ: مَضْرَحِيٌّ، والقوادمُ: كِبارُ الرِّيشِ، والخَوَافي: صِغَاره، أي ألبسها الصَّانع فجعلَ الإلباسَ لها لأنَّ الرِّيشَ فيها، أعني المضرحيّة، وأثيث: رُفِعَ على الابتداء، وكلُّ مُلْتَفٍّ من النّباتِ وغيره أثيثٌ.

٤ - بِـجَـيْـشٍ تَـضِـلُّ فِـي حَـجَـرَاتِـهِ بِـيَـثْـرِبَ أُخْـرَاهُ وَبِـالـشَّـامِ قَـادِمُـهْ

يثرب: مدينة النّبيّ ﷺ، يريد أن هذا الجيش لِكَثْرَتِه يأخذ ما بين المدينة إلى الشّام.

٥ - إذَا نَـحْـنُ سِـرْنَـا بَـيْـنَ شَـرْقٍ وَمَـغْـرِبٍ تَـحَـرَّكَ يَـقْـظَـانُ الـتُّـرَابِ وَنَـائِـمُـهْ

يقظان التُّراب: ما وُطِىءَ بالأرجل وسُلِكَ، فكأنَّ تُرَابَهُ مُنْتَبِهٌ، والنَّائم: الَّذي لم يُوْطَأْ ولم يُسْلَكْ، فكأنَّ ترابَه نائمٌ، يقول: نملأُ الأرضَ مَسْلُوكَها ومتروكَها مِنْ كَثْرَتِنا.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

(٢) الأَثْرُ: فِرِنْدُ السَّيْفِ.

[٢١١] وَقَالَ أُنَيْفُ بن حَكيم النَّبْهَانِيّ[١]:

١ - جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ　　كَتَائِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أراد من حَيَّيْ عوف ومالك، فاكتفى بالتوحيد عن التَّثنية، والإقراف: هُجْنَةٌ تَلْحَقُ من قِبَلِ الأبِ، وخَصَّهُم بِالذِّكْرِ لأنَّهم عنده لا يأنفون من التقصير في الحرب فتهلكهم.

٢ - لَهُمْ عَجُزٌ بِالحَزْنِ فَالرَّمْلِ فَاللِّوَى　　وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّيْ جَدِيسٍ رِعَالُهَا

رَتَّبَ النَّسَقَ بالفاء لما يُفِيدُهُ من التَّعقِيبِ بلا مُهْلَةٍ، وفي الأمر العام يُقْطَعُ الحَزْنُ - وهو ما غَلُظَ من الأرضِ - إلى ما يَسْهُلُ من الرَّمْلِ إلى مُسْتَرَقِّهِ، وهو اللِّوى، وأراد حَيَّيْ جَدِيس وطَسْم، فاكتفى بِذِكرِ أحدهما عن الآخر، وأراد بِلاَدَ حَيَّيْ جَدِيس وطَسْم، فحذف المضاف.

٣ - وَتَحْتَ نُحُورِ الخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ　　تُتَاحُ لِغِرَّاتِ القُلُوبِ نِبالُهَا

الحَرْشَفُ: الجماعةُ من الرَّجَّالَة، وتُتَاحُ: تقدرُ، والرَّجْلَةُ وَالرِّجْلَةُ: الرَّجَّالَةُ، وقال قوم: الرِّجْلَةُ جمعُ رَجْلٍ، والمعنى متقاربٌ يَصْدُرُ عن شيءٍ واحدٍ.

٤ - أَبَى لَهُمْ أنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أنَّهُمْ　　بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيرًا عِيَالُهَا

امرأةٌ ناتِقٌ: كثيرةُ الولد.

[٢١٢] وقال الكَرَوَّس بن زَيْدِ[٢] بن حِصْن بن مَصَاد بن مَعْقِل:

كَرَوَّس: فَعَوَّل منقول، وأصلُه الضَّخْمُ الرَّأسِ، قال أبو النجم: [الرجز]

أخْشَى عَلَيْكَ الأَسَدَ الكَرَوَّسَا

وقال عبد اللَّه بن الزَّبير الأسديّ: [الطويل]

لَعَمْرِيَ قَدْ جَاءَ الكَرَوَّسُ كَاظِمًا　　عَلَى نَبَإٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجِيعِ[٣]

والكَرَوَّس: أوّلُ مَنْ جاء بخبر الحَرَّةِ إلى الكوفة.

١ - رَأَتْنِي ومِنْ لُبْسِي المَشِيبُ فأَمَّلَتْ　　غَنَائِي فَكُونِي آمِلاً خَيْرَ آمِلِ

---

(١) هذه الحماسية تكرار للحماسية رقم ٣٤ مع اختلاف بسيط في الرواية.

(٢) الكَرَوَّس بن زيد: شاعر إسلامي من أهل الكوفة حبسه مروان بن الحكم وله في ذلك أبيات (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م) (ترجمته في المرزباني ٣٥٦؛ والآمدي ١٧١؛ والتاج ٤/ ٢٣٢)؛ والأبيات في الزهرة ٢/ ٥٨٩.

(٣) البيت في تاج العروس (كرس) وفيه «للصالحين» بدل «للمؤمنين».

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: رأتني هذه القبيلة في هذه الحالة فَعلَّقَتْ رَجَاءَها بِغَنائي وكِفَايتي، فقلت لها: كُوني آملاً خيرَ آمِلٍ، وهذا الكلامُ يجوز أن يكونَ المُرَادُ به دُومي على أَمَلِكِ وكُوني خير آمِلٍ فسأَصْدُقُ ظَنَّكِ، ويجوز أن يكونَ دعاءً لها: أي جَعَلَكِ اللَّهُ خيرَ آمِلٍ، وخَيْرُ الآمِلِينَ مَنْ يُبَلِّغُهُ اللَّهُ مَأْمُولَهُ، وإنّما قال كوني آملاً ولم يقلْ آمِلَة لأن المراد كوني حَيًّا آمِلاً.

٢ ـ لَئِنْ فَرِحَتْ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحَتْ بِيَ بَيْنَ أَيْدِي القَوابِلِ

يقول: إن كانت هذه القبيلة سُرَّتْ عند استكمالِ رَأْيِي بتجربتي فَحُقَّ لها ذلك؛ فقد استبشرتْ بي عند ولادتي، واللاَّم في قوله «لَئِنْ» دخلتْ مُوَطِّئَةً لِلقَسَمِ، وجوابُ القَسَمِ المَنْوِيّ «لقد فَرِحَتْ».

٣ ـ أَهَلَّ بِهِ لَمَّا اسْتَهَلَّ بِصَوْتِهِ حِسَانُ الوُجُوهِ لَيِّنَاتُ الأَنَامِلِ

نقلَ اللَّفظَ إلى الغَيْبَةِ بعد أن كان في حديث نَفْسِهِ على عادتِهِم في تصاريفِهِم، والإهلالُ والاستهلالُ: رَفْعُ الصَّوْتِ، أي: لَمَّا سَقَطْتُ من بطنِ أُمِّي فاسْتهلَلْتُ ـ أي صحتُ ـ أهْلَلنَ أي رَفَعْنَ أصواتهنّ فَرَحًا بي لِمَا رَأَيْنَ من علامات النَّجَابَةِ عَلَيَّ، وقال «لَيِّناتُ الأناملِ» أي: هُنَّ مُنَعَّمَات مُتْرَفَات لا يَخدمْنَ فتغلظَ أنامِلُهُنَّ.

[٢١٣] وَقال قَوَّالٌ الطائي:

١ ـ قُولاَ لِهَذَا المَرْءِ ذُو جَاءَ ساعِيًا هَلُمَّ فَإِنَّ المَشْرَفِيَّ الفَرَائِضُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

هذه قِيلَتْ في مُصَدِّق تَقَدَّمَ ذِكرُه في قصّة مَعْدَان بن عبيد مع مَرْوَان[١]، والفرائضُ: الأسنان التي تَصْلُحُ أن تُؤْخَذَ في الصَّدَقاتِ، والسَّاعِي: الوَالي على الصَّدَقَةِ؛ سعى فلانٌ إذا ولِّي الصَّدقة، قال الشاعر: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ

والعِقالُ: صَدَقَةُ عام، وهذا مأخوذ من المثل السَّائر: «خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ»[٢]. وَجِذْعٌ: رَجُلٌ أتاه مُصَدِّقٌ فطلب منه فوق حَقِّه فقتله جِذْعٌ.

٢ ـ وَإِنَّ لَنَا حَمْضًا مِنَ المَوْتِ مُنْقَعًا وَإِنَّكَ مُخْتَلٌّ فَهَلْ أَنْتَ حامِضُ

المُنْقَعُ: الثَّابت، يقال: أَنْقِعْ له الشَّرَّ حتى يَسْأَمَ: أي أدِمْهُ، وَالمُخْتَلُّ: الرَّاعي

---

(١) انظر الحماسية رقم ٢٠١.

(٢) المثل في مجمع الأمثال ١/٢٣٢، وهو يُضرَب في اغتنام ما يجود به البخيل.

الخُلَّة، وهذا مَثَلٌ، يقول: مللتُ العافية والسَّلامة فهلمَّ إلى الشَّرِّ، والخُلَّة مَثَلٌ ضربه لِلحياة، والحمض مَثَلٌ ضربه للموت، يقول: إنْ ضَاقَ صدرُكَ من الحياة فَأْتِني مُصَدِّقًا فإنِّي أقتلكَ.

٣ ـ أظُنُّكَ دُونَ المَالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَغِي سَتَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنُّفُوسِ قَوَابِضُ

قوله «دونَ المال»: تعلَّق بِأظنُّكَ، ولا يجوز أن يتعلَّق بقوله «جِئْتَ» ولا بـ «تبتغي» لأن «ذو» تطلب من الصّلة ما يطلبه «الذي»، وإذا كان كذلك فما في صِلَتِه لا يعمل فيما قبله، وقصدَ الشَّاعر إلى التَّهَكُّم وقد خلطَ به التَّوَعُّدَ والاستهانة، لذلك قال: أظنّكَ، وقوله «ذو جئت» في موضع المفعول الثاني[1] و«تبتغي» في موضع الحال، ومفعوله محذوف، والمعنى أحسبُكَ الذي جاء دونَ المالِ تبتغي صَدَقاتِهِ، سَتَرى ما أُعِدَّ لكَ من سيوفٍ تنتزعُ الأرواحَ.

[٢١٤] وقال وَضَّاح بن إسماعِيل[2] بن عبد كُلاَل بن داود بن أبي حَمْد:

وهو المعروف بوضَّاحِ اليمن.

١ ـ صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إلَيْكِ مَيْلاَ وَأَرَّقَنِي خَيَالُكِ يَا أُثَيْلاَ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الخيال: يُذَكَّر ويُؤَنَّث، وَأُثَيْل: ترخيم أُثَيْلَة، وهي اسم امرأة.

٢ ـ يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلاَ

دقيقُ محاسِنِها كالعينِ والأنفَ والأسنان والفَمِ، و«تُكِنُّ غَيْلا» أي: تسترُ ما جَلَّ منها كالمِعْصَم والسَّاعد والسَّاق والفخذ.

٣ ـ ذَرِينِي مَا أَمَمْتُ بَنَاتِ نَعْشٍ مِنَ الطَّيْفِ الَّذِي يَنْتَابُ لَيْلاَ

«ما أَمَمْنَ»[3]: نصب على الظرف أي مُدَّةُ أَمِّها، لأنَّ «ما» مع الفعل في تقدير مصدرٍ، وبناتُ نَعْشٍ: من الكواكب الشَّامِيّة، وكان غَزْوُهُ نحو الرّوم يقول: ذَرِيني من طَيْفِكِ حين أؤمُّ بناتِ نعشٍ: أي حين أقصدُ قَصْدَ الشَّامِ نحو الغَزْوِ؛ و«ليلاً» انتصبَ على الظَّرف، ويُروَى «يأتابُ ليلاً» مِنَ الأَوْبِ والأوّلُ أحسن.

(١) ذو جئتَ تبتغي: معناه «أظنُّكَ دون المال الذي جئتَ تبتغيه» فيكون صفة للمال، والعائد إلى الموصول محذوف.

(٢) وضاح اليمن: هو عبد الرحمٰن بن إسماعيل وهو من شعراء الدولة الأموية. ترجمته في الأغاني (٦/ ٣٠).

(٣) ما أممنَ: هذا اللفظ في رواية المرزوقي وليس في هذه الرواية، وقد فسَّره، أما رواية التبريزي فالأصحّ أن يقول: «ما أَمَمْتُ: أي مُدَّةَ أَمِّي».

٤ ـ وَلـكِـنْ إنْ أرَدْتِ فَـهَـيِّـجِـيـنَـا   إذَا رَمَـقَـتْ بِـأعْـيُـنِـهَـا سُـهَـيْـلاَ

يقول: إذا قَضَيْتُ أرَبي ورَمَقَت رِكابي سُهَيْلاً متوجّهةً بي إلى اليمن فهيِّجيني حينئذٍ إنْ أردتِ تَهييجي.

٥ ـ فَـإنَّـكِ لَـوْ رَأيْـتِ الـخَـيْـلَ تَـعْـدُو   عَـوَابِـسَ يَـتَّـخِـذْنَ الـنَّـقْـعَ ذَيْـلاَ

أي: لو رأيتِ الخيلَ كَوالحَ مِمَّا أصابَها من النَّصَبِ وهي ترفعُ الغُبَارَ وتَعْدُو فيه فكأنّها اتَّخَذَتْهُ ذَيلاً.

٦ ـ رَأَيْتِ عَـلَـى مُـتُـونِ الـخَـيْـلِ جِـنًّـا   تُـفِـيـدُ مَـغَـانِـمًـا وَتُـفِـيـتُ نَـيْـلاَ

أي: تفيد المغانمَ من أعدائها، وتُفِيتُهُم نَيْلَ شيءٍ منها.

[٢١٥] وقال آخر[١]:

١ ـ لاَ قُـوَّتِـي قُـوَّةُ الـرَّاعِـي قَـلاَئِـصَـهُ   يَـأوِي فَـيَـأوِي إلَـيْـهِ الـكَـلْـبُ وَالـرُّبَـعُ[٢]

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

يقول: ليس غَنَائي في الأمور وكِفايتي غَنَاءُ الرُّعَاةِ الَّذِين سَعْيُهم مَقْصُورٌ على ضَمِّ القِلاَصِ وحِفْظِهَا في مَرَاعِيها، فإذا أَوَى إلى موضعٍ أَوَى إليه كلبُه الذي يحرسُ به ورُبَعُهُ، وهو مَا نُتِجَ في الرَّبِيع.

٢ ـ وَلاَ الـعَـسِـيـفِ الَّـذِي يَـشْـتَـدُّ عُـقْـبَـتَـهُ   حَـتَّـى يَـبِـيـتَ وَبَـاقِـي نَـعْـلِـهِ قِـطَـعُ

العَسِيفُ: عَطْفٌ على الرَّاعِي، وهو الأجيرُ والعبدُ، يقال: كم أعْسِفُ عليك: أي كم أعملُ لكَ، وقوله «يَشْتَدُّ عُقْبَتَهُ» نصبٌ على الظَّرْفِ: أي وقت عقبته، كأنه يعاقبُ الرّكوبَ بينهما، أو الأمر يركب: هذا عقبة، وهذا عقبة، والعُقْبَةُ، قِيلَ: فرسخان، وبعضهم يرويه «تَشْتَدُّ عُقْبَتُه» بالرّفع، ويجعل تشتدُّ من الشّدّةِ: أي تشتدُّ عُقْبَتُهُ عليه، والصَّواب ما تَقَدَّمَ، وليس يريد أنَّ له عُقْبَةً فيتركها ويعدو، لكنَّ المعنى إذا كان لِغيره نَوبَةٌ في الرُّكوبِ لِمُعاقَبَتِه صاحِبَه فنوبَتُهُ الشَّدُّ والخِدْمَةُ حتى يأتي عليه المساءُ، وقد تَقَطَّعَ ما بَقِيَ من حذائِه، وقوله «وباقي نعلِهِ قِطَعُ»: في موضع خبر «يبيتُ» تقديره يبيت منقطعَ باقي النَّعْلِ.

٣ ـ لاَ يَـحْـمِـلُ الـعَـبْـدُ فِـيـنَـا فَـوْقَ طَـاقَـتِـهِ   وَنَـحْـنُ نَـحْـمِـلُ مَـا لاَ تَـحْـمِـلُ الـقِـلَـعُ

---

(١) هو وضاح اليمن صاحب الحماسية السابقة، وقد وردت الأبيات في الحيوان ١/ ٢٦٥؛ وشروح سقط الزند ص ٢٠٦.

(٢) رواية الجاحظ «ركائبه» بدل «قلائصه».

أي: لا نُكَلِّفُ العَبْدَ إلاَّ دونَ ما يُطِيقُه إبقاءً عليه، ونحن نحتملُ من مَشَاقِّ الأمور ما لا تُطِيقُهُ الجبالُ، وَالقِلَعُ: الهِضَابُ العِظَامُ، وبها سُمِّيَ الحصنُ المبنيُّ فوقَ الجبلِ قَلْعَةً، ويقال: أقلعَ فلانٌ قَلْعَةً إذا بَنَاها، وبها سُمِّيَتِ السَّحَابُ العِظام قِلَعًا أيضًا.

٤ ـ مِنَّا الأَنَاةُ وَبَعْضُ القَوْمِ يَحْسَبُنَا ... أَنَّا بِطَاءٌ وَفِي إِبْطَائِنَا سَرَعُ

الأَنَاةُ: الرِّفْقُ، والسَّرَعُ وَالسُّرْعَة واحد.

[٢١٦] وقال عَمرو بن مِخْلاة الكِلابِي(١)، وكان يُقال لأبيه مخلاة الحمار:

١ ـ وَيَوْمٍ تَرَى الرَّايَاتِ فِيهِ كَأَنَّهَا ... حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وَوَاقِعُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الرَّايات: الأعلام، والحوائم: جمع حائمة، وهي العِطَاشُ من الطَّيْرِ تحومُ على الماء، وحَوَمَانُها: دَوَرَانُها، فكثر استعماله حتى صار كلّ عطشان حائمًا، و«مستديرٌ وواقعٌ»: بدل من «حوائم» وجعل الرّايات بعضها جائل وبعضها ساقط لأن المنهزمين تسقطُ أعلامُهم.

٢ ـ أَصَابَتْ رِمَاحُ القَوْمِ بِشْرًا وَثَابِتًا ... وَحَزْنًا وَكُلٌّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعُ

أي: كلُّ واحدٍ من المذكورين رئيسُ عشيرته، وقد فُجِعُوا به، والشَّاعر يذكرُ وقعة مَرْجِ رَاهِطٍ، وراهط: رجلٌ من قُضَاعة في الجاهلية الأولى، واجتمع به المَرْوَانية، وهم الَّذين ادَّعوا إلى مروان بن الحكم، وهم كَلْب وعَنْس وغيرهم من قبائل اليمن، والزُّبَيْرِيَّة، وهم الذين ادَّعوا إلى ابن الزُّبير وهم قَيْس ومَنْ تبعهم، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فكانت الدَّبْرَةُ(٢) على قيس، ورئيسهم زُفَرُ بن الحارث، ومعهم الضَّحَّاك بن قيس، وبِشْرٌ هذا هو بِشْرُ بن يزيد المُرِّيّ، وثابت هو ثابت بن خُوَيْلد البَجَليّ؛ وكان الضَّحَّاكُ قد بايعَ لابن الزُّبَير بالشَّأم ومعه القيسيّة، وأراد مروان أن يكون رسولَه إلى ابن الزُّبير بالبيعة، فقال له ابنه عبد الملك وعمرو بن سعيد: أنتَ شيخُ قريش، والمَرْجُوُّ لهذا الأمر، تصيرُ رسولاً لأخِي فهر، وما أنتَ من الأمر ببعيد، فطمعَ فيها، فجعل يَمْدَح بني أُميّة، ويَغُضُّ من ابن الزُّبَيْر، ومالأه الضَّحَّاك، وأظهر خلاف ابن الزُّبَيْر، وكتب إلى حسّان بن مالك بن بَحْدَل الكلبيّ وكان معاوية عهدَ إليه عند وفاته أن يقومَ بالأمرِ بعده حتى يصطلحَ النَّاسُ على خليفةٍ، وكان حسانُ خال معاوية بن(٣) يزيد كتب إليه بأن يترك الجابية، ويقبل إليه،

---

(١) عند المرزوقي «الكلبيّ» وهو الصواب، وهو شاعر إسلامي من بني تيم اللاّت بن رفيدة بن كلب وكان مَدّاحًا لبني مروان (الطبري ٧/ ٤٢؛ والاشتقاق ص ٣١٤؛ والأغاني ١٧/ ١١٢).

(٢) الدَّبْرَةُ: الهزيمة في القتال والعاقبة السَّيِّئة.

(٣) أم يزيد بن معاوية: هي ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبيّة وهي أُخت حسان هذا.

ويستخلف رجلاً من آل أبي سفيان، فخرج وخرجَ الضَّحَّاكُ إليه، حتى إذا تواجهت الرّايات قالت القيسيّةُ والزُّبيريّة من أهل اليمن منهم هَمَّام بن قَبِيصَة النميريّ وقَيْس بن ثَوْر بن مَعْنٍ السُّلَمِي وزياد بن عَمْرو بن مُحْرِز الأَشْجَعِي وعَمْرو بن معاوية العُقَيْلِيّ وبِشر بن يزيد المُرِّيّ وثابت بن خُوَيلد البجليّ لِلضَّحَّاك: أَدَعَوْتَنَا إلى بيعة ابن الزُّبَير وقد عرفتَ فَضْلَهُ وسابِقَته وشرفَهُ حتى إذا جِئْنَاكَ خرجتَ تريد هذا الأعرابيّ، فصرفَ الضَّحَّاكُ الرّايات إلى مَرْجِ راهط، وأظهر بيعة ابن الزُّبير، ثم قالت له القيسيّة: هَلاَّ دَعَوْتَ إلى نَفْسِكَ فلستَ بدون حسّان وابن الزُّبير؟ فدعا إلى نفسه، ولَقِيَهُ مروان وبنو أميّة وقد بايعَ حسّان لمروان فقُتِلَ ألفٌ من قيس، وألفٌ وثلاثمائة من اليمن، واستوى الأمرُ لمروان، وذلك سنة أربع وستين.

٣ ـ طَعَنَّا زِيَادًا في اَسْتِهِ وَهْوَ مُدْبِرٌ وَثَوْرًا أَصَابَتْهُ السُّيُوفُ القَوَاطِعُ

هو زياد بن عَمْرو العُقَيْليّ، وقوله «وهو مدبرٌ» أي: مُوَلٍّ منهزمٌ ويجوز أن يكون من الإدبار لِتَرْكِه الرَّأيَ حتى بُلِيَ بما بُلِيَ.

٤ ـ وَأَدْرَكَ هَمَّامًا بِأَبْيَضَ صَارِمٍ فَتًى مِنْ بَنِي عَمْرٍو طُوَالٌ مُشَايِعُ

عَمْرو بن مُحْرِز من أَشْجَعَ، والمُشَايع: المُقَوّي لأصحابه المُتَابع لهم، وجعله طُوَالاً لأنَّهم يستحبّون تمامَ الخَلْقِ وامتدادَ القامَةِ، ووَضْعُ طُوال مع مُشَايع رديءٌ في صنعة الكلام، لأنَّ الطُّوالَ ليس من المشايعة بِقريبٍ.

٥ ـ وَقَدْ شَهِدَ الصَّفَّيْنِ عَمْرُو بنُ مُحْرِزٍ فَضَاقَ عَلَيْهِ المَرْجُ وَالمَرْجُ وَاسِعُ

الصَّفَّيْن: ثنية صَفّ، ويُرْوَى «الصِّفِّين» وهو تصحيف.

٦ ـ فَمَنْ يَكُ قَدْ لاَقَى مِنَ المَرْجِ غِبْطَةً فَكَانَ لِقَيْسٍ فِيهِ خَاصٍ وَجَادِعُ

أي: مُذِلٌّ.

[٢١٧] وقال زُفَرُ بن الحارث:

١ ـ أَفِي اللَّهِ أَمَّا بَحْدَلٌ وَابنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابنُ الزُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

كان معاوية بن أبي سفيان لمّا جعل يَزيدَ ابْنَهُ وَلِيَّ عهده بايعه النّاسُ إلاَّ الحيّ من قيس فإنَّهم قالوا: واللّه لا نبايع ابن الكلبيَّة، وذاك أنَّ أُمّ يزيد مَيْسُون بنت مالك بن بَحْدل الكلبيّ، فصار في نفس يزيد ضِغْنٌ، وابتدأ الشَّرُّ بينهم وبين بني أميّة، فلما هلكَ يزيد استخلف ابنه معاوية بن يزيد، وأُمّه أيضًا كلبيّة، وصار حسّان بن مالك بن بَحْدَلٍ أخو ميسون كالمالك لِلأمر، وكانت خلافة معاوية بن يزيد أيَّامًا قليلة، وتحرَّكت فتنة ابن

الزّبير، فاضطرب حسان بن مالك في الأمر اضطرابًا شديدًا، وصار يدعو النَّاسَ إلى نفسه تارةً وإلى مَن يختارونه من بني أمية أخرى، حتى قال الشاعر: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إلاَّ بَحْدَلِيٌّ عَلَى الهَوَى وَإلاَّ زُبَيْرِيٌّ عَصَى فَتَزَبَّرَا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم، فلمّا قام بالدّعوة صارت البَحْدَلِيَّة معه، فَسُمُّوا مروانيّة، فيقول زُفَر: «أفي اللَّه» يريد أفي ذات اللَّه ومَرْضِيِّ حكمِه أن تُطْلَبَ حياةُ ابن بحدل والمتعصِّبة لبني أُمية ويطلبَ قتلُ عبد اللَّه بن الزبير مع فضله وشرفه، وهذا الكلام تقريعٌ لِلنَّاسِ. وقوله «أمَّا بحدل»: حكم أمَّا أن ينقطع عمّا قبله، ولهذا عُدَّ من حروف الابتداء، ولأنه يتضمّن معنى الجزاء، والجزاء له صدر الكلام، وإذا كان كذلك فكأنه قال: أفي اللَّهِ هذه القصَّةُ وهذا الشَّأْنُ، وقال «فيحيا» فأخبر عن أحد الاسمين لمّا عَلِمَ أنَّ صَاحِبَه في مثل حاله، وفي القرآن ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[1].

٢ ـ كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أغَرُّ مُحَجَّلُ

إنّما قال «كذبتم» لأنَّ الّذي أنكر منهم كان خبرًا، ويجوز أن يكون المعنى كذبتم أنفسَكم حين حدّثتم بما لا يتمُّ لكم، وقوله «لا تقتلونه ولمّا يكن» أي: قبل أن يكون لنا عليكم يوم مشهور على قتله: أي كذبتم لن تقتلوه دون أن يكون عليكم يوم أَغَرّ مُحَجَّل: أي مشهور.

٣ ـ وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرَفِيَّة فَوْقَكُمْ شُعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ

قَرْنُ الشَّمْسِ: أوّلُ ما يظهر منها، والتَّرَجُّلُ: هو أن تنبسطَ الشَّمْسُ ولم يشتدّ حَرُّها بعد، ورَجَّلْتُ الشَّعْرَ: مشطته فكَثُرَ، و«ارتجلَ الكلامَ» مأخوذ من قولك «ارتجلتُ الدَّابَّةَ» إذا ركبتها عُرْيًا، وكان زُفَرُ بن الحارث بايَع ابنَ الزُّبَير، دخل زُفَر وحاتم بن النُّعمان المسجدَ الحرام فلمّا قَضَيَا الطَّوَافَ مشى إليهما ابنُ الزُّبَيْر فسألهما أن يبايعاه، فبايعه زُفَر، وضَمِنَ له حاتم بن النّعمان أن لا يكون له ولا عليه، وكان ابن الزُّبَير قد ملكَ الحجازَ واليمنَ والعراقَ وخَراسان والجبال كلّها وبعض الشّام، وهو بمكّة، فوَلَّى عبدُ الملك الحجّاجَ الحِجَازَ فجعل يقاتلُه، ثم حصره في المسجد الحرام ووضع المَنْجَنِيقَ على أبي قُبَيْس[2]، فجعل يرمي البيتَ ويقول: [الرجز]

خَطَّارَةٌ كَالجَمَلِ الفَنِيقِ أَقْصِدْ بِهَا لِلْمَسْجِدِ العَتِيقِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٢) أبو قُبَيْس: اسم الجبل المشرف على مكة، وجهُه إلى قُعَيْقِعان ومكة بينهما (معجم البلدان ١/ ٨٠).

فقال ابنُ الزُّبير لأُمّه أسماء ابنة أبي بكر: إنَّ الحجّاج قد آمَنَنِي إذا خرجتُ إليه، فقالت له: لأنْ تموتَ كَلْمًا[1] أحبُّ إليَّ من أن تموتَ سِلْمًا، قال: إنّي أخاف أن يُمَثِّلَ بي، قالت: إنَّ الشّاةَ إذا ذُبِحَتْ لم تألَم السَّلْخَ؛ فقاتل حتى قُتِلَ وصُلِبَ بِمِنًى مَنْكُوسًا، وكان قد أكل مسكًا كثيرًا حين أيقن بالأَسْرِ لِئَلاً يكونَ له ريحٌ كَرِيهٌ إذا صُلِبَ، فلما صُلِبَ عُلِّقَتْ معه هِرّة؛ فقال سليمان بن بشر بن مروان: [الطويل]

غَدَاةَ سَمَا يَرْجُو الخِلاَفَةَ جَاهِلاً ... وَكَيْفَ يَنَالُ المُلْكَ بِالبُخْلِ وَالخِبِّ[2]
فَذَاقَ نَكَالاً دُونَ مَا كَانَ يَبْتَغِي ... وَصَلْبًا وَشِيكًا إذْ تَعَرَّضَ لِلصَّلْبِ

والمدح فيه قليل لأنه كان شديد البخل، فَمِمَّنْ مَدَحَه عمرو بن زيد في قوله: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَوْلاَدَ الزُّبَيْرِ تَحَالَفُوا ... على المَجْدِ مَا صَامَتْ قُرَيْشٌ وَصَلَّتِ
قُرَيْشٌ غِيَاثٌ في السِّنِينَ وأَنْتُمُ ... غِيَاثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ سَارَتْ وحَلَّتِ

[٢١٨] وقال حَسَّان بن الجَعْد:

١ - أَبْلِغْ بَنِي خَازِمٍ أَنِّي مُفَارِقُهُمْ ... وَقَائِلٌ لِجِمَالِي غُدْوَةً بِينِي
٢ - إنِّي امْرُؤٌ غَرِضٌ مِنْ كلِّ مَنْزِلَةٍ ... لاَ شِدَّتِي تُبْتَغَى فِيهَا وَلاَ لِينِي

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

هذا الشّاعر كان قد خرج إلى عبد اللّه بن خازم راغبًا في جِواره والكَوْنِ في جملته، فلم يحمدْه وانصرفَ عنه، وقال هذا الشّعر، وَالغَرِضُ هٰهنا: السَّئِمُ.

[٢١٩] وقال القَتَّال الكلابي:

١ - إذَا هَمَّ هَمًّا لَمْ يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تَصْعُبْ عَلَيْهِ المَرَاكِبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: هو في غُمَّةٍ من أمره: أي في حَيْرَةٍ وظُلْمَةٍ، وأصلُ الغَمِّ: التَّغْطِيَةُ، وَصفَهُ بِالإقدامِ والتَّشْمِيرِ فيما يَهُمُّ به، وأنّه لا يمنعُه عَمَّا يريده مانعٌ.

٢ - قَرَى الْهَمَّ إذْ ضَافَ الزَّمَاعَ فَأَصْبَحَتْ ... مَنَازِلُهُ تَعْتَسُّ فِيهَا الثَّعَالِبُ[3]

أي: جعل قِرَى هَمِّهِ لَمَّا اعتراهُ، النّفاذَ والعزيمةَ، والاعتِساسُ: الاختلافُ، وَعَسَّ

---

(١) الكَلْمُ: الجُرْحُ.
(٢) الخِبُّ: الخداع.
(٣) الزَّمَاع: النَّفَاذ والعزيمة.

واغتَسَّ بمعنى، ومنه أُخِذَ العَسَسُ، ومن الأمثال: «كَلبٌ اعتَسَّ خَيْرٌ من أسد رَبَضَ»، ومثله قول بَلْعَاءَ بن قَيْس: [الطويل]

وَإِنِّي لأَقْرِي الهَمَّ حِينَ يَضِيفنِي ... زَمَاعًا إذَا مَا الهَمُّ ضَاقَتْ مَصَادِرُهْ
وَأَنْفِي صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمُ أَنَّهُ ... إذَا طَاشَ ظَنُّ المَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهْ
وَقَدْ يَكْرَهُ الإِنْسَانُ مَا فِيهِ رُشْدُهُ ... وَيُلْقَى عَلَى غَيْرِ الصَّوابِ شَرَاشِرُهْ[١]

٣ - جَلِيدٌ كَرِيمٌ خِيمُهُ وَطِبَاعُهُ ... عَلَى خَيرِ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ

أي: جُبِلَ في جميع أموره على أحسن ما تُجْبَلُ عليه النفوسُ والأخلاقُ؛ وَالخِيمُ: الطَّبيعةُ، قال أبو عبيدة: أصله فارسي مُعَرَّب.

٤ - إِذَا جَاعَ لَمْ يَفْرَحْ بِأَكْلَةِ سَاعَةٍ ... وَلَمْ يَبْتَئِسْ مِنْ فَقْدِهَا وَهْوَ سَاغِبُ

هذا من قول حاتم: [الطويل]

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعْلُكِ وَالغِنَى ... فَكِلْتَاهُمَا يَسْقِي بِكَاسَيْهِمَا الدَّهْرُ[٢]
فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الفَقْرُ

٥ - يَرَى أَنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا وَلاَ يَرَى ... إِذَا كَانَ يُسْرٌ أَنَّهُ الدَّهْرَ لاَزِبُ

«يرى» هٰهنا يجري مجراه في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾[٣] لأنه بمعنى يظنونه ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[٤] لأنه بمعنى نعلمه، وقد يُستعمل العلم في معنى الظّن أيضًا لذلك قال: [الطويل]

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ ... إِذَا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ[٥]

ومثله لِبشَّار: [الطويل]

خَلِيلَيَّ إِنَّ العُسْرَ سَوفَ يُفِيقُ ... وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا أَنَا إِلاَّ كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا ... صَحَوْتُ وإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

---

(١) ألقى عليه شراشِرَه: أي أحبَّهُ حتى استهلكَ في حُبِّه.
(٢) رُوِيَ البيت في بيتين من ديوان حاتم ١١٩ وهما:
غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصعلك والغنى ... كما الدهرُ في أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر لينًا وغلظةً ... وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر
(٣) سورة المعارج، الآية: ٦. (٤) سورة المعارج، الآية: ٦.
(٥) البيت لطرفة في ديوانه ص ٥٢؛ والشعر والشعراء ص ١٤٧؛ ونسب في اللسان (حصى) إلى كعب بن سعد الغنوي.

[٢٢٠] وقال أوْسُ بن حَبْناء:

١ ـ إِذَا الـمَـرْءُ أَوْلاكَ الـهَـوَانَ فَـأَوْلِـهِ ... هَـوَانًـا وَإِنْ كَـانَـتْ قَـرِيـبًـا أَوَاصِـرُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الأواصر: العواطف، الواحد آصرة، «قريبًا» خبر كان، وقَدَّمَه على اسمه ولم يؤنِّثه لأنه أراد النسبة فلم يَبْنِهِ على الفعل، ومثله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

٢ ـ فَـإِنْ أَنْـتَ لَـمْ تَـقْـدِرْ عَـلـى أَنْ تُـهِـيـنَـهُ ... فَـذَرْهُ إِلَـى الـيَـوْمِ الَّـذِي أَنْـتَ قَـادِرُهْ

أراد «قادر فيه»: فقدَّر الظَّرف تقدير المفعول الصحيح؛ لأن الظرف إذا أُضِيفَ إليه يخرج من أن يكون ظرفًا، كما يخرج منه إذا دخل عليه حرف الجرّ، على هذا قوله: [الرجز]

يَـا سَـارِقَ الـلَّـيْـلَـةِ أَهْـلَ الـدَّارْ(٢)

وقـولـه: [الرجز]

طَبَّاخُ سَاعَاتِ الكَرَى زَادَ الكَسِلْ(٣)

٣ ـ وَقَـارِبْ إِذَا مَـا لَـمْ تَـكُـنْ لَـكَ حِـيـلَـةٌ ... وَصَـمِّـمْ إِذَا أَيْـقَـنْـتَ أَنَّـكَ عَـاقِـرُهْ

الهاء في «عاقِرُه» ترجع إلى المرء، والعاقر هنا بمعنى القاتل، وأصل العَقْر القَطْع، يقال: عَقَرَ الشَّجَرَةَ، إذا قطعها، والعاقر من النّساء: التي لا تَلِدُ، كأنّها تقطعُ النَّسْلَ، وَالعُقْرُ: الذي يُؤْخَذُ على نكاح الشّبهة، وأصله في البِكْرِ؛ لأنَّ البِكْرَ تُعْقَرُ عند الافتضاض، فسمّي بالعقر عقرًا.

[٢٢١] وقال آخر(٤):

١ ـ إِنِّـي إِذَا مَـا الـقَـوْمُ كَـانُـوا أَنْـجِـيَـهْ

٢ ـ وَاضْطَرَبَ القَوْمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَهْ(٥)

من مشطور الرجز، والقافية متدارك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٢) الخزانة ١/ ٤٨٥؛ وسيبويه ١/ ٨٩ ولم يُنسب فيهما.

(٣) مجالس ثعلب ص ١٥٢؛ والخزانة ٢/ ١٧٢؛ وسيبويه ١/ ٩٠؛ وفي الكامل ١١٣ (ليبك) وقد نسبه إلى الشمّاخ بن ضرار والصواب أنه لجبار بن جزء وهو ابن أخي الشماخ كما ذكر البغدادي.

(٤) الشعر لسحيم بن وثيل اليربوعي كما في اللسان (نجا)، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية أربعين سنة وفي الإسلام ستين سنة. انظر الخزانة ١/ ١٢٣؛ وابن سلام ص ١٢٩، والإصابة.

(٥) الأرشية: جمع الرِّشاء: حبل الدّلو.

«ما»: من قوله «ما القوم»: زائدة، وأنجية: جمعُ نَجِيّ، والنَّجِيُّ يقع للواحد والجمع، وفي القرآن ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾[1] والمعنى في قوله «كانوا أنجية» أي: صاروا فِرَقًا لما حَزَبَهُمْ من الشَّرِّ يتناجَوْنَ ويتشاورون، واضطرب القوم: أي أخذهم القيام والقعود اضطراب الأَرشيَةِ عند الاستقاءِ عليها من الآبار البعيدة القعر.

٣ ـ وَشُدَّ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بِالأَرْوِيَهْ

٤ ـ هُنَاكِ أَوْصِينِي وَلا تُوصِي بِيَهْ

الأَرْوية: جمع رِوَاء، وهو الحبل، أي شُدَّ فوق بعضهم خوف السقوط لِضعف الاستمساك عند غَلَبَةِ النُّعَاسِ، ويجوز أن يكون الاضطراب الذي ذكره لاتِّصالِ التَّسَايُرِ وغَلَبةِ النَّوم، والأول أحسن، وقوله «أوصيني» خبر «إنّ» في البيت الأول، و«هناك أوصيني» يُشَارُ به إلى الزمان والمكان معًا، وموضعه نصب على الظّرف، والكاف منه كاف الخطاب، والعامل فيه «أوصيني» والمعنى: إنّي أهلٌ لأَنْ يُوصَى إليَّ؛ وقيل: معنى «كانوا أنجية» يريد قومًا ناموا على رواحلهم فرأوا في منامهم كأنهم يتناجون، والصَّواب ما تقدَّمَ.

[٢٢٢] وقال المُتَلَمِّسُ[2]، واسمه جَرِير بن عبد المسيح بن عبد اللّه بن زيد، وقيل: عَبْدُ العُزَّى:

١ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَرْءَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ صَرِيعٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُرْمَسُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قال هذا فيما بين ضُبَيْعَة وبكر بن وائل، ومعنى «ألم تَرَ» ألم تعلم، يقول: الإنسان مُرْتَهَن بِأَجَلٍ؛ فإمَّا أن يموتَ حَتْفَ أنفه فيُدْفَن، وإما أن يُقْتَلَ في معركة فيُترَك لِعَوَافي الطَّيْرِ والسِّباع، وجعلَ «رهن منية» و«صريع لعافي الطير» جميعًا خبرين لأَنَّ، ثم أتى بأوِ الإباحة، ويجوز أن تنصب صريعًا على الحال، وفي رفعه وجه آخر، وهو أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ كأنه قال: هو صريع، ويُرْمَسُ: يُدْفَنُ، والرَّمْسُ: الدَّفْنُ، والرِّياحُ الرَّوامِسُ منه، وتوسَّعوا فيه كما توسّعوا في الدفن فقالوا: ارْمِسْ هذا الحديث: أي ادْفِنْهُ.

٢ ـ فَلاَ تَقْبَلَنْ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ وَمُوتَنْ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٢) المتلمّس: من بني ضبيعة شاعر جاهلي من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. (ت نحو ٥٠ق.هـ/ نحو ٥٦٩ م) (ترجمته في: خزانة البغدادي ٣/ ٧٣؛ والشعر والشعراء ص ٥٢؛ ومعاهد التنصيص ٢/ ٣١٢).

ويُــرْوَى:

وَمُوتَنْ بِهَا وَاحْيَنْ وَجِلْدُكَ أمْلَسُ

واحْيَنْ: من الحياة زِيدَ فيه نون التّوكيد، وأصله «واحْيَ» ويُروَى «وأَحْيِنْ بِهَا» من الحَيْن: وهو وقتُ الأَجَلِ، وقوله «وجِلْدُكَ أملسُ» أي: لم يُصِبْكَ عارٌ، ولم يُرِدْ أنك لا تجرح، يريد أن الموتَ نازلٌ بك على كلِّ حالٍ فلا تحتمل العارَ خوفًا منه.

٣ ـ فَـمِـنْ طَـلَـبِ الأوْتَـارِ مَـا حَـزَّ أنْـفَـهُ قَصِيرٌ وَخَاضَ المَوْتَ بِالسَّيفِ بَيْهَسُ

قصيرٌ: صاحب جَذِيمة الأبرش، وقصّة جَذِيمة والزَّبّاء الرّوميّة مشهورة، وإنَّ قصيرًا تَوَصَّلَ بأنْ جَدَعَ أنفَهُ إلى أن استخدمته الزَّباء حتى تمكَّنَ فأدرك ثأره منها، وبَيْهَس: هو الَّذي يُلَقَّبُ نَعَامة، وهو رجل من بني فزارة، وكان يُحَمَّقُ، فقُتِلَ له سبعة إخوة، فجعل يلبسُ القميصَ مكان السَّراويل والسَّراويل مكان القميص، فإذا سُئِلَ عن ذلك قال: [الرجز]

الْـبَـسْ لِـكُـلِّ حَـالَـةٍ لَـبُـوسَـهَـا إمَّـا نَـعِـيـمَـهَـا وَإمَّـا بُـوسَـهَـا[1]

فتوصَّلَ بما صَوَّرَهُ من حاله عند النّاس إلى أن طلبَ بدماءِ إخوته، وحديثه مشهور أيضًا، وكلام المتلمِّس بَعْثٌ وتحضيضٌ على دَفْعِ الضَّيْم وركوبِ الإباءِ من التزام العار، فلذلك أخذ يُذَكِّرُ بحالِ مَن لم يَزَلْ يحتالُ حتى أدرك مَبَاغِيَه من أعدائه؛ وقوله «ما حَزَّ أنفه»: ما زائدة.

٤ ـ نَـعَـامَـةُ لَـمَّـا صَـرَّعَ الـقَـوْمُ رَهْـطَـهُ تَـبَـيَّـنَ فـي أثْـوَابِـهِ كَـيْـفَ يَـلْـبَـسُ

ارتفع «نعامة» على أنه بدل من قوله «بيهس» وموضع «كيف يلبس»: نصب كأنه قال لبسه.

٥ ـ وَمَـا الـنَّـاسُ إلاَّ مَـا رَأَوْا وَتَـحَـدَّثُـوا وَمَا الـعَجْزُ إلاَّ أنْ يُضَامُوا فَيَجْلِسُوا

«ما رأوا»: ما مع الفعل في تقدير مصدر، كأنه قال: ما النَّاسُ إلاَّ رُؤْيَةٌ وَتَحَدُّثٌ: أي اعتبارٌ بِالمشاهدة أو بما يُروى من أخبار الأُمم، فهو كقولك: ما زَيْدٌ إلاَّ أَكْلٌ وشُرْبٌ، فيكون إمَّا على حذف المضاف، كأنه قال: ما زيدٌ إلاَّ ذو أكلٍ وشربٍ، وإمَّا على أن يكون لِكَثْرتهما منه ووَلُوعِهِ بهما كأنه نفس الأكل والشّرب، ويجوز أن يريد بقوله «وما النَّاسُ»: وما حَزْمُ النَّاسِ، فحذف المضاف، ويكون حينئذٍ «ما رأوا» في موضع الظّرف كأنه أراد ما حزمهم إلا مدة رؤيتهم وتحدّثهم، وما العجز إلاَّ أن يُضَاموا أي يُسَاموا

(١) عند المرزوقي: «لكلِّ عيشةٍ».

الخَسْفَ فيَرْضَوْا به ويَنْطَوُوا عليه كاظمين وساكتين، وقال أبو هلال: الرّواية الجيّدة ما رواه أبو عمرو:

وَمَا البَأْسُ إلاَّ حَمْلُ نَفْسٍ عَلَى السُّرَى وَمَـا الـعَـجْـزُ إلاَّ نَـوْمَـةٌ وَتَـشَـمُّـسُ

فجعل البأس بإزاء العجزِ، والسُّرَى بإزاء القعود، وفي الرّواية الأولى كان الجيّد أن يقول: ما الحزمُ إلاَّ أنْ يفعلوا كذا، وما العَجْزُ إلاَّ أنْ يفعلوا كذا، فأما قوله «وما الناس إلا كذا وما العجز إلا كذا» فغير جَيّد.

٦ ـ أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الـجَـوْنَ أَصْـبَـحَ رَاسِـيًـا تُـطِـيـفُ بِـهِ الأَيَّـامُ مَـا يَـتَـأَيَّـسُ

الجَوْنُ: حِصْنُ اليمامةِ، ويقال: إنه من مصانع طَسْم وجَدِيسَ، فيقول: لا تُوعِدُونا فإنَّ حصنَنا حصينٌ لا يُوصَلُ إليه ولا يُسْتَباحُ حِمَاهُ، وقوله «ما يتأيّسُ»: أي لا يلين، وموضع «تطيفُ به الأيام»: نصب إن شئت على الصفة، وإن شئت على أنه خبر بعد خبر، وموضع «ما يتأيّس»: على الحال، والعامل فيه تُطيفُ.

٧ ـ عَـصَـى تُـبَّـعًـا أَيَّـامَ أُهْـلِـكَـتِ الـقُـرَى يُـطَـانُ عَـلَـيْـهِ بِـالـصَّـفِـيـحِ وَيُـكْـلَـسُ

ويُـروَى:

يُطَانُ على صُمِّ الصَّفِيحِ وَيُكْلَسُ

يقول: إن تُبَّعًا لمّا غزا القرى والمدنَ لم يصلْ إلى اليمامة للحصن، وذكره العصيان كقول غيره: «تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبلَقُ»(1).

وقوله «يُطانُ عليه بالصَّفيح»: أي يجعله بدلَ طِينِه في الإصلاح والعمارة، ويجوز أن يكون «بالصَّفيح» في موضع الحال: أي يُطانُ ويُكْلَسُ بِصفاحِه: أي وهو مبني بالحجارة، ويُكْلَسُ: يصهرج، والكلس: الصهروج، والصَّفيح: الحجارة العراض، ويُروَى:

يُطَانُ عَلَى مِثْلِ الصَّفِيح وَيُكْلَسُ

ومعناه أنه يُبْنَى على المياه التي هي الصفيح، والصَّفيح: السّيوف، واحدها صفيحة، ويشبّه الماء إذا كان صافيًا بالسيف، وذكر الماء وأراد العمارة لأنها به تكون.

٨ ـ هَـلُـمَّ إلَـيْـهَـا قَـدْ أُثِـيـرَتْ زُرُوعُـهَـا وَعَـادَتْ عَـلَـيْـهَـا الـمَـنْـجَـنُـونُ تَـكَـدَّسُ

يخاطب النعمان، و«إليها» إلى اليمامة، وهذا الكلام تَهَكُّمٌ وسخرية، يقول: إن قدرتَ عليها فَاقْصِدْهَا فإنَّها أخصبُ ما يكون: مُزْدَرَعُها مُثَارٌ، ودواليبها تدور، ومعنى

---

(1) المثل في مجمع الأمثال ١/١١٣ وقالته الزبّاء نفسها وقصدت بمارد حصن دومة الجندل، والأبلق: حصن للسموأل بن عاديا ولم تقدر عليهما.

تَكَدَّس يركبُ بعضُها بعضًا في الدَّوران، ويستعمل في سير الدولاب وغيرها، وأصل التَّكَدُّس أنْ يحرّكَ منكبيه إذا مشى، وقال الأصمعي: هو مِنْ مَشْي القصارِ الغلاظِ، ويقال: كَدَسَ به الأرضَ، إذا ضَرَبها به، ويُرْوَى «قد أُبِيثَتْ زروعُها» والإباثة: الإثارة، والمنجنون: الدّولاب.

٩ ـ وَذَاكَ أَوَانُ الـعِـرْضِ حَـيٌّ ذُبَـابُـهُ   زَنَـابِـيـرُهُ وَالأَزْرَقُ الـمُـتَـلَـمِّـسُ

ويُروى «جُنَّ ذُبابُه» أي: كَثُرَ ونَشِطَ، والعِرْضُ: وادٍ من أودية اليمامة، ولك أن تجرَّ العرض بإضافة الأوان إليه وهو مرفوع، ولكَ أن تنصبَ الأوان وترفع العرض بالابتداء، واسم الزمان يُضَافُ إلى الجمل من الابتداء والخبر والفعل والفاعل، كأنه قال: وهذا الذي ذكرت هو في ذاك الأوان، وقوله «حَيٌّ ذبابُه» أي: عاش بالخصب فيه، و«زنابيره» يرتفع على أنه بدل من الذباب، وذُبَابُ الرَّوْضِ قد يُسَمَّى الزَّنابير، وقوله «والأزرقُ المتلمِّس» إشارة إلى جنس آخر غير الأول، وهو ما كان أخضر ضخمًا، والمتلمّس: الطالب ويقال: إنَّه سُمِّيَ المتلمِّس بهذا البيت، واسمه جرير بن عبد العزّى.

١٠ ـ يَـكُـونُ نَـذِيـرٌ مِـنْ وَرَائِـيَ جُـنَّـةً   وَيَـنْـصُـرُنِـي مِـنْـهُـمْ جُـلَـيٌّ وَأَحْـمَـسُ

هو نَذِير بن بُهْثَة بن وَهْب، وقيل: أراد بالنَّذير المنذر، والمعنى: إني لَمُرْصِدٌ لهم مَنْ ينذرني بهم فأتَّقي وأتَحَرَّزُ، وجُلَيٌّ وأحْمَس من ضُبَيْعة بن ربيعة، يقول: وإذا جاء وقتُ التَّحَارُبِ قام بِنصري هذان البطنان، وقال أبو هلال: نذير وجُلَي أخوان، وأحمس بن ضبيعة أبوهما، يقول: هم ينصرونني ويكونون لي وِقاية من شَرِّ العدوِّ.

١١ ـ وجَـمْـعَ بَـنِـي قُـرَّانَ فَـاعْـرِضْ عَـلَـيْـهِـمِ   فَـإِنْ يَـقْـبَـلُـوا هَـاتَـا الَّـتِـي نَـحْـنُ نُـؤْبَـسُ

«جمع بني قُرَّانَ» النَّصْبُ فيه على إضمارِ فِعْلٍ، كأنه قال: سَمِّ جمع بني قران، ويكون الفعل الظاهر تفسير المضمَر، والرفع على الابتداء، ومعنى البيت أجرونا مُجْرى نظائرنا، فإنَّا نَرْضَى بهم قُدْوَةً واعرِضوا ما تسوموننا على بني قُرَّان فإن التزموه وقبلوه فلنا بهم أسوة، وإلا فالامتناع منه واجِبٌ، وقوله «هاتا التي نحن نُؤْبَسُ» أي: هذه الخطَّة التي نُكْرَهُ عليها، والأَبْسُ: القَهْرُ، وقال ابن الأعرابي: أَبَسْتُ الرَّجُلَ، إذا لقيته بما يكره، وأَبَسْتُهُ إذا وضعت منه باستخفاف وإهانة. وجواب الجزاء لم يَجِىءْ بعد.

١٢ ـ فَـإِنْ يُـقْـبِـلُـوا بِـالـوُدِّ نُـقْـبِـلْ بِـمِـثْـلِـهِ   وَإِلاَّ فَـإِنَّـا نَـحْـنُ آبَـى وَأَشْـمَـسُ

قوله «فإن يقبلوا» عاد به الشرط، ذاك أنه قال في البيت الذي قبله «فإن يقبلوا هاتا التي نحن نُؤْبَسُ» ولم يَأْتِ للشرط بجواب، ثم قال:

فَإِنْ يُقْبِلُوا بالوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ

فاكتفى بجواب واحد لاشتماله على ما يكون جوابًا لهما، فكأنه قال: إنْ قَبِلُوا ما نُؤْبَسُ نَقْبَلْ مثله، وإن أقبلوا بعد ذلك وَادِّينَ أقبلنا، وإلاَّ فنحن أشدُّ إباءً وأبلغُ شِمَاسًا، والشِّمَاسُ: الامتناعُ، ومنه شِمَاسُ الدَّابةِ، وهو أن لا يُمَكِّنَ من الإسراجِ والإلجامِ، وكان بنو ضبيعة حُلَفَاء لبني ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابة فوقع بينهم نزاع فعاتبهم المتلمّس.

١٣ ـ وَإِنْ يَكُ عَنَّا في حُبَيِّبٍ تَثَاقُلٌ ... فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يُعَرِّسُ

أراد حُبَيِّب فخفَّفَ، وهو حُبَيِّب بن كَعْبِ بن يَشْكر بن بَكْر بن وائل، يقول: إنْ تكاسلَ بنو حُبَيِّب عن إدراك ثأرنا فقد كان مِنَّا مَنْ يَدْأَبُ ويسهرُ، وَالمِقْنَبُ: زُهَاء ثلاثمائة من الخيل، والتَّعْرِيسُ: نزولٌ في آخر اللَّيلِ؛ روى أبو هلال «في حَبِيبٍ» وقال: أراد حبِيّب بن كعب فخفَّف كما تقول في تخفيف كُثَيِّر كَثِير فتردّه إلى أصله، وقوله «ما يُعَرِّس» أي: ما يستقرّون إذا وُتِرُوا، ولكنّهم يَغْزونَ ويُغِيرونَ أبدًا حتّى يُدْرِكُوا بثأرِهم.

[٢٢٣] وقال سَعْدُ بن نَاشِبٍ:

١ ـ تُفَنِّدُنِي فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَاسَتِي ... وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

تُفَنِّدُنِي: أي تُجَهِّلُني، والفَنَدُ: إنكارُ العقلِ من هَرَمٍ، يقال: شَيْخٌ مُفَنَّدٌ، وفي القرآن ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[١] أي: تجهلوني، وفُسِّرَ على تُكَذِّبوني، «وما تدري»: في موضع الحال.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الكَرِيمَ وَإِنْ حَلاَ ... لَيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ[٢]

٣ ـ وفي اللِّينِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةُ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ

الشَّرَاسَةُ: صُعوبةُ الخلُق، يقول: تُفَنِّدني هذه المرأة على ما ترى من عُسْرِ الخلق وإباء النفس جاهلةً بأحوال الرجال والفصل بين أوقات الهزل والجدّ، فأجبتها وقلت: إنَّ الرجلَ الحليمَ وإنْ لاَنَ عِطْفُهُ وسَهُل خُلُقُهُ فقد يُوجَدُ في وقت الغلظة وعند حالة القسوة أمرّ من الصبر وأشدّ من الحجر، ومثله: [الطويل]

وَإِنّي لَحُلْوٌ إنْ أُرِيدَتْ حَلاَوَتِي ... وَمُرٌّ إذَا نَفْسُ العَزِيزِ اقْشَعَرَّتِ[٣]

والواو من قوله «والشَّراسةُ هَيْبَةٌ» عاطفة لجملة على جملة، ولا يجوز أن تُجَرَّ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٤.

(٢) في رواية المرزوقي «إنَّ الحليمَ» بدل «إن الكريمَ».

(٣) البيت في المفضليات ١/ ١١٠ للشنفرى الأزدي.

الشراسة على أن يكون معطوفًا على «في اللِّين»، لما فيه من العطف على عاملين بحرف واحد، والمعنى: إنَّ مَنِ اسْتُلِينَ جانِبُهُ في كلِّ حالٍ اسْتُضْعِفَ واهْتُضِمَ، ومَن اسْتُخْشِنَ جانِبُه وخلقه هِيبَ وتُحُومي.

٤ ـ وَمَا بِي عَلَى مَنْ لانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ وَلَكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى القَسْرِ

القَسْرُ: القَهْرُ على الكُرْهِ، يقال: قَسَرْتُهُ واقْتَسَرْتُهُ، ومنه قِيلَ للأسد قَسْوَرَة.

٥ ـ أُقِيمُ صَغَا ذِي المَيْلِ حَتَّى أَرُدَّهُ وَأَخْطِمُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى القَدْرِ

٦ ـ فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً كَرِيمَ نَثَا الإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ اليُسْرِ

أي: رجلاً مُرَزَّأً، وذلك الرجل هو هو، كما تقول: لَقِيتُ بزيدٍ الأَسَدَ، والنَّثا: الخبر؛ ويُستَعْمَل في الخير والشَّرِّ، والثناء لا يُستعمل إلاَّ في الخير: أي لُمْتِ رجلاً إنْ نَابَهُ العسرُ حَسُنَ بلاؤه وكَرُمَت أخباره فيه، وإنْ ناله اليسرُ أشركَ الأقاربَ والأجانبَ في نفعه، وفي هذا المعنى قول المَرَّار: [الطويل]

إنِ افْتَقَرَ المَرَّارُ لَمْ يُرَ فَقْرُهُ وإنْ أَيْسَرَ المَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ[١]

٧ ـ إذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السُّرَيْجِيِّ ذِي الأَثْرِ

السُّرَيْجِيُّ: منسوبٌ، ويجوز أن يكون وُصِفَ بذلك لِكَثْرةِ مائِهِ ورونقِه، حتى كأنَّ فيه سِراجًا، ومنه قيل: سَرِّجْ إليه[٢] أمرك: أي حَسِّنْهُ ونَوِّرْهُ، وتَصْميمُ السيف: مَضَاؤُهُ في الضَّريبةِ من غير أن يُسْمَعَ له صوتٌ، وهو من الصَّمَمِ في الأُذنِ، ثم جعلَ ذلك مثلاً لِلرَّجُلِ يمضي على هِمَّتِهِ حتى يبلغَ.

[٢٢٤] وقال أيضًا:

١ ـ لاَ تُوعِدَنَّا يَا بِلاَلُ؛ فَإِنَّنَا وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَشْقُقْ عَصَا الدِّينِ أَحْرَارُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

يخاطبُ بِلاَلاً الخارِجيَّ وَيُعَيِّرُهُ خروجَه من طاعة السّلطان وشَقَّه عَصَا الإسلام أي: اتركْ تَوَعُّدَنا فإنَّ فينا كَرَمًا وإباءً، وإنْ لم نُخَالِف المسلمين خلافَكَ، فلا طريق لكَ إلى تملّكنا والتّحكّم فينا، قال الخليل: قولهم «شَقَّ عَصَا المسلمين»، العصا: الاجتماع والائتلاف، وذكر بعضهم أن الأجودَ أن يكون مثلاً، كما يقال للرفيق الحسن السياسة: هو لَيِّنُ العَصَا، وفي ضِدِّه: هو صُلْبُ العَصَا، وقولهم: قَشَرْتُ له العصا، إذا

(١) البيت عند المرزوقي ٢/٦٦٦.

(٢) كذا في الأصل وعند المرزوقي «سَرَّجَ اللَّهُ أمركَ» ولعلّها أصح وقد ورد في أساس البلاغة: «ومن المجاز: سَرَّجَ اللَّه وجهَه: أي حَسَّنَه وبهّجَهُ.

أبديتَ له ما في نفسِكَ، وكما قيل: عَصَا الجبان أطْوَلُ، وقال بعضهم يعني الخوارج: [الطويل]

رَجَوْا بِالشُّقَاقِ الأَكْلَ خَضْمًا فَقَدْ رَضُوا أَخِيرًا مِنَ آكْلِ الخَضْمِ أنْ يَأْكُلُوا قَضْمَا[1]

فأتى بالشُّقَاق، وأصله من شَقِّ العصا، وشَقُّ العصا: هو الخروجُ عن الجماعة، يقول: نحن وإن كنَّا نسمعُ ونطيعُ فإنَّنا أحرارٌ لا نُقِرُّ بالضَّيْم فلا تَسُمْنَاهُ، وأصل الحرّ الخلوص، ومنه قِيلَ: الطِّينُ الحرُّ؛ لخلوصه من الرمل وغيره، وقيل: حَرَّرْتُ الكتابَ، إذا خلصته، وقيل لِلحُرِّ خلاف العبد: حُرٌّ لأنه خالصٌ لنفسه، ويقال للطاهر الأخلاق المعوان: حُرٌّ، كأنه خالصُ الأخلاق لا شَوْبَ فيها، وأصلُ الشّقاق: البُعْد، ومنه قيل للمسافة بين الشَّيئين إذا بعدَتْ: شُقَّةٌ، وَشَقَّ على الشَّيء، إذا بَعُدَ مَرَامُهُ عليكَ، وشَاقَّه: عاداه وباعده.

٢ ـ وَإِنَّ لَنَا إِمَّا خَشِينَاكَ مَذْهَبًا إِلى حَيْثُ لاَ نَخْشَاكَ وَالدَّهْرُ أطْوَارُ

٣ ـ فَلاَ تَحْمِلَنَّا بَعْدَ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ عَلَى غَايَةٍ فِيهَا الشِّقَاقُ أوِ العَارُ

أي: لا تُلْجِئْنا بعد انقيادِنا لكَ ودخولنا تحت هواكَ إلى غاية تفضي بنا الحال فيها إلى أحد شيئين: إمَّا مُشَاقَّتِكَ والخروجِ عليك، وإمّا الرِّضا بِالدَّنِيَّة والدّخولِ تحت العار، فلا حَظَّ لنا ولكَ في واحدة منهما.

٤ ـ فَإِنَّا إذَا مَا الحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا بِهَا حِينَ يَجْفُوهَا بَنُوهَا لأَبْرَارُ

إذا: ظرف لخبر إن وهو أبرار، وكذلك قوله «حين يجفوها» والتقدير إنَّا لأبرارٌ بالحربِ إذا ألقتْ قِنَاعَها، يريد إذا اشتدّتْ فتكشَّفَتْ وزالَت المساترة بين أبنائها، وبِرُّ أبنائِها بها: صَبْرُهُم على حَرِّها.

٥ ـ وَلَسْنَا بِمُخْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ مَخَافَةَ مَوْتٍ إنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ

أي: لا نحتلُّ في دارٍ تنقُصُ فيها حقوقُنا وتنبو بنا: أي لا توافقُنا، بل نطلبُ ما هو أرفقُ منها بنا، والدَّارُ التي ذكرها في آخر البيت هي الدَّار المذكورة في أوَّله، كما تقول: مَرَّ رجلٌ، فإذا رجع قلت: رَجَعَ الرَّجُلُ.

[٢٢٥] وقال قُرَادُ بن عَبَّادٍ[2]:

قال أبو هلال: هكذا في الأصل، وهو خطأ، وإنما هو قُرَاد بن العَيَّار بن

(١) البيت في اللسان (خضم وقضم) وقد نسبه لأيمن بن خريم الأسدي.

(٢) قُرَاد بن العَيَّار: شاعر شرير بذيء اللّسان عُمِّرَ دهرًا طويلاً (ت نحو ١٦٠ هـ/ نحو ٧٧٧ م) (ترجمته في: المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٥٩؛ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٣٢٨).

مُحْرز بن خالد بن أرقم بن قَسِيم بن ناشرة بن سَيَّار بن رِزَام، وأبوه العَيَّارُ أحَدُ شياطين العرب، وهو القائل: [الوافر]

وَلاَ نَرْعَى الهُدُونَ وَلاَ الهُوَيْنَى ... إذَا خَارَتْ ضَغَابِيسُ الرِّجَالِ(١)

بِنَا يُسْتَعْطَفُ الأَمْرُ المُوَلَّى ... وَيُحْسَمُ دَاءُ ذِي الدَّاءِ العُضَالِ

وَنَخْطِمُ أنْفَ كُلِّ جُعَاظِرِيٍّ ... شَمُوخِ الأَنْفِ يَنْظُرُ مِنْ مُعَالِ(٢)

١ ـ إذَا المَرْءُ لَمْ تَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ ... فَوَارِسُ إنْ قِيلَ ارْكَبُوا المَوْتَ يَرْكَبُوا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يُخْبِرُ بأنَّ عِزَّ الرَّجلِ بِعشيرتِه ومَنْ يسخطُ لِسخطِه.

٢ ـ وَلَمْ يَحْبُهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أعِزَّةٌ ... مَقَاحِيمُ في الأَمْرِ الَّذِي يُتَهَيَّبُ

الحِبَاء: عطاءٌ بلا مَنٍّ ولا جزاء، يقال: حَباه اللَّهُ بكذا، وحباه كذا؛ والمقاحيمُ: جمعُ مِقْحَام، وهو الذي يخوضُ قُحْمَةَ الشَّدائِد: أي مُعظمها.

٣ ـ تَهَضَّمَهُ أدْنَى العَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ ... وَإنْ كَانَ عِضًّا بِالظُّلاَمَةِ يُضْرَبُ

«تَهَضَّمه»: جواب قوله «إذا المرء» وهو العامل فيه، ومعنى تَهَضَّمه كَسَره وَأَذَلَّه، والعِضُّ: الدَّاهيةُ، وهو السَّيِّىءُ الخُلُقِ، ويقال: هو عِضُّ مَالٍ وَعِضُّ سَفَرٍ وقتالٍ، إذا كان حَسَنَ الغَنَاءِ في جميعها، وخبر لم يَزَلْ «يُضْرَبُ» وفي الجملة جواب «وإنْ كان عِضًّا».

٤ ـ فَآخِ لِحَالِ السِّلْمِ مَنْ شِئْتَ وَاْعْلَمَنْ ... بِأنَّ سِوَى مَوْلاَكَ في الحَرْبِ أَجْنَبُ

يحثُّه على استصلاح بني الأعمام وإن مَنْ هو سوى مولاه في الحرب غريب، وَأجْنَبُ: بمعنى جانب، يقول: مولاك في الحقيقة هو ابن عمّك الذي إن استغثتَ به أبْعَدَ ما كانَ مِنكَ أغاثك.

٥ ـ وَمَوْلاَكَ مَوْلاَكَ الَّذِي إنْ دَعَوْتَهُ ... أجَابَكَ طَوْعًا وَالدِّمَاءُ تَصَبَّبُ

انتصب «طوعًا» لأنه مصدر في موضع الحال.

٦ ـ فَلاَ تَخْذُلِ المَوْلَى وَإنْ كَانَ ظَالِمًا ... فَإنَّ بِهِ تُثْأَى الأُمُورُ وَتُرْأَبُ

يجوز أن يكون المعنى لا تَخذُلْه، وإنْ كان ظالمًا لكَ، ويجوز أن يكون على منهاج ما جاء في الخبر «انصرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا» وَتُثْأَى: تُفْسَدُ، وَتُرْأَبُ: تُصْلَحُ، وأصلُه في القدحِ ينشقُّ فيُشْعَب فيقال: رَأَبْتُهُ.

---

(١) الضّغابيس: جمع الضُّغبوس: صِغار القثاء، ويشَبَّهُ الرجل الضعيف به فيقال ضغبوس.

(٢) الجعاظري: الفظّ الغليظ.

[٢٢٦] وقال زاهر أبو كَرَّام التَّمِيمِيُّ[1]، ويُرْوَى كِدَام:

١ - لِلَّهِ تَيْمٌ أيُّ رُمْحِ طِرَادِ ... لاَقَى الحِمَامَ بِهِ وَنَصْلِ جِلاَدِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

تَيْمٌ: رجلٌ من بني يَشْكر، بارز أبا كرام فقتله، وكان أحد الفرسان، فأخذ أبو كرام يفخّمُ أمرَهُ لأنَّ ثناءَهُ عليه وإكبارَهُ له كأنه راجع إليه إذ صار قتيله، واللاَّم من «للَّهِ تَيْمٌ»: دخلت لِلتخصيص، والتعجّب دخل في الكلام أيضًا بقوله «أيُّ رُمح طِرادِ» وعلى هذا قولهم «لِلَّهِ دَرُّهُ»، وهذا التخصيص باللاَّم يجري مجرى الإضافة في قولهم «بيت اللَّه» و«كعبة اللَّه» وإنْ كانت الأشياء كلّها للَّه، والضمير في «به» لِتيم، والمعنى: لاقى الموت بتيم أي رمح مطاردة وأيّ نصل مجالدة، كأنه كان رمحًا ونصلاً، ويجوز أن يكون لاقى الموت به أي سلاح وعدّة: أي أيّ مقاتل بطل، ولكَ أن ترفعَ «الحِمام» وتنصب «أيَّ رمحِ» والمعنى لاقى الموت بتيمٍ أي رمح وأيّ رامح وأيّ سيف وأيّ سائف، ودَلَّ على صاحب السيف والرمح.

٢ - وَمِحَشٌ حَرْبٍ مُقْدِمٍ مُتَعَرِّضٍ ... لِلْمَوْتِ غَيْرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادِ

«وَمِحَشّ»: جعله آلة في حَشِّ نار الحرب، لأن المفْعَل للآلات، والتّعريدُ: تَرْكُ القصدِ وسرعةُ الانهزام.

٣ - كَاللَّيْث لاَ يَثْنِيهِ عَنْ إِقْدَامِهِ ... خَوْفُ الرَّدَى وَقَعَاقِعُ الإِيعَادِ

أصل القَعْقَعَةِ: صوتُ شَيءٍ صلب على مِثْلِه، والمراد به هٰهنا صوت السِّلاح على السِّلاح للإِيعاد، ويَثْنِيه: يَرُدُّهُ، ويقال: هالَ فلانًا قعقعةُ الوعيدِ، وقالوا: تقعقعتْ مفاصِلُه، أيضًا.

٤ - مَذِلٌ بِمُهْجَتِهِ إِذَا مَا كَذَّبَتْ ... خَوفَ المَنِيَّة نَجْدَةُ الأَنْجَادِ

«مَذِلٌ» من قولهم: مَذِلَ بِماله، إذا بَذَلَهُ بِسهولةٍ، ومَذلَ بِسِرِّهِ، إذا باحَ به، والمُهْجَةُ: خالصةُ النَّفْسِ، ومنه الأُمْهُجَان في اللَّبَنِ[2]، وانتصب «خوف المَنِيّة» على أنّه مفعول له، و«إذا ما كذَّبَتْ نجدةُ الأنجادِ»: ظرف لقوله «مَذِلٌ»، والمعنى: إذا خَانَتْ شِدَّةُ الأشِدّاءِ مَذِلَ بِمُهْجَتِه.

٥ - سَاقَيْتُهُ كَأْسَ الرَّدَى بِأَسِنَّةٍ ... ذُلُقٍ مُؤَلَّلَةِ الشِّفَارِ حِدَادِ

المُسَاقَاةُ تكون من اثنين، ثم قال «بِأسنّةٍ ذُلُقٍ» فجمع وإنما كان سنانان من رمحين،

---

(١) عند المرزوقي: «أبو كِرَام التَيميّ». والتيمي: نسبة إلى تَيْم.

(٢) يقال: لبنٌ أُمْهُجان: إذا سَكنتْ رغوتُه ولم يختثر.

ويجوز أن يكون جمع لأنه أراد الزّجّ والسِّنان من كلِّ واحد منهما، والذُّلَقُ من كلِّ شيءٍ: حَدُّهُ، و«الشِّفارُ» أصله أن يُسْتَعمَلَ في السّكين العريضِ، ثم اسْتُعْمِلَ في غيره.

٦ - فَطَعَنْتُهُ والخَيْلُ في رَهَجِ الوَغَى نَجْلاءَ تَنْضَحُ مِثْلَ لَوْنِ الجَادِي

الجادي: الزّعفران، والواو في قوله «والخيل» واو الحال، والرَّهَجُ: الغبارُ، والنَّجْلاءُ: الواسعةُ، والنَّضْح بالحاء غير منقوطة يُسْتَعْمَلُ فيما رَقَّ، وبالخاء منقوطة فيما غَلُظَ، وأراد بلون الجادي دمًا كَالزَّعْفَرَان.

٧ - فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ لَمَّا انْثَنَيْتُ لَهُ عَلَى مِيعَادِ

انثنيت له: يريد أنه سقط لأول طعنة لأنها كانت جائفةً نافذةً إلى المَقْتَلِ.

٨ - فَهَوَى وَجَائِشُهَا يَفُورُ بِمُزْبِدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتَتَابِعِ الإِزْبَادِ

هوى: أي سقطَ، وما يجيشُ من نجيعه: أي يسيلُ، وقد علاه الزَّبَدُ لِكَثْرَتِهِ وقوّتِهِ.

[٢٢٧] وَقَال عَمْرُو القَنَا[١]:

١ - القَائِلِينَ إِذَا هُمْ بِالقَنَا خَرَجُوا مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ في حَوْمَاتِهَا عُودُوا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

الحَوْمَات: جمع حَوْمَةٍ، وهو في الأصل أكثر موضع في البحر ماء، وكذلك في الحوض، فاستعارها لِشِدَّةِ الحربِ، وإنَّما يَصِفُ حِرْصَهُم على القتالِ، وقوله «بالقنا خرجوا» أي: خرجوا ومعهم القنا، و«عودوا» في موضع المفعول من القائلين، وهو حكاية ما قالوا.

٢ - عَادُوا فَعَادُوا كِرَامًا لاَ تَنَابِلَةً عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ رُعْشٌ رَعَادِيدُ

التَّنابِلَة: القِصَار، واحدهم تِنْبَالٌ؛ والرَّعَادِيد: جمع رِعْدِيد، وهو الذي لا يتماسكُ جُبْنًا.

٣ - لاَ قَوْمَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ يَوْمَ قَالَ لَهُمْ مُحَرِّضُ المَوْتِ: عَنْ أَحْسَابِكُمْ ذُودُوا

دخل تحت قوله «أكرمُ منهم» كُلُّ خصلةٍ محمودةٍ، لأنّه إذ تَنَاهَى كَرَمُهُمْ إذا دَعَا الدَّاعِي وقتَ التَّحْرِيضِ: أنِ ادْفَعُوا عن أحسابِكُم، فقد حَصَّلُوا كلَّ مَنْقَبَةٍ شريفةٍ، وأرادَ بِمُحَرِّضِ الموت المحرِّض على الحرب.

---

(١) عمرو بن عميرة العنبريّ: من بني سعد بن زيد مناة، من تميم شاعر فحل كان من رؤساء الخوارج وفرسانهم الشجعان الأشدّاء (ت نحو ٧٧ هـ/ نحو ٦٩٦ م) (ترجمته في: معجم الشعراء ص ٢٢٨؛ ورغبة الآمل ٨/ ٦٠، ٩٢؛ والأعلام ٥/ ٢٥٤).

[٢٢٨] وقال الفَرَزْدَقُ[١]:

الفَرَزْدَق: جمع فَرَزْدَقَة وهي القطعة من العجين، وقيل له ذلك لأنه كان جَهْمَ الوجه، واسمه هَمّام بن غالب، ويُكْنَى أبا فراس.

١ - إنْ تُنْصِفُونَا يَالَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إِلَيْكُمْ وَإِلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعَادِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

فأْذنوا: أي فاعلموا، يقال: أذِنْتُ الشَّيءَ عَلِمْتُهُ، وآذَنْتُه: أعْلَمْته، يقول: إن حَمّلتمونا في مجاورتنا لكم على السَّواء وتركتم البَغْيَ علينا اختلطنا بكم، وإلا فاعلموا أنَّ البعادَ منكم هَمُّنا لأنَّا لا نصبرُ على الاهتضامِ.

٢ - فَإِنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحًا وَمَذْهَبًا ... بِعِيسٍ إلى رِيحِ الفَلاةِ صَوادِي

مَزَاحًا: هو من زَاحَ يَزِيحُ إذا ذهب، ومنه أزَحْتُ العِلَّةَ، يقول: إن سُمْتُمُونا خَسْفًا فإنَّ لنا عنكم في الأرض مَبْعَدًا بإبلٍ ألِفَتِ المفاوزَ، والصَّوادي: جمع صادية، وهي العطاش.

٣ - مُخَيَّسَةٍ بُزْلٍ تَخَايَلُ في البُرَى ... سَوَارٍ عَلَى طُولِ الفَلاةِ غَوادِي

تَخَايَلُ: أي تختالُ في سَيْرِها وهي مُبْرَاةٌ تُطِيقُ وَصْلَ السَّيْرِ بالسُّرَى على امتدادِ الشُّقَّةِ، وقوله «في البُرَى»: في موضع النَّصبِ على الحال.

٤ - وَفِي الأَرْضِ عَنْ ذِي الجَوْرِ مَنْأًى وَمَذْهَبٌ ... وَكُلُّ بِلادٍ أُوطِنَتْ كَبِلادِي

٥ - وَمَاذَا عَسَى الحَجَّاجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ ... إِذَا نَحْنُ خَلَّفْنَا حَفِيرَ زِيَادِ[٢]

حفيرُ زياد ابن أبيه: وهو نهرٌ كان احتفرَهُ، وهو حَدُّ عَمَلِه، يقول: إذا تركنا بلادَه وسِرْنا عنها فما يقدر أن يفعل بنا.

٦ - فَبِاسْتِ أَبِي الحَجَّاجِ وَاسْتِ عَجُوزِهِ ... عُتَيِّدَ بَهْمٍ تَرْتَعِي بِوِهَادِ

قوله «فبِاسْتِ أبي الحجّاج»: قال أبو زيد: القصدُ بمثلِ هذا القول أن يُبَيِّنَ أنه يتجاسرُ على ذكر السَّوْأةِ منه، والباء من قوله «بِاسْتِ» متعلقة بِمُضْمَرٍ كأنه لحقَ بِاست

(١) الفرزدق: هو هَمّام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر عظيم الأثر في اللغة وكان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م) (ترجمته في: الأغاني ٩/ ٣٢٥؛ وابن سلام ص ٧٥؛ والمرزباني ص ٤٨٦؛ وخزانة البغدادي ١/ ١٠٥). أما هذه الأبيات فقد نسبها ياقوت في معجم البلدان ٣/ ٣٠٤ إلى البرج بن خنزير التميمي، ونسبها المبرد في الكامل ص ٢٩٠ إلى مالك بن الريب المازني.

(٢) عند المرزوقي «جَهْدَهُ» بالنصب.

والدِّيْهِ كلّ خزيةٍ وعارٍ، وانتصب «عُتَيِّدَ بَهْم» على الاختصاص والشَّتم، والعامل فيه مُضْمَر، كأنه قال: أعني وأذكرُ، وجعله بهذا الاسم أشهرَ وأعْرَف منه بِالعَلَم الَّذي له واسمه الذي يسمّى به، وهذا هو الغرض في كلّ ما يُنْصَبُ على المدح أو الذَّم، ولذلك كان أبلغ من الصّفات التابعة لموصوفاتها في المعنى إذا رأيت الصّفة تجيءُ بِشرحِ الاسم وإزالة اللَّبْسِ عنه، وبابُ المَدْح والذَّمّ يجيءُ لِلتَّنويهِ والرَّفع أو التَّهجين والحَطِّ، والعَتُود[1]: ما رَعَى وقَوِيَ من أولادِ الغَنَم، والبَهْمُ: صِغارُ أولاد الغنم، وموضع «ترتعي» جَرٌّ على أنه صفة لقوله بهم، وترتعي بِوِهَادٍ لأنَّ أصحابَها أذِلاَّءَ يَستتِرونَ في الوِهادِ، والأَعِزَّاءَ يظهرون.

٧ ـ فَلَوْلاَ بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ابْنُ يُوسُفٍ كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ إيَاد

٨ ـ زَمَانَ هُوَ العَبْدُ المُقِرُّ بِذِلَّةٍ يُرَاوِحُ صِبْيَانَ القُرَى وَيُغَادِي

قال ذلك لأن الحجّاج كان مُعَلِّمًا بِالطَّائف، وفي ذلك يقول الشَّاعر: [المتقارب]

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زَمَانَ الهُزَالِ وَتَعْلِيمَهُ سُورَةَ الكَوْثَرِ

رَغِيفٌ لَهُ فُلْكَةٌ مَا يُرَى وَآخَرُ كَالقَمَرِ الأَزْهَرِ

يقول: إنَّ خبزَ المعلّم مختلفٌ في الصِّغَرِ والكِبَرِ والجودة والرَّدَاءة على قدرِ مَنْ يحملُ الخبزَ له من الصّبيان، كما قال أبو الأخضر: [البسيط]

أَمَا رَأَيْتَ بَنِي بَدْرٍ وَقَدْ جُعِلُوا كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وَكُتَّابِ

وكان الحجّاج في صِغره يُسَمَّى كُلَيْبًا، وروى الجاحظ هذه الأبيات لمالك بن الرَّيب.

[٢٢٩] وقال آخر:

١ ـ قَدْ عَلِمَ المُسْتَأْخِرُونَ في الوَهَلْ

٢ ـ إذَا السُّيُوفُ عُرِّيَتْ مِنَ الخِلَلْ

٣ ـ أنَّ الفِرَارَ لاَ يَزِيدُ في الأَجَلْ

من مشطور الرّجز، والقافية متدارك.

قوله «أنَّ الفِرارَ»: سَدَّ مسدَّ مفعولي عَلِمَ، والخِلَلُ: بَطائنُ جفونِ السّيوف، الواحدة خِلَّة، والمراد به هنا الأغماد، يقول: إنَّهم مع تأخُّرِهم عن القتالِ وفِرارِهم عنه يعلمون أن ذلك لا يزيد في آجالهم؛ يَحُضُّهم على الإقدامِ بذلك.

---

(١) العُتَيِّدُ: تصغير العَتُود.

[٢٣٠] **وقال شُبَيل الفَزَاري[١]، وحاربه بنو أخيه فقتلهم:**

١ ـ أَيَا لَهْفَى عَلَى مَنْ كُنْتُ أدْعُو فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الواو في قوله «وساعده» للحال: أي يكفيني بقوّةٍ وشِدَّةِ بأسٍ، ومَنْ: لفظه واحد وإنْ أُرِيدَ به الكَثْرَةُ، ويُرْوَى «بِساعِدِه» أي يكفيني الشَّديد بساعده.

٢ ـ وَمَا مِنْ ذِلَّةٍ غُلِبُوا، وَلكِنْ كَذَاكَ الأُسْدُ تَفْرِسُهَا الأُسُودُ

«الأُسْدُ» مرتفع بالابتداء، و«تَفرِسُها الأسودُ»: خبره، و«كذاك» في موضع الحال: أي أمثالاً لِمَنْ قتلت، ويجوز أن يكون أشار بذاك إلى الغلب لأن غلبوا يدلُّ عليه، ويجوز أن يكون «كذا» خبرًا مُقَدَّمًا لِلأسدِ، و«تَفرِسُها» في موضع الحال، والتقدير ولكن كأمثالهم الأُسْدُ إذا فَرَسَتْها الأُسْدُ.

٣ ـ فَلَوْلاَ أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إلَيْهِمْ سَوَابِقُ نَبْلِنَا وَهُمْ بَعِيدُ

بعيدٌ: مثل الصَّديق والرَّسول في أنه يقع للواحد والجميع: أي رَمَيْنَاهم من بعيد فقتلناهم، ولو أمهلناهم فقربوا منّا لَنَالُوا مثلَ ما نِلْنَا منهم.

٤ ـ لَحَاسَوْنَا حِيَاضَ المَوْتِ حَتَّى تَطَايَرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ

شريدُ: يُرَادُ به الكَثْرَة وإنْ كان لَفْظُه واحدًا، وقوله «لَحَاسونا حياضَ الموتِ» فيه تَوَسُّعٌ؛ لأنَّ المعنى ما في الحياض.

[٢٣١] **وقال قَطَرِيُّ بن الفُجاءَةِ:**

١ ـ أَلاَ أيُّهَا البَاغِي البِرَازَ تَقَرَّبَنْ أُسَاقِكَ بِالمَوْتِ الذُّعَافَ المُقَشَّبَا

٢ ـ فَمَا في تَسَاقِي المَوْتِ في الحَرْبِ سُبَّةٌ عَلَى شَارِبِيهِ فَاسْقِنِي مِنْهُ وَاشْرَبَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «أُسَاقِكَ بِالموتِ»: يجوز أن يكون معناه أُسَاقِكَ قشيبَ الموتِ، ويجوز أن يكون على القلب، أراد أُسَاقِكَ الموتَ بِالذُّعافِ، والمعنى بأنْ أفعلَ بكَ ما يقومُ مقام سَقْيِ الذّعَافِ، ويدلّ على هذا الوجه قوله في البيت الثاني «فما في تساقي الموت». والذُّعَافُ: سَمٌّ ساعةٍ، ويقال: طعامٌ مَذْعُوفٌ، وموتٌ ذُعَافٌ: أي وَحِيٌّ[٢]. والمُقَشَّبُ: الَّذي قد خُلِطَ به أدوية تُقَوِّيه، وأصلُ القَشْبِ: الخَلْطُ، حتى قيل: رَجُلٌ مُقَشَّبٌ: أي مخلوطُ الحَسَبِ بِاللُّؤْمِ، والتَّسَاقي: أن يسقي بعضُهم بعضًا، ولا يَصحُّ الأمرُ منه لواحِدٍ،

---

(١) عند المرزوقي: «شِبْلٌ».

(٢) موتٌ وَحِيٌّ: سريعٌ.

ولا يتعدَّى إليه، ومن هذا الوجه يخالفُ تَفَاعَلَ فَاعَلَ، وإنْ لم يكنْ فِعلهما إلاَّ من اثنين فصاعدًا، ألاَ ترى أنكَ تقولُ: يا زيدُ ضَارِبْ عمرًا، ولا تقول: تُضَارِبُه.

[٢٣٢] وقال دَرَّاج وكان قد طُعِنَ:

١ - شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أُمَّ كَهْمَسْ
٢ - وَلاَ تَهُلْكِ أَذْرُعٌ وَأَرْؤُسْ
٣ - مُقَطَّعَاتٌ وَرِقَابٌ خُنَّسْ
٤ - فَإِنَّمَا نَحْنُ غَدَاةَ الأَنْحُسْ
٥ - هِيمٌ بِهِيمٍ طُلِيَتْ تَمَرَّسْ

السادس من السريع، والقافية متواتر.

الخُنَّسُ: جمع خانس، كشاهِدٍ وشُهَّدٍ، والخُنُوسُ: الانقباضُ والانخفاضُ والأَنْحُس: جمع نحس، وهو الغبرة، والرِّيح أيضًا يقال لها نحس، والبرد نحس والنَّحْسُ خلافُ السَّعْدِ: أي نحن كذلك غَدَاةَ هَيْجِ الغبارِ، يعني غَدَاةَ الحربِ والباء من قوله «بِهِيم»: تتعلَّقُ بِتَمرَّسْ، وتَمَرَّسْ: صفة للأول، و«طُلِيَتْ»: صفة الثاني، والهِيمُ: الإبِلُ العِطَاشُ، وإذا كانت جَرْبى قد عَطِشَتْ وطُلِيَتْ كان حماها أزيد وتحكّكها أشدّ، ومجازه هِيمٌ تَمَرَّسُ بهيم طُلِيَتْ.

[٢٣٣] وقال الأَرْقَطُ بن رَعْبَل(١) بن كُلَيبِ العَنْبَرِيّ:

١ - إِنِّي وَنَجْمًا يَوْمَ أَبْرَقِ مَازِنٍ عَلَى كَثْرَةِ الأَيْدِي لَمُؤْتَسِيَانِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

لَقِيَ هذا الرَّجُلُ وابنه قومًا لُصُوصًا فقاتلاهم وظَفِرَا بهم، فأخذ يَقْتَصُّ الحالَ، ونجم: اسم ابنه، وقوله «لَمُؤْتَسِيانِ» أي: يُوَاسِي كلٌّ مِنَّا صاحِبَه على أمرِه، و«على كَثْرَةِ الأيدي»: في موضع الحال.

٢ - يَلُوذُ أَمَامِي لَوْذَةً بِلَبَانِهِ وَتُرْهِبُ عَنَّا نَبْعَةٌ وَيَمَانِي

الباء في «بِلَبَانِهِ» تتعلَّقُ بِيَلوذُ، ولا يجوز أن تتعلَّق بِلَوْذَةٍ، لأن الفعل والمصدر إذا اجتمعا فالفعل بالعمل أولى، والهاء ضمير الفرس، وإن لم يَجْرِ ذِكْرُهُ؛ لأنَّ المرادَ مفهومٌ، وكان الأرقطُ فارسًا على ما يدلُّ عليه الكلامُ، والابنُ رَاجِلاً، ويعني بِالنَّبْعَةِ قوسًا.

---

(١) عند المرزوقي: «دِغبِل بن كلب».

٣ ـ وَنَغْشَى فَنُغْشَى ثُمَّ نُرمَى فَنَرتَمِي وَنَضْرِبُ ضَرْبًا لَيْسَ فِيهِ تَوَانِ

[٢٣٤] وقال وَدَّاك بن ثُمَيْل[١]:

١ ـ نَفْسِي فِدَاءُ لِبَنِي مَازِنٍ مِنْ شُمُسٍ فِي الحَرْبِ أَبْطَالِ

ثالث السريع، والقافية متواتر.

٢ ـ هِيمٌ إلى المَوْتِ إذَا خُيِّرُوا بَيْنَ تِبَاعَاتٍ وَتَقْتَالِ

الهِيمُ: العِطَاشُ، وَالتِّبَاعَةُ وَالتَّبِعَةُ بمعنى، يقول: إذا خُيِّرَ بنو مازنٍ فيما يُزَاولونه بين الصَّبْرِ على القتالِ وبين الرِّضَا بما يَلْحقُهم معه تِبَاعات العارِ آثَروا فَوْتَ الرُّوحِ على التزام التَّهَضُّمِ.

٣ ـ حَمَوْا حِمَاهُمْ وَسَمَا بَيْتُهُمْ فِي بَاذِخَاتِ الشَّرَفِ العَالِي

الباذخ: الجبل الكبير، ومنه البَذْخُ الكِبَرُ، يقال: بَذَخَ يَبْذَخُ وَيَبْذُخُ، والبَيذَخُ: نخلةٌ معروفةٌ بهذا الاسم، الياء زائدة.

[٢٣٥] وقال سَوَّار[٢]:

١ ـ أَجَنُوبُ إنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ فَوَارِسِي بِالسَّيْفِ حِينَ تَبَادَرُ الأَشْرَارُ

ثاني الكامل، والقافية متواتر.

يقول: لو شاهدتِ فوارسي يا جَنُوبُ بِالسِّيفِ ـ وهو شاطئُ البَحْرِ ـ حين سابقَ شِرَارُ النَّاسِ وجُبَنَاؤُهم إلى مُتَّسَعِ الطَّريقِ خوفًا من الإسارِ لَرَأَيْتِ أمرًا مُنْكَرًا، وجواب لو محذوف، وإبهام الحال في مثل هذا الكلام أبلغ من بيانها.

٢ ـ سَعَةَ الطَّرِيقِ مَخَافَةَ أنْ يُؤْسَرُوا وَالخَيْلُ تَتْبَعُهُمْ وَهُمْ فُرَّارُ

سَعَةُ الطَّريقِ: مفعول تبادَرَ، ومخافَةً: مفعول له، وأن يُؤْسَرُو: مفعول من المخافة.

٣ ـ يَدْعُونَ سَوَّارًا إذَا احْمَرَّ القَنَا وَلِكُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَوَّارُ

يقول: هم يستغيثون بي عند احمرار البأس، وقوله «ولِكُلِّ يومِ كريهةٍ سَوَّارُ» أراد أن يبيِّنَ أن ذلك دأْبُهُمْ عندَ الكَريهَةِ في دعائي ودأبي في إجابتهم، واحمرارُ القَنَا إنَّما يكون

(١) عند المرزوقي: «وَدَّاك بن نُمَيْل المازنيّ». وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم ١٨ وورد أيضًا نُمَيل.

(٢) وردت ترجمة سَوَّار بن مضرّب السّعديّ في الحماسية رقم ١٩.

من الدَّم السَّائِلِ عليه لِكَثْرَةِ الطَّعْنِ به، ويقال: أَحْمَرَّ البأسُ، إذا اشْتَدَّ، وقالوا: الحُسْنُ أحْمَرُ: أي نَتَجَشَّمُ الشَّدائِدَ في طلبِ الجَمالِ.

[٢٣٦] وقال أبو حُزَابَةَ[١]، أو ابن حُزَابَةَ:

١ ـ مَنْ كَانَ أَقْحَمَ أَوْ خَامَتْ حَقِيقَتُهُ ... عِنْدَ الحِفَاظِ فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى القُحَمِ[٢]

أول البسيط، والقافية متراكب.

«نامت حقيقته»[٣] أي نام عن الحقيقة، وخَامَتْ: جَبُنَتْ، يقول: مَن لم يحفظْ حقيقته ونامَ عنها وقعدَ عن شدائد الأمور.

٢ ـ فَعُقْبَةُ بْنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازَلَهُ ... جَمْعٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ يُحْجِمْ وَلَمْ يَخِمِ

عُقبةُ: مبتدأ، وخبره «لم يحجمْ» والإحجامُ: ضِدّ الإقدامِ، وخامَ: إذا نَكَلَ عنِ الشَّيء.

٣ ـ مُشَمِّرٌ لِلْمَنَايَا عَنْ شَوَاهُ إِذَا ... مَا الوَغْدُ أَسْبَلَ ثَوْبَيْهِ عَلَى القَدَمِ

الشَّوَى: الأطراف، والوَغْدُ: من قولك: وَغَدْتُ القومَ، إذا خدمتهم، و«إذا»: ظرف لما دَلَّ عليه «مُشَمِّر»، وهو جوابه، وتشميرُ الثوبِ مَثَلٌ للجدِّ في الأمور، وإسباله مَثَلٌ للتَّوَاني فيها، لأن المُتَوَاني يُرْسِلُ ثوبه، والمُجدُّ يُشَمِّرُهُ.

٤ ـ خَاضَ الرَّدَى وَالعِدَا قُدْمًا بِمُنْصُلِهِ ... وَالخَيْلُ تَعْلُكُ ثِنْيَ المَوْتِ بِاللُّجُمِ

العَلْكُ: المَضْغُ، يقال: في لسانه عِلْكٌ[٤] يمضغُهُ، فعلى هذا يكون «ثِنْيَ الموتِ» ظرفًا، كما يقال: جعلته ثِنْيَ كذا، ويجوز أن يكون مفعولاً من «تَعْلُكُ»: وثِنْيُ الشَّيء: ما يُثْنَى منه، وهو هٰهنا مَثَلٌ واستعارةٌ، أراد خيل الكمين، جعلها تعلكُ الموتَ لأنَّ وقوفها في ذلك الموضع عالكةً لِلُجُمِهَا يؤدِّي إلى الموت، ويكون «بِاللُّجُم» في موضع الحال، كأنه قال: والخيلُ تمضغُ مُثَنَّى الموتِ أي مُضَاعَفُهُ مُلْجَمَةً، وروى بعضهم «والخيل تعلكُ ثِنَّ الموت» والثِّنُّ: حُطَامُ اليَبِيسِ، والَّذي تقدَّم هو الوجه.

٥ ـ وَهُمْ مِئُونَ أُلُوفًا وَهْوَ فِي نَفَرٍ ... شُمِّ العَرَانِينِ ضَرَّابِينَ لِلْبُهَمِ

مائة: من الأسماء المنقوصة، بدلالة قولهم: أمْأَيْتُ، ولذلك جمع على السَّلامة،

---

(١) ضبطه المرزوقي أبو حَزَابَة: وهو الوليد بن حنيفة، وأحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك شاعر من شعراء الدولة الأموية، خرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك (الأغاني ١٩/١٥٢).

(٢) عند المرزوقي «أحجمَ» بدل «أقحم».

(٣) يظهر أنه يفسِّر ما ورد في رواية أخرى غير هذه.

(٤) العِلْكُ: صمغ الصنوبر والأرزة والفستق والسرو والبطم.

وإنما أشارَ إلى جنسِ التُّرْكِ كلّه فَعَدَّهُمْ أعداءَهُ، لا أنّه حاربَ مِئينَ أُلوفًا، والبُهَمُ: جمع بُهْمَةٍ، وهم الشُّجعانُ الَّذين لا يُدْرَى كيف يُؤْتَوْنَ لاِسْتِبهامِ أحوالِهم.

[٢٣٧] وقال أوْسُ بن ثَعْلَبَة[١]:

١ ـ جَذَّامُ حَبْلِ الهَوَى مَاضٍ إذَا جَعَلَتْ هَوَاجِسُ الهَمِّ بَعْدَ النَّوْمِ تَعْتَكِرُ

أول البسيط، والقافية متراكب.

جَذَّام: فَعَّالٌ من الجَذْمِ، وهو القَطْعُ، وحَبْلُ الهوى: الوَصْلَةُ التي بينه وبين النَّفْسِ، وعَكَرَ وَاعْتَكَرَ: عَطَفَ، والهاجِسُ: ما وقعَ في خَلَدِكَ.

٢ ـ وَمَا تَجَهَّمَنِي لَيْلٌ وَلاَ بَلَدٌ وَلاَ تَكَاءَدَنِي عَنْ حَاجَتِي سَفَرُ

فيه قلب، لأن المعنى ما تَجَهَّمْتُ ليلاً، ويقال: تَجَهَّمْتُ فلانًا، ولِفُلانٍ، إذا استقبلته بوجه كريهٍ، وَأَسَدٌ جَهْمُ الوجهِ، ويقال: تَكَاءَدَنِي كَذَا، إذا شَقَّ عليكَ، وقال «عن حاجتي» حملاً على المعنى، لأنَّ المُرَادَ ولا مَنَعنِي سفرٌ شَاقٌّ عن حَاجَتي، وقيل في تَكَاءَدَني: إنّه من المقلوب أيضًا، معناه ما تكاءَدْته: أي ما استصعبته، وأصله من الكَأْدَاءِ والكَؤُود، يقول: ما كَرِهْتُ ركوبَ اللَّيلِ في حوائجي ولا شَقَّ عَلَيَّ السَّفَرُ فأتركه فتفوتنِي حاجتي.

[٢٣٨] وقال آخر، وقد أوقعَتْ مازنٌ بقوم من عِجْل فقتلوا منهم، فَعَدَتْ بنو عجلٍ على جَارٍ لِبَني مازنٍ فقتلوه:

١ ـ أقُولُ وَسَيْفِي فِي مَفَارِقِ أغْلَبِ وَقَدْ خَرَّ كَالجِذْعِ السَّحُوقِ المُشَذَّبِ[٢]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

السَّحُوق من الحُمُرِ والنَّخْلِ: الطَّويلُ، يقال: أَتَانٌ سَحُوقٌ، ونخلةٌ سَحُوقٌ، وجعل الجِذْعَ مُشَذَّبًا ليكونَ طوله أظهر، وخَرَّ: بمعنى سقطَ[٣]، أقول قوله:

٢ ـ بِكَ الوَجْبَةُ العُظْمَى أنَاخَتْ وَلَمْ تُنِخْ بِشُعْبَةَ فَابْعَدْ مِنْ صَرِيعٍ مُلَحَّبِ

الوجبة أراد بها المَنِيَّة: أي نزلَ بك المكروه الأعظم لا بِشُعْبَةٍ، كأنَّ هذا المصروع كان يتوعَّد شعبة بالقتلِ أو يريدُه له، وقوله: فابْعَدْ: دعاءٌ عليه، والمُلَحَّبُ: المُذَلَّلُ، ومنه

---

(١) أوس بن حارثة بن ثعلبة: من بني مزيقياء من الأزد، جدّ قبيلة الأوس، تحوّل بنوه من اليمن إلى المدينة وتفرّعت منهم عدة بطون (ترجمته في جمهرة الأنساب ص ٣١٢؛ ودائرة المعارف الإسلامية ٣/ ١٥٠؛ والأغاني ٣/ ١٣٧).

(٢) أغلب: اسم رجل.

(٣) كأنه يوجد انقطاع في المعنى وربما أراد القول: (ومفعول «أقول» هو قوله: بكَ الوجبةُ).

طريق لاَحِبٌ: أي واضحٌ، ويجوز أن يكون معنى مُلَحَّب: مجروحٌ مُقَطَّعٌ، يقال: لَحَبْتُ اللَّحْمَ: إذا قَطَعْتَهُ طولاً.

٣ ـ سَقَاهُ الرَّدَى سَيفٌ إذَا سُلَّ أوْمَضَتْ   إلَيهِ ثَنَايَا المَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبِ

أومضتْ: أشارَتْ، ومنه «أومضَ البرقُ» إذا لمعَ من بعيدٍ، كأنه يشيرُ، يقول: إذا سُلَّ هذا السَّيفُ قتل به القوم، وليس ثَمَّ إيماض ولا مَرْقَب، إنما هو مَثَلٌ.

٤ ـ فَيَا عِجلُ عِجْلَ القَاتِلِينَ بِذَحْلِهِمْ   غَرِيبًا لَدَيْنَا مِنْ قَبَائِلِ يَحْصُبِ[١]

«عجلَ القاتلين»: هو من إضافة البعض إلى الكلّ، وكَرَّره توكيدًا، وقال أبو هلال: أضاف عجلاً إلى القاتلين وهي هم كما قال اللّه تعالى: ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٢] والحبلُ هو الوريد فأُضيفَ إلى نفسِه، ونحوه ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[٣] وقيل: حقّ اليقين مثل قولك: عينُ اليقينِ، ومَحْضُ اليقينِ، ولكَ أن تضمَّ «عجل» الأول وتنصب الثاني على البدل أو عطف البيان، وبنو عجل موتورون بما ارتكب منهم بنو مازن فلم يطلبوا ذَحْلَهم من وجهه، لكنهم أخذوا غريبًا كان جاور بني مازن فقتلوه، فقال هذا الشاعر في مخاطبتهم مُعَيِّرًا أو هازئًا: يا عجلُ عِجْلَ القاتلين بوترهم غريبًا كان عندنا من بني يحصب.

٥ ـ جنيتُمْ وَجُرتُمْ إذ أخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ   غَرِيبًا زَعَمْتُمْ مُرْمِلاً غَيرَ مُذْنِبِ

إن قيل: أين مفعولا «زعمتم» وكيف ساغ حذفهما؟ قلت: الحذف هنا كالحذف في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٤] وكالحذف في قول الكُمَيْت: [الطويل]

بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ   تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيْكَ وَتَحْسَبُ[٥]

فكما حذف مفعولا «تَحْسِبُ» في بيت الكميت، ومفعولا «تزعمون» في الآية، كذلك حُذف مفعولا «زعمتم» من هذا البيت، ويكون التقدير إذ أخذتم بِحقِّكم رجلاً هذه صفته زعمتموه مأخوذًا، فحذف ذكل الحقّ لما تقدَّم ذكره، ولمّا حذفَ المفعول الأوّل ساغَ حَذْفُ الثاني، وهذا كما يُحْذَفُ المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب، وهي «متى ظَنَنْتَ أو قُلْتَ زَيْدًا مُنْطَلِقًا»[٦] إذا أعملتَ الفعل الأول، وساغَ ذلك لأنَّ الفعلَ الأوّلَ يقتضيهما، وقد حصلَ في الكلام ذِكْرُهما، وَالمُرْمِلُ: الفقيرُ.

---

(١) عند المرزوقي «ويا عِجلُ».
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٩٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٢.
(٥) البيت للكميت في خزانة الأدب ٩/١٣٧؛ والدّرر ١/٢٧٢؛ وشرح التصريح ١/٢٥٩؛ والمقاصد النحوية ٢/٤١٣؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/٦٩؛ وشرح الأشموني ص ١٦٤؛ وشرح ابن عقيل ص ٢٢٥؛ ومشهور الرواية في الهاشميات ص ٣٨: «عارًا عَلَيَّ».
(٦) كتاب سيبويه ١/٤١.

٦ ـ وَمَا قَتْلُ جَارٍ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ   لِطَالِبِ أَوْتَارٍ بِمَسْلَكِ مَطْلَبِ

٧ ـ فَلَمْ تُذْرِكُوا ذَحْلاً وَلَمْ تَذْهَبُوا بِمَا   فَعَلْتُمْ بَنِي عِجْلٍ إلى وجْهِ مَذْهَبِ

يقول: لَم تُذرِكُوا بِثَأرِكم؛ لأنَّكم قتلتم غيرَ مَنْ قتل منكم، ولم تذهبوا في فعلكم هذا إلى ما يذهبُ إليه النَّاسُ في طلب الأوتار.

٨ ـ وَلَكِنَّكُمْ خِفْتُمْ أَسِنَّةَ مَازِنٍ   فَنَكَّبْتُمُ عَنْهَا إلى غَيْرِ مَنْكَبِ

يقال: نَكَّبَ بمعنى تَنَكَّبَ: أي انحرفَ، ويقال: رَجُلٌ أنكبُ عن الحقِّ، ومِنْكَابٌ عنه، إذا جَانَبَهُ فصارَ منه في شِقٍّ، يقول: هِبْتُم أعداءَكم عندما دهمتم به من طلب وِتْركم واستشعرْتم منه فَحَذِرْتُموهم ثمّ عَدَلْتُم عنهم إلى غير مَعْدِلٍ، يعني أن مازنًا تطلبُ بِثأرِ جارِها منكم فتصيبُكم ولا ينفعكم تَنَكُّبكم عنها إلى غيرها في طلبِ ثأرِكم.

٩ ـ وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ   وَعِلْمُ بَيَانِ الْمَرْءِ عِنْدَ الْمُجَرَّبِ

أي: عند التَّجربة: أي جَرَّبْتُمونا، يقال: ذُقْتُ هذا السَّيفَ فَحَمِدْتُهُ أو ذَمَمْتُهُ: أي جَرَّبْتُهُ، وبالبحثِ يُوقَفُ على خَبْءِ الأمورِ.

[٢٣٩] وقال بَغْثَرُ[1] بن لَقِيط الأسدي:

١ ـ أمَّا حَكِيمٌ فَالْتَمَسْتُ دِمَاغَهُ   وَمَقِيلَ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمُنْصُلِ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

أمَّا: يتضمّن معنى الجزاء، وأكثر ما يجيءُ مُكَرَّرًا، وقد جاء هٰهنا غير مُكَرَّر؛ يقول: مهما كان من شيء فقد طلبتُ دِماغَ هذا الرَّجل بسيفي فأصبتُه غير مُتَنَدِّمٍ على ما فعلتُ.

٢ ـ وَإذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ   بَعْدَ الْعَزِيمَةِ لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلِ

العزيمةُ: توطين النَّفْسِ على المُرَادِ.

[٢٤٠] وقال رجل من بني نُمَيْر[2]:

١ ـ أَنَا ابنُ الرَّابِعِينَ مِنَ آلِ عَمْرٍو   وَفُرْسَانِ الْمَنَابِرِ مِنْ جَنَابِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الرَّابِعُ: الرَّئِيس الذي كان يأخُذُ رُبعَ الغنيمةِ في الغزو، ويقال: رَبَعَ فُلانٌ في الجاهلية، وخَمَسَ في الإسلام، أي: أنا ابنُ السَّادَةِ والجَارِّينَ لِلجيوشِ في الجاهلية

(١) بَغْثَر بن لقيط بن خالد بن نضلة: ذكره في تاج العروس واللسان (بغثر) وقال: شاعر جاهلي.
(٢) نسب المبرد في الكامل ص ٦٧ ليبسك بيتين شبيهين بالأول والثاني إلى القَتَّال الكلابي.

وفرسان المنابر في الإسلام، يعني الأمراء الخطباء، وَجَنَاب: حَيٌّ، واستعار هذا الفروسة على المنبر كما استعار ثابت بن قطنة الخطبة بالسيف، وصعد منبرًا بخراسان فَحَصِرَ[1]، فنزل وقال: [الطويل]

فإلاَّ أكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإنَّنِي بِسَيْفِي إذَا جَدَّ الوَغَى لَخَطِيبُ

فإنما حسنَ ذلك لأنه جاء به في مقابلة خطيب، وأكثر كلامهم الاستعارات، وجيّدها أحسن من الحقيقة، فهو يقدم عليها في الاستحسان، فأما في الأحكام فتقدم الحقيقة على المجاز.

٢ - نُعَرِّضُ لِلطِّعَانِ إذَا التَقَيْنَا وُجوهًا لاَ تُعَرَّضُ لِلسِّبَابِ[2]

٣ - فَآبَائِي سَرَاةُ بَنِي نُمَيْرِ وَأخْوَالِي سَرَاةُ بَنِي كِلاَبِ

قال الخليل: السَّرْوُ: السَّخَاءُ في المروءة، وَفَعَلة في جمع المعتل نادر، إنَّما يختصُّ بِالصَّحيح، نحو الكَفَرَة وَالفَجَرَة، وبإزائه من المعتلّ فُعَلَةٌ نحو قُضَاة وَغُزَاة، واشتقاقُ السَّرِيّ يجوز أن يكون من استريت الشَّيءَ إذا اخترته، والسَّرِيَّةُ: الخيار، ويجوز أن يكون من السَّرَاة التي هي أعلى الشَّيء؛ لأنَّ سادةَ الأقوامِ أعاليهم، يقول: أنا كريمُ الطَّرَفَيْنِ، ويجوز أن يكون السَّرَاة جمع سَرِيّ، وهو الجيِّدُ من كلِّ شيء.

[٢٤١] وقال الهُذْلُول بن كَعْبٍ العَنْبَرِيّ[3]:

الهُذْلُولُ: الخفيفُ السَّرِيعُ، وكان قد تزوَّجَ امرأةً من بني بَهْدَلَة فرأته يومًا يطحنُ لِلأضيافِ فضرَبَتْ صَدْرَها، وقالت: أهذا زوجي؟! فبلغه ذلك فقال.

والمبرد ذكر هذه الأبيات[4] لأعرابيّ سَعْدِيّ، وكان مُمْلَكًا[5] فنزلَ به ضيفٌ فقام إلى الرَّحَا يطحنُ، فَمَرَّتْ به زَوْجُهُ في نسوةٍ فقالت: أهذا بعلي؟! إعظامًا لذلك، فأُخْبِرَ بما قالت، فقال:

١ - تَقُولُ وَصَكَّتْ نَحْرَهَا بِيَمِينِهَا: أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَا المُتَقَاعِسُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

القَعَسُ: دخولُ الظَّهْرِ وخروجُ الصَّدْرِ، وقوله «أَبَعْلِيَ»: موضعُه رفعٌ بالابتداء، والألِفُ لَفْظُه لَفْظُ استفهام، ومعناه الإنكارُ والتَّقريعُ، وقوله «هذا» يكون في موضع الخبر، والمتقاعسُ يتبعه على أنه عطف البيان، وإنْ شِئتَ جعلتَ هذا صفة لِبعلٍ،

(١) حَصِرَ: عَيِيَ في النُّطْق.
(٢) عند المرزوقي: «نُعَرِّض لِلسّيوفِ».
(٣) الهُذلول بن كعب: شاعر من أعيان الأعراب، يُظَنّ أنه جاهلي (الأعلام ٩/ ٧١).
(٤) الكامل ص ٢٣.
(٥) أُمْلِكَ فلان إملاكًا: إذا زُوِّجَ.

والمتقاعس خبرًا. وقوله «بالرَّحا»: لا يجوز أن يتعلّق بالمتقاعس؛ لأنه في تَعَلُّقِهِ به يصيرُ من صلة الألف واللاَّم، وما في الصّلة لا يتقدّمُ على الموصول، ولكن تجعله تبيينًا، وتتصوّر المتقاعس اسمًا تامًا، ويصير موضع «بِالرَّحا» بعده موقع «بك» بعد «مرحبًا» و«لكَ» بعد «سَقْيًا» و«حَمْدًا» وإذا كان كذلك جاز تقديمه عليه، كما جاز أن تقول: بكَ مرحبًا، ولك سَقيًا، وللمازني في هذا طريقة أخرى، وهو أن تجعل الألف واللاَّم من المتقاعس للتعريف فقط ولا يؤدِّي معنى «الَّذي» كما تقول: نِعْمَ القائمُ زَيْدٌ، وبِئْسَ الرَّجُلُ عَمْرٌو، وإذا كان كذلك لم يحتجْ إلى الصِّلةِ، فجاز وقوع «بِالرَّحا» مُقَدَّمًا عليه، ومؤخَّرًا بعده، وموقع الجملة التي حكاها من قول المرأة نصب على أنه مفعول لِتقول، فأمّا ما يعمل في لفظه «قال» ومتصرّفاته فهو ما يكون قولاً ووضعًا للجمل[1]، كقولك: قلتَ حَقًّا أم باطلاً، أو قلتَ صدقًا أو كَذِبًا، وما أشبهه، والبعلُ: يقال لِلرَّجُلِ والمرأةِ، وقيل: بعلةٌ أيضًا، والفعل منه بَعُلَ بَعَالَةً وَبُعُولَةً، والبِعَالُ: مُلاَعَبَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ، ويقال: بنو فلانٍ لا يُبَاعِلُونَ: أي لا يُتَزَوَّجُ إليهم ولا يُزَوِّجُون.

٢ ـ **فَقُلْتُ لَهَا: لاَ تَعْجَلِي وَتَبَيَّنِي فَعَالِي إِذَا التَفَّتْ عَلَيَّ الفَوَارِسُ**

٣ ـ **أَلَسْتُ أَرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ نَائِسُ**[2]

ألف الاستفهام إذا اتَّصَلَ بحرف النَّفي يُقَرِّرُ به ما كان مَنْفِيًا، يقول القائل مُقَرِّرًا: أفعلتُ كذا؟ إذا لم يكنْ فَعَلَهُ فأنكرَه، وألم أفعل كذا إذا كان قد فعله، وموضع «يركبُ رَدْعَهُ» نصب على الحال، والرَّدْعُ: الكَفُّ والدَّفْعُ، وتحقيق الكلام أدفع القرن وقد ركبَ ردعي إياه فسقطَ، وقال الخليل: رَكِبَ رَدْعَهُ: أي خَرَّ صريعًا لِوَجْهِه، وذِكْرُ الرُّكوبِ مَثَلٌ، ويجوز أن يكونَ المُرَادُ بالرَّدْعِ ما تَلَطَّخَ به من الدَّم، وذكر بعض أصحاب المعاني أن معنى «رَكِبَ رَدْعَهُ» أي إذا كُفَّ لَم يَرْتَدِعْ ويَمْضِي لِوَجْهِهِ، كأنه يَتَلَقَّى الرَّدْعَ بِالرّكوبِ، وقال المبرّد: هو من «ارتدعَ السَّهْمُ» إذا رَجَعَ النَّصْلُ في سِنْخِهِ[3]، ويقال: رَكِبَ البعيرُ رَدْعَهُ، إذا سَقَطَ فدخلَ عُنُقُهُ في جَوْفِهِ، ومنه «ارتدعَ فلانٌ عن دينِه». وقوله «وفيه سنان» أي هو مطعونٌ بِسنانٍ صُلْبٍ ذي حَدَّيْنِ. وموضع «وفيه» موضع الحال، والعامل فيه «يركبُ» كما أن «يركب» في موضع الحال والعامل فيه «أرُدُّ». ويقولون: حديدٌ يابسٌ، وباردٌ، يعنون الصّلب، والنَّائِسُ: المُضْطَرِبُ.

٤ ـ **وَأَحْتَمِلُ الأَوْقَ الثَّقِيلَ وَأَمْتَرِي خُلُوفَ المَنَايَا حِينَ فَرَّ المُغَامِسُ**

---

(١) كذا في الأصل أما عند المرزوقي «ووصفًا للجُمَلِ» وهو أصحّ.

(٢) عند المرزوقي والكامل ومعجم المرزباني «يابسُ» بدل «نائسُ».

(٣) سِنْخُ النَّصْلِ: الحديدة التي تدخل في طرف السَّهم.

أحتملُ: عطف على خبر ليس، وهو أردُّ، والأَوْقُ: الثِّقْلُ، والمُغَامِسُ - بالغين منقوطة - هو الذي يدخل في الشَّدَائِد ويدخلُ غيره فيها، مثل المغامر، وَالمُعَامِسُ - بعين غير منقوطة - من قولهم: رجلٌ عَمُوسٌ، يَتَعَسَّفُ الأشياءَ بِجَهْلِهِ، فيكون المعنى يَرْكَبُ رأسَهُ ولا يُبَالي أُصِيبَ أو أَصَابَ، والعَمَاسُ: يومٌ شديدٌ، والتَّعَامُسُ: التَّجَاهُلُ، والمعنى أنه يثبتُ إذا فَرَّ مَنْ هذه صِفَتُهُ من الحربِ.

٥ - وَأَقْرِي الهُمُومَ الطَّارِقَاتِ حَزَامَةً   إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الوَسَاوِسُ

أي: أحزمُ عِندَها إذا اشتدَّتْ وكَثُرَتْ أحاديثُ النَّفْسِ بها، وخصَّ الوساوسَ بِالذِّكْرِ لأنَّه اسمٌ لِمَا يقعُ في النَّفْسِ من الشَّرِّ وما لا خيرَ فيه، كما أن الإلهامَ اسمٌ لِمَا يقعُ فيها من عمل الخير، والإيجاسُ اسمٌ لِمَا يقعُ فيها من الخوفِ، والأَمَلُ اسمٌ لِمَا يقعُ فيها مِمَّا لا عليها ولا لها، بل يُنَبَّهُ به لغائبٍ عنه.

٦ - إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَقَحَّمْتُ غَمْرَةً   يَهَابُ حُمَيَّاهَا الأَلَدُّ المُدَاعِسُ

خامَ: جَبُنَ وكَفَّ، وحُمَيَّا الشَّيء: صَدْمَتُهُ، يقال: فلانٌ حَامِي الحميا، إذا كان يحمي ما عليه، وَحُمَيَّا مُصَغَّر لا مُكَبَّر له، وقياس مُكَبَّره حَمْيَا أو حُمْيَا، فإنْ كان مفتوحَ الحاء فينبغي أن تنقلبَ يَاؤُها واوًا فيقال: حَمْوَى؛ لأنَّ فَعْلَى إذا كان اسمًا مِمَّا لامه ياء قُلِبَتْ واوًا، وذلك نحو الثَّنْوَى والتَّرْوَى، والدَّعْسُ: الطَّعْنُ والدَّفْعُ، ويقال: طريق مِدْعَاسٌ: أي مُذَلَّلٌ.

٧ - لَعَمْرُ أَبِيكِ الخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ   لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ

ويُرْوَى «لَخَادِمُ صحابي» وأضاف الأب إلى الخير، كما يقال: هو فَتَى صِدقٍ، وفَتَى كَرَمٍ.

٨ - وَإِنِّي لأَشْرِي الحَمْدَ أَبْغِي رَبَاحَهُ   وَأَتْرُكُ قِرْنِي وَهْوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ

أي: أُهِينُهُ فَأَكْسِرُهُ حتى يبقى مُطْرِقًا مُتَنَدِّمًا كَمَنْ غلبه النُّعاسُ، وقيل في «ناعس» إنَّ المُرَادَ به أنه مشرفٌ على الموتِ، ويقال: طَعَنْتُ صَاحِبي فَأَنْمْتُهُ: أي قَتَلْتُه، والرَّبَاحُ: مصدر كالرِّبحِ.

[٢٤٢] وقالت كَنزَةُ[1] أُمُّ شَمْلَةَ بن بُرْد المِنقَرِيّ، من ولد قيس، وكانت أَمَةً لبني مِنْقَر اشتراها بُرْد:

١ - إِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهْوَ صَادِقِي   بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبِسًا أَزْلاَ

---

(١) كنزة المِنقريَّة: شاعرة (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م) ترجمتها في المبهج لابن جني ص ٥١؛ والجمحي ص ٤٧٥؛ والأعلام ٦/ ٩٥.

الأوّل من الطّويل، والقافية متواتر.

قولها «وهو صَادِقي» يجوز أن يكون لِلظَّنِّ، والمعنى: إنَّ ظَنّي بِشَمْلَةَ يَصْدُقُني لا مَحَالَةَ بأنّه يفعلُ كذا، والباء من قوله «بِشملة» يحوز أن يكون متعلِّقًا بصادقي: أي وهو يَصْدُقُني بسببِ شَمْلَة، وإن شِئْتَ يتعلّق بظنّي، ويجوز أن يكون هو ضمير شَمْلة، والمعنى: وهو فيما أَتَفَرَّسُ فيه وأعتقدُ من غَنَائِهِ يَصْدُقُني، ويكون «بِشملةَ» تَبْيينًا لا صِلَةً، كما يكون «بكَ» بعد «مرحبًا» تبيينًا. والأَزْلُ: مصدر وُصِفَ به، وهو الضِّيقُ: أي مَحْبِسًا ضَيِّقًا.

٢ ـ فَيَا شَمْلَ شَمِّرْ وَاطْلُبِ القَوْمَ بِالَّذِي أُصِبْتَ وَلاَ تَقْبَلْ قِصَاصًا وَلاَ عَقلاَ

قولها «فيا شملَ»: يدلُّ على أن هو ضمير شَمْلة، والقِصاصُ: أَخْذُ الشَّيْءِ بِالشَّيءِ، وأصله من القَصِّ: القَطْعُ، أي لا تأخذْ قِصاصًا بِحَقِّكَ، بل طالبْ بِالفَضْلِ.

[٢٤٣] وقالت كَنْزَةُ أيضًا:

من الطويل الأول.

١ ـ لَهفَي عَلَى القَوْمِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بِذِي السِّيدِ لَمْ يَلْقَوْا عَلِيًّا وَلاَ عَمْرَا

موضع «لم يَلْقَوْا» نصب على الحال والعامل فيه «تجمَّعوا».

٢ ـ فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهُوَ صادِقِي بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبِسًا وَعْرَا

الوَعْرُ ـ بإسكانِ العينِ ـ خلافُ السَّهْلِ، ولا يقالُ وَعِر، قال الأصمعي: ولا تلتفت إلى قول طرفة «في وَعْثٍ وَعِز»(١) وكان الأصمعي مُولَعًا بأجود اللّغات، والهاء في «بها» راجعة إلى المعركة.

[٢٤٤] وقال شُبْرُمَةُ بن الطُّفَيْل:

١ ـ لَعَمْرِي لَرِيمٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ مُحْرِزٍ أَغَنُّ عَلَيْهِ اليَارَقَانِ مَشُوفُ(٢)

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

الرِّيمُ: الظَّبْيُ الخالصُ البَيَاضِ، وأَغَنُّ: في صوتِه غُنَّةٌ، والغُنَّةُ: صوتٌ يخرجُ من الأنفِ، وهو صِفةٌ لِلرِّيم، لا للمرأة، شبّه المرأة به، ثم نعته، والمَشُوفُ: المَجْلُوُّ، وهو من صفات الرّيم أيضًا، وكان الأجود أن يكون من صفات البارق، وهو فارسيٌّ مُعَرَّبٌ، أصله باره، وهو السوار.

---

(١) هذه قطعة من بيت لطرفة بن العبد وتمامه:

طَيِّبُو البَاءَةِ سَهْلٌ وَلَهُمْ سُبُلٌ إنْ شِئتَ في وَعْثٍ وَعِز

(٢) ابن محرز: من أشهر المغنّين في أيام الدولة العباسية، وهو مسلم بن محرز (الأغاني ١/ ١٤٥).

٢ ـ أَحَبُّ إلَيْكُمْ مِنْ بُيُوتِ عِمَادُهَا سُيُوفٌ وَأَرْمَاحٌ لَهُنَّ حَفِيفُ

يعرضُ هذا الشَّاعِرُ بِرجلٍ سَكَنَ إلى الخَفْضِ والدَّعَةِ وتَوَانَى عن لقاء الحربِ، وفي مثل هذا المعنى: [الرجز]

وَاللَّهِ لَلنَّوْمُ عَلَى الدِّيبَاجِ عَلَى الحَشَايَا وَسَرِيرِ العَاجِ
مَعَ الفَتَاةِ الطَّفْلَةِ المِغْنَاجِ أَهْوَنُ يَا عَمْرُو مِنَ الإِدْلاَجِ
وَزَفَرَاتِ البَازِلِ العَجْعَاجِ[1]

وقوله «عِمادُها سيوفٌ» يعني ما تستظلُّ به الصَّعاليكُ في المفاوزِ إذا حَمِيَتْ عليهم الشَّمسُ يركزونَ الرِّماحَ والسّيوفَ ويطرحونَ عليها ثيابَهُمْ يستظلّونَ بها، والحفيفُ: الدَّوِيُّ، إذا ضَرَبَتْها الرِّيحُ كان لها دَوِيٌّ[2]، يقول: ليس الغزو من شأنكم ولكنكم أصحاب نساء.

٣ ـ أَقُولُ لِفِتْيَانِ ضِرَارٌ أَبُوهُمُ وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الطِّعَانِ وُقُوفُ

قوله «ونحن» الواو واو الحال، أراد أن يقول: أقولُ لِبَنِي ضِرار الفتيان، فقال: أقول لِفتيانٍ ضِرارٌ أبوهم، فخرج اللَّفظ مُتَكَلَّفًا، قال أبو هلال: ولو كان هذا جَيِّدًا لم يكنْ بين اللّكنة والفصاحة فرق.

٤ ـ أَقِيمُوا صُدُورَ الخَيْلِ إنَّ نُفُوسَكُمْ لِمِيقَاتِ يَومٍ مَا لَهُنَّ خُلُوفُ

«أَقِيمُوا صدورَ الخَيْلِ»: في موضع المفعول لأقول في البيت الذي قبله، ويقال: أقمته فقام، بمعنى قوّمته فتقوّم، فيتعدّى، وأقمتُ بالمكانِ: إذا ثَبَتَّ فيه إقامةً، وأقمت من المكان إذا ارتحلت عنه، قال امرؤُ القيس: [المتقارب]

وَفِيمَنْ أَقَامَ مِنَ الحَيِّ هِرٌّ[3]

فأما قوله: [الوافر]

أَقُولُ لأُمِّ زِنْبَاعٍ: أَقِيمِي صُدُورَ العِيسِ نَحْوَ بَنِي تَمِيمِ

فمعناه اقْصِدِي وتَوَجَّهِي بِعِيسِكِ نحوَهم، و«ما لهنَّ خلوفُ» أي: ليس للنفوس تَخَلُّفٌ عن الميقاتِ، والميقاتُ: يُسْتَعْمَلُ في الزَّمان والمكان لأنَّ الوقتَ الحَدُّ؛ ألاَ ترى أنهم يقولون: مِيقاتُ أهلِ المَشْرِقِ كذا، يريدونَ الموضعَ الَّذي يُقْبَلُ له الحجّ إذا ابْتُدِىءَ

(١) أنشد هذا الرجز الإسكافي في مبادىء اللغة ص ٤٨؛ والمرزوقي في شرحه. والطَّفْلُ: الرَّخْصُ الناعم من كلّ شيء. والإدلاج: السَّيْر الليل كلّه أو في آخره. والعَجْعاج: الصَّيَّاح.
(٢) الدَّويّ: الصَّوْت، وخَصَّه بعضهم بصوت الرَّعْد.
(٣) وعجز البيت: «أَمِ الظَّاعنون بها في الشَّطر».

بِالمسيرِ إليه منه، يقول: امضوا على هَمِّكم وابرزوا لقتالِ عَدُوِّكم فإنَّ لَكُمْ أَجَلاً لا تجاوزونه ولا يجاوِزُكم.

[٢٤٥] وقال قَبِيصَة بن جابر[١]:

١ - بُنَيَّـيْ هَـيْـصَـمٍ هَـوَجَـدْتُـمَـانِـي بَـطِـيـئًـا بِـالـمُـحَـاوَلَـةِ احْـتِـيَـالِـي

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «بِثِنْيَيْ هِضْيَم جَدٌّ نَمَانِي» أي: سَمَا بي جَدٌّ عَالٍ بِثِنْيَيْ هذا المكان، والثِّنْيُ: ما انْثَنَى منه: أي انعطفَ، وبطيئًا: انتصبَ على الحال، والعامل فيه «نماني» و«احتيالي» في موضع الرَّفْع على أنه فاعل بطيئًا، وقد أضاف المصدر إلى المفعول؛ لأن المعنى: يَبْطُؤُ احتيالُ النَّاسِ عَلَيَّ إذا حَاولوه: أي يَتَعَذَّرُ وقوعُ ذلك منهم لِفَرْطِ حَزَامَتي، ومِثْلُ هذه الإضافة قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾[٢] لأنَّ المعنى: بعد ظُلْمِ الظَّالم له، وهِضْيَم: فِعْيَل من الهَضْمِ مثل حِذْيَم وهو اسم لمكان، وفرسٌ أَهْضَم: ضَيِّقُ الجَوْفِ[٣].

٢ - وَعَـاجَـمْـتُ الأُمُـورَ وَعَـاجَـمَـتْـنِـي كَـأَنِّـي كُـنْـتُ فِـي الأُمَـمِ الـخَـوَالِـي

أصلُ العَجْم: العَضُّ لِلتَّجْرِبَةِ، يقول: كأنّي أحد المعمّرين لِكَثْرَةِ تجاربي.

٣ - فَـلَـسْـنَـا مِـنْ بَـنِـي جَـدَّاءَ بِـكْـرٍ وَلَـكِـنَّـا بَـنُـو جَـدٍّ الـنِّـقَـالِ

الجَدَّاءُ: المقطوعةُ الثَّدْيِ، والبِكْرُ: النّاقةُ على حالتها الأولى، وَرَحِمٌ جَدَّاءُ إذا كانت غير موصولة، والشَّاعر جعل الجَدَّاء البِكْر كناية عن الحرب الضَّعيفة، يقول: لسنا أبناءَ الحَرْبِ اليسيرةِ الأَذَى والشّرّ التي لم يَتَكَثَّرْ فيها مُوقِدُوها، ولَكِنَّا بَنُو المُلاَقاة التي يتكرَّر القتالُ فيها حالاً بعد حال، ويجوز أن يكون المعنى: لسنا أصحابَ حربِ بِكْرٍ ولكنّا بنو حربِ عَوَانٍ، كأنه جعل النِّقَال في الولاد، وقال أبو هلال: أصل الجَدَّاء في قِلَّةِ اللَّبَنِ، وهي هنا في قِلَّةِ الغناء وقلّة العدد: أي كَثُرَ عَدَدُنا فلسنا من نسلِ امرأةٍ نَزُورٍ[٤]، والنِّقَالُ:

---

(١) قبيصة بن جابر: ابن وهب الأسدي الكوفي، تابعي من رجال الحديث ويعدّ في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة (ت ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م) ترجمته في: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٤٤؛ والجرح والتعديل ٣/ ١٢٥؛ والإصابة تر (٧٢٧٠)؛ والأغاني ٤/ ١٨٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤١.

(٣) الملاحظ أن التبريزي فَسَّر معنى الرواية الثانية وهي رواية المرزوقي. أما المرزوقي فعلَّقَ على هذه الرواية فقال: «رواه بعضهم: بُنَيَّيْ هَيْصَم هوجدتماني، وأوجدتماني، وليس بشيء، لأنه يصير المعنى: يا بُنَيَّيْ هيصم أوجدتماني بطيءَ الحيلة بالمحاولة؟ يريد إني سريع الحيلة. وهذا كلامٌ مُتَبَّجٌ مُخْتَلّ» والمتبّج: من التَّبْيج وهو التخليط.

(٤) النَّزُور من النساء: النَّزِرَة: القليلة الولد أو القليلة اللَّبَن.

الجِدَالُ، ورجل نَقِلٌ: جَدِلٌ، وَالنَّقَلُ: المجادلةُ، والنَّقَلُ أيضًا: ما يبقى من الحجارة والجصّ من هَدْمِ البيت.

٤ ـ تَفَرَّى بَيْضُهَا عَنَّا فَكُنَّا بَنِي الأَجْلادِ مِنْهَا وَالرِّمَالِ

تَفَرَّى: تَشَقَّقَ، والضَّمير في «بَيْضِها» للأرض، وساغ ذلك وإن لم يَجْرِ لها ذِكر لما لم يلتبس لدلالة الكلام عليه، والمعنى تشقَّقَ بَيْضُ الأرضِ عَنَّا فنحن بنو حُزُونِها وسُهُولِها، وإنّما يعني كثرة عَدَدِهم واتّساعَ ديارِهم، والأجلادُ: جمع جَلْد، وهو الصُّلْبُ من الأرضِ، وذَكَرَ البَيْضَ مَثَلاً، وقال أبو هلال: أراد بَيْضَ الأُمِّ وهو مَثَلٌ: أي كَثُرَ عَدَدُنا فملأنا الأرضَ كلّها.

٥ ـ لَنَا الحِصْنَانِ مِنْ أَجَإٍ وَسَلْمَى وَشَرْقِيَّاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالِ

انتصب «غير» على أنه مصدر أكَّدَ به ما قاله، كأنه قال: وشَرْقِيّاهما دَعْوَى صحيحة.

٦ ـ وَتَيْمَاءُ الَّتِي مِنْ عَهْدِ عَادٍ حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَافِ العَوَالِي[١]

أي: ولنا تَيْمَاءُ، وجعل «من» بدل «مُذْ» لأن مُذْ في الأزمنة بمنزلة من في الأمكنة، وهو في موضع الظّرف، والعامل فيه «حميناها».

[٢٤٦] وقال سَالِم بن وَابِصَة[٢]:

١ ـ عَلَيْكَ بِالقَصْدِ فِيما أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

«عليكَ»: ممّا أُغْرِيَ به فصار بذلك من أسماء الأفعال، ويقال: عليكَ بكذا: أي[٣] عليكَ كذا: أي الزمْهُ وخُذْ نَفْسَكَ به، ومعناه: عليكَ باستقامةِ الطَّريقةِ وتَرْكِ ما ليس من شِيمَتِكَ فإنَّكَ إن تَكَلَّفْتَ ما ليس من شِيمَتِكَ صَعُبَ [عليك الرجوع] إلى خَلْقِكَ الأوّل.

٢ ـ وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ أَحْمِي الذِّمَارَ وَتَرْمِينِي بِهِ الحَدَقُ

أي تعجبًا من ثباتي، جعل الفعل على التَّوَسُّعِ لِلْحَدَقِ، وإنَّما هو لِلنَّاظرين بها، وموضع «أحمي الذِّمارَ» نصب على الحال.

---

(١) تَيماء: بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق الحاج من الشام (معجم البلدان ٢/ ٦٧). والعوالي: جمع العالية: الرّمح.

(٢) سالم بن وابصة: ابن معبد الأسدي، أمير وشاعر، من أهل الحديث، دمشقي سكن الكوفة وتولّى إمرة الحرقة لمحمد بن مروان (ت نحو ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م) ترجمته في (تهذيب ابن عساكر ٦/٥٦؛ والإصابة تر ٣٠٤٤ و٩٠٨٦).

(٣) كذا في الأصل، والأرجح أنه «أو عليكَ كذا».

٣ ـ فَمَا زَلِقْتُ وَلاَ أَبْدَيْتُ فَاحِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا

أي: إذا زَلِقَ الرّجالُ في أمثاله من المقامات ثَبَتُّ أنا، وجواب إذا فيما تقدَّم، وقال آخر: [الطويل]

إنْ أكُ قَصْدًا في الرِّجَالِ فَإنَّنِي إذَا حَلَّ أمْرٌ سَاحَتِي لَجَسِيمُ[١]

ومثله: [الطويل]

إذَا كُنْتُ في القَوْمِ الطِّوَالِ وَصَلْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ[٢]

[٢٤٧] وقال عامر بن الطُّفَيل:

١ ـ قَضَى اللَّهُ في بَعْضِ المَكَارِهِ لِلْفَتَى بِرُشْدٍ وفي بَعْضِ الهَوَى مَا يُحَاذِرُ

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنّي إذَا الإِلْفُ قَادَنِي إلى الجَوْرِ لاَ أَنْقَادُ وَالإِلْفُ جَائِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

كان يجب أن يقول «لا أنقادُ وهو جائرٌ»، فوضع الظاهر موضع المضمر، والإلْفُ: الذي تَأْلَفُهُ.

[٢٤٨] وغزا مُجَمِّع بن هِلاَل[٣] بن خالِد بن مالك بن هلال بن الحارث بن هلال بن تيم اللَّه بن ثعلبة بن سعد بن زيد مناة:

قال أبو هلال: وغير أبي تمّام يقول: ابن ثعلبة بن عُكَابة بن بكر بن وائل، وكان قد عاش مائة وتسع سنين، فلم يَغْنَمْ، ورجع من غزاته تلك، فَمَرَّ بماء لبني تميم عليه ناس من بني مجاشع، فقتل منهم وأسر وسبى، فقال في ذلك:

١ ـ إنْ أكُ مَا شَيْخًا كَبِيرًا فَطَالَمَا عَمِرْتُ وَلَكِنْ لاَ أرَى العُمْرَ يَنْفَعُ[٤]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«ما شَيْخًا» ما: زائدة للتوكيد، «فطالما عَمِرْتُ»: يجوز أن يكون ما مع الفعل في تقدير المصدر، ويكون حينئذٍ حرفًا عند سيبويه، والتقدير فقد طال عمري، وعلى هذا

---

(١) البيت في عيون الأخبار ٤/ ٥٤ نسبه إلى «أوفى بن موله» ولعل صوابه «أوفى بن مؤالة». وأوردها المرزوقي كحماسية ذات بيت واحد ورقمها (٢٤٥).

(٢) سيأتي هذا البيت في حماسية في باب الأدب، وأنشده الجاحظ في البيان والتبيين ٣/ ٢٤٤ بدون نسبة؛ وعند المرزوقي «أصبتهم» بدل «وصلتهم».

(٣) مُجَمِّع بن هلال: شاعر فارس جاهلي، وهو من المعمّرين (معجم ما استعجم ص ١١٦٥؛ والمرزباني ص ٤٦٩؛ وكتاب المعمّرين للسجستاني ص ٣٢؛ والأعلام ٦/ ١٦٦).

(٤) عند المرزوقي «إنْ أُمسِ».

يُكْتَبُ طال منفصلاً من ما، ويجوز أن تكون «ما» كافَّة للفعل عن العمل ومخرجة له من بابه، ولذلك جاز وقوع الفعل بعده، وإن كان الفعل لا يدخل على الفعل، وعلى ذلك يُكْتَبُ طالما متصلاً لأن «ما» منه ومن تمامه، وقوله «لا أرى العمر» أي: اتّصال العمر وطوله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، يقول: طول العمر لا يجدي إذا كان قصاراه الموت.

٢ ـ مَضَتْ مِائَةٌ مِن مَوْلِدِي فَنَضَوْتُهَا وَخَمْسٌ تِبَاعٌ بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعُ

ويُرْوَى «نضَيْتُها» من قولهم: نَضَا ثيابَه، إذا نَزَعَها، ويقال: نَضَا ثوبهُ يَنْضو ويَنْضِي، لغتان، وقوله «بعد ذاك» إنْ قِيلَ: لِمَ لَمْ يَقُلْ «بعد تلك» والإشارة به إلى قوله «مائة»؟ قلت: لم يُرَاعِ تأنيثَ المذكَّر وتذكيرَه، بل أراد بعد ما ذكرتُ، على ذلك قول ذي الرّمّة: [الوافر]

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا وَسَالِفَةً وَأَحْسَنُهُ قَذَالاَ

ولم يَقُلْ «وأحسنُهُما» وقوله «خَمْسٌ تِبَاعٌ» يقال: تَبِعَ تِبَاعًا، فهو مصدرٌ وُصِفَ به، ويقال أيضًا: رَمَيْتُ بسهمين تِبَاعًا.

٣ ـ وَخَيلٍ كأَسْرَابِ القَطَا قَدْ وَزَعْتُهَا لَهَا سَبَلٌ فِيهِ المَنِيَّةُ تَلْمَعُ

السَّبَلُ: المطرُ، وروى بعضهم «لها أَسَلٌ» وهي الرِّمَاحُ، وأراد بالسَّبَلِ هنا تتابع الخيل في الغارة، شَبَّهَها بتتابع المطرِ، و«وَزَعْتُها» كَفَفْتُهَا لِتجتمعَ ثم تندفعَ في الغارةِ، ويجوز أن يكون معناه: كَفَفْتُها عن التَّعَجُّلِ، ويجوز أن يكون قَسَّمتها للتعبئة لأنه يقال: وَزَعْتُ الشَّيءَ وَوَزَّعْتُه جميعًا، وعنده أَوْزَاعٌ مِنَ النَّاسِ: أي فِرَقٌ، و«قد وَزَعْتُها» من صفة الخيل؛ لأن جواب رُبَّ فيما بعده، و«لها سَبَلٌ» في موضع الحال، وقوله «فيه المَنِيَّةِ» من صفة السَّبَلِ، و«تلمعُ»: في موضع الحال للمنية، والعامل ما يدلُّ عليه الظّرف، وجواب رُبَّ قوله «شهدت» في البيت الذي بعده.

٤ ـ شَهِدْتُ، وَغُنْمٍ قَدْ حَوَيْتُ، وَلَذَّةٍ أَتَيْتُ، وَمَا ذَا العَيْشُ إلاَّ التَّمَتُّعُ

«شَهِدْتُ»: جوابُ رُبَّ، ثم أقبل بعد ذكر هذه الأشياء كالملتفت إلى غيره، فقال: وما العيشُ إلا التَّمَتُّعُ بهذه الأشياء، وارتفعَ العيشُ على أنه عطف البيان لِذَا؛ لأنه جعل العيشَ كالحاضرِ، فأشار به إليه، وإن كان القصدُ إلى الجنسِ، والتَّمَتُّعُ: الانتفاعُ بِالشَّيء زمانًا طويلاً، ومنه مَتَعَ النَّهارُ: ارتفعَ، ويقال: تَمَتَّعْتُ واسْتَمْتَعْتُ وامْتَتَعْتُ بمعنًى.

٥ ـ وَعَاثِرَةٍ يَوْمَ الهُيَيْمَى رَأَيْتُهَا وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ القَلْبِ مَجْزَعُ(١)

(١) عند المرزوقي: «من داخل الخِلْبِ».

يوم الهُيَيْمَى هو اليوم الذي كانت فيه هذه الوقعة، وقوله «من داخل الخِلْبِ»[1]: بَيَّنَ به منشأ الجَزَعِ وَمَقَرَّهُ، والخِلْبُ: غِشاءُ القَلْبِ، وقالوا: خَلَبَتْ فلانًا المرأةُ: أي أصابَتْ خِلْبَهُ.

٦ ـ لَهَا غَلَلٌ في الصَّدْرِ لَيسَ بِبَارِحٍ شَجًى نَشِبٌ وَالعَيْنُ بِالمَاءِ تَدْمَعُ

«لها غَلَلٌ» يجوز أن يكون في موضع الجرِّ على أن يكون صفة لِعاثرة، ويجوز أن يكون في موضع المفعول الثاني لقوله «رأيتُها» وأصلُ الغَلَلِ هو الماءُ يجري بين الشَّجَرِ، واستعاره لما تَداخَلَها من الشَّجَى، و«ليس ببارحٍ» أي زائلٍ، وموضع «شَجًى نَشِبٌ» رفع على البدل من غَلَلٍ، والنَّشِبُ: العَلِقُ، ومنه قولهم: نَشِبَ فلانٌ مَنْشَبَ سَوءٍ: أي وقع فيما لا يتخلَّصُ منه، وقوله «والعين بالماء تدمعُ» في موضع الحال، ولا بدَّ من الواو فيه لِتَتعلَّقَ بِذي الحال، والعامل فيه قوله «شَجًى نَشِبٌ» ولو كان في الجملة ضمير لَكُنْتَ في دخول الواو وسقوطِها بالخيار؛ إذ كان الضَّمير يُعَلِّقُ من الحال ما يُعَلِّقه الواو، ورواية أبي هلال «لها غُلَلٌ» أي حُرَقٌ في القَلْبِ من عَطَشٍ أو حزنٍ أو عِشْقٍ، و«ليس ببارحٍ» أي: بارحة فذكَّر لأنَّ المؤنَّثَ غير حقيقي، ورُوِيَ بفتح الغين أيضًا.

٧ ـ تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا: تَعَسْتَ كَمَا أَتْعَسْتَنِي يَا مُجَمِّعُ

«تقول وقد أفردْتُها»: جواب رُبَّ، والمراد: رُبَّ عاثرةٍ هذه صِفَتُها قالت لي بعد أن سَبَيْتُها: سَقَطْتَ لِوجْهِكَ يا مُجَمِّعُ، وسُمِّيَ الزَّوجُ حَليلاً والمرأة حليلةً لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يحلُّ مع صاحبه.

٨ ـ فَقُلْتُ لَهَا بَلْ تَعْسَ أُمِّ مُجاشِعٍ وَقَومِكِ حَتَّى خَدُّكِ اليَوْمَ أَضْرَعُ

أضْرَعُ: بمعنى ضارع، وَالضَّرَاعةُ: الانسفال في خضوع، وأجرى تَعْسًا في الإضافة مُجْرَى وَيْل، وذلك أن المصادر التي قد اشْتُقَّ الأفعال منها إذا دُعِيَ بها تُسْتَعمَلُ باللاَّم لا غير، وتقول: تَبٌّ لِزَيْدٍ وخُسْرٌ لِعَمْرٍو، وما لم يُشْتَقَّ الفعلُ منه، وهو وَيْلٌ ووَيْحٌ وَويْسٌ، إذا كان معها اللاَّم رُفِعَتْ وصارت بِاللاَّم جُمَلاً، وإذا أُفْرِدَتْ عن اللاَّم أُضِيفَتْ ونُصِبَتْ، تقول: وَيْلٌ لِزَيْدٍ ووَيْحٌ لِعَمْرٍو، فترفع، ووَيْلَ عَمْرٍو ووَيْحَ زَيْدٍ، فتنصب، وهذا الشَّاعر قال «بَلْ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعٍ» ومجاشعٌ: قبيلة، وهذا كما يقال يا أخا بَكْرٍ.

٩ ـ عَبَأْتُ لَهُ رُمْحًا طَوِيلاً وَأَلَّةً كَأَنْ قَبَسٌ يُعْلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ

قَبَسٌ: يجوز فيه النصب والرّفع والجرّ؛ فإذا رُفِعَتْ فعلى الضَّمير، تريد كأنها قبسٌ، وَالقَبَسُ: النَّارُ، ومَنْ نصبَ أعْمَلَ كَأَنْ مُخَفَّفة إعمالها مُثْقلة، يريد كَأَنَّ قَبَسًا، ومَنْ

---

(١) هو يُفَسِّر رواية المرزوقي.

جَرَّ جعل «أنْ» زائدة وأعملَ الكاف كما زِيدَ في قوله: واللَّه أنْ لو جِئْتَني لأَكْرَمْتُكَ، يريد واللَّه لو جِئْتَني.

١٠ ـ وَكَائِنْ تَرَكْتُ مِنْ كَرِيمَةِ مَعْشَرٍ عَلَيْهَا الخُمُوشُ ذَاتَ حُزْنٍ تَفَجَّعُ

الخَمْش في البدن والوجه مثل الخَدْشِ، ومعنى «عليها» رَكِبَها وعَلاَها، كما يقال: على فلانٍ دَيْنٌ: أي رَكِبَهُ.

[٢٤٩] وقال الأَخْنَس(١):

ابن شهَاب بن شَريق بن ثُمَامَة بن أرقم بن عَدِيّ بن معاوية بن تغلب، وهو من الخَنَسِ، وهو تَأَخُّر أرنبة الأنفِ.

١ ـ فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي بِلاَدٍ مُقَامَةٍ يُسَائِلُ أَطْلاَلاً بِهَا لاَ تُجَاوِبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «فمَن يَكُ أَمْسى في بلادٍ مُقَامُهُ» اسم أمسى، وخبره «في بلادٍ» أي بلادٌ مُسْتَصْلَحةٌ لِلإقامةِ، و«يسائلُ» في الرّوايتين في موضع الحال، وكما يقال: هو في بلد مُقَامة، يقال في ضِدِّهِ: هو في بلد قُلْعَةٍ، والبلد: القطعة من الأرض الواسعة اخْتُطَّ منها أو لم يختطّ، يشهد لهذا قول الآخر: [الرجز]

قَدْ تَرَكَ البَرْزِيُّ فَاهُ بَلَدَا

أي: لا أسنان فيه.

٢ ـ فَلاِبْنَةِ حِطَّانَ بْنِ قَيْسٍ مَنَازِلٌ كما نَمَّقَ العُنْوَانَ في الرَّقِّ كَاتِبُ

«فَلابنةِ حِطَّانَ» جواب الجزاء، يقول: مَنْ كان الوقوف على ديار الأحِبَّةِ من هَمِّهِ فأمسى مقامه في بلاد مسائلاً أطلالاً فيها لا تجاوبُه فلي في الوقوف على ديار ابنةِ حِطَّان ما يزيدُ على كلّ مذهبٍ ويُعَفِّي على كلِّ عادة، و«كما نَمَّقَ العنوانَ» من صِفَةِ المنازِلِ، ويُرْوَى «العُيْنانَ» و«العُلْوان» فأمَّا العُلْوان فهو فُعْوَال من عَلَن الأمْرُ: أي ظَهَرَ، وعنوان: فُعْوَال أيضًا من عَنَّ له كذا: أي عَرَضَ، وأما عُنْيَان ففُعْلاَن من عَنَاه كذا يَعْنِيه، وكأنه يريد كَعُنْوَانٍ نَمَّقَهُ كاتبٌ.

٣ ـ تُمَشِّي بِهَا حُولُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالعَشِيِّ حَوَاطِبُ

---

(١) الأخنس بن شهاب: شاعر جاهلي من أشراف تغلب وشجعانها حضر وقائع حرب البسوس (ت نحو ٧٠ ق.م/ ٥٥٥ م). (ترجمته في: شعراء النصرانية ص ١٨٤؛ وخزانة البغدادي ٣/ ١٦٩؛ والمؤتلف والمختلف ص ٢٧).

الحُول: جمع حائل، وهي التي لم تحملْ، وأزْجَيْتُ المَطِيَّةَ وَزَجَّيْتُهَا: سُقْتُها: أي صَارَتْ هذه المنازلُ خاليةً من الأهل ليس فيها مَن يُرَوِّعُ النَّعَامَ فهي تمشي على تؤدة كَمَشْيِ الإماءِ الحواطِبِ المُعْيِيَاتِ، وتُزَجَّى: تُسَاقُ، وليس لهنّ سائقٌ غيرهنّ، كأنهنَّ يَسُقْنَ أنفسهنَّ، وهو عبارة عن شِدَّةِ تَعَبِهِنَّ، كما تقول: جاءَ فلانٌ يَجُرُّ نَفْسَهُ، إذا جاءَ تَعِبًا.

٤ ـ وَقَفْتُ بِهَا أبْكِي وَأُشْعَرُ سُخْنَةً كَمَا اعْتَادَ مَحْمُومًا بِخَيْبَرَ صَالِبُ

يُروَى سُخْنَة وسِخْنة ـ بكسر السّين وضمّها ـ فالكسر نحو الجِلْسَة تعني الحالة، ومعنى أُشْعَرُ: أي يُجْعَلُ شِعَارِي، والشِّعارُ: ما يَلِي الجسدَ من الثّياب، وتُوُسِّعَ فيه فقِيلَ: أُشْعِرَ قلبي هَمًّا، والصَّالبُ: الحُمَّى التي معها صُدَاع، وَخَيْبَرُ محمّة وَحُمَّاهَا موصوفة بالشِّدة، يقول: وقفتُ بهذه المنازل فحممتُ وأرعدْتُ لِمَا أصابني من الغَمِّ والتَّذَكُّرِ فيها.

٥ ـ خَلِيلَيَّ عُوجَا مِنْ نَجَاءِ شِمِلَّةٍ عَلَيْهَا فَتًى كَالسَّيْفِ أرْوَعُ شَاحِبُ

النَّجَاء: السُّرعَة، والشِّمِلَّة: السَّريعة، والأروعُ: الجميلُ، والشَّاحِبُ: المَهْزُولُ، وقيل: المتغيّر اللَّونِ، والاسم الشُّحُوب.

٦ ـ خَلِيلاَيَ هَوْجَاءُ النَّجَاءِ شِمِلَّةٌ وَذُو شُطَبٍ لاَ يَجْتَوِيهِ المُصَاحِبُ

«لا يجتويه» لا يكرهه، موضع قوله «خليلايَ» نصب على الحال من قوله «وقفتُ بها» واستغنى بالضمير فيه عن إدخال الواو العاطفة لأنه يُعَلِّقُ من الحال بالأوَّل ما تعلّقه الواو، وَهَوْجَاءُ النَّجَاءِ: ناقة في نجائها وسرعة مَرِّهَا هَوَجٌ واضطرابٌ، والشِّمِلَّةُ: الخفيفةُ، وقَلَّ ما يقولون للذَّكَر «شِمِلٌّ» إلاَّ أن منظورًا الأسديّ قال: [الرجز]

وَتَحْتَ رَحْلِي بَازِلٌ شِمِلُّ

وهذا الكلام إشارة إلى أن أصحابه خَذَلُوه ولم يروا مساعدته في الوقوف على الدِّيار.

٧ ـ وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَالغُوَاةُ صَحَابَتِي أُولئِكَ خُلْصَانِي الَّذِينَ أُصَاحِبُ

الصَّحابة: مصدر في الأصل وُصِفَ به، والخُلْصَانُ أيضًا: مصدر كالكُفْرَان والشُّكْرَان في الأصل، ولذلك صَلَحَ أن يقعَ لِلواحِدِ والجميع، يقال: فلانٌ خالصتي وَخُلْصَاني، إذا خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ لكَ، وقوله «الذين أُصَاحِبُ» أي: أصاحبُهم، وقد حذف الضمير استطالة للاسم بصلته.

٨ ـ قَرِينَةَ مَنْ أَسْفَى وَقَلَّدَ حَبْلَهُ وَحَاذَرَ جَرَّاهُ الصَّدِيقُ الأَقَارِبُ

أي: عشتُ قرينة من أسفى، والقرينة أُلْحِقَت الهاءُ بها لأنَّه جُعِلَ اسمًا كالذبيحة، وأَسْفَى: دخل في السفاء، والسفاء ممدود: السفه، والرجل سَفِيّ، ومعنى «قَلَّدَ حَبْلَه»

خُلِّيَ سبيلُه، وأصله في البعير إذا أُرْسِلَ في المرعى جُعِلَ زِمامُه على عُنُقِهِ لِيَتَصَرَّفَ كيف شاءَ، ثم نُقِلَ إلى مَنْ وُعِظَ كثيرًا حتى أُهْمِلَ أمرُهُ تَبَرُّمًا به، «وحاذر جَرَّاهُ الصَّدِيقُ الأَقارِبُ» أي: تبرَّؤوا منه خوفًا من جرائِرِه التي يَجْنيها عليهم، والصَّديق هنا جمع.

٩ ـ فَأَدَّيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبَا وَلِلْمَالِ عِنْدِي اليَوْمَ رَاعٍ وكَاسِبُ[(١)]

حَقَّقَ بدخول «عن» أنَّ المُؤَدَّى وجبَ عليه، أَلاَ ترى أنّه لو قال: أدّيتُ كذا من دون «عن» لَجَازَ أن يكون لِنَفْسِه أدَّى ما أدّى، وجاز أن يكون لِغيرِه، لأنَّ معنى «أدَّيتُ عَنِّي» نَحَّيْتُ عن نفسي، وقوله «فلِلمالِ عندي اليوم راعٍ وكاسبُ» نَبَّهَ على أنه جامعٌ له وحافظٌ، ولم يُشِرْ بقوله «اليومَ» إلى وقتٍ معيّنٍ لأنّه أرادَ حاضِرَ الأزمانِ ومُؤْتَنَفها.

١٠ ـ تَرَى رَائِدَاتِ الخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا كَمِعْزَى الحِجَازِ أَعْوَزَتْهَا الزَّرَائِبُ

الرّائدات: المختلفات، والمراد أنّ الذي يرتبطونه من المال هو الخيل لا الإبِلُ والغَنَمُ، وأنها تختلفُ فيما بين بيوتهم لِكَثْرَتِها وهم أصحاب غاراتٍ، وقوله «كَمِعْزَى الحِجَازِ أَعْوَزَتْها» الأجود أن يضمرَ «قد» معها: أي قد أعوزتها الزَّرائِبُ، لِيَقْرُبَ بناءُ الماضي من الحال، والتقدير تراها مشابهةً لِمعْزَى الحجاز وقد عَدِمَتْ محابِسَها فهي تَرُودُ، ومثله لِسَلَمة بن خَرْشب: [الطويل]

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ القِبَابِ بِضُمَّرٍ إلى عُنَنٍ مُسْتَوْثِقَاتِ الأَوَاصِرِ

والزَّرْبُ والزَّرِيبَةُ واحد، ويقال: أَعْوَزَهُ الدَّهْرُ: أَفْقَرَهُ، وأعوزَ الرَّجُلُ، إذا سَاءَتْ حَالُهُ.

١١ ـ لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَؤُونَ وَجَانِبُ

١٢ ـ وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بِأَرْضِنَا مَعَ الغَيْثِ مَا نُلْفَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ

العِمَارَة: دون القبيلة، وهو بدل من أُناس، وأصلُ العَرُوض الطَّريقُ، يقال: أخذ في أعاريضَ مختلفةٍ: أي طُرُقٍ مختلفةٍ، والمراد هٰهنا الظَّهر الذي يستندون إليه ويعوّلون في الخطوب عليه، ولجأت إلى كذا: فزعت إليه.

١٣ ـ فَيُغْبَقْنَ أَحْلاَبًا وَيُصْبَحْنَ مِثْلَهَا فَهُنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبٌّ شَوَازِبُ

الغَبُوق والصَّبُوح: ما يُشْرَبُ بِالعَشِيِّ والغَدَاة، كالفطور والسَّحور، وهو يحتمل وجهين: أحدهما أن يريد أنها تسقى اللَّبن غدوًّا وعَشِيًّا، كما قال: [الرجز]

نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ إذَا عَزَّ الشَّجَرْ[(٢)]

---

(١) عند المرزوقي «فَلِلْمَالِ».

(٢) ورد البيت في اللسان (لحم) وبعده: «والخيلُ في إطعامها اللحم ضرر».

يريد باللَّحم اللَّبن، وكما قال: [البسيط]

يُعْطَى دَوَاءَ قَفِيِّ السَّكْنِ مَرْبُوب[١]

ويكون الأحلاب جمع حَلَب، مصدر حلبت، والمراد المحلوب، فجمعه لاختلافها، ويكونَ قوله «فهنّ من التَّعداء» كلامًا مستأنفًا، والمعنى أنها تصنع وتضمر، والوجه الآخر أن يريد أنها تعدّى غدوًا وعشيًا، ويكون أحلاب بمعنى أشواط، يقال: احلب فرسك قرنًا أو قرنين، ويشهد لهذا قوله «فهنَّ من التَّعداء قبٌّ شوازبُ» وتحقيق الكلام أنه جعل صَبُوحهنَّ وغَبُوقهنَّ الإعداء في أول النهار وآخره لِتضمر، كما قال أبو تمام: [الكامل]

تَغْلِيقُهَا الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ[٢]

وكما قال غيره: [الطويل]

فإن المُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرُكُوبُ[٣]

التَّنْدِيَة: أن تترك في الورد بعد السَّقي شيئًا ليعرض عليها الماء ثانية.

١٤ - فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ حُمَاةٌ كُمَاةٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَشَائِبُ

فوارسُها: مبتدأ، ومن تغلب ابنة وائل: خبره، وحماة: خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون «من تغلب ابنة وائل» في موضع الحال، وحماة الخبر، والتقدير فوارسها وهم من بني تغلب حماة، وأشائب: أخلاط، واحدها أُشَابة، أخبر أنهم لم يتكثروا بغيرهم فليس فيهم خلطاء، وهذا كما قال سَلَمة بن خَرْشب: [الطويل]

وَأَمْسَوْا حِلالاً مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ فَيْدَ وَسَاجِرِ

فأما قول الآخر في الهجو: [الوافر]

وَلَمَّا أنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسُ
إذَا مَا قُلْتُ إنَّهُمُ لأَيٌّ تَشَابَهَتِ المَنَاكِبُ وَالرُّؤوسُ[٤]

---

(١) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل في المفضليات ص ٢٢؛ وعند المرزوقي، وصدره: «ليس بأسفى ولا أقنى ولا سَغِلٍ». والأسفى: الذي فيه شعرة تخالف لونه، والقنا: حدة في الأنف وهو مذموم، والسّغل: المهزول، والقفيّ: الذي يُسقَى اللبن ويؤثر به.

(٢) ذكره المرزوقي في شرح هذه الحماسية، وهذا عجز بيت من قصيدة يمدح بها المأمون وصدره: «بِسَواهم لُحُقِ الأباطِلِ شُزَّبِ».

(٣) هذا عجز بيت لعلقمة بن عبدة ذُكِرَ في المفضلية ١١٩؛ وذكره المرزوقي وصدره: «تُرَادُ على دِمنِ الحِياضِ فإنْ تَقِفْ». وتُرَاد: يُجَاءُ بها، والمندّى: أن تأتي بالإبل الماء لتشرب فيقلّ شربها فترِد إلى المرعى ساعة ثم تُعاد إلى الماء.

(٤) وردت الأبيات عند المرزوقي ص ٧٢٧.

فَإنّه يَصِفُ أهلَ بيتٍ بأنّهم لا يرى فيهم نديم ولا معاشر: أي اكتفى كلٌّ منهم بصاحبه.

١٥ ـ هـمُ يَـضْـرِبُـونَ الـكَـبْـشَ يَـبْـرُقُ بَـيْـضُـهُ ... عَـلَـى وَجْـهِـهِ مِـنَ الـدِّمَـاءِ سَـبَـائِـبُ[١]

«يبرقُ بَيْضُه» في موضع الحال من الكبش، والعامل فيه «يضربون» و«على وجهه من الدِّماءِ سبائب» في موضع الحال أيضًا من قوله «يبرق» والسَّبائِبُ: الطُّرُقُ، الواحدة سَبِيبة، والمراد به هنا طرائق الدّم.

١٦ ـ وَإنْ قَـصُـرَتْ أَسْـيَـافُـنَـا كَـانَ وَصْـلُـهـا ... خُـطـانَـا إِلَـى أعْـدَائِـنـا فَـنُـضَـارِبُ

١٧ ـ فَـلِـلّـهِ قَـوْمٌ مِـثْـلَ قَـوْمِـي عِـصَـابَـةً ... إِذَا اْجْـتَـمَـعَـتْ عِـنْـدَ الـمُـلُـوكِ الـعَـصَـائِـبُ

فلِلّهِ قومٌ: تَعَجُّب، وانتصب «عِصابةً» على أنه تمييز، ويجوز أن يكون حالاً أيضًا، ويُرْوَى «إذا حَفَلَتْ» أي: اجتمعَتْ، وإذا ظرف لما دلَّ عليه قوله «للّه قومٌ مثل قومي» أي: ناهِيكَ بهم من قوم في ذلك الوقت، والمعنى أنه يظهر من عِزِّهم وفخرِهم في مجالس الملوك ما يُسْتَحَقُّ به التَّعَجُّبُ منهم.

١٨ ـ أرَى كُـلَّ قَـوْمٍ قَـارَبُـوا قَـيْـدَ فَـحْـلِـهِـمْ ... وَنَـحْـنُ خَـلَـعْـنَـا قَـيْـدَهُ فَـهْـوَ سَـارِبُ

السَّارب: الذّاهب في الأرض، يعني فحل الإبِل، وخصَّ الفحلَ لأنَّ سائِرَ الإبل تابعةٌ لِلفحلِ: أي كلّ أُناس ترتعُ إبلهم حَوْلَهم لا تبعدُ عنهم خَوْفَ الغارةِ، ونحن لِعِزِّنا نُخَلِّي سِرْبَ إبلنا ترعى كيف شاءت، ويجوز أن يعني بالفحل الرئيس، والمعنى أنَّ كلَّ قوم لا يبعدون من الرَّئيس خوفًا من الأعداءِ، ونحن إذا فارقناه لا نخافُ الأعداءَ لأنّه لا يُجْسَرُ علينا لِعِزَّتِنا، وقال أبو العلاء: شبَّهَ السَّيدَ بِقرمِ الإبل: أي إنَّا نُطِيعُ سيّدَنا ونحاربُ مَنْ حارب فكأنَّه فحلٌ مخلوعُ القَيْدِ.

[٢٥٠] وقال العُدَيْل بن الفَرْخ[٢] العِجْليّ:

الفَرْخ: أصله في ولد الطّائر، ثم اسْتُعِيرَ للإنسان، وقالوا: فرخ الشجرة للغصن منها، وقال قوم: فرخها ما في وسطها من الأغصان، وكان هجا الحجّاج وهربَ إلى قيصر، فظفرَ به الحجّاج، فمدحه بقوله: [الطويل]

بَـنَـى قُـبَّـةَ الإسْـلاَمِ حَـتَّـى كَـأَنَّـمَـا ... هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلاَلِ رَسُولُ

(١) عند المرزوقي «فَهُمْ».
(٢) العُدَيْل بن الفَرخ: من رهط أبي النجم ويلقّب بالعَبَّاب، شاعر فحل اشتهر في العصر المرواني (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). (ترجمته في: خزانة البغدادي ٢/ ٣٦٧؛ ورغبة الآمل ٥/ ١٤؛ والأعلام ٥/ ١٢).

فَخَلَّى سبيلَه، ولَقَبُ العُدَيْل: العَيَّاب.

١ ـ ألاَ يَا اسْلَمِي ذَاتَ الدَّمَالِيجِ وَالعِقْدِ وَذَاتَ الثَّنَايَا الغُرِّ وَالفَاحِمِ الجَعْدِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قال أبو رياش: ليست هذه الأبيات لِلعُدَيْل، وهي قصيدة طويلة لأبي الأخيل العِجليّ، قالها في آخر أيام بني أُميّة، ووفد على عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ الفَزَارِي، فقيل له: إنَّ أبا الأخيل العجليّ بالباب يستأذنُ، فقال: إذن واللَّه لا يأذن له غيري، فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب، فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه، ثم قال: أنشدني مُنْصِفَتَكَ[(١)]، فأنشده إياها، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفًا.

قوله «ألاَ يا اسلمي»: يُرَادُ به يا هذه اسلمي، فحذف المنادى، ومعنى اسلمي دومي سالمة، وانتصب «ذاتَ الدَّماليج» على أنه نداء ثانٍ، ويجوز أن يكون انتصابه على إضمار فِعل، كأنه قال: اذكر ذاتَ الدَّماليجِ، وهذا يجري مجرى الكناية لمّا كَرِهَ التَّنبيه على اسْمِها، والدَّماليجُ: جمعُ دُمْلُوجٍ، وهو المِعْضَدُ، وقال الخليل: يقال: دَمْلَجْتُ الشَّيءَ، إذا سَوَّيْتَ صِيغَته كما يُصَاغُ الدُّمْلُجُ، وكان وجهُ الكلام أن يقولَ: والثَّنايا الغُرِّ، لكنه أعاد لفظ «ذات» ليكون الخطاب به أفخم، ويجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ . . . وَٱلَّذِينَ هُمْ . . . وَٱلَّذِينَ هُمْ﴾[(٢)] وقول الشَّاعر[(٣)]: [الطويل]

أَمَا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

والعِقْدُ: القِلادَةُ، يقال: عَقَدْتُ عَقْدًا، ثم يُسَمَّى المعقود عِقْدًا، والفاحم: الشّعر الأسود، يقال: فَحَمَ فُحُومًا.

٢ ـ وَذَاتَ اللِّثَاتِ الحُمِّ وَالعَارِضِ الَّذِي بِهِ أَبْرَقَتْ عَمْدًا بِأَبْيَضَ كَالشَّهْدِ

اللِّثَاتُ: مَغَارِزُ الأسنانِ، ومعنى «أبرقَتْ به» أَطْلَعَتِ البَرْقَ، والبَرْقُ: وَمِيضُ السَّحَابِ أصلُه، ويقال: بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقًا وبَرِيقًا، وأبرقَ أيضًا كذلك، وقوله «عَمْدًا» مصدر في موضع الحال: أي أبرقت عامدةً ويريد بِالأبيضِ رُضَابَ الفَمِ، قال أبو العلاء: أصحّ ما قيل في العارض أنه النَّابُ والضِّرْسُ الذي يَلِيهِ، ويقال: بلِ أصلُ ذلك مَنْبِتُ الأسنانِ، فأمَّا قول مَنْ يقول: العارض الثَّنِيَّة والنّاب فهو تَوَسُّعٌ في العبارة وليس بخطأ.

---

(١) المنصفات: القصائد التي أنصف قائلوها فيها أعداءهم، وصدقوا عنهم وعن أنفسهم.

(٢) سورة المؤمنين، الآيات: ١ ـ ٤.

(٣) البيت لأبي صخر الهذلي ورد في الحماسة باب النسيب، وفي أمالي القالي ١/١٤٩.

٣ ـ كَأَنَّ ثَنَايَاهَا اغْتَبَقْنَ مُدَامَةً ثَوَتْ حِجَجًا في رَأْسِ ذِي قُنَّةٍ فَرْدِ

الاغتباقُ: شُرْبُ العَشِيّ، وإنّما خَصّه بِالذِّكْرِ لأنَّ القصدَ إلى أنها تطيبُ عند السَّحَرِ نَكهَتُها، فإذا تغيَّرت الأفواه وخلفت كانت هذه كأنها مُغْتَبِقة خَمْرًا عتيقة.

٤ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ مَرَّتْ بِيَ الطَّيْرُ آنِفًا بِمَا لَمْ يَكُنْ إِذْ مَرَّت الطَّيْرُ مِنْ بُدّ

خبر «لَعَمري» محذوف، كأنه قال: لَعَمْرِي قَسَمي، و«لقد»: جواب القسم مع ما بعده، والقَسَم كما يقع بالمفرد يقع بالجملة، وأنَّثَ الطَّيْرَ لأنه أراد الجماعة، وآنفًا: انتصبَ على الظَّرف، والمعنى فيما ائتنف من الوقت، ويقال: كان كذا وكذا آنفًا: أي في أوّلِ هذا الوقت الذي نحن فيه، ومنه الآية ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾[(١)] وهو مأخوذٌ من أنفِ الشّيء: أي أوّله، و«من بُدٍّ» موضعه اسم لم يكنْ، وخبره محذوف؛ لأن التقدير بما لم يكن بُدٌّ من وقوعِه إذ مَرَّتِ الطَّيْرُ، وكأنه أراد من بُدٌّ منه، كقولك: لا بُدَّ من كذا، والبُدُّ: السّعة، من قولهم «أبَدّ» وهو الواسع ما بين القوائم.

٥ ـ ظَلِلْتُ أُسَاقِي المَوْتَ إِخْوَتِي الأُلَى أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ المُزَاحَةِ وَالجِدّ

يقال: ظَلَّ يفعل كذا، إذا فعله نهارًا، ثم يتوسّعون فيه، ويجري مجرى صار يفعل كذا، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾[(٢)] ألاَ تَرى البِشَارةَ بِالأنثى تَتَّفِقُ في كلِّ وقتٍ من ليلٍ ونهارٍ. وقوله «أُساقي الهمَّ»[(٣)] يجوز أن يكون المراد به الغمَّ، كأنه كان يُبَاثُّ إخوتَه لما كان يدورُ عليه من خلاف عشيرتِه، والأُلَى: في معنى الّذين، والجملة التي بعده من صِلَتِه، وقولهم «أبوهم أبي عند المزاح وفي الجِدّ»[(٣)] يجري مجرى التّأكيد للأُخُوَّةِ، ووَضَعَ المُزَاحَ مَوْضِعَ الهَزلِ، ومثل هذا في معنى التأكيد وإن كان لفظُه لَفْظَ البدل قولهم: جاءني بنو تميم صَغيرُهم وكَبيرُهم، ويجوز أن يريد بِالهمِّ مصدر «هَمَمْتُ بالشّيءِ»، كأنّه اجتمع مع إخوته لِيُوَافِقَهم على رَأْيٍ، والمُزَاح بضمّ الميم: الاسم، والمِزاح: المَصْدَر.

٦ ـ كِلانَا يُنَادِي يَا نِزَارُ وَبَيْنَنَا قَنًا مِنْ قَنَا الخَطِّيِّ أَوْ مِنْ قَنَا الهِنْدِ

الواو في «وبيننا» واو الحال، والمراد: وبيننا اختلافُ قَنًا خَطِّيّةٍ بِالطَّعْنِ، وقوله «مِنْ قَنَا الخَطِّيّ» أراد من قَنا المكانِ أو الموضع الخَطِّيِّ، فأقام الصِّفَةَ مقامَ الموصوفِ، يدلُّ على هذا أنه قال بعده: «أو مِنْ قنا الهندِ»، وهما شيءٌ واحدٌ، وذلك أنَّ القنا لا ينبتُ إلاَّ بالهندِ، ومنها كان يُجْلَبُ إلى الخطّ.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٦. (٢) سورة النحل، الآية: ٥٨.
(٣) هذه رواية المرزوقي أيضًا.

٧ ـ قُرُومٌ تَسَامى مِنْ نِزارٍ عَلَيهِمُ مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَالسُّغْدِ

القُرومُ في الأصل: الفُحولُ المَصَاعِيبُ التي أُعْفِيَتْ من الحملِ عليها وتُرِكَتْ لِلفِحْلَةِ، ويقال: أقرمتُ البعيرَ فاسْتَقْرَمَ، وقوله «من نزار» في موضع الصّفة لِقُروم. و«عليهم» في موضع الحال، والعامل فيه «تَسَامى». ومعنى «المضاعفة»: التي نُسِجَتْ حلقين حلقين[1]، و«من نسج داود»: في موضع الصفة لِلمُضَاعَفَة، أراد مضاعَفَةً دَاوُدِيةً وسُغْدِيةً، وارتفعَ «مضاعفةٌ» بالظرف في المذهبين جميعًا لوقوع الظّرف في موضع الصّفة، ومثلُهُ: مَرَرْتُ بِرجلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدًا به غَدًا.

٨ ـ إذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً مَثَلُوا لَنا بِمُرْهَفَةٍ تُذْرِي السَّوَاعِدَ مِنْ صُعُدِ

المُرْهَفَةُ: السّيوفُ المُرَقَّقَةُ الحَدِّ، وسيفٌ رَهِيفٌ، وقد رَهُفَ رَهَافَةً، ومعنى تُذْرِي: تُسْقِطُ، وهو في موضع الصّفة لِمُرْهَفَةٍ، ومعنى «من صُعُدِ» أي: من أعْلَى، وهذا كما قال غيره: [الرجز]

تُذْرِي بِإِرْعَاشٍ يَمِينَ المُؤْتَلِي خُضُمَّةُ الذِّرَاعِ هَذَّ المُخْتَلِي[2]

٩ ـ وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَاهُمُ بِصَوَارِمٍ رَدَوْا في سَرَابِيلِ الحَدِيدِ كما نَرْدِي

السَّرابيل: الدّروع، وهي في الأصل القمصان، وقوله «وإن نحن نازلناهم» النزول يأتون به ويركبونه في المضايق وحيث لا يتّسع لمجال الخيل، وإذا كان كذلك فالبيت الأول من صفة الفرسان، والثاني من نعت الرَّجَّالة.

١٠ ـ كَفَى حَزَنًا أنْ لاَ أزَالَ أَرَى القَنَا تَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضُدِي

لك أن ترفع «أزال» على أن تكون أنْ مخفَّفةً من الثقيلة، والمراد أني لا أزال، ولك أن تنصبه على أن تكون هي الناصبة للفعل، وموضع «أن لا أزال» على الوجهين جميعًا رفع بكفى، و«حَزَنًا» انتصب على التميز، والمعنى كفى من حزن أني لا أزال أرى الرماح تصبّ دمًا من ذراعي ومن عضدي: أي من قوم بهم أبطش؛ استعاره لمَن يقوى به.

١١ ـ لَعَمْري لَئِنْ رُمْتُ الخُرُوجَ عَلَيهِمُ بِقَيسٍ عَلَى قَيسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدِ

نبّه بهذا الكلام على قرب القرابة بينهم وأنه إن أخذ في النكاية فيهم احتاج أن

---

(١) عند المرزوقي «حلقتين حلقتين».

(٢) الرجز للعجّاج في ديوانه ١/٣١٠؛ ولسان العرب (رعس) و(خضم)، وتهذيب اللغة ٢/٩٢؛ وتاج العروس (رعس وخضم)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٦٠٨؛ والمخصّص ١٠/٢٠٩. والبيت برواية: «يذري بإرعاسٍ يمينِ المؤتلي».

يخرج بقيس على قيس وسعد على سعد، لأن عوفًا هو ابن سعد، واحتاج أن يراغم عمرًا والرباب ودارمًا كما ذكره في قوله «وضيعت عمرًا».

١٢ ـ وَضَـيَّـعْـتُ عَـمْـرًا والـرِّبَـابَ وَدَارِمًـا وَعَـمْرَو بنَ أُدٍّ كَـيْـفَ أَصْبِرُ عَنْ أُدِّ[١]

قوله «كيف أصبر عن أد» يسمى التفاتًا.

١٣ ـ لَكُنْتُ كَمُهْرِيقِ الَّذِي في سِقَائِهِ لِـرَقْـرَاقِ آلٍ فَـوْقَ رَابِـيَـةٍ صَـلْـدِ

«لكنت كمهريق الذي» جواب القسم، ومَنْ روى «فكنت» كان الجواب محذوفًا قد حمل الكلام على المعنى لظهور المراد منه دون اللفظ، والأوّل أظهر.

١٤ ـ كَـمُـرْضِـعَـةٍ أَوْلاَدَ أُخْـرَى وَضَـيَّـعَـتْ بَنِي بَطْنِهَا، هَذَا الضَّلالُ عَنِ القَصْدِ

يجوز أن تكون المرضعة امرأة فعلت ذلك فضُرِبَ المثل بها، يشهد لذلك قول الآخر: [الطويل]

كَمُرْضِعَةٍ أوْلاَدَ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعَا[٢]

ويقال: النَّعَامَةُ تفعل كذا لِسُوءِ هِدَايتها، فتترك الواحدة منها بيضَ نَفسِها وتَسُومُ في المرعى؛ فإذا أرادت العَوْدَ إليها لم تَهْتَدِ فتجثم على بيضِ غيرها، قال ابن هَرْمَة: [المتقارب]

فـإِنِّـي وَتَـرْكِـي نَـدَى الأَكْـرَمِـيـنَ وَقَـدْحِـي بِـكَـفَّـيَّ زَنْـدًا شَـحَـاحَـا
كَـتَـارِكَـةٍ بَـيْـضَـهَـا بِـالـعَـرَاءِ وَمُـلْـبِـسَـةٍ بَيْضَ أخْرَى جَنَاحَا[٣]

وقوله «هذا الضَّلال عن القصد» يجري مجرى قوله «كيف أصبر عن أد»[٤] في أنه من باب الالتفات.

١٥ ـ فَـأُوصِـيـكُـمَـا يَـا ابْـنَـيْ نِـزَارٍ فَـتَـابِـعَـا وَصِيَّةَ مُفْضِي النُّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالوُدِّ

ويُرْوَى «مصفي النصح» و«مفضي النصح»: أي واصلٌ نُصْحُهُ إليكم وصائرٌ في فضاءٍ وَسَعَةٍ، والمعنى انكشافه وخلوصه.

١٦ ـ فَلاَ تَعْلَمَنَّ الحَرْبَ في الْهامِ هَامَتِي وَلاَ تَـرْمِـيَـا بِـالـنَّـبْـلِ وَيْحَكُمَا بَعْدِي

(١) عند المرزوقي: «كيف أصبر عن وُدِّ».
(٢) البيت لابن جذل الطعان الكناني كما في الحيوان ١/١٩٧؛ وحماسة البحتري ص ١٧٠؛ وذكره المرزوقي كشاهد.
(٣) ورد البيتان عند المرزوقي كشاهد في هذه الحماسية، وفي الحيوان ١/١٩٩؛ وفي ثمار القلوب ص ٣٥٣؛ والدميري ٢/٥٠٢.
(٤) ورد في البيت ١٢ من هذه الحماسية.

ويُرْوَى «فلا تُعْلِمُنَّ الحَرْبَ» هذا صريحُ الوصية التي دعا إليها، جعل النَّهْيَ لِهَامَتِه والمخاطَبون هم المَنْهِيُّونَ، فهو كقولك: لا أَرَيَنَّكَ هٰهنا، والمراد لا تكنْ هٰهنا فأراكَ، وتحقيقه لا تتحاربوا بعدي فتعلمَ هامتي بين الهام الحربَ بينكم: أي عليكم بالتَّوَاصُلِ، وقوله «لا تَرْمِيا بالنَّبْلِ» يقول: دعوا التفاخُرَ والتّنافُرَ فإنَّ ذلك من أسباب التَّقالي والتَّهاجُر، وهامتي على هذا الوجه هي الفاعلة «لِتعلمن»، وإذا رفعت الحرب كانت هي الفاعلة، وإذا رويت «فلا تعلمُنَّ الحربَ» كان الضمير الفاعل.

١٧ ـ أَمَا تَرْهَبَانِ النَّارَ في ابْنَيْ أَبِيكُمَا وَلا تَرْجُوَانِ اللَّهَ في جَنَّةِ الخُلْدِ

١٨ ـ فَمَا تُرْبُ أَثْرَى لَوْ جَمَعْتَ تُرَابَهَا بِأَكْثَرَ مِنْ إِبْنَي نِزَارٍ عَلَى العَدِّ

أَثْرَى والثرى يُجْعَلاَن اسمًا لِلأرض، ألا ترى أن «أثرى» جعل كالعلم لها ولذلك لم يُصْرَفْ، والمعنى: بأكثرَ من ابْنَيْ نزارٍ على العدِّ: أي بأكثر منهما معدودين، فموضع «على العدِّ» موضع الحال، وقطع همزة «إِبْنَيْ نزارٍ» ضرورةً كما قال الآخر: [الطويل]

إذا جَاوَزَ الإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الوُشَاةِ قَمِينُ[1]

وأكثر ما يرتكبون هذه الضّرورة في الأعمِّ الأكثر إذا كانت الألِف في اسم، وذلك أن ألِفات الوصل بابها الأفعال دون الأسماء حتى يُمكِنُ حصرها إذا لم تكنْ في مصدرٍ، وإذا كانت كذلك فالمعتادُ في أَلِفات الأسماءِ القَطْعُ، فعلى ذلك يُسْتَحْسَنُ قَطْعُها فيها وإن كانت للوصل في الضّرورة.

١٩ ـ هُمَا كَنَفَا الأَرْضِ اللَّذَا لَوْ تَزَعْزَعَا تَزَعْزَعَ مَا بَيْنَ الجَنُوبِ إلى السُّدِّ

قوله «اللَّذَا» حذف النون استطالةً للاسم بصلته، وعلى هذا قوله: [الكامل]

أَبَنِي كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا قَتَلاَ المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغلاَلاَ[2]

والسُّدُّ: سُدُّ يأجوج، وهو في الشّمال، ويقال: سُدٌّ وسَدٌّ؛ لغتان، وقيل: السَّدُّ ما يفعله الآدميون، والسُّدُّ بالضّمّ ما لا صنع لِلآدميّ فيه.

٢٠ ـ وَإِنِّي وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ لَتَأْلَمُ مِمَّا عَضَّ أَكْبَادَهُمْ كَبْدِي

٢١ ـ فَإِنَّ أَبِي عِنْدَ الحِفَاظِ أَبُوهُمُ وَخَالُهُمُ خَالِي وَجَدُّهُمُ جَدِّي

٢٢ ـ رِمَاحُهُمُ في الطُّولِ مِثْلُ رِمَاحِنَا وَهُمْ مِثْلُنَا قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الجِلْدِ

قال أبو هلال: لمّا قتلَ البَرَّاضُ بن قَيْس عُرْوَةَ بن عُتْبَةَ الجَعْفَرِي كانت قريش

(١) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ٢٨؛ واللسان (نثث).
(٢) البيت للأخطل في ديوانه ص ٤٤؛ والخزانة ٢/ ٤٩٩.

بعُكَاظ، فاحتملوا نحو مكّةَ، وأتى هوازنَ قَتْلُ البراضِ عروةَ فأتبعوهم فأدركوهم بنخلة[1]، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحَرَم، وجَنَّ عليهم اللَّيل، فكفَّتْ عنهم هوازن، فقال خداش بن زهير: [البسيط]

يَا شَدَّةً مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةَ لَوْلاَ اللَّيْلُ وَالحَرَمُ[2]

وللنبيّ في ذلك الوقت عشرون سنة، ولأبي طالب ستون سنة، فقال البراض في ذلك: [الطويل]

نَقَمْتُ عَلَى المَرْءِ الكِلاَبِيِّ فَخْرَهُ وَكُنْتُ قَدِيمًا لاَ أُقِرُّ فَخَارَا
عَلَوْتُ بِنَصْلِ السَّيْفِ قُلَّةَ رَأْسِهِ فَأَسْمَعَ أَهْلَ الوَادِيَيْنِ جُؤَارَا

[٢٥١] وقالت عاتكة بنت عبد المطلب[3] في ذلك:

عاتكة: القوس إذا عتقت واحمرت، يقال: قوسٌ عاتكةٌ، وعاتكٌ بغير هاء، ويشبه أن تكون الهاء إنَّما حُذِفَتْ من عاتك حيث كان الوصف مضارعًا للتحقير، ألا ترى أن قولك: «هذا رُجَيْلٌ» في المعنى كقولك: هذا رجلٌ صغيرٌ، وقد قالوا في تحقير قَوْس: قُوَيْس، بغير هاء، فعلى هذا قالوا: عاتك، ومَن قال قويسة كان هو الذي يقول عاتكة.

١ ـ سَائِلْ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ

من مرفّل الكامل، والقافية متواتر.

«سائل بنا» أي عنّا، «وَلْيَكْفِ من شَرٍّ سَمَاعُهْ» مثل، تقول: يكفي من الشَّرِّ أن يُتَحَدَّثَ به وإن لم يكنْ له حقيقة، فكيف إذا كان حقًّا.

٢ ـ قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا فِي مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهْ

انتصب قيسًا بفعل، كأنه قال: سائل قيسًا عنّا والجيش الذي جمعوه لنا تخبرك ببلائنا يوم الفخار، وشناعه: قبحه وعيبه، والشَّناع: الشَّناعة.

٣ ـ فِيهِ السَّنَوَّرُ وَالقَنَا وَالكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهْ

مَنْ نَصَبَ «مُلتمعًا» نصبه على الحال، ومَنْ رفعه جعله خبرًا عن الكبش، وموضع الجملة نصب، ومُلتمعٌ: من لمعَ إذا برقَ، وقد سُمِّيَتِ البيضةُ «يَلْمَع»، وفي المَثَلِ

---

(١) نخلة: هناك عدة مواضع يُطلَق عليها هذا الاسم ومنها نخلة محمود: وهو موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم. ويوم نخلة: أحد أيام الفِجار كان في أحد هذه المواضع وقد ذكر ياقوت بيت خداش بن زهير التالي في (معجم البلدان ٥/ ٢٧٧).

(٢) سخينة: لقب تُعَيَّرُ به قريش، وهو في الأصل حساء يُتَّخَذُ عند شدة الزمان وعجف المال ولعلّها أولِعَتْ بأكله.

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب: عمّة النبي ﷺ ترجمتها في الإصابة تر ٦٩٥ قسم النساء.

السَّائِرِ: «أكذبُ مِنْ يَلْمَع»، وهو البرق الذي لا يُمْطِرُ سحابُه، وقيل: هو السَّراب، والسَّنَوَّرُ: الدّروع، وقيل: الدّرع، وقيل: جملة السّلاح.

٤ - بِعُكَاظَ يُغْشِي النَّاظِرِيـ ـنَ إذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ

الباء في «بِعُكاظ» متعلّقة بقولها «في مجمع» ويجوز أن يتعلّق بملتمعًا و«شعاعه» يرتفع بيُغْشِي، والضمير منه يجوز أن يعود إلى عُكاظ لِكَوْنِ الشّعاع به، ويجوز أن يعود إلى القناع لأن اللَّمعان له.

٥ - فِيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا قَسْرًا وَأسْلَمَهُ رَعَاعُهْ

الضمير من «فيه» يعود إلى المجمع، ويجوز أن يعود إلى عكاظ، والرَّعَاعُ: سِفْلَةُ النّاسِ وسُقَّاطُهُمْ، وقال الخليل: الرَّعَاعةُ: الرَّجُلُ الذي لا فؤادَ له، ومنه رَعَاعُ النَّاسِ، وقيل: لا واحدَ له من لفظه، يقول: لم يكنْ جندُه صميمًا فأسلموه، يعني أنَّ المحافظة والصَّبْرَ إنَّما يكون لِلصَّمِيمِ الصُّرَحاء فأمّا الموالي والأخلاط فلا حِفَاظَ لهم.

٦ - ومُجَدَّلاً غَادَرْنَهُ بِالقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهْ

«مُجَدَّلاً» انتصب بفعل بعده يفسّره، كأنه قال: وغَادَرْنَ مُجَدَّلاً غادرنَه، والضمير لِلخيل، والنَّهسُ: انتزاعُ اللَّحْم عندَ العَضّ، وموضع «تنهسُه» نصب على الحال، والعامل فيه «غَادَرْنَ» والضمير في «ضِبَاعُه» يعود إلى القاع.

[٢٥٢] وقال عَبْد القَيس بن خُفَاف البُرْجُمِيّ(١):

البُرْجُم: واحدة البراجم، وهو ما نشزَ من أصابعك إذا قَبَضْتَ يدَكَ.

١ - صَحَوْتُ وَزَايَلَنِي بَاطِلِي لَعَمْرُ أبِيكَ زِيَالاً طَوِيلاً

أول المتقارب، والقافية متواتر.

إن قيل: كيف وصف الزِّيال بِالطُّول؟ قلت: الطُّول في الحقيقة لوقت الزّيال، لا له، لكنه وصفه به على طريق التَّوَسُّع، ويقال: زايلتُ بمعنى بارحْتُ، ومنه «ما زال يفعل كذا» بمعنى ما برح؛ ويقال: زَالَ الشَّيءَ من الشَّيءِ يَزِيلُه زَيْلاً، إذا مَازَهُ منه، وزَالَ الشَّيءُ يزولُ زَوَالاً، إذا فارقَ، وجواب القسم قُدِّمَ عليه.

٢ - فَأَصْبَحْتُ لاَ نَزِقًا لِلّحَاءِ وَلاَ لِلُحُومِ صَدِيقِي أكُولاَ

---

(١) عبد القيس بن خفاف: جاهلي من شعراء المفضّليات وذكر له الأصفهاني في الأغاني ٧/ ١٤٥ قصة في أنه حمل دماء عن قومه فأسلموه فيها وأنه أتى حاتمًا الطائي ومدحه، والقصة في أمالي القالي ٣/ ٢١؛ وأشار إليها المرزباني في معجمه ص ٣٢٥.

أجرى «أصبحتُ» مجرى صِرْتُ، يقول: استبدلتُ من الخِفَّةِ وَقارًا، ومن العَجَلَةِ أَنَاةً؛ وأراد بالصّديق الكَثْرَة لا الواحد.

٣ ـ وَلاَ سَابِقِي كَاشِحٌ نَازِحٌ بِذَحْلٍ إِذَا مَا طَلَبْتُ الذُّحُولاَ

الكاشِحُ: العَدُوُّ الباطنُ العَدَاوَةِ، والنَّازِحُ: البعيدُ الدَّارِ: أي لا تمنعني المسافة عن الطَّلَبِ وإنْ شَقَّتْ وَثَقُلَتْ.

٤ ـ وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلاَ

٥ ـ وَوَقْعَ لِسَانٍ كَحَدِّ السِّنَانِ وَرُمْحًا طَوِيلَ القَنَاةِ عَسُولاَ

جعله طويل الخشبة لأن مستعمله طويل، والعَسُولُ: الشَّدِيدُ الاهتزازِ، ومنه عَسَلاَنُ الذِّئبِ، وعَسَلَ الدَّليلُ في الطَّريقِ.

٦ ـ وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُو عِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلاَ

أي: وأعددتُ لها درعًا واسعةً من خير أجناسِها ينبو عنها السَّيْفُ فلا يعمل فيها لاِستحكامِها، والسّبوغ: التّمام في كل شيء، ومنه أسبغَ اللّهُ عليكَ نِعْمَتَهُ، والصَّليلُ: صوتُ وَقْعِ الحديدِ بعضُه على بعضٍ، وجِيادُ الدّروعِ: السَّهْلَةُ السَّلِسَةُ منها، وقطع ما كان منها كذلكَ أشدّ على السيف، وإنما يسرع السيف في قَطْعِ اليابسةِ منها.

٧ ـ كَمَتْنِ الغَدِيرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ المُدَجَّجُ مِنْهَا فُضُولاَ

يقول: إذا لَبِسَها المُدَجَّجُ فَضَلَ عنه منها فواضلُ يُجَرِّرُهَا، وهذا كقول الآخر: [الطويل]

تُغَشِّي بَنَانَ المَرْءِ وَالكَفَّ وَالقَدَمْ[1]

والقَصْدُ في هذا إلى صفة الدّرع وجودتها، ولو قَصَدَ مَدْحَ لاَبِسها لَكَانَ يجعلُها صِدَارًا وبَدَنَةً، على أن كُثَيِّرًا لما أنشدَ عبد الملك قوله فيه: [الطويل]

عَلَى ابْنِ أبي العَاصِي دِلاَصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ المُسَدِّي نَسْجَهَا وَأَذَالَهَا

قال له: قول الأعشى لِقيس بن معديكرب أحسن من قولك: [الكامل]

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرْسَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا
كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لاَبِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أَبْطَالَهَا

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب اليشكري في المفضلية رقم ٨٦ وصدره: «مضاعفة جدلاء أو حطميّة».

فقال كُثَيِّر: يا أميرَ المؤمنين وَصَفْتُكَ بِالحَزْمِ، ووصفَ الأعشى صاحِبَهُ بالخُرْقِ. ولِقَائِلٍ أن يقول: إن المبالغةَ في الشِّعرِ أحسنُ من الاقتصادِ، والأعشى أعطى المبالغة حَقَّها فهو أعْذَرُ وطَرِيقَتُهُ أسْلَم.

[٢٥٣] وقالت امرأة من بني عامر[١]:

وقال أبو رياش: هي من بني قُشَيْر.

١ ـ وَحَرْبٍ يَضِجُّ القَوْمُ مِنْ نَفَيَانِهَا ضَجِيجَ الجِمَالِ الجِلَّةِ الدَّبِرَاتِ

ثالث الطويل، والقافية متواتر.

٢ ـ سَيَتْرُكُهَا قَوْمٌ وَيَصْلَى بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلثُّكْلِ مُصْطَبِرَاتِ

انعطف قولها «وحربٍ» على مجرورٍ تَقَدَّمَهُ، وليس على إضمارِ رُبَّ بدلالة قولها «سيتركُها قومٌ». والنَّفَيَانُ: يُسْتَعْمَل فيما تطايرَ من القَطْرِ عند سَيَلانِ الماء من أعلى إلى أسفلَ في جوانب المَصَبِّ، فشَبَّهَ ما يَنْتَشِبُ من أَذَى الحربِ في جوانبِ القَوْمِ به، والجِلَّةُ: المَسَانُّ من الإبلِ، ويعني الَّتي مع السِّنِّ أضَرَّ بها الكَدُّ، يقول: يتركُ هذه الحروب قومٌ لا عادةَ لهم بمثلها، ويَصْلَى بها قومٌ عَادَتُهُم أنْ يُقْتَلَ منهم وتصبرَ أُمهاتُهم على ذلك لِكَرَمِهِنَّ ولأنَّ القَتْلَ يكثرُ في رجالِهِنّ، والشَّيءُ إذا كَثُرَ واعْتِيدَ هانَ.

٣ ـ فَإنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهْوَ صَادِقِي بِكُمْ وَبِأحْلامٍ لَكُمْ صَفِرَاتِ

هذا يجري مجرى التحذير والوعيد، يقول: فإن صدق ظَنِّي فيكم وفي أحلامِكم التي لا خيرَ فيها عُدْتُم لما نكرهُ فعادت رِماحُنا فيكم بالقَتْلِ سريعةً، والصَّفِرُ: الخالي من كلِّ شيء. يقال: صَفِرَ يَصْفَرُ صَفَرًا وهو صَفِرٌ وَصِفْرٌ، وقال الخليل: هو صِفْرٌ صِحْرٌ، على الإتباع، قال أبو هلال: لم يُسْمَعْ بحلمٍ صَفِرٍ إلاّ في هذا البيت، وإنما المسموعُ: عَزَبَ حِلْمُه، وخَفَّ حِلْمُهُ.

٤ ـ تُعِدْ فِيكُمُ جَزْرَ الجَزُورِ رِمَاحُنَا وَيُمْسِكْنَ بِالأكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ

كأنَّها أذْكَرَتْهُم حالةً مُنْكَرَةً تقدَّمَتْ لهم، وقولها «ويمسكنَ» يُرْوَى بفتح السِّين: أي يُضْبَطْنَ، ويُرْوَى بكسرِ السِّين تعني أن الرِّماحَ تنكسرُ فيهم فتتعلَّقُ عواليها بأكبادِهم، والمعنى أنهم يجرّون الرِّمَاحَ عند الطَّعْنِ ويصيبونَ المَقَاتِلَ، وانتصبَ «منكسرات» على الحال، وجعلت «جَزْرَ الجزورِ» مَثَلاً في السُّرعةِ، ويجوز أن يكون المعنى أنها تفعلُ بكم كما يُفْعَلُ بالجزورِ.

(١) الأبيات في أشعار النساء ص ٨٣.

[٢٥٤] وقال أُميَّة بن أبي الصَّلْت[١]:

وتُرْوَى لابن عبد الأعلى، وقيل: هي لأبي العَبَّاس الأَعْمَى، قال أبو هلال: أوردها أبو عبيدة في أخبار العَقَقَة والبَرَرَة.

١ - غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وعُلْتُكَ يافِعًا   تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إلَيْكَ وتُنْهَلُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

عُلْتُكَ: أي قُمْتُ بمؤنتكَ، وغلامٌ يافعٌ ويَفَاعٌ ويَفَعٌ ويَفَعَةٌ: أي مرتفعٌ، والجمع والواحد في اليَفَعَة سَوَاءٌ، وقد يُجْمَعُ فيقال: أَيْفَاعٌ، وقوله «تُعَلُّ بما أُدْني إليكَ» يجوز أن يكون موضع «تُعَلُّ وتُنْهَلُ» صفة لقوله يافعًا: أي معلولاً، ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: أنت تُعَلُّ وتُنْهَلُ بما أُدْنِيهِ، ومَنْ رَوَى «أجني» أراد أكسبُ، ويجوز أن يكون من جَنَيْتُ الثَّمرةَ جَنْيًا وجِنايَةً.

٢ - إذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أبِتْ   لِشَكْوَاكَ إلاَّ سَاهِرًا أتَمَلْمَلُ

الشَّكْوُ والشَّكَاةُ والشَّكْوَى واحدٌ، وأتململُ: أقلقُ، واشتقاقه من المَلَّةِ: أي كأنّي من القلق نائمٌ على المَلَّةِ[٢] فلا أستقرُّ عليها، ويُرْوَى «آبَتْكَ بِالشَّكو».

٣ - كَأنِّي أنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي   طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِيَ تَهْمُلُ

يقول: كَأنّي المختصّ بما نَابَكَ مِنَ الشَّكْوِ.

٤ - فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي   إلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ

٥ - جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً   كَأنَّكَ أنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

الجَبْهُ: مقابلةُ الإنسانِ بما يَكرهُه، وأصلُه الضَّرْبُ على الجبهةِ.

٦ - فَلَيْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي   فَعَلْتَ كما الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ

يقول: ليتكَ إذ لم تَرْعَ مِنّي حقوقَ الوِلاَدِ سِرْتَ معي بسيرةِ المجاورِ لجارِه.

٧ - وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ   وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

٨ - تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلاَفِ كَأنَّهُ   بِرَدٍّ عَلَى أهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

---

(١) أُمَيّة بن أبي الصَّلْت: شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف وهو مِمَّن حرَّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم (ت ٥ هـ/ ٦٢٦ م) ترجمته في: (تهذيب ابن عساكر ٣/ ١١٥؛ والأغاني ٤/ ١٢٠؛ والشعر والشعراء ص ١٧٦).

(٢) المَلَّة: الرماد الحارّ، أو الجمر.

[٢٥٥] وقالت امرأة من بني هِزَّانَ يقال لها أُمُّ ثواب في ابن لها عَقَّهَا:

هِزَّان: عَلَم مرتَجل، ومثاله فِعْلاَن من هَزَزْتُ الشَّيءَ، ولا يحسن أن تحمله على فِعَّال من لفظ هَوَازن لِقلَّة فِعَّال وكثرة فِعْلاَن، ولأنه غير مصروف، وقال أبو العلاء: قولهم في النَّسب هِزَّان هو من الهَزِّ كَهَزِّ السَّيْفِ والقضيبِ، وليس في كلامِهم الهَزْن إلاَّ مَمَاتًا، إلا أنّهم قالوا: بنو هَوْزَن، وبنو هَوَازن، والهَوْزَنُ طائرٌ، وجَمْعُه هوازن، ولا ريبَ أنَّ الواو زائدة، فهو مأخوذ من الهزن، إلا أنه غير مستعمَل.

١ - رَبَّـيْـتُـهُ وَهْـوَ مِـثْـلُ الـفَـرْخِ أعْـظَـمُـهُ ... أُمُّ الـطَّـعـامِ تَـرَى فـي جِـلْـدِهِ زَغَـبـا

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

رَبَّيْتُهُ ورَبَبْتُهُ بِمعنًى، وأُمُّ الطَّعام: المَعِدَةُ، أي أعظمُ ما فيه بَطنه.

٢ - حَـتَّـى إِذَا آضَ كـالـفُـحَّـالِ شَـذَّبَـهُ ... أَبَّـارُهُ وَنَـفَـى عَـنْ مَـتْـنِـهِ الـكَـرَبَـا

«حتّى» وُضِعَ للغايةِ، وأُضِيفَ إلى «إذا» وما بعدَه من الجملة التي انشرحَ بها إذا، والمعنى إلى هذا الوقت، وموضع «كالفُحَّالِ» نصب في الحال، و«الفُحَّالُ» فَحْلُ النَّخْلِ، ولا يُقالُ في غيرها، والأَبَّارُ والمُؤَبِّرُ: المُلَقِّحُ لِلنَّخْلِ، والفُحَّالُ لا يُؤَبَّرُ، ولكن لمّا كان يُؤَبَّرُ به النَّخْل أضافَ الأَبَّارَ إلى ضميرِه، على عادتِهم في إضافة الشَّيءِ إلى غيره لأَدْنَى تَعَلُّقٍ بينهما ألاَ ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾[١] ومعنى آضَ هٰهنا صارَ، قال الخليل: الأيْضُ صيرورةُ الشَّيءِ شيئًا غيرَهُ، وتَحَوُّلُهُ عن حالِه، وشَذَّبَهُ: أَلْقَى عنه كَرَبَه؛ وَالكَرَبُ: أصول السَّعَفِ التي يرتقى بها في النَّخلة.

٣ - أَنْـشَـا يُـمَـزِّقُ أَثْـوَابِـي يُـؤَدِّبُـنِـي ... أَبَـعْـدَ شَـيْـبِيَ عِـنْـدِي يَـبْـتَـغِي الأَدَبَا

أنشأَ: جواب قوله «حتى إذا آض»، وأنشأَ هو العامل في إذا، تقول: لمّا بلغَ هذا المبلغَ ابتدأَ يضربُني ويخرقُ ثيابي، وأنشأ أصله الهمز وهو الابتداء، والمعنى: إنّي رَبَّيْتُهُ وهو ضعيفٌ مثل الفرخِ حتى إذا استدَّ وقَوِيَ ابتدأَ يُؤَدِّبُني، وتأديبُ المُسِنِّ لا يُجدي، ويُروى «أَبَعْدَ ستِّينَ» وهو كقوله: [الكامل]

وَمِـنَ الـعَـنَـاءِ رِيَـاضَـةُ الـهَـرِمِ[٢]

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٢) المثل في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٣٣٤ وذكر في قصّته: أن بعض الشراة دخل على المنصور فقال له شيئًا في توبيخه فقال الشاري:

أتـروض عِـرسَـكَ بـعـدمـا كَـبُـرَتْ ... ومِـنَ الـعـنـاءِ ريـاضـةُ الـهَـرِم

فلم يسمعه المنصور لضعف صوته، فقال للربيع: ما يقول الشيخ؟ قال: يقول:

الـعـبـد عـبـدكـم والـمـال مـالـكـم ... فـهـل عذابك عني اليوم مصروفُ

فأمر بإطلاقه واستُحْسِن من الربيع هذا الفعل.

٤ - إنِّي لأُبْصِرُ فِي تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ		وَخَطُّ لِحْيَتِهِ فِي خَدِّهِ عَجَبَا

يقال: أبصرت الشيء، وبَصُرْت به، والبصر: العين ونفاذ القلب، وحُكِيَ أن معاوية قال لابن عباس وقد كفَّ بصره: ما لكم يا بني هاشم تُصابون بأبصاركم إذا أسننتم؟ فقال: هذا كما تُصابون ببصائركم، والترجيل: غسل الشعر ومشطه، تقول: أتعجب كيف تحول عن تلك الحالة إلى ما أجده عليه الساعة.

٥ - قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْمًا لِتُسْمِعَنِي		مَهْلاً فَإنَّ لَنَا فِي أُمِّنَا أَرَبَا

٦ - وَلَوْ رَأَتْنِيَ فِي نَارٍ مُسَعَّرَةٍ		ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا

تقول: تنهاه عِرْسه عن ذلك شماتَةً وهي تودُّ هَلاَكي.

[٢٥٦] وقال ابن السُّلَيْمَانِي[١]:

١ - لَعَمْرُكَ إنِّي يَوْمَ سَلْعٍ لَلاَئِمٌ		لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

سَلْعٌ[٢]: موضع، أضاف اليوم إليه تعريفًا، وحُكِيَ أنَّ السَّلْعَ شَقٌّ في الجبل، ومنه قيل: تَسَلَّعَتْ رِجْلُهُ، إذا تشقَّقَتْ، وكأن قولهم: «هَادٍ مِسْلَعٌ»[٣] من هذا، أي يَشُقُّ أجوازَ الفَلاةِ شَقًّا، واللاّم من «لَعَمْرِكَ» لام الابتداء، والخبر محذوف، والتَّلَوُّم: تَكَلُّفُ اللَّوْم، وقوله «ما يَرُدُّ»: يجوز أن يُرَادَ به ما يَرْجِعُ، ويجوز أن يكون بمعنى ما ينفعُ، يقال: هذا أَرَدُّ عليكَ: أي أنْفَعُ، وموضع «ما»: يجوز أن يكون مفعولاً، ويجوز أن يكون مبتدأ.

٢ - أَأَمْكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّيَ ضَلَّةً		أَلَهْفَى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ[٤]

«أَأَمكنتُ»: لفظُه لفظُ الاستفهام ومعناه التقريعُ والتَّوبيخ، وهذا الكلام هو صريح لومه لِنَفسِه، ويجوز أن يكون استأنفَ عَذْلَ نَفْسِه من بعد أيضًا، وضلَّةً: مصدر في موضع الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له: أي فعلت ذلك ضلالاً، أو لِضَلالٍ، وأصلُ

---

(١) عند المرزوقي «ابن السَّلْمَاني».

(٢) سَلع: اسم يُطلَق على عدة مواضع فهو جبل بسوق المدينة، أو هو موضع بقرب المدينة وأيضًا حصن بوادي موسى (ع) بقرب بيت المقدس. وقد وردت الأبيات في معجم البلدان ٣/ ٢٣٧.
وقال: «وقال ابن السلماني: وكان إبراهيم بن عربي والي اليمامة قُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى المدينة مأسورًا فلمّا مَرَّ بسلع قال: . . .» وذكر الأبيات.

(٣) هذا مقطع من بيت لسعدى الجهنيّة ترثي أخاها أسعد:
سبَّاق عاديةٍ ورأس سريّةٍ		ومقاتل بطلٍ وهادٍ مِسْلَعُ

(٤) أَلَهفَى: يجوز أن يكون مُنادَى مُفرَدًا، ويجوز أن يكون مضافًا، فإذا جعلتَه مضافًا فإن أصلَه أَلَهفِي أو أَلَهفِ، فإذا كان أَلَهفي فكأنّه فَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفًا.

الضَّلالِ الذَّهَابُ عن القَصْدِ، يقال: ضَلَلْتُ مكاني ـ بكسر اللاَّم وفَتْحِها ـ إذا لم تهتدِ إليه، وأضْلَلْتُ بعيري إذا شَرَدَ وذهبَ عنكَ، وقوله «ألَهْفَى على ما فات»: تَحَسُّرٌ وتَلَهُّفٌ، وهو كلامٌ مستقلٌّ بنفسِه. و«أعلمُ»: مفعوله محذوف، وهو بمعنى أعرفُ، فيكتفي بمفعول واحد، كأنه أراد لو كنت أعلمُ مَغَبَّتَهُ، وجواب «لو» محذوف: أي لو عَلِمْتُ ما تَنَدَّمْتُ.

٣ ـ لَوَ انَّ صُدُورَ الأَمْرِ يَبْدُونَ لِلفَتَى كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَدَّمُ

«لو انَّ صدورَ الأمرِ»: على حذف المضاف، والمراد لو أنَّ مُؤَدِّيات صدورِ الأمرِ ومُسَبَّباته تظهرُ لِلفتى كما تظهرُ له عند أعجازِه لم تَرَهُ نادِمًا على فائت ولا جازعًا إثْرَ هالِكٍ.

٤ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةٌ وَلَيْلٌ سُخَامِيُّ الجَنَاحَيْنِ أدْهَمُ

«سُخَامِيّ الجناحين» أي: أسود الطَّرَفَيْنِ مُظْلِم يسترني إذا رَكِبْتُه، و«كان»: من قوله «لقد كانَتْ فِجاجٌ» هي كان التَّامَّة المُسْتَغْنِية عن الخبر، وكأنه يريد بالسُّخاميّ سِرَارَ الشَّهرِ، ومثل السُّخامِيّ المنسوبِ قوله: [الرجز]

وَالدَّهْرُ بِالإنْسَانِ دَوَّارِيُّ[1]

ويجوز أن يريد بالسُّخَامي الجناحين اللين وقلّة الآفات في جوانبه؛ لأن السخام الريش اللين تحت الجناح، ولأن قوله «أدهم» قد دلَّ على الظلمة.

٥ ـ إذِ الأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَيَّ فُرُوجُها وَإذْ لِيَ عَنْ دَارِ الهَوَانِ مُرَاغَمُ

«فُروجُها» ثغورُها، ومُرَاغَمٌ: مُبَاعَدٌ، وهو في البيت سِناد، وإذا رُوِيَ «مُرَغَّمُ» فهو أجود، والأصلُ في المراغمة الهِجرانُ، يقال: فلان يُرَاغِمُ أهلَه أيامًا ثم يرجعُ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[2] وقوله «لم تجهلْ عَلَيَّ فروجُها» أي: لم أجهلها أنا؛ كما قال: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾[3] أي: هم عَمُوا عنها، والفُروج هنا: الطُّرُقُ.

٦ ـ فَلَوْ شِئْتُ إذْ بِالأمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصَتْ بِرَحْلِيَ فَتْلاءُ الذِّرَاعَيْنِ عَيْهَمُ

الفَتْلُ: تَبَاعُدُ المِرْفَقَيْنِ عن الزّور لِئَلاَّ يصيرَ حَازًّا ولا نَاكِتًا ولا ضاغِطًا. وَالعَيْهَمُ والعَيْهَمَةُ والعَيْهَامَةُ: النَّاقةُ الماضيةُ، وقيلَ: هي الطَّويلةُ العُنُقِ الضَّخْمَةُ الرَّأسِ، وقَلَّصَتْ: أسرعَتْ.

---

(١) للعجاج في ديوانه ص ٦٦؛ واللّسان والمقاييس (دور).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة القصص، الآية: ٦٦.

٧ ـ عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالفَلاَةِ نَهَارَهُ   وبِاللَّيلِ لاَ يُخْطِي لَهَا القَصْدَ مَنْسِمُ(١)

«بِالفلاةِ» يريد في الفلاةِ، ويجوز أن يكون أجرى قوله «دليلٌ» مجرى عارفٍ وعالم فلذلك أتى بِالباء، وقوله «باللَّيلِ لا يُخْطِي لها القصدَ مَنْسِمُ» يقول: لِبَصَرِهِ لا يخطىءُ مَنْسِمُ بَعيرِه فيزيغُ عن القَصْدِ، وهذا وإن جعلَه من وَصْفِ البعيرِ فالمرادُ أنه هَادٍ، والدَّليلُ أصلُه فاعلُ الدَّلالَةِ، فهو كالدَّالِّ، وتوسّعَ فيه، ومعنى هذه الأبيات أنه يلومُ نفسَه على تمكينِهِ الأعداءَ منها، وكانت أسبابُ النَّجاة معرضة له: من ناقةٍ فَتْلاَءَ الذِّراعَيْنِ ينجو بها، وليل أسود يستُره، ومعرفة بالطّرق ترشده، وفجاج عريضة لا تضيقُ به؛ فضيع الحزم مع هذه الأمور حتى ضيق عليه.

[٢٥٧] وقال آخر:

١ ـ أعْدَدْتُ بَيْضَاءَ لِلْحُرُوبِ وَمَصْـ   ـقُولَ الغِرَارَيْنِ يَفْصِمُ الحَلَقَا

أوّل المنسرح، والقافية متراكب.

الفَصْمُ: الكَسْرُ بلا بينونة، وَالقَصْم: الكَسْرُ مع بينونة.

٢ ـ وَفَارِجًا نَبْعَةً وَمِلْءَ جَفِيـ   ـرٍ مِنْ نِصَالٍ تَخَالُهَا وَرَقَا(٢)

والفارِجُ وَالفُرُجُ: القوسُ المتباعدةُ الوَتَرِ عن الكَبِدِ، وقوله «نَبْعَةً»: أي: هي قضيبٌ وليست بِشِقَّةٍ، والنَّبْعُ أجودُ شَجَرٍ تُتَّخَذُ منه القِسِيُّ العربيّةُ، وجعله صفةً لأنّه ضَمَّنَهُ معنى الصِّفات، وعلى هذا أسماء الأجناس، كقوله: هذا خاتَمٌ حديدٌ، متى وَصَفْتَ بها تَضَمَّنَ معنى فِعْلٍ، والجَفِيرُ: كِنانةُ النَّبْلِ إذا كانت واسعة من خَشَبٍ، والجَفْرُ في البئر منه، والوَرَق يريد وَرَق الحَوَّاء، وهو يشبهُ النِّصَال المَشَاقص، وهي العِرَاض التي في وَسَطِ كلِّ نَصْلٍ منها عَيْرٌ(٣)، وقوله «من نصال» أراد نِصالاً.

٣ ـ وَأرْيَحِيًّا عَضْبًا وَذَا خُصَلٍ   مُخْلَوْلِقَ المَتْنِ سَابِقًا تَئِقَا(٤)

قال أبو العلاء: يجوز أن يكون وصف السيف بِأَريحيّ لأنه يُهَزُّ فكأنه يرتاح لِلضَّرْبِ، وقد جاء في شعر صَخْر الغَيّ ما يَدُلُّ على أنهم نسبوا السيوف إلى أريح، وذلك قوله: [المنسرح]

وَصَارِمٍ أُخْلِصَتْ خَشِيبَتُه   أبْيَضَ مَهْوٍ فِي مَتْنِهِ رُبَدُ
فَلَوْتُ عَنْهُ سُيُوفَ أرْيَحَ إذْ   بَاءَ بِكَفِّي وَلَمْ أكَدْ أجِدُ(٥)

(١) عند المرزوقي «بالبلاد» بدل «بالفلاة».
(٢) ضبط المرزوقي «وَرِقا» بالكسر وفسَّرَها بالفضة.
(٣) عَيْرُ النَّصْلِ: الناتىء في وسطه.
(٤) عند المرزوقي «سابحًا» بدل «سابقًا».
(٥) البيت في معجم البلدان ١/١٦٥؛ وقد نسبه للهذليّ، وفيه «فَلَيْتُ» بدل «فَلَوْتُ».

قوله «باءَ بِكَفِّي»: صارت كفّي له مباءة: أي مَأْوَى، و«ولم أكَدْ أجِدُ» لِعِزَّتِهِ، وخشيبته: طبيعته، وهو رقيق، وأريح: قرية بالشَّأم، وقوله «وذا خُصَلٍ» يعني فرسًا له خصل من الشَّعر، والمخلولِق: الشَّديد المَلاَسة؛ لأن مُفْعَوعِلاً من أبنية المبالغة، والتَّئِقُ: المُمْتَلِىءُ نَشَاطًا.

٤ ـ يَمْلأُ عَيْنَيْكَ بِالفِنَاءِ وَيُرْ ضِيكَ عِقَابًا إنْ شِئْتَ أوْ نَزَقَا

هذا كقول الآخر: [الهزج]

يَزِينُ البَيْتَ مَرْبُوطًا وَيَشْفِي قَرَمَ الرَّكْبِ[1]

والعِقَابُ: جمعُ عَقْبٍ، وهو الجَرْيُ بعد الجَرْي، وقال الخليل: إذا كان للفرس جِمَامٌ بعد انقطاع الجري قيل له عِقاب.

[٢٥٨] وقال قَتَادَةُ بن مَسْلَمَةَ[2] الحَنَفِيّ:

قتادة: ضَرْبٌ من العِضَاه، ومَسْلَمَة: مَفْعَلَة من سَلِمْتُ، كأنه مصدر بمنزلة المَشْأَمَةِ وَالمَشْتَمَةِ، وحَنيفة: منقول من قولك: هذا رَجُلٌ حَنِيفٌ، وامرأةٌ حنيفةٌ، والحنيفُ: المائلُ عن دِينٍ إلى دينٍ آخر، وأصله من الحَنَفِ في الرِّجل، ومنه الحنيفية لِلإسلام؛ لأنَّه مالَ عن دين اليهود والنَّصارى.

١ ـ بَكَرَتْ عَلَيَّ مِنَ السَّفَاهِ تَلُومُنِي سَفَهًا تُعَجِّزُ بَعْلَهَا وَتَلُومُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

قوله «بَكَرَتْ عليَّ من السَّفَاهِ» البيت على كلامين، وذلك أن المصراع الأول إخبار عن زوجته بسوءِ عِشْرَتها، والثَّاني رُجُوعٌ منه عليها فيما أنْكَرَتْ، وَرَدُّ العَتَبِ إليها لما تَجَرَّمَتْ، وقال «تلومُني» في الصَّدر وفي العجز «تُعَجِّزُ بعلَها» وهما واحد على عادتهم في تصريفهم الكلام عند الأمن من الإلباس، و«سَفَهًا» مفعول له، والسَّفَهُ وَالسَّفَاهَةُ: الخِفَّةُ والاضطرابُ، يقال: سَفَّهَتِ الرِّيحُ الغصونَ، إذا حَرَّكَتْها، والبُكُورُ: أصلُه الابتداءُ، ولذلك قِيلَ لأَوَّلِ النَّهار بُكْرَة، والبَعْلُ أصلُه النِّكَاحُ، ولذلك قِيلَ للمرأةِ: بَعْلَةٌ، وقد ابْتَعَلَتِ المرأةُ وَتَبَعَّلَتْ.

٢ ـ لَمَّا رَأَتْنِي قَدْ رُزِئْتُ فَوَارِسِي وَبَدَتْ بِجِسْمِي نَهْكَةٌ وكُلُومُ

---

(١) البيت لعقبة بن سابق الجرمي، كما في الخيل لأبي عبيدة ص ١٦٠؛ وهو بلا نسبة عند المرزوقي ١/ ٦٦٤.

(٢) قَتَادة بن مَسْلَمَة الحنفي: شاعر جاهلي، أجار الحارث بن ظالم المريّ حين قتلَ خالد بن جعفر بن كلاب والقصة في الأغاني ١١/ ١٢٠، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٢ .

جواب «لمَّا» قد تَقدَّمَ، وهو قوله «بَكَرَتْ عَلَيَّ» والنَّهْكَةُ: التَّأثيرُ.

٣ ـ مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ دَهْرٌ وَحَيٌّ بَاسِلُونَ صَمِيمُ

«مَنْ أصابَ» نَكِرَةٌ تُفيدُ الكَثْرَة، والمرادُ أوَّل إنسانٍ أصابَه بنكبةٍ دَهْرٌ، فأمَّا تنكيره للدهر فقد حُكِيَ عن أبي زيد وأبي عبيدة ويونس أن الدَّهرَ والزَّمانَ والزَّمَن والحِين يقعُ على محدودٍ وغير محدودٍ، وعلى عمر الدُّنيا من أوّله إلى آخره، وقال الخليل: الدَّهْرُ: الأَبَدُ المَمْدُودُ، يُجْعَلُ اسمًا لِلنَّازلة، ويقال: دَهْرٌ من الدهر، لِبَعْضِه، كما يقال: حينٌ من الدَّهْرِ، والصَّمِيمُ: خَالِصَةُ الشَّيءِ وما به قِوَامُهُ، ومنه قِيلَ: صَمِيمُ الصَّيْفِ والشّتاء، ويوصف بالصَّمِيم الواحد والجميع، و«حَيٌّ باسلونَ» يعني أنهم قاتلوه فغلبوه، ومدحهم بقوله «باسلون صميمٌ» وهم أعداؤه لأنَّ عَدُوَّ الرَّجُلِ ينبغي أن يكونَ مِثله فإذا مدحهم فقد مدحَ نفسَه وإذا أصابوه أيضًا بِمكروه وهم كرامٌ كان أهون عليه من أن يصيبه لِئام.

٤ ـ قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافَأَ جَمْعُهُمْ وَالخَيْلُ فِي سَبَلِ الدِّمَاءِ تَعُومُ

أي: انكفؤوا وانهزَموا، وهذا من الكَفْءِ: قَلْبِكَ الشَّيءَ لِوَجْهِهِ، ومنه «كَفَأْتُ الإناءَ»: إذا قَلَبْتَهُ، ويجوز أن يكون من الكُفْءِ النَّظيرِ والمِثْلِ، ويكون المعنى تكافؤوا في مُدَافَعَتِي: أي تَسَاوَوْا حتى لم يفضلْ أحدٌ منهم على الآخر في ذلك، وعلى هذا ما رُوِيَ من الخبر «المسلمون تكافأُ دماؤهم»؛ ويُرْوَى «تكأكأ جمعهم» يقال: تكأكأ القوم، إذا اجتمعوا على الشَّيء، وَالسَّبَلُ: ما سالَ من المطرِ والدَّمِ، ومنه أسبلَ السِّتْرَ والإزارَ.

٥ ـ إذْ تَتَّقِي بِسَرَاةِ آلِ مُقَاعِسٍ حَدَّ الأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ تَمِيمُ[(١)]

«إذ تَتَّقي» ظرف لقوله «تعومُ»، والاتّقاءُ أن تجعلَ بينَكَ وبينه شيئًا يَقِيكَ.

٦ ـ لَمْ أَلْقَ قَبْلَهُمُ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ أَحْمَى وَهُنَّ هَوَازِمٌ وَهَزِيمُ

يجوز أن يكون عَنَى بالفوارسِ أصحابَه الَّذين فُجِعَ بهم، وأن يكون المراد بهم فرسان الأعداء، وقوله «أحْمَى» أراد أحْمَى منهم، فحذفَ، وهذا الحذفُ من أفعل الذي يتمّ بمَن يجوز إذا وقع خبرًا لا صِفَةً، وقد تَقَدَّمَ القول فيه: أي لم أَلْقَ فُرْسَانًا مِثْلَهم قَبْلَهم هم أحمى منهم هازمين ومنهزمين، والواو في قوله «وهُنَّ هوازمٌ» واو الحال، والضمير منه لفرق الخيل وطوائفها، ولهذا قال «هوازم» لما كان فواعل يختصّ بجمع المؤنث إلاَّ في الأحرف المعدودة، نحو: فوارس، ومثل هوازم قولهم الخوارج، لأن المراد به الفِرَقُ، وما أنشده أبو علي للْقَطَامي: [الوافر]

فَوَارِسُ بِالرِّمَاحِ كَأَنَّ فِيهَا شَوَاطِنَ يَنْتَزِعْنَ بِهَا انْتِزَاعَا

---

(١) عند المرزوقي: «حَذَرَ الأَسِنَّةِ».

قال: وقد جاء في شعره أيضًا «ما ينامُ سوافِرُهْ»[1] ثم قال: لا يمتنع أن يكون سوافر جمع سافر الذي هو المصدر، كما قال الآخر: [السريع]

فَقَدْ رَأى الرَّاؤُونَ غَيْرَ البُطُلْ[2]

فجمعَ البَاطِل على البُطُل، والباطل مصدر، تقول: قد قُلْتَ باطلاً، كما تقول: قد قلت حَقًّا، وَهَزِيم: فعيل في معنى مفعول، والمراد به الكثْرة لا الواحد، كأنه قال: وهم من بين هازمة ومهزومة.

٧ ـ لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ واخْتَلَفَ القَنَا وَالخَيْلُ في نَقْعِ العَجَاجِ أُزُومُ[3]

«لمّا» هذه عَلَمٌ لِلظَّرف، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره، وجوابه يجيءُ من بعد، وهو قوله «يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ»، وأُزوم: جمع أزم، والأَزْمُ: الإمساكُ والعَضُّ، وكُنِيَ به عن الحِمْيَةِ فقيل: نِعْمَ الدَّوَاءُ الأَزْمُ، وَالنَّقْعُ: الأجودُ أن يكون مصدر نَقَعَ الشَّرُّ والصَّوتُ والموتُ إذا كَثُرَ وارتفعَ، وإنْ عدل به عن الغبار، ومعنى رَهَجُ الغبارِ ما أُثِيرَ منه، قال أبو هلال: النَّقْعُ والعَجَاجُ واحدٌ، فأضاف لاختلاف اللّفظين، وأجود من هذا أن يقال: النَّقْعُ ما كَثُفَ من الغبارِ وثَبتَ، مأخوذ من قولهم: ماءٌ ناقعٌ، وسمٌّ ناقعٌ، أي ثابتٌ، والعَجَاجُ: ما يستطيرُ منه، فأضافَ أحدَهما إلى الآخر لاختلاف المعنى.

٨ ـ في النَّقْعِ سَاهِمَةُ الوُجُوهِ عَوَابِسٌ وَبِهِنَّ مَنْ دَعْسِ الرِّمَاحِ كُلُومُ

السُّهوم: تَغَيُّر اللَّون مع هُزالٍ ويُبُوسٍ، والدَّعْسُ: الطَّعْنُ وشِدَّةُ الوطءِ، طريقٌ مِدْعَاسٌ: مُذَلَّلٌ.

٩ ـ يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلٍ فَهَوَى لِحُرِّ الوَجْهِ وَهْوَ دَمِيمُ[4]

الحُرُّ من كلِّ شيءٍ: أعْتَقُهُ. أي وقعَ على وجهِه من غير أن يكون له وقاءٌ، والفَيْصَلُ: فَيْعَل من الفَصْلِ: أي ينفصلُ به ما بين القرينين.

١٠ ـ وَمَعِي أُسُودٌ مِنْ حَنِيفَةَ في الوَغَى لِلْبَيْضِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ تَسْوِيمُ

«من حَنيفةَ» في موضع الصِّفة لأسود، و«في الوَغَى» ظرف لِمَا دَلَّ عليه أُسود، وتقديره: معي رجالٌ يشبهونَ الأُسُودَ شجاعةً وإقدامًا، والتَّسْوِيمُ: العلامةُ والتَّأثيرُ: أي لِطُولِ لُبْسِهِم البَيْضَ ومُمَارَسَتِهم للحربِ قد أحسرَ الشّعر عن جوانب رؤوسهم.

---

(١) البيت بتمامه في ديوان القطامي ص ٢٢:

تعارض براق المتون موقعًا رضيض الحصى ليست تنام سوافِرُهْ

والشواهد كلها عند المرزوقي ص ٧٦٩.

(٢) عند المرزوقي «البُطَّلِ».

(٣) عند المرزوقي: «في رَهَجِ الغُبارِ».

(٤) عند المرزوقي: «وهو ذميم».

١١ - قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... فِي البَيْضِ وَالحَلَقِ الدِّلاَصِ نُجُومُ

ارتفع «قومٌ» على أنه بدل من قوله «أُسُود» ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم قومٌ، وجعل الحديد كناية عن أنواع الأسلحة، والدِّلاصُ: اللَّيِّنَةُ المَلْسَاءُ، يقال: دِرْعٌ دِلاَصٌ ودَلِيصٌ، ودُرُوعٌ دُلُصٌ، وقد جاء دِلاَصٌ في صفة الجمع.

١٢ - فَلَئِنْ بَقِيتُ لأرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... تَحْوِي الغَنَائِمَ أوْ يَمُوتَ كَرِيمُ(١)

اللاَّمُ في «لَئِنْ» مُوَطِّئَةٌ لِلقَسَم، و«لأَرْحَلَنَّ»: جوابه، و«نحو الغنائم» ظرف لأَرْحَلَنَّ، ومَنْ روى «تحوي» جعله صفة لِغَزْوةٍ: أي حاويةٍ للغنائم، وقوله «أو يموتَ كريمُ» أو: بدل من «إلاَّ أن» ويموتَ: ينتصب بأن مُضمَرة، كأنه قال: إلاَّ أنْ يموتَ كريمٌ، يعني نَفْسَهُ.

[٢٥٩] وقال رجل من بني يَشْكُر فيما كان بينهم وبين ذُهْلٍ:

١ - ألاَ أبْلِغْ بَنِي ذُهْلٍ رَسُولاً ... وَخُصَّ إلى سَرَاةِ بَنِي البُطَاحِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

البُطَاح: مالك بن عامر بن ذُهْل بن ثَعْلَبة، وقوله «رسولاً» أراد رسالةً وقوله «وخُصَّ إلى سَراةِ» أي: تَوَسَّلْ إلى أن تَخُصَّهمْ بِأَدائِها، ويُرْوَى(٢):

وخُصَّ به سراة بني النِّطاح

٢ - بِأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا بِالمُثَنَّى ... عَبِيدَةَ مِنْكُمُ وَأَبَا الجُلاَحِ(٣)

موضع «بِأَنَّا» نصب على أنه بدل من «رسولاً» والباء زائدة للتأكيد، يقول: أبلغ خيارَ هؤلاء القوم أنَّا قد قَتَلْنا بَدَلَ الواحدِ الَّذي قتلتموه مِنَّا اثنين منكم.

٣ - فَإنْ تَرْضَوْا فَإنَّا قَدْ رَضِينَا ... وَإنْ تَأْبَوْا فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ

يقول: إن رَضِيتُمْ فَرِضَانا مع رِضَاكم، وإن أَبَيْتُم حَاكَمناكُم إلى ظُبَا السُّيوف وأطرافِ الرِّماح.

٤ - مُقَوَّمَةٌ وَبِيضٌ مُرْهَفَاتٌ ... تُتِرُّ جَمَاجِمًا وَبَنَانَ رَاحِ(٤)

«تُتِرُّ» في موضع الصِّفة للبيض، ومعناه تُسْقِطُ.

---

(١) عند المرزوقي: «نحو الغنائم».

(٢) هذه رواية المرزوقي والجواليقي.

(٣) ضبط عند المرزوقي «عُبَيْدَة».

(٤) المُرْهَفَات: المُرَقَّقَات الحدِّ. والرَّاح: جمع الراحة.

[٢٦٠] **وقال جُرَيْبَةُ بن الأَشْيَم الفَقْعَسِيُّ**(١):

جُرَيْبَةُ: يجوز أن يكون تحقير جَرِبة، من قولك: هذا رجلٌ جَرِبٌ وامرأة جَرِبَةٌ، ويجوز أن يكون تحقير جِرْبَة، وهو القراح من الأرض، والأَشْيَم: الذي به شَامٌ، والأُنثى شَيْمَاء، والجمع شِيمٌ، والمصدر الشَّيَم، والشِّيمَةُ: الخلق، وحكاها أيضًا أبو زيد شِئْمة بالهمز، وقال أبو هلال: هو جُرَيْبة بن الأشيم بن عَمْرو بن وَهْب بن دِثَار بن فَقْعَس بن طَرِيف، وهو أخو مُطَيْر بن الأشيم أحد شياطين بني أسد، ورواها غير أبي تمام لِسَبْرَةَ بن عَمْرو، قال: ومن حديثه أن بني فَقْعَس غَزَوا بني عجل فقتلوا رئيسَهم أبا سَلْهَب، فقال أخو بني عجل: [المتقارب]

وَلَـمَّـا رَأَيْـتُ بَـنِـي فَـقْـعَـسٍ ... تَـذَكَّـرْتُ إِحْـدَى الـهَـنَـاتِ الـقُـدُمْ

فَـلاَقَـتْ بِـنَـا الـخَـيْـلُ أَكْـفَـاءَنَـا ... وَقَـالُـوا: نَـزَالِ، فَـقُـلْـنَـا: نَـعَـمْ

فَـآبُـوا بِـشَـجْـوٍ إِلَـى أَهْـلِـهِـمْ ... وَأُبْـنَـا بِـكَـبْـشٍ نَـطِـيـحٍ أَجَـمّ

فقال سبرة بن عمرو، وفي رواية أخرى: غزا النّعمان بن بُجَيْر بن عابد العِجْليّ، ويُكْنَى أبا سَلْهَب، فَلَقِيَ فَقْعَس بن طريف، ورئيسهم أُهْبَانُ بن عُرْفُطَة، فلمَّا بصرَ بنو فقعس بالخيل قالوا: هذه عِيرٌ عليها تمرٌ، فابتدرَتْها خيلُهم، فلحقَ بهم جُرَيْبَةُ بن الأَشْيم، ويُكْنَى أبا سعد، فلمّا رآهم رجعَ، واقتتلَ القومُ، فقُتِلَ أُهْبَانُ، قتلَه الحَصْفُ بن مَعْبَد بن عبد الحارث بن هلال بن ربيعة بن عجل، فقال جُرَيْبَة: [الكامل]

قَـالُـوا أَبَـا سَـعْـدٍ أَلَـمْ تَـعْـرِفْـهُـمُ ... ثَـكِـلَـتْ جُـرَيْـبَـةَ أُمُّـهُ مَـنْ يَـعْـرِفُ

وَالـلَّـهِ مَـا مَـنُّـوا عَـلَـيَّ وَإِنَّـمَـا ... مَـنَّـتْ عَـلَـيَّ شَـرَافِ إِذْ تَـتَـحَـرَّفُ

شَرَاف: اسمُ فَرَسِهِ، وقال الحَصْفُ وهو الَّذي أنشده أبو تمام ونسبه إلى جريبة، والصَّحيح أنَّ الحَصْفَ قال ذلك.

١ ـ فِـدًى لِـفَـوَارِسِـيَ الـمُـعْـلَـمِيـ ... ـنَ تَـحْـتَ الـعَـجَـاجَـةِ خَـالِـي وَعَـمّ

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

قوله «خالي»: في موضع الرفع لأنه خبر المبتدأ.

٢ ـ هُـمْ كَـشَـفُـوا غَـيْـبَـةَ الـغَـائِـبِـيـنَ ... مِـنَ الـعَـارِ أَوْجُـهُـهُـمْ كَـالـحُـمَـمْ

ويُرْوَى «عَيْبَةَ العائبينَ» والعَيْبَةُ: شِبْهُ الخريطةِ منَ الأدمِ، وهذا مَثَلٌ؛ أي أظهروا من

---

(١) جُرَيبة بن أشيم الفقعسيّ: شاعر جاهلي كان من القائلين بالبعث ومِمَّن يزعمون أن «مَن عُقِرَتْ مطيّته على قبره يُحْشَرُ عليها» وله في ذلك أبيات. ترجمته في: الأعلام ٢/ ١١٠؛ وذكر في حاشيته أسماء لمصادر أخرى.

عَيْبِ مَنْ كان يطلبُ عَيْبَهُم ما كان خافيًا، وكَذَّبوهم فيما كانوا يختلقونه، فكأنَّهم كَشَفوا عِيابَهُم المنطويةَ على عيوبهم، ويقال: فلانٌ عَيْبَةُ العيوبِ، ومِذْنَبُ الذُّنوبِ، وعَابَ المتاعُ وغيرُه، إذا صار ذَا عَيْبٍ، وعِبْتُهُ أنا: جعلت فيه عيبًا، والحُمَمُ: الفَحْمُ، وجاريةٌ حَمِمَةٌ: أي سَوْدَاء، ومَنْ رَوَى «غيبةَ الغائبين» أراد أنَّ مَنْ قُتِلَ منهم في عارٍ تَسْوَدُّ منه وجوهُهم أدركَ هؤلاء القوم ثأرَهم فغسلوا ذلك العار عنهم فكأنّهم بذلك الفعل حفظوا عهدَ مَنْ غابَ عنهم، قال أبو هلال: والوجه الأوَّل أجود؛ لقوله «كشفوا» ولم يَقُلْ حفظوا.

٣ - إذَا الخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النُّسُورِ حَزَزْنا شَرَاسِيفَهَا بِالجِذَمْ

يقول: إذا ضَجَّتِ الخيلُ من الطَّعْنِ الواقعِ في نحورِها وهَمَّتْ بِالازورارِ أكرهناها على الصَّبْرِ والتَّقَدُّمِ، ومثله قول خِدَاش بن زُهَيْر: [المتقارب]

يَصِيحُونَ مِثْلَ صِيَاحِ النُّسُو رِ مِنْ أَسَلٍ وَارِدٍ صَادِرِ

وصِياحُ النّسورِ: أي أصواتًا قصيرة، والحَزُّ: القَطْعُ، والشَّراسيفُ: مَقَاطُّ الأَضلاعِ، وإذا: ظرف لقوله «حَزَزْنا» والجِذَمُ: بقايا السِّياط، وقال أبو هِلال: يقول: إنّها قد عُوِّدَتْ تَرْكَ الصَّهيلِ في الغَزْوِ فإذا صاحَتْ صِياحَ النّسورِ لأَمْرٍ يَعْرِضُ لها، وهو صوت واحدٌ، ضربناها بالسِّياطِ لِتذكرَ العادةَ.

٤ - إذَا الدَّهْرُ عَضَّتْكَ أنْيَابُهُ لَدَى الشَّرِّ فَأْزِمْ بِهِ مَا أَزَمْ

أراد بالأنياب نُوَبَ الدَّهرِ وأحداثَهُ، والأَزْمُ: العَضُّ، وقوله «فَأْزِمْ به» أي: اعْضَضْ به، والمعنى صَابِرْهُ، و«ما أَزَمْ» «ما» مع الفعل في تقدير المصدر، واسم الزَّمان محذوف معه، وهو في موضع الظَّرف، والمعنى اعْضَضْ به مُدَّةَ عَضِّهِ بِكَ، ورَوَى بعضُهم «فَأَرْزِمْ به ما رَزَمْ» أي: اثبتْ به ما ثبتَ لكَ، من قولهم: أَسَدٌ رُزَمٌ، ورزام، إذا جَثَمَ على الفريسةِ وهَمْهَمَ عليها، وإنّما قال «فأزمْ به ما أَزَم» طلبًا للموافقة والمطابقة، وعلى هذا قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[1] والثاني ليس بِاعْتِداءٍ، بل هو جزاؤه، وجواب «إذا» قوله «فأزمْ به» وهو العامل فيه.

٥ - وَلاَ تُلْفَ فِي شَرِّهِ هَائِبًا كَأَنَّكَ فِيهِ مُسِرُّ السَّقَمْ

أي: لا تَهَبِ الدَّهْرَ ولا تَنْكَسِرْ له كأنَّكَ بمنزلةِ مَنْ به داءٌ عُضَالٌ لَزِمَهُ فأعياه مداواته حتى يَئِسَ من إقلاعِه فجعلَ يكتمُه ويخفي أثرَه وهو خائفٌ مِمَّا يَتعقَّبُهُ، ورواه بعضهم «مُشِرُّ السَّقَم» أي: مُظْهِرُه.

٦ - عَرَضْنَا نَزَالِ فَلَمْ يَنْزِلُوا وَكَانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَطَمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

و«أَطَمُّ» من قولهم: طَمَّ البحرُ، إذا غَلَبَ سائرَ البحورِ، والطَّامَّةُ: الخَصْلَةُ التي تَطُمُّ على ما سِوَاها.

٧ ـ وَقَـدْ شَـبَّـهُـوا الـعِـيـرَ أَفْـرَاسَـنَـا فَـقَـدْ وَجَـدُوا مَـيْـرَهَـا ذَا شَـبَـمْ

العِيرُ: الإبِلُ عليها المِيرَةُ، وقال بعضُهم: هو من قولهم: عَارَ الشَّيءُ يَعِيرُ، إذا ذهبَ، ووزنه فُعْل جمع عائر كعائذ وعُوذ، إلاّ أن العين قد كُسِرَتْ لِتدلَّ على الياء، وَالبَشَمُ: الثِّقَلُ، يقال: بَشِمْتُ من الطَّعَامِ، وبَغِرْتُ من الماءِ، هذا إذا رويته «بَشَمْ» ويكون معناه أنهم عَدُّونا غنيمةً، فاسْتَوْبَلوا عاقبةَ غنيمتهم، فَأَمَّا مَنْ رواه «ذا شَبَمْ» فالشَّبَمُ: البردُ، ويكون معناه التهكُّم: أي قد صادفوا مِنَّا خِلافَ ما اعتقدوه فينا.

وقال أبو رياش: الشَّبَمُ: البردُ، ومعناه صادفوا الموتَ، والموتُ باردٌ والسّمّ باردٌ، ومنه قول خِدَاش بن زهير: [البسيط]

بَيْنَ الأُمَيْلِحِ والطَّرْفَاء تَشْدَخُهُمْ زُرْقُ الأَسِـنَّـةِ فِـي أَطْـرَافِـهَـا شَـبَـمُ

الشَّدْخُ: فَضْخُك الشَّيءَ بِيَدِكَ أو بحجرٍ وغيره، ومعنى هذه الأبيات أنهم لمَّا رأوا خيلنا استخفُّوا بها وشَبَّهُوها بِعيرٍ يَسُوقُهَا أصحابُها لا يعتاصُ عليهم أَخْذُها، قال أبو محمد الأعرابيّ: كان من قصّة هذا الشّعر أنَّ سَلْهَبًا وأبا سلهب من بني ضبيعة بن عجل سارا في جمع من بكر بن وائل يطلبان، وخرجت بنو فقعس في غَزِيٍّ لهم أيضًا يطلبون الغنائم؛ فالتقى الجمعان، ولا يريد واحدٌ منهم صاحبه، فلما التقوا صاح بنو فقعس: نزال، نزال، فلم ينزلوا، وقاتلوا على الخيل، فشدَّ فَرْوَة بن مَرْثَد بن نَوْفَل بن نَضْلة بن الأشتر بن جَحْوَان على أبي سلهب، فاختلفا ضربتين، فكلاهما قتلَ صاحِبَه، وهزمتهم بنو فقعس، وقتلوا منهم، وقد ضربَ رجلٌ منهم رجلاً من بني فقعس يقال له أُهْبَان على رأسه، ثم أفلتَ والدّم يقطرُ عليه، فقال في ذلك جُرَيْبَة بن الأشيم الأبيات التي تقدّمَتْ.

[٢٦١] وقال شَقِيق بن سُلَيْكِ الأَسَدِيّ[١]:

١ ـ أَتَـانِـي عَـنْ أَبِـي أَنَـسٍ وَعِـيـدٌ فَـسَـلَّ تَـغَـيُّـظُ الـضَّـحَّـاكِ جِـسْـمِـي

أوّل الوافر، والقافية متواتر.

ضَحَّاك: اسم أبي أنس، ويُرْوَى «فَسُلَّ لِغَيْظَةِ الضَّحَّاكِ جِسمي» ومعنى سُلَّ ذابَ كجسم مَن به السُّلالُ وهو السِّلُّ.

(١) شقيق بن سُلَيْك الأسدي: شاعر إسلامي وهذا الشعر يقوله معتذرًا إلى الضحّاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهري وهو أبو أنس. والضحّاك: شهد صفّين مع معاوية ودعا إلى بيعة ابن الزبير ثم إلى نفسه وقُتِلَ بمرج راهط سنة ٦٥. ترجمته في: الإصابة تر ٤١٦٤؛ والاستيعاب.

٢ - وَلَـمْ أغْـصِ الأمِـيـرَ وَلَـمْ أرِبْـهُ وَلَـمْ أسْـبِـقْ أَبَـا أنَـسٍ بِـوَغْـمِ

قوله «لم أرِبْهُ» يجوز ضمّ الهمزةِ وفتحها، يقال: رابَه يَرِيبُهُ، إذا أتاه بريبةٍ، وأرابه يُرِيبُه، إذا أوهمَهُ الرِّيبَةَ، وقد بَيَّنَ المعنيين قول الشاعر: [الطويل]

أخُـوكَ الَّـذِي إنْ رِبْـتَـهُ قَـالَ إنَّـمَـا أرَبْـتَ وَإنْ عَـاتَـبْـتَـهُ لاَنَ جَـانِـبُـه

وبيت الحماسة يحتمل المعنيين جميعًا، والوَغْمُ: التِّرَةُ، والأمير: هو الضَّحَّاك بن قيس الفِهْرِي صاحب المرج.

٣ - وَلَـكِـنَّ الـبُـعُـوثَ جَـنَـتْ عَـلَـيْـنَـا فَـصِـرْنَـا بَـيْـنَ تَـطْـوِيـحٍ وَغُـرْمِ

يقال: ضُرِبَ البَعْثُ على الجندِ، وأُجْرِيَ البعثُ عليهم: أي بُعِثُوا على العدوِّ، وجَمَعَهُ فقال «البُعُوثُ» لاختلافه وتكرّره، كما يُجْمَعُ الضَّرْبُ على الضُّرُوبِ، والتَّطْوِيحُ: التَّبْعِيدُ في الأرض: أي جرى علينا الخروجُ في البعث فصِرْنا بين بُعْدٍ عن الأهل وبين غرمٍ نلتزمه.

٤ - وَخَـافَـتْ مِـنْ جِـبَـالِ الـسُّـغْـدِ نَـفْـسِـي وَخَـافَـتْ مِـنْ جِـبَـالِ خُـوَارَزْمِ(١)

ويُرْوَى «خُوَاءَرَزْمِ» أي: خافت نفسي من هذه الجبال فكرهت الخروج.

٥ - فَـقَـارَعْـتُ الـبُـعُـوثَ وَقَـارَعَـتْـنِـي فَـفَـازَ بِـضَـجْـعَـةٍ فِي الـحَـيِّ سَـهْـمِـي(٢)

أراد أصحابَ البعوثِ، يريد سَاهَمْتُهُمْ، والقُرْعَةُ: الاسم، يقال: هو قَرِيعي: أي مُقَارِعي، كما يقال: هو خَصِيمي، ويجوز أن يكون سَمَّى المبعوثَ بَعْثًا ثم جَمَعهُ، وهذا على عادتِهم في الوصفِ باسم الحَدَثِ، وقوله «ففاز بِضَجْعَةٍ» أي: خرج قِدْحِي باضطجاعي وراحتي، ويقال: رجلٌ ضِجَعِيٌّ وضَجَعِيٌّ، وضُجَعَةٌ، للعاجز المُلازمِ مَنزلَهُ، ومنه قِيلَ للنُّجومِ الثَّوابِتِ: ضَوَاجعُ.

٦ - وَأعْـطَـيْـتُ الـجِـعَـالَـةَ مُـسْـتَـمِـيـتًـا خَـفِـيـفَ الـحَـاذِ مِـنْ فِـتْـيَـانِ جَـرْمِ

يعني بالجِعَالة العطاء الذي يقتضيه من السّلطان، والمستميتُ: الَّذي كأنّه من شجاعته يطلبُ الموتَ، يقال: استماتَ يَسْتميتُ، كما يقال: استعانَ، إذا طلبَ العونَ، واستمالَ الرَّجُلَ، إذا طلبَ مَيْلَه إليه، وأصلُ الحَاذِ ظاهرُ الفخذِ، وقيل: أسفلُها، وقيل: باطِنُها، يريد أنه قليل اللَّحم لأنَّ البدن يؤدّي إلى العجز، ثم اسْتُعِيرَتْ خِفَّةُ الحاذِ في كلِّ مَنْ أمْرُهُ ناجزٌ ليس بِبَطِيءٍ، وجاء في الحديث «أفضل الناس في ذلك الزّمان الخفيف

---

(١) السُّغْدُ: ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار وفيها قرى كثيرة بين بُخارى وسمرقند. معجم البلدان ٣/ ٢٢٢؛ وقد ذكر ياقوت هذا البيت بدون نسبة.

(٢) عند المرزوقي: «وقارعتُ».

الحاذ» قيل: وما الخفيف الحاذ؟ قال: «الذي لا أهل له ولا مال» والمعنيُّ بالمستميت حِطَّانُ بن خُفَاف بن زُهَير بن عبد اللّه بن عبد اللّه بن رُمْح بن نَهَّار، وحطّان هو أبو الجويرية، وفي معنى هذه الأبيات قول الآخر وإن كان غرضه الهزل: [البسيط]

إنِّي أعُوذُ بِرَوْحٍ أنْ يُقَرِّبَنِي إلَى القِتَالِ فَيَشْقَى بِي بَنُو أسَدِ
إنَّ المُهَلَّبَ حُبَّ المَوتِ أوْرَثَكُمْ وَلَمْ أرِثْ نَجْدَةً في الحَرْبِ عَنْ أحَدِ
إنَّ الدُّنُوَّ مِنَ الأعْدَاءِ نَعْلَمُهُ مِمَّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ

وقول الآخر: [البسيط]

بَاتَتْ تُشَجِّعُنِي هِنْدٌ وَقَدْ عَلِمَتْ أنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا العَطَبُ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أضَلَّ اللّهُ سَعْيَهُمُ إذَا دَعَتْهُمْ إلَى أهْوَالِهَا وَثَبُوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلاَ أرْضَى فَعَالَهُمُ مَا القَتْلُ يُعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلاَ السَّلَبُ

وأبلغ من هذه الأبيات في هذا المعنى قول الآخر: [الرجز]

اثْنَانِ مِنَّا يَغْلِبَانِ وَاحِدا إذَا تَعَاوَنَا وَكَانَ رَاقِدَا

تَمَّ الباب الأول

باب المراثي

[٢٦٢] وقال أبو خِرَاشٍ الهُذَلِيُّ[١]:

خِرَاش: مصدر تَخارَشَتِ الكِلابُ والسَّنَانِيرُ تَخَارُشًا وَخِرَاشًا، مثل تَهَارَشَتْ، والخِرَاشُ أيضًا: سِمَة مستطيلة كاللَّذْعَةِ الخفيفةِ، وثلاثة أَخْرِشَة، ويقال: اخْتَرَشَتِ الكلابُ والجِرَاءُ، قال الرّاجز:

إنَّ الـجِـرَاءَ تَـخْـتَـرِشْ فـي بَـطْـنِ أُمِّ الـهَـمَّـرِشْ

واسم أبي خِراش خُوَيْلِدُ بن مُرَّة، أحد بني قِرْد، واسم قِرْد عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، مات زمن عمر بن الخطاب، نَهَشَتْه حَيَّة.

١ ـ حَـمِـدْتُ إلـهِـي بَـعْـدَ عُـرْوَةَ إذْ نَـجَـا خِرَاشٌ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

أوّل الطويل، والقافية متواتر.

مضى الكلام في خِراش وأنه مصدر خَارَشْته، ويُحْتَمَلُ أن يكون جمع خَرْشٍ، وهو الأَثَرُ كالخَدْشِ، وبعيرٌ مخروشٌ: به الخِرَاشُ: أي السِّمَةُ المعروفةُ، وَالمِخْرَشُ: اسمٌ لِمَا يُخْرَشُ به، خشبةً كان أو غيرها، فأما أبو خُرَاشة من بيت الكتاب: [البسيط]

أَبَـا خُـرَاشَـةَ أَمَّـا أنْـتَ ذَا نَـفَـرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ[٢]

فقد رُوِيَ بضمّ الخاء وكسرها، فخُراشة يجوز أن يكون من «خَرَشَ لِعيالِه» إذا كَسَبَ ويكون من باب عُمَالة وعُجَالة وصُبَابة، وأما أبو خِرَاش هذا فكان من حديثِه أن عُرْوَةَ بن مُرَّة أخا أبي خِرَاش وخراشَ بن أبي خراش اصطحبا في مُتَصَرَّفٍ لهما،

(١) أبو خِراش الهُذليّ: خويلد بن مرّة، من بني هذيل من مضر، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام واشتهر بالعدو فكان يسبق الخيل (ت نحو ١٥ هـ/ ٦٣٦ م). ترجمته في: الأغاني ٢١/٣٨؛ والإصابة ١/٤٦٤؛ والشعر والشعراء ص ٢٥٥.

(٢) البيت للعباس بن مرداس في كتاب سيبويه ١/١٤٨؛ والخزانة ٢/٨٠؛ وأبو خراشة هذا هو خفاف بن ندبة الصحابي المشهور.

فأسرَهما بطنان من ثمالة: بنو رزام، وبنو بلال، وكانوا موتورين، فاختلفوا في الإبقاء عليهما وقتلهما، فمال بنو بلال إلى قتلهما، وتفاقم الأمر بينهما في ذلك، إلى أن صار يؤدي إلى المقاتلة، فتفرَّدَ أولئك بِعُرْوةَ فقتلوه، وتفرَّدَ هؤلاء بخراش، فخلا به واحدٌ منهم منتهزًا للفرصَةِ في الإسداءِ، فقال له: كيف دِلِّيلاكَ[1]؟ فقال: قَطَاة[2]، فألقى عليه رِدَاءَهُ وقال: انْجُهْ، فمرَّ لِطِيَّتِهِ فلمّا انحرفوا لِلنَّظَرِ في أمرِه قال لهم مُمْسِكُهُ: إنه أَفْلَتَ، فطردوه فأعياهُم، فلمَّا وَافَى خِراشٌ إلى أبيه وخبَّره بما جرى على عُرْوَةَ وبما اتَّفَقَ من صاحِبه في بابه اقتصَّ قِصَّتَهُ في هذه الأبيات، وقد رُوِيَ فيما حُكِيَ عن الأصمعيّ وأبي عبيدة أنهما قالا: لا نعرفُ مَنْ مَدحَ مَنْ لا يعرفُه غير أبي خِراش، وقد سلكَ من شعراء الإسلام مَسْلَكَهُ أبو نواس في أبيات أوّلها: [الطويل]

وَدَارِ نَـدَامَـى عَـطَّـلُـوهَـا وَأدْلَـجُـوا ... بِـهَـا أثَـرٌ مِـنْـهُـمْ جَـدِيـدٌ ودَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى ... وَأَضْـغَـاثُ رَيْـحـانٍ جَـنِـيٌّ وَيَـابِـسُ
وَلَمْ أدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ لَهُمْ ... بِشَرْقِيِّ سَابَاطَ الـدِّيَارُ الـبَـسَابِـسُ

وذكر المبرد[3] أنَّ خِراشًا كان في القِدِّ مأسورًا، وأنَّ آسِرَهُ نزلَ به ضيفٌ، فقام يحتشدُ له، فنظر ذلك الضَّيفُ إلى خراش، وكان مُلْقًى وراءَ البيتِ، فسأله عن حاله ونَسَبِه، فشرحَ له قِصَّتَهُ، فقطعَ إسارَهُ وخَلاَّه، فلما رجعَ ربُّ البيتِ قال: أسيري، أسيري، وأراد السَّعْيَ في أثَرِه، فوترَ قَوْسَهُ وحلفَ أنه إن اتَّبَعَهُ رَمَاهُ، وذُكِرَ أنَّ مُلْقِيَ الرِّدَاءِ كان مجتازًا بِعُرْوَةَ فرآه بَادِيَ العورةِ مَصروعًا، ففعل ذلك به. ويُرْوَى «حَمِدْتُ الإلَـهَ» وقَلَّما يقع في الاستعمال الإلَـه معرّفًا باللاَّم، ومعنى اللَّفظة الذي يحقّ له العبادة، والحمدُ: يجري مَجْرَى الشُّكْرِ، إلاَّ أنه يُسْتَعْمَلُ في مُسْدي الإحسان، وفيمن رُضِيَتْ أفعالُه وإنْ لم يَكُنْ منه إحسانٌ، فيقال: حَمِدْتُ فلانًا على اصطناعِه لِي، وحَمِدْتُه على فَضلِه، والشُّكْرُ لا يُستَعْمَلُ إلاَّ فيمن يكون منه إسداءُ معروفٍ، والمعنى: أشكرُ اللَّهَ بعد ما اتَّفَقَ من قتلِ عروةَ على تَخَلُّصِ خِراش، وبعضُ الشَّرِّ أَخَفُّ من البعض، كأنه تَصَوَّرَ قتلهما جميعًا لو اتَّفقَ فرأى قتلَ أحدهما أهون، فإن قيلَ: ليس في الشَّرِّ هَيِّنٌ، وأفعل هذا يستعمل في مشتركين في صفة زاد أحدهما على الآخر، لا تقول: زيدٌ أفضلُ من عَمْرٍو، إلاَّ وقد اشتركا في الفضل، فكيف جاز أن يقول: وبعض الشَّرِّ أهونُ من بعض، ولا هَيِّنٌ في الشَّرِّ؟ قلت: إنَّ لِلشَّرِّ مراتبَ ودرجاتٍ، فإذا جِئْتَ إلى آحادِها وقد تصوَّرتَ جُمَلَها

---

(١) الدِّلِّيلُ: الدليل الهادي، أو الدلالة والعلم بها، وقال المبرّد: هي كثرة الدلالة.
(٢) عنى أنه في دلالته وهدايته كالقطاة، والقطاة يُضْرَبُ بها المَثَل في هدايتها إلى الماء.
(٣) في الكامل ص ٣٣٧ (ليبسك).

ورُتَبَ الآحادِ فيها وجدتَ كلَّ نوعٍ منها بِمُضَامَّتِهِ لِلغيرِ له حالٌ في الخِفَّةِ والثِّقَلِ، وإذا كان كذلك فلا يمنعُ أن يُوصَفَ منه شيءٌ بأنَّه أهونُ من غيره، ولا يشبه هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[1] لأنّكَ إذا تصوَّرتَ حالَ أهلِ الجنّةِ مع أهل النّار لم تَجِدْ ثَمَّ مشاركة البتَّةَ في وجهٍ من الوجوه، والصَّواب أن يُقَالَ في الآية: إنَّ المعنى: أصحابُ الجنَّةِ يومئذٍ أحسنُ حَالاً وأفضلُ مَقِيلاً من أن يُشَبَّهَ بشيءٍ أو يُحَدَّ بِوَصْفٍ، فَحُذِفَ منه ما حُذِفَ، وعلى هذا يحمل قول المسلمين: اللَّه أكبر، وما رُوِيَ عن النَّبيّ ﷺ أنه لمّا سَمِعَ الكفار يقولون: اُعْلُ هُبَلُ قال «اللَّه أكبر وأَجَلُّ».

٢ ـ فَوَاللَّهِ مَا أنْسَى قَتِيلاً رُزِئْتُهُ بِجَانِبِ قُوسَى مَا مَشَيْتُ عَلَى الأَرْضِ

تَعَلّق الباء من قوله «بجانبِ» بِقتيلاً، كأنه قال: ما أَنْسَى قتيلاً بجانب قُوسَى رُزِئْتُه، ورُزِئْتُه وبجانب جميعًا صفة للقتيل، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرها، وقوله «ما مشيتُ على الأرضِ» «ما» مع الفعل في تقدير مصدر، وحذف اسم الزمان معه، كأنه قال: مدّة مَشْيي على الأرضِ، وفي الكلام نيّة الشَّرْطِ والجزاء، كأنه قال: لا أَنْسَى قتيلاً رُزِئْتُهُ إنْ مَشَيْتُ على الأرض، ومعناه إن بَقِيتُ حيًّا، فلذلك وقع الماضي فيه في موضع المستقبل؛ لأن «ما مشيتُ على الأرض» في موضع ما أمشي على الأرض، وإنْ أَمْشِ على الأرض.

٣ ـ عَلَى أنَّهَا تَعْفُو الكُلُومُ وَإنَّمَا نُوَكَّلُ بالأَدْنَى وَإنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

هذا يجري مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله «لا أنسى قتيلاً رُزِئْتُه مدَّةَ حياتي» يكشف هذا أن موضع «على أنها تعفو الكلوم» من الإعراب نصب على الحال، والعامل فيه «ما أنسى قتيلاً» وهذا كما تقول: ما أتركُ حَقَّ فلانٍ على ظلع بي، كأن التقدير أُؤَدِّيهِ ظالعًا، فعلى المثال الذي ذكرته يجيء ما أنسى قتيلاً رزئته على عفاء الكلوم: أي أذكره عافيًا كَلْمِي، كسائر الكِلاَم، ويعني بالكَلْمِ الحَزَّةَ عند ابتداءِ الفَجْعَةِ، وإنّما قال هذا لأنّ الإنسانَ يُوَكَّلُ بالجَزَعِ للمصيبة القريبة العَهْدِ، فأمّا المُتقادِمُ من الأرزاء فإن مُضِيَّ الزمن يعفيه، وقوله «على أنَّها» الضمير للقصة، وخبر أنَّ الجملة بعدها، ولو قال «على أنه» لَجَازَ وكان الضَّمير لِلشّأن أيضًا، وعَفَتْهُ الرِّيحُ وعفا إذا درسَ عَفَاءً وعُفُوًّا وَتَعَفَّى، وعَفَوْتُ صوفَ الشَّاةِ إذا أخذته، فهو من الأضداد عن أبي زيد.

٤ ـ وَلَمْ أدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ ماجِدٍ مَحْضِ[2]

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

(٢) عند المرزوقي: «ولكنَّهُ قد سُلَّ».

يجوز أن يكون «مَنْ» استفهامًا مبتدأ و«ألقى عليه» في موضع الخبر، وتكون الجملة في موضع المفعول بـ «لم أدْرِ» وموضع «على أنه» نصب في موضع الحال، كأنه قال: لا أدريه مسلولاً عن ماجدٍ مَحْضٍ، ويُرْوَى «سِوَى أنه قد سُلَّ» ويكون موضع سوى من الإعراب نَصْبًا على أنه استثناء خارج، ألا ترى أنه يتأتى أن يجعلَ مكانَه لكن، والتقدير لا أعرفُ اسمه ونسبه إلاَّ أنه ولدٌ كريمٌ بما ظهرَ من فِعْلِهِ، فالمستثنى قد انقطعَ عن الأوّل، ألا ترى أنه قد عَرَفَهُ بدلالته وإنْ لم يعرف نفسَه وذاتَه، ومعنى البيت: لا أعلمُ الَّذي اهْتَدَى لهذه المكرمة في باب ابني خراش، لكنه كريمُ الأصل ماجدٌ، وأصلُ المجدِ الكَثْرَةُ، يقال: أمْجَدْتُ الدَّابَّةَ العَلَفَ، إذا أكْثَرْتَ لها، وأرادَ بالمَحْضِ صفاءَ النَّسَبِ.

٥ ـ وَلَـمْ يَـكُ مَـثْـلُـوجَ الـفُـؤَادِ مُـهَـبَّـجًـا أَضَاعَ الشَّبَابَ في الرَّبِيلَةِ وَالخَفْضِ

حذف النون من «يَكُ» لِكَثْرةِ الاستعمال لهذه اللفظة، ومضارعة النون لحروف المدّ واللّين، وقوله «مثلوجَ الفؤاد» كأنه أصاب فؤاده ثلجٌ فبردت حرارته، والمُهَبَّجُ: المُرَهَّلُ اللَّحمِ المتغيّر اللَّون، والرَّبِيلةُ: أصلُه الرّطوبةُ والسِّمَنُ، يقال: رَجُلٌ رَبِلٌ، وبئرٌ ذاتُ رَبَالةٍ، إذا كانت ناجعة الماء في الشَّاربة تسمن عليه، والرَّبْلُ: ما تقطَّرَ من الورق في آخر الصّيف ببردِ اللَّيل، يقال: هم يَتَرَبَّلُون، والرِّيبال: من أسماء الأسد، إذا لم يهمز يجوز أن يكون فيعالاً من هذا لِتَرَبُّلِهِ وعِظَمِهِ، ومعنى الشّعر أنه رَجَعَ إلى صفةِ عروة فقال: كان ذكيّ الفؤادِ شَهْمًا، لم يكن ممّن ضيّع شبابَه في التَّوَدُّعِ وصلاحِ البدن، وهذا أولى لشيئين: أحدهما قوله «ولم يكُ» لأنه يدلُّ ظاهره على أنه نعتٌ فائت، والآخر وصفه بأوصاف لا يُوصَفُ بها مَن لا يعرف، فلا يعدل عن هذا الوجه، وإن كان قد ذكر أنه من صفة الذي أنجى خِراشًا.

٦ ـ وَلَـكِـنَّـهُ قَـدْ نَـازَعَـتْـهُ مَـجَـاوِعٌ عَـلَـى أَنَّـهُ ذُو مِـرَّةٍ صَـادِقُ الـنَّـهْـضِ

ويُرْوَى «ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ» ولَوَّحَتْهُ: غَيَّرَتْه، والمخامصُ: جمع مَخْمَصَة، وهي خَلاءُ البَطْنِ من الطَّعام جوعًا، والمجاوع: مثل المخامِص؛ وإنما أثرت فيه المجاوع لأنه إذا سافر آثَرَ صَحْبَهُ على نَفسِه بِزَادِه فيشبعهم ويجوع، وقوله «صادقُ النَّهْضِ» يعني النهوض للمكارم والمعالي لا يكذب فيها إذا نهض لها.

[٢٦٣] وقال عَبْدَة بن الطَّبِيب[١]:

عَبْدَة: واحد العبد، وهو نبت، وهو من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

(١) عَبْدَة بن الطبيب: شاعر مخضرم مُجيد ليس بالمكثر، أدرك الإسلام فأسلم وكان في جيش النعمان بن المُقرّن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. ترجمته في: الأغاني ٢١/ ٣٠، دار الكتب العلمية؛ واللآليء ص ٦٩؛ والشعر والشعراء ص ٧٠٥.

١ - عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ ما شاءَ أنْ يَتَرَحَّمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

حَيَّاه بقوله «عليكَ سلامُ اللَّهِ» وهكذا تحيّة الموتى، بتقديم «عليكَ»، وقوله «ما شاءَ أن يترحّما» استدام له التَّحِيَّةَ بقوله «ما شاء أن يترحَّم» لأن الرّحمةَ من اللّه دائمة لاتّصال رَحْمَتِهِ في خَلْقِه، و«ما» مع الفعل في تقدير مصدر، وهو في موضع الظّرف، والمصادرُ يُحْذَفُ معها أسماءُ الزّمان كثيرًا، والتقدير مُدَّةَ مَشِيئَتِهِ لِلرَّحْمَةِ، والسَّلاَمُ: من أسماءِ اللّهِ وهو مصدر في الأصل، والمراد به ذو السَّلام، وليس في أسماء اللّه تعالى ما هو مصدر إلاّ هذا، وقولهم إله، والباقي كلّه صفات، وقوله «قَيْسَ بن عاصم» هو على لغة مَن لا ينوّن في غير النّداء، ومَن ينوّن يقول «قَيْسُ» فيبنيه على الضّمّ، وقيل في قوله «ما شاء أن يترحّما» معناه عليكَ سَلاَمُ اللّهِ ورحمته كثيرًا، كما يقال: أصابَنا من الخير ما شاءَ اللّهُ أن يُصِيبَنا، ورأينا من الخير ما شاء اللّه أن يُرِيَ، يريد الكَثْرَة والمبالغة، وقيل: معنى «ما شاء أن يترحّما» أي: أبدًا، كما تقدَّمَ.

٢ - تَحِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى إذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلاَدَكَ سَلَّمَا

انتصب «تحيَّةَ» على المصدر بما دلَّ عليه قوله «عليكَ سلامُ اللَّهِ» كأنه قال: أُحَيِّيكَ تحيّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ، و«مَنْ» يجوز أن يكون معرفة في موضع الَّذي، وغادرته من صلته، ويجوز أن يكون «مَنْ» نَكِرَة في موضع إنسان، كأنّه قال تحية إنسان هكذا، فيكون «غادرتَهُ»: صفة له، وانتصبَ «غرضَ الرَّدَى» على الحال، وهو في موضع النَّكِرَة، وإنْ كان مضافًا إلى ما فيه الألف واللاَّم، ولأنّ «غَرَضَ» يتضمَّنُ معنى الصّفة كأنّه قال: غادرتَهُ منصوبًا لِلرَّدَى وهَدَفًا له، وقوله «إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما»: يجوز أن يكون في موضع الصّفة لغرض الرَّدى أو حَالاً له، ويجوز أن يكون في موضع صفة لـ «مَنْ» إذا كانت نَكِرَة، ويجوز أن يكون في موضع الحال إذا جعلت «مَنْ» معرفة، وقوله «عن شَحْطٍ» أراد بعد شَحْطٍ، وقوله: «سَلَّما» جواب إذا. وقال أبو هلال: «غَرَضَ الرَّدَى» بالغين معجمة أي هدف الرَّدى صباح مساء، وهذه صفة لجميع النَّاس وليس فيه تخصيصٌ لأَحَدٍ، والجيّد عرض الرَّدى بالعين غير معجمة من قولهم: فلانٌ بِعَرَضِ الأمرِ، أي بحيث يناله ولا يُخطِئُه، وإذا كان كذلك عاشَ عيشةً نكدةً لِتَوَقُّعِهِ له لأنّه بصدده أي جعله هذا الميت معرّضًا للأعداء ينالونه كيف يريدون. وقال النّمريّ: يُرْوَى بالعين والغين، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المَثَل: [الكامل]

أَعْيَتْكَ حُمْرُ الوَحْشِ أنْ تَصْطَادَها فَعَبَأْتَ رمحَكَ لِلحمارِ الآهِلِ

ذكر نبذًا من الحروف وأعرضَ عن تفسير قوله:

«إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادك سَلَّمَا»

ومعنى ذلك أن قيسَ بن عاصم كان كثير الأفضال على عَبْدَة بن الطبيب فآلى عبدة أنْ لا يخرجَ في سفرٍ إلاّ بدأ بتوديعِهِ، وإذا قَدِمَ منه بدأ بزيارته والتّسليم عليه، فكان ذلك دأبه في حياته وفي زيارة قبره بعد وفاته.

٣ ـ فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ... ولكنّهُ بُنْيانُ قَوْمٍ تَهَدَّما

يجوز أن يُرْوَى «هُلْكَ» بالنَّصب والرَّفع، فإذا نصبتَه كان هلكه: في موضع البدل من قيس، وهُلْكَ: ينتصب على أنه خبر كان، كأنه قال: فما كان هُلْكُ قيسٍ هُلْكَ واحدٍ من النّاسِ بل مات لموته خَلْقٌ كثيرٌ، وإذا رفعتَهُ كان هُلْكُهُ: في موضع المبتدأ، وهُلْكُ واحدٍ: في موضع الخبر، والجملة في موضع النصب على أنه خبر كان؛ ويشبه هذا البيت قول امرىء القيس: [الطويل]

فَلَوْ أنّها نَفْسٌ تموتُ سَويَّةً ... ولكنّها نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسَا[1]

إذا رُويَت تُساقِطُ بِضَمّ التاء، ومثلهما وإن أغْمَضَ قول الهذليّ: [الطويل]

مُطَأْطَأَةٌ لم يُنْبِطُوها وإنّها ... لَيَرْضَى بها فُرَّاطُها أُمَّ وَاحِدِ[2]

لأنَّ الفُرَّاطَ لمّا حَفَرُوا القَبْرَ رَضُوا بأنْ يَضَعُوا فيه واحدًا فإذا هم يدفنون بِدَفْنِه خَلْقًا. وصَلَحَ قولُه «بنيانُ قوم تَهَدَّما» في مقابلةِ «فما كان قَيْسٌ» لمعناه الموافق له وذلك أنَّ البنيانَ وتَهَدُّمَهُ لم يكنْ إلا لِمَوْتِ أربابِه.

[٢٦٤] وقال هشام بن عُقْبَة العدويّ[3] أخو ذي الرُّمَّة يرثي أوفى بن دلهم وذا الرّمّة غيلان:

وقال أبو هلال: كان لذي الرّمّة ثلاثة إخوة أوفى وهشام وجِرْفاس[4]، وكانوا يقولون الشعر فتغلّبَ ذو الرّمّة على شعرهم.

١ ـ تَعَزَّيْتُ عن أوْفَى بِغيلانَ بَعْدَهُ ... عَزاءً وجَفْنُ العَيْنِ مَلآنُ مُتْرَعُ

ثاني الطويل والقافية متدارك.

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس ص ١٠٧؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/٦٤٨؛ وشرح المفصّل ٩/٨؛ ولسان العرب (جمع).

(٢) لأبي ذؤيب الهذليّ في شرح أشعار الهذليين ص ١٩٣؛ ولسان العرب (وحد)؛ والشعر والشعراء ص ٦٦١؛ وأساس البلاغة (طأطأ)؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٧٩٢.

(٣) هشام بن عُقْبة: شاعر وهو أكبر من ذي الرّمّة، وهو الذي ربّاه وبينهما مُساجلات في الشعر. (ت نحو ١٢٠هـ/ ٧٣٨ م). ترجمته في: الأغاني ١٨/٨، دار الكتب العلمية؛ والشعر والشعراء ص ٥١٠؛ والجمحي ص ٤٨٠.

(٤) ورد في الأغاني وفي المراجع الأخرى أن إخوة ذي الرّمّة هم: مسعود وهشام وأوفى الملقّب بجرفاس. وفي الأغاني أن هذا الشعر لمسعود يرثي به أخاه ذا الرّمّة وابن عمّه أوفى بن دلهم.

نصب «عزاءً» على المصدر وهو موضوع موضع التَّعَزِّي، والفعل من العزاء: عَزَى وعَزِيَ جميعًا أي صَبَرَ، ويقال: هو حَسَنُ العِزْوَة أي العَزَاء. والواو من قوله: «وجَفْنُ العَيْنِ» واو الحال، والعامل في موضع الجملة تَعَزَّيْتُ، وقوله: مُتْرَع أفادَ الامتلاءَ وزيادةً، الانصباب، يقال: أَتْرَعْتُ الإناءَ، إذا مَلأْتَهُ مَلأً يَضِيقُ عَمَّا يَحْوِيهِ حتَّى يَنْصَبَّ منه، وأصلُ الجَفْنِ الحَبْسُ، لذلك قِيلَ لِقِراب السَّيْف: جَفْن، وذو الرّمّة وأوفى وهشام ومسعود إخوة، فمات أوفى ثم ذو الرّمّة، ويقال إن هذا الشّعر لمسعود.

٢ ـ نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ ... لَعَمْرِي لَقَدْ جاؤُوا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا

٣ ـ نَعَوْا بَاسِقَ الأَفْعَالِ لاَ يَخْلُفُونَهُ ... تَكَادُ الجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ

يقال: نَعَى نَعْيًا وَنَعِيًّا وَنُعْيَانًا، و«باسقُ الأخلاقِ»[1] شريفها، وقوله «لا يخلفونه» أي: لا يقومون مقامَه ولا يكونون خلفاء منه، وقوله «تكاد الجبال الصُّمُّ منه» الهاء في «منه» راجعة إلى النعي.

٤ ـ خَوَى المَسْجِدُ المَعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ ... وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا

دَلْهَمٌ: مُشْتَقٌّ من ادْلَهَمَّ إذا أظلم، وهذه الكلمة منحوتة من أصلين الأدلم، والأدهم، فجمع بينهما للمبالغة، كما قالوا للسّارق «قِرْضَاب» من القَضْبِ والقَرْضِ، وهما القَطْع، وابن دلهم كان السبب في عمارة المسجد الذي أشار إليه، فلمّا مضى لِسَبيله كان المسجد خاليًا إذ كان هو المُرَاعِي له والمتفقّد لِصَلاحِ أمرِه كأنه يريد أنَّ أَوْفَى كان قِوَامَ عَشِيرَتِه، فلمّا ماتَ اضطربَتْ أحوالُهم فصاروا بعده كالمسجدِ المعطّل بموت ابن دلهم، فلم يَأْتِ بلفظِ التَّشبيهِ؛ إذ كان معناه من الكلام مفهومًا، والضَّعْضَعَةُ: الخضوعُ والتَّذَلّلُ.

٥ ـ فَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَهُ ... وَلَكِنَّ نَكْءَ القَرْحِ بِالقَرْحِ أَوْجَعُ

«أوجعُ» موضوعٌ مَوضِعَ أشَدّ إيجاعًا، فإن قيل: كيف صَلَحَ ذلك وأفعل الذي للمبالغة والتفضيل يتبع ما أفعله، وكذلك أفْعِلْ به، وفِعْلُ التعجّب يجب أن يكون من الثلاثي لا غير فَعَلَ وَفَعِلَ وفَعُلَ، وأوجعني ليس منها؟ قلت: ذلك سائغ على مذهب سيبويه إذ كان عنده أنَّ فِعْلَ التعجّب يكون من الثلاثي وممّا كان على أَفْعَلَ خاصة، حُكِيَ على ذلك قولهم: ما أعطاه للمال، وما آتاه للخير، وإنما هما من الإيتاء والإعطاء، لا من الأَتْي والعطاءِ، وكذلك قولهم: ما أَسْدَاهُ للمعروفِ، وذلك لِكَثْرَةِ وجوه الشَّبَهِ بين فَعَلَ وأَفْعَلَ، ألا ترى أنهما يتّفقان في معنًى، وأنه يقال في مفعولهما مفعول

---

(١) هذه غير الرواية التي ذكرها التبريزي.

وفي فاعلهما فاعل، وأنّ كلّ واحد منهما يقع في مطاوعة الآخر، وكان أبو العباس المبرّد يقول: ذلك جائز على حذف الزّوائد، يعني بناءَ التّعجّب من أَفْعَلَ، ويشبهه بقول الشاعر: [الرجز]

تَكْشِفُ عَنْ جُمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالْ[1]

وبقوله: [الرجز]

وَمَهْمَهٍ هَالِكِ مَنْ تَعَرَّجَا[2]

وبقول اللّه تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[3] ويجوز مثل هذا فيما كان أصله ثلاثيًا على أيّ بناء كان، وكان يتبع مذهب الأخفش في ذلك، وقال النّمريّ: أَوْفَى وغيلان أخواه، فيقول: لمّا مات أوفى تعزَّيْتُ بحياة غيلان، وهذا شبيه بقول أبي خراش: [الطويل]

حَمِدْتُ إلٰهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

قال: وقال الدّيمرتي وجماعة معه: يقول: مات أوفى وطال الزمان ثم مات ذو الرّمّة فجاءني حزنٌ شديدٌ فتعزّيْتُ عن أوفى وصرفت هَمِّي إلى الحزنِ الجديدِ، ولستُ أدري في البيتين ما يَدُلُّ على ما قاله، ولا في الأبيات التي لم تُذْكَرْ، وأظنّه ظَنّ هذا كقول أبي خِراش: [الطويل]

نُوَكِّلُ بِالأَدْنَى وَإنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المَثَلِ «سُلِّي هٰذَا من ٱسْتِكِ أَوَّلاً»[4] الشَّيخان كلاهما على خطأ في تفسير هذا البيت، ومعنى قوله «تَعَزَّيْتُ عن أوفى» أي تعزَّيْتُ في الحال التي كان جفن عيني مُتْرَعًا بالبكاءِ على أَوْفَى: أي لم أَتَعَزَّ، بل ازددتُ جزعًا على أوفى وحزنًا له واحتراقًا عليه بموت غيلان بعده، والدليل على ذلك قوله في هذه القصيدة:

وَلَمْ تُنسِنِي أوْفَى المُصِيبَاتُ بَعْدَه

البيت.

---

(١) هذا صدر بيت للعجاج ورد في ديوانه ص ٨٦؛ واللسان (دلا) ورواية اللسان:
يَكْشِفُ، عن جَمَّاتِهِ، دَلْوُ الدَّالْ عباءةً غَبْراءَ من أَجْنٍ طَالْ
والجمّات: جمع جمّة: هي المكان الذي يجتمع فيه ماء البئر.

(٢) وهذا أيضًا صدر بيت للعجاج في اللسان وعجزه: «هائلةٍ أهوالُهُ مَنْ أَدْلَجا».

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٤) مجمع الأمثال ١/٤٧٩، وهو يُضرَب لمَن يلومك وهو أحقّ منكَ باللّوم.

[٢٦٥] وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ[١]:

١ ـ لَقَدْ لامَنِي عِنْدَ القُبُورِ عَلَى البُكَا ... رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

التَّذْرَاف: تَفْعَال من ذَرَفَتْ إذا دَمَعَتْ، والسَّوَافِكُ: الوجه أن يقال مسفوكة لأنه يقال: سَفَكْتُ الدَّمْعَ، ويُحْتَمَلُ أن يكونَ مِثل سَفَحْتُ الدَّمْعَ، وَسَفَحَ هو، والسَّفْكُ: صَبُّ الدَّمْعِ، فوصفَ الدُّموعَ بها لأنّها جمع سَافِكة، والمرادُ ذَوَاتُ السَّفْكِ.

٢ ـ فَقَالَ: أتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ ... لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فَالدَّكَادِكِ

اللِّوَى: قيل إنه هٰهنا موضعٌ بِعَيْنِهِ، وفي اللّغة هو مُسْتَرَقُّ الرَّمْلِ ومُنْقَطَعُهُ، وذكر بعضهم أنَّ اللِّوى هٰهنا يقعُ على أماكنَ مختلفة، ولأجل ذلك جاز أن يترتب عليه «فالدَّكادك»[٢] وإذا رُوِيَ «فالدَّوانك» لا يتصوّر وقوع اللّوى على أماكن مختلفة، والدَّوَانِك: عَلَمٌ لموضعٍ، ودونك مهمل.

٣ ـ فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا ... فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مالِكِ

أشار بهذا إلى الجنس كما هو، كأنه أراد جنس القبور، يدلُّ عليه إتباعه إياه بما يفيد العموم، وهو قوله «كلّه» كأنه يريد أن مالكًا من عِظَم شأنه كأنه قد ملأ الأرضَ، فكأنَّ الأرضَ كلّها مكانه، وكأنَّ كُلَّ قبرٍ قبره، وهذا على حسب ما قال: هَلاَّ جعلتم قبرَه مِيلاً في ميلٍ، كأنه من عُظْمِ شَأْنِهِ لا يسعه إلا قبر ميل في ميل.

خبر هٰذه الأبيات: قال أبو رياش: كان مالك بن نويرة قد أسلم قبل وفاة النّبيّ ﷺ، وتصدّق، وكان عَرِيفَ ثعلبة بْنِ يَرْبُوع، فَقُبِضَ النّبيُّ ﷺ وإبل الصَّدَقة بِرَحْرَحَان، وهو ماء دُوَيْنَ بطن نخل يكون مُكلِئًا، فجمع مالك جمعًا نحوًا من ثلاثين، فأغار عليها، فاقتطع منها ثلاثمائة، فلمّا قَدِمَ بلادَ بني تميم لامه الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم وضِرَارُ بن القعقاع بن معبد بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد اللّه بن دارم، وليس في العرب عُدُس بضمّ الدّال غير هذا، والباقي عُدَس بالفتح، وبلغ مالكًا أنّهما يَمْشِيَان به في بني تميم، فقال مالك يَعْنيهما ويدعو على ما بقي من إبل الصَّدَقة: [الوافر]

أَرَانِي اللَّهُ بِالنَّعَمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِي[٣]

---

(١) مُتَمِّم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي: شاعر فحل (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في: الإصابة تر ٧٧١٧؛ والأغاني ١٥/٢٨٩، دار الكتب العلمية؛ والجمحي ص ١٦٩.

(٢) يريد أن «بين» كلمة لا تُضاف إلاّ إلى متعدِّد أو معطوف عليه بالواو فتقول: جلست بين العلماء، وتقول جلست بين محمد وعليّ، ولا تقول: جلستُ بين محمد فعليّ.

(٣) برقة رحرحان: موضع، ورحرحان: اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات، قيل هو لغطفان=

المُنَدَّى: من التَّندية، وهي أن تشرب الماشية ثم تُنَاخ ناحيةً حتى تريح ثم ترد الماء.

أَأَنْ قَـرَّتْ عُـيُـونٌ وَاسْـتُـفِـيـئَـتْ غَـنَـائِـمُ قَـدْ تَـجُـودُ بِـهَـا بَـنَـانِـي
حَوَيْتُ جَمِيعَهَا بالسَّيْفِ صَلْتًا وَلَـمْ تُـرْعَـدْ يَـدَايَ وَلاَ جَـنَـانِـي
تَـمَشَّـى يَـا ابْـنَ عُـوذَةَ فـي تَـمِـيـمٍ وَصَـاحِـبُـكَ الأُقَـيْـرِعُ تَـلْـحَـيَـانِـي
أَلَـمْ أَكُ نَـارَ رَابِـيَـةٍ تَـلَـظَّـى فَـتَـتَّـقِـيَـا أَذَايَ وَتَـرْهَـبَـانِـي
فَـقُـلْ لابْـنِ الـمَـذَبِّ يَـغُـضُّ طَـرْفًـا عَـلَـى قَـطْـعِ الـمَـذَلَّـةِ وَالـهَـوَانِ

مع غيرها، عُوذَة: أم ضرار بن القعقاع، وهي مُعَاذة بنت ضرار بن عمرو الضبي، وَالمَذَبة: أم الأقرع بن حابس.

فلما قام أبو بكر وَبَلَغَه قول مالك بعث إليه خالد بن الوليد، وأمره أن لا يأتي الناس إلاّ عند صلاة الغداة، فمَن سمع فيهم مؤذِّنًا كَفَّ عنهم، ومَن لم يسمع فيهم مؤذِّنًا استحلَّهم، وعزم عليه ليقتلنَّ مالكًا إن أخذه، فأقبل خالد حتى هبط الجو جَوَّ البَعُوضة، وبه بنو يربوع، فبات عندهم ولا يخافونه، فمرَّ على بني رياح فوجد شيخًا منهم يقال له مسعود بن وَضَّامٍ يقول: [الرجز]

وَحَـجَّـةٍ أَتْـبَـعْـتُـهَـا بِـحَـجَّـةٍ وَهَـدْيَـةٍ أَهْـدَيْـتُـهَـا لِـلأَبْـطَـحِ

فمضى عن رياح حتى مَرَّ ببني عُذَابَةَ وبني ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذِّنًا، فحمل عليهم، فثار النَّاسُ ولا يدرون ما بَيَّتَهُمْ، فلما رأوا الفرسان والجيش قالوا: ما أنتم؟ قالوا: نحن المسلمون، قال مالك: ونحن المسلمون، فلم ينتهِ المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف، وقتلت عُذَابَةُ أشدّ القتل، وقتلت ثعلبة، وأُعْجِلَ مالك عن لبس السِّلاح، وإن امرأته لَيْلَى بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُرْيَانة ودخل القبّة، وقامت دونه حتى أنفذها الرّماحَ في ساقها، وفخذها، ولبس مالك أداته ثم خرج عليهم، فنادى: يا آلَ عُبَيْد، فلم يُجِبْهُ أحدٌ غير بني بهان، فإنهم صدقوا معه يومئذٍ، وطلعوا من جوّ البعوضة، وبلغوا ذات المداق، وهي أَكَمَة بينها وبين الجو ميلان أو قدر ميل ونصف كقصر الحجّاج إلى البصرة، ففرغوا من القوم غير مالك وغير بقيّة من ولد حُبْشِيّ بن عُبَيْد بن ثعلبة، وكان عدّة مَنْ أُصِيبَ مع مالك خمسة وأربعين رجلاً من بني بهان؛ ثم إنّ خالد بن الوليد قال: يا ابنَ نويرة، هَلُمَّ إلى الإسلام، قال مالك: وتعطيني ماذا؟ قال: أُعطيكَ ذِمَّةَ اللَّهِ وذِمَّةَ رسولِه وذمّة أبي بكر وذمّة خالد بن الوليد أن لا أجاوز إليكَ وأن

= (معجم البلدان ١/ ٣٩٤ و٣/ ٣٦). والنَّعَم: الإبل.

أقبلَ منك، فأقبل مالك وأعطاه بيدِه، وعلى خالد تلك العَرْضَة من أبي بكر، قال: يا مالك، إنّي قاتلك، قال: لا تقتلني، قال: لا أستطيع إلاّ ذاك، قال: فَأْتِ ما لا تستطيع إلاّ إياه، فقدَّمَه إلى الناس فَتَهَيَّبُوا قَتْلَهُ، وقال المهاجرون: أتقتلُ رجلاً مسلمًا؟ غير ضرار بن الأزور الأسدي من بني كوز فإنه قام فقتله، فقال متمّم بن نويرة يذكر غَدْرَهُ بِمالك: [الكامل]

نِعْمَ القَتِيلُ إذَا الرِّيَاحُ تَحَدَّبَتْ ... فَوْقَ الكَنِيفِ قَتِيلُكَ ابْنَ الأَزْوَرِ
أدَعَوْتَهُ بِاللَّهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ ... لَوْ هُو دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ
وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ يَوْمَ لِقَائِهِ ... وَلَنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ المُتَنَوِّرِ
لاَ يَلْبَسُ الفَحْشَاءَ تَحْتَ ثِيَابِهِ ... صَعْبٌ مَقَادَتُهُ عَفِيفُ المِئْزَرِ

ومما قال متمّم، وفيه إقواء: [الوافر]

وَمِنْ أيَّامِنَا يَوْمٌ عَجِيبٌ ... وَلاَ يَوْمٌ كَيَوْمِ بَنِي بَهَانِ
بِنَاصِفَةِ البَعُوضَةِ حَيْثُ سَالَتْ ... عَلَى بَطْحَائِهَا شُعَبُ الرِّعَانِ
دَعَاهُمْ مَالِكٌ حَتَّى اسْتَجَابُوا ... وَلَمْ يَكُ فِي إجَابَتِهِمْ تَوَانِ
مُحَافَظَةً عَلَيْهِ وَلَمْ يُرِيدُوا ... صُدُودًا عَنْ مُخَالَسَةِ الطِّعَانِ
فَلاَ يَبْعَدْ بَنُو عَمٍّ وَآلٍ ... وَدُعْمِيٌّ فَقَدْ وَأبِيكَ كَانُوا
فَوَارِسَ غَارَةٍ وَحُمَاةَ ثَغْرٍ ... إذَا مَا شُبَّتِ الحَرْبُ العَوَانُ
نَعَضُّ عَلَيْهِمُ أسَفًا إذَا مَا ... ذَكَرْنَاهُمْ بِأطْرَافِ البَنَانِ
وَتُسْعِدُنَا الأَرَامِلُ وَاليَتَامَى ... فَمَا لِلْعَيْشِ بَعْدَهُمُ لَيَانُ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المِنْهَالُ بن عِصْمَةَ الرِّيَاحِي في ناس من بني رياح يدفنون قتلى بني ثعلبة وبني عُذَابة، ومع المنهال بردان من يمنه، فكانوا إذا مرّوا على رجل يعرفونه قالوا: كَفِّنْ هذا يا منهال فيهما، فيقول: لا، حتى أُكفّن فيهما الجَفُولَ مالكًا، وهو الكثير الشَّعْرِ، وكان يُلَقَّبُ بذلك لِكَثرة شعره، وذلك في يوم شديد الرّيح، فجعلوا لا يقدرون على ذلك، ثم رفعت الريح شعره من أقصى القوم، فعرفه فكفّنه، فذلك قول مُتَمِّم: [الطويل]

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ ... وَلاَ جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَّنَ المِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غَيْر مِبْطَانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعَا
أَلَمْ يَأْتِ أخْبَارُ المُحِلِّ سَرَاتَنَا ... فَيَغْضَبَ مِنْها كُلُّ مَنْ كَانَ مُوجَعَا

المُحِلّ: رجل من بني ثعلبة مَرَّ بمالك مقتولاً فنعاه كأنه شامت، فذمَّه مُتَمِّم، وهذا المُحِلّ كان بنوه يداوون من الكلب، وهو قول الشّاعر: [المتقارب]

أبْـلِـغْ لَـدَيْـكَ بَـنِـي مَـالِـكٍ ... وَرَهْـطَ الـمُـحِـلِّ شُـفَاةَ الـكَـلَـبْ

وأخذ خالد بن الوليد ليلى بنت سنان امرأة مالك وابنها جراد بن مالك فأقدمهم المدينة ودخلها وقد غرز سهمين في عمامته، فكأنَّ عمر غضبَ حين رأى السَّهمين فقام فأتى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فقال: إنّ في حَقِّ اللّهِ أن يُقَادَ هذا بمالك، قتل رجلاً مسلمًا ثم نزا على امرأته كما ينزو الحمار، ثم قاما فأتيا طلحة بن عُبَيْد اللّه وسعد بن أبي وَقّاص فتتابعوا على ذلك، فقال أبو بكر: سَيْفٌ سَلَّه اللّه لا أكون أوّل مَن أغمدَه، أكِلُهُ إلى اللّهِ وأمره، فسُئِلَ سليط: هل كان خالد تزوّج ليلى؟ فقال: لا أدري، فلمّا قام عمر قَدِمَ عليه متمّم بن نويرة فاستعداه على خالد، فقال: لا أردّ شيئًا صنعه أبو بكر، فقال متمّم: قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبي بكر أقَدْتَه، قال عمر: لو كنتُ ذلك اليوم بمكاني اليوم لفعلت، ولكنني لا أردّ شيئًا أمضاه أبو بكر، وردّ عليه ليلى وابنها جَرَادًا، وقال أبو محمد الأعرابي رادًّا على النّمريّ: هذا موضع المثل «الكَمَرُ أشْبَاهٌ»[1] توهّم أبو عبد اللّه أنه ليس في العرب سوى متمّم ومالك ابني نويرة ممّن أبّنَ أخاه ورثاه، وليس هذا الشعر لمتمّم بن نويرة، بل هو لابن جِذْلِ الطِّعَان الفراسي من بني كنانة يرثي أخاه مالكًا، وأول الأبيات: [الطويل]

ثَنَى الحُزْنَ أرْمَامٌ غَشِينَ بِمَنْشَدٍ ... وَرَمْلَةِ قُرًّى عَنْ يَمينِ الشَّنَابِكِ
فَأَسْعَدْتُ أبْكِي مَالِكًا وَكَأنَّهُ ... بِجُثْوَتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّوابِكِ
وَلاَ صَاحِبي لَمْ يَبْكِ وَالنَّاسُ ضاحِكٌ ... سَلِيٌّ وَبَاكٍ شَجْوَهُ غَيْرُ ضَاحِكِ

يعني ولا صاحبي بكى لم يَبْكِهِ غيري.

وَقَالَ أتَبْكِي كُلَّ رَمْسٍ رَأيْتَهُ ... لِرَمْسٍ مُقِيمٍ بِالمَلاَ وَالدَّوَانِكِ[2]
فَقُلْتُ لَهُ إنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ البُكا ... فَدَعْنِي فَهٰذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
ألَمْ تَرَهُ فِينَا يُقَسِّمُ مَالَهُ ... وَتَأْوِي إلَيْهِ مُرْمِلاَتُ الضَّرائِكِ[3]
فَآخِرُ آيَاتٍ مُنَاخُ مَطِيَّةٍ ... وَرَحْلُ عِلاَفِيٍّ عَلَى مَتْنِ حَارِكِ[4]

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ٢٣٤ وهو: الكَمَرُ أشباهُ الكَمَرِ، وهو يُضْرَبُ في مشابهة الشيء بالشيء.

(٢) المَلا: اسم يُطلَق على عدة مواضع (معجم البلدان ٥/ ١٨٨). والدَّوانِك: ذكره ياقوت في (معجم البلدان ٢/ ٤٧٩). وذكر شعر متمّم هذا والشطر الثاني: «القبرِ ثوى بين اللِّوى فالدَّوانكِ».

(٣) الضَّرائك: جمع الضَّريك: الفقير السيّىء الحال.

(٤) الحارك: أعلى الكاهل.

فَلَمَّا اسْتَوَى كالبَدْرِ بَيْنَ شُعُوبِهِ   وَأَمَّتْ بِهَادِيها فِجَاجَ المَهالِكِ
بِعَيْنَيْ قَطَامِيٍّ تَأَوَّبَ مَرْقَبًا   فَبَاتَ بِهِ كَأَنَّهُ عَيْنُ فَارِكِ[1]
أَطَفْنَا بِهِ نَسْتَحْفِظُ اللَّهَ نَفْسَهُ   نَقُولُ لَهُ مُصَاحِبًا غَيْرَ هَالِكِ

[٢٦٦] وقال أبو عطاء السِّنْدِيّ[2]:

في ابن هبيرة، وقتله المنصور بواسط، بعد أن آمنه.

١ ـ ألاَ إنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ   عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

كان أبو جعفر قَتَلَه غدرًا، فلمّا حملَ رأسَه إليه قال لِلْحَرَسِيّ: أترى إلى طينة رأسه ما أعظمها، فقال الحَرسيُ: طينةُ إيمانِه أعظمُ من طِينةِ رأسِه.

٢ ـ عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ   جُيُوبٌ بَأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ

عَشِيَّةَ: بدل من قوله «يوم واسطٍ» وأسماء الزّمان تُضَاف إلى الأفعال، وهو تحديدٌ وتوقيتٌ، ومعنى قيام النَّائحات تَهَيّؤها لِلنَّوْحِ، وعلى هذا قولهم: قَامتِ السّوق، وقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3] وأصلُ التَّنَاوُحِ التَّقابُلُ، والمَأْتَم: النساء يجتمعن في الخير والشَّرِّ، وأصله من الأَتْمِ، وهو التقاء المَسْلَكَيْنِ، ومنه الأَتُومُ في صفة النّساء.

٣ ـ فَإنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِنَاءِ فَرُبَّمَا   أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ

الرّواية المختارَة «وربّما» بالواو، وذلك أن جواب الشّرط من قوله «فإن تُمسِ مهجورَ الفِناءِ» فإنّك لم تَبْعُدْ على مُتَعَهّد، ويصير «ربّما أقامَ» بيان الحال فيما تقدَّمَ من رياسته وَقْتَ تَوَفُّرِ النّاسِ على قَصْدِه وزيارته، وإذا رويتَ «فربّما أقامَ» وجعلته جزاء الشّرط يصير «فإنك لم تبعدْ» استئناف كلام، وتكون الفاء رابطة لجملة على جملة، فإنْ قِيلَ: إن الشّرط والجزاء لا يصحّان إلا فيما كان مستقبلاً، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول القائل: إن خرجتَ أمس أعطيتُكَ فيه درهمًا، وقد انقضى، فلا يصحّ تَعَلُّق الشَّرط والجزاء به، وإنما يعلّقان أبدًا بما يستأنف من الزّمان حتى يصحَّ من الفاعل إيقاع فعله فيه واستحقاقه الجزاء عليه، قلت: الأمر في الشّرط على ما ذكرت، إلاّ في لفظ «كان»، كأنهم جوّزوا أن يقول القائل: إنْ كنتَ خرجتَ أمس إلى موضعِ كذا أعطيتُكَ اليومَ كذا، والمعنى إن يثبت في علمي وقوع الخروج منك أمس، وجوّزوا هذا في لفظة «كان» لِقوّته في العبارة عن الأحداث، وأما الجزاء فلا يجوز فيه مثل هذا لا بلفظة «كان» ولا بغيرها،

(١) الفارك: المبغض.
(٢) وردت ترجمته في الحماسية رقم (٧).
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

يمتنع أن يقال: إنْ تَجِئْني اليومَ أعطيتُكَ أمسِ، على أن تكون العطيّة سَلَفًا في جزائِه على فعله، فإنْ قِيلَ: فكيف جاز أن تقول: «فربّما أقام»، وأقام بناء ماضٍ، قلت: إنَّ الجوابَ في قوله «فربّما» ليس بالفعل وإنَّما هو جملة من مبتدأ وخبر، لا فِعلاً وفاعلاً، وإذا كان كذلك فقد سلم اللَّفظ، وصار المعنى: إنْ أمْسَى فَنَاؤُكَ مهجورًا السَّاعةَ فبما كان مألوفًا من قبل، والعرب تقول: هذا بِذَاكَ: أي عوض من ذاك.

٤ - فَـإنَّـكَ لَـمْ تَـبْـعُـدْ عَـلَـى مُتَعَـهِّـدِ بَـلَـى كُـلُّ مَـنْ تَـحْـتَ الـتُّـرَابِ بَـعِـيـدُ

أي: على مُتَعَهِّدٍ يتعهّدك بِالذِّكْرِ والبكاء، أو على مَن يتعهّد قبرك ويزوره، ثم قال: بلى أنت بعيدٌ إذ ليس لِمَنْ يتعهَّدُكَ بهذه الأشياء مِنكَ شَيء.

[٢٦٧] وقال آخر(١):

١ - لَـوْ كَـانَ حَـوْضَ حِـمَـارٍ مَـا شَـرِبْـتَ بِـهِ إلاَّ بِـإِذْنِ حِـمَـارٍ آخِـرَ الأَبَـدِ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

هذه الأبيات قالها صَنَّان بن عَبَّاد اليَشْكُريّ في أنَّ شَمَطَ بن عبد اللّه اليشكريّ أتاه وقد أوردَ إبله وأترع حَوْضَه فأخذ فوق يده وقدّم إبله فأوردها في مائه الذي استقى فكان له الحفرة والعدد، فقال صَنَّانٌ: [البسيط]

يَا هَلْ بِصَوْبٍ وَبِالغَبْرَاءِ مِنْ أَحَدِ وَهَلْ بَكَى بَلَدٌ أعْمَى إلى بَلَدِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقًا عَلَى الفِرَاشِ وَمَا بِالعَيْنِ مِنْ رَمَدِ
إلاَّ تَذَكُّرَ أقْوَامٍ فُجِعْتُ بِهِمْ كَانُوا يَسُدُّونَ عَنِّي الأَمْرَ ذَا السَّدَدِ
لَمَّا رَأى شَمَطٌ حَوْضِي لَهُ تَرَعٌ عَلَى الحِيَاضِ أَتَانِي غَيْرَ ذِي لَدَدِ
لو كان حوض حمار ....
الأبيات.

قال أبو رياش: حِمَار هو علقمة بن النّعمان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة، وأما شَمَط فهو حِطَّان بن قيس بن عَمْرو بن ثعلبة بن عديّ بن جشم بن حبيب بن كعب بن يَشْكر، وقال المرزوقيّ: حمار أخوه، وكان في حياته يتعزَّزُ به، فلا يعترض عليه أحدٌ

(١) أنشد ياقوت هذه الحماسية في (معجم البلدان ٢/ ٣٢٠) وقال: «حمار اسم رجل ضعيف، وكانوا يتمثلون بضعفه، وقيل: بل أراد الحمار بنفسه، يقول: لو كان حوضي حوض حمار ما شربت منه إلا بإذن الحمار لضعفك وذلّك وقلّتك، ولكان الحمار أعزّ منك، ولكنكَ وجدت حوضي حوض رجل أهلكَ الدهر قومه ونظراءه فطمعت فيه، فليس ما فعلته دليلاً على عزّتكَ ولكنه دليل على ضعفي، كأنه يحرّض قومه بذلك».

فيما يفعله ولا يطمعُ إنسانٌ في اهتضام جانبه، فلمّا أُصِيبَ به اسْتُلِينَ جانبُه حتى غُلِبَ على مائِه، وقوله «آخِرَ الأَبَدِ» ظرف يتعلّق بقوله «ما شَرِبْتَ به» فأمّا تكرير لفظة «حمار» فإنّهم يفعلون ذلك في الأعلام وما يجري مجراها، وفي أسماء الأجناس، ويكون القصد إلى التَّعظيم، وقيل: إن حِمارًا المذكور اسم رجل كان يُضْرَبُ به المَثَل في الذُّلِّ، فلذلك ذكره، ولا يجوز أن يُرَادَ به واحد من الحمر لأنه لو كان كذلك لَوَجَبَ أن يقول في الثاني إلاَّ بإذن الحمارِ لأنَّ المُنَكَّرَ إذا أُعِيدَ ذِكره يجب تعريفه بالألف واللاَّم إشارة إليه، على هذا كتب في أواخر الكتب وقد قدّم في أوائلها «سَلامٌ عليك»: والسّلام عليك[1].

٢ ـ لَـكِـنَّـهُ حَـوْضُ مَـنْ أَوْدَى بِـإِخْـوَتِـهِ رَيْـبُ الـزَّمَـانِ فَـأَمْـسَـى بَـيْـضَـةَ الـبَـلَـدِ

قيل في «بيضة البلد»: إنه بيض النعام لأنها سَيِّئة الهداية؛ فتضعُ بيضها في موضع ثم تتركه ضَلاَلاً عنها فيضيعُ، وربّما ذهبت فحضنَتْ بيضَ غَيْرِها وتَظُنّ أنه بيضها، وقيل: إن «بَيْضَةِ البلدِ» هي الكمأةُ البيضاء تَنْشَقُّ عنها الأرضُ، وهي الفَقْع، فتطؤه الماشية، وتنقره العافية[2]، ولذلك قيل: أذَلُّ من فَقْعٍ بِقاعٍ، وكما ضُرِبَ المثل ببيضة البلد في الذّلِّ ضُرِبَ بها المثل في العزِّ أيضًا، قالتْ أُختُ عمرو بن عَبْدِ وَدٍّ ترثي أخاها وكان عليٌّ قتله: [البسيط]

لَوْ كـانَ قَـاتِلُ عَـمْرٍو غَـيْرَ قَـاتِلِهِ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ في جَسَدِي
لَـكِـنَّ قَـاتِـلَـهُ مَـنْ لاَ يُـعَـابُ بِـهِ وَكـانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ البَلَدِ[3]

والمراد إذا مدح أنه لا نظير لها ولا أُخت معها فالنعامة تطيف بها إشفاقًا عليها، ومن الذمّ قول الآخر: [الرجز]

إِنَّ أَبَـا نَـضْـلَـةَ لَـيْـسَ مِـنْ أَحَـدْ ضَـلَّ أَبَـاهُ فَـهْـوَ بَـيْـضَـةُ الـبَـلَـدْ[3]

وبيضةُ الإسلام: جماعتهم، ويقال: تَفَرَّى بيضةُ الأرضِ عن بني فلان، إذا تناسلوا وكَثُروا.

٣ ـ لَوْ كَانَ يُشْكَى إِلَى الأَمْوَاتِ مَا لَقِيَ الـ ـأَحْـيَـاءُ بَـعْـدَهُـمُ مِـنْ شِـدَّةِ الـكَـمَـدِ

٤ ـ ثُـمَّ ٱشْـتَـكَـيْـتُ لأَشْـكَـانِـي وَسَـاكِـنُـهُ قَـبْـرٌ بِـسِـنْـجَـارَ أَوْ قَـبْـرٌ عَـلَـى قَـهَـدِ

يقال: شَكَوْتُه فأشكاني، كما يقال: طلبتُ منه كذا فأطلبني، والكَمَدُ: همٌّ وحزنٌ لا يُسْتَطَاعُ إمضاؤه، وقال ابن دريد: هو مرضُ القَلْبِ من الحزنِ، يقال: كَمِدَ يَكْمَدُ كَمَدًا،

---

(١) يعني كتبوا «السلام عليك» في آخر الكتب التي يبعثون بها لكونهم قالوا في أولها «سلام عليك».
(٢) العافية: طُلاَّب الرزق من الإنس والدوابّ والطير.
(٣) الشاهد عند المرزوقي ص ٨٠٤.

ورأيتُه كامدَ الوَجْهِ، إذا بانَ به أثرُ الكَمَدِ، وأكمدَهُ الحزنُ إكمادًا، ويُرْوَى «لأَشْكاني بآمِلَةٍ» والآملة: البكاء والعويل، ومَنْ روى «وساكنه قبر بسنجارِ» فإنَّه قَدَّمَ المعطوف ـ وهو «وساكنه» ـ على المعطوف عليه ـ وهو «قبر بسنجار» ـ ومثله: [الوافر]

أَلاَ يَـا نَـخْـلَـةً مِـنْ ذَاتِ عِـرْقٍ عَـلَـيْـكِ وَرَحْـمَـةُ الـلَّـهِ الـسَّـلاَمُ[1]

وإنما يحسن هذا إذا كان العامل مُقَدَّمًا، وهو في الفعل والفاعل أكثر منه في المفعول، فأمّا المجرور فلا يجوزُ ذلك فيه، لا يجوزُ أن تقول: مَرَرْتُ وعَمْرٍو بزيد، إذ كان فيه تقدّم المعطوف عليه وعلى العامل فيه.

[٢٦٨] وقال رجل من خَثْعَم:

خَثْعَم: اسم قبيلة غير مصروف، وهو في الأصل اسم بعير، والخَثْعَمَةُ: تَلَطُّخ الجسدِ بالدَّمِ، ويقال: إنَّما سُمِّيَتْ بذلك لأنهم نَحَروا بعيرًا فتلطَّخوا بدمه وتحالفوا، فخثعم على هذا في الأصل فعل ماضٍ كَدَحْرَج، نقل فسمّيت القبيلة به، ويجوز أن يكون مَصْدرًا، حُذِفَتْ منه الهاء عند النقل، وأصله خثعمة، ومن أبيات الكتاب: [الطويل]

وَمَـا هِـيَ إلاَّ فِـي إِزَارٍ وَعُـلْـقَـةٍ مُغَارَ بْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا[2]

١ ـ نَـهِـلَ الـزَّمَـانُ وَعَـلَّ غَـيْـرَ مُـصَـرَّدِ مِـنْ آلِ عَـتَّـابٍ وَآلِ الأَسْـوَدِ

أول الكامل، والقافية متدارك.

النَّهَلُ: الشّرْبُ الأوَلُ، والعَلَلُ: الشُّرْبُ الثّاني، والتَّصْرِيدُ: تقليلُ الشُّرْبِ، يقال: إناءٌ مُصَرَّدٌ، إذا كان ما يحويه دُونَ الرِّيِّ.

٢ ـ مِنْ كُـلِّ فَـيَّـاضِ الـيَـدَيْـنِ إذَا غَـدَتْ نَـكْـبَـاءُ تُـلْـوِي بِـالـكَـنِـيـفِ الـمُـؤْصَـدِ

«من كلِّ فَيَّاضٍ» بدل من قوله «من آلِ عَتَّابٍ» وقد أعاد العامل فيه، وهذا يكثر في المجرور، على هذا قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ

(١) البيت للأحوص في ديوانه ص ١٩٠ (الهامش)؛ وخزانة الأدب ٢/ ١٩٢؛ والدّرر ٣/ ١٩، ١٥٥؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٧٧؛ ولسان العرب (شيع)؛ ومجالس ثعلب ص ٢٣٩؛ والمقاصد النحوية ١/ ٥٢٧؛ وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٣٨٦؛ وشرح التصريح ١/ ٣٤٤؛ ومغني اللبيب ٢/ ٣٥٦؛ وهمع الهوامع ١/ ١٧٣.

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي في الأشباه والنظائر ٢/ ٣٩٤؛ والكتاب ١/ ٢٣٥؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٤٧، وليس في ديوانه؛ وللطماح بن عامر كما في حاشية الخصائص ٢/ ٢٠٨؛ وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ص ٣٥١؛ والخصائص ٢/ ٢٠٨؛ وشرح المفصل ٦/ ١٠٩؛ ولسان العرب (لحس، وعلق)؛ والمحتسب ٢/ ١٢١.

﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[1] ألاَ ترى أنه أعاد اللاَّم كما أعاد هذا الشَّاعر «من»، وهذا التَّكْرَارُ تأكيد الإبدال وتنبيه على أن الثاني من الأول، والفَيَّاضُ: الكَثيرُ السَّيَلانِ، وهو بناء المبالغة، وَالنَّكْبَاءُ: كلُّ ريحٍ تَنَكَّبَتْ عن مَهابِّ الرِّياحِ الأربعِ، وإذا كَثُرَت النَّكباوات واشتدَّ هبوبُها شَمِلَ القحطُ. والأنكبُ: البعيرُ وغيره، كأنه يمشي في شِقٍّ، ومعنى «تُلوي»: تذهبُ به؛ والكنيفُ: الحظيرة من الشَّجَرِ، والمُؤْصَدُ: الذي جُعِلَ له إصادٌ إحكامًا له، والإصادُ: عتبةُ البابِ، والجمع الأُصُدُ، وفُسِّرَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾[2] أي: مُطْبَقة، وقيل: الوَصيدُ الفِنَاءُ، والمعنى: إنَّ الزَّمانَ ألَحَّ عليهم وتناول منهم الأفضلَ فالأفضلَ تناولاً لا تقليلَ فيه، فذهبَ منهم بِكلِّ رجلٍ سَخِيٍّ واسع المعروف إذا اشتدَّ الزّمان، وقول الجَعْدِي: [الرّمل]

سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ[3]

ليس مِمَّا قاله في شيء، وإنما يريد مَرَّ عليهم دهرٌ مديدٌ فشربَ النَّاسُ بعدهم وأكلوا ونسوا أولئك.

٣ ـ فَالْيَوْمَ أَضْحَوْا لِلْمَنُونِ وَسِيقَةً ... مِنْ رَائِحٍ عَجِلٍ وَآخَرَ مُغْتَدِي

أشار باليوم إلى الزَّمانِ الحاضرِ المُتَّصِلِ بما بعدَه، وهذا كما يقال: فلانٌ بالأمس كان يفعل كذا، وهو اليوم رئيسُ بَلَدٍ، فذكر اليوم لاتِّصالِ الوقتين وتقريب المَدَى بين الماضي منهما والحاضر، والوسيقةُ: الطَّريدةُ، ونَبَّه بهذا الكلام على أن الدَّهرَ بَعْدُ جَارٍ على عادته المستأنَفَةِ معهم في الأَخْذِ منهم والذَّهاب بهم.

٤ ـ خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ ... وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّودَدِ

ويُرْوَى «فَسُدْتُ غيرَ مُدَافَعِ» ويكون حالاً، كأنه سادَهم ولا منازِعَ له فيهم، وإذا رُوِيَتْ «غير مُسَوَّدٍ» جاز أن يكونَ مفعولاً من «سُدْتُ» ويكون مثل قول الآخر: [الرَّمَل]

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ ... فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ قَلْ[4]

فيكون المعنى سُدْتُ مَنْ لا يَصْلُحُ أن يُنْسَبَ إلى السِّيادة في حال؛ لأنَّ مَن استصلح لها أو ذكر في عداد الرؤساء إذا عُدُّوا ماتوا، وجاز أن يكون حالاً، ويكون المعنى سُدْتُ قبل أوان سيادتي: أي سُدْتُ ولم أُسَوَّدْ بعد.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٧٥. (٢) سورة الهُمزة، الآية: ٨.

(٣) وكذا نسبه في أمالي المرتضى ١/٦٦؛ واللسان، أما الجاحظ في الحيوان ٥/٢٨ فنسبه إلى دهمان النهري.

(٤) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٩٢، ٩٨؛ وأساس البلاغة (برك)؛ ولسان العرب (قلل).

[٢٦٩] **وقال محمد بن بَشِير الخَارِجِيُّ**[(١)]:

في نسخة «يسير الخارجي» وفيها يسير فَعِيل من اليسر، وبشير هو الوجه، والخارجيّ: منسوب إلى خارجة.

١ - نِعْمَ الفَتَى فَجَعَتْ بِهِ إخْوَانَهُ　　يَوْمَ البَقِيعِ حَوادِثُ الأَيَّامِ

ثاني الكامل، والقافية متواتر.

المحمود الذي يطلبه «نِعْمَ» بالاختصاص من جنسه محذوف، كأنه قال: نِعْمَ الفتى فَتًى فَجَعَتْ به إخوانَه، والضمير من قوله «به» عائد إلى المحذوف، والجملة من الفعل والفاعل قد خَصَّصَتْه حتى صار كالمعرفة، ومنه قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٢)] كأنه قال: نِعْمَ العبدُ أيوب، والحذف في هذا المكان يَصلحُ إذا كان المحمود مشهور الشَّأنِ معلومًا، وارتفع «الحوادثُ» بفعلها، وفِعلُها فَجَعَتْ.

٢ - سَهْلُ الفِنَاءِ إذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ　　طَلْقُ اليَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ

ارتفع «سَهْلُ الفِناء» على أنه خبر مبتدأ مُضْمَر.

٣ - وَإذَا رَأَيتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ　　لَمْ تَدْرِ أيُّهُمَا ذَوُو الأَرْحَامِ

الشَّقِيقُ: إشارة إلى إخوان الولادة ومَنْ جَرَى مجراهم مِمَّن شاركَه في نَسَبِهِ، حتى كأنّه شُقَّ منه، والصَّدِيقُ: إشارة إلى إخوان المودّة، وأشار بقوله «صديقه وشقيقه» إلى الجنسين، وفائدتهما الكَثْرَة لا الواحد، ألاَ ترى أنه قال: «لم تَدْرِ أيُّهما ذَوُو الأرحام» وفي معناه قول الآخر: [الطويل]

فَمَا زَالَ بِي إكْرَامُهُمْ واقْتِفَاؤُهُمْ　　وَإلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أهْلِي[(٣)]

[٢٧٠] **وقال أيضًا:**

١ - طَلَبْتُ فَلَمْ أُدْرِكْ بِوَجْهِي وَلَيْتَنِي　　قَعَدْتُ فَلَمْ أبْغِ النَّدَى بَعْدَ سَائِبِ

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

---

(١) محمد بن بشير الخارجي: شاعر فصيح حجازيّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية، وله مدائح ومراثٍ مختارة وهي عيون شعره. وكان يبدو في أكثر زمانه ويقيم في بَوَادي المدينة ولا يكاد يحضر مع الناس (الأغاني ١٦/ ١١٢، دار الكتب العلمية).

(٢) سورة صۤ، الآية: ٣٠.

(٣) البيت لبكير بن الأخنس وهو من أبيات الحماسة، وورد في البيان والتبيين ٣/ ٢٣٣؛ وعند المرزوقي ص ٨٠٩.

يتعلّق الباء من قوله «بِوَجهي» بـ«طلبتُ»، والمعنى بذلتُ وجهي، كأنه تَوَلَّى الطَّلَبَ بنفسِه وابتذلَ وجهَه وجاهه فيه فلم يدرك المطلوبَ في مفعول طلبت، ومفعول طلبت محذوف يدلُّ عليه قوله «فلم أَبْغِ النَّدَى» والتقدير طلبتُ بعد سائب النَّدَى ببذلِ وجهي فلم أَنَلْهُ، وليتني قعدتُ فلم أَبْغِهِ، ولا يمتنع أن تعلّق الباء من قوله «بوجهي» بأدرك، وهو المختار عند أصحابنا البصريين، ويكون التقدير: طلبتُ النَّدَى فلم أُدْرِكْه بوجهي؛ وقوله «بعد سائبٍ» يجوز أن يكون العامل فيه طلبتُ، وكلّ واحد من الأفعال المجتمعة ـ وهي: طلبتُ، وأدركُ، وقعدتُ، ولم أَبْغِ ـ والمعنى بعد موت سائب.

٢ ـ وَلَوْ لَجَأَ العَافِي إلَى رَحْلِ سَائِبٍ ثَوَى غَيْرَ قَالٍ أَوْ غَدَا غَيْرَ خَائِبِ

انتصب «غير» على الحال، وأشار بالعافي إلى الجنس، يقال: عَفَاه، واعتفاه، إذا طلبَ معروفَه، فأعفاه: أي أعطاه، ومعنى «غير قال» أي غير مُبْغِضٍ لِعَيْشِهِ عندَهم ولهم، و«أو غدا» قالوا: يريد «وغدا» وأو بمعنى الواو كثير، والخائب الذي يطلب ولا يجد: أي يرتحل وهو غانم.

٣ ـ أَقُولُ وَمَا يَدْرِي أُنَاسٌ غَدَوْا بِهِ إلَى اللَّحْدِ: مَاذَا أَدْرَجُوا في السَّبَائِبِ

موضع «ماذا أدرجوا» نصب على أنه مفعول لأقول، ويجوز أن يكون «ما» مع «ذا» بمنزلة اسم، و«أدرجوا» من تمامه، والمعنى: أقولُ متلهّفًا فعلَ مَنْ أعياه الأمرُ فأيقنَ باليأسِ: أيّ رجلٍ أُدْرِجَ في الكَفَنِ والغادونَ به إلى اللَّحْدِ لا يعلمون، وقوله «أُناسٌ»: الألف فيه زائدة، بدليل قولهم: إنْسٌ، وأَنَاسِيٌّ، وأَنَسٌ، وإذا كان كذلك فقولهم «ناسٌ» منه أيضًا، والألف زائدة وفاء الفعل محذوف، ومَنْ ذهب إلى أن لفظة النَّاس ليست من أُناس في شيء وأنَّ الألفَ فيه منقلبة عن حرف أصلي فقد أخطأ، والسَّبيبة: أصلُها الشقّة البيضاء.

٤ ـ وكُلُّ امْرِىءٍ يَوْمًا سَيَرْكَبُ كَارِهًا على النَّعْشِ أعْنَاقَ العِدَا والأَقَارِبِ

العِدَا هنا: الغرباء، وانتصب «كارهًا» على الحال من «سيركبُ»، وموضع «على النَّعْشِ» منصوب على الحال مما في قوله «كارهًا»، ويجوز أن يكون صفة لكاره كأنه قال: يركبُ كارهًا حاصلاً على النَّعْشِ أعناقَ العِدَا يومًا ما، وقال الخليل: قومٌ عِدًا بُعَدَاء عنكَ وغُرَبَاء وأعداء أيضًا، والعِدَا: البُعْدُ نفسُه.

[٢٧١] وقَالَ دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ[١]:

ابن الحارث بن بكر بن عَلْقَمَة بن جُدَاعَة بن غَزِية بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن

(١) دُرَيد بن الصِّمَّة: شاعر، من المعمّرين في الجاهلية، غزا نحو مائة غزوة لم يُهْزَمْ في واحدة منها، =

هَوَازن، واسم الصِّمَّة معاوية؛ قال أبو الفتح: يجوز أن يكون دُرَيْد تحقير أَدْرَد على التّرخيم؛ يقال: رجلٌ أَدْرَدُ وامرأةٌ دَرْدَاء، وهو الذي كبر حتى سَقَطَتْ أسنانُه فصارَ يَعَضُّ على دردره، ومنه أبو الدَّرْدَاء، غير أن دريدًا تحقير أدرد على التّرخيم، ويقال: إنَّ عجوزًا رأَتْ فَتًى يُقَبِّلُ صَبِيًّا فشاقَها ذلك فعمدت إلى حجر فَهَتَمَتْ فاها وأرته ذلك تقرُّبًا به منه، فقال لها الفتى: «أعْيَيْتِني بِأَشَرٍ فكيف بِدُرْدُرٍ»[1]، هكذا رواية الكوفيين، والبصريون يقولون بدَرْدُور: أي رَغِبْتُ عنكِ ولكِ أسنانٌ فكيف وأنت بلا سِنٍّ، والصِّمَّة: الشّجاع، والجمع صِمَم.

١ ـ نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وأَصْحَابِ عَارِضٍ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ والقَوْمُ شُهَّدِي

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

عارض: هو أخو دريد، وكانت له ثلاثة أسماء: عارض، وعبد اللّه، وخالد، وثلاث كِنًى: كان يكنى أبا أوفى، وأبا ذُفَافَة، وأبا فُرْعَان أو فَرْغَان، وعبد اللّه كان أسود إخوته؛ فغزا ببني جُشَم وبني نصر ابني معاوية بن بكر بن هوازن، وغنم مالاً عظيمًا، ونزل بمنعرج اللّوى، فمنعه دريد عن اللّبث، وقال: إنَّ غطفان ليست بغافلة عَنَّا، فحلفَ أنه لاَ يَرِيمُ حتى يقسم، فلحقت بهم عبس وفزارة وأشجع وجاؤوا وأوقعوا بعبد اللّه وأصحابه، وقُتِلَ عبد اللّه، وجعل دُرَيْد يَذُبُّ عنه وهو جريح، وهو قوله:

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ

ويقال: نصحْتُه ونصحتُ له نُصْحًا وَنَصِيحَةً وَنَصَاحَةً ونَصَاحِيَةً، وهو ناصح الجَيْب: أي ناصح الصَّدْرِ، «والقوم شُهَّدِي» يعني شهودي على نصحي لهم، و«رهط بني السّوداء» يعني أَصحاب عبد اللّه.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فِي الفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ

ظُنُّوا: أي أيقِنوا، وقيل: معناه: ما ظنّكم بألفي مُدَجَّج، والمُدَجَّجُ: التّامُّ السِّلاح، من الدُّجَّةِ، وهي شدّة الظُّلْمَةِ، لأنَّ الظُّلْمَة تسترُ كلَّ شيء، فلما سترَ نفسَه بالسّلاح قيل مُدَجَّج، وقيل: إنه من الدَّجِّ، وهو المَشْيُ الرّويد، والتّام السّلاح لا يسرعُ في مَشْيِهِ، وَسَرَاتُهم: خيارهم، وعنى بالفارسيّ المُسَرَّد الدّروع، وَالسَّرْدُ: تَتَابُعُ الشَّيءِ، كأنه أراد في الدّرع تَتَابُعُ الحَلَقِ في النّسج. ولذلك قيل في الأشهر الحُرُمِ: ثلاثةٌ سَرْدٌ، وواحدٌ فَرْدٌ،

= أدرك الإسلام ولم يسلمْ فقتل على دين الجاهلية يوم حُنَين (ت ٨ هـ/ ٦٣٠ م). ترجمته في: الأغاني ١٠/٥؛ وخزانة البغدادي ٤/٤٤٦؛ والروض الأنف ص ٢٨٧.

(١) المثل في تاج العروس (أشر)، والمرأة تَشِرُ أسنانَها وذلك أنها تُفَلِّجُها وتُحَدِّدها حتى يكونَ لها أَشَرٌ، والأَشَرُ: حِدَّةٌ ورِقَّةٌ في أطراف الأسنان.

وقال الخليل: السَّرْدُ اسم جامع للدّروع وما أشبهها من عمل الحَلَقِ لأنّه يُسْرَدُ فيُثْقَب طَرَفا كلِّ حَلَقةٍ بالمسمارِ، وفي القرآن: ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾(١) أي: اجعل المساميرَ على قدر خروقِ الحَلَقِ لا يغلظ المسمار فينخرقَ أو يدقّ فيفلقَ، والمعنى: إنّي نصحتُ لهم وهم لي حاضرون يسمعون نصيحتي وقلت لهم: إنَّ الأعداءَ لكم مترصّدون فأسِيئُوا الظَّنَّ بهم إذا تمكّنوا منكم أو أيقنوا لأنَّ الظَّنَّ يُسْتَعملُ في مواضع اليقين، وعلى ذلك قول اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾(٢).

٣ ـ فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أرَى غَـوَايَـتَـهُـمْ وَأنَّـنِـي غَـيْـرُ مُـهْـتَـدِي

«كنتُ منهم» من: تفيد هنا تبيين الوفاق وترك الخلاف وأن الشّأنين واحد، وهم يقولون في النّفي أيضًا: لست منه: أي انقطعَ ما بيننا فلا خلاطَ ولا اشتراكَ وعلى هذا قول الشّاعر: [الوافر]

فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي(٣)

٤ ـ أمَرْتُـهُـمُ أمْـرِي بِـمُـنْـعَـرَجِ الـلِّـوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ

«أمري» يجوز أن يريد به المأمور، ويكون الأصل أمرتهم بأمري، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه، ويجوز أن يكون مصدر «أمرتُ» وجاء به لتأكيدِ الفعل، وقوله «بمنعرج اللِّوى» تحديد وتوقيت، ويقال: رَشِدَ يَرْشَدُ رَشَادًا وَرُشْدًا، وَرَشَدَ يَرْشُد.

٥ ـ وَهَـلْ أنَـا إلاَّ مِـنْ غَـزِيَّـةَ إنْ غَـوَتْ غَـوَيْـتُ وَإنْ تَـرْشُـدْ غَـزِيَّـةُ أرْشُـدِ

«هل» في مذهب النفي، ولذلك تبعه «إلاَّ» كأنه قال: ما أنا إلاَّ من غَزِيَّةَ في حالتي الغيّ والرّشاد، وغَزِيَّة: رهطه.

٦ ـ تَـنَـادَوْا فَـقَـالُـوا أرْدَتِ الـخَـيْـلُ فَـارِسًـا فَـقُـلْـتُ أعَـبْـدُ الـلَّـهِ ذَلِـكُـمُ الـرَّدِي

أي: أعَبْدُ اللَّهِ ذلكم الهالك، وإنما دعاه إلى هذا القول أمران: أحدهما سوء ظنِّ الشّقيق، والثاني أنه عَلِمَ إقدامَه في الحرب.

٧ ـ فَـجِـئْـتُ إلَـيْـهِ والـرِّمَـاحُ تَـنُـوشُـهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي في النَّسِيجِ المُمَدَّدِ

التَّنَاوُشُ: التّناوُلُ، ويُرْوَى «والرّماح يَنُشْنَهُ» ويُرْوَى «يَشِقْنَه» من قولك: وَشَقْتُ اللَّحْمَ أَشِقُهُ وَوَشَّقْتُهُ تَوْشِيقًا، قطّعته، والصّيصة: شوكة يُمِرُّها الحائكُ على الثّوب حين ينسجُه، يقول: أتيتُ عبدَ اللّه والرّماح تتناوله ولها خشخشةٌ ووقعٌ كوقعِ صياصي الحاكةِ في ثوبٍ يُنْسَجُ.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١١. (٢) سورة البقرة، الآية: ٤٦.

(٣) هذا عجز بيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٧٩ وصدره: «إذا حاولت في أسد فجورًا».

٨ ـ وَكُنْتُ كَذَاتِ البَوِّ رِيعَتْ فَأقْبَلَتْ إلى جَلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ

ذاتُ البَوِّ: ناقةٌ يُذْبَحُ ولدها أو يموت فيُحْشَى لها جلده فتَرْأمه: أي كنت من الوَلَهِ عليه مثل ذلك، كأنه انتهى إلى أخيه وقد فُرِغَ من قتله ومُزِّقَ كلَّ مُمَزَّقٍ، والجَلَدُ: ما جُلِدَ من المسلوخِ وأُلْبِسَ غيره لِتَشُمَّهُ أُمُّ المسلوخِ فَتُدِرَّ عليه، وَالمَسْكُ: الجِلدُ لأنه يمسِكُ ما وراءَه من اللَّحْمِ والعَظْمِ.

٩ ـ فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ وحَتَّى عَلانِي حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِي(١)

ويُرْوَى «أَسْوَدُ» على الإقواء، و«أسودي» يريد أَسْوَدِيٌّ، كما قيل في الأحمر: أَحْمَرِيٌّ، وفي الدَّوَّارِ: دَوَّارِيٌّ، ثم خُفِّفَتْ ياءُ النَّسَبِ بحذفِ إحداهما، وهو الأول، وجعل الثاني صلة، ويُرْوَى «حتى تبدّدت».

١٠ ـ قِتَالَ امْرِئٍ آسَى أخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

«قتالَ امرئٍ» انتصابه على المصدر، إلاَّ أنه من غير اللَّفظ الأول، واستجازه لأن المطاعنة قتال: أي قاتلتُ عنه قتالَ امرئٍ يستقتلُ في نصرةِ أخيه لِعِلْمِه بأنَّ المرءَ ميتٌ لا مَحَالَةَ.

١١ ـ فَإنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَما كَانَ وقَّافًا ولاَ طَائِشَ اليَدِ

«خَلَّى مكانَه» مضى لِسبيله، ووقَّاف: هَيَّابَة يقفُ ولا يُقْدِمُ، والطائش: الذي لا يصيبُ إذا رَمَى، يقول: فإن كان عبد اللَّه خَلَّى مكانَه من الرّياسة فما كان وَقَّافًا في الحروب ولا ضعيفَ اليدِ جاهلاً بالرَّمْي.

١٢ ـ كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الآفَاتِ طَلاَّعُ أَنْجُدِ

«كميشُ الإزارِ» مَثَلٌ في الجِدِّ والتَّشمير، والكَمْشُ والكَمِيشُ: الخفيفُ السَّريعُ الحركةِ، يقال: انكمشَ: أي تَخفَّفَ وأسرعَ، وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز، كما يقال: عفيفُ الحُجْزَةِ، ونَقِيُّ الجَيْبِ، وقوله «خارجٌ نِصفُ ساقِه» يصفُه بِالتَّشميرِ، و«بعيدٌ من الآفات» يريد أنه لا داءَ به وهو سليم الأعضاء.

١٣ ـ قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ في غَدِ

يريد بقوله «قليل التَّشكّي» نَفْيَ أنواع التَّشكِّي كلّها عنه، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾(٢) وقَلَّ رجلٌ يقولُ ذاكَ، وأقَلُّ رجلٍ يقولُ ذاكَ، والمعنى أنه لا

---

(١) عند المرزوقي «حالكُ اللون أسودُ» وقال: «فيه إقواءٌ، وكثيرٌ من العلماء يُهَوِّنون الأمرَ في الإقواء ولا يعدُّونه عيبًا قبيحًا».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

يتألّم للنّوَائِبِ تنزلُ بساحتِه وأنه يحفظُ من يومه ما يتعقَّبُ أفعاله من أحاديث النّاس في غَدِهِ.

١٤ - تَرَاهُ خَمِيصَ البَطْنِ والزَّادُ حَاضِرٌ عَتِيدٌ وَيَغْدُو في القَمِيصِ المُقَدَّدِ

مثله قول الآخر: [المديد]

يَابِسُ الجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ(١)

يصفه بِقِلَّةِ الطُّعْم مع اتِّساعِ الحال وطاعة الزّاد لأنّه يُؤْثِرُ به غيرَه على نفسِه، والعَتِيدُ: المُعَدُّ يقال: عَتَدَ فهو عَتِيدٌ عَتَادًا وأَعْتَدْتُهُ أنا؛ ومنه سُمِّيَت العتيدةُ التي يكون فيها الطِّيبُ، والعَتِدُ بكسر التاء وفَتْحِها: الفَرَسُ المُعَدُّ لِلمُهِمَّاتِ والذَّكَر والأُنثى فيه سَوَاء.

١٥ - وإنْ مَسَّهُ الإقْوَاءُ والجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وإتْلافًا لِمَا كانَ في اليَدِ

أي: وإن افتقَرَ، زاده سماحًا ثقةً بنفسه أنه سيخلفُ ما يسمحُ به، أو يريد أنه يزدادُ سماحةً في الإقتارِ لتدلّ على شدّةِ كَرَمِهِ.

١٦ - صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلاَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلاَهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ

يجوز أن يكون «صَبَا» الأول من الصِّبَا، و«صَبَا» الثاني من الصَّباء بمعنى الفَتَاء، فيكون المعنى: تعاطَى اللَّهْوَ والصِّبا ما دام صَبِيًّا، فلمّا اكتهلَ وظهر في رأسِه الشيبُ نَحَّى الباطل عن نفسه، ويجوز أن يكون المعنى تعاطى الصِّبَا ما تعاطاه إلى أن علاه المشيبُ، و«ما صبا» في موضع الظرف على الوجهين جميعًا: أي مدّة الأمرين، وحتى للغاية، وقوله «ابْعَدِ»: من بَعِدَ يَبْعَدُ إذا هلكَ.

١٧ - وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

«أنّني» في موضع الفاعل لِطَيَّبَ، وليس القصدُ إلى أنه لم يَقُلْ له كذبتَ فقط، وإنّما المراد أنه لم يَجْفُهُ بِأدْوَن جفاء.

[٢٧٢] وقال أيضًا:

١ - تَقُولُ: ألاَ تَبْكِي أخَاكَ؟ وقَدْ أرَى مَكَانَ البُكَا لكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ

أول الطّويل، والقافية متواتر.

قوله «مكانَ البُكَا»: بيان استحقاق أخيه البكاء عليه، وقد قَصَرَ البُكا، وهو يُمَدُّ ويُقْصَرُ، ومثله: [الطويل]

وَلَوْ شِئْتُ أنْ أبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلٰكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أوْسعُ(٢)

---

(١) هذا صدر بيت لتأبط شرًا وهو في الحماسية رقم (٢٧٣) وعجزه: «ونَدِي الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ».

(٢) البيت لإسحق بن حسان الخريمي في معاهد التنصيص ١/ ٨٤، وعند المرزوقي: «ولو شيتُ أن=

٢ ـ فَقُلْتُ أَعَبْدَ اللَّهِ أَبْكِي أَمِ الَّذِي　　لَهُ الجَدَثُ الأَعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرِ

كأنه قال: إلى مَنْ أصرفُ البكاءَ ومَنْ أخصُّ به أعَبْدَ اللَّهِ أم المَدْفونَ في القبرِ الأعلى قتيل أبي بكر بن كِلاَب، والأعلى يريدُ الأشرف، ويجوز أن يريد الأعلى في مكانه وموضعه، وانتصبَ عبد اللَّه بأبكي و«قتيل» على البدل من الذي.

٣ ـ وَعَبْدَ يَغُوثَ تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ　　وَعَزَّ المُصَابُ حَثْوُ قَبْرٍ عَلَى قَبْرِ

قوله: «وعبدَ يغوثٍ» إن استأنف الكلام به فهو في المعنى معطوف على ما قبله، كأنه قال: أيَّهم أبكي وقد كَثُرُوا، وقوله «وعَزَّ المُصَابُ» يُرْوَى برفع المُصَاب، والمصاب: المصيبة، ويرفع «حَثْوُ» على أنه بدل منه، ويكون مفعول عَزَّ محذوفًا، كأنه قال: وعَزَّ الشَّاعِرَ المصيبةُ حَثْوُ قبرٍ على قبرٍ: أي حصول الواحد في إثر الواحد، ويُرْوَى «جَثْوُ قبرٍ» واستعمال الجثو هٰهنا مجاز لأنَّ القبرَ لا يَجْثُو، والجُثْوَةُ من التُّرابِ وغيره: ما جُمِعَ، وبه سُمِّيَ القبرُ جُثوة، وروى بعضهم «وعَزَّى المصابَ حَثْوُ قبرٍ» جعل الحثوَ لِلقبرِ، والمعنى سَلَّى المصابَ أو نفسَه عن البكاء توالي المصيبات عليه، ويكون كقول الآخر: [الطويل]

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي　　وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الصَّدِيق تَنَامُ[(١)]

٤ ـ أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ　　أَبَوْا غَيْرَهُ وَالقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدْرِ

هذا كقول الآخر: [الطويل]

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ[(٢)]

وقوله: «إنّهم أَبَوْا غيرَه» يشبه قول الآخر: [الطويل]

وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ حَتْفَ أَنْفِهِ[(٣)]

وقوله «والقَدْرُ يجري إلى القَدْرِ» يريد كما قُدِّرُوا للقتلِ قُدِّرَ القتلُ لهم.

وفي العرب ثلاثة يسمّون الصِّمَّة: الصِّمَّة الأكبر، وهو مالك بن الحارث بن معاوية بن بكر بن هوازن القائل: [الوافر]

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثَ حَتَّى　　أَصَبْنَا أَهْلَ صَارَاتٍ فَرَقْدِ[(٤)]

= أبكي بُكَا».

(١) البيت لعبد الصمد بن المعذل أو للحسين بن مطير كما ورد في الحماسية رقم ٧٧.

(٢) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد من معلقته وتمامه:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويصطفي　　عقيلةَ مالِ الفاحشِ المُتَشَدِّدِ

(٣) هذا صدر بيت للسموءل بن عادياء وعجزه: «ولا طُلَّ مِنّا حيثُ كانَ قتيلُ».

(٤) تثليث: موضع بالحجاز قرب مكة (معجم البلدان ٢/٥). وصارات: جمع صارة، وصارة اسم جبل=

وَلَمْ نَجْبُنْ وَلَمْ نَنْكُلْ وَلٰكِنْ فَجَمَعْنَاهُمْ بِكُلِّ أَشَمَّ جَعْدِ
أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ فَإِنَّ بَيَانَ مَا تَبْغُونَ عِنْدِي

والصِّمَّة الأصغر، وهو معاوية بن الحارث أخو الصِّمَّة الأكبر، وهو أبو دريد وهو القائل: [المتقارب]

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً وَرُمْحًا طَوِيلاً وَسَيْفًا صَقِيلاً

والصِّمَّة بن عبد اللّه بن طُفَيْل بن قُرَّة بن هُبَيْرَة بن عامر بن سَلَمة الخَيْر بن قُشَيْر القائل: [الطويل]

فَلَمَّا رَأَيْنَا قِلَّةَ البِشْرِ أَعْرَضَتْ لَنَا وَطِوَالُ الرَّمْلِ غَيَّرَهَا البُعْدُ
وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ سُوَاجَ كَأَنَّهُ لِعَيْنَيْكَ في آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرْدُ[1]

٥ ـ فَإِمَّا تَرَيْنَا لاَ تَزَالُ دِمَاؤُنَا لَدَى واتِرٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ

الفاء من «فإمّا» رابطة ما بعدها بما قبلها، و«لا تزال دماؤنا» إلى آخر البيت في موضع المفعول لِترينا، و«لَدَى واترٍ» لفظه واحد والمراد به الكَثْرَة، و«آخر الدّهرِ» ظرف، والعامل فيه «لا تزال دماؤنا» لأنَّ المعنى: إمَّا تَرَيْنَا لا تزال دماؤنا أَبَدَ الدَّهْرِ لَدَى واترين يسعونَ بها، ولا يجوز أن يكون العاملُ فيه «يسعى بها» لأنَّ فيه إيهامًا أنّهم لا ينالون الوِترَ من الواترين سريعًا، ولكنهم يسعون بدمائهم أَبَدَ الدَّهْرِ: أي لَدَى واتِرين، يقول: إنْ تَرَيْنَا أبدًا دِماؤنا عندَ مَنْ قتلنا له قتيلاً يطلبنا بدمه ويسعى بما يطلبه من دمائنا.

٦ ـ فَإِنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ ونُلْحِمُهُ حِينًا وَلَيْسَ بِذِي نُكْرِ

«غيرَ نَكِيرةٍ» انتصبَ على المصدر، وأكثر ما يُستَعْمَلُ «نكير» بغير هاء، وَالنُّكْرُ وَالنَّكيرُ كالعُذْرِ والعذيرِ، ومثل هذا المصدر يُؤَكِّدُ به الكلام الذي قبله ويجري مَجْرَى «حَقًّا» وما أشبهه، ويجوز أن تكون الهاء من النّكيرة للمبالغة، وَالحِينُ: اسمٌ لِلزَّمان المتّصل، فكأنّه قال: ونلحمه فيما يتّصل من الأوقات، وليس يريد حينًا من الأحيان، وإنْ رُوِيَ «غير نَكِيرِهِ» على أن يكون الضمير منه يعود إلى السّيف فكأنه قال: غير منكور له، فيجعله حالاً للحم، فليس بجيّد؛ لأنَّ القصدَ إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر، فكما أنَّ في آخر البيت قوله «وليس بذي نُكْرٍ» تأكيد لِمَا قبله كذلك يجب أن يكون «غير نكيرة»

= أو هو رأس الجبل (معجم البلدان ٣/ ٣٨٨). رَقْد: اسم جبل أو وادٍ في بلاد قيس (معجم البلدان ٣: ٥٧).

(١) سُوَاج: اسم لعدة مواضع، فهو من جبال غني، أو هو جبل أسود من أخيلة حمى ضرية، وسواج موضع على طريق الحاج من البصرة وقيل موضع باليمامة (معجم البلدان ٣/ ٢٧١).

هكذا ليتقابل الصّدر والعجز على حَدٍّ واحد من التأكيد، وحصول تاء التأنيث في «غير نكيرة» لا يجب أن يُنكر كما لا يُنْكَرُ في قولهم معرفة ونكرة، وكما لا تُنْكَرُ الألف في آخر «ذكرى، وعُذْرَى» يقول: إنَّا نخاطرُ بأنفسِنا فنَقْتُل وَنُقْتَل، وليس ذلك فينا ومِنَّا بِمُنْكَرٍ.

٧ - يُـغَـارُ عَـلَـيْـنَـا وَاتِـرِيـنَ فَـيُـشْـتَـفَـى   بِـنَـا إِنْ أُصِـبْـنَـا أَوْ نُـغِـيـرُ عَـلَـى وِتْـرِ

انتصب «واتِرين» على الحال من الضمير في «علينا» وقوله «أو نُغِيرُ على وِترِ» أي: على وِترٍ لنا عندهم.

٨ - قَـسَـمْـنَـا بِـذَاكَ الـدَّهْـرَ شَـطْـرَيْـنِ بَـيْـنَـنَـا   فَـمَـا يَـنْـقَـضِـي إِلاَّ وَنَـحْـنُ عَـلَـى شَـطْـرِ

انتصب «شطرَيْن» على المصدر، كأنه قال قَسَمْنا الدّهرَ قسمين، ويجوز أن يكون حالاً، على معنى قسمناه مختلفًا، فوقع الاسم موضع الصّفة لمّا تضمّن معناه، كما تقول: طَرَحْتُ مَتاعي بَعْضَه على بعضٍ، كأنَّكَ قلتَ: متفرِّقًا، والمراد: جعلنا أوقاتَ الدَّهْرِ بيننا وبين أعدائِنا مقسومةً قسمين فلا ينقضي شيءٌ منها إلاَّ ونحن فيه على أحد الحَدَّيْنِ إمّا علينا وإمّا لنا.

[٢٧٣] وقالَ تَأَبَّطَ شَرًّا:

وذُكِرَ أنّه لخلف الأحمر، وهو الصّحيح، وقيل: قال ابن أُخت تأبَّطَ شرًّا، قال النّمريّ: ومِمَّا يَدُلُّ على أنها لخلف الأحمر قوله فيها «جَلَّ حتى دقَّ فيه الأَجَل» فإنَّ الأعرابيّ لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا، قال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المَثَل «لَيْسَ بِعُشِّكِ فَادْرُجِي» ليس هذا كما ذكره، بل الأعرابي قد يتغلغل إلى أدقِّ من هذا لفظًا ومعنًى، وليس من هذه الجهة عرف أن الشعر مصنوع، لكن من الوجه الذي ذكره لنا أبو النَّدَى، قال: ممّا يدلُّ على أن هذا الشعر مولّد أنه ذَكرَ فيه سَلْعًا، وهو بالمدينة، وأين تَأَبَّطَ شَرًّا من سلع، وإنما قتل في بلاد هُذَيْل ورُمِيَ به في غار يقال له رَخْمَانُ، وفيه تقول أُختُه ترثيه: [الرجز]

نِـعْـمَ الـفَـتَـى غَـادَرْتُـمُ بِـرَخْـمَـانْ   بِـثَـابِـتِ بـنِ جَـابِـرِ بـنِ سُـفْـيَـانْ[1]

مَـنْ يَـقْـتُـلُ الـقِـرْنَ وَيُـرْوِي الـنَّـدْمَـانْ

١ - إِنَّ بِـالـشِّـعْـبِ الَّـذِي دُونَ سَـلْـعٍ   لَـقَـتِـيـلاً دَمُـهُ مَـا يُـطَـلُّ

أول المديد، والقافية متواتر.

---

(١) البيت في معجم البلدان ٣/٣٨، وقال إن أُمّ تأبّط شرًّا رثته به، ورخمان: موضع في ديار هذيل.

سَلَعْتُ رَأسَهُ: أي شَقَقْتُه، وقوله «دمه ما يُطَلّ» من صفة القتيل، والمعنى: إنك مِمَّنْ طُلِبَ ثَأْرُه فدمُه لا يذهبُ هَدْرًا، وَالطَّلُّ: مَطْلُ الدَّمِ والدِّيَةِ وإبطالُهما.

٢ ـ خَلَّفَ العِبْءَ عَلَيَّ وَوَلَّى أنَا بِالعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلُّ

العِبءُ: الثِّقْلُ، والمراد به هٰهنا طلب دمه، وإنّما سُمِّيَ الثّقل عِبئًا لأنه من عَبَأْتَ المَتاعَ عَبْأً فهو كالنَّقْضِ وَالنِّقْضِ.

٣ ـ وَوَرَاءَ الثَّأرِ مِنِّي ابْنُ أُخْتٍ مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلُّ

المَصِعُ: الشَّديدُ المقاتلةِ الثّابتُ هٰهنا، وعُقْدَتُه: مرتفع بالابتداء، و«ما تُحَلُّ» خبره، وهذه الجملة صفة لابن أُخت، وقدّم عليها المَصِع لأنه مفرد، والجملة إذا وقعت صفة تقع موقع المفرد، ويعني بـ «وراء» هنا الخلف، وإن كان يصلح للقدّام.

٤ ـ مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمًّا كَمَا أَطْـ ـرَقَ أَفْعَى يَنْفِثُ السَّمَّ صِلُّ[1]

الرَّشْحُ: كالعَرَقِ، والنَّفْثُ كالقَذْفِ، والصِّلُ من صفة الأفعى، وكلّ خبيث يقال: هو صِلُّ أَصْلاَلٍ.

٥ ـ خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌّ جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الأَجَلُّ

يعني بالخبر نعي المُتَوَفَّى، ومُصْمَئِلٌّ: شديدٌ، والأَجَلُّ: تأنيثه الجُلَّى، والألف واللاّم بدل من الإضافة النائبة عن «مِنْ» في قولهم: هو أجلُّ من كذا، ومعناه الجليل.

٦ ـ بَزَّنِي الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا بِأَبِيٍّ جَارُهُ مَا يُذَلُّ

قوله «بأبيّ» الباء دخلت للتأكيد زائدة، كأنه قال: بَزَّني الدَّهْرُ أَبِيًّا، ويجوز أن يكون عَدَّى «بَزَّني» بالباء لما كان معناه فجعني، ويكون من باب ما عُدِّيَ بالمعنى دون اللَّفظ، كقوله: [البسيط]

إذَا تَغَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ[2]

و«جاره ما يذل» من صفة الأبيّ، وقوله «وكان غشومًا» يعني به الدّهر وهو اعتراض بين الفاعل والمفعول.

٧ ـ شَامِسٌ فِي القُرِّ حَتَّى إذَا مَا ذَكَتِ الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلُّ

أي: هو كريم، وشامِسٌ: أي ذو شَمْسٍ، يعني أنَّ مَنْ لجأ إليه في القُرِّ وجدَه كالشَّمس التي تُدْفِىءُ المقرورَ، ومَنْ لَجأَ إليه في القَيْظِ وجدَ لَدَيْهِ بَرْدًا وظِلاًّ.

(١) عند المرزوقي: «يرشحُ موتًا».

(٢) البيت للنابغة الذبياني في معلقته وفي جمهرة أشعار العرب ص ٥٣.

٨ - يَابِسُ الجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ وَنَدِيُّ الكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ

يريد أنه يُؤْثِرُ بِالزَّادِ غيره على نفسِه، وعادتهم التَّمدُّح بِالهزال، والشَّهم: الذَّكِيُّ الحَدِيدُ، والمُدِلُّ: هو الواثق بنفسه وبآلاتِه وعُدَّتِهِ.

٩ - ظَاعِنٌ بِالحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ حَلَّ الحَزْمُ حَيْثُ يَحِلُّ

١٠ - غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِي وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُّ

الأَبَلُّ: المصمِّمُ الماضي على وجهِه لا يبالي ما لَقِيَ، والسَّطوة والبَسْط على الإنسان تقهره من فوق، ويقال: سَطَا عليه، وسَطَا به، وقال الخليل: يسمّى الفرسُ سَاطِيًا لأنّه يَسْطُو على سائرِ الخيلِ فيقومُ على رِجلَيْهِ ويرفع يديه.

١١ - مُسْبِلٌ فِي الحَيِّ أَحْوَى رِفَلٌّ وَإِذَا يَغْزُو فَسِمْعٌ أَزَلُّ

مفعول «مُسبلٌ» محذوف، والزَّلَلُ: خِفَّةُ العَجُزِ، وذلك خِلْقَتُهُ، «مسبل» يحتمل وجهين: أحدهما من إسبالِ الإزارِ والبُرْدِ، لأنهم يصفون ذا النِّعْمَةِ بذلك، وإنّما يجدون ذلك في حال الدّعة والأمن، فأمّا في الشّدائد وعند الحرب فإنّهم يمدحون الرَّجُلَ بالتّشمير، وإذا كان «مسبلٌ» على هذا الوجه كان أحْوَى مرفوعًا، والوجه الآخر في «مُسبِل» أن يكون عاملاً في أحْوى، ويراد أنه مسبلٌ شعرًا أحوى: أي أسود، لأنّهم كانوا يُوَفرون لِمَمَهُمْ ويصفونَ الشَّابَّ بحُسنِ اللِّمّة.

١٢ - وَلَهُ طَعْمَانِ أَرْيٌ وَشَرْيٌ وَكِلاَ الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

الأَرْيُ: يُرَادُ به العسلُ، وإن كان في الأصل عَمَل النَّحْلِ، ومفعول «ذاقَ» محذوف إذا جعلت «كِلا» مبتدأ، كأنه قال: قد ذاقه كلّ، والأجود أن يجعل «كِلا» مفعول «ذاقَ» ولا تجعله مبتدأ، ومثله «زيدًا ضربتُ» ألا ترى أنه يُخْتَارُ على «زَيدٌ ضربتُ».

١٣ - يَرْكَبُ الهَوْلَ وَحِيدًا ولاَ يَصْـ ـحَبُهُ إِلاَّ اليَمَانِي الأَفَلُّ

انتصب «وحيدًا» على الحال، و«لا يصحبُه» انعطف عليه، وهو صفة للوحيد وتأكيد للوحدة.

١٤ - وَفُتُوٌّ هَجَّرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوا

فُتُوٌّ: جمع فَتًى، ولام فتى ياء، بدلالة قولهم: فتيان، لكنه بناه على مصدره، وهو الفتوّة، وهذا المصدر إنّما جاء على هذا عِوَضًا من حَمْلِ بنات الواو على الياء كثيرًا فكأنّهم أرادوا أن يحملوا ما هو على الياء على الواو أيضًا، وهو شاذٌّ، ومعنى «هَجَّروا» ساروا في الهاجرة، يريد أنهم وصلوا السَّيْرَ بِالسُّرَى، وقد اشتمل هذا الكلام على جواب «رُبَّ» لأن قوله «حَلّوا» وهو جواب «إذا انجابَ» صار جوابًا لِرُبَّ أيضًا.

١٥ ـ كُـلُّ مَـاضٍ قَـدْ تَـرَدَّى بِـمَـاضٍ   كَـسَـنَـى الـبَـرْقِ إذَا مَـا يُـسَـلُّ

يقال: ارتدى بسيفِه، وَتَرَدَّى، واعتطفَ به، ويسمّى السّيفُ الرِّدَاءَ والعِطافَ.

١٦ ـ فَـأَدْرَكْـنَـا الـثَّـأْرَ مِـنْـهُـمْ وَلَـمَّـا   يَـنْـجُ مِـلْـحَـيَّـيْـنِ إلاَّ الأَقَـلُّ

١٧ ـ فَـٱحْـتَـسَـوْا أنْـفَـاسَ نَـوْمٍ فَـلَـمَّـا   هَـوَّمُـوا رُعْـتَـهُـمُ فَـاشْـمَـعَـلُّـوا

«رُعتَهم» جواب لمّا، واشمعلّوا: جَدُّوا في المُضِيِّ، يقال: رَجلٌ مُشمَعِلٌّ أي جادٌّ خفيفٌ.

١٨ ـ فَـلَـئِـنْ فَـلَّـتْ هُـذَيْـلٌ شَـبَـاهُ   لَـبِـمَـا كَـانَ هُـذَيْـلاً يَـفُـلُّ

يقول: إن كانت هذيل تمكَّنَتْ منه فكسرَتْ حَدَّهُ فهو بما كان يُؤَثِّرُ من قَبْلُ في هذيل، والشَّبَاةُ: حَدُّ الشَّيءِ، ويقال: أَشْبَى الرَّجُلُ، إذا أَتَى بأولادٍ نُجباءَ يصيرُ له بهم حَدٌّ حَدِيدٌ كَشَبَا الأَسِنَّةِ؛ ويقال أيضًا: أَشْبَيْتُ الرَّجلَ، إذا وجدتَ له شَبَاةً، ويجوز أن يكون «شَبْوَة»، وهو اسم العقرب، من الشَّبَا لإبرتها.

١٩ ـ وَبِـمَـا أبْـرَكَـهَـا فـي مُـنَـاخٍ   جَـعْـجَـعٍ يَـنْـقَـبُ فِـيـهِ الأَظَـلُّ[1]

«وبما أبركها»: معطوفٌ على «لَبِما كان»، والجعجعُ: مُنَاخُ سَوْءٍ، وهو الأرضُ الغليظةُ، وباطنُ الخفِّ يقال له الأظلّ، ومعنى «يَنْقَب» يَحْفَى، والمراد فبما كان ينال منهم ويحملهم على المراكب الصَّعبة.

٢٠ ـ وَبِـمَـا صَـبَّـحَـهَـا فـي ذَرَاهَـا   مِـنْـهُ بَـعْـدَ الـقَـتْـلِ نَـهْـبٌ وَشَـلُّ

٢١ ـ صَـلِـيَـتْ مِـنِّـي هُـذَيْـلٌ بِـخِـرْقٍ   لاَ يَـمَـلُّ الـشَّـرَّ حَـتَّـى يَـمَـلُّـوا

٢٢ ـ يُـنْـهِـلُ الـصَّـعْـدَةَ حَـتَّـى إذَا مَـا   نَـهِـلَـتْ كَـانَ لَـهَـا مِـنْـهُ عَـلُّ

الصَّعْدَة: القناة تنبتُ مستويةً، وجَمْعُها صَعَدَاتٌ بفتح العين، لأنها اسم، ثم قِيلَ في المرأة المستوية القامة والأتانِ الطَّويلةِ: صَعْدَةٌ، وهي وصفٌ لهما، ويُجْمَعُ حينئذٍ على صَعْدَات بسكون العين لِكَوْنِها صِفة.

٢٣ ـ حَـلَّـتِ الـخَـمْـرُ وَكَـانَـتْ حَـرَامًـا   وَبِـلأْيٍ مَـا أَلَـمَّـتْ تَـحِـلُّ

قوله «ما أَلَمَّتْ» يجوز أن تكون «ما» صلة ويجوز أن تكون مع الفعل بعده في تقدير المصدرية، يريد بِلأْيٍ: أي بِبطءٍ، أَلَمَّتْ حَلالاً أو إلمامها حلالاً، والإلمامُ: الزّيارة الخفيفة، وتُوُسِّعَ فيه فأُجرِيَ مجرى حَصَلَتْ عندي.

(١) عند المرزوقي: «وبما أبركَهُم».

٢٤ - فَاسْقِنِيهَا يا سَوَادَ بنَ عَمْرٍو إنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

الخَلُّ: المهزولُ، وقوله: «يا سوادَ بن عمرو»: جعل سواد وقد رَخَّمه عن سوادة بمنزلة ما جاء تامًّا ولم يُحْذَفْ منه شيءٌ، فجعل سواد وابن بمنزلة شيء واحد وبناه على الفتح، فالفتحة في سواد للبناء، ولكَ أن ترويه «يَا سَوَادُ بن عمرو» والضّمّةُ فيه ضمّة المنادى المفرَد، فيكون كقولك: يا زيدَ بْنَ عمرو وَيا زيدُ بْنَ عمرو.

٢٥ - تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ

استعار الضَّحِكَ لِلضَّبع، والاستهلال لِلذّئب، وأصلُ التَّهَلُّلِ والاستهلال في الفرح والصِّياح وليس قول مَنْ قال تضحك بمعنى تحيضُ بشيء.

٢٦ - وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَغْدُو بِطَانًا تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ

ويُرْوَى «تهفو بِطانًا» يعني بعِتاقِ الطَّيْرِ أكلة اللحمان وعافية الجيف، وَهَفَتْ تَهْفُو بمعنى تطيرُ، يقال: هَفَتِ الصّوفة في الهواء، إذا ارتفعت.

وقال أبو العلاء في شرح هذه القطعة: قوله «مطرقٌ يرشحُ موتًا» زعم سيبويه أن أكثر ما يستعمل أَفْعًى اسمًا فيجب على هذا أن تنوّن أَفْعًى في هذا البيت، والناس ينشدونه بغير تنوين، وكِلاَ الوجهين حَسَنٌ، ويدلُّ على أنه عندهم كالاسم لا الوصف قولهم في الجمع: الأفاعي، ولو كان الوصف غالبًا عليه لقالوا فُعْوٌ في الجمع كما قالوا: أَقْنَى وَقُنْوٌ، وإنما هو مقلوب، كأنه أَفْوَع من فوْعَة السّمّ، وهو حِدَّته وسورته، فقُلِبَ، كما قالوا: عَاثَ وَعَثَا، وَتَفَعَّى الرَّجُلُ إذا تَنَكَّرَ للقومِ كأنه صار كالأفعى، قال: [الطويل]

رَأَتْهُ عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِ وَأَنَّهُ تَفَعَّى لَهَا إِخْوَانُهَا وَنَصِيرُهَا

وقوله «شامس في القُرِّ» أي: ذو شَمْسٍ، وإنما يَصِفُه بالكَرَمِ، وهذا نحو قول الآخر: [الخفيف]

سُخْنَةٌ في الشِّتَاءِ بَارِدَةُ الصَّيْـ ـفِ سِرَاجٌ في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ

وقوله «مسبلٌ» يحتمل وجهين: أحدهما من إسبال الإزار والبرد، لأنهم يصفون ذا النّعمة بذلك، وإنما يحمدون ذلك في حال الدَّعَة والأمن، فأمّا في الشّدائد وعند الحرب فإنّهم يمدحون الرَّجُلَ بالتّشميرِ، وإذا كان «مُسْبِل» على هذا الوجه كان «أحوى» مرفوعًا، والأحوى: الذي به حُوَّة وهو سوادٌ في الشَّفَتَين محمود، والرِّفَلُّ: الطويلُ الذَّيْلِ من النّاس، ومن الخيل الطويل الذَّنَبِ، والوجه الآخر في «مسبل» أن يكون عاملاً في أحوى ويُراد به مسبلٌ شَعْرًا أحْوَى: أي أَسْوَد، لأنهم كانوا يوفِّرون لممهم ويصفون الشّابَّ بِحُسنِ اللِّمَّة، قال الراجز:

إذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ كَالعِنْقَادِ كَلِمَّةٍ كَانَتْ عَلَى مَصَادِ

ويدلُّ على توفيرهم الشّعور أنهم كانوا إذَا أَسَرُوا الفارس من المذكورين جَزُّوا ناصيته ليفتخروا بذلك، قال الشّاعر: [الطويل]

وَمَا زَالَ مَعْرُوفًا لَنَا في قَدِيمنَا ... قِتَالُ مُلُوكٍ وَاجْتِزَازُ نَوَاصِ

والسِّمْعُ: وَلَدُ الضّبع من الذّئب، والأَزلُّ: الأَرْسَح، وهو الممسوح العَجُزِ، وهم يصفون الرجل بذلك، ويكرهونه للمرأة، قال نصيب: [الوافر]

إذَا مَا الزُّلُّ ضَاعَفْنَ الحَشَايَا ... كَفَاهَا أنْ يُلاثَ بِهَا الإزَارُ

و«ما» في قوله «ما أَلَمَّتْ» يجوز أن تكون زائدة، وأن تجعل مع الفعل الذي بعدها في معنى المصدر، وألمت: أي قاربت، قال الشاعر: [الوافر]

فإنَّكَ مَيِّتٌ كَمَدَ الحُبَارَى ... إذَا زَارَتْ لَطِيفَةُ أوْ مُلِمُّ

أي: مقارب، ومنه قيل: غلامٌ مُلِمٌّ، إذا قارب الحُلُمَ.

[٢٧٤] وقال سُوَيْدُ المراثد الحارثيّ[١]:

أبو هلال: ويقال: سويد المراثي، سويد: تصغير أسود على الترخيم، والمراثد: جمع مَرْثَدٍ، وهو في الأصل مصدر رَثَدْتُ المَتَاع بعضَه فوقع بعضٍ: أي نضدته، ولمّا سُمِّيَ بالمصدر كُسِّر بعد التسمية، فأما المصدر نفسه فقد ذكر امتناع العرب من تحقيره كامتناعهم من تكسيره.

١ - لَعَمْرِي لَقَدْ نادَى بِأرْفَعِ صَوْتِهِ ... نَعِيُّ سُوَيْدٍ أنَّ فَارِسَكُمْ هَوَى

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «أنَّ صاحِبَكم هَوَى» أي: رئيسُكم وفارسُكم: أي أفرسكم، ولهذا أقسم وعظم الحال في نعي النّاعي، حتى جعله ينادي بأرفع صوته، ثم صَدَّقَهُ في ثنائِه فقال:

٢ - أَجَلْ صَادِقًا وَالقَائِلَ الفَاعِلَ الَّذِي ... إذَا قَالَ قَوْلاً أَنْبَطَ المَاءَ في الثَّرَى

أي: قلتَ صادقًا، وَأَجَلْ: هو لِتحقيقِ الإخبارِ، كأنّه لمّا قال «أنَّ صاحِبَكُم هَوَى» قال: أجل أنتَ مُصَدَّقٌ، ثم زاده ثناءً فقال «والقائل الفاعل» وقوله «أنَّ صاحِبَكم» أراد بأن صاحبكم، فحذف الباء ووصل الفعل، وانتصب «صادقًا» على الحال، والعامل فيه ما دلَّ عليه الكلام من معنى قلت، و«القائل الفاعل» عطفه على «صاحبكم» ويجوز أن يرفعه، كأنه قال: وهو القائل الفاعل، والنصب أحسن وأجود، ومعنى «أنبطَ الماء في الثرى»

---

(١) الأبيات رواها المبرّد في الكامل ص ٧٢٧ (ليبسك) منسوبة إلى أعرابي.

أخرجه، ويقال: نبطَ أيضًا، ومعناه أنه إذا قال فَعَلَ، وإذا وَعَدَ أعْطَى، ويجوز أن يكون معناه أنه لا ينزعُ عن الأمرِ حتى يبلغَ آخره كالحافر الذي لا يكفّ حتى ينبطَ الماء.

٣ ـ فَتَى قَبَلٌ لَمْ تُعْنِسِ السِّنُّ وَجْهَهُ
سِوَى خُلْسَةٍ في الرَّأْسِ كَالبَرْقِ في الدُّجَى(١)

«لم تُعْنِسْ» أي: لم تُنْقِصْ رونقَ شَبابه، وقوله «سِوَى خُلْسَةٍ» استثناء منقطع، وَالخُلْسَةُ: بياضٌ في سوادٍ، وقد أخلسَ رأسُه، وشَعْرٌ خليسٌ، ومنه قيل للمولود بين الأسود والبيضاء: خِلاَسيّ، والقَبَل: المُقْتَبل الشّباب.

٤ ـ أشَارَتْ لَهُ الحَرْبُ العَوَانُ فَجَاءَهَا يُقَعْقِعُ بِالأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى

قوله «أشارت» كأنه لم يصبرْ إلى أن يُدْعَى، ولكن حين اهتاجت الحربُ جاءها فكأنَّ الحربَ أشارت إليه، والفعل من العَوَان عَوَّنَتْ وَعَانَتْ، وقوله «يقعقعُ بالأقرابِ» يجوز أن يريد بالقعقعة صوت شدّة صدره وقد يسمع من صَدْرِ العادِي النَّهيمُ، ويجوز أن يكون المراد به قعقعة السّلاح الذي كان عليه، وقوله «أوّل مَنْ أتى» يجوز أن تكون مَنْ نكرة، كأنه قال أوّل فارس طلع، فيكون «أتى» صفة له، ويجوز أن يكون معرفة و«أتى» صلة كأنه قال: أوّل الآتين، وتكون «مَنْ» مُوَحَّد اللَّفظ مجموع المعنى، وانتصب «أول» على الحال في الوجهين جميعًا، والعامل فيها جاءها أو يقعقع.

٥ ـ وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ فَآسَى وَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى

آداه: أصله أَأْداه(٢)، والألف الثانية همزة أُبدِلَت من العين في الأصل والمعنى أعانه، ويجوز أن يكون من الأداة: أي جعلَ له أداةَ الحربِ وعُدَّتَها، وقال أبو العلاء في قوله «نَعِيُّ سُوَيدٍ» يقولون: جاء نَعِيُّ فلانٍ، إذا جاء خبر موته، فإمّا أن يكون فَعِيلاً في معنى فاعل، وإمّا أن يكون كالمصدر، كأنهم يريدون صاحب نعيه.

[٢٧٥] وقال رجل من بني نَصْر بن قُعَيْن:

يجوز أن يكون قُعَيْن تحقير أقعن من القَعَن، وهو قصر في الأنف فاحش، رجل أقعن وامرأة قَعْنَاء.

١ ـ أَبْلِغْ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ إنْ جِئْتَهَا مَا إنْ أُحَاوِلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلاَبِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

---

(١) عند المرزوقي: «لم تُغبِس»، ورواية المبرّد «تَغْنُسْ».
(٢) عند المرزوقي: «أصله أعداه» وهو الأصحّ حسب الشرح فيما بعد.

هذا الشعر لِرُبَيِّعَة بن عُبَيْد بن سعد بن جَذِيمَةَ بن مالك بن نصر بن قُعَين قال أبو محمد الأعرابيّ: ليس في العرب رُبَيِّعَةُ غيره، وهو أبو ذُؤَاب الأسديّ، وكانَ ذُؤَاب قتل عُتَيْبَةَ بن الحارث بن شِهَاب اليَرْبُوعِيّ يوم خَوٍّ، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذُؤَابًا، أسره الرّبيعُ بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، وردَّه إلى الحيّ، فأتاه ربيعة أبو ذؤاب فافتداه بشيءٍ معلوم ووعده أن يأتي به سوق عكاظ، فلمّا دخلت الأشهرُ الحُرُمُ وافى ربيعة أبو ذؤاب بالإبل الموسم، وتَخَلَّفَ الربيع بن عتيبة لِشغلٍ عَرَضَ له، فلم يُوَافِ بِالأسير، فلمّا لم يَرَ رُبَيِّعَةُ ربيعًا قَدَّرَ أنه عَلِمَ بقتلِ أبيه فقتله فرثاه بهذه الأبيات، وسارت عنه، وبلغت يربوعًا، فعلموا أنَّ ذُؤَابًا قاتل عتيبة، فأقادوه به، وقوله «قبائل جعفر» يعني جعفر بن ثعلبة بن يربوع رهط عتيبة، و«أحاول» أطلب، وقوله «ما إنْ أُحاولُ جعفر بن كلاب» يجري مجرى الصّفة في شرح الاسم الذي أراده.

٢ ـ أنَّ الـهَـوَادَةَ وَالـمَـوَدَّةَ بَـيْـنَـنَـا خَـلَـقٌ كَـسَـحْـقِ الـيُـمْـنَـةِ الـمُـنْـجَـابِ

الهَوَادَةُ: اللِّينُ، والثَّوبُ السَّحْقُ وُصِفَ بالمصدر كأن البِلَى سَحَقَهُ، واليُمْنَةُ: نوع من برودِ اليمن، والمنجابُ: المُنْشَقُّ، والمراد أبلغهم أنه لا صلحَ بيننا ولا هوادةَ، وقوله «أنَّ الهوادة» في موضع نصب على أنه مفعول لأبلغ.

٣ ـ أذُؤَابَ إنِّـي لَـمْ أَهَـبْـكَ وَلَـمْ أَقُـمْ لِـلْـبَـيْـعِ عِـنْـدَ تَـحَـضُّـرِ الأَجْـلَابِ

جمع جَلَب، وهي النَّعَمُ تُجْلَبُ من موضع إلى موضع، ويُرْوَى: لم أهَبْكَ ولم أُهِنْكَ: أي لم أتغافلْ عن طَلَب معك[1] استهانةً بك، وما وهبتك للقوم، ولا قمتُ لِلشّراءِ والبيع بعدك، وَقيل: قوله «للبيع» يريد أنّي لم آخُذ الدِّيَةَ فكنت بائعًا لِدَمِكَ كما تُبَاعُ الجَلَبُ من الأموال إذا سِيقَتْ إلى الحَضَر، ولم يرد بقوله «لم أقمْ» القيام الذي هو ضدّ الجلوس، إنما المراد لم أترَشَّحْ ولم أتهيَّأْ، على ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[2].

٤ ـ إنْ يَـقْـتُـلُـوكَ فَـقَـدْ ثَـلَـلْـتَ عُـرُوشَـهُـمْ بِـعُـتَـيْـبَـةَ بْـنِ الـحَـارِثِ بْـنِ شِـهَـابِ

أي: إنْ يَتَبجَّحُوا بقتلِكَ وصاروا يفرحون به فقد هدمتَ عِزَّهُم بقتل عتيبة.

٥ ـ بِـأَشَـدِّهِـمْ كَـلَـبًـا عَـلَـى أَعْـدَائِـهِـمْ وَأَعَـزِّهِـمْ فَـقْـدًا عَـلَـى الأَصْـحَـابِ

قوله «بِأشدّهم كَلَبًا» جعله بدلاً من قوله «بعتيبة» وقد أعاد حرف الجرّ فيه، والكَلَبُ: الشِّدَّةُ، ومن كلام الحسن: إنَّ الدُّنيا لَمَّا فُتِحَتْ على أهلِها كَلِبُوا عليها أشَدَّ

---

(١) عند المرزوقي: «عن طلب دمكَ» ولعلّه أنسب للمعنى.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦.

الكَلَبِ؛ أي حرصوا أشدَّ الحِرْصِ، ويقال: دَهْرٌ كَلِبٌ: أي مُلِحٌّ على أهله، «وأعزّهم فَقْدًا» أي: أشدّهم، ومنه اسْتَعَزَّ اللَّحْمُ، صَلُبَ، وانتصبَ «فَقْدًا» و«كَلَبًا» جميعًا على التمييز، ويقال: عَزَّ عَلَيَّ كذا: أي حَقَّ واشتدَّ، ويقولون: أتُحِبُّني؟ فيقال: لَعَزَّ مَا: أي لَحَقَّ ما.

[٢٧٦] وقال الحُرَيْث بن زيد الخيل[1]:

١ ـ أَلاَ بَكَرَ النَّاعِي بِأَوْسِ بْنِ خَالِدِ أَخِي الشَّتْوَةِ الغَبْرَاءِ وَالزَّمَنِ المَحْلِ

أول الطويل، والقافية متواتر.

بَكَرَ: يجوز أن يكون معناه ابتدأ، لأنَّ البكورَ أصلُه ذلك، ويجوز أن يكون بمعنى جاء بُكْرةً، والشَّتْوة الغبراء: التي تهبُّ فيها الرّياح والأرض يابسة فيهيج الغبار، وصاحبُ الشَّتْوةِ: الذي يُفْزَعُ إليه فيها.

٢ ـ فَإِنْ يَقْتُلُوا بِالغَدْرِ أَوْسًا فَإِنَّنِي تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ

أبو هلال: أي ملتزم السَّرْجِ، والمعنى أنه كانَ على ظَهْرِ فرسِه فطعنَه فانكبَّ على السَّرجِ والتزمَه من الألمِ ثم مات.

٣ ـ فَلا تَجْزَعِي يَا أُمَّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ تُصِيبُ المَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلِ

كان يجب أن يقول: كلّ ذِي حَفًا وذي نَعْلٍ: أي كلّ حافٍ وناعلٍ، لكنّه لمّا وَحّدَ اسم الفاعل لم يُبَالِ أن يكون أحدهما بذي، وهذا يبيّن أن قولهم طالق وحائض على طريق النسبة في معنى ذات طلاقٍ وذات حَيْضٍ.

٤ ـ قَتَلْنَا بِقَتْلانَا مِنَ القَوْمِ عُصْبَةً كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ

العُصْبَةُ: العَشَرَةُ من الرِّجالِ، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، وكذلك العِصابة من النَّاس والطَّير والخيل، وذِكْرُ الحَشَفِ إزراءٌ به: أي لم نَقْبَلِ الدِّيَةَ تمرًا، وقيل: لم نَقْبَلْها إبلاً فنتمجّعَ[2] بألبانها التّمر، قال أبو هلال: هذا أصحّ لأنَّ طَيِّئًا أموالهم النّخل والدِّية من الإبل.

٥ ـ وَلَوْلاَ الأَسَى مَا عِشْتُ في النَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إذا مَا شِئْتُ جَاوَبَنِي مِثْلِي

---

(١) الحُرَيث بن زيد الخيل: وزيد الخيل: هو زيد بن مُهَلهِل بن يزيد بن عبد رُضا . . .بن نائل بن نبهان. وقد سَمَّاه الرسول ﷺ زيد الخير وكان يطلق عليه اسم زيد الخيل لكثرة خيله وقد ذكرها في شعره. وترجمته في: الأغاني ٢٤٨/١٧، دار الكتب العلمية، وذكر فيه أسماء أبنائه ومنهم حريث هذا.

(٢) مَجَعَ وتمجّعَ: أكل التمرَ وشرب عليه اللبن.

جواب لولا «ما عِشْتُ في النَّاسِ» بعده، ونائب عن خبر المبتدأ، وهو الأَسَى، كأنه قال: لولا الأَسى مانعٌ لي لما عِشْتُ في النَّاس بعدَهُ.

قال أبو رِياش: كان سبب هذه الأبيات أنَّ عمر بن الخطاب بعثَ رجلاً يُكْنَى أبا سفيان ليس بِالهاشميّ ولا الأمويّ إلى البادية يستقرئُهم، فمَنْ لم يقرأْ شيئًا ضربَه، فانتهى إلى بني نَبْهَان فاستقرأَ أوسَ بن خالد بن عمرو ابن عمّ لِزيدِ الخيل فلم يقرأْ شيئًا فضربَهُ فمات من ضَرْبِهِ، فقامت ابنتُه وأُمّ أوس تَنْدُبَانِهِ، فأقبلَ حُرَيث بن زيد الخيل حتى دخل على أبي سفيان فقتله وأصحابه، وقال هذه الأبيات.

[٢٧٧] وقال أبو حِبَالٍ البَرَاءُ بن رِبْعِيّ الفَقْعَسِيُّ:

البَرَاءُ في اسم الرّجل يجوز أن يكون مأخوذًا من قولهم: أنا بَرَاء منك: أي بريء، أو من قولهم لآخر ليلة في الشَّهر: ليلة البَرَاء، قال: [الرجز]

يَـا عَيْـنُ بَـكِّـي عَـامِـرًا وَعَـبْـسَـا يَـوْمًـا إذَا كَـانَ الـبَـرَاءُ نَـحْـسَـا

والرِّبْعِي: ما نتجَ في أيام الربيع، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه، والصَّيْفيّ: ما نتجَ في الصيف فجاء ضعيفًا، وهما الرُّبَعُ والهُبَعُ الغزاة الرّبعيّة في أيام الربيع، قال أبو هلال: أبو حبال هكذا رويناه في الأصل، وهو تصحيف، وإنما هو أبو الحِنَاك بالنّون والكاف.

١ - أَبَـعْـدَ بَـنِـي أُمِّـي الَّـذِيـنَ تَـتَـابَـعُـوا أُرَجِّي الـحَـيَـاةَ أَمْ مِـنَ الـمَـوْتِ أَجْـزَعُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«أَبَعْدَ» لفظه لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التَّوَجُّع، والاستفهام يَطلبُ الفِعْلَ، فيقول: أَأُرَجِّي الحياةَ أم أجزعُ من الموت بعد إخواني الَّذين انقرضوا.

٢ - ثَـمَـانِـيَـةٌ كـانُـوا ذُؤَابَـةَ قَـوْمِـهِـمْ بِـهِـمْ كُـنْـتُ أُعْـطِي مَـا أَشَـاءُ وَأَمْـنَـعُ

في قوله «بهم كنت أُعطي ما أشاءُ» حَذْفٌ، ولو أتى به على حَدِّهِ لكان يقول: كنت أعطي ما أشاءُ إعطاءَهُ وأمنعُ ما أشاءُ مَنْعَهُ، والمفعولات تُحْذَفُ كثيرًا، لأنَّ القرائن تدلُّ عليها.

٣ - أُولَـئِـكَ إخْـوَانُ الـصَّـفَـاءِ رُزِئْـتُـهُـمْ وَمَـا الـكَـفُّ إلاَّ إصْـبَـعٌ ثُـمَّ إصْـبَـعُ

يريد أن الكفَّ بالأصابع تبطشُ، فإذا ذهبت الأصابعُ بطلَ الكفّ فلا يمكن أن يُبْطَشَ بها: أي ذَلَلْتُ بعد موتِكَ وصِرْتُ كَكَفٍّ ذهبَتْ أصابعُها.

٤ - لَـعَـمْـرُكَ إنِّـي بِـالـخَـلِـيـلِ الَّـذِي لَـهُ عَـلَـيَّ دَلاَلٌ وَاجِـبٌ لَـمُـفَـجَّـعُ

«عَلَيَّ دلالٌ واجبٌ» أي له أن يدلّ عَلَيَّ وأن أحتملَ.

٥ - وَإِنِّيَ بِالمَوْلى الَّذِي لَيسَ نَافِعِي وَلاَ ضَائِرِي فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ

أي: مُبَقًّى، يقال: أمتعَ اللَّهُ فلانًا بِفلان: أي أبقاه ليستمتعَ به، وأصله من المدّ والزّيادة، ومنه «مَتَعَ النَّهار» وذلك قبل الزَّوال.

[٢٧٨] وقال مُطِيع بن إياس[(١)] في يَحْيَىٰ بن زياد، وكان يُرْمَى بالزَّندقة والدّاء:

وهو من أهل الكوفة، وكان نديم يَحْيىٰ بن زياد لا يكادان يفترقان.

١ - يَا أَهْلِ بَكُوا لِقَلْبِيَ القَرِحِ وَلِلدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ السُّفُحِ

الأول من المنسرح، والقافية متراكب.

إنما قال «بَكُّوا لِقَلبي» لأن التشاركَ أدلّ على تجليل الفجيعة، كما أن التَّأَسّي أجلبُ لِلتَّخفيف ممّا به، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[(٢)] ويقال: قَرِحَ الشَّيءُ يَقْرَحُ، وأقرحَه غيره، وهو قَرِحٌ وقَرِيحٌ، والقَرْحُ: قيل هو البَثْرُ يترامَى بالفساد.

٢ - رَاحُوا بِيَحْيَىٰ وَلَوْ تُطَاوِعُنِي الْـ ـأَقْدَارُ لَمْ تَبْتَكِرْ وَلَمْ تَرُحِ

«لم تبتكرْ ولم تَرُحِ» يعني الأقدار: أي لَتَركْتُه فلم يفارقني غُدُوًّا ولا عَشِيًّا.

٣ - يَا خَيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكَاءُ لَهُ الْـ ـيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسِ لِلْمِدَحِ

قوله «يَحْسُنُ البكاءُ له اليوم» صفة له، فيقول: يا خيرَ إنسانٍ كان المدح فيما مضى من الزّمان أولى به لِحُسْنِ فِعله، والبكاء عليه في الحال والمستقبل أحقّ له لِعزَّةِ فَقْدِه.

٤ - قَدْ ظَفِرَ الحُزْنُ بِالسُّرُورِ وَقَدْ أُدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الفَرَحِ

قوله «من الفرح» يريد من المفروح به، وهو المحبوب.

[٢٧٩] وقال أيضًا:

١ - قُلْتُ لِحَنَّانَةٍ دَلُوحِ تَسُحُّ مِنْ وَابِلٍ سَحُوحِ

السادس من البسيط، والقافية متواتر.

يقول: قلتُ لِسَحَابَةٍ فيها رَعْد فكأنّها كانت تحنُّ بوعدِها إلى شيء كحنين الناقة إلى وطنها، ودَلُوحٌ: ثقيلةٌ، يقال: مَرَّ البعيرُ يَدْلَحُ بحمله: أي يمشي متثاقلاً، والسَّحابةُ تدلحُ

---

(١) مطيع بن إياس الكناني: أبو سلمى، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسيّة، كان ظريفًا، مليح النادرة، ماجنًا (ت ١٦٦ هـ/ ٧٨٣ م). ترجمته في: الأغاني ١٣/٢٩٩؛ ولسان الميزان ٦/ ٥١؛ وتاريخ بغداد ١٣/٢٢٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٩.

من كَثْرَةِ مَائِها، وقوله «تسحُ من وابلٍ سَحُوحِ» سَحُوح: كثير الانصباب، فإنْ قيلَ: كيف جَعَلَ السَّحَّ مَرَّةً لِلحَنَّانة ومَرَّةً للوابل، والوابل يكون مَصْبُوبًا لا صابًّا؟ وما فائدة «من وابل»؟ قلت: إن فائدة «من» الابتداء كأنه جعل أوّل السُّقْيا وَبْلاً، وهم يجعلون إذا قصدوا إلى المبالغة الفعل الواقع بالشّيء له، ألاَ ترى أنهم يقولون: شعرٌ شاعرٌ، وكما قالوا: سَيْلٌ مُفْعَمٌ، والسَّيْلُ لا يُمْلأُ به الشَّيء، وإذا كان كذلك فالسَّحُ من الحنّانة حقيقة، والسَّحُ من الوابل مَجَازٌ، والمراد به ما ذكرنا، على أنه لا يمتنعُ أن يكونَ «سَحَّ» من باب فَعَلْته فَفَعَل، فقد حَكَى الخليلُ سَحَّ المطرُ والدَّمْعُ.

٢ ـ أُمّي الضَّرِيحَ الَّذِي أُسَمِّي ثُمَّ اسْتَهِلِّي عَلَى الضَّرِيحِ

كأنَّ بيانَ الكلام: أُسَمِّي صاحِبَهُ، فحذفَ المضاف وهو صاحب، ثم أقام المضاف إليه مقامه، فجاءَ أسمّيه، ثم حذف المفعول من الصّلة لِطولها، فبقيَ «أُسَمِّي»، ومعنى اسْتَهِلِّي: صُبِّي، يقال: أَهَلَّ السَّحَابُ بِالمطرِ، واستهلَّ، وانْهَلَّ المطرُ انهلالاً، والأهاليلُ: الأمطارُ الشَّديدةُ الانصبابِ، والضَّرِيحُ: ما يُحْفَرُ في وسط القبر، واللَّحْدُ في جانبه، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ لأنه يقال: ضَرَحُوا له ضريحًا، وقيل: سُمِّيَ ضريحًا لأنه انضرحَ عن جانِبَي القبر: أي اندفع فصار في وسطه.

٣ ـ لَيْسَ مِنَ العَدْلِ أنْ تَشِحِّي عَلَى فَتًى لَيْسَ بِالشَّحِيحِ

أي: ليس من الإنصاف أنْ تَبْخَلي على فَتًى لم يكن بخيلاً.

[٢٨٠] وقال أَشْجَعُ بن عَمْرو السُّلَمِيُّ(١):

ويكنى أبا الوليد، مدحَ الرَّشيدَ والبرامكة وأجاد، قال أبو هلال: كان البحتريّ يقول: إنه يُخْلِي، ومعنى الإخلاء أن يأتي بألفاظٍ حسنةٍ ليس تحتها كبير معنى، وأنا لست أرى في شعره شيئًا من هذا الجنس.

الأشجع: واحد الأشاجع، وهو عَصَبُ ظاهرِ الكَفِّ ومفاصل الأصابع، وقيل: الأشاجع عظام ظاهر الكفّ، ويجوز أن يكون أشجع من قولهم: هذا أشجع منك، وقد استعمل جرير الأشجع في معنى الشّجاع من الحَيَّات، قال: [الكامل]

أَيُفَايِشُونَ وَقَدْ رَأَوْا حُفَّاثَهُمْ قَدْ عَضَّهُ فَقَضَى عَلَيْهِ الأَشْجَعُ

ورجل أشجع وامرأة شجعاء للطويلين، وشجاع شَجْعَم، زيدت الميم فيه توكيدًا

(١) أشجع بن عمرو السُّلَميُّ: شاعر فحل، كان معاصرًا لبشّار، وُلِدَ باليمامة ونشأ في البصرة ثم استقرّ في بغداد (ت نحو ١٩٥ هـ/ ٨١١ م). ترجمته في: الأغاني ١٨/ ٢١٨؛ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٥٩؛ وتاريخ بغداد ٧/ ٤٥؛ والشعر والشعراء ص ٣٧٣.

لمعناه، ومن أبيات الكتاب: [الرجز]

قَدْ سَالَمَ الحَيَّاتُ مِنْهُ القَدَمَا   الأَفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا[1]

ورواه البغداديون:

قَدْ سَالَمَ الحَيَّاتِ مِنْهُ القَدَمَا

وقالوا: أراد القدمان، وحذف النون، وأنشدوا نحوه: [الرجز]

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إذَا تَشَوَّفَا   قَادِمَتَا أَوْ قَلَمَا مُحَرَّفَا

وقالوا: أراد قادمتان أو قلمان محرّفان، وصحّة إنشاد هذا عندنا:

تَخَالُ أُذْنَيْهِ إذَا تَشَوَّفَا   قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

أراد تخال كلَّ واحدة من أُذنيه، كما قال الآخر: [الرجز]

يَا ابْنَ الَّتِي حُذُنَّتَاهَا بَاعُ[2]

وَالحُذُنَّتَانِ: الأُذنان.

١ ـ مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ   وَلاَ مَغْرِبٌ إلاَّ لَهُ فِيهِ مَادِحُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

٢ ـ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ   عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ

«ما فواضل كفّه»: استفهام، وموضع الجملة من الإعراب نصب على أنه مفعول «أدري»، والفواضلُ: جمع فاضلة، وهو اسمٌ لما يَفْضُلُ من نَدَى كفّه فيتجاوزها إلى النّاس، ويجوز أن يكون فاضلة مصدرًا بمعنى فَضْل أو إفضال؛ فيكون كالعافية والقائم من قولك: «قم قائمًا»، وبالية من قولهم: «ما أُباليه بالية» ثم لاختلافه جمعه، والمصادر تُجْمَعُ إذا اختلفت، على ذلك قولهم: العلوم، والعقول، وما أشبههما، وإذا جعل كذلك يكون قد عَدَّى فواضل وهو جمع مكسَّر إلى قوله «على النّاس» والصّفائح: أحجار عِرَاض يُسْقَفُ بها القبور.

٣ ـ فَأَصْبَحَ في لَحْدٍ مِنَ الأَرْضِ مَيِّتًا   وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ

---

(١) الرجز للعجاج في ملحق ديوانه ٢/ ٣٣٣؛ وله أو لأبي حيان الفقعسي أو لمساور العبسي أو للدبيري في خزانة الأدب ١١/ ٤١١، ٤١٥، ٤١٦؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٨١؛ ولمساور العبسي في لسان العرب (ضمز، ضرزم، عرزم)؛ وتاج العروس (ضمز)؛ ولعبد بني عبس في الكتاب ١/ ٢٨٧؛ وللدبيري في شرح أبيات سيبويه ١/ ٢٠١؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ١٢٢؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٤٣١؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٥٢.

(٢) الرجز لجرير في تاج العروس (حذن).

قوله «في لحدٍ» موضعه نصب على أن يكون خبر «أصبحَ» لأن مَيِّتًا من الصّدر في مقابلة حَيًّا من العجز، ولا يكون ذلك إلاّ حالاً، وكذلك يجب أن يكون ميّتًا، وإلاّ اختلفا وفسدَ المعنى، فيقول: أصبح وهو مَيِّتٌ يَتَّسِعُ له خَدٌّ من الأرض ضَيِّقٌ وكانت الصّحاصِحُ تَضِيقُ عنه وهو حيّ فيجوز أن يكون تضيقُ عن جيوشِه وعن أصحابِه الّذين كانوا يَحْيَوْن بحياته، ويجوز أن يريد بالضِّيق ما كان يَبُثُّ من إحسانِه وينشرُ من جَدْوَاه في أهل الأرضِ، فيكون التّقدير أنّها لو جُسِّمَتْ لَكَانت الصَّحَاصِحُ تضيقُ عنه، وفي معناه للبحتري: [الكامل]

كَانُوا ثَلاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بِهَا وَلَعُ المَنُونِ إِلَى ثَلاثَةِ أَقْبُرِ[1]

٤ - سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الجَوَانِحُ

«ما فَاضَتْ» في موضع الظَّرف: أي مُدَّةَ فَيْضِها؛ وقوله «حَسْبُكَ» مبتدأ، وخبره «ما تُجِنُّ» وقد يتمّ حَسْبُكَ بنفسِه فلا يحتاجُ إلى خبر، فيقال: حَسْبُكَ، وحينئذٍ يتضمّنُ معنى الأمر، كأنه يُراد: اكْتَفِ، ولذلك يستقلّ الكلام به، والجوانحُ: الضّلوع، سُمِّيَتْ بذلك لانحنائِها، والجنوحُ: المَيْلُ.

٥ - فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ وَلاَ بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ[2]

لو قال بدل جازع وفارح جَزِعٌ وَفَرِحٌ كان أفصح وأكثر لأن فَعِلَ إذا كان غير متعدٍّ فالأجود والأقيس في مصدره فَعَلٌ، وَفَعِلٌ في اسم الفاعل، وإذا كان متعدّيًا فبابه فاعل، وقد قيل في المريض: مارض، وفي السليم سالم، لأن البابين يتداخلان، وقوله «ولا بسرور» أراد ولا بذي سرورٍ، فحذفَ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

٦ - كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إلاَّ عَلَيْكَ النَّوَائِحُ

«كأنْ» مخفّف كَأَنَّ، واسمه مُضْمَر، وأراد كأن الأمر والشّأن لم يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ.

٧ - لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ المَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ المَدائِحُ

[٢٨١] وقال يَحيَىٰ بن زياد الحارِثيّ[3]:

يُكْنَى أبا الفضل، وهو خال أبي العبّاس السَّفَّاح، خليع ماجن يُرْمَى بالزَّندقة.

(١) البيت عند المرزوقي ص ٨٥٨. (٢) عند المرزوقي «وما أنا».

(٣) يحيىٰ بن زياد الحارثي: شاعر ماجن، أقام ببغداد مدة ثم خرج عنها. ووالده زياد بن عبيد اللّه هو خال أبي العباس السفّاح (ت نحو ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م). ترجمته في: تاريخ بغداد ١٤/١٠٦؛ ولسان الميزان ٦/٢٥٦.

١ ـ نَعَى نَاعِيَا عَمْرٍو بِلَيْلٍ فَأَسْمَعَا　　فَرَاعَا فُؤَادًا لاَ يَزَالُ مُرَوَّعَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «أَسْمَعا» حَذَفَ مفعولَيْه، لأن المرادَ أسمع النَّاسَ نَعْيَهُ، وهو بتجرّده من المفعول يُستَعْمَلُ في المكروه، ولأنه إذا أطلقَ مُبهَمًا فالإبهامُ في هذا الكلام أبلغ، وإنّما قال «مُرَوَّعًا» إيذانًا بأن ذلك الرَّوع لا إفاقة منه، ويجوز أن يكون مُرَوَّعًا لِكَثْرَةِ المصائبِ في عشيرته.

٢ ـ وَمَا دَنِسَ الثَّوْبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ　　وَإِنْ خَانَهُ رَيْبُ البِلَى فَتَقَطَّعَا

الدَّنَسُ: لَطْخُ الوَسَخِ وغيره، حتى في الأخلاق: أي لم يدنسْ كَفَنُكَ لِطهارتِكَ كما تَدْنَسُ سائرُ الأكفانِ.

٣ ـ دَفَعْنَا بِكَ الأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ　　تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا

يجوز أن يريد بالأيّام نوائب الأيام وأحداثها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يريد بالأيام أنفس الأحداث فسمّاها أيامًا كما تسمَّى الوقعات بها، وكما قال اللّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] وقوله «حتى إذا أَتَتْ تريدك» تريدك: نصب على الحال: أي مريدة، وفائدة حتى الغاية، وكأنّه قال: دفعنا الأيام بك وبمكانك إلى وقت مجيئها مريدة لك فحينئذٍ لم نقدرْ على دفاعها، وقوله «لم نَسْطِعْ» أراد لم نستطعْ فحذفَ منه التاء تخفيفًا لِكَثْرَتِه في الكلام: اسْطَاعَ يَسْطِيعُ بمعنى استطاعَ يستطيعُ، وقد حُكِيَ أَسْطَاعَ بفتح الهمزة يُسْطِيعُ بضمِّ الياء، وليس هذا من الأول، لأن هذا في معنى أطاع.

٤ ـ مَضَى فَمَضَتْ عَنِّي بِهِ كُلُّ لَذَّةٍ　　تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعَا مَعَا

«تَقَرُّ» قيل: هو من القرار، وقيل: هو من القُرِّ البَرْد، وهذا أقرب؛ لأنه يقال في ضدّه: سَخُنَتْ عَيْنُه، وقوله «معًا» في موضع الحال، وموضع «تقرُّ بها عيناىَ» جَرٌّ على أن يكون صفةً لِلَذَّة: أي كلّ لَذّة تبردُ عَيْنَايَ بها وتسرُّ نفسي بحصولِها.

٥ ـ مَضَى صَاحِبِي واسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ مَصْرَعِي　　وَلاَ بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأُصْرَعَا[2]

معنى «لا بُدَّ» لا مَحَالَةَ، وهو من البَدَدِ والاتّساع والتَّفريج، كأنه تضايَقَ الأمرُ فيه فلا اتّسَاعَ معه، ويقال: لا بُدَّ من أن يكونَ كذا وكذا، ولا بُدَّ أن يكون كذا، و«أن»: يُحْذَفُ حرفُ الجرِّ معه كثيرًا.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.
(٢) عند المرزوقي: «واستقبلَ الدهرُ صَرْعَتِي».

[٢٨٢] وقالَ ابن المُقَفَّع[(١)]:

يرثي يَحْيَىٰ بن زياد، وقيل: يرثي ابن أبي العَوْجَاء عبد الكريم.

١ - رُزِئْنَـا أَبَـا عَـمْـرِو وَلاَ حَـيَّ مِـثْـلُـهُ فَـلِـلَّـهِ رَيْـبُ الـحَـادِثَـاتِ بِـمَـنْ وَقَـعْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: أُصِبْنا بأبي عمرو، وهو مفقود النَّظير، وموضع «ولا حَيَّ مِثْلُه» نصب على الحال، والعامل فيه «رُزِئْنا»، ثمّ قال على وجه التَّعَجُّب: للّه ريبُ الدَّهرِ بأيِّ رجلٍ وقعَ؛ وقوله «بمَن وَقَعْ» منقطع ممّا قبله، وإن كان فاعل وقع الضمير العائد إلى الرَّيب المستكن فيه؛ لأن قوله «لِلَّهِ ريبُ الحادثاتِ» كلام مستقلّ بنفسِه فيما يفيدُ من إكبار الشَّأْنِ وتفظيع الحال، وإضافة الشَّيء إلى اللّه تفخيمٌ وتعظيمٌ، على ذلك قولهم: بيت اللّه، وإن كانت المساجد كلّها للّه، وللّه دَرُّهُ، وقوله «بمَن وَقَعْ» مستقلٌّ بنفسه أيضًا، وفيه استعجابٌ من أن يكون الدَّهر يَعْرِضُ لِمِثْلِه أو يَهُمُّ به مع فخامةِ أمرِه، ولو قال «وبمَن وقع» فزاد واوًا لَكَانَ أكشف في المعنى المراد منه، ولا يمتنع أن يكون «بمَن وقع» في موضع الحال، كأنه قال: لِلَّهِ رَيْبُ الحادثاتِ واقعًا بمَن وقع ومؤثِّرًا مُوجِعًا ويكون حالاً لِلرّيبِ؛ والعامل فيه ما دلَّ عليه قوله: لِلَّهِ ريبُ الحادثاتِ.

٢ - فَـإِنْ تَـكُ قَـدْ فَـارَقْـتَـنَـا وَتَـرَكْـتَـنَـا ذَوِي خَـلَّـةٍ مَـا فـي انْـسِـدَادِ لَـهَـا طَـمَـعْ

قوله «ما في انسدادِ لها طَمَع» في موضع الجرّ لأنه صفة لِخَلَّة.

٣ - فَـقَـدْ جَـرَّ نَـفْـعًـا فَـقْـدُنَـا لَـكَ أَنَّـنَـا أَمِـنَّـا عَـلَـى كُـلِّ الـرَّزَايَـا مِـنَ الـجَـزَعْ

يقول: جلبَ إلينا فَقْدُكَ نفعًا وهو أمننا من تَسَلُّطِ الجَزَع علينا لِرَزِيَّةٍ مستأنفةٍ، إذ كان خوفُنا عليك وحَذَرُنا فيك، وإنّما جلبَ الفاء لمخالفة الجزاء الشّرط بكونه مبتدأً وخبرًا والمبتدأ محذوف، كأنه قال: فالأمر والشّأن قد جَرَّ نفعًا، وقوله «أَنَّنا أَمِنَّا» يجوز فتح الهمزة وكسرها، فإذا كسرتَ الهمزةَ فهو على الاستئناف، ويكون جملة الكلام تفسيرًا لِلنَّفْعِ المستجدّ، وإذا فتحتَ الهمزةَ من «أنّنا» يكون الكلام بيانًا لِعِلَّةِ حصول النَّفع: أي لأنّنا أَمِنَّا، ويجوز أن يكون موضع «أنّنا أَمِنَّا» نصبًا على البدل من نفعًا، وقوله «على كلِّ الرَّزَايا» على: تعلّق بقوله «أمِنّا» يقال: هو آمِنٌ على كذا وقد أَمِنْتُ على مَالي عندَ فلانٍ من امتدادِ الأيادي إليه: أي لا تمتدُّ، وكذلك قوله «أمِنّا على كلِّ الرَّزَايا من الجَزَعِ» أي:

---

(١) عبد اللّه بن المقفّع: من أئمة الكتّاب، وأوّل مَن عُنِيَ بترجمة كتب المنطق، أسلم على يد عيسى بن عليّ عمّ السفّاح ووليَ كتابة الديوان للمنصور العباسي (ت ١٤٢ هـ/ ٧٥٩ م). ترجمته في: (أمراء البيان ص ٩٩؛ وأخبار الحكماء ص ١٤٨؛ ولسان الميزان ٣/ ٣٦٦؛ ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٨٢).

لا نجزعُ، ولا يجوز أن يتعلّق قوله «على كلّ الرّزايا» بقوله «من الجزع» لأنه لو كان كذلك لَكَانَ في صلته والصّلة لا تتقدّم على الموصول.

[٢٨٣] وقال بعض بني أسد[1]:

١ ـ بَكِّي عَلَى قَتْلَى العَدَانِ فَإِنَّهُمْ طَالَتْ إِقَامَتُهُمْ بِبَطْنِ بَرَامِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

العَدَان: من بني أسد ثمّ من بني نَصْر بنِ قُعَيْن، وأصل العَدَان في اللّغة ساحلٌ من السَّواحلِ، وبَرَام وخَزَام ببلاد بني عامر: أي طالت إقامتهم بمنهبطِ أرض بَرَام لأنّهم أموات.

٢ ـ كَانُوا عَلَى الأَعْدَاءِ نَارَ مُحَرِّقٍ وَلِقَوْمِهِمْ حَرَمًا مِنَ الأَحْرَامِ

مُحَرِّق: هو عمرو بن هند، ومحرِّق وإن كان صفة في الأصل فقد صار كالعَلَم له لاشتهاره في رجل واحد، وعلى هذا قوله: [الطويل]

عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ[2]

وقوله «حَرَمًا من الأحرام» نَكَّرَهُ لاختلاف الأَحرامِ، وهو حَرَمُ اللّهِ تعالى بمكّة والشّام وحَرَم رسول اللّه ﷺ بالمدينة.

٣ ـ لاَ تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنِّي وَاثِقٌ بِرِمَاحِنَا وَعَوَاقِبِ الأَيَّامِ

انتصب «جَزَعًا» على أنه مصدر لِعلّة، ولا يمتنع أن يكون في موضع الحال، يريد جازعة، وهذا الجزع الذي نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده، وإنّما يريد به الحزن لِسَلامةِ الواتر على مَرِّ الأيام لا غير، أَلاَ ترى أنه قال: فإني واثق برماحِنا، وقوله «وعواقب الأيام» يشير به إلى تغيّر الزّمان.

٤ ـ عَادَاتُ طَيٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ لَهُمْ رِيُّ القَنَا وخِضَابُ كُلِّ حُسَامِ

[٢٨٤] وقال آخر:

١ ـ نُعِي لِي أَبُو المِقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَكَّتْ عَلَيَّ المَسَامِعُ[3]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

اسْتَكَّت: استدّت فلم تسمعْ شيئًا، ويقولون: استكّتْ مسامِعُه من العَطَشِ ومن الجوع، ويستعيرون ذلك في كلِّ أمرٍ عظيم يَعْظُمُ عليهم، وإنّما يقولونه كالمستعار، لا أنَّ

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى في معجم البلدان (عدان) بلا عزو؛ والبيت الرابع في لسان العرب (طوأ) لابن أصرم.

(٢) هذا صدر بيت للحصين بن الحمام في الحماسية رقم ١٣٣ وعجزه: «وكان إذا يكسو أجاد وأكرما».

(٣) عند المرزوقي: «نَعَى لي أبا المِقدامِ».

المسامع تَسْتَكُّ في الحقيقة، قال: [الطويل]

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا المَسَامِعُ[1]

وأما قول عَبيد: [البسيط]

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ يَا لَهْفَ نَفْسِيَ لَوْ يَدْعُو بَنِي أَسَدِ

وإنَّما أرادَ أنهم لم يجيبوه فكأنهم صُمٌّ، وقوله «اسْوَدَّ منظري» أي أظلمت عَلَيَّ الأرضُ، و«اسْتَكَّتْ» من قولهم: بئرٌ سكوكٌ، إذا كانت ضيّقة الخَرْقِ، وقال أبو هلال: أي عَشِيتُ وصممْتُ لِشِدَّةِ الأمرِ الَّذي لَقِيتُ حين نُعِيَ لي، ومنه أخذ أبو تمام: [الطويل]

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا

٢ ـ وَأَقْبَلَ مَاءُ العَيْنِ مِنْ كُلِّ زَفْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ لَمْ تَسْتَطِعْهَا الأَضَالِعُ

الزَّفْرَةُ: النَّحِيبُ، وهو تَرَدُّدُ البكاءِ في الجَوْفِ، يقول: إنّها تشتدُّ حتى لا تستطيعها الأضالعُ.

[٢٨٥] وقال آخر:

١ ـ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فُجِعْتُ بِهِمْ خَلَّى لَنَا فَقْدُهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارَا

٢ ـ أَنْتَ الَّذِي لَمْ تَدَعْ سَمْعًا وَلاَ بَصَرًا إلا شَفًا فَأَمَرَّ العَيْشُ إِمْرَارَا

من ثاني البسيط، والقافية متواتر.

وقوله «فُجِعْتُ بهم» الجملة في موضع الصّفة لقوله أقوام، و«خَلَّى لنا هُلْكُهُمْ»[2] في موضع خبر كان، والشَّفَا: الباقي من الشّيء القليل، وقوله «لم يدعْ» بالياء هو أقيس الرّوايتين لأن الصِّلَةَ جاءت على حَدِّها مع الموصول، وإذا رَوَيْتَهُ بالتّاء فعلى الخطاب، وقال «سَمْعًا وأبصارًا» لأن السَّمْعَ اسمٌ للجنسِ فهو كالجمع.

[٢٨٦] وقال الشَّمَرْدَل بن شَرِيك[3]، أو نَهْشَلُ بن حَرِّيّ:

الشَّمَرْدَل: الطّويل من الناس وغيرهم، قال العِجْليّ: [الرجز]

سَامٍ كَجِذْعِ النَّخْلَةِ الشَّمَرْدَلِ

---

(١) البيت للنابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر.

(٢) هذه الجملة التي يفسّرها وردت في رواية المرزوقي وليس في هذه الرواية.

(٣) الشمردل بن شريك: من بني ثعلبة بن يربوع من تميم: شاعر هَجَّاء، يجيد القصيد والرجز وله في الصيد والطّراد أراجيز حسان (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في: معجم الشعراء للمرزباني ص ١٣٩؛ وسمط اللآلي ص ٥٤٤؛ والأغاني ١٣/ ٣٧٦، دار الكتب العلمية. ونسبة القصيدة إلى الشمردل هي الأصحّ فقد روى الأصفهاني في الأغاني أنه كان له أخ اسمه قدامة جاءه نعيه في يوم ثم تلاه نعي أخيه وائل بعد ثلاثة أيام فرثاهما بقصيدة هذا مطلعها.

يصف عنق بعير، والنهشل: الذئب، ومن أسمائه النَّهْسَر، وَالنَّهْصَر، وذؤالة، وذألان، وَنُشْبَة، والسِّرْحَان، والشَّيْذَمان، والشَّيْمُذَان، والخَيْتَعُور، والعَملَّس، وَالعَسَلَّق، والقِلَّوْبُ، والقلَّيب، والأطْلَس، والعَسَّال، والهَمَلَّع، والسَّمَلَّع، وربما سُمِّي هُذْلولاً، وأبو جَعْدة، وأبو جُعَادة، وذو الأجماع، وأبو مُعْطَة، وحَرِّيٌّ: منسوب إلى الحَرّ أو الحَرَّة.

١ ـ بِنَفْسِي خَلِيلايَ اللَّذَانِ تَبَرَّضَا دُمُوعِيَ حَتَّى أَسْرَعَ الحُزْنُ في عَقْلي

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

تعلق الباء من «بنفسي» بفعل مُضْمَر دلَّ عليه حَلِيَّةُ الحال، كأنه قال: أفدي بنفسي مَن أُخَالُه. ومعنى «تَبَرَّضَا» أفنيا دموعي شيئًا فشيئًا لأن التَّبَرُّض التبلّغ والتَّطَلُّب من هٰهنا وهٰهنا، وماء بَرْضٌ: أي قليلٌ، وبَرَضَ لي من ماله بَرْضًا، إذا أعطاكَ القليلَ، قال: [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنَّنِي وَطِلاَبَ سَلْمَى لَكَالْمُتَبَرِّضِ الثَّمَدَ الظَّنُونَا[١]

أي: بكيت عليهما حتّى قَلَّ دمعي فكأنّهما قلّلاه، والدّمع إذا جرى خَفَّفَ من الحزن، فلمّا قَلَّ أسرعَ الحزنُ في عقله فاختلط.

٢ ـ وَلَوْلاَ الأُسَى مَا عِشْتُ في النَّاسِ سَاعَةً وَلَكِنْ إذا ما شِئْتُ جاوَبَنِي مِثْلِي

قوله «في الناس» أي: مع الناس ومختلطًا بهم، فموضع «في الناس» نصب على الحال، والكلام جواب لولا، وخبر المبتدأ الذي هو الأُسَى محذوف اسْتُغْنِيَ عنه بجواب لولا، يقول: لولا أن لي بِالنّاسِ أُسوةً في مصائِبِهم فأورثني ذلك تماسكًا وصبرًا لقتلتُ نفسي فلم أعِشْ ساعة من عمري، ولكن متى شِئْتُ وجدتُ لِنفسي أقرانًا إن دعوتهم أجابوني وإنْ استسعدتُهم أسعدوني، قال الخليل: الإسعادُ يُسْتَعْمَلُ في المساعدة على البكاء خاصةً.

[٢٨٧] وقال أيضًا[٢]:

والمرثيُّ مالك بن حَرِّيّ أخو نَهْشَل، ويكنى أبا ماجد، قُتِلَ بِصِفِّين مع عليّ عليه السّلام وكان شجاعًا.

١ ـ أغَرُّ كَمِصْبَاحِ الدُّجُنَّةِ يَتَّقِي قَذَى الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهْ

---

(١) أنشده في المقاييس (برض) واللسان (ثمد) بدون نسبة.

(٢) القول هنا لا بدّ أن يعود إلى نَهْشَل بن حَرِّيّ لأنه هو أخو مالك الذي قُتِلَ بصفِّين. ونهشل: شاعر شريف مخضرم بقي إلى أيام معاوية وكان مع علي في حروبه. (الأغاني ٤/ ٣٥ و٩/ ٣٠٩، دار الكتب العلمية).

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الدُّجُنَّةُ: الظُّلْمَةُ، وليلةٌ مِدْجَانٌ، والدَّجْنُ: إلباسُ الغَيْمِ، ومَنْ روى «قذى الزّاد» بالذّال معجمة فإنه يريد أنه يزهد في خبائث الزّاد وما يشينُ أخذه إلى أن يستفيدَ الطّيِّبات منه، ويجوز أن يريد بقوله «قَذَى الزّاد» ما يُفِيءُ عليه غدرًا أو مَخَانة، ويشير بالطّيِّبات إلى ما كان من حِلّه ووجهه، لا عارَ في اكتسابه، ومَنْ رَوَى «قدى الزاد» فالقَدَى: الرائحة الطَّيِّبة، يقال: قِدْرٌ قَدِيَّةٌ، إذا كانت طيّبة الرائحة: أي لا يتشمّم الزّاد ورائحته حتى ينتقيه طَيِّبًا، والأوّل أجود، وذلك أنه أراد بالقذى الخبيث، وقد طابق الطّيب به.

٢ - وَهَـوَّنَ وجْـدِي عَـنْ خَـلِـيـلِـيَ أَنَّـنِـي إذا شِـئْـتُ لاَقَـيْـتُ امْـرَءًا مَاتَ صـاحِبُهْ

٣ - أخٌ مَـاجِـدٌ لَـمْ يُـخْـزِنِـي يَـوْمَ مَـشْـهَـدِ كَـمَا سَـيْـفُ عَـمْـرٍو لَـمْ تَـخُـنْـهُ مَـضـارِبُـهْ

«لم يخزني» أي لم يُهِنِّي، من الخزي وهو الهَوَانُ، أو لم يُخْجِلْني، من الخزاية وهو الاستحياء، «يوم مشهد»: يوم اجتماع الناس، و«سيف عمرو»: هي الصَّمْصَامة، وخيانة السيف: النَّبْوَة عند الضّرِيبة، وكان سيف عمرو لا ينبو؛ فاستوهبه عمر بن الخطاب فوهبَهُ له، فقيل لِعُمَر: إنه غَيَّره وإنه ضَـنٌّ بالصَّمصامة، فذكر عمر ذلك، فغضب عمرو بن مَعْدِيكرب وقال: هاته، فأخذه ودخل دار إبل الصَّدقة فضربَ عنق بعيرٍ بضربة واحدة فأبانَها، وقال: إنّما أعطيتُكَ السَّيْفَ لا السَّاعدَ، وارتفع قوله «أخ ماجد» على أنه خبر مبتدأ مضمَر، وقوله «كما سيف عمرو» لو رُوِيَتْ «كما سَيْفِ عمرو» بالجرِّ لجاز، وتجعل «ما» صلة، والسيف ينجرُّ بالكاف، ومثله قوله: [الطويل]

كَمَا العَظْمِ الكَسِيرِ يُهَاضُ حَتَّى[(١)]

وإن رفعته كان مبتدأ، وكذلك السيف، وتكون «ما» الكافّة، كقوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(٢)] والضمير من قوله «لم تَخُنْهُ» يرجع إلى عمرو، وإن شئتَ إلى السّيف.

[٢٨٨] وقال الأسود بن زَمَعَةَ بن المطلب بن نَوْفَل[(٣)]:

يرثي ابنه زَمَعَةَ بن الأسود، وقُتِلَ يوم بدر مع قريش مشركًا، وفي نسخة «المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى»، وزَمْعَة اسم الرّجل: مأخوذ من قولهم لِهُنَيَّةٍ تكون في

(١) هذا صدر بيت للقطامي في ديوانه ص ٣٧ يمدح به زفر بن الحارث وعجزه: «يَبِتَّ وإنّما بلأ انْصِداعا».

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢.

(٣) هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: اللّهمّ أعمِ بصرَه وأثكله ولده». السيرة ص ٢٧٢؛ والصواب في ابن زمعة: أبو زمعة فزمعة ولده.

ظِلْفِ الشَّاةِ من خلفه: زَمَعَة وَزَمَعٌ في الجميع، واسْتُعِيرَ ذلك في غير الظِّلف، قال دريد بن الصِّمَّة: [الرجز]

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهُ شَاةٌ صَدَعْ

وزعم قومٌ أنه يقال لِكلإٍ ليس بالكثير: زَمَعَة، وكذلك للنهر الصغير والمَسِيل الضَّيِّق، وقالوا للرجل الدنيء: هو من زَمَع القوم، شبّهوه بالتي تكون في الظلف، قال: [الوافر]

جَرَاثِيمٌ حَمَيْنَ ذمَارَ نَجْدٍ وَأَنْتَ تُعَدُّ في الزَّمَعِ الدَّوَانِي

١ ـ أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

«أتبكي» لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار.

سبب هذه الأبيات أنَّ قريشًا كانت حَرَّمَتِ البكاءَ على قَتْلاَهَا يوم بدر، وقالوا: يشمتُ بنا محمّد وأصحابه، ولا نبكي قتلانا حتى نأخذَ بثأرهم، وكان الأسود بن زَمَعَة يحب ابنه زَمَعَة، وكان قد أُصِيبَ له ثلاثة بنين: زَمَعَة، وعقيل، والحارث، وأحبَّ أن يبكي عليهم، ولم يحبّ أن يخالفَ قومه، فسمعَ يومًا بكاءَ ناشدَةٍ بعيرًا، فقال لقائِدِه وكان قد كُفَّ بَصَرُه: انظرْ ما هذا البكاء لعلَّ قريشًا بَكَتْ على قَتْلاَهَا فأبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فقد احْتَرَقَتْ كَبِدِي، فقال: هذا بكاءُ امرأةٍ تنشدُ بعيرًا لها أَضَلَّتْهُ فأنشأ يقول الأبيات.

٢ ـ فَلاَ تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الجُدُودُ

البَكْرُ: الفَتِيُّ من الإبلِ، والجمع بِكَارة، وقوله «تقاصرت الجدودُ» أي: تواضعت الحظوظ، ومعناه أنه يستهينُ فَقْدَ المالِ ويستعظمُ فَقْدَ النفوسِ، وتقاصَرَتْ: تفاعلَتْ من القُصُور والعَجْزِ، لا من القِصَرِ الذي هو ضدّ الطّول، كأنها تَبَارَتْ في القُصُور، يدلُّ على ذلك أنه يقال: قَصَرْتُ كذا على كذا: أي حَبَسْتُه عليه ومَنَعْتُه من الذَّهابِ عنه، حتى صار كالعاجزِ عن غيره، ويقال أيضًا: قَصَرْتُهُ على كذا؛ إذا رَدَدْتَه إلى دون ما أراد، ومنه القَصْرُ في الصّلاة، ويقال: تَقَاصَرَتْ إلى فلان نفسُه ذلاًّ، وقصرَ السَّهمُ عن الهدفِ فهو قاصرٌ، ولا يمتنع ـ وإن كان الأوّل هو الوجه ـ أن يجعل من القِصَرِ ويكون ضدّ تطاولت، ويكون «على» موضوعًا موضع الباء، كما يقال: هم على ماءِ كذا، وهم بماء كذا، وقال أبو هلال: تقاصرت الجدودُ: أي عثرَتْ، والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر، والعثار في الجد مَثل، وكذلك التقاصر، ويجوز أن يقال: إنه أراد بالجدود الأعمار: أي

تقاصَرَتْ أعمارُ مَن قُتِلَ ببدر، يعني أنه قتل مَنْ قتل من المشركين فذهب بهم عِزّ قريش: أي لا تبكي على بكرٍ وابكي على مَنْ تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا، وكانت بدر سوقًا من أسواق العرب، تقوم ثمانية أيام من ذي القعدة، وكانت وقعة بدر في رمضان السنة الثانية من الهجرة.

٣ - أَلاَ قَـدْ سَـادَ بَـعْـدَهُـمْ رِجَـالٌ   وَلَـوْلاَ يَـوْمُ بَـدْرٍ لَـمْ يَـسُـودُوا

يُعَرِّضُ بأبي سفيان بن حرب؛ لأنّه رَأَسَ قريشًا لمّا قُتِلَتْ أشرافُهم.

[٢٨٩] وقال رجلٌ من بني أسدٍ(١):

وذكروا أن رجلين من بني أسد خرجا إلى أصبهان فآخيا دِهْقَانًا بها في موضع يقال له رَاوَنْد، فمات أحدهما، وغبر الآخر والدِّهقان ينادمان قبره: يشربان كأسين ويصبّان على قبرِه كأسًا، فمات الدِّهقان، فكان الأسديّ يُنادِم قبريهما ويترنّمُ بهذا الشّعر، وكان يشربُ قدحًا ويصبُّ على قبريهما قَدَحَيْن.

١ - خَلِيلَيَّ هُبَّا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا   أَجِدَّكُمَا لاَ تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «طالما» يجوز أن يكون «ما» الكافّة، وقد ركب مع «طال» تركيبًا واحدًا حتى صارا معًا كالشيء الواحد، ويجوز أن يكون «ما» منفصلاً من طال، ويكون مع الفعل الذي بعده في تقدير المصدر، كأنه قال: طال رقودكما، فإذا كتب للركب مع ما يجب أن يوصل أحدهما بالآخر، وإذا كتب الثاني فصل بين طال وبين ما، و«أجِدَّكُما» انتصبَ علىٰ المصدر، ذكره سيبويه فيما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله، ومثله في الاستفهام: أجِدَّكَ لا تفعل كذا، كأنه قال: أجِدًّا، غير أنه لا يُستَعمل إلاّ مضافًا، فهو يجري في التأكيد مجرى حَقًّا، وفي الإضافة مجرى جَهْدَكَ ومعاذ اللّه، والمعنى أتجعلان فِعْلَكُما جدًّا، وطالما قد يكتفى به إذا كان المتقدّم من الكلام يشتمل على ما قد استطيل، وعلى ذلك عَزَّمَا وَشَدَّمَا.

٢ - أَلَمْ تَعْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدَ كُلِّهَا   وَلاَ بِخُزَاقٍ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا

«ألم تعلما» هو لم أدخل عليه ألف الاستفهام، والاستفهام كالنفي في أنه غير موجب، ونفي النَّفْي إيجابٌ، لذلك قرن بألم فيما كان واجبًا واقعًا لأنه يتضمّن من التحقيق والتثبيت في التقرير وتأكيد المقرَّر على المخاطب مثل ما يتضمّنه القَسَم لو أتى

---

(١) روى ياقوت في (معجم البلدان ٣/ ٢٠) القصّة والشعر، وقال: «قال بعضهم: إن هذا الشعر لقُسّ بن ساعدة الإيادي، وقال آخرون: هذا الشعر لنصر بن غالب يرثي أوس بن خالد وأُنَيْسًا».

به بدله، لذلك عقبه بما يعقب به القسم، وهو «ما» النافية، وكذلك: اللّه يعلم، ويعلم اللّه، ويشهد اللّه، واللّه يشهد، يستعمل استعمال الأيمان؛ وكذلك قول القائل: [الكامل]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّةٌ ... مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلاَ عَدَمُ

فقوله «ولقد عَلمتُ» جارٍ مجرى اليمين فيما ذكرتُ من التأكيدِ، ولولا ذلك لما عُقِّبَ بما يكون جواب اليمين، وقوله «ألم تعلما» أصله تعلمان، ودخلت ألم للتقرير، وقوله «ما لي براوندَ من صديق» في موضع المفعول لتعلمان، لأن تعلم هذه في موضع تعرف، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾[1] وكذلك «لقد علمت لَتأتينَّ» ودخلت علمت لِيُؤَكَّدَ بها؛ لأنَّكَ أخرجتَ الكلام بها من أن يكون على سبيل التَّظَنّي أو من خبر مخبر فيكون إحالة عليه، واللاّم من «لتأتين» له الصّدر فيمنع علمت من العمل. وإذا كان كذلك كان موضع لتأتينَّ نصبًا على أنه مفعول علمت، وقوله «من صديقٍ» في موضع الرَّفع على أن يكون اسم ما، وفائدة «من» الاستغراق، و«سواكما» في موضع غير وهو صفة لصديق.

٣ ـ أصُبُّ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ ... فَإلاَّ تَنَالاهَا تُرَوِّ جُثَاكُمَا

ويُرْوَى «فإن لم تذوقاها أَبُلُّ ثَرَاكُما» وقوله «من مُدَامَةٍ» موضعه نصب على أنه مفعول أَصُبُّ، ومن: للتبعيض، وقوله «أَبُلُّ» يجوز أن تبنيه على الفتح والضَّمّ والكَسْر؛ لأنكَ تدغم وإن كان معربًا فيلتقي بنقل الحركة عن العين إلى الفاء ساكنان، ثم تبني على الكسر لأنه الأصل في التقاء السّاكِنَين، أو على الفتح لخفّته، أو على الضمّ للإتباع، ولا خلاف في إدغام المعرَب من كلِّ العرب، فأما المبنيّ فبعض يظهر التّضعيف فيه، فيقول: اردُدْ، وبعض يقول: رُدَّ، فيدغم، وإن كان مبنيًّا، إلا أنَّ الأصل في الإدغام للمُعْرَب، ثم حمل المبني عليه، فاعلمه، والجثا: جمع جُثْوَة، وهو التّراب المجتمع، ويقال للقبر جُثْوَة، وجمعه جُثًا؛ قال عديّ بن زيد: [الخفيف]

عَالِمٌ بِالَّذِي يُرِيدُ نَصُوحُ الْـ ... ـجَيبِ عَفٌّ عَلَى جُثَاهُ نَحُورُ

أراد أنه مُقِيمٌ في مُلْكِهِ لأنه وَرِثَهُ عن آبائه، وهذا كما قال حسان: [الكامل]

أَوْلاَدُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ ... قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

ويجوز أن يكون الشّاعر أراد أنه ينحرُ على القبور لإطعام النّاس، كما يفعله أهل هذا العصر من الصَّدَقة عن الميت.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

٤ ـ أُقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا ... طِوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبَ صَدَاكُمَا

«لستُ بارحًا» في موضع الحال، كأنه قال: أُقيمُ مُلازمًا أبدًا، وطِوَالَ: انتصبَ على الظرف، والعاملِ فيه يجوز أن يكون «بارحًا»، ويجوز أن يكون «أُقيم»، وقوله «أو يجيب» أو: بدل من إلاّ، والفعل بعده انتصب بأن مُضْمَرة، والعرب تقول: عظام الموتى تصيرُ أَصْدَاءَ وهَامًا، لذلك قال: أو يجيب.

٥ ـ وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى المَمَاتِ وَمَا الَّذِي ... يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ أَنْ بَكَاكُمَا

يُرْوَى «أَنْ بَكاكما» و«إِنْ بكاكما» فإذا فتحتَ الهمزةَ يكون موضعه من الإعراب الرفع على أن يكون فاعل يردُّ، لأن «أَنْ» مع الفعل في تقدير المصدر، وإن رويتَ «إِنْ» بكسر الهمزة كان شرطًا وجوابه يدلُّ عليه «أبكيكما» من مصدره، كأنه قال: وما الذي يردّ البكاء على ذي عَوْلةٍ إنْ بكاكما، ومنه «مَنْ كَذَبَ كان شَرًّا له، ومَنْ صَدقَ كان خيرًا له» أي: كان الكذب شَرًّا له، وكان الصّدق خيرًا له، والعويل: صوت الصَّدْرِ، ومنه العَوْلَة، وقد أعولَتِ المرأةُ.

٦ ـ جَرَى النَّوْمُ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالجِلْدِ مِنْكُمَا ... كَأَنَّكُمَا سَاقِي عُقَارٍ سَقَاكُمَا

[٢٩٠] وقال عبد الملك بن عبد الرَّحِيم الحارثيّ، يكنى أبا الوليد:

وهو شاميّ، كَلاميّ[(١)]، شاعر.

١ ـ إِنِّي لأَرْبَابِ القُبُورِ لَغَابِطٌ ... بِسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ المَقَابِرِ

الثّاني من الطويل، والقافية متدارك.

سُكْنَى: مصدر كَعُذْرَى وَبُشْرَى، وهو أن تُسْكِنَ إنسانًا منزلاً بلا كِرَاءٍ، والمنزل سَكَنٌ ومَسْكَنٌ، ومعنى البيت إني أغبطُ الموتى بحصولِ سعيد فيما بينهم.

٢ ـ وَإِنِّي لَمَفْجُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ ... عُدَاتِي وَلَمْ أَهْتِفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ

«سواه بِناصرِ» في موضع النَّصْب على أنه استثناء مُقَدَّم.

٣ ـ فَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ ... وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَصْلُ حَرَّانَ ثَائِرِ

النَّصْلُ: اسم حديدة السَّيف، لذلك صَلُحَ إضافته إلى سيفِه، وإن كان قد يُسْتَعْمَلُ استعمالَ السَّيف، يقول: كنتُ كَمَنْ غُلِبَ على عدّته أشدّ ما كان حاجةً إليها.

٤ ـ أَتَيْنَاهُ زُوَّارًا فَأَمْجَدَنَا قِرَى ... مِنَ البَثِّ وَالدَّاءِ الدَّخِيلِ المُخَامِرِ

---

(١) جاء في حاشية المرزوقي ص ٨٧٩ (هذه الكلمة محرَّفة عن «كَلاعي»، قال السمعاني في الأنساب (١٤٨٢): «هذه النسبة إلى قبيلة يقال لها كَلاع نزلت الشام، وأكثرهم نزل حمص»).

يقال: أَمْجَدَنَا من كذا: أي أكثرَ لنا منه، وَأَمْجَدْتُ الدَّابَّةَ، إذا أكثرتَ عَلَفَها، يقول: أَكْثَرَ قِرَانَا من الحزنِ والدَّاءِ المُتَمَكِّن من القلب، والمخامرُ: مأخوذٌ من الخَمَرِ، وهو ما واراكَ من الشَّجَرِ، ولمّا جعله مَزُورًا أقامَ له قِرًى لِزائره على عادته وهو حَيٌّ.

٥ - وَأُبْنَا بِزَرْعٍ قَدْ نَمَا في صُدُورِنَا ... مِنَ الوَجْدِ يُسْقَى بِالدُّمُوعِ البَوَادِرِ

نَبَّهَ بهذا الكلام على أنَّ حزنَه يزيد على مَرِّ الأيام، فهو كالزَّرْعِ النَّامي، وأنَّ سُقْيَاهُ الدّموع، والبوادر: المستبِقة لِكَثْرَتِها وغَلَبَتِها، وأصلُ الزَّرْعِ الإنباتُ، والزّرعةُ: البَذْرُ، ويقال: زُرِعَ لِفلانٍ بعد شقاءٍ، إذا أصابَ مالاً بعد الحاجة.

٦ - وَلَمَّا حَضَرْنَا لاقْتِسَامِ تُرَاثِهِ ... أَصَبْنَا عَظِيمَاتِ اللُّهَى وَالمَآثِرِ

اللُّهَى: أفضلُ العطاءِ وأجْزَلُها، والواحدة لُهْيَةٌ ولُهْوَةٌ، ومنه اللُّهْوَةُ التي تُلْقَى في الرَّحَا، والمآثِرُ: جمع مَأْثُرَةٍ، وهو ما يُؤْثَرُ من المحامدِ: أي لمّا حضرْنا وَجَدْنا المكارمَ والمفاخرَ ما خلفه دون المال.

٧ - وَأَسْمَعَنَا بِالصَّمْتِ رَجْعَ جَوَابِهِ ... فَأَبْلِغْ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ

رَجْعُ جوابِه: أي مرجوعُ جوابِه، كما قال غيره: اسأل الأرضَ مَنْ شَقَّ أنهارَكِ، وغرسَ أشجارك، وجَنَى ثمارك؛ فإن لم تجبْكَ حِوَارًا، أجابتك اعتبارًا؛ وهذا مأخوذٌ من كلام بعض اليونانيين حين مات الإسكندر وقف عليه فقال: طالَ مَا وَعَظَنا هذا الشَّخْصُ بِكلامه، وَهُوَ لنا اليوم بسكوتِه أوْعَظُ، وقد أجاد أبو العتاهية حيث يقول: [الوافر]

وَكَانَتْ في حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا(١)

وقال صالح بن عبد القدّوس: [الخفيف]

مَا الَّذِي عَاقَ أَنْ تَرُدَّ جَوَابَا ... أَيُّهَا المِقْوَلُ الأَدِيبُ الأَرِيبُ
ذُو عِظَاتٍ وَمَا وَعَظْتَ بِشَيْءٍ ... مِثْلَ وَعْظِ السُّكُوتِ إِذْ لاَ تُجِيبُ

[٢٩١] وقالت امرأة من بني شَيْبَانَ:

١ - وَقَالُوا: مَاجِدًا مِنْكُمْ قَتَلْنَا ... كَذَاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

انتصب «ماجدًا» على أنه مفعول مُقَدَّم، ومنكم: في موضع الصّفة له، وموضع «ماجدًا منكم قتلنا» موضع المفعول لقالوا، وقوله «كذاك الرّمح يَكْلَفُ بالكريم» جواب لهذا الابتداء، كأنه فأجيبوا الرّمحُ يَكْلَفُ بالكريم كذاك، فأُشِيرَ بذاكَ إلى الخبر الذي

(١) البيت لأبي العتاهية في البيان ١/ ٤٠٧؛ والأغاني ٣/ ١٤٢.

اقْتَصُوهُ، والكاف من «كذاك» كاف الخطاب لا موضعَ له من الإعراب، وتلخيصُ الكلام: الرُّمْحُ يَكْلَفُ بالكِرام كَلَفًا مثل ذلك الكَلَف، والعامل في «كذاك» يكلف، والمعنى تنادَوْا ماجدًا منكم قتلنا، فأجيبوا الرّمح يعشقُ الكرام ويُولَعُ بهم مثل ذاك، وأكثر ما يجيءُ الجواب في أثر السّؤال من واحد في القرآن كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1].

٢ - بِعَيْنِ أُبَاغَ قَاسَمْنَا المَنَايَا ... فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ القَسِيمِ

«قاسَمْنا المنايا» يجوز بفتح الميم على أن تكون المنايا فاعلة، وقاسَمْنا بسكون الميم على أن تكون المنايا مفعولة، قال أبو العلاء: أُبَاغُ: يجب أن يكون من الأبغ، وهو لفظ ممات، ويجوز أن تكون الهمزة مبدلة من الواو، لأنهم قالوا وَبَغْتُهُ إذا عِبْتَهُ، وقيل: إن الوَبْغَ فسادٌ في ريشِ الطَّائر أو وَبَرِ البعير، وقسيم الإنسان: هو الذي يُقَاسِمُه، كما أن شَرِيبَهُ الذي يُشَارِبُه، والقسيمُ في البيت واقع في الحظّ الذي هو قسم للمنايا فوضعته في موضع القسم؛ لأنَكَ إذا قلتَ: قاسمتُ فلانًا فأخذَ قسمه، فقسمه الذي يقسم وهو مفعول، وجاز أن يجعل قسيمًا في معنى مقسوم لأن الغرضَ ذلك، وَقاسَمَ يقتضي مفعولاً آخر، كأنه قال: قاسمنا المنايا النّاس والأصحاب، وقال النّمريّ: عين أُباغ موضع كانت فيه وقعة لهم، وقوله «قاسمنا المنايا» أي أخذت بعضًا وتركتْ بعضًا فكان مَن أخذت خيرًا مِمَّنْ تركت لأنّها أخذت من كان أشدّ فَتْكًا وأعظم جراءة، قال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المثل «غاط بن باط»، ولم ينصفْ، أي باطل بن باطل، خلطَ في هذا التفسير، وذلك أنه لم يَعْرِفِ القصّة وكم المرثيّ أواحدٌ أم اثنانِ أم جماعة، ومعنى البيت: إنَّ المنايا لَمَّا قاسمتهم أخذت قسمها خير قسم، وهما المرثيّان بهذا البيت، ولم يأخذْ هؤلاء من المنايا شيئًا، لم ينتصفوا منها، وهذا مثل قول الآخر: [الطويل]

إذَا مَا المَنَايَا قَاسَمَتْ بابْنِ مِسْحَلٍ ... أَخًا وَاحِدًا لَمْ يُعْطَ نَصْفًا قَسِيمُهَا
فَـآبَ بِـلاَ قِسْمٍ وآبَتْ بِقِسْمِهِ ... إلَى قِسْمِهَا لاَقَتْ قَسِيمًا يَضِيمُهَا

وهذا الشّعر لبنت فَرْوَةَ بن مسعود ترثي فروة وقيسًا ابني مسعود بن عامر بن عمر بن أبي ربيعة وقَتِلاَ مع المنذر ذي القرنين يوم عين أُباغ يوم قتل المنذر، وكان الذي قتل المنذر شَمِرَ بن عمرو الحنفيّ وكان مع الحارث بن أبي شمر الغسّانيّ وهو المنذر بن امرىء القيس وأمّه ماء السّماء النّمريّة، وهو يوم يقول المنذر: كريمٌ وَافَى مصرعه.

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

[٢٩٢] وقال عُتَيُّ بن مالك العقيليّ:

قال أبو الفتح: عُتَيّ يجوز أن يكون تحقير عات على الترخيم، وأن يكون تحقير عتوّ، قال: ولا أقول إن المصدر يحقر، لكنه سُمِّيَ به ثم حُقِّرَ كما يحقر الفَضْل فُضَيْلاً، وَالعَلاء عُلَيًّا، وأصل تحقير عُتُو عُتَيِّيٌ بثلاث ياءات فحُذِفَتِ الآخرة كما حُذِفَتْ من تحقير أَحْوَى أُحَيّ، وحكى أبو الحسن أنَّ منهم مَن يقول: إن المحذوفة في تحقير عطاء إذا قلت عُطَيٌّ هي الوسطى، ويجب أن يكون ذهب إلى ذلك من حيث كانت زائدة، ولا يجوز أن يذهب إلى ذلك في نحو تحقير أَحْوَى لأن الوسطى هنا عين.

١ ـ أَعَدَّاءُ مَنْ لِلْيَعْمَلاتِ عَلَى الوَجَى وأَضْيَافِ لَيْلٍ بَيَّتُوا لِنُزُولِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

ناداه مُسَائِلاً له على طريق التّوجُّع، واليَعْمَلاَتُ: النُّوقُ السِّرَاعُ، والوَجَى: هو الحَفَاءُ، واليَعْمَلَةُ: النَّاقةُ التي تصبرُ على العمل والسَّيْرِ؛ لأنهم يقولون: أعملت الناقة، إذا ركبتها في السفر، وقال الخليل: اليعمَلَة لا يُوصَفُ بها إلا النوق، وقال غيره: يقال للجمل «يَعْمَل» اسم له من العمل، كما يقال: يعمَلة، وأنشد: [البسيط]

إذْ لاَ أزَالُ عَلَى أقْتَادِ نَاجِيَةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أوْ يَعْمَلٍ جَمَلِ(١)

أراد أو جملٍ يَعْمَلٍ، وموضع «على الوَجَى» نصب على الحال، كأن فناءه كان مَأْلَفًا للأضياف ومجمعًا للعُفَاةِ، وقوله «بيَّتُوا» أي: بَيَّتُوا الحيَّ لينزلوا ويضافوا.

٢ ـ أَعَدَّاءُ مَا لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ وَلاَ لِخَلِيلٍ بَهْجَةٌ بِخَلِيلِ

البهجةُ على ضَرْبَيْنِ: أحدهما السّرور، والآخر الحَسَن، رجلٌ بَهِجٌ مسرورٌ، وبهجٌ وبهيجٌ حسن.

٣ ـ أَعَدَّاءُ مَا وَجْدِي عَلَيْكَ بِهَيِّنٍ وَلاَ الصَّبْرُ إنْ أُعْطِيتُهُ بِجَمِيلِ

[٢٩٣] وقال أيضًا:

والوزن واحد.

١ ـ كَأَنِّيَ وَالعَدَّاءَ لَمْ نَسْرِ لَيْلَةً وَلَمْ نُزْجِ أَنْضَاءً لَهُنَّ ذَمِيلُ

أي: كأنّي وإيّاه لم نجتمعْ في مسيرٍ قَطُّ.

أدخل الألف واللاَّم على «العدّاء» لأنه صفة في الأكل كالحسَن والعباس، وإذا أتيت به بلا ألف ولام فلأنّكَ جَعَلْته عَلَمًا فصار معرفةً بالعلميّة، وإذا أدخلتَ الألف واللاَّم عليه

---

(١) البيت بلا نسبة في تاج العروس (عمل)؛ وعند المرزوقي ص ٨٨٤.

فإنكَ راعيتَ حاله وهو صفة ثم جعلتها نفس المُسَمَّى وأدخلت الألف واللاَّم عليه؛ فعلى الأول لا يفيد الاسم في المسمّى شيئًا أكثر من تمييزه عن غيره، وعلى الثّاني أفاد معنى الوصفيّة فيه مع التمييز، فصار كالصّفات الغالبة الجارية مجرى الألقاب في التّخصيص، والإزجاءُ: السَّوْقُ، والذَّمِيلُ: ضربٌ من السَّيْرِ وهو أعلى من العَنَقِ، وقوله «لم نُلْقِ رَحْلَيْنَا» لو قال «رحالنا» لكونهما اثنين من اثنين فجرى مجرى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1] كان أدخل في الاستعمال، لكنه أتى به على الأصل، وقوله «ولم نَرْمِ جَوْزَ اللَّيل حيث يميلُ» أراد حيث يميل اللّيل، وحيث هذا: ظرف زمان، يريد: فكأنّا لَم نَرْمِ بأنفسِنا جوزَ اللّيلِ حيث يميلُ: أي وَقْتَ مَيْلِهِ، يشيرُ إلى جنوحِه وإشرافِه على تَهَوُّرِه، وممّا جاء فيه وهو للزّمان دون المكان عند أبي الحسن الأخفش قوله: [المديد]

لِـلْـفَـتَـى عَـقْـلٌ يَـعِـيـشُ بِـهِ حَـيْـثُ تَـهْـدِي سَـاقَـهُ قَـدَمُهْ[2]

لأنَّ المعنى للفتى عقل يعيش به مُدَّةَ سَعْيِهِ وحياتِه ونهوضِه بساقِه في أمره، ويجوز أن يكون «حيث» ظرفًا لمكان، ويكون المعنى: إنّا نعتسفُ الطَّريقَ فحيث مالَ اللّيلُ مِلْنَا معه.

٢ ـ وَلَـمْ نُـلْـقِ رَحْـلَـيْـنَـا بِـبَـيْـدَاءَ بَـلْـقَـعِ وَلَـمْ نَـرْمِ جَوْزَ اللَّـيْـلِ حَـيْـثُ يَـمِـيـلُ[3]

[٢٩٤] وقال أبو الحَجْناءِ[4]:

هو تأنيث الأحجن، وهو الأعرج، ومنه المِحْجَن للعصا العوجاء الرّأس كالصّولجان يُهْصَرُ بها أطراف الشّجر ونحوها، وتكسير أحجن وحجناء حُجْن.

١ ـ أَضْـحَـتْ جِـيَـادُ ابْـنِ قَـعْـقَـاعٍ مُـقَـسَّـمَـةً فِـي الأَقْـرَبِـيـنَ بِـلاَ مَـنٍّ وَلا ثَـمَـنِ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

القعقاع والقعقعانيّ في اللّغة: هو الذي إذا مَشَى سُمِعَ لمفاصِله تقعقعٌ، وأراد بالأقربين وُرَّاثَهُ.

٢ ـ وَرَّثْـتَـهُـمْ فَـتَـسَـلَّـوْا عَـنْـكَ إِذْ وَرِثُـوا وَمَـا وَرِثْـتُـكَ غَـيْـرَ الـهَـمِّ وَالـحَـزَنِ

السُّلُوُّ: طِيبُ النَّفْسِ عن الشَّيءِ، والتَّسَلّي: تَكَلُّفُ السّلوان، ووَرَّثْتُ الرجل وأورثته بمعنى واحد، وقال أبو زيد: وَرَّثْتُ الرَّجُلَ، إذا أدخلتَه في الميراثِ ولا حَقَّ له فيه.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤. (٢) البيت لطرفة في ديوانه ص ١٩.

(٣) الملاحظ أنه قد فَسَّرَ هذا البيت مع البيت السابق وقبل أن يذكره.

(٤) أبو الحجناء: هو نُصَيْب الأصغر، مولى المهدي: شاعر مجيد، من الموالي السود من بادية اليمامة، اشتراه المهدي العباسي قبل أن يلي الخلافة وأعتقه. (ت نحو ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م). ترجمته في: فوات الوفيات ٢/٣٠٧؛ وإرشاد الأريب ٧/٢١٦؛ والأغاني ٢٣/٥، دار الكتب العلمية.

[٢٩٥] وقال آخر:

١ - لَنِعْمَ الفَتَى أضْحَى بِأكْنَافِ حَائِلٍ غَدَاةَ الوَغَى أُكْلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

محمودُ «نِعْمَ» محذوفٌ، كأنه قال: نِعْمَ الفَتَى فتًى أَضْحَى، وانتصبَ «أُكْلَ» على أنه خبر أضحى، و«بأكناف حائلٍ» ظرف مكان، و«غداة الوَغَى» ظرف زمان، وتعلّقا جميعًا بأضحى، ويجوز أن يجعل «بأكناف حائل» الخبر، وينتصب «أكْلَ» على الحال، ولا يمتنع أن ينتصب «غداة» بما دلَّ عليه «بأكناف حائل» من الفعل المضمَر، ويجوز أيضًا أن يكون العامل فيه «أكل» لأنه ليس بمصدر فلا يعمل ما في صلته فيما قبله، والأُكْلُ: الطُّعْمُ، وإضافته إلى الرُّدَيْنِية لم يُفِدْ فيه اختصاصًا، أَلاَ ترى أنَّ فائدته وهو مضاف مثل فائدته لو نُوِّنَ فقال: أُكلاً لِلردينية، ومعنى البيت محمودٌ في الفتيان فَتًى حصل بجانب هذا الوادي غداةَ الحرب طعمًا للردينية السّمر، واللاَّم من «لَنِعْمَ» جواب قَسَم مُضْمَر.

٢ - لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيتَ غَيْرَ مُزَلَّجٍ وَلاَ مُغْلِقٍ بَابَ السَّمَاحَةِ بِالعُذْرِ

اللاَّم في «لَعَمْري» لام الابتداء، وخبر المبتدأ محذوف، كأنه قال: لقد أهلكت غير ضعيف ولا جبان وقت المدافعة والممانعة، والمُزَلَّجُ: النَّاقص المروءة، وأصلُه في صغر الجسم وقلّة الطَّعم، والزّلج: السّرعة في المشي، فرسٌ زَلوجٌ: سريعٌ في المَشْي: أي هلكت وأنت سخيّ تام المروءة غير بخيل يعتذر إذا طلب منه الشّيء ولا يبذله.

٣ - سَأَبْكِيكَ لاَ مُسْتَبْقِيًا فَيْضَ عَبْرَةٍ وَلاَ طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ

«عاقبة الصَّبْر» السُّلُوّ والأَجْر، يقول: لا أسلو للأجْر ولا أستبقي الدموع.

[٢٩٦] وقال خَلَفُ بن خليفة:

١ - أُعَاتِبُ نَفْسِي أنْ تَبَسَّمْتُ خَالِيًا وَقَدْ يَضْحَكُ المَوْتُورُ وَهْوَ حَزِينُ

ثالث الطويل، والقافية متواتر.

انتصب «خاليًا» على الحال من «أُعاتبُ» و«أن تَبَسَّمْتُ» بفتح الهمزة معناه لأن تبسّمت ومن أجل تبسّمي، ولكَ أن تكسرَ الهمزة من «أن» فيكون شرطًا، ويكون جوابه ما دلَّ عليه «أُعاتبُ نفسي»، والمعنى: إذا خَلَوْتُ بنفسي أعاتبها لما يَتَّفقُ منها من متابعة النّاس على تصرّفهم في المؤانسة وقد يتبسّم الموتور من غير سرور، وأصلُ الوِتر النّقصان، وذلك أنه ناقص عن الشّفع؛ والموتور: الذي نقصَ من مالٍ أو عدد.

٢ - وَبِالدَّيْرِ أَشْجَانِي وَكَمْ مِنْ شَجٍ لَهُ دُوَيْنَ المُصَلَّى بِالبَقِيعِ شُجُونُ

الأشجان: جمع شَجَن، وهو الحزن في أدنى العدد، والشّجون جمعه الكثير،

دُوَيْن: تصغير دُون: أي دون المُصَلّى بقليل، ولا يقال عُنَيْد في تصغير عِنْدَ لأنَّ عند عبارة عن غاية القرب، يقول: بهذه المواضع حاجاتي وهمومي وكم من حزين له هناك هموم وأحزان.

٣ ـ رُبًا حَوْلَها أمْثالُها إن أتيْتَها ... قَرِيْنَكَ أشْجانًا وهُنَّ سُكُونُ

«رُبًا» موضعه رفع على أنه بدل من قوله «شجون» ويعني به القبور المُسَنَّمَة، و«حولها أمثالها» صفة للرّبا، وما أشار إليه من المماثلة، و«قرينك أشجانًا» يعني القبور إذا جئتها لا يقرينك غير الغمّ، «وهنَّ سكون» أي: ساكنة لا تتحرّك ولا تنطقُ وهي مع ذلك تُحْزِنُ وتُبْكِي.

٤ ـ كَفَى الهَجْرَ أنّا لَمْ يَضِحْ لَكَ أمْرُنَا ... ولَمْ يَأْتِنَا عَمَّا لَدَيْكَ يَقِينُ

أي: كَفَى الهجر هجر الموت، لا هجرَ البين، لأنّ كلَّ واحد منّا لا يعرف خبر صاحبه المهجور، وقد يعرف خبر الهاجر.

[٢٩٧] وقال عبد اللّه بن ثَعْلَبَة الحنفيّ(١):

١ ـ لِكلِّ أُناسٍ مَقْبَرٌ بِفِنَائِهِمْ ... فَهُمْ يَنْقُصُونَ والقُبُورُ تَزِيدُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

مَقْبَر: موضع القبر، وكأن المقبرة أكثر قبورًا من المَقْبَر.

٢ ـ ومَا إنْ يَزَالُ رَسْمُ دارٍ قَدَ اَخْلَقَتْ ... وَبَيْتٌ لِمَيْتٍ بِالفِنَاءِ جَدِيدُ

٣ ـ هُمُ جِيرَةُ الأحْيَاءِ؛ أمّا جِوارُهُمْ ... فَدَانٍ، وَأمّا المُلْتَقَى فَبَعِيدُ

جِيرةٌ: جمع جار، «وأما المُلْتقى فبعيدُ» أي: الالتقاء لا يوجد مع دُنُوِّ المجاورة.

[٢٩٨] وقال آخر:

١ ـ لا يُبْعِدِ اللّهُ إخْوانًا لَنَا ذَهَبُوا ... أفْنَاهُمُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ والأبَدُ

من البسيط الأول، والقافية متراكب.

معنى «لا يُبْعِدِ اللّهُ» لا يُهْلِكِ اللّهُ، يقال: بَعِدَ الرَّجُلُ، فإنْ قيل: كيف قال «لا يُبْعِدِ اللّهُ» وقد عقبه بقوله «أفناهم حَدَثان الدّهر والأبَدُ» وهل الهلاك إلاّ الفناء؟ قلت: هذه اللّفظة جرت العادة في استعمالها عند المصائب، وليس فيه طلب ولا سؤال، وإنّما هو

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ٢٩٠ في الطبقة السادسة من أهل البصرة، وكان معاصرًا لسفيان بن عيينة. والأبيات مذكورة في صفة الصفوة.

تنبيه على شدّة الحاجة إلى المفقود وتناهي الجزع والتفجّع به، ألا ترى أنَّ الآخَرَ قال: [الطويل]

يَقُولُونَ لاَ تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إلاَّ مَكَانِيَا[1]

وحَدَثانُ الدَّهرِ: نوائبه، وأراد بالأبد نفس الدّهر.

٢ - نُمِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلاَ يَؤُوبُ إلَيْنَا مِنْهُمُ أحَدُ

يجوز أن يكون المراد بقوله «بقيّتنا» خيارنا، يقال: فلانٌ من بَقِيَّة قومِه: أي خيارهم، ويجوز أن يكون الباقي منهم.

[٢٩٩] وقال الغَطَمَّشُ الضَّبِّيُّ:

الغَطْمَشَة: أخذ الشّيء قهرًا، قالوا: ومنه اشتقَّ الغَطَمَّش في اسم رجل فهو على هذا اسم مرتجل، وقيل: الغَطَمَّش الرّجل الكليل البصر، فهو على هذا منقول من الصّفة.

١ - إلَى اللَّهِ أشْكو لاَ إلَى النَّاسِ أنَّنِي أرَى الأرْضَ تَبْقَى وَالأخِلاَّءُ تَذْهَبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

٢ - أَخِلاَّيَ لَوْ غَيْرُ الحِمَامِ أصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى المَوْتِ مَعْتَبُ

قوله «أخِلاَّي» على قَصْر الممدود، والأجود أن تُترَكَ مَدَّته على حالته وتُحْذَف الياء من آخره في النّداء لأن الكسرة تدلّ عليه.

[٣٠٠] وقال أرْطَاةُ بن سُهَيَّة المُرّيُّ:

سُهَيَّة: أمّه، وكنيته أبو الوليد، وأبوه زُفَرُ أحد بني مرّة، كان في زمن بني مَرْوَان.

١ - هَلَ انْتَ ابْنَ لَيْلَى إنْ نَظَرْتُكَ رَائِحٌ مَعَ الرَّكْبِ أوْ غَادٍ غَدَاةَ غَدٍ مَعِي

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أدرج ألف القطع في «هَلَ انْتَ» وتلك لغة، ونَظَرْتُكَ: انتظرتكَ، وكان مات له ابنٌ فأقام على قبره حَوْلاً يأتيه كلَّ غداة فيقول: يا عمر، إن أقمت للمساء فهل أنت رائحٌ معي؟ ويأتيه عند المساء فيقول مثل ذلك، ثم ينصرف، فلمّا كان رأس الحَوْل تمثّل بقول لبيد: [الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

(١) البيت لمالك بن الريب في جمهرة أشعار العرب ص ١٤٤؛ والخزانة ١/٣١٩.

ثم قال:

٢ ـ وَقَفْتُ عَلَى قَبْرِ ٱبْنِ لَيْلَى فَلَمْ يَكُنْ وُقُوفِي عَلَيْهِ غَيْرَ مَبْكًى وَمَجْزَعِ

٣ ـ عَنِ الدَّهْرِ فَٱصْفَحْ إِنَّهُ غَيْرُ مُعْتِبٍ وفي غَيْرِ مَنْ قَدْ وَارَتِ الأَرْضُ فَاطْمَعِ

«غيرُ مُعْتِبٍ» أي: لا يرضي أحدًا، يقال: أعتبَ الرَّجُلُ صديقَه، إذا أرضاه.

[٣٠١] وقال آخر في أخ له مات بعد أخٍ:

والوزن مثل الأول.

١ ـ كَأَنِّي وَصَيفيًا خَلِيلَيَّ لَمْ نَقُلْ لِمُوقِدِ نَارٍ آخِرَ اللَّيْلِ: أَوْقِدِ

٢ ـ فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يَدَيَّ رُزِئْتُهَا وَلَكِنْ يَدِي بَانَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي

إحدى: مبتدأ، ورُزِئْتُها: في موضع الخبر، يقول: لو أُصِبْتُ بإحدى يَدَيَّ لَكان في الباقية بعض الاجتزاء، ولكن تبعت الأولى الثانية، فأدَّى فَقْدُهُما إلى انقطاع الحياة، وحذف جواب «لو» لأن المراد مفهوم، وقوله «فلو أنّها» الضمير يجوز أن يكون للقصة، ويجوز أن يكون للمصيبة، كأنّه قال: فلو أنَّ القصة إحدى يَدَيَّ رُزِئتها.

٣ ـ فَأَقْسَمْتُ لاَ آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ قَدِي الآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِي(١)

«الآن» موضعه نصب على الظَّرف، ولا يجيءُ إلاَّ بالألف واللاّم، وحكم الأسماء أن تكون منكورة شائعة في الجنس ثمّ يدخل عليها ما يعرّفها من إضافة أو ألف ولام، فخالف «الآن» سائر أخواته بوقوعه معرفة في أوّل الأحوال ثم لزم مع ذلك موضعًا واحدًا، لأنَّ لزومه في هذه الحال لموضعه قد ألحقَه بشبه الحروف، إذ كان حُكْمُ الحروفِ لُزومها لمواضعها في أوليتها لا تزول عنها، فبني لذلك، واختيرت الفتحة لِخِفّتها، يقول: لا أحزنُ بعدَه على هالك فقد بلغ حزني منتهاه فليس فيه مزيد كما قال الرّقاشي: [الطويل]

فَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ تعَطَّلِي وَقُلْ لِلرَّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجَدَّدِي

[٣٠٢] وقال آخر في ابن له:

١ ـ هَوَى ٱبْنِي مِنْ عُلاَ شَرَفٍ يَهُولُ عُقَابَهُ صَعَدُهْ

من ثاني الوافر، والقافية متراكب.

يقال: صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا وَصَعَدًا وصُعُدًا، وقوله «يَهُولُ عُقابَه صَعَدُهْ» في موضع الصّفة لِلشَّرَف، يقول: هوى ابني من أعلى شرف تخاف العقاب أن تعلوه من مشقّته عليها.

---

(١) قَدِي الآن: معناه: حَسْبي.

٢ ـ هَـوَى مِـنْ رَأْسِ مَـرْقَـبَـةٍ فَـزَلَّـتْ رِجْـلُـهُ وَيَـدُهْ

«زَلَّت رِجلُه» أي: انخلعت وبانَتْ منه.

٣ ـ فَـلاَ أُمٌّ فَـتَـبْـكِـيـهِ وَلاَ أُخْـتٌ فَـتَـفْـتَـقِـدُهْ

لم يجعل «فتبكيه» «فتفتقده» جوابًا لِلنفي لأن الجواب يكون منصوبًا لكنه عَطَفَه على ما قبله، وهو عطف جملة على جملة، ومثله في القرآن ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[(١)] لأن المعنى لا يؤذن لهم ولا يعتذرون وكذلك هذا معناه لا أم له فلا تبكيه.

٤ ـ هَـوَى عَـنْ صَـخْـرَةٍ صَـلْـدٍ فَـفُـرَّتْ تَـحْـتَـهَـا كَـبِـدُهْ

الصَّلْد: ما لا ينبت شيئًا من الحجارة ومن الأرضين، ومنه «أصْلَدَ الزَّنْدُ» إذا لم تخرجْ منه النّار، وقال أبو العلاء: إذا رُوِيَ «فَفُزَّتْ تحتها كَبِدُه» فهو من قولهم «أفْزَزْته» أي: أزعجته، ومنه قول أبي ذؤيب: [الطويل]

وَالدَّهْرُ، لاَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ شَـبَـبٌ أَفَـزَّتْـهُ الـكِـلاَبُ مُـرَوَّعُ

كأنه يريد أنَّ كَبِدَهُ زالت من موضعها، وبعض النَّاس ينشد «فَفُتَّتْ» ومنهم مَن يقول «فَفُرَّتْ» يريد فُرِّيَتْ من «تَفَرَّى الأديمُ» ويحمله على لغة طيّىء، يقولون: المرأة دُعَتْ أي دُعِيَتْ، والدّارُ بُنَتْ أي بُنِيَتْ.

٥ ـ أُلاَمُ عَـلَـى تَـبَـكِّـيـهِ وَأَلْـمُـسُـهُ فَـلاَ أَجِـدُهْ

«أَلمسُه» بمعنى ألتمسُه، واللَّمْسُ والمَسُّ متقاربان في معنى الطَّلب والالتماس قال اللّه تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾[(٢)] وكذلك قول الشّاعر[(٣)]: [الطويل]

مَـسِـسْـنَـا مِـنَ الآبـاءِ شَـيْـئًـا

أي: طلبنا وفتَّشنا وليس هو من المَسِّ باليد في شيءٍ، ويدلُّ على أنّ معنى قوله ألمسه أطلبه أنه عقبه بقوله «فلا أجده».

٦ ـ وَكَـيْـفَ يُـلاَمُ مَـحْـزُونٌ كَـبِـيـرٌ فَـاتَـهُ وَلَـدُهْ

لأنَّ الكبيرَ أجزعُ لِلنَّائِبة من الصّغير لِيَأسه من الولد.

[٣٠٣] وقال آخر:

وقيل: هو للعبَّاس بن الأحنف، وكان يُكْنَى أبا الفضل، وكان القناني يستزدلُ شِعْرَه ثم سمِعَ له: [الكامل]

---

(١) سورة المرسلات، الآية: ٣٦. (٢) سورة الجن، الآية: ٨.

(٣) هذا جزء من بيت من أبيات الحماسية رقم (٥٩) ليزيد بن الحكم التميمي والبيت بتمامه:

مَسِسْنا مِنَ الآباءِ شيئًا وكلّنا إلى نَسَبٍ في قومِهِ غيرِ واضعِ

لَوْ كُنْتِ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتي   أَمَلِي رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
لٰكِنْ مَلِلْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ   صَدُّ المَلُولِ خِلاَفُ صَدِّ العَاتِبِ

وهو معنًى لم يُسْبَقْ إليه، فقال: أجدر بمَن بحث التراب أن يجد فيه اللّؤلؤة والخرزة النفيسة.

١ ـ إذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالبُكَا   أَجَابَ البُكَا طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

من أول الطَّويل، والقافية متواتر.

قوله «طَوْعًا» مصدر في موضع الحال، أراد أجاب طائعًا غير مُجْبَر، يقال: طاع له يَطُوعُ، إذا انقاد له، وهو طائعٌ: أي إذا استعنت بالبكاء والصّبر أعانني البكاء فبكيت ولم يُطِعْني الصَّبر فجزعت.

٢ ـ فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإنَّهُ   سَيَبْقَى عَلَيْكَ الحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

يقول: إن انقطعَ أَمَلي منكَ فإنَّ حُزني عليكَ بَاقٍ أَبَدَ الدَّهْرِ.

[٣٠٤] وقال النّابغة يرثي أخاه من أمّه، وأمّه عاتكة بنت أنيس الأشجعيّ:

النّابغة: الفاعلة، من «نبغ» إذا ظهر.

١ ـ لاَ يَهْنِىءِ النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلإٍ   وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

دعاه الضَّجَرُ بموتِه إلى أنْ دعا على النَّاس كَافَّةً بأن لا يهنيهم اللَّه ما يرعونه من كَلإٍ ويحوزونه من مال، ويجوز أن يكون النَّاس وإن كان لفظه عامًّا يختصّ بمَن شمتَ بموتِه، فقد قِيلَ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾(١): إنه كان رجلاً واحدًا، ولا يمتنع أن يكون اعتقدَ في النّاس كافّة أنّهم نظروا إليه بعين الحاسدين أيام حياته لِكَماله، وهذا مذهب لهم، يقولون: لا كانت الدّنيا بعد فلانٍ، ولا كانت بعدي، ومن هنا أخذ المحدث قوله: [الرمل]

إنَّمَا دُنْيَايَ نَفْسِي، فَإذَا   تَلِفَتْ نَفْسِي فَلاَ عَاشَ أَحَدْ
لَيْتَ أنَّ الشَّمْسَ بَعْدِي غَرَبَتْ   ثُمَّ لم تَطْلُعْ عَلَى أهْلِ بَلَدْ

٢ ـ بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّاوِي عَلَى أمَرٍ   أَمْسَى بِبَلْدَةِ لاَ عَمٍّ ولا خَالِ

نسبه إلى أُمّه تنبيهًا على أنَّ الجامعَ بينهما كانت الأُمومة، ويُرْوَى «الثّاوي على أبَوَى» وهو موضع فيه قبره، و«ذو أمر» موضع بعينه، والأمر: حجارة تُنْصَبُ لِيُهْتَدى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

بها، وإنّما أُخِذَتْ من الأمارة، وهي العلامة، وقوله «ببلدة لا عمّ ولا خالِ» أي ببلاد الغربة.

٣ - سَهْلِ الخَلِيقَةِ مَشَّاءٍ بِأَقْدُحِهِ إلَى ذَوَاتِ الذُّرَا حَمَّالِ أَثْقَالِ

ذَوَاتُ الذُّرَا: الإبل العظيمة الأَسنِمة، حَمَّال أثقال: أي يتحمّل أثقال الغرامات على النّاس ويلتزمها في ماله.

٤ - حَسْبُ الخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الأرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذا تَحْتَهَا بَالِي

قوله «وهذا تحتَها بالي» يحتمل وجهين: يجوز أن يكون «بالي» خبر المبتدأ، وهو «هذا» أي وهذا بالٍ تحتها، والآخر أن يكون أراد باليًا فسَكَّنَ الياء لِلضَّرورة وتنصبه على الحال لأنَّ الكلام قد تمَّ قبله.

[٣٠٥] وقال مُوَيلِك المَزْمُوم يرثي امرأته أُمَّ العلاء:

١ - أُمْرُرْ عَلَى الجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمّ العَلاءِ فَنَادِهَا لَوْ تَسْمَعُ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

يخاطب نفسَه، ويُرْوَى «فَحَيِّها هل تسمع» والفرق بين «لو» هنا وبين هل، أنَّ «لو» فائدته الشَّرط هنا، والكلام به كلام مَنْ غلبَ القنوطُ عليه من إدراكِها تحيّةَ مَن زارها، و«هل» من حيث كان للاستفهام يصير الكلام به كأنه كلام راجٍ أو طامع في سماعها، ويكون المعنى حَيِّها وانظرْ هل تسمع.

٢ - أَنَّى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ

معنى «أَنّى» كيف، ومن أين، وفروق: بناءٌ للمبالغة، ودخول الهاء فيها زادته مبالغة.

٣ - صَلَّى عَلَيْكِ اللَّهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ إذْ لاَ يُلاَئِمُكِ المَكَانُ البَلْقَعُ

الصّلاة من اللّه: الرَّحمة، كأنه يَئِسَ منها فأقبلَ يترحَّمُ عليها.

٤ - فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَلَيْكِ فَتَجْزَعُ

النّيَّة به الاستئناف، كأنّه أرادَ أنّها من صِغَرِها لا تعرفُ المصيبة ولا الجَزَع لها، وهي على حالها تجزعُ لأنَّ ما تأتيه من الضَّجَرِ والبكاء وتتركه من النوم فعل الجازعين، وفي القرآن ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾(١) لكَ أن ترفعَ «فيغفر» على نِيَّةِ الابتداء كأنه قال: فهو يغفرُ لِمَنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

يشاءُ، ومثل هذا كثير في القرآن والشعر، وعلى ذلك قوله: [الطويل]

فَـمَـا هُـوَ إلاَّ أنْ أرَاهَـا فُـجَـاءَةً فَأُبهَـتُ حَتَّى ما أكَادُ أُجِيبُ[1]

تَرْفَعُ «أبهت» على الاستئناف والابتداء.

٥ ـ فَقَدتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزامِكِ حُلْوَةً فَتَبِيتُ تُسْهِرُ أهْلَهَا وَتُفَجِّعُ

الشِّمالُ: خَلِيقةُ الرَّجُلِ، وجمعه شَمائِل، قال: [الوافر]

هُمُ قَوْمِي وَقَدْ أنْكَرْتُ مِنْهُمْ شَمَائِلَ بُدِّلُوهَا مِنْ شِمَالِي[2]

٦ ـ وَإذَا سَمِعْتُ أنِينَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقَتْ عَلَيْكِ شؤونُ عَيْنِي تَدْمَعُ

قوله «طَفِقَتْ عليكِ» كقولك: أقبلَتْ تفعل كذا، وجعلَتْ تقولُ كذا.

[٣٠٦] وقال حَفصُ بن الأحنف الكِنَانِيُّ:

ويُرْوَى لحسّان، ويُرْوَى الأَخْيَف، وهو الصّحيح، قال أبو الفتح: الزَّبيل من أَدَم يقال له حَفص إذا كان صغيرًا، والحَفْصُ: مصدر حَفَصْتُ الشَّيءَ أحْفِصُهُ حَفْصًا، إذا جمعته من تراب وغيره، وجمعه أحْفَاص وحُفُوص، وَالخَيَفُ: أن تكون إحدى العينين من الفرس سوداء والأخرى زرقاء، وهو من الاختلاف ومنه مسجدُ الخَيْفِ، وذلك أنه انحدرَ عن الجبل، فليس شَرَفًا ولا حَضِيضًا فهو مخالفٌ لهما، والنَّاسُ أخْيَافٌ: مختلفون، قال: [الرجز]

النَّاسُ أخْيَافٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُ بَيْتُ الأَدَمْ

وكان أبو علي يذهبُ إلى أنَّ عينَ الخافة، وهي الخريطة المنقوشة، ياءٌ، ويأخذها من هذا الموضع، وذلك لما فيها من اختلاف الألوان، ومَنْ قال هنا «حَفْص بن الأحنف» فقد سَهَا، وقال أبو العلاء: حَفْصٌ مأخوذٌ من قولهم لِزبيل من جلود الحفص، وقد قيل: إنَّ ولدَ الأسد يُسَمَّى حَفْصًا، وحفص بن الأخيف يختلف في لفظه؛ فيقال: الأحنف من حَنَفِ الرِّجْلِ، وهو أنْ تُقْبِلَ إحدى الرِّجْلَيْنِ على الأُخرى، وقيل: الحَنَفُ أنْ يمشي الإنسان على ظاهر قدميه، وقالت امرأة وهي ترقص الأحنف بن قيس في حالة الطّفولة: [الرجز]

واللَّهِ لَوْلاَ حَنَفٌ في رِجْلِهِ ما كانَ في فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ

ويُرْوَى الأخنف ـ بالخاء والنون ـ وهو أن يكون أحد جانبي الجسم مخالفًا للآخر،

---

(١) البيت لعروة بن حزام في ديوانه، ويُرْوَى أيضًا لكثيّر عزّة. والبيت في الخزانة ٣/٦١٨؛ وحماسة ابن الشجري ص ١٥٣.

(٢) البيت للبيد في ديوانه ص ١٣٨؛ واللسان شمل.

ومَنْ رَوى الأجنف فهو من الجَنَفِ أي الميل والظّلم، والأخيف بالخاء والياء قد مَرَّ تفسيره.

١ ـ لاَ يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ ... وَسَقَى الغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

مُكَدَّم: مسمّى بقولهم: حمارٌ مُكَدَّمٌ، إذا كان به آثار الكدام، يقال: كَدَمَهُ؛ إذا عَضَّهُ، ومنهُ سُمِّيَ الرجلُ كِدامًا وكُدَيْمًا، وفي سجع يُرْوَى عن العرب: إذا طَلَعَ النَّجْمُ؛ فَالعُشْبُ في حَطْم، وَالعَانَات في كَدْم، يعني بالنّجم الثريا، وحذف الألف واللاّم من المكدّم كما مضى من الأسماء، يقولون: الوليد ووليد، والحارث وحارث، قال: [الوافر]

إذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِي عَقِيلٍ ... دَعَوْنَا عِنْد هَبَّتِهَا الوَلِيدا

وقال الكُمَيت: [الخفيف]

لاَ كَعبْدِ المَلِيكِ أَوْ كَوَلِيدٍ ... أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهِشَامِ

واستعار الذَّنُوب لِلغَيْثِ، وإنّما أصله في الدَّلْوِ المملوءة ماء أو المقاربة للملء، وربما جعل الذَّنُوب في الحظّ والنصيب.

٢ ـ نَفَرَتْ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ ... بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ اليَدَيْنِ وَهُوبِ

٣ ـ لا تَنْفِرِي يَا نَاقَ مِنْهُ فَإِنَّهُ ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ[١]

المِسْعَر: الذي كأنّه آلة في إيقاد الحرب.

٤ ـ لَوْلا السِّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ ... لَتَرَكْتُها تَحْبُو عَلَى العُرْقُوبِ

قوله «لولا السِّفَارُ» كانت العادة في العرب أنَّ الواحدَ إذا اجتاز بقبر كريم كان مأْوَى للأضياف ينحرُ راحِلَتَه ويطعمُها لِلنّاس إذا أعوز الزّادُ ولم يَتَّسِعْ؛ يفعل ذلك نيابةً عنه إلاَّ أن يمنعَ مانعٌ من بعد سفر وما يجري مجراه، فصار هذا يعتذر من إبقائه على راحلته، والحَبْوُ: الزَّحْفُ قبلَ القيام، ويفعله البعير المعقول وهو يريد المشي، ومنه الحابي من السّهام، وهو الذي يزحفُ إلى الهدف.

وقال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنَّ بني فِرَاس كانوا أصابوا دمًا من بني سُلَيْم بن منصور، فَوَدَوْه، ثمَّ إنَّ نُبَيْشَةَ بن حبيب خرج في فُرْسَان من بني سُلَيم حتى إذا كانوا بالكَديد[٢] من أرض كِنانة لَقُوا ربيعة بن مُكَدَّم بذي عَصَل من أَمَج[٣]، فلما رأى

---

(١) عند المرزوقي «شَرَّابُ خمرٍ».
(٢) الكديد: موضع بالحجاز، والكديد ما غلظ من الأرض (معجم البلدان ٤/ ٤٤٢).
(٣) أَمَج وغُرَان: واديان يأخذان من حرّة بني سُلَيم ويفرغان في البحر (معجم البلدان ١/ ٢٥٠).

الرّهج من بعيد قال لِظعائِنه: أسْرِعْنَ النّجاءَ فإني لا آمَنُ أن يكون هذا طَلَبًا من عَدُوٍّ، وعليكنّ قَصْدَ الطّريق فأنا واقفٌ حتى يستبينَ لي الرّهج، فإنْ خفتُ عليكنّ شيئًا أخذتُ بالقوم في الخَمَرِ[1] وعَدَلْتُ بهم عن الطّريق، وموعدكنَّ الكَدِيد إلى ثنيّة غَزال[2] أو عُسْفَان، فإنْ لم أُوافقكنَّ[3] في بعض هذه المواضع فقد هبطتنَّ بلادَ قومِكُن، ثم ركبَ فرسَه ذاهبًا نحو الرَّهج، فقالت نساؤه بينهنّ خَلَفَ ربيعة: أي هربَ، ونادته إحداهنَّ: إلى أين منتهى نُفْرة الفتى؟ وصاحت به أُخته أُم عمرو: [الرجز]

مَـــسَـــاءَةٌ مَـــسَـــاءَهْ تَــرْكُ الــفَــتَــى نِــسَــاءَهْ

حَـتَّـى يَـبُـلَّ مِـنْ دَمٍ أنْـسَـاءَهْ

فلما سمعَ ذلك انصرفَ إليهنّ من وجهه ذلك وهو يقول: [الرجز]

أَأُمُّ عَـمْـرٍو زَعَـمَـتْ أنِّـي فَـرِقْ أنْ لا أُطَـاعِـنْـهُـمْ وَأنْ لاَ أعْـتَـنِـقْ

وَأنْـزِعُ الـرُّمْـحَ سِـنـانُـهُ لَـثِـقْ[4]

ثم توجّهَ إلى بني سُلَيم وهم يَقُصُّون الأثَر ولا يرونه، فتراءى لهم من الشّجر فلمّا رأوه قصدوا له وظنّوا أن الظُّعُنَ أمامه، وكان أرمى النّاس، فجعل يقاتلُهم ويرميهم حتى قَتَلَ فيهم وجَرَحَ وعَقَر، فإذا شغلَهم بذلك نَقَّزَ فرسه[5] في أثر الظّعائن فإذا لحقهنَّ طرد بهنَّ، وإذا لحقَ القومُ به عطفَ عليهم، وجعلت أُمه تُذَمِّره[6] وتقول: [الرجز]

الـحَـقْ بُـنَـيَّ وَالـمُـحَـامِـي لاَحِـقْ وَاشْـغَـلِ الـقَـوْمَ بِـضَـرْبٍ صَـادِقْ

فلم يَزَلْ ذلك دأبه حتى نفدت نبلُه، وانتشرت عليه فرسه، وانتهى إلى الكديد، وذلك عند الأُصُل، وألَحّوا في طلبه وحنقوا عليه، فجعل يحمل عليهم بالرّمح مَرّة وبالسّيف أخرى فيصيب فيهم، فحملَ عليه نُبيشة بن حبيب فطعنه فأثبته، وقال: قتلته، فقال: أخطأ فوكَ يا نبيشة؛ فشَمَّ نبيشةُ سِنانَه فقال: كَذَبْتَ إنّي لأَجِدُ رِيحَ بطنك، فخرج ربيعة يركضُ متحاملاً حتى لحقَ ظعائِنه على رأسِ ثنيّة غزال، فقال لأُمِّهِ: اسقيني، فقالت: يا بنيّ إنْ سقيتُكَ متَّ مكانَكَ فأخَذَنا القومُ، فاصبرْ لَعلَّنا ننجو، ويقال: قالت له: إنّكَ ميت والماء لِلحَيِّ، قال: فاعصبي طعنتي، فجعلت تعصبها

(١) الخَمَرُ: ما واراك من شجر أو غيره.

(٢) ثنيّة الغزال: يقال لها قرن غزال قال في معجم البلدان ٤/ ٢٠١: «قال عرّام: وعلى الطريق من ثنيّة هَرْش بينها وبين الجحفة ثلاثة أودية مسمّيات منها غزال: وهو وادٍ يأتيكَ من ناحية شَمَنْصير وذرورة وفيه آبار، وهو لخزاعة خاصة».

(٣) لعلّه يريد: «فإنْ لم أُوافِكُنَّ».

(٤) اللَّثِق: هنا المبلَّل بالدّم.

(٥) نَقَّزَ فرسَه: وَثَّبَهُ.

(٦) تُذَمِّره: تَحُضُّه على القتال.

بخمارها وهو يقول لها: [الرجز]

شُدِّي عَلَيَّ العَصْبَ أُمَّ سَيَّارْ … فَقَدْ رُزِئْتِ فَارِسًا كَالدِّينَارْ
صَقْرًا يَلُفُّ القَوْمَ لَفَّ المِغْوَارْ … مُغَامِرًا بِالضَّرْبِ خَلْفَ الأَدْبَارْ

فشدَّتْ عليه ثم عاد فقاتَلهم على رأسِ الثَّنية، وانطلقت النّسوةُ، ووقف ربيعة على فرسه، فلمّا وجدَ الموتَ اتَّكأ على رمحِه وأقبل السُّلَمِيون؛ فلمَّا رأوه على فرسِه أحجموا عنه ووقفوا طويلاً لا يرونه إلاَّ حَيًّا، فلمّا طالَ ذلك عليهم رمى ابنُ غادية السُّلَميّ فرسه بسهم، فحاصت به، فندرَ[1] عنها ميتًا، فأتوه فأخذوا سَلَبه، وخافوا الطَّلَبَ، فلم يُعْلَمْ فارسٌ في العرب حَمَى ظعائِنَه حَيًّا وبعد موته غيره، وجاءه رجلٌ من القوم فطعن بزُجِّ[2] الرُّمح في عينه وقال: قبّحك اللّه!! لقد حميت الظَّعائِنَ حَيًّا وميتًا، ووافت الظعائن أرضَ بني فِرَاس فأَخْبَرْنَهُم الخبرَ، فركبَ مُسَافع بن خلف بن قَوَّالة، وكان خال ربيعة، في فرسان، حتى انتهوا إلى ربيعة على رأس الثّنية ميتًا مسلوبًا فتركوه على حاله، وخرجوا في طلب القوم حتى جَنَّهُم اللَّيلُ، فلم يدركوهم، وانصرفوا إلى ربيعة فدفنوه على رأس ثنية غزال، وجعلوا عليه إرميًا[3] من حجارة سود، ووضعوا وسطه مَرْوَةً بيضاء[4] ضخمة مثل عجز الجزور، فكان لا يمرُّ به أحدٌ من العرب إلاَّ عقر عليه دابَّةً أو بعيرًا، فكان أوّل مَنْ تركَ العقر عليه رجل مَرَّ به من أهل تَيْماء ويقال هو كُرْز بن خالد أخو بني الحارث بن فهر، ويقال: هو من قريش، مَرَّ به يومئذٍ وهو شيخ كبير فقال: لا أعقر ناقتي، ولكن أرثيه مكان ذلك، ويقال: بل هو عَمْرو بن شَقيق الفِهْرِيّ، ويقال: حَفْص بن الأَخيف العامريّ، فرثاه، ورثاه مسافع وغيره بقصائد هي مثبتة بعضها في مقاتل الفرسان وبعضها في تفسير أبي رياش.

[٣٠٧] وقال آخر:

١ ـ أَجَارِيَ مَا أَزْدَادُ إلاَّ صَبَابَةً … إلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إلاَّ تَنَائِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الصَّبَابة: الوَجْدُ والمحبّةُ، والفعل منه صَبِبْتُ أَصَبُّ، ورجلٌ صَبٌّ وامرأةٌ صَبَّةٌ، وقوله «جاري» ليس بندبة لأن المندوب لا يكون إلاَّ بيا ووَا، لكنه على العادة ناداه ورَخَّمَهُ، وهو ترخيم جارية، وهو هٰهنا اسم رجل.

---

(١) ندر: سقط.
(٢) الزُّجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح ويقابلُهُ السّنان.
(٣) الإِرَم والأَرِم: حجارة تُنصَب في المفازة يُهتدى بها.
(٤) المَرْوَة: حجارة صلبة تُعرَف بالصَّوَّان.

٢ ـ أجَارِيَ لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدِيتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا

٣ ـ وَقَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ أُمَلاَّكَ حِقْبَةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهُ دُونَ رَجَائِيَا

أُمَلاَّكَ: أي أبقى معكَ مَلِيًّا، يقال: مُلِّيتُ فُلانًا فتَمَلَّيْتُه: أي جُعِلَ لي أن أعيشَ معه مَلاَوَةً[1]، فيبقى مُمَتَّعًا به، وَالمَلَوَان[2]: اللَّيل والنَّهار من هذا.

٤ ـ ألاَ لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ، إنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

[٣٠٨] وقالت فاطمة بنت الأجحم[3] الخُزَاعِيَّة:

الأجحم: الشَّديد حمرة العينين مع سعتهما، والأُنثى جحماء، وهذا الشَّاعر هو أجحم بن دِنْدِنَة الخزاعيّ زوج خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب، وكان أجحم هذا أحَدَ سادات العرب، وخُزَاعة: عَلَمٌ مرتجل، وسُمّيت بذلك لانخزاعهم عن الأزد إلى الحجاز أيامَ خَرَجُوا من مأرب: أي لانقطاعهم عنها، يقال: انخزع الجبل: أي انقطع، وانخزع مَتْنُ الرجل، إذا انحنى من كبرٍ وضعفٍ، قال: [الطويل]

فَلَمَّا حَلَلْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةُ عَنَّا في جُمُوعٍ كَرَاكِرِ

١ ـ يَا عَيْنِ بَكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحِ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الجَرَّاحِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

حُكِيَ أن فاطمة كانت تتمثَّل بهذه الأبيات بعد النَّبيّ ﷺ، وقيل: عائشة هي المتمثّلة بها.

قولها «بكي عند كل صباح» تريد أنه كان مبدأ نهاره وقت نكايته في الأعداء فاجعلي بإزاء فعله حينئذٍ البكاء عليه السَّاعة، وأرادت بالأربعة قبائل الرَّأس، وقولها «جودي» أي: لا تَدَّخري شيئًا من الدَّمع، وقولها «يا عين» حذفت الياء لوقوعها موقع ما يحذف في النداء وهو التنوين، ولأن الكسرة تدلُّ عليه، وباب النداء باب حذف وإيجاز، ويجوز أن يكون المرادُ بقولها «جودي بأربعة» جوانب العين: المُوقَين واللِّحَاظين، وقيل: الشؤون الأربعة.

٢ ـ قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أضْحَى بِأَجْرَدَ ضَاحِ

الأجرد: الأملس، والضَّاحي: البارز لِلشَّمس، يقال: ضَحِيَ يَضْحَى أي انكشفتْ بعد أن كنت في سترٍ.

---

(١) المَلاوَة: البرهة من الدهر. (٢) واحد المَلَوَان: مَلاً.

(٣) عند المرزوقي: «بنت الأحجم». وقال السكّري: الأبيات لليلى بنت يزيد بن الصعق، ترثي ابنها قيس بن زياد بن أبي سفيان بن عوف بن كعب.

٣ ـ قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِي   أَمْشِي البَرَازَ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِي

يقال: حَمَيْتُ الشَّيءَ أحميه حَمِيَّةً: أي أَنِفْتُ وغَضِبْتُ، وفلان حَمِيُّ الأَنفِ، لا يحتملُ الضَّيْمَ، والبَرَازُ: الفَضَاءُ من الأرض، فإذا خرج إنسان إلى ذلك الموضع قيل: برز، وأصله الظهور لأن الفضاء ظاهر لا يستره شيء، و«كنت أنت جناحي» أي يدي وما أتقوَّى به، وكان نهوضي بكَ كما أن نهوضَ الطَّائرِ بجناحه.

٤ ـ فَاليَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي   مِنْهُ وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ

أي: لا ناصرَ لي، وهذا مثل: أي لا دفعَ عندي لأنه يدفع بالسّلاح والرجال، ومَنْ دفعَ بيده فهو ذليلٌ لم يحصلْ على دفع، وقيل: معناه أتلطّفُ لِظالمي وأسأله الكفَّ عنّي بيدي فِعْلَ المستأمن.

٥ ـ وَأَغُضُّ مِنْ بَصَرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ   قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي

٦ ـ وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لَهَا   يَوْمًا عَلَى فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِي

أي: أقول وَاسُوءَ صَبَاحاه، ونصب «شجنًا» لأنه مفعول له، لأن الشَّجَنَ يحملها على الدّعاء، هذا إذا جعلتَ الشَّجنَ الحزن والحاجة، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به.

[٣٠٩] وقالت أيضًا(١):

١ ـ إِخْوَتِي لاَ تَبْعَدُوا أَبَدًا   وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعِدُوا

من خامس المديد، والقافية متراكب.

لكَ أن تروي «إخوتي» و«إِخْوَتَا» فمَنْ رَوَى «إخوتي» فإنه سَكَّنَ الياء، وأصله الحركة لِكَوْنِهِ علامة الضمير متطرّفًا على حرف واحد فوجب تقويته بالتحريك كما أن سبيل أُختيه الكاف والهاء التحريك لو وقعتا موقعه، وآثروا الفتحة لخفّتها، ويدلُّ على أنَّ الأصل الفتحة أنه لو كان ما قبله ساكنًا كان لا يجيء إلاّ مفتوحًا، وذلك قولك: رَحَايَ، وعَصَايَ، إلا أنَّه لمّا كان باب النداء باب حذف وإيجاز لكثرة استعمالهم له سكّنوا الياء، ومَن قال «إخوتا» فَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفًا، على ذلك قولهم: بَادِية وبَادَاة، وناصية ونَاصَاة، وقولك «بِأَباهما» وأنت تريد بأبي هما، وقولها «لا تبعدوا» لا تهلكوا، واستدراكها بقولها «بلى واللّه قد بعدوا» تنبيه منها على أن «لا تبعدوا» وإن كان لفظه لفظ الدعاء فهو جارٍ على غير أصله، وإنما هو تَحَسُّرٌ وَتَوَجُّعٌ.

---

(١) عند المرزوقي: «قال آخر» ولكن ابن جني ذكرها صريحة في التنبيه فقال: «وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية».

٢ ـ لَـوْ تَـمَـلَّـتْـهُـمْ عَـشِـيـرَتُـهُـمْ   لاقْـتِـنَـاءِ الـعِـزِّ أَوْ وَلَـدُوا[(١)]

أي: لو عاشوا معهم مَلِيًّا من الدّهر: أي طويلاً، لاِقتناء العزِّ: أي لاكتسابه، أو ولدوا: أي لو كان لهم ولد وخلَّف بعدهم، تقول: لو طالت أعمارهم فاعْتَقَدَتْ عشيرتهم عِزًّا وشَرَفًا بهم أو كان لهم خَلَفٌ.

٣ ـ هَـانَ مِـنْ بَـعْـضِ الـرَّزِيَّـةِ أَوْ   هَـانَ مِـنْ بَـعْـضِ الَّـذِي أَجِـدُ[(٢)]

«هان» جواب «لو» أي: كان بعض غَمِّي بهم أهون عَلَيَّ، ومعناه لو قُضِيَ الأمرُ على ذلك لخَفَّ بعضُ ما بي، وقولها «من بعض الرَّزِيَّةِ» الأخفش يجيز زيادة «من» فيما ليس بواجب كالاستفهام والنَّفي فعلى طريقته يكون المعنى: كان ابتداءُ المهوَّنِ بعضَ الرّزيّة.

٤ ـ كُـلُّ مَـا حَـيٍّ وَإِنْ أَمِـرُوا   وَارِدُو الـحَـوْضِ الَّـذِي وَرَدُوا

«ما» زائدة، ويجوز أن يريد بالحيّ ضدّ الميت، ويكون الضمير من «أمروا» عائدًا إلى لفظة «كل» وجواب الشّرط في قوله «وإنْ أَمِرُوا» ما دَلَّ عليه قوله «واردو الحوض الذي وردوا» والضمير العائد من الصّلة إلى الموصول محذوف، كأنه قال: الذي وردوه، لأنهم استطالوا الاسم بصلته.

[٣١٠] وقالت امرأة:

ويقال: إنّها لأُمّ تأبَّطَ شَرًّا، ويقال: لأمِّ السُّلَيْك بن السُّلَكة، وهذا الاسم منقول من قولهم: سُلَك، وهو طائر، وجمعه سِلْكان، والسُّلَيْك: بطن من العرب، وقال أبو العلاء: لفرخ الحجلة خاصية في إخفائه نَفْسَهُ فقيل له سُلَك، وقد يجوز أن يكون السُّلَيْك لم يُرَدْ به هذا الوجه، ولا يبعد أن يكون مُسَمًّى بالسُّلَيْك مصغر السُّلَك أو مرخّمًا ترخيم الصغير من سالك وسَلاَّك ونحو ذلك، وكان السُّلَيْك أحد مغاوير العرب، وبه يُضْرَبُ المَثَلُ في المَضَاء، قال الشّاعر: [الطويل]

لَـزُوَّارُ لَـيْـلَـى مِـنْـكُـمُ آلَ بُـرْثُـنٍ   عَلَى الهَوْلِ أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ المَقَانِبِ

والسُّلَك: فرخ الحَجَلَة، والأُنثى سلكة، ومنه سُمِّيت المرأة بهذا الاسم.

١ ـ طَـافَ يَـبْـغِـي نَـجْـوَةً   مِـنْ هَـلاكٍ فَـهَـلَـكْ

٢ ـ لَـيْـتَ شِـعْـرِي ضَـلَّـةً   أَيُّ شَـيْءٍ قَـتَـلَـكْ

من مشطور المديد، والقافية متراكب.

---

(١) رواية المرزوقي: «أو وَلَدُ».
(٢) رواية المرزوقي: «من بعض الرَّزيئةِ».

قال أبو العلاء: هذا الوزن لم يذكرْهُ الخليل، ولا سعيد بن مَسْعَدة، وذكره الزَّجّاج، وجعله سابعًا للرمل، وقد يحتمل أن يكون مشطورًا للمديد، وقولها «ليت شِعري»: موضع شِعري نصب بِليت، وهو محتاج إلى مفعولين، لأنه في معنى علمي، ويقال: شَعَرْتُ شِعْرَةً، كما يقال: فَطِنْتُ فِطْنَةً، إلاَّ أنه لا يُستعمَلُ مع ليت، وقد حذف منه الهاء، وقولها «أيُّ شيء قتلك» الجملة كما هي في موضع نصب لأنها نابت عن مفعوليه، وخبر ليتَ مُضْمَرٌ لا تجده إلاَّ كذلك، فهو يشبهُ خبر المبتدأ بعد لولا إذا قلت: لولا زيدٌ لَخَرَجْتُ، فقوله «لخرجتُ» جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف، لا يجيءُ إلاَّ على ذلك، واستغنى «ليت» بمفعولي شِعري عن خبره، و«ضَلَّةً» انتصبَ على المصدر، والعامل فيه فعل مُضْمَر، وهذا الضّلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليه من حال المتوفَّى كأنه ضلَّ عن العلم به ضَلَّةً، ويجوز أن يكون لِلمتوفَّى نفسه، كأنَه ليتَ شِعري غَيْبَته وخفاء أمره ضلالاً له، والمعنى تمنّيت أن أعلمَ أيّ شيء أهلكَكَ، وهذا الضّلال عن معرفة حالك وذهابي عن العلم به، هذا على الأوّل، وعلى الثاني يكون المعنى ما الذي قتلكَ حتى ضَلَلْتَ هذا الضّلال، فإن قيل: خبر «ليت» كيف يجيءُ في التقدير وإن لم يظهر في الاستعمال؟ قلت: تقديره ليت شعري واقع أيُّ شيء قتلك: أي ليتني عَلِمْتُ أو وقعَ عِلمي بما يقتضي هذا السّؤال، لأنَّ الذي تمنّاه هو ما كان جوابه لا نفس السؤال.

٣ ـ أمَرِيضٌ لَمْ تُعَدْ ... أمْ عَدُوٌّ خَتَلَكْ

٤ ـ أمْ تَوَلَّى بِكَ مَا ... غَالَ في الدَّهْرِ السُّلَكْ

هذا إعلامٌ بأنّه تَغَيَّبَ فَخَفِيَ أمرُه فيما أصابه.

٥ ـ وَالمَنَايَا رَصَدٌ ... لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكْ

ويُروَى «رُصَّدٌ» كأنه جمع رَاصِد، وتكون المنايا جمعًا، والرواية الأولى أجود.

٦ ـ أيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ ... لِفَتًى لَمْ يَكُ لَكْ

٧ ـ كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ ... حِينَ تَلْقَى أجَلَكْ

٨ ـ طَالَ مَا قَدْ نِلْتَ فِي ... غَيْرِ كَدٍّ أمَلَكْ

٩ ـ إنَّ أمْرًا فَادِحًا ... عَنْ جَوَابِي شَغَلَكْ

قولها «إن أمرًا فادحًا» اكتسبَ «أمرٌ» وهو نَكِرَةٌ من النَّعْتِ بعض الاختصاص فلذلك صحَّ الابتداءُ به حتى دخلَ إن عليه، ألا ترى أن فائدته مع إبهامه كاملة في المراد، والمعنى إن عظيمًا من الأمور صرفَكَ عن رَسْمِكَ في مباسطتي ولأنَّ الكلامَ قد يُحْمَلُ على المعنى فيما يُستفَادُ منه فكأنه قال: ما صرفكَ وشغلكَ عن جوابي إلاَّ أمرٌ عظيمٌ فادحٌ.

١٠ ـ سَأُعَزِّي النَّفْسَ إِذْ	لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكْ
١١ ـ لَيْتَ قَلْبِي سَاعَةً	صَبْرَهُ عَنْكَ مَلَكْ
١٢ ـ لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ	لِلْمَنَايَا بَدَلَكْ

الدّليل على أن هذه الأبيات لأمّ السُّلَيْك ما يدلُّ عليه الخبر، وذلك أنَّ السُّلَيْك بن السُّلَكَة خرج في تَيْم الرِّباب يتبع الأرياف حتى مَرَّ بِفَخَّةَ فيما بين أرض بني عُقَيْل وسَعْد بن تميم، فلَقِيَ رجلاً من خَثْعَم يقال له مالك بن عُمَيْر بن أبي زَرَّاع بن جُشَم بن عَوْف بن العَتِيك، وَالعَتيك: من الجرأة والإقدام، يقال: عَتَكَ عليه بالسّيف، إذا حمل عليه، ولا يمتنع أن يكون اشتقاقه من اشتقاق عاتكة وهي القوس التي قد احمرَّتْ من القِدَمِ، أو من قولهم: عَتكَ بالشَّيء، إذا لَزِمَهُ، فأخذه ومعه امرأة من خَفَاجَة يقال لها: نَوَار، فقال له الخثعميّ: أنا أفدي نفسي منك، فقال له السُّلَيْكُ: ذلك لكَ على أن لاَ تَخِيسَ ولا تُطْلِعَ عَلَيَّ أحدًا من خَثْعَم، فأعطاه ذلك، وخرج إلى قومه، وخلف السُّليك على امرأته فنكحَها، وجعلت تقول: احذرْ خثعمَ فإنّي أخافهم عليك، وجعل ينشدها هذا الشعر: [الطويل]

تُحَذِّرُنِي أَنْ أَحْذَرَ القَوْمَ خَثْعَمًا	وَقَد عَلِمَتْ أَنِّي اَمْرُؤٌ غَيْرُ مُسْلَمِ
وَمَا خَثْعَمٌ إِلاَّ لِئَامٌ أَذِلَّةٌ	إِلَى الذُّلِّ وَالإِسْخَافِ تُنْمَى وَتَنْتَمِي

وبلغ شِبْل بن قِلاَدة بن عمرو بن سعد بن عُوَيف بن عَتِيك وأنَسَ بن مدركة الخبرُ، فخالفا الخثعميّ زوج المرأة، فلم يعلم السُّليك حتى طرقاه، فأنشأ يقول: [الرجز]

مَنْ مُبْلِغٌ حَرْبًا بِأَنِّي مَقْتُولْ

حرب: ابنه وكان به يُكْنَى.

يَا رُبَّ نَهْبٍ قَدْ حَوَيْتُ عُثْكُولْ	وَرُبَّ خِرْقٍ قَدْ تَرَكْتُ مَجْدُولْ
وَرُبَّ رِيمٍ قَدْ نَكَحْتُ عُطْبُولْ	وَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَكْتُ مَكْبُولْ
وَرُبَّ وَادٍ قَدْ قَطَعْتُ مَشْبُولْ

فيه أشبال الأسود، وقال أنس لِشبل: إنْ شِئتَ كَفَيْتُكَ القومَ وتكفيني الرَّجلَ، فقال: لا، بل أكفيكَ القومَ واكْفِني الرَّجلَ، فشدَّ عليه أنس فقتله، وقتل شبل وأصحابه مَن كان معه، فقال عوف بن يربوع الخثعميّ وهو ابن عَمِّ مالك: واللّه لأقتلنَّ أنسًا في إخفاره ذمّة ابن عَمّي، وجرى بينهما في هذا المعنى مقارضات، فممّا قاله أنس بن مدركة: [البسيط]

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي كَرِيمٍ قَدْ أُصِبْتُ بِهِ	ثُمَّ بَقِيتُ كَأَنِّي بَعْدَهُ حَجَرُ
لاَ أَسْتَكِينُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلاَ	أُغْضِي عَلَى الأَمْرِ يَأْتِي دُونَهُ القَدَرُ

مِرْدَى حُرُوبٍ أُجِيلُ الأَمْرَ جَائِلَهُ ... إذْ بَعْضُهُمْ لأُمُورِ تَعْتَرِي جَزَرُ
إنّي وَعَقْلِي سُلَيْكًا بَعْدَ مَقْتَلِهِ ... كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ البَقَرُ
غَضِبْتُ لِلْمَرْءِ إذْ نِيكتْ حَلِيلَتُهُ ... وَإذْ يُشَدُّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ

كانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشربْ لِكَدرِ الماء ولِقلَّة العطش ضربوا الثورَ ليقتحمَ الماء، لأن البقر تتبعه كما يتبع الشَّوْلُ الفَحْلَ، وكما تتبع أُتُنُ الوحش الحمارَ، وكانوا يزعمون أن الجنَّ هي التي تَصُدُّ الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك، وقال أبو العلاء: قال قوم: الثَّور في هذا المثل الطّحلب، وقد سمّاه بالثور وذكره مع البقر ليلغزَ به على السَّامع، وإن صحَّ ذلك فالمعنى مستطرف، وفيه لغز، لأن المقصد الطّحلب، والوجه الأوّل، وإنما ذكر هذا المثل على وجه الإنكار ووضع الشَّيء في غير موضعه، كقولهم: ما لي إلاَّ ذنب صُحْرَ: أي لا ذنبَ لي، وكذلك الثور لا ذنبَ له إذا عافت البقر الماء، وإنما فعل ذلك بعض الرّعاة فوصفوا ظلمه وضربوا به المثل، وقول الأعشى: [الطويل]

لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّيُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ ... وَمَا ذَنْبُهُ إنْ عَافَت المَاءَ مَشْرَبَا

الجنيّ: اسم الرّاعي، وقيل: الواحد من الجنّ.

[٣١١] وقال العُجَيْرُ السَّلُوليّ(١):

قال أبو الفتح: بنو عُجْرٍ بطن من العرب، فقد يجوز أن يكون العُجَير تحقير هذا الاسم، وقد يجوز أن يكون تحقير أعجر، والمؤنث عَجْرَاء، إذا كانا ذوَيْ عُجَر، وهي العُقَد، وقال رجل للحطيئة وهو يرعى غنمًا له: ما عندكَ يا راعي الغنم؟ فقال: عَجْرَاء من سَلَمٍ، فقال: إنّي ضيفٌ، فقال: لِلضّيفان أعْدَدْتُها، وأما سَلُول فاسم مرتجل، لا نعرفه جنسًا، وذكر أبو العلاء هذا الذي ذكره وقال: ولو رخم مِعْجَرُ المرأة ترخيم التصغير لَقِيلَ عُجَيْر، وكذلك قولهم: فحلٌ عَجِيرٌ، إذا كان لا يُولَدُ له، وقيل: هو العِنِّينُ، ولا يمتنع أن يكون العُجَير من قولهم: عجر الشَّيء، إذا لواه، وسلول: هي أُم مُرَّةَ بن عامر بن صَعْصَعَة غلبت على ولدها فنسبوا إليها.

١ ـ تَرَكْنَا أبَا الأضْيَافِ في لَيْلَةِ الصَّبَا ... بِمَرْوَ وَمِرْدَى كُلِّ خَصْمٍ يُجَادِلُهْ(٢)

---

(١) العُجَيْر السَّلوليّ: واسمه عمير، وعجير لقبه، ابن عبد اللّه بن عبيدة بن كعب، من شعراء الدولة الأمويّة. كان جوادًا كريمًا، عَدَّه ابن سلاّم في شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين (ت نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م). ترجمته في: الأغاني ١٣/ ٦٣، دار الكتب العلمية؛ ومعجم المرزباني ص ٢٣٢.

(٢) عند المرزوقي: «بِمَرَّ ومِرْدَى».

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

جعله أبا الأضياف لتوفّره عليهم، ويُرْوَى «أبا الحجناء» والصَّبَا تهبّ من مطلع الشَّمس، والفعل منها صَبَتْ تَصْبُو، وأضاف اللَّيلةَ إلى الصَّبا تعريفًا وتخصيصًا، كأنه كان لِلصَّبَا شأنٌ تلك اللَّيلة، والمِرْدَى: صخرة يُكْسَرُ بها النَّوَى، هذا أصله، ويقال: فلانٌ مِرْدَى الحروب أو الخصوم، أي يرمون به فيكسرهم.

٢ - تَـرَكْـنَـا فَـتًـى قَـدْ أيْـقَـنَ الـجُـوعُ أنَّـهُ ... إذَا مَـا ثَـوَى فـي أرْحُـلِ الـقَـوْمِ قَـاتِـلُـهْ

«إذا ما ثَوَى» ظرف لقاتله، والمراد بهذا البيت أنه يطعمُ الناسَ فيفقدون الجوع، فكأنّه قتله، وهذا نحو من قول الآخر: [المتقارب]

لاَ يُـبْـعِـدُ الـلَّـهُ رَبَّ الـرِّمَـا ... دِ وَالـمِـلْـحِ مَـا وَلَـدَتْ وَالِـدَهْ

هُـمُ الـمُـطْـعِـمُـونَ سَـدِيـفَ الـسَّـنَـا ... مِ وَالـقَـاتِـلُـو الـلَّـيْـلَـةِ الـبَـارِدَهْ

أي: يقتلونها بإيقاد النَّار ونَحْرِ الجزرِ فينصرف شرُّها عن النّاس، فكأنها تُقْتَلُ بذلك.

٣ - فـتًـى قُـدَّ قَـدَّ الـسَّـيْـفِ لاَ مُـتَـضَـائِـلٌ ... وَلاَ رَهِـــلٌ لَـــبَّـــاتُـــهُ وَأَبَـــاجِـــلُـــهْ

الرَّهَلُ: الاسترخاء، وجمع اللَّبَّة بما حولها، وأباجله: جمع أبْجَل، وهو عِرْقٌ غليظٌ يكون في الفخذ والسَّاقِ، وإذا وُصِفَ الفرسُ بالسّرعة قالوا: هو واهي الأباجِل، والمتضائل: المتخاشع.

٤ - إذَا جَـدَّ عِـنْـدَ الـجِـدِّ أرْضَـاك جِـدُّهُ ... وَذُو بَـاطِـلٍ إنْ شِـئْـتَ أَلْـهَـاكَ بَـاطِـلُـهْ

٥ - يَـسُـرُّكَ مَـظْـلـومًـا، وَيُـرْضِـيـكَ ظَـالِـمًـا ... وَكُـلُّ الَّـذِي حَـمَّـلْـتَـهُ فَـهُـوَ حَـامِـلُـهْ

مظلومًا: انتصب على الحال، يقول: إن اهْتُضِمْتَ انتقمَ لكَ من ظالمك، وإن اهْتَضَمْتَ أنتَ غيرَكَ لم يقعدْ عن نصرتك، وهذا على طريقتهم، لا على طريقة ما ورد في الخبر «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» لأن تفسير الخبر فيه، وهو أنه قيل له: ينصره مظلومًا فكيف ينصره ظالمًا؟ فقال: يَكُفُّه عن الظُّلم لِئلاَّ يَأْثَمَ، وما هذا معناه، والمرزوقي حمل معنى الخبر على معنى البيت، ولا وجه لذلك.

٦ - إذَا نَـــزَلَ الأضْـــيَـــافُ كَـــانَ عَـــذَوَّرًا ... عَـلَـى الـحَـيِّ حَـتَّـى تَـسْـتَـقِـلَّ مَـرَاجِـلُـهْ

النَّحويّون يقولون: إن الواو في «عَذَوَّر» وما كان مثله زائدة، والعَذَوَّر: السيّىء الخلق، كأنه يحتاج إلى أن يعتذر لسوء ما يفعل، ومعناه أنه يسيءَ خلقه على خدمه وأصحابه لأنه يريد أن يعجلَ قِرى الأضياف.

[٣١٢] وقال الحَجْنَاءُ[١] مولى بني أسد:

١ - أعاذِلُ مَنْ يُرْزَأْ كَحَجْنَاءَ لاَ يَزَلْ كَئِيبًا وَيَزْهَدْ بَعْدَهُ في العَوَاقِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «ويزهدْ بعده في العواقب» أي: في عواقب أطهار النساء، لأنه يعلم أنه لا يولد له مثل هذا الابن، ومثله: [الكامل]

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَواقِبَ الأَطْهَارِ

٢ - حَبِيبٌ إِلَى الفِتْيَانِ صُحْبَةُ مِثْلِهِ إِذَا شَانَ أَصْحَابَ الرِّجَالِ الحَقَائِبُ

ويُرْوَى «حبيبًا» وانتصابه على الحال من المضمَر في قوله «بعده» وصحبة: ارتفع بقوله «حبيبًا» ارتفاع الفاعل بفعله، ويُرْوَى «حبيب إلى الفتيان» على أنه خبر مُقَدَّم، والمبتدأ «صحبة مثله»، وجواب «إذا» ما يدلُّ عليه صدر البيت، كأنّه قال: إذا بخلَ أصحابُ الرِّجالِ بالزَّاد فشأنهم امتلاء حقائبهم، ففي ذلك الوقت يستحبُّ الفتيان صحبة مثله لحُسْن توفّره ورَحَابة صدره، وإنما قال «صحبة مثله» ولم يقل «صحبته» إجلالاً له وصيانة لاسمه، لا إتيانًا بنظير له، وعلى هذا قولهم: مِثْلُ فلان لا يُوَازَى بفلان، ومثلك لا يفعل كذا، وفي القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢].

٣ - نِظَامُ أُنَاسٍ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَيَصْدَعُ عَنْهُمْ عَادِيَاتِ النَّوائِبِ

قوله «عاديات النّوائب» يجوز أن يكون من العداء الظّلم، يقال: عَدَا يَعْدُو عَدْوًا وعِدَاءً وَعُدْوَانًا، ويجوز أن يكون من العَدْو، يريد مسرعات النوائب، ومعنى يَصْدَعُ يُفَرِّقُ، ومنه «تَصَدَّعَتِ الأرضُ بفلانٍ» إذا تَغَيَّبَ فارًّا.

٤ - وَجَرَّبْتُ مَا جَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَرَّنِي وَلاَ يَكْشِفُ الفِتْيَانَ غَيْرُ التَّجَارِبِ

هذا كقوله «ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّب» ومنه المثل: [مجزوء الوافر]

تَرَى الفِتْيَانَ كَالنَّخْلْ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلْ[٣]

٥ - بَعِيدُ الرِّضَا لاَ يَبْتَغِي وُدَّ مُدْبِرٍ وَلاَ يَتَصَدَّى لِلضَّغِينِ المُغَاضِبِ

أي: ليس بسريع الأَوْبَة إذا غَضِبَ، ولا يتعرّضُ لِعدوّه المضطغن عليه، بل يتركه ينطوي على ما في صدره من غلٍّ وعداوة ومنتظرًا ما يكون منه، ومحاذرًا ما يَتّقي من جهته.

---

(١) عند المرزوقي أبو الحجناء، وهو غير أبي الحجناء نُصَيْب الأصغر الذي وردت له حماسية سابقة.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) البيت لعثمة بنت مطرود البجلية كما جاء في أمثال الميداني ١/ ١٢٣؛ وقد ضَمَّنته ابنة الخس شعرًا لها في البيان ١/ ٢٢٠؛ واللسان ١٨/ ١٧٩.

٦ ـ وَكُنْتُ إِذَا مَا خِفْتُ أَمْرًا جَنَيْتُهُ يُخفِّضُ جَأْشِي ضَبْنُكَ المُتَرَاغِبُ

ويُرْوَى «المتراغب» بالغين معجمة وبالراء، ويُروَى بالعين غير معجمة وبالزاي، فإذا رُوِيَ بالغين معجمة فهو من الرّغابة، يقال: وادٍ رَغيبٌ، وحوضٌ رَغيبٌ: واسعٌ، وبطنٌ رغيبٌ، للكثير الأكل، ومَنْ رَوَى بالعين غير معجمة وبالزاي فهو من قولهم: سيلٌ زاعبٌ: يملأ الوادي، وقد جاء «راعبٌ» بالراء والعين غير معجمة في معنى زاعب، غير أن الزاي أكثر، ويُروَى «ضبنك المتراغب» فإذا أخذ بهذه الرواية فهو مثل قولهم: فلانٌ رَحْبُ الذِّراعِ، يريد إنِّي إذا خفتُ لجأتُ إليه فكنت في ضِبْنِه: أي كَنَفِهِ وناحيته، ومَنْ رَوَى «ضبثك» فالضّبث: القبضُ الشّديد: أي إنك تقبضُ الكَفَّ على العدوّ فيطمئن جأشي لذلك.

[٣١٣] وقال آخر:

١ ـ إِذَا مَا امْرُؤٌ أَثْنَى بِآلاَءِ مَيِّتٍ فَلاَ يُبْعِدِ اللَّهُ الوَلِيدَ بنَ أدْهَمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الآلاءُ: النِّعَم، واحدُها إلًى، يعني بها صنائعه عند الناس، يقول: إذا أُثْنِيَ على مَيِّتٍ بحُسْن أياديه فقرّب اللَّه الوليد بِكَثْرةِ أياديه.

٢ ـ فَمَا كَانَ مِفْرَاحًا إذَا الخَيْرُ مَسَّهُ وَلاَ كَانَ مَنَّانًا إذَا هُوَ أنْعَمَا

المِفْرَاحُ: الكثيرُ الفَرَحِ، يصفه بأنه لا يطغيه الغنى ولا يكدّرُ إنعامَه بالمنِّ والأَذى.

٣ ـ ونَادَى المُنَادِي أوَّلَ اللَّيلِ بِاسْمِهِ إذَا أحْجَرَ اللَّيلُ البَخِيلَ المُذَمَّمَا

٤ ـ لَعَمْرُكَ مَا وَارَى التُّرَابُ فَعَالَهُ وَلَكِنَّمَا وَارَى ثِيَابًا وأعْظُمَا

يقول: إن مناقبه مشهورة، وإنّما سترَ التراب ثيابه وأعظمه.

[٣١٤] وقال أبو الشَّغْب العَبْسِيّ(١) في خالد بن عبد اللَّه القَسْرِيّ وهو أسير في يد يوسف بن عمر:

١ ـ ألاَ إنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ في السَّلاَسِلِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

(١) أبو الشّغب العبسي: واسمه عِكرشة وهو من شعراء الدولة الأموية. وخالد بن عبد اللَّه القسريّ: وكان واليًا على العراق وما يليه من الأهواز وفارس ويوسف بن عمر عامل الوليد بن يزيد بن عبد الملك على العراق، وقد دفع الوليدُ بخالد لعامله يوسف بن عمر فحمله إلى الكوفة وعذّبه حتى قتله وذلك في سنة ١٢٦.

قوله «حَيًّا وهالكًا» يجوز أن ينتصب على الحال، والعامل فيه ما دلَّ عليه «خير النَّاس» ويكون الكلام ثناءً على المخبر عنه بخير النّاس، ويجوز أن ينتصبا على التمييز، ويكون معناه أحياءه خير الأحياء وأمواته خير الأموات فيرجع المدح إلى سلفه وقومه، كأنه قال: إنَّ خيرَ النَّاس من الأحياء والأموات أسير ثقيف، وقوله «عندهم» يجوز أن يكون في موضع الحال، ومعناه حاضرًا لهم، ويكون العامل ما دلَّ عليه أسير ثقيف، وتكون فائدة الكلام أنه كلام يجوز أن يكون أسيرًا لهم ولم يكن عندهم، وكذلك قوله «في السَّلاسل» يجوز أن يكون في موضع الحال، ويكون العامل ما عمل في الظّرف فيكون تقديره بحضرتهم مُقَيَّدًا، ويجوز أن يكون العامل في «عندهم» ما دلَّ عليه قوله «في السلاسل».

٢ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ عَمَّرْتُمُ السِّجْنَ خَالِدًا وَأوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ الـمُـتَـثَـاقِـلِ
٣ ـ لَقَدْ كَانَ يَبْنِي المَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللُّهَى في كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
٤ ـ فَإنْ تَسْجُنُوا القَسْرِيَّ لاَ تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلاَ تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي القَبَائِلِ

قوله «عَمَّرْتُم السّجن» أي: أدمتم سجنه، كأنهم جعلوا خالدًا للسجن عُمْرَى، والفعل منه عَمَّرْته كذا، وأعْمَرْته: أي جعلته له عُمْرَهُ، والعمر: السنون والحين، ومنه ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾[1] وقوله «وأوطأتموه وطأةً» يجوز أن تكون «وَطْأَةً» مصدرًا من أوطأتموه، وإن لم يكنْ من لفظه، كما يجعل العَطَاء موضع الإعطاء، والمفعول الثاني محذوف، كأنه قال: أوطأتموه السجن أو الأرض إيطاءَ المتثاقِل، ويجوز أن يريد أوطأتموه فَوَطِيءَ وطأة المتثاقل، وقال أبو العلاء: يجوز أن يكون المراد بقوله «عَمّرتم السّجن خالدًا» جعلتموه مَعْمُورًا به، وقوله «وأوطأتموه» مثل، وإنما يقال: وَطِئَهُ وَطْأَةَ المتثاقِلِ، إذا فعل به أمرًا يثقل عليه وإن لم يَكن ثم وطأة، واحتاج إلى إقامة الوزن فعَدَّى الفعل بالهمزة، والمعنى أوطأتموه غيركم: أي عُبْدَانكم وَحَشَمَكم، وقال أبو هلال: يعني أنكم كَبَّلْتموه فثقلت وطأته كالبعير الذي يتثاقل بحمله.

[٣١٥] وقال مُهَلْهِلٌ[2]:

قيل: سُمِّيَ مُهَلْهِلاً لأنَّه أوَّل مَنْ أرَقَّ الشِّعرَ وهَلْهَلَهُ، قال النَّابغة: [الطويل]

أتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِكَ الحَقُّ الَّذِي هُوَ ناصِعُ

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٦.
(٢) المُهَلْهِلُ: عَدِيّ بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة، من بني جُشَم من أبطال العرب في الجاهلية، وهو خال امرىء القيس الشاعر (ت نحو ١٠٠ق.هـ/ ٥٢٥ م). ترجمته في: الشعر والشعراء ص ٩٩؛ وخزانة البغدادي ١/ ٣٠٠؛ والأغاني ٦/ ١١١، ٩/ ٩٣، ١٣/ ١١٨، ١٩/ ٢٣.

وأنكر قوم هذا، وقالوا: كيف يكون هذا ومهلهل أحد شعراء العرب؟! قال ابن الكلبيّ: وإنّما سُمِّيَ مهلهِلاً ببيت قاله: [الكامل]

لَمَّا تَوَقَّلَ لِلْكُرَاعِ هَجِينُهُمْ   هَلْهَلْتُ أثْأرُ مَالِكًا أوْ صِنْبِلاَ

الكُرَاع: أنف الحَرَّة، وهلهلت: رجعت الصّوت.

١ ـ نُبِّئْتُ أنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ   واسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ المَجْلِسُ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

كان كُلَيْب وائل لا تُوقَدُ مع ناره لِلضِّيفانِ نارٌ في أحمائه، وفيما يقرب من منازله وأوطانه، وكان إذا حضرَ مجلسَه النَّاسُ لا يجسرُ أحدٌ أن يفاخرَ غيره أو يسابّه إعظامًا لقدره، فلما فقد تجرَّؤوا على الكلام.

٢ ـ وَتَكَلَّمُوا فِي أمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ   لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبِسُوا

لم يَنبِسوا: لم يتكلّموا، وهذا نحو قول صفيّة ابنة عبد المطلب، ويُرْوَى لِغَيْرِها: [البسيط]

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أنْبَاءٌ وَهَنْبَثَةٌ   لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الخُطَبُ

الهنابثُ: الأمور الشِّدادُ.

٣ ـ وَإذَا تَشَاءُ رَأيْتَ وَجْهًا وَاضِحًا   وَذِرَاعَ بَاكِيَةٍ عَلَيْهَا بُرْنُسُ

٤ ـ تَبْكِي عَلَيْكَ ولَسْتُ لائِمَ حُرَّةٍ   تَأْسَى عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ وَتَنَفُّسُ

قال أبو رياش: اسمُ كُلَيْبٍ: وائلٌ، وكان له كُلَيْبٌ كان يكتَعه: أي يَشُدُّه ويطرحُه في الرّوضة، فيحمي مُنْتَهى عُوَائِه، ويقال: هذا صوتُ كُلَيْبِ وَائِلٍ، ولما اجتمعتْ لِكُلَيْبٍ مَعَدٌّ يوم خَزَازَى وقاتل بهم اليمن فهزمهم وظفر باليمن ازدادَ كليبٌ شَرَفًا إلى شَرَفِهِ وعِزًّا إلى عِزِّهِ، حتى ضُرِبَ به المَثَلُ إلى السَّاعة، فيقال: أعَزُّ من كليبِ وائلٍ، وفي تصداق ذلك يقول الفرزدق: [الكامل]

فَاسْأَلْ بِقَوْمِكَ كَيْفَ كانَ قَدِيمُهُمْ   وَقَدِيمُ تَغْلِبَ أوَّلَ الأزْمَانِ
ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ والمُلُوكَ وَأوْقَدُوا   نَارَيْنِ أشْرَفَتَا عَلَى النِّيرَانِ
لَوْلاَ فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ   دَخَلَ العَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ

وكان كُلَيْبُ قد تزوَّجَ جَليلة وماوية بنتي مرّة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وأُمهما الهالة بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وجدّتها البسوس، ويقال: إنَّ البسوس النَّاقة التي تَدِرُّ على الإبساسِ، وفيه يقول أبو جندب الهذليّ: [الطويل]

فَمَنْ كَانَ يَبْغِي الصُّلْح فِيهِ فَإنَّهُ   كَأحْمَرِ عَادٍ أوْ كُلَيْبٍ لِوَائِلِ

أَتَيْتُ بِمَا تَجْنِي البَسُوسُ لأهْلِهَا بِألْفَي لِجامِ بَعْدَ ألْفَيْ مُقَاتِلِ

وكانت بنو جُشَم بن بكر رهط كليب وبنو شيبان في دار واحدة إرادَةَ الطَّاعة ومخَافَةَ الفُرْقَةِ، وكان جَسَّاس بن مُرَّة بيته إلى بيت كليب، ولجساس عشرة إخوة: هَمَّامُ بن مرّة، ونَضْلة، ودُبّ، وكِسْر، وسَيَّار، وجُنْدَب، وسَعد، وبُجَيْرَ، والحارث، وهمّام بن مرّة الذي يقول: [الكامل]

وَإذَا تَـكُـونُ كَـرِيـهَـةٌ أُدعَـى لَـهَـا وَإذَا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

هـٰذَا لَعَـمْـرُكُـمُ الـصَّـغَارُ بـعَـيْـنِـهِ لاَ أُمَّ لِـــي إنْ كَـــانَ ذَاكَ وَلاَ أَبُ

ولِكليب أربعة إخوة: عَدِيّ، وهو مُهلهِل، وامْرُؤ القيس، وسَلَمة بن ربيعة، وعبد اللّه بن ربيعة، ثم إنَّ كليبًا جعل أرضًا من أرض العالية حِمًى ممنوعًا لا يرعاه إلاَّ مَن آذَنَ بحرب، ثم إنَّ رجلاً من جَرْم يقال له سَعْد أقبل بناقة له يقال لها سَرَاب حتى نزل على البَسُوس جارة خالة جسّاس، وبينها وبين سعد قرابة، فخرجت ناقة سعد في إبل جسّاس، وهو خليطُ كُلَيْبٍ تَسْرَحُ إبلُهمَا جميعًا، فكان كليبٌ يخرج ويدورُ في حماه، فإذا هو بِحُمَّرَةٍ[1] على بَيْضٍ لها، فلما نظرتْ إليه صَرْصَرَتْ وخفقتْ بجناحيها، فقال: أمِنَ رَوْعُكِ، أنتِ وبَيْضُكِ في ذِمَّتي، ثم قال: [الرجز]

يـا لَكِ مِـنْ حُـمَّـرَةٍ فـي مَـعْـمَـرِ خَلاَ لَـكِ الجَوُّ فَبِيضِي وَٱصْفِرِي

وَنَـقِّـرِي مَـا شِـئْـتِ أنْ تُـنَـقِّـرِي

ثم خرج بعد ذلك يطوف، فإذا هو بأثر بعير لا يعرفه قد وطىءَ البيضَ فشدخَه، فاشتدَّ ذلك عليه، وقال: وأنْصَابِ وائل ما اجترأ على إخفار ذمّتي جملٌ من إبلِ وائل. وانصرفَ إلى منزله والغضبُ يُعْرَفُ في وجهه، حتى إذا كان من الغد خرج هو وجَسَّاس ليتفقدا إبلهما وينظرا مَرْتعَهما، فنظر كليب إلى ناقة سَعْد فظنَّ أنها التي كسرت البيض، فقال: أولى لك ثم أولى، فلقد هممت ولو استيقنت لفعلت، لا عادت هذه النّاقة في هذه الإبل، فظنَّ جسَّاسٌ أنَّ كُليبًا إنما قال ذلك ليخرجَ إبله من الحِمى، فغضبَ جسّاس وقال: بلى واللّه لتعودَنّ عَوْدًا على بَدْءٍ، ولا تضع إبلي رؤوسها في موضع إلاَّ وضعت هذه النّاقة رأسها فيه، فقال كليب: قد تقدَّمَ رَحْلُكَ على سِيسَائِكَ يا جساس، واللّه لَئِنْ عادت لأَضَعَنَّ سَهْمي في ضرعها، فقال جساس: وأنْصَابِ وائل، لَئِنْ وضعتَ سهمَكَ في ضرعها لأَضَعَنَّ سناني في صلبِكَ، ثم طردَ جسّاس النّاقةَ في أبْعُرِهِ، فجعلها في جانب الحِمى عن طريق كُليب، فانصرفَ كليب إلى منزله مُغْضَبًا، فقالت له الجليلة زوجته: ما بالكَ مغضبًا؟ فلم يخبرها، فلم تزلْ به حتى قال: هل تعلمين أحدًا يمنع منّي جاره؟

---

(١) الحُمَّرَة: طائر أحمر اللون.

قالت: ما أعلمه إلاّ ما كان من أخي جسّاس، قال: وإنَّ جسَّاسًا ليمنعُ منّي جاره؟ قالت: نعم إن قال، فهل قال؟ قال كليب: [الرجز]

قَـدْ قَـالَ وَالـقَـوْلُ عَـنِّـي رَاهِـقُ ... إلاَّ إذَا كَـانَـتْ لَـهُ حَـقَـائِـقُ

فقال جَسَّاس:

عِـنْـدَ الـزِّحَـامِ تُـعْـرَفُ الـسَّـلائِـقُ
وَذُو الـوَعِـيـدِ كـاذِبٌ أوْ صَـادِقُ
هَـلْ شِـيـمَـةٌ إلاَّ لَـهَـا خَـلائِـقُ

وسارت بينهما أشعار كثيرة في هذا المعنى، فكان كليب إذا أراد أن يركبَ منعته جليلة وناشدته أن يعقّ صهره أو يقطع رحمه، وتناشد جسّاسًا أخاها وفيما جرى بينهما قال مهلهِل لكليب: [الطويل]

أَخٌ وَحَـرِيـمٌ سَيِّىءٌ إنْ قَـطَـعْـتَـهُ ... فَقَطْعُ سُعُودٍ هَدْمُهَا لَكَ هَادِمُ
فَمَا أنْتَ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ صَانِعٌ ... وَكِلْتَاهُمَا فِيها عَنِ الحَقِّ حَارِمُ
وَقَفْتُ عَلَى قَلْتَيْنِ إحْدَاهُمَا دَمٌ ... وَإحْدَاهُمَا في المَاءِ مِنْهَا العَلاَقِمُ[1]
فَـمَـنْـقَـصَـةٌ فـي هـٰذِهِ وَمَـذَلَّـةٌ ... وَشَـرٌّ شِـمِـرٌّ بَـيْـنَـكُـمْ مُـتَـفَـاقِـمُ[2]
وَأَخْذُكَ بِالضَّيْمِ المُذَلِّلِ قُضْأَةٌ ... وَأَخْذُكَ يَوْمَ الضَّيْمِ بِالذُّلِّ نَادِمُ[3]

فأجابه كُلَيب: [الطويل]

سأمْضِي لَهُ قُدْمًا وَلَوْ شَابَ في الَّذِي ... أهُمُّ بِهِ فِيمَا صَنَعْتُ المَقَادِمُ
مَخَافَةَ قَوْلٍ أنْ يُخَالِفَ فِعْلَهُ ... وَأنْ يَهْدِمَ العِزَّ المُشَيَّدَ هَادِمُ

وقال لمهلهِل: واللّه ما أنتَ إلاّ زِيرُ نساء، ولو قُتِلْتُ ما أخذتَ بِدَمي إلاّ اللَّبن، فمكثَ كليبٌ أيامًا ثم بلغه أن النّاقةَ في الحِمى، فركب ومعه سلاحه فلم يجدها، ثم مكثَ أيامًا، ثم ركبَ، ووردت إبله وإبل جسّاس على إثرها واردة فحبست إبل جسّاس وعقل منها أبعرة فيهنّ ناقة سعد، فلمّا رأت الناقة الماء نازعت عِقَالَهَا فقطعته وأتبعت الإبل، فكان الرّعاء يذودون عن الحوض فغلبتهم النّاقة ووردت وهي تَطَّرِدُ، فظنَّ كليبٌ أنّها من إبل جساس، ثم أنكرها، فسأل عنها، فقيل: هي ناقة الجَرْميّ، فظنَّ كُليبٌ أنها أُرْسِلَتْ ترغيمًا له، فاستعرضها، فرمَى ضرعَها بسهم فانتظمه، فنفرت وأقبلت إلى عَطَنِها

(١) القَلْت: الهلاك. (٢) شَرٌّ شِمِرٌّ: شديد.
(٣) القُضْأَة والقَضْأة: العيب والفساد والعار.

لها عجيجٌ يَشْخُبُ ضَرْعُها شريجين من لبن ودم، فلمّا رأتها البسوسُ وَثَبَتْ وانتزعتْ خمارها عن رأسها وصاحت: واذُلاَّه، وضربَتْ وجهَها، وصرخَ الجرميّ يدعو بالويل، وتقول البسوسُ: وَاذُلاَّه، واذلّ جاراه، وأنشأ كليب يقول: [الوافر]

سَيَعْلَمُ آلُ مُرَّةَ حَيْثُ كَانُوا ... بِأَنَّ حِمَايَ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ
وأنَّ لَقُوحَ جَارِهِمُ سَتَغْدُو ... عَلَى الأَبْيَاتِ غُدوةَ لاَ بَرَاحِ
إذا عَطَنَتْ سَرَاب بِفِرْسِنَيْهَا ... تَبَيَّنَتِ المِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ[1]
فَظُنُّوا أنَّنِي بِالحِنْثِ أَوْلَى ... وَأَنِّي كُنْتُ أَوْلَى بِالنَّجَاحِ
وَمَا يُسْرَى اليَدَيْنِ إِذَا أُصِيبَتْ ... مِنَ اليُمْنَى بِمُدْرِكَةِ الفَلاَحِ

فقال جسّاس لِلبَسوس: اسكتي فلَكِ بناقَتِكِ ناقة أعظم منها، فأبت أن ترضى، حتى صاروا لها إلى عشر، فلمّا كانت باللَّيلِ أنشأت تقول تخاطب سعدًا وترفع صوتها لِتُسْمِعَ جسّاسًا: [الطويل]

أَيَا سَعْدُ لاَ تُغْرَرْ بِنَفْسِكَ وَاحْتَرِزْ ... فَإِنِّيَ فِي قَوْمٍ عَنِ الجَارِ أَمْوَاتِ
وَدُونَكَ أَذْوَادِي إِلَيْكَ فَإِنَّنِي ... مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَغْدِرُوا بِبُنَيَّاتِي
لَعَمْرُكَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مِنْقَرٍ ... لَمَا ضِيمَ سَعْدٌ وَهْوَ جَارٌ لأَبْيَاتِي
وَلٰكِنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مَعْشَرٍ ... مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذِّئْبُ يَعْدُ عَلَى شَاتِي

فقال جسّاس: اسكتي أيّتها المرأة، فواللَّه ليصبحنَّ غدًا عقير أعظم عقرًا على وائل من ناقتك، وسَمَّتِ العربُ أبياتها هذه المُوَثِّبَات، فلمّا بلغَ كُلَيبًا كلامه قال: قد اقتصرَ جَسَّاسٌ من قتلي على عَقْر عُلَيَّان، ودون عَقْرِ عُلَيَّان خَرْطُ القَتَاد[2] في اللّيلة المظلمة، وعُلَيَّان: جمل كان فحلاً لِكُلَيب، فظنَّ كُلَيْبٌ أنه عناه، وقال جسَّاس: [الرَّمَل]

إِنَّ جَارِي فَاعْلَمُوا ذَ ... لِكَ مِنْ أَدْنَى عِيَالِي
وَأَرَى نَاقَةَ جَارِي ... مِثْلَ نُوقٍ مِنْ جِمَالِي
فَإِذَا مَا ضِيمَ جَارِي ... ضِمْتُمُونِي فِي رِجَالِي
سَأَفِي لِلْجَارِ حَتَّى ... يَعْلَمَ القَوْمُ احْتِيَالِي
وَأَرَى لِلْقَوْمِ حَقًّا ... كَيَمِينِي مِنْ شِمَالِي

---

(١) الفِرْسِن: طَرَف خُفِّ البعير.
(٢) القَتادُ: شجر صلبٌ هو عبارة عن قُضبان مجتمعة كلّ قضيب منها ملآن ما بين أعلاه وأسفله شوكًا. وفي المثل «من دون ذلك خَرْطُ القَتَاد». تاج العروس (قتد).

إنَّ لِـلْـجَـارِ عَـلَـيْـنَـا دَفْـعَ ضَـيْـمٍ بِـالـعَـوَالِـي
فَـأَقِـلُّـوا الـلَّـوْمَ إنِّـي دُونَ مَـالِ الـجَـارِ مَـالِـي
ذَاكَ حَـقٌّ غَـيْـرُ شَـكٍّ إيْ وَأنْـصَـابِ إيَـالِ

ثمَّ إنَّ جسَّاسًا مكثَ يَتَنَدَّسُ[1] الخبر عن كُلَيْبٍ فإذا بلغه أنَّ معه سلاحه لم يأْتِهِ، حتى خرج كُلَيْبٌ ذات يوم وليس معه سلاحه، فتبعه جسَّاس هو وعمرو بن أبي ربيعة المزدلف بن ذهل بن شيبان، ويقال: إنه عمرو بن الحارث بن شيبان، حتى لحقاه في الحِمى، فقال له جسّاس: دُرْ لي من قُدَّامِهِ حتى أقتله، وكان كُلَيْبٌ لا يلتفتُ وراءَه من الكِبْرِ، فقال له جسّاس: خُذْ حِذْرَكَ فإني قَاتِلُكَ، فقال له كليبٌ: دُرْ قُدَّامِي إن كنتَ صادقًا؛ فقد عرفتَ أني لا ألتفتُ، فقال له عمرو: أنصفكَ ولا إخَالُكَ تفعلُ، فطعنَه من ورائه، فوقع ووَلَّى جسّاسٌ هاربًا، فقال: اسْقِني يا جسّاس فلا بأسَ بي، قال: الماءُ أمامَكَ، ويقال: قال: تَجَاوَزْتَ الأَحَصَّ وَشُبَيْثًا، وهما ماءان، ويقال: إن عمرو بن الحارث قال لجسّاس: والله ما أظنّكَ صنعتَ شيئًا، وأخاف أن تكون قد طرحتنا في بَلِيَّةٍ، فعاجَ على كُليب فَذَفَّفَ عليه: أي تَمَّمَ، وهو قول مُهلهِل: [الوافر]

قَـتِـيـلٌ مَـا قَـتِـيـلُ الـمَـرْءِ عَـمْـرٍو وَجَـسَّـاسِ بْـنِ مُـرَّةَ ذُو ضَـرِيـرِ

وأقبلَ جسّاس هاربًا حتى عاينه أبوه وهو في النّادي، فقال: وأنصابِ وائل لقد جَرَّ جسَّاس جريرةً عظيمةً، قالوا: وما ذاكَ؟ قال: لأنّي أرى منه موضعًا ما رأيته منذ شَدَّ إزارَه، وكان في فخذه بَرَصٌ، فلما اشتدَّ الرَّكضُ بَدَا منه ذلك لأبيه، فلمّا وقف عليهم قال أبوه: ما وراءكَ؟ قال: قتلتُ كُليبًا، قال: إذًا تُخَلَّى بجريرتك وتُقْرَن لهم بِجَرير فيقتلوك به، وأنصابِ وائلٍ لا تجتمعُ وائلٌ على خيرٍ بعد كُلَيْبٍ، ولَبِئْسَ ما جررتَ على قومِك يا جسَّاس: قتلتَ رئيسهم، وفَرَّقْتَ جماعتهم، وألقيتَ الحربَ بينهم، فقال جسّاس: [الوافر]

تَـأَهَّـبْ عَـنْـكَ أُهْـبَـةَ ذِي امْـتِـنَـاعٍ فَـإنَّ الأمْـرَ جَـلَّ عَـنِ الـتَّـلَاحِـي
وَإنِّـي قَـدْ جَـنَـيْـتُ عَـلَـيْـكَ حَـرْبًـا تَـغُـصُّ الـشَّـيْـخَ بِـالـمَـاءِ الـقَـرَاحِ

وهي طويلة، فأخذه أبوه فأوثقه رباطًا، وجعله في بيت، ثم دعا بطون بكر بن وائل، فقال: ما تقولون في جسّاس؟ فقد قتلَ كُليبًا وها هو ذا مربوطًا ننتظر متى يطلبوه فنعطيهم إياه، فقال سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس: لا واللّه ما نعطيهم إياه، ولنقاتلنَّ دُونَه حتى نَفْنَى جميعًا، فدعا بجزورٍ ثم نُحِرَتْ، ثم تحالفوا على الدّم، فقالوا: ردّ على

(١) تَنَدَّس الرجلُ الأخبارَ: تبحَّثَ عنها ليعلم منها ما هو خفيّ على غيره.

جساس قوله، فأنشأ مُرَّة يقول: [الوافر]

فَإنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَيَّ حَرْبًا ... فَلاَ وَكَلٌ وَلاَ رَثُّ السِّلاَحِ(١)

وَلٰكِنِّي على العِلاَّتِ أُجْرِي ... بِهِ المَوْتَ المَذِيقَ عَلَى الصَّبَاحِ

فَإنِّي حِينَ تَشْتَجِرُ العَوَالِي ... أُجِرُّ الرُّمْحَ مِنْ أَثَرِ الجِرَاحِ

لَعَمْرُكَ مَا أُبالِي حِينَ جَرَّت ... عَلَيَّ الحَرْبُ بِالقَدَرِ المُتَاحِ

سَأَلْبسُ ثَوْبَهَا وَأذُبُّ عَنِّي ... بِهَا يَوْمَ المَذَلَّةِ وَالفِضَاحِ

فَإنِّي قَدْ طَرِبْتُ وَهَاجَ شَوْقِي ... طِرَادُ الخَيْلِ عَارِضَةَ الرِّمَاحِ

مع غيرها من الأبيات، ثم أطلقَ جَسَّاسًا، وأنشأ يقول: [الكامل]

البَغْيُ فِيهِ لِلْمَنِيَّةِ هَادِ ... وَاللَّهُ لِلأقْوَامِ بِالمِرْصَادِ

لَوْ كَانَ أقْصَرَ وَائِلٌ عَنْ ظُلْمِنَا ... لَمْ يُلْفَ مُضْطَجِعًا بِغَيْرِ وِسَادِ

وهي أبيات، وقد أكثرت العرب في ذكر قتل كليب وبغْيِهِ في أشعارها.

[٣١٦] وقال آخر:

١ ـ لَقَدْ مَاتَ بِالبَيْضَاءِ مِنْ جانِبِ الحِمَى ... فَتًى كَانَ زَيْنًا لِلْمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

البيضاء: اسم موضع، والحِمى: اسم موضع، واشتقاق الموكب من الوَكَبان والوكوب، وهو مشية في دَرَجَان: أي كان زينًا للفوارس إذا ركبوا، وللنَّدامى إذا شربوا.

٢ ـ تَظَلُّ بَنَاتُ العَمِّ وَالخَالِ حَوْلَهُ ... صَوادِيَ لاَ يَرْوَيْنَ بِالبَارِدِ العَذْبِ

الصَّوَادي: العِطَاش، وأراد أن غَلِيلَهُنَّ وحُمَّى أكبادهنَّ لا يزولُ بالبارد العَذْبِ من الماء إذ لم يكن ذلك عن عَطَشٍ.

٣ ـ يَهِلْنَ عَلَيْهِ بِالأكُفِّ مِنَ الثَّرَى ... وَمَا مِنْ قِلًى يُحْثَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرْبِ

أي: يرسلنَ عليه التّرابَ لا عن بغضٍ ولا إهانة ولكن إظهارًا لِمَا أفضى إليه أحوالهنَّ من السّقوط في التراب والابتذال بموته.

[٣١٧] وقالت جَارِية ماتت أُمُّها فأضَرَّتْ بها امرأة أبيها:

١ ـ فَلَوْ يَأْتِي رَسُولِي أُمَّ سَعْدٍ ... أَتَى أُمِّي وَمَنْ يَعْنِيهِ حَاجِي

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

(١) الوَكَلُ: العاجز الذي يَكِلُ أمرَهُ إلى غيره ويتكل عليه، وهو الجبان البليد.

أمّ سعد: أمّها، و«مَنْ يعنيه حاجِي»: أي مَن تهمّه حاجاتي.

٢ ـ وَلَكِنْ قَدْ أَتَى مَنْ بَيْنَ وُدِّي وَبَيْنَ فُؤَادِهِ غَلَقُ الرِّتَاجِ

تعني امرأة أبيها: أي قد أتى رسولي مَنْ لا يَصِلُ وُدّي إلى فؤاده لانغلاقِ باب مودّته عَلَيَّ، والرِّتَاج: الباب، ويحتمل أن يكون «مِنْ بَيْنِ وُدِّي» بكسر الميم ويكون راجعًا إلى الأمِّ، ويكون معنى غلق الرّتاج القبر: أي قد حِيلَ بين فؤادها ومودّتي بالموت، وقيل: إنّها تشكو الرسولَ وقلّة عنايته بأمرها، وقيل: الرّسول الرسالة.

٣ ـ وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرِّئْمَانُ إلاَّ بِالنِّتَاجِ

أي: مَن لا يَهمُّه أمري ولا يجزعُ لِسقمي، ثم قالت «وما الرِّئمان إلا بِالنِّتاج» أي: ليس العطف والمودّة إلاّ بالولادة.

[٣١٨] وقالت أُمُّ الصَّرِيح الكِنْدِيَّةُ:

١ ـ هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا بِجَيْشَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا(١)

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال هذا في الاستعظام والتّعجّب: أي ثكلتهم أُمُّهم، ويقال «هَوَتْ أُمُّهم» أي هلكتْ، وَالمَهْوَاةُ والهُوَّةُ والأُهْوِيَّةُ والهُوَاءَة على فُعَالة بمعنى واحد، وهو ما بين أعلى الجبل والبئر إلى المستقرّ، وفي القرآن ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾(٢) قيل: هي اسم لجهنّم: أي هي مأواهم كما تؤوي الولد الأم، وقيل «هوت أُمهم» معناه أُمُّ رؤوسهم هاوية في الهوّة، وتلخيص البيت هوت أُمهم أيُّ شيء تَصَرَّمَ من أسباب المجد يوم صرعوا بجَيْشَان، وهو اسم علم لبقعة اتّفقت الوقعة بهم فيها، وقال أبو العلاء: «هوت أُمّهم» من الأدعية التي استعملتها العرب على العكس، وذلك أن ظاهرها ذمّ ودعاء على المذكور والمراد بها المدح، ويدلّ على غرضهم في ذلك أنهم لا يجيئون بها في مواطن الذّمِّ، ومثله: [المديد]

فَهْوَ لاَ تُنْمِي رَمِيَّتُهُ مَا لَهُ لاَ عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

٢ ـ أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالقَنا في نُحُورِهِمْ وَأَنْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُلَّمَا

الواو في قوله «والقنا» واو الحال: أي امتنعوا من الإحجام والنُّكوص ولم يطلبوا وجهَ المهرب.

٣ ـ فَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى المَوْتِ أَكْرَمَا

---

(١) جَيْشَان: مخلاف باليمن وقد وردت الأبيات في (معجم البلدان ٢/ ٢٠٠).
(٢) سورة القارعة، الآية: ٩.

قال النّمريّ: ظاهر الكلام شنيعٌ، ولو كان كلّ مَنْ فَرَّ عزيزًا لَكَان الجبانُ كذلك، ولكنَّ الكلامَ يدلُّ على أنهم أُسْلِمُوا وخُذِلوا وكَثَرَتْهُمُ الخيلُ فأحسنوا البلاءَ فقُتلوا، ولو فَرُّوا لَعُذِروا ولم يُلامُوا لِوضوحِ عُذْرِهم، ولأنّهم قد عُرِفُوا بالشَّجاعة قبل، فلو فَرّوا يومًا نُسِبُوا إلى حُسْنِ الرَّأي لا إلى قبح الفرار، كما قال أوس: [الطويل]

وَلَيْسَ الفِرَارُ اليَوْمَ عَارًا عَلَى الفَتَى إذَا جُرِّبَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالأَمْسِ

[٣١٩] وقال الحُسَين بن مُطَير(١) بن الأشيم الأسديّ:

وهو من فحول المحدثين، أدرك بعض بني أميّة ومدحهم، وبقيَ إلى أيام بني العباس، ومدح المهدي بقوله: [الطويل]

لَـهُ يَـوْمُ بُـؤْسٍ فِـيـهِ لِـلـنَّـاسِ أبْـؤُسٌ وَيَـوْمُ نَـعِـيـمٍ فِـيـهِ لِـلـنَّـاسِ أنْـعُـمُ
فَـيُـمْـطِـرُ يَـوْمَ الـجُودِ مِـنْ كَـفِّـهِ الـنَّـدَى وَيُـمْـطِـرُ يَـوْمَ الـبَـأْسِ مِـنْ كَـفِّـهِ الـدَّمُ
وَلَـوْ أنَّ يَـوْمَ الـجُـودِ خَـلَّـى يَـمِـيـنَـهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُعْدِمُ
وَلَـوْ أنَّ يَـوْمَ الـبَـأْسِ خَـلَّـى عِـقَـابَـهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُجْرِمُ

١ ـ أَلِـمَّـا عَـلَـى مَـعْـنٍ وَقُـولاَ لِـقَـبْـرِهِ سَـقَـتْـكَ الـغَـوَادِي مَـرْبَـعًـا ثُـمَّ مَـرْبَـعَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: ربيعًا بعد ربيع، وخَصَّ الغوادي لأنّ المراد حصوله له كلّ غداة كلّ يوم، ومربعًا: يجوز أن يكون ظرفًا، وأن يكون مفعولاً، ويكون المربع والربيع المطر نفسه، وقال الخليل: وقد يسمّى الوسميُّ ربيعًا، ويكون المعنى: سَقتكَ الغوادي مطرًا بعد مطرٍ، ويجوز أن يكون مصدرًا من قولهم: رُبِعَتِ الإبلُ، إذا أصابَها مطرُ الرّبيعِ، فكأنّه قال: ربعتكَ الغوادي مَربعًا بعد مربعٍ: أي سقيًا بعد سقيٍ.

٢ ـ فَـيَـا قَـبْـرَ مَـعْـنٍ أنْـتَ أَوَّلُ حُـفْـرَةٍ مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحَةِ مَضْجَعا

هذا يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون مثل قول الآخر: [الطويل]

كأنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عـلـى أحَـدٍ إلاَّ عَـلَـيْـكَ الـنَّـوَائِـحُ

ويكون الكلام تفظيعًا للحال وتنبيهًا على أنَّ ما وقعَ لم تجرِ العادة بمثلِه، والآخر أن يكون المعنى: أنتَ أوّلُ حفرة استحدثت لِتُوَارَى فيها السَّماحة والسَّخاء: أي السّماحة ماتت بموت معن، وانتصب «مضجعًا» على الحال.

---

(١) الحسين بن مُطَير: من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وله أماديح في رجالهما (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م). ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ١٤٤؛ والأغاني ١٦/ ٢٠، دار الكتب العلمية؛ وتهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٦٢.

٣ ـ ويَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ   وَقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ وَالبَحْرُ مُتْرَعا

إن قيل: لِمَ قال «مُتْرَعًا» فوَحَّدَ والإخبار عن البرّ والبحر جميعًا؟ قلت: يجوز أن يكون إنّما وحَّدَ لأنه نَوى التقديمَ والتَّأخيرَ، كأنه قال: وقد كان منه البرّ مترَعًا والبحر أيضًا مترَع، فيرتفعُ البحرُ بالابتداء، واكتفى بالإخبار عن الأوّل، إذ كان المعطوف كالمعطوف عليه، ومثله: [الطويل]

فَإنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ(١)

يريد: إنِّي لَغَرِيبٌ بها، وقيَّارٌ أيضًا غريبٌ، وهو اسم فرسه، ويجوز أن يكون لمّا علِمَ أن المعطوف حكمه حكم المعطوف عليه اكتفى بالإخبار عن أحدهما ثقةً بأنَّ الثَّاني عُلِمَ بأنه في حكمه، ومثله: [الطويل]

رَمَانِي بِأمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي   بَرِيئًا وَمِنْ جُولِ الطَّوِيِّ رَمَانِي(٢)

٤ ـ بَلَى قَدْ وَسِعْتَ الجُودَ وَالجُودُ مَيِّتٌ   وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعا

«بلى» جواب استفهام مقرون بنفي، نحو ألم وأليس، وما أشبههما، وهذا الشّاعر لمّا قال متعجبًا: كيف واريت جودَه على كَثْرَتِه، صار بما شاهد من الحال كأنَّ القبرَ قال له: ألَمْ أسعه ألم أُوَارِهِ؟ فقال: بلى قد وَسِعْتَهُ.

٥ ـ فَتًى عِيشَ في مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ   كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْراهُ مَرْتَعا

موضع قوله «فَتَى عِيشَ في معروفِه» نصب على الاختصاص، والعامل فيه مُضْمَر، كأنه قال: اذكرْ فَتًى هذه صفته، ويجوز أن يكون موضعه رفعًا على الاستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو فَتًى، وقوله «عِيشَ في معروفه» يجوز أن يكون أراد مَنِ استغنى به وبمعروفه من المُتَّصِلين به والمنقطعين إليه، ويجوز أن يكون أرادَ مَنْ عاشَ من وقوفه وحبائِسِه بعده، ويجوز أن يريد أنه عَلَّمَ النَّاسَ الجودَ والتَّكرُّمَ، وقوله «كما كان بعد السَّيْلِ مجراه مَرْتَعًا» ارتفعَ مجراهُ بِكان، وكان الحكم أن يليه، فلم يسغْ، لأن الضمير فيه يرجع إلى السَّيل، وقد تقدَّمَ عليه، والإضمار قبل الذّكر فيما يجري مجراه لا يجوز، فامتنعَ ردّه إلى رتبته من وَلْيِ العامل له لِشَيءٍ يرجع إلى الضَّمير المتصل به لا لشيء يرجع إليه، وتلخيصُ الكَلامِ كما كان مجرى السَّيل مَرْتَعًا بعده.

---

(١) هذا عجز بيت لضابىء بن الحارث البرجميّ، في الخزانة ٤/٣٢٣؛ والإنصاف ص ٦٥؛ وسيبويه ١/٣٨؛ ونوادر أبي زيد ص ٢٠؛ والكامل ص ١٨١ (ليبسك)، وصدره: «فَمَنْ يكُ أمسى بالمدينةِ رحلُه».

(٢) البيت لابن أحمر، وقيل للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصي، كما في اللسان (جول)، ويُروَى: «ومن أجل الطَّوِيّ» كما في شرح المرزوقي.

٦ ـ ولَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ فَانْقَضَى   وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ المَكَارِمِ أَجْدَعَا

«لَمَّا» تَجِيءُ لوقوعِ الشَّيء لوقوع غيره، وهو عَلَمٌ لِلظَّرْفِ، فيقول: حين مَضَى معنٌ لِسبيلِهِ فُقِدَ الجودُ وانْمَحَتْ آثارُهُ وأَضْحَتِ المكارمُ ذليلةً إذ ماتَ مَن يَرُبُّهَا.

[٣٢٠] وقال آخر:

١ ـ مَاذَا أَجَالَ وَثِيرَةُ بْنُ سِمَاكِ   مِنْ دَمْعِ بَاكِيَةٍ عَلَيْهِ وَبَاكِي

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

قال أبو العلاء: يُرْوَى «وثيرة» بالثاء وهو من قولهم: فراشٌ وَثِيرٌ، إذا كان وطيئًا كثير الحَشْوِ، ويُرْوَى «وتيرة» بالتاء، ولها مواضع: يقال للحلقة التي يُتَعَلَّمُ عليها الطَّعْنُ وتيرة، ولما بين الأصبعين وتيرة، ولِغرّة الفرس وتيرة، تشبيهًا بالوتيرة الوردة البيضاء، والوتيرة: غلظ من الأرض ينقاد، والوتيرة: الطريقة، وما في عمله وتيرة: أي فتور، ويُرْوَى «وبيرة» و«مزيرة» ويُروى أحال وأجال وأسال، فأجال من جَوَلان الدَّمع، وأحال بالحاء صَبَّ، قال: [الوافر]

يُحِيلُونَ السِّجَالَ عَلَى السِّجَالِ

٢ ـ ذَهَبَ الَّذِي كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِهِ   حَدَقُ العُنَاةِ وَأَنْفُسُ الهُلَّاكِ

العُنَاةُ: الأُسَرَاءُ، واحدهم عَانٍ، والهُلَّاكُ: الفقراء، يعني أنه كان يَفُكُّ الأُسَرَاءَ ويَجْبُرُ الفقراءَ، فَلأَجْلِ ذلك كانت عيونُهم ممتدةً إليه أيّام حياته.

[٣٢١] وقال أشجع بن عَمْرو السُّلميّ(١) في محمد بن منصور بن زياد:

١ ـ أَنْعَى فَتَى الجُودِ إِلَى الجُودِ   مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ

ثالث السّريع، والقافية متواتر.

قوله «فتى الجود» كما يقال: فتى الحرب، وكما قيل: لا فَتَى إلاَّ عَليّ.

٢ ـ أَنْعَى فَتًى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ   بَقِيَّةَ المَاءِ مِنَ العُودِ

أي: يبسَ الثَّرَى فامتصَّ يبسَ التراب ندوّة العود فيبسا جميعًا.

٣ ـ وَانْثَلَمَ المَجْدُ بِهِ ثَلْمَةً   جَانِبُهَا لَيْسَ بِمَسْدُودِ

٤ ـ فَالآنَ تُخْشَى عَثَرَاتُ النَّدَى   وَصَوْلَةُ البُخْلِ عَلَى الجُودِ

(١) نسب الجاحظ في البيان ٣/ ١٢٣ الشعر لأبي الشيص.

[٣٢٢] **وقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ**[١]:

١ - رَمَى الحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

السُّمود: الغفلة عن الشَّيء وذهاب القلب عنه، ويقال للمأخوذ عن الشيء: اتركْ سُمودَكَ، وفي القرآن ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾[٢] أي: ساهون لاهون، وقوله «رمى الحَدَثانُ» فيه ما يجري مجرى القلب؛ لأنه لو قال: رَمَى المقدارُ نسوةَ آلِ حرب بحدثان، لكانَ أقربَ في المعتاد، وقال أبو العلاء: السُّمودُ في هذا البيت يُرَادُ به تَغَيُّرُ الوجهِ من الحزن: أي كأنَّ الوجوهَ أصابَها السَّمَاد، وقال غيره: سَمَدْنَ أي رفعن رؤوسهن يَنُحْنَ، وكلُّ رافعٍ رأسَه سامدٌ.

٢ - فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّود بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودا

هذا يشبه ما حُكِيَ عن العُريان بن الهيثم لمّا سأله عبد الملك عن حاله، فقال: ابْيَضَّ منّي ما كنتُ أُحبُّ أن يسودَّ، واسْوَدَّ منّي ما كنتُ أحبُّ أن يَبْيَضَّ، في كلام طويل، ثم قال: [الطويل]

وَكُنْتُ شَبَابِي أَبْيَضَ اللَّوْنِ زَاهِرًا فَصِرْتُ بُعَيْدَ الشَّيْبِ أَسْوَدَ حَالِكَا

أي صارت شعورهنَّ بيضًا من الحزن، ووجوهنّ سودًا من اللَّطْم.

٣ - فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بُكَاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الخُدُودا

٤ - سَمِعْتَ بُكَاءَ بَاكِيَةٍ وَبَاكٍ أَبَانَ الدَّهْرُ وَاحِدَهَا الفَقِيدا

مَنْ سمعَ هذين البيتين ولم يَعْرفِ المعنى قَدَّرَ أنَّ فيهما خطأً لأنه قال: لو سمعتَ بكاءَ هندٍ ورملة، وهما امرأتان، ثم قال: سمعتَ بكاءَ باكيةٍ وبَاكٍ، فجاء بأُنْثَى وذَكَر، ثم قال: «أبانَ الدهر واحدَها» أي هما تنوحان معًا وتلطمان الخدودَ معًا لا تفترُ إحداهُما دون الأخرى فيقدِّر أنَّهما باكية واحدة لاتِّصالِ أصواتِهما وصَكِّهما، وعطف بقوله «وباكٍ» على قوله «باكيةٍ أبانَ الدّهرُ واحدَها الفقيدا» فكأنه قال: وباكٍ كذلك.

[٣٢٣] **وقال مسلم بن الوليد**[٣]:

وماتت امرأته، وهو مولى أسعد بن زُرَارَةَ الخزرجيّ، ولُقِّبَ صريع الغواني

---

(١) عبد الله بن الزَّبير: من شعراء الدولة الأمويّة والمتعصّبين لها، كوفيّ المنشأ والمنزل، وكان هجَّاءً يخاف الناس شرّه. (ت نحو ٧٥ هـ/ ٦٩٥ م). ترجمته في: الأغاني ١٤/ ٢١٥، دار الكتب العلمية؛ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٠٨؛ والخزانة ١/ ٢٤٥.

(٢) سورة النجم، الآية: ٦١.

(٣) مسلم بن الوليد الأنصاري: شاعرٌ غَزِلٌ، وهو أول مَن أكثر البديع وتبعه الشعراء فيه، وهو من أهل=

بقوله: [الطويل]

هَلِ العَيْشُ إلاّ أنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا ... وتُضْحِي صَرِيعَ الكَأْسِ وَالأَعْيُنِ النُّجْلِ

وكنيته أبو الوليد، مدحَ الرَّشيدَ، والبرامكة، وداود بن يزيد بن حاتم، ومحمد بن منصور بن زياد صاحب ديوان الخراج، ثم ذا الرِّياسَتَيْن فقلَّدَه مظالم جرجان.

١ - حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَتَّفِقَانِ ... مَقِيلاَهُمَا فِي القَلْبِ مُخْتَلِفَانِ

الثّالث من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: كيف اجتمعَ اليأسُ والرَّجاءُ مع اختلاف مَقرِّهما في القلب؟ يقول: إنَّ اليأسَ من لقاء الإنسان والشّوق إليه لا يتفقان.

٢ - غَدَتْ وَالثَّرَى أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ... إلَى مَنْزِلٍ نَاءٍ لِعَيْنِكَ دانِي

هذا تَحَسُّرٌ، يقول: ابتكرَتْ وهي في مَلَكَةِ التّرابِ دُونَ مَلَكَةِ وَلِيِّها، وقوله «إلى منزلٍ ناءٍ لِعَيِنِكَ دَاني» مثل قول الآخر: [الطويل]

. . . . أمَّا جِوارهم ... فَدَانٍ وَأمَّا المُلْتَقَى فَبَعِيدُ(١)

وقد ألَمَّ في قوله «غَدَتْ والثَّرَى أولى بها» بقول الآخر: [الكامل]

صَلَّى الإلٰهُ عَلَيْكِ مِنْ مَفْقُودَةٍ ... إذْ لاَ يُلاَئِمُكِ المَكَانُ البَلْقَعُ(٢)

٣ - فَلاَ وَجْدَ حَتَّى تَنْزِفَ العَيْنُ مَاءَهَا ... وَتَعْتَرِفَ الأَحْشَاءُ بِالخَفَقَانِ

يريد لا وَجْدَ يُعْتَدُّ به إذا ذُكِرَ الهَلَعُ على مِثله حتى تستنفدَ العينُ ماءَها لاتِّصالِ البكاءِ بها، وقوله «لا وَجْدَ» خبر «لا» محذوف، كأنه قال: لا وجدَ حاصلٌ أو موجودٌ، وقوله «وتعترف» من قولهم: عَرَفَ فلانٌ لكذا، واعترفَ له، إذا صبرَ فيه واعتادَه، على ذلك قوله: [الطويل]

عَلَى عَارِفَاتٍ لِلِّقَاءِ عَوَابِسٍ(٣)

= الكوفة (ت ٢٠٨ هـ/ ٨٢٣ م). ترجمته في: النجوم الزاهرة ٢/١٨٦؛ والمرزباني ٣٧٢؛ وتاريخ بغداد ١٣/٩٦؛ والشعر والشعراء ٣٣٩.

(١) الشعر لعبد الله بن ثعلبة الحنفي في الحماسية ص ٢٩٧ وأوله: «هم جيرة الأحياء».

(٢) البيت لمويلك المزموم في الحماسية رقم ٣٠٥.

(٣) هذا صدر بيت للنابغة في ديوانه ص ٥، وعجزه: «بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالبِ».

[٣٢٤] وقال أيضًا:

١ - قَبْرٌ بِحُلْوَانَ اسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الأَخْطَارُ

الثاني من الكَامل، والقافية متواتر.

استسرّ بمعنى أَسَرَّ، ومثله استعجبَ بمعنى عَجِبَ، وأكثر ما ترى استسرَّ في معنى اسْتَخْفَى وتَوَارَى، وعلى ذلك قولهم في آخر الشّهر: استسَرَّ القمرُ ليلةً أو ليلتين، فهو من السِّرَار، وهو آخر يوم في الشَّهر، والخَطَرُ: ارتفاعُ المكانة والحال في الشَّرَفِ، ثم يقال في الشَّريف: هو عظيمُ الخَطَرِ، والضَّرِيح: أصله القبر يُشَقُّ ولا يُلْحَدُ، وارتفع «قبر» بالابتداء لأنه بصفته - وهو بحلوان - قَرُبَ من المعارِف، واستسرَّ في موضع الخبر، والمعنى: قبرٌ بهذا المكان اشتملَ على عظيم من العظماء، وقوله «خطرًا» أراد ذا خَطَرٍ، فحذفَ المضاف، وكذلك الأخطار، أراد ذوو الأخطار، وقوله «تقاصر» يجوز أن يكون من القصور العجز: أي تعجزُ أن تبلغَ محلَّه الأخطار، ويجوز أن يكون ضدّ تطاول من القصر.

٢ - نُفِضَتْ بِكَ الأَحْلاَسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الأَمْصَارُ

يريد أنَّ العُفَاةَ قعدوا عن الاجتداء بعد موتِكَ يأسًا ممَّن يُطْمَعُ فيه أو يُرْجَى خيره، «واسترجعت نُزَّاعَها الأمصار» أي كلّ مَنْ كان على بابه انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أيديهم ممَّن يتعطَّفُ عليهم أو يصطنعهم، فكأنهم كانوا ودائعَ الأمصار عنده مدّة مقامهم ببابه فارتجعتهم، والنُّزَّاعُ: جمع النَّازع، وهو البعيد والغريب جميعًا، وكذلك النَّزِيعُ، والجمع النَّزَائِع، ويجوز أن يكون من نَزَعْتُ إليه نِزَاعًا: أي حَنَنْتُ.

٣ - فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالأَوْعَارُ

يقول: اذهبْ لِوَجْهِكَ وآلاؤكَ منشورةٌ، وصنائعُكَ محمودةٌ مشكورةٌ، وآثارُكَ كآثارِ السَّحابِ وقد أغاثَتِ النَّاسَ بأمطارِها، فإذا أقلعت أثنى عليها أهل السّهل والجبل، وقوله «غوادي مُزْنَةٍ» أضاف الغوادي إلى المزنة لأنَّها منها تجمّعت فكملت مزنة، والغوادي: السّحابات التي تنشأُ غدوةً وكأنه أراد أقطاعًا منها، ويجوز أن يكون المراد بالغوادي أمطارًا تصوب غدوة وأضافها إلى المزنة.

٤ - سَلَكَتْ بِكَ العَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى العُلاَ حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا

يعني أنك هادي العرب في اكتسابِ المعالي، ومفعول «سبق» محذوف، كأنه قال: سَبقَهم الرَّدَى بكَ.

[٣٢٥] وقال أبو حَنَشٍ الهلاليّ[١] في يعقُوبَ بن داود:

الحَنَش: من الحيّات، والحنش أيضًا: واحد أحناش الأرض، وهي هَوَامّها، قال أبو هلال: قال دعبل: اسمه خُضَيْر بن قيس النُّمَيْرِيّ، بصريّ، كان يحفظ القرآن، وعاش مائة سنة، وصحب يعقوب وزير المهدي، فلمّا حبسه المهدي ونال منه ما نال قال:

١ - يَعْقُوبُ لا تَبْعَدْ وجُنِّبْتَ الرَّدَى فَلَنَبْكِيَنَّ زَمَانَكَ الرَّطْبَ الثَّرَى

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

لم يَرْضَ بالجَزْي على عادة النّاس في قولهم عند المصاب «لا تبعد» حتى زاد عليه «وجُنِّبْتَ الرَّدَى» ليكون الكلام أدلَّ على التَّوجُّع، ويشير بقوله «زمانك الرَّطب الثّرى» إلى كثرة إحسانه إلى النّاس، فكأنّه كان لهم كالحَيَا[٢] يُحْيِي الأرضَ وسُكَّانَها.

٢ - وَلَئِنْ تَعَهَّدَكَ البَلاءُ بِنَفْسِهِ فَلَقِيتَهُ إنَّ الكَرِيمَ لَيُبْتَلَى

أفاد قوله «بنفسه» إكبارَ الأمر، وقوله «إن الكريم لَيُبتلى» فيه تسلية، ويعني بالبلاء الموتَ، وقد يكون في غير هذه النعمة والاختبارَ، واللاّم في «لئن» موطّئة لِلقَسَم، وهو مُضمَر، وجوابه «إنَّ الكريمَ ليبتلى».

٣ - وأَرَى رجالاً يَنْهَسُونَكَ بَعْدَمَا أغْنَيْتَهُمْ مِنْ فَاقَةٍ كُلَّ الغِنَى

ينهسونكَ: أي يغْتابونك، والنَّهْس بمقدم الفم، والنَّهش - بالشين معجمة - بجميعه، وانتصب «كُلَّ الغِنَى» على المصدر.

٤ - لَوْ أنَّ خَيْرَكَ كَانَ شَرًّا كُلُّهُ عِنْدَ الَّذِينَ عَدَوْا عَلَيْكَ لَمَا عَدَا

«لَمَا عدا»: لَمَا جاز، وارتفع «كلّه» على التوكيد للمضمر في «كان» ويجوز أن يكون اسم كان، وفي قوله «عدا» ضمير لِلشّرّ، ومفعوله محذوف كأنه قال: عدا عليكَ.

---

(١) عند المرزوقي حَنَش والصحيح هو أبو حنش.
(٢) الحَيَا: المطر.

[٣٢٦] وقالت صَفِيَّة الباهلية[1]:

يقال: ناقة صَفِيّ: أي غزيرة اللَّبن، قال: [الكامل]

عَقَرَ الصَّفِيَّ فَمَا اشْتَوَى مِنْ لَحْمِهَا ... فِلَذًا وَمِثْلُ لِحَامِهَا لاَ يُشْتَوَى

وفلان صَفِيُّ فلانٍ وصَفْوَته، وفلانة صَفِيُّ فلان، وصفيته، ويقال: رجل باهل، إذا كان متردّدًا بلا عمل وكالراعي بلا عصا قال: [الكامل]

كـالآبِـقِ الـعُـرْيَـانِ يَـدْعُـو بَـاهِـلاَ

ومنه «الناقة الباهل» التي ليست بمصرورة، وكذلك «المرأة الباهل» وقالت امرأة لزوجها: وأتيتك باهلاً غَيْر ذات صِرَار، ضربته مثلاً تشبيهًا بالناقة، فأما قولهم في التسمية «باهلة بن أعْصُر» فيكون من قولهم: بَهَلَه الله: أي لعنه، وعليه بهلة الله: أي لعنته؛ وهذا مما تدخله الهاء على المعتاد من تغيير الأعلام.

١ ـ كُنَّا كَغُصْنَيْنِ في جُرْثُومَةٍ سَمَقَا ... حِينًا بِأَحْسَنِ مَا يَسْمُو لَهُ الشَّجَرُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الجرثومة: الأصل، وسَمَقَ: طال، تقول: كنت أنا وأخي كغصنين في أصل واحد طالا بأحسن ما تطول له الشجر.

٢ ـ حَتَّى إذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا ... وَطَابَ فَيْآهُمَا وَاسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ[2]

استنظر: انْتُظِرَ، ورواه بعضهم «واستنضر» بالضاد: أي وجد ناضرًا، والأول أجود.

٣ ـ أخْنَى على وَاحِدي رَيْبُ الزَّمانِ وما ... يُبْقِي الزَّمَانُ على شَيْءٍ ولا يَذَرُ[3]

أخنى عليه: أي أفسد عليه، و«أخنى على واحدي» جواب «إذا» من قولها، «حتّى إذا قيل» و«ما يبقي الزّمانُ» اعتراض حصل بين ما قبله وما بعده من القصّة مؤكّد له، تقول: لمّا بلغَ الأمرُ بنا ذلك المبلغ أنَاخَ حدثان الدَّهر على أحدهما فأتلفه وأفسده، تعني أخاها.

٤ ـ كُنَّا كَأَنْجُمِ لَيلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ ... يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ

---

(١) الأبيات ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ٢٧٧، وقال إنها رثاء لزوجها، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٦٧ وقال إنها رثاء لأُختها.

(٢) الفرع من كلّ شيء: ما تفرَّع منه في أعلاه. والفيء: ما فاء من جانب إلى جانب.

(٣) عند المرزوقي: «على واحدٍ».

أي: كان أهل بيتنا كالنّجوم، وهو بيننا كالقمر، فسقطَ القمر، ومنه أخذ أبو تمام: [الطويل]

كَـأَنَّ بَـنِـي نَـبْـهَـانَ يَـوْمَ وَفَـاتِـهِ ... نُجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا البَدْرُ

[٣٢٧] وقال التّيميُّ في منصور بن زياد(١):

قال أبو هلال: هو عبد الله بن أيوب، ويكنى أبا محمد، عربي من أهل اليمامة فصيح كلاميّ، وقال الفضل بن سهل لأبي الخطّاب الأزديّ: مَنْ أشعر مَنْ بَقِيَ؟ قال: مُسْلِم، قال: لا، بل التيميّ، ومن مشهور قوله: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا الأَشْرَافُ في كُلِّ بَلْدَةٍ ... وَإِنْ عَظُمُوا لِلفَضْلِ إلاَّ صَنَائِعُ
تَرَى عُظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَّعًا ... إِذَا مَا بَدَا والفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ
تَوَاضَعَ لَمَّا زَادَهُ اللَّهُ رِفْعَةً ... وَكُلُّ رَفِيعٍ عِنْدَهُ مُتَوَاضِعُ

١ ـ لَـهْـفًـا عَـلَـيْـكَ لِـلَـهْـفَـةٍ مِـنْ خَـائِـفٍ ... يَـبْـغِـي جِـوَارَكَ حِـيـنَ لَـيْـسَ مُـجِـيـرُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

لهفا: مبتدأ، وهو (لَهْفٌ) مضاف إلى ضمير النفس، فَفَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت ألفًا، ولو رويت «لَهْفِي عليك» لجاز ويكون جاريًا على أصله، و«عليك» في موضع الخبر، واللاّم من «للهفة» متعلّقة بما دلَّ عليه لهفا، فيقول: لي عليك حَسْرَة شديدة من أجل حَسْرَة رجل نَابَهُ رَيْب الزمان فطلب جوارك ثم لم يجدك، وقوله «حين ليس مجير» ظرف ليبغي، و«يبغي»: في موضع الصفة لخائف، وخبر ليس محذوف كأنه قال حين ليس مجير في الدّنيا، أو ينعشه، وما أشبه ذلك، وأضاف «حين» إلى «ليس» فبناه؛ لأن المضاف إليه غير متمكّن فاكتسب البناء من جهته فالفتحة في «حين» فتحة بناء، ولا يمتنع أن تكون فتحة إعراب كأنه أجرى «حين» على سلامته ولم يعتدّ بالإضافة فيه.

٢ ـ أَمَّـا الـقُـبُـورُ فَـإِنَّـهُـنَّ أَوَانِـسٌ ... بِـجِـوَارِ قَـبْـرِك والـدِّيـارُ قُـبُـورُ

قال «القبور أوانسٌ» وإن كان القبر مذكّرًا لأن القبور الجمع الكثير وهي تتضمّن جموعًا عدّة، «والدّيار قبور» أي كالقبور وحشةً، فلم يأتِ بلفظ التطبيق، وأتى بما يدلُّ عليه.

---

(١) منصور بن زياد: من وجوه الدولة العباسية، وكان ابنه محمد بن منصور كاتبًا للبرامكة، (الشعر والشعراء: ص ٨٣٠).

٣ ـ عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ[١]

الفواضل: المواهب، جمع فاضلة، وهي ما تفضل به على غيرك، «فعمّ مصابه»: أي جزع الجميع بموته لما كان يصل إليهم من بِرِّهِ.

٤ ـ يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لأَنَّكَ بِالثَّنَاءِ جَدِيرُ

٥ ـ رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتَهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

أي: من نشر النّاس لها، فأضيف المصدر إلى المفعول.

٦ ـ فَالنَّاسُ مَأْتَمُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ

الرَّنينُ: الصَّوْتُ، والرَّنَّةُ فَعْلَةٌ منه.

٧ ـ عَجَبًا لأَرْبَعِ أَذْرُعٍ فِي خَمْسَةٍ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشَمُّ كَبِيرُ

انتصب «عجبًا» على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر، كأنه قال: عَجِبْتُ عَجَبًا، وإنّما قال: «أربع أذرع» لأنَّ الذّراع مؤنّثة، و«في خمسة» لأنه أراد الأشبار، والشّبر مذكر.

[٣٢٨] وقال نَهار بن تَوْسِعَة[٢] بْنِ تميم بن عَرْفَجَةَ بن عمرو بن حَنْتَم بن عَدِيّ بن الحارث بن تَيْمِ الله بن ثعلبة:

أحد شعراء بكر بن وائل، وكان أشعر بَكريّ بخراسان، يرثي أخاه عِتْبَان. النّهار: هذا المعروف، وجمعه نُهُر، قال: [الرجز]

ثَرِيدُ لَيْلٍ وَثَرِيدٌ بِالنُّهُرْ

والقياس يوجب ترك جَمْعِ النّهار من حيث كان جنسًا جاريًا مجرى المصادر، ونقيضه اللّيل، وقياسه أن لا يجمع أيضًا، قال أبو علي: فأمّا قولُ الشّاعر: [الرجز]

إِنِّي إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَ لَيْلَيْنْ وَلَجْلَجَ الحَادِي لِسَانَيْنِ اثْنَيْنْ

فإنّما ثَنّاه من حيث أوقع اسم الكلّ على البعض، كما يردُّ الجنس إلى النوع في قولك: قمت قِيامَيْن، وأكثر النّاس على الامتناع من جَمْع النّهار لما ذكرنا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ﴾[٣] فهذا أيضًا على إيقاع اسم الكلّ على

---

(١) عند المرزوقي: «فعمَّ هَلاكُهُ».

(٢) نهار بن توسعة: شاعر هَجَّاء، هجا قتيبة بن مسلم فطلبه فهرب واستجار بأُم قتيبة فتعرضّت ابنها فرضِيَ عنه وأكرمه (ت ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م). ترجمته في (الشعر والشعراء ص ٥٢١؛ والمؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٩٣؛ والتنبيه والإشراف ص ٢٧٨).

(٣) سورة الصّافات، الآيتان: ١٣٧ و١٣٨.

البعض؛ لأنهم لا يمرّون عليهم جميع ما في الوهم من اللَّيلِ، هذا مُحال، فالموضع إذًا موضع مجاز، ويقال: نهارٌ أنهر، كما يقال: ليب ألْيَل، فقول سيبويه «سير عليه اللّيل والنّهار» هو مما أوقع فيه اسم الكلّ على البعض أيضًا، فأما النّهار فرخ الكروان فيكسَّر أنْهِرَة، وهذا قياس صحيح، وتوسِعَة: أمره ظاهر؛ لأنه مصدر وَسَّعَه، فأما عِتْبَان فمنقول من قولك: أعطاني فلان العتبى فبلوته فلم أجدْ عنده عِتْبانًا.

١ ـ عِتْبَانُ قَدْ كُنْتُ أمْرَءًا لِيَ جَانِبٌ حَتَّى رُزِئْتُكَ والجُدُودُ تَضَعْضَعُ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

يقول: يا عِتبان كنتُ رجلاً لي مَلاذٌ ألوذُ به وجانبٌ أستنيم إليه إلى أن فقدتكَ والجدودُ تنحطُّ بعد الارتفاع، وقوله: «والجدود تضعضع» اعتراض، لأن قوله: «قد كنت أشْوَس الخ» متّصل بما قبله.

٢ ـ قَدْ كُنْتُ أَشْوَسَ في المَقَامَةِ سَادِرًا فَنَظَرْتُ قَصْدِي وَاسْتَقَامَ الأخْدَعُ

السّادر: الذاهب عن الشّيء ترفُّعًا عنه، ويقال: أتى أمره سادرًا، إذا جاءه من غير جهته، والسَّدَرُ: ظلمة تغشى العين، وكأنّ السّادرَ منه، وقوله: «فنظرتُ قصدي» أي: حيث أقصد ومكان قصدي، وإعرابه يجوز أن يكون مصدرًا، وأن يكون حالاً، كأنه قال: فنظرت أقصد قصدي، فدلَّ المصدر على اللّفظ بالفعل، والواقع موقع الحال هو الفعل، والأخدعُ: عِرْقٌ في العنق، يقال للمتكبّر: لأُقِيمَنَّ أخْدَعَيْكَ: أي لأُذْهِبَنَّ كبرك.

٣ ـ وَفَقَدْتُ إخْوَانِي الَّذِينَ بِعَيْشِهِمْ قَدْ كُنْتُ أُعْطِي ما أشَاءُ وَأمْنَعُ

أي: ما أشاء إعطاءه وأمنعُ ما أشاء منعه، ويقال: عِشْتُ عَيْشًا ومَعَاشًا، والمَعيشة والمَعاش: اسم ما يُعَاشُ به، ويقال: هو عائشٌ: أي حاله حسنة.

٤ ـ فَلِمَنْ أقُولُ إذَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ أَرِنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إلى مَنْ أفْزَعُ

حذف المفعول الثاني لقوله: «أرني» والمراد أرني الصَّوابَ أو وَجْه الأمر برأيك، ويقال: رأيتُ الشَّيءَ بعيني رُؤْيَةً ورَأْيًا ورأيته بقلبي رأيًا لا غير، قال زهير: [الطويل]

فَقَالَ أمِيرِي مَا تَرَى رَأْيَ مَا تَرَى أَنَخْتُلُهُ عَنْ نَفْسِهِ أمْ نُصَاوِلُهْ(١)

فالمراد به ما ترى رَأْيَ أيِّ الأمرين ترى، فما ترى: سؤال عن جملة الرأي، ورَأْيَ ما ترى: سؤال عن طريق التفصيل، وقد بَيَّنه بقوله «أنختله أم نصاوله» ويقال: فزعت إليه، إذا التجأت إليه، وهو لنا مَفْزَع: أي نفزعُ إليه، وفي ضدّه يقال: هو لنا مَفْزَعَةٌ: أي نفزعُ منه، ويستوي فيه الواحد والاثنان والجميع والمذكّر والمؤنّث.

(١) ديوانه ص ١٣٢؛ وديوان الحماسة شرح المرزوقي ص ٩٥٤.

٥ ـ وَلَيأتِيَنَّ عَلَيكَ يَومٌ مَرَّةً　　يُبْكَى عَلَيكَ مُقَنَّعًا لا تَسْمَعُ[١]

يقال: فَعَلَ كذا مَرًّا ومَرَّيْن، كما يقال مَرَّةً ومرَّتين، ومُقَنَّعًا: انتصب على الحال من قوله «يبكى عليك» ومعناه مُسجًّى مستورَ الوجه، و«لا تسمع» في موضع الصّفة لقوله مُقَنَّعًا: أي مُقَنَّعًا غير سامع عَوْلة الباكي، «وليأتين» جواب يمين مُضْمَرَة، و«يبكى عليك» في موضع الصّفة ليوم: أي يوم يبكى عليك فيه، أو يبكاه عليك، ومثله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٢].

[٣٢٩] وقال يزيد بن عمرو الطّائي:

١ ـ أَصَابَ الغَلِيلُ عَبْرَتي فَأَسَالَهَا　　وعَادَ احْتِمَامُ لَيلَتِي فَأَطَالَهَا[٣]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الاحتمام: القلق والانزعاج، يقال: أَحَمَّني الأمرُ إحْمَامًا، وأضاف الاحتمام إلى ليلته لكونه فيها، ويُرْوَى «احتمامي ليلتي» ويكون «ليلتي» في موضع الظَّرف، يريد احتمامي في ليلتي، والاحتمام باللّيل، والاهتمام بالنهار.

٢ ـ ألاَ مَنْ رَأى قَوْمًا كَأَنَّ رِجَالَهُمْ　　نَخِيلٌ أَتَاهَا عَاضِدٌ فَأَمَالَهَا

«أَلاَ مَنْ رأى» لفظه استفهام، والمعنى معنى التَّوَجُّع، والعاضد: قاطع الشجر، شَبَّهَ المُصَرَّعِينَ بالنَّخيل المعضودة، يقول: ترك قومي بين قتيل وجريح، كأنّهم نخيلٌ قد عُضِدَتْ، وقال أبو العلاء: إذا رويت «أتاها عاصف فأمالها» فهي من عصف الرّيح، وذَكَّرَ لأنّه ذهب به مَذْهَبَ اليوم، كأنه قال: أتاها يوم عاصفٌ، ولو أنَّ الكلام منثورٌ لَكانَ الوجه أن يقول: أَتَتْها عاصفٌ فأَمَالتها، لأن العاصف أكثر ما تستعمل في الرّيح، وإذا قالوا «يوم عاصف» عُلِمَ أنّهم يريدون عصف الرّيح، كما يقال: رجلٌ أزرق، إنما يريدون زُرْقة العين.

٣ ـ أُدَفِّنُ قَتْلاَهَا وَآسُو جِرَاحَهَا　　وَأَعْلَمُ أنْ لا زَيْغَ عَمَّا مُنِيَ لَهَا

وصف حالته كيف تَوَلَّى من المقتولين دَفْنَهم، ومن المجروحين أَسْوَهُم؛ لأنّه إذا احتاج إلى تَوَلِّي ذلك منهم كان أشقى له وأعْوَدَ بالكَمَدِ عليه.

٤ ـ وقَائِلَةٍ مَنْ أَمَّهَا طَالَ لَيلُهُ　　يَزِيدُ بنُ عَمْرٍو أَمَّهَا فَاهْتَدَى لَهَا

«مَنْ أَمَّهَا»: في موضع المبتدأ، و«طال ليله»: في موضع الخبر، كأنه قال: الذي أمَّهَا طالَ ليلُه، و«يزيد بن عمرو» مبتدأ آخر، و«أَمَّها» في موضع الخبر، وهو استئناف

---

(١) عند المرزوقي: فليأتينّ.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٨.

(٣) الغليل: حرارة الجَوْف.

كلام منقطع عَمَّا قبله، ويعني بيزيد بن عمرو نفسه، ومعنى البيت: رُبَّ امرأةٍ قالت مَنْ قصد هؤلاء المقتولين واهتدى إليهم فقد أُطِيلَ ليلُه لأنه يردّ منهم على ما يجرح القلب ويطيل السّهر، ثم قال يزيد بن عمرو مجيبًا أنا الذي أَمَّها واهتدى لها، قال: وفائدة «اهتدى» أنَّ الموضع الذي قُتِلُوا فيه كان كالملتبس عليه، فصار هو الطالب له والمنبّه عليه، هذا الذي ذكره المرزوقي، والظاهر من تفسير قوله «وقائلة مَنْ أَمَّها» ورُبَّ قائلةٍ مَن قصد لهذه القبيلة طال ليله، وطال ليله على معنى الدّعاء لا الإخبار، ثم أجاب فقال: يزيد بن عمرو قصد لها، والدليل على صحّة ذلك قوله «أدفن قتلاها» لأن قبيلته حملته على قتالها.

[٣٣٠] وقال قَسَامَة بن رَوَاحة السِّنْبِسِيّ(١):

القَسَامة: الحسن، رجل قسيم: أي حسن، والقسامة أيضًا: الجماعة يقسمون على أمرٍ مّا كَوْنه أو بُطُولِهِ، وأما رَوَاحة فمرتجل علمًا، وليس منقولاً، وإنّما يقال: رُحْنَا رَوَاحًا، لا رواحة.

١ ـ لَبِئْسَ نَصِيبُ القَوْمِ مِنْ أَخَوَيْهِمُ   طِرَادُ الحَوَاشِي واسْتِرَاقُ النَّوَاضِحِ

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

«أَخَويهم» يريد صاحِبَيْهم، والعرب تقول: يا أخا بكر، تريد واحدًا من بني بكر، والحواشي: صغار الإبل ورُذَالُها، والنَّواضِح: التي يُسْتَقى عليها، واحدها ناضحة، وسُمِّيت بذلك لأنه جعل الفعل لها، كأنها هي التي تنضحُ الزّراعات والنخيل، وهم يسمّون الأكّار النَّضّاح، قال أبو ذؤيب: [البسيط]

هَبَطْنَ بَطْنَ رُهَاطٍ وَاعْتَصَبْنَ كما   يَسْقِي الجُذُوعَ خِلاَلَ الدُّورِ نَضَّاحُ(٢)

يقول: مذموم طرد الإبل وسرقة النواضح بدلاً من الدم، وهذا تعريضٌ بمَن وجب عليه طلب دم فاقتصر على الغارة وسرقة الإبل منهم، وفيه هزء أيضًا وبعث على طلب الدم.

٢ ـ ومَا زالَ مِنْ قَتْلَى رَزَاحٍ بِعَالِجٍ   دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحِ

الناقع: الثابت، ومصدره النقوع، ومَصَحَ: ذهب، ومَصحَ الظِّلُّ قَصُرَ، ورمل عالج: موضع معروف، والمعنى أنَّ دماءَهم بحالها ما لم يثأروا بهم لأن غَسْلَ تلكَ الدّماء إنّما يكون بما يُصَبُّ من دم أعدائهم، وقيل في الناقع: إنه الطَّريّ، والجاسد: اليابس.

---

(١) عند المرزوقي قَسَام وكذلك عند المرزباني.

(٢) البيت في ديوان الهذليين ١/٤٦؛ وعند المرزوقي ص ٩٥٨.

٣ ـ دَعَا الطَّيْرَ حَتَّى أَقْبَلَتْ مِنْ ضَرِيَّةٍ دَوَاعِي دَمٍ مُهْرَاقُهُ غَيْرُ بَارِحِ

يعني أنَّ الدَّمَ دعا الطَّير لأكْلِ لحوم القتلى لما دَلَّها عليهم، فكأنه دعاها إليهم، وهذا مجاز، وضَرِيَّة: قرية على طريق البصرة إلى مكَّة، وفيها منبر، وغير بارح: غير زائل.

٤ ـ عَسَى طَيِّىءٌ مِنْ طَيِّىءٍ بَعْدَ هَذِهِ سَتُطْفِىءُ غُلاَّتِ الكُلَى والجَوَانِحِ

قوله «عسى طَيِّىءٌ من طَيِّىءٍ» كانت القبيلتان من طيِّىء لأنَّ طَيِّئًا قبائل يكون أبدًا بينهم قتال، وقال «غُلاّت الكُلَى» والغُلَّة إنما تكون في القلب والكَبِد، ولكنه أراد المبالغة: أي جاوزت القلب والكبد إلى الكلية، والسين من قوله «ستطفىءُ» بدل من «أنْ» التي تقع في الفعل المستقبل بعد عسى، وذلك أن عسى لفظة وُضِعَت للتَّرَجِّي والتَّأميل، وكاد لمقاربة الفعل، فهو يلي الفعل بنفسه، تقول: كادَ زيدٌ يفعل كذا، وعسى يحول بينه وبين الفعل «أن»، يَدُلُّكَ على هذا أنه قال «ستطفىءُ» لما كان من شرط عسى أن يجيءَ بعده أنْ إيذانًا بالاستقبال؛ جعل هذا الشّاعر بدل «أنْ» السينَ لأنه أشهر في الدلالة على الاستقبال، والمعنى المرجوّ من أولياء الدّم أن يطلبوا الثأر في المستقبل، وإن كانوا أخَّروه إلى هذه الغاية، ومثله: [الطويل]

وإنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سعْيِكُمْ كَمَا في بُطُونِ الحَامِلاَتِ رَجَاءُ[١]

وقال أبو العلاء: ضَرِيَّة اسم موضع، وهو الذي تُنْسَبُ إليه حُمَّى ضَرِيَّةَ، وزعم النَّسَّابون أن ضَرِيَّةَ هذه ضرية بنت ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وأن الموضع نُسِبَ إليها وسُمِّيَ بها، كما قِيلَ للماءِ الَّذي بين البصرة ومكّة: الحَوْأَب، وإنَّما سُمِّيَ بالحوأب ابنة كَلْب بن وَبَرَة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، قال: [الطويل]

ألاَ يَا عُقَابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ سَقَتْكَ الغَوَادِي مِنْ عُقَابٍ على وَكْرِ

والبيت الذي في الحماسة وهذا البيت يشهدان بأنَّ الضَّرِيَّة تسكنها سِباع الطَّير.

[٣٣١] وقال سليمان بن قَتَّة العَدَوِيّ[٢]:

ورواها البرقيّ لأبي رمح الخزاعيّ، قال أبو العلاء: قولهم في التسمية سليمان إنّما سَمَّى النَّاس بهذا الاسم لمّا شاع الإسلام ونزل القرآن، فسمّوا به كما سمّوا بإبراهيم وداود وإسحٰق وغيرهم من أسماء الأنبياء على معنى التَّبَرُّك، فسليمان المسمَّى به منقول

---

(١) حماسة المرزوقي ص ٩٦٠.

(٢) ذكره الطبري في تاريخه ٨/٢٤٨ باسم سليمان بن قتة مولى بني تميم بن مرّة، وذكر أنه كان صديقًا لأسد بن عبد الله القسري، وذكره ابن قتيبة في مقدمة الشعراء ص ٦ باسم «سليمان بن قتة التيمي المحدّث».

من اسم سليمان النبيّ ﷺ، وهو عِبْرَانيّ، وقد تكلّمت به العرب في الجاهلية، ولم أعلمْ أنَّهم سمّوا به، قال النابغة: [البسيط]

إلاَّ سُـلَـيْـمَـانَ إذْ قَـالَ الإلـهُ لَـهُ قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ

وهو موافق لِمُصَغَّر سَلْمَان، فأمَّا سَلاَمَان اسم القبيلة فلو صُغِّرَ لَقِيلَ على مذهب سيبويه سُلَيْمَان، فحذفت الألف الأولى، وجاء في لفظ اسم سليمان بن داود، وغير سيبويه يقول سُلَيِّمَان، فلا يحذف شيئًا، ويشدِّد الياء، وهو مذهب المبرِّد، ويقال: إنَّ السَّلاَمَان شجرٌ، وقال أبو الفتح: القَتَّة: واحدة القتّ هذا المعروف، والقَتَّة: المرّة الواحدة من القَتِّ الَّذي هو النَّمِيمة، يقال: قَتَّ الحديثَ يَقُتُّه، إذا جمّله ونَمَّه، ورجلٌ قَتَّات: نَمَّام، قال رُؤْبة: [الرجز]

قُـلْـتُ وَقَـوْلـي عِـنْـدَهُـمْ مَـقْـتُـوتُ

أي كذب. والعَدَوِي: منسوب إلى عَدِيّ، والعديُّ: الجماعة من الناس يتعادون، واحدهم عَادٍ، ومثله من الجموع على فَعيل: غَازٍ وغَزِيّ، وكلب وكَلِيب، وعبد وعَبيد، وضِرْس وضَرِيس، ورهن وَرَهِين، وعَوْن وعَوِين، وطَسّ وطسيس، قال: [الرجز]

قَـرْعَ يَـدِ الـلَّـعَّـابَـةِ الـطَّـسِـيـسَـا

ومنه: بضعة من لحم وبَضِيع، وضأن وضَئِين، ومَعْز ومَعِيز، ونَقْد ونَقِيد، وبَقَرة وبَقِير، وفيه غير هذا.

١ ـ مَـرَرْتُ عَـلَـى أبْـيَـاتِ آلِ مُـحَـمَّـدِ فَـلَـمْ أرَهَـا أمْـثَـالَـهَـا يَـوْمَ حُـلَّـتِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الآل عند البصريين والأهل واحد، ويدلُّ على ذلك أن تصغير الآل أُهَيْل، وقال الكسائي: سمعتُ أعرابيًا فصيحًا يقول: أهْل وأُهَيْل وآل وأُوَيْل، قال ثعلب: فقد صارا أصلين لمعنيين، لا كما قال أهل البصرة، وحكى أبو عمر الزاهد عن ثعلب أنَّ الأهلَ القرابة كان لها تابع أو لم يكن، والآل القرابة بتابعها، قال: ولهذا أجود الصّلاة على النّبيّ ﷺ وأفضلها «اللّهمَّ صَلِّ على محمّد وعلى آلِ محمّد»، وقد ورد فيه التوقيف، رُوِيَ أن عليًا عليه السّلام سأل النّبي ﷺ: كيف الصّلاة عليك؟ فقال: «قولوا اللّهمَّ صَلِّ على محمد وعلى آلِ محمّد»(١)، وقوله: «فلم أرها أمثالها يوم حلّت» أي: وجدتُها موحشةً خاليةً بعد أن رأيتُها مؤنسة مأهولة.

٢ ـ فَـلاَ يُـبْـعِـدِ الـلَّـهُ الـدِّيَـارَ وَأهْـلَـهَـا وإنْ أصْبَحَتْ مِنْهُمْ بِرَغْمِي تَخَلَّتِ

---

(١) رواه ابن الجارود في المنتقى ٢٠٦، ومالك في الموطّأ ص ١٦٦.

٣ ـ ألاَ إنَّ قَتْلَى الطَّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ   أذَلَّتْ رِقَابَ المُسْلِمِينَ فَذَلَّتِ[١]

قال أبو العلاء: إنّما سُمّيَ الطَّفُّ طَفًّا لِدُنُوِّهِ من أرض العراق، يقال: طَفَّ الشَّيءُ، إذا دنا، وأطَفَّه غيره، قال عديّ بن زيد: [الوافر]

أطَفَّ لأَنْفِهِ المُوسَى قَصِيرٌ   وَكَانَ بِأَنْفِهِ حَجِيًا ضَنِينَا

وقيل: الطَّفُّ: ما أشرفَ من أرض العرب على ريف العراق، وقال الأصمعيّ: إنّما سُمِّيَ طَفًّا لأنه دنا من الرّيف، من قولهم: أخذت من متاعي ما خَفّ وطَفّ: أي قرب مني، وكان سليمان قال «أذَلَّتْ رقابًا من قريش فَذلَّت» فقال عبد الله بن الحسين «أذَلَّتْ رقابَ المسلمين فَذَلَّتِ» فقال ابن قَتَّة: أنت والله أشعر مني.

٤ ـ وَكَانُوا غِيَاثًا ثُمَّ أضْحَوْا رَزِيَّةً   ألاَ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَايَا وَجَلَّتِ

[٣٣٢] وقالت قُتَيْلَةُ بنت النَّضر[٢] بن الحارث بن كَلَدَةَ بن عَلْقمة بن هاشم بن عبد مناف:

وقتل النَّبيُّ ﷺ أباها صَبْرًا، وقيل: أُخت النضر وقتل أخاها.

قُتَيْلَة: يجوز أن يكون تحقير قَتْلة، فقد سمّوا بها المرأة، وهي في الأصل الفَعْلة من قَتَلْته، وكان الأعشى يُشَبِّب بامرأة يقال لها قُتَيْلة، فمرَّة يأتي بها مُصَغَّرة، ومرّة يجيءُ بها على لفظ التَّكبير، قال: [الكامل]

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِوَجْهِكَ شَاحِبًا   وَأرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّدَا

وقال: [السريع]

شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أطْلالُهَا   بِالسَّفْحِ فَالخَبْتَيْنِ مِنْ حَاجِرِ

والبغداديون يقولون قَتْلة بفتحة القاف، وكان بعض الناس يقول قِتْلَة بكسر القاف، والمعنى متقارب، إلا أن القَتْلة مصدر، والقِتْلة اسم لهيئة القتل، وفي الحديث عن النبي ﷺ وذكر الذبائح بِمِنى: «إن الله كتبَ عليكم الإحسانَ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلَةَ، ولا تعجلوا النفوسَ حتى تزهقَ»[٣] وهذا الاسم مأخوذ من قتل الإنسان، وقد استعير في أشياء، فقالوا: قَتَلْتُ الخمر، إذا كسرتَ شَرَّها، وقتلتُ الجوعَ والبردَ، ونحو ذلك،

---

(١) قتلى الطَّفّ: هم الحسين ومَنْ معه من ذَوِيه عليه السلام.

(٢) قُتَيْلة بنت النَّضر: شاعرة من الطبقة الأولى في النساء، أدركت الجاهلية والإسلام، أسلمت بعد مقتل أخيها ورَوَت الحديث وتوفيت في خلافة عمر (ت نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠ م). ترجمتها في (طبقات ابن سعد ٨/ ١٠٥؛ والإصابة تر ٨٨٩؛ والروض الأنف ٢/ ١١٩).

(٣) رواه أحمد في مسنده ٤/ ١٢٤، ١٢٥؛ والترمذي في سننه ١٤٠٩؛ وابن ماجه في سُننه ٣١٧٠؛ والبيهقي في السُّنن الكبرى ٨/ ٦٠؛ ٩/ ٦٨.

ويجوز أن يكون تحقير قِتْل، وهو العدوّ، ثم حقرت بعد التسمية بها فدخلتها التاء حينئذٍ، وتكون هذه التسمية لها بالقِتْل، وهو العدوّ، كقول الآخر: [الهزج]

غَـزَالٌ مَـا رَأَيْـتُ الـيَـوْ ... مَ فـي دُورِ بَـنِـي كُـنَّـهْ

رَخِـيـمٌ يَـصْـرَعُ الأَسْـدَ ... عَـلَـى ضُـعْـفٍ مِـنَ الـمُـنَّـهْ

وكقول جرير: [البسيط]

إنَّ العُيُونَ الَّتِي في طَرْفِهَا مَرَضٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتلانَا

يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لاَ حَرَاكَ لَهُ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أرْكَانَا

فكأنهم سمّوها قتلة وقتيلة لما تصوّروه من تخييل النساء بالرجال مما حكيناه وغيره، وقال الأعشى: [الخفيف]

رُبَّ رِفْـدٍ هَـرَقْـتُـهُ ذَلِـكَ الـيَـوْ ... مَ وَأَسْـرَى مِـنْ مَـعْـشَـرٍ أَقْـتَـال[1]

وقال عبيد الله بن قيس: [الخفيف]

وَاغْـتِـرَابِـي عَـنْ عَـامِـرِ بْـنِ لُـؤَيٍّ ... فـي بِـلاَدٍ كَـثِـيـرَةِ الأَقْـتَـالِ

وقال الآخر: [الخفيف]

أَصْـبَـحَ الـرَّبْـعُ قَـدْ تَـبَـدَّلَ بِـالـحَـيْـ ... ـيِ وُجُـوهًـا كَـأَنَّـهَـا أَقْـتَـالُ

ويقال: هما قِتْلاَن، وهما تِنَّانِ، وحِتْنَان: أي مثلان، ومنه: ذهبت النبل حَتَنَى: أي مستوية، و«النَّضْر» يقال: إنه مسمّى بالنضر المراد به الذهب، يقال: نَضْر والجميع أَنْضُر، قال أبو كبير: [الكامل]

وجَـمَـالُ وَجْـهٍ لَـمْ يُـغَـيَّـرْ حُـسْـنُـهُ ... مِـثْـل الـوَذِيـلَـةِ أَوْ كَـشَـنْـفِ الأَنْـضُـر

وبعضهم يرويه الأَنْضَرِ بفتح الضّاد، وإنما سُمِّيَ الذَّهبُ نضرًا لحُسْنه، وهو من قولهم: زَمَان نَضْر، ووَرَق نضر، إذا كان حَسَن الخُضرة، و«كَلَدَة»: مسمّى بِالكلدة وهي الأرض الغليظة.

١ - يَـا رَاكِـبًـا إنَّ الأُثَـيْـلَ مَـظِـنَّـةٌ ... مِـنْ صُـبْـحِ خَـامِـسَـةٍ وَأَنْـتَ مُـوَفَّـقُ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

الأُثَيْل: موضع فيه قبر النَّضر، وكان رسول الله ﷺ تَأَذَّى به فقتله صَبْرًا، وكان من جملة أذاه أنه كان يقرأ الكتب في أخبار العجم؛ على العرب، ويقول: محمّد يأتيكم

---

(١) البيت في ديوانه ص ٦٣؛ وخزانة الأدب ٩/ ٥٧٠؛ والدّرر ١/ ٧٩؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢١٥؛ وشرح المفصّل ٨/ ٢٨؛ ومغني اللبيب ٢/ ٥٨٧؛ ولأعشى همدان في المقاصد النحوية ٣/ ٢٥١.

بأخبار عادٍ وثمود، وأنا مُنبئكم بأخبار الأكاسرة والقياصرة، يريد بذلك القَدْح في نُبوّتِهِ، وأنه إن جاز أن يكون ذلك نبيًّا لإتيانه بالقصص للأُمم السّالفة فإنّي وقد أتيت بمثلها رسول أيضًا، وذكر ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾[1] أنَّها نزلتْ في النّضر بن الحارث الداري، وكان يشتري كتب الأعاجم فارس والروم، وكتبَ أهل الحيرة، فيحدّثُ بها أهل مكّة، وإذا سَمِعَ القرآنَ أعرضَ عنه واستهزأ به، وقُتَيْلة ابنته لمّا جاءت إلى النبيِّ ﷺ وأنشدته الأبيات رَقّ لها وبَكَى، وقال: «لو جِئْتِني من قَبْلُ لَعَفَوْتُ عنه»[2]، ثم قال: «لا تُقْتَلُ قريشٌ صَبْرًا بعد هذا»، فأمَّا قولها «يا راكبًا» فإنَّها دعت واحدًا من الرّكبان غير معيَّن، فكلّ مَنْ كان يُجيبها منهم كان هو المدعوّ، والمظِنّة: الموضع، يقال: فلانٌ مِظَنَّةٌ لِلخيرِ: أي يُظَنُّ به، «وأنت موفَّق» يقول: إنكَ تبلغ الأثيلَ صبيحة خامسة وإن وُفِّقت لطريقك ولم تجرِ عنه.

٢ - بَــلِّــغْ بِــهِ مَــيْــتًــا فَــإنَّ تَــحِــيَّــةً ... مَـا إنْ تَـزَالُ بِـهَـا الـرَّكَـائِـبُ تَـخْـفِـقُ

أي: بَلِّغْ به لِلأثيلِ ميتًا، تعني أباها، أي: بَلِّغْهُ تحيّةً وَعَبْرَةً مسفوحةً، وحذفت التحية لأن المعنى مفهوم، ويُرْوَى بأن تحية.

٣ - مِـنّـي إلَـيْـهِ وَعَـبْـرَةً مَـسْـفُـوحَـةً ... جَـادتْ لِـمـائِـحِـهَـا وَأُخْـرَى تَـخْـنُـقُ

«لمائحها» أي: لِمُنْزِفها من العين، وأرادت بمائحها أباها، لأنها تبكي لأَجْلِه، فكأنّه يستمطرُ دمعها.

٤ - فَـلْـيَـسْـمَـعَـنَّ الـنَّـضْـرُ إنْ نَـادَيْـتَـهُ ... إنْ كَـانَ يَـسْـمَـعُ مَـيِّـتٌ أوْ يَـنْـطِـقُ

٥ - ظَـلَّـتْ سُـيُـوفُ بَـنِـي أَبِـيـهِ تَـنُـوشُـهُ ... لِـلَّـهِ أرْحَـامٌ هُـنَـاكَ تُـشَـقَّـقُ

«هناك» ظرف، والكاف كاف الخطاب، ويشار به إلى مكان متراخٍ، وإذا قيل «هنالك» فزيد فيه اللاّم كان آكَدَ، والمشار إليه أبعد، والعامل في «هناك» تشقّق، وهو في موضع الصفة للأرحام، واللاّم من قوله «لله» لام التعجب، وهم إذا عَظّموا شيئًا نسبوه إلى الله تعالى، تفخيمًا لشأنه.

٦ - أَمُـحَـمَّـدٌ ولأنْـتَ ضِـنْءُ نَـجِـيـبَـةٍ ... مِـنْ قَـوْمِـهـا والـفَـحْـلُ فَـحْـلٌ مُـعْـرِقُ

نوّنت مُحَمَّدًا للضرورة، وإذا نُوِّنَ المنادى العلم فسيبويه يختار رفعه، وهو مذهب عيسى بن عمر الثقفيّ والخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو بن العلاء ينصب، وهذا البيت

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٦.

(٢) الإصابة ٤/٣٨٩.

يُنْشَدُ على وجهين: [الطويل]

دَعَـوْتُ عَـدِيًّـا وَالتَّـنَـائِـفُ بَـيْـنَـنَـا ... ألاَ يَـا عَـدِيًّـا يَـا عَـدِيَّ بْـنَ نَوْفَلِ

وضِنْءُ نجيبةٍ: أي ولدها، قال أبو عمر: يقال في الولد: ضِنْء وَضَنْء وقال الأمويّ: الضِّنْء الأصل، والضَّنْء الولد، ومُعْرِقٌ: له عِرْقٌ في الكَرَم، يقال: مُعْرِقٌ وعَرِيقٌ، كما يقال: مُؤْلِمٌ وأليمٌ، ولا يكادون يستعملون مُعْرِقًا إلاَّ في المدح، والقياس لا يمنع أن يستعمل في الذم؛ لأن العِرق اسم جامع يقع على الطيب والخبيث، والمراد به أنه كريم.

٧ ـ مَـا كَـانَ ضَـرَّكَ لَـوْ مَـنَـنْـتَ ورُبَّـمَـا ... مَنَّ الـفَـتَـى وَهْـوَ الـمَـغِـيـظُ الـمُـحْـنَـقُ

٨ ـ وَالـنَّـضْـرُ أَقْـرَبُ مَـنْ أَصَبْـتَ وَسِـيـلَـةً ... وَأَحَـقُّـهُـمْ إنْ كَـانَ عِـتْـقٌ يُـعْـتَـقُ

أرادت وأحقّهم بأن يُعْتَقَ إن كان عِتْقٌ، فحذف الباء، وحروف الجرّ مع أن تلقى كثيرًا، ثم حذفَ أن ورفع الفعل، فهو كقوله: [الطويل]

أَلاَ أيُّهٰذَا الزَّاجري أَحْضُرَ الوَغى(١)

يدلُّ على أنَّ أنْ محذوف من «أحضر» أنه عطف عليه بأن فقال «وأن أشْهَدَ اللَّذَّاتِ» وجواب الشّرط وهو «إن كان عِتْقٌ» ما يدلُّ عليه أقرب من أصبت، و«كان» هذه كان التامّة، فلهذا استغنت عن الخبر، والمعنى: النَّضْرُ أقربُ الأُسَرَاءِ الّذين أَسَرْتَهُم إليك وأحقّهم بالعِتْقِ إنْ وقعَ فكاكٌ أو عِتقٌ.

[٣٣٣] وقالَ النابغة الجَعْدِيّ(٢):

١ ـ فَـتًـى كَـانَ فِـيـهِ مَـا يَـسُـرّ صَـدِيـقَـهُ ... عَـلَـى أنَّ فِـيـهِ مَـا يَـسُـوءُ الأَعَـادِيَـا

٢ ـ فَـتًـى كَـمُـلَـتْ خَـيْـرَاتُـهُ غَـيْـرَ أنَّـهُ ... جَـوَادٌ فَـمَـا يُـبْـقِـي مِـنَ الـمَـالِ بَـاقِـيَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

لما قال «كان فيه ما يَسُرُّ صديقَه» علم أن في الناس مَن يجمع الخير من دون الشّرّ، وخشي أنّه إن سكت على هذه الجملة ظنّ به القصور عن التمام فلا تكون فيه النّكاية في الأعداء والإساءة إليهم، فتمّم وصفه بأن قال «على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا»

(١) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد البكري في معلّقته، وعجزه: «وأن أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هل أنتَ مُخْلِدِي» والبيت عند المرزوقي ص ٩٦٨.

(٢) النابغة الجعدي: قيس بن عبد الله بن عُدَس الجعديّ العامريّ، شاعر مفلق، صحابي، من المعمّرين، كُفَّ بصره في آخر حياته (توفي نحو ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). ترجمته في: (الإصابة ٣/ ٥٣٧؛ وطبقات فحول الشعراء ص ١٠٣؛ والمرزباني ص ٣٢١).

وموضع قوله «فتى» في البيتين جميعًا نصب على الاختصاص، كأنه قال: أذكر فتى هذه صفته، ولا يمتنع أن يكون موضعه رفعًا على أن يكون خبر مبتدأ محذوف، فإن قيل: فما موضع قوله «على أن فيه ما يسوء الأعاديا» من الإعراب؟ قلت: هو كالحال للأوّل وإن كان جمعًا بين صفتين متضادتين، كأنه قال: فيه ما يسرّ صديقه مركبًا على ما يسوء الأعادي، وقوله «فما يبقى من المال باقيًا» تأكيد للجود، وانتصاب «باقيًا» يجوز أن يكون على المفعول، ويجوز أن يكون على المصدر، وقد وضعه موضع الإبقاء، ومثله: [الوافر]

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ(١)

فوضع «كافِ» موضع كفاية وهو مصدر منصوب، لكنه حذف فتحة الإعراب من آخره، وإن كانت الفتحة مستحقة على طريقة مَن قال: [الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ(٢)

[٣٣٤] وقال آخر:

١ - وأَيَّ فَتَى وَدَّعْتُ يَوْمَ طُوَيْلِعٍ ... عَشِيَّةَ سَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَسَلَّمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

انتصب «أي» بِوَدّعتُ، والكلام فيه تعجّب على طريق التفخيم للشّأن، وانتصب «عشيّة» على البدل من يوم، والمعنى ما أجلّ شأن فَتًى ودّعناه، وقوله «وسَلَّما» يريد وسلم علينا، فحذف «علينا» ويجوز أن يكون أراد بودّعت الوداع الذي لا تلاقي بعده، ألا ترى أنه يقال للمُفارق: غَيْرَ مُوَدَّع: أي جعل الله بعده التقاء، فإذا جعلت «ودّعتُ» على هذا انفصل معناه عن معنى سلّمنا عليه وسلّما.

٢ - رَمَى بِصُدُورِ الْعِيسِ مُنْخَرَقَ الصَّبَا ... فَلَمْ يَدْرِ خَلْقٌ بَعْدَهَا أَيْنَ يَمَّمَا

موضع الجملة التي هي قوله «أين يَمّما» نصب على أنه مفعول «لم يدرِ»، كأنه قال: لم يدرِ خَلْقٌ ما يقتضي هذا السؤال.

٣ - فَيَا جَازِيَ الْفِتْيَانِ بِالنِّعَمِ اجْزِهِ ... بِنُعْمَاهُ نُعْمَى وَاعْفُ إِنْ كَانَ مُجْرِمَا

ويُروَى «إنْ كان أظلما» أي ظالمًا، وأفعل بمعنى فاعل جاء كثيرًا ومثله: [الطويل]

فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدِ(٣)

---

(١) هذا صدر بيت لبشر بن أبي خازم في مختارات ابن الشجري ص ٧٥، وعجزه: «فليس لِنَأيها إذ طالَ شافٍ».

(٢) هذا بيت من الرجز المشطور وهو في اللسان والمقاييس (قرق)؛ وإصلاح المنطق ص ٤٦٤، وبعده: «أيدي جَوَارٍ يتعاطَيْنَ الوَرِق».

(٣) هذا عجز بيت وصدره كما في أمالي القالي ٣/ ٢١٨: «تَمَنَّى أُنَاسٌ أن أموتَ، وإن أَمُتْ».

[٣٣٥] **وقال شَبيبُ بن عَوَانة:**

شبيب: مصدر شَبَّ الفرس يَشِبُّ شِبَابًا وَشَبِيبًا، وأما عَوَانة فعلم مرتجل غير منقول، وعَوَانة من عَوَانٍ كَرَوَاحة من رَواح، وكأنَّهما من أحداث الأعلام.

١ ـ لِتَبْكِ النِّسَاءُ المُعْوِلاتُ بِعَوْلَةٍ   أَبَا حُجُرٍ قَامَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ

من ثاني الطويل، والقافية متدارك.

قوله «لِتَبْكِ» أمر من فعل يدلُّ على الحال، أَلاَ ترى أنه وصف النساء المأمورات بأنهنَّ مُعْوِلات، والأمر وإن كان في الأكثر يُبْنَى على المستقبل فقد يصحّ أن يُبنَى على ما للحال ويُراد به الاستدامة والاستمرار في الفعل، على ذلك قول الله عزّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١] وقوله «بِعَوْلَةٍ» تتعلّق الباء منه بِلِتَبكِ، و«قامت عليه النوائحُ» في موضع الحال، وقد مُضْمَرَة، كأنه قال: لِتَبْكِهِ النّساءُ وقد ماتَ والنوائحُ يَنُحْنَ عليه.

٢ ـ عَقِيلَةُ دَلاَّهُ لِلَحْدِ ضَرِيحِهِ   وَأَثْوَابُهُ يَبْرُقْنَ والخِمْسُ مائِحُ

الخِمْسُ هنا: اسم إنسان حفر القبر لهذ المدفون، شبّهه بمائحِ البئر لأنه يخرجُ ترابَ القبرِ، وقد كَثُرَ استعمالُهم البئرَ في معنى القبر، قال: [الطويل]

فَكُنْتُ ذَنُوب البِئْرِ لَمَّا تَبَسَّلَتْ   وَأُلْبِسْتُ أَكْفَانِي وَوُسِّدْتُ ساعِدي

٣ ـ خِدَبٌّ يَضِيقُ السَّرْجُ عَنْهُ كأَنَّما   يَمُدُّ رِكَابَيْهِ مِنَ الطُّولِ ماتِحُ

الخِدَبُّ: الضَّخْمُ الجنبين، والماتحُ: الّذي يستقي على بكرة، يقول: كأنَّ رِكَابَيْهِ من طولِ سَاقَيْهِ يَمُدُّهما ماتحٌ، شَبَّهَ رِجلَيه بِرِشَاءِ الماتحِ، ويصفه بطول قامته.

[٣٣٦] **وقال آخر**[٢]:

١ ـ أَبَا خَالِدٍ مَا كَانَ أَدْهَى مُصِيبَةً   أَصَابَتْ مَعَدًّا يَوْمَ أَصْبَحْتَ ثَاوِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يستعظمُ المصيبةَ التي أصابت مَعَدًّا يوم مات هذا المرثيّ، والدَّاهية: المُنْكَر من الأمر.

٢ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ سُرَّ الأَعَادِي فَأَظْهَرُوا   شَمَاتًا لَقَدْ مَرُّوا بِرَبْعِكَ خَالِيَا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

(٢) قال في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال منصور النَّمِريّ في يزيد بن مَزْيَد». والنَّمِريّ من شعراء العصر العباسي توفي سنة ١٩٠ هـ، ويزيد بن مزيد الشيباني والي أرمينية وأذربيجان مات سنة ١٨٥ هـ، والأبيات في الزهرة ٢/٥٢٧.

لَعَمْرِي: مبتدأ، وخبره محذوف، ولَئِنْ سُرَّ: شرط، واللاّم منه مُوَطِّئة للقَسَم، وجواب لَعَمْرِي «لقد مَرُّوا»، وجواب الشرط ما دلَّ عليه هذا الجواب، والشَّمات: الفرح بمحنة الأعداء، وخاليًا: نصب على الحال للرَّبْع.

٣ ـ فإنْ تَكُ أفْنَتْهُ اللَّيالِي وَأوْشَكَتْ فإنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيالِيا

أوشكتْ: أسرعتْ في إفنائه.

[٣٣٧] وقالت امرأة من كندة:

١ ـ لا تُخْبِرُوا النَّاسَ إلاَّ أنَّ سَيِّدَكُمْ أسْلَمْتُمُوهُ وَلَوْ قَاتَلْتُمُ امْتَنَعا

الأوّل من البسيط، والقافية متراكب.

قولها «لا تخبروا النَّاسَ» تَهَكُّمٌ وسخريةٌ يشُوبُه تعييرٌ: أي قد ارتكبتم أمرًا عظيمًا بتسليمكم سَيِّدكم فاستروا أمرَكم ولا تُنْبِئوا الناسَ به، وقولها «إلاَّ أن سيّدكم» إلاّ بمعنى غير، فهو منقطع مما قبله، كأنّها قالت: سلمتم إلاّ أن رئيسكم أسلمتم.

٢ ـ أنْعَى فَتًى لَمْ تَذُرَّ الشَّمْسُ طَالِعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إلاَّ ضَرَّ أوْ نَفَعَا

انتصب «طالعة» على الحال المُؤَكَّد بما قبله، والكوفيون يقولون في مثله: انتصبَ على القطع، وكما أنَّ الحال تجيءُ مُؤَكِّدَةً لِمَا قبلها تجيءُ الصّفةُ أيضًا مؤكّدةً لما قبلها، ومثل هذا ـ أعني الحال ـ: رأيته في الحمام عريانًا، فعريان: حال مؤكّدة، ومثال الصفة أن تقول: فعلتُ كذا أمس الدابر، وذرور الشّمس: انتشارها في الجوّ.

[٣٣٨] وقالت امرأة من بني أسد(١):

١ ـ خَلِيلَيَّ عُوجَا إنَّهَا حَاجَةٌ لَنَا عَلَى قَبْرِ أُهْبانٍ سَقَتْهُ الرَّوَاعِدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

سَقَتْهُ الرَّواعدُ: دعاء للقبر بالسُّقيا، والرّواعد: السحابات التي فيها الرّعد، وقوله «إنّها حاجة لنا» حشو واعتراض، وقد وقع موقعًا حسنًا، وفيه استعطاف للمخاطبين.

٢ ـ فَنِعْمَ الفَتَى كُلُّ الفَتَى كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ المُزَجَّى نَفْنَفٌ مُتَبَاعِدُ

كأنها قالت: تمّ الفتى التامّ الفتوّة حتّى لم يغادرْ شيئًا من أسبابها، والمُزَجَّى: الضّعيف، وسُمِّيَ مُزَجًّى لِتَأَخُّرِهِ وحاجتهم إلى تزجيته واستحثاثه فيما يَعِنُّ، وهذا كما قِيلَ المُرَكَّبُ

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١/٢٥٢، ونسبتها إلى أهبان بن همام بن نضلة الأسدي، شاعر جاهلي.

في الضَّعيف الفروسة، والنَّفْنَفُ: المَهْوَاةُ بين الجبلين والأرض بين أرضين، يقول: بين هذا الفتى وبين مَنْ يُزَجَّى من الفتيان مَهْوَاةٌ بعيدةٌ حتى لا التقاءَ ولا تَدَاني.

٣ ـ إذا انْتَضَلَ القَوْمُ الأَحادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَـيِـيًّـا ولاَ رَبًّـا عـلـى مَـنْ يُـقـاعِـدُ

أصل الانتضال والنّضال في الرّماء، ثم يُسْتَعمَلُ توسُّعًا في المفاخرة، وقولها «ولا رَبًّا على مَنْ يقاعدُ» أي: لم يتكبَّرْ عليه، ويُرْوَى «عِبئًا»[1] أي ثقلاً، يعني لم يَسْتَثْقِلْه جليسُه، ويُرْوى «لَغْبًا» أي ضعيفًا، وقال أبو العلاء: يقال: تَنَاضَلَ القومُ، وانتضلوا، إذا ترامَوا، وكان ذلك على معنى الامتحان واللّعب، ونظرهم أيّهم أرمى، وقوله: [البسيط]

قدْ نَاضَلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَنَبْلاً غَيْرَ أَنْكَاسِ

أراد بالمجد التّليد أنَّ الشّجاعَ منهم كان إذا أسر فارسًا مذكورًا فَمَنَّ عليه جَزَّ ناصِيَتَه وجعلَها في كنانته، فأرادت الأسديّة أنهم يترامون بالأحاديث: أي يُحَدِّثُ كلُّ واحدٍ منهم حديثًا فكأنه يرمي به أصحابه.

[٣٣٩] وقال كَعْبُ بن زُهَيْر[2]:

اختلفوا في كَعْبِ الإنسان، فقيل: هو ما أشرفَ على العقب من جانبيه، وقيل أيضًا: إنه الحجمُ الشَّاخِصُ في ظهر القَدَم، وكعبُ القناة: ما بين كلّ أنبوبتين، والكَعْبُ: القليلُ من رُبِّ السَّمن يبقى في أسفل النِّحْي، والقوس: بقيّة التمر في جانب الجلّة، والثور: القطعة من الأقط، وزهير: تحقير أزهر على التَّرخيم، ويجوز أن يكون تحقير زَهْر، وذهب الفرّاء إلى أنه لا يحقر الاسم تحقير الترخيم إلاَّ أن يكونَ عَلَمًا كزُهَيْر وبُجَيْر ونحوهما.

١ ـ لَـقَـدْ وَلَّـى أَلِـيَّـتَـهُ جُـوَيٌّ مَعَاشِرَ غَيْرَ مَطْلُولٍ أَخُوهَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الأَلِيَّةُ: اليمينُ، وقوله «غير مطلولِ أخوها» أي: دم أخيها.

٢ ـ فَإنْ تَـهْـلِـكْ جُوَيُّ فَكُـلُّ نَـفْسٍ سَـيَـجْـلُـبُـهَـا لِـذَلِـكَ جَـالِـبُـوهَـا

٣ ـ وَإنْ تَـهْـلِـكْ جُـوَيُّ فَـإنَّ حَـرْبًـا كَـظَـنِّـكَ كـانَ بَـعْـدَكَ مُـوقِـدُوهَـا

ارتفع «موقدوها» بكان، و«كَظَنِّكَ» في موضع خبر كان، وقد تقدَّمَ عليه، والجملة

(١) يُرَوَى «عبئًا» بدل «رَبًّا» عند المرزوقي.

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له معلّقة تُرجِمَت إلى الإيطالية والفرنسية (ت ٢٦ هـ/ ٦٤٥ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ص ٦١؛ وابن سلام ص ٢٠؛ وابن هشام ٣/ ٣٢؛ وعيون الأثر ٢/ ٢٠٨ وغيرها).

خبر إنَّ، واسم إنَّ - وهو «حَرْبًا» - نكرة موصوفة، وساغ ذلك لمَّا كان المراد مفهومًا، ويجوز أن يجعل قوله «كَظَنِّكَ كان بعدك موقدوها» من صفة «حَرْبًا» ويجعل خبر إن محذوفًا، كأنه قال: إن حَرْبًا هذه صفتها وقعت، وبيت الأعشى حجّة في الوجهين، وهو: [المنسرح]

إنَّ مَــحَــلاً وَإنَّ مُــرْتَــحَــلاَ   وَإنَّ في السَّفْرِ إذْ مَضَوْا مَهَلاَ[1]

ألا ترى أن معناه إن لنا محلاً وإن لنا مرتحلاً؛ فحذف الخبر، ومحل ومرتحل نكرتان.

٤ - وَمَا سَاءَتْ ظُنُونُكَ يَوْمَ تُولِي   بِأَرْمَاحٍ وَفَى لَكَ مُشْرِعُوهَا

تُولِي: تقسم، يقول: لقد حَسُنَ ظَنُّكَ بأرماحٍ وَفَى لكَ مُعْمِلُوها يومَ حلفك فلا جرمَ أنّهم صَدَّقوا ظَنَّكَ بهم.

٥ - وَلَوْ بَلَغَ القَتِيلَ فَعَالُ قَوْمٍ   لَسَرَّكَ مِنْ سُيُوفِكَ مُنْتَضُوهَا
٦ - لِنَذْرِكَ وَالنُّذُورُ لَهَا وَفَاءٌ   إذا بَلَغَ الخَزَايَةَ بَالِغُوهَا
٧ - كَأَنَّكَ كُنْتَ تَعْلَمُ يَوْمَ بُزَّتْ   ثِيَابُكَ ما سَيَلْقَى سَالِبُوهَا
٨ - فَمَا عُتِرَ الظِّبَاءُ بِحَيِّ كَعْبٍ   ولاَ الخَمْسُونَ قَصَّرَ طَالِبُوهَا

يعني أنه لم يقتنعْ في أخذ ثأره بأن تُعْتَرَ الظِّباء: أي يذبحها، وهذا مَثَلٌ ضربَه، وذلك أن بعض العرب كان يقول: إذا بلغَتْ غنمي كذا من العدد ذبحتُ منها شاةً أو شِياهًا وأطعمتُها المساكين، فإذا بلغت غَنَمُه تلك العِدَّةَ ضَنَّ بها وكَرِهَ أن لا يوفي بالنّذرِ فاصطادَ ظبيًا أو ظباءً فذبحها عن الغنم، ويقع في بعض النسخ بعد هذا البيت قوله:

٩ - صَبَحْنَ الخَزْرَجِيَّةَ مُرْهَفَاتٍ   أَبَانَ ذَوِي أرُومَتِهَا ذَوُوهَا

الأرومة: الأصل، وكأنه يريد أنَّ الذين طبعوا هذه السيوف كتبوا عليها أسماء الملوك الّذين ضُرِبَتْ لهم أو في أيّامِهم، وقوله «ذووها» لم تَجْرِ عادة «ذو» وما تصرّف منها أن يضاف إلى المُضْمَرَات، لا يقال: المالُ أنت ذوه: أي صاحبه، ولا هذا الرّجل ذوك: أي صاحبك أو عبدك، فهذا الأكثر فيما استعملوه، فإنْ كان هذا البيت المذكور من صنعة عربيّ فصيح فليس بأبعد مِمَّا جُوِّزَ لِضرورة الشعر، والفرق بين قولهم ذوك وفوك أنَّ الاسمَ الأوّلَ من فِيكَ وإن كان قد حُذِفَ منه شيءٌ فإنّه صريحٌ لا كناية فيه، وذوك

(١) البيت في ديوانه ص ٢٨٣؛ وخزانة الأدب ١٠/ ٢٥٢؛ والخصائص ٢/ ٣٧٣؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥١٧؛ والكتاب ٢/ ١٤١؛ ولسان العرب (رحل)؛ وتاج العروس (حلل)؛ ومغني اللبيب ١/ ٨٢؛ والمقتضب ٤/ ١٣٠.

ليس كذلك؛ لأن «ذو» كناية عن شيء، فكرهوا أن يجمعوا بين كنايتين، وقولهم في الجمع «ذووك» أوْجَه من قولهم في الواحد «ذوك» لأنَّ الاسم قوي بزيادة الواو.

خبر هذه الأبيات: أنَّ جُوَيًّا، وهو رجل من مُزَينة، مَرَّ على الأوس والخزرج وهم يقتتلون، وكانت الأوس حلفاء مُزَينة، فدخل المزنيُّ مع حلفائه، فأُصيبَ، فمرَّ به ثابت بن المنذر بن حَرَام أبو حَسَّان الشاعر، فقال: أخا مُزَينة، ما طَرَحَكَ في هذا المطرح فواللَّهِ إنَّكَ من قوم ما يحمونك؟ فرفع جُوَيٌّ رأسَه إليه وهو يجود بنفسه، فقال: أُعْطِي اللَّهَ عَهْدًا ليقتلنَّ منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج، فسارت كلمته حتى أتت عمق أرض مُزَيْنة، فثاروا لكلمة ثابت، وبلغ ثابتًا أن مزينة قد أتتهم تطلب بدم جُوَيّ، فقال ثابت: [البسيط]

جَاءَت مُزَيْنَةُ مِنْ عُمْقٍ لِتُفْزِعَنَا ... فِرِّي مُزَيْنَ وَفِي أَسْتَاهِكِ الفُتُلُ

أي جرحوا في أستاهِهم، فلقيتهم مزينة ببعاث، فقتلتهم كلّ قتل، وأسروا ثابت بن المنذر، فآلى مقرن بن عائذ ـ وكان رئيسهم ـ أن لا يفديه إلاّ بتيس أجَمَّ أسود، فغضب الأنصار لذلك، وقالوا: لا نفعل ذاك أبدًا، فقال ثابت: أما إذ أبوا فخذوا أخاكم وأعطوهم أخاهم، يعني التيس، فلمّا رأوا أنه ليس لهم بدٌّ من ذلك جاؤوا بتيس أسود أجَمّ، فأخذه مقرن في سوق عكاظ في مجمع الناس فذبحه وأطلق ثابتًا، ثم أقبلت مزينة حتى إذا دَنَوْا من أرضهم خرجت امرأة مقرن فتلقته فقالت له: قد وُلِّيت أمرًا فليت شعري كيف صنعت فيه، فأنشأ مقرن يقول: [الكامل]

هَلاَّ سَأَلْتِ وَأَنْتِ غَيْرُ عَيِيَّةٍ ... وَشِفَاءُ ذِي العِيِّ السُّؤَالُ عَنِ العَمَى
عَنْ مَشْهَدِي بِبُعَاثَ إذْ دَلَفَتْ لَهُ ... غَسَّانُ بِالبِيضِ القَوَاطِعِ وَالقَنَا
وَعَنِ اعْتِنَاقِي ثَابِتًا في مَشْهَدٍ ... مُتَنَافَسٍ فِيهِ الشَّجَاعَةُ لِلْفَتَى
فَشَرَيْتُهُ بأَجَمَّ أَسْوَدَ حَالِكٍ ... بِعُكَاظَ مَوْقُوفًا يُجَمِّعُهَا ضُحَا
مَا إنْ وَجَدْتُ لَهُ فِدَاءَ غَيْرَهُ ... وَكَذَاكَ كَانَ فِدَاؤُهُمْ فِيمَا مَضَى
إنِّي امْرُؤٌ أَقْنَى الحَيَاءَ وَشِيمَتي ... كَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالتَّجَنُّبُ لِلْخَنَى(١)
مِنْ مَعْشَرٍ فِيهِمْ قُرُومٌ سَادَةٌ ... وَلُيُوثُ غَابٍ حِينَ تَضْطَرِمُ الوَغَى(٢)
وَيَصُولُ بِالأَبْدَانِ كُلُّ مُسَعَّرٍ ... مِثْلَ الشِّهَابِ إذَا تَوَقَّدَ مِلْغَضَا

وقال أبو محمد الأعرابي رادًا على النمريّ: هذا موضع المثل: [الوافر]

تَفَرَّقَتِ المَخَاضُ عَلَى يَسَارٍ ... فَمَا يَدْرِي أَيُخْثِرُ أم يُذِيبُ

---

(١) أقنى الحياءَ: أَلْزَمُهُ. والخَنَى: الفاحشة. (٢) القروم: جمع القِرم: السيّد.

أخطأ أبو عبد الله في هذا التفسير من وجوه: منها أنه ذكر أن حُوَيًّا بالحاء اسم رجل، وإنّما هو جُوَيّ بالجيم ترخيم جُوَيَّة، وقال أبو العلاء: جُوَيّ أراد ترخيم جُوَيَّة فإن كان أصله غير مهموز فهو تصغير قولهم فلان في جَوَّةِ البيت وجَوِّهِ: أي باطنه، قال النابغة: [البسيط]

تَمْشِي الدَّجَاجُ حَوَالَيْهَا وَرَاكِبُهَا ... نَشْوَانُ في جَوَّةِ البَاغُوتِ مَخْمُورُ

وإن كان أصله الهمزة فهو تصغير الجؤوَة من قولهم: كتيبة جأواء، وهي التي يعلوها صدأ الحديد وسواده.

[٣٤٠] وقال آخر:

١ ـ نَعَى النَّاعِي الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ تَنْعَى ... فَتَى أهْلِ الحِجَازِ وأهْلِ نَجْدِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قوله «تَنْعَى» يحتمل أن يكون معناه نعيت، ويحتمل أن يكون المعنى أتنعى، فحذف ألف الاستفهام، ونجد: من ذات عرق إلى النَّبَاج.

٢ ـ خَفِيفَ الحَاذِ نَسَّالَ الفَيَافِي ... وعَبْدًا لِلصَّحَابَةِ غَيْرَ عَبْدِ

الحاذان: أدبار الفخذين[١]، والجمع آحاذ، وقيل: هو الظهر، والحاذ في غير هذا المكان: الحال، ونَسَّال الفيافي: أي نَسَّال في الفيافي، فأجراه مجرى قَطّاع الفيافي، ويقال: نَسَلَ الماشي، إذا أسرعَ، والنَّسَلاَن: مشية الفهدِ إذا أعنقَ، والصَّحَابة: مصدر في الأصل، يقال: أحسنَ الله صَحَابَتَكَ، ثم استُعْمِلَتْ صِفةً، وقويَ في الوصفية حتّى جرى مجرى الأسماء وتفرّد عن الموصوف، وكذلك قولهم صاحب اسم الفاعل من صَحِبَ، ولتفرّده بنفسه قويَ حتى كأنه ليس بمشتقّ من صحبَ، فلا يكاد يقال: هو صاحِبٌ زيدًا، كما يقال: هو ضاربٌ زيدًا، وقوله «غير عبد» أي هو عبد للصحابة في خدمته لهم وكفايته أمورهم غير عبد في الرّقّ والمُلْكِ.

[٣٤١] وقَال رُقَيبَةُ الجَرْمِيُّ:

رُقَيْبَة: تحقير رَقَبَة، ويجوز أن يكون تحقير رَقْبَة أو رِقْبَة فَعْلَة أو فِعْلَة من رقبت، حُقِّرا بعد أن سُمِّي بهما المؤنّث.

١ ـ أقولُ وفي الأكْفَانِ أبْيَضُ مَاجِدٌ ... كَغُصْنِ الأرَاكِ وَجْهُهُ حِينَ وَسَّما

---

(١) في تاج العروس: «الحاذَانِ: ما وقعَ عليه الذَّنَبُ من أدبار الفَخِذَينِ من ذا الجانب وذا الجانب. وجمع الحاذِ: أحواذٌ. ومن المجاز: رجلٌ خفيف الحاذ، كما يُقال: خفيفُ الظَّهْرِ. وضربَ محمد (ﷺ) في قوله: «المؤمنُ خفيف الحاذِ» قِلَّةَ اللَّحم مَثَلاً لِقِلَّةِ مالِهِ وعيالِه».

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

مفعول «أقولُ» هي جملة البيت الذي يليه، والواو من قوله «وفي الأكفان أبيضُ ماجدٌ» واو الحال، و«كغصنِ الأَرَاكِ» في موضع الصفة لأبيض، شَبَّهَ امتداد قامته به، و«وجهه» على هذا يكون مبتدأ، وخبره «حين وَسَّمَا» والجملة في موضع الصفة لما قبله، ومعنى وَسَّمَ خرج قليلاً، وحقيقته أنه بمعنى توَسَّمَ، كما أنَّ وَجَّهَ بمعنى تَوَجَّهَ، ويقال: لَوَّزَ الغلامُ(١) وطَرَّ ووَسَّمَ وبَقَلَ في مَعْنًى، وأجاز أبو حاتم بَقَّلَ بالتشديد، رواه عن الأصمعي، ولم يُجِزْهُ غيرُه.

٢ - أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أنْ لَسْتُ رَائِيًا رِفَاعَةَ بَعْدَ اليَوْمِ إلاَّ تَوَهُّمَا

أَحَقًّا: انتصبَ عند سيبويه على الظَّرْف، كأنه: أفي الحَقِّ ذلك، فإنْ قِيلَ: وكيف جاز أن يكون ظرفًا؟ قلت: لمّا رآهم يقولون: أفي حَقٍّ كذا، و«أفي الحقّ»، جعله إذا نَصَبُوه على تلك الطّريقة، قال: [الوافر]

أَفِي حَقٍّ مُوَاسَاتِي أَخَاكُمْ بِمَالِي ثُمَّ يَظْلِمُنِي السَّرِيسُ(٢)

وقوله «أن لست رائيًا» أنْ فيه مخفّفة من الثقيلة، والمعنى: أفي الحَقِّ أنّي لستُ رائيًا هذا الفتى إلاّ متوهّمًا أبَدَ الدَّهْرِ، وقوله «تَوَهُّمًا» مصدر في موضع الحال.

٣ - فَأُقْسِمُ مَا جَشَّمْتُهُ مِنْ مُلِمَّةٍ تَؤُودُ كِرَامَ القَوْمِ إلاَّ تَجَشَّمَا

٤ - وَلا قُلْتُ مَهْلاً وهْوَ غَضْبَانُ قَدْ غَلاَ مِنَ الغَيْظِ وَسْطَ القَوْمِ إلاَّ تَبَسَّمَا

[٣٤٢] وقال آخر:

١ - أَلاَ لا فَتَى بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةَ الفَتَى وَلاَ عُرْفَ إلاَّ قَدْ تَوَلَّى فَأَدْبَرَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

حذف الخبر من قوله «لاَ فَتَى» و«لا عُرْفَ» جميعًا، كأنه قال: لا فَتَى في الدّنيا بعد ذهابه، ولا عُرْفَ موجودٌ بعد تَوَلِّي عُرْفِهِ، ولكَ أن تُنَوِّنَ لا فَتًى وأن الأوّل أشرف في المعنى وأبلغ فيكون في موضع الرفع بالابتداء، وكذلك لا عُرْفَ ترفعه وتنوّنه ولكنّكَ تلقي حركة الهمزة من إلاّ وهي كسرة على التنوين، والفصل بين الرفع والنصب أنّ النصب يفيدُ الاستغراقَ كأنه نفى قليل الجنس وكثيره، إذ كان جواب هل من فتى وهل

---

(١) المُلَوَّز من الوجوه: الحَسَن المليح.

(٢) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ١٠١؛ والأغاني ١٢/ ١٢٩؛ وخزانة الأدب ١٠/ ٢٨٠؛ ولسان العرب (سرس)؛ وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٣٥٣؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٩٨٣.

من عُرْفٍ، والرفع لا يكون فيه الاستغراق بكونه جواب «وهل عُرْفٌ؟»، ولا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ويكون الجواب عن حَدِّهِ.

٢ ـ فَتَى حَنْظَلِيٌّ ما تَزالُ رِكابُهُ   تَجُودُ بِمَعْرُوفٍ وتُنْكِرُ مُنْكَرا

قوله «ما تزالُ رِكابُه» من صلة فتًى، و«تجودُ بمعروف» خبر ما تزال، وارتفع «فتًى حنظليٌّ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، ولو نصبه على المدح والاختصاص لَجَازَ.

٣ ـ لَحَا اللَّهُ قَوْمًا أسْلَمُوكَ وجَرَّدُوا   عَنَاجِيجَ أعْطَتْها يَمِينُكَ ضُمَّرَا

هذا تصريح بأنَّ أصحابَه خذلوه وتقاعدوا عن نُصْرَتِهِ حتّى تمكَّنَ الأعداءُ منه فقتلوه، والعناجيجُ: الطِّوَالُ من الخيل جَرّدوها لِلرَّكْضِ في الهَرَبِ ممّا سمحتْ به يَدُهُ أو لم يحافظوا على حُرَمِهِ، و«لحا اللَّهُ» يجوز أن يكون من اللِّحَاء: السَّبّ والذَّمّ، ويجوز أن يكون من اللّحاء القَشْر، وكيف جعلته فهو دعاءٌ عليهم.

[٣٤٣] وقال آخر[١]:

١ ـ كَانَتْ خُزَاعَةُ مِلْءَ الأرْضِ ما اتَّسَعَتْ   فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيها

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «ما اتَّسَعَتْ» ظرف، كأنه قال: مقدارَ الأرضِ كلّها، وأصل القَصّ التَّتَبُّع.

٢ ـ أضْحَى أبُو القَاسِمِ الثَّاوِي بِبَلْقَعَةٍ   تَسْفِي الرِّيَاحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا

الباء من قوله «ببلقعةٍ» تتعلّق بالثّاوي وخبر «أضحَى» تسفي الرّياح عليه، والسَّفَا والسّافياء: التُّراب، ويقال: سَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابُ وغيره تَسْفِيهِ سَفْيًا، والرِّيحُ سافيةٌ، والجمع السَّوَافي، تَسْفي التّراب والورقَ واليَبِيس، وقيل: السَّافياء الريح تحمل ترابًا كثيرًا تهجمُ به على النّاس، والسَّفَا: اسم ما تسفيه، والبلقعةُ: الأرضُ الخالية التي لا أحدَ بها، كان فيها نبتٌ أو لم يكن، وكانت مستوية أو لم تكن.

٣ ـ هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أنْ لا هُبُوبَ بِهِ   وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إذْ يُبَارِيهَا

حسيرًا: مُعْيِيَةً ضعيفةً، ويباريها: يُعَارِضُها، وقوله «وقد تكون» بمعنى كانت، وجاز ذلك لدلالة إذ عليه لأنَّ إذ لما مضى، يقول: إنَّ الرّياحَ إنّما تَهُبُّ لِعِلْمِها أنه ميتٌ لا يقدرُ

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي قال: «قال دِعْبل الخزاعي» والأبيات في ديوانه. ودِعْبِل الخُزَاعي: شاعر هَجّاء، أصله من الكوفة، هجا الخلفاء: الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. (ت ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠ م) ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ١٧٨؛ والشعر والشعراء ص ٣٥٠؛ وتاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢).

على مباراتها، ولو كان حَيًّا لم تهبّ لقصورها عنه، والعرب تشبّهُ الجوادَ الّذي يعمُّ نوالُه بالرِّيح لأنّها تعمّ ولا تخصّ.

٤ ـ أَضْحَى قِرًى لِلْمَنَايا رَهْنَ بَلْقَعَةٍ ‏ ‏ ‏ وَقَدْ يَكُونُ غَدَاةَ الرَّوْعِ يَقْرِيهَا

أي: صار طُعْمَةً لِلمنايا، وكان في الحرب هو يُطْعِمُ المنايا، يصفُ نقصان المنايا عدد خزاعة بعد كَثْرَتِها.

[٣٤٤] وقال عَقِيل بن عُلَّفَة[١] بن الحارث بن معاوية بن ضِبَاب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرّة:

١ ـ لِتَغْدُ الْمَنَايَا حَيْثُ شَاءَت فَإِنَّهَا ‏ ‏ ‏ مُحَلَّلَةٌ بَعْدَ الفَتَى ابْنِ عَقِيلِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

أي: لِتُصِبْ، ومُحَلَّلة، يقول: ما بَقِيَ بعده مَنْ تصعُب عَلَيَّ مَنِيَّته، فلْيَمُتْ مَنْ كان، وقال أبو العلاء: يقول: المنايا في حِلٍّ بعد أخذها هذا المرثيَّ كأنه يقول: لستُ أُبالي بعد موته ما حدثَ في الأنام، واستعار ذلك من قولهم: قد أحللت الإنسان وحَلَّلته، إذا جعلته في حِلٍّ مما بينك وبينه.

٢ ـ فَتًى كَانَ مَوْلاَهُ يَحُلُّ بِنَجْوَةٍ ‏ ‏ ‏ فَحَلَّ المَوَالِي بَعْدَهُ بِمَسِيلِ

هذا يحتمل وجهين: أحدهما: أنَّ ابنَ عَمِّه كان عزيزًا في حياته عاليًا فوق غيره، كمَن حَلَّ على مكان مرتفع، فذَلَّ بعد موته، وصار كَمَنْ هو في مسيلٍ يجتاحُه السَّيْلُ، فضربَ المسيلَ والنّجوة مثلاً لِلذُّلِّ والعِزِّ، والآخر: أن ابن عمّه كان ينزل على نجوةٍ من الأرض تَعَرُّضًا لِلأضياف لِيُهْتَدَى إليه، فحلَّ الموالي بعد موته المنخفض من الأرض لأنّهم افتقروا، وليس عندهم ما يَقْرُونَ به الضَّيفَ، ولا ينزلُ التِّلاعَ إلاَّ شجاعٌ أو كريمٌ، ولا ينزلُ الوِهادَ إلاَّ لئيمٌ أو فقيرٌ، والنَّجْوَةُ: المكانُ المرتفعُ ينجو به مَنْ نزله من السَّيل، وقول الراجز:

أَنَا حُرَيْثٌ وَابْنُ زَيْدِ الخَيْلِ ‏ ‏ ‏ يَنْشَقُّ عَنْ بَيْتِي أَتِيُّ السَّيْلِ

إنَّما وصف نفسه بالعزّ: أي إني أَحُلُّ بِمَجْرى السّيول فينشقُّ أَتِيُّها عن بيتي لأنّي عزيزٌ شريفٌ لا أُبالي بنوائبِ الدَّهْرِ.

٣ ـ طَوِيلُ نِجَادِ السَّيفِ وَهْمٌ كَأَنَّمَا ‏ ‏ ‏ تَصُولُ إذَا اسْتَنْجَدْتَهُ بِقَبِيلِ

نِجاد السَّيف: حمالته، وكلّما كان الرجل أطول كانت حِمَالَةُ سيفه أطول، ووَهْمٌ: أي قويٌّ، وأصله في الإبل إذا كان البعير قويًّا مُنْقَادًا لصاحبه سُمِّيَ وَهْمًا، والوَهْمُ:

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٧).

الطّريقُ الواضحُ، واستنجدته: أي طلبتَ نَجْدَتَهُ، يقول: إذا أعانَكَ فكأنّما تصولُ على عَدوِّكَ بجماعة لا بنفسٍ واحدة.

٤ ـ كَأَنَّ المَنَايَا تَبْتَغِي في خِيَارِنَا لَهَا تِرَةً أَوْ تَهْتَدِي بِدَلِيلِ(١)

[٣٤٥] وقالَ مُسَافِع بن حذيفة العبسيّ:

١ ـ أَبَعْدَ بَنِي عَمْرو أُسَرُّ بِمُقْبِلٍ مِنَ العَيْشِ أَوْ آسَى عَلَى إِثْرِ مُدْبِرِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«أبعد بني عمرو» لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه لا أفعلُ.

٢ ـ ولَيْسَ وَرَاءَ الشَّيْءِ شَيْءٌ يَرُدُّهُ عَلَيْكَ إِذَا وَلَّى سِوَى الصَّبْرِ فاصْبِرِ

وراء الشَّيء: يعني الشَّيء الفائت، وجاز حذفُ الصّفة هنا لأن وراء دَلَّتْ عليه، ووراء الشَّيء: خلفه، يقول: ليس يردّ عليك الشيءَ الفائت إلاّ الصبر، والصَّبر أيضًا لا يردّ عليكَ الفائت، ولكنه أراد أنَّ الصَّبْرَ يُكسِبك المثوبَة وحُسْن الأُحْدوثة فيكون ذلك عِوَضًا عنه، يقول: قد ذهبَ مَنْ كنتُ أُريدُ عيشي لهم والآن لا أُسَرُّ بِما يقبلُ منه ولا أحزنُ على ما يدبرُ منه، ثم اعترفَ بأنَّ الفائتَ لا يردُّهُ إلاّ الصَّبر فجعلَ الأجْرَ الَّذي هو عِوَض عن الفائت بمنزلته.

٣ ـ سَلامٌ بَنِي عَمْرو عَلَى حَيْثُ هَامُكُمْ جَمَالَ النَّدِيِّ وَالقَنَا والسَّنَوَّرِ

نصب «جمالَ النّديّ» وكذلك «بني عمرو» على النّداء، يريد يا بني عمرو، ويا جمال النَّدِيّ، وهامُكم: مبتدأ محذوف الخبر من جملة مجرورة الموضع بإضافة «حيث» إليها، يريد حيث هامُكم مَقبورةٌ، والسَّنَوَّر: جملة السّلاح، وهو هٰهنا الدّروع لأنه ذكر القنا.

٤ ـ أُولاكَ بَنُو خَيْرٍ وَشَرٍّ كِلَيْهِمَا جَمِيعًا وَمَعْرُوفٍ أَلَمَّ ومُنْكَرِ

انْجرَّ «كليهما» على أنه بدل من خير وشَرّ، ولا يجوز أن يكون توكيدًا لهما؛ لأنَّ توكيد ما لا يُعْرَفُ لا فائدة فيه، والكوفيّون يُجَوِّزُون توكيدَ ما تدخله التجزئة من النَّكِرَاتِ، يقولون: قرأتُ كتابًا كُلَّه، وأكلتُ رغيفًا كلَّه، على التوكيد، والبصريون يُجيزون في الكلام مثل ذلك، ولكنهم يمتنعون من إجراء الآخر على الأوّل على طريق التأكيد، ويجعلونه بَدَلاً.

[٣٤٦] وقال الرّبيع بن زياد(٢) في مالك بن زهير العبسيّ:

١ ـ إنِّي أرِقْتُ فَلَمْ أُغَمِّضْ حَارِ مِنْ سَيِّء النَّبإِ الجَلِيلِ السَّارِي

---

(١) التِّرَة: الثّأر.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٦٤).

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

«لم أغمضْ» لم أَنَمْ، والغماض: النوم بعينه، أي: نام فارغ القلب مَن لم يبلغه هذا الخبر ولم أَنَمْ يا حارث، فرخّم.

٢ ـ مِنْ مِثْلِهِ تُمْسِي النِّسَاءُ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعْوِلَةً مَعَ الأَسْحَارِ

يعني من مثل هذا الخبر، ويُروَى «تُمْسي» من أمسى يُمْسي، «وتَمْشِي» من المشي، وتمسي أجود؛ لأن طبقه: «وتقوم معولة مع الأسحار» فكأنه قال: تمسي حواسرَ وتصبحُ بواكي، وقوله «حواسرًا» أي: كشفن عن وُجُوههنّ فِعْلَ النساء يُصَبْنَ بكبار قومهنَّ، يَصِفُ أرَقَهُ لِعظمِ الخبر الذي يخرج المخدَّرات ويدعوهنَّ إلى البكاء والعويل.

٣ ـ أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهارِ

معناه أنَّهم كانوا يواقعون نساءهم في قبل أطهارِهِنَّ ويَدَّعُون أن ذلك أنجب لِلولد، وكانوا لا يمسّون طِيبًا ولا ينكحون امرأة ولا يشربون خمرًا ولا يأتون لَذَّةً إذا كانوا طالِبِي ثأر حَتَّى يدركوه.

٤ ـ مَا إنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِذَوِي النُّهَى إلاَّ المَطِيَّ تُشَدُّ بِالأَكْوَارِ

٥ ـ وَمُجَنَّبَاتٍ ما يَذُقْنَ عَذُوفًا يَقْذِفْنَ بِالمُهُرَاتِ والأَمْهارِ

قال أبو العلاء: هكذا يُرْوَى هذا البيت ناقصًا، وذكر أنَّ الخليل كان يُسَمِّي مثل هذا المُقْعَدَ، ورُوِيَ عن أبي عبيد أنه كان يسمّي هذا ونحوه الإقواء، وذُكِرَ ذلك عنه في قول الشّاعر: [الكامل]

حَنَّتْ نَوَارِ وَلاَتَ هَنَّا حَنَّتِ وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارُ أَجَنَّتِ[(١)]

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالفَرْثُ يُعْصَرُ بِالأَكُفِّ أَرَنَّتِ[(٢)]

ومنهم مَن ينشد «عذوفة» فيُزيل النقص بزيادة الهاء، هذا كلامه، وذكر أبو عبيد في الغريب المصنّف فيما يتعلّق بالقوافي أن الإقواء نقصان حرف من الفاصلة، واستشهد بقوله:

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرِ

---

(١) البيت لشبيب بن جعيل في الدّرر ١/ ٢٤٤؛ وشرح شواهد المغني ص ٩١٩؛ والمؤتلف والمختلف ص ٨٤؛ والمقاصد النحوية ١/ ٤١٨؛ ولحجل بن نضلة في الشعر والشعراء ص ١٠٢؛ ولأحدهما في خزانة الأدب ٤/ ١٩٥؛ وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٣٠؛ وتذكرة النحاة ص ٧٣٤؛ وشرح الأشموني ١/ ٦٦.

(٢) البيت لحجل بن نضلة في لسان العرب (سلا).

ولم يبيّن ما الفاصلة، وربّما تَوَهَّمَ أنَّ الفاصلة إحدى الفاصلتين المذكورتين في أول العروض الصّغرى والكبرى، والأمر بخلاف ذلك؛ لأنَّ الحرفَ النّاقص في البيت إذا قطعته من الوتد لا من الفاصلة، وذاكرتُ شيخنا أبا القاسم الرَّقّي وقتَ قراءتي عليه هذا الموضع من الغريب فذكر أنَّ أبا عبيد يحكي هذا عن أبي عبيدة وأن أبا عبيدة لم تكنْ له معرفة بهذا العلم، وكأن الرقيّ تَوَهَّمَ أنَّ المرادَ بالفاصلة إحدى الفاصلتين من الصّغرى والكبرى فأطلق هذا القول في أبي عبيدة، والصّواب ما وقع إلَيَّ فيما بعد، وذكر لي بعض الشّيوخ، وهو أنَّ المُرَادَ بالفاصلة الفصل، وهم يسمّون عَروضَ البيتِ فَصْلاً، والنّقصان في هذا البيت من العروض، فعلى هذا، الإقواءُ على ضربين: أحدهما اختلاف حركة حرف الرَّوِيّ بالضّمّ والكسر، والآخر نقصان حرف من عروض البيت، والعدوف بالدال والذال: أدنى ما يُؤْكَلُ، ويُستعمَل في الطّعام والشّراب، يقال: ما ذُقْتُ عَذوفًا ولا عَذوفةً ولا عُذَافًا، والفعل منه قد يُبْنَى فيقال: تَعَذَّفْتُ عَذُوفةً، والمجنّبات هنا: الخيل تُجْنَبُ إلى الإبل في الغزو، «يقذفنَ بالمهرات والأمهار» أي: تقذفُ أولادَها لِشِدَّةِ السَّير وبُعْدِ المشقّةِ، والأمهار: جمع مُهْر، والمُهْرَات: جمع مهرة، والمهرات يجوز فيها ضمُّ الهاء وفتحها، والضّمّ اللّغة العالية لأنّ القرآن نطقَ بذلك فجاءت فيه الغُرُفات والظُّلُمَات والحُجُرَات بضمّ الحرف الثّاني، وقد رُوِيَ عن ابن القعقاع الحُجَرَات بفتح الجيم، والذين قالوا مُهَرَات ففتحوا الهاء فَرُّوا إلى الفتحة من ضمتين متواليتين، وقال قومٌ: إنّما قِيلَ مُهَرَات وحُجَرات بالفتح لأنهم يقولون مُهْرَة ومُهَر، وحُجْرة وحُجَر، فقولهم حُجَرات ومُهَرات بالفتح هو جمع سلامة دخل على جمع تكسير، ويُروَى:

ما إنْ أرى في قتلهِ لِذَوِي القوى

أي ذوي الرَّأي والعقل، يقول: ما أرى في قتل مالك بن زهير رأيًا لِذَوي العقول إلاَّ أن تُرْكَبَ الإبلُ وتُجْنَبَ الخيلُ ويُسَارَ بها سيرًا عنيفًا حتّى ترمي أجِنَّتَها فتبلغَ بنا إلى عَدُوِّنا فنُغيرَ عليهم ونسفكَ دِماءَهم.

٦ ـ وَمَسَاعِرًا صَدَأُ الحَدِيدِ عَلَيْهِمُ   فَكَأَنَّمَا طُلِيَ الوُجوهُ بِقَارِ(١)

يعني لِسَوادها من لبس المغافر وكآبة السفر.

٧ ـ مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ   فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ

«وَجْهِ نهار» قيل: هو موضع، وقيل: أراد صدر النهار، وقيل في معنى هذا البيت: إنّه مَنْ كان مسرورًا بمقتلِ مالك فلا يشتمنَّ، فإنَّا قد أدركنا ثأرنا به، وذلك أنَّ العربَ

---

(١) المساعر: جمع المِسْعَر: وهو كأنه آلة تُستعمَل في إسعار نار الحرب وإيقادها. وقوله: «صَدَأُ الحديد لهم»: لاتّصال لبسهم الدّروعَ.

كانت تندبُ قتلاها بعد إدراك الثّأر؛ وفيه وجه آخر: أي مَنْ كان مسرورًا بمقتل مالك شماتةً فليشمتْ فإنّه موضع الشّماتة؛ لأنه قيل: إنَّ الربيعَ قال هذا الشعر قبل إدراكِ الثأر، وقال أبو العلاء: كان بعض أهل العلم يزعم أن «وجه نهار» اسم موضع، وذكر ذلك المفجع في كتاب الترجمان، وقد يجوز أن يكون في الدنيا موضع يُعْرَف بهذا الاسم ولكن الشاعر لم يُرِدْهُ، وإنما أراد أنهنَّ يَبْكِينَهُ في أوّلِ النهار، لأنَّ من شأن الحزين إذا هَبَّ من النوم أن يَتجدَّدَ عليه المصاب، كما قال المفضَّل النُّكْرِيّ في صفة النّوائح: [الوافر]

يُـجَـاوِبْـنَ الـكِـلاَبَ بِـكُـلِّ فَـجْـرِ   فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوْحِ الحُلُوقُ

وقوله «بوجه نهار» مثل قول الخنساء: [الوافر]

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا   وَأَذْكُـرُهُ لِـكُـلِّ غُـرُوبِ شَمْسِ

وإنّما حمل قائلاً أن يقول: «وجه نهار» موضع أنه:

٨ - يَـجِـدِ الـنِّـسَـاءَ حَـوَاسِـرًا يَـنْـدُبْـنَـهُ   يَـلْـطِـمْـنَ أَوْجُـهَـهُـنَّ بِـالأَسْـحَـارِ

فظنَّ أنه مُنَافٍ لقوله «فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهار» والغرض في ذلك واضح مبيّن؛ لأنه أراد إذا جاءنا الرّجلُ عند الصُّبْحِ عَلِمَ أنَّ نِسَاءَنا قد قمنَ للنّدْبِ قبل تَبَلُّجِ السَّحَرِ، وهذا بَيِّنٌ من الكلام أن يقول القائل: جِئْتُ بني فلان مع الصّبح فوجدتهم يدأبون في حاجتي من أوّلِ اللّيْلِ: أي وجدت أمرهم على ذلك، وقال أبو هلال: ويُروَى «يندبنه بالصبح قبل تبلج الأسحار» يريد بالصُّبح الحقّ والأمر الجليّ، كقوله: [الطويل]

وَنَحْنُ أُنَاسٌ يَنْطِقُ الصُّبْحُ دُونَنَا   وَلَـمْ نَـرَ كَالصُّبْحِ الجَلِيِّ مبينا

ولو جعل الصّبحَ الوقت المعروف كان الكلام مُحَالاً؛ لأنَّ الصُّبْحَ لا يكون قبل التبلّج.

٩ - قـد كـنَّ يَـخْـبَـأْنَ الـوُجـوهَ تَـسَـتُّـرًا   فَـالـيَـوْمَ حِـيـنَ بَـرَزْنَ لِـلـنُّـظَّـارِ

أي كانت نساؤنا يخبأنَ وُجوهَهُنَّ عِفَّةً وحياءً فالآن ظهرنَ للناظرين لا يعقلن من الحزن.

١٠ - يَـضْـرِبْـنَ حُـرَّ وُجُوهِهِنَّ عَـلَـى فَـتًـى   عَـفِّ الـشَّـمَـائِـلِ طَـيِّـبِ الأَخْـبَـارِ

حُرَّ الوجه: خالصه، والشّمائل: الأخلاق، واحدها شِمال.

خبر هذه الأبيات: أنَّ مالك بن زهير العبسي كان متزوّجًا في بني فزارة بموضع يقال له اللُّفاظة قريب من الحاجر، فبعث إليه أخوه قَيْسُ بن زهير حين قتل ابن حُذَيفة أن اخرجْ عنهم ليلاً، وبعث إليه بهذه الأبيات: [الطويل]

أَمَـالِـكُ لاَ تَـأْمَـنْ فَـزَارَةَ وَاخْـشَـهَـا   فَـإِنَّـكَ إِنْ تَـأْمَـنْ فَـزَارَةَ هَـالِـكُ

أَمَالِكُ إنْ تَحْسَبْ مُقَامَكَ فِيهِمِ صَوَابًا فَقَدْ أَخْطَأْتَ في الرَّأْيِ مَالِكُ

فبعثَ إليه مالك ما لي إلى بني بدر ذنب، وإنّما ذنبك عليك، وما أنا بتاركٍ منزلي لما أحْدَثْتَ أنتَ، وبعث بهذا الشعر: [الكامل]

يَا قَيْسُ، حَسْبُكَ مَا أَتَيْتَ فَخَلِّنِي وَبَنِي فَزَارَةَ إنَّنِي مُتَمَاسِكُ
أَتُرَى حُذَيْفَةَ آخِذِي بِجَرِيرَةٍ لَمْ تَجْنِهَا كَفِّي وَأَنْتَ الفَاتِكُ

وقال قيس يذكر ما كان من غارته على الربيع ويذكر سبقه حذيفة وردّ فرسه عن الغاية وبَغْيَهم عليه: [الوافر]

أَلَمْ يَبْلُغْكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لاَقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ
وَمَحْبِسُهَا لَدَى القُرَشِيِّ تُشْرَى بِأَدْرَاعٍ وَأَسْيَافٍ حِدَادِ
كَمَا لاَقَيْتَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ
هُمُ فَخَرُوا عَلَيَّ بِغَيْرِ فَخْرٍ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي

وفيها:

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثم آوِي إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادِ

جار أبي دُوَاد: الحارث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان، وكان أبو دُوَاد الإياديّ جاوره، فكان كلّما تلفَ من مال أبي دُوَاد شيء أخلفه عليه الحارث، وما تزايدَ من ماله فله، فضربته العرب مثلاً في كَرَمِ الجِوار، قال طرفة: [البسيط]

إنِّي كَفَانِيَ مِنْ هَمٍّ هَمَمْتُ بِهِ جَارٌ كَجَارِ الحُذَاقِيِّ الَّذِي اتَّصَفَا

أبو دُوَاد: من حُذَاقة، واتَّصَفَ: افتعل من الصفة.

فلما فارق قيس بن زهير بني بدر عند قتله نَدْبَةَ بن حذيفة وقف على مفرق الطريق وقال لأصحابه: أين نذهبُ؟ فوالله لقد حاربت جميع العرب، وهذا اليوم بيني وبين بني زياد ما عرفتم فأخاف أنْ أُبْتَلَى بمثلها من بعض مَن أجاور فأرتحل فيُقال: مرّ قيس، وما من الرأي إلاّ أن أرجع إلى قومي، فأنا بين أمرين: إمّا أن يقاربني الربيع، وإمّا أن يخلي بينه وبيني بنو عبس، فقال له أخوه: يا قيس، ما أبقيت لنا ولا لكَ ودًّا في بني عبس، ولا في بني ذبيان، وأراك تُصَغِّرُ ما كان منك إلى الرّبيع حيث ترجو مقاربته إيّاكَ، وَلَعَمْرِي إنَّ فرارك من بني بدر أعذر من فرارك من الربيع، ولا تَعُدْ إلى شيء نجوتَ منه، فأبى قيس إلاّ الرجوع إلى قومه، وأنشأ يستميل الربيع وإخوته؛ فقال: [الوافر]

فَإِنْ أَكُ وَاثِقًا بِبَنِي زُهَيْرٍ فَإِنِّي وَاثِقٌ بِبَنِي زِيَادِ
فَقُولاَ لِلرَّبِيعِ أَتَاكَ ضَيْفٌ فَلاَ يَكُنِ البِعَادُ لَهُ بِزَادِ

فَدَعْ مَا قَدْ مَضَى لاَ خَيْرَ فيهِ ... وَإِنْ تَفْعَلْ يَلَجَّ بكَ التَّمَادِي

فلمّا انتهى هذا الشعر إلى الربيع بن زياد قال لإخوته: إن قيسًا أتى إليَّ أعظم مما أتيتُ إليه: أخذت درعه بدعواي فيها فأخذ إبلي تَنَقُّصًا عليّ، وقد سأل الرجوع، وإنّما أراد أن أمنعه من بني ذبيان، وأنصره على بني عامر، وأن يكون قيس رأسًا بعد أن جعله الله ذَنَبًا، فما تَرَوْن؟ فقال أخوه عمارة بن زياد: أرى خيرًا: أما قولك «إنّه أتى إليكَ أعظم مما أتيت إليه» فلو كان الناس يتجازون بعدد الذّنوب لم يظلمْ أحدٌ أحدًا، ولكن البدء كان منكَ، والعُدْوان كان منه، ومَنِ اضْطُرَّ إليكَ فقد ضَرَعَ لك، فاقبله، فقال الربيع: ما أدري ما أردُّ عليك في ذلك، وأنشأ يقول: [الوافر]

أَكْـرَهُ أنْ أُقِـرَّ بِـرَدِّ قَـيْـسٍ ... وَأَكْـرَهُ أَنْ أَسُـوءَ بَـنِـي زِيَـادِ

وهي طويلة، فلمّا بلغَ هذا الشّعر قيسًا قال: قبلني والله الربيع لأضْرِمَنَّها حربًا، فسار حتى نزل بلاد بني عبس في طرفها، ودخلت العرب بينه وبين حذيفة، فحملوا على قيس، وقالوا: لا تصدعْ في غطفان صَدْعًا لا يُرْتَق، فلم يزالوا به حتى أدّى إلى حذيفة مائة من الإبل عِشَارًا جعلها دِيَةً لِنَدْبَةَ بن حذيفة، وقيل: إن المقتول عوف بن بدر أغار عليهم قيس فقتله، واصطلح القوم ودخل بعضهم في بعض، ثمّ إنَّ حذيفة غدرَ فوجَّهَ إلى مالك بن زهير مَنْ قتله، واحتجَّ بأنَّ بني أسد أَخْوَالَ نَدْبَةَ فعلوا ذلك عن غير رأيه، وكان الربيع مجاورًا لحذيفة، فلمّا قتلوا مالكًا جاء إليه فقال له: يا حذيفة سَيِّرْني فإنّي جاركم، فسَيَّرَهُ ثلاث ليالٍ، ومع الربيع فَضْلَةٌ من خمر، فدسَّ حذيفة في أثره فوارس، فقال: اتبعوه فإذا مضت له ثلاث ليالٍ فإن معه فضلة من خمر فإن وجدتموه وقد هَرَاقها فهو جادٌّ وقد مضى فانصرفوا، وإنْ لم تجدوه قد هَرَاقها فاتبعوه فإنكم تجدونه قد مال لأَدْنَى منزل فرتع وشربَ فاقتلوه، فتبعوه فوجدوه وقد شَقَّ الزِّقَاقَ ومَضَى، فانصرفوا، ولحق الربيع ببني عبس، ولمّا تبعَ الفوارسُ الرَّبِيعَ ومَنْ معه جعلوا يَقُصُّون آثارهم سِرَاعًا في طلبهم فيجدون متاعًا من أمتعتهم ممّا قد رموا به لِيَتَخَفَّفُوا، فانصرفوا راجعين بعد ثلاث لم يقدروا عليه، فقال حمل بن بدر لحذيفة: أنا كنت أَعْرَفَ بالربيع منك، وكان حمل قال لحذيفة: بِئسَ ما عملت؛ قتلتَ مالكًا، وخَلَّيْتَ حبل الربيع، أما والله لَيُضْرِمَنَّها عليكَ نارًا، فدُونَكَ الرّجل قبل أن يفوتك، ولا أحسبك تدركه. ثم إنَّ الربيع جمع بني عبس لِلقاء بني فزارة، فلمّا بلغ ذلك حذيفة بدأ فأغار عليهم فأصاب نَعَمًا وقتل رجالاً، فأغارت بنو عبس على فزارة فأصابوا نعمًا ولم يقتلوا أحدًا، ثم سارت بنو فزارة بجماعتها إلى بني عبس، وحَشَدتْ بنو عبس، فلمّا التقوا وقفت بنو فزارة وكرهوا جانب بني عبس إذ رأوا جماعتهم واحتشادهم، فنادى جنيدب بن خليفة العبسي عَوْفَ بن بدر فقال: يا عوف أعلمني نفسك وَارَانَا الحديد وقد أعلمتك نفسي، فبرز إليه عوف، فاختلفا طعنتين، فقتله

جنيدب، فانهزمت بنو فزارة وقُتِلوا قتلاً ذريعًا، ثم شَمَّرَ حذيفةُ وجَدَّ في قتال بني عبس، فبلغ ذلك بني عبس فقال قيس بن زهير للربيع بن زياد: ما ترى؟ قال: أرى أن تَفِي مثل ما وَفوا، فقال قيس: أفلا نعذر إليهم فإنهم العشيرة وقد قتلنا عوفًا وهم مالكًا؟ وأنا راكب إلى حذيفة فإنْ رَضِيَ أن يُبيءَ مالكًا بعوف ويردّ علينا إبلنا التي عقلناها له من عوف فهو أحبّ إلينا، وإلاَّ فلم تسمع العرب أنَّا وَدَيْنَا أخاهم ولم يَدُوا أخانا، فركبَ قيسٌ وعمَارَةُ بن زياد حتى أتيا حذيفة، فعرضا عليه الأمرَ، فغضبَ، فوثبَ حُمَيْضة الفزاريّ وأخواله عبس وله فيهم طاعة، ووثب بَيْهَسٌ الغُرَابيّ وهو صِهْرُ مالك بن زهير وله في فزارة طاعة وجاهٌ، فقالا: يا حذيفة، إنَّكَ ظلمتَ قومَكَ وبدأتهم بالبغي والقطيعة! سبقوك فلم تُعْطِهِمْ سَبَقَهُمْ، ثم أغرتَ على إبلهم، وقد كان من أمر عوف الذي كان فعقلوه، ثم قتلتَ مالكًا ظلمًا، وليس عوف خيرًا من مالك، وقد طلب قومك إليك الصّلح؛ فإنْ تُبيءْ عوفًا بمالك فذاكَ الرّأي، وإنْ رددتَ هذا فأنتَ الظّالم، فلم يزالا حتى أقرَّ أنْ يَردَّ عليهم مالهم، ثم أُشِيرَ على حذيفة أن يردَّ عليهم إبلهم ويحبس أولادها، وقد كان أتى عليها سنتان أو أكثر، فجَرَت بسبب ذلك حروب فيما بينهم ومُغَاوَرَات لا يحتمل هذا الموضع إيرادها وإيراد ما قيل فيها من الأشعار.

[٣٤٧] وقال كعب بن زهير:

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ على أُبَيٍّ ... مَصَارِعَ بَيْنَ قَوٍّ فالسُّلَيِّ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

لَعمرك: مبتدأ، وخبره مُضْمَر فيه، وهو معنى اليمين، وجوابها «ما خشيت» وكان هذا المرثي مات حتفَ أنْفِه، فلهذا قال: لم أخشَ عليه القدر بين هذين الموضعين، وقَوّ: موضع ببلاد بني أسد أعلاه لهم وأسفله لبني عبس، والسُّلَيّ: وادٍ فيه طلح بالقرب من النِّباج لبني عبس، ومات أُبَيّ بين هذين الموضعين عَطَشًا.

٢ ـ وَلَكِنّي خَشِيتُ عَلَى أُبَيٍّ ... جَرِيرَةَ رُمْحِهِ فِي كُلِّ حَيِّ

يقول: إنّما خَشِيتُ عليه من جريرة رُمْحِهِ في الأحياء.

٣ ـ مِنَ الفِتْيَانِ مُحْلَوْلٍ مُمِرٍّ ... وَأَمَّارٌ بِإِرْشَادٍ وَغَيِّ

أي: بخير وشَرٍّ ونفع وضرّ، قوله «من الفتيان» تعلّق مِنْ بمحذوف، كأنه قال: من بين القبائل سهلُ الخُلُقِ وَطِيءُ الجانبِ، والمُحْلَولي: هو الذي تَنَاهَى حَلاوَتُه، وافْعَوْعَلَ بناء للمبالغة، نحو اعشَوْشَبَ المكانُ إذا تَنَاهَى عُشْبُه، واحلولَى مثله في التّناهي، والمُمِرُّ: الذي صار مُرًّا، وليس هذا من قولهم «ما أحلى ولا أمرّ» ولكن يجب أن يكون من أمرَّ الشّيءُ فهو مُمِرٌّ، وفي بعض اللّغات مَرَّ، حتى يكون مثل مُحْلَوْلٍ، قال الشّاعر

في مَرَّ بمعنى أَمَرَّ: [الطويل]

لَئِنْ مَرَّ في كَرْمَانَ لَيْلِي لَطَالَمَا[1]

ووضع «إرشاد» موضع رشاد، ألاَ ترى أنه قال «وَغَى»؛ وهم كما يستعيرون الاسم للمصدر يستعيرون المصدر للاسم، وكما وضع العطاء موضع الإعطاء من قول القَطَامي: [الوافر]

وَبَعْدَ عَطَائِكَ المِائَةَ الرِّتَاعَا[2]

فعلى هذا وضع الإرشاد موضع الرشاد، وإذا كان كذلك فيجب أن يكون إرشاد هذا لا يتعدّى؛ لوقوعه موقع الرشاد.

٤ ـ ألاَ لَهْفَ الأَرَامِلِ وَاليَتَامَى وَلَهْفَ البَاكِيَاتِ عَلَى أُبَيِّ

يقول: ما أشدّ حزن الأرامل على هذا الرّجل لأنه كان القائم بأمرهم، وخصَّ الأراملَ واليتامى لأنه كان غِيَاثًا لهم، وقال المبرّد: هذا الشعر من أجفى شعر العرب لأنه يُنْبِئُ عن تقدير في المرثي أن تكون مَنِيّته قتلاً، ويتأسّفُ على موته حَتْفَ أنفِه، قال أبو هلال: إنما تَأَسَّفَ على موتِه عَطَشًا.

[٣٤٨] وقال آخر:

١ ـ في بَعْضِ تَطْوَافِ ابْنِ طُعْـ ـمَةَ آمِنًا لاَقَى حِمَامَهْ

من مرفّل الكامل، والقافية متواتر.

المَرْثِيّ هو دِعامة بن طُعْمَة، وتَطْوَاف: بناء لما يشوبه في الوقوع أدنى تكلّف، وكان هذا الرّجل حَوّالة فاتّفقَ أن مات آمَنَ ما كان، وأخذ يقتصُّ حاله، وجعل التَّطْوَافَ لِلجِنْس، وأضافَ البعضَ إليه، وانتصبَ «آمنًا» على الحال من «لاقى حِمامه» وإذا كان العامل في الحال متصرّفًا جاز تقديم الحال.

٢ ـ رَصَدًا لَهُ مِنْ خَلْفِهِ يَغْتَرُّهُ، لاَ بَلْ أَمَامَهْ

ويُروَى «وصَدًا له» أي: حمامه تعرَّضَ له ورفع رأسه إليه، مأخوذ من النّخل الصَّوَادي الطِّوال، و«رَصَدًا له» أي: مترقّبًا، ويغترّه: يأخذه على غِرَّةٍ، ونصب «أمامه» عطفًا على موضع «من خلفه»؛ وصف هلاك ابن طعمة مسافرًا، ثم ذكر أنَّ السَّلامةَ لا تدومُ، ومَنْ طمع في دوامها فهو مغرورٌ؛ فقال:

٣ ـ غُـرَّ امْـرُؤٌ مَـنَّـتْـهُ نَـفْـ ـسٌ أنْ تَـدُومَ لَـهُ الـسَّـلاَمَـهْ

(١) هذا صدر بيت للطرماح في ملحقات ديوانه ص ١٣٥؛ واللسان (مرر) وعجزه: «حلاَ بينَ شَطَّيْ بابل فالمُضَيّح».

(٢) هذا عجز بيت للقطامي في ديوانه ص ٤١. وصدره: «أكُفْرًا بعد رَدِّ الموتِ عَنّي».

٤ ـ هَــيْـهَــاتَ أعْــيــا الأوَّلِــيـــ ـــنَ دَواءُ دَائِــكَ يــا دِعَــامَــهْ

معنى «هيهات» ما أبعد ذلك، وقوله «أعيا الأولين دواء دائك» أي: لم يقدرْ أحدٌ على دوام السَّلاَمة.

[٣٤٩] وقال غُوَيَّةُ بن سُلْمِيٍّ بن ربيعة:

غُوَيّة: تحقير غاوية، ويجوز أن يكون تحقير غَيَّة بعد التسمية بها، ولو كانت غُوَيَّة اسمًا لمرأة لَصَلُحَ أن يكون تحقير غاوٍ وجاز لحاق التاء له وإن كانَ غاوٍ رباعيًا من قبل أنه لما حُذِفَتْ لامُه صار تحقيره إلى عدّة تحقير بنات الثلاثة، فلحقته التاء كما تلحقُ آخرَ المؤنث الثلاثي إذا حُقِّرَ، ودليلُ ذلك قولهم في تحقير سماء سُمَيَّة، لما حذفوا من آخرها حرفًا فصارت إلى مثال فُعَيْلٍ دخلتها التاء، ويجوز أن يكون من غوى الفصيلُ: إذا أكثرَ من شُرْبِ اللَّبَنِ فبشم فمات.

١ ـ ألاَ نَــادَتْ أُمَــامَــةُ بِــاحْـتِـمَــالِ لِـتَـحْـزُنَـنِـي فَـلاَ بِـكِ مـا أُبـالِـي

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

يقول: خَبَّرَتْني بارتحالها لتحزنني، ثم أظهر قلّة المبالاة بها؛ فقال «فلا بك ما أُبالي» على الدعاء: أي لا ما يقع ما أُبالي، ويُروَى «فآبك ما أُبالي» أي: أبعدك الله، قال الشاعر: [الطويل]

فَـآبَـكِ هَــلاَّ وَالـلَّـيَـالِـي بِغِـرَّةٍ تَـزُورُ وفي الأيَّام عَـنْـكِ غُـفُـولُ(١)

وهذه الرّواية أجود، وقال أبو العلاء: قوله «فلا بكِ ما أُبالي» هٰهنا على معنى القَسَم، كما يقال: بالله لأَفْعَلَنَّ كذا، ولا يدخل شيءٌ من حروف القسم على الضمير غير الباء، وذلك أنها أصل الباب؛ فوقع فيها الاتّساع أكثر مِمَّا وقع في سواها من الحروف.

٢ ـ فَـسِـيـرِي مَـا بَـدَا لَـكِ أوْ أقِـيـمِـي فَـأيًـا مَـا أَتَـيْـتِ فَـعَـنْ تَـقَـالِـي

يقول: إنْ شِئْتِ سِيري وإنْ شِئْتِ أَقِيمي فإنّي أَقْلِيكِ على كلِّ حالٍ، ثم بَيَّنَ أنَّ بُغْضَهُ إيَّاها ليس لجنايةٍ مِنْ جِهَتِها ولكنه لما سَئِمَ من عَيْشِه بموت قومه فقال:

٣ ـ وكَـيْـفَ تَـرُوعُـنِـي امْـرَأةٌ بِـبَـيْـنٍ حَـيَـاتـي بَـعْـدَ فَـارِسِ ذِي طِـلاَلِ

«حياتي» انتصب على الظَّرف، أي: مدّة حياتي، لأنه حذف اسم الزمان معه، و«ذو طِلال» فرسه، وقيل: موضع ببلاد بني مرّة وقتل هناك المرثيّ فنسبه إليه.

٤ ـ وبَـعْـدَ أَبِـي رَبِـيـعَـةَ عَـبْـدِ عَـمْـرٍو ومَـسْـعُـودٍ وبَـعْـدَ أَبِـي هِـلاَلِ

---

(١) البيت في مقاييس اللغة واللسان وأساس البلاغة (أدب).

٥ ـ أَصَابَتْهُمْ حَمِيدِينَ المَنَايَا فِدَى عَمِّي لِمُصْبَحِهِم وخَالي

انتصب «حَمِيدِين» على الحال، وقوله «فِدَى عَمِّي لمصبحهم» كلام منقطع ممّا قبله، وهو كالالتفات، كأنه أقبل على مخاطب فقال: أفدي مُصْبَحَهُمْ ومُمْسَاهم بأطراف العمومة والخؤولة، وذكر المصبح وكأنّ المسمّى معه منويٌّ لأن طَرَفَي النَّهار مذكوران في الغارة والضّيافة وما يشبههما من الإساءة والإحسان، وقيل: الممسى يَتَّصِلُ بأوّلِ حَدِّ اللَّيل وكذلك المُصبح يستحقُّ إلى أن ينقضي شطر من النهار، ومصبحهم: موضع إصباحهم في قبورهم.

٦ ـ أُولَئِكِ لَوْ جَزِعْتُ لَهُمْ لَكَانُوا أعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي

هذا إقرارٌ بأنه لم يُوَفِّ الجزعَ فيهم حقّه، ولو وَفَّى لَكانَ ذلك يُوجبُ عليه الزّهد في العشيرة والأهل والمال.

[٣٥٠] وقال قُرَادُ بن غُوَيَّة بن سُلْمِيِّ بن ربيعة بن زَبَّان:

١ ـ ألاَ لَيتَ شِعْرِي ما يَقُولَنْ مُخَارِقٌ إذَا جَاوبَ الهَامُ المُصَيِّحُ هَامَتِي

الثّاني من الطويل، والقافية متدارك.

قد تقدَّمَ أنَّ خبر «ليت» هنا يُحذَف أبدًا، كما يُحْذَف خبر المبتدأ بعد «لولا» وأنَّ «شِعري» بمعنى عِلمي، ويصير ما بعده سادًّا مَسَدَّ مفعوليه كما يَسُدُّ جواب «لولا» مسدّ خبر المبتدأ بعده، ويُرْوَى «المصبِّحَ هَامَتِي» ومعناه أنه جاوب صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون: إنَّ عِظامَ الموتى تصيرُ أَصْدَاءً وهَامًا حتى قال النّبي ﷺ: «لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ»[1] ومَنْ روى «المُصَيِّح» بكسر الياء فالمراد به المبالغة، يقال: صاحَ يَصِيحُ، فإذا أُريد المبالغة قيل: صَيَّحَ، ويُرْوَى «المصبّح» بالباء، ويقال: سمعت الصَّيْحة وما أشبهها وسمعت الصَّائحة، في صيحة المناحة، وقوله «ما يقولنْ مخارق» أدخل النون الخفيفة لتؤذن بالاستقبال، وموضع النونين الخفيفة والثقيلة الاستفهام وكل ما ليس بواجب و«إذا»: ظرف لِيقولنَّ، و«جاوب» جملة مضاف إليها وشرح «إذا» بها.

٢ ـ وَدُلِّيتُ في زَوْرَاءَ يُسْفَى تُرَابُهَا عَلَيَّ طَويلاً في ذَرَاهَا إقَامَتي

أي: أُرْسِلْتُ في حفرةٍ مُعْوَجَّةٍ، يعني اللَّحْد، و«يُسْفَى ترابها» أي: يُهَالُ ترابُها عَلَيَّ، ويُرْوَى «يَسْفِي تُرَابُها» بفتح الياء، يقال: سَفَتِ الرِّيحُ التّرابَ سَفْيًا، ثم قالوا:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/٣٢٨، ٤٤٠؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/١٣٥؛ والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٠٢؛ وابن حجر في المطالب العالية ٢٤٥٣؛ والتبريزي في مشكاة المصابيح ٤٥٧٨؛ والمتقي الهندي في كنز العمال ٢٨٦١٣، ٢٨٦١٦.

سَفَى التُّرَابُ يَسْفِي، والتّرابُ سافٍ، وهو من باب فعلت وفعلته، وقيل: كان يجب أن يقال في التراب مَسْفِيٌّ فقيل سَافٍ كقولهم: عيشة راضيةٌ، وإنّما هي مَرْضِيَّةٌ، والسَّفَى: اسم ما تسفيه الرِّيحُ مِنَ الترابِ وغيره، و«طويلاً» انتصب على الحال، والعامل فيه دُلِّيتُ، و«إقامتي» في موضع الرَّفع على أنه فاعل طويلاً.

٣ ـ وقالوا ألاَ لاَ يَبْعَدَنَّ اخْتِيَالُهُ وصَوْلَتُهُ إذا القُرُومُ تَسامَتِ

اختياله: إدلاله وتجبّره لِثِقَتِهِ بنفسه، «إذا القروم تسامَتْ» يعني إذا تَنازلَتِ الأبطالُ، والقُرُوم: الفُحُولة.

٤ ـ وما البُعْدُ إلاَّ أنْ يكونَ مُغَيَّبًا عَنِ النَّاسِ مِنِّي نَجْدَتِي وقَسَامَتِي

ويُرْوَى «وبَسَالتي» مكان «وقسَامتي» أي: نجدتي وشجاعتي، يقال: رجلٌ نَجْدٌ وَنَجُدٌ ونَجيدٌ بَيِّنُ النَّجْدَةِ أي الشَّجَاعَةِ، وَالقَسَامَةُ: الحُسْنُ، رجلٌ قسيمٌ بَيِّنُ القَسَامَةِ، ووجهٌ مُقَسَّمٌ، قال الشّاعر: [الطويل]

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَمْ

والقَسَم: مثل القَسَامة، قال الرّاجز:

بِيضٌ مَلِيحَاتٌ جَمِيلاَتُ القَسَمْ يَجْلُونَ بِالأَوْجُهِ مَسْتُورَ الظُّلَمْ

وإنّما أخذ القسيم من القسمة، وهو الوجه في قول الفرّاء، وحكاها بالفتح والكسر، ويجوز أن يكون القَسم في بيت الراجز على حكاية الفرّاء جمع قَسَمة بالفتح، فأمّا قول النابغة: [الوافر]

تَسُفُّ بَرِيرَهُ وَتَرُودُ فِيهِ إلَى دَبْرِ النَّهَارِ مَعَ القَسَامِ[1]

فقيل: إنه أراد بِالقَسام شدّة الحرّ.

٥ ـ أيَبْكِي كَمَا لَوْ مَاتَ قَبْلِي بَكَيْتُهُ وَيَشْكُرُ لِي بَذْلِي لَهُ وَكَرَامَتِي

يقول: ليتني عَلِمْتُ هل يُوَفِّي الجَزَعَ حَقَّه كما لو أُصِبْتُ به كنت أُوَفِّيهِ، وحذف المعادل؛ وهو أم لا، لأنَّ المرادَ مفهومٌ أنه يريد أيكون ذلك أم لا، وعلى ذلك قول القائل: أزيدٌ في الدّارِ، إذا سكتَ عليه، فلا بدَّ من أن يريد «أم لا» ويُرْوَى «ويشكر مِنْ بذلي له» على لغة مَنْ يقول: شكرته، ويُرْوَى «ويشكرني بَذْلي» على أن يكون «بذلي» بدلاً من المُضْمَر في «يشكرني».

---

(١) البيت في ديوان النابغة ص ١٣١ (وفيه البشام بدل القسام)؛ ولسان العرب (قسم)؛ وتهذيب اللغة ٨/ ٤٢٣؛ وتاج العروس (قسم).

٦ ـ وكُنْتُ لَهُ عَمًّا لَطِيفًا ووالِدًا رَؤُوفًا وَأُمًّا مَهَّدَتْ فَأَنامَتِ

لطيفًا: ملطفًا؛ لأنّ اللّطيف له معنيان: أحدهما الصّغير، والآخر فاعل اللّطف، وقوله «أُمًّا مَهَّدَتْ فأنَامَتْ» سارت هذه اللّفظة مَثَلاً فيما ينشر من إحسان الغير إلى الغير، ويقال: ما امتهدَ فلانٌ مهد ذلك: أي ما وَطَّدَ لِنَفْسِهِ، وقد أخرج في معرض آخر فقيل: [الطويل]

كَمَا مَهَّدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْنَاءُ عَاقِرُ[1]

[٣٥١] وقال المِسْجَاح بن سِبَاع[2] الضَّبِيُّ:

مِسْجَاح في أمثلة الصّفات نحو مِطْعَان ومِضْرَاب، قال أبو الفتح: ولا أُبْعِدُ أن يكونَ في الأصل وَصْفًا فنُقِلَ إلى العَلَم من قولهم: مَلَكْتَ فأسْجحْ، فيكون مِسْجَاح من مُسْجِح كمِذْكارٍ من مُذْكِرٍ، ومِفساد من مُفْسِد، وسُمِّيَ الرّجُل سِبَاعًا كما سُمِّيَ كِلابًا وضِبَابًا.

١ ـ لَقَدْ طَوَّفْتُ في الآفاقِ حَتَّى بَلِيتُ وَقَدْ أَنَى لِيَ لَوْ أَبِيدُ

الأول من الوافر والقافية متواتر.

يقال: أنَى وَآنَ: أي أدْرَكَ، وفي «أَنَى» ضمير يقوم مقام الفاعل، واستغنى عن ذِكْرِه لأنّ بيانه جاء بعد، والمعنى: لقد أنَى لي البيودُ لو أَبِيدُ، يقال: باد يَبِيدُ، إذا هَلَكَ.

٢ ـ وَأَفْنانِي ولا يَفْنَى نَهَارٌ وَلَيْلٌ كُلَّما يَمْضِي يَعُودُ

جمع بين فعلين على قوله نهار، لكنه أعمل الثاني، وهو المختار.

٣ ـ وَشَهْرٌ مُسْتَهِلٌّ بَعْدَ شَهْرٍ وَحَوْلٌ بَعْدَهُ حَوْلٌ جَدِيدُ

٤ ـ وَمَفْقُودٌ عَزِيزُ الفَقْدِ تَأْتِي مَنِيَّتُهُ وَمَأْمُولٌ وَلِيدُ

يعني وأفناني مصيبة مفقود عزيز الفقد، إنْ قيل: كيف يفنيه مأمول وليد؟ ولِمَ عطفَ به على ما ذكر أنه أفناه؟ قيل: معناه إذا كان وليد وهو هرم يفنيه غَمّه وشغل القلب به، وقيل: بل معناه وما يَفْنَى نهارٌ وليلٌ، يعني يتعاقبان، وحَوْلٌ ومفقودٌ ومولودٌ: أي الدّهر كلّه هذا.

---

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصّمّة كما في الحيوان ٧/ ٣٧؛ أو معقر بن حمار البارقي كما في الأغاني ١٠/ ٤٥؛ والمزهر ٢/ ٣٤٨؛ وصدره «لها ناهضٌ في الوكرِ مَهَّدَتْ له».

(٢) المِسجاح بن سباع: شاعر جاهلي عَدَّه السجستاني في المعمّرين. ترجمته في: (معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٩؛ والأغاني ١١/ ١٢٤؛ وكتاب المعمّرين ص ٧٦).

[٣٥٢] **وقال حَزاز بن عَمْرو(١) أخو بني عبد مَناة، يرثي زيد الفَوَارس(٢) وعَمْرًا وغيرهما من بني عمّه:**

حَزاز: جمع حَزازة، وهي هِبْرِيَةُ الرأس، وهو ما ينتثر منه كالنُّخَالة إذا سَرَّحته، ويقال أيضًا في هذا الاسم: حَزَّاز، وهو ما يحزّ في القلب، قال الشّمّاخ: [الطويل]

فلمَّا شرَاها فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً   وفي الصَّدْر حَزَّازٌ مِنَ الوَجْد حَامِزُ

وقال أبو العلاء: هذا الاسم يُخْتلف فيه؛ فبعضهم يقول: خَزَاز، كأنه سُمِّيَ باسم الجبل الذي يقال له خَزَازَى وخَزَاز.

١ ـ تَبْكي عَلَى بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ   سَفَهًا تَبَكِّيها عَلَى بَكْرِ

الضّرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، والقافية متواتر.

٢ ـ هَلاًّ عَلَى زَيْدِ الفَوَارِسِ زَيْـ   ـدِ اللاَّتِ أوْ هَلاًّ عَلَى عَمْرِو

أي: بَكَتْ هذه المرأة على بَكْرٍ شَرِبْتُ به خمرًا، سَفَهًا تبكِّيها: أي جَهْلٌ بكاؤها على بكر من الإبل، ويُرْوَى «سَفَهٌ» بالرفع، فمَن نصبَ سَفَهًا نصبَه على المصدر، وهو المفعول له، و«تَبَكِّيها» في موضع رفع بالابتداء، و«على بكرٍ» في موضع الخبر: أي لسَفَهِهَا فعلَتْ ذلك؛ لأنَّه لم يبلغْ من قدرِ بكر ما تكلّفته، وإذا رُوِيَ «سَفَهٌ تبكّيها» فجعل التَّبكِّي هو السَّفَه لم يمتنعْ، وكان خبرًا مقدَّمًا. و«على بكر» لَغْوٌ، وهَلاًّ: حرف تحضيض، وهو يطلب فعلاً، وذلك الفعل هو تبكين: أي تبكين على هؤلاء، وهو فيما بعده، وهو قوله:

٣ ـ تَبْكِينَ لاَ رَقَأَتْ دُمُوعُكِ أَوْ   هَلاًّ عَلَى سَلَفَيْ بَنِي نَصْرِ

إنّما ثَنَّى السَّلَف لأنه أراد العمومة والخؤولة.

٤ ـ خَلَّوْا عَلَيَّ الدَّهْرَ بَعْدَهُمُ   فَبَقِيتُ كَالمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ

أي: صِرْتُ فريسةً لِلدَّهرِ، فكأنّهم هم الَّذين أغْرَوْه بي لمّا ذهبوا عنّي، وهذا اللَّفظ يُستعمَل في إغراء الجوارح على الصَّيد.

٥ ـ إنَّ الرَّزِيَّةَ مَا أُولاَكَ إذَا   هَرَّ المُخَالِعُ أقْدُحَ اليَسْرِ

أي: المصيبة كلّ المصيبة فَقْدُ أولئكَ إذا اشتدَّ الزَّمانُ، و«ما» صلة، وَهَرَّ: كَرِهَ، ويُرْوَى «هَزَّ» بمعنى أجال، والمخالع: المقامر، والمخالعة: القمار، وقيل: إنّما سُمِّيَ

---

(١) عند المرزوقي «حَرَّان».

(٢) زيد الفوارس: سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨١).

مخالعًا لأنه هو المولع بِاليَسْرِ فهو الذي يخلعُ مالَ غيره وينخلعُ أيضًا هو من ماله، وقوله «إذا هزَّ» هو ظرف لما دَلَّ عليه. «ما أولاك» يقول: إنَّ الرَّزِيَّةَ افتقار النَّاس إلى أولئكَ في مِثْلِ هذا الوقت، وقال أبو العلاء: يجوز أن يعني بالمخالع الذي خالع قومَه فصاروا لا يضمنون جنايته ولا يحملون غرمًا لزمه، واليَسْرُ: من قولك «يَسَرَ» إذا دخل في المَيْسِرِ، ورواية مَنْ روى «هَرَّ» بالراء أجود من رواية مَنْ رَوَى «هَزَّ» لأنّها أبلغ في المدح؛ إذ كان المخالع فيها قد عجزَ عن الدخول في الأيسار، وهو في الرواية الأخرى معدودٌ منهم.

٦ ـ أهْلُ الحُلُومِ إذَا الحُلُومُ هَفَتْ وَالعُرْفِ فِي الأَقْوَامِ وَالنُّكْرِ

هَفَتْ: طاشَتْ وخَفَّتْ.

[٣٥٣] وقال زُوَيْهِر[١] بن الحارث بن ضِرار:

١ ـ أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤْثِرًا أَتَانِي صَرِيحُ المَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

مُؤْثِر: اسم ابن أخيه، وصريحُ الموت: خَالِصُه، يقول: أتاني خالص الموت غير أنّه لم يَقْتُلْني، ومعنى «ألم تَرَ» اعلم ذلك، أَلاَ ترى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[٢] والنبيّ ﷺ لم يَرَ ذلك. فيقول: اعلمْ أنِّي يوم فارقتُ هذا الرجل وردَ عَلَيَّ ما يجري مجرى الموت الصَّريح، ويُرْوَى «صريخ الموت لو أنه قَبلْ» أي: أتاني داعي الموت لو أنه قبلني لكنتُ لا أمتنعُ من إجابته لما استدعى لكنه لمّا بقاني فكأنه لم يقبلني، والصَّريخ: يكون المستغيث والمغيث جميعًا، والصّريح ـ بالحاء غير منقوطة هنا ـ هو الوجه.

٢ ـ وَكَانَتْ عَلَيْنَا عِرْسُهُ مِثْلَ يَوْمِهِ غَدَاةَ غَدَتْ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الجَمَلْ

أراد مفارقةَ عِرْسِهِ، فحذفَ المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، ويكون التقدير: كانت علينا مفارقة عِرْسِهِ غداةَ غَدَتْ مِنَّا يقادُ بها الجمل مثل يومه: أي مثل يوم فقده، كأنّهم كانوا أَلِفوا من مقامها أيام عدّتها ما كان يعهد من قبل، فلمّا انتقلتْ عنهم عادت المصيبةُ عليهم.

٣ ـ وَكَانَ عَمِيدَنَا وَبَيْضَةَ بَيْتِنَا فَكُلُّ الَّذِي لاَقَيْتُ مِنْ بَعْدِهِ جَلَلْ

عميدُ القوم: سَيِّدُهم، وعِمادُهم: سَنَدُهُمْ، وقالوا: المراد ببيضة البيت أنه المعروف الموضع المرجوع إليه في كل مُهِمّ كما يرجع صاحب الأُدْحِيِّ إلى أُدْحِيِّهِ كيف تَوَجَّهَ في المَرْعَى، وقيل: المرادُ ببيضة البيت الأصل والجرثومة، كما ورد في الخبر «نحنُ عترة

(١) عند المرزوقي: «زُوَيْفر».

(٢) سورة الفيل، الآية: ١.

رسول الله ﷺ التي خرجَ منها وبيضته الَّتي تَفَقَّأَتْ عنه» والجَلَلُ: يُستعمَل في الصغير والكبير، والمراد به هنا الصغير الهَيِّن.

[٣٥٤] وقال ابن عَنَمَةَ[١] الضَّبِّيُ:

في مقتل بِسْطَام بن قيس، قتله عاصم بن خليفة، وكان ابن عَنَمَة مجاورًا في بني شيبان، فخاف على نفسه لمّا قتلَ بسطام، فرثاه يستميلُ بذلك بني شيبان، وهو من بني السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة.

١ ـ لأُمِّ الأَرْضِ وَيْــلٌ مَــا أَجَــنَّــتْ ... بِحَيْثُ أَضَرَّ بِالحَسَنِ السَّبِيلُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قال الأصمعيّ في تفسير ويل: إنه قُبُوحٌ، وارتفع «ويلٌ» بالابتداء وإن كان نَكِرَة لأنّه علم أنه دعاء فحصل به مثل فائدة المعارف، ومعنى «لأُمِّ الأرض وَيْلٌ» ثبت لأُمّ الأرض ويلٌ، فهو في لفظ ما وقع، وقوله «ما أَجَنَّتْ» ما: استفهام، وموضعه نصب مفعول أجَنَّتْ، يقول: سَتَرَتْ رَجُلاً وأيَّ رَجُلٍ، وجعل «حيث» اسمًا، ومعنى «أضرَّ» دنا، والحَسَنُ: جبل رمل، والمعنى بمكان أضرّ السبيل فيه بالحسن أو أضرَّهُ السَّبيل بالحسن، وبإزاءِ الحسن هضبة يقال لها حسين، فإذا ثُنِّيا قالوا: الحسنان.

٢ ـ نُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَنَدْعُو ... أَبَا الصَّهْبَاءِ إذْ جَنَحَ الأَصِيلُ

أبو الصَّهباء: كنية بسطام؛ أي: نندبُه ونقولُ وابسطاماه، وجنحَ: مالَ، والأصيلُ: العَشِيَّةُ، أشار إلى وقت الأضياف واجتماعهم فيه.

٣ ـ أَجِدَّكَ لاَ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ ... تَخُبُّ بِهِ عُذَافِرَةٌ ذَمُولُ

روى المرزوقي «لن تراه ولن تراه» و«أجِدَّكَ»: كلمة يستعملونها في معنى قولك «أجِدٌّ منكَ» وهي تنتصبُ كانتصابِ المصدر المقدَّم، والعُذَافرة: الغليظة الشَّديدة، وكانوا يركبون الإبل في الغزو ويجنبون الخيل، فإذا حَضَرَ وقتُ الغارةِ تَحَوَّلوا إلى ظهور الخيل، وقوله «لن تراه ولن تراه» فائدة تكرار حرف النفي في كلامه أنَّ «لن» نفي قول القائل «سيفعلُ زيد كذا» فيقول: لن يفعل، فقوله «لن تراه» نفي للرؤية في حال السّلم، و«لن تراه» الثاني نفي للرؤية في حال الغزو، و«تخبُّ به» في موضع الحال، كأنه قال: أَبِجِدٌّ منك أنكَ لا تراه قريبًا في حالِ الأمن معه ولا تراهُ أيضًا من بعيد في الغزو تسيرُ به راحلته الخَبَبَ، وذَمُول: فَعُول من الذَّمَلاَن، وهو ضَرْبٌ من السَّيْرِ سريعٌ.

٤ ـ حَقِيبَةُ رَحْلِهَا بَدَنٌ وَسَرْجٌ ... تُعَارِضُهَا مُرَبَّبَةٌ دَؤُول

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٩٠).

يعني بالحقيبة ما يُجْعَلُ وراء الرَّحْلِ من النَّاقة، وكانوا يجعلون الدّروع وراء رِحالهم في العِيَاب ليلبسوها عند الحرب، والبَدَن: دِرْعٌ قصيرةٌ، ودَؤُول: من الدَّأَلاَن، وهو ضَرْبٌ من العَدْوِ، ويقال: دآلين ودآليل، قال امرؤ القيس: [الطويل]

بِذِي مَيْعَةٍ كَأَنَّ أَدْنَى سِقَاطِهِ ... وَتَقْرِيبَهُ هَوْنًا دَآلِينُ ثَعْلَبِ

٥ - إِلَى مِيعَادِ أَرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهِ الخُيُولُ

أرعن: يعني جيشًا كأنه رَعْنُ جَبَلٍ، وقيل: جيشٌ أرعن: له فضولٌ، والرَّعْنُ: أنفٌ مُقَدَّمٌ من الجبل، والجمع رِعان ورُعُون، ومكفهرّ: مرتفع عالٍ كريه المنظر، وتُضَمَّرُ: أي تُصَنَّعُ وتغذّى في القَرَّتين[1]، ويُرْوَى «في جوانبها» أي: في جوانب الكتيبة، والمراد أنَّ فرسانَ هذه الكتيبة دأبهم ذلك، ومَنْ رَوَى «تُضَمَّنُ» بالنون أراد تُقْرَنُ الخيلُ بالإِبلِ في جوانبِها، إذْ كانَ لكلِّ رجلٍ راحلةٌ وفرسٌ يقودُه معه.

٦ - لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا ... وَحُكْمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالفُضُولُ

المِرْبَاع: شيء كان يأخذه الرئيس في الجاهلية إذا غَزَا بِالجيشِ، وهو رُبْع الغنيمة، كما يقال: معشار، للعشر، ولم يستعمل مفْعَال في الخمس ولا غيره، لا يقولون مِسْبَاع ولا مِثْمان، فلمّا جاء الإسلام صار الخمس من الغنيمة للذين ذكروا في قوله عَزّ وجَلّ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] والصّفايا: جمع صَفِيّة، وهي أشياء كان يصطفيها الرئيسُ لنفسه من خيار ما يغْنَمُ، والنَّشِيطَةُ ما أصابه الجيش في طريقه من قبل أن يصلَ إلى مَقْصَدِهِ، والفُضُولُ: ما فضل فلم ينقسمْ، واصطفى النبيُّ ﷺ سيفَ مُنَبِّه بن الحجاج ذا الفقَار يوم بدر، واصطفى جُوَيْرية بنت الحارث من بني المُصْطَلِق فجعل صَدُقَتَهَا عِتْقها، وتزوّج بها. واصطفى صَفِيَّة بنت حُيَيّ ففعل بها ذلك، قال أبو عبيدة: وكان للرئيس في الجاهلية النقيعة أيضًا، وهي بعيرٌ ينحره قبل القسمة فيطعمه النَّاسَ، قال: [الكامل]

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُوسَهُمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ

وقد سقط في الإسلام النقيعة، وله حكمه، وهو أن يبارز الفارس فارسًا قبل التقاء الجيش فيقتله ويأخذ سلبه، فالحكم فيه إلى الرئيس: إنْ شاءَ نَفَّلَهُ، وإن شاء رَدَّهُ إلى جُمْلة المغنم، وبعضهم يُسَمّي النشيطة النَّشْطَ، وهي النّاقة أو الحِجْرُ معها ولدها فتجعل هي وولدها في ربع الرئيس ولا يعتدّ عليه بالولد، وسقطت النشيطة في الإسلام، وسقط أيضًا الفضول في الإسلام.

---

(١) القَرَّتان: الغداة والعشيّ.

(٢) الأنفال، الآية: ٤١.

٧ ـ أَفَاتَتْهُ بَنُو زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَلاَ يُوفِي بِبِسْطَامٍ قَتِيلُ

فاتَ: يتعدّى إلى مفعول واحد، تقول: فاتني الشَّيء، فإذا أدخلت عليه ألف التعدية تَعدّى إلى مفعولين، وإذا كان كذلك فأحد المفعولين محذوف، كأنه قال: أفاتتِ الناس بنو زيد بن عمرو بسطامًا: أي الانتفاع ببسطام، «ولا يوفي ببسطام قتيلٌ» بالتاء، و«قبيل» بالباء، والمعنى: ولا يوفي بدمه دم قتيل.

٨ ـ وَخَرَّ عَلَى الأَلاَءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلُ

خَرَّ: سقطَ، والأَلاَءَةُ: شجرةٌ، لم يُوَسَّدْ: يستعملونه كثيرًا في القتيل، وليس بجَيِّدٍ، لأنَّ القَتْلَى بعضُهم يُوَسَّدُ، وشَبَّهَ جبينه لصفائه وانحسار الشّعر عنه بسيف مصقول: أي لم يكنْ أغَمَّ، والغَمَمُ عِندهم مذمومٌ.

[٣٥٥] وقال الهُذَيْلُ بن هُبَيْرَةَ(١):

أحد بني حُرْفَةَ بن ثَعْلَبَةَ بن بكر بن حُبَيْب بن عَمْرو بن غَنْم بن تغلب.

١ ـ أَلِكْنِي وَفِرْ لابْنِ الغُرَيْرَةِ عِرْضَهُ إلى خَالِدٍ مِنْ آلِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أَلِكْني: أي أَعِنّي على أداء أَلُوكتي، وهي الرّسالة، وفِرْ عِرْضَه: أي اتركْ عِرْضَهُ وافرًا، يقال: وَفَرْتُه أَفِرُهُ وَفْرًا فهو مَوْفُورٌ: أي خُصَّ بِرسالتي خالدًا واترك ابْنَ الغريرة جانبًا.

٢ ـ فَمَا أَبْتَغِي فِي مَالِكٍ بَعْدَ دَارِمٍ وَمَا أَبْتَغِي فِي دَارِمٍ بَعْدَ نَهْشَلِ
٣ ـ وَمَا أَبْتَغِي فِي نَهْشَلٍ بَعْدَ جَنْدَلٍ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِي لأَمْرٍ مُجَلَّلِ
٤ ـ وَمَا أَبْتَغِي فِي جَنْدَلٍ بَعْدَ خَالِدٍ لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِعَانٍ مُكَبَّلِ

رَتَّبَ أفخاذًا وبطونًا، وذكر أنَّ كلَّ واحد منها كان له رئيسٌ يدورُ أمره عليه، ويعتصمُ بحبله في الملمّات، وأنه بعد فَقْدِ ذلك فيهم فلا طائلَ عند واحد منهم، ألاَ تراه قال: فما أبتغي في بني مالك بعد خروج بني دارم منهم، وما أبتغي في بني دارم بعد خروج بني نهشل منهم، وما أبتغي في بني جندل لِسَارٍ يسري بليلٍ يطلبُ الضّيافة أو أسيرٍ مُكَبَّلٍ يطلبُ مَنْ يَفُكُّ أَسْرَهُ بعد افتقادِ خالد؟ ومُجَلَّلٌ: يجلّل النَّاسَ: أي عظيم يعمُّ؛ ومُكَبَّلٌ: مُقَيَّدٌ، والكَبْلُ: القَيْدُ.

---

(١) عند المرزوقي: «الهُذْلولُ بن هبيرة». وقد ذكره ابن دريد في الاشتقاق ص ٢٠٣، وقال: «ومن رجالهم الهذيل بن هبيرة قد رأسهم في الجاهلية، وكان جَرَّارًا للجيوش».

خبر هذه الأبيات: أن الهُذَيْلَ غزا بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان فاطّرد إبلهم يوم كِنْهِل، فقال له قومه: أين تطرد هذه الإبل؟ أَغِرْ بنا على بعض مَن تمرّ به، فأغارَ على بني كوز وعلى هاجر من بني ضبّة، فأصاب منهم ثلاثين امرأة فيهنّ منضورة بنت شقيق أُخت عامر بن شقيق، فأطلقهنَّ مكانه وهو في دارهم غَيرَها: احتمل به حتّى وقعَ بها أرضَ قومه، وزوجُها وأخوها غائبان، فبلغهم الخبر، فطلباها حتى أتياها، فقال: هي بيني وبينكما، فَإِنْ أَحَبَّتْ فلتتبعكما، وإنْ كَرِهَتْ لم أعطكماها، قالا: لا ننظر في أمرنا اليوم، فأتيا رجلاً من بني تغلب؛ فحدّثاه الحديث، واستجاراه، فأجارهما، فانطلق معهما إلى الهذيل فقال: إنك قد أعطيت القوم ما قد علمت، أفأجيرهم عليك على الوفاء؟ قال: نعم، فخُيِّرَتْ، فقالت: والله ما كنت لأُؤيم زوجي ولا أنكس برأس أخي، فأعطاهم إيّاها، فانصرفوا بها، فقال: [الطويل]

أعْـتَـقْـتُ مِـنْ أفْـنَـاءِ كُـوزٍ وَهَـاجِـرٍ ثَـلاَثِـيـنَ لَـمْ تُـهْـتَـكْ لِـسِـرٍّ جُـيُـوبُـهَـا
ومَنْضُورَةَ الحَسْنَاء كُنْتُ اصْطَفَيْتُهَا فـأعْـتَـقْـتُـهـا لَـمَّـا أتَـانـي حَـبِـيـبُـهَـا

ثم إنَّ الهذيلَ تتبعَتْها نفسه، فأغار على بني ضبّة وهم بذي بَهْدَأ وأودية الحريم، وقد جمع لهم جمعًا عظيمًا من اليمن وتغلب وإياد، فأرسلوا فاستصرخوا بني سعد بن زيدِ مناة بن تميم، فالتقوا، فقتل من بني تغلب ناسٌ، وانهزموا أسوأ هزيمة، وأَسَرَ يومئذٍ يَزيدُ بن حُذَيْفَة من بني مرّة بن عبيد بن الحارث بن كعب بن زيد مناة الهذيْلَ، وأَسَرَ عامِرُ بن شقيق من بني ضبّة حَسَّانَ بن الهذيل، فأوثقه في البيت، وكانت بنته قُرَيْعَة بنت عامر مَنَّ عليها الهذيل يوم أخذها، وهي من الثلاثين، فلمّا خرجَ أبوها من البيت حَلَّتْ وثاقَه وأطلقته وحملته، وأسَر حُصَيْن بن عُوَيَّة أحَدُ بني كوز شبيبَ بن الهذيل وجُعَيْسَ بن الهذيل، وأسَرَ ابنا ناشرة بن زُهَيْرِ بن جَنْدل بن نهشل، وهما عبد الله وعبد الحارث، وكانا مجاورين في بني ضبّة، مِشْوَلَ بن الهُذَيْل، فأمّا حُصَيْن بن عُوَيَّة فإنه كانت عنده أسماء ابنة عبد عمرو الغاضريّة من بني أسد وكان الهذيل قد أسرَ مالكًا الغاضريَّ فدفع إلى الغاضريين شبيبًا وَهَبه لهم، فبادلوا به ابن الهذيل، وزادوا على ابن الهذيل ثلاثين من الإبل، وأمَّا الهُذَيل فإنّه مَنَّ عليه يَزيدُ بن حذيفة، فأثابَه ثلاثمائة من الإبل، وأمّا مِشْوَل فإنَّ ابنَ الغريرة أخا بني جَنْدَل بن نهشل وكانت أُمه أخيذة من بني تغلب فأتاهم الهذيل في ابنه يطلبُ إليه أنْ يُفَادِيَهُ أو يمنَّ عليه، فوعده أن يفعلَ، فلمّا طالَ عليه قال: «أَلِكْني ـ الأبيات التي مضت» فأتى خالدًا فأنشده فأعطى ابن ناشرة مائةً من الإبلِ، وأطلقه لِلهذيل، فقال في ذلك أَشْرَسُ بن بَشَامَة بن حَزْن النَّهْشَلِيّ: [الطويل]

وَنَـحْـنُ رَدَدْنَـا ابْـنَ الـهُـذَيْـلِ لِـقَـوْمِـهِ بِـهِ أَثَـرُ الأَغْـلاَلِ تَـدْمَـى جَـوَالِـبُـهْ
أَخَـذْنَـا بِـهِ أُحْـدُوثَـةً لا تَـشِـيـنُـكُـمْ إذَا مَا حَدِيث الصِّدْقِ نُثَّتْ غَرَائِبُهْ

[٣٥٦] وقال إياسُ بن الأرَتّ[١]:

إياس: من قولهم: أُسْتُهُ أَؤُوسُهُ أَأْسًا وإياسًا، إذا أعطيته، وظَنَّهُ السُّكَّرِيّ مصدر «أيستُ من كذا» وليس كذاك، ولا لأيست مصدر، لأنه مقلوب من يَئِسْتُ، ولو كان له مصدر لم يكن مقلوبًا، ولَكانَ أيضًا تعتلّ فاؤه وعينه ولامه، فيقال: إسْتُ أَوْأَسُ، والأَرَتُّ: الذي في لسانه عجلة، والأنثى رَتّاء، والجمع رُتٌّ وفي فلان رُتَّة: أي عجلة، وقال أبو العلاء: الأَرتّ الذي في لسانه حُبْسَةٌ، وهي الرُّتَّةُ واسم الأرتّ خالد.

١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الصُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهُهُ ... دَعَوْتُ أَبَا أَوْسٍ فَمَا إنْ تَكَلَّمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

لَمّا: عَلَمٌ لِلظّرف، وهو لوقوع الشّيء لوقوع غيره، ولذلك احتاجَ إلى جواب، وجوابه هنا «دعوتُ» وقوله: «فما إنْ تَكَلَّما» معناه فَمَا تَكَلَّما، وذكر الصّبح لأنه كان ينبهه في ذلك الوقت فكان يجيبُ فلمّا مات لم يُجِبْهُ.

٢ - وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أخٍ لَكَ نَاصِحٍ ... وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلْخَيْرِ تَوْأَمَا

ومعنى «كان كثير الشَّرِّ» أي كان عنده في حال الغضب شرٌّ كثيرٌ، وعند الرّضا كأنه وُلِدَ مع الخير فهو توام.

٣ - تَتَابَعَ قِرْوَاشُ بْنُ لَيْلَى وَعَامِرٌ ... وَكَانَ السُّرُورُ يَوْمَ مَاتَا مُدَمَّمَا[٢]

مُدَمَّم: من «دَمَمْتُ الشّيءَ» إذا طليته وغطّيته، و«دمدمته» إذا بالغت فيه، ويُروَى «مُذَمَّمَا» من الذَّمِّ.

٤ - هَمَمْتُ بِأنْ لاَ أطْعَمَ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ ... حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمَا

انتصب «أطعم» بأن، ولو رُفِعَ لَجاز على أن تكون مخفّفة من الثقيلة، ويكون اسمه مُضْمَرًا، والفعل مع ما بعده خبره، كأنه قال: هَمَمْتُ بأنّي لا أَطْعَمُ حياةً بعدَهم: أي كنتُ وَطَّنْتُ نفسي على الزّهْدِ في الحياة، ثم نظرتُ فكان الائتساءُ بِالنّاسِ في مصائبهم والصّبر على مقاساة البلاء معهم أَبقَى في الذِّكْرِ وَأَحْسَنَ في الأُحْدُوثة. ويُرْوَى «أتقى» بالتاء، والمعنى أَوْقى لأنَّ التاء مُبْدَلَة من الواو: أي أَصْوَنَ لِلدِّينِ والعِرْضِ.

[٣٥٧] وقال قَبِيصَةُ بن النَّصْرَانيّ[٣] الجَرْمِيّ من طَيِّىء:

١ - أَلاَ يَا عَيْنُ فَاحْتَفِلِي وَبَكِّي ... عَلَى قَرْمٍ لِرَيْبِ الدَّهْرِ كَافِ

---

(١) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ص ٢٣٥ في رجال طَيِّىء، وأنشد له الجاحظ شعرًا في الحيوان ٤/ ٣٥٩.

(٢) عند المرزوقي: «يومَ ذاكَ مُدَمْدَمًا».

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية (٢٠٠).

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

احتفلي: اجتهدي في البكاء، ويُرْوَى «على حَوْطٍ لِرَيْبِ الدَّهر» وأصل احتفلي من الحافل من الغنم، وهي التي جمعت اللَّبن في ضَرْعها، ومعنى بَكِّي أي أكثري البكاءَ وكَرِّريه، وقوله «كافٍ» قد حذف أحد مفعولَيْ كَفَى، كأنّه كافِ النَّاسَ رَيْبَ الدَّهر: أي ما رابَ مِنْ أحداثِه.

٢ ـ وَمَا لِلْعَيْنِ لاَ تَبْكِي لِحَوْطٍ وَزَيْدِ وَابْنِ عَمِّهِمَا ذُفَافِ

ذُفَاف: من السّرعة، يقال: خَفِيفٌ ذَفِيفٌ، ومنه «ذَفَّفْتُ على الجريحِ» إذا أجهزتَ عليه.

٣ ـ وَعَبْدِ اللَّهِ يَا لَهْفَى عَلَيْهِ وَمَا يَخْفَى بِزَيْدٍ مَنَاةَ خَافِ

قوله «يا لَهْفَى» يجوز أن يكون المنادى محذوفًا، كأنه وعبد الله لهفى عليه يا قوم، ويجوز أن يكون نادى اللَّهف لِيُرِيَ عظيمَ حَسْرَتِهِ، «وما يَخْفَى بزيدِ مناةَ خافٍ» يعني شُهْرَة أمرِه وانتشار ذكره، وقوله «بزيد مناة خاف» أي زيد مناة لا يَخْفَى لأنَّ الخافي هو زيد، وهذا كما تقول: لَقِيتُ بزيدٍ أسدًا. ويجوز أن يكون قوله «بزيد» هو الفاعل، والباء فيه مثل الباء في قول الله عَزَّ وجلَّ: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1] والمعنى ما يخفى زيد مناة خفاءً، وخاف: في موضع خفاء لكنه لم ينصبه كما لم ينصب قوله: [الرجز]

كَأَنَّ أَيْدِيهِنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقْ[2]

ويجوز أن تجعل الباء للتعدّي، كما تقول: ما يذهب بزيد، تريد ما يُذْهِبُ زيدًا، يريد ما يُخْفي زيد مناة مُخفٍ لشُهرته.

٤ ـ وَجَدْنَا أَهْوَنَ الأَمْوَالِ هُلْكًا وَجَدِّكَ مَا نَصَبْتَ لَهُ الأَثَافِي

هُلْكًا: نصب على التمييز، ومعنى «وجَدِّكَ» وعظمتكَ، على القَسَم، وقوله «ما نصبتَ له الأثافي» يعني ما يُذْبَحُ ويُطْبَخُ، يقول: هلاك المال سهل، وإنّما العظيم الصّعب هلاكُ الرجال، و«ما نصبت» في موضع المفعول الثاني لوجدنا، والأثافي: واحدها أُثْفِيَّة، ويقال: ثَفَّيْتُ القدرَ وأثفيتها، فمَنْ قال ثَفَّيْتُ فَأُثْفِيَّةٌ عنده أُفْعُولة، ومَنْ قال أثفيتُ فأُثْفِيَّةٌ عنده فُعْلِيَّة لأنَّ الهمزة أصلية، وكان أصله أُثْفُوية، فلمَّا اجتمعت الياء والواو في كلمة واحدة وسبقت إحداهما بالسكون قُلِبَتِ الواو ياءً وأُدْغِمَتْ الياء في الياء فقالوا أثفيّة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(٢) انظر المقاييس واللّسان (قرق)؛ وإصلاح المنطق ص ٤٦٤.

[٣٥٨] وقال أبو صغْتَرَةَ البَوْلاَنِيُّ في بني أخيه:

أبو الفتح: صَغترة واحدة الصَّغتر، فصيح من كلام العرب، قال أبو العلاء: والعامَّةُ تقولُ سَغتر بالسِّين، والصَّاد هي اللّغة الجيدة، وأما بَوْلان فمرتجل عَلَمًا، وهو فَعْلاَن من لفظ البَوْل، ولا ينبغي أن يحمل على فَوْعَال لثلاثة أشياء: أحدها أنَّا لا نعرفُ في الكلام تركيب ب ل ن، والآخَر أنه أقلّ من فَعْلاَن، والثالث أنه لا ينصرف، فدَلَّ ذلك على زيادة النون كقحطان وعَدْنَان، فإنْ قِيلَ: فلعلّه معلّق عندهم على القبيلة، قيل: وكذلك يُحْتَمَلُ أن يكون اسم الحيّ، فإذا كانت القسمة محتملتهما كان التَّذكير أولى به.

١ ـ زُكَـيْـرَةُ وابْـنَـا أُمِّـهِ الْـهَـمُّ والـمُـنَـى ... وَفي الصَّدْرِ مِنْهُمْ كُلَّمَا غِبْتُ هَاجِسُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يعني بزُكَيرة وأخويه أولاد أخيه، وكان تُوَفِّيَ والدُهم فصارَ هو كافلهم، فيقول: هم الذين أهتمُّ لهم وأتمنى خيرهم وبقاءَهم، وهاجسٌ: خاطرٌ من الهمِّ والحزن.

٢ ـ أوَدُّهُــمُ وُدًّا إذَا خَــامَــرَ الــحَــشَــا ... أَضَـاءَ عَـلَـى الأَضْـلاَعِ والـلَّـيْـلُ دَامِسُ

خامرَ الحَشَا: أي خَالَطَ، والدَّامسُ: المظلمُ، وإنّما قال هذا لأنَّ الشيءَ إذا أشرقَ باللَّيلِ وعند التباسِ الظَّلام فهو بالنهار أوْلَى بالإشراق.

٣ ـ بَنُـو رَجُلٍ لَـوْ كَـانَ حَـيًّـا أَعَـانَـنِـي ... عَـلَـى ضُرِّ أعْـدائـي الَّـذيـنَ أُمَـارِسُ[١]

يعني أخاه: أي لو كان في جملة الأحياء لأعانني على الأعداء.

[٣٥٩] وقال الغَطَمَّش[٢] من بني شَقِرَةَ بن كَعْب بن ثعلبة بن سعد بن ضَبَّة:

الغَطَمَّش: يعنون به الظالم الجائر، وَشَقِرَةُ سُمِّيَ بواحدة الشَّقِر، وهي شقائق النّعمان، قال: [الطويل]

وَقَدْ أحْمِلُ الرُّمْحَ الأَصَمَّ كُعُوبُه ... عَـلَـيْـهِ دِمَـاءُ الـقَـوْمِ كـالـشَّـقِـرَاتِ

١ ـ ألاَ رُبَّ مَـنْ يَـغْـتَـابُـنِـي وَدَّ أَنَّـنِـي ... أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إلَيْهِ وَيُنْسَبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «مَنْ» نَكِرَة، و«يغتابني» في موضع الصِّفة له، و«وَدَّ أنني» جواب رُبَّ، يقول: رُبَّ إنسان يأكل لحمي بظهر الغيب ويتنقّصني ومع ذلك يتمنّى أن أكونَ أباه الذي يسمّى به ويُنْسَبُ إليه، وإنّما يبعثه على ذلك الحسدُ والبغضاء.

---

(١) عند المرزوقي: «بني رجلٍ» يريد: أذكرُ بني رجلٍ.

(٢) سبقت له الحماسية رقم (٢٩٩).

٢ - عَـلَـى رِشْـدَةٍ مِـنْ أُمِّـهِ أوْ لِـغَـيَّـةٍ   فَيَغْلِبَهَا فَحْلٌ على النَّسْلِ مُنْجِبُ

«على» يتعلّق بقوله «أنني أبوه» كأنه يريد: وَدَّ أُبوَّتي له سواء كان ولد حلالٍ أو ولد حرام، والرِّشْدَةُ: اسم الهيئة في الرَّشاد، والغَيَّةُ بفتح الغين، ومنهم مَنْ يُجريها مجرى الرِّشدة في كسر أولها فيقول الغِيَّة، و«يغلبها» نصب جواب التَّمنِّي بالفاء، والعامل فيه أن مُضمَرة، وهذا شرح الغيّة، كأنه قال: تمنى أن يكونَ ولدي على رِشْدَةٍ أو يغلبها فحلٌ منجب على النَّسل فيأتي به لِغَيّةٍ، وأراد بالفحل المُنْجِب نفسه، ويعني يغلبها على النسل غلبةَ الشَّبَهِ لِيبرِّئَهُ من هُجْنَتِها، وإذا قال القائل: وَددْتُ أنّني أجيئُكَ فتُكْرِمَني، فقوله «فتكرمَني» انتصب ولم يعطفْ على «أجيئك» لمخالفة آخر الكلام أوله، وذلك أن قوله «أنني أجيئك» مُتَمنًّى غير واجب، وقوله «فتكرمَني» ليس من المتمنَّى، بل هو واجبٌ، فلمّا خالفه نوى بالأول الاسم وأضمرَ بعد الفاء «أن» لتكونَ الفاء عاطفة اسمًا على اسم، فكأنه قال: وددتُ مَجيئي إليك فإكرامك لي، وكذلك إذا قال: ألاَ ماءَ فَأَشْرَبَهُ، يُراد به لو كان ماءٌ لَشَرِبْتُهُ، وتقديره ألاَ ماءَ فشُرْبَهُ؛ والجيّد الرّفع في قوله «فيغلبُه» لأنَّ وَدَّ في التمنّي دون ليتَ فيه، فالنصب في باب ليت أقوى، وهٰهنا الرفع أجود.

٣ - فـبِـالـخَـيْـرِ لاَ بِـالـشَّـرِّ فَـارْجُ مَـوَدَّتِـي   وَأَيُّ امْـرِيءٍ يُـقْـتَـالُ مِـنْـهُ الـتَّـرَهُّـبُ

قوله «فَارْجُ مودّتي» أي: ارجُ مَوَدَّتَكَ لي، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى الفاعل، وقوله «وأيّ امرىءٍ يُقتالُ منه الترهّب» أي: يحتكم: أي أيُّ امرىءٍ تُطْلَبُ مودّته على الرّهبة منه؛ يقال: اقْتَلْت عليهم كذا، وهو افتعل من القول، قال كعب بن سَعْد: [الطويل]

وَمَا اقْتَالَ مِنْ حُكْم عَلَيَّ طَبِيبُ(١)

والمعنى: إنَّ المرءَ إذا كان فيه حَمِيَّةٌ وأَنَفَةٌ لم يحتكمْ عليه مَنْ يتَرَهَّبُهُ: أي يخيفُه ويوعدُه، كما تقول: وأيّ النَّاسِ يصبرُ على الضَّيْم إذا كان يقدرُ على دَفْعِهِ.

٤ - أقُـولُ وَقَـدْ فَـاضَـتْ لِـعَـيْـنِـيَ عَـبْـرَةٌ   أرَى الأَرْضَ تَـبْـقَـى وَالأَخِـلاَّءَ تَـذْهَـبُ

٥ - أخِـلاَّءِ لَـوْ غَـيْـرُ الـحِـمَـامِ أصَـابَـكُـمْ   عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبُ

قوله «أرى الأرضَ» مُتَّصلٌ بقوله «وقد فَاضَتْ لِعيني عبرةٌ» وهو من جملة الاعتراض؛ ومفعول «أقول» البيت الثاني، والمراد: أقول وقد اتَّصَلَ البكاءُ منّي إذ كنتُ أرى الأرضَ باقيةً والإخوان ذاهبة: أخلاءِ، والناس ينشدون «أخِلاَّيَ» بياء مفتوحة،

---

(١) هذا عجز بيت لكعب بن سعد الغنويّ في الأصمعيات ص ٩٧؛ ولسان العرب (قول)؛ وتاج العروس (قول)؛ وجمهرة أشعار العرب ص ٧١٠؛ وبلا نسبة في المخصّص ٣/ ١٣٥؛ وديوان الأدب ٣/ ٤٤٥؛ ومقاييس اللغة ٥/ ٤٥؛ وصدره: «ومنزلةٍ في دارِ صدقٍ وغبطةٍ».

وكأنّهم حملوه على قصر الممدود، وأجود من ذلك في حكم العربية أن ينشدَ «أخِلاَّءِ» بهمزة مكسورة، يُراد يا أخلائي، فحُذِفَتْ ياءُ الإضافة وتُرِكَت الهمزة كما تقول: يا غلامِ.

[٣٦٠] وقالت امرأة:

١ ـ أَلاَ فَاقْصِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكِ لَنْ تَرَيْ   أَبَا مِثْلَهُ تَنْمِي إِلَيْهِ المَفَاخِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

اقْصِرِي: أي كُفِّي واحْبِسِي، من قولك: قَصَرْتُ الشَّيءَ: أي حبسته، ويجوز أن يريد فأقصري من أَقْصَرَ يُقْصِر إلاَّ أنه أدرجَ أَلِفَ القَطْعِ، و«تَنْمِي إليه المفاخر» أي: تنتهي إليه وترتقي.

٢ ـ وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ   صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

«قواصر» أي: يعجزنَ أن يبلغنَ كُنْهَ الثَّناء عليه: أي لا يقضي البكاء حقّه.

قال أبو رياش: والَّذي عِندي أن هذه الأبيات لمحمّد بن بشير أَحَدِ بني الخارجية، وهم من غَزْوَان بن عمرو بن قيس بن عيلان، يرثي بها أبا عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ، وهو أبو هند أُم محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن بن علي، عليه السّلام، وكان زَمْعَة بن الأسود أحد أزواد الرَّكْب من قريش، والآخر مسافر بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس، والآخر أبو أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وكان إذا سافرَ أحدُهم في رفقة قريش إلى الشَّام لم يَدَعْ أحدًا يتزوَّدُ، وكانوا يَقْرُون كلَّ مَنْ معهم، فسمّوا أزْوَاد الرَّكْبِ، وهم ثلاثة، فلمّا ماتَ أبو عبيدة بن عبد الله وكان يُفْضِلُ على محمّد بن بشير، دعاه عبد الله بن حسن فقال: إنَّ هندًا قد جزعَتْ على أبيها فقلْ أبياتًا تُسَلِّيها بِهِنَّ عنه، فقالَ: قد قلتُ، فقال: قُمْ فادخلْ، فدخل إليها وهو معه فقال: [الطويل]

إِذَا مَا ابْنُ زَادِ الرَّكْبِ لَمْ يُمْسِ بَائِتًا   قَفَا صَفَرٍ لَمْ يَقْرُبِ الفَرْشَ وَاتِرُ

فَقُومِي اضْرِبِي يَا هِنْدُ عَيْنَيْكِ لَنْ تَرَيْ   أَبَا مِثْلَهُ تَنْمِي إِلَيْهِ المَفَاخِرُ

وَكُنْتُ إِذَا مَا شِئْتُ سَنَّيْتُ وَالِدًا   يَزِينُ كَمَا زَانَ اليَدَيْنِ الأَسَاوِرُ

وَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ   صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

فقامت فصاحت هي وجواريها، وجعل يصيحُ معهنَّ، فقال له عبد الله: يا عدوَّ الله، دعوتُكَ تُعزِّيها فهيَّجْتَها على البكاء، قال: وبِمَ كنتُ عسى أن أُعزِّي بنتَ زَادِ الرَّكْبِ؟ مَنْ يعزّيني أنا عنه؟ لا والله لا أُعَزِّي عنه، ولكنّي آمُرُ بالحزنِ عليه وأحُضُّ على ذلك، تمّ الخبر.

[٣٦١] قال القُلاَخ:

قال أبو هلال: في الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ: أحدهم: القُلاَخ الرّاجز ابن حَزْن بن جناب بن منقر القائل: [الرجز]

أَنَـا الـقُـلاَخُ بْـنُ جَـنَـابِ بْـنِ جَـلاَ

والآخر القُلاَخ بن زَيْد أحدُ بني عمرو بن مالك، وهو القائل: [الطويل]

وَلاَ يَسْتَوِي يَا زَيْدُ دُرْجٌ وَمِجْمَرٌ وَصَدْرُ سِنَانٍ في الحُرُوبِ مُحَرَّبُ

وَالقُلاَخ العَنْبَرِيّ، ذكره دعْبل في شعراء البصرة، وهذا هو قُلاَخ بن حَزْن. يقال: قَلَخَ البعيرُ في هديره يَقْلَخُ قَلْخًا وقَلِيخًا، وذلك إذا هدَر، وكأنه يَقْلَعُهُ قَلعًا، وقال أبو العلاء: إذا هَدَرَ هَدِيرًا صافيًا كأنه يقلعه قلعًا، وبعير قَلاَّخ، فأمّا القلاَخ فَعَلَمٌ مرتجَل.

١ ـ سَقَى جَدَثًا وَارَى أَرِيبَ بْنَ عَسْعَسٍ مِنَ العَيْنِ غَيْثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهْ

ثاني الطّويل، والقافية متدارك.

قال أبو العلاء: أَرِيب: اسم الرّجل من قولهم «فلانٌ أريبٌ» أي: ذو عقل، قال عنترة: [الوافر]

فَـيَـخْـفِـقُ تَـارَةً وَيُـفِـيـدُ أُخْـرَى وَيَـفْـجَـعُ ذَا الـضَّـغَـائِـنِ بِـالأَرِيـبِ

فأمّا قولهم «قِدْحٌ أَرِيبٌ» فإنّهم استعاروا له ذلك من الرجل: أي هو فائز، فكأنّه يعقلُ ويطلبُ الفوز، قال الأعشى: [المتقارب]

فَـإِنْ أَكُ شِـبْـتُ فَـقَـدْ أَسْـتَـعِـيـ ـنُ يَـوْمَ الـمَـقَـامَـةِ قِـدْحًـا أَرِيـبَـا

وعَسْعَس: من قولهم «عَسعَسَ اللّيل» إذا أقبل ظلامُه، وإذا وَلّى، وهو من الأضداد، قال الرّاجز:

حَـتَّـى إِذَا مَـا صُـبْـحُـهَـا تَـنَـفَّـسَـا وَانْـجَابَ عَـنْـهَـا لَـيْـلُـهَـا فَـعَـسْـعَـسَـا

والعين: ما بين قبلة العراق ومغيب الشّمس، ويقال: إنّها لا تكادُ تخلف حتى تعقبَ المطرَ، ويدومُ مَطَرُها أيّامًا، ولا يُرْجَى المطرُ في نواحي السّماء كما يُرْجَى من قبل العين، «يسبق الرعد وابله» لِشدّته وكَثْرَته.

٢ ـ مُـلِـثٌّ إِذَا أَلْـقَـى بِـأَرْضٍ بَـعَـاعَـهُ تَـغَـمَّـدَ سَـهْـلَ الأَرْضِ مِـنْـهُ مَـسَـايِـلُـهْ

مُلِثٌّ: لازمٌ دائمٌ، وبَعَاعُه: ثِقَلُه ومُعْظَمُه، وتغمّدَ: غَطّى وعَلاَ، ومنه اشتقاق «غامد الأزديّ» ومنه غِمْدُ السَّيفِ، وقال أبو العلاء: تَغَمَّد أي عَمَّ وغَمَرَ، كأنه يشتملُ عليه كما يشتملُ الغِمْدُ على السَّيفِ ومنه «تغمّدتُ ذنوبَهم» إذا غفرتها، قال الشّاعر: [الطويل]

تَـغَـمَّـدْتُ ذَنْـبًـا كَـانَ بَـيْـنَ عَـشِـيـرَتِـي فَـسَـمَّـانِـيَ الـقَـيْـلُ الـحَـضُـورِيُّ غَـامِـدَا

وهذا البيت يقال إنه لِغَامد أبي هذا الحيّ من الأسد، وبه سُمِّيَ، وكان الأصمعيّ يقول: غَمَدَتِ الرَّكِيَّةُ إذا كَثُرَ ماؤها، وقوله في البيت «تَغَمَّدَ» أي غَطَّى مسايله سهلَ الأرضِ، وسهلُ الأَرض: بطونُ الأودية.

٣ ـ فَمَا مِنْ فَتًى كُنَّا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا ... بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهْ

نبادله: نأخذُ بَدَلاً منه، وهذا البيت فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، ومجازه: فما من النَّاسِ فَتًى كنا نبتغي منهم واحدًا عميدًا نبادله به، وقال المرزوقي: قوله «مِنَ النَّاس» من صفة الفتى، وبه يعود الضَّميرُ إلى الفتى، والمعنى: كُنَّا بسببه نبتغي واحدًا منهم: أي من النّاسِ، عَميدًا: من صفة الواحدِ لأنَّا جعلنا واحدًا مفعولاً لِنبتغي، نبادلُه: أي نبادلُ به النّاسَ، فحذفَ الجار، وقال: نبادله، وعلى هذا قول عارق الطّائي: [الطويل]

وَلَيْسَ مِنَ الفَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهْ[1]

أي سابق به. وخبر «ما» محذوف، كأنه قال: ما فَتًى ذي صفته بموجود في الدنيا، وما أشبهه.

٤ ـ لِيَوْمِ حِفَاظٍ أَوْ لِدَفْعِ كَرِيهَةٍ ... إذَا عَيَّ بِالحِمْلِ المُعَضِّلِ حَامِلُهْ

اللاّم في «ليوم حفاظ» تعلّق بقوله «نبادله» أي: نبادلُ به لهذا من الشَّأن؛ وهو أن يحافظَ على حسبه محافظةَ الكِرَام أو يدافعَ الكَرَائِهَ والشَّدائدَ، وأصلُ العَضْلِ المنعُ والتَّضييقُ، يقال: عَضَلْتُ المرأة وعَضَّلْتها، إذا منعتها التزويج، وَعَضَلَتْ بولد وأعْضَلَتْ؛ إذَا عَسُرَ وِلاَدُها.

٥ ـ وَذِي تُدْرَإٍ مَا اللَّيْثُ في أصْلِ غَابِهِ ... بِأَشْجَعَ مِنْهُ عِنْدَ قِرْنٍ يُنَازِلُهْ

الواو عاطفة. وانْجَرَّ «ذي» بإضمار رُبَّ، وتُدْرَأُ، تُفْعَل من الدَّرْء، وهو الدَّفْع الشَّديد، وقوله «ما اللَّيث» إلى آخر البيت من صفة «ذي تدرإ» يقول: رُبَّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ في خِدْرِهِ بِأَقْوى قَلْبًا منه عند نظيرٍ له في بأسِه وشِدَّته ينازله.

٦ ـ قَبَضْتَ عَلَيْهِ الكَفَّ حَتَّى تُقِيدَهُ ... وَحَتَّى يَفِي لِلْحَقِّ أخْضَعَ كاهِلُهْ

«كاهله» يجوز أن يرتفع بقوله «يفي» ويجوز أن يرتفع على البدل من المُضْمَر في «يفي» وحينئذٍ يحتمل ضميرًا لِذي تدرإ و«أخضع» ينتصب على الحال في الوجهين جميعًا، ويجوز أن يرتفع «أخضع» فيكون خبرًا مقدَّمًا، و«كاهله» يكون مبتدأ، والأخضع: الذي في عنقه انخفاض وتطامن.

---

(١) هذا عجز بيت لعارق الطّائي سيَرِد في الحماسية رقم (٦٠٥)، وصدره: «إلى المنذرِ الخيرِ بن هندٍ نزورُهُ».

٧ - فَتَى كَانَ يَسْتَحْيِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالمَوْتَى وَيُذْكَرُ نَائِلُهْ

[٣٦٢] وقال الضَّبِّيُّ: [الكامل]

١ - أَأُبَيُّ لاَ تَبْعَدْ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٌّ وَمَنْ تُصِبِ المَنُونُ بَعِيدُ

«لا تَبْعَدْ» ممّا يُنْدَبُ به الميّتُ على إظهار من الفاقة إلى حياته، وقال أبو العلاء: قوله «ومَنْ تُصِبِ المَنُون» جزم بِمَنْ ولم يأتِ للشرط بالجواب؛ وهذا على إرادة الفاء، كأنه قال: ومَنْ تُصِبِ المنون فهو بعيد، ومثله: [البسيط]

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلاَنِ(١)

أراد فالله يشكرها، ومثله قول أبي ذؤيب: [الطويل]

فَقَالَ تَحَمَّلْ فَوْقَ طَوْقِكَ إِنَّهَا مُطَبَّعَةٌ مَنْ يَأْتِهَا لا يَضِيرُهَا(٢)

أراد فلا يضيرها.

٢ - أَأُبَيُّ إِنْ تُصْبِحْ رَهِينَ قَرَارَةٍ زَلْخِ الجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودُ(٣)

يعني بقرارة القبر، والقرارُ والقرارة واحد، ودخول الهاء وسقوطها في أسماء المواضع كثير، نحو: دار ودارة، ومكان ومكانة، ومرقب ومرقبة؛ فإذا دخلت الهاء كان أخصّ، و«زلخ الجوانب» أي جوانبها مِزَلّة؛ يقال: مكان زَلْخٌ، إذا لم تستقرَّ عليه الأقدام.

٣ - فَلَرُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتَ وَرَاءَهُ فَمَنَعْتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودُ

٤ - أَنَفًا وَمَحْمِيَةً وَأَنَّكَ ذَائِدٌ إِذْ لاَ يَكَادُ أَخُو الحِفَاظِ يَذُودُ

نصب «أنَفًا ومَحْمِيةً» على المفعول له: أي فَرُبَّ مكروبٍ منعته أنْ يظلمَ لِلأَنَفَةِ والمحمية؛ وأصلُ الذَّوْدِ منعُ الإبلِ عن الحوضِ إذا شربت، ثم سُمِّيَ كلُّ مَنْعٍ على وجهِ الحفظ والحماية ذَوْدًا.

---

(١) البيت لكعب بن مالك في ديوانه ص ٢٨٨؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٠٩؛ وله أو لعبد الرحمٰن بن حسان في خزانة الأدب ٩/ ٤٩؛ وشرح شواهد المغني ١/ ١٧٨؛ ولعبد الرحمٰن بن حسان في لسان العرب (بجل)؛ والمقتضب ٢/ ٧٢؛ ومغني اللبيب ١/ ٥٦؛ ولحسان بن ثابت في الدّرر ٥/ ٨١؛ والكتاب ٣/ ٦٥ (وليس في ديوانه)؛ وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٢٨١؛ وأوضح المسالك ٤/ ٢١٠؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٦٤.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في خزانة الأدب ٩/ ٥٢؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٩٣؛ وشرح أشعار الهذليين ١/ ٣٠٨؛ وشرح التصريح ٢/ ٢٤٩؛ والكتاب ٣/ ٧٠؛ واللسان (ضير) و(طبع)؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٤٣١؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٢٠٨؛ وشرح المفصّل ٨/ ١٥٨.

(٣) عند المرزوقي «زَلِج الجوانب».

٥ ـ وَلَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَكْتَ وَسَائِلٍ أعْطَيْتَهُ فَغَدَا وَأَنْتَ حَمِيدُ

«غدا» هذه تامّة، كأنه قال: خرج غدوةً.

٦ ـ يُثْني عَلَيكَ وَأَنتَ أهلُ ثَنَائِهِ وَلَدَيْكَ إمَّا يَسْتَزِدْكَ مَزِيدُ

«ما» زائدة؛ يريد إنْ يستزِدْكَ.

[٣٦٣] وقال عِكْرِشَةُ أبو الشَّغْب[1] يرثي ابنه شَغْبًا:

يقال عِكْرِشة وعِكْرَاش، والعِكْرِشَة: نبات، والعِكرشة: أُنثى الأرانب سُمِّيَتْ بها لأنّها تأكل العِكْرِش.

١ ـ قَدْ كانَ شَغْبٌ لَوَ أنّ اللّهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تُزادُ بِهِ في عِزِّهَا مُضَرُ

أوّل البسيط، والقافية متراكب.

يقول: لو أنَّ القضاءَ أَمْهَلَ ابني شَغْبًا ولم يُعَاجِلْهُ عن استكماله لَكانَ بقاؤه عِزًّا مستجدًّا لقبائل مُضَر كلّها تُضيفُه إلى عِزِّها.

٢ ـ فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَدْ قَوَّسْتُ مِنْ كِبَرٍ لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الثُّكْلُ والكِبَرُ

قَوَّسْتُ: انحنيتُ فصرتُ كَالقَوْس.

٣ ـ لَيتَ الجِبَالَ تَداعَتْ عِنْدَ مَصْرَعِهِ دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أرْكَانِهَا حَجَرُ

[٣٦٤] وقال آخر يرثي ابنه:

١ ـ لِلّهِ دَرُّ الدَّافِنِيكَ عَشِيَّةً أمَا رَاعَهُمْ مَثْوَاكَ في القَبْرِ أمْرَدَا

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

اشتقَّ الأمرد من «شجرة مَرْداء» وهي التي لا ورقَ لها، و«رملة مرداء» لا تنبتُ شيئًا، والدَّافِنيكَ: الَّذين يَدْفنونكَ، والإضافة مع الألف واللاّم قليلة، وانتصب «أمردَا» على الحال، و«دَرٌّ» وإن كان مصدرًا في الأصل فقد لزمَ هذا الموضع، وجرت الكلمة لِكَثْرَةِ الاستعمال مجرى «لله خيركَ» فلا تعمل في ظرف ولا في حال ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر، وفي طريقته: [الطويل]

أيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كأنَّكَ لم تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ[2]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٤).

(٢) هذا البيت من قصيدة في الأمالي ٢/ ٢٧٤؛ وفي العقد الفريد ٣/ ٢٧٩؛ والبيت لفارعة أو لفاطمة أو لليلى بنت طريف أخت الوليد بن طريف حسب ما جاء في حماسة البحتري ص ٤٣٥.

وأبلغ منه قول الآخر: [الطويل]

أَبَعْدَ قَتِيلٍ بِالمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ   لَهُ الأَرْضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بِأَسْوُقِ[1]

٢ ـ مُجَاوِرَ قَوْمٍ لاَ تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ   وَمَنْ زَارَهُمْ فِي دَارِهِمْ زَارَ هُمَّدَا

يعني موتى لا يسمعون ولا يحسّون، وأصل الهمود في النّار، ثم اسْتُعْمِلَ في غيرِها.

[٣٦٥] وقال لَبيد[2]:

لبيد: جُوَالق، هذا لبيد بن ربيعة، وفي الشعراء أيضًا لبيد بن عطارد بن حاجب بن زُرَارة بن عُدَس القائل: [المتقارب]

وَقَدْ شَيَّبَ الرَّأْسَ قَبْلَ المَشِيبِ   وَفِي الحَادِثَاتِ لَنَا عِبْرَهْ

ومنهم لبيد بن أَزْنَمَ أحد بني عبد الله بن غطفان.

١ ـ لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ المُخَبِّرُ صَادِقًا   لَقَدْ رُزِئَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ جَعْفَرُ

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

يرثي بهذا أَرْبَدَ أخاه، وكان النبي ﷺ دعا عليه فأصابته صاعقة، فأخبر بدلك لَبيد، فقال: لئن صُدِّق المخبر لقد رزئت قبيلتي به، ثم وصفه بحُسْن مُوَاتاته، وقوله «إن كان المخبر صادقًا» فهو قد علم صدق الحديث، لكنه لاستعظامه للنبأ يرجع على المخبر بالتكذيب، ويُدْخل الشك على المسموع والمشهود، كما قال الآخر: [الطويل]

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ[3]

واللاّم من «لَعمري» لام الابتداء، ومن قوله «لَئِنْ» هي الموطّئة للقسم، ومن قوله «لقد» هو جواب القسم.

٢ ـ أَخًا لِي أَمَّا كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ   فَيُعْطِي، وَأَمَّا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

٣ ـ فَإِنْ يَكُ نَوْءٌ مِنْ سَحَابٍ أَصَابَهُ   فَقَدْ كَانَ يَعْلُو فِي اللِّقَاءِ وَيَظْفَرُ

---

(١) البيت للشمّاخ بن ضرار سيأتي في الحماسية (٣٨٧).

(٢) لبيد بن ربيعة العامري: أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ ويُعَدُّ من الصحابة ومن المؤلَّفة قلوبهم (ت ٤١ هـ/ ٦٦١ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ص ٢٣١؛ والآمدي ص ١٧٤؛ وسمط اللآلي ص ١٣؛ وطبقات ابن سعد ٦/ ٢٠).

(٣) هذا صدر بيت للنابغة يرثي حصن بن حذيفة بن بدر كما في شروح سقط الزند ص ٨١٣، وعجزه: «وكيف بِحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ».

[٣٦٦] وقالت زينب بنت الطَّثْرِيَّة ترثي أخاها يزيدَ بن الطَّثْرِيَّة:

الطَّثْرَة: خثورة اللَّبن التي فوقه، يقال: لبنٌ خاثرٌ طاثر، وقول الرَّاجز:

أَتَتْكَ عِيرٌ تَحْمِلُ المشِيَّا   مَاءً مِنَ الطَّثْرَةِ أَحْوَذِيَّا

شَبَّهَ الماء الذي وردته الإبل بِطثرة اللَّبن، وزينب: عَلَمٌ مرتجل، ويُحْكَى عن أبي العباس ثعلب قال: قال فلان: رَحِمَ اللَّهُ عَمَّتي زَنْبَة ما رأيتها قَطُّ تأكل إلاَّ ظننتها تناول إنسانًا وراءها، فهذه فَعْلَة من هذا اللَّفظ، وزينب فَيْعَل منه.

١ - أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجَاوِرِي   مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهْ

من الطويل الثاني، والقافية متدارك.

الأثل: شجر، وعقيق: وادٍ ببلاد بني عامر، وهو من الحجاز، و«غالت يزيد» أي: أهلكته، تعني الحوادث، وإنّما قالت ذلك مُنْكِرَةً ومستوحشةً إذ كان الحكم عندها أن تتغير الأمور لموت أخيها، فلمّا جرى الأمر بخلافه أخبرت متوجّعة أن بطن العقيق على ما كان عليه، ويزيد غالته غوائله، وانتصب «مقيمًا» على أنه مفعول ثانٍ لأرى، و«مجاوري» في موضع الجرّ على أنه صفة لبطن العقيق، ومثله: [الطويل]

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ   وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالجِبَالُ جُنُوحُ

يقول: لِمَ لم تَقُم القيامة حيث ماتَ حصن؟ ومثله قول يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميريّ: [الكامل]

الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهَا   وَالبَرْقُ يَلْمَعُ في الغَمَامَهْ

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي   مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ

أي: لِمَ شُرِيَ برد ولم تقم القيامة فتذهب الريح والبرق.

٢ - فَتَى قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضَائِلٌ   وَلاَ رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وَأَبَاجِلُهْ(١)

متضائل: من **الضؤولة**، وهي الدقّة، والرَّهِلُ: المسترخي، تصفه بقلة اللَّحم على السّاق والصّدر، والأباجل: جمع أَبْجَل، وهو عِرق، وذكرت الأباجل وهي تريد مواضعها، وجمعته كما يقال: ضخم العثانين، كأنه أراد ما حوله.

٣ - إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ كَانَ عَذَوَّرًا   عَلَى الحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِلَّ مَرَاجِلُهْ

العَذَوَّرُ: السَّيِّىء الخلق القليل الصَّبر فيما يريده ويهمّ به، وإذا: ظرف لقولها «كان عَذَوَّرًا»؛ وصفته بسوء الخلق والتشدّد في الأمر والنّهي حتى تُنْصَب المراجلُ وتُهَيَّأ

---

(١) هذا البيت في الحماسية (٣١١) للعجير السلولي، والأبيات كلّها في حماسة البحتري ص ٤٣٣؛ والبيان للجاحظ ١/٢١٦؛ والأغاني ٧/١١٦، وقال إن الأبيات لأم يزيد بن الطثرية.

المطاعم لِلضِّيفان ثم يعود إلى خلقه الأول، والمراجل: جمع مِرْجَل، وهي القِدْر العظيمة النحاسية، والقول الجيّد أنَّ كلّ قِدْرٍ عند العرب مِرْجَل، واستقلالها انتصابها على الأثَافيّ حتى تستقلّ، أرادت لِتَستقلّ وكي تستقل: أي كان عَذَوّرًا لذلك من الشَّأن.

٤ - مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلاً حَمَائِلُهْ

انتصب «دريس» على أنه مفعول ثانٍ، ويقال: ورثته كذا، وورثت منه كذا، فعلى هذه اللّغة كان أصله «ورثنا منه دريس» فحذف الجار ووصل الفعل فعمل، والدريس: الخَلَق من الدّروع وغيرها، لأنه فعيل بمعنى مفعول، والجمع الدُّرْسَان، والمُفَاضة: الدّرع الواسعة، و«أبيض» يعني سيفًا، وجعله طويل الحمائل لطول قوامه، والمعنى أنه أنفق ماله فيما نشر له حمدًا فلم يكنْ إرثه إلاَّ ما ذكر من السلاح.

٥ - وَقَدْ كَانَ يُرْوِي الْمَشْرَفِيَّ بِكَفِّهِ وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجْرَةِ الحَيِّ نَائِلُهْ

أي: أنه كان عزيزًا شديد النكاية في الأعداء، ويبلغ أقصى ناحية الحيّ عطاياه، وإنما قالت «يروي المشرفيّ بِكفّه» تريد أن نهضته في ذلك بنفسه خاصة من غير اعتماد على حميم أو غريب؛ لأنه ما كان يجرّ الجرائر على أهله ثم يتركهم لها، ولكن كلّ ما أتاه أو تَجَشَّمَهُ فبنفسه لا بغيره.

٦ - كَرِيمٌ إذَا لاَقَيْتَهُ مُتَبَسِّمًا وَإمَّا تَوَلَّى أشْعَثُ الرَّأْسِ جافِلُهْ

«كريم» ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أرادت هو كريمٌ إذا لاقيته متبسّمًا على الحال، وجواب إذا يدلّ عليه كريم، فتقول: إذا لاقيته راضيًا ساكتًا لاقيتَ منه طلعةَ الكِرام وأفعالِهم، وإنْ أعرضَ عنكَ وَوَلّى وجدته أغبر الرَّأسِ كثيرَ الشَّعر لا يهمّه أمر نفسه في اللّباس والطعام، وإنّما هَمّه الغزو والسّعي في إصلاح أمر العشيرة، ويقال: شَعِثَ يَشْعَثُ شَعَثًا وَشُعُوثَةً وهو أَشْعَثُ وشَعِث، إذا اغْبَرَّ شعرُه وتَلَبَّدَ، و«جافله» من قولهم: أخذت جَفْلَةً من الصّوف: أي جَزَّةً منه، ويقال: جافلٌ ومُجْفِلٌ.

٧ - إذَا الْقَوْمُ أَمُّوا بَيْتَهُ فَهْوَ عَامِدٌ لأَحْسَنِ مَا ظَنُّوا بِهِ فَهْوَ فَاعِلُهْ

يجوز أن تريد بالقوم رجال الحيّ خاصة، ويجوز أن تريد به طوائف الرجال؛ فيكون المراد به الكَثْرَة، وإنّما وصفته بأنه مُدَبِّر العشيرة عند ما يَدْهَمُهم، فإذا قصدوه أرشدهم وتحمّل ما يثقل عليهم، وكان لهم عند ما ظنّوه فيه من الإحسان إليهم.

٨ - تَرَى جَازِرَيْهِ يُرْعَدَانِ وَنَارُهُ عَلَيْهَا عَدَامِيلُ الْهَشِيمِ وَصَامِلُهْ

أي: يُرْعَدَان من خوفه لاستعجاله إياهما، وقيل: من البرد، تخبر أنه ينحر في الشتاء والجدب، وجعلت له جازِرَيْنِ على عادتهم في جعلهم أصحاب المِهَن فيهم اثنين اثنين، كالبائن والمُسْتَعلي في الحلب، والماتح والقابل في الاستقاء، ويُرْوَى «عَدَوْليٌّ

الهشيم وصامله» جَرَت العادة بأن يستعملوا العَدَوْليَّ في صفات السّفائن ينسبونها إلى عَدَوْلى، وهو موضع بنواحي البحرين، فإن كانت الشاعرة نطقت بهذا اللّفظ فيجوز أن تعني أن نار هذا المذكور يُطْرَحُ عليها ما يقطع من شجر عظام كأنّها العَدَوْلَى من السفن، والذين يجلبون الأحطاب في دِجلَة ونحوها من الأنهار يجعلونه أطوافًا ويجيئون به في الماء، فيجوز أن تكون القائلة أرادت هذا المعنى: أي يوقد في هذه النار ما يجلب في الماء فجعلته كعدوليّ السفن، وعداميل: جمع عُدْمُل وعُدْمُليّ: أي قديم، والهشيم: ما يبسَ من الشجر والنبت، والصَّامل: اليابس.

٩ - يَجُرَّانِ ثِنْيًا خَيْرُها عَظْمُ جَارِهِ بَصِيرًا بِها لَمْ تَعْدُ عَنْها مَشاغِلُهْ

ثِنْيًا: أي ناقةً ثِنْيًا ولدت بطنين وولدها أيضًا ثني، «خيرها عظم جاره» أي: خير عظم فيها يهديه لجاره، «لم تَعْدُ عنها مشاغلُه» لم يَشْغَله عنها ضَنُّه بها، يعني أنه كان بصيرًا بقِرَى الأضياف والنَّحْرِ لهم، وقولها «بصيرًا بها» والفعل لِلمرثيّ فجرى على غير مَن هُوَ له لأنه تبع لجاره، وإذا كان كذلك فالواجب أن يظهر ضميره فيقول بصيرًا بها هو، لأنَّ اسم الفاعل والصفة المشبّهة إذا جرى واحد منهما على ما قبله صفة أو صلة أو حالاً أو خبرًا لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل لضعفه، وأكثر البصريين على أنه لا بدّ من ذلك، حتّى إن أبا الحسن كان يُلَحِّنُ الكلامَ إذا لم يَجْرِ على هذا السَّنَن، والكوفيّون وبعض البصريين يُجَوِّزون تركَ إظهارِه، وقوله «لم تَعْدُ» أي لم تصرفْ.

[٣٦٧] وقال أبو حكيم المُرِّيُّ يرثي ابنه حكيمًا: [الطويل]

وكان أبو حكيم قد قال: [الطويل]

يَقَرُّ بِعَيْنِي وَهْوَ يَقصُرُ مُدَّتِي مُرُورُ اللَّيَالِي أنْ يَشبَّ حَكِيمُ
مَخَافَةَ أنْ يَغْتَالَنِي المَوْتُ دُونَهُ ويَغْشَى بُيُوتَ الحَيِّ وَهْوَ يَتِيمُ

فمات حكيم فرثاه بقوله:

١ - وكُنْتُ أُرَجِّي مِنْ حَكِيمٍ قِيَامَهُ عَلَيَّ إذَا مَا النَّعْشُ زالَ ارْتِدَانِيَا
٢ - فَقُدِّمَ قَبْلِي نَعْشُهُ فارْتَدَيْتُهُ فيَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ رِداءٍ عَلانِيَا

النّعش: شبيه بالمِحَفَّة كان يُحمَلُ عليه الملكُ إذا مَرِضَ، ثم كَثُرَ حتى سُمِّيَ الذي يُحمَل فيه الميت نَعْشًا، و«ارتداني» أي: حملني على عاتقه في موضع الرّداء، ويعني بالرّداء جنازته، حمل نعشه على موضع الرّداء فسمّاه باسمه، وكان يتمنى أن يتقدّمه فقدّمه، وقوله «ارْتَدَانِيَا» لقيامه عليّ وقد وضع الماضي في موضع المستقبل: أي يرتديني في ذلك الوقت، ولو ساق الكلام على تلاؤم لقال: قيامَهُ عليّ وارتداءَهُ إيَّايَ إذا ما النعش زال، ولو رُوِيَ «من حكيم قيامِهِ عليّ» لجاز على أن يكون قيامه بدلاً من حكيم،

كأنه قال: وكنت أُرَجِّي من قيام حكيم أنه إذا ما النعش زال ارتداني: أي يرتديني فيكون «إذا ما النعشُ زالَ» ظرفًا، و«ارتداني» مفعول «أُرَجِّي» أي: أرجوه يرتديني إذا ما النعش زال.

[٣٦٨] وقال منقذ الهلاليّ[١]:

١ ـ الدَّهْرُ لاءَمَ بَيْنَ أُلْفَتِنَا وكَذَاكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

الضّرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، والقافية متواتر.

معنى «وكذاك فَرَّقَ» مثل ذلك، وأشار بذاك إلى ما دلَّ عليه «لأَمَ» من التأليف، يريد وكتأليفه فَرَّقَ أيضًا، وكَرَّرَ لفظ الدّهر تفخيمًا، وموضع «كذاك» نصب على الحال من «فَرَّقَ بيننا».

٢ ـ وَكَذَاكَ يَفْعَلُ في تَصَرُّفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وتْرُ

موضع «كذاك» مفعول لقوله «يفعل في تصرّفه» يريد أن الدّهر في تصاريفه فَعَّال مثل ما فعل بنا: يَهَبُ ويرتَجِعُ، ويُؤَلِّفُ ويُفَرِّقُ، ويوتِرُ غيرَه ولا يُوتَرُ.

٣ ـ كُنْتُ الضَّنِينَ بِمَنْ أُصِبْتُ بِهِ وَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الأَمْرُ

الضَّنين: البخيل، يقول: كُنْتُ البخيل بمَن أصبت به، فلمّا تقادمَ العهد بيننا سَلَوْتُ عنه حتّى كأنني لم يجمعني وإيّاه حال.

٤ ـ وَلَخَيْرُ حَظِّكَ في المُصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نُزُولِها الصَّبْرُ

أي: خيرُ حَظِّكَ فيما تصابُ به أن يتلقّاكَ الصَّبر عند الصّدمة الأولى لأن المرجع إليه وإن لم يصبرِ الإنسانُ تَسَلَّى تَسَلِّيَ البهائم، ومثله: [الطويل]

وَإِنِّي وإنْ أظْهَرْتُ صَبْرًا وَحِسْبَةً وَصَانَعْتُ أعْدَائِي عَلَيْكَ لَمُوجَعُ
وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْكَ وَلٰكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أوْسَعُ[٢]

[٣٦٩] وقالت مَيَّة ابنة ضِرار الضَّبِّيَّةُ ترثي أخاها قَبيصةَ بن ضِرَارٍ:

١ ـ لاَ تَبْعَدَنَّ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَاهِبٌ زَيْنَ المَجالِس وَالنَّدِيِّ قَبِيصَا

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

---

(١) منقذ بن عبد الرحمٰن الهلاليّ: شاعر، خليع ماجن، يُرمَى بالزندقة، من أهل البصرة، اشتهر في صدر الدولة العباسية وله أخبار مع بشار وغيره (ت نحو ١٤٠ هـ/ ٧٥٧ م). ترجمته في: (المرزباني ص ٤٠٤؛ والأغاني ١/ ٣٤٤).

(٢) الأبيات عند المرزوقي ص ١٠٥٣، وقد نسبها للخُرَيمي.

قولها «وكلّ شيء ذاهب» تَسَلٍّ؛ كأنها قالت متوجّعةً: لا تبعد، ثم عقّبته بالتسلّي فقالت: وكلّ حَيٍّ مِنَّا ميت يا زين المجالس والنَّدَى يا قبيصة، «وكلّ شيء ذاهب» اعتراض بين المنادى وبين الدعاء له، والجُمَل المعترضة بين أنواع الكَلِم تفيد منها التأكيد وتحقيق معانيها، وذكرت المجالس والنَّدِيّ وهما واحد لأنها أرادت بالمجالس مجالس خاصة إذا قصد لإنزال الحاجات به، وأرادت بالنَّدِيّ الحيَّ، وانتصب قبيصة على أنه عطف البيان لـ «يا زين» ويجوز أن يكون على تكرير النداء وقد رَخَّمَتْهُ، فكأنّها قالت: يا زين المجالس يا قبيصة.

٢ - يَطْوِي إذَا مَا الشُّحُ أَبْهَمَ قُفْلَهُ ... بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الخَبِيثِ خَمِيصَا

يريد إذا اشتدَّ الزمان فصار كلّ مالك لشيء يَبْخَل به حتى لا يمكن انتزاعه منه، ويُرْوَى «أُبْهِمَ قُفْلُهُ» على ما لم يُسَمَّ فاعله، والمعنى أحكم أمره وجعل كالفرض الذي لا يحتمل التجوّز، وإذا رُوِيَ «أبْهَمَ قُفْلَه» جعل الفعل لِلشحّ كأنَّ له قفلاً يُبْهِمُه، وإبهامه: أن يجعله على وجه لا يُدْرَى كيف يُفْتَحُ، فتقول: هذا الرجل يطوي بطنًا له صغيرًا مضمَرًا من الزاد السّيىء إذا تَمَلَّكَ البخلُ الناسَ لِشدّةِ الزَّمانِ فجعلهم كذلك.

[٣٧٠] وقال عِكْرِشَةُ العَبْسيُّ[١] يرثي بَنِيه:

١ - سَقَى اللَّهُ أجْداثًا وَرائِي تَرَكْتُها ... بِحَاضِرِ قِنَّسْرِينَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

الأجداث: القبور، وكذلك الأجداف بالفاء، وقوله «من سَبَلِ القَطْرِ» مفعول ثانٍ لِسَقَى اللَّهُ، والقصدُ في طلب السُّقْيَا لها أَنْ تَبْقى عُهُودها غضّة من الدّروس طَرِيَّة لا يتسلّط عليها ما يُزيلُ جِدَّتَها ونَضارَتَها، أَلاَ ترى أنّه لمّا أراد الشاعر ضدّ ذلك قال: [البسيط]

فَلاَ سَقَاهُنَّ إلاَّ النَّارَ تَضْطَرِمُ[٢]

٢ - مَضَوْا لاَ يُرِيدونَ الرَّوَاحَ وَغَالَهُمْ ... مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابٌ جَرَيْنَ عَلَى قَدْرِ

٣ - وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرَّوَاحَ تَرَوَّحُوا ... مَعي وَغَدَوْا في المُصْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ

أي: لَغَدوا في صباح اليوم الثاني على ظهر الأرض ولم يصيروا في بطنها مع الأموات.

٤ - لَعَمْري لَقَدْ وَارَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ ... أَكُفًّا شِدَادَ القَبْضِ بِالأَسَلِ السُّمْرِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٤)، وهو أبو الشغب العبسي.
(٢) صدره: «إذا سَقَى اللَّهُ أرضًا صوبَ غادِيةٍ».

إنّما قال «وارت وضمّت» لأن المواري هو السّاتر، وساتر الشّيء يكون ضامًّا له وغير ضامّ، وإنّما أراد أن يجعلَ القبورَ مواريةً وضامّةً، فلذلك جمع بين اللّفظين، والأَسَلُ: الرّماحُ، والسّمر في لونها، لأن القناة إذا انتهت وصلبت سمرت.

٥ - يُـذَكِّـرُنِـيـهِـمْ كُـلُّ خَـيْـرٍ رَأَيْـتُـهُ   وَشَـرٌّ فَـمَـا أَنْـفَـكُّ مِـنْـهُـمْ عَـلَـى ذُكْـرِ

أي: أذكرهم للخير مشبّهًا إياهم به، وأذكرهم للشرّ مُبعِدًا لهم، ويحتمل أن يكون المراد أُذكِّرهم بما كانوا يبلُون من الخير أولياءهم ومن الشّرِّ أعداءهم، ويحتمل أن يكون أراد أنّهم كانوا يصنعون الخير ويكفّون عن الشّرّ فأذكرهم كُلّما رأيتُ خيرًا وشرًّا، والذُّكر - بضمّ الذّال - يكون بالقلب، والذِّكر - بكسر الذال - يكون باللسان.

[٣٧١] وقال رجل من بني أسد:

يرثي أخًا له ومرض في غربة فسأله الخروج به هربًا من موضعه فمات في الطريق، ويقال: إنها لابن كُنَاسَةَ[١].

١ - أَبْـعَـدْتَ مِـنْ يَـوْمِـكَ الـفِـرَارَ فَـمَـا   جَـاوَزْتَ حَـيْـثُ انْـتَـهَـى بِـكَ الـقَـدَرُ

الأوّل من المنسرح، والقافية متراكب.

يُروَى: أسرعتَ، وأبعدتَ، وأبعطتَ، والإبعاط والإبعاد متقاربان، والإبعاط: الإسراع في السير، ويقال: أبعطت من الأمر، إذا أبيته وهربت منه، و«مِن» تتعلق بأبعدتَ، والمعنى: فررتَ من أَجَلِكَ فرارًا بعيدًا، ومعنى «يومك» أي آخر أَمَدِكَ، وإذا رويت «أسرعت» احتجت إلى إضمار فعل يتعلّق به «من» ولا يجوز تعلّقه بأسرعت، ولا بالفرار، لأنه يكون في صلته وقد تقدّم عليه، وجعل قوله «حيث انتهى» اسمًا فهو في موضع المفعول لجاوزت، ومثله ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] ومن مَحْكِيِّ الكلام وفصيحه «هي أحسن الناس حيث نظر ناظر» يعني وَجْهَهَا.

٢ - لَـوْ كَـانَ يُـنْـجِـي مِـنَ الـرَّدَى حَـذَرٌ   نَـجَّـاكَ مِـمَّـا أَصَـابَـكَ الـحَـذَرُ

جواب «لو» قوله نجّاك، والمعنى: إنّكَ لم تُؤتَ من تضجيع وقع منك، فلو كان يُخَلِّصُ من الموت تَوَقٍّ لوقاك ما أخذت به نفسك من الحذر الشديد.

٣ - يَـرْحَـمُـكَ الـلَّـهُ مِـنْ أَخِـي ثِـقَـةٍ   لَـمْ يَـكُ فِـي صَـفْـوِ وُدِّهِ كَـدَرُ

دخل «من» للتبيين: أي من أخٍ يُوثَقُ بِوُدِّهِ.

---

(١) كذلك نسبه ابن خلكان في ترجمة حماد الراوية وذكر أن محمد بن كناسة يرثي حمّادًا الراوية بهذا الشعر، وكذلك نسبه ابن النديم في الفهرست ص ١٣٥؛ وكذلك في الحماسة البصرية ١/ ٢٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

٤ - فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفْـ ـنَى العِلْمُ فِيهِ وَيَدْرُسُ الأَثَرُ

[٣٧٢] وقالت أُمّ قَيْسٍ الضَّبيّة:

١ - مَنْ لِلْخُصُومِ إذَا جَدَّ الضَّجَاجُ بِهِمْ بَعْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَمَنْ لِلضُّمَّرِ القُودِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

جدّ الضَّجَاج أي: صار ضجاجهم جدًّا، يقال: ضَجَّ يَضِجُّ ضَجِيجًا والاسم الضَّجاج، قال العجاج يصف حربًا: [الرجز]

وأغْشَتِ النَّاسَ الضَّجَاجَ الأَضْجَجَا وصَاحَ خَاشِي شَرِّهَا وهَجْهَجَا[١]

و«مَنْ للخصوم»: لفظه استفهام والمعنى التوجُّع والاستفظاع: أي مَنْ يفصلُ بين الخصوم ومَنْ لأصحابِ الضُّمَّر، والضُّمَّر: جمع ضامر، والقُودُ: الطِّوال الأعناق.

٢ - وَمَشْهَدٍ قَدْ كَفَيْتَ الغَائِبِينَ بِهِ في مَجمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودِ

نواصي النَّاس: أشرافهم والمتقدّمون منهم، وهذا كما وصفوا بالذّوائب، يقال: فلان ذُؤَابة قومه، وناصية عشيرته.

٣ - فَرَّجْتَهُ بِلِسَانٍ غَيْرِ مُلْتَبِسٍ عِنْدَ الحِفَاظِ وَقَلْبٍ غَيْرِ مَزْؤُودِ

بلسان: تريد بكلام، وفي القرآن: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾[٢] وتسمّى الرسالة لسانًا، والزُّؤْد الذّعر، زُئِدَ فهو مَزْؤُود.

٤ - إذَا قَنَاةُ امْرِىءٍ أَزْرَى بِهَا خَوَرٌ هَزَّ ابْنُ سَعْدٍ قَنَاةً صُلْبَةَ العُودِ

ذكر القناة مثل للإباء والامتناع، كقول سُحَيم بن وَثيل الرِّيَاحي: [الوافر]

وَإنَّ قَنَاتَنَا مَشِظٌ شَظَاهَا شَدِيدٌ مَدُّهَا عُنُقَ القَرِينِ[٣]

يقال: مَشِظَتْ يدُه تَمْشَظُ مَشَظًا، إذا دخلت في يَدِه شظيّة، والشَّظا من العصا كاللِّيطَةِ منها تدخل في اليد فَتَمْشَظُ منها.

[٣٧٣] وقال النابغة الجعديّ[٤]:

١ - أَلَمْ تَعْلَمِي أنّي رُزِئْتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكِ مِنْهُ اليَوْمَ شَيْءٌ وَلاَ لِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يخاطب صاحبته أُمّ محاربٍ، ومحارب: ابنه، وقوله «ألم تعلمي» ظاهره تقرير، وإنّما هو توجُّعٌ وتلهُّفٌ على ما فاته من المرثي، ثمّ ذكر أنه قد فجع قبله فقال:

---

(١) من أُرجوزة للعجاج في ديوانه ص ١٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.
(٣) البيت عند المرزوقي ص ١٠٦١.
(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٣٣).

٢ ـ وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدْ رُزِئْتُ بِوَحْوَحٍ ... وَكَانَ ابنَ أُمّي وَالخَلِيلَ المُصَافِيَا

وَحْوَحٌ: مأخوذ من قولهم: وحْوَحَ الرَّجلُ، إذا رَدَّدَ صوتًا في صدره مما يشبه جَرْسَ الحاء، وهو نحو النحنحة أو قريب منها، يقال: بات الصّائد وله وَحْوَحَةٌ، وكذلك يقال للمرأة التي تطلقُ: تركتها توحوح بين أيدي القوابل، قال ذو الرّمّة: [الطويل]

وَقَدْ أَسْهَرَتْ ذَا أَسْهُمٍ بَاتَ طَاوِيًا ... لَهُ فَوْقَ زُجَّيْ مِرْفَقَيْهِ وحاوحُ

وقال بعضهم: رجلٌ وَحْوَحٌ ووَحْوَاحٌ: حديد النفس.

٣ ـ فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ ... جَوَادٌ فَمَا يُبْقي مِنَ المَالِ باقِيَا

«فتًى» يجوز أن يكون في موضع النصب على المدح والاختصاص: أي أذكر فتًى هذه صفته، ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو فتًى، وقوله «غير أنه جوادٌ» استثناء منقطع، وكان أبو العباس محمد بن يزيد يسمّي هذا القبيل من المدح الاستثبات، واستشهد بقوله «فتًى كَمَلَت خَيراتُهُ ـ البيت»، وقول النابغة: [الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتائِبِ[1]

وأنشدنا ابن بَرْهَانَ النحويّ لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخَطفَى: [الطويل]

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا، وَالجَزَاءُ بِكَفِّهِ ... بَنِي دَارِمٍ عَنْ كُلِّ جَانٍ وَغَارِمِ
هُمُ حَمَلُوا رَحْلِي وَأَدَّوْا أَمَانَتِي ... إلَيَّ وَرَدُّوا فِيَّ رِيشَ القَوَادِمِ
ولا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ قُدُورَهُمْ ... عَلَى المَالِ أَمْثَالُ السِّنِينَ الحَوَاطِمِ
وأَنَّهُمُ لاَ يُورِثُونَ بَنِيهُمُ ... وإنْ أَوْرَثُوا مَجْدًا كُنُوزَ الدَّرَاهِمِ

٤ ـ فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

[٣٧٤] وقال رجل من بني هلال يرثي ابنَ عَمٍّ له:

١ ـ أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ ... يُرَجِّي بِمَرَّانَ القِرَى ابنُ سَبِيلِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه ص ٤٤؛ والأزهيّة ص ١٨٠؛ وإصلاح المنطق ص ٢٤؛ والكتاب ٢/ ٣٢٦؛ ومعاهد التنصيص ٣/١٠٧؛ وهمع الهوامع ١/٢٣٢؛ وبلا نسبة في فقه اللغة ص ٢٦٧؛ ولسان العرب (قرع وفلل)؛ ومغني اللبيب ص ١١٤.

يقول على وجه الإنكار: أَيُرَجِّي ابنُ سبيل القِرَى بِمَرَّان بعد المدفون بالنَّعْفِ، وهو هٰهنا موضع بعينه، والنَّعْفُ: ما ناعفَكَ من الجبل: أي استقبلك، وقيل: هو ما انحدر عن السفح وغَلُظَ، فكان فيه صعودٌ وهبوطٌ، وجمعه نعاف.

٢ - لَقَدْ كانَ لِلسَّارِينَ أَيَّ مُعَرَّسٍ وقَدْ كانَ لِلْغَادِينَ أَيَّ مَقِيلِ

قوله: «لقد كان» جواب قَسَمٍ محذوف، والتَّعْرِيسُ: النزول عند الصُّبح، والمَقيل: موضع القيلولة.

٣ - بَنِي المُحْصَنَاتِ الغُرِّ مِنْ آلِ مَالِكٍ يُرَبِّينَ أَوْلاَدًا لِخَيْرِ حَلِيلِ

«بني المحصنات» نصب على المدح، والغُرُّ: الحِسانُ، أي: يُرَبِّين أولادًا لبعول شرافٍ كِرام.

[٣٧٥] وَقَالَ كِبْدُ الحَصَاةِ العِجْلِيُّ:

١ - أَلاَ هَلَكَ المُكَسِّرُ يَا لَبَكْرٍ فَأَوْدَى البَاعُ وَالحَسَبُ التَّلِيدُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الباعُ هنا: الكَرَمُ، يقال: باعَ الرَّجُل يَبُوعُ بَوْعًا، إذا مَدَّ بَاعَهُ، وتبوَّعَ، وكذلك تبوَّعَ البعيرُ إذا مَدَّ ضبعيه، وكأنّ المعنى هلك الجود، وإنما استعار الباع للجود لأنَّ العربَ تقول: فلانٌ طويلُ الباعِ، إذا كان جَوَادًا، وذلك أنه يملأ باعه عند العطاء، وجمع الباع بِيعَان، والحَسَبُ: الشَّرَفُ، وأصله من الحساب، لأنَّ الحسيبَ يَعُدُّ لِنفسه مآثر، فتلك المآثرُ حسَبٌ، كما يقال: نفضته نَفْضًا، والمنفوض: نَفَضٌ.

٢ - أَلاَ هَلَكَ المُكَسِّرُ فَاسْتَرَاحَتْ حَوَافِي الخَيْلِ وَالحَيُّ الحَرِيدُ

يصفه بأنه كان يبعد الغزو فلا يُبقي على الخيل وإنْ حَفِيَتْ، وحَيٌّ حريدٌ: أي منفردٌ، وكذلك كوكب حريدٌ، قال جرير: [الكامل]

نَبْنِي عَلَى سَنَنِ الطَّرِيقِ بُيُوتَنَا لا نَسْتَجِيرُ وَلا نَحُلُّ حَرِيدَا(١)

وقال الراجز:

يَغْتَسِفَانِ اللَّيْلَ ذَا السُّدُودِ أَمَّا بِكُلِّ كَوْكَبٍ حَرِيدِ(٢)

وقال آخر: [المتقارب]

حَرِيدَ المَحَلِّ غَوِيًّا غَيُورَا(٣)

(١) تاج العروس (حرد).
(٢) لذي الرّمّة في ديوانه ص ١٥٧؛ واللسان (حرد).
(٣) هذا عجز بيت للأعشى كما في تاج العروس (حرد) وصدره: «إذا نزلَ الحيُّ حَلَّ الجَحِش».=

هذا المرثيّ هو المُكَسِّر بن حَنْظلة، واسمه يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سَيَّار، وهو الذي يقول يَوْم ذي قار: [الرجز]

أَنـا ابْـنُ سَـيَّـارٍ عَـلَـى شكـيـمـه ... مَـنْ فَـرَّ مِـنْـكُـمْ فَـرَّ عَـنْ نَـدِيـمـه
وَجَـارِهِ وَفَـرَّ عَـنْ حَـرِيـمِـه ... إنَّ الـشِّـرَاكَ قُـدَّ مِـنْ أدِيـمِـهِ

وكان طائفة من طيّـىء أغارت على بكر بن وائل، فأخذوا منهم أخائذ، فأغار المكسِّر على طيِّىء، فاكتسح أموالهم وأصاب منهم سَبَايا، فأغار زيد الخيل على بني تَيْم الله بن ثعلبة، وقال: [الطويل]

إذَا عَرَكَتْ عِجْلٌ بِنَا ذَنْبَ غَيْرِنَا ... عَرَكْنَا بِتَيْمِ اللاَّتِ ذَنْبَ بَنِي عجْلِ

وقال أبو هلال: حوافي الخيل التي كان يُحْفيها لِكَثْرةِ غَزْوِهِ عليها، والجيد هنا «حَفِيات الخيل» مخفّفة من حَفِي يَحْفَى فهو حَفٍ، إذا احتكَّ حافره من كثرة السّير، والحافي: خلاف النّاعل، وليس له هنا موضع، لأنَّ خيلَ العرب لم تكن تُنْعَلُ فيقال إنَّ هذا الرجل وحده كان يُحْفي خيلَه لكثرة اشتغاله عن إنعالها أو لغير ذلك من الأسباب، والحريد: المنفرد، لو لم يَقُلِ «الحريد» كان أجود للوصف لأنه لم يغزُ المنفرد من الأحياء إلاّ لعجزه عن مجتمع الناس، ويجوز أن يكون أراد بالحريد البعيد، والمعنى أنه كان يبعد المَغْزَى والمُغَار لقوته وكثرة عدّته.

[٣٧٦] وقال ابن أُهْبَان الفَقْعَسِيّ يرثي أخاه:

أُهْبَان: فُعْلان من الأُهْبَة.

١ ـ عَلَى مِثْلِ هَمَّامٍ تَشُقُّ جُيُوبَهَا ... وَتُعْلِنُ بِالنَّوْحِ النِّسَاءُ الفَوَاقِدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله: «على مِثل هَمّام» يذكر المِثْلَ والمقصود نفسه لا غير؛ صيانةً له ونزاهةً، وعلى ذلك قول القائل: مِثْلُكَ لا يَحْسُن به كذا: أي أنتَ لا يَحْسُنُ بك ذاكَ، والنَّوْح: يُرَادُ به مصدر ناح، وقد يكون في غير هذا المكان النساء النائحات.

٢ ـ فَتَى الحَيِّ إنْ تَلْقَاهُ في الحَيِّ أَوْ يُرَى ... سِوَى الحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرِّجَالَ المَشَاهِدُ

جعل الفتوّة والرّياسة مُسَلَّمَة له في كلِّ حالٍ وعلى كلِّ وجهٍ، ألاَ ترى أنّه قال هو الفتى بين رجال الحيِّ وعند لقائك إياه فيهم، وقوله: «أو يُرَى سوى الحي» أي في مكان آخر وفي قوم آخرين بدلاً من الحيّ؛ لأنك إذا قلت: «عندي رجلٌ سِوَى زيدٍ» فمعناه

= والجحِش: المتنحّي عن الناس.

عندي رجل مكان زيد وبدلاً من زيد، وقوله: «أو ضمّ الرجالَ المَشَاهِدُ» معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل في مجامع الملوك.

٣ - إذا نَازَعَ الـقَـوْمُ الأَحَـادِيـثَ لَـمْ يَـكُـنْ   عَـيِـيًّـا ولاَ رَبًّـا عَـلَـى مَـنْ يُـقَـاعِـدُ

أي: لم يكنْ ثِقلاً على مَنْ يجالسهم.

٤ - طَويـلُ نِجَـادِ السَّـيْفِ يُصْبِحُ بَطْنُهُ   خَمِيصًا، وَجادِيهِ عَلَى الزَّادِ حامِدُ

جاديه: الذي يجتديه، والجادي والمجتدي: الطالب: أي مَنْ يجتديه يحمده.

[٣٧٧] وقال ابن عَمَّار الأَسَديّ يرثي ابنه مَعِينًا:

١ - ظَـلِـلْـتُ بِـخُـسْـرِ سَـابُـورٍ مُـقِـيـمًـا   يُـؤَرِّقُـنـي أَنِـيـنُـكَ يـا مَـعِـيـنُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

خُسْر سابور: بلد من بلاد العجم نُسِبَ إلى خُسْر وَسَابُور، وهما ملكان من الفُرس، ويُصَحَّفُ هذا فيقال: «جسر سابور». وأصلُ الظُّلولِ المُكْثُ في النَّهار، لكنه يتوسّع فيه فيجعل للأوقات كلّها، على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٞ﴾[1] والبشارة لا تختصّ بالنهار دون اللّيل، يصف قيامه على ابنه وسهره لسقمه.

٢ - ونَـامُـوا عَـنْـكَ واسْـتَـيْـقَـظْـتُ حَـتَّـى   دعَـاكَ الـمَـوْتُ وانْـقَـطَـعَ الأَنِـيـنُ

[٣٧٨] وقال طريف بن أبي وَهْب العبسيّ يرثي ابنه:

١ - أَرَابِـعَ مَـهْـلاً بَـعْـضَ هَـذَا وَأَجْـمِـلِـي   فَـفِـي الـيَـأْسِ نَـاهٍ والـعَـزاءُ جَـمِـيـلُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قال الأصمعي: مَهْلاً أصله مَهْ، وهو زَجْرٌ، تُزاد عليه «لا» لِيتَّصِلَ بالكَلِم التامّة، فيقال: مهلاً، وانتصب «بَعْضَ» بإضمار فعل، كأنه قال: رِفْقًا كُفِّي بَعْضَ ما تأتينه، وقد سلكَ هذا الشّاعر طريقة أوْس بن حَجَر في قوله: [المنسرح]

أَيَّـتُـهَـا الـنَّـفْـسُ أَجْـمِـلـي جَـزَعَـا   إنَّ الَّـذِي تَـحْـذَرِيـنَ قَـدْ وَقَـعَـا

وقوله: «أَرابعَ» يريد يا رابعة كُفِّي، وهي أُمّ المَرْثِيّ «ففي اليأس ناهٍ» أي: إذا يَئِسْتِ من شيءٍ انتهيت عنه، ويُرْوَى: «ففي النَّاسِ ناهٍ» أي: مَنْ أُصِيبَ بمثل مصيبتك فصبرَ إذا نظرتِ إليه اقتديتِ به وانتهيتِ عن الجزع.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٨.

٢ ـ فَإِنَّ الَّذِي تَبْكِينَ قَدْ حالَ دُونَهُ تُرابٌ وَزَوْرَاءُ المَقَامِ دَحُولُ

زوراء المقام: هو القبر، وإنّما أُنِّثَ لتأنيث الحفرة، وجعلها زوراء لِلَّحْدِ، ودَحُول: مُقَعَّرَة لا على استواء، والدَّحْل: القعر في الأرض معوَجًّا، وهو كالبئر يضيقُ فُوهُ ثمَّ يَتَّسِعُ بعد ذلك، وقد يجوز أن لا يَتَّسِع، والجمع دُحْلاَن ودِحَال.

٣ ـ نَحَاهُ لِلَحْدٍ زِبْرِقَانٌ وَحَارِثٌ وفي الأَرْضِ لِلأَقْوامِ قَبْلَكِ غُولُ

يقال: لَحَدْتُ القبرَ وأَلحدْتُهُ، وقبرٌ مَلْحُودٌ ومُلْحَدٌ ولاحِدٌ: أي ذو لحدٍ، «وفي الأرض لِلأقوام قبلك غول» أي: هلاك، يقول: لن تُخَصِّي يا رابعة بموت ولدك فإنَّ النَّاسَ قديمًا يموتون.

٤ ـ وَأَيُّ فَتًى وَارَوْهُ ثُمَّتَ أَقْبَلَتْ أَكُفُّهُمُ تَحْثِي مَعًا وَتَهِيلُ

تحثي وتَهِيلُ: كلاهما صَبُّ التراب، إلاّ أن الحثي لا يكون إلاّ مع رفع التراب، والهَيْلُ: الإرسالُ من غير رفعٍ، فكأنَّ مَنْ دَنَا من شفير القبر هَالَ ومَنْ نأى عنه حَثَى، وقوله «معًا» يدلُّ على أنَّ الحثيَ والهَيْلَ كانا في وقت واحد.

٥ ـ وظَلَّتْ بِيَ الأَرْضُ الفَضَاءُ كَأَنَّما تَصَعَّدُ بِي أَرْكانُها وتَجُولُ

الأركان: الأطراف، وقوله في البيت الذي قبله «ثُمَّتَ أقبلت» التاء من «ثُمَّتَ» علامة التأنيث، وهو تأنيث الخصلة، وكما تتّصل هذه العلامة بالاسم نحو امرىء وامرأة، وبالصفة نحو قائم وقائمة، تَتّصل بالفعل، إلاّ أنّها تبدل في الاسم منها الهاء في الوقف وينتقل الإعراب عن آخر الاسم إليها، وفي الفعل يسكن إلاّ أن يلاقيه ساكنٌ آخر، وتكون تاء في الوصل والوقف جميعًا، ويقلّ دخوله في الحرف، وإذا دخل حرِّك بالفتح نحو رُبَّتَ وثَمَّتَ وتبقى تاء في كلِّ حال.

٦ ـ وَشَدَّ إِلَيَّ الطَّرْفَ مَنْ كانَ طَرْفُهُ بِعَهْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهْوَ كَلِيلُ

يعني نظر إليَّ بالجفاء مَنْ كان ينظر إِلَيَّ في حياة ابني بِاللِّين، وقوله «وهو كليلُ» أراد مَنْ كان طَرْفُهُ كليلاً، وزاد «وهو» في خبر كان لحاجته فصار المعنى معنى الحال، كأنه قال: مَنْ كان طَرْفُهُ هذه حاله.

٧ ـ لَئِنْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَّى مكانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبابِ بَدِيلُ

«خَلَّى مكانه» يعني مات، وقوله «على حين شيبي» قال أبو هلال: لا يجوز إلاّ الخفض في «حين» لأنَّ الذي أضفت إليه «حين» مُعْرَبٌ، فإنْ أضفته إلى الفعل جازَ الفتحُ والكسرُ: أمّا الكسرُ فلأنه مجرور وهو اسم مُنْصَرِف، وأمّا الفتح فلإضافتك إيّاه إلى شيءٍ غير مُعْرَب فبنيته على الفتح لأنَّ المضاف والمضاف إليه شيء واحد فبنيته لذلك.

٨ ـ لَقَدْ بَقِيَتْ مِنِّي قَنَاةٌ صَلِيبَةٌ وإنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ

«قناة صليبة» يعني نفسه، ونَهْكَةٌ: تَغَيُّرٌ، وذُبولٌ: جفوف لزوال بهجة الشباب.

٩ ـ وَمَا حَالَةٌ إلاَّ سَتُصْرَفُ حَالُهَا إلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَزُولُ

أي: كُلُّ شيء آخره إلى تغيّرٍ وزوال.

[٣٧٩] وقال العُتْبيّ[١]:

١ ـ وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مُشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عادَ فِي شَطْرِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قال المرزوقي: كان رواية الناس بُرْهَة «وقاسمني دَهْرِي بَنِيَّ بِشَطْرِه» مضافًا «فلمّا تَقَضَّى شَطْرُه» بالضّاد وارتفاع الشّطر به، فجاء شيخٌ لنا فرواه «بشَطْرَةٍ فلمّا تقصّى شَطْرَهُ» وكان يقول: هذه ضالّة أنا وجدتُها، وهو ما حكاه أبو زيد من قولهم: بنو فلان شَطْرَةٌ، إذا كان ذكورهم بِعَدَدِ إناثهم، يريد ناصفني، ومعنى تَقَصَّى شَطْرِي بلغ أقصاه واستوفاه؛ والذي أختاره أن يُرْوَى «بشطره» على الإضافة، ومن الظاهر أن «تَقَصَّى» أحسن من «تَقَضَّى» في اللّفظ وأبلغ في المعنى، ومعنى «بِشَطره» كأن الدَّهْرَ ادَّعَى أنه قسيمه في بنيه وأنَّ له منهم الشَّطر، وهو النّصف، فقاسَمه على ذلك، فلمّا استوفى حَظَّهُ أقبلَ يأخذ من نصيبه الذي كان أقرَّ له به وساهمه عليه، قال: وإنّما اخترتُ بشطره على شطرةٍ لأنَّ شطرةً لم تُستعمَلْ في الأنصباء؛ والسَّهم والشّطر في النصف معروف مُستعمَل، ومنه «شاة شَطُورٌ» إذا يَبِسَ أَحَدُ ضَرْعَيْها، وكذلك قولهم: حَلَبَ الدَّهْرُ أَشْطُرَهُ؛ إذا جَرَّب الأمورَ.

٢ ـ ألاَ لَيتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي سَبَقْتُكَ إذْ كُنَّا إلى غَايَةٍ نَجْرِي

٣ ـ وكُنْتُ بِهِ أُكْنَى فأصْبَحْتُ كُلَّما كُنِيتُ بِهِ فَاضَتْ دُمُوعِي على نَحْرِي

٤ ـ وقَدْ كُنْتُ ذَا نَابٍ وظُفْرٍ عَلَى العِدَى فأَصْبَحْتُ لاَ يَخْشَوْنَ نَابي ولاَ ظُفْرِي

ذكر النَّاب والظّفر مثل ضربه لسلاحه وآلاته التي كان يدفع بها الخصوم ويقهر الأعداءَ باستعمالها، وقوله «لا يخشون نابي ولا ظفري» يريد: لا نابَ لي بعدهم ولا ظفرَ فَيُخْشَى، فهو مثل قوله: [الرجز]

وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ[٢]

---

(١) العتبيّ: هو محمد بن عبيد الله من آل عتبة بن أبي سفيان، أديب أخباري من أهل البصرة، له شعر جيّد وتصانيف حِسان (ت ٢٢٨ هـ/ ٨٤٢ م). ترجمته في: (الفهرست لابن النديم ١/ ١٢١؛ ووفيات الأعيان ١/ ٥٢٢؛ والمعارف ص ٢٣٤).

(٢) البيت لابن أحمر في الخزانة ٤: ٢٧٣، وصدره: «لا تفزع الأرنب أهوالها».

[٣٨٠] وقالت امرأة ترثي أباها:

١ ـ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِي عَلِيًّا وَجَدْتُنِي ... أُرَاعُ كَمَا رَاعَ العَجُولَ مُهِيبُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

العَجُولُ: التي قد ذهب وَلَدُها، يقال: ناقةٌ عَجُولٌ، إذا أُصِيبَ وَلَدُها بموتٍ أو ذبحٍ، قال وَرْقَاء بن زهير: [الطويل]

دَعَانِي زُهَيْر تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدٍ ... فَجِئْتُ إِلَيْهِ كَالعَجُولِ أُبَادِرُ

والمُهِيب: من قولهم: أَهَابَ الراعي بإبله، إذا دعاها، ثم صارت كلّ دعوة إهابةً، قال الشاعر: [الطويل]

أَقُولُ وَنَحْنُ القَوْمَ نُكْرِمُ ضَيْفَنَا ... أَهِبْ يا ابْنَ غَلاَّقٍ إِلَيْكَ وَشَائِعُ

تقول: العَجُول تفزع من كل شيء فإذا صُوِّت بها فزعت أن يُذْهَبَ بهَا كما ذهب بولدها؛ تصف جزعها عند ذكر أبيها وسماعها اسمه، ثم فضلت أباها على كل مَن يتسمّى باسمه فقالت «وكم من سَمِيٍّ الخ».

٢ ـ وَكَمْ مِنْ سَمِيٍّ لَيْسَ مِثْلَ سَمِيِّهِ ... وإِنْ كَانَ يُدْعَى بِاسْمِهِ فَيُجِيبُ

[٣٨١] وقال رجل من كَلْب:

١ ـ لَحَا اللَّهُ دَهْرًا شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ ... وَوَجْدًا بِصَيْفِيٍّ أَتَى بَعْدَ مَعْبَدِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«لحا الله» دعاء على الدّهر الّذي وصفه، ومعنى «شَرّه قبل خيره» أي ما كان يُخْشَى من شرّه في الأحبّةِ سبقَ ما كان يُرْتَجَى من خيرِه بهم، ثم دعا على وجدٍ تعجّلَ له بصيفيّ بعد وَجْدٍ كان تقدّمَ له في معبد.

٢ ـ بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ ... فَما جَزَعِي أَمْ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلُّدِي

يجوز أن يكون المراد بالبقية خيار إخوانه، كما يقال: فلانٌ من بقيّةِ النَّاسِ، ويجوز أن يكون المراد أنه كان في إخوانه وفور ففقد منهم عِدّة وجعل يأنسُ ببقيتهم فأتى الدَّهْرُ عليهم أيضًا، وقوله «فما جَزَعي» كأنه لا يعتدُّ بالجزع الواقع من أجلهم جَزَعًا لِقصوره عن الواجب.

٣ ـ فَلَوْ أَنَّها إِحْدَى يَدَيَّ رُزِئْتُها ... وَلَكِنْ يَدِي بَانَتْ عَلَى إِثْرِهَا يَدِي

حذف خبر «لو» لأن المعنى مفهوم، كما قال الراجز:

لَوْ قَدْ حَدَاهُنَّ أَبُو الجُودِيّ ... بِرَجَزٍ مُسْحَنْفِرِ الرَّوِيّ

مُـسْـتَـوِيَـاتٍ كَـنَـوَى الـبَـرْنـيِّ[1]

وحذف مثل هذه الأشياء كثير في القرآن والشعر، والمعنى: لو أنَّها إحدى يَدَيَّ رُزِئْتُها لَتعزَّيتُ بسلامة الأخرى، أو نحو ذلك.

٤ ـ فـآلَـيـتُ لاَ آسَـى عَـلَـى إثْـرِ هَـالِـكٍ قَدِي الآنَ مِنْ وَجْدٍ على هَالِكٍ قَدِي

أي: خوفي كان فيهم، وإذ قد أُصِبْتُ بهم فإنّي لا أجزعُ بفائتٍ، فحسبي الآن من وجدٍ على هالكٍ، ويجوز أن تتبع «قد» بياء، ويجوز أن يُكْسَر آخر «قد» كما يُكْسَر أواخر الموقوفات والمجزومات إذا احْتِيجَ إلى حركتها، كما قال عنترة: [الكامل]

فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ لاَ أَبَا لَكِ وَاعْلَمِي أَنِّي ٱمْرُؤٌ سَأَمُوتُ إنْ لَمْ أُقْتَلِ[2]

والقوافي مجرورة، وقال النابغة: [الكامل]

أَزِفَ الـتَّـرَحُّـلُ غَـيْـرَ أنَّ رِكَـابَـنَـا لَـمَّـا تَـزُلْ بِـرِحَـالِـهَـا وكَـأَنْ قَـدِ[3]

والأجود إذا أُضيفت «قد» إلى الياء أن يقال: قَدْنِي، فتُزاد النون ليسلم سكون الدال، كما قالوا: عَنِّي ومِنِّي، فشَدَّدوا النون رغبةً في بقاء السكون، وقال زيد الخيل: [الوافر]

وَلَـوْلاَ قَـوْلُـهُ يَـا زَيْـدُ قَـدْنِـي إذًا قَـامَـتْ نُـوَيْـرَةُ بِـالـمَـآلِـي

ويقولون: «قَدِي» في الضّرورة، وعلى ذلك أنشد سيبويه قول الراجز:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي لَيْسَ الإمَامُ بالشَّحِيحِ المُلْحِدِ

والأجود أن تكون الياء في القافية لِلإطلاق، ولا يمتنع أن يكون أراد «قدني» فحذف النون، ويُرْوَى:

فـآلَـيْـتُ آسَـى بَـعْـدَهُـمْ إثْـرَ هَـالِكٍ

وينتصب «إثْرَ هَالِكٍ» على الظَّرف.

[٣٨٢] وقال أعرابي:

١ ـ لَـحَـا الـلَّـهُ دَهْـرًا شَـرُّهُ قَـبْـلَ خَـيْـرِهِ تَـقَـاضَـى فَـلَـمْ يُـحْـسِـنْ إلَـيْـنَـا الـتَّـقَـاضِـيَـا

---

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (جود، وجوذ، وبذل، وروي)؛ وخزانة الأدب ٧/ ٤٠؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٦٤٨؛ والمقتضب ٢/ ٨١؛ وتاج العروس (جود، وجوذ).

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٥٢؛ وفي اللسان (أبي، وقنا)؛ وتاج العروس (قنا)؛ وكتاب العين ٥/ ٢١٧؛ وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٩/ ٣١٤؛ ومقاييس اللغة ٥/ ٢٩.

(٣) البيت في ديوانه ص ٨٩؛ والأزهيّة ص ٢١١؛ والجنى الداني ص ١٤٦؛ والدّرر اللوامع ٢/ ٢٠٢؛ وشرح التصريح ١/ ٣٦؛ وشرح شواهد المغني ص ٤٩٠؛ وشرح المفصّل ٨/ ١٤٨؛ ولسان العرب (قدد)؛ والمقاصد النحوية ١/ ٨٠ وغيرها.

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«لَحَا الله دهرًا» شتم: أي قَشَرَهُ اللَّهُ، وقيل في قوله «شَرّه قبل خيره»: إنه أراد في الحكم لا في الوقت، يعني أن شَرَّهُ أكثر من خيره، وكلّما كانَ أكثر كان أقدم، وقوله «تَقاضَى» إشارة إلى اجتماع النَّاسِ على أن لا خلودَ فكأنَّ الأرواحَ دَيْنٌ لِلدّهرِ، وقال «لم يحسن التقاضي» لأنه أخذه قبل الوقت عنده.

٢ - فَتًى كانَ لاَ يَطْوِي عَلَى البُخْلِ نَفْسَهُ إذَا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ فِي السِّرِّ خالِيَا

قوله «إذا ائتمرتْ نفساه» الإنسان لا تكون له نفسان، ولكنه يقال للمفكّر في الشَّيء: هو يؤامرُ نَفْسَيه، وذلك أنه إذا تَأَمَّلَ في أمر يريده ربّما عَنَّ له وَجْهٌ يحثُّه عليه، ثم عَنَّ له وجهٌ آخر يزجره عنه، فيُنْزِلون ذلك منزلة نفسين له، و«خاليًا» نصب على الحال من الضمير في «ائتمرت» والائتمار: التَّشَاوُر هنا، فأمّا في قوله: [المتقارب]

وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ مَا يَأْتَمِرْ[١]

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمّه، فيقول: إذا ائتمرَ المرءُ لِغَيره ما ليسَ برشاد فإنه يعدو عليه فيهلكه، وهذا كما قِيلَ: مَنْ حَفَرَ مُغَوَّاةً وقعَ فيها[٢].

[٣٨٣] وقال الأُبَيْرِدُ اليَرْبُوعِيّ[٣]:

هو تصغير أبرد، والأبرد في الكلام على أربعة أضرب[٤]: يقال: سَحَاب بَرِدٌ وأَبْرَدُ، إذا كان فيه البَرَدُ قال: [الطويل]

كَأَنَّهُمُ المَعْزَاءُ فِي وَقْعِ أَبْرَدَا[٥]

والثور الأَبْرَد: الذي فيه لُمَعُ سواد وبياض، لغة يمانية، والأبرد: أحد أبردي النهار: أي طَرَفَيْهِ قال: [الوافر]

---

(١) هذا عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥٤؛ وخزانة الأدب ١/ ٣٧٤؛ ولسان العرب (أمر، وخمر، ونفس)، والمقاصد النحويّة ١/ ٩٥؛ وللنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٤؛ ولسان العرب (أمر)؛ وبلا نسبة في شرح الأشموني ١/ ١٢؛ والمقتضب ٤/ ٢٣٤؛ وهمع الهوامع ٢/ ١٤٣؛ وأساس البلاغة أمر. وصدره: «أَحَارِ بنَ عَمْرٍو كأني خَمِرٌ».

(٢) المُغَوَّاة: حفرة تُحتَفَر للأسد. والمثل في لسان العرب (غوي).

(٣) الأُبَيْرِد بن المُعَذّر بن عبد قيس الرياحي اليربوعي، من تميم: شاعر فصيح بدويّ، لم يكن مَدّاحًا، وكان هَجّاءً، جيّد الرّثاء (ت ٦٨هـ؛ ٦٨٨م). ترجمته في: (الأغاني طبعة الساسي ١٢/ ٩؛ والمؤتلف والمختلف ص ٢٤؛ وسمط اللآلي ص ٤٩٤).

(٤) لم يذكر الوجه الرابع، والأبرد: النمر، وهو اسم لا وصفَ له.

(٥) البيت في لسان العرب (برد) وقال: «شَبَّهم في اختلاف أصواتهم بوقع البَرَدِ على المَعْزاء، وهي حجارة صلبة».

إذَا الأرْطَى تَوَسَّدَ أبْرَدَيْهِ   خُدُودُ جَوَازِئٍ بالرَّمْلِ عِينِ[1]

فالأُبَيْرِدُ إذًا تحقيرُ أحدِ الأبردين الأوّلين، وهو الأبيرد بن المُعَذَّر بن قيس بن عَتَّاب بن هَرَميّ بن رِياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، شاعر مُقِلّ، يرثي بُرَيْدًا، وبريد: أخوه.

١ - وَلَمَّا نَعَى النَّاعِي بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ   بِيَ الأَرْضُ فَرْطَ الحُزْنِ وانْقَطَعَ الظَّهْرُ

الأول من الطويل؛ والقافية متواتر.

تَغَوَّلَتْ: أي دارت وتلوَّنَتْ في عيني، واشتقاقه من الغُول، وعندهم أن الغول تَتَلوَّنُ لِناظِرِها ألوانًا، ويقال: غَوَّلتهم الغول وتَغَوَّلتهم؛ وانتصب فرْطَ على أنه مفعول له، والكلام تَشَكٍّ من غِيَرِ الدَّهر وتأثير المصيبة فيه.

٢ - عَسَاكِرُ تَغْشَى النَّفْسَ حَتَّى كأَنَّني   أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الخَمْرُ

العساكر: جمع عسكرة، وهي الشّدّة قال: [الرمل]

ظَلَّ في عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا[2]

أي: غَشِيَتْني الشَّدائدُ حتّى صِرْتُ كأنّني سكران دارت الخمر بِهَامتي.

٣ - فَتَى إنْ هُوَ اسْتَغْنَى تَخَرَّقَ في الغِنَى   وإنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الفَقْرُ

تَخَرَّقَ في الغنى: أي تَكَرَّم في غِناه وتَوَسَّعَ، وهو تَفَعَّل من الخِرْق الكريم من الرجال الذي يَتَخَرَّقُ بالمعروف، وقوله: «وإنْ قَلَّ مالٌ» أي: وإنْ قَلَّ ماله؛ ومعنى «لم يَضَعْ متنَهُ الفَقرُ» أي: لم يُورِثْهُ إقلالُه تَخَضُّعًا، وإنْ رَوَيْتَ «وإن قلَّ مالاً» بالنصب جاز، ويكون فاعل «قلَّ» ما استكنَّ فيه من ضمير الفتى، وانتصب «مالاً» على التمييز، كقوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[3].

٤ - وَسَامَى جَسِيماتِ الأُمُورِ فَنَالَهَا   عَلَى العُسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ العُسْرَ اليُسْرُ

٥ - فَتَى لاَ يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ   إذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَوْ تُنْحَرَ الجُزْرُ

يريد: إذا نزلَ الأضياف به لا يعدّ اللَّبن قاضيًا ذِمَامَ قِرَاهم به، ولا كافيًا فيما يجبُ عليه لهم، حتى ينحرَ جُزُرَهُ، و«أو» بدل من إلاَّ، وانتصب الفعل بإضمار أنْ.

---

(١) البيت في لسان العرب (برد) و(جزأ) وقد نسبه للشماخ بن ضِرار. والجوازىء: الوحش لتَجَزُّئِها بالرُّطْب عن الماء. والأرطى: شجر يُدْبَغ به، وتوسّدَ أبرديه: أي اتّخَذَ الأرطى فيهما كالوسادة، والأبردان: الظلّ والفيء.

(٢) هذا صدر بيت لطرفة في ديوانه ص ٦٥؛ واللسان (عسكر) وعجزه: «ونأتْ شَحْطَ مَزارِ المُذَّكِرْ».

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

٦ ـ أَحَقًّا عِبَادَ اللّـه أَنْ لَسْتُ لاَقِيًا   بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لألأَ العُفْرُ

العُفْرُ: الظِّباءُ التي تعلو بياضَها حُمْرَة، ولألأَ الظَّبْيُ: حَرَّكَ ذَنَبَهُ ومنه «تلألأَ البرقُ» إذا تحرّكَ، ولمّا استعملوا ذلك في البرق وكان مع إضاءة اشتقّوا منه اسم اللّؤلؤ.

[٣٨٤] وقال سَلمة الجُعْفِيّ يرثي أخاهُ لأُمِّهِ:

السَّلْمة: واحدة السَّلَم، وهو شجر، وأمّا السَّلِمَة فالصخرة، وجمعها سِلاَم، وحكى النَّضر فيها السَّلام بفتح السين، وهو يريد السِّلام بِكَسرها، فأمّا الجُعْفيّ فمنسوبٌ إلى حَيٍّ من القَيْنِ يقال له جُعْفي بلفظ النسب أيضًا، فإذا نسبت إلى جُعْفي حذفت ياء النسب منه وألحقته ياءين مُسْتَحْدَثَتين، وهو اسم مُرْتَجَل عَلَمًا، وتوهم بعضهم أن اسم الحيّ جُعْف، وأنكره عليه ثعلب، ونظير جُعفي اسم هذا الحيّ في أنه بُدِئَ وفيه ياء الإضافة قولهم كُرْسِيٌّ، وله نظائر، وقال أبو العلاء: جعفيّ حَيّ من مذحج، ويقولون في الجمع: هذه جعف؛ فيحذفون الياء، شبّهوه بزَنْجِيّ وزنج ورُوميٌّ وروم، قال الشاعر: [السريع]

جُعْفٌ بِنَجْرَانَ تَجُرُّ القَنَا   لَيْسَتْ كَمَا الجُعْفِيُّ بِالمَشْرَعِ

واشتقاق جعفي من قولهم: جَعَفَه، إذا صَرَعَه، وجَعَف الشجرة إذا قلعها من أصلها، وفي الحديث «المؤمن كَخَامَةِ الزرع تُميلها الريح مرةً هٰهُنَا ومرة هٰهنا، والكافر كالأَرْزة المجذية على وجه الأرض حتى يكون انجعافها مرة».

١ ـ أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الخَلاَءِ أَلُومُهَا   لَكِ الوَيْلُ مَا هٰذَا التَّجَلُّدُ والصَّبْرُ

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «ألومها» في موضع الحال، و«لك الويل» في موضع المفعول لأقول، و«ما هذا التجلّد» استفهام على طريق التقريع والتوبيخ، وارتفع التجلّد على أنه عطف البيان.

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ لَسْتُ مَا عِشْتُ لاَقِيًا   أخي إذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصالِهِ القَبْرُ

«ألم تَعلمي» تقرير فيما هو واجب؛ لأنَّ حرف الاستفهام قد ضَامَّهُ حرف النفي، والاستفهام غير واجب، فهو كالنفي، ونفي النفي إيجاب، وقوله «أنْ لَسْتُ» أن: مُخفّفة من الثقيلة، واسمه يجوز أن يكون ضمير الرجل، أراد أني لست، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشّأن، و«ما عِشْتُ» في موضع الظرف، و«لاقيًا» خبر ليس، و«إذ أتى» ظرف له، والأوصال: جمع وصل، وهو اسم الأعضاء المتّصل بعضها ببعض، يقال: وِصْل ووَصْل، بالكسر والفتح.

٣ ـ وَكُنْتُ أَرَى كَالمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ   فَكَيْفَ بِبَيْنٍ كانَ مِيعَادَهُ الحَشْرُ

قوله «كالموت» الكاف وحده اسم، وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسمًا في غير الضرورة، وأنشد: [البسيط]

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالفُتُلُ[1]

ويجعل الكاف في موضع فاعل «ينهى»؛ وسيبويه لا يرى ذلك إلاّ في الضَّرورة، كأنه قال: أرى مثل الموت، ولا يمتنع أن يكون «كالموت» صفة لموصوف، كأنه قال: وكنت أرى شيئًا أو أمرًا مثل الموت، وقوله «من بين ليلة» مِنْ: دخل للتبيين، والمعنى: كنتُ أَعُدُّ مفارقتي له في ليلة كالموت، أو أُقاسي مثل الموت من أجل مفارقة ليلة منه، فكيف يكون حالي وقد فَرَّقَ بيني وبينه الموتُ؟! ولكَ أن تجعل «من بين» في موضع المفعول لأرى، وتجعل «مِنْ» زائدة على طريقة الأخفش في جواز دخوله زيادة في الواجب، فيكون التقدير كنتُ أرى بَيْنَ ليلةٍ: أي فراقَ ليلة، كالموت، فيكون «كالموت» في موضع المفعول الثاني، وقوله «كان ميعاده» وضع الماضي موضع المستقبل: أي يكون ميعاده، والهاء ترجع إلى البيت.

٤ ـ وَهَوَّنَ وَجْدِي أَنَّنِي سَوْفَ أَغْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نُفِّسَ العُمْرُ

موضع «أنني» رفع لأنه فاعل هَوَّن، والمعنى خفّف وجدي وقَلَقي أني ذاهبٌ في إثره وإن نُفِّس في أجلي: أي أُطيل.

٥ ـ فَتًى كانَ يُعْطِي السَّيْفَ في الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعي وَتَشْقَى بِهِ الجُزْرُ

«ثَوَّبَ الداعي»: أي دعا؛ وأصل التثويب أن يكون الرجل في مَفَازة لا يهتدي بها فَيُلَوِّحُ بثوبه، فربّما رآه إنسانٌ فيهديه وينجّيه، ثم استعمل في غيره، وقال أبو العلاء: أصل بناء «ثَوَّبَ» من ثابَ يثوبُ إذا رجع، ثم قالوا «ثَوَّبَ الداعي» إذا جاء بدعاء بعد دعاء، وقيل: أصل التثويب التلويح بالثوب، ولا يكون ذلك إلاّ مع استغاثة وصوت، ثم سُمِّيَ الدّعاء تثويبًا، والثواب من الله سبحانه إنّما قيلَ له ثواب لأنه شيء يَثُوبُ لِلمحسن: أي يرجعُ، وكذلك العطيّة التي يقال لها الثواب.

٦ ـ فَتًى كانَ يُدنِيهِ الغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الفَقْرُ

يعني أنه كان يعدّ التفرّد بِالغنى لؤمًا، وكان يشركُ أصدقاءَه فيه، كما يعدّ في حال الإضاقة والفقر ملابسة الأصدقاء كالتعرّضِ لخيرهم فيبعد عنهم.

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه ص ١١٣؛ والأشباه والنظائر ٧/ ٢٧٩؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٨٣؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٢٣٤؛ وشرح المفصّل ٨/ ٤٣؛ ولسان العرب (دنا) وغيرها.

[٣٨٥] وقالت عَمْرَةُ الخَثْعَمِيَّةُ ترثي ابنيها:

١ ـ لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزِعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ: وَابِأَبَاهُمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الزعم: يستعمل كثيرًا فيما لا حقيقة له، لذلك قالت فيما حكت عن القوم «زعموا»؛ كأنها لمّا استشرفَ الناسُ جَزَعَها أظهرت الإنكار والتكذيب فيما توهّموه، فقالت «وهل جَزَعٌ أن قلت وابأباهما» ولفظة «وا» تَأَلُّمٌ وَتَشَكٍّ، وهي حرف الندبة، و«بأباهما» أرادت بأبي هما، ففرَّت من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت أَلِفًا، على ذلك قولهم: بَادَاة، ونَاصَاة، في بادية وناصية، وارتفع «جزع» على أنه خبر مُقَدَّم، و«أنْ قُلْت» في موضع المبتدأ، تقديره هل جَزَعٌ قولي وابأباهما، وارتفع هما من بأباهما على المبتدأ، وما قبله خبره مقدّم عليه، يعني بأبا، هذا على طريقة سيبويه، وعلى مذهب الأخفش يرتفع بالظرف، وروى بعضهم «بأنا هما» أي: أفديهما بنفسي، و«أنا» هو ضمير المرفوع، وقد وقع موقع المجرور، كقولهم: هُوَ كَأنا، وأنا كَهُوَ.

٢ ـ هُمَا أَخَوَا في الحَرْبِ مَنْ لا أَخَا لَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةً فَدَعَاهُمَا

أَلَمَّتْ فيه بقوله: [الوافر]

إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مِجَنَّ جَانِ[١]

أي: كانا ينصران مَنْ لا ناصرَ له من القوم إذا خَشِيَ نَبْوة مِنْ نَبَواتِ الدّهر يومًا فاستغاثَ بهما، وقولها «أخوا في القوم مَن لا أخا له»[٢] فصل فيه بين المضاف إليه والمضاف بالظرف، فلذلك حذف النون من أخوان، فهو كقوله: [البسيط]

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا أَوَاخِرِ المَيْسِ أَصْوَاتُ الفَرَارِيجِ[٣]

ففصل بقوله «من إيغالهنَّ بنا»؛ وقولها «مَنْ لا أخا له» نَوَتِ الإضافة، ثم أدخلت اللاّم تأكيدًا للإضافة التي قَصَدَتْها، لذلك أثبتت الألف في «أخا له» لأن هذه الألف لا تثبتُ إلاّ في الإضافة، إذ كان في الإفراد يقال أَخٌ، وخبر «لا» محذوف، كأنها قالت: لا أخاه موجود في الدّنيا، ولو قالت «لا أَخَ له» لكان «له» خبرًا لـ «لا»، على هذا قولك: لا

(١) هذا عجز بيت لسوار بن المضرّب السعدي، وقد ورد في الحماسية رقم (١٩)، وصدره: «وأني لا أزالُ أخا حروبٍ».

(٢) في الرواية الأصلية «هما أخوا في الحرب» ولعلّ التي ذكرها هنا وردت في رواية أخرى.

(٣) البيت لذي الرّمّة في ديوانه ص ٩٩٦؛ والإنصاف ص ٤٣٣؛ والخصائص ٢/ ٤٠٤؛ وسرّ صناعة الإعراب ص ١٠؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٩٢؛ ولسان العرب (نقص) وغيرها.

أبَ لكَ، ولا أبَا لكَ، وإنّما قلت أدخلت اللاّم لتوكيد الإضافة التي قصدتها لأن الإضافة غير معتدّ بها فلا تعرف الأخ واللاّم تبطُل الإضافة في الأصل، وهذه اللاّم لا تدخل إلاّ في بابين: باب النفي، وهو ما نحن فيه، وباب النداء في مثل قولك «يا بؤس للحرب»(١) لأنَّ المراد يا بؤس الحرب.

٣ ـ هُمَا يَلْبَسانِ المَجْدَ أحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحَانِ مَا اسْطَاعَا عَلَيْهِ كِلاَهُمَا

انتصب «أحْسَنَ لبسة» على أنه مصدر، وارتفع «شحيحان» على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ «كلاهما»، و«ما اسْطاعا» في موضع الظرف، واسم الزمان محذوف معه، واسطاع: منقوص عن استطاع، وتقدير الكلام: كلاهما شحيحان به ما استطاعا عليه: أي ما قدرا عليه، ومعنى «يلبسان المجد» يتمتعان به، قال: [الطويل]

لَبِسْتُ أبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عُمْرَهُ وَبَلَّيْتُ أعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا(٢)

٤ ـ شِهَابَانِ مِنَّا أُوقِدَا ثُمَّ أُخْمِدَا وَكَانَ سَنًى لِلْمُدْلِجِينَ سَنَاهُمَا

ارتفع «شهابان» على أنه مبتدأ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفًا بِمنًا، و«أوقدا» في موضع الخبر، والمراد أنهما لم يمهلا للتمام والكمال، وقولها و«كان سَنًى للمدلجين سناهما» تريد نارهما الموقدة للضيفان، ولا يمتنع أن يرتفع «شهابان» على أنه خبر مبتدأ محذوف: أي هما شهابان.

٥ ـ إذَا نَزَلاَ الأرْضَ المَخُوفَ بِهَا الرَّدَى يُخَفِّضُ مِنْ جَأْشَيهِمَا مُنْصُلاَهُمَا

قولها «يخفِّضُ من جأشيهما منصلاهما» كقوله: [الطويل]

وَلَمْ يَرْضَ إلاَّ قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا(٣)

٦ ـ إذا اسْتَغْنَيا حُبَّ الجَمِيعُ إلَيْهِما وَلَمْ يَنْأَ مِنْ نَفْعِ الصَّدِيقِ غِنَاهُمَا

تقول: إذا نالا الغِنى حُبِّبَ جماعة الحيّ إليهما؛ فازدادا توفّرًا عليهم، وتفقّدًا لهم، ولم يبعد غناهما من انتفاع الغرباء والأجانب، ومَنْ يتسبّب إليهما بِودٍّ وصداقة، فقولها «حُبَّ الجميعُ إليهما» مقصور على النسب، وآخر البيت مصروفٌ إلى الصّديق والغريب، وساغ أن يُراد بالجميع الحيّ كلّهم لاجتماعهم حوله، والجميع والجمع: المجتمعون،

---

(١) قطعة من بيت لسعد بن مالك بن ضبيعة في الحماسية رقم (١٦٨) وهو بتمامه:
يَا بُؤسَ لِلْحَرْبِ الَّتي وَضَعَتْ أراهِطَ فاسْتَراحُوا
(٢) البيت عند المرزوقي بلا نسبة.
(٣) هذا عجز بيت لسعد بن ناشب أحد بني مازن وقد ورد في الحماسية رقم (١٠)، وصدره: «ولم يَسْتَشِرْ في رأيِهِ غيرَ نفسِهِ».

وَالجُمَّاعُ: المتفرّقون، قال: [السريع]

مِـنْ بَـيْـنِ جَـمْـعٍ غَـيْـرِ جُـمَّاعِ(١)

٧ ـ **إذا افْـتـقَـرَا لَـمْ يَـجثِـمـا خَـشْـيَـةَ الـرَّدَى وَلَـمْ يَـخْـشَ رُزْأً مِـنْـهُـمـا مَـوْلَـيَـاهُـمَـا**

تقول: إذا مَسَّهُما الفَقْرُ لم يلزما بيوتهما تاركين للغزو خوفًا من الهلاك، ولم يَخْشَ رُزْأً: أي لا يستحملان مولَيَيْهِما عِبئًا من فقرهما، ولم يضعا أنفسهما في موضع الحاجة إليهما، وهذا كقول الآخر: [المتقارب]

أَبُـو مَـالِـكٍ قَـاصِـرٌ فَـقْـرَهُ عَـلَـى نَـفْـسِـهِ وَمُـشِـيـعٌ غِـنَـاهُ(٢)

وقولها «لم يَجثما» من جَثَمَ الطّائر، وهم يسمّون مَنْ رَضِيَ بفقره وصار لبيته: الضّاجعَ وَالضِّجْعِيَّ لأنَّ الضَّجعةَ خَفْضُ العَيْشِ، وإلى هذا المعنى أشار القائل: [الوافر]

أُولَـئِـكَ مَـعْـشَـرٌ كَـبَـنَـاتِ نَـعْـشٍ ضَـوَاجِـعُ لاَ تَـسِـيـرُ مَـعَ الـنُّـجُـومِ(٣)

ويُرْوَى «رواكد»؛ وانتصب «خَشْيَةَ الرَّدى» على أنه مفعول له، قال المرزوقي: قولها «مولياهما» ليس يراد به التثنية، بل المراد الكَثْرة، وعلى ذلك قولهم: لَبَّيْك وسَعْدَيْكَ.

٨ ـ **لَـقَـدْ سَـاءَنِـي أنْ عَـنَّـسَـتْ زَوْجَـتَـاهُـمَـا وَأَنْ عُـرِّيَـتْ بَـعْـدَ الـوَجَـى فَـرَسَـاهُـمـا**

يقال: عَنَسَتِ المرأة، وَعَنَّسَتْ، إذا قعدت بعد بلوغ النكاح لا تُنْكح؛ ويستعمل في الرّجل أيضًا، قال: [الطويل]

وَحَـتَّـى أَنْـتَ أَشْـمَـطُ عَـانِـسُ

كأنّهما تَزَوّجا امرأتين ولم يُحَوِّلاهما، فلما اتّفق لهما ما اتّفق بقيتا على حالتهما.

٩ ـ **وَلَـنْ يَـلْـبَـثَ الـعَـرْشَـانِ يُـسْـتَـلُّ مِـنْـهُـمَـا خِـيَـارُ الأَوَاسِـي أنْ يَـمِـيـلَ غَـمَـاهُـمَـا**

جعلت لكلِّ واحد عرشًا به كان يثبت ويقوم، فتقول: العرش إنما بقاؤه بِعُمُدِهِ، فإذا انتزعَ خياره منه فلن يلبثَ أن يميلَ سقفُه فيسقطَ، وهذا مَثَلٌ ضربته لِعِزٍّ مَنْ يتعلق

(١) هذا عجز بيت لأبي قيس بن الأسلت السلميّ في ديوانه ص ٨٠؛ ولسان العرب (جمع، وعمم)، وتهذيب اللّغة ١/٣٩٩؛ وجمهرة اللغة ص ٤٨٤؛ ومجمل اللغة ١/٤٥٩؛ وأساس البلاغة (جمع)؛ وتاج العروس (جمع، وعمم).

(٢) البيت للمتنخّل الهذليّ في ديوان الهذليين ٢/٣٠.

(٣) البيت في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ص ٣٧٢؛ واللسان (ضجع) باختلاف بسيط:

أولاك قـبـائـل كـبـنـات نـعـشٍ ضـواجـعُ لا يـغـرنَ مـع الـنـجـوم

بهما، والأواسي: جمع آسية، وهي الأسطوانة، وَالغِماء بكسر الغين والمدّ: سقف البيت، والغَمَى ـ بالفتح والقصر ـ لغة.

وممّا أملاه أبو العلاء في هذه القطعة: قولهم «وابأباهما» من الشّاذّ؛ لأنهم يقلبون ياء الإضافة ألفًا في النداء إذا قالوا: يا غُلَامَا، وليس ذلك بأعلى اللغات، وقد حُكِيَ أنَّ بعضَ العرب إنما يفعل ذلك في غير النداء، فلمّا كَثُرَ قولهم «بأبي» وكانوا يجيئون قبله بالحرف الذي ينكب به في بعض الأحيان، أو يكون من حروف النداء قلبوا الياء ألفًا تشبيهًا بقولهم «يا غلاما» وجعلوا الباء التي للخفض بمنزلة ما هو من الاسم فلذلك قال الراجز:

يَـابِـأَبـا أَنْـتَ وَيَـا فَـوْقَ الـبِـأَبْ

وأنشد الفرّاء: [الرجز]

قـالَ الـجَـوَارِي قَـدْ ذَهَـبْـتَ مَـذْهَـبَـا ... وَعِـبْـنَـنِـي وَلَـمْ أَكُـنْ مُـعَـيَّـبَـا

مَـا كُـنْـت إلاَّ ذَاهِـبًـا لِـتَـلْـعَـبَـا ... أَرَيْـتَ إنْ أُعْـطِـيت هَـيْـدًا هَـيْـدَبَـا

أَلْيَنَ في الظَّلْمَاءِ مِنْ مَسّ الصَّبَا ... أَذَاكَ أَمْ نُـعْـطِـيكَ نَـهْـدًا كَـعْـثَـبَـا

فَـقُـلْـتُ: لاَ، بَـل ذَاكُـمَـا يَـابِـأَبَـا ... أَجْـدَرُ أَنْ لاَ تَـأْثَـمَـا وَتَـحْـرَبَـا

اختلفوا في هَيْدًا وهَيْدَبًا فقيل: أراد بالهيد والهيدب شعر المرأة، وقيل: أراد عجيزتها، والأشبه أن يكون أراد الفرس: أي إنَّ ركوبي فرسًا أَحَبُّ إليَّ من معاشرتكنّ، وقوله «فوق البِأَبْ» من قولك بأبي، فبنوا من الكلمتين كلمة واحدة، وقول القائل «وا» و«يا» في هذا الموضع واقع على المحذوف، كما كان في قولك: يا خُذِ الدّرهم: أي يا فلان خذ الدّرهم، وهما في البيت الذي للمرأة في موضع رفع، كما يقال للرجل: يابأبي أنت، والمعنى أنتَ بأبي مُفَدًّى، كما يقال: فلانٌ بفلانٍ، إذا قُتِلَ به أو كان له نظيرًا في غير القتل، وقد استشهد النحويون في قولها «هما أخوا» على الفصل بين المضاف والمضاف إليه عند الضرورة، وإنما يفصلون بما هو فضلة من الكلام: كحرف الخفض وما عمل فيه، أو كالمصدر، أو الظرف، قال الشاعر: [الوافر]

أَزَبُّ كَـأَنَّـهُ أَسَـدٌ هَـصُـورٌ ... مُـعَـاوِدُ جَـرْأَةَ رَفـتِ الـهَـوَادِي

أراد معاود رفت الهوادي جرأةً، فأما قول الفرزدق: [المنسرح]

يَـا مَـنْ رَأَى عَـارِضًـا أَرِقْـتُ لَـهُ ... بَـيْـنَ ذِرَاعَـيْ وَجَـبْـهَـةِ الأَسَـدِ(1)

---

(1) البيت في ديوانه ص ٢١٥ (طبعة الصاوي)؛ وخزانة الأدب ٢/ ٣١٩؛ وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٩٩؛ وشرح المفصّل ٣/ ٢١؛ والكتاب ١/ ١٨٠؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٤٥١؛ والمقتضب=

ففيه وجهان: أحدهما أنه أراد بين ذراعي الأسد وجبهة الأسد، فحذف الاسم الأول لدلالة الآخر عليه، وهذا أجود الوجهين، والآخر أن يكون أراد بين ذراعي الأسد وجبهته، فالأسد في هذا الوجه مخفوض بإضافة الذراعين إليه، وفي الوجه الآخر خفض بإضافة الجبهة إليه، فالوجه المختار فيه ضرورة واحدة، وهي طرح الاسم لمجيء البيان، والوجه المستضعف يلزمه ضرورتان، وهما الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وحذف ما أُضيفت إليه جبهة.

وقال أبو رياش: الذي عندي أن هذه الأبيات لِدَرْماءَ بنت سَيَّار بن عَبْعَبَةَ الجَحْدَرِيَّةِ ترثي أخويها وأوّلهنّ: [الطويل]

أبى النَّاسُ إلاَّ أنْ يَقُولُوا هُمَا هُمَا وَلَوْ أنَّنَا اسْطَعْنَا لَكَانَ سِوَاهُمَا

بُنَيَّا عَجُوزٍ حَرَّمَ الدَّهْرُ أَهْلَهَا فَلَيْسَ لَهَا إلاَّ الإلهَ سِوَاهُمَا

وقال أبو العلاء: دَرْماء مأخوذ من قولهم: هي دَرْماء الكعبين والمِرفَقين: أي لا يَبِينُ لعظامها حجمٌ، وقد قالوا للأرنب دَرْماء وإنما يريدون تقارب خطوها، والدرماء أيضًا: ضرب من النبت، وقولهم في الاسم: عَبْعبة مَن رواه بالعين فهو من قولهم: شَبابٌ عَبْعَب: أي ممتلىء تام، قال الراجز:

وَقَدْ أرَانِي بِالدِّيَارِ مُعْجَبَا إذْ أنَا فَيْنَانُ أُنَاغِي الكُعَّبَا

وَإذْ يَرَيْنَنَّ عَلَيَّ المُذْهَبَا مِنَ الجَمَالِ وَالشَّبَابِ العَبْعَبَا

ويقال لكساء غليظ الغزل رديء النسج: العبعب. قال الراجز:

تَجَرُّدَ المَجْنُونِ جَرَّ العَبْعَبَا

وَمَن روى غبغبة فالغبغب زعموا مثل الغَبَب، وكان لهم حجر عند الأصنام يذبحون عليه يسمّونه العبعب والغبغب بالعين والغين، وعلى ذلك ينشد البيت المنسوب إلى أبي خراش: [الطويل]

لَقَدْ أُنْكِحَتْ أَسْمَاءُ رَأْسَ بُقَيْرَةٍ مِنَ الأُدْمِ أَهْدَاهَا امْرُؤ مِنْ بَنِي غَنْمِ

رَأى قَدَعًا في عَيْنِهَا إذْ يَسُوقُهَا إلَى عَبْعَبِ العُزَّى فَأَسْرَعَ في القَسْمِ

القدع: البياض.

[٣٨٦] وقال آخر:

١ ـ صَلَّى الإلهُ على صَفِيَّيْ مُدْرِكٍ يَوْمَ الحِسَابِ وَمَجْمَعِ الأشْهَادِ

= ٤/٢٢٩؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/١٠٠؛ والخصائص ٢/٤٠٧؛ وسرّ صناعة الإعراب ص ٢٩٧ وغيرها.

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

يُرْوَى «مجمعِ الأشهاد» بالجرّ «ومجمعَ الأشهاد» بالنصب، ويكون ظرف مكان ومعطوفًا على «يَوْمَ الحساب» وإذا جررت عطفت على الحساب، ويكون مجمع في معنى جَمْع، والصّلاة من الله الرحمة: أي رحم الله مدركًا في هذا الوقت.

٢ ـ نِعْمَ الفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبْصَبَ آخِرُ الأَزْوَادِ

«نِعْمَ الفتى» الممدوح محذوف، كأنه قال: نِعْمَ الفتى مدركٌ في المرافقة والمجاورة وعند نفاد الزَّاد، وتصبصب: أي صار إلى الصُّبَابة، وهي البقية اليسيرة، والأصل تَصَبَّبَ، واكتفى «زعم» بالفاعل في اللفظ لأن مفعوليه دلّ الكلام عليهما.

٣ ـ وَإِذَا الرِّكَابُ تَرَوَّحَتْ ثُمَّ اغْتَدَتْ حَتَّى المَقِيلِ فَلَمْ تَعُجْ لِحِيَادِ

أي: ونِعْمَ الفتى هو إذا وصلت الركاب السَّيرَ بِالسُّرى فلم تعطف لانحراف وازورار، ومعنى تروَّحَتْ راحت، والرّواح بالعشي، وقوله «اغتدت حتى المقيل» أي: سارت غدوًّا إلى وقت المقيل: أي القيلولة، والحياد: الإعراض عن السير للنزول، والفعل منه حَادَ، يقال: ما لكَ عن كذا مَحِيدٌ وحَيَدانٌ وحِيَادٌ، وقيل: فلم تعجْ لحياد أيّ شيء يُمال إليه في المرعى، ويُروَى «لجياد» يعني لوقوف الخيل وسقوطها لأن الإبل أصبر وأحمل لِلكَدّ من الخيل.

٤ ـ حَثُّوا الرِّكَابَ تَؤُمُّها أَنْضَاؤُهَا فَزَهَا الرِّكَابَ مُغَنِّيَانِ وَحَادِي

حَثُّوا الركاب: أي أجَدُّوا سَيْرَهَا، تؤمّها أنضاؤها: أي تتبعها مهازيلها، ويُروَى تؤدها، فَزَهَا الرِّكَاب: أي استخفّها وحملها على السَّير السّريع، مُغَنِّيان: من الغِناء، وحادٍ: يحدوها، وقوله «تؤمها أنضاؤها» في موضع الحال من الرِّكاب.

٥ ـ لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحِسُّوا مُدْرِكًا وَضَعُوا أَنَامِلَهُمْ عَلَى الأَكْبَادِ

أي: لمّا رأى أهل الحيّ أن مدركًا لم يقفل معهم وَجِعَتْ أكبادُهم جَزَعًا فوضعوا أيديهم عليها خوفَ التّقطّع، فإن قِيلَ: لِمَ جاز «لمّا رأوهم» والفاعلون هم المفعولون، وأنت لا تقول «ضَرَبْتُنِي» ولا «ضَرَبْتَكَ» بل تأتي بدل الضمير المنصوب بالنفس، تقول: ضربتُ نفسي، وضربْتَ نفسَك، قلت: إن أفعال الشّكّ واليقين جُوِّزَ ذلك فيها، تقول: حَسِبْتُني، ورَأَيْتَكَ، وعلمتُني، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر.

٦ ـ فَكَأَنَّمَا طَارَتْ بِلُبِّي بَعْدَهُ صَفْرَاءُ عَارَضَهَا رَعِيلُ جَرَادِ

إنَّما خَصَّ الصَّفراءَ من الجراد لِخِفَّتِها في الطَّيران، وهو ذكر الجراد، وإنما تثقل الأنثى لما فيها من السرء، وهو بيضها، يقال: سَرَأَتْ تَسْرَأُ سَرْأً، إذا نثرته، وأسرأَتْ تُسْرِىءُ قبل أن تنثره، فإذا دنا نثره رزز الجراد وغرَّزَ.

[٣٨٧] وقال الشَّمَّاخ(١) يرثي عمر بن الخطاب:

وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرِّدٍ أخيه، وقال أبو محمد الأعرابي: هو لجزء بن ضِرَار أخيه.

١ - جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يريد بالأديم الممزَّق جِلْدَ عُمر لمَّا طعنَه أبو لؤلؤة فَتَى المغيرة بن شُعْبة، وأصل البركة النَّماء والثبات، ومنه بَرْك البعير، وبَرَاكاء القتال: حيث يبركون: أي يَجْثُون على ركبهم.

٢ - فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ

أي: مَنْ يُكَلِّفُ لحاقَكَ كان مسبوقًا، وضرب جناحي نعامة مثلاً، لأنه يُضرَب به المثل في خفّة العَدْو فيقولون: أعْدَى مِنَ الظَّليم.

٣ - قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِجَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ

أي: قضيتَ في أيامك أمورًا ثم تركت بعد الأمور التي قضيتها بوائج: أي دواهي، واحدتها بائجة، في أكمامها: أي غلفها، لم تُفَتَّقْ: لم تظهرْ، يعني أن ما بَقِيَ من أمر السّياسة مِمّا لم تفرغْ منه دَوَاءٍ رأيت الوجه فيها تركها مُغَطَّاة، وقيل: إنَّ معنى بوائج ضغائن في قلوب رجال كأبي سفيان وأهل بيته، لم تفتّقْ: لم يُظهِروها لأنهم لم يجسروا على إظهارها.

٤ - أَبَعْدَ قَتِيلٍ بِالمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الأَرْضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بِأَسْوُقِ

ويُروَى «أصبحت له الأرض» يعني أنه كان مالكًا للأرض كلّها، ومَنْ رَوى «أظلمت له الأرض» فالجملة صفة للقتيل، وقوله «أبعد قتيل» لفظه استفهام ومعناه التفظيع والإنكار، وحرف الاستفهام يطلب الفعل، فكأنه قال: أفتهتزّ العضاه على أَسْوُقها بعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض، ومثله: [الطويل]

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ ما لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ(٢)

---

(١) الشّمّاخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة، وكان أرجز الناس على البديهة واسمه معقل والشمّاخ لقبه (ت ٢٢ هـ/ ٦٤٣ م). ترجمته في: (الإصابة تر ٣٩١٣؛ والأغاني ٨/ ٩٧، وخزانة البغدادي ١/ ٥٢٦).

(٢) البيت لليلى بنت طريف كما في حماسة ابن الشجري ص ٨٩؛ وحماسة البحتري ص ٤٣٥؛ وقيل إنَّ الشعر للفارعة بنت طريف والمرثيّ هو الوليد بن طريف الشاري.

٥ ـ تَظَلُّ الحَصَانُ البِكْرُ يُلْقِي جَنِينَهَا نَثَا خَبَرٍ فَوْقَ المَطِيِّ مُعَلَّقِ

الحَصَان: العفيفة، وقد أحصنَتْ وحَصُنَتْ، والبِكر: التي حملت أوّلَ حملها؛ فهي بِكرٌ، والوالد بكر، والولد بكر، والنَّثَا: يستعمل في الخير والشر، يقال: نَثَوْتُ الكلام أنثوه نَثْوًا؛ إذا أظهرته، فيقول: ترى الحاملَ يسقطُ حملها ما ينثي من خبر سار به الركبان، وهم يضربون المَثَل في الشدّة بإلقاء الولد، قال الشاعر: [الطويل]

نَحنُ صَبَحْنا أَهْلَ نَجْرَانَ غَارَةً تُبِيلُ الحَبالَى مِنْ مَخَافَتِنَا دَمَا

وقال آخر: [المتقارب]

وَدَاهِيَةٍ جَرَّهَا جَارِمٌ تُبِيلُ الحَوَاصِنَ أحْبَالَها

و«نثا خبر» يجوز أن يكون مرفوعًا على أنه فاعل، ومنصوبًا على أنه مفعول له، وإذا كان منصوبًا يُرْوَى «تلقي» بالتاء، و«معلّق» نعت للخبر، جعله معلقًا مجازًا لأنَّ الرّاكب أخبر بقتله.

٦ ـ وَمَا كُنْتُ أخْشَى أنْ تَكُونَ وفَاتُهُ بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

السَّبَنْتَى: الجريء، وأكثر ما يوصف به النّمر، يقال: سَبَنْتَى وسَبَنْدَى وَسَبَنْتَاة وَسَبَنْدَاة، للجريء المقدّم، وأزرق العين: أبو لؤلؤة، وقيل: كان عبدًا روميًا، وقيل: كان أصبهانيًا فتكَ بِعُمَرَ في الصلاة، ومُطْرِق: مسترخي الجفن، وقوله «وما كنت أخشى» يقول: إنّي وإنْ لم آمَنِ الحدثان عليه لم يخطرْ ببالي أن يكون في جلالته يقدم عليه مثل هذا العبد، وقيل في المطرِق: إنه الغليظ الجفن الثقيله.

[٣٨٨] وقال صَخْر بنُ عمرو بن الحارث بن الشَّرِيد[١] أخو الخَنْساء:

١ ـ وقَالُوا ألاَ تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمٍ وَمَا لِي وَإِهْدَاءَ الخَنا ثُمَّ مَا لِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يرثي بهذه الأبيات أخاه معاوية، وكان قتله دُرَيْد وهاشم ابنا حَرْمَلَة المُرِّيّان فقيل لصخر: اهْجُهُمْ، فقال: ما بيننا وبينهم أَقْذَعُ من الهجاء، ولم أمسكْ عن هجائهم إلاَّ صونًا لِنفسي عن الخنا، ثم إنه غزاهم فقتل أحدهما، وقال هذه الأبيات:

٢ ـ أَبَى الهَجْوَ أَنّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وأَنْ لَيْسَ إهْداءُ الخَنَا مِنْ شِمَالِيَا

---

(١) صخر بن عَمْرو الرياحي السُّلَميّ: من بني سُلَيْم بن منصور، من قيس عيلان، جُرِحَ في غزوة له على بني أسد بن خزيمة، ومرض قريبًا من الحول، وله في ذلك أبيات أوّلها:

أرى أم صخرٍ لا تملُّ عيادتي ومَلّتْ سُليمى مضجعي ومكاني

وسليمى زوجته. (ت نحو ١٠ ق.هـ/ ٦١٣ م). ترجمته في: (النويري ١٥/٣٦٦؛ وجمهرة الأنساب ص ٢٤٩).

الخنا: الفُحْش من الكلام، وقد أخنى الرَّجُلُ، إذا أتى بالخنا، وانتصب «إهداء الخنا» في البيت الذي قبله لأنه أراد ما لي ولإهداء الخنا، فلما حذف الجار نصبه، وقيل: بل انتصبَ بفعل مُضْمَر، وتكريره «ما لي» دلالة على استقباحه لِمَا دُعِيَ إليه، فكأنه قال: ما لي أُلابِسُ الخَنَا وأتكلّفه، و«الكريمة» أُخرج إخراج المصادر، وعلى ذلك ما رُوِيَ عن النبيّ ﷺ «إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه» ويجوز أن تكون الهاء للمبالغة، وقوله «وأن ليس» أنْ: مخففة من الثقيلة، واسمها مضمر، والجملة التي بعدها في موضع الخبر، وموضع «أن» رفع بكونه معطوفًا على «أني قد أصابوا» وأني: فاعل «أبي الهجو» وشمال عند النحويين يجوز أن يقع على الواحد وعلى الجمع؛ لأنهم يجعلون فِعَالاً أخًا لِفَعيل فيجمعونه مثل جَمْعه، ومن هذا النحو عندهم دِلَاص إذا أُريد به الدرع، يقال: دِرْعٌ دِلَاصٌ ودُرُوع دِلَاصٌ، وكذلك رجل هجان وقوم هجان، وكان سعيد بن مسعدة يقول في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1] إنه جمع إمام، ولا يمتنع مثل ذلك.

٣ - إذَا ما امْرُؤٌ أَهْدَى لِمَيْتٍ تَحِيَّةً ... فَحَيَّاكَ رَبُّ النَّاسِ عَنِّي مُعاوِيا

التحية من الله: الإكرام والإحسان.

٤ - لَنِعْمَ الفَتَى أَدَّى ابْنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ ... إذَا رَاحَ فَحْلُ الشَّوْلِ أحْدَبَ عارِيا

المحمود في هذا البيت محذوف، كأنه قال: لَنِعْمَ الفتى الذي هذا صفته، وبَزُّهُ: سلاحه وسلبه، وقوله «إذا راح» ظرف لِمَا دَلَّ عليه «نِعْمَ الفتى» والشَّوْل: النوق القليلة الألبان، وفحلها أصبح عاريًا يعني من اللَّحم لهزاله، «وابن صِرْمَة» يجوز أن يكون قاتل معاوية، ويحتمل أن يكون المُعين على قتله.

٥ - إذَا ذُكِرَ الإخْوَانُ رَقْرَقْتُ عَبْرَةً ... وحَيَّيْتُ رَمْسًا عِنْدَ لِيَّةَ ثاوِيا

٦ - وطَيَّبَ نَفْسِي أنَّنِي لَمْ أقُلْ لَهُ ... كَذَبْتَ ولَمْ أبْخَلْ عَلَيْهِ بِمالِيَا

٧ - وَذِي إخْوَةٍ قَطَّعَتْ أقْرانُ بَيْنِهِمْ ... كما تَرَكُونِي واحِدًا لا أَخَا لِيَا

انتصب «واحدًا» على الحال من «تركوني»، و«لا أخا ليا» صفة كأنه قال: تركوني فريدًا وحيدًا، وقوله «أقران بينهم» أي: وَصْل بينهم، وأصل الأقران الحبال، الواحد قَرَن، يقول: قُطِّعت الأسباب الجامعة بينهم بقتلهم، وجعل «بَيْنَ» اسمًا، وفي القرآن: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

[٣٨٩] وقالت أخت المُقَصَّصِ الباهلية:

المقصَّص: يكون اسم المفعول من قُصِّص فهو مُقَصَّصٌ من قَصَّصْتُ من القَصَّة، وهو الجصّ، وجاء في الحديث «بيضاء مثل القَصَّة»، قال أبو العلاء: المقَصَّص يحتمل أن يكون من «قَصَصْتُ الأثَر» إذا تتبّعته، أو من «قَصَصْت الحديث» إذا حَدّثت به، و«فرس مُقَصَّص» له قصّة، وهي الناصية، وقصُّ الطائر معروف، ولا يمتنع أن يكون مشتقًّا من القَصّ الذي هو الصدر، فيقال «مُقَصَّص» أي عظيم الصَّدر، قال رؤبة: [الرجز]

قُلْتُ لِعَبْدِ اللّهِ مِنْ تَودُدِي قَدْ كُنْتُ باللّهِ العَظِيمِ الأَمْجَدِ
أُذنيكَ مِنْ قَصِّي وَلَمَّا تَقْعُدِ

وقالوا في المثل: «هو ألزم لك من شعرات قَصِّكَ»، ويجوز أن يكون المقصّص مأخوذًا من القصيص، وهو نبت يُسْتَدَلُّ به على الكمأة.

١ ـ يا طُولَ يَوْمِي بالْقَلِيبِ فَلَمْ تَكَدْ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تُتَّقَى بِحِجَابِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

القليب: اسم موضع بعينه، و«لم تكد شمسُ الظّهيرة» يعني لطوله، يريد يوم هلاكه.

٢ ـ ومُرَجِّم عَنكَ الظُّنُونَ رَأَيْتَهُ وَرَآكَ قَبْلَ تَأَمُّلِ المُرْتَابِ

أي: رُبَّ مُرَجِّم: أي رجل رَجَّمَ عنكَ الظّنون: أي بلغه خبر غزوك فظنَّ أنك بالبعدِ منه فأَغَرْتَ عليه قبل أن يتأمّلَ ما شكَّ فيه من أمرك، يصف سرعة وُرُوده على مَنْ يظنّ أنه بالبُعْد منه ويشير إلى أنه كان إذا هَمَّ لم يَرْدَعْهُ شيء من الوصول إلى مراده.

٣ ـ فَأَفَأْتَ أُدْمًا كالهِضَابِ وَجَامِلاً قَدْ عُدْنَ مِثْلَ عَلائِفِ المِقْضَابِ

أفأت: من الفيء الغنيمة، لا الرّجوع، والجامل: موحَّدُ اللَّفظ مَصُوغٌ للجمع، يُرَادُ به الإبل، لكنه مشتق من لفظ الجَمَل، كالباقر من البقر، والعلائف: جمع عَلُوفة، وهي ما يُسَمَّنُ في البيوت، والمقضاب: المزرعة التي تُنبت القَضْبَ، وهو القتّ، فأرادت أنهم من الخصب في روضة مُسْتَكَّة كاستكاكِ نبات القضب، وقيل: المقضاب شبه مِنْجَل، تريد كأنها علائف سُمِّنَت للنَّحر، والمقضاب أيضًا: الرجل الكثير القطع، والقَضَّابُ: الذي صناعته ذلك، فإذا رُوِيَ «القَضَّاب» فمعناه مثل علائف الذي ينحرهنّ كثيرًا، ومَنْ روى «المقصَاب» بالصّاد نسبه إلى القَصَب، ويحتمل أن يكون المقصاب الموضع الكثير القصب، كما أن المعشاب الموضع الكثير العشب.

٤ ـ لَكُمُ المُقَصَّصُ لاَ لَنَا إنْ أَنْتُمُ لَمْ يَأْتِكُمْ قَوْمٌ ذَوُو أَحْسَابِ

أي: هو رجل منكم إن لم نطلب نحن بدمه.

٥ - فَكِهَةٌ إلى جَنْبِ الخِوَانِ إذَا غَدَتْ نَكْبَاءُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الأَطْنابِ

الفَكِهُ: الحَسَنُ الخلق الضّحوكُ، ونكباء: ريح عادلة عن مَهَبِّ الرياح المعروفة، و«إلى» من قولها «إلى جنب الخِوان» تعلّق بفعل مُضْمَرٍ دَلَّ عليه «فَكِهُ»، كأنه مع قرب الخوان يَفْكَهُ، وأطناب البيوت: حبالها، ومنه إطنابة الحزم والقسيّ، والجمع الأطانِيب، قال: [البسيط]

يَرْكُضْنَ قَدْ قَلِقَتْ عَقْدَ الأَطَانِيبِ(١)

٦ - وأبُو اليَتَامَى يَنْبُتُونَ بِبَابِهِ نَبْتَ الفِرَاخِ بِكَالِىءٍ مِعْشَابِ

«ينبتون ببابه» يجتمعون عنده، وعَنَتْ بالفراخ فراخَ الزرع والكلأ، وقيل: الفراخ دود يكون في العشب.

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنَّ المُقَصَّص أخا بَني الصَّموت من عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خرج في أيام فتنة ابن الزبير يُصَدِّقُ مَنْ مَرَّ به من الناس، حتى أتى بني قُنْفُذ من بني سُلَيْم بناحية هضب القليب، فصدَّقهم، ثم بعث إلى هلال أخي بني سِمَال بن عوف أن ٱبْعَثْ إليَّ بابنتك، فقال هلال: إن كان تزويجًا فليأْتِنا فإنه كُفُؤٌ، قال: إنّما أردتُ أن تمشط رؤوسنا وتحدث معنا، فضرب هلال الرسول، فركب المُقَصَّص في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحيّ، فثاروا إليه، وكان في الذين ثاروا إليه مع هلال فَتيَان من بني قُنْفُذ يقال لأحدهما المستوضح وللآخر الحسن بن الأسود، فناوشوه قليلاً، ثم إنَّ المُقَصَّص حمل على هلال، فخاف هلال أن يطعنه وليس معه سلاح فوجد أُثْفِيَّة مُرْتَزَّة في الرماد فاقتلعها ورماه بها فركب رَدْعه ومات، وانهزم أصحابه، ومَرّوا على جعدة بن عبد الله أخي بني غيظ بن مالك فقتلوه، فقال هلال: [الرجز]

أَعْدَدْتُ لِلْهَيْجَا وَيَوْمِ المَشْهَدِ وَلِلأَحَادِيثِ الَّتِي بَعْدَ الغَدِ

مُسْتَوْضِحًا وَالحَسَنَ بن الأَسْوَدِ

فركب أولياء المُقَصَّص حين هدأَتِ الفتنة إلى الحجّاج، فذكروا أمر صاحبهم وأمر الغيظي، فأهدر دم المُقَصَّص وأقادهم بالغيظي، فقالت أُخت المقصّص هذه الأبيات، واسمها مَيْسُون.

---

(١) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل في ملحق ديوانه ص ٢٣٣؛ ولسان العرب (طنب)؛ وتهذيب اللغة ١٣/٣٦٨؛ وتاج العروس (طنب)؛ وللنابغة الذبياني في ديوانه ص ٥٠؛ وأساس البلاغة (طنب)؛ وجمهرة اللغة ص ٣٦١. وصدره: «فهنَّ مستنبطاتٌ بطنَ ذي أُرُلٍ».

[٣٩٠] **وقالت عَمْرَةُ بنت مِرْداس ترثي أخاها:**

١ ـ أعَيْنَيَّ لَمْ أَخْتِلْكُما بِخِيانَةٍ أَبَى الدَّهْرُ والأَيَّامُ أنْ أَتَصَبَّرا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: لم أَخْدَعْكُما ولم أَخُنكُما: أي لا أقول لكما لا تبكيا وقد فعلتما ذلك، ثم بيَّن عذرها عند عينيها فقال «أَبَى الدَّهْرُ والأيام أن أتصبّرا»: أي لا صبر لي على الأيام فلهذا أستمدّ من دموعكما.

٢ ـ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أنْ أَكُونَ كَأَنَّنِي بَعِيرٌ إذَا يُنْعَى أُخَيَّ تَحَسَّرا

تحسَّرَ البعيرُ: إذا سقطَ كَلالاً، ولك أن تروي «أُخَيِّي» وهو الأصل، و«أُخَيَّ» فتحذف الياء استثقالاً لاجتماع الياءات وتبنيه على الفتح لأنه أخفّ الحركات، ورواه بعضهم «أَخِيَّ» بكسر الخاء يضيف الأخ إلى الياء على لغة مَنْ قال أخوك، ثم يجيءُ بها مع الإضافة إلى الياء فتنقلب كما انقلبت في قولك: هؤلاء بَنِيّ وعِشْرِيّ، ويكون كقول الراجز:

كَانَ أَبِيَّ كَرَمًا وَسُودَا يُلْقِي عَلَى ذِي اللِّبَدِ الحَدِيدَا

ومعنى قولها «وما كنتُ أخشى» أي: كنت قبل هذه الرَّزِيَّة واثقًا بصبري ومسكتي إلى أن نُعِيَ أخي فصرتُ كأنني بعير ألحّ عليه فتحسر.

٣ ـ تَرَى الخَصْمَ زُورًا عَنْ أُخَيَّ مَهَابَةً وَلَيْسَ الجَلِيسُ عَنْ أُخَيَّ بِأَزْوَرا

زُورًا: أي مُزْوَرِّين، ونصب «مهابة» لأنه مفعول له، تعني: ترى الخصوم مُزْوَرِّينَ عن أخي لهيبته.

[٣٩١] **وقالت رَيْطة بنت عاصم:**

الرَّيْطَة: المُلاءَة، وتكسيرها رياط، قال الهذليّ: [الوافر]

فَحُورٍ قَدْ لَهَوْتُ بِهِنَّ عِينٍ نَوَاعِمَ في المُرُوطِ وَفي الرِّيَاطِ[١]

وقالوا في جمعه: رَيْط، قال عبد بني الحسحاس: [الطويل]

كَأَنَّ عَلَى أَعْلاَهُ رَيْطًا يَمَانِيا

وهذا غريب في معناه لأن الأسماء التي بين آحادها وجموعها التاء إنما هي أسماء الأجناس المخلوقات لا المصنوعات، وذلك نحو شعيرة وشعير، وبقرة وبقر، ولا يقال في سِلْسِلة سِلْسِل، ولا في مِغْرَفَة مغرف، غير أنه قد جاء من هذا النحو أسماء صالحة،

(١) البيت في تاج العروس (ريط) وقد نسبه للمتنخّل.

نحو قَلَنْسُوة وقَلَنْس، وسَفينة وسفين، ودواة ودَوًى، وثأية وثأى، وراية وراي، وغاية وغاي، وعمامة وعمام، ويجوز أن يكون «عمام» ليس من هذا لكنه تكسير عمامة؛ فيكون ألف عمامة كألف رسالة، وألف عمام كألف شِرَاف وظراف؛ وإذا جاز ذلك فيما لا تأنيث فيه كدلاص وهِجَان كان فيما فيه تأنيث أمثل لأجل ذلك القدر بينهما من خلاف اللفظ.

١ - وَقَفْتُ فأبْكتْني بِدَارِ عَشِيرَتِي ... عَلَى رُزْئِهِنَّ البَاكِيَاتُ الحَوَاسِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الباكيات الحواسر: النساء يبكينَ وقد كشفنَ عن أوجههنّ، ويُرْوَى «الباليات» تعني بها مواضع الخيام.

٢ - غَدَوْا كَسُيُوفِ الهِنْدِ وُرَّادَ حَوْمَةٍ ... مِنَ المَوْتِ أعْيا وِرْدَهُنَّ المَصَادِرُ

وراد: جمع وارد، والحومة: موضع القتال، لأن الأقران يحومون حولها، وقولها «أعيا وردهنَّ المصادر» أي: لم يصدروا عنها، وقالت «حومة» فوحّدت، ثم قالت «وردهنَّ» فجاءت بالجمع لأنها دَلَّت بالواحد على ذلك، ولأن الواحد يشيع في الجنس، فيقال: إذا لقيت رجلاً فأكرِمْهُ، لا يرادُ رجلٌ بعينه، ونحو من هذا في الخروج إلى الجمع من الواحد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[1] ويجوز أن يجعل الهاء والنون في «وِردَهُنّ» للسيوف لما شبّه بهنّ هؤلاء المرثيّون.

٣ - فَوَارِسُ حَامَوْا عَنْ حَرِيمِي وَحَافَظُوا ... بِدَارِ المَنَايَا والقَنَا مُتَشَاجِرُ

الحريم: الموضع الذي تلزمهم حمايته، ومتشاجر: متداخل، والواو في قوله «والقنا متشاجر» واو الحال.

٤ - وَلَوْ أَنَّ سَلْمَى نَالَهَا مِثْلُ رُزْئِنَا ... لَهُدَّتْ وَلَكِنْ تَحْمِلُ الرُّزْءَ عَامِرُ

سلمى: أحد جَبَلَيْ طَيّىء، وهُدَّت: كُسِرَت، وعامر: قبيلتها، وهي تصبر لأنها أشدّ من الجبل.

[٣٩٢] وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل[2]:

١ - آلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ عَيْنِي حَزِينَةً ... عَلَيْكَ وَلاَ يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٢) عاتِكة بنت زيد: القرشيّة العدوية: شاعرة صحابية حسناء، من المهاجرات إلى المدينة (ت نحو ٤٠ هـ/ ٦٦٠ م). ترجمتها في: (الاستيعاب والإصابة كتاب النساء تر (٦٩٥)؛ وخزانة البغدادي ٤/ ٣٥١).

٢ ـ فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَهُ فَتًى أَكَرَّ وَأَحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأَصْبَرَا

«فلِلّهِ عينًا» تعجب، وهم في تعظيم الشَّيء ينسبونه إلى الله عزّ وجلّ وإن كانت الأشياء كلّها له وفي ملكته، وقولها «أَكَرَّ» أي: أكثر كَرًّا و«أحمى» يجوز أن يكون من الحماية، ويجوز أن يكون من الحميّة، والمعنى لله عينًا رجل رأى فتى مثله أَكَرَّ منه وأحمى، فقولها «مَنْ» نكرة، تريد رجلاً أو إنسانًا، و«رأى مثله» صفة لمن، والهِيَاج: يجوز أن يكون مصدر هاج، ويجوز أن يكون جمع هَيْج والمراد به الحرب.

٣ ـ إذا أُشْرِعَتْ فِيهِ الأَسِنَّةُ خَاضَهَا إلى المَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ المَوْتَ أحْمَرا

«فيه الأسنّة» أي: في الهِيَاج، ويجوز أن تريد في المرثيّ: أي قبله، و«يترك الموت أحمرًا» أي: شديدًا، ويقال: مِيتةٌ حمراء، وسَنَةٌ حمراء، وسنون حمراوات، ويقولون «الحسنُ أحمر» أي: طلب الجمال تتكلّف فيه المشاقّ، قال أبو عبيدة: إنّما وصفت العرب الشّدّة بالحُمْرة فيقولون «الموت الأحمر» لأن الغالب على ألوان السِّباع الحمرة، وقيل: لأنَّ الدنيا تحمرُّ في عين مَن تفارقه روحه عند ذلك، ويُروى «حتّى يترك الجَوْنَ أَشقرَا» يعني يترك الأدهم وهو الأسود أشقرًا من كثرة ما تصبَّب عليه من الدم.

خبر هذه الأبيات: قال أبو رياش: قالت عاتكة هذه الأبيات ترثي بها زوجها عبدَ الله بن أبي بكر، وكان أصابه سهم يوم الطّائف مع رسول الله ﷺ، رماه أبو مِحْجَن فماطله حتى مات في خلافة أبيه، وكان أبوه مَرَّ عليه يوم جمعة وهو يلاعب عاتكة؛ فقال: أقد شغلتك عن الصلاة؟ لا جرم لا برحت حتى تطلّقها، وكان يحبُّها، ثم اطّلع عليه أبو بكر وهو يقول أبياتًا فيها: [الطويل]

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَهَا وَلاَ مِثْلُهَا في غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ

فقال له: يا عبد الله، راجع عاتكة، فقال: قفْ بمكانك، وكان معه مملوك له، فقال: أنتَ حُرٌّ لوجه الله، اشهدْ أنني قد راجعت عاتكة، فلمّا مات رثته بهذه الأبيات، ثم تزوّجها عمر بن الخطاب، فلمّا أعرس بها قال عَليّ عليه السّلام لعمر: ائذن لي أُكلِّم عاتكة، فقال: لا غيرةَ عليك، كَلِّمها، فقال لها: أأنت القائلة:

آلَيْتُ لاَ تَنْفَكُّ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلَيْكَ وَلاَ يَنْفَكُّ جِلْدِيَ أَصْفَرَا

قالت: لم أقلْ هكذا، وبكت وعادت إلى حزنها، فقال له عمر: يا أبا الحسن، ما أردت إلى إفسادها عليّ؟ فلما قُتِلَ عمر تزوجها الزبير بن العوّام، فلما قتل عنها قالت ترثيه: [الكامل]

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ بُهْمَةٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدِ

يَـا عَـمْـرُو لَـوْ نَـبَّـهْـتَـهُ لَـوَجَـدْتَـهُ لاَ طَـائِشًـا رَعْـشَ الـجِـنَـانِ وَلاَ الـيَـدِ
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حَـلَّـتْ عَـلَـيْـكَ عُـقُـوبَـةُ الـمُـتَـعَـمِّـدِ

ثم خطبها عليّ فقالت: لم يبقَ للإسلام غيركَ وأنا أنفسُ فيك عن القتل.

[٣٩٣] وقالت امرأة من طَيِّىء:

١ - تَـأَوَّبَ عَـيْـنِـي نُـصْـبُـهَـا وَاكْـتِـئَـابُـهَـا وَرَجَّـيْـتُ نَـفْـسًـا رَاثَ عَـنْـهَـا إيَـابُـهَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أصل التَّأَوُّب والتّأويب سَيْرُ النّهار كلّه حتى يَتَّصِلَ باللّيلِ، وقد فسّر ابن الأعرابي قوله: [الطويل]

وَلَـيْـسَ الَّـذِي يَـتْـلُـو الـنُّـجُـومَ بِـآيِـبِ[1]

على أنه من هذا لا مِنَ الأوبة الرّجوع، والنُّصْب: من قولهم: أنصبه المرضُ والحزنُ، إذا أثّرَ فيه، قال: [الطويل]

تَـعَـنَّـاكَ نُـصْـبٌ مِـنْ أُمَـيْـمَـةَ مُـنْـصِـبُ

ويقال: نصبه أيضًا، والاكتئاب: الحزن، وقولها «ورجَّيتُ نفسًا» أي: علّقت رجائي بنفس غائبة عني وقد استعجمتْ أخبارُهَا عَلَيَّ وأبطأ رجوعها إليّ وخصَّت العين لأنها موضع البكاء.

٢ - أُعَـلِّـلُ نَـفْـسِـي بِـالـمُـرَجَّـمِ غَـيْـبُـهُ وَكَـاذَبْـتُـهَـا حَـتَّـى أَبَـانَ كِـذَابُـهَـا

«بالمرجم غيبه» أي: بمَن غيبه مُرَجَّم يظنّ به الظنون، يقال: رَجَّم الرجل بالغيب، إذا تكلّم بما لا يعلم، والكِذاب: المكاذبة هنا، أي ظهر كذبها.

٣ - أَلَـهْـفَـى عَـلَـيْـكَ ابْـنَ الأَشَـدِّ لِـبُـهْـمَـةٍ أَفَـرَّ الـكُـمَـاةَ طَـعْـنُـهَـا وَضِـرَابُـهَـا[2]

ويُروَى «أفز الكماة» بالزاي، يقال «أفزه» أي أفزعه، واستفزوه: أخرجوه من داره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾[3] وأفَرَّ الكُماةَ: طردَهم: أي كنت تكفيهم البُهمة بنفسك، والبُهْمَة: تقع على الواحد والجماعة، وهٰهنا للواحد بدلالة قولها:

٤ - مَـتَـى يَـدْعُـهُ الـدَّاعِـي إِلَـيْـهِ فَـإِنَّـهُ سَـمِـيـعٌ إذَا الآذانُ صَـمَّ جَـوَابُـهَـا

ولم تقلْ «إليهم» فأمّا قولها «طعنها وضرابها» فالضمير جاء فيه على لفظ البُهْمَة،

---

(١) هذا عجز بيت للنابغة الذبياني وصدره: «تطاوَلَ حتى قلتُ ليسَ بمُنْقَضٍ».
(٢) عند المرزوقي: «فَلَهْفَى». (٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٦.

ومعنى «متى يَدْعُهُ الدَّاعي إليه» أنه إذا دعا الدّاعي لمبارزة البُهمة فإنه يسمع ويجيب، وجعل الصَّمَمَ لِلجواب مجازًا، وإنما تصمّ الآذان عن السّماع فينقطع الجواب.

٥ ـ هُوَ الأَبْيَضُ الوَضَّاحُ لَوْ رُمِيَتْ بِهِ ضَوَاحٍ مِنَ الرَّيَّانِ زالَتْ هِضابُها

تريد بالأبيض الوضّاح خلوص النسب واشتهار الذكر، والضّواحي: النواحي، والرّيان: جبل، وهضابها: ما دون المرتفع من الجبال.

[٣٩٤] وقالت العَوْرَاء بنت سُبَيْع:

١ ـ أَبْكِي لِعَبْدِ اللَّهِ إِذْ حُشَّتْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَارُهْ

من مرفّل الكامل، والقافية متواتر.

«حُشَّتْ ناره» أُوقِدَتْ، وهذا مَثَلٌ، أرادت أنه قُتِلَ قبيل الصبح، فضرَبَتْ لِقتله مثلاً بإيقاد النار، والعرب تقول: أوقدت نار الحرب، إذا هاجت.

٢ ـ طَيَّانَ طَاوِي الكَشْحِ لاَ يُرْخَى لِمُظْلِمَةٍ إِزَارُهْ

الطَّيَّان: الجائع، وهو هٰهنا الضَّامر؛ لأنَّ الجوع لا يكون إلاَّ مع خفّة البطن؛ فاستعير له، طاوي الكَشْح: أي مُضمَر ليس بضخم الجنبين، وقولها «لا يُرْخَى لمظلمة إزاره» الأصل في هذا أنهم ربما مَرُّوا إذا أظلمَ اللَّيلُ إلى بعض النساء وقضوا منهنّ مرادهم من الفاحشة، فإذا خرجوا أرخوا أُزْرَهم لتنجرَّ على الأثر فلا يبين، والمظْلمة: المرأة التي أظلم عليها اللَّيل.

٣ ـ يَعْصِي البَخِيلَ إِذَا أَرا دَ المَجْدَ مَخْلُوعًا عِذَارُهْ

قولها «مخلوعًا عِذاره» مثل، يعني أنه لا يطيعُ العاذلَ كما أنَّ الفرس إذا لم يكنْ عليه رَسَنٌ مَرَّ حيثُ شاءَ ولم يُطِعْ، وذكر المرزوقي أن قولها «حشت ناره» تريد بها نار الضيافة، وأن قولها «لمظلمة إزاره» يريد أنه إذا نابته النوائب تجرَّدَ لها وهو مشمّر الإزار، والوجه ما قدّمته، والمعنى على ذلك.

[٣٩٥] وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ترثي عُمَرَ:

١ ـ مَنْ لِنفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُها ولِعَيْنٍ شَفَّهَا طُولُ السُّهُدْ

الثالث من الرمل، والقافية يجتمع فيها المتدارك والمتراكب.

«عادها أحزانها» أي: جاءها، قالوا: والعَوْدُ بمعنى الابتداء قد يستعمل، وفي التنزيل: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾[١] وشَفَّها: أَضَرَّ بها ونقصها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

٢ ـ جَسَدٌ لُفِّفَ فِي أَكْفَانِهِ ... رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَاكَ الجَسَدْ

«لُفِّفَ» بما بعده صفة للجسد، و«رحمة الله» بما بعده اعتراض بين الأوصاف؛ لأن قولها «فيه تفجيع» صفة أيضًا.

٣ ـ فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلَى غَارِمٍ ... لَمْ يَدَعْهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبَدْ

الكلام تحسّرٌ وتلهّفٌ، تقول: رَحِمَ اللَّهُ جسدًا جُهِّزَ بما يُجَهَّزُ به الموتى، وفجعَ به مواليه الذين كانوا يعيشون في فنائه، وإذا لحقَ أحدهم غرمٌ احتمل عنه وقولها «لم يَدعْهُ الله يمشي بِسَبَد» تريد أفقره فلم يُبْقِ شيئًا، يقال: ما له سَبَدٌ ولا لبدٌ، السَّبَد: الشَّعر، واللَّبَد: الصّوف.

[٣٩٦] وقالت امرأة من بني الحارث[١]:

١ ـ فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا ... غَيْرَ زُمَّيْلٍ وَلاَ نِكْسٍ وَكَلْ

من الرمل، والقافية متدارك.

«ما» صلة في قولها «ما غادروه» وملحمًا: طُعْمةً لعوافي السِّباع والطير، والزُّمَّيْل والزُّمَّيْلة والزُّمَّال والزُّمَّل: الضعيف، زُمِّلَ في العجز كما يُزَمَّل الرجل في الثوب، والنِّكْس: المُقَصِّرُ عن غاية المجد والكرم والنَّجدة، وأصله في السهام، وهو الذي انكسرَ فجُعِلَ أسفلُه أعلاه، والوَكَل: الجبان الذي يَتَّكِلُ على غيره فيضيع أمره.

٢ ـ لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ ... لاَحِقُ الآطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ

قولها «لو يَشَا» حكت الحال، والمراد لو شاء لأنجاهُ فرسٌ له ذو نشاط؛ قال الخليل: مَيْعَة الحُضْر والنشاط: أوّلهما وحِدَّتهما، وقولها «لاحق الآطال» أي: ضامر الجبين، والنَّهْد: الغليظ، وذو خُصَل من الشعر.

٣ ـ غَيْرَ أَنَّ البَأْسَ مِنْهُ شِيمَةٌ ... وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالأَجَلْ

[٣٩٧] وقال جرير يرثي قيس بن ضِرَار بن القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زُرَارة:

١ ـ وَبَاكِيَةٍ مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ وَقَدْ نَأَتْ ... بِقَيْسٍ نَوَى بَيْنٍ طَوِيلٍ بِعَادُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

٢ ـ أَظُنُّ انْهِمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهٍ ... عَنِ العَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا

٣ ـ وَحُقَّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الحِمَى ... وَأَنْ تُعْقَرَ الوَجْنَاءُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١/ ٢٤٣؛ والخزانة ٥/ ٥٢٢؛ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٨٧.

الأصل في الحِمى الكلأ والماءُ، ولما كان العزيز منهم يستبيح الأحمية ويحفظ حِمى نفسه ويمنع منه كلّ أحد وإذا قال «أحميت المكان» كان يتجنّب ويتحامى إجلالاً له وخوفًا منه استعير من بعد للقلب، فيقول: حق لقيس وللمصاب به أن يباحَ له من القلوب ما كان حِمًى فلا ينزل به غَمٌّ ولا يمتلكه سرور: أي حقّ للجزع به أن يبلغ من القلب حَدًّا لم يبلغْه منه شيء، وقال كُثَيِّر في الحبّ يصفُ امرأةً: [الطويل]

أَبَاحَتْ حِمًى لَمْ يَرْعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلاَعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ

يريد بلغت من القلب هذا المبلغ، وأخذه منه عبد الله بن الصِّمَّة القُشَيْرِيّ فقال: [الطويل]

فَحَلَّت مَحَلاً لَمْ يَكُنْ حُلَّ قَبْلَهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهِ لِرَيَّا وذَلَّتِ

وقد قِيلَ فيه غير هذا، وحكى ابن الأعرابي في هذا المعنى حكاية، وقال: كان رجلٌ يواصلُ امرأةً، فخرج في سفرٍ له وعاد وقد استبدلت به، فأتى لعادته فقالت: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنَّ شِعابَ القَلْب بَعْدَكَ حُلَّتِ

فأجابها: [الطويل]

فَإِنْ تَكُ حُلَّتْ فَالشِّعابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ نَهِلَتْ منها قَلُوصي وعَلَّتِ

وقوله «وأن تعقر الوجناء إنْ خفّ زادها» كان الواحد منهم إذا مَرَّ بقبر رئيس وهو في صُحْبَة أحبَّ أن ينوبَ عن المقبور في الضّيافة، وإذا لم يساعده من الطعام ما يدعو الناس إليه عَقَرَ ناقَتَه إكرامًا له، لذلك قال:

وأن تعقر الوجناء إنْ خَفَّ زادها

ومَنْ روى «أنْ خَفَّ زادُها» فالمراد لأنْ خَفَّ، ومَنْ رَوَى «إن خفّ» بكسر الهمزة فهي للشّرط، وذكر النّمريّ ما يشبه هذا، وردّ عليه أبو محمد الأعرابي فقال هذا موضع المثل: [الرجز]

أَكْثَرُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا في السَّحَرْ تَذْكِيرُهَا الأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرْ

تفسير صدر البيت بصفات النساء أشبه، وتفسير العجز أبعد من الصواب من رهوة من تساح، أما الصدر فهو مثل قول حجر بن خالد: [الطويل]

مَنَعْنَا حِمَانَا وَاسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حِمَى كُلِّ حَيٍّ مُسْتَحِيرٍ مَرَاتِعُهْ

والعجز مثل قول سعيد بن العاصي بن أميّة يرثي هشام بن المغيرة: [الطويل]

أَلاَ هَلَكَ المَأْمُولُ وَهُوَ نَجِيبُ وَمَنْ هُوَ زَادُ الرَّكْبِ حِينَ يَؤُوبُ

فـإنْ لَـمْ يَـكُـنْ زَادٌ فـإنَّ قُـصَـارَهُ مِنَ الـمُـفْـرِهَـاتِ صَـعـبَـةٌ وَرَكُـوبُ

[٣٩٨] وقال آخر: [الكامل]

١ ـ إنَّ الـمَـسَـاءَةَ لِـلْـمَـسَـرَّةِ مَـوْعِـدٌ أُخْـتَـانِ رَهْـنٌ لِـلْـعَـشِـيَّـةِ أَوْ غَـدِ
٢ ـ فَـإذَا سَـمِـعْـتَ بِـهَـالِـكٍ فَتَيَـقَّـنَـنْ أنَّ الـسَّـبِـيـلَ سَـبِـيـلُـهُ وَتَـزَوَّدِ

[٣٩٩] وقال آخر يرثي أخاه: [الطويل]

١ ـ أَخٌ وَأَبٌ بَـرٌّ وَأُمٌّ شَـفِـيـقَـةٌ تَـفَـرَّقَ فـي الأَبْـرَارِ مَـا هُـوَ جَـامِـعُـهْ
٢ ـ سَـلَـوْتُ بِـهِ عَـنْ كُـلِّ مَـنْ كَـانَ قَـبْـلَـهُ وَأَذْهَـلَـنِـي عَـنْ كُـلِّ مَـنْ هُـوَ تَـابِـعُـهْ

[٤٠٠] وقال آخر يرثي ابنه: [المتقارب]

١ ـ ذَهَـبْـتَ عـلـى حِـيـنَ أَعْـجَـبْـتَـنِـي وَوَلَّـى الـشَّـبَـابُ وَجَـاءَ الـكِـبَـرْ
٢ ـ فَـإنْ أَبْـكِ أَبْـكِ عَـلَـى فَـاجِـعٍ وَإنْ يَـكُ صَـبْـرٌ فَـمِـثْـلِـي صَـبَـرْ

تمّ المجلّد الأول
ويليه المجلّد الثاني
والأخير؛ وفي آخره
الفهارس العامّة

شرح
ديوان الحماسة
لأبي تمام

تأليف
الخطيب التبريزي
أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني
المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

كتب حواشيه
غريد الشيخ

وضع فهارسه العامة
احمد شمس الدين

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2900-7

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب الأدب

[٤٠١] قال مِسكِينٌ الدَّارِمِيّ(١):

١ ـ وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلى سِرِّ بَعْضٍ غَيرَ أَنّي جِمَاعُها

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أضاف الفتيان إلى الصّدق كما يقال: فتيَانُ خَيْرٍ، والمعنى أنهم يَصْدُقون في الودِّ ولا يخونون، وقال الخليل: يقولون: رجل سوءٍ، فإذا عَرَّفْتَ قلت: الرَّجلُ السُّوءُ، ولم تُضِفْ، بل تجعله نعتًا، وتقول: عَمَلُ سُوءٍ، وعَمَلُ السّوءِ، وقولُ الصِّدْقِ ورَجُل صِدْقٍ، ولا تقل: الرَّجلُ الصِّدْقُ: لأنَّ الرجلَ ليس من الصّدق، فيقول: رُبَّ فتيان هكذا استناموا إليَّ واستودعوني أسرارَهم؛ فكنت أنا نِظَامَهَا لا يفوتني من خَبِيَّات صدورهم شيء، ثم أفردت كُلاًّ منهم بالوفاء وكتمان ما أودعني من سِرِّه، والجماع: اسم لما يُجْمَع به الشّيء، كما أنَّ النِّظَامَ اسمٌ لما ينظمُ به الشّيء، والضمير من «جماعها» يرجع إلى الفتيان، ويجوز أن يرجع إلى ما دلَّ عليه الكلام من ذكر الأسرارِ، وانتصب «غير» على أنه استثناء منقطع.

٢ ـ لِكُلِّ امْرِىءٍ شِعْبٌ مِنَ القلْبِ فارِغٌ وَمَوْضِعُ نَجْوَى لاَ يُرَامُ اطِّلاَعُها

أي: لكلِّ رجلٍ منهم جانب من القلب فُرِّغَ له وخُصَّ بموضع سِرِّه، والنَّجْوَى تجري على أحكام المصادر كالدَّعْوَى والعَدْوى وألفه للتأنيث ويوصف به الأمر المكتوم، ويقال: نجوته فهو نَجِيٌّ، وقد وصف بِالنَّجْوى والنَّجِيّ الواحد والجمع، وفي القرآن ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾(٢) ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾(٣) و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾(٤) ويقال: تَنَاجَوْا وانْتَجَوْا.

---

(١) مسكين الدّارمي: هو ربيعة بن عامر بن أُنيف الدارمي التميمي: شاعر شجاع من أشراف تميم، لُقِّبَ مسكينًا لأبيات قالها (ت ٨٩ هـ/ ٧٠٨ م). ترجمته في (تهذيب ابن عساكر ٥/ ٣٠٠؛ والشعر والشعراء ص ٢١٥؛ وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ٤٦٧).

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠. (٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.

٣ ـ يَظَلُّونَ شَتَّى في البِلادِ وَسِرُّهُمْ إلى صَخْرَةٍ أَعْيا الرِّجالَ انْصِدَاعُهَا

أي: يغيبون عنه وسِرُّهم مكتومٌ عنده كأنه أودع صخرة أعجز الرجال صَدْعُهَا، ويقال: شَتَّ الأمرُ شَتًّا وشَتَاتًا، وهو شَتيتٌ وشَتٌّ، وهم أشتاتٌ وَشَتَّى، ويُرْوَى «أعْيا الرِّجال اتِّضَاعُها»، وقوله «إلى صخرة» أي مضموم إلى صخرة فتعلّق «إلى» بفعل مُضْمَر دَلَّ عليه الكلام.

[٤٠٢] وقال يحيىٰ بن زياد[١]:

١ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لاحَ بَيَاضُهُ بِمَفرِقِ رأسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

لمَّا: عَلَمٌ لِلظرف، وهو لوقوع الشَّيء لوقوع غيره، وجوابه «قلت للشيب» وكان الواجب أن يقول «قلت له» لكنه كَرَّرَ لِلتفخيم، و«مرحبًا» انتصب على المصدر، يقال: رَحُبَتْ بِلادُكَ رُحْبًا ورَحَابةً، وحُكِيَ رَحِبَتْ بلادك بكسر الحاء تَرْحَبُ رَحَبًا، والرَّحْبَة والرَّحَبَة واحد، وهما ساحة المسجد.

٢ ـ وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إنْ كَفَفْتُ تَحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا

يريد بخفت رَجَوْت، وهم يضعون كلَّ واحدٍ من الرّجاء والخوف موضع الآخر؛ ألا ترى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[٢] أي: لا يخافون، وقول الهذليّ: [الطويل]

.... لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا[٣]

لم يخف، يعني النحل، يقول: لو رجوتُ أنّي إذا تَكَرَّهْتُ المشيبَ وتَسَخَّطْتُه انحرفَ عني لَرُمْتُ ذلك، ولكن إذا حَلَّ ما يكرهه الإنسان فتلقاه وصبر عليه كان ذلك أعون على زوال الكَرَاهَةِ فيه ويبيِّنه قوله:

٣ ـ وَلَكِنْ إذَا مَا حَلَّ كُرْهٌ فَسَامَحَتْ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكُرْهِ أَذْهَبَا

سامَحَتْ: ساهَلَتْ، ومنه قولهم عُودٌ سَمْحٌ: لا أُبَنَ[٤] فيه، ومما يجري مجرى المَثَل «إذا لم تجد عِزًّا فَسَمِّحْ» أي: لِنْ، وقوله «كانَ للكره أذهبا» كان حقّه أن يقول «أشدّ إذهابًا» لأن الفعل منه ليس بثلاثي، ولكن قد يجوز أن يبنى فعل التعجّب مما كان على أفْعَلَ أيضًا، وإن كان الباب على الثلاثي، وقد يمكن أن يقال: إنّما قالَ أَذْهَبا على حذف

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٨١). (٢) سورة النبأ، الآية: ٢٧.

(٣) هذه قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذليّ وهو:

إذا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لم يَرْجُ لَسْعَهَا وخالَفَها في بيتِ نوبٍ عَوَاسِلُ

(٤) الأُبَن: جمع الأُبنة: العقدة في العود، والعيب.

الزّائد، ألاَ ترى قوله: [الطويل]

وَأنَّا وجَدْنَا العِرْضَ أَفْقَرَ سَاعَةً ... إلَى الصَّوْنِ مِنْ بُرْدٍ يمَانٍ مُسَهَّمِ(١)

والفعل من الفقر لم يَجِيء إلاّ «افتقر»؛ فكأنه نوى حذف الزوائد وردَّه إلى فقر، وعليه جاء «فقير» وإن لم يستعمل الفعل، وقوله «ولكن» جاء لكن في هذا المكان لترك قصّة إلى قصّة، وهي إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد نفي، وجواب لو في قوله لو خفت رمت، وجواب إذا من قوله «إذا ما حلّ كرهٌ» كان، واسم كان ما دَلَّ عليه قوله سامحت، كأنه قال: كان المسامحةُ أذهبَ لِلكُرْهِ.

[٤٠٣] وقال المَرَّارُ بن سَعِيد(٢):

١ - إذَا شِئْتَ يَوْمًا أنْ تَسُودَ عَشِيرَةً ... فَبِالحِلْمِ سُدْ لاَ بِالتَّسَرُّعِ وَالشَّتْمِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

جواب قوله «إذا شئت» قوله: فبالحلم.

٢ - وَلَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً ... مِن الجَهْلِ إلاَّ أنْ تُشَمِّسَ مِنْ ظُلْمِ

«فاعلمنَّ» أي: فاعرفنَّ، ومفعوله محذوف، والمراد فاعلمنَّ الحِلْمَ ومَغَبَّتَهُ، وانتصبَ «مغبّة» على التمييز، وقوله «إلاّ أنْ تُشَمِّسَ من ظلم» لما قال «وللحلم خير من الجهل مغبةً» فأطلق رجع فيما أشار به مطلقًا واستثنى في كلامه فقال: إلا أنْ تنفرَ من ظلم يركبك فإن الجهل في ذلك الوقت أرجح من الحلم، ويقال: غَبَّتِ الأُمورُ، إذا صارت إلى أواخرها، وإنَّ لهذا الأَمرِ لَمَغَبَّةً: أي عاقبةً، وقوله «تُشمِّسَ» يقال: إنه لَذُو شِمَاسٍ شديدٍ، إذا كان عسرًا، وشَمَسَ لي فلانٌ، إذا تنكَّرَ وَهَمَّ بِالشَّرِّ.

[٤٠٤] وقال عصام بن عُبَيْدٍ الزِّمَّاني(٣):

عصَام القربة: وكاؤها؛ وعصامها أيضًا: عُرْوتها؛ قال الأعشى: [المتقارب]

وَآخُذُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ عُصُمْ

يعني عهدًا يبلغ ويعزّ به.

---

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص ١٢١؛ ولسان العرب (كثر) و(سهم) و(صون)؛ والمخصّص ١٦/٨٦؛ وتاج العروس (سهم وصون)؛ والمرزوقي ص ١١١٨.

(٢) المرّار الفقعسيّ: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية وكان يهاجي المساور بن هند. ترجمته في: (المرزباني ص ٤٠٨، والشعر والشعراء ص ٦٨٠؛ وخزانة البغدادي ٢/١٩٦ و٣/٢٥٢).

(٣) عند المرزوقي «بن عبيد الله»؛ وروى الجاحظ الأبيات في البيان ٢/٣١٦ و٣/٣٠٢ ونسبها إلى همام الرّقاشي.

١ ـ أبْلِغْ أبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً وفِي العِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أقْوَامِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

مغلغلة: رسالة يغلغلها إلى صاحبها، وهو من قولهم: تغلغَل الماءُ، إذا دخل بين الأشجار وغيرها، وأصله دخول الشّيء في الشَّيء، وقوله:

وَفِي العِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أقْوَامِ

اعتراض: أي ما داموا يتعاتبون فإنَّ نيّاتهم تُعَاوِدُ الصَّلاحَ وتراجعه، وإذا ارتفع العِتابُ من بينهم انطوتْ صدورُهم على الإحَنِ والضَّغَائِنِ، والرّسالة قوله:

٢ ـ أدْخَلْتَ قَبْلِيَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الحَقِّ أنْ يَدْخُلُوا الأبْوَابَ قُدَّامِي

أي: قَدَّمْتَ عليَّ في الإذنِ والدخول قومًا لم يكنْ من حَقّهم أن يتقدموا عليَّ إذا وردنا الأبواب، وقوله «أن يدخلوا الأبواب قُدَّامي» حقّه عند سيبويه أن يقال: أن يدخلوا في الأبواب، يجعله ممّا يتعدّى تارةً بنفسِه وتارةً بحرف الجرِّ، وفي أنهم يقولون: دخلتُ في الأمر، فيُعَدَّى بفي لا غير، وأنَّ ضِدَّه وهو «خرجت» يتعدَّى بحرف الجرِّ بيان لقول سيبويه.

٣ ـ لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وقَبْرٌ كُنْتُ أكْرَمَهُمْ مَيْتًا وَأبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الذَّامِ

المراد لو عُدَّتِ القبورُ قَبرًا قبرًا، إلاَّ أنه اختصر وحذف القبور، ورفع القبر على أن يقوم مقام الفاعل، فلمّا رفعَهُ وأزالَه عن سَنَنِ الحال في نحو قولهم: بعتُ الشَّاءَ شاةً شاةً، وقبضتُ المال درهمًا درهمًا، رَدَّ حرفَ العطفِ، لأنّه من مواضع العطف، لكنهم اتّسعوا فيه لعلم المخاطب. وقيل: معناه لو عُدَّ قبري وقبر الدَّاخل قبلي كنتُ أكرم منه ميتًا.

٤ ـ فَقَدْ جَعَلْتُ إذَا مَا حَاجَتِي نَزَلَتْ بِبَابِ دَارِكَ أدْلُوهَا بِأقْوَامِ

يريد بجعلتُ طفقتُ وأقبلتُ، يقال: جعل يفعلُ كذا، وأدْلُوهَا: أَتَنَجَّزُهَا، يقال: دَلَوْتُ الدَّلْوَ، إذا أخرجْتَها من البئرِ، والمعنى: أحوجتني إلى استشفاعِ النَّاسِ في تَنَجُّزِ حَوَائجي.

[٤٠٥] وقال شَبِيبُ ابن البَرْصاء المُرّيُّ(١):

قالوا: إنَّ البرْصَاءَ هذه خطبها النّبي ﷺ، ولم يكنْ بها بَرَصٌ، فقال أبوها: لا أرضاها لكَ يا رسول الله فَإنّها برصاء، فرجع أبوها إليها فإذا هي قد بُرِصَتْ.

---

(١) شبيب بن يزيد بن جمرة المريّ، والبرصاء أُمّه، وهو شاعر إسلامي بدويّ من شعراء الدولة الأموية، وكان يهاجي عقيل بن علفة. ترجمته في: (الأغاني ١٢/٣١٦، دار الكتب العلمية).

١ - وَإنِّـي لَـتَـرَّاكُ الـضَّـغِـيـنَـةِ قَـدْ بَـدَا ثَـرَاهَـا مِـنَ الـمَـوْلَـى فَـلاَ أَسْـتَـثِـيـرُهَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الضَّغينة والضّغن: الحقد، وأصل الثَّرى النُّدُوَّةُ والتراب، و«لا أستثيرها» هو استفعل من قولهم: ثار الشَّيء، وأثرته أنا: أي لا أستثيرها مخافة.

٢ - مَـخَـافَـةَ أنْ تَـجْـنِـي عَـلَـيَّ؛ وَإنَّـمـا يَـهِـيـجُ كَـبِـيـرَاتِ الأُمُـورِ صَـغِـيـرُهـا

أي: مخافةَ أنْ تجني الضَّغينة عَلَيَّ أمرًا عظيمًا لا يمكن تلافيه، وقوله «يَهيج» بمعنى يُهِيج، يقال: هاج الشَّيء، وَهِجْتُه أنا، يكون لازمًا ومتعدّيًا.

٣ - لَـعَـمْـرِي لَـقَـدْ أَشْـرَفْـتُ يَـوْمَ عُـنَـيْـزَةٍ عَـلَـى رَغْـبَـةٍ لَـوْ شَـدَّ نَـفْـسِـي مَـرِيـرُهـا

«على رغبة» أي: على مرغوب فيه، كأنه كان ظهر له من الفرص في صاحبه ما لو انتهزها لَكَانَ فيه الاشتفاء منه، والمرير: الممرّ المحكم، يقال: استمرّ مريرُ فلان، إذا استحكمَ، وعنيزة: موضع[1].

٤ - تَـبَـيَّـنُ أَعْـقَـابُ الأُمُـورِ إذَا مَـضَـتْ وَتُـقْـبِـلُ أَشْـبَـاهًـا عَـلَـيْـكَ صُـدُورُهـا

تَبَيَّنُ: بمعنى تتبيَّنُ، وأعقاب الأمور: أواخرها، واحدها عَقْب وعَقِب، وأشباه: جمع شِبْه وشَبَه، وأراد بأشباه متشابهة، ونصبها على الحال، وصدر كل شيء: أوله.

٥ - إذا افْـتَـخَـرَتْ سَـعْـدُ بنُ ذُبْـيانَ لَـمْ تَـجِـدْ سِـوَى مَـا ابْـتَـنَـيْـنـا مَـا يَـعُـدُّ فَـخُـورُهـا

فَخَرَ القومُ وافتخروا واحدٌ، وهو أن يذكروا مناقبهم، وأصل الفخر في الشَّيء، الزيادة في أجزائه، ومنه قولهم: شاةٌ فخورٌ، إذا عَظُمَ ضَرْعُها وقلَّ لَبَنُها، وقوله «سِوى ما ابتنينا» استثناء مُقَدَّم، و«ما يَعُدّه» في موضع مفعول «لم تجدْ».

٦ - أَلَـمْ تَـرَ أَنَّـا نُـورُ قَـوْمٍ؛ وَإنَّـمـا يُـبَـيِّـنُ فـي الـظَّـلْـمـاءِ لِـلـنَّـاسِ نُـورُهـا

ويُروَى «أَلَم تَرَ أنَّا نورُ قَوٍّ» وقَوّ: موضع، جعل قومه ونفسه نور بلادهم لأنه يُنْتَفَع بهم كما يُنْتَفَع بالنور، والعرب تقول في المدح: فلانٌ نجمُ البلدِ ونوره، إلاَّ أنهم إذا قالوا شمس أرادوا الغلبة، وإذا قالوا نور أرادوا الارتفاع بالمدح، ومَنْ رَوَى «نور قوم» أراد أنّا لهم بمنزلة النور لِلأبصار فهم بنا يهتدون، ومفعول يبين محذوف، والضمير من نورها يعود إلى الظّلماء.

---

(١) عنيزة: موضع بين البصرة ومكة (معجم البلدان ٤/ ١٦٣).

[٤٠٦] وقال مَعْنُ بن أَوْسٍ[(١)]:

وكان له صديقٌ، وكان معن متزوّجًا بأُخته، فاتّفقَ أنه طلّقها وتزوّجَ غيرها؛ فآلى صديقه أنْ لاَ يكلّمه أبدًا، فأنشأ مَعْن يقول يستعطفُ قلبَه عليه ويسترقّه له، وفي الأبيات ما يدلُّ على القصة، وهو قوله: [الطويل]

فَلاَ تَغْضَبنْ أنْ تُسْتَعَارَ ظَعِينَةٌ ... وَتُرْسَلَ أُخْرَى كُلُّ ذَلِكَ يُفْعَلُ

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا أدْرِي وَإنِّي لأوْجَلُ ... عَلى أيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أوَّلُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «لأَوْجَلُ» ممّا جاء فيه أفعل ولا فَعْلاء له، كأنهم استغنوا عن وَجْلاء بوَجِلة، يقال: وَجِلْتُ أَوْجَلُ وآجَلُ وَجَلاً، فأنا وَجِلٌ وأَوْجَلُ، وقلبي من كذا أوجل وأوجر، بمعنى، ويُروَى «تعدو» و«تغدو» ومعناهما ظاهر، و«أول» بُنِيَ على الضمّ كما فُعِلَ ذلك بِقَبْلُ وبَعْدُ، وذلك أنه لمّا كان أصله أفعل الذي يتمّ بمن وأضيف من بعد وجعل الإضافة فيه بدلاً من «من» والمضاف إليه من تمامه ثم حذف المضاف إليه لعلم المخاطب به وجعل بنفسه غاية وكان معرفة كما كان قبلُ وبعدُ كذلك وجب أن يُبنَى كما يُبنَى، وموضعه نصب على الظرف، ومعنى البيت: وبقائِكَ ما أعلم أيُّنا يكون المقدَّمُ في عَدْوِ الموت عليه وانتهاء الأَجَلِ به، وإنّي لخائف مُتَرَقِّبٌ، وموضع «على أيِّنا» نصب؛ لأنه مفعول ما أدري، والذي لا يدريه هو مقتضى هذا السؤال، «وإني لأَوْجَلُ» اعتراض.

٢ ـ وَإنِّي أَخُوكَ الدَّائِمُ العَهْدِ لَمْ أَحُنْ ... إنَ ٱبْزَاكَ خَصْمٌ أَوْ نَبا بِكَ مَنْزِلُ

ويُروَى «لم أَحُلْ»، وقوله «إن ٱبْزَاكَ خصمٌ» قال الخليل: أبزيت بفلان، إذا بَطشت به وقهرته، وحكى ابن دريد بَزَاه يَبْزُوه بَزْوًا إذا قهره، ويُبْزَى يكون مستقبل بُزِيَ وأُبْزِيَ جميعًا، ويجوز أن يكون أَبْزَى منقولاً بِالألف عن بَزِيَ يَبْزَى بَزًى فهو أَبْزَى، وامرأة بَزْوَاء، وهو دخول الظهر وخروج البطن، ويكون المعنى: إنْ خَفَضَ منكَ خصمٌ وحَمَّلَكَ مِنَ الثّقل ما يَبْزَى له ظهرُكَ فلا تطيقُ الثَّباتَ تحته والنهوض به، وقال أبو العلاء: ألقى حركة الهمزة في أَبْزَاكَ على النون من أن وحذف الهمزة، وهي لغة جيدة حجازية، وقد قرأ بها وَرْش، إلاَّ أنَّ قطعَ الهمزة إذا أمكنَ أحسنُ وأكثر، وإنّما يستعملُ الشّعراء ذلك الوجه لإقامة الوزن، كما قال ذو الرّمّة: [الطويل]

مِنَ آلِ أبِي مُوسَى تَرَى النَّاسَ حَوْلَهُ ... كَأنَّهُمُ الكِرْوَانُ أَبْصَرْنَ بَازِيَا

---

(١) معن بن أوس بن زياد المزنيّ: شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام. له مدائح في جماعة من الصحابة (ت ٦٤هـ/ ٦٨٣م). ترجمته في: (شرح الشواهد ص ٢٧٣؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٢٥٨؛ وجمهرة الأنساب ص ١٩١).

وقوله «أبزاكَ» يجوز أن يكون في معنى بَزاكَ: أي ظلَمَكَ، ويكون في معنى حملك على أن تصير أَبْزَى، والبَزَى: خروج الصّدر ودخول الظّهر، وربما قالوا: هو خروج الصّدر ودخول أسفل البطن.

٣ ـ أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ وَأَحْبِسُ مَالِي إنْ غَرِمْتَ فَأَعْقِلُ

هذا تفسير دوام عهده وثبات ودّه، والمعنى: أُدَافِعُهم دُونَكَ، وإن أصابك غرمٌ حَبَسْتُ مالي عليكَ واحتملتُ فيه الثّقل عنك، وكان الواجب أن يقول فأَعْقِلُ عنكَ؛ لأنّه يقال «عَقَلْتُه» إذا أعطيتَ دِيَتَهُ، و«عقلتُ عنه» إذا غَرِمْتَ ما لَزِمَهُ من دِيَةٍ، وقال الخليل: الغرم: لزوم نائبة في مال من غير جناية، والمال إذا أُطْلِقَ يراد به الإبل، ويجوز أن يكون «فأعقلُ» أشُدُّها بِعقلها بفنائك لِتدفعها في غرامتك.

٤ ـ وَإنْ سُؤْتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إلَى غَدٍ لِيُعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخَرُ مُقْبِلُ

يقول: إن فعلتَ ما يسوؤني تجاوزتُ إلى غَدٍ لِيَجِيءَ يومٌ آخَرُ مقبلٌ منك بِما يسرّني.

٥ ـ كَأنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رِيبَتِي مَا تَعَجَّلُ

«مساءتي» يريد مساءَتَكَ إليَّ، وكذلك «سخطي» يريد سخطك عَلَيَّ، والسُّخْطُ والسَّخَطُ: نقيضُ الرِّضا، يقال: سَخِطْتُهُ وتَسَخَّطْتُهُ، إذا لم ترضَ به، ومعناه: إنَّكَ تستمرّ في إساءتك إليَّ وسخطكَ عليَّ حَتَّى كأنّ بكَ داء ذاك شفاؤه، ويُروى «وما في رِيثَتِي» والريثة والرَّيْث واحد، وهو ضدّ العَجَلة، يقول: ليس في أَنَاتِي وتركي مكافأتك ما يجب أن تتعجّل عليَّ بما يسوؤني، ومعنى «وما في ريبتي ما تعجَّلُ» أي: ما في مساءتي وما يريبني ربح ومنفعة توجب أن تتعجّلها.

٦ ـ وَإنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيبُنِي قَدِيمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلُ

٧ ـ سَتَقْطَعُ فِي الدُّنْيا إذا ما قَطَعْتَنِي يَمِينَكَ فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبَدَّلُ

تَبَدَّل: أي تأخذ البدل، يقول: أنا لكَ في الموافقة بمنزلة يمينك، وإذا قطعتني فإنّما قطعتَ يمينكَ، فانظر مَنِ الّذي تجعله بَدَلي ويشفقُ عليك شفقتي.

٨ ـ وفِي النَّاسِ إنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ واصِلٌ وفِي الأرْضِ عَنْ دَارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

رَثَّتْ حِبالُكَ: أي خلقتْ أسبابُ وَصْلِك، ومُتَحَوَّل: موضع يتحوّل إليه، ويكون المُتَحَوَّل مصدرًا، يقول: إنْ وَهَتْ أسبابُ مَوَدَّتِكَ ففي الناس مَنْ يرغبُ في وَصْلي، والأرضُ واسعةٌ، وفيها موضع ينتقل إليه عن قُرْبِ مَنْ يبغضُكَ.

٩ ـ إذا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يَعْقِلُ

قوله «إن كان يعقل» شرط حسن في موضعه؛ لأنه إذا لم يعقل لم يفرّق بين الإحسان والإساءة إليه ولم يميّز بين الإنصاف والظّلم.

١٠ ـ ويَرْكَبُ حَدَّ السَّيفِ مِنْ أَنْ تَضِيمَهُ إذا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

مَزْحل: مبعد، يقول: إذا لم يكن له موضعٌ يهربُ إليه من ظُلْمِكَ إلاّ حَدّ السَّيف رَكِبَهُ ولم يصبرْ على ظُلمِكَ إياه.

١١ ـ وكُنْتُ إذا مَا صَاحِبٌ رَامَ ظِنَّتي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أفْعَلُ

١٢ ـ قَلَبْتُ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ فَلَمْ أَدُمْ عَلَى ذَاكَ إلاَّ رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ

أي: تغيَّرتُ له وزُلْتُ عن مَوَدَّتِهِ، والأصل في ذلك أن المقاتلَ يكون ظَهْر مِجَنِّه إلى أعدائه وبطنه إلى أوليائه، فإذا صار مع أعدائه جعل ظهر مِجَنِّه مما يلي أصحابه، وقال أبو العلاء: هذا مَثَلٌ؛ يقال للرجل: قَلَبَ لنا ظَهْرَ المِجَنِّ، إذا تحوَّلَ عن الصّداقة إلى العداوة، وأصل ذلك أن يكون معه مِجَنٌّ: أي تِرْسٌ، ثم استعمل ولا مجنّ هناك، قال الفرزدق: [الرجز]

كَيْفَ تَرَانِي قَالبًا مِجَنِّي قَدْ قَتَلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي

١٣ ـ إذا انْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكَدْ إلَيْهِ بِوَجْهٍ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبِلُ

[٤٠٧] وقال عمرو بن قَمِيئَة[١]:

قَمِيئة: فعيلة من القَمَاءة، وهي الذّلّة، وعمرو: هو صاحب امرىء القيس، عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة، من رهط طَرَفَة، جاهليّ قديم.

١ ـ يَا لَهفَ نَفْسِي عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ أفْقِدْ بِهِ إذْ فَقَدْتُهُ أَمَمَا

أول المنسرح، والقافية متراكب.

يتلهَّفُ على الشباب كأنه يدعو لَهْفَه ويقول: هذا أَوانُكَ يا لهفي، والأَمَمُ: الشَّيءُ القَصْدُ، يقال: أمْرٌ أَمَمٌ: أي قَصْدٌ قريبٌ، يقول: لم أفقدْ بالشباب أمرًا هيّنًا قريبًا، ولكنّي فقدتُ به أمرًا جليلاً.

٢ ـ إذْ أَسْحَبُ الرَّيْطَ وَالمُرُوطَ إلى أَدْنَى تِجَارِي وَأَنْفُضُ اللِّمَمَا

---

(١) عمرو بن قميئة: شاعر جاهلي مقدّم، أقام في الحيرة مدة وخرج مع امرىء القيس في توجّهه إلى قيصر (ت نحو ٨٥ ق.هـ/ ٥٤٠ م). ترجمته في: (الأغاني ١٦/١٥٨؛ والشعر والشعراء ص ١٤١؛ وابن سلام ص ٣٧؛ والمرزباني ص ٢٠٠).

أسحبُ: أي أجرُ، وسُمِّيَ السّحاب سَحَابًا لأن الرّيح تجرُهُ، والرَّيْطُ: جمع رَيْطَة، وهي الملاءة إذا لم تَكُنْ لِفقَيْنِ، والمروط: جمع مِرْط، وهو كساء من خَزٍّ ونحوه، والتِّجار هنا: الخَمَّارون، واللِّمَمُ: جمع لِمَّة، وهو ما أَلَمَّ بالمنكب من الشّعر، وعَبَّرَ عن التبختر بنفضِ اللِّمم لأنه إذا تبختَرَ حَرَّكَ رأسَه، يقول: كنت شابًّا أجُرُّ أذيالي إلى أدنى الخمّارين الذين أُبايعهم وأسبأُ الخمر من عندهم، وقال الشاعر في هذا المعنى: [الكامل]

وَعِـصَـابَـةٍ بَـاكَـرْتُـهُـمْ بِـمُـدَامَـةٍ مِـنْ بَـيْـعِ تَـاجِـرْ
لاَ يَـسْـأَلُـونَ إِذَا انْـتَـشَـوْا عَـمَّـا يُـحَـمُّ مِـنَ الـمَـقَـادِرْ

وقال «أنفضُ اللِّمما» وإنما يعني لِمَّتَهُ لأنه جعلَ كلَّ جزءٍ منها لِمَّة؛ وأضاف التِّجَارَ إلى نفسِه فقال «أَدْنَى تِجاري» إعظامًا لنفسه.

٣ ـ لاَ تَـغْـبِـطِ الـمَـرْءَ أَنْ يُـقَـالَ لَـهُ أَمْـسَـى فُـلاَنٌ لِـسِـنِّـهِ حَـكَـمَـا

«أن يقالَ له» أي: لأن يقال له: أي لا تحسد الرّجلَ إذا كبرَ وعَلا سِنُّه فَجُعِلَ حَكَمًا لذلك؛ فإنَّ الَّذي فاتَهُ من الشبيبةِ أفضل مِمَّا أُوتِيَ من السيادة والحكم، وهذا كما قال المُرَقِّش: [الكامل]

يَـأْتِـي الـشَّـبَـاب الأَقْـوَرِيـنَ وَلاَ تَـغْـبِـطْ أَخَـاكَ أَنْ يُـقَـالَ حَـكَـمْ

٤ ـ إِنْ سَـرَّهُ طُـولُ عُـمْـرِهِ فَـلَـقَـدْ أَضْحَى عَلَى الوَجْهِ طُولُ مَا سَلِمَا

أي: إن سَرَّ الرّجلَ طُولُ عُمرِه فإنَّ ذلك قد تبيَّنَ في وجهه وبانت آثار الكبر عليه، ومثله قول الآخر: [الطويل]

وَحَـسْـبُـكَ دَاءً أَنْ تَـصِـحَّ وَتَـسْـلَـمَـا[1]

وقول الآخر: [الكامل]

وَدَعَـوْتُ رَبِّـي بِـالـسَّـلاَمَـةِ جَـاهِـدًا لِـيُـصِـحَّـنِـي فَـإِذَا الـسَّـلاَمَـةُ دَاءُ[2]

وأضحى هنا تامّة ليس لها خبر لأنها بمعنى بدا وظهر، و«طول ما سلم» يعني طول سلامته.

---

(١) هذا عجز بيت لحميد بن ثور الهلالي وهو في ديوانه ص ٧؛ والبيان ١/١٥٣؛ والحيوان ٦/٥٠٣، وصدره: «أرى بَصَري قد رابني بعد صِحَّةٍ».
(٢) البيت عند المرزوقي بدون نسبة، وفي الكامل ١٢٥ ليبسك وقال: لأحد شعراء الجاهلية.

[٤٠٨] وقال إياسُ بن القَائِفِ:

هو من قافَ يقوفُ إذا اتبعَ، مثل قفا يقفو، قال الشاعر: [الطويل]

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ لا تَزَالُ تَقُوفُنِي ... كَمَا قَافَ آثَارَ الوَسِيقَةِ قَائِفُ[١]

وجمعه قَافَةٌ، ومن ذلك قِيلَ للقومِ الَّذين ينظرونَ إلى الولدِ فيحكمون مَنْ أبوه: القافة، لأنهم يتبعون الشَّبَهَ في الأعضاء.

١ - تُقِيمُ الرِّجَالُ الأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ ... وَتَرْمِي النَّوَى بِالمُقْتِرِينَ المَرَامِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يُفَضِّلُ الغِنى على الفقر، ويبعثُ على طلبه وارتيادِه، والنَّوَى: وِجْهَةُ القوم التي يَنْوُونها، والمرامي: جمع مَرْمَى، وهو المكان لا غير هنا، لأنه قابلَ الأغنياء بالمقترين وأرضَ الأغنياء بِمَرامي الفقراء لأنّهم لا تدنو بهم دارٌ أبدًا فمَحَالُّ تَسْيَارِهم وتصرّفهم كدورِ أولئكَ لهم، ومَفْعَل يكون اسمًا للحدث ومكانه وزمانه.

٢ - فَأَكْرِمْ أَخَاكَ الدَّهْرَ ما دُمْتُما مَعًا ... كَفَى بِالمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا

«الدَّهرَ» انتصب على الظَّرف، و«ما دمتما» انتصب على أنه بدل من الدهر، وانتصبَ «معًا» على أنه خبر «ما دمتما» ومعنى «ما دمتما معًا» مدّة بقائِكما ودوامكما مجتمعين، ويُرْوَى «كَفَى بالمنايا» وموضع المنايا رفع على أنه فاعل «كَفَى»، وانتصبَ «فُرْقَةً» على التمييز، أو يكون في موضع الحال، كأنه قال: كَفَى بفرقةِ المنايا فرقةً؛ والتقدير كفَى فرقة المنايا من فرقة، أو كفى المنايا مفرقة ومتنائية.

٣ - إذَا زُرْتُ أَرْضًا بَعْدَ طُولِ اجْتِنَابِهَا ... فَقَدْتُ صَدِيقِي والبِلاَدُ كما هِيَا

أي: بعد طولِ اجتنابي إيّاها، يقول: لا تهجرْ أخاكَ فربّما تغيبُ عنه ثم تعودُ طالبًا لِوَصْلِهِ فلا تجدُه.

[٤٠٩] وقال رَبيعَة بْنُ مَقْرُوم[٢]:

ابن خالد بن عمرو بن غَيْظ بن السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعْد بن ضَبَّة، أبو هلال: مَقْرُوم هو ابن جابر بن خالد.

١ - وَكَمْ مِنْ حَامِلٍ لِي ضَبَّ ضِغْنٍ ... بَعِيدٍ قَلْبُهُ حُلْوِ اللِّسَانِ

أول الوافر، والقافية متواتر.

---

(١) البيت للقطامي كما جاء في تاج العروس (قوف)، وقال ابن بَرّي: هو للأسود بن يَعْفُرَ.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٩).

«كم» لفظة وُضِعَتْ لِلتكثير، كما أنَّ رُبَّ وُضِعَ للتقليل، إلاَّ أنه اسم، ورُبَّ حرف، وله موضعان: أحدهما الاستفهام، والثاني الخبر، وهو من باب الخبر هنا، والضَّبُّ: الحقد، قال: [الوافر]

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي　　　وَتُخْرِجُ عَنْ مَكَامِنِهَا ضِبَابِي[1]

وأضافه إلى الضِّغْن لأنَّ الضِّغْنَ العُسْرُ، فكأنه حقد عسر، وقوله «بعيد قلبه» يريد بعيد من موافقتي «حلو اللّسان» أي: يعطيني بلسانه ما أُحبُّ ويُضْمرُ لي في قلبه ما أكره.

٢ ـ ولَوْ أنّي أشَاءُ نَقَمْتُ مِنْهُ　　　بِشَغْبٍ أوْ لِسَانٍ تَيَّحَانِ

الشَّغْبُ: الجَلَبةُ، يقال: شغبَ الجندُ بالتخفيف، وتَيَّحان: عِرِّيض يقول ما لا يعنيه.

٣ ـ ولَكِنّي وصَلْتُ الحَبْلَ مِنْهُ　　　مُواصَلَةً بِحَبْلِ أبي بَيَانِ

«أبو بَيَان» أحد أعمام ربيعة بن مَقْرُوم: أي أبقيتُ على مَنْ يعاديني ولم أعجلْ مؤاخذته بإساءته إليَّ لأنّي قد وصلتُ أبا بَيَان وضمرة، و«مواصلة» يجوز أن يكون في موضع الحال: أي مواصِلاً، ويجوز أن يكون موضوعًا موضع صلة فيكون مصدرًا من غير لفظه، كقوله تعالى: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[2].

٤ ـ وضَمْرَةَ إنَّ ضَمْرَةَ خَيْرُ جَارٍ　　　عَلِقْتُ لَهُ بِأسْبَابٍ مِتَانِ

٥ ـ هِجَانُ الحَيِّ كالذَّهَبِ المُصَفَّى　　　صَبِيحَةَ دِيمَةٍ يَجْنِيهِ جَانِي

هِجَان الحيّ: كريمه، وقوله «كالذهب المُصَفَّى» أي: لا عيبَ فيه كما أنَّ الذَّهبَ لا عَيْبَ فيه ولا يتغيَّرُ ولا يصدأُ، فدَلَّ تشبيهه بالذهب على أنه لا يتغيّرُ عن كريم خلقه، والدِّيمَة: المطرة تدومُ أيامًا، وقال أبو زيد: الدِّيمة مطر بِلا رعد ولا برق، وأَقَلّه ثلث النهار، ولا حَدَّ لأكثره، والهاء في «يجنيه» عائدة إلى الذهب، وذلك أن معدن الذهب بناحية اليمن إذا اشتدَّ المطر عليه جَلاَه فصار له بريقٌ يُرَى من بعيدٍ وسَهُلَ على ملتمسه لَقْطُه، فحَسُنَ ذلك الذهب من وجهين: أحدهما لما جَلاَ عنه المطر من الغبار، والثاني لما تسهل التقاطه والانتفاع به، ويحتمل أن تكون الهاء في «يجنيه» عائدة إلى الممدوح، كأنه جعل المعتفي مجتنيًا، وجعل ما يناله منه بمنزلة الجَنَى، وهذا الذي ذكره يكثر في نواحي اليمن واليمامة، وتسمّى تلك المعادن معادن اللّقط، وقوله «كالذهب» في موضع الحال، وكذلك «يجنيه جاني» ووضع يجنيه موضع يلتقطه.

---

(١) البيت لكُثَيِّر عَزَّة كما في الحيوان ٤/ ٢٥٠؛ والموشّح ص ١٤٣؛ والصناعتين ص ٧٢؛ وزهر الآداب ٢/٦٣.

(٢) سورة نوح، الآية: ١٧.

[٤١٠] وقال سُلمِيُّ بن ربيعة[1]:

١ - إنَّ شِـــــوَاءَ ونَـــــشْــــــوَةً وخَــبَــبَ الــبَــازِلِ الأَمُــــونِ

هذه الأبيات خارجة من العروض التي وضعها الخليل بن أحمد، ومما وضعه سعيد بن مسعدة، وأقرب ما يقال فيها إنّها تجيءُ على السادس من البسيط، وليس هذا موضعها لبسط الكلام فيه.

والنشوة: الخمر والسّكر، والخَبَب: ضَرْبٌ من السَّيْرِ، والبازل: التي قد استكمل لها تسع سنين فتناهت قوتها، وإنّما يختارون ركوب البازل لِقوّتها وكثرة تجربتها، والأَمُون: المُوَثَّقَةُ الخَلْقِ.

٢ - يُجْشِمُهَا المَرْءُ في الهَوَى مَسَافَةَ الغَائِطِ البَطِينِ

«يُجْشِمُها المرءُ» من صفة البازل، والمعنى يُكَلِّفها صاحبها قطعَ المسافة البعيدة فيما يهواه، والمسافة: مأخوذة من السَّوْفِ، وهو الشّمّ، وكان الدّليل يفعل ذلك إذا اشتبهَ عليه الطّريق، والغائطُ: المطمئنُّ من الأرض، والبطين: الواسع الغامض.

٣ - والبِيضَ يَرْفُلْنَ كَالدُّمَى في الرَّيْطِ والمُذْهَبِ المَصُونِ

يعني بالبِيض النّساء، ويرفلنَ: يتبخترنَ في الرَّيْطِ وهي الملاء الواسعة، والمُذْهب المصون: يراد به الثّياب الفاخرة المطرّزة بالذّهب، وتعلّق «في» من قوله «في الرَّيْطِ» بـ «يَرْفُلْنَ»، و«كالدُّمى» في موضع الحال.

٤ - والكُثْرَ والخَفْضَ آمِنًا وشِرَعَ المِزْهَرِ الحَنُونِ

«الكُثر» عطف على البيض، وكأن البيضَ انعطف على «وخَبَبَ البازل الأمون» والمراد بالكُثْرِ كَثرة المال، وضِدّه القُلّ، وقال الخليل: كُثْرُ الشَّيءِ أكثره، وكذلك قُلُّه أَقَلُّه، والخَفْضُ: الدَّعَةُ، وانتصبَ «آمِنًا» على الحال، والشِّرَعُ: جمع شِرْعَة، وهي الوتر، يقال: شِرَاعٌ وشِرَعٌ، ويقال للواحد شرع، قال الشاعر: [الطويل]

وعَاوَدَنِي دِينِي فَبِتُّ كَأَنَّمَا خِلاَلَ ضُلُوعِ الصَّدْرِ شِرْعٌ مُمَدَّدُ

وقال آخر: [المتقارب]

كما ازْدَهَرَتْ قَيْنَةٌ بالشِّرَاعِ لأَسْوَارِهَا عُلَّ مِنْهَا صَبَاحَا

٥ - مِنْ لِذَّةِ العَيْشِ والفَتَى لِلدَّهْرِ والدَّهْرُ ذُو فُنُونِ

قوله «من لَذَّةِ العيش» خبر إن في أول القطعة، يقول: إن أَكْلَ الشِّواءَ وشُرْبَ الخمر

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٧٩) وعند المرزوقي سَلْمُ بن ربيعة.

وإعمال النّاقة في مآرب الإنسانِ وغير ذلك ممّا ذُكِرَ لَذَّة يصيبها الرّجل في الحياة، وقوله «والفتى لِلدَّهر والدَّهرُ ذو فنون» الواو واو الحال، وذو فنون: ذو ضروب، يريد أنَّ كُلَّ ذلك مما يلتذُّ به العائشُ لكن الفتى مَهْدَفٌ للدهر والدّهر ذو تاراتٍ.

٦ ـ والـعُـسْـرُ كَـالـيُـسْـرِ والـغِـنـى   كَـالـعُـدْمِ والـحَـيُ لِـلْـمَـنُـونِ
٧ ـ أَهْـلَـكْـنَ طَـمْـسًـا وَبَـعْـدَهُ   غَـذِيَّ بَـهْـم وَذَا جُـدُونِ
٨ ـ وَأَهْـلَ جَـاشٍ ومَـأْرِبِ   وحَـيَّ لُـقْـمَـانَ والـتُّـقُـونِ

[٤١١] وقال آخر:

هو عبد الله بن هَمَّام السَّلوليّ، من بني مرّة بن صَعْصَعة من قيس عَيْلان، وبنو مرّة يُعْرَفون ببني سَلول، وسَلول أُمّهم، وهي بنت ذُهْل بن شيبان بن ثعلبة، وكان عبد الله مَكِينًا عند آلِ مروان، وهو الّذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية في قوله: [الوافر]

تَـعَـزَّوْا يـا بَـنِـي حَـرْبٍ بِـصَـبْـرٍ   فَـمَـنْ هـذَا الَّـذِي يَـرْجُـو الـخُـلُـودَا
خِـلاَفَـة رَبِّـكُـمْ حَـامُـوا عَـلَـيْـهـا   ولاَ تَـرْمُـوا بـهـا الـغَـرَضَ الـبَـعِـيـدَا
تَـلَـقَّـفَـهـا يَـزِيـدٌ عَـنْ أَبِـيـهِ   فَـخُـذْهَـا يَـا مُـعَـاوِيَ عَـنْ يَـزِيـدَا

١ ـ وأَنْـتَ امْـرُؤٌ إمَّـا ائْـتَـمَـنْـتُـكَ خَـالِـيًـا   فَـخُـنْـتَ، وإمَّـا قُـلْـتَ قَـوْلاً بِـلاَ عِـلْـمِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

وَشَى وَاشٍ بعبد الله بن هَمَّام السلولي إلى زياد بن أبي سفيان، فقال: إنه هجاك، فقال زياد للرّجل: أفأَجمعُ بينكما؟ قال: نعم، فبعث زياد إلى ابن همام فجاء، ودخلَ الرجلُ بيتًا، فقال زياد لابن همّام: بلغني أنك هجوتني، فقال له: كلاّ أصلح الله الأمير، ما فعلتُ، وما أنتَ لذلك أهلٌ، قال: فإن هذا أخبرني فأخرج الرجل، وأطرق ابن همام هنيهة، ثم أقبل على الرجل فقال: «وأَنْتَ امرؤ إمّا ائتمنتك خاليًا ـ البيتين» فأُعجِبَ زياد بجوابه، وأقصى السَّاعي ولم يقبلْ منه.

يقول للساعي به: إنّكَ على كلِّ الأحوال مذمومٌ؛ لأنكَ لا تخلو من أن تكون تقول هذا بغير علم بل كذبًا عليَّ، أو تقوله وقد أسررتُ إليك وقد خُنْتَني لما أفشيتَ سِرِّي، وقوله «ائتمنتكَ» افتعلتُ من الأمانة، ولكَ أن تخفّفَ الهمزة وتُبْدِلَ منها ياء، ولك أن تُعَوِّضَ من الهمزة ياء فتدغمه في التاء التي بعدها فتقول: اتَّمَنْتُكَ، و«خاليًا» نصب على الحال، وذو الحال يجوز أن يكون الشاعر، والمعنى جعلتكَ موضعًا لِلأمانة وقد خلوتُ بك لِئَلاً يتجاوزنا السِّرُّ الذي أودعته، ويجوز أن يكون حالاً للمخاطب، والمعنى مفردًا، فإن قيل: ما موضع «إمّا ائتمنتك» من الإعراب؟ قلت: هي في موضع رفع على أن تكون

صفة لامرىء، و«إما» هذه هي التي تقرّ في حروف العطف والكلام خبر، يريد أنت رجلٌ لا تخلو من أحد الأمرين اللّذين أذكرهما، فهو كما تقول: أنت رجل أيّما رجل إما صالح وإمّا طالح. وقوله «فخنتَ» انعطفت على «إما ائتمنتكَ» كأنه قال أنتَ رجلٌ إما مؤتمنٌ فخائنٌ وإمّا قائلٌ قولاً لا عِلْمَ لك به، فقوله «وإمّا» الواو هي العاطفة و«إما» كأو في أنه لأحد الأمرين إلاّ أن «أو» يُبنَى الكلام فيه على غير اليقين، ولهذا قال حُذَّاق البصريين: إنه ليس من حروف العطف، تقول: رأيتُ إمّا زيدًا وإمّا عمرًا؛ فإما الأولى سابق المعطوف عليه وهو زيد وإما الثانية معها الواو العاطفة.

٢ ـ فأنْتَ مِنَ الأَمْرِ الَّذِي كانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الخِيَانَةِ والإِثْمِ

قوله «فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا» مبتدأ، وخبره «بمنزلة» و«بين الخيانة» صفة للمنزلة، والمعنى: أنتَ مِمّا بيننا في موقف يشفي بك إما على الخيانة فيما ائتمنت فيه وإمّا على الإثم فيما تستشهد فيه: أي بما لا عِلْمَ لَكَ به.

[٤١٢] وقال شبيبُ بن البَرْصَاء المُرِّيّ[١]:

١ ـ قُلْتُ لِغَلاَّقٍ بِعِرْنَانَ مَا تَرَى فَمَا كادَ لِي عَنْ ظَهْرِ وَاضِحَةٍ يُبْدِي

أول الطويل، والقافية متواتر.

عِرنان: اسم وادٍ[٢]، وقوله «عن ظهر واضحة» يريد عن ظهر خصلة بيّنة ويجوز أن يريد بالواضحة السّنّ، والمعنى لم يكدْ يتهلّلُ: أي يكشفُ عن أسنانه ضاحكًا، وأن يكون المراد بالواضحة السّنّ أجود، كما قال طرفة: [السريع]

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَلْتُهُ لاَ تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَهْ

٢ ـ تَبَسَّمَ كُرْهًا واسْتَبَنْتُ الَّذِي بهِ مِنَ الحَزَنِ البَادِي ومِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ

قوله «تبسّمَ كُرْهًا» يدلُّ على الوجه الثاني.

٣ ـ إذَا المَرْءُ أَعْرَاهُ الصَّدِيقُ بَدَا لَهُ بِأَرْضِ الأَعَادِي بَعْضُ أَلْوَانِها الرُّبْدِ

يقول: إذ الرجلُ خَذَلَهُ صديقه وقعدَ عن نصرته وقد تركه بالعَرَاءِ في أرض الأعداء بَدَا له من ألوان الأرض، وهذا مَثَلٌ، أي: ظهرَ له من أعدائه ما يكره، ويُرْوَى «إذا المرء أعياه الصديق».

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٠٥).
(٢) عِرنان: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في: (معجم البلدان ٤/ ١١١).

[٤١٣] وقال سالم بن وَابصة الأَسديّ[١]:

١ ـ أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَوَاحِشَ سَمْعُهُ   كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا

الوزن كالأول، والوَقْرُ: الثقل في الأُذن.

٢ ـ سَلِيمَ دَوَاعِي الصَّدْرِ لاَ بَاسِطًا أَذًى   ولاَ مَانِعًا خَيْرًا ولاَ قَائلاً هُجْرَا

لكَ أن ترفع «سليمُ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو سليمٌ، ويكون ما بعده صفات له، وهو «لا باسطٌ أَذًى إلى آخر البيت» ودواعي الصّدر: همّه، أي لا تدعوه إلاَّ إلى خير فهي سليمة من كلِّ شيء؛ ولكَ أن تنصبَ «سليمَ دَواعي الصَّدر» مع ما بعده فيكون في موضع الحال، وما يتبعه صفات له، وهو «لا باسطًا أذى إلى آخر البيت».

٣ ـ إذَا شِئْتَ أنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُكَرَّمًا   أَدِيبًا ظَرِيفًا عَاقِلاً مَاجِدًا حُرًا

٤ ـ إذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ   فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْرَا

٥ ـ غِنَى النَّفْسِ ما يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّة   فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرَا

انتصبَ «شيئًا» على المصدر لأنه واقع موقع زيادة، وزاد هنا بمعنى ازداد فلا يتعدَّى، وانتصبَ «فقرًا» على الحال.

[٤١٤] وقال المُؤَمَّل بن أُمَيْلِ المحاربيّ[٢]:

١ ـ وكَمْ مِنْ لَئِيمٍ وَدَّ أَنِّي شَتَمْتُهُ   وَإنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وعَلْقَمُ

من ثاني الطويل، والقافية متدارك.

الصَّاب: عُصَارة شجرٍ مُرٍّ، وبعضهم يقول: هو عصارةُ الصّبر، وقيل: الصَّاب شجر لها لبن، فإذا أصابَ العينَ حلبها، والعلقم: الحنظل إذا اشتدّتْ مرارتُه.

٢ ـ وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمًا   أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

يقول: لَإِمْسَاكي عن مشاتمة اللّئام أَخْذًا بِالكَرَم أَصْوَنُ لِعِرْضِي وأَعْوَدُ عليهم بِالضَّرر من كل ذمّ وهجو، وانتصبَ «تَكَرُّمًا» على أنه مصدر في موضع الحال: أي متكرّمًا، ويجوز أن يكون مفعولاً له: أي لِلتّكرّم.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٤٦).

(٢) المُؤَمَّل بن أُمَيْل بن أسيد المحاربيّ: شاعر من أهل الكوفة، أدرك العصر الأمويّ واشتهر في العصر العباسي، وكان فيه من رجال الجيش، عَمِيَ في أواخر عمره (ت نحو ١٩٠هـ/ ٨٠٥ م). ترجمته في: (نكت الهميان ص ٢٩٩؛ وتاريخ بغداد ١٣/١٧٧؛ والمرزباني ص ٣٨٤؛ والأغاني ١٩/ ١٤٧).

[٤١٥] وقال عَقيلُ بن عُلَّفَةَ المرّيّ[1]:

مُرَّة بن عوف بن سعد بن بغيض، ويُصَحَّفُ بابن عِلْقَة، وَعِلْقَةُ تَيْميّ لم يُعْرَفِ اسمه ونسبه.

١ - وَلِلدَّهْرِ أثْوابٌ فَكُنْ في ثِيَابِهِ كَلِبْسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا

من ثاني الطويل.

أراد أجدَّ يومًا وأخلقَ يومًا، يقول: كُنْ مُتَلوّنًا كتلوّنِ الدّهرِ، وخالق الناس بأخلاقهم، ولا تُكَلِّفْهُمْ من خلقكَ ما لا يحتملون.

٢ - وكُنْ أَكْيَسَ الكَيْسَى إذَا كنتَ فِيهِمُ وإنْ كنتَ في الحَمْقَى فَكنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

هذا كقول بَيْهس: [الرجز]

إلْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا

وقول الآخر: [السريع]

وَاجْرِ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي

[٤١٦] وقال بعض الفَزَارِيِّين:

١ - أُكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسَّوْأَةَ اللَّقَبَا

من أول البسيط، والقافية متراكب.

يَصِفُ حُسْنَ عِشرته لصاحبه وجليسه، يقول: إذا خاطبته خاطبته بأحبِّ أسمائه إليه، وينتصب «اللَّقبا» بألقبه، وينتصب «السوأة» على أنه مفعول معه، فيكون من باب «جاء البَرْدُ والطَّيالسةَ» والتقدير لا ألقبه اللّقب مع السّوأة، ويجري هذا المجرى قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[2] لأن المعنى مع شركائكم، ويكون المعنى: لا أجمعُ بين اللَّقبِ وما يسوءُ من فحشِ الكلام، فهذا وجهٌ للنصب، ويجوز أن يكون انتصاب «السّوأة» على المعنى، كأنه قال: لا آتي السَّوْأَةَ، فعمل فيه معنى لا ألقبه، فيكون على هذا من باب: [الكامل]

يَا لَيْتَ بَعْلَكِ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا[3]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٧). (٢) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٣) البيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٠٨؛ وأمالي المرتضى ١/٥٤؛ والإنصاف ٢/٦١٢؛ والخصائص ٢/٤٣١؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ١٨٢؛ وشرح المفصّل ٢/٥٠؛ ولسان العرب (رغب، زجج، ومسح)؛ والمقتضب ٢/٥١؛ وهو لعبد الله بن الزبعرى كما في حواشي ابن القوطية على الكامل ص ١٨٩.

و[الرجز]:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا[1]

ويجوز أن يكون «السَّوْأَة» مفعولاً به، وقد عمل ما قبل الواو فيه، كما تقول: ما زلتُ وزيدًا حتى فعلَ كذا: أي ما زلت بزيدٍ حتى فعل كذا، وتقدير الباء في هذه أكشف من تقدير «مع» وإن تقاربَ معْنَيَاهما، كأنه قال لا أُلَقِّبه بالسّوأة، ويقال: سَمَّيته بكذا وكذا، ولقّبته بكذا وكذا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[2] وإن رفع فارتفاعه يجوز أن يكون بالابتداء، ويكون الخبر مُضمَرًا، كأنه قال: والسّوأة ذاك، يعني إن لقبته وأفحشت فيه، ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره اللّقبا، ويكون مصدرًا كالجَمَزَى والوَكَرَى وما أشبههما، والمراد الفحش واستعمال اللّقب معه، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا أُلَقِّبه اللّقَبَ وهو السّوأة، وهذا أقرب، والسّوأة: الفعلة القبيحة، قال الشاعر: [الخفيف]

يَا لَقَوْمِي لِلسَّوْأَةِ السَّوْآءِ[3]

ويُسَمَّى الفرج السَّوْأة لِقُبْحِه، وقال أبو العلاء: هذا على التقديم والتأخير كأنه قال: ولا أُلَقِّبُه اللّقب والسّوأة ونحو منه قول الآخر: [الوافر]

فَقُلْتُ لَهَا أَنَخْلَةَ بَطْنِ عِرْقٍ ... وَأَنْبَتَ اسْتَهَلَّ بِكِ الغَمَامُ

أراد: استهلّ بكِ الغمام وأنبتَ، وقال ذو الرّمّة: [الطويل]

كَأَنَّا عَلَى أَوْلَادِ أَحْقَبَ لَاحَهَا ... وَرَمْيُ السَّفَا أَكْفَالَهَا بِسِهَامِ
دَبُورٌ ذَوَتْ عَنْهَا التَّنَاهِي وَأَلْحَقَتْ ... بِهَا يَوْمَ ذَبَّاتُ السَّبِيبِ صِيَامُ

كأنه قال: لاحَها دبورٌ ذَوَتْ عنها التّناهي ورَمَى السّفا أكفالها بسهام، يعني بأولاد أحقب حَمير وحش، والسِّهام: ريح حارّة، والسَّفا: شوك البهمى، والتّناهي: جمع تَنْهِيَة: وهي نحو الغدير، وذَبّات السبيب: أي إنّها تَذُبُّ بأذنابها وقد يجوز أن يكون من الذَّبِّ، والذبُّ: الكثير الحركة.

٢ ـ كَذَاكَ أُدِّبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي ... أَنِّي وَجَدْتُ مِلَاكَ الشِّيمَةِ الأَدَبَا

---

(١) البيت بدون نسبة عند العيني ٤/١٨١؛ والمرتضى ٤/١٧٠؛ وابن الشجري ٢/٣٢١؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي ص ٣١٤؛ والخزانة ١/٣٣٠. وقال البغدادي: وأورد له العلاّمة الشيرازي، والفاضل اليمني صدرًا وجعل المذكور عجزًا هكذا:

لمّا حططتُ الرّحلَ عنها واردًا ... علفتها تبنًا وماءً باردًا

وجعله غيرهما صدرًا وأورد عجزًا هكذا:

علفتها تبنًا وماءً باردًا ... حتى شتت همّالة عيناها

وعلفتها: أي سقيتها ماءً باردًا.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) صدره: «لم يهب حرمة النديم وحقت».

المِلاَك: اسم لِمَا يملك به الشيء فهو كالرِّباط والنِّظام وما أشبههما، والأدب: اسم لما يفعله الإنسان فيتزيّن به في الناس، وأصله من الدعاء، والأدب يدعو إلى نفسه بحُسنه.

[٤١٧] وقال رَجُلٌ[(١)] من بني قُرَيْع:

١ - مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وَجَارُهُ ... فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَجَلِيدُ

ثالث الطويل، والقافية متواتر.

أي: يقولون هذا من عَجْزِهِ أُتِيَ وهذا لجلادته أُغْنِيَ، وهذا خطأ؛ لأن الغنى والفقر ممّا قَدَّره الله تعالى، والبيت الذي بعده يوضحه.

٢ - ولَيسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الفَتَى ... وَلكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

٣ - إذَا المَرْءُ أعْيَتْهُ المُرُوءَةُ نَاشِئًا ... فَمَطْلَبُهَا كَهلاً عَلَيهِ شَدِيدُ

انتصب «ناشئًا» على الحال، والعامل فيه «أعيته» ويقال: فَتًى ناشئٌ: أي شاب، قال الخليل: ولا توصَفُ به الجاريةُ، والناشئة أوّل الوقت من هذا؛ وينتصب «كهلاً» على الحال أيضًا، والعامل فيها «مطلبها» لأن المعنى مطلبه لها وهو كهل؛ فالمصدر مضاف إلى المفعول، أو مطلبه لها إذا كان كهلاً، ومثله «هذا تمرًا أطيبُ منه بُسْرًا».

٤ - وكَائِنْ رَأَينَا مِنْ غَنِيٍّ مُذمَّمٍ ... وصُعْلُوكِ قَوْمٍ مَاتَ وهْوَ حَمِيدُ

كائن: بمعنى كَمْ.

[٤١٨] وقال آخر:

١ - أَضْحَتْ أُمُورُ النَّاسِ يَغْشَينَ عَالِمًا ... بِمَا يُتَّقَى مِنهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: يَغْشَيْن مِنِّي عالمًا لأنَّ العالم هو هو فحذف مني، والمعنى: إنّي باشرتُ الأمورَ العظيمة.

٢ - جَدِيرٌ بأَنْ لا أَسْتَكِينَ ولاَ أُرَى ... إذَا الأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

لا أَستكين: لا أخضع، ويقال: تبلَّدَ الرَّجُلُ في أمرِه، إذا تحيَّرَ فأقبل يضربُ بَلْدَةَ نحره بيده، وبلدة النحر: الثغرة وما حولها، قال الخليل: التبلّد نقيض التجلّد، وهو استكانة وخضوع.

---

(١) هو المعلوط السعدي القريعي كما في عيون الأخبار ٣/ ١٨٩؛ وفي الاشتقاق ص ١٥٥. والبيت الثالث في ملحق ديوان المخبَّل السعدي، وفي الخزانة ٣/ ٢١٩.

[٤١٩] وقال آخر[١]:

١ ـ وإنَّـكَ لاَ تَـدْرِي إذَا جَـاء سَـائِـلٌ أَأَنْـتَ بِـمَـا تُـعْـطِـيـهِ أَمْ هُـوَ أَسْـعَـدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: لَعَلَّ ما يصلُ إليك من مكافأته وثنائه عليك أنفع لكَ ممّا أخذه، وتقديره: أأنتَ أسعدُ بما تعطيه أم هو، وأم هذه هي المتّصلة المعادلة لألف الاستفهام، وانعطف «هو» على «أنت» وقد يجيءُ الخبر في مثله مكرّرًا، كقول الشاعر[٢]: [الرجز]

بَـاتَ يُـقَـاسِـي أَمْـرَهُ أَمُـبْـرَمُـهْ أَعْـصَـمُـهُ أَمِ الـسَّـحِـيـلُ أَعْـصَـمُـهْ

فيكون التّكرار فيه على طريق التأكيد، ويجري «بين» هذا المجرى في نحو قولهم: بين زيد وبين عمرو خلاف.

٢ ـ عَـسَـى سَـائِـلٌ ذُو حَـاجَـةٍ إنْ مَـنَـعْـتَـهُ مِـنَ الـيَـوْمِ سُـؤْلاً أَنْ يَـكُـونَ لَـهُ غَـدُ

«أن يكون له غَدُ» في موضع خبر عسى، والضمير في «له» يعود إلى السائل، والمعنى عساه إنْ منعته سؤله من يوم كان عليه أن يكون غد ذلك اليوم له، ولهذا قال الله عزّ وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣] فغد يرتفع بـ«يكون» و«له» في موضع الخبر.

٣ ـ وَفِي كَثْرَةِ الأَيْدِي لِذِي الجَهْلِ زَاجِرٌ وَلَـلْـحِـلْـمُ أَبْـقَـى لِـلـرِّجَـالِ وأَعْـوَدُ

يقول: استبقِ إخوانَكَ واعلمْ أنَّ في التَّكاثُرِ بهم مَزْجرة للجهل، ومع ذلك فالحِلمُ أبقى وأنفع.

[٤٢٠] وقال آخر:

١ ـ إيَّـاكَ والأَمْـرَ الَّـذِي إنْ تَـوَسَّـعَـتْ مَـوَارِدُهُ ضَـاقَـتْ عَـلَـيْـكَ الـمَـصَـادِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

انتصب «والأمرَ» بفعل مُضْمَر، و«إيّاك» نابَ عن أُحَذِّرُك، فكأنه قال: أُحَذِّرُكَ أن تلابسَ الأمرَ الذي إن توسَّعتْ موارده ضاقت مصادره، ويُروَى «إن توسّعت مداخله».

٢ ـ فَـمَـا حَـسَـنٌ أَنْ يَـعْـذِرَ الـمَـرْءُ نَـفْـسَـهُ وَلَـيْـسَ لَـهُ مِـنْ سَـائِـرِ الـنَّـاسِ عَـاذِرُ

في إعراب «أن يَعذِرَ» وجوه: أحدها: أن يرتفع بالابتداء، وخبره متقدّم عليه، وهو «حسن»، لأن ما النافية إذا قُدِّمَ خبرها على اسمها يبطل عملها، ويجوز أن يكون موضعه رفعًا بفعله، وفعله حسن رفع بالابتداء، ويَسْتَغني بفاعله عن خبره، وجاز الابتداء

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «عَدِيّ بن زيد العبادي».

(٢) هو الراجز العجاج وهو في ديوانه ص ٦٤. (٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

بحسن وإن كان نكرة؛ لاعتماده على حرف النفي، والمعنى ما يحسن عذر المرء نفسه فيما يتولاّه وليس له من الناس عاذر، ويجوز أن يرتفع «أن يعذر» بأنه خبر المبتدأ الذي هو حسن، وهذا أضعف الوجوه.

[٤٢١] وقال العبَّاسُ بن مِرْدَاس[(١)]:

وقال أبو رياش: هذا الشعر لمعاوية بن مالك معوّد الحكماء الكلابيّ وإنما سُمِّيَ معوّد الحكماء لقوله: [الوافر]

سَأَعْقِلُهَا وَتَحْمِلُهَا غَنِيٌّ ... وَأُورِثُ مَجْدَهَا أَبَدًا كِلابَا
أُعَوِّدُ مِثْلَهَا الحُكَمَاءَ بَعْدِي ... إذَا مَا نَائِبُ الحَدَثَانِ نَابَا
سَبَقْتُ بِهَا قُدَامَةَ أوْ سُمَيْرًا ... ولَوْ دُعِيَا إلَى مِثْلٍ أجَابَا

قدامة وسُمَير: من بني سَلَمة الخير من قشير بن كعب، وكانا شريفين، وكان قُدَامة يقال له الذّائد، وقُتِلَ يوم النّسار.

١ - تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وفي أثْوَابِهِ أَسَدٌ مَزِيرُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

المصدر من «مَزير» المَزَارة، والمزير: العاقل الحازم، ويُروَى «مَرير» أي قويّ القلب شديده، ويُروَى «يَزِيرُ» إذا أرادوا يَزْئِرُ، وقولهم يَزَرُ بالحذف أقيس وأكثر، ولو فعل ذلك مَن قال يزأر ففتح لَوَجَبَ أن يقول إذا حذف يَزَرُ، وإذا لم يحذف يَزار، ومَنْ روى يَزير فليس بجيّد من طريق المعنى؛ لأن تشبيهه إيّاه بالأسد لا فائدةَ لِذِكْرِ الزئير معه؛ إذ لا تدومُ حاله على ذلك، ووجهه على ضعفه أن يكون يزير تأكيدًا للتشبيه، على ذلك قوله: [الرجز]

أَزَلُّ إنْ قِيدَ وَإنْ قَادَ نَصَبْ

والزّلل من صفات الذئب.

٢ - ويُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ

الطَّرير: الشّاب الناعم ذو الكِدْنة.

٣ - فَمَا عِظَمُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ ... ولَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وخِيرُ
٤ - بَغَاثُ الطَّيْرِ أكْثَرُهَا فِرَاخًا ... وأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلاَتٌ نَزُورُ
٥ - ضِعَافُ الطَّيْرِ أطْوَلُهَا جُسُومًا ... ولَمْ تَطُلِ البُزَاةُ ولاَ الصُّقُورُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٥٠).

انتصب «فراخًا» و«جسومًا» على التمييز، والمِقْلاَت: مِفْعَال من القلت، وهو الهلاك، يُكتَب بالتاء، والنّزور: القليلة الأولاد، من النَّزْر وهو القليل، والبَغَاث والبِغاث والبُغاث: ما لا يصيد من الطير.

٦ ـ لَقَدْ عَظُمَ البَعِيرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فَلَمْ يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعِيرُ
٧ ـ يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ويَحْبِسُهُ عَلَى الخَسْفِ الجَرِيرُ
٨ ـ وَتَضْرِبُهُ الوَلِيدَةُ بِالهَرَاوَى فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ ولاَ نَكِيرُ

الهَرَاوى: جمع هِرَاوة، ووزنه فعائل وأصله هَرَائى لأن فَعِيلة وفَعَالة يشتركان في هذا البناء من التكسير، تقول: صَحِيفة وصَحَائِف ورِسَالة ورسائل، إلا أنهم فرّوا من الكسرة بعدها ياء إلى الفتحة فصار هَرَاءَا، فاجتمع همزة وألفان، فكأنه قد اجتمع ثلاث ألفات أو ثلاث همزات، فأبدلت من الهمزة واو، فصار هَرَاوَى، فإن قيلَ: لِمَ لم تبدل منها الياء كما فعلته في مطايا وما أشبهها؟ قلت: أرادوا أن يظهر في الجمع الواو كما ظهر في الواحد لتتميّز بنات الياء من بنات الواو. وقوله «فلا غير» أي: لا تغيير، ومن ذلك قولهم للدّية «غير» أي تغيير القود.

٩ ـ فإنْ أَكُ في شِرَارِكُمُ قَلِيلاً فَإنِّي في خِيَارِكُمُ كَثِيرُ

الشِّرَار والأشرار: جمع شَرّ، إذا وصف به الناس، فإذا أردت نفس الشر جمعت شرورًا، قال الفرَّاء: شَرُرْتَ يا رجل شَرَارةً، فأنت شريرٌ، يقول: إن لم يعرفني شِراركم لأني لست منهم فإن خياركم يعرفني لأني منهم.

[٤٢٢] وقال بَعْضهم:

١ ـ أَعاذِلُ ما عُمْرِي وهَلْ لِي وقَدْ أَتَتْ لِدَاتِي على خَمْسٍ وسِتِّينَ مِنْ عُمْرِي

الأول من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «ما عمري» استفهام على طريق التحقير، كأن العاذلة كانت عتبت عليه في التبذير وخَوَّفته العواقبَ فقال: أي شيء عمري وكيف يدومُ بقائي حتى أُخَوَّفَ بالفقر وهل لي عمر وأقراني يعدّون خمسًا وستين سنة، ثم أخذ يذمُّ الحريص على الدنيا لأنَّ له أَجَلاً يُساقُ إليه وهو فيها كالمسافر، فقال:

٢ ـ رَأَيتُ أخا الدُّنيا وإنْ كانَ خافِضًا أَخَا سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وَهْوَ لاَ يَدْرِي
٣ ـ مُقِيمِينَ في دَارٍ نَرُوحُ ونَغْتَدِي بِلاَ أُهْبَةِ الثَّاوِي المقِيمِ ولاَ السَّفْرِ

الثَّاوي: اللاّزم النّازل، والمَثْوَى: المنزل، والسَّفر: المسافرون، والأُهْبَة: العدّة.

[٤٢٣] وقال بَعْضهم(١):

١ - لاَ تَعْتَرِضْ فِي الأَمْرِ تُكْفَى شُؤونَهُ ... ولاَ تَنْصَحَنْ إلاَّ لِمَنْ هُوَ قابِلُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«قابله» ردّ الضمير إلى الفعل، والمعنى لا تبذل النّصح إلاَّ لمَن يقبله، يقول: لا تعترضْ فيما كُفِيته ولا تنصحْ إلاّ لمَن يقبل النّصيحة، وقال أكثم: الحزم فعل ما وليت، وترك ما كفيت.

٢ - ولاَ تَخْذُلِ المَوْلَى إذَا مَا مُلِمَّةٌ ... أَلَمَّتْ ونَازِلْ في الوَغَى مَنْ يُنَازِلُهْ

أي: لا تخذل ابنَ عَمِّكَ إذا نزلت به نازلة.

٣ - ولاَ تَخْرِمِ المَوْلَى الكَرِيمَ فَإِنَّهُ ... أَخُوكَ ولاَ تَدْرِي لَعَلَّكَ سَائِلُهْ

[٤٢٤] وقال منظور بن سُحَيْم(٢):

١ - ولَسْتُ بِهَاجٍ في القِرى أَهْلَ مَنْزِلٍ ... عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وأُبْكِي البَوَاكِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: لا أهجو بسبب القِرى، وهو ما يُقَدَّمُ إلى الضيف، وقوله «أبكي» ولا بكاء هناك كأنه يريد لا آسَفُ لِمَا أرى من الحرمان أَسَفَ مَن يَبْكي ويُبْكي غيرَه تهالُكًا على مال غيره.

٢ - فَإِمَّا كِرَامٌ مُوسِرُونَ أَتَيْتُهُمْ ... فحَسْبِي مِنْ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفانِيَا

قوله «فإمّا كِرامٌ» فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله «كرام» فارتفع بفعل مُضْمَر دلّ عليه الفعل الذي بعده، كأنه قال: فإمَّا يُقْصَد كرام موسَرون أتيتهم، وقوله «فحسبي» في موضع الابتداء، و«ما كفاني» في موضع الخبر، والفاء مع ما بعده جواب الشرط، وقوله «من ذو عندهم» قال المرزوقي: العرب تقول: هذا ذو زيد، يريدون هذا زيدٌ، وهذا من إضافة المسمّى إلى الاسم، قال الأعشى: [البسيط]

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ... ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي المَوْتَ والشَّرَعَا

أي: العسكر الذي يقال له آل حسان، هذا إذا رويت «فحسبي من ذي عندهم»،

---

(١) هو عبيد بن أيوب العنبري كما في مجموعة المعاني ص ١٤؛ وعبيد بن أيوب: أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم، وكان جنى جناية فطلبه السلطان وأباح دمه، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد لشدّة خوفه، (الشعر والشعراء ص ٧٥٨؛ واللآلي ص ٣٨٣).

(٢) منظور بن سُحَيْم بن نوفل بن نضلة الأسدي الفقعسيّ: أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن الكوفة. ترجمته في: (الإصابة تر ٨٤٧١، والمرزباني ٣٧٤).

ويُروَى «من ذو عندهم»[1] ويكون «ذو» بمعنى الذي، و«عندهم» في صلته، و«ذو» هذه طائية، ولا يعدل عن هذه الرواية في هذا البيت.

٣ ـ وإمَّـا كِـرَامٌ مُـعْـسِـرُونَ عَـذَرْتُـهُـمْ وَإمَّـا لِـئَـامٌ فَـادَّكَـرْتُ حَـيَـائِـيَـا

٤ ـ وَعِـرْضِـيَ أبْـقَـى مَـا ادَّخَـرْتُ ذَخِـيـرَةً وَبَـطْـنِـيَ أَطْـوِيـهِ كَـطَـيِّ رِدائِـيَـا

قوله «ما ادَّخَرْتُ» ما في موضع الجرّ، كأنه قال: عِرضي أبقى شيء أَدَّخره ذخيرةً، أي: أكتسبُه ذخيرةً، فعلى هذا ينتصب «ذخيرة» على الحال المؤكّدة لما قبله، و«ادَّخَرَ» افْتَعَل من الذُّخْرِ، لكنه أبدل من التاء دالاً، فأدغم الدّال فيه، فلك أن تقول: ادَّخَرَ، ولك أن تقول: اذَّخَرَ، كأنه قال: أُبقِي على عِرضي لأنه أعزّ الذخائر لي.

[٤٢٥] وقَال سَالِمُ بن وَابِصَةَ[2]:

١ ـ وَنَـيْـرَبٍ مِنْ مَوالِي السَّوْءِ ذِي حَسَدٍ يَـقْـتَـاتُ لَـحْـمِي ولا يَـشْـفِـيهِ مِنْ قَـرَمِ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

النَّيْرَب: النَّميمة والعَدَاوة، أراد وذِي نيرب، والمصدر وما يجري مجراه إذا وُصِفَ به إمّا أن يكون على حذف المضاف، وإمّا أن يجعل الموصوف نفس الحدث لِكَثْرَةِ وقوعه منه، فيقول: رُبَّ ذِي نَيْرَبٍ حَسُودٍ من موالي السوء يغتابني ويأكُل لَحْمي ولا يشفيه ذلك من قَرَمٍ، ويقتات: يفتعل من القوت، وجواب رُبَّ قوله:

٢ ـ دَاوَيْـتُ صَـدْرًا طَـوِيـلاً غِـمْـرُهُ حَـقِـدًا مِـنْـهُ وَقَـلَّـمْـتُ أَظْـفَـارًا بِـلاَ جَـلَـمِ

«داويتُ» أي: صابَرْتُه على مداجاته وانطوائه على حقدي فدفَعْتُ شرّه عن نفسي بِطولِ مُدَاراتي واحتاجَ إلى الإمساك عن أَذَايَ لِدَوام تَمَسّكي بمجاملته شاءَ أو أبَى، وقوله «حَقِدًا» هو اسم الفاعل من حَقِدَ، وهو لغة في حَقَدَ، يقال: حَقِدَ يَحْقَدُ حَقَدًا فهو حَقِدٌ، وحَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ.

٣ ـ بِـالـحَـزْمِ وَالـخَـيْـرِ أُسْـدِيـهِ وَأُلْـحِـمُـهُ تَـقْـوَى الإلـهِ وَمَـا لَـمْ يَـرْعَ مِـنْ رَحِـمِ

الباء من قوله «بالحزم» تعلّق بقلّمتُ أو داويتُ، وقوله «أسديه وألحمه» خبران لُفَّ أحدُهما بالآخر، وقوله «تَقْوَى الإله» يرجع إلى أسديه، و«ما لم يرعَ من رَحِمِ» يرجع إلى أُلْحِمُهُ، ومعنى «داوَيت صدره» أي مكنونَ صدره.

٤ ـ فَـأَصْـبَـحَـتْ قَـوْسُـهُ دُونِـي مُـوَتَّـرَةً يَـرْمِـي عَـدُوِّي جِـهَـارًا غَـيْـرَ مُـكْـتَـتِـمِ

---

(١) هذا الشرح مأخوذ حرفيًا من المرزوقي، لأنّ هذه رواية التبريزي، أما المرزوقي فروايته: «من ذي عندَهم».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٤٦).

يقول: ما زلتُ أتلطّفُ وأُصلِحُ الأمرَ الفاسدَ بِالرِّفْقِ قليلاً قليلاً، حتى صار يقاتل عنّي عَدوّي مجاهرةً بعدما كان يعاديني مكاشرة.

٥ ـ إنَّ مِنَ الحِلْمِ ذُلاً أَنْتَ عارِفُهُ   وَالحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الكَرَمِ

نَبَّهَ بهذا الكلام أنَّ حِلْمَهُ عنهم كان عن قدرةٍ لا عَنْ عَجْزٍ.

[٤٢٦] وقال آخر[1]:

١ ـ وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا   فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ

أوّل الوافر، والقافية متواتر.

يقول: تَعْرِضُ لي مَطَاعِمُ فيها دَنَسٌ فأتركُها وبطني جائعٌ مخافةَ العار والإثم.

٢ ـ فَلاَ وَأَبِيكَ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ   وَلاَ الدُّنْيَا إذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ

٣ ـ يَعِيشُ المَرْءُ ما اسْتَحْيا بِخَيْرٍ   وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

مثله قول الآخر: [الطويل]

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ مَطَاعِمَ جَمَّةٍ   إِذَا زَيَّنَ الفَحْشَاءَ لِلنَّفْسِ جُوعُهَا

وقوله: [الكامل]

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ   حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ[2]

فقوله «أظلّه» أي: أظلّ عليه، فحذف حرف الجرّ، كما قال «لَوْلا الأسَى لَقَضَانِي»[3] أي: لَقَضَى عَلَيَّ.

[٤٢٧] وقال نافع بن سعد الطّائي:

١ ـ أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إذا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ   عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكَرَّمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «على طمعٍ» أي: على مطموع فيه، ومنه قِيلَ لأرزاق الجند أطماعهم.

٢ ـ وَلَسْتُ بِلَوَّامٍ عَلَى الأَمْرِ بَعْدَمَا   يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أَتَقَدَّمَا

---

(١) في الحماسة البصرية ٢/ ١٠ لجميل بن المعلّى الفزاري.

(٢) البيت لعنترة في ديوانه ص ١١٩؛ واللسان (ظلل). وهو في مقاييس اللغة ٣/ ٤٣٠.

(٣) هذه قطعة من بيت لأعرابي من بني كلاب كما في الكامل ٢١ ليبسك، واللسان (غرض وقضى)، وتمامه مع بيت سابق له:

فمَنْ يكُ لم يَغْرَضْ فإنّي وناقتي   بِحَجْرٍ إلى أهلِ الحِمَى غَرِضانِ
تحنُّ فتُبدي ما بها من صبابةٍ   وأُخفي الذي لولا الأسى لَقَضاني

يقول: إذا فاتني أمرٌ لا أرجعُ على نفسي باللَّوْمِ الكثيرِ تحسُّرًا في أثره لكنني حقيقٌ بأنْ أتقدَّمَ في تحصيلِهِ قبل فَوْتِه، وقوله «ولكن عَلَّ» هو أصل «لعلّ» وهو حرف موضوع للطَّمع والإشفاق، واسمه مُضْمَر، كأنه قال: ولكن لعلّني أن أتقدّم، وهو يجيءُ بأنْ وبغير «أَنْ»، وإذا كان معه «أنْ» أفاد فائدة عسى، فإذا جاء بغير «أنْ» كان الفعل أقرب وقوعًا لأن «أنْ» للاستقبال ولعلّ وإنْ كان حرفًا يُعَدّ مع أفعال المقاربة وهي عسى وكاد.

[٤٢٨] وقال بعض بني أسد[1]:

١ ـ إنِّي لأَسْتَغْني فَمَا أَبْطَرُ الغِنَى وَأَعْرِضُ مَيْسُورِي عَلى مُبْتَغِي قَرْضِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

«لا أبطرُ الغِنى» أي: لا أتطاولُ على غيري إذا استغنيت. والبطر في الغنى: سوءُ احتمالٍ، والميسور: اليُسْرُ، وقيل: إنه من المصادر النادرة، كالمَعْقُول والمفتون بمعنى الفتنة، ويُرْوَى «على مُبتغي عَرْضي» أي: مالي، وهو ما لم يكن من المال نقدًا، يقول: أعرضُ ما تيسّرَ عِندي على مَنْ يطلبُ مالي ولا أمنعُه، هذا إذا كان بفتح العين، ويُرْوَى «على مبتغي عِرْضِي» فيكون معناه من يؤمُّ عِرضي بهجاءٍ أو شَتْمٍ أعطيته ما أمكنني من المال حتى يكفَّ عَنِّي.

٢ ـ وَأُعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى وَمَعِي عِرْضِي

أي: معي جميل ذِكري لم أُفْسِدْهُ بإتيانِ دناءة، وقد يجعل العرض بمعنى حسن الذِّكر وجميل الثَّناء، ويقال: طعنَ فلانٌ في عِرْضِ فلانٍ، إذا ذكره بقبيحٍ.

٣ ـ وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ أَخُو ثِقَةٍ مِنِّي بِقَرْضٍ وَلاَ فَرْضِ

الهاء راجعة إلى العُسْرة: أي ما كلّفت أحدًا إزالتها بقرض ولا فرض، القَرْض: الدَّيْن، والفرض: الهِبَة، حتى تجلَّتْ: أي تكشَّفَتْ: أي صَبَرْتُ على العُسْرة وما شكوت إلى أحد حالي.

٤ ـ وَأَبْذُلُ مَعْرُوفي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي إِذَا كَدِرَتْ أَخْلاَقُ كلِّ فَتَى مَحْضِ

٥ ـ وَلَكِنَّهُ سَيْبُ الإلٰهِ وَرِحْلَتِي وَشَدِّي حَيَازِيمَ المَطِيَّةِ بِالغَرْضِ

سَيْبُ الإلٰه: عطاؤُهُ، والجمع سُيُوب، والحيازيم: جمع حَيْزُوم، وهو الوسط، وقوله «شَدِّي حيازيم المطيَّةِ بِالغَرْض» الألف واللاّم في المطيّة لاستغراقِ الجنس، لا

---

(١) هو الحكم بن عَبْدَل الأسدي، شاعر مقدّم، هجّاء، من شعراء بني أُمية، كان أعرج أحدب، منزله ومنشؤه الكوفة (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م) ترجمته في (الأغاني ٢: ٤٠٥، وتهذيب ابن عساكر ٤: ٣٩٦، والآمدي ١٦١).

للعهدِ، ألاَ ترى أنه لم يعيّنْ على مطية واحدة، وإنما أراد أنه لا يزال يُعْمِلُ المطايا، فذكرَ الواحدَ، والمراد به الجنس، يقول: ما زلت أركبُ وأُسَافرُ ويرزقني اللّهُ حتّى جاء اليُسْر وذهب العُسْر، والهاء في «ولكنه» تعود إلى ميسور الغِنى.

٦ ـ وَأَسْتَنْقِذُ المَوْلَى مِنَ الأَمْرِ بَعْدَمَا يَزِلُّ كَمَا زَلَّ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ

الدَّحْضُ: الزّلق، ثم يسمّى الموضع دَحْضًا، كما يقال للمغرب والمشرق غَرْبٌ وشَرْقٌ، ثم كَثُرَ ذلك حتى اسْتُعْمِلَ في البطلان، تقول: أَدْحَضْتُهُ، إذا أبطلْتَهُ.

٧ ـ وَأَمْنَحُهُ مَالِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي وَإِنْ كَانَ مَحْنِيَّ الضُّلُوعِ عَلى بُغْضِي

يقول: إنّه وإنْ كانَ خُلِقَ يوم خُلِقَ مُبغضًا لي فإني أمنحُه وُدِّي ولا أهجره؛ لأنَّ ضلوعه حُنِيَتْ عند أوّلِ خلقه على بغضي.

٨ ـ وَيَغْمُرُهُ حِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ قَوَارِعُ تَبْرِي العَظْمَ عَنْ كَلِمٍ مَضٍّ[1]

٩ ـ وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الأَمْرُ نَابَنِي وَفي النَّاسِ مَنْ يُقْضَى عَلَيْهِ وَلاَ يَقْضِي

١٠ ـ وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ وَلاَ البُخْلُ فَاعْلَمْ مِنْ سَمَائِي وَلاَ أَرْضِي

١١ ـ وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُغَيِّرُ شِيمَتِي صُرُوفُ لَيَالِي الدَّهْرِ بِالفَتْلِ وَالنَّقْضِ[2]

[٤٢٩] وقال حاتم الطائي[3]:

١ ـ وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لِتَشْرَبَ مَاءَ الحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَائِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: لا أتسرَّعُ في الورود مستعجلاً براحلتي لأشربَ ماءَ الحوض قبل ورود ركائبهم، ومعنى قوله «بالسّاعي بفضل زمامها» أي: بما أعطي راحلتي من زمامها، وهذا مَثَلٌ، والرَّكائبُ: جمع رَكُوب، وهو اسم ما يُرْكَبُ، ويقال رَكوبة، فهو كالركوبة والحمولة، ويقع للواحد والجمع.

٢ ـ وَمَا أَنَا بِالطَّاوِي حَقِيبَةَ رَحْلِهَا لأَبْعَثَهَا خِفًّا وأَتْرُكَ صَاحِبِي

يقول: إذا ما كان لي رفيق في السّفر وسعت جنابي له، ولا أتركه يمشي وقد خففت حقيبة رحل ناقتي طلبًا للإبقاء عليها، ولكني أردفه وأركبه، والحقيبة: ما يشدّ

---

(١) القوارع: الكلمات القارصة، والكَلِمُ المَضُّ: المؤلم المحزن.
(٢) صروف الليالي: حوادث الزمان.
(٣) حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي القحطاني، فارس شاعر، جواد، جاهلي. يُضرَب المثل بجوده (ت ٤٦ ق.هـ/ ٥٧٨ م). ترجمته في (تهذيب ابن عساكر ٣/ ٤٢٠؛ والشعر والشعراء ص ٧٠؛ وخزانة البغدادي ١/ ٤٩٤).

خلف الرَّحْلِ، قال: [الكامل]

والبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحلِ[1]

والفعل منه احْتَقَبْتُ واستحقبت، واستعير فقيل: احْتَقَبَ إثْمًا.

٣ - إذَا كُنْتَ رَبًّا لِلْقَلُوصِ فَلاَ تَدَعْ ... رَفِيقَكَ يَمشِي خَلْفَهَا غَيرَ رَاكِبِ

٤ - أَنِخْهَا فَأَرْدِفْهُ فَإِنْ حَمَلَتْكُمَا ... فَذَاكَ وإنْ كَانَ العِقَابُ فَعَاقِبِ

[٤٣٠] وقال آخر:

١ - وَإنّي لأَنْسَى عِنْدَ كُلِّ حَفِيظَةٍ ... إذَا قِيلَ مَوْلاَكَ احْتِمَالَ الضَّغَائِنِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يصفُ نفسَه بأنَّ الحِقْدَ ليس من طبعه ولا عادته، فيقول: إنّي أشفقُ على مَوَالِيَّ حتى إذا اتّفقَ لواحدٍ ما يحتاج لأَجله إلى معونة نسيت سيّئته، ولم أحتمل في صدري ضِغْنه، وأعنته على دَهْرِه.

٢ - وإنْ كانَ مَوْلًى لَيسَ فِيما يَنُوبُنِي ... مِنَ الأمْرِ بِالكَافِي ولاَ بالمُعَاوِنِ

يقول: أنا أُعينه على ما ينوبه وإن لم يكن كافيًا ولا مُعينًا فيما ينوبني.

[٤٣١] وقال آخر:

١ - ومَوْلًى جَفَتْ عَنْهُ المَوَالِي كأنَّهُ ... مِنَ البُؤْسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أجْرَبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«جَفَتْ عنه الموالي» أي: خذله بنو عَمِّه ونَبَوْا عنه، وشبّهه ببعير هُنِيء بالقار فيتحاماه النَّاسُ.

٢ - رَئِمْتُ إذَا لَمْ تَرْأَمِ البَازِلُ ابْنَهَا ... وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمُبِسِّينَ مَحْلَبُ

«رَئِمتُ» أي: عطفتُ عليه وأحسنتُ إليه، والبازل: الناقة لها تسع سنين، وكلّ ما كان من الحيوان أسنَّ فهو على ولده أعطف، فلهذا ذكر البازل، والمُبِسُّون: الحالبون المصوّتون عند الحَلَب: بَسْ بَسْ؛ لِتَدِرَّ الناقة، والمحلب: موضع الحلب، يقول: عطفت عليه في الوقت الَّذي لا تعطف الوالدة على ولدها لِشِدَّةِ الزّمان وعموم المَحْلِ وقلّة الدَّرِّ.

(١) هذا عجز بيت لامرىء القيس كما في الشعر والشعراء ص ٦١؛ وصدره: «اللّهُ أنجح ما طلبتَ بِهِ».

[٤٣٢] **وقال عُرْوَة بن الوَرْد**(١):

١ ـ دَعِينِي أُطَوِّفْ فِي البِلادِ لَعَلَّنِي   أُفِيدُ غِنًى فِيهِ لِذِي الحَقِّ مَحْمِلُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«أفيد» هنا بمعنى أستفيدُ، وأُفِيدُ غيري العلم وغيره فيستفيد هو.

٢ ـ أَلَيْسَ عَظِيمًا أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   وليسَ عَلَيْنَا فِي الحُقُوقِ مُعَوَّلُ

«أليس» يقرّر به في الواجب الواقع، و«أنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ» في موضع الرفع بليس.

[٤٣٣] **وقال آخر**:

١ ـ تَثَاقَلْتُ إلاَّ عَنْ يَدٍ أَسْتَفِيدُهَا   وخُلَّةِ ذِي وُدٍّ أَشُدُّ بِهِ أَزْرِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

أي: تثاقلتُ عن المطالِبِ كُلِّها إلاَّ إذا اتَّفَقَ مَصْنَعٌ عند حُرٍّ فإني أَتَسَرَّعُ إليه أو صداقة أخ أعتمده في مدافعة شَرٍّ، ويقال: شَدَّ فلان أَزْرَهُ، إذا شدَّ معقد إزاره، وآزره على أمره: أي عاونه عليه.

[٤٣٤] **وَقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ**(٢):

الزَّبير: الحمأة، والزَّبير: الكتاب المزبور: أي المكتوب.

١ ـ لاَ أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لا يُفَارِقُنِي   ولا أَحُزُّ علَى مَا فَاتَنِي الوَدَجا

أول البسيط، والقافية متراكب.

أي: لا أقتلُ نفسي تَأَسُّفًا وتلهّفًا إذا فاتني شيءٌ.

٢ ـ ومَا نَزَلْتُ مِنَ المَكْرُوهِ مَنْزِلَةً   إلاَّ وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا

يقول: أنا واثقٌ بأنَّ المكروهَ ينكشفُ فأنا صبورٌ عليه.

[٤٣٥] **وَقَالَ مَالِكُ بن حَرِيم الهَمْدَاني**(٣):

١ ـ أُنَبِّئْتُ والأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ   وتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ

الثاني من الطويل.

٢ ـ بِأَنَّ ثَرَاءَ المَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ   وَيُثْنِي عَلَيْهِ الحَمْدَ وهْوَ مُذَمَّمُ

---

(١) سبق ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦).   (٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٢٢).

(٣) مالك بن حريم بن مالك من بني دالان: شاعر هَمْدان في عصره، وفارسها وصاحب مغازيها، جاهلي يماني، كان يقال له «مفزع الخيل» ويعدّ من فحول الشعراء. ترجمته في: (المرزباني ص ٣٥٧؛ والإكليل ١٠/٨٧؛ والحيوان ٢/٢١٠). وعند المرزوقي «بن حزيم».

يريد أُنبئتُ بأنَّ ثراءَ المال ينفع ربّه، واعترض بقوله «والأيام ذات تجارب» إلى آخر البيت، و«يثني عليه الحمد» بفتح الياء: أي يعطف الحمد عليه وهو مذمّم، ويُرْوَى «ويُثْنِي عَلَيْهِ الحمدُ» أي: الحمد يُثني على المال؛ من الثناء، ويُرْوَى «ويُثْنَى عليه الحمدُ» على ما لم يُسَمَّ فاعله، «ويُبنَى عليه الحمد» من البناء، وهذه الروايات كلّها مذكورة، والرواية الأولى أجودها، وقوله «بأن ثراء المال ينفعُ ربَّه» يسدُّ مسدَّ مفعولي «أنبئت» لأنه يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل.

٣ - وَإنَّ قَلِيلَ المَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ يَحُزُّ كما حَزَّ القَطِيعُ المحَرَّمُ

يعني أنَّ الفقر يضعُ أهلَه، والقطيع: السَّوط، والمحرَّم: الخشن الصلب الذي لم يَلِنْ بَعْدُ فيكون أشدّ إيجاعًا، فكأنَّ الفقرَ يعملُ في صاحبه عمل السَّوط الذي لم يُمَرَّنْ بعدُ في المضروب به من الحزِّ والأثر، يقول: أخبرت أن الغنى ينفع صاحبه ويعطف الحمد عليه وإنْ كانَ الذَّمُّ أَوْلى به والفقر يضعُ أهلَه وإن لم يكنْ كذلك قَبْلُ.

٤ - يَرَى دَرَجَاتِ المَجْدِ لاَ يسْتَطِيعُها وَيَقْعُدُ وَسْطَ القَوْمِ لاَ يَتَكَلَّمُ

أي: يرى الفقير الشَّرَفَ فلا يقدر عليه، ويقعدُ وسطَ القوم ساكتًا لا يتكلّم من الذّلِّ أو من الهمّ.

[٤٣٦] وقال محمد بن بَشير[(١)]:

١ - لأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بالخَلَقِ وأجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بالعُلَقِ

من أول البسيط، والقافية متراكب.

أُزَجِّي: أسوقُ أيّامي، والعُلَقُ: جمع عُلْقَة، وهو اليسير من المعاش يتعلّق به، والعلقة كالبلغة، ويجوز أن يكون العُلَق من قولهم: عَلِقَ يَعْلَق إذا رعا، ومنه الحديث «إنَّ أرواحَ الشُّهَدَاءِ لَتَعْلَقُ في الجنّةِ» وتكون العُلْقَة كالغُرْفَة والطُّعْمَة وما أشبههما، واللاّم في «لأن أُزَجِّي» لام الابتداء، و«أن أُزَجِّي» مبتدأ وخبره قوله:

٢ - خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ في عُنُقِي[(٢)]

يقول: الاقتصار على أدنى القوت خيرٌ من تَقَلُّدِ مِنَنِ اللّئامِ.

٣ - إنِّي وَإنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي وكَانَ مَا لِيَ لاَ يَقْوَى على خُلُقِي

الجِدَة والوُجْدُ: مصدر وَجَدْت في المال وُجْدًا وَجِدَةً.

٤ - لَتَارِكٌ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي عَارًا وَيُشْرِعُني في المَنْهَلِ الرَّنِقِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٦٩). (٢) عند المرزوقي «خوالدًا لِلئامِ».

يُشرِعُني: أي يخوضُ بي، يقال: شَرَعْتُ في الماءِ، إذا خُضْتَ فيه، وَأَشْرَعَنِي فيه فلان وشَرَّعَني أيضًا، وفي المثل: «أَهْوَنُ الوِرْدِ التَّشْرِيعُ». يقول: إنّي مع قِلَّةِ مالي وعُلُوِّ هِمَّتي لا أُسِفُّ إلى ما يورثني سبّة.

[٤٣٧] وقال أيضًا:

١ ـ مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجا ... أَلْبَرَّ طَوْرًا وطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجا

والوزن كالأول.

ماذا: لفظة استفهام، والمعنى الإنكار، ويجوز أن يكون «ما» مع «ذا» بنزلة اسم واحد مبتدأ، و«يكلّفك» خبره، ويجوز أن يكون «ما» وحده اسمًا، و«ذا» في موضع الخبر، و«يكلّفك» من صلته كأنه قال في الأول: أيُّ شيء يكلِّفُكَ، وفي الثاني: ما الذي يكلِّفُكَ السَّير في اللَّيل والنَّهار مُتَّصِلاً لا تَفْتُر تركبُ البَرَّ تارةً والبَحْرَ أُخرى، والرَّوْحَات: جمع رَوْحَة، وهو يريد به السَّير رَوَاحًا، والدُّلَج والدّلجة: السَّير باللَّيل، وانتصب «طورًا» على الظرف، و«البرّ» انتصب بفعل مُضْمَر دَلَّ عليه الفعل الذي بعده، واشتقاق الطَّوْر من قولهم: لا أطور به، ومن طَوَار الدَّار.

٢ ـ كمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ... أَلْفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجا

«سهام الرّزق» يريد بها أقداح الرّزق، كأنه فاز لَمَّا خرج له عند الإجالة بما غلبَ به مفاخره، ويجوز أن يريد بسهام الرّزق ما حُظَّ له وأُسْهِمَ.

٣ ـ إنَّ الأُمُورَ إذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ منها كُلَّ ما ارْتَتَجا

قوله «فالصبر يفتقُ» جواب «إذا»؛ وخبر «إنَّ الأمور» في الشرط والجواب، ويقال رَتَجْتُ البابَ وأَرْتَجْتُه فهو مَرْتُوجٌ ومُرْتَجٌ، والرِّتَاجُ: الباب نفسه، ارتتج: استغلق.

٤ ـ لاَ تَيْأَسَنَّ وإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

«أن ترى» في موضع المفعول من تيأسنّ.

٥ ـ أَخْلِقْ بِذِي الصَّبرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

«أَخْلِقْ بِذي الصَّبْرِ» أي: ما أخلَقَهُ، والخليقُ بالشَّيءِ: الجدير، والمصدر الخَلاَقة، يقول: إنَّ صاحبَ الصَّبْرِ خليقٌ بنيلِ حاجَتِه ومَنْ يُدْمِنُ قَرْعَ الباب لا محالةَ يَلِجُ.

٦ ـ قَدِّرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا ... فَمَنْ عَلاَ زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا

الغِرَّة: الغفلة، والزَّلَق هنا: موضع الزّلق، سُمِّيَ بالمصدر، وزَلَج: زَلَّ، يقول: تأمَّلْ مَوْطِىءَ قَدَمِكَ قبل الوطءِ فمَنْ عَلا دحضًا على غفلة زلق.

٧ ـ وَلاَ يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ ... فَرُبَّما كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

[٤٣٨] **وقال حُجَيَّة بْنُ المُضَرِّب**[١]:

حَدَّث ابن كناسة أن حُجَيَّة بن المضرّب كان جالسًا بفناء بيته، فخرجت جارية بِقَعْب فيه لبن، فقال لها: أين تريدين بالقَعْب؟ فقالت: بني أخيك اليَتَامَى، فوجمَ، وأراحَ راعياهُ إبلَه فقال: اصفقاها نحو بني أخي، ثم دخل منزله فعاتبته امرأته فقال:

١ - لَجِجْنَا ولَجَّتْ هَذِهِ في التَّغَضُّبِ ... ولَطُّ الحِجَابِ دُونَنَا والتَّنَقُّبِ

من الطويل الثاني، والقافية متدارك.

التَّغَضُّبُ: أنْ يغضبَ شيئًا بعد شيء، والتَّنَقُّبُ: شَدُّ النِّقَابِ، واللَّطّ: السّتر، يقال «لَطَّ» إذا سترَ، قال الأعشى: [الخفيف]

وَلَقَدْ سَاءَهَا المَشِيبُ فَلَطَّتْ ... بِحِجَابٍ مِنْ دُونِهَا مَصْدُوفِ

٢ - تَلُومُ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانُهُ ... إلَيْكِ فَلُومِي مَا بَدَا لَكِ واغْضَبِي

٣ - رَأَيْتُ اليَتَامَى لاَ تَسُدُّ فُقُورَهُمْ ... هَدَايَا لَهُمْ في كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ

فُقُور: جمع فقر، والمصادر لا تجمع، إلاّ أنه ذهب به مذهب الاسم واعتقده اسمًا، والقَعْبُ: القَدَحُ من الخشب، والمشَعَّب: المجبور في مواضع منه.

٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِم ... سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخَرَ مُعْزِبِ

«أريحا عليهم» أي: رُدَّا الإبلَ رَوَاحًا إليهم مثل آخر أي مثل بيت آخر مُعْزِب، يعني الذي عَزَبَتْ إبله: أي بعدت عنه.

٥ - بَنِيَّ أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا سَغَابَةً ... وأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا لَدَى كُلِّ مَشْرَبِ

ويُروَى:

عِيَالِي أَحَقُّ أنْ يَنَالُوا خَصاصَةً

أي: على كلّ حال من خيرٍ وشرّ.

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أَتَيْتُهُ ... حَرِيبًا لآسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبِ

ويُروى:

حَبَوْتُ بِها قَبْرَ امْرِئٍ لَوْ أَتَيْتُهُ

والحريبُ: السَّليبُ، يعني أنه قضى حقَّ أخيه الميت في بنيه.

٧ - أَخِي والَّذِي إنْ أدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ ... يُجِبْنِي وإنْ أغْضَبْ إلى السَّيْفِ يَغْضَبِ[٢]

---

(١) ترجمته في: الأغاني ٢٠/ ٣٣٠ (دار الكتب العلمية).

(٢) عند المرزوقي: أخوك الذي إن تدعه لملمّة.

قال أبو رياش، وفيها:

٨ ـ فَلاَ تَحْسِبِينِي بَلْدَمًا إنْ نَكَحْتِهِ ... ولَكِنَّنِي حُجَيَّةُ بْنُ المُضَرَّبِ

البلدم: الثقيل الوخم، وهو البِلْدَامَةُ، قال يزيد بن الطَّثْرِيَّةِ: [الطويل]

نَوَاعِمُ لاَ يَرْغَبْنَ في وَصْلِ بَلْدَمٍ ... هِدَانٍ وَلاَ يَزْهَدْنَ في الطَّرَفِ العَذْبِ

وَحُجيَّة يجوز أن يكون تصغير حَجَاة، وهي النفاحة من المطر ونحوه تعلو الماء. قالت: [الطويل]

أُقَلِّبُ عَيْنِي فِي الفَوَارِسِ لاَ أَرَى ... حِزَاقًا وَعَيْنِي كالحَجَاةِ مِنَ القَطْرِ

وقد يجوز أن يكون تصغير حَجوة بعد التسمية بها، يقال: حَجَاه يَحْجُوه وهو حاجٍ، والمرّة حَجْوة بمنزلة الدَّعْوة وَالغَزْوة، قال العجاج: [الرجز]

فَهُنَّ يَعْكُفْنَ بِهِ إذَا حَجَا ... عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الفَنْزَجَا[1]

وقد يجوز وجه ثالث، وهو أن يكون حُجيَّة تصغير حِجًى، وهو العقل، غير أنه علّق على مؤنّث، فلمّا حُقِّرَ دخلته الهاء، كما أنك لو سَمَّيْتَ امرأةً ببكر أو عمرو لقلتَ: بكيرة، وعميرة؛ ويجوز غير هذا مما يطول ذكره؛ وكان يكون ترخيم تحقير حاج عَلَمًا لمؤنث، أو ترخيم تحقير حجو عَلَمًا أيضًا، أو ترخيم تحقير محتاج علمًا لمؤنث كل ذلك جائز.

وقال أبو العلاء: حُجَيَّة من قولهم: فُلاَن أَحْجَى بكذا: أي أجدر به، وحكى أنَّ أهلَ اليمن يقولون: يا طولَ حَجْوِي بكَ: أي ضَنِّي بك، ويقال: حَجَا الفحلُ بإبله: إذا هدرَ لِتجتمعَ، وَحَجَا بالمكانِ، إذا أقامَ به، قال ابن أحمر: [الوافر]

أَصَمّ دُعَاءَ عَاذِلَتِي تَحَجَّى ... بَآخِرِنَا وَتَنْسَى أَوَّلِينَا

قيل: معنى تَحَجَّى تَمَسَّك، وقيل: تضنّ وتبخلُ، وقيل: تفرحُ.

قال أبو رياش: ويقال: إن عائشة لمَّا قتل محمد بن أبي بكر أرسلت عبد الرحمٰن، أخاها، فجاء بابنه القاسم وبنتيه من مصر، فلمّا جاءَ بهم أخذتهم عنه عائشة فربّتهم إلى أن استقلّوا، ثم دعت عبد الرحمٰن فقالت: يا عبد الرحمٰن لا تجدْ في نفسك عن أخذي بني أخيك دونكَ، ولكنهم كانوا صبيانًا، فخشيتُ أن تتأفَّفَ بهم نساؤك، فكنتُ ألطفُ بهم، وأصبرُ عليهم، فخذهُمْ إليكَ وكُنْ لهم كما كان حُجَيَّة بن

= «أخوك الذي إنْ تدعه لملمّةٍ ... يُجِبْكَ وإن تغضبْ إلى السيفِ يغضبِ»

(١) الشطر الثاني في تاج العروس (فنزج). والفنزج: لَعِبُ النبيط إذا بَطِروا.

المضرَّب لبني أخيه معدان، وأنشدته الأبيات وفيها: [الطويل]

رَحِمْتُ بَنِي مَعْدَانَ إِذْ سَافَ مَالُهُمْ ... وَحُقَّ لَهُمْ مِنِّي وَرَبِّ الْمُحَصَّبِ

[٤٣٩] وقال المُقَنَّع الكِنْدِيّ[1]:

واسمه محمّد بن عُمَيْرة، المقنَّع: الرّجل اللاّبس سلاحه، وكلّ مُغَطٍّ رأسه فهو مُقَنَّعٌ، قال: [الرجز]

ضَرْبًا يَبُزُّ الْبَطَلَ الْمُقَنَّعَا ... قِنَاعَهُ إِذَا بِهِ تَلَفَّعَا

وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه لجماله فقيل له: المُقَنَّع.

١ - **يُعَاتِبُنِي فِي الدَّيْنِ قَوْمِي، وَإِنَّمَا ... دُيُونِيَ فِي أَشْيَاءَ تَكْسِبُهُمْ حَمْدَا**

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

تَكسِبُهم حَمْدًا: أي تَجلبُ لهم الحمدَ.

٢ - **أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخَلُّوا وَضَيَّعُوا ... ثُغُورَ حُقُوقٍ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدَّا**

«ثغور حقوق» أي: مواضع الحقوق، ومعناه ضَيَّعوا الحقوقَ نفسَها.

٣ - **وَفِي جَفْنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا ... مُكَلَّلَةٍ لَحْمًا مُدَفَّقَةٍ ثُرْدَا**

«مُكَلَّلة» أي: عليها من اللَّحم مثل الأكاليل، والدَّفْقُ: الصَّبُّ، ويقال: ثريدة وثرائد وثُرُد، ثم يخفّف فيقال: ثُرْد.

٤ - **وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتُهُ ... حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدَا**

النَّهد: الفرسُ العظيمُ الحَسَن الجسيم، ولم يرد بقوله «جعلته حجابًا لبيتي» أنه يحجبُ بيته من نظر ناظر وإنّما يريد أنه نُصْبَ عينيه وأكبر هَمّه.

٥ - **وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلِفٌ جِدًّا**

وكان بنو عمّه عاتبوه في الاستدانة فبيَّنَ لهم صوابَ ما أتى وخطأ ما أتوه «جِدًّا»: نصب على الحال: أي جادًّا: أي شديدًا.

٦ - **فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرْتُ لُحُومَهُمْ ... وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدَا**

٧ - **وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيِّي هَوِيتُ لَهُمْ رُشْدَا**

---

(١) المُقَنَّع الكِنديّ: محمّد بن عميرة بن أبي شمر: شاعر من أهل حضرموت، اشتهر في العصر الأموي (ت نحو ٧٠ هـ/ ٦٩٠ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ص ٢٨٤؛ والمرزباني ص ٤٠٦؛ والوافي بالوفيات ٣/ ١٧٩؛ والأغاني ١٥/ ١٥٧).

أي: إن تَمَنّوا لي الشَّرَّ تمنيتُ لهم الخير.

٨ ـ وإنْ زَجَروا طَيرًا بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيرًا تَمُرُّ بِهِمْ سَعْدَا

ونصب «سعدًا» على أنه صفة لقوله «طيرًا».

٩ ـ ولا أَحْمِلُ الحِقْدَ القَدِيمَ عَلَيْهِم وليسَ رَئِيسُ القَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقْدا

١٠ ـ لَهُمْ جُلُّ مالِي إنْ تَتابَعَ لِي غِنًى وإنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدَا

١١ ـ وإنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ ما دامَ نازِلاً ومَا شِيمَةٌ لِي غَيْرُها تُشْبِهُ العَبْدَا

أي: أخدمُ الضَّيْفَ بِنفسي خدمةَ العبدِ مولاه، وما شيمةٌ لي غيرها تشبهُ العبد: أي تشبهُ شيمةَ العبد، والشِّيمة: الخليقة، وجمعها شِيَم، وانتصب «غير» على أنه مستثنى مُقدَّم، وذلك أنه لمَّا حالَ بين الصفة والموصوف وهما «شيمة» و«تشبه» وتقدَّمَ على الوصف صارَ كأنَّه تقدَّمَ على الموصوف لأن الصفة والموصوف بمنزلة شيء واحد.

[٤٤٠] وقال رجل(١) من الفزاريين:

١ ـ إلاَّ يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَإنَّنِي لَهُ بِالخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

أي: إن لم أكنْ طويلاً؛ لأنه إذا طالَ عظمه طالت قامته، والخصلة لا تكون إلاَّ في المدح، والخلّة تكون في الخير والشرّ.

٢ ـ وَلاَ خَيْرَ في حُسْنِ الجُسُومِ وَنُبْلِها إذا لَمْ تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

نُبْلُ الجسومِ: كَمالُها، ولا يكونُ الرّجُلُ نبيلاً حتّى يكونَ محمود الشّمائل.

٣ ـ إذَا كُنْتُ في القَوْمِ الطِّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ

العارفة: اليد تُسْدَى، وجمعها عوارف، ولا يصرف منها فعل، وتكون فاعلة بمعنى مفعولة: كماء دافق، وسرّ كاتم، وتكون عارفة ذات عَرْفٍ طيب؛ لأنها تذكر فيُثْنَى على صاحبِها بها، وارتفع «طويل» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هو طويل: أي يسلّمون لي فضيلةَ الطُّولِ عندهم.

٤ ـ وكَمْ قَدْ رَأيْنا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إذا لَمْ تُحْيِهِنَّ أُصُولُ

يعني أولاد آباء أشرافٍ خَمدوا إذ لم يكنْ فيهم شَرَفُ آبائِهم، كالشجر إذا لم يُحيِ الأصلُ الغصنَ بطل الغصن، وكذلك الولد إذا لم يُهَذِّبْهُ أبوه.

---

(١) في الحماسة ٢/ ٥٤ لمويل بن جهم المذحجيّ، وتُروَى لبشر بن الهُذَيل الفزاري.

٥ - وَلَمْ أَرَ كَالمَعْرُوفِ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ، وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

الوجه من المعروف مجاز، يعني إذا سُمِعَ كان حلوًا، وإذا ذُكِرَ كان حَسَنًا.

[٤٤١] وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر(١):

١ - أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

٢ - فَنَفْسِي لا تُطَاوِعُنِي بِبُخْلٍ وَمَالِي لاَ يُبَلِّغُنِي فَعَالِي

[٤٤٢] وقال مُضَرِّس بنُ رِبعيّ(٢):

١ - إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ العَدُوِّ الأَصْيَدِ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

يقول: إذا جهلوا علينا صفحنا عنهم وأبقينا على الحال بيننا وبينهم، والسّالفة: صَفْحَة العنق، والصَّيَدُ: مَيْلٌ في العُنُقِ من الكبر، كما يكون الصَّعَرُ في الخَدِّ، وكما أنَّ الصَّادَ يُستعمَلُ في النَّاظر.

٢ - ومَتَى نَخَفْ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحْ وَإِنْ نَرَ صَالِحًا لاَ نُفْسِدِ

٣ - وَإِذَا نَمَوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِم مِنَّا الخَبَالُ ولاَ نُفُوسُ الحُسَّدِ

٤ - وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى ما نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

يقول: إذا ارتقوا في درجات المجدِ والعزِّ لم نحسدْهم ولم نُضَيِّقْ عليهم طرائق مقاصدهم، وإذا سَعَى السَّاعي فيما ينوبُهم من الحقوقِ أَعَنَّاه على إتمام ما يشيده، حتى يبلغَ فعل السّيّد، عِلمًا بأن رفعتهم لنا.

٥ - ونُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجِلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ المُسْتَنْجِدِ

أي إذا استغاثَ بنا مَنْ أُغِيرَ عليه أجبناه سريعًا بجيش سريع الركوب لدعوة المستصرخ.

٦ - فَنَفُلُّ شَوْكَتَهَا ونَفْثَأُ حَمْيَهَا حَتَّى تَبُوخَ وحَمْيُنَا لَمْ يَبْرُدِ

---

(١) عبد الله بن معاوية... ابن أبي طالب: من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، اتُّهِمَ بالزندقة، وكان فَتّاكًا، طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة، وبايع له بعض أهلها ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان، قُتِلَ خنقًا بأمر من أبي مسلم الخراساني (ت ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م). ترجمته في: (ابن الأثير حوادث سنتي ١٢٧ و١٢٩؛ ومقاتل الطالبيين ١٦١؛ ولسان الميزان ٣/ ٣٦٣).

(٢) مُضَرِّس بن رِبْعيّ بن لقيط الأسديّ، شاعر حسن التشبيه والرصف، كان معاصرًا للفرزدق (معجم المرزباني ص ٣٩٠؛ والمؤتلف ص ١٩١؛ وخزانة الأدب ٢/ ٢٩٢).

أي: نكسرُ شوكَةَ المغيرين ونخمدُ نارهم حتى تسكنَ، ونائِرَتُنَا لم تبردْ، وجعل الشَّوكةَ كناية عن السّلاح والقوّة جميعًا، والشوكةُ أَصْلُها فيما تنبته الأرض، ومن أمثالهم: لا تَنْقُش الشوكةَ بالشوكة فإن ضِلَعَهَا معها، يقال: نَقَشْتُ الشَّوْكَة، إذا استخرجتها، ومنه قيل: المنقاش، ويجوز أن يكون المنقاش ما نُقِش به الشيء: أي زُيِّن، ثم نقلت الشَّوكة إلى الحديد، وكنّي بها عن الشِّدَّة والبأس، ويقال: بَاخَتِ النارُ؛ إذا طَفِئَتْ.

٧ ـ وتَحُلُّ في دَارِ الحِفَاظِ بُيُوتُنَا　　رَتْعَ الجَمَائِلِ في الدَّرِينِ الأَسْوَدِ

أي: نصيرُ في دار المحافظة إذا اشتدَّ الزَّمَانُ، وإذا قصدَ غيرنا للخصب وطلب الانتجاع أقمنا مرتعين في الدَّار، والدَّرِين: اليابس من الكلأ القديم العهد، وجعله أَسْوَدَ لِفَساده وطول قدمه، ويُروَى «ونُحِلُّ في دار الحفاظ بُيُوتَنَا» وانتصب «رتع الجمائل» على أنه مصدر في موضع الحال، ومثله: [الكامل]

ونُحِلُّ في دَارِ الحِفَاظِ بُيُوتَنَا　　زَمَنًا ويَظْعَنُ غَيْرُنَا لِلأَمْرَعِ[١]

ودار الحفاظ: التي ينزلُ بها القومُ محافظةً على أحسابِهم، والجمائل: جمع جِمَالَة وجِمَال.

[٤٤٣] وقال المُتَوَكِّل اللَّيْثِيُّ[٢]:

١ ـ إنِّي إذَا مَا الخَلِيلُ أَحْدَثَ لي　　صُرْمًا ومَلَّ الصَّفَاءَ أَوْ قَطَعَا

الأوّل من المنسرح، والقافية متراكب.

٢ ـ لاَ أَحْتَسِي مَاءَهُ عَلَى رَنَقٍ　　ولاَ يَرَانِي لِبَيْنِهِ جَزِعَا

أي: لا أتجرّعُ ماءَ الودِّ بيني وبينه على كَدرٍ، ولا أُظهِر جزعًا لاستحداث فراقٍ منه أو تنكُّرٍ ينطوي عليه.

٣ ـ أَهْجُرُهُ ثُمَّ يَنْقَضِي غُبَّرُ الـ　　ـهِجْرَانِ عَنَّا وَلَمْ أَقُلْ قَذَعَا[٣]

الغُبَّرُ: البقايا، واحدتها غُبَّرَةٌ، ويقال: غَبرتُ النَّاقَةَ، إذا حَلَبْتَ غُبْرَتَها، وغُبَّرُ اللَّيْلِ: مآخيرُه، والقَذَعُ والقذيعةُ: الفحشُ، يقال: قذعته، إذا رميته بالقَذْعِ، وأقذعَ الرَّجُلُ: أَتَى بِالفُحْشِ، وكلام قذعٌ، ويُتَوَسَّعُ فيه فيقال للقذر: القذع، حتى يقال: قَذَعَ

---

(١) البيت للحادرة الذبياني في المفضلية رقم (٨).

(٢) المتوكّل اللَّيثيّ: هو المتوكّل بن عبد الله بن نهشل الليثي، كان على عهد معاوية ونزل الكوفة، وكنّاه المرزباني بأبي جهمة. ترجمته في: (الأغاني ١١/ ٣٧؛ والمرزباني ص ٤١٠؛ والمؤتلف ص ١٧٩).

(٣) عند المرزوقي «غُبَرُ الهجران».

ثوبَه بالبولِ أو غيره، يقول: أقطعُ العلائقَ بيني وبينه وتنقضي مدّةُ الهِجرانِ عَنّا ولم أقلْ فُحشًا، ثم قال:

٤ ـ احْـذَرْ وِصَـالَ الـلَّـئِـيـمِ إنَّ لَـهُ عَـضْـهًـا إذَا حَـبْـلُ وَصْـلِـهِ انْـقَـطَـعَـا

يقول: احذرْ مواصلةَ اللَّئيم ومؤاخاته، لأنّه إذا انقطعَ حَبْلُ وَصْلِهِ تكذَّبَ عليكَ وتَخَلَّقَ من الإفكِ فيك ما لم تكتسبْهُ، ويقال: عَضَهْتُه، إذا رميته بِالزُّورِ، وأعْضَهَ الرَّجُلُ: أتى بِالعَضيهة، وهي الإِفكُ، ومن كلامهم: يا لَلْعَضِيهَةُ ويا للأفيكةُ، وحَيَّةٌ عاضِهةٌ: إذا كانت قاتلة.

[٤٤٤] وقال بعضُهم(١):

١ ـ خَلِيلَيَّ بَيْنَ السَّلْسِلَيْنِ لَوَ انَّني بِنَعْفِ اللِّوَى أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُما لِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

النَّعْفُ: ما ناعفكَ، أي عارضَكَ من الجبل أو المكان المرتفع، وجواب «لو» قوله «أنكرتُ» يقول: لو كنتُ في أرضي ومع عشيرتي ثم سُمْتُماني ما سُمتماني لأنَكرتُه ولم أقْبَلْهُ.

٢ ـ ولكنَّنِي لَمْ أنسَ مَا قَالَ صَاحِبي نَصِيبَكَ مِنْ ذُلٍّ إذَا كُنْتَ خَالِيَا

أي: لم أنسَ ما وصَّاني به صاحبي من قوله «نصيبَكَ من ذُلٍّ» أي: خُذْ نصيبَكَ من الذّلّ إذا كنتَ خاليًا من أعوانِكَ، وَصَّاه باحتمالِ الضَّيْمِ إذا كان في غير قومِه لِئلاّ يتضاعف عليه الأذى، ومثله لِبعض اللّصوص: [الطويل]

وَمَا كَانَ غَضُّ الطَّرْفِ مِنَّا سَجِيَّةً وَلَـكِـنَّـنَـا فِـي مَـذْحِـجٍ غـربَـانِ

[٤٤٥] وقال قيسُ بن الخطيم(٢):

سُمِّيَ به لأن أنفه خُطِمَ: أي كُسِرَ، فهو فَعِيل في معنى مفعول.

وقال أبو رياش: هي لربيع بن أبي الحُقَيْق اليهودي، يجوز أن يكون الحُقَيْق تصغير حَقٍّ من الحقوق، وحُقٍّ من الحِقَاق التي تجعل فيها الأشياء، وحِقٍّ من الإبل وهو الذي قد استحقّتْ أُمّه أن يحمل عليها من العام الرابع، وقيل: هو الذي قد استحقَّ أن يحملَ عليه ويركب، والفقهاء يقولون: الحِقَّة: طَرُوقة الفحل، وهذه المعاني متقاربة، وبنات حُقَيْق قيل: إنّها ضربٌ من التمر.

(١) البيتان لقتادة بن خَرَجة الثعلبيّ كما في البيان والتبيين ٣/ ٢٤٩؛ وبدون نسبة في معجم البلدان (السّلسلين).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٧).

١ ـ ومَا بَعْضُ الإقَامَةِ في دِيارٍ يُهَانُ بِهَا الفَتَى إلاّ بَلاَءُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

ارتفع «بلاء» لأنه خبر المبتدأ، وهو «بعض الإقامة» و«يُهانُ بها الفتى» في موضع الصفة لقوله «في ديار».

٢ ـ وَبَعْضُ خَلائقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ البَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

يقول: بعض ما يَتَخَلَّقُ به النَّاسُ تتعذَّرُ مفارقته ومداواة إزالته، يريد أن ما اعتاده النَّاسُ مِنَ الأخلاقِ يصيرُ كالخلقة إذا أتتْ عليه الأيام، والعرب تقول إذا لم تهتدِ لوجهةِ الشَّيءِ: هو كَدَاءِ البطنِ، وفي الحديث «فتنة باقرة كَدَاءِ البطنِ».

٣ ـ يُرِيدُ المَرْءُ أنْ يُعْطَى مُنَاهُ ويَأْبَى اللَّهُ إلاّ مَا يَشَاءُ

٤ ـ وكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

٥ ـ وَلا يُعْطَى الحَرِيصُ غِنًى لِحِرْصٍ وَقَدْ يَنْمِي عَلَى الجُودِ الثَّرَاءُ

٦ ـ غَنِيُّ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيٌّ وفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ

يقول: الغِنَى غِنَى النَّفس، لا غِنَى المال، ونحوه قول الشاعر: [السريع]

إنَّ الغِنَى فِي القَلْبِ يا هٰذِهِ لَيْسَ الغِنَى بِالثَّوْبِ وَالدِّرْهَمِ

٧ ـ وَلَيْسَ بِنَافِعٍ ذَا البُخْلِ مالٌ ولا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

ليس بنافعٍ ذا البخل مالٌ لأنه يجمعه ويتركُه لغيره، والسّخاء لا يقصر بصاحبه، بل يرفعه ويُكسِبُه الحمدَ والأحدوثةَ الجميلة.

٨ ـ وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ النُّوكِ لَيْسَ له شِفَاءُ

جعل الدّاء للجنس فناب عن الجمع، فقال: بعضه يعرف شفاؤه فيطلب إزالته، وداء الحمق لا شفاءَ له، وقَصَرَ الممدود، ولا خلاف في جوازه بين المذهبين.

[٤٤٦] وقال يَزِيدُ بن الحَكَم الثَّقَفِيُّ يَعِظُ ابنه بدْرًا:

١ ـ يَا بَدْرُ والأَمْثَالُ يَضْـ ـرِبُهَا لِذِي اللُّبِّ الحَكِيمُ

من مُرَفَّل الكامل، والقافية متواتر.

قوله «والأمثال يضربُها» اعتراض دخل بين قوله «يا بدر» وبين قوله:

٢ ـ دُمْ لِلْخَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لا يَدُومُ

ونَبَّهَ بهذا الاعتراض على أن وَصِيَّتَهُ وَصِيَّةُ حكيم، وقوله «بوده» أي: بِودِّكَ له، فأضافه إلى المفعول، وقوله «ما خيرُ وُدٍّ» استفهام على طريق الاستثبات، والقصد إلى

النَّفي، والمعنى أنَّ الودَّ إذا لم يَصْفُ ولم يَدُمْ فلا خيرَ فيه وقوله «لا يدوم» صفة، وتلخيصه أي شيء خيرٌ في وُدٍّ غير دائم.

٣ ـ وَاعْـرِفْ لِـجَـارِكَ حَـقَّـهُ والـحَـقُّ يَـعْـرِفُـهُ الـكَـرِيـمُ
٤ ـ وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّ الـضَّـيْـفَ يَـوْ مَـا سَـوْفَ يَـحْـمَـدُ أَوْ يَـلُـومُ

الواو في قوله «والحقُّ يعرفُه الكريم» واو الحال، وهو واو الابتداء ولو رويتَه بالفاء كان أجود، والمعنى: اعرفْ حَقَّ الجارِ؛ لأنَّ حَقَّهُ يعرفُه الكرام، وإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقّه، كأنه قال: اعرفْ حَقَّه معروفًا للكرام أي وهو معروفٌ لِلكرام، وقوله «واعلم بأن الضَّيفَ» يقال: علمت كذا، وبكذا، وهذه الوَصَاة بالضيف قد عَلَّلها بقوله «سوف يحمدُ أو يلومُ» والمعنى: أَحْسِنْ إليه عالمًا بأنَّ نزوله بكَ يجلبُ حَمْدًا إنْ أحسنْتَ إليه أو لَوْمًا إن أسأتَ إليه أو قَصَّرْتَ في حَقِّهِ.

٥ ـ والـنَّـاسُ مُـبْـتَـنِـيَـانِ مَـحْـ ـمُـودُ الـبِـنَـايَـةِ أَوْ ذَمِـيـمُ
٦ ـ واعْـلَـمْ بُـنَـيَّ فَـإِنَّـهُ بِـالـعِـلْـمِ يَـنْـتَـفِـعُ الـعَـلِـيـمُ

أتى بالبناية غير مبنيٍّ على مُذَكَّرٍ حصَلَ من قبل، ثم أدخلَ تاء التأنيث عليه، فهو كالثِّناية اسم الحبل والشَّقَاوة والرِّعَاية والغَباوة، ولو كان مبنيًا على مُذَكَّر لَكانَ «البناءة»، لأنَّ الواو والياء إذا كانا حَرْفَيْ إعراب بعد أَلِفٍ زائدة تُبْدَلُ منها الهمزةُ، على ذلك الدُّعَاء والكِسَاء والرِّدَاء، الباب كلّه، وارتفع «محمود» على أنه بدل من «مبتنيان» أو خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هما محمود البناية أو ذميم، وقوله «بُنَيَّ» إنْ ضَمَمْتَه فهو منادى مفرَد، وإنْ كَسرْتَه فهو منادى مضاف، وقد حذفَ ياء الإضافة، والكسرة تدلُّ عليه، وهو واقع موقع ما يحذفُ في هذا الباب، وهو التنوين، وباب النداءِ باب حذف لكثرة استعماله، فهو في «بُنَيّ» أولى بالحذف، لاجتماع الياءات والكسرات في آخرها، وقوله «فإنه بالعلم ينتفع العليم» الهاء ضمير الأمر والشأن، والجملة اعتراض بين «اعلمْ» ومفعوليه، والمراد بالعلم استعماله لأنَّ مَنْ عَلِمَ طُرُقَ الرَّشادِ ثمّ لم يَسْلُكْها كانت معرفته بها وَبَالاً عليه.

وقـولـه:

٧ ـ أنَّ الأُمُـورَ دَقِـيـقُـهَـا مِـمَّـا يَـهِـيـجُ لـهُ الـعَظِيمُ
٨ ـ والـتَّـبْـلُ مِـثْـلُ الـدَّيْـنِ تُـقْـ ـضَـاهُ وقَـدْ يُـلْـوَى الـغَـرِيـمُ

«أنَّ الأمورَ» مفعول اعْلَمْ، و«دقيقُها» مبتدأ، وما بعده خبره، والجملة خبر «أنّ» ولك أن تكسر فتقول «إنَّ» على الاستئناف، ويكون «واعلم» مُعَلَّقًا، والمعنى أنَّ الشَّرَّ يبدؤه أصغره كما أنَّ السَّيْلَ أَوَّله مطرٌ ضعيفٌ، وهذا الكلام بَعْثٌ على النَّظر في ابتداءات

الأمور وتَصَوُّرِ عواقبها، والتَّبْلُ: الذَّحْلُ، ويُلْوَى: يُمْطَل، ويُروى «يُلْوِي» بضم الياء، ومعناه يذهب بالحقّ، يقال: ألوى بالشّيء، إذا ذهب به، و«يُلْوَى» هو بناء ما لم يُسَمَّ فاعله، والغريم: اسم لمَن له الدين وللذي عليه الدَّيْن، وأصل الغرامة اللّزوم، ويكون لمّا كان كلّ واحد منهما ملازمًا لصاحبه إلى أن ينقضي ما بينهما أجري الاسم عليهما.

٩ ـ وَالبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ ... والظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وخِيمُ

١٠ ـ وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ البَعِيـ ... ـدُ أَخًا ويقْطَعُكَ الحَمِيمُ

الوخِيمُ: الّذي لا يمري، والاسم الوَخَامة، والمَرْتَع مَثَلٌ، والمعنى: إنَّ الظُّلمَ يُجَازَى به، والحميم: القريب من قولك «حُمَّ الشَّيءُ» إذا قَرُبَ، وهو من قولك حَامَّهُ يُحَامُّهُ، مثل الخليط من خالطه يخالطه، والحميم في غير هذا الموضع الحارّ، ومنه اشتقاق الحَمَّام، وهو البارد أيضًا في قول بعضهم، وقال: هو من الأضداد.

١١ ـ وَالمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى ... ويُهَانُ لِلْعَدَمِ العَدِيمُ

١٢ ـ قَدْ يُقْتِرُ الحَوِلُ التَّقِيـ ... ـيُ ويُكْثِرُ الحَمِقُ الأَثِيمُ

نهاه عن تبذير المال، و«المرء» يرتفع بالابتداء، وخبره «يكرم» وقد عطف على هذه الجملة جملةً مُخَالفة لها من الفعل والفاعل، وهو قوله «ويهان للعدم العديم»، ولولا ما بين الجملتين من التقارب لَمَا صحّ ذلك، ومثله قول الآخر: [الطويل]

أَمُوفٍ بأَذْرَاعِ ابْنِ طَيْبَةَ أَمْ تُذَمْ[1]

وعلى العكس من هذا قول الله عزَّ وجل: ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾[2] لأن هذا عطف فيه المبتدأ والخبر على الفعل والفاعل، والحَوِلُ: الكثيرُ الحيلة، وصحّح بناؤه إخراجًا له على أصله وتنبيهًا على أن ما أعلّ من نظائره كان حكمه أن يجيءَ على هذا، وممّا جاء على القياس على نظائره: رجلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبههما وكذلك هذا كان يجب أن يقال حَالٌ، ويقال: أقتر إقتارًا، إذا قَلَّ ماله، وأكثر، إذا كَثُرَ، والحَمِقُ: الأحمق، والأَثِيمُ: ذو الإثمِ، وهو أكثر إثمًا من الآثِم، كما أنَّ عَليمًا أكثر معلومًا من العالم.

١٣ ـ يُمْلَى لِذَاكَ ويُبْتَلَى ... هـذَا فَأَيُّهُما المَضِيمُ

١٤ ـ والمَرْءُ يَبْخَلُ في الحُقُو ... قِ ولِلْكَلالَةِ ما يُسِيمُ

(١) هذا عجز بيت لراشد بن شهاب اليشكري كما في المفضلية رقم ٨٦، وصدره: «أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٣.

يُملى: أي يُمَدُّ في عمره، وأصله من المَلَوَيْن اللَّيل والنّهار، وقوله: «والمرء يبخلُ» يقول: ترى الرّجل يبخلُ بما يلزمه من أداء الحقوق ويترك ماله لِكَلالَته، والكَلالَةُ: هم الوُرَّاثُ ما خَلا الوالدُ والولدُ، وأصله من «تكَلَّله النسب» إذا أحاطَ به، وقيل: هو من الكَلالِ الإعياء، كأنَّ بُعْدَ النسب أَكَلَّهُ؛ وقال أبو العلاء: الكَلالَة التي جاءت في الكتاب العزيز دَلَّتْ على أنها يُعْنَى بها الإخوة من الأُم، وفي موضع آخر وقعت على الأُخت التي تَرِثُ النِّصْفَ، فجائز أن تكون من الأب، وإذا قيل الكَلالة مَنْ ليسَ بوالد ولا مولود دخلت فيه الأُخت وغيرها من ذوي النسب، والمعنى: يبخلُ ويرثُهُ مَنْ ليس بوالدٍ ولا ولدٍ وما فوقه، و«ما يسيمُ» ما فيه يجوز أن تكون زائدة، ويكون المعنى أنه يُخَلِّي مالَه لِلكلالة فكأنّه أَسَامَهُ فيهم، كما يقال: تركتُ مالي في بني فلان، ويجوز أن يكون «ما» في معنى الذي: أي والذي يسيمه من رزق الكلالة، ولا يبعد أن تكون «ما» وما بعدها في معنى المصدر، كأنه قال: وإسامته لماله للغير لا لِنفسه، والإسامَةُ: إخراجُ المالِ إلى المرعى، يقال: أَسَمْتُ البعيرَ فَسَامَ.

١٥ ـ ما بُخْلُ مَنْ هُوَ لِلْمَنُو ... نِ وَرَيْبِها غَرَضٌ رَجِيمُ
١٦ ـ وَيَرَى القُرُونَ أَمَامَهُ ... هَمَدُوا كما هَمَدَ الهَشِيمُ

«ما بخلُ» استفهام على طريق الإنكار: أي ما بُخْلُ مَنْ هو للحوادث كالغَرَض المنصوب لِلرَّمْي، والرجيم: المرجوم، والمنون إذا ذكر فالمراد به الدهر، وإذا أُنِّث كانت المنية، ويكون واحدًا وجمعًا، والهشيم: المهشوم، وهو ما يتفتت من وَرَق الشجر إذا وَطِئْتَهُ، والقرون: الجماعات، كلّ جماعة قَرْن، وهمدوا: بادوا، وأصله من هَمَدَتِ النَّارُ إذا ذهبَتِ البَتَّةَ ولم يبقَ منها شيءٌ.

١٧ ـ وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلاَ ... بُؤْسٌ يَدُومُ ولاَ نَعِيمُ
١٨ ـ كُلُّ امْرِىءٍ سَتَئِيمُ مِنْـ ... ـهُ العِرْسُ أَوْ مِنْها يَئِيمُ

أي: إمّا أن يموتَ الرجلُ فتبقى امرأته أَيِّمًا، أو تموت امرأته فيبقى الرجل أَيِّمًا منها، وقد آمَتِ المرأة أَيْمًا وَأَيْمَةً وأُيُومًا.

١٩ ـ ما عِلْمُ ذِي وَلَدٍ أَيَثْـ ... ـكَلُهُ أَمِ الوَلَدُ اليَتِيمُ
٢٠ ـ والحَرْبُ صَاحِبُها الصَّلِيـ ... ـبُ على تَلاَتِلِها العَزومُ

يقول: لاَ تَثِقَنَّ بأهلٍ ولا ولدٍ، فإنكَ لا تدري مَنِ الذي يموت قبل صاحبه، والصَّليب: الصُّلْبُ، والتّلاتِلُ: الشَّدائِدُ المقلقةُ، لا واحد لها، والعَزُوم: الذي يستمرُّ على عَزْمِه إلى أن يبلغَ ما يرومه.

٢١ ـ مَنْ لاَ يَمَلُّ ضِرَاسَها ... وَلَدَى الحَقِيقَةِ لاَ يَخِيمُ

٢٢ ـ واعْـلَـمْ بـأنَّ الـحَـرْبَ لاَ يَـسْـطِـيـعُـهـا الـمَـرِحُ الـسَّـؤومُ

ضِرَاسُ الحربِ: عِضاضها، ولا يخيم: أي لا يجبن عند أمرٍ يحقّ عليه الدفع عنه، والمَرِحُ: النَّزِقُ النَّشيطُ، وليس هو من صفات المدح، والسَّؤوم: الكثير الضَّجَر القليل الصَّبْر.

٢٣ ـ والـخَـيْـلُ أَجْـوَدُهـا الـمُـنَـا هِـبُ عِـنْـدَ كَـبَّـتِـهـا الأَزُومُ

المناهب: الكثيرُ العَدْوِ كأنه ينتهبُ الأرضَ في عَدْوِهِ، والكَبَّةُ: أوائل الخيل جماعة منها، والأَزومُ: العَضُوضُ، وقال أبو العلاء: المناهب الذي كأنه يُنَاهِبُ الجَريَ، والكَبَّة الحملة في الحرب.

[٤٤٧] وقال مُنْقِذ الهلاليّ[١]:

١ ـ أيُّ عَـيْـشٍ عَـيْـشِـي إذَا كُـنْـتُ مِـنْـهُ بَـيْـنَ حَـلٍّ وَبَـيْـنَ وَشْـكِ رَحِـيـلِ

الأوّل من الخفيف، والقافية متواتر.

«أيُّ عيشٍ عيشي» مبتدأ وخبر، والمعنى الإزراء به والذمّ له، و«إذا» تعلّق بما دلّ عليه عيشي، والمراد: إذا كنتُ من عيشي بين نزولٍ وارتحالٍ فكأنه لا عيشَ لي.

٢ ـ كُـلُّ فَـجٍّ مِـنَ الـبِـلادِ كَـأَنِّـي طَـالِـبٌ بَـعْـضَ أَهْـلِـهِ بِـذُحُـولِ

قد سلك أبو تمام هذا المسلك في قوله: [الطويل]

كَأَنَّ به ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنَ الأرْضِ أَوْ شَوْقًا إلى كُلِّ جَانِبِ

٣ ـ مَـا أَرَى الـفَـضْـلَ والـتَّـكَـرُّمَ إلاَّ كَـفَّـكَ الـنَّـفْـسَ عَـنْ طِـلاَبِ الـفُـضُـولِ

٤ ـ وبَـلاَءً حَـمْـلُ الأَيَـادِي وأَنْ تَـسْـ ـمَـعَ مَـنًّـا تُـؤْتَـى بِـهِ مِـنْ مُـنِـيـلِ

[٤٤٨] وقال محمد بن أبي شِحَاذٍ الضَّبّيّ:

أبو الفتح: شِحَاذ عَلَمٌ غير منقول، قال: وأُجيز مع هذا أن يكون في الأصل مصدر شاحَذَني يُشَاحِذُني شِحَاذًا إذا راسلكَ وضاهاكَ في شَحْذِ السَّيفِ ونحوه.

١ ـ إذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجُدْ بِفَضْلِ الغِنَى أُلْفِيتَ مَا لَكَ حَامِدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«إذا أنت» جوابه «أُلفيتَ» وهو الفعل الواقع فيه؛ لأن إذا بتضمّنه للجزاء يطلب جوابًا ويكون ظرفًا.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم ٣٦٨.

٢ - إذَا أَنتَ لَمْ تَعرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ ما ... يَرِيبُ مِنَ الأَدْنَى رماكَ الأَباعِدُ

قوله «إذا أنت» جوابه «رماكَ الأباعد».

٣ - إذَا الحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ الجَهْلَ لَمْ تَزَلْ ... عَلَيْكَ بُرُوقٌ جَمَّةٌ وَرَوَاعِدُ

٤ - إذ العَزْمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ الشَّكَّ لَمْ تَزَلْ ... جَنيبًا كما اسْتَتْلَى الجَنيبَةَ قَائِدُ

فيه بعثٌ على اقتحام الأمور واستعمال الاستبداد فيها بَعْدَ النَّظرِ والتَّحَزُّمِ في الظَّاهر، كما وَصَّى في البيت الَّذي قبله بالرّفق في الأمور التي تُكسِب العداوات.

٥ - وقَلَّ غَناءً عَنكَ مالٌ جَمَعْتَهُ ... إذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لاحِدُ

المراد بذكر القلّة هنا النّفي، لا إثبات شيء قليل، وانتصب «غناء» على الحال: أي مُغنيًا عنك، فيقول: لا يُغني عنكَ مالٌ تجمعه إذا ذهبت عنه وتركته لِوَرَثتك.

٦ - إذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَامًا تُحِبُّهُ ... وَلاَ مَقْعَدًا تُدْعَى إِلَيْهِ الوَلائِدُ

هذا حَثٌّ على الإيثار على النفس في طلب المعالي.

٧ - تَجَلَّلْتَ عَارًا لاَ يَزَالُ يَشُبُّهُ ... سِبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ والقَصَائِدُ

[٤٤٩] وقال آخر[1]:

١ - وَيْلُ امِّ لَذَّاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً ... مَعَ الكُثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتْلِفُ النَّدِي

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

لفظة «وَيْل» إذا أُضيفت بغير اللاّم فالوجه فيها النصب، فتقول «وَيْلَ زيدٍ»، والمعنى: ألزمَ اللَّهُ زيدًا الويلَ، فإذا أُضيفت باللاّم فقيل «وَيْلٌ لزيد» فحُكمه أن يرفع فيصير ما بعده جملة ابتدىء بها، وهي نكرة؛ لأن معنى الدّعاء منه مفهوم، والمعنى: الويل ثابتٌ لِزيدٍ، كأنه عَدَّهُ مُحَصَّلاً، كما يقال: رَحِمَ اللَّهُ زيدًا، فتجعل «رَحِمَ الله» خبرًا، وإذا كان حكم «ويل» هذا وقد ارتفع في قوله «ويلُ امِّ لَذَّاتِ الشَّباب» فحذف من «أمّ» الهمزة واللاّم من «ويل» وقد ألقى حركة الهمزة على اللاّم الجَارَّة فصار «وَيْلُم»، وقد قيل «وَيْلِمّ» كما قيل «الحمدُ لله» و«الحمدِ لِلَّهِ» إتباعًا لإحدى الحركتين، وقصده إلى مدح الشباب وحمد لذاته، وانتصب «معيشةً» على التمييز.

٢ - وقَدْ يَعْقِلُ القُلُّ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ ... وقَدْ كانَ لَوْلاَ القُلُّ طَلاَّعَ أَنْجُدِ

---

(١) نسبهما في جمهرة الأمثال ١/٣٧٩ لخالد بن علقمة الدارمي؛ وفي الخزانة ١/٥٦٣ لحميد بن سجار الضبي؛ وهما في ديوان علقمة الفحل ص ١٣٥؛ وفي اللسان (قلل) نسبا إلى خالد بن علقمة الدارمي؛ وفي اللسان (نجد) إلى حميد بن أبي شحاذ الضبيّ.

القُلّ: القلّة، يقول: القِلّة تمنع صاحبها من طلب المعالي، وقد كان لولا القل مواصلاً للأمور العِظام.

[٤٥٠] **وقالت حُرَقَةُ بنت النعمان**(١):

هذا اسم مرتجل غير منقول، وحُرَقَة هذه وأخوها حُرَقٌ ابنا النّعمان، وفيهما يقول الشّاعر: [المنسرح]

نُقْسِمُ بِاللَّهِ نُسْلِمُ الحَلَقَهْ وَلاَ حُرَيْقًا وَأُخْتَهُ حُرَقَهْ

وَالحَلَقة: السّلاح، وينبغي أن يكون أراد بالحلقة حلقة الدّرع ونحوها اكتفاءً بالواحد من الجماعة، ثم إنه حَرَّك العين مُضطرًا، كما قال رؤبة:

مُشْتَبِهِ الأَعْلاَمِ لَمَّاعِ الخَفَقْ(٢)

وكقول زهير: [البسيط]

خَافَ العُيُونَ فَلَمْ يُنْظَرْ به الحَشَكُ(٣)

يريد حَشْكَ الدِّرَّة اجتماعها، والنُّعْمَان: عَلَمٌ أيضًا مرتجَل كما أن نَعْمَان اسم موضع كذلك.

١ ـ بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«بينا» كلمة تستعمل في المفاجأة، وهي من ظروف المكان، وقد يقال: بينما، كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلاً مما كان يضاف إليه من قبل بما أو بالألف، والمراد بين الأزمنة التي تجري علينا ونحن نسوسُ النّاس وندبّر أمرهم بما نريد إذا الأمر انقلبَ؛ فاتّضَعت الأحوالُ، وصرنا سوقة نخدمُ النّاس، والناصف: الخادم، والسُّوقة: مَنْ دون الملك، وسُمُّوا سُوقةً لأن الملكَ يَسُوقُهم ويصرفهم على إرادته، والواحد والجمع فيه سَوَاءٌ، فأمَّا أهلُ السّوق فهم سُوقِيُّون، واحدهم سوقيّ، وقولها «والأمر أمرنا» أي: لا يدَ فوق أيدينا، والعامل في «بينا» ما دلَّ عليه قولها «إذا نحن فيهم سُوقةٌ»، وإذا هذه ظرف مكان، وهي للمفاجأة.

---

(١) حُرَقة بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس، من بني لخم، شاعرة، من بيت الملك في قومها بالحيرة، ترجمتها في: (المؤتلف والمختلف ص ١٠٣؛ وخزانة البغدادي ٣/ ١٨١).

(٢) هذا البيت من الرجز المشطور لرؤبة بن العجاج، وقبله قوله: «وقاتم الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْ».

(٣) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره: «كما استغاثَ بِسَيْءٍ فَزُّ غيطَلَةٍ». والفَزّ: ولد البقرة، والسَّيءُ: ما يكون في الضرع من اللبن قبل نزول الدرة. والغيطلة: البقرة، والحشك: رفع الدرّة.

٢ ـ فَـأُفٍّ لِـدُنْـيَـا لاَ يَـدُومُ نَـعِـيـمُـهَـا تَـقَـلَّـبُ تَـارَاتٍ بِـنَـا وَتَـصَـرَّفُ

معنى «أُفٍّ» التحقير، كأنّها قالت: حَقَارة لِدنيا نعيمها يزول وحالها لا تدوم، فمَنْ فتحَ أفَ فلِخِفَّةِ الفتحة، ومَنْ كَسرها فلالتقاءِ الساكنين، لأنَّ الكَسْرَ فيه أولى، ومَن ضمّ فلإتباع الضَّمّة الضَّمّة، والتنوين فيه أمارة للتنكير، وترك التنوين أمارة للتعريف.

[٤٥١] وقال الحَكَمُ بن عَبْدَلٍ[1]: [السريع]

اللاّم في عَبْدَل زائدة، ومثاله فعلل، غير أن اللاّم الأخيرة زائدة غير مكرّرة، ولَعَمري إنّك لو مثلت جعفرًا أيضًا لقلتَ فيه فعلل غير أن اللاّم الثانية تكرير أصل، ولام فعلل من تمثيل عبدل زائدة البتّة كنون رَعْشَن وَخَلْبَن وعَلْجَن، ولو بنيت مثل جعفر من ضربت قلت ضَرْبَب فكرّرتَ الباء لأنّها أصل إذ قابلت بها أصلاً، ولو بنيتَ مثل عبدل منه لقلت ضَرْبَل، ومن خرج خَرْجَل، ومن صعد صَعْدَل، وهذا بيان منير، ومثل عبدل في زيادة لامه قولهم في زيد: زَيْدَل، وفي الأفحج: فَحْجَل، وقالوا: ذلك وألالك وهنالك. وقالوا: قَصَمَه وَقَصْمَله، وذهب محمد بن حبيب في قولهم «عَنْسل» أنَّ لامها زائدة وأخذها من العنس.

١ ـ أَطْـلُـبُ مـا يَـطْـلُـبُ الـكَـرِيـمُ مِـنَ الـ ـرِّزْقِ لِـنَـفْـسِـي وأُجْـمِـلُ الـطَّـلَـبَـا

يقول: إذا طلبتُ أجملتُ، وإذا سددت مفاقري اكتفيتُ، ثم لا أُعَوِّلُ فيما أُزاوله إلاّ على نفسي، مُتَّهمًا سَعْيَ غيري، وكلّ ذلك أفعله إبقاء على مراعاة العفاف والكفاف.

٢ ـ وأَحْـلُـبُ الـثَّـرَّةَ الـصَّـفِـيَّ وَلاَ أَجْـهَـدُ أَخْـلاَفَ غَـيْـرِهـا حَـلَـبَـا

ويُرْوَى «الصّفوف»، والثَّرَّة: الغزيرة من النوق والشّاء والسُّحُب، والصفوف: التي يصفّ لها إناءان فتملؤهما، ومَنْ رَوَى «الصَّفِيّ» فمعناه الغزيرة، وبعض الناس ينشد «أَخْلاَفَ غُبْرِهَا» يذهب إلى الغُبْر الذي هو بقية اللبن، وقد يجوز مثل ذلك؛ إلاّ أن الكلام يكون كالمقلوب؛ لأنه أراد: ولا أجهدُ غُبْرَ أخلافِها، ومَنْ روى «أخلاف غَيْرِهَا» فروايته أحسن، يريد أنه لا يحلب إلاّ ثَرَّةً كأنه يصفُ نفسَه بطلبِ الرِّزق في مَظَانّه ورغبته إلى الكرام وإعراضه عن اللِّئام.

٣ ـ إنِّـي رَأَيْـتُ الـفَـتَـى الـكَـرِيـمَ إذَا رَغَّـبْـتَـهُ فـي صَـنِـيـعَـةٍ رَغِـبَـا
٤ ـ وَالـعَـبْـدُ لا يَـطْـلُـبُ الـعـلاَءَ وَلاَ يُـعْـطِـيـكَ شَـيْـئًـا إلاَّ إذَا رَهِـبَـا
٥ ـ مِـثْـلَ الحمـارِ الـمُـوَقَّـعِ الـسَّـوْءِ لاَ يُـحْـسِـنُ مَـشْـيًـا إلاَّ إذا ضُـرِبَـا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٢٨).

المُوَقَّع: الذي في ظهره آثار، ويقال «عُودٌ مُوَقَّعٌ» أي: قد أَثَّرَ فيه الحمل، وقال الراجز يصف طريقًا:

الـمُـكْـرَبُ الأَوْظِـفَـةِ الـمُـوَقَّـعُ   وَهْـوَ عَـلَـى تَـوْقِـيـعِـهِ مُـوَدَّعُ

٦ ـ ولَـمْ أَجِـدْ عُـرْوَةَ الـخَـلائِـقِ إلاَّ الـدِّ   يـنَ لَـمَّـا اعْـتَـبَـرْتُ والـحَـسَـبَـا

٧ ـ قَـدْ يُـرْزَقُ الـخَـافِـضُ الـمُـقِـيـمُ ومَـا   شَـدَّ بِـعَـنْـسٍ رَحْـلاً ولا قَـتَـبَـا

الرَّحْل: مركب البعير، والرِّحَالة نحوه، وهو السّرج أيضًا، والقَتَب: الإكاف، هكذا ذكر الخليل.

٨ ـ ويُـحْـرَمُ الـمَـالَ ذُو الـمَـطِـيَّـةِ وَالـرَّ   حْـلِ ومَـنْ لا يَـزَالُ مُـغْـتَـرِبَـا

«ذو المَطِيَّة والرَّحل»، الرَّحْل: مصدر «رَحَلْتُ البعيرَ» إذا شددتَ عليه الرَّحْلَ.

[٤٥٢] وقال آخر:

١ ـ يـا أيُّـهَـا الـعـامُ الَّـذِي قَـدْ رَابَـنِـي   أَنْـتَ الـفِـدَاءُ لِـذِكْـرِ عَـامٍ أَوَّلا

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

يفضّلُ أيامه الماضية على أيّامه الحاضرة، وقوله «عام أَوَّلا» ممّا أُلِفَ منه[1] كثرة الاستعمال فَوُصِفَ بصفة لم تُوصَفْ بها نظائرُه على التّعارف، والمراد بهذا أنه لم يُقَلْ: شهر أَوَّلا، ولا حول أَوَّلا، ولا سنة أولى، وإنّما خُصَّ هو بذلك لِكَثْرَةِ الاستعمال، ولأنَّ دلالةَ الحال وتعارف المتكلّمين سَوَّغَ الإجراءَ على ما أُلِفَ فيه.

٢ ـ أَنْـتَ الـفِـدَاءُ لِـذِكْـرِ عَـامٍ لَـمْ يَـكُـنْ   نَـحْـسًـا ولاَ بَـيْـنَ الأَحِـبَّـةِ زَيَّـلاَ

قوله «أنتَ الفداءُ» يريد تكرير الدّعاء على التَّضَجُّر لحاضر وقته والتنبيه على ما رابه منه، والنَّحْسُ: ضِدُّ السعد، وقد وصف به الغبرة والأمر المظلم، وفي القرآن ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[2].

[٤٥٣] وقال الفرزدق:

الفرزدق: قطع العجين، الواحدة فرزدقة، سُمِّيَ بذلك لجَهَامة وجهه.

١ ـ إذَا مـا الـدَّهْـرُ جَـرَّ عَـلَـى أُنَـاسٍ   كَـلاكِـلَـهُ أَنَـاخَ بِـآخَـرِيـنَـا[3]

من الوافر الأوّل، والقافية متواتر.

---

(١) عند المرزوقي «فيه».
(٢) سورة فصّلت، الآية: ١٦.
(٣) عند المرزوقي «حوادثه» بدل كلاكله. والكلاكل: جمع الكلكل: وهو الصدر، وأراد هنا صروف الدهر وحوادثه.

يقول: إذا أناخت صروف الدَّهرِ على قوم بإزالة نِعَمهم وتكدير عيشهم، فعادتها والمعهود منها أنها تفعل بغيرهم مثل ذلك.

٢ - فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كما لَقِينَا

[٤٥٤] وقال الصَّلَتَان العَبْدِيّ[١]:

الصَّلتان: الماضي المنصلت في أمرِه وشأنه، ومنه «سيف إصْليت» أي: بارز مشهور، قال رؤبة:

كَأَنَّنِي سَيْفٌ بِهَا إصْلِيتُ[٢]

وربما جاء الصّلت والصّلتان في معنى ما لا شَعَرَ عليه.

١ - أَشَابَ الصَّغِيرَ وأَفْنَى الكَبِيـ ـرَ كَرُّ الغَدَاةِ ومَرُّ العَشِي

من المتقارب، والقافية متدارك.

٢ - إِذَا لَيْلَةٌ هَرَّمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فَتِي

«هَرَّمَتْ يومَها» ضَعَّفته مُسْلَمًا لِلزَّوَالِ، ويقال «هو ابن هَرْمَةِ أبيه» لآخر الأولاد، كأنه من الهَرَمِ، كما يقال «هُوَ ابنُ عجزةِ أبيه» لآخر الأولاد، والفَتِي: مصدره الفَتَاء، وضدّه الذّكيّ، يقال: فَتَاء فلان كذكاء فلان.

٣ - نَرُوحُ ونَغْدُو لِحَاجَتِنَا وحاجَةُ مَنْ عَاشَ لاَ تَنْقَضِي[٣]

٤ - تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حَاجَاتُهُ وتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِي

٥ - إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الغَنِي

السّرو: سَخَاء في مروءة، يقال: سَرُوَ الرجل يَسْرُو، وهو سَرِيٌّ، من قوم سَرَاة.

٦ - أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى ابْنَهُ وأَوْصَيتُ عَمْرًا فَنِعْمَ الوَصِي

---

(١) الصَّلَتان العبديّ: هو قُثَم بن خبيّة العبديّ، من بني محارب بن عمرو، من عبد القيس: شاعر حكيم، وهو الذي قضى بين جرير والفرزدق ففضّل شعر جرير، وفضّل قوم الفرزدق (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في: (المؤتلف والمختلف ص ١٤٥؛ والشعر والشعراء ص ١٩٦؛ وخزانة البغدادي ١/ ٣٠٨).

(٢) هذا بيت من الرجز المشطور لرؤبة وبعده:

ينشقُّ عني الحَزنُ والبِرِّيتُ والبيضةُ البيضاءُ والخَبُوتُ

وهذا من أُرجوزة طويلة يمدح فيها مسلمة بن عبد الملك وأولها:

يا ربِّ إن أخطأتُ أو نسيتُ فأنتَ لا تنسى ولا تموتُ

(٣) عند المرزوقي (لحاجاتِنا).

«ألم ترَ» اعلمْ، يريد التنبيه على أنَّ له في وصاة ابنه اقتداءً بالحكماء قبله، فكما ساغَ للقمان أن يوصي ابنه ساغ لِلصَّلَتان أن يوصي عمرًا، والمحمود في قوله «نِعْمَ الوَصي» محذوف، كأنه قال: ونِعْمَ الوصيّ هو؛ وهذا ترغيبٌ منه لعمرو في الاحتذاء بما يُرْسَمُ له.

٧ ـ بُنَـيَّ بَـدَا خِـبُّ نَـجْـوَى الـرِّجَـالِ فَـكُـنْ عِـنْـدَ سِـرِّكَ خَـبَّ الـنَّـجِـي

الْخِبُّ: المَكْر، بكسر الخاء، والْخَبُّ ـ بفتحها ـ المكَّار، والنَّجْوَى: مصدر، وهو مستعمَل فيما يتحدَّثُ فيه اثنان على طريق السِّرِّ والكتمان، فيقول: إذا ناجيتَ صاحبًا لكَ فكنْ خَبًّا فيما تودعه من سِرِّك فإن نَجْوَى الرجال إذا بَدَا خِبُّها عادت وَبالاً، وَالنَّجِيُّ يقعُ على الواحد والجمع، وكذلك النجوى، وفي القرآن ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾[١].

٨ ـ وسِـــرُّكَ مَـــا كـــانَ عِـــنْـــدَ امْـــرِىءٍ وسِـــرُّ الـــثَّـــلاثَـــةِ غَـــيْـــرُ الـــخَـــفِـــي

هذا كقول الآخر: [الطويل]

إذا جَـاوَزَ الاثْـنَـيْـنِ سِـرٌّ فَـإِنَّـهُ بِـنَـثٍّ وَتَـكْـثِـيـرِ الـوُشَـاةِ قَـمِـيـنُ[٢]

وقد قيل في «الاثنين» في هذا البيت: إنه يريد الشفتين، وكأنَّ مَنْ فسّر هذا التفسير أراد لا تُفْشِ سِرَّكَ إلى أحدٍ.

٩ ـ كَمَا الـصَّـمْـتُ أَدْنَـى لِبَعْضِ الرَّشَادِ فَـبَـعْـضُ الـتَّـكَـلُّـمِ أَدْنَـى لِـغَـيْ

تَمَّ باب الأدب

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٢) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ١٨، وفيه (بنشر) بدل (بنَثٌّ).

باب النَّسِيب

النسيب: ذِكْرُ الشّاعرِ المرأة بالحُسْن، والإخبار عن تَصَرُّفِ هَوَاها به، وليس هو الغَزَلُ، وإنَّما الغزل الاشتهار بِمودَّاتِ النِّساء؛ والصَّبْوَةِ إليهنّ، والنسيب ذِكْرُ ذلك والخبَرُ عنه.

[٤٥٥] قال الصِّمَّة بن عبد الله(١):

ابن طُفَيْل بن الحارث بن قُرَّة بن هُبَيْرَة بن عامر بن سَلَمَة الخير بن قُشَيْر بن كَعْب؛ وهو شاعر غزل، هَوِيَ بنت عَمٍّ له يقال لها رَيَّا فخطبها إلى عَمِّه، فزوّجه إيّاها على خمسين من الإبل، فجاء إلى أبيه فسأله ذلك، فساق عنه تسعًا وأربعين، وقال: عَمُّكَ لا يناظرنا بنقصان ناقة، فساقَها إلى عمّه، وذكر له ما قال أبوه، فأبى أن يقبَلها إلا كَمَلاً، فلجَّ أبوه ولجَّ عمّه، فقال: والله ما رأيت ألأَمَ منكما جميعًا، وإنّي لألأَمُ إنْ أقمتُ معكما، فرحل إلى الشّام، فتتبعتها نفسه، فقال:

١ ـ حَنَنْتَ إلَى رَيَّا ونَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وشَعْبَاكُما مَعَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يلوم نفسَه في بعدِه عنها، والحنين: تألّم الشّوق، ورَيَّا: اسم امرأة، فإن قيل: لِمَ قال رَيَّا؛ لأنَّ فَعْلى إذا جاء اسمًا من بنات الياء تقلب ياؤه واوًا، على هذا قولهم: الفَتْوَى والشَّرْوى والتَّقْوَى والبَقْوَى؟ قلت: إنه سُمِّيَ به منقولاً عن الصفة وفَعْلى صفةً تصحّ فيه الياء، على هذا قولهم: خزْيَا وصَدْيَا، وَرَيَّا كأنه تأنيث رَيَّان في الأصل كما يقال عَطْشَان وعَطْشَى، ثم نقل من باب الصفات إلى باب التسمية بها فتُرِكَ على بنائه، وقوله «ونفسكَ باعدت» الواو واو الحال، وهي للابتداء، ومعنى باعدت بَعَّدَت، وهو

---

(١) الصِّمَّة بن عبد الله بن الطفيل القشيريّ، من بني عامر بن صعصعة، من مُضَر، شاعر غزل بدويّ، من شعراء العصر الأموي ومن العشّاق المتيّمين. (ت نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م). ترجمته في (الأغاني ٥/ ١٢٦؛ وخزانة البغدادي ١/ ٤٦٤؛ والمؤتلف والمختلف ص ١٤٤).

كما يقال ضاعفت وضعّفت، وفي القرآن ﴿بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾[1] والمزار: مكان الزيارة، والشّعب: شعب الحيّ، يقال: «التأم شَعْبُهُم» أي: اجتمعوا بعد تَفَرُّقٍ، و«شَتَّ شعبهم» إذا افترقوا بعد جمع، والواو في «وشعباكُما» واو الحال أيضًا، والعامل في «ونفسكَ باعدت» حَنَنْت، وفي قوله «وشعباكما معًا» باعدت، ومعنى قوله «معًا» مجتمعان، وموضعه خبر الابتداء.

٢ ـ فَما حَسَنٌ أنْ تَأْتِيَ الأَمْرَ طَائِعًا　　وتَجْزَعَ أنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعا

يجوز في «حَسَنٌ» أن يكون مبتدأ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتماده على حرف النفي، و«أن تأتي» في موضع الفاعل لحسن، واستغني بفاعله عن خبره، والتقدير ما يَحْسُن إتيانك الأمْرَ طائعًا، وانتصب «طائعًا» على الحال من «أن تأتي»، ويجوز أن يكون «أن تأتي» مبتدأ، و«حسن» خبره، ويجوز أن يرتفع «حسن» بالابتداء، و«أن تأتي» في موضع الخبر، وهذا أضعف الوجوه، لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة، وقوله «أن داعي الصبابة» أن: مخفّفة من الثقيلة، والمراد وتجزع من أنْ دَاعِي الصَّبابة أَسْمَعَك صوته ودعاك.

٣ ـ قِفَا وَدِّعَا نَجْدًا ومَنْ حَلَّ بالحِمَى　　وقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أنْ يُوَدَّعَا

الحِمى: موضع فيه ماء وكلأ يمنع منه الناس، وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون للمكان وقد أَبْطِلَ وأبِيحَ ولم يُحْمَ: بَهْرَجٌ، وأنشد: [الرجز]

فَخُيِّرَتْ بَيْنَ حِمًى وَبَهْرَجِ　　مَا بَيْنَ أَجْرادٍ إلى وَادِي الشَّجِي

وقوله «أن يودَّعا» في موضع الفاعل لِقَلَّ.

٤ ـ بِنَفْسِيَ تِلْكَ الأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا　　وَمَا أحْسَنَ المُصْطَافَ والمُتَرَبَّعا

٥ ـ ولَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِعٍ　　عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلِّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

أي: إنَّكَ وإن أفْرَطْتَ في الجزع فإنَّ أوقات المواصلة بالحِمى مع أحبابك لا تكاد تعود، ولكن أَدِمِ البكاءَ لها مع التوجُّع في أثرها تجدْ فيه راحة، وفي هذا إلمام بقول الآخر: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا إنَّ البُكَاءَ لَرَاحَةٌ　　بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أنْ لاَ تَلاَقِيَا[2]

وقوله «تدمعا» جواب الأمر، ولو قال تدمعان لَكانَ حالاً للعينين.

٦ ـ ولَمَّا رَأيْتُ البِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا　　وحَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٢) البيت عند المرزوقي ص ١٢١٧.

بِشر: جبل، وأعرض دوننا: أبدى عُرْضَهُ، وحالَتْ: تحرَّكت، يقال: اسْتَحَلْتُ الشَّخْصَ، إذا نظرتَ هل يتحرَّك، ومنه «لا حَولَ ولا قوة إلا بالله»، وبنات الشَّوق: نوازِعُ كثرة الحنين، وأراد ببنات الشوق مسبّباته، وهذا كقول الآخر: [الطويل]

يَضُمُّ إلَيَّ اللَّيْلُ أطْفَالَ حُبِّهَا   كَمَا ضَمَّ أزْرَارَ القَمِيصِ البَنَائِقُ(١)

فأطفال الحب كبنات الشوق، والنُّزَّع: الأشهر فيه أن يكون جمع نازع.

٧ ـ بَكَتْ عَيْنِيَ اليُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُها   عَنِ الجَهْلِ بَعْدَ الحِلْمِ أَسْبَلَتا مَعَا

«بكت عيني» جواب «لَمَّا» في البيت الذي قبله، وإنما قال «بكت عيني اليسرى» لأنه كان أعور، والعين العوراء لا تدمعُ.

٨ ـ تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي   وَجِعْتُ مِنَ الإصْغَاءِ لِيتًا وَأَخْدَعا

تلفتُّ: التفتُّ، حتى وجدتُني وَجِعَ اللِّيتِ، وهو صفحة العنق، وجمعه ألْيَات، والأخدع، وهو عِرق فيها، لدوام التِفَاتي تحسّرًا في أثر الفائت من أحبابي وديارها، وقد قيل فيه: إنَّ من رموزهم أن مَن خرج من بلد فالتفت وراءه رجعَ إلى ذلك البلد، وأنشد أبيات منها قوله: [الخفيف]

عِيلَ صَبْرِي بِالثَّعْلَبِيَّةِ لَمَّا   طَالَ لَيْلِي وَمَلَّنِي قُرَنَائي
كُلَّمَا سَارَتِ المَطَايَا بِنَا مِيـ   ـلاً تَنَفَّسْتُ وَالْتَفَتُّ وَرَائِي

قالوا: الْتَفَتَ كي يُقْضَى له الرجوع لِكَونِهِ عاشقًا، وانتصبَ «لِيتًا» لأنه تمييز، وهذا باب ما نقل الفعل عنه، كأن الأصل وَجِعَ لِيتي وأخدعي، فلما شغل الفعل عنهما بضميره أشبها المفعول، فنصبهما؛ ومثله: تَصَبَّبْتُ عَرقاً، وَقَرِرْتُ عَيْنًا.

٩ ـ وَأَذْكُرُ أيَّامَ الحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي   عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أنْ تَصَدَّعَا

أي: أتذكّرُ أوقاتي بِالحِمى لما كان بيننا من أسباب الوِصال بها فأنثني على كبِدي فأقبضُ عليها مخافةَ تشقّقها وخروجها من موضعها شوقًا إلى أمثالها.

وذكر هذه الأبيات أبو عبد الله المفجَّع في حَدِّ الغزل من كتابه، فذكر عند قوله «بكت عينيَ اليُمنى» أن هذا كان مجاورًا لأحبابه وهم منتجعون بجنوب الحِمَى، فنشأت عين، والعين: سحابة تجيءُ من ناحية القِبلة، فنشأت من عن يسارِ القِبلة، فارتاعَ لذلك وخَشِيَ الفُرقة إذا اتَّصلَ الغيثُ، فذلك معنى قوله «بَكَتْ عينيَ اليسرى» كناية عن السَّحاب، وجعل ارتياعه منها زَجْرًا لها؛ ثم نشأت أخرى من عن يمين القِبلة فأيقنَ من

(١) البيت في اللسان (بنق) وقد نسبه للمجنون.

حبيبه بالفراق، فذلك معنى قوله «أسبلتا معًا» ثم قال معترفًا بالبَيْنِ «خَلِّ عينيك تدمعا» يعني السّحابتين، وقال جرير: [الكامل]

إنَّ السَّوَارِيَ وَالغَوَادِيَ غَادَرَتْ لِلرِّيحِ مُنْخَرَقًا بِهَا وَمَجَالاَ

والصَّحيح في هذه الأبيات ما تقدّم ذِكره، قالوا: كان المفجع ذكر أبياتًا غير هذه في معنى ما ذكره وتصرّفَ في تفسيرها، ثم اختلطت هذه الأبيات بتلك.

[٤٥٦] وقال آخر(١):

١ ـ ونُبِّئْتُ لَيلَى أرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إلَيَّ فَهلاً نَفْسُ لَيلَى شَفِيعُهَا

من الطويل الثاني.

«نُبِّىءَ» يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل، وقد حصلت إلى قوله «أرسلت بشفاعة إليَّ»، وقوله «هلاً نفسُ ليلى» هَلاّ: حرف تحضيض، وهو يطلب الفعل، وقد وقع في البيت بعده جملة من مبتدأ وخبر، وفارق هلاّ هذه أُختها لولا في قوله: [الطويل]

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلاَ الكَمِيَّ المُقَنَّعَا(٢)

وذلك لأنَّ تأثيرَ الفعل النَّصب بعد «لولا» من البيت دلَّ عليه؛ فأمره في إضمار الفعل بعده قويّ، وهذا لم يصلحْ له أن ينصب النّفس بعد هَلاَّ؛ فكان يجيء التقدير فهلاّ أرسلت نفسها شفيعها لأن القوافي مرفوعة، فجعل ما بعده مبتدأ لما لم يَتَأَتَّ ما تأتّى لذلك، وقد يفعلون هذا في الحروف المختصّة بالأفعال إذا كان في الكلام دلالة على المضمَر من الفعل، ألاَ ترى أنَّ «لو» يطلب الفعل، ثم جاء قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾(٣) وعلى ذلك جاء «إنْ» الجازمة الدّالّة على الشّرط في وقوع الاسم بعده وإن كان يطلب الفعل عاملاً فيه الجزم، وذلك نحو «إنْ زيدٌ أتاني أكرمته» وقول الشاعر: [البسيط]

إنْ ذُو لُوثَةٍ لاَنَا(٤)

---

(١) نسبهما في الحماسة البصرية ٢/١٩١ لقيس بن الملوّح وليسا في ديوانه، وقيل هما للصمّة القشيري أو لابن الدمينة (انظر شرح شواهد المغني ٧٩).

(٢) البيت لجرير في ديوانه ص ٩٠٧؛ وتخليص الشواهد ص ٤٣١؛ والخصائص ٢/٤٥؛ وشرح شواهد الإيضاح ص ٧٢؛ وشرح شواهد المغني ٢/٦٦٩؛ وشرح المفصّل ٢/٣٨؛ وللفرزدق في الأزهيّة ١٦٨؛ ولسان العرب (ضطر)، ولجرير أو للأشهب بن رميلة في شرح المفصّل ٨/١٤٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

(٤) هذه قطعة من بيت لقريط بن أنيف أحد بني العنبر وقد ورد في الحماسية الأولى وتمامه:

إذًا لقام بنصري معشرٌ خُشُنٌ عند الحفيظةِ إن ذو لوثةٍ لانا

وما أشبهه، فإنْ قِيلَ: هَلاً جعلتَ المُضْمَر بعد هَلاً فعلاً رافعًا فترفع النفس به لا بالابتداء، كما يفعل ذلك في «إن زيدٌ أتاني أكرمته» فيصير هَلاً في ذلك أجرى في بابه من أن يكون ارتفاعه بالابتداء، قلت: إن قولك «إنْ زيدٌ أتاني أكرمته» ارتفع زيد بفعلٍ هذا الظاهرُ تفسيره، و«أكرمت» جواب إن، فساغَ فيه ما لم يسغْ هٰهنا، لأنه ليس هٰهنا شيء يكون تفسيرًا لذلك الفعل، وإنّما جاء بدل الفعل المُفَسِّر «شفِيعُها» ويكون خبرًا لا غير، وإذا كان كذلك لم يمكن حمل هذا عليه، ومعنى البيت: خُبِّرتُ أنَّ ليلى أرسلتْ إليَّ ذا شفاعة في بابها تطلب به جاهًا عندي، ثم قال: هَلاً جَعَلَتْ نفسَها شفيعًا، فقوله «بشفاعة» حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والفعل الذي يقتضيه هَلاً دَلَّ عليه شفيعها، ولو قال هلاً شفيعها لَكَانَ أقرب في الاستعمال إلاّ أنه قصدَ إلى التَّفخيم بتكرير اسمِها.

٢ ـ أأكْرَمُ مِنْ لَيلَى عَلَيَّ فتَبْتَغِي ... بهِ الجَاهَ أَمْ كُنْتُ امْرَءًا لا أُطيعُهَا

أتى بلفظِ الاستفهام والمراد التقريع والإنكار، كأنه أنكر منها استعانتها بالغير عليه وطلب الشَّفيع فيما أرادت لَدَيْهِ، وقوله «فتبتغي» في موضع النصب على أن يكون جواب الاستفهام بِالفاء، وقوله «أم كنت امرءًا» أم: هي المتصلة، كأنه قال: أيّ هذين توهّمت أطلب إنسان أكرم عليَّ منها أم اتّهامها لِطَاعتي، وخبر «أكرم» محذوف، كأنّه قال: أأكرم مِن لَيْلَى موجود أو في الدنيا.

[٤٥٧] وقال ابن الدُّمَيْنَةِ(١):

١ ـ أَمَا يَسْتَفِيقُ القَلْبُ إلاّ انْبَرَى لَهُ ... تَوَهُّمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادَ ومَرْبَعِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

استفاقَ وأفاقَ بمعنى: أي صَحَا، قال عليّ بن عيسى: لا يكون فَعَل وَاسْتَفْعل بمعنى واحد؛ الاستفعال لِلطلب، استفاق: طلب الإفاقة، وانبرى: تعرَّضَ، وأراد بالصَّيف المصيف، وقوله «من سعاد» أراد من أرض سعاد أو دارها، و«أمَا» هي ما النافية أدخل عليها ألف الاستفام تقريرًا أو إنكارًا؛ وسعاد: اسم مَنْ يهواها، و«صيف» أراد منزل الصيف، يدلّكَ عليه قوله «ومربع»، ويجوز أن يكون وصف الموضع بالمصدر كما يقال: ربع؛ لأنهم يربعون فيه كما يصيفون ويشتون.

٢ ـ أُخَادِعُ عَنْ أَطْلالِهَا العَيْنَ إنَّهُ ... مَتَى تَعْرِفِ الأَطْلالَ عَيْنُكَ تَدْمَعِ

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن الدّمينة: من بني عامر بن تيم الله من خثعم، شاعر بدوي، من أرقّ الناس شعرًا. أكثر شعره في الغزل والنسيب والفخر، وهو من شعراء العصر الأموي، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي وهو عائد من الحج في تبالة (ت نحو ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في (المرزباني ٤٠٢، الشعر والشعراء ص ٤٥٨؛ والأغاني ١٥/ ١٤٤).

أصل الخِدَاع السِّتْر، ومنه سُمّي البيت مَخْدَعًا لأنه يُسْتَرُ فيه الشَّيء، ومخادعة العين: تشكيكها فيما ترى، والأطلال لأهل المدر[1]: آثار الحيطان والمساجد؛ ولأهل الوبر[2] المأكل والمشرب والمراقد.

٣ - عَـهِـدْتُ بِـهَـا وَحْـشًـا عَـلَـيْـهـا بَـرَاقِـعٌ وهـٰذِي وُحُـوشٌ أصْـبَـحَـتْ لَـمْ تَـبَـرْقَـعِ

يعني نساء متبرقعات: أي فارقتِ الأطلالَ أهلها وسكنها الوحش بدلاً لهم، يعاتب نفسه في شغل القلب في سعاد، ويذكر تجلّده في تناسيها، ويشكو عينه أنّها تبكي كلّما رأت آثارَها، وفي هذه الطريقة قول الآخر: [الطويل]

يَعِـزُّ عَـلَـيَّ أنْ يُـرَى عِـوَضَ الـدُّمَـى بِـحَـافَـاتِـهِ هَـامٌ وَبُـوْمٌ وهِـجْـرِسُ[3]

وقوله «عليها براقع» صفة للوحش، وكذلك «أصبحت لم تبرقع».

[٤٥٨] وقال آخر:

١ - فَـيَـا رَبِّ إنْ أهْـلِـكْ ولَـمْ تُـرْوِ هَـامَـتِـي بِلَيْلَى أَمُتْ لا قَبْرَ أعْطَشُ مِنْ قَبْرِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

حذف الياء من «يا رَبِّ» لوقوعها موقع ما يحذف في النداء البتّة، وهو التنوين، وقوله «أَمُتْ» جواب الشّرط، وقوله «لا قبر أعطش من قبري» الجملة في موضع الحال، وقد روي «تَرْوَ» بفتح التاء، ويكون الفعل للهامة، و«تُرْوِ» بضم التاء، والفعل لله عزّ وجلّ، وإنّما قال «لم تُرْوِ هامتي» لأنهم كانوا يزعمون أنَّ عظام الموتى تصيرُ هَامًا فتطيرُ، وقوله «فيا ربِّ إنْ أَهْلِكْ» فيه قولان: الأول يا ربّ إنْ لم تروني من ليلى قبل أن أموت بما يُرْوَى المُحِبّ من حبيبه من نظرة وألفة لم يكنْ قبر أعطش من قبري: أي لا مقبور أعطش مني، فجعل عطش نفسه عطشًا لقبره، كما تقول: هذا بيت كريم، وأنت تريد صاحبه، وخصّ الهامة بالعطش لأنها محلّه عندهم، والثاني أنه مبالغة في النّحول والهلاك من عشقها: أي قد صار هامة، كما يزعمون أنَّ الميتَ يصيرُ بعد موتِه هامة، فعلى هذا الوجه معناه ولم ترو الخيال الباقي من ليلى.

٢ - وإنْ أَكُ عَـنْ لَـيْـلَـى سَـلَـوْتُ فَـإنَّـمَـا تَسَلَّيْتُ عَنْ يَأْسٍ ولَمْ أَسْلُ عَنْ صَبْرِ
٣ - وإنْ يَـكُ عَـنْ لَـيْـلَـى غِـنًـى وَتَـجَـلُّـدٌ فَـرُبَّ غِـنَـى نَـفْـسٍ قَـرِيـبِ مِـنَ الـفَـقْـرِ

---

(١) المدر: المدن والقُرى لأن بنيانها غالبًا من المَدَر وهو الطين.
(٢) أهل الوبر: هم أهل البدو.
(٣) الهجرس: ولد الثعلب.

أي: إن استغنيتُ بامرأةٍ غيرك فليستْ هي عِوَضًا منكِ، وكلّ ما لا تقنعُ به النَّفْسُ فقرٌ؛ فَغِنَايَ بغيرِكِ كالفقر إليك، لأنه لا عِوَضَ لكِ، ومثله لِكُثيِّر: [الطويل]

فَإنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أوْ تَدَعِ الهَوَى ... فَبِاليَأْسِ تَسْلُو عَنْكِ لاَ بِالتَّجَلُّدِ

[٤٥٩] وقال آخر:

١ ـ يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْذَعَتِي ... والعَقْلُ مُتَّلِهٌ والقَلْبُ مَشْغُولُ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

انتصب «يوم» بإضمار فعل، كأنّه أراد أذكر يوم هذا الأمر والشّأن. فأضاف اليوم إلى الفعل لما اتّفق فيه، ومُتَّلِه: مفتعل من الوَلَه، أصله «مُوْتَلِهٌ» فأُبدِلَ من الواو تاءً، كما تقول: اتَّقى واتَّجَهَ، ثم أدغم إحدى التاءين في الأخرى، والبرذعة: كساء يُوقَى به ظَهْر البعير من الرَّحل، وقوله «والعقل مُتَّلِه» اختار بعضهم فتح اللاّم فقال مُتَّلَه لقوله «والقلب مشغول» فيكون القلبُ والعقل مفعولين، كأنّ حزنًا وَلَّهَ العقلَ وشغلَ القلب، ومُتَّلِهٌ أجود لأنَّ «اتّله» ما جاء إلاّ لازمًا.

٢ ـ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إلَى نِضْوِي لأَبْعَثَهُ ... إثْرَ الحُدوجِ الغَوَادي وهْوَ مَعْقُول

النِّضْو: البعير المهزول، والحدج: مركبٌ من مراكب النساء، والمعقول: المشدود بالعِقَال، يصفُ دَهَشَهُ بحبّها حتى قَدَّمَ ما يجب أن يؤخَّر مما ذكره في هذه الأبيات، وقوله «لأَبعثَه» أي: أثيره، يقال: بعثته فانبعث، ويُروَى «والعقل مختبل» من الخَبَل، وهو الفساد.

[٤٦٠] وقالَ جِرَانُ العَوْد:

العَوْد: المسن، والجِرَان: باطن عنق البعير والدَّابّة، ويقال: إن الشّاعر سُمِّيَ بذلك لقوله: [الطويل]

خُذا حَذَرًا يَا جَارَتَيَّ فإنَّنِي ... رَأيتُ جِرَانَ العَوْدِ قَدْ كادَ يَصْلُحُ

واسمه عامر بن الحارث.

وقال أبو رياش: هي لذي الرّمّة.

١ ـ أيَا كَبِدًا كَادَتْ عَشِيَّةَ غُرَّبٍ ... مِنَ الشَّوْقِ إثْرَ الظَّاعِنِينَ تَصَدَّعُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «أيَا كَبِدَا» والمراد يا كَبِدِي على الإضافة، ففرَّ من الكسرة بعدها ياء، إلى الفتحة، فانقلبتْ ألفًا، ويُرْوَى «يا كَبِدًا» والمراد به كَبِده وإن نَكَّرها؛ بدلالة أنه وَصَفَها بقوله «كادت عشية غُرَّبٍ من الشوق ـ البيت» وهذه الصفة لم تحصلْ إلاّ لها، والمراد أنه

تألَّمَ مِمَّا دَهَمهُ من أمرِ الفراقِ بعد الاجتماع بِغُرَّبِ، وهو موضع كانوا مجتمعين فيه، فتحزّبوا حزبين: فانتجع أحدهما وصاحبته معهم، وأقام أحدُهما للاستعداد وهو فيهم، فالمتقدّمون ليس فيهم متسرّعٌ لانتظارهم المتخلفين، والمتخلّفون لا مقامَ لهم لاستعجالهم اللَّحاق بهم، فشكا الحالة الواقعة في أثناء ذلك، وهو مع ذلك يحنُّ ويشتاق، وأضاف العَشِيَّة إلى غُرَّب تخصيصًا، وفصل بين كاد وبين الفعل الذي تناوله بالظّرف على ما اتّصلَ به، و«إثرَ» انتصب على الظرف.

٢ ـ عَشِيَّةَ مَا فِيمَنْ أقَامَ بِغُرَّبِ   مُقَامٌ ولاَ فِيمَنْ مَضَى مُتَسَرَّعُ

«عَشِيَّة» من البيت الثاني بدل من العشيّة الأولى، وكما أضاف الأولى إلى غُرَّبِ تبيينًا أضاف الثانية إلى قوله «ما فيمن أقام بِغرّب» تبيينًا، وهما عشيّةٌ واحدةٌ وإنِ اخْتَلَفَ مُبَيِّنُهما.

[٤٦١] وقال الحُسَيْنُ بن مُطَيْرِ الأسديّ[١]: [الطويل]

١ ـ لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى   على كَبِدِي جَمْرًا بَطِيئًا خُمُودُها

٢ ـ وقَدْ كُنتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي   إذَا قَدُمَتْ أيَّامُها وعُهُودُها

٣ ـ فَقَدْ جَعَلَتْ في حَبَّةِ القَلْبِ والحَشَا   عِهَادَ الهَوَى تُولَى بِشَوْقٍ يُعيدُهَا

العهود: جمع عَهْد، وهو اللّقاء هنا، والعِهَاد في البيت الثاني: جمع عَهْدة، وهي مطر أول السَّنة، وانتصبَ «عهاد» على أنه مفعول أوّل لجعلتْ، و«تُولَى بشوقٍ» في موضع المفعول الثاني، و«يُعيدُها» في موضع الصّفة لِلشَّوق، ومعنى تُولَى تُمطر الوَلي، والوَلْي: المطرة الثانية بعد الوَسْمِي، وحبة القلب: هي العلقة السوداء في جوفه، وهي سويداؤه، والجمع حَبَّات وحبّ، شَبَّه الشَّوق بالعهاد وما وَلِيَهُ بِالوَلي، فأوّلُ المطرِ إذا لَحِقَهُ الثّاني كَثُرَ الرّبيعُ وأخصبَ له البلدُ بشوق يعيدها أي يعيد العِهاد، وثعلب يروي «بعيدها» أي ما بعد من العِهاد، فيكون معنى جعلت طفقتْ وأقبلتْ، ويكون غير متعدٍّ، ويرتفع عِهاد الهوى بجعلت، وبعيدها يقوم مقام فاعل تولى؛ فيكون المعنى قد طفقت أوائل هواها يمطر بعيدها بشوق يجدّدُها.

٤ ـ بِسُودِ نَواصِيهَا وحُمْرِ أَكُفِّهَا   وصُفْرِ تَرَاقِيها وَبِيضِ خُدُودِهَا

الباء من قوله «بِسودِ نواصيها» يجوز أن يتعلّق بقوله «تموت صَبابتي» ويجوز أن يتعلّق بجعلت، إذا ارتفع عِهاد الهوى به، يريد جعلت العِهاد تفعل ذلك بسبب نساء

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩).

هكذا، وإنّما جاز أن يجمع سود وحمر وغيرهما وإن ارتفعَ ما بعدها بها لأنَّ هذه الجموع لها نظائر في الأسماء المفردة، ولو كانت ما لا نظير له في الواحد لَمَا جاز جمعه، تقول: مَرَرْتُ برجالٍ ظِرافٍ آباؤهم، ولو قلت «ظريفين آباؤهم» لم يجز.

٥ ـ مُخَصَّرَةُ الأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودها بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

يريد أنهنّ دقيقات الخصور وأنّ قلائدها وحليَّها تكتسب من التزيّن بها إذا عُلِّقَتْ عليها أكثر مِمّا تكتسبه منها إذا تحلّت بها.

٦ ـ يُمَنِّينَنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الخُزَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

يصفُ لَطافتهنَّ في مواعيدهنّ وتقريبهنّ أمر الوصال بينه وبينهنّ حتى ترفّ قلوبنا: أي ترتاح وتفرح، والخزامى: خِيرِيّ البر، ورفيفها: اهتزازها إذا كانت خضراء ناعمة، بات طَلٌّ يَجودها: أي نَدًى يجود عليها من المطر الجود لأنه نقيض الطّلّ.

[٤٦٢] وقال أبو صَخْرِ الهُذَلِيّ(١):

١ ـ أَمَا والَّذِي أَبْكَى وأَضْحَكَ وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

تكريره لِلّذي ليسَ تكثيرًا لِلأَقْسَام، لأنَّ اليمين يمين واحدة، بدلالة أنَّ لها جوابًا واحدًا، ولو كانت أيمانًا مختلفة لَوَجَبَ أن تكونَ لها أجوبة مختلفة، وفائدة التكرير التفخيم، وعلى هذا إذا قال القائل: والله والله والله لقد كان كذا. فاليمين واحدة؛ وجواب القسم:

٢ ـ لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لا يَرُوعُهُمَا الذُّعْرُ

وفاعل «تركتني» ضمير المرأة المستكنُّ فيه، والمعنى: إنّي إذا تأمَّلْتُ الوحوش وهي تأتلف في مراعيها تمنّيت أن تكون حالتي مع صاحبتي كحالها في إلافها، و«أحسد الوحشَ» في موضع الحال، و«أن أرى» في موضع البدل من الوحش و«لا يروعهما الذّعر» في موضع الصّفة لألِيفين، لأنَّ أرى من رؤية العين ويكتفي بمفعول واحد وهو لليقين.

٣ ـ فَيَا حُبَّهَا زِدْني جَوًى كُلَّ لَيلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الأَيَّامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ(٢)

الجوى: داء في الجوف، وقد جَوِيَ فهو جَوٍ.

٤ ـ عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى ما بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١١٠). (٢) عند المرزوقي: «ويا سلوة العشّاق».

يجوز أن يريد بِسَعْي الدَّهر سرعة تَقَضِّي الأوقات مدّة الوِصال بينهما وأنه لمّا انقضى الوصل عاد الدّهر إلى حالته في السكون والبطء، وهذا على عادتهم في استقصار أيام الوصل واستطالة أيام الفراق، ويجوز أن يريد بسعي الدهر سعاية أهل الدهر بالنَّمائم والوشايات وأنه لمّا ارتفع مرادهم فيما طلبوه من الفساد بينهما سكنوا، وكما أراد بسعي الدهر سَعْيَ أهل الدهر، كذلك أراد بسكون الدَّهر سكون أهل الدّهر، وقال بعضهم: كان الدهر يسعى بيننا لعوائقه فلمّا اجتمعنا ووصل كلٌّ منّا إلى مُنَاهُ يَئِسَ الدَّهرُ من الفساد بيننا فسكن سكونَ اليأس.

[٤٦٣] وقال أيضًا:

١ - بِيَدِ الَّذِي شَعَفَ الفُؤادَ بِكُمْ ... تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنَ الهَمِّ

من الكامل، والقافية متواتر.

شعَفَ القَلْبَ: أي أصاب شَعَفَتَهُ، وشعفة كلّ شيء: أعلاه، وقوله «بكم» أي: بحبِّكم، وارتفع «تفريج» بالابتداء، وخبره «بيدِ الَّذي» على طريق سيبويه، وعلى مذهب أبي الحسن ارتفع «تفريج» بالظرف، والمعنى: بيَدِ الذي ابتلانيْ بكم وشَغَلَ قلبي بحبِّكم كَشْفُ ما أُقاسِيهِ من الهمِّ، وهذا الشّاعر في الهوى على الضّدّ من الأول لأنّه يشكو الهوى وغيره يلتذّه.

٢ - ويُقِرُّ عَيْنِي وَهْيَ نَازِحَةٌ ... مَا لاَ يُقِرُّ بِعَيْنِ ذِي الحُلْمِ

أي: يقرُّ عيني ما لا يقرّ عيني عاقل، يقول: إني أفرح باليسير الذي لا يفرح به عاقل وهو قوله:

٣ - أَنِّي أَرَى وَأَظُنُّ أنْ سَتَرَى ... وَضَحَ النَّهَارِ وعَالِيَ النَّجْمِ

أي: أظنُّ أنها ستراهما، و«أَنِّي أرى» بدل من «ما لا يقرّ» وهذا بالمعنى يصحُّ إذا رويته بكسر الحاء من «ذي الحِلم» فأما إذا ضَمَمْتَ الحاء فالمراد به ما يراه النائم في نومه، وقيل: إنَّ ضَمَّ الحاء ليس بجيّدٍ، وقيل: إن هذا توعّد لقومها: أي أنّي أرى أمرًا عظيمًا وسترى هي من قتل النفوس لأَجلها كذلك، والعرب تصفُ اليوم الشّديد بظهور النّجم فيه، ولكَ أن تروي «أنّي» وتجعله في موضع الرفع بدلاً من «ما لا يقرّ» ولكَ أن تكسرَ «إنّ» كأنّكَ تستأنفُ شرح ما قدّم وتفصيل ما أجمل، ويكون المعنى: يقرُّ عيني أنْ أرى بياضَ النهار وعالي الكواكب بِاللّيل وهو أضوأها وأعلاها وأظنّ أنها تشاركني في رؤيتها فأفرح بذلك، ويروى:

إنَّ الَّذِي سَأظُنُّ أنْ سَتَرَى ... وَضَحُ النَّهَارِ وَعَالِيُ النَّجْمِ

فيرتفع «وضح النهار» على أن يكون خبر إن وأتى بعالي النجم على أصله فضمَّ الياء منها، والمعنيُّ ذلك المعنى؛ إلاّ أنه زاد الظَّنّ تراخِيًا بإدخال السين عليه، ويروى:

أنّــي أرَى وأظــنُّ أنْ سَـتَــرى وَضَحَ النّـهـارِ وعـالِيَ النّـجـمِ

على أنه مفعول أرَى، والمعنى إنّي أرَى الكواكبَ ظُهرًا فيما أُقاسيه من بَرْحِ الهوى، وأظنُّ أنها ستُمْتَحَنُ في حُبِّها لي بمثل ما امْتُحِنْتُ في حُبِّي لها وأن أسباب الهوى تفارقني وتعود إليها فترى ما أرى فأفرح بذلك وتطيبُ له نفسي، وهذا مما لا يفرح به عاقل.

٤ - وَلَـلَـيْـلَـةٌ مِـنْـهَـا تَـعُـودُ لَـنَـا مِـنْ غَـيْـرِ مَـا رَفَـثٍ وَلاَ إثْـمِ

٥ - أشْهَـى إلَـى نَـفْـسِي وَلَـوْ نَـزَحَـتْ مِـمَّـا مَـلَـكْـتُ ومِـنْ بَـنِـي سَـهْـمِ

يقول: لليلة تتفقُ لنا منها في غير ريبةٍ أحبُّ إليَّ من مالي وأهلي وقبيلتي، وقوله «ولو نزحت» شرط فيما تمنَّى حصوله، وقد فصل به بين أشهى إلى نفسي وبين ما ملكت، ونزحت: بعدت نفسي من ملكي، يعني ذهاب ماله، وبنو سهم: قبيلته، و«أشهى إلى نفسي» في موضع خبر المبتدأ، وهو «ولليلة منها».

٦ - قَـدْ كَـانَ صُـرْمٌ فـي الـمَـمَـاتِ لَـنَـا فَـعَـجِـلْـتِ قَـبْـلَ الـمَـوْتِ بِـالـصُّـرْمِ

٧ - وَلَـمَـا بَـقِـيـتِ لَـيَـبْـقَـيَـنَّ جَـوًى بَـيْـنَ الـجَـوَانِـحِ مُـضْـرِعٌ جِـسْـمِـي

أدخل اللاّم الموطّئة للقَسَم على «ما بقيت»، وهو مصدر في موضع الظرف لما يتضمّن من معنى الشّرط، وقوله «ليبقين جوًى» جواب القسم المضمَر، والكلام كأنه لَئِنْ بقيتِ ليبقينّ جوًى، لأن المعنى ولمدّة بقائي لَيبقين جَوًى فمحصول الكلام يعود إلى ذلك، وسُمِّيت عظام الأضلاع جوانح لجنوحها: أي ميلها، ومضرعٌ جسمي: أي مذلّ.

٨ - فَـتَـعَـلَّـمِـي أنْ قَـدْ كَـلِـفْـتُ بِـكُـمْ ثُـمَّ افْـعَـلِـي مَـا شِـئْـتِ عَـنْ عِـلْـمِ

تَعَلَّمي: أي اعلمي، يقول: تحقّقي صِدْقَ محبّتي لكِ ثم افعلي بعد العلم ما شئتِ، يستعطفها.

[٤٦٤] وقال آخر:

قال أبو رياش: هي لابن أُذَيْنَة[(١)].

١ - إنَّ الَّـتِـي زَعَـمَـتْ فُـؤَادَكَ مَـلَّـهَـا خُـلِـقَـتْ هَـوَاكَ كَـمَا خُـلِـقْـتَ هَـوًى لَـهَـا

---

(١) عروة بن أُذَينة: هو عروة بن يحيىٰ (ولقبه أُذينة) بن مالك بن الحارث اللّيثيّ: شاعر غزل متقدّم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء، والمحدّثين، (ت نحو ١٣٠هـ/ ٧٤٧ م). ترجمته في الأغاني ٢١/١٠٥؛ وسمط اللآلي ص ١٣٦؛ والشعر والشعراء ص ٢٢٥).

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

الزَّعْم: القول بمعنى الدّعوى والظّنّ، والهَوَى في البيت: المَهْوِيُّ: أي المحبوب: أي إن الّتي ظَنَّتْ وقالت إنكَ مَلِلْتَها ليست كذلك بل أنت تحبّها كما تحبّك.

٢ ـ بَيْضَاءُ باكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

يريد أنها نشأت في النِّعمة والنَّعمة، وأنَّ خَفْضَ العَيْش رَبَّاها وحَسَّنَ خَلْقَها، ومعنى «باكرها» سبق إليها في أوّلِ أحوالِهَا؛ لأنَّ البكور اسمٌ لابتداءِ الشَّيء، على ذلك باكورة الربيع، واللَّبَاقَةُ: الحِذْقُ، وأصل اللّباقة اللّين، ومنه المُلَبَّقة، ويقال: هو لَبِقٌ لَبِيقٌ: أي حاذقٌ، ومعنى «أَدَقَّها وأجَلَّها» أي أتى بها دقيقةً جليلةً فما يستحبُّ دقيقها مثل الأنف والعين والشّعر والخصر جعلها دقيقة وما يستحبُّ جلالتها مثل السَّاق والفخذ والعجز والصَّدر جعلها جليلة، وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

فَدَقَّتْ وَرَقَّتْ واسْبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنَّ إنْسَانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّتِ[١]

وكما قال: [الوافر]

يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وتُكِنُّ غَيْلا[٢]

٣ ـ حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا

أي: ما كان أكثرَها لنا حيثُ كانت متوفّرة علينا، وما أقلّها لنا الساعة وقد زهدتْ فينا، هذا إذا جعلت الضمير من «أكثرها وأقلها» راجعًا إلى المرأة، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التحيّة: أي ما كان أكثرها في الانتفاع بها لأنها كانت تسُرُّنا وتُسَكِّنُ قلوبنا، و«أقلّها» يعني قلة الألفاظ، وقيل: معناه ما كان أكثرها فيما مضى وأقلّها الآن على حذف المضاف: أي ما كان أكثر وصلها وبرّها، و«أكثر» على هذا الوجه من قولهم كثير طيب ليس هو بمعنى زيادة الأجسام، بل بمعنى البركة، ومثله: [الخفيف]

إنّ ما قَلَّ منكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وكَثِيرٌ مِمَّنْ يُحِبُّ القَلِيلُ

٤ ـ وإذا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ إلى الفؤادِ فَسَلَّهَا

أي: كان الضمير شفيعها إليَّ فسلَّها: أي أخرج الوساوسَ من قلبي، والمعنى: إنّي لا أسلو عنها أبدًا، وإنْ خطرت السّلوة عنها بقلبي زالَ ذلك سريعًا، ومثله قول الآخر[٣]: [الطويل]

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

---

(١) البيت للشّنفرى وهو في المفضلية رقم (٢٠). (٢) البيت لوضّاح اليمن في الحماسية (٢١٤).
(٣) البيت لكُثَيِّر عَزَّة.

[٤٦٥] وقال آخر:

١ ـ أما وَالَّذِي حَجَّتْ لَهُ العِيسُ تَرْتَمي لِمَرْضَاتِهِ شُعْثٌ طَوِيلٌ ذَمِيلُها

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

افتتح كلامه بِأَمَا ثمَّ أقسمَ بالله.

٢ ـ لَئِنْ نَائِباتُ الدَّهرِ يَوْمًا أَدَلْنَ لِي عَلَى أُمِّ عَمْرٍو دَوْلَةً لاَ أُقِيلُها

اللاّم من «لَئِنْ» هي الموطِّئة للقَسَم، وجواب القسم «لا أُقيلها» والمعنى: والله لَئِنْ جعلت نوائبُ الدّهر لي دَولَةً على أُمِّ عمرو لَعَدَدْتُ ذلك ذنبًا لها لا أقيلُها منه، فالضمير من «لا أُقيلها» يرجع إلى النائبات، كأنّ لَذَّته كانت في الهوى، وهذا الوجه حَسَنٌ، ويجوز أن يكون الضمير عائدًا إلى المرأة؛ فيكون المعنى: إنْ صارت لي اليدُ عليها جَازَيْتُها حينئذٍ بما تعاملني به، ولا أقيلها عثرتها، ومعنى «أَدَلْنَ لي» جعلن لي دَولةً، ويُروَى «أدرن لي» فتنتصب دولة على أنه مفعول به، والدائرات: كالدّائلات، لا فرق، ومَنْ روى «أدلن لي» انتصب دولة على المصدر، فيكون موضوعًا موضع الإدالة، ويقال: أدالكَ الله من عَدوِّكَ، وعلى عَدُوِّكَ: أي جعلَ لكَ عليه دولة.

[٤٦٦] وقال آخر:

١ ـ وَكُنْتَ إذَا أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعبَتْكَ المَنَاظِرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الرائد: الذي يتقدَّم الواردة ليتأمَّل حال الماء والكلأ لهم، ولذلك قيل في المَثَل: الرّائدُ لا يَكذِبُ أهلَه، لأنه إنْ كَذَبَهُمْ هَلَكَ معهم، وهو فاعل من رادَ يرودُ إذا جاء وذهب، فجعل العين رائدًا للقلب لأنَّ القلب يشتهي ما تراه العين فتستحسنه ويكره ما تستنكره، قال: [الطويل]

أَلاَ إنَّمَا العَيْنَانِ لِلْقَلْبِ رَائِدٌ فَمَا تَأْلَفُ العَيْنَانِ فَالقَلْبُ آلِفُ

وانتصب «رائدًا» على الحال، وجواب إذا أرسلت «أتعبتك المناظر» وقد جعل خبر كنت فيه ومعه.

٢ ـ رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ ولاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صابِرُ

«رأيتَ الذي» تفصيل لما أجمله قوله «أتعبتكَ المناظرُ» أي: رأيتَ أشياء كثيرة حسنة لا تصبر عنها ولا تقدر عليها.

[٤٦٧] وقال آخر[١]:

١ ـ أقولُ لِصاحِبِي والعِيسُ تَهْوِي بِنا بَيْنَ المُنِيفَةِ فَالضِّمَارِ

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

العَيَسُ: بياضٌ في ظلمةٍ خَفِيّةٍ، والعرب تجعله في الإبل العِرَاب خاصة، والمنيفة: موضع أو هضبة مرتفعة، والضِّمار: مكان أو وادٍ منخفض يضمر السائر فيه، ومنه: [المتقارب]

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلاَ دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ عَنَّا الرَّحِمْ[٢]

وقوله «بين المُنيفة فالضِّمار» الأجود أن يُروَى بالواو، وإذا رُوِيَ بالفاء فهو يجري مجرى قوله: [الطويل]

...... بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٣]

وكان الأصمعي يَردُّه؛ لأنَّ «بين» تدخل بين الشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدًا، وإذا كان كذلك كان الوجه الواو، إلاَّ إذا أُريد ببين الأجزاءُ من المنيفة، فيصير المنيفة كاسم الجمع نحو القوم والعشيرة وما أشبه ذلك.

٢ ـ تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ العَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

الشَّمِيم: مصدر، وأكثر ما يجيء فَعيل في الأصوات مصدرًا؛ كالصَّهيل والشَّحيج، ومثله الهَدير والنَّكير، ويقال: تمتّعتُ بكذا، ومن كذا، والعَرَار: بَقْلَة ناعمة صفراء طيّبة الرّيح، الواحدة عرارة، وقال الخليل: العَرَارة البَهارة البرية، وقيل: هو شجرٌ، وقد شُبِّهَ بها لون المرأة، قال الأعشى: [الكامل]

بَيْضَاءُ ضَحْوَتَهَا وَصَفْـ ـرَاءُ العَشِيَّة كَالعَرَارَهْ

وقوله «من عَرَار» من: لاستغراق الجنس، وموضع «من عَرَار نجد» رفع على أن يكون اسم «ما» وموضع «تمتّع من شميم» نصب؛ لأنه مفعول أقول، والواو في «والعيس تهوي» واو الحال.

٣ ـ أَلاَ يَا حَبَّذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ بَعْدَ القِطَارِ

«ألا» حرف افتتاح الكلام، والمنادى في «يا حَبَّذا» محذوف، كأنه قال: يا قوم، أو

---

(١) عند المرزوقي: «وقال الصِّمَّة بن عبد الله القُشيري» وقد سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٥).

(٢) البيت عند المرزوقي صفحة ١٢٤٠ وقد نسبه للأعشى، وقال «نُرَانا».

(٣) هذه قطعة من مطلع معلّقة امرىء القيس وهو بتمامه:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسِقطِ اللِّوى بين الدَّخول فحوملِ

يا ناس، حَبَّذَا نفحَات نجدٍ، وارتفع «نفحات» بالابتداء، وخبره «حبّذا»؛ كأنه قال: محبوب في الأشياء نفحات نجد وهي تضوّع الرياح بالنسيم الطّيّب، ويقال: نفحة طيّبة وخبيثة، والرَّيَّا: الرائحة هنا.

٤ ـ وَأَهْـلُـكَ إذْ يَـحُـلُّ الـحَـيُّ نَـجْـدًا   وأَنْـتَ عَـلَـى زَمَـانِـكَ غَـيْـرُ زَارِي

ارتفع «أهلُك» لأنه عطف على «ريَّا» وهما جميعًا معطوفان على «نفحات» وكأنه قال: وحبَّذا زمانُ أهلك حين كانوا نازلين بنجدٍ وأنت راضٍ من الزمان لمساعدته إيّاك بما تهواه وتريده، والواو واو الحال في قوله «وأنت على زمانك غير زاري» يقال: زَرَيْتُ عليه، إذا عِبْتَ، وأزريْتُ به، إذا قَصَّرْتَ به.

٥ ـ شُـهُـورٌ يَـنْـقَـضِـيـنَ ومَـا شَـعَـرْنـا   بِـأَنْـصَـافٍ لَـهُـنَّ ولاَ سِـرَارِ

ارتفع «شهورٌ» على أنه مبتدأ، وهو تفسير الزمان الذي حمده وتلَهَّفَ على انقضائه، و«ينقضينَ» خبره، ويجوز أن يرتفع «شهور» على أنه خبر مبتدأ محذوف، و«ينقضينَ» حينئذٍ يكون صفة له، و«ما شعرنا» أي: ما عَلِمنا، يقال: شعرتُ به شِعْرَةً وشِعْرًا وشُعُورًا، ومنه الشِّعْرُ، ويقال: شَعَرَ الرّجلُ، إذا قال الشِّعْرَ؛ فشَعِرَ ـ بكسر العين ـ أي: صار شاعرًا، وسِرَارُ الشَّهْرِ: آخره، لأنّ القمر يستسِرُّ فيه.

[٤٦٨] وقال آخر:

١ ـ وَمِـمَّـا شَـجَـانِـي أنَّـهـا يَـوْمَ أعْـرَضَـتْ   تَـوَلَّـتْ وماءُ الـعَـيْـنِ في الـجَـفْـنِ حَـائِـرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«أنها» مبتدأ، و«مِمَّا شَجَاني» خبره، ويقال: شَجَاهُ يَشْجُوه شَجْوًا فشَجِيَ يَشْجَى شَجًا، وهو شَجٍ، وحارَ الدَّمْعُ والماءُ: إذا تحيَّرَ في موضعه وقد ملأَهُ فلا موضعَ له، وأعرضَتْ: أبدتْ عُرْضَها، وخبر إنَّ: تولّت.

٢ ـ فَـلَـمَّـا أعَـادَتْ مِـنْ بَـعِـيـدٍ بِـنَـظْـرَةٍ   إلَيَّ الـتِـفَـاتًـا أسْـلَـمَـتْـهُ الـمَـحَـاجِـرُ

يجوز أن يكون «التفاتًا» مفعول أعادَتْ، ويكون موضع «بنظرة» حالاً، كأنه قال: لمَّا أعادَتِ التفاتًا ناظرةً من بعيد إليَّ أسلمته، وجواب لمّا أسلمته، و«إليَّ» تعلّق بنظرة، ولا يجوز أن يتعلّق بالتفاتًا، لأنه إذا جعل كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدِّمَتْ على الموصول، ويكوز أن يكن «بنظرة» في موضع المفعول لأَعادَتْ، والباء إنْ شئتَ جعلتها زائدة وإن شئتَ جعلتها مؤكّدة، كقول الآخر: [البسيط]

..... لاَ يَـقْـرَأْنَ بِـالـسُّـوَرِ[1]

(١) هذه قطعة من بيت للراعي النميري أو القتال الكلابي فقد ورد في شعر كلٍّ منهما في الخزانة=

ويصير «التفاتًا» مصدرًا في موضع الحال، والتقدير: لمّا أعادَتْ نظرتها من بعيد إليَّ ملتفتةً أَسْلَمَتْهُ، والهاء في «أسلمته» لِلدّمع، والمحاجر: جمع مَحْجَر، وهو ما يبدو من نِقاب المرأة إذا تنقَّبَتْ، والكَيَّةُ حول العين يقال لها التحجير، ويقال: حَجَّرَ القمرُ، إذا استدار حوله خَطٌّ دقيقٌ.

[٤٦٩] وقال آخر:

١ ـ ولَـمَّـا رَأيْـتُ الـكَـاشِـحِـيـنَ تَـتَـبَّـعُـوا هَـوانَـا وأَبْـدَوْا دُونَـنَـا نَـظَـرًا شَـزْرَا

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

«تَتَبَّعوا هوانا» في موضع المفعول الثاني لرأيتُ، والكَشْحُ: ما بين الخاصرة إلى الضّلع، والكاشح: العدوّ الباطن العداوة، ويقال: هو بين الكَشَاحة والمكاشحة، ويقال: طَوَى فلان كَشْحَه على كذا، إذا استمرَّ عليه، والنظر الشَّزْرُ إلى جانب نظر البغضاء.

٢ ـ جَـعَـلْـتُ وما بِي مِنْ جَـفَـاءٍ ولاَ قِـلًى أَزُورُكُـمُ يَـوْمًـا وأَهْـجُـرُكُـمْ شَـهْـرَا

«جعلتُ» في معنى طفقت فلا يحتاج إلى مفعول، وانتصب «يومًا» و«شهرًا» على الظرف.

وهذان البيتان لِلْعَرْجي الشّاعر، ذكر إسحٰق بن إبراهيم المَوْصلي أنه لمّا مات عمر بن أبي ربيعة رُؤِيَتْ جارية تبكي وتلطمُ وجهها وتقول: مَنْ لِمَكَّةَ وذِكر شِعابها ونسائها؟ قيل لها: طِيبي نَفْسًا فقد نشأ فَتًى من آل عثمان بن عفان يقال له العَرْجِيّ يَحْذُو حَذْوَهُ، قالت: فأنشدوني بعض ما قال، فأنشدوها قوله «ولما رأيت الكاشحين تتبعوا ـ البيتين» فمسحت عينيها ورفعت يديها إلى السماء، وقالت: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

[٤٧٠] وقال بعض القُرَشِيِّين:

وهو أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ، خرج إلى الشام، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير، وكان شديد الحبّ لها، فضرَبَ وجوه رواحله إلى المدينة، وقال: «بينما نحن بالبلاكث» فلمّا رَأَتْ رجوعَه من أجلِها وسَمِعَت الشّعر قالت: لا جَرَمَ والله لا أستأثر عليك بشيء، فشاطرته مالها، وكانت تضنُّ عليه بمالها، والقياس على مذهب صاحب الكتاب في الإضافة إلى قريش قُرَيْشي، كما قال: [الطويل]

بِـحَـيٍّ قُـرَيْـشِـيٍّ عَـلَـيْـهِ مَـهَـابَـةٌ سَرِيع إِلَى دَاعي النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ

= ٣/٦٦٧، وتمامه:

هُـنَّ الـحـرائـرُ لا رَبّـاتُ أَخْـمِـرَةٍ سُودُ المحاجِرِ لا يقرأن بِالسُّوَرِ

فأمّا قريش المنسوب إليه فيقال: إنّما سُمِّيَ بذلك من قولهم: تَقَرَّشَ القومُ، إذا تجمّعوا، وذلك لِتَجَمُّع قريش، ويقال: إنَّ قريشًا دابّة من دوابِّ البحر، ويقال أيضًا: تقرَّشَ الرّجلُ، إذا تنزَّه عن مدانسِ الأمورِ.

١ ـ **بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلاكِثِ فَالْقَا ... عِ سِرَاعًا والعِيسُ تَهْوِي هُوِيًّا**

الأوّل من الخفيف، والقافية متواتر.

انتصب «سراعًا» على الحال؛ لأنه جعل «بالبلاكث» مستقرًّا، والواو من قوله «والعيس» واو الابتداء، وهو للحال أيضًا.

٢ ـ **خَطَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى القَلْبِ مِنْ ذِكْـ ... ـرَاكِ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا**

«خطرت خطوة» هي الحال التي فاجأته، وانتصب «وَهْنًا» على الظّرف، ويقال: خطر ببالي خُطُورًا، وخطرَ البعيرُ بِذَنَبِهِ خَطَرَانًا، فكأنه أجرى «خطرتْ خطرةٌ» مجرى قوله «دَعَتْ دعوةٌ» من ذكراك لقوله:

٣ ـ **قُلْتُ لَبَّيْكِ إذْ دَعَانِي لَكِ الشَّوْ ... قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ حُثَّا المَطِيَّا**

وصف ما هو عليه من طاعةِ الهوى، وقوله «لَبَّيكِ» هو من ألبَّ بالمكان إذا أقامَ به، إلاَّ أنه لا يتصرّفُ، كما أنَّ «سبحان» لا يتصرّف، والكلمة مثنّاة عند سيبويه، والمراد عنده إقامةً لِلدّاعي تتبعها إقامة، وأنشد للتثنية فيه قول الشاعر: [الطويل]

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا ... فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ[١]

هكذا روايته، وحُكِيَ أيضًا عن بعضهم لبِّ بالكسر، يجعله صوتًا مثل غَاقِ، وعند يونس أنه موحّد لَبَّى، وانقلبت ألفه ياء كما انقلبَتْ في عليَّ ولَدَيَّ وإليَّ، إذا أُضيفت إلى المضمَر، وعلى مذهبه يجب أن يكون «فَلَبَّى يَدَي مسور» كما أنَّ عَلَى وإلى ولَدَى إذا أُضيفت إلى الظاهر لا يتغيَّر ألفها تقول: عَلَى زيدٍ، وإلى عمرٍو.

[٤٧١] وقال ابن هَرْمَةَ[٢]:

الهَرْم: ضرب من النبت، كما سُمِّيَ نبت آخر أبيض الشّيحَة؛ لبياضه، وأظنُّ الهَرْم ضعيفًا، وواحدته هَرْمَة، فكأنه من الهَرَم وهو إلى ضعف.

١ ـ **اسْتَبْقِ دَمْعَكَ لا يُودِ البُكَاءُ بِهِ ... وَاكْفُفْ مَدَامِعَ مِنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ**

---

(١) البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعرَف قائلها وهو في الكتاب ١/ ١٧٦ والخزانة ١/ ٢٦٨.

(٢) ابن هَرْمة: هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر القرشي الكناني، أبو إسحٰق، شاعر غزل من سكّان المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. (ت ١٧٦ هـ/ ٧٩٢ م). ترجمته في (الأغاني ٤/ ١٠١؛ وتهذيب ابن عساكر ٢/ ٢٣٤؛ والنجوم الزاهرة ٢/ ٨٤؛ وتاريخ بغداد ٦/ ١٢٧).

الأوّل من البسيط، والقافية متراكب.

قوله «لا يودِ البكـاء به» يجوز أن يكون جواب الأمر، ويجوز أن يكون نهيًا، وهو أحسن، وإن لم يكن معه حرف العطف، وذاك لأنه قد ذكر بعده «واكفف مدامعَ من عينيك» ولم يَأْتِ له بجواب، كأنه أمره باستبقاءِ الدَّمْعِ ونَهاه عن التَّهالُكِ في البكاء فتفسد عليه آلته، ثم أمره بِكَفِّ المدامعِ وهي تستبق، وإذا كان الكلام نهيًا بعد أمر أو أمرًا بعد نَهْيٍ كان أبلغ، وأوداه: أهلكه، والاستباق في المدامع مجاز، لأن الذي استبق في التحدّر هو الدمع، والمدمع: مجرى الدم،، ولا يمتنع أن يكون المدمع اسمًا للحدث الذي هو السيلان، كأنه موضوع موضع الدمع، وهو مصدر دمعت، ويكون المراد به أيضًا العين الذي هو الجاري لأن الاستباق لا يصحّ إلا فيه.

٢ ـ لَـيْـسَ الـشُّـؤُونُ وإنْ جَـادَتْ بِـبَـاقِـيَـةٍ   ولاَ الـجُـفُـونُ عَـلَـى هَـذَا ولاَ الـحَـدَقُ

قوله «على هذا» أشار بهذا إلى فعله، و«على» تعلق بباقية، وهو مضمر دلّ عليه الباقية المذكورة، كأنه قال: ولا الجفون باقية على هذا، وجعل «لا» من قوله «ولا الجفون» بدلاً من ليس، والجَفْنُ في اللغة: الحبس والمنع، لذلك سُمِّي غلاف السيف الجفن.

[٤٧٢] وقال آخر:

١ ـ قدْ كُنْتُ أعْلُو الحُبَّ حِينًا فَلَمْ يَزَلْ   بِيَ الـنَّـقْـضُ والإبْـرَامُ حَـتَّـى عَـلاَنِـيَـا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: كنت أغلبُ الهوى حِينًا فلم يزلْ بي النقضُ والإبرامُ، ويُروَى «الإمرار» أي: أنقض عليه وهو يُمِرُّ، وينقضُ عليَّ وأنا أبرم، إلى أن صار الغَلَب له، وهذا الذي أشار إليه حالة الحبِّ إذا لم يكن عن اعتراض، والمعترض من الهوى هو الذي يقع عن أوّل وهلة فيسبي القلب في دفعة واحدة، إلا أن تركه سريع، كما أن أخذه سريع، وأنشد ابن الأعرابي بيتًا في قسمة الهوى، وزعم أنه فرد لا ثاني له، وأن قائله لا يعرف، وهو: [الطويل]

ثَـلاثَـةُ أَحْـبَـابٍ فَـحُـبٌّ عَـلاَقَـةٌ   وَحُـبٌّ تِـمِـلاَّقٌ وَحُـبٌّ هُـوَ الـقَـتْـلُ

٢ ـ ولَـمْ أرَ مِـثْـلَـيْـنَـا خَـلِـيـلَـيْ جَـنـابَـةٍ   أَشَـدَّ عـلـى رَغْـمِ الـعَـدُوِّ تَـصَـافِـيَـا

إنما قال «على رَغم العدوّ» استهانة بهم، وهو من الرَّغام، وهو التراب، فإذا قال: أرْغَمَ اللّهُ أنْفَهُ، فالمعنى أذلَّهُ اللّهُ وأسخطَهُ، وانتصب «تصافيًا» على التمييز، وانتصب «خليلَي جنابةٍ» على أنه بدل من «مثلينا» و«أشد» مفعول ثانٍ لأرى، والجنابة هنا: الغربة.

٣ ـ خَـلِـيـلَـيْـنِ لا نَـرْجُـو لِـقَـاءً وَلاَ تَـرَى   خَـلِـيـلَـيْـنِ إلاَّ يَـرْجُـوَانِ الـتَّـلاقِـيَـا

ذكر أن اليأس قد استقرَّ في قلبِ كلِّ واحدٍ منهما من ملاقاةِ صاحبه.

[٤٧٣] وقال آخر(١): [الطويل]

١ - وكُـلُّ مُـصـيـبَـاتِ الـزَّمَـانِ وَجَـدْتُـهَـا سِـوَى فُـرْقَـةِ الأَحْـبَـابِ هَـيِّـنَـةَ الـخَـطْـبِ

موضع «سوى فرقة الأحباب» نصب على أنه مستثنى مقدّم، لأن تقدّمه على صفة المستثنى منه كتقدّمه عليه نفسه.

٢ - وقُـلـتُ لِـقَـلْـبِـي حِـيـنَ لَـجَّ بِـهِ الـهَـوَى وكَـلَّـفَـنِـي مـا لا أُطِـيـقُ مِـنَ الـحُـبِّ

٣ - ألاَ أيُّـهَـا الـقَـلْـبُ الَّـذِي قـادَهُ الـهَـوَى أَفِـقْ لا أَقَـرَّ الـلَّـهُ عَـيْـنَـكَ مِـنْ قَـلْـبِ

[٤٧٤] وقالَ الحُسَين بن مطير(٢):

١ - فَـيـا عَـجـبًـا لِـلـنَّـاسِ يَـسْـتَـشْـرِفُـونَـنِـي كَـأَنْ لَـمْ يَـرَوْا بَـعْـدِي مُـحِـبًّـا وَلاَ قَـبْـلِـي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

«يستشرفونني» أي: ينظرون إليَّ وتطمحُ أبصارهم نحوي ويَوَدُّون أنّي على شَرَفٍ من الأرض لأكون معرضًا لهم، وقوله «بعدي» أي: بعد رؤيتهم لي، فحذف المضاف، وكذلك قوله «ولا قبلي» يريد ولا قبل رؤيتهم لي، وقوله «يا عجبًا» يجوز أن يكون منادى مضافًا ويجوز أن يكون مفردًا.

٢ - يَقُولُونَ لِي اصْرِمْ يَرْجِعِ العَقْلُ كُلُّهُ وصُرْمُ حَبِيبِ النَّفْسِ أَذْهَبُ لِلْعَقْلِ

سيبويه يجوِّز بناء فعل التعجب(٣) بعد الثلاثي مما كان على أفْعَلَ خاصة.

٣ - وَيـا عَـجَـبًـا مِـنْ حُـبِّ مَـنْ هُـوَ قـاتِـلِـي كَـأَنِّـي أُجْـزِيـهِ الـمَـوَدَّةَ مِـنْ قَـتْـلِـي

يريد من قتلها لي، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل، وكذلك قوله «من حبِّ مَن هو قاتلي» أي: من حبّي مَنْ هو قاتلي؛ لأن «مَنْ» في موضع المفعول(٤).

٤ - ومِـنْ بَـيِّـنـاتِ الـحُـبِّ أنْ كـانَ أهْـلُـهَـا أَحَـبَّ إلَـى قَـلْـبِـي وَعَـيْـنَـيَّ مِـنْ أَهْـلِـي

(١) هو قيس بن ذريح، والأبيات في ديوانه ص ٣٣؛ ومجالس ثعلب ص ٢٨٥.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩).

(٣) الذي في البيت أفعل تفضيل وليس فعل تعجّب، والمرزوقي وهو الأصح قال: «سيبويه يجوِّز بناء فعل التعجّب بعد الثلاثي مما كان على أفعَل خاصة، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه».

(٤) عند المرزوقي: (قوله «يا عجبًا»: يجوز أن يكون الألف بدلاً من ياء الإضافة ويجوز أن يكون ألف النُّدبة وزِيدَت ليمتدّ الصوت به، ويكون يا عجبَ منادًى مفردًا، وامتداد الصوت يدلّ على عِظَم البليّة، وتفخيم أمر العجيبة).

«أنْ» مخفَّفة من الثقيلة، أراد أنه كان أهلها، والهاء من «أنه» ضمير الأمر والشأن، وموضع «أن» بما بعده رفع بالابتداء، وخبره «من بيِّنات الحبِّ» ومعناه من آيات الحبّ أنّي أُوثِرُ أهلَها على أهلي، ومثله: [الطويل]

وَأُقْسِمُ أَنِّي لَوْ أَرَى نَسَبًا لَهَا ... ذِئَابَ الفَلاَ حُبَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُهَا[1]

[٤٧٥] وقال عمر بن أبي ربيعة[2]:

١ ـ ولَمَّا تَفَاوَضْنَا الحَدِيثَ وأَسْفَرَتْ ... وُجوهٌ زَهَاهَا الحُسْنُ أنْ تَتَقَنَّعَا

من الطويل الثاني، والقافية متدارك.

قوله «لمّا» يحتاج إلى جواب؛ لأنه لوقوع الشّيء لوقوع غيره إذا كان عَلَمًا لِلظرف، يقول: لمّا تنازعْنَا الحديثَ واندفعنا فيه وأشرقتْ وجوهٌ استخفَّ أربابَهَا الحُسْنُ ومنعها من أن يسترها بقناع عجبًا بها، وقيل: الهاء في «زهاها» راجعة إلى امرأة قد جرى ذِكرها قبل، وليست راجعة إلى الوجوه، والمعنى: ولمّا تفاوضنا الحديث وأسفرتْ وجوه نساء زَهَا هذه المرأة حُسْنها أنْ تتقنّعا، وهكذا كانت نساءُ العربِ تفعل إذا كانت جميلة، وجواب لمّا إن شئتَ جعلته محذوفًا كأنه قال: لمّا فعلنا ذلك كله تآنَسْنَا، أو ما جرى مجراه، ولو ولمّا وحين تُحذَفُ أجوبتها ويكون إبهامها لحذفها أبلغ في المعنى، وإن شئتَ جعلتَ «زهاها» الجواب وزهاها: استخفَّها، يقال: زَهَتِ الأمواجُ السَّفينةَ، والرِّياحُ النباتَ، وقوله «أن تتقنعا» أي: من أنْ تتقنَّعا، وهم يحذفون الجارّ مع أنْ كثيرًا.

٢ ـ تَبَالَهْنَ بِالعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفْنَنِي ... وقُلْنَ امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعَا

أي: زعمن أنهنَّ لم يعرفنني، وقلنَ هو باغٍ أسرعَ حتى أكَلَّ راحلته، والوجه أن يقول أوضعَ فأكلَّ من الكَلال وهو الإعياء.

٣ ـ وقَرَّبْنَ أسْبَابَ الهَوَى لِمُتَيَّمٍ ... يَقِيسُ ذِرَاعًا كُلَّما قِسْنَ إصْبَعَا

يقول: إن هواه يزيد على هواهنَّ.

٤ ـ وقُلْتُ لِمُطْرِيهِنَّ: وَيْحَكَ!! إنَّما ... ضَرَرْتَ فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا

يقال: أطرى فلانٌ فلانًا، إذا مدحه بأحسن ما قدرَ عليه، و«تسطيع» منقوص عن تستطيع، و«ويحَ» قال الأصمعي: هو ترحّم، وإذا أُضيف بغير اللاّم ينصب، ويكون

(١) سيأتي هذا البيت في الحماسية رقم (٥٣٢).

(٢) عمر بن أبي ربيعة المخزومي: من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية (ت ٩٣ هـ/ ٧١٢ م). ترجمته في (الأغاني ١/ ٢٨؛ والخزانة ١/ ٢٣٨).

العامل فيه فعلاً مضمرًا، كأنه ألْزمه اللَّهُ وَيحًا، وانتصب «فتنفعا» بأن مضمَرة، وهو جواب الاستفهام بالفاء.

[٤٧٦] وقال أبو الرُّبَيْسِ الثعلبيّ[(١)]:

من ثعلبة بن سَعْد بن ذبيان، والرُّبَيْس: تصغير الرَّبْس، وهو الضرب باليدين، يقال: رَبَسَه بيديه، إذا ضربه بهما، وداهية رَبْساء: أي شديدة، ودَوَاهٍ رُبْس، وجاء بأمور دُبْس ورُبْس: أي شديدة؛ وكأنه من مقلوب رسَب: أي استقرّت الدّاهية وثبتتْ وتمكَّنَتْ.

١ - هَلْ تُبْلِغَنِّي أُمَّ حَرْبٍ وتَقْذِفَنْ ... على طَرَبٍ بَيُوتَ هَمٍّ أُقَاتِلُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «على طَرَبٍ» يجوز أن يتعلّق بتبلغنّي، ويجوز أن يتعلّق بِتقذفَنْ، والفعلان جمعا على قوله في البيت الذي يليه «مُبِينَةُ عِتق» وهي ناقة، والاختيار عند البصريين أن يرتفع بالأقرب، وهو تقذفَنْ، ويجوز أن يرتفع بتبلغني، وعلى هذا «جاءني وأكرمني زيد»، والطَّرَبُ: خفَّةٌ تلحقُ لنشاط أو جزع، وبَيُوت: فَعُول من بات يبيت، كأنه هَمٌّ جاءه ليلاً فلازمه، وعلى هذا قيل في الصَّقيع البَيُوت.

أبو العلاء: البَيُوت: ما بات من الهمّ في قلب الإنسان، أُخِذَ من الماء البَيُوت، وهو الذي يبيت تحت السماء، قال الراجز:

فَصَبَّحَتْ حَوْضَ قَرًى بَيُوتَا ... يلهمْنَ بَرْدَ مائِهِ سُكُوتَا

وقال آخر: [الطويل]

لَزَيدٌ كَبيُوتِ الوقيعة خَالَطَتْ ... مُجاجَتَه صَهْبَاءُ ذات سوار

وهذا البيت متعلّق بالبيت الذي بعده، وهو قوله:

٢ - مُبِينَةُ عِتْقٍ حُسْنَ خَدٍّ ومِرْفَقًا ... بِهِ جَنَفٌ أنْ يَغْرُكَ الدَّفَّ شَاغِلُهْ[(٢)]

رفع «مبينة عتق» بالفعل الذي في البيت الأول، وفيه فعلان، وهما قوله تبلغني وتقذفنْ، فإن حمل على رأي البصريين فالعامل الفعل الثاني، وهو تقذفن، وإن حمل على رأي الكوفيين فالعامل الفعل الأول، وهو قوله تبلغني، ويُرْوَى عن الفرّاء أنه كان يُجيز رفع الفاعل بالفعلين معًا، والعتق هنا: الكرم وخلوص الأصل، ونصب «حُسْنَ خدّ» بإضمار فعل، ويجوز أن يجعل مفعولاً له، ومن أجله، ولو خُفِضَ على البدل لَكانَ

---

(١) أبو الرُّبَيس الثعلبيّ: هو عباد بن طهمَة، شاعر إسلامي كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢/ ٥٣٤) نقلاً عن ابن ماكولا.

(٢) عند المرزوقي «عنْقٍ» بدل «عِتْقٍ».

وجهًا قويًّا، ووصف المرفق بالجَنَف لأن ذلك يُحمَد في الإبل كراهة العارك والضَّاغط والحاز، وذلك عيبٌ يمنعُ من إدامة السير، يقول على وجه التمنّي: هل أراني راكبَ ناقة توصلني إلى هذه المرأة وتطرح عنّي ثقلَ هَمٍّ أزاوله وهذه الناقة لها شواهد تُوجِب عِتقها من حُسْن الخدّ والمِرفَق المتجانف عن الزّور.

٣ ـ مُطَارَةُ قَلْبٍ إنْ ثَنَى الرِّجْلَ رَبُّهَا ... بِسُلَّمِ غَرْزٍ فِي مُنَاخٍ تُعَاجِلُهْ

«مُطارة قلب» صفة الناقة المذكورة، والمراد أنّها ذكيّة الفؤاد شهمة النفس، وكأن بها جنونًا لنشاطها، وقوله «إن ثَنَى الرِّجلَ» جواب الشرط فيه «تعاجله» وأصله تعاجلْه بسكون اللاّم للجزم، لكنه نقل إليها حركة الهاء وهو ضمير يرجع إلى ربّها، ومثله قول طرفة: [المديد]

لَوْ أُطِيعُ النَّفْسَ لَمْ أَرِمُهْ[١]

يريد لم أَرُمْهُ، فنقل، والمعنى أنه وصف الناقة بأنها مُطَارة القلب لأن ذلك أسرع لها، والغَرْزُ: رِكابُ الرَّحْلِ، ومثله قول ذي الرّمّة: [البسيط]

حَتَّى إذَا مَا اسْتَوَى في غَرْزِهَا تَثِبُ[٢]

وقوله «بسلم غرز» أي: إن عطف رِجله بغرزها الذي هو كالسلم عاجلته فنهضت به قبل تمكّنه من كُورِها، وقيل: لمّا أنشد ذو الرّمّة كُثَيِّر عَزَّة قوله:

حَتَّى إذَا مَا اسْتَوَى فِي رَحْلِهَا تَثِبُ

قال: أهلكتْ واللّهِ راكبَها، هَلاّ قلتَ كما قال الرّاعي: [المتقارب]

تَرَاهَا إذَا قُمْتَ فِي غَرْزِهَا ... كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ

فقال: هو وَصَفَ ناقةَ ملك وأنا وصفت ناقة سُوقةٍ، وقال الرّاعي في موضع آخر: [الكامل]

وكَأَنَّ رَيِّضَهَا إذَا يَاسَرْتُهَا ... كَانَتْ مُعَاوِدَةَ الرَّحِيلِ ذَلُولاَ

وقال سعيد بن سَلْمٍ: قرأنا هذه القصيدة من شِعر الرّاعي على الأصمعي، فلما انتهينا إلى البيت رواه:

وكأن رَيِّضَهَا إذا بَاشَرْتُهَا

---

(١) هذا عجز بيت لطرفة في ديوانه ص ١٦، وصدره: «حابسي رسمٌ وقفتُ به».

(٢) هذا عجز بيت لذي الرّمّة في ديوانه ص ٤٨؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/١١٩؛ وشرح المفصّل ٧/٤٧؛ والكتاب ٣/٦٠؛ ولسان العرب (عجل)، و(صفا)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٠٦؛ وشرح المفصّل ٤/٩٧؛ ولسان العرب (طبق).

فقلت: ما معنى باشرتها؟ فقال: ركبتها في المباشرة، فسألنا أبا عبيدة عنه، فقال: صَحَّفَ والله، إنما هو «ياسرتها» أي: لم أعارها ولم أقتسرها، ومثله: [الطويل]

إذَا يُوسِرَتْ كَانَتْ وَقُورًا أَدِيبَةً وَتَحْسِبُهَا إنْ عُسِّرَتْ لَمْ تُؤَدَّبِ

٤ ـ يُبَارِي بِهَا القُودَ النَّوَافِخَ في البُرَى قَلِيلُ النُّزُولِ أَغْيَدُ الخَلْقِ عَاطِلُهْ

يعني نفسه. والقُودُ: جمع أقود وقَوْدَاء، وهو الطّويل العنق، والبُرَى: جمع بُرَة، وهي الحلقة من صُفْرٍ أو نحاس تكون في أنف البعير، والنَّوَافِخ: المُتَنَفِّسات نَفْخًا لِنشاطها، يقول: إنّه قليل النزول قد نعس فهو مائل للنّعاس فخلقه أغيد، والأصل في الغَيَد لينٌ مع ميل وطول، يُوصَفُ بذلك العنق والنّبت، ولما وصف بأغيدِ الخلق والغَيَد من صفات النّساء حسن أن يقول «عَاطِلُه» لأنَّ الأغيدَ من الأعناق جَرَتِ العادةُ بِتَحلّيه، ومَنْ روى «قليل البروك»، أراد بأغيد الخلق عُنُقَ الناقة، والرواية الأولى هي الوجه.

٥ ـ مُرَاجِعُ نَجْدٍ بَعْدَ فِرْكٍ وَبِغْضَةٍ مُطَلِّقُ بُصْرَى أَصْمَعُ القَلْبِ جَافِلُهْ

جعل نَجْدًا وبُصرَى كالمرأتين، فأوقعَ عليهما الرَّجْعَة والطَّلاَق، وقوله «بعد فِرْكٍ» المعروف أن يقال: فَرِكَت المرأةُ، ولا يقال: فركَ الرَّجلُ، وكأنَّ أرض نجد لمّا نَبَتْ به قال: فركته وإن كانت البغضة إنّما تقع منه، والمعروف في نجد التذكير، إلاّ أنَّ لبيدًا قال: [الطويل]

إذَا أَصْبَحَتْ نَجْدٌ تَسُوقُ الأَفَائِلاَ

فقالوا: أراد ريح نجد، أو قبائلها التي تقيم بها، وقد يجوز أن يؤنّثها على معنى البلدة، وأصمعُ القَلبِ: حَدِيده، وجافلُه: مسرعُه، يقال: أَجْفَل الظّليمُ، وجَفَلَ، إذا نشرَ جَناحَيْهِ يَعْدُو، والظَّليم مُجْفِلٌ وجَافِلٌ، وكلّ هارب من شيء فقد أَجْفَلَ عنه.

[٤٧٧] وقال عبد الله بن عَجْلاَنَ النَّهْدِيُّ[(١)]:

العَجْلاَن: المستعجل، رجلٌ عَجْلاَن، وامرأةٌ عَجْلى، وقومٌ عِجالٌ.

١ ـ وَحُقَّةِ مِسْكٍ مِنْ نِسَاءٍ لَبِسْتُهَا شَبَابِي وَكَأْسٍ بَاكَرَتْنِي شَمُولُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

---

(١) عبد الله بن العَجلان: شاعر جاهلي، من العشّاق المتيّمين، وسيّد من سادات قومه، أحبّ زوجته هندًا وأقامت عنده سبع سنوات ثم أجبره أبوه على طلاقها لأنها لم تلد، فطلّقها وتزوّجت غيره فمرض ومات أسفًا. (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤ م). ترجمته في: (المبهج ص ٥٥؛ وسمط اللآلي ص ٧٣٨ في الهامش؛ ومصارع العشاق ص ٨ و٢٣٣؛ وتزيين الأسواق ١/ ٨٥؛ والأغاني ١٩/ ١٠٢).

حُقَّةُ مِسْكٍ: كناية عن امرأة؛ جعلها لِطِيبِ رَيَّاهَا كَظَرْفِ مِسْكٍ، ومعنى «لبستها»: تمتعتُ بها، قال ابن أحمر: [الطويل]

لَبِسْتُ أبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ   وَبَلَّيْتُ أعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا

وموضع قوله «شبابي» نصب على الظرف، والمعنى زَمَنَ شبابي ومدّة شبابي، والمصادر تحذف منها أسماء الزمان كثيرًا. و«كأس» انعطف على «وحُقَّةِ مِسكٍ» والعامل فيها رُبَّ، والواو واو العطف، وليست بنائبة عن رُبَّ، بدلالة أنه لو كان كذلك لَوَجَبَ أن يدخلَ الحرف والعاطف عليه فيقال ووحُقّة مِسك، والشَّمُول: الخمرة التي لها عَصْفَة كعصفةِ الشَّمال، وقيل: هي التي تشتملُ على العقل فتملكه وتذهب به.

٢ ـ جَدِيدَةِ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا   سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ نَمَتْهَا غُيُولُهَا

دخل الهاء على «جديدة» والأكثر أن يقال «مِلْحَفَةٌ جديد» وطريقة سيبويه فيه أنه صفة مذكرة تنعت مؤنّثًا ويُنْوَى في ذلك المؤنّث ما يكون لفظه مذكّرًا، كأنه ينوي بالمِلحفة إزارًا وما يجري هذا المجرى، ويذهب بعضهم إلى أنه فعيل في معنى فاعل فيلحقه الهاء قياسًا فهو كظريف وظريفة، لأنَّ الفعل منه جَدَّ الثوب يَجِدُّ جِدَّةً، وبعضُهم يذهب إلى أنه فعيل في معنى مفعول، كأنّ ناسِجَها جَدَّها قريبًا: أي قطعها، فلهذا يُستنكَرُ إلحاق الهاء به، ومعنى «جديدة سربال الشباب» أي إنّها في عُنْفُوان شبابها، فكأنّها سَقِيَّةُ بَرْدِيٍّ، السَّقِيّة في معنى مَسْقِيَّة وجعلها اسمًا فهي كالبَنِيَّة واللَّقيطة، وشبّهها بها لزيادة خلقها وحُسْن بنيتها، ألاَ ترى أنه قال «نَمَتْها غيولُها» والغيولُ: جمع غَيْل، وهو الماء يجري بين الأشجار، وقيل: الغَيْلُ الماء يجري بين الحجارة في بطن وادٍ، والغِيل ـ بكسر الغين ـ الماء يجري بين الأشجار، وربّما سمّوا الشّجر الملتفّ غِيلاً.

٣ ـ وَمُخْمَلَةٍ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونِ ثَوْبِهَا   تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطِّوَالُ تَطُولُهَا

«مخمَلةٍ» من جملة صفاتها وإنْ عطفها بالواو، فعلى هذا لكَ أن تقول: مررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديبٍ، وأن تقول: مررتُ برجلٍ فاضلٍ وعاقل وأديب، ومعنى قوله «ومخملة» أنَّ أعضاءَها تساوَتْ في ركوب اللَّحْم إيّاها وظهور السِّمَن والبَدْنِ عليها فكأن اللَّحْمَ جُعِلَ لها خَمْلاً، وفائدة «من دون ثوبها» أنها مِلْءُ دِرْعِها فلهذا تكون سمينة المُعَرَّى، وإلى هذا أشار الأعشى في قوله: [البسيط]

صِفْرُ الوِشَاحِ وَمِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ[1]

---

(١) هذا صدر بيت للأعشى ميمون من لاميته، وعجزه: «إذا تأتّى يكادُ الخَصْرُ ينخزلُ»، وصفر الوشاح: أراد أنها خميصة البطن دقيقة الخصر فوشاحها يقلق عنها لذلك. والبهكنة: الكبيرة الخَلْق.

وقوله «تطول القصار» يعني أنها رَبْعَةٌ، يشير إلى التوسّط الذي هو المختار في كلّ عقل، ولذلك قيل: خيرُ الأمور أوساطها، قال الشاعر: [الطويل]

عَـلَـيْـكَ بِـأَوْسَـاطِ الأُمُـورِ فَـإِنَّـهَـا نَجَاةٌ وَلا تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلا صَعْبَا

و«تطولُ» في البيت مُعَدًى؛ لأنه بمعنى تَغْلِبُ في الطُّولِ، فهو من طاوَلْتُهُ فَطُلْتُهُ.

٤ ـ كَـأَنَّ دِمَـقْـسًـا أَوْ فُـرُوعَ غَـمَـامَـةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيلُهَا

الدِّمَقْسُ: الحَرِيرِ الأَبيضُ، وفروع الغمامةِ أشار بها إلى أطرافها وجوانبها: أي إنَّها ليّنة المَجَسِّ بَرَّاقَة اللَّون كأن الحرير وأطراف غمامة استكنَّتِ الشَّمسُ تحتَها على مَتْنِها، والجديل: هو الوشاح، أو ما تشدّه المرأة في حَقْوِها من الأَدَم المضفور، وليس هذا من عادة العرب، وإنّما الإماءُ يفعلن ذلك، وإذا كان من لونين فهو البَرِيم، وهذا يُشَدّ في أَحْقِي الصّبيان تُدْفَعُ به العينُ، وخصَّ فروع الغمامة لأنَّ البرقَ فيها أشدّ إضاءة، وقال أبو العلاء في هذا البيت: الدِّمَقْس ليس بعربيّ في الأصل، وقد تكلّموا به قديمًا، يقال لِلقزِّ الأبيض: دِمَقْسٌ، وكذلك لما جرى مجراه في البياض والنّعومة، وهذا البيت قد تكلّم عليه النّمريّ لأنَّ فيه خلافًا لما قبله إذ كان البيت المتقدّم في صفة امرأة، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة، ولا شكَّ أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله، ولم يذكرْ ذلك أحدٌ منهم، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى متنها، وبعضهم يروي «فروع عمامة» بعين غير معجمة وهو أشبه بالدّمقس.

٥ ـ وأَبْـيَـضَ مَـنْـقُـوفٍ وَزِقٍّ وَقَـيْـنَـةٍ وصَهْبَاءَ فِي بَيْضَاءَ بَادٍ حُجُولُهَا

٦ ـ إِذَا صُبَّ فِي الرَّاوُوقِ مِنْهَا تَضَوَّعَتْ كُمَيْتٌ يُلِذُّ الشَّارِبِينَ قَلِيلُهَا

[٤٧٨] وقال عبد الله بن الدُّمَيْنة الخَثْعَميّ(١):

١ ـ وَلَـمَّـا لَـحِـقْـنَـا بِـالـحَـمُـولِ ودُونَـهَـا خَمِيصُ الحَشَا تُوهِي القَمِيصَ عَوَاتِقُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

عنى بخميصِ الحَشَا قَيِّمَ المرأة التي شَبَّبَ بها، والعَواتق: جمع عاتق، وهو موضع نِجَاد السّيف من الكَتِف، ووصفه بِقلّةِ اللَّحْم، لأنَّ ذلك مما يمدح به الرجل، يريد أن القميصَ لا يقعُ من عاتقه على وطيء لأن عظامه غير مكسوّة باللّحم، وأراد بالحَمُول الظَّعائن وأثقالها، وقد كشف عن هذا المعنى قول الآخر: [الطويل]

فَتًى لاَ يُرَى قَدُّ القَمِيصِ بِخَصْرِهِ وَلَـكِـنَّـمَـا يَـفْـرِي الـفَرِيَّ مَـنَـاكِـبُـهْ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٧).

٢ ـ قَلِيلُ قَذَى العَيْنَيْنِ يَعْلَمُ أَنَّهُ ... هُوَ المَوْتُ إِنْ لَمْ تُصْرَ عَنَّا بَوَائِقُهْ(١)

يصفه بِحِدَّةِ النّظر وأنه ليس بعينه غَمَص، فهو أَحَدُّ لِنظره، وإنما يريد مراعاته أهله لشدّة الغيرة، فنحن نخاف من صولته إن لم تُصْرَ عَنَّا، ويُروَى «إن لم تُلْقَ عَنَّا» وواحد البوائق بائقة، يقال: باقتهم البائقة، إذا أصابتهم الداهية، قال الباهلي يصف فرسًا: [الوافر]

تَرَاهَا حَوْلَ قُبَّتِنَا قَصِيرًا ... وَنَبْذُلُهَا إِذَا بَاقَتْ بَؤُوقُ

٣ ـ عَرَضْنَا فَسَلَّمْنَا فَسَلَّم كَارِهًا ... عَلَيْنَا وَتَبْرِيحٌ مِنَ الغَيْظِ خَانِقُهْ

«عَرضنا» جواب لَمَّا في البيت الأوّل، يقول: سَلَّمنا عليه وهو كاره لِقُربهِ مِنّا أو لِقربِنا منه، إذ كان يغار على نسائه، والرّواية التي عليها الناس «من الغيظ» وفي شعر ابن الدّمينة «الغنظ» الذي يُراد به أشدّ الكرب، يقال: غَنَظَه غَنْظًا، قال الشّاعر: [الطويل]

إِذَا غَنَظُونَا ظَالِمِينَ أَعَانَنَا ... عَلَى غَنْظِهِمْ مَنٌّ مِنَ اللَّهِ وَاسِعُ

وانتصب «كارهًا» على الحال، والتبريح: التشديد، يقال: بَرَّح بي كذا وكذا، ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

فَأَبْرَحْتِ رَبًّا وَأَبْرَحْتِ جَارًا(٢)

وقوله «خانقة» يريد أنه امتلأ صدره من الغيظ.

٤ ـ فَسَايَرْتُهُ مِقْدَارَ مِيلٍ وَلَيْتَنِي ... بِكُرْهِي لَهُ مَا دَامَ حَيًّا أُرَافِقُهْ

انتصب «مقدارَ ميلٍ» على الظّرف، و«أرافقه» في موضع خبر ليت، وقوله «بِكرهي له» نصب على الحال، والعامل فيه أرافقه.

٥ ـ فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لاَ وِصَالَ وَأَنَّهُ ... مَدَى الصُّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْنا سُرَادِقُهْ

«أَنْ» فيه مخفّفة من الثقيلة، يريد أنه لا وصالَ، أَلاَ ترى أنه عطف عليه «وأنه مدى الصُّرْمِ» و«وصال» انتصب بلا، وخبره محذوف، كأنه قال: لا وصالَ بيننا، والجملة في موضع خبر أنْ؛ والضمير في أنه الأولى والثانية ضمير الأمر والشّأن، وقوله «مَدَى الصُّرْمِ» في موضع الابتداء، و«مضروبٌ علينا» خبره، و«سرادقه» ارتفع بمضروب، لأنّه قام مقامَ الفاعل.

٦ ـ رَمَتْنِي بِطَرْفٍ لَوْ كَمِيًّا رَمَتْ بِهِ ... لَبُلَّ نَجِيعًا نَحْرُهُ وَبَنَائِقُهْ

---

(١) عند المرزوقي: «إن لم تُلْوَ عَنَّا. وصريتُ الشيءَ: قطعته ومنعته.

(٢) هذا عجز بيت للأعشى، وصدره: «أقولُ لها حين جَدَّ الرّحيلُ».

٧ ـ وَلَـمْـحٍ بِـعَـيْـنَـيْـهـا كَـأَنَّ وَمِـيْـضَـهُ وَمِيضُ الحَيَا تُهْدَى لِنَجْدٍ شَقَائِقُهْ

«رمتني بِطَرْفٍ» جواب لَمَّا، واللَّمْح: النَّظر، ويستعمل في البرق والبصر، وكذلك بطرف، وهو النظر هنا، كأنَّ الرَّمْيَ بالطَّرْف كان إنكارًا منها، واللَّمح بالعينين مواعدة بجميلٍ بَعْدَ تَعَذُّرِ المطلوب، والوَمْض والوَمِيض: اللَّمْع، و«أومضت فلانةُ بعينها» إذا بَرَقَتْ؛ لذلك شبّه وميضَ لَمحها بوميض الحَيَا، وهو الغيث المُحْيِي لِلأرضِ وأهلِها، والشَّقيقة: البَرْقة إذا استطارَتْ في عُرْضِ السَّحاب وتكشَّفت أيضًا، كأنه جعلها قاتلة في رَمْيِها مُحْيِيَةً بِلَمْحِها.

[٤٧٩] وقال أبو الطَّمَحَان القَيْنِيّ[١]:

واسمه حَنْظَلة بن الشَّرْقيّ، وقيل: ربيعة بن عوْف بن غَنْم بن كنانة بن جسر، وفيهم أبو الطَّمَحَان الأسديّ، في زمن يوسف بن عمر، وأبو الطَّمَحَانِ النَّهْشَليّ، وأبو الطَّمحان الطَّائيّ، الطَّمَحَان: عَلَمٌ مرتجل، وهو فَعَلان من «طَمحَ بأنفه» إذا تَكَبَّرَ، قال العجليّ: [الرجز]

أَخْطِمُ أَنْفَ الطَّامِحِ المُطَهَّمِ[٢]

القَيْن: الحدَّاد، وكل صانع أيضًا عندهم قيْن، ومن أمثالهم «إذا سمعت بِسُرَى القَين فاعلمْ أنه مصبح» قال: [الطويل]

فَإِنْ عِشْتَ يَا ابْنَ القَيْنِ بَعْدِيَ بِالقَدْرِ فَخَفْ رُجْمَتِي تُرْدِيكَ مِنْ حَيْثُ لاَ تَدْرِي

والقَين أيضًا: موضع القيد من البعير، قال ذو الرُّمَّة: [البسيط]

دَانَى له القَيْدُ فِي دَيْمُومَةٍ قَذَفٍ قَيْنَيْهِ وَانْحَسَرَتْ عَنْهُ الأَنَاعِيمُ[٣]

١ ـ أَلاَ عَـلِّـلانِـي قَـبْـلَ نَـوْحِ الـنَّـوَائِـحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الجوَانِحِ[٤]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «قَبلَ صَدْح الصَّوادح» والصَّدْح: شِدّةُ صوت الدّيك والغراب وغيرهما، والصَّيْدَحِيّ: الشديد الصّوت، والجوانح: ضلوع الصّدر، وارتقاء النفس فوقها: بلوغها

---

(١) أبو الطمحان القيني: أحد بني القين من قضاعة، شاعر فارس معمّر، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم ولم يرَ النبي ﷺ.(ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في: (الأغاني ١١/ ١٢٥؛ والإصابة ١/ ٣٨١؛ والشعر والشعراء ص ١٤٥).

(٢) رواه في اللسان (طهم)، وأراد بالطامح المطهّم: الرجل الكريم الحَسَب.

(٣) البيت في ديوانه ص ٥٧٠؛ وتاج العروس (قين)؛ واللسان والتهذيب والصّحاح؛ وعجزه في المقاييس ٥/ ٤٥.

(٤) عند المرزوقي «صَدْحِ النوائح».

التّراقي، كما يقال: تلفت نفسه، فإن قيل: كيف قَدَّمَ ذِكْرَ نَوْحِ النوائح على الموت وإنّما يكون بعده؟ قلت: إنَّ العطف بالواو لا يُوجِبُ ترتيبًا، ألَا ترى أن الله تعالى قال: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾[1] والركوع قبل السّجود في ترتيب أفعال الصّلاة.

٢ - وَقَبْلَ غَدٍ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلى غَدٍ إذا رَاحَ أصْحَابِي ولَسْتُ بِرَائِحِ

يجوز أن يكون «إذا» في موضع الجرّ بدلاً من غدٍ، وأبو العباس قد جوّز وقوع «إذا» في موضع المجرور والمرفوع، ويجوز أن يكون نصبًا وبدلاً من «غد» أو من موضع «على غدٍ» العامل والمعمول فيه جميعًا؛ لأن موضعهما نصب على المفعول بما دلَّ عليه قوله «يا لهفَ نفسي» وهو تَلَهُّفٌ مِنْ غدٍ.

[٤٨٠] **وقال آخر**[2]:

١ - هَلِ الوَجْدُ إلاّ أنَّ قَلْبِيَ لَوْ دَنَا مِنَ الجَمْرِ قِيدَ الرّمْحِ لاحْتَرَقَ الجَمْرُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

هل الوجد: لفظه استفهام ومعناه النّفي، بدلالة وقوع إلاّ بعده، كأنه قال: ما الوجدُ، أو ليس الوجدُ، إلاّ هذا الذي بي، وهو أنَّ قلبي لو قَرُبَ من الجمرِ حتى لا يكون بينهما إلاّ قدر رمح لغلبت ناره نارَ الجمر، وكاد الجمر يحترقُ، والوجد مبتدأ وخبره إلاّ مع ما بعده، وانتصب «قِيدَ الرُمح» على الظّرف، ويقال: بيني وبينه قابُ قوسٍ، وقِيدُ رُمحٍ، وغَلْوَةُ سَهمٍ، وحَكَى بعضُ أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾[3] أنّ لكلِّ قوسٍ قابًا، وهو ما بين المقبض والسِّيَة، وأهل اللّغة على ما تقدّم.

٢ - أَفِي الحَقِّ أنّي مُغْرَمٌ بِكِ هَائِمٌ وأنّكِ لاَ خَلٌّ لَدَيَّ ولاَ خَمْرُ

أي: لا يدخل في الحقِّ ووجوهه أن يكون حبّي لكِ غَرامًا وحُبُّكِ لا يرجعُ إلى معلوم، والمُغْرَمُ: الذي لَزِمَهُ الحبُّ، ومنه عذابٌ غرامٌ، والهائم: المتحيّر، والهيام كالجنون من العِشق، ويقال: ما هو بِخَلٍّ ولا خَمْرٍ: أي ليس بشيءٍ يَخْلُصُ ويتبيَّنُ.

٣ - فَإنْ كُنْتُ مَطبُوبًا فَلاَ زِلْتُ هكَذَا وإنْ كُنْتُ مَسْحُورًا فَلاَ بَرَأَ السِّحْرُ

المطبوب: المسحور، والطِّبّ: السّحر والعِلم جميعًا، يقول: إنْ كان الذي بي وأُقاسيه داءً معلومًا يعرف دواؤه فلا فارقني فإني ألتذُّ به، وإنْ كنتُ مسحورًا أي وإنْ كانَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٢) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢/ ٢٠٨ لقائد بن المنذر القشيري؛ والبيت الثاني في شرح التصريح ١/ ٣٣٩؛ وخزانة الأدب ١/ ٢٧٤؛ والثالث في مقاييس اللّغة (طبّ) بلا عزو.

(٣) سورة النجم، الآية: ٩.

الذي بي لا يعلم ما هو فلا فارقني أيضًا، ولا يجوز أن يكون معنى مطبوبًا مسحورًا هٰهنا؛ لأنه يصير الصَّدر والعجز بمعنى واحد.

[٤٨١] وقال آخر(١):

١ - تَشَكَّى المُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لَيتَني ... تَحَمَّلْتُ ما يَلْقَونَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

٢ - فَكَانَتْ لنَفْسِي لَذَّةُ الحُبِّ كُلُّها ... فلَمْ يَلْقَهَا قَبْلي مُحِبٌّ ولاَ بَعْدِي

هذا كلام مَنْ تَجلّدَ في الهوى وادَّعى التلذّذ به وإن بَرَّحَ به وأثَّرَ فيه.

[٤٨٢] وقال شُبْرُمَة بن الطُّفَيل(٢):

هـي واحدة الشُّبْرُم، وهو نبتٌ حارّ يحدر الطبيعة، وفي الحديث أنه رآها تدقُّ الشُّبْرُم، فقال: حار يار(٣).

١ - وَيَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ قَصَّرَ طُولَهُ ... دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصْطِفَاقُ المَزَاهِرِ

الثاني من الطويل.

ويُروَى «واصطكاكُ المزاهر» وانجرَّ يوم بإضمار رُبَّ؛ وجوابه «قَصَّرَ طوله» وأراد بدمِ الزِّقِّ الخمر، واصطكاكُ المزاهر: مدافعة أوتارِها بعضها لبعض، ويقال: ازدهرَ الرّجل، إذا فرحَ، فيجوز أن يكون العود سُمِّيَ مِزْهَرًا منه.

٢ - لَدُنْ غُدْوةً حَتَّى أَرُوحَ وصُحْبَتِي ... عُصَاةٌ عَلَى النَّاهِينَ شُمُّ المَنَاخِرِ

بنصب «غُدوَةً» مع لَدُن، تشبه النون منها بنون عشرين(٤)، ولا ينصب بعد لَدُنْ شيء غير غُدْوَة.

٣ - كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشَّمُولِ عَشِيَّةً ... إِوَزٌّ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الحَنَاجِرِ

الطَّفُّ: ما أشرفَ من أرض العرب على ريف العراق، وسُمِّيَ طَفًّا لأنه دنا من الريف، من قولهم «أخذتُ من المتاع ما خَفَّ وطَفَّ» أي: ما قَرُبَ، وكلّ ما أدنيته من شيء فقد أطففته، شَبَّه أواني الخمر وقد فُرِّغَتْ وأُمِيلَتْ بطيورِ ماءٍ اجتمعَتْ عَشِيَّةً بِأَعلى السَّاحل معوَجّة الحناجر والحلوق.

---

(١) في معجم الأدباء ٣/١٩٣ لابن قم الزبيدي وهو الحسين بن عليّ بن محمد.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٤٤) على أن الأبيات نسبت في الحيوان ٦/١٧٩؛ وثمار القلوب ص ٥٠٢ لابن الطثريّة.

(٣) الحديث في الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، والحديث برواية أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ بماذا كنتِ تستشفين؟ قالت: بالشبرم، قال: حار يار.

(٤) يريد أن غُدوةً تُنصَب على شبه التمييز.

[٤٨٣] وقال جابر بن الثَّعْلَب الجَرْمِيّ[1] من طَيِّىءٍ: [الطويل]

١ ـ ومُسْتَخْبِرٍ عَنْ سِرِّ رَيَّا رَدَدْتُهُ   بِعَمْيَاءَ مِنْ رَيَّا بِغَيْرِ يَقِينِ

يعني أنه ترك السَّائل من أخبارها على غير بيان، ويقال: هو على عَمْيَاء من أمره، إذا لم يكنْ منه على بيان، ويُراد بها الخصلة المشكلة.

٢ ـ فَقالَ انْتَصِحْنِي إنَّنِي لَكَ ناصِحٌ   وَمَا أَنَا إنْ خَبَّرْتُهُ بِأَمِينِ

ويُروى «انتصحني إنّني ذو أمانة» وقوله «انتصحني» أي: أدخلني في أمرِكَ وأَجِزْنِي مَجْرَى نُصَحائِك إنّي أمينٌ، ومثله قول جرير: [الوافر]

وَلَقَدْ تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فَصَادَفُوا   حَصِرًا بِسِرِّكِ يَا أُمَيْمُ ضَنِينَا

كأنّه طلبَ أن يقفَ على مكتومِ السِّرِّ بينهما فلمّا لم يُفْشِ سِرَّها عنده قال: انْتَصِحْني.

[٤٨٤] وقال نَفْرُ بن قَيْس:

نفرٌ: هو جَدُّ الطِّرماح يقال: نَفَرَ النَّاسُ من مِنًى وغيرها ينفرون نَفْرًا، قال: [الكامل]

مَا نَلْتَقِي إلاَّ ثَلاثَ مِنًى   حَتَّى يُفَرِّقُ بَيْنَنَا النَّفْرُ

وتنافرَ الرّجلان: أي تفاخرا فنفرَ أحدُهما صاحبَه، أي شرفه وفخره، قال: [السريع]

وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ لِلنَّافِرِ[2]

١ ـ ألاَ قَالَتْ بُهَيْشَةُ مَا لِنَفْرٍ   أَرَاهُ غَبَّرَتْ مِنْهُ الدُّهُورُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قال أبو العلاء: بُهَيْشة اسم المرأة تصغير بَهْشَة، وهي واحدة البَهْشِ، وهو المُقْلُ؛ قيل: رديئه، وقيل: رطبه، ويجوز أن يكون بُهَيْشَة من «بهشَ إلى الشَّيء بيدِه» و«بهش إلى الرجل» إذا ضَحِكَ إليه وتهيَّأ لِلقائه، قال الشاعر: [الكامل]

أَرَأَيْتَ إنْ بَهَشَتْ إلَيْك يَدِي   بِمُهَنَّدٍ يَهْتَزُّ في العَظْمِ

وفي سائر النسخ «بهيسة» بسين غير معجمة.

٢ ـ وأَنْتِ كَذَاكِ قَدْ غُيِّرْتِ بَعْدِي   وكنتِ كَأَنَّكِ الشِّعْرَى العَبُورُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٩٦).

(٢) هذا عجز بيت للأعشى كما في تاج العروس (نفر) وصدره: «قد قلتُ شِعري فمضى فيكما». والمنفور: المغلوب، والنافر: الغالب.

لمّا قالت: ما له قد غَيَّرتْ منه الدهورُ، قال لها: ما أنكرتِهِ مني موجودٌ فيك أيضًا فقد كنت كالشِّعْرَى العَبور إشراقًا وتلألؤًا، وقد حُلْتِ وَتَغَيَّرت، وَالعَبُور قيل: هو من عَبرْتُ النهرَ، إذا جُزْتَهُ، وقيل: بل هو من عَبَرْتُ به، إذا شققت عليه، كأنها إذا طلعت تعبر المال الرَّاعية بِحَرِّها وإذا سقطت فببردها، وقوله «وأنتِ كذاك» الكاف الأولى للتشبيه، و«ذا» أشار به إلى ما أنكرت منه، والكاف الأخيرة للخطاب، ولا موضع له من الإعراب لأنه حرف.

[٤٨٥] وقال بُرْج بن مُسْهِرٍ[١] الطائيّ:

قال أبو العلاء: هو مأخوذ من البُرْج الذي هو واحد البروج المبنيّة، فأمّا بروج السماء فلم تكنْ العربُ تعرفها في القديم، وقد جاء ذكرها في الكتاب العزيز في قوله تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾[٢] والبُرْجُ في غير هذا: جمع أبرج وبرجاء، والبَرَجُ في العين: السّعة وعظم المقلة، ويقال خلقٌ بارجٌ: أي واسع، قال الراجز:

يَا لَيْتَنِي عُلِّقْتُ غَيْرَ خَارِجِ
قَبْلَ الصَّبَاحِ ذَاتَ خُلْقٍ بَارِجِ
أُمَّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجِ[٣]

١ ـ وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الكَأْسَ طِيبًا سَقَيْتُ إذا تَغَوَّرَتِ النُّجُومُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

النَّدْمان والنَّديم: من يُنادِمُكَ على الشَّراب، ومثله في البناء سَلْمَانُ وسَليم ورَحْمَان ورحيم، وقوله «يزيد الكأس طيبًا» أي: لحُسْن عِشْرَتِهِ يطيبُ الشّرب معه يقول: رُبَّ نديم على ما وصفته سقيته إذا تعرّضت النجوم: أي أبدتْ عُرْضَها للمغيبِ، يقال: تَعَرَّضْتُ الجبلَ، إذا أخذتَ يمينًا وشمالاً فيه ولم تستقمْ في الصعود، قال: [الرجز]

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا فَسُومِي
تَعَرُّضَ الجَوْزَاءِ لِلنُّجُوم
هَذَا أَبُو القَاسِمِ فَاسْتَقِيمِي[٤]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٣). (٢) سورة الفرقان، الآية: ٦١.
(٣) الأول والثالث في اللسان (درج).
(٤) الرجز لعبد الله ذي البِجادَيْن المزني دليل رسول الله ﷺ كما في اللسان (درج)، وفي المقاييس (درج) بدون نسبة.

٢ ـ رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُعْرَقَةٍ مَلامَةَ مَنْ يَلُومُ

أي: أنبهتُهُ من منامِه، وأزلتُ عنه ما كان تداخله من الغمِّ بلوم اللاّئمين إيّاه على معاطاة الشّرب؛ بأنْ سَقَيْتُه مُعْرَقَةً، أي صِرْفًا من الخمر، وقيل: هي القليلة المزاج، يقال: تَعَرَّقْتُ الخمرَ، إذا مَزَجْتَها، وأعرقَهُ السَّاقي: سقاه مُعْرَقًا.

٣ ـ فَلَمَّا أنْ تَنَشَّى قَامَ خِرْقٌ مِنَ الفِتْيانِ مُخْتَلِقٌ هَضُومُ

تَنَشَّى وانْتَشَى ونَشَّى بمعنى سَكِرَ، وَالنَّشْوةُ: السُّكْرُ، والمختلِقُ: التَّام الخَلق، والمختلقُ: الكريم الأخلاق، والهَضُوم: المِنفاق في الشتاء، كأنه يخرج من ماله أكثر من الواجب فيه فهو يَهْضِمُه: أي يظلمه.

٤ ـ إلَى وَجْنَاءَ نَاوِيَةٍ فَكَاسَتْ وَهَى العُرْقُوبُ مِنْهَا وَالصَّمِيمُ

الوجناء: النَّاقة الغليظة الوجنتين، وقيل: هي الصّلبة، مأخوذٌ من الوَجِين من الأرض: أي الصّلب منها، وقَلّما يقالُ للجمل أوجَنُ، والناوية: السمينة، والكَوْسُ: المَشْيُ على ثلاثِ قوائم، وقد اختصر الكلام، والمراد فعرقَبَها فكاسَتْ، وأراد بالصَّميم العضو الذي به القوام، والعُرقوب: عَقبٌ مُوَتَّرٌ خَلْفَ الكَعبين فويق العَقِبِ من الإنسان وبينَ مَفْصِلِ الوَظيف والسَّاق من ذوات الأربع، وعرقَبْت[1]: قطعتُ عُرقوبَه، وقوله «وهي العُرقوب» إظهار لِلعلَّة في كَوْسِها، والوَهَى: الشَّقُّ والخرق.

٥ ـ كَهَاةٍ شَارِفٍ كَانَتْ لِشَيْخٍ لَهُ خُلُقٌ يُحَاذِرُهُ الغَرِيمُ

الكَهَاة: الناقة الضخمة كادت تدخل في السِّنّ، وكذلك الكَيْهَاة، والشّارف: المُسِنَّة، وقوله «له خلقٌ يحاذره الغريم» كان الكريم منهم إذا نحرَ في الشُّربِ وعند السُّكْرِ يفعل ذلك في غير ملكه ليستامَ مالكَ الجَزُورِ بها أعلى الأثمان فيغرمُه، ويعدُّ ذلك الغُرْمُ غُنْمًا، والصَّبر على سوء خُلُقِهِ كَرَمًا.

٦ ـ فَأَشْبَعَ شَرْبَهُ وَسَعَى عَلَيْهِمْ بِإبْرِيقَيْنِ كَأْسُهُمَا رَذُومُ

أَشْبَعَ الشَّرْبَ من الناقة المعقورة، والرَّذُوم: السائل، ويُروَى «وجرى عليهم».

٧ ـ تَرَاهَا فِي الإنَاءِ لَهَا حُمَيَّا كُمَيْتًا مِثْلَ مَا فَقَعَ الأَدِيمُ

فَقَع: حَسُنَ وصَفَا، ويقال: أصفر فاقع، ويُروى «مثل ما نصعَ» والمراد خلصَ، وَالحُمَيَّا: مصغَّر لا مكبّر له، وكُمَيْتٌ: مصغّر مرخّم، والمراد به تكبيره وهو أكمت لذلك جُمِعَ على كُمت، ومثله فرس وَرْد ثم قيل: خيلٌ وُرْدٌ لأنه أُريد به أفعل.

---

(١) عند المرزوقي: «وعرقبته».

٨ ـ تُـرَنِّـحُ شَـرْبَـهـا حَـتَّـى تَـراهُـمْ كَـأَنَّ الـقَـوْمَ تَـنْـزِفُـهُـمْ كُـلُـومُ

ترَنِّحهم: أي تزيل قواهم لِشدّتها، فكأنهم أَسارى نَزَفَتْ دماؤهم، ويقال: ضربته حتى رَنَّحْتُهُ: أي غُشِيَ عليه.

٩ ـ فَـقُـمْـنَـا وَالـرِّكَـابُ مُـخَـيَّـسَـاتٌ إلـى فُـتْـلِ الـمَـرَافِـقِ وَهْـيَ كُـومُ

المخَيَّسَات: المُذَلَّلات، والفُتْل: جمع أفتل وفتلاء، وهي البعيدة المرفق عن الزور، والكُوم: العظام الأسنمة، الواحدة كوماء.

١٠ ـ كَـأَنَّـا وَالـرِّحَـالَ عَـلَـى صِـوَارٍ بِـرَمْـلِ خُـزَاقَ أَسْـلَـمَـهُ الـصَّـرِيـمُ(١)

شَبَّه ركائبهم بقطيع من البقر بالرمل المذكور أسلمَه الصَّريم إلى الصيَّادين والكلاب فخفَّتْ وعَدَتْ، والصَّريم اسْتُعْمِلَ في الصّبح واللَّيل جميعًا؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما ينصرمُ عن صاحبه وقت السَّحَرِ.

١١ ـ فَـبِـتْـنَـا بَـيْـنَ ذَاكَ وَبَـيْـنَ مِـسْـكٍ فَـيَـا عَـجَـبًـا لِـعَـيْـشٍ لَـوْ يَـدُومُ

«فيا عَجَبًا» إنّما تعجَّبَ من استمرار الوقت بمثل العيش الذي وصف، وكيف سمحَ الزّمانُ به ثم غفلَ عنه حتى اتّصلَ، وقوله «فبتنا بين ذاك وبين مِسْكٍ» يريد أن حاضر وقتهم كان على ذلك ثمَّ تغيّر.

١٢ ـ وَفِـيـنَـا مُـسْـمِـعَـاتٌ عِـنْـدَ شَـرْبٍ وَغِـزْلانٌ يُـعَـدُّ لَـهَـا الـحَـمِـيـمُ

الحميم: الماء الحار، يُعَدُّ لها، يعني في الشتاء، يخبر بذلك أنهنَّ من أهل النعمة والتَّرَفُّه، وقيل: الحميم: البارد، وهو من الأضداد.

١٣ ـ نُـطَـوِّفُ مـا نُـطَـوِّفُ ثُـمَّ يَـأْوِي ذَوُو الأَمْـوَالِ مِـنَّـا وَالـعَـدِيـمُ

١٤ ـ إِلَـى حُـفَـرٍ أَسَـافِـلُـهُـنَّ جُـوفٌ وأَعْـلاهُـنَّ صُـفَّـاحٌ مُـقِـيـمُ

يقال: «أَوَى إلى كَذا أُوِيًّا، والحُفَرُ: القبور، وَالصُّفَّاح: الحجارة العِراض، يقول: نلهو ونلعب وآخر أمرنا إلى الموت والدَّفْن.

[٤٨٦] وقال إياس بن الأَرَتِّ(٢) الطائي:

١ ـ هَـلُـمَّ خَـلِـيـلِـي وَالـغَـوَايَـةُ قَـدْ تُـصْـبِـي هَـلُـمَّ نُـحَـيِّ الـمُـنْـتَـشِـيـنَ مِـنَ الـشَّـرْبِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «والغواية قد تُصْبي» اعتراض، وكَرَّر «هَلُمَّ» على طريق التأكيد، والفائدة في هذا الاعتراض تحقيق القصّة المدعو إليها، وللعرب في «هلمّ» طريقتان: منهم مَن يُجريه

(١) خُزَاق: اسم موضع بعينه في بلاد العرب (معجم البلدان ٢/ ٣٦٧).
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٦).

مُجْرى أسماء الأفعال، وحينئذٍ يقعُ للجمع والواحد والمذكر والمؤنث على حالة، والقرآن نزل به، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾(١) ومنهم مَن يجعل أصله ها التنبيه ضمّ إليه لُمَّ، وهو فعل، جعلا معًا كالشيء الواحد؛ فتثنّيه وتجمعه وتؤنّثه، وكان الفرّاء يقول: هو هَلْ أم، تركَّبا معًا، وليس لـ«هَلْ» في الكلام إلاّ موضعان: أحدهما ـ وهو الأكثر ـ أن يكون للاستفهام، ولا معنى للاستفهام هنا، والثاني أن يكون بمعنى قد، على ذلك فُسِّرَ قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾(٢) وليس لمعنى قد مدخل في هذا، وإذا كان كذلك فما قاله فاسد، وقوله «والغواية قد تصبي» يريد أن الغَيَّ يدعو صاحبَه إلى أمور كثيرة.

٢ ـ نُسَلِّ مَلامَاتِ الرِّجَالِ بِرِيَّةٍ وَنَفْرِ شُرُورَ اليَوْمِ بِاللَّهْوِ واللَّعْبِ

«نُسَلِّ» في موضع الجزم؛ لأنه جواب الأمر، و«نَفْرِ» معطوف عليه، ونفر هموم(٣).

٣ ـ إذَا مَا تَرَاخَتْ سَاعَةٌ فَاجْعَلَنَّها لِخَيْرٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ أعْصَلُ ذُو شَغْبِ

مثله قول الآخر: [الطويل]

إذَا كانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلَنَّهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قَادِرُ

والعَصَل: اعوجاجُ الأنيابِ، قال الخليل: لا يقال أَعْصَل إلاّ لكلِّ مُعْوَجٍّ فيه صلابة وكَزَاز، والمعنى: إنَّ ما يعضُّ عليه الدّهر لا يمكن انتزاعه منه، كما لا يمكن انتزاع الشّيء من النّابِ التي فيها عَصَلٌ، والشَّغْبُ: تهييجُ الشَّرِّ.

٤ ـ فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لاَقٍ مِنْ غُمُومٍ وَمِنْ كَرْبِ

«مِنْ غموم» مِنْ زائدة على مذهب الأخفش، كأنه قال: إنَّكَ لاَقٍ غمومًا، وسيبويه لا يرى زيادة مِنْ في الواجب، فطريقته في مثله أنه صفة لمحذوف، كأنه قال: إنكَ لاَقٍ ما شئتَ من غموم.

[٤٨٧] وقال آخر(٤):

١ ـ أُحِبُّ الأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإنْ كَانَتْ تَوَارَثُهَا الجُدُوبُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

٢ ـ وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تُرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٨. (٢) سورة الإنسان، الآية: ١.

(٣) كذا في الأصول وقد كُتِبَ بهامش نسخة بولاق عبارة: «هكذا في الأصول، ولعلّه في نسخة ونفرِ هموم».

(٤) البيتان الثالث والرابع في الحماسة البصرية ٢/ ٣٨٤ وقد نسبهما لإياس بن الأرتّ.

هذا على طريقة قولهم: نهاره صائمٌ، وليلُه قائمٌ، والمعنى: ليس حُبُّ الأَرضِينَ منّي بِعادةٍ في دهري، وقوله «ولكن مَنْ يحلُّ بها حبيب» يشبهه قول الآخر: [الوافر]

أَلاَ يَـا بَـيْـتُ بِـالـعَـلْـيَـاءِ بَـيْـتُ   وَلَـوْلاَ حُـبُّ أَهْـلِـكَ مَـا أَتَـيْـتُ[1]

يريد إن البيوت في الموضع الذي قد جِئتُ منه قد كَثُرَتْ ولكنّي قصدْتُك لحبِّ أَهلِكَ.

٣ ـ أَعَـاذِلَ لَـوْ شَـرِبْـتِ الـخَـمْـرَ حَـتَّـى   يَـكُـونَ لِـكُـلِّ أَنْـمُـلَـةٍ دَبِـيـبُ

٤ ـ إِذًا لَـعَـذَرْتِـنِـي وَعَـلِـمْـتِ أَنِّـي   بِـمَـا أَتْـلَـفْـتُ مِـنْ مَـالِـي مُـصِـيـبُ

[٤٨٨] وقال أبو صَعْتَرَة البَوْلاَنِيّ[2]:

١ ـ فَـمَـا نُـطْـفَـةٌ مِـنْ حَـبِّ مُـزْنٍ تَـقَـاذَفَـتْ   بِـهِ جَـنْـبَـتَـا الـجُـودِيِّ وَالـلَّـيْـلُ دَامِـسُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

جَنبتا الجوديّ: المراد به الكَنَف والناحية، وبعضهم استدلَّ على أنَّ قَوْلَ الناس «فلان في جَنَبَة فلان» ليس بشيء، وإنما الصواب بجَنْبة فلان، بسكون النون، استدلالاً بهذا البيت، وقد روى الأصمعي: [الرجز]

النَّـاسُ فِـي جَـنْـبٍ وَكُـنَّـا جَـنْـبَـا

وأراد بحَبِّ المُزْنِ البَرَد، والمُزْنُ: اسمٌ يجمعُ أنواعَ السَّحاب، والدَّامس: المظلم، يقال: أتيته دَمَسَ الظَّلام.

٢ ـ فَـلَـمَّـا أَقَـرَّتْـهُ الـلِّـصَـابُ تَـنَـفَّـسَـتْ   شَـمَـالٌ لأَعْـلَـى مـائِـهِ فَـهْـوَ قَـارِسُ

اللِّصَاب: جمع لِصْب، وهي شقوق في الجبل، والقارس: البارد؛ أي هَبَّت شمال عليه فبرد.

٣ ـ بِـأَطْـيَـبَ مِـنْ فِـيـهَـا وَمَـا ذُقْـتُ طَـعْـمَـهُ   وَلَـكِـنَّـنِـي فِـيـمَـا تَـرَى الـعَـيْـنُ فَـارِسُ

يقول: ما ماءُ مُزْنٍ بأعذب من رُضَاب فَم هذه المرأة، ولا أقول هذا عن ذَوَاقٍ واختبارٍ، ولكن عن صِدْقِ فراسةٍ، وفي طريقته قولُ الآخر: [البسيط]

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ   إلاَّ شَـهَـادَةَ أَطْـرَافِ الـمَـسَـاوِيـكِ[3]

وقوله «فارس» أراد به المتفرِّس، يقال: فارسٌ على الخيل بَيِّنُ الفُرُوسِيَّة، وإذا كان يتفرَّسُ في الأشياء ويحسنُ النظرَ فيها قلت: بَيِّنُ الفِرَاسَةِ.

---

(١) البيت في اللسان (بيت).
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٨).
(٣) البيت لبشار بن برد في أمالي القالي ١/٢٢٨؛ والأغاني ١٨/١٩٢.

[٤٨٩] **وقال الحارث بن خالد المخزوميّ[(١)]:**

هو الحارث بن خالد بن العَاص بن هِشَام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزوم، وَلِيَ مكّة من قِبَلِ يزيد، فلم يمكنه منها ابن الزبير، فلما وَلِيَ عبدُ الملك أَقَرَّهُ عليها ثم عَزَله، فقال: [الطويل]

تَبِعْتُكَ إذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ ... فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا
عَطَفْتُ عَلَيْكَ النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... بِكَفِّكَ بُؤْسي أَوْ لَدَيْكَ نَعِيمُهَا

فلما سمع ذلك عبد الملك أرضاه ووصله.

١ ـ إنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنًى ... عِنْدَ الجِمَارِ تَؤُودُهَا العُقُلُ

الضرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، والقافية متواتر.

٢ ـ لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا ... سِفْلاً وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْلُو

٣ ـ لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا لِمَا ضَمِنَتْ ... مِنِّي الضُّلُوعُ لأَهْلِهَا قَبْلُ

أقسمَ بالقرابين التي يَنْحَرُهَا الحجيجُ عند المُحَصَّبِ غَدَاةَ مِنًى، وهي معقولة، أنّه لو غُيِّرَتْ ديارُ هذه المرأة ورسومُها لعرفتُ مَغْنَاها لِمَا انطوتْ عليه مَحَانِي ضُلوعي من وُدِّ أَهلِها أيّامَ مواصلتها حتّى كان لا يلتبسُ عَلَيَّ شيء منها، ومعنى «تؤودها العُقْل» تثقلها، وجواب اليمين «لَعرفتُ»، والمغنى: المنزل.

[٤٩٠] **وقال آخر[(٢)]:**

١ ـ مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّمَا ... تَخَافُ عَلَى أَحْشَائِهَا أَنْ تَقَطَّعَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

التَّهادِي: المَشْي بين اثنين، يقال: رأيته يُهَادى بين اثنين، ويتهادَى، يصفها بالنّعمة وضعف الحركة لِثِقَلِ رِدْفِهَا ودِقَّةِ خَصْرِها.

٢ ـ تَسِيبُ انْسِيَابَ الأَيْمِ أَخْصَرَهُ النَّدَى ... فَرَفَّعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَّعَا

الأيم والأين: الجانُّ من الحيَّات، والحيّة لا تصبرُ على البردِ لأنّه إذا أَثَّرَ فيها يَبِسَ

---

(١) الحارث بن خالد المخزوميّ: أحد شعراء قريش المعدودين الغَزِلين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة فلا يتجاوز الغزل، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبّب بها. (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م). ترجمته في (الأغاني ٣/ ٩٧؛ وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٤٣٧؛ وخزانة البغدادي ١/ ٢١٧).

(٢) البيتان في الحماسة البصرية ٢/ ٢٢٠ لمسلم بن الوليد؛ وفي محاضرات الراغب ٢/ ١٣٩ لرجل من بني سعد.

جِرْمُها، وتنسابُ: أي تتدافعُ في مِشيتها، وسابَ وانسابَ بمعنى واحد، ويقال: سابَ الماءُ؛ إذا جَرَى.

[٤٩١] وقال آخر:

١ - أَبَتِ الرَّوَادِفُ وَالثُّدِيُّ لِقُمْصِهَا مَسَّ البُطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا
٢ - وَإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهِجْنَ غَيُورَا[1]

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

تناوحَتْ: أي تقابَلَتْ، يقول: إذا هَبَّتِ الرّياحُ فتقابلَتْ كالشّمال والجنوب والصَّبا والدبور التصقَ من درعها ببطنها وظهرها ما كان يمنعه ثديها وردفها قبل هبوبها، فظهرتْ من محاسنها ما ينبّهُ الحاسدَ ويهيجُ الغيور، لأن ما خَفِيَ منها ظهرَ للعيون، فالغَيورُ يكرهُ، والحاسدُ يتنبّه، وقوله «أن تَمَسَّ» جاز انعطافه على «مَسَّ البطون» لكون العامل والمعمول فيه في موضعه ومعناه فالبطون في موضع المفعول؛ لأنَّ المصدر يُضافُ إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل فالبطون مع لفظة «مَسَّ» كـ «ظهورًا» مع «أن تمسّ» وقوله «نبَّهن حاسدة» لا يريد الإيقاظ من النوم، ولكن من الغفلة، ونحو منه البيت المنسوب إلى ذي الرّمّة: [الطويل]

تَرَى الزُّلَّ يَكْرَهْنَ الرِّيَاحَ إِذَا جَرَتْ وَمَيَّةُ إِنْ هَبَّتْ لَهَا الرِّيحُ تَفْرَحُ

[٤٩٢] وقال بَكرُ بْنُ النَّطَّاح[2]:

هو من بني حنيفة، ويُكْنَى أبا وائل، وكان من أهل اليمامة؛ كثير الشعر، وكان يصيب الطريق؛ قال أبو هفان: أدركتُ النّاسَ يقولون: خُتِمَ الشعر ببكر، واستفرغ مدائحه في أبي دُلف وأخيه مَعْقل، ومن جيد ذلك: [المتقارب]

مِثَالُ أَبِي دُلَفٍ أُمَّةٌ وَذِكْرُ أَبِي دُلَفٍ عَسْكَرُ
وَإِنَّ المَنَايَا إِلَى الدَّارِعِينَ بِعَيْنِ أَبِي دُلَفٍ تَنْظُرُ

١ - بَيْضَاءُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامٍ فَرْعَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهْوَ وَحْفٌ أَسْحَمُ
٢ - فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ سَاطِعٌ وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمُ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

---

(١) البيتان في الحماسة البصرية ٢/ ٩١؛ وأمالي القالي ١/ ٢٣ بدون عزو.
(٢) بكر بن النَّطّاح: من شعراء بني حنيفة بن لجيم، وكان صعلوكًا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك، وكان شجاعًا بطلاً فارسًا كثير الوصف لشجاعته وإقدامه (ت ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م). ترجمته في: (فوات الوفيات ١/ ٧٩؛ والبداية والنهاية ١٠/ ٢٠٨؛ وتاريخ بغداد ٧/ ٩٠).

وصف شعرها بالطول وكثرة الأصول؛ فإذا قامت سحبته، وإذا أرسلته سَتَرَها فتغيَّبَتْ فيه، ثم قال: فكأنّها لِشدّة بياضها إذا تَغَشّاها نهارٌ ساطعٌ من خَلَلِ ظلامٍ، وكأنَّ شَعرها لِشدّة سواده عليها ليلٌ مظلمٌ يَغْشَى بياض نهار.

[٤٩٣] وقال آخر:

١ ـ تَأَمَّلْتُها مُغْتَرَّةً فَكَأَنَّما   رَأَيتُ بِها مِنْ سُنَّةِ البَدْرِ مَطْلِعَا

الثاني من الطويل.

يقول: نظرتُ إليها على غِرَّةٍ منها فكأنّي رأيتُ بها بدرًا طالعًا، وأراد بِسُنَّةِ البدر وجهه.

٢ ـ إذَا مَا مَلأْتُ العَيْنَ مِنْهَا مَلأْتُهَا   مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أَنْزِفَ الدَّمْعَ أجْمَعَا

أنزفُ الدَّمعَ: أُفنِيه كلّه، يقال: نزفتُ الماء، وأنزفته، بمعنى واحد.

[٤٩٤] وقال كُثيِّر بن عبد الرحمٰن(١):

ابن جُمْعَة، من خُزَاعَة، يكنّى أبا صَخْر.

١ ـ وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الوِدَادَةُ أَنَّنِي   بِمَا فِي ضَمِيرِ الحَاجِبِيَّةِ عَالِمُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: تمنَّيتُ أنّي عالمٌ بما ينطوي عليه قلب هذه المرأة لي، وقوله «وما تغني الودادة» اعتراض بين وددت ومفعوله، وهو «أنني»؛ يقال: وَدِدْتُ وَدَادَةً ووِدَادَةً، بفتح الواو وكسرها.

٢ ـ فَإنْ كَانَ خَيرًا سَرَّنِي وَعَلِمْتُهُ   وَإنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلُمْنِي اللَّوَائِمُ

يقول: فإن كان ما تضمرُ لي وُدًّا صافيًا سرَّني ذلك، وإن كان إعراضًا أرحتُ نفسي من لوم اللائمات، وقوله «وعلمته» اكتفى بمفعول واحد لأنه بمعنى عرفته.

٣ ـ وما ذَكَرْتُكِ النَّفْسُ إلاَّ تَفَرَّقَتْ   فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلاَئِمُ

قوله «إلاّ تفرّقت فريقين» هذا قاله على عادة النّاس في تردّدهم بين ما يُقَوِّي العزم عليه وبين ما يُضعفُه، فجعل كلّ واحدة منهما كأنه نفس على حيالها، فواحدة من النفسين تعذره، وأخرى تلومه، وبيّنه بقوله:

---

(١) كثير بن عبد الرحمٰن بن جمعة الخزاعي، صاحب عزّة، وأحد فحول شعراء الإسلام، وكان غاليًا في التشيّع معروفًا بالحمق (ت ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م). ترجمته في: (الأغاني ٨/ ٢٥؛ والشعر والشعراء ص ٤٨٠؛ والمرزباني ص ٣٥٠).

٤ ـ فَرِيقٌ أَبَى أَنْ يَقْبَلَ الضَّيْمَ عَنْوَةً وَآخَرُ مِنْهَا قَابِلُ الضَّيْمِ راغِمُ

[٤٩٥] وقال أيضًا:

١ ـ وأنْتِ الَّتِي حَبَّبْتِ شَغْبًا إلى بَدَا إلَيَّ وَأَوْطانِي بِلادٌ سِواهُمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

شغب وبَدَا: موضعان، يقول: إنه كما آثرها على أهله وعشيرته آثر بلادها على بلاده.

٢ ـ إذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بالقَذَى وعَزَّةُ لَوْ يَدْرِي الطَّبِيبُ قَذَاهُما

٣ ـ وحَلَّتْ بِهَذا حَلَّةً، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بأُخْرَى فَطَابَ الوَادِيَانِ كِلاَهُمَا(١)

مثله: [المنسرح]

اسْتَوْدَعَتْ نَشْرَهَا البِلاَدَ فَمَا تَزْدَادُ إلاَّ طِيبًا عَلَى القِدَمِ

ومثله: [الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكًا بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ(٢)

[٤٩٦] وقال نُصَيْبٌ(٣):

هو تحقير ناصب، والناصب: الجادُّ في سيره، يقال: نصبنا في السير نصبًا، إذا رفعوه، وكلُّ شيءٍ رفعته فقد نصبته، ويجوز أن يكون تحقير نصب هذا بعد أن سُمِّيَ به فزال عن مصدريته، نصيب: عبد أسود كان لرجل من أهل وادي القرى، وكاتب عن نفسه، ثم أتى عبد العزيز بن مروان فأنشده: [المتقارب]

لِعَبْدِ العَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَنٌ غَامِرَهْ

فَبَابُكَ أَلْيَنُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَأْهُولَةٌ عَامِرَهْ

وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالمُعْتَفِيـ ـنَ مِنَ الأُمِّ بِابْنَتِهَا الزَّائِرَهْ

فَمِنْكَ العَطَاءُ وَمِنَّا الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَهْ

فاشترى ولاءه وَوَصَله.

(١) عند المرزوقي: «بهذا فطابَ».

(٢) البيت لعبد الله بن نمير الثقفي كما في اللسان (ضوع) وإصلاح المنطق ص ٢٨٧. وعند المرزوقي «خَفِرَات» بدل «عَطِرات».

(٣) نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان، كان شاعرًا فحلاً مقدّمًا في النسيب والمديح وهو نصيب الأكبر. (ت ١٠٨ هـ/ ٧٢٦ م). ترجمته في: (الأغاني ١/ ٣٢٤؛ والنجوم الزاهرة ١/ ٢٦٢؛ والشعر والشعراء ص ١٥٣).

١ - لَقَدْ هَتَفَتْ في جُنحِ لَيلٍ حَمَامَةٌ   عَلَى فَنَنٍ وَهْنًا وإنِّي لَنَائِمُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

٢ - كَذَبْتُ وبَيْتِ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عاشِقًا   لَمَا سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحَمَائِمُ

قوله «لما سبقتني» اشتمل على جواب اليمين، وعلى جواب لو، ومثله مما أنشدنيه ابن بَرْهَان النحويُّ: [الطويل]

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكيتُ صَبَابَةً   بِلُبْنى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلٰكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِيَ البُكا   بُكاهَا، فَقُلْتُ: الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ(١)

[٤٩٧] **وقال آخر**(٢):

١ - أَرَارَ اللَّهُ نِقْيَكِ في السُّلاَمَى   عَلى مَنْ بِالحَنِينِ تَعَوَّلِينَا(٣)

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

يخاطب ناقته، ويصف وَجْدَهَا، ويقال: مُخٌّ ريرٌ، ورَارٌ، إذا كان رقيقًا والقصد في الدعاء عليها أن يجعلها الله نِضْوًا مهزولاً، وخَصَّ السُّلاَمى لأنها والعين آخر ما يبقى فيه المخّ عند الهزال، لذلك قال: [الرجز]

لاَ يَشْتَكِينَ عَمَلاً مَا أَنْقَيْنْ   مَا دَامَ مُخٌّ فِي سُلاَمَى أَوْ عَيْنْ

وقوله «إلى مَنْ بالحنين تشوّقينا»(٤) يجوز أن يكون إنكارًا منه على الناقة في حنينها، ويجوز أن يريد تفخيم شأن المشتاق إليه، كأنه قال: تشوّقيني بحنينك إلى إنسان وأيّ إنسان، ويكون مَنْ اسمًا نكرة، ويكون الكلام خبرًا، وفي الأول يكون استفهامًا، وإنّما أنكرَ ضجرًا بها لأنه لم يَدْرِ أحنينها إلى ولد أو وطن أو صاحب.

٢ - فإنِّي مِثْلُ مَا تَجِدِينَ وَجْدِي   ولٰكِنِّي أُسِرُّ وَتُعْلِنِينَا

«وَجْدِي» يجوز أن يكون في موضع النصب، على أن يكون بدلاً من الضمير في «إنِّي»، ويكون «مِثْلُ» في موضع خبر إن، فكأنّه قال: فإنَّ وَجْدِي مثل ما تجدين.

---

(١) البيتان عند المرزوقي وقد نسبهما إلى عديّ بن الرِّقاع.

(٢) هذه الحماسية جاءت عند المرزوقي وقد نسبها للشماميط الغَطَفاني، وكان معاصرًا لابن ميادة وقد رُوِيَ له في اللسان (شمط) قوله:

أنا شماميطُ الَّذي حُدِّثْتَ به   متَى أُنَبَّهْ لِلغداءِ أنتبِهْ
حتى يقالَ سَيِّدٌ ولستُ بِهْ

(٣) عند المرزوقي «مُخَّكِ» بدل «نِقْيَكِ» و«تشوّقينا» بدل «تعوّلينا».

(٤) هذه رواية المرزوقي.

٣ ـ وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكِ غَيْرَ أَنِّي أُجَلُّ عَنِ العِقَالِ وتُعْقَلِينَا

يقول: إنَّ نزاعي مثل نزاعك، ولكن يُؤْمَنُ مِنِّي أنْ أهيمَ على وجهي وأنت تعقلينَ مخافةَ ذهابك على الوجه.

[٤٩٨] وقال آخر:

١ ـ ولَمَّا أَبَى إلاَّ جِمَاحًا فُؤَادُهُ ولَمْ يَسْلُ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلاَ أَهْلِ

أول الطويل، والقافية متواتر.

٢ ـ تَسَلَّى بأُخْرَى غَيْرِهَا فإذَا الَّتِي تَسَلَّى بِها تُغْرِي بِلَيْلَى ولا تُسْلِي

الجِمَاح من قولهم: جَمَحَ الفرسُ، إذا جرى جريًا غالبًا لراكِبه، وقوله «فإذا التي» إذا هذه للمفاجأة ومن الظروف المكانية لا الزمانية، وما بعده مبتدأ وخبر، وجواب «لمّا أَبى» تَسَلَّى، ويقال: سَلاَ عن الشَّيء يسلو ويَسْلَى وهذا أحد ما جاء على فَعَلَ يَفْعَلُ ممّا لم تكنْ عينُه ولا لامُهُ حَرفًا من حروف الحَلْقِ، ومثله قَلاَ يَقْلَى بمعنى يَقلِي، وجَبَى يَجْبَى بمعنى يَجْبِي، ويقال: سَلِيَ يَسْلَى في معنى سَلاَ يَسْلُو.

[٤٩٩] وقال آخر، وهو كُثَيِّر:

١ ـ عَجِبْتُ لِبُرْئِي مِنْكِ يَا عَزَّ بَعْدَمَا عَمِرْتُ زَمانًا مِنْكِ غَيْرَ صَحِيحِ

الثالث من الطويل.

٢ ـ فَإنْ كانَ بُرْءُ النَّفْسِ لِي مِنْكِ رَاحَةً فَقَدْ بَرِئَتْ إنْ كانَ ذَاكَ مُرِيحِي

٣ ـ تجلَّى غِطَاءُ الرَّأسِ عَنِّي وَلَمْ يَكَدْ غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي لِسَرِيحِ

أراد بغطاء الرأس السَّوَاد الذي كان عليه في الشَّباب، وهذا البيت إذا حُمِلَ على ما قبله دَلَّ على أنه يصفُ سلوّه عمّن كان يحبّ؛ لقوله «عَجِبْتُ لِبرئي منكِ» ويُرْوَى «تجلَّى غطاءُ اليَأْسِ» أي: الغطاء الذي أزاله اليأس، وهذا كلام مُتَّسع فيه، كَمَا تقول: ثوب زيد الذي كان له، أو الذي وهبه، أو الذي سلبه منك، وقوله «لِسَرِيح» أي: لأمر سهل.

[٥٠٠] وقَالَ عُرْوَة بن أُذَيْنَةَ(١):

هو من بني ليث، كناني، وكان شريفًا دَيِّنًا يُحمَل عنه الحديث، ووفد على هشام بن عبد الملك فقال له: ألست القائل: [البسيط]

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الإسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رُزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْعَى لَهُ فَيُعَنِّينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لاَ يُعَنِّينِي

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم ٤٦٤.

قال: نعم، قال: فلِمَ جئتَنا؟ قال: أنظرُ في أمري، وخرج من فَوْرِه منصرفًا، وأخبر هشام بذلك فأتبعه بجائزة، وعروة: واحدة العُرَا، ويقال: في أرض بني فلان عُرْوَة: أي شجر يبقى على الجدب، وبه سُمِّيَ الرجل، قال الشّاعر: [الكامل]

خَلَعَ المُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ ... شَجَرُ العُرَا وَعَرَاعِرُ الأَقْوَامِ

العَرَاعِر: السادة، وهو من عرعرة الجبل، وهو أعلاه، وعرعرة الثور: سنامه، وأُذينة: تصغير أُذن.

١ - إِلْفَانِ تَغْنِيهِمَا لِلْبَيْنِ فُرْقَتُهُ ... وَلاَ يَمَلاَّنِ طُولَ الدَّهْرِ مَا اجْتَمَعَا

الأوّل من البسيط، والقافية متراكب.

البَيْنُ يقعُ على وجوه: أحدها أن يكون مصدر بانَ يَبِينُ بَيْنًا وبَيْنُونَةً، والثاني: أن يكون ظرفًا، تقول: بين القوم كذا، وهو لشيئين يتباين أحدهما عن الآخر فصاعدًا، والثالث: أن يفيدَ معنى الوصل، على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾[١] ألا ترى أن معناه تقطع وصلكم، ولا يصحُّ أن يكونَ المراد تقطع افتراقكم لفساد المعنى، وعلى هذا قولهم «سعى فلان لإصلاح ذات البين من عشيرته»؛ لأنَّ المراد إصلاح الوَصْل، لا الافتراق، والذي في البيت هو الثالث لأنَّ المعنى هما متحابَّان قد أَلِفَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وقوله «طول الدهر» يجوز أن يكون مفعول يَمَلاَّن: أي لا يَمَلاَّن تطاولَ الوقت إذا اجتمعا، ويجوز أن يكون طول الدَّهر ظَرْفًا، و«ما اجتمعا» مفعول يَمَلاَّن: أي لا يملاَّن الاجتماع طول الدَّهر.

٢ - مُسْتَقْبِلاَنِ نَشَاصًا مِنْ شَبَابِهِمَا ... إِذَا دَعَا دَعْوَةً دَاعِي الهَوَى سَمِعَا

النَّشَاص: أصله السَّحاب إذا ارتفع من قبل العين حين ينشأ ويعلو[٢].

٣ - لاَ يُعْجَبانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرُضٍ ... وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالاَ وَمَا صَنَعَا

يقال: نَظرْتُ إليه عن عُرُضٍ، وكلَّمته عن عُرُضٍ: أي ناحية، ومعناه أنه لا يعجبهما من مقال النَّاس وفِعالهم شيءٌ، بل الإعجاب يتعلّق بما يؤثرانه ويصنعانه.

[٥٠١] وقال آخر[٣]:

١ - وَلَمَّا بَدَا لِي مِنْكِ مَيْلٌ مَعَ العِدَا ... سِوَايَ وَلَمْ يَحْدُثْ سِوَاكِ بَدِيلُ[٤]

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤. وهذا على قراءة «بينُكم» بضمّ النون؛ والقراءة الأكثر شهرة بفتح النون.

(٢) قال المرزوقي: «واستعير هنا لما يُقتَبَلُ من الشباب وأيام الصِّبا واللهو، كأنه يمطرُهما النشاطَ والسّرور كما يمطرُ السحابُ الغيثَ».

(٣) عند المرزوقي وقال أي عروة بن أُذينة، وفي أمالي القالي ١/ ٢١٧ بدون عزو؛ وفي الأمالي ٤/ ٦٦ لجميل. وهما في ديوانه ص ١٦٣ (دار الكتاب العربي، تح د.إميل يعقوب).

(٤) في الديوان «عَلَيَّ» بدل «سِوَايَ».

ثالث الطويل، والقافية متواتر.

قال المرزوقيُّ: قال سيبويه: معنى «سِوَى» بدل ومكان، تقول: عندي رجل سِوَى زيدٍ، معناه بدل زيد ومكان زيد، وعلى ما فسّره يكون معنى البيت ولمَّا بدا لي مَيْلُكِ مع الأعداءِ بَدَلَ مَيْلِكِ إليَّ ومكان مَيْلِكِ إليَّ ولم يحدثْ لي بديل مكانك عِوَضًا منكِ.

٢ - صَـدَدْتُ كَـمَـا صَـدَّ الـرَّمِـيُّ تَـطـاوَلَـتْ ... بِـهِ مُـدَّةُ الأَيَّـامِ وَهْـوَ قَـتِـيـلُ

أي: أعرضتُ عنكِ إعراضَ المَرْمِيِّ من الصَّيد المصاب بسهم الصياد وهو قاتله لأنَّ الإصابة عملت عملها لكنَّ المدّة تطاولت به: أي صددتُ عنك صدودَ يأسٍ لا صدودَ مَقْلِيةٍ، وأنا أعلمُ أنَّ هَوَاكِ قاتلي كهذا المرميّ الذي لا يُشَكُّ في كونه قتيلاً وإنْ طالت مدّته.

[٥٠٢] وقال آخر:

والوزن كالذي قبله.

١ - أَحُـبًّـا عَـلَـى حُـبٍّ وَأَنْـتِ بَـخِـيـلَـةٌ ... وَقَـدْ زَعَـمُـوا أَنْ لاَ يُـحَـبَّ بَـخِـيـلُ

الألف من قوله «أَحُبًّا» لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ، وانتصب «حُبًّا» بإضمار فعل، كأنه قال: أتجمعين عليَّ حُبًّا على حبٍّ، أو أتزيدينني حبًّا بعد حبٍّ، مع بخلك، والواو في قوله «وأنت بخيلة» واو الحال، وقوله «أن لا يُحَبَّ بخيلُ» إن شئت جعلته أن الناصبة للفعل فنصبته، وإن شئت جعلته المخفّفة من الثقيلة فيرتفع يحب، يريد أنه لا يحب، ثم قال:

٢ - بَـلَـى وَالَّـذِي حَـجَّ الـمُـلَـبُّـونَ بَـيْـتَـهُ ... وَيَـشْـفِـي الـهَـوَى بِـالـنَّـيْـلِ وَهْـوَ قَـلِـيـلُ

«بلى» هو جواب استفهام مقرون بنفي، على ذلك قول الله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1] كأنه قيل له مستفهمًا منه: أتحبُّ البخيلَ والممسكَ؟ فقال: بلى وأقسمُ أيضًا تأكيدًا، والحجُّ: القَصْدُ، والنَّيْلُ: مصدر نلته أناله.

٣ - وَإِنَّ بِـنَـا لَـوْ تَـعْـلَـمِـيـنَ لَـغُـلَّـةً ... إِلَـيْـكِ كَـمَـا بِـالـحَـائِـمـاتِ غَـلِـيـلُ[2]

قوله «لو تعلمين» كالعذر لها: أي إنّها لو عَلِمَتْ ما به كانت لا تستجيز ما يجري عليه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) الغُلَّة: العطش وحرارة الحبّ، والحائمات: جمع الحائم: وهو من الطير الذي يحوم حول الماء.

[٥٠٣] وقال آخر[1]:

١ ـ إذَا كُنْتَ لاَ يُسْلِيكَ عَمَّا تَوَدّهُ تَنَاءٍ ولاَ يَشْفِيكَ طُولُ تَلاَقِ[2]

٢ ـ فَهَلْ أنْتَ إلاَّ مُسْتَعِيرٌ حُشَاشَةً لِمُهْجَةِ نَفْسٍ آذَنَتْ بِفِرَاقِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

المُهْجَة: خالصة النفس، ومنه لبن أَمهجان، والحشاشة: روح القلب ورمق من حياة النفس.

[٥٠٤] وقال عبد الله بن الدُّمَينَةِ[3] الخَثْعَمِيّ:

١ ـ ألاَ يا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجْتِ مِنْ نَجْدِ؟ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا على وَجْدِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

الصَّبا: القَبُول، و«متى هِجْتِ» أي: ثرتِ واهتجتِ، يقال: صَبَتِ الرّيح تَصْبُو صُبُوًّا، وهم يخاطبون الرّيح والبرق إذا كان من نحو أرض المحبوب.

٢ ـ أَأَنْ هَتَفَتْ وَرْقَاءُ في رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنٍ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ

يقول: أَلأنْ صاحَتْ حمامةٌ ورقاءُ في أوّل الضّحى بكيتَ.

٣ ـ بَكَيْتَ كما يَبْكِي الوَلِيدُ ولَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وأَبْدَيْتَ الَّذي لَمْ تَكنْ تُبْدِي

أي: بكيتَ بكاءَ الصَّبيّ إذا أعياه مطلوبه.

٤ ـ وقَدْ زَعَمُوا أنَّ المُحِبَّ إذَا دَنا يَمَلُّ وأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الوَجْدِ

٥ ـ بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ ما بِنَا عَلَى ذَاكَ قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

أي: زَعَمَ الناس أنَّ الاستكثارَ من المحبوب والتّداني منه يُكْسِب المُحبّ مَلالاً، والتنائي عنه يُحدِث سُلُوًّا، وقد تداوينا بكلٍّ واحد من ذلك فلم ينجعْ، إلاّ أنه على الأحوال كلّها وجدتُ قربَ الدّارِ منه خيرًا من بُعْدِها عنه.

٦ ـ عَلَى أنَّ قُرْبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إذَا كَانَ مَنْ تَهْواهُ لَيْسَ بِذِي عَهْدِ

أي: لا يبقى على ما عُهِدَ عليه.

---

(١) البيتان في الحماسة البصرية ٢/ ١٣٦؛ والوافي ٢٢/ ٣٧٤ لِعُلَيَّة بنت المهدي، وهما في ديوان العباس بن الأحنف ص ٢٠٣.

(٢) في جميع الروايات «عَمَّن تَوَدّهُ».

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٧).

[٥٠٥] وقال آخر[١]:

١ ـ إذا ما شِئْتَ أَنْ تَسْلَى خَلِيلاً فأَكْثِرْ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيالِي

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

٢ ـ فَمَا سَلَّى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَأْيٍ وَلاَ بَلَّى جَدِيدَكَ كابْتِذالِ

يقال: تَسَلَّيْتُ بمعنى سَلَوْتُ، ويقال في معناه سَلِيتُ، قال: [الرجز]

لَوْ أَشْرَبُ السُّلْوَانَ مَا سَلِيتُ[٢]

[٥٠٦] وقال آخر[٣]:

١ ـ أَلاَ طَرَقَتْنَا آخِرَ اللَّيلِ زَيْنَبُ عَلَيكِ سَلاَمٌ هَلْ لِمَا فَاتَ مَطْلَبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: أتتنا هذه المرأة سَحَرًا فقلت مُسَلِّمًا عليها: عليكِ سلامُ الله، هل لما فاتَ من أيام الوِصالِ مطلبٌ لي فأسأله؟ وقيل: إن المراد بآخر اللَّيل آخر أيام الشَّباب، وعلى هذا الوجه يُروى «عَلَيْكَ سلام» بفتح الكاف، وجعل الخطاب من المرأة للرجل، ويقول: إنّما حَيَّتْهُ بتحيّة الموتى لِتَوَلِّي أيامه، وقوله «هل لِمَا فات مطلب» كأنها أنكرت التعرّضَ لها وقد فاته الشباب، والوجه الأوّل هو الوجه.

٢ ـ وقالَتْ تَجَنَّبْنَا ولاَ تَقْرَبَنَّنا وكَيفَ وأَنْتُمْ حاجَتي أَتَجَنَّبُ

أي: قالت مجيبةً: جانِبْنا ولا تَدْنونَّ منّا وأنتم مُنايَ في الدنيا.

٣ ـ يَقُولُونَ: هَلْ بَعدَ الثَّلاثينَ مَلْعَبٌ فَقُلْتُ: وهَلْ قَبْلَ الثَّلاثِينَ مَلْعَبُ

يريد: عَيَّروني الصّبا بعد تقضّي الثلاثين من أيام عمري، فقلت: وهل قبل الثلاثين ملعب؟ أي: مَنْ عَدَّ ما دون الثلاثين فهو في عِدَادِ الصّبيان لا يعرف اللَّذَّات، ويجوز أن يكون المراد وهل يسهلُ لي قبل الثلاثين شَيء من مَبَاغي اللَّهو فينكر مني طلبي إيّاه بعده.

---

(١) في الحماسة البصرية ٢/ ٢١٩ لزهير بن جناب.

(٢) في اللسان (سلا) لرؤبة بن العجاج:

مسلم لا أنساكَ ما حَيِيتُ
لو أشربُ السُّلْوَان ما سَلِيتُ
ما بي غِنًى عنكَ وإن غنيتُ

(٣) البيتان الأول والثاني ليزيد بن مفرغ الحميري وقد وردا في الأغاني ١٨/ ٢٧٠. والبيتان الثالث والرابع رُوِيَا منفصلين في ديوان الحماسة برواية الجواليقي وقد نسبهما إلى أشجع السلميّ وهما في عيون الأخبار بلا عزو.

٤ ـ لَقَدْ جَلَّ خَطْبُ الشَّيْبِ أَنْ كان كُلَّما بَدَتْ شَيْبَةٌ يَعْرَى مِنَ اللَّهْوِ مَرْكَبُ

«لقد جَلَّ» جواب يمين مُضْمَرة، ولكَ أن تفتحَ الهمزة وأن تكسرها من قوله «إن كان كلّما» فإذا كسرتها كانت الشرطية والجواب قوله «لقد جَلَّ» و«كلَّما» في موضع الظرف.

[٥٠٧] وقال كثير[1]:

١ ـ وأَدْنَيْتِني حَتَّى إذا مَا مَلَكْتِني بِقَوْلٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأَبَاطِحِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

٢ ـ تَنَاهَيْتِ عَنِّي حِينَ لاَ لِيَ حِيلَةٌ وغَادَرْتِ ما غَادَرْتِ بَيْنَ الجَوَانِحِ

العُصْم: جمع أعصم وعَصْمَاء، وهي الوُعُول الجبلية التي في قوائمها بياضٌ، وجواب «إذا» تناهيتِ عني، يقول: كَلَّمتني بكلام يسهل العسير ويقرب البعيد فلما خَلَبْتِ عقلي كَفَفْتِ عنّي وتباعدتِ مني.

ويُحْكَى عن أبي عمرو بن العلاء أنّه قال: كنت مع جرير، وهو يريد الشّام، فطَرِبَ، فقال: أنشدني لأخي بني مليح، يعني كثيرًا، فأنشدته «وأدنيتني حتى إذا ما ملكتني ـ الأبيات» فقال جرير: لولا أنه لا يَحْسُنُ بشيخ مثلي النخير لنخرتُ حتى يسمعَ هشام على سريره، ومثله قول الآخر: [الطويل]

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسَتُّرًا وَشِيبَ بِقولِ الحقِّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الحِلْم مُرْتَابٌ وذو الجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الفَحْشَاءِ حِيدٌ نَوَاكِلُ
كَوَاسٍ عَوَارٍ صَامِتَات نَوَاطِق بِعَفِّ الكَلاَمِ بَاذِلاَتٌ بَوَاخِلُ

[٥٠٨] وقال[2] آخر:

١ ـ تَعَرَّضْنَ مَرْمَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَنَا مِنَ النَّبْلِ لاَ بِالطَّائِشَاتِ الخَوَاطِفِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «مَرْمَى الصَّيْدِ» موضعه نصب على الظَّرف: أي تَعَرَّضْنَ لنا وبيننا وبينهنّ غَلْوَةُ سَهْم فِعْلَ المُتَعَرِّضِ لِلصَّيد إذا أراد رَمْيَهُ، ويُرَادُ بالصَّيْد المَصِيدُ، كما يُرادُ بِالخَلْق المخلوق، وقوله «ثم رميننا من النَّبْل» يريد ثم نظرنَ إلينا وعَرَضن محاسِنَهُنَّ علينا وتِلْكَ نِبالهنَّ التي لا تطيشُ: أي لا تَخِفُّ ولا تخطفُ، والخاطف من السّهام: الذي يقعُ على الأرض ثم

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٩٤) والبيتان نُسِبا في الأغاني ٢/ ١٤ إلى المجنون.
(٢) ورد في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير».

يحبو إلى الهدف، كأنه يتخطّفُ من الأرض شيئًا، ومفعول «رمينا» الثاني محذوف، كأنه قال: رمينا بالصّائبات النّاقرات لا بِالطّائشات، والنّاقر: الذي ينقر الهدف.

٢ - ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلاَ دَمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلاتِ الضَّعَائِفِ

«بلا دمٍ» يريد بِلا تِرَةٍ ولا ذَحْل، والضَّعف الذي أشار إليه يريد في الخِلقة والخُلُق: أي يضعفنَ عن الرّجال كَيْدًا وفِعلاً، وقوله «فيا عجبًا» يجوز أن يكون على طريق النّدبة، ويكون منادى مفردًا أُلْحِقَ به الألف ليمتدَّ به الصوت، ويجوز أن يكون منادى مضافًا ففرَّ من الكسرة وبعدها ياء فانقلبت ألفًا، واللاّم من قوله «لِلقاتلات» هي التي تفسّرُ بأنّها لام العِلّة، كأنه عَلَّلَ تعجّبه بقوله للقاتلات، وارتفعَ «ضعائف» على أنه خبر مبتدأ محذوف.

٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلْهًى فِي التِّلادِ وَلَمْ يَقُدْ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيادِ الطَّرَائِفِ

التِّلاَد: ما قَدُمَ مِلْكُهُ، والطَّرائف: المُسْتَحْدَثَات، وهذا كقولهم «لكلِّ جديد لَذَّة» وما أشبهه، وقادَ واقتادَ بمعنى واحد؛ والمَلْهى كما يجوز أن يُراد به الحَدَث وهو اللَّهو يجوز أن يُراد به موضع الحدث ووقته.

[٥٠٩] وقال آخر[١]:

١ - لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا العُلاَ لأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «يُهدى» يجوز أن يكون من الإهداء، وهو الإتحاف، ويجوز أن يكون من الهِدَاء، وهو الزِّفاف، والعُلا: الأعالي من الأسنان، وهي موضع القُبَل، وعنى بِبَرْدِ الأسنانِ عُذُوبة الرُّضَاب عند المَذَاق، و«فقير» فعيل بناء للمبالغة، ولا سيّما إذا أُطْلِقَ إطلاقًا؛ ومعناه: إنْ كان يُهْدَى بَرْدُ أسنانِها لمَن هو أفقر منّي إليها فإنّني الفقير مطلقًا: أي لا غايةَ وراء فقري، وممّا يجري مجرى فقير إذا أطلق قولهم «سقيم»؛ ألاَ ترى قول الآخر: [الطويل]

لَئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بِمَاءِ مُوَيْسِلٍ بَغَانِيَ دَاءً إِنَّنِي لَسَقِيمُ[٢]

يريد المتناهي في السَّقَم، وقوله «أفقر» كأنّه بناه على فقر المرفوض في الاستعمال؛ ولكَ أن تقول: بُنِيَ من افتقر على حذف الزوائد، كما جاء «ريحٌ لاقحٌ»: أي ملقحٌ، وإنما قلت هذا لأنَّ حكم فقير أن يكون فعله على فقر ولم يَجِىءْ منه إلاَّ افتقر، وشرط فعل التعجّب وما يتبعه من بناء التفضيل أن لا يجيء إلاَّ من الثلاثي في الأكثر، وما كان

(١) هو عبد الله بن الدمينة، ديوانه ص ٢٥.

(٢) البيت لواقد بن الغطريف الطائي أو زيادة بن بحدل الطريفي الطائي كما في معجم البلدان ٨/ ٢٠٣.

على أفعَلَ خاصة، وإذا كان كذا فأفقر لا يصحُّ أن يكونَ مَبْنِيًّا على افتقرَ إلاَّ على حذف الزوائد كما تقدَّم، والوجه أن يكون مبنيًّا على فقر المرفوض استعماله.

٢ ـ فَمَا أكْثَرَ الأَخْبَارَ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِّي بِالطَّلاَقِ بَشِيرُ

«أن تزوَّجَتْ» أراد بأن تزوَّجت، وحذفُ الجار مع «أنْ» كثير، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار، والأخبار: جمع خبر، ووضع خبرًا ـ وهو مصدر ـ موضع الإخبار، كما توضعُ الطَّاعة موضع الإطاعة، ثم عَدَّاه، وهو مجموع، ومثله: [الطويل]

مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ(١)

ألا ترى أنه انتصبَ «أخاه» عن جمع، ومعناه كَثُرَ في أفواه النَّاس الإخبار بِتَزوّجها واشتغالها ببعلِها عن غيره فهل يَأْتِيَنِّي مُبَشِّرٌ بتطليقها، وهذا ليس باستفهام وإنّما هو تَمَنٍّ.

[٥١٠] وقال آخر(٢):

١ ـ يُقِرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى رَمْلَةَ الغَضَى إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لِعَيْنِي قِلاَلُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «يُقِرُّ بعيني» هذه الباء تُزاد، و«أَنْ أرى رملةَ الغضى» في موضع الفاعل لِيقرّ، والقِلال: جمع قُلّة، وهي أعلى الجبل، يقول: إذا بَدَتْ يومًا لِعيني قلال الغضى فَقُرَّةُ عيني في أَنْ أرى رِمالَها.

٢ ـ وَلَسْتُ وَإِنْ أَحْبَبْتُ مَنْ يَسْكُنُ الغَضَى بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لاَ يَنَالُهَا

معناه أنّه كان بين أهل الغَضى وبين قومه عداوة أو حالة مانعة من المواصلة، فلذلك قال ما قال.

[٥١١] وقال آخر(٣):

١ ـ سَلِي البَانَةَ الغَيْنَاءَ بِالأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ البَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلاَلَ دَارِكِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«سَلِي» أصله اَسْأَلي، فحُذِفَت الهمزة تخفيفًا، وأُلقِيَتْ حركتها على السِّين، فصار اَسَلِي، ثم استُغنيَ عن همزة الوصل لتحرّك ما بعدها فحُذِفَتْ، فصارت سَلي، وهذا كما

---

(١) هذا عجز بيت للأشجعي كما في أمثال الميداني «مواعيد عرقوب»، وصدره: «وَعَدْتِ، وكان الخُلْفُ مِنكِ سَجِيَّةً».

(٢) في الزهرة ١/ ٣٨٠ لأبي القمقام، وفي معجم البلدان ٦/ ٢٩٥ لأحد الأعراب.

(٣) الأبيات لعبد الله بن الدُّمينة في ديوانه ص ١٥ ومطلعها:

قفي يا أُميم القلب نقضِ لُبَانةً ونشكُ الهوى ثم افعلي ما بَدَا لكِ

تقول في الأحمر: لَحْمَر، ويُروى «البانة الغنَّاء» والغنَّاء: الملتفّة الكثيرة الورق والأغصان، فإذا ضربَتها الرّيح غنَّتْ، قال الشّاعر: [الخفيف]

لِلثَّرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَلِلْمَا ءِ خَرِيرٌ وَلِلْغُصُونِ غِنَاءُ

والأجرع من الأماكن: السَّهل المختلط بالرَّمْل، والغَيْناء: هي العظيمة الواسعة الظِّلّ من قولهم «غَانَ عليه كذا» إذا سَترهُ وبه سُمِّيَ السَّحاب الغَيْن، وإنّما قال «الذي به البانُ» لأنه كان منبته، واستشهدَ بالبان على أنه هل قضى حقّ منزل الأحبة لمّا وقفَ عليه وهل حَيَّا أطلالَه تحيّة المتقرِّب إليها.

٢ - وهلْ قُمْتُ في أَظْلالِهِنَّ عَشِيَّةً مَقَامَ أَخِي البَأْسَاءِ واخْتَرْتُ ذٰلِكِ

«البأساء» هنا: الفقر، أي قمتُ فيه مقام الفقير المحتاج إلى عطفك.

٣ - وهَلْ حَمَلَتْ عَيْنَايَ في الدَّار غُدْوَةً بِدَمْعٍ كَنَظْمِ اللُّؤلُؤِ المُتَهَالِكِ(١)

٤ - أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ، وَإِنَّمَا رَبِيعِي الَّذِي أَرْجُو نَوالُ وِصَالِكِ

٥ - أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السِّنِينَ، وإنّما سِنِيَّ الّتي أَخْشَى صُروفُ ٱحْتِمالِكِ

٦ - لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ

٧ - لِيَهْنِكِ إمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الحَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

انتصب «رهبةً» على أنه مفعول له، والزِّيال: مصدر زايل، ومثل قوله «لِيَهْنِكِ إمساكي» قولُ الآخر: [السريع]

يَرْفَعُ يُمْنَاهُ إلى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الكَبِدِ اليُسْرَى

[٥١٢] وقال آخر(٢):

١ - تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ، وَلا تَكُنْ عَلَيْكَ شَجًا في الحَلْقِ حِينَ تَبِينُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

يَصِفُ النّساءَ وأخلاقهنَّ في الانقياد، يقول: عليك بالاستمتاع بهنّ مدّة انقيادِهِنَّ وإسعافهنَّ بالمراد من جهتهنَّ.

٢ - وإنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللِّيَانَ فَإِنَّهَا لِغَيْرِكَ مِنْ خُلاَّنِهَا سَتَلِينُ

مثله قول بشّار: [الكامل]

لاَ يُؤْيِسَنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وَإنْ جَرَحَا(٣)

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «هَمَلَتْ».
(٢) الأبيات في ديوان قيس بن ذريح ص ١٢٠ (دار الكتاب العربي، تح د. إميل يعقوب).
(٣) عند المرزوقي «من مُخبَّأةٍ».

عُسْرُ النِّسَاءِ إلَى مُيَاسَرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمْكِنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

ومثله: [الكامل]

إنَّ النِّسَاءَ وَإنْ ذُكِرْنَ بِعِفَّةٍ فِيمَا يُظَاهَرُ فِي الأُمُورِ وَيُكْتَمُ

لَحْمٌ أَطَافَ بِهِ سِبَاعٌ جُوَّعٌ مَا لاَ يُذَادُ فَإِنَّهُ يُتَقَسَّمُ

اليَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِغَيْرِكَ كَفُّهَا وَالمِعْصَمُ

كَالخَانِ تَسْكُنُهُ وَتَرْحَلُ غَادِيًا وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لاَ تَعْلَمُ

٣ ـ وإنْ حَلَفَتْ لا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ

[٥١٣] وقال آخر(١):

وقيل: هو عتيبة بن مرداس.

١ ـ قَلِيلَةُ لَحْمِ النَّاظِرَيْنِ يَزِينُهَا شَبَابٌ ومَخْفوضٌ مِنَ العَيْشِ بَارِدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

النَّاظران: عِرْقَان في مَدْمَع العينين، يَصِفُها بأنها ليستْ بِجَهْمَةِ الوجه، لكنها أسيلة الخدِّ، ويَزِينُها شبابٌ مُقْتَبَلٌ ورفاهةٌ من العيش ودَعَةٌ، ويقال: عيشٌ خَفْضٌ، وخَفَضْتُ عيشَه فهو مخفوضٌ، والبارد: الثّابت، يقال: بَرَدَ على فلانٍ حقٌّ: أي ثَبَتَ.

٢ ـ أَرادَتْ لِتَنْتَاشَ الرِّوَاقَ فَلَمْ تَقُمْ إلَيْهِ ولَكِنْ طَأْطَأَتْهُ الوَلاَئِدُ

الانتياش: التناول، يصفها بأنها مُخَدَّمَة لا تبتذلُ نفسَها في مهنةٍ، والرِّوَاق: ما مُدَّ مع البيت من ستارة، والطَّأطأة: خَفْضُ الرَّأْسِ وغيره عن الاشتراف، ويقال للفارس إذا ضبط فرسَه بفخذيه ثم حَرَّكه لِلحُضْر: طأطأ فرسَه.

٣ ـ تَنَاهَى إلَى لَهْوِ الحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقْطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ العَوَائِدُ

أراد أنها تميل في كلِّ أحوالها إلى اللَّهو، إذ كان ما عدا اللَّهو قد كُفِيَتْ، فهي مُنَعَّمَة لا تعلّل إلاّ بِاللّعِبِ فكأنّها عليلٌ يُتَرَفْرَفُ عليه ويُشْفَقُ حتى يترك لا يهمّه شيء.

[٥١٤] وقال توْبَة بن الحُمَيِّر(٢):

قال أبو الفتح: دخول اللاّم على «الحميّر» علمًا أمْثَلُ منه في دخوله على الثعلب،

---

(١) عند المرزوقي «العبّاس بن مرداس» وقد وردت الأبيات في ديوانه ص ١٧٠ (مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٩١).

(٢) توبة بن الحُمَيِّر: شاعر من عُشّاق العرب المشهورين، كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها (ت ٧٥ هـ/ ٧٠٤ م)، ترجمته في: (فوات الوفيات ١/ ٩٥؛ والشعر والشعراء ص ١٦٩).

وذلك أن التحقير ضربٌ من الوصف يلحقُ الكلمة، وكذلك دخول التحقير في الأفعال من حيث كانت الأفعال لا تُوصَفُ، وإنّما لم يوصف الفعل مخافة انتقاض الحال به عن سابقة وضعه، وذلك أن الفعل هو المفاد، وإنما يُفاد من حيث كان منكورًا أبدًا، والوصف يُكسِب الموصوف ضربًا من الاختصاص، والفعل في غاية البُعد عن الاختصاص فلم يُلاَقِهِ الوصف ولا ما هو في حكم الوصف معنى، أَلاَ تراك تجد معنى «رُجَيْل» إنما هو رجل صغير، ولذلك لحقت التّاء في تحقير المؤنث الثلاثي غير ذي التاء، نحو هند وَجُمْلٍ وقِدْر وشَمْس، إذا قلت: هُنَيْدة وجُمَيْلة وَقُدَيْرة وَشُمَيْسة، من حيث كنت لو وصفت لقلتَ: هند الصغيرة وقدر صغيرة، فإذا ثبتَ أنَّ التحقيرَ ضربٌ من الوصف في المعنى كان لحاق اللاّم في «الحمير» نحو لحاقها في الصغير، فيكون اللاّم فيه مع تعريفه مثلها في الوليد ونحوه، وليس كذلك الثعلب؛ لأنه لا تحقير فيه فيضارع به الصفة، وإنما باب لحاق اللاّم في العلم الوصف نحو الحارث والعَبَّاس، ولولا ما في الثعلب من معنى النكر والخبث لما لحقه اللاّم وهو عَلَم فاعرفه.

١ - ولَوْ أَنَّ لَيلَى الأَخْيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي تُرْبَةٌ وصَفَائِحُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الصَّفَائح: الحجارة العِراض تكون على القبور.

٢ - لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْ زَقا إِلَيهَا صَدًى مِنْ جَانِبِ القَبْرِ صَائِحُ

«الصَّدَى» على زعمهم أنَّ عظام الموتى تصيرُ هَامًا وأصداء، وزَقَا: صاح.

٣ - وأُغْبَطُ مِنْ لَيلَى بِمَا لا أَنَالُهُ أَلاَ كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ العَيْنُ صَالِحُ

يقول: أنا مَرْمُوقٌ محسودٌ منذ عُرِفْتُ بليلى وإن لم أنلْ منها مطلوبًا، وقوله «أَلاَ كُلُّ ما قَرَّتْ به العينُ صالح» يريد أني قرير العين بأنْ أُذْكَرَ بها، وهذا القدر نافع لي.

[٥١٥] وقال آخر:

١ - فإنْ تَمْنَعُوا لَيلَى وحُسْنَ حَدِيثِهَا فلَنْ تَمْنَعُوا مِنِّي البُكَا والقَوَافِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: إنْ حُلْتم بيني وبين ليلى والتَّأَنُّس بحديثها فإنّكم لا تقدرون على منع ما أنا بصدده من البكاء لها وجدًا لها.

٢ - فَهَلاَّ مَنَعْتُمْ - إذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثَهَا - خَيَالاً يُوَافِينِي عَلَى النَّادِي هَادِيَا[1]

(١) عند المرزوقي: «على النَّأْيِ هاديا».

يقول: إذ قد منعتم حديثَها والدّنوَّ منها فهلاّ منعتم خيالاً عارفًا بالطريق على البعد بيني وبينها يزورني في المنام، وهذا إعلامٌ أنَّ العهد بينهما مَرْعِيٌّ بدلالة أنه لو استجفاها لامتنعَ خيالها لِزَوال نومه وذهاب هُدُوِّهِ، ألاَ ترى الآخر يقول: [الوافر]

وَكَـانَ يَـزُورُنِـي مِـنْـهُ خَـيَـالٌ فَـلَـمَّـا أنْ جَـفَـا مَـنَـعَ الـخَـيَـالاَ

[٥١٦] وقال نُصَيب[1]:

١ ـ كـأَنَّ الـقَـلْـبَ لَـيْـلَـةَ قِـيـلَ يُـغْـدَى بِـلَـيْـلَـى الـعَـامِـرِيَّـةِ أَوْ يُـرَاحُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

٢ ـ قَـطَـاةٌ عَـزَّهَـا شَـرَكٌ فَـبَـاتَـتْ تُـجَـاذِبُـهُ وَقَـدْ عَـلِـقَ الـجَـنَـاحُ

يقول: لمّا أحسستُ باللّيلة التي هَمَّتْ بوقوع الفراق في صَبيحتها، أو في وقت الرَّوَاح من غَدِهَا؛ صار قلبي في الخفقان كَقَطَاة وقعتْ في شَرَكٍ يحبسها فبقيت ليلتها تجاذبه والجناحُ عَلِقٌ لا مُتَخَلَّصَ له، وارتفع «قطاة» على أنه خبر كأنَّ، و«عَزَّها» في موضع الصِّفة لِقَطَاة، يريد غلبها، وانتصب «ليلة» على الظرف مما دلَّ عليه «كأنَّ القلبَ» من التشبيه، ولا يجوز أن يكون ظرفًا لِقيل؛ لأن ما بعده مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وقوله «تجاذبه» المفاعلة تكون في الأكثر من اثنين، وإنّما جاز ذلك لأنه جعل منع الشَّرَك للقَطاة من التخلّص جَذْبًا منه.

٣ ـ لَـهَـا فَـرْخَـانِ قَـدْ تُـرِكَـا بِـوَكْـرٍ فَـعُـشُّـهُـمَـا تُـصَـفِّـقُـهُ الـرِّيَـاحُ

٤ ـ إذا سَـمِـعَـا هُـبُـوبَ الـرِّيـحِ نَـصَّـا وَقَـدْ أَوْدَى بِـهِ الـقَـدَرُ الـمُـتَـاحُ

«نَصَّا» أي: نصبا أعناقهما، قال الشّاعر يصف ظبيةً وولدها: [المنسرح]

تَـقْـرُو بِـهِ فِـلَّ كُـلِّ هَـاجِـرَةٍ عوهـج رَمْـلٍ وَالـضَّـالَ والـسَّـلَـمَا

إذَا أَحَـسَّـتْ مِـنْ نَـبْـأةٍ خَـبَـرًا نَـصَّـتْ لَـهُ الـجِـيـدَ أَوْدَعَـتْـهُ بِـمَا

٥ ـ فَـلاَ فِـي الـلَّـيْـلِ نَـالَـتْ مَـا تُـرَجِّـي وَلاَ فِـي الـصُّـبْـحِ كَـانَ لَـهَـا بَـرَاحُ

[٥١٧] وقال أبو حَيَّة النُّمَيْرِيّ[2]:

يجوز أن يكون كُنِّيَ بواحد الحيَّات، ويجوز أن يكون كُنِّيَ بحيَّة تأنيث حيّ، من

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٩٦). على أن الشعر نُسِبَ إلى المجنون في الأغاني ٢/٣؛ والأمالي ٢/٦١؛ والموشّح ص ٢٥٠؛ وهو في ديوانه ص ١١٣؛ ولقيس بن ذريح كما في الحماسة البصرية ٥/١١٥؛ وديوان المعاني ١/٢٧٠.

(٢) أبو حَيَّة النميريّ: هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. (ت نحو ١٨٣ هـ/ ٨٠٠ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ٢٩٩؛ وخزانة البغدادي ٣/١٥٤؛ والآمدي ص ١٠٣).

قولهم: رجل حيّ، وامرأة حَيّة، فحيّة في هذا كعائشة، وحيّ منه كمُعَمَّر، ويجوز أن يكون من حَيِيتُ مثل عَيِيتُ في المنطق عَيَّةً واحدةً، ويجوز أن يكون المرة الواحدة من حَوَيْتُ، وأصله على هذا حَوْيَة، فغيرت، كطَوَيْتُ طَيَّةً، ولو نسبت على هذا لقلت: حَوَوِيّ.

١ - رَمَتْني وسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وبَيْنَهَا ونَحْنُ بِأَكْنَافِ الحِجَازِ رَمِيمُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

أراد بستر الله الإسلام، وقيل: الشّيب، وقيل: إنّها حسناء ترميني ولا يرميها مثلي، رميم: اسم امرأة، وارتفع لأنها فاعلة، وقد بُنِيَ على رمتني بسهم ونحن مقيمون بأكناف الحجاز والإسلام حاجز بيني وبينها، ومثله قول الهذليّ: [الطويل]

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ولكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ

وَعَادَ الفَتَى كالكَهْلِ لَيْسَ بِقَابلٍ سِوَى الحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ العَوَاذِلُ(١)

كنّى عن الإسلام في منعه عن القبائح وأنواع الفحش والظّلم بالسّلاسل، ويُروَى «عشية آرام الكِناس رميم» آرام: جمع إرم، وهو العَلَم، والكناس: موضع.

٢ - فَلَوْ أَنَّهَا لَمَّا رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ولَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

جواب لو محذوف، والمراد لو تَعرَّضْتُ لها لَكَانَ القدر يجري إلى القدر، ولكني قد شختُ وكبرتُ فعهدي بمناضلة النساء قديم.

[٥١٨] وقال آخر(٢):

١ - أَسِجْنًا وَقَيْدًا واشْتِيَاقًا وَغُرْبَةً وَنَأْيَ حَبِيبٍ؟ إنَّ ذا لَعَظِيمُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

انتصبَ «سجنًا» بإضمار فعل، كأنه قال: أتجمعُ عليَّ حَبْسًا وتقييدًا واشتياقًا، ويُروَى «أسجنٌ وقيدٌ» بالرفع: أي أتجتمع هذه الأشياء؛ على طريق التفظيع والتهويل.

٢ - وإنَّ أمْرَءًا دَامَتْ مَواثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا قَاسَيْتُهُ لَكَرِيمُ

[٥١٩] وقال آخر(٣):

١ - رَعَاكِ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ولَلَّهُ عَنْ يُشْقِيك أَغْنَى وَأَوْسَعُ

---

(١) البيتان لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليّين ٢/ ١٥٠؛ والأغاني ٢١/ ٤١.

(٢) البيتان في البيان ٤/ ٦٢ لأحد الأعراب؛ وفي الحيوان ٦/ ١٥٩ نسبا إلى بعض اللصوص؛ وفي الزهرة ١/ ٤٦٩ بلا عزو.

(٣) البيتان في الحيوان ٧/ ١٤٨ لأعرابيّ من هذيل؛ وفي البيان ٣/ ٣٣٠ لأعرابي؛ وفي الحماسة البصرية ٢/ ٢٢٢ بلا عزو.

قوله «ولله عن يشقيك» يحتمل وجهين: أحدهما عن أن يشقيك، والثاني أن تكون العين مبدلة مِنْ همزة أنْ، لأنَّ بعض العرب يفعل ذلك بكل همزة مفتوحة، فينشدون قول ذي الرّمّة: [البسيط]

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاء مَنْزِلَةً ... مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ[1]

وقال المرزوقي في تفسير هذا البيت: أشار بقوله «ضمان الله» إلى ما في القرآن، من قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[2] فقال: أنا أدعو بأن يسقيكِ الله يا أُمَّ مالك، وقد ضَمِنَ الإجابةَ لِلدّاعي فرعاك الله، وحذف حرف الجار من قوله «ولله بِأنْ يسْقيكِ أغنى» أي: أظهر غِنًى وأوسع قدرةً، وكأنَّ روايته يسقيك من السّقيا، وسَكَّنَ الياء للضرورة.

٢ ـ يُذَكِّرُنِيكِ الخَيْرُ وَالشَّرُّ والَّذِي ... أَخَافُ وأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات.

[٥٢٠] وقال الحَكَم الخُضْرِيّ[3]:

منسوب إلى الخُضْرِ، وهم من بني محارب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان.

١ ـ تَسَاهَمَ ثَوْبَاهَا فَفِي الدِّرْعِ رَأْدَةٌ ... وَفِي المِرْطِ لَفَّاوَانِ رِدْفُهُمَا عَبْلُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

معنى «تساهمَ» تقاسمَ، ولذلك قيل: سُهْمَةُ فلانٍ من هذا كذا: أي قسمته ونصيبه، ويجوز أن يكون أصله من السِّهَام القِدَاح التي تُجَالُ بين الخصوم إذا تقارعوا ليستبدَّ كلٌّ بما يخرُج له لِقسمته، يقول: انقسمَ جسمُ هذه المرأة بين درعها وإزارها، ففي الدِّرع بدنٌ ناعم وخصر دقيق، وفي مِرْطِها فَخِذَان غليظتان عليهما رِدْف عَبْلٌ، وهو الضَّخم، والرَّأْدَةُ والرُّؤْدَةُ: النّاعمة، واللَّفَّاءُ: الكثيرة اللَّحم.

٢ ـ فَوَاللَّهِ لاَ أَدْرِي أَزِيدَتْ مَلاَحَةً ... وَحُسْنًا عَلَى النِّسْوَانِ أَمْ لَيسَ لي عَقْلُ

---

(١) البيت في ديوانه ص ٣٧١؛ وجمهرة اللغة ص ٧٢٠؛ والجنى الداني ص ٢٥٠؛ والخصائص ٢/ ١١؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٧٢٢؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٤٣٧؛ وشرح المفصّل ٨/ ٧٩؛ ولسان العرب (رسم، وعنن، وعين)؛ ومجالس ثعلب ١٠١؛ ومغني اللبيب ١/ ١٤٩).

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) الحكم الخُضْرِيّ: هو الحكم بن معمر بن قنبر الخضريّ، شاعر من خُضر محارب، كان معاصرًا لابن ميّادة، وعَدَّه الأصمعيّ من طبقته (ت نحو ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م). ترجمته في: (سمط اللآلي ص ١٦؛ ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٤٠؛ والأغاني ٢/ ٩٤).

[٥٢١] وقال آخر:

١ - أَرُوحُ ولَـمْ أُحْـدِثْ لِـلَـيْـلَـى زِيـارَةً ... لَـبِـئْـسَ إذًا رَاعِـي الـمَـوَدَّةِ والـوَصْـلِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

كأنَّ مَنْ صحبه من أهله استعجلوه عن زيارة ليلى؛ فيقول مُنْكِرًا: أَأَروحُ من غير أنْ أقضي حَقَّها أو أُجَدِّدَ الإلمامَ بها، لَبِئْسَ راعي المودّة والمواصلة أنا، فحذف مذموم بِئْسَ؛ لأن المراد مفهومٌ، ومثله ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1] أي: نِعْمَ العبدُ أيُّوب، و«إذًا» جواب وجزاء، وكأنه حَشَا به الكلام لِيعلمَ أنَّ ما يقوله جواب لما سِيمَ، واللاّم من «لَبِئْسَ» لام الابتداء، وارتفع «راعي المودّة» به.

٢ - تُـرَابٌ لأَهْـلِـي لا ولاَ نِـعْـمَـةٌ لَـهُـمْ ... لَـشَـدَّ إذًا مـا قَـدْ تَـعَـبَّـدَنِـي أَهْـلِـي

هذا دعاء عليهم، وجاز الابتداء بقوله «تراب» وهو نكرة لأن الدعاء منه مفهوم، ومثله قوله: [الطويل]

فَـتُـرْبٌ لأَفْـوَاهِ الـوُشَـاةِ وَجَـنْـدَلُ[2]

وقوله «لا ولا نعمةٌ لهم» يجوز أن يكون المنفي بلا الأُولى حُذِفَ لما دَلَّ عليه الكلام، فكأنّه قال: لأَهلي الترابُ لا عِزٌّ لهم ولا نعمةٌ، ويجوز أن يكون «لا» رَدًّا لِمَا عرضوا عليه، وهذا كما يقال للإنسان افعلْ لفلان كذا وكذا، فيقول: لا ولا كرامة له، أي: لا أفعل ذلك ولا أُكرم مَنْ يَسُومُنِيه، ويقال: تَعَبَّدَه واستعبدَهُ بمعنى واحد، أي: استذَلَّه، و«شَدَّ مَا» كقولك «عَزَّ مَا» ويجوز أن يجري «شَدَّ ما» مجرى نِعْمَ وبِئْسَ.

[٥٢٢] وقال أبو دَهْبَل الجُمَحِيُّ[3]:

زعم بعض الناس أنَّ الدّهبل طائر، ويقال: دَهْبَلَ اللّقمةَ العظيمة، إذا ابتلعها.

١ - أَأَتْـرُكُ لَـيْـلَـى لَـيْـسَ بَـيْـنِـي وبَـيْـنَـهَـا ... سِـوَى لَـيْـلَـةٍ؟ إنِّـي إذًا لَـصَـبُـورُ

ثالث الطويل، والقافية متواتر.

---

(١) سورة صَ، الآية: ٣٠.

(٢) هذا عجز بيت بلا نسبة في الدّرر ٣/ ٧٧؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨٣؛ وشرح المفصّل ١/ ١٢٢؛ والكتاب ١/ ١٣٥؛ والمقتضب ٣/ ٢٢؛ وهمع الهوامع ١/ ١٩٤، وصدره: «لقد أَلَّبَ الواشون أَلْبًا لِبَيْنِهِمْ».

(٣) أبو دهبل الجمحيّ: هو وَهْب بن زمعة بن أسد، من أشراف بني جمح بن لؤي بن غالب، من قريش، وأحد الشعراء العشّاق المشهورين من أهل مكة. له أخبار كثيرة مع عمرة الجمحيّة وعاتكة بنت معاوية (ت ٦٣ هـ/ ٦٨٢ م). ترجمته في: (الأغاني ٧/ ١١٤؛ والشعر والشعراء ص ٢٣٥؛ وسمط اللآلي ٣/ ٨٨).

٢ ـ هَبُونِي امْرَءًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ   لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ

«هَبُوني» في معنى عُدُّوني واجعلوني، وهو أمرٌ من وَهَبَ يَهَبُ، وأصل الهِبَة العَطِيَّة على غير عوض، ثم اتُّسِعَ فيه حتى قالوا: وَهَبَني اللّهُ فِداكَ، أي جعلني، وهو راجع إلى المعنى الأول لأن المراد صَيَّرني الله عَطِيَّةً في فدائك، قال عقيبة الأسديّ: [الوافر]

فَهَبْهَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضَيَاعًا   يَزِيدُ يَسُوسُهُمْ وَأَبُو يَزِيدِ

وقوله «أَضَلَّ بعيرَه» في موضع الصّفة لامرءًا، وكذلك «له ذمّة» صفة أخرى، ويقال في الشّيء الزائل عن مكانه إذا فُقِدَ: أضللته، فإن ثبتَ في مكانه ولم تهتدِ إليه فقد ضَلَلْتَه، ومعنى «منكم» من خاصّتكم، وهو يفيدُ معنى الوصف أيضًا.

٣ ـ وَلَلصَّاحِبُ المَتْرُوكُ أَعْظَمُ حُرْمَةً   عَلى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ

المعنى: أَجْرُوني مُجْرَى رجلٍ منكم نَدَّ له بعيرٌ وله ذِمَامُ الصُّحْبَةِ إنَّ الذّمام حقّه كبير والرفيق أعظم حُرمة في صاحبه المتروك من ضلال بعير.

٤ ـ عَفَا اللّهُ عَنْ لَيْلَى الغَدَاةَ فَإِنَّها   إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُورُ

[٥٢٣] وقال[(١)] آخر في هذا الوزن:

١ ـ أآخِرُ شَيْءٍ أَنْتِ في كُلِّ هَجْعَةٍ   وأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هُبُوبي؟

قوله «في كل هَجْعَة» العامل فيه آخر، وكذلك «عند هُبُوبي» العامل فيه أوّل شيء، يقول: لا أخلو من ذكرك ساعة لأنّي إن نمتُ كان خيالك سميري وكذلك في اليقظة.

٢ ـ مَزِيدُكِ عِنْدِي أَنْ أَقِيكِ مِنَ الرَّدَى   وَوُدٌّ كَمَاءِ المُزْنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله «أن أقيكِ» في موضع خبر المبتدأ، وهو مزيدك، وانعطف عليه قوله «ودّ كماء المزن».

[٥٢٤] وقال آخر؛ والوزن كالذي قبله:

١ ـ ما أنْصَفَتْ زَلْفَاءُ: أَمَّا دُنُوُّهَا   فَهَجْرٌ، وأَمَّا نَأْيُها فَيَشُوقُ

يقول: جارتْ هذه المرأة عَليَّ في حكم الهوى ولم تنصفْ؛ لأني إن طلبت التّداني منها هجرتني، وإنْ رُمْتُ التّنائي منها شَوَّقتني، وقوله «أمّا دُنُوُّها فهجرٌ» المعنى أما في دنوّها فتهجر، ألاَ ترى أنه قال «وأما نأيُها فيشوق» كأنه قال: وأما في نأيها فتشوق، إلاّ أنه جعلهما منسوبين إلى دنوّها ونأيها.

٢ ـ تَبَاعَدُ مِمَّنْ وَاصَلَتْ وكَأَنَّها   لآخَرَ مِمَّنْ لاَ تَوَدُّ صَدِيقُ

---

(١) في أمالي القالي ٣/ ٧٠ لامرأة.

[٥٢٥] وقال حَفصُ العُلَيْمَيّ:

من جناب من كلب، ويقال: هم قريش كلاب.

١ - أَقُولُ لِحِلْمِي: لاَ تَزَعْنِي عَنِ الصِّبَا وَلِلشَّيْبِ لاَ تَذْعَرْ عَلَيَّ الغَوانِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: وَزَعَهُ يَزَعُهُ، إذا كَفَّهُ، ومنه الحديث «ما يزع السّلطان أكثر مما يزع القرآن» و«لا بدّ للناس من وزَعَة».

٢ - طَلَبْتُ الهَوَى الغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيِّهِ مَا كَفَانِيَا

يريد تَفَنَّنْتُ في الهوى فأنجد بي طورًا وغَارَ بي طورًا، إلى أن تناهيتُ وبلغتُ أقصى الغايات، وموضع «ما» من قوله «ما كفانيا» نَصْبٌ على المصدر، يريد سَيَّرْتُ في نَجْدِيِّه سَيْرًا كفاني، ومعنى سَيَّرْتُ أكثرتُ السَّيْرَ وكَرَّرته.

٣ - فَيَا رَبِّ إنْ لَمْ تَقْضِهَا لِي فَلاَ تَدَعْ قَذُورَ لَهُمْ واقْبِضْ قَذُورَ كَمَا هِيَا

موضع «كما هيا» نصب على الحال، و«ما» من قوله «كما» يجوز أن تكون بمعنى الذي، وتكون «هي» خبرًا لمبتدأ محذوف، كأنه قال: كالذي هو هي، ويجوز أن تكون «ما» كافَّةَ الكافَ عن عمل الجرّ، ويكون «هي» في موضع المبتدأ، والخبر محذوف، والمعنى أقبضها كما هي.

٤ - وَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ إنْ لَمْ أُلاقِهَا قَضَى بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ أَنْ لا تَلاَقِيَا

يريد يا قوم لَيْتَ، والمنادى محذوف، والكلام بعده تمنٍّ في أن لا يحصلَ الاجتماع بين متحابّين إن لم يرزقْ مِثله في صديقه، وقوله «أن لا تلاقيا» أنْ فيه مخفّفة من الثقيلة، والمعنى أنه لا تلاقي لنا، فخبر «لا» محذوف والجملة في موضع خبر أنْ، والضمير المقدّر ضمير الأمر والشّأن، وخبر أنَّ الله «قضى»، وقد حصل في الجملة جواب الشرط، وهو «إنْ لم أُلاقِها»، وخبر ليت.

[٥٢٦] وقال أبو بكر بن عبد الرحمٰن الزُّهريّ[1]:

١ - وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى أَنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النَّوْرِ حَالِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: طُلَّتِ الأرضُ فهي مطلولةٌ، والأنيقُ: المُعْجِبُ، يقال: آنَقَنِي الشَّيءُ أي أعجبني، ويقال: حَلِيَ بكذا وتَحَلَّى بكذا، بمعنى، والبستان فارسي معرّب وقد تكلّموا به

---

(١) سبقت له الحماسية رقم (٤٧٠).

قديمًا وجمعوه بساتين، وإذا أدخلوا على الأعجميّ الألف واللاّم صار عندهم كالعربي، قال الأعشى: [الخفيف]

يَهَبُ الجِلَّةَ الجَرَاجِرَ كالبُسْـ ... ـتَانِ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أطْفَالِ[1]

ومن لفظ البستان هذا الذي يقال له بست ولم يحك أحد من الثقات كلمة عن العرب مبنيّة من باء وسين وتاء، وجواب لَمَّا قوله:

٢ ـ أجَدَّ لَنَا طِيبُ المَكَانِ وحُسْنُه ... مُنًى فتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ الأمَانِيَا

[٥٢٧] وقال مَعْدَان بن المُضَرَّب الكِنْدِيُّ[2]:

١ ـ صَفَا وُدُّ لَيلَى مَا صَفَا ثُمَّ لَمْ نُطِعْ ... عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بهِ قِيلَ صَاحِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله: «وُدُّ ليلى» يجوز أن يكون الودّ مضافًا إلى المفعول، والمراد وُدّنا لليلى، فينتصب موضع قوله «ما صفا» لكونه ظرفًا، والمعنى صفا وُدُّنا لليلى مُدَّةَ بقائه خالصًا مما يشوبه ويفسده من طاعة عدوٍّ لها أو إصغاءٍ إلى قِيلِ ناصح يتنصّحُ فيها، ويجوز أن يكون صفا وُدُّنا لِليلى مدَّةَ صفاء ودّها لنا فحميناه من قدح الأعداء فيه والإصغاء إلى قول اللاّئمين، فإن قيل: كيف زعمت أن المعنى ما صفا ودّها لنا وقد ذكرتَ أنَّ الودَّ مضاف إلى المفعول؟ قلت: إن المضمرَ في الثاني هو ودّ ليلى، والمصدر كما يضاف إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضًا، واللّفظ لفظ واحد، وإذا كان كذلك صلح أن يُنْوَى في «ما صفا» عود الضمير إلى ودّ ليلى، وتكون ليلى فاعلة لأن اللّفظ ذلك اللّفظ فيكون التقدير صفا وُدُّ ليلى ما صفَا ودّ ليلى معنا، والمعنى صفا ودّنا لليلى ما صفا ودّها لنا: أي صافيناها ما دامت تُصافينا، ويجوز أن يكون قوله «ودُّ ليلى» أضاف الودّ إلى ليلى وهي الفاعلة، لكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والمراد صفا جزاء ودّ ليلى منّا ما صفا هو في نفسه: أي ودّ ليلى لم نطع بها عدوًّا، فيكون الضمير عائدًا إليها، وكذلك «ولم نسمعْ بها»، وإذا رويت «به» يعود الضمير إلى الودّ.

٢ ـ فلَمَّا تَوَلَّى وُدُّ لَيْلَى لِجَانِبٍ ... وقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وجَانِبِ

---

(١) البيت في ديوانه ص ٥٩؛ ولسان العرب (جرر، ودردق، وبغا)؛ وتهذيب اللغة ٩/٤١١؛ وجمهرة اللغة ص ١٣٢٤؛ وكتاب العين ٦/١٥؛ وتاج العروس (جرر، ودرق، وبغا)، وبلا نسبة في المخصّص ١٤/٤٣.

(٢) مَعْدَان بن جَوَّاس بن فروة بن سلمة بن المنذر بن المضرَّب السَّكوني ثم الكندي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، كان نصرانيًا وأسلم في أيام عمر بن الخطّاب (ت نحو ٣٠ هـ/ ٦٥٠ م). ترجمته في: (الإصابة تر ٨٤٤٣؛ والمرزباني ص ٤٠٧؛ وسمط اللآلي ص ٤٥٧).

«تَوَلَّى» يجوز أن يكون من التولِّي الإعراض والذهاب، ويجوز أن يكون من الولاء والطَّاعة.

٣ ـ وكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَى يَخَافُنِي   عَلَى الغَدْرِ أَوْ يَرْضَى بِوُدٍّ مُقَارِبِ

يريد أنَّ النَّاسَ لمّا رأوا وَلُوعي بليلى والمَيْل إليها ثم انصرافي عنها لأدنى سبب صار كلُّ خليلٍ فيما بيني وبينه يخافني على الغدر ويَتَّهمني في الودّ، وقد عابَ النُّقَّاد هذا المعنى، وقالوا: ذو الهوى لا يستدعي مِمَّن يهواه المكافأة على ما يتحمّل فيه، وقد عاب ابن أبي عتيق على كُثيِّر قوله: [الطويل]

وَلَسْتُ بِرَاضٍ عَنْ خَلِيلِي بِنَائِلٍ   قَلِيلٍ وَلاَ رَاضٍ لَهُ بِقَلِيلِ

وقال: هذا كلام مكافىء، لا كلام محبّ.

[٥٢٨] وقال آخر:

١ ـ أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً   وَذِكْرُكَ لا يَسْرِي إليَّ كما يَسْرِي

أول الطويل، والقافية متواتر.

موضع «شِعري» نصب لأنه اسم ليت، وقوله «هل أبيتنّ ليلةً» سدّ مسدَّ مفعول شِعري، لأن معناه عِلمي واقعٌ وما يجري مجراه، والمعنى: أتمنّى أن أعلم هل أبقى أنا ليلة من ليالي الدّهر وخيالك لا يسري إليَّ كما يسري السّاعة، فإن قيل: كيف جاز أن يُكْنَى عن الخيالِ بالذِّكر حتى قال «وذِكرك لا يسري إليَّ»؟ قلت: إنَّ الخيال في المنام لا يكون إلاَّ عن التَّذَكُّر في اليقظة.

٢ ـ وهَلْ يَدَعُ الوَاشُونَ إفْسَادَ بَيْنِنَا   وحَفْرًا لَنَا العَاثُورَ مِنْ حَيْثُ لا نَدْري

أي: وهل أرى نفسي سليمة مِنْ رَمي الوُشاةِ وطلبِهم إفساد بيننا وحفر المغوّاة إذا غبنا عنهم من حيثُ لا نشعرُ ولا ندري فنتّقيه ونحذره، والعاثور: مصيدة للبهائم، ويجعل اسمًا للمتالف، وهو فاعول من العَثَار والعُثُور، وانتصب قوله «العاثور» من المصدر المنوّن، وهو «حَفْرًا»، وأقوى ما يكون المصدر في العمل إذا كان منوّنًا إذ كان شَبَه الفعلِ أقوى.

[٥٢٩] وقال آخر:

١ ـ إنْ كَانَ هَذَا مِنْكِ حَقًّا فَإِنَّنِي   مُدَاوِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكِ بالهَجْرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: إن كان هذا الَّذي يظهرُ مِنكِ موافقًا لما يبطنُ فإنّي سَأُدَاوي ما بيني وبينك بالتَّهاجُر.

٢ ـ وَمُنْصَرِفٌ عَنْكِ انْصِرَافَ ابْنِ حُرَّةٍ   طَوَى وُدَّهُ، والطَّيُّ أَبْقَى مِنَ النَّشْرِ

إنّما قال «ابن حُرَّةٍ» والقصد إلى الكريم من الرجال الذي يصون نفسه ونفس صاحبه لأنَّ الأمَّ إذا كانت مُتَملَّكة تَبِعَها الولدُ في الرِّقِّ، ومتى كانت الأم حُرَّةً لم يتبعِ الولدُ أباه في الرِّقِّ، وإن كان عبدًا مملوكًا، لكنه يكون هَجِينًا غير عربيّ خالص.

[٥٣٠] وقال آخر[١]:

١ ـ وَفي الجِيرَةِ الغَادِينَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ   غَزَالٌ كَحِيلُ المُقْلَتَيْنِ رَبِيبُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

وَجْرَةُ: موضع تُنسَب إليه الغزلان، وكحيل: بمعنى مكحول، وربيب: بمعنى مربوب.

٢ ـ فَلاَ تَحْسَبِي أَنَّ الغَرِيبَ الَّذِي نَأَى   وَلَكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ

[٥٣١] وقال آخر[٢]: [الطويل]

١ ـ بِنَفْسِي وَأَهْلِي مَنْ إذا عَرَضُوا لَه   بِبَعْضِ الأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ

الباء في قوله «بنفسي» تتعلّق بفعل مضمَر، كأنه قال: أفدي بنفسي أو مُفَدًّى بنفسي وعشيرتي مَنْ حاله هذه التي ذكرتها من قلّة الاهتداء إلى وجوه الحِيَل للأجوبة المُسكِتَة عَمَّا يُسْأَلُ عنه وذلك لغرارته.

٢ ـ ولَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ البَرِيّ وَلَمْ تَزَلْ   بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ

[٥٣٢] وقال آخر:

١ ـ أَرَى كُلَّ أَرْض دَمَّنَتْهَا وَإنْ مَضَتْ   لَهَا حِجَجٌ يَزْدَادُ طِيبًا تُرَابُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: أرى كلَّ مكانٍ أقامَتْ فيه هذه المرأة زمنًا يزداد ترابها طيبًا، وقوله «يزداد» في موضع المفعول الثاني لأرى، ودَمَّنَتْها: فعل مبني من الدِّمْنَةِ أَثَر الدَّار وما سُوِّدَ بالرّمادِ وغيره، فكأنَّ معنى دَمَّنَتْهَا أَثَّرَتْ فيها بإقامة، وانتصبَ «طِيبًا» على التمييز، وقد نُقِلَ الفعل عنه لأنَّ الأصلَ: يزدادُ طِيبُ تُرابِها، فجعل الفعل لِلتراب، فأشبه طِيبًا للمفعول، على هذا «قررت به عينًا» فإن قيل: هل في هذا دلالة على صحّة قول المخالف لسيبويه في جواز تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً؟ وهل يفصل بين هذا البيت وبين ما استدلّوا به

---

(١) البيتان في معجم البلدان ٨/ ٤٠١ ونسبهما لبعض الأعراب، وفي الزهرة ١/ ٢٨٦ بلا عزو.
(٢) البيتان لابن الدُّمينة حسب ديوان الحماسة برواية الجواليقي والشعر والشعراء ص ٤٩٠.

من قول الآخر: [الطويل]

وَما كَانَ نَفْسًا بِالفِرَاقِ تَطِيبُ[1]

قلت لا دلالة فيما نحن فيه، وإن كان البيت الذي أوردته أمكن التعلّق به، حتى ذكر أصحاب سيبويه أن الرواية على غيره وهو: [الطويل]

وَمَا كانَ نَفْسِي بِالفِرَاقِ تَطِيبُ

وذلك أن «طِيبًا» لم يُقَدَّمْ على العامل، وإنّما قُدِّمَ على ما صار فاعلاً، وإذا كان كذلك لم يصحّ الاحتجاج به له، لأن الموضع المختلف فيه هو جواز تقدّمه على العامل فيه وامتناعه منه لا غير، فأمّا ما دام واقعًا بعد الفعل فلا مستدلّ به على موضع الخلاف.

٢ ـ أَلَمْ تَعْلَمَنْ يَا رَبِّ أَنْ رُبَّ دَعْوَةٍ دَعَوْتُكَ فِيهَا مُخْلِصًا لَوْ أُجابُهَا

انتصب «مخلصًا» على الحال، وقوله «أُجابها» يريد لو أُجَابُ فيها.

٣ ـ وَأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِئَابَ الفَلا حُبَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُهَا

«أقسم» جملة تُغْني عن اليمين، والجواب «حُبَّتْ إليَّ ذئابها» ويكون متعلّقًا بالشّرط المذكور، وهو أن يكونَ لها ذئاب الفلا نسبًا، وجوابه ما صار جوابًا لليمين، ولذا يقع الشّرط والجزاء بعدها، تقول: والله لَئِنْ جِئْتَني لأُكْرِمَنَّكَ.

٤ ـ لَعَمْرُ أبي لَيْلَى لَئِنْ هِيَ أَصْبَحَتْ بِوَادِي القُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي اغْتِرَابُها

إقسامه بأبيها تعظيم لها وتنبيه على مَحَلِّها من قلبه، واللاّم من «لَئِنْ» موطّئة لِلقَسَم، وجواب القَسَم «ما ضَرَّ»، فالمعنى: إنْ عادتْ هذه المرأة إلى موضعها من وادي القرى لم يضرّ غيري البُعد منها والاغتراب عنها، وقوله «اغترابها» يريد اغترابي عنها، ويجوز أن يريد تباعدها.

[٥٣٣] وقال آخر[2]:

١ ـ لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالبُكا بِدَارَاءَ إلاَّ أَنْ تَهُبَّ جَنُوبُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: ما الموعد بين عينيك وبين البكاء وأنت بداراء إلاّ عند هبوب الجَنوب، وإنّما قال هذا لأن الجَنوب كان مَهَبُّها من أرض صاحبته، فعلى هذا التأويل يكون

---

(١) هذا عجز بيت للمجنون أو للمخبّل السعدي أو لأعشى همدان (شواهد العيني ٣/ ٢٣٥) وصدره: «أتهجر ليلى بالفِراقِ حَبيبَها». ويستشهد به قوم من النحاة على جواز تقديم التمييز على عامله.

(٢) الأبيات في معجم البلدان ٢/ ٤١٨ بلا عزو، والبيت الأول في لسان العرب (دور) بلا عزو.

«والبكاء» في موضع الجرّ عطفًا على عينيك، ولا يمتنع أن يكون المراد: ما ميعاد عينيك مع البكاء بهذا المكان إلاّ إذا هَبَّتِ الجَنوبُ، فيكون مفعولاً معه، وإنّما قال ذلك لأنها تُهدي إليه أرِيجَتَها ويعتقد أنّها رسولتها فيجدّد ذِكرها فيبكي شوقًا إليها، وقال الخليل: الميعاد لا يكون إلاّ وقتًا أو موضعًا، وإذا كان كذلك فالميعاد مبتدأ وخبره «أن تهبّ» والمراد وقت هبوبها، حتى يكون الآخر هو الأول، إلاّ أنه حذف المضاف.

٢ ـ أُعَاشِرُ فِي دَارَاءَ مَنْ لاَ أُحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إلَيَّ حَبِيبُ

٣ ـ إذا هَبَّ عُلْوِيُّ الرِّيَاحِ وَجَدْتَنِي كَأَنِّي لِعُلْوِيِّ الرِّيَاحِ نَسِيبُ

يريد إذا هَبَّتِ الرّيحُ من نحو عالية نجد.

[٥٣٤] وقال آخر(١):

١ ـ هَلِ الحُبُّ إلاَّ زَفْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وحَرٌّ عَلَى الأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

٢ ـ وَفَيْضُ دُمُوعِ العَيْنِ يَا مَيَّ كُلَّمَا بَدَا عَلَمٌ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

الاستفهام هنا بمعنى النفي، كأنه لامه إنسانٌ فيما يَدَّعِيهِ من الحبِّ. فقال رَادًّا عليه حين كَذَّبَه في دعواه: ما الحُبُّ إلاَّ تَتَابُعُ الزَّفَرَاتِ وما ذكره، والعلم: الجبل: أي كلّما ظهر عَلَمٌ لم يكن يبدو قبل.

[٥٣٥] وقال ابن مَيَّادة(٢):

واسمه الرَّمَّاح بن يزيد، ويقال: الرَّمَّاح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى بن ظالم بن جذيمة، ويُكَنَّى أبا شرحبيل، ومَيَّادة أُمّه، نعست على راحلتها فمادت: أي مَالَتْ، فقيل: إنّها لَتَمِيدُ، فدُعِيَتْ مَيَّادة، وكانت أَمَةً لرجلٍ من كلب، فزوّجها عبدًا له يقال له: نهبل، ثم اشتراها بنو ثوبان، ووقع عليها أبوه فأحبلها. ولذلك قال الشّاعر يهجوه: [الكامل]

يَا ابْنَ الخَبِيثَةِ يَا ابْنَ طلة نهبل هَلاَّ جَمَعْتَ كَما زَعَمْتَ رِجَالاَ

أَبِبَظْرِ ميدةَ أَمْ بِخُصْيَيْ نَهبل أَمْ بِالعُرَاةِ تُنَازِلُ الأَبْطَالاَ

(١) الأبيات لقيس بن ذريح في ديوانه ص ٩١؛ ولعبد الله بن الدمينة في ديوانه ص ٢٦.

(٢) ابن مَيَّادة: شاعر رقيق، هَجّاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. ويقال إنه كان خيرًا لقومه من النابغة، (ت ١٤٩ هـ/ ٧٦٦ م). ترجمته في الأغاني ٢: ٨٥؛ وتهذيب ابن عساكر ٣٢٨/٥؛ والشعر والشعراء ص ٢٩٨).

ومَيَّادة: فَعَّالة من ماد يَمِيدُ، رجلٌ مَيَّادٌ، وامرأةٌ مَيَّادةٌ، إذا تمايلَ مهتزًّا من سُكْرٍ أو نَزَقٍ، ويجوز أن يكون فَيْعالة منه، وفوعالة أيضًا.

١ ـ كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدٍ ضَبَثَتْ بِهِ مُحَاذَرَةَ أَنْ يَقْضِبَ الحَبْلَ قَاضِبُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الضَّبْثُ: القَبْضُ على الشيء، ومنه «ناقةٌ ضَبُوثٌ» أي لا يشكّ في سِمَنِها إذا ضُبِثَ على سَنَامِها، وانتصب «محاذرةً» على أنه مفعول له، وموضع «أن يقضبَ» نصب من محاذرة لأنه مفعول له، يقول: كأنّ قلبي قبضَ قابضٌ عليه لخوفي من أن يقطعَ الوصلَ قاطعُه من البَيْنِ، والقَضْبُ: القطع، ومنه سيف مِقْضَبٌ وقَضَّابٌ.

٢ ـ وأُشْفِقُ مِنْ وَشْكِ الفِرَاقِ وإنَّنِي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَاكِبُهْ

مفعول «أظنُّ» الأول محذوف: أي أظنّه، والثاني يدلُّ عليه قوله «لَمَحمولٌ» لأنَّ المراد ذلك في ظنّي أو علمي، وهو مُلغًى، ووَشْكُ الفراق: سُرعته، ويقال: أوشكَ أن يكون هذا: أي أسرع.

٣ ـ فَوَاللَّهِ لاَ أدْرِي أَيَغْلِبُنِي الهَوَى إذَا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهْ[1]

يجوز أن يكون المراد بقوله «إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ» زادَ جِدُّهُ جِدًّا، كأنه يظهر من جَلِيّة أمره ما يزول اللَّبْسُ والشُّبْهَةُ معه، ويجوز أن يريد إذا صار هذا جِدًّا، فسمّاه بما يؤول إليه، كما يقال: خَرَجَتْ خَوَارِجُه، ورِيعَ رَوْعُه.

٤ ـ فَإِنْ أَسْتَطِعْ أَغْلِبْ وإنْ يَغْلِبِ الهَوَى فَمِثْلُ الَّذِي لاقَيْتُ يُغْلَبُ صاحِبُهْ

[٥٣٦] وقال آخر:

١ ـ فَيَا أهْلَ لَيْلَى كَثَّرَ اللَّهُ فِيكُمُ بِأَمْثَالِهَا حَتَّى تَجُودُوا بِهَا لِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

بنى الكلام على أنَّ عشيرتها والمالكين لأَمرها إنّما ضَنُّوا بها لأَنها مَعدومة المِثْلِ فيهم، فأقبلَ يستعطفهم، ويدعو لهم بأن يكثرَ اللَّهُ أمثالَها فيهم، حتى يتركوا المنافسة فيها.

٢ ـ فَمَا مَسَّ جَنْبِي الأَرْضَ إلاَّ ذَكَرْتُهَا وَإلاَّ وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثِيَابِيَا

يريد ما اضطجعتُ لِلمنام خاليًا بنفسي إلاَّ امتنع النوم فقام ذِكْرُها مقامَ خيالها، ثم صرتُ من الشَّوقِ أَتصوَّرُها معي فَأَجِدُ رائحتها في ثيابي، وهذا المعنى هو مخالف لمعنى الأنس بِالخيال.

---

(١) عند المرزوقي: «ما أدري».

[٥٣٧] وقال آخر:

١ ـ يقُولُ العِدَا لاَ بارَكَ اللَّهُ في العِدَا قَدَ اَقْصَرَ عَنْ لَيْلَى وَرَثَّتْ وَسَائِلُهْ[١]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُرْوَى «وَرَاثَتْ وسائله»، والمراد بالعِدا الوُشَاة والمفسدون، وأصل البَرَكة الثبات مقترنًا بالنماء، ومنه مَبْرك الإبل، وبَرَاكاء القتال، ويقال: أقصر عن الشيء، إذا كَفَّ عنه وهو يقدرُ عليه، وقَصَر، إذا عجز، وقَصَّر، إذا فَرَّط، يقول: ادّعى الوشاةُ أنّي قد كففتُ عن ليلى وزالَ وَلُوعي بها، فلا باركَ الله فيهم فإنّهم ادَّعَوْا باطلاً، ومرادهم إفساد قلبها عَلَيَّ، والمعنى واضح.

٢ ـ وَلَوْ أَصْبَحَتْ لَيْلَى تَدِبُّ عَلَى العَصَا لَكَانَ هَوَى لَيْلَى جديدًا أوَائِلُهْ

هذا مثل قول القُحَيْف بن خُمَيْر: [الطويل]

لَقَدْ أرْسَلَتْ خَرْقَاءُ نَحْوِي رَسُولَهَا لِتَجْعَلَنِي خَرْقَاءُ مِمَّنْ أضلَّتِ
وَخَرْقَاءُ لا تَزْدَادُ إلاَّ مَلاَحَةً وَلَوْ عُمِّرَتْ تَعْمِيرَ نُوحٍ وَجَلَّتِ

وهي خَرْقَاء صاحبة ذي الرّمّة، وهي من بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، أرسلت إلى القحيف أن أنسب بي، فقال: إني لا أنسبُ بالعجائز، فتبدَّتْ له وهي بنت مائة وعشرين سنة، فأخذت بمجامع قلبه، ورآها أحسن الناس، فقال هذا الشعر.

[٥٣٨] وقال آخر:

١ ـ وقَفْتُ لِلَيْلَى بِالمَلاَ بَعْدَ حِقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فانْهَلَّتِ العَيْنُ تَدْمَعُ

ثاني الطويل، والقافية متدارك.

٢ ـ وَأَتْبَعُ لَيْلَى حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعَتْ وما النَّاسُ إلاَّ آلِفٌ ومُوَدِّعُ

وَدَّعَتْ: معناه تَودَّعَتْ، ثم قال: وما النّاس إلا آلِفٌ ومودِّعُ، يريد أنَّ الناسَ من آلِفٍ لها لِكونه مسافرًا معها ومنصرفٍ عنها بعد توديعها وتشييعها وأنا على خلافهم كلّهم؛ لأني ملازمها في كلِّ حال، وقد كشفَ عن هذا الغرض بما بيّنه في قوله:

٣ ـ كَأنَّ زِمَامًا فِي الفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقُودُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ وأَتْبَعُ

يريد طاعة قلبه وانقياده لها، ومثل قوله ودّعت ومودّع يسمّى التجنيس الناقص.

(١) عند المرزوقي: «تقولُ».

[٥٣٩] **وقال وَرْدٌ الجَعْدِيّ**[١]:

١ ـ **خَلِيلَيَّ عُوجَا بارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ... وإنْ لَمْ تكنْ هِنْدٌ لأَرْضِكُما قَصْدَا**

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

٢ ـ **وقُولاَ لها لَيسَ الضَّلالُ أَجَارَنَا ... ولكِنَّنا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا**[٢]

يقال: جارَ عن الطريق، إذا عَدَلَ عنه، وأجاره غيره.

قال أبو رياش: أخبرني ابن دُرَيد بإسناد له قال: قال المأمون ذات يوم للمغنين: أيُّكم يعرف هذه الأبيات:

تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ ... لِهِنْدٍ فَمَنْ هٰذَا يُبَلِّغُهُ هِنْدَا

فلم يعرفْها منهم أحدٌ، ثم انصرف بعضهم وسأل عن البيت، فقال له بعض الأدباء: أنا أعرفه، وأنشده الأبيات وهي ثمانية، فلمّا رجع غَنَّى بها فأُعْجِبَ بها المأمون وخلع عليه.

[٥٤٠] **وقال آخر:**

قال أبو رياش: هي مولّدة.

١ ـ **ومَا في الأرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وَإنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ**

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قوله «وإنْ وجدَ الهوى» جواب الشرط منه في قوله «ما في الخَلْقِ أشقى من مُحِبٍّ»[٣].

٢ ـ **تَرَاهُ بَاكِيًا في كُلِّ حِينٍ ... مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أوْ لاشْتِيَاقِ**

٣ ـ **فَيَبْكِي إنْ نَأَوْا شَوْقًا إلَيهِمْ ... ويَبْكِي إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِرَاقِ**

ينتصب «شوقًا إليهم» على أنه مفعول له، وكذلك قوله «خَوفَ الفراق» و«مخافةَ فرقة» ألاَ ترى أنه عطف عليه «أو لاشتياق» فجعل حرف الجرّ فيه اللاّم.

٤ ـ **فتَسْخَنُ عينُهُ عندَ التَّنَائي ... وتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلاقي**

---

(١) ورد الجعديّ: هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة، شاعر جاهلي، وهو الذي قتل شَرَاحيل بن الأصهب الجُعفيّ (الأغاني ٥/٢٣، دار الكتب العلمية) والبيتان في الأغاني ١١/٣٥٢ (دار الكتب العلمية) للمرقِّش الأكبر.

(٢) في الأغاني «أجازنا» و«جُزْنا».

(٣) هذه رواية المرزوقي.

[٥٤١] وقال ابن الطَّثْرِيَّة[١]:

قال أبو رياش: واسمه يزيد بن المنتشر، أحد بني عمرو بن سلمة بن قشير، والطثريّة أُمه، من حيٍّ من قضاعة يقال لهم طَثْرٌ.

١ ـ عُـقَـيْـلِـيَّـةٌ: أَمَّـا مَـلاثُ إزارِهَـا فَـدِعْـصٌ، وأَمَّـا خَـصْـرُهـا فَـبَـتِـيـلُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

المَلَاث: الموضع الذي يُدار به الشيء، يقال: لُثْتُ العِمَامَةَ على رأسي لَوْثًا، ومنه قوله: [البسيط]

كَانُوا مَلَاوِيثَ فَاحْتَاجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ[٢]

أي: كانوا الذين يُدار بهم ويُطاف عليهم، والمراد بالمَلَاث هنا العجز، وشبّهها بالدِّعْص، وهو الرمل المجتمع، لكثرة اللّحم عليها واكتنازه، والبتيل: الهضيم الدقيق، وأصل البتل القطع، ومنه ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٣].

٢ ـ تَـقَـيَّـظَ أَكْـنَـافَ الـحِـمَـى ويُـظِـلُّـهَـا بِـنَـعْـمَـانَ مِـنْ وَادِي الأَرَاكِ مَـقِـيـلُ

يقال: تَقَيَّظَ بالمكان، إذا أقامَ فيه قَيْظَه، وأصل تَقَيَّظُ تَتَقَيَّظُ، فحذف إحدى التاءين.

٣ ـ أَلَـيْـسَ قَـلـيـلاً نَـظْـرَةٌ إنْ نَـظَـرْتُـهَـا إلَـيْـكِ وكَـلاَّ لَـيْـسَ مِـنْـكِ قَـلـيـلُ

قوله «أليس» يقرّرُ به في الواجب الثابت، وكذلك «ألم» و«ألا» وذلك أن حرف الاستفهام يُضارع حرف النفي، ونفي النفي إيجاب، فإذا قال القائل: أَلم أُحْسِنْ إليكَ؟ يجب أن يكون قد أحسنَ فتقريره به فيما وقع وثبت، وفي القرآن: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٤]؛ فكأنه قال مُدِلاً بما يقاسيه فيها ويتحمّله من أجلها: أليس قليلاً نظرة منك إذا حصلتْ لي، ثم استدركَ على نفسه فقال «كَلاّ» وهو حرف ردع ونفي، لا قليلَ منك، ومثله قول الآخر: [الخفيف]

هَـلْ إلَـى نَـظْـرَةٍ إلَـيْـك سَـبِـيـلُ فَـيُـرَوَّى الـظَّـمَـا وَيُـشْـفَـى الـغَـلِـيـلُ
إنَّ مَـا مِـنْـك قَـلَّ يَـكْـثُـرُ عِـنْـدِي وَكَـثِـيـرٌ مِـمَّـنْ تُـحِـبُّ الـقَـلِـيـلُ[٥]

---

(١) يزيد بن سلمة بن سمرة بن الطثرية: وكان حسن الشعر، حلو الحديث، شريفًا، مِتلافًا للمال، صاحب غزل وظرف وشجاعة وفصاحة (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م). ترجمته في (الشعر والشعراء ص ٣٩٢؛ والأغاني ٥: ٢٤٧؛ وطبقات الشعراء ص ١٥٠).

(٢) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ص ٤٤؛ وفي اللسان (لوث)، وعجزه: «فقد البلاد إذا ما تمحل المطرا».

(٣) سورة المزمّل، الآية: ٨.   (٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٥) عند المرزوقي: «إنَّ ما قَلَّ منك يَكثُرُ عندي».

فقوله «القليل» مبتدأ، و«كثير ممّن تحب» خبره.

٤ ـ فَيَا خُلَّةَ النَّفسِ الَّتِي لَيسَ دُونَها ... لَنَا مِنْ أَخِلاَّءِ الصَّفَاءِ خَلِيلُ
٥ ـ ويَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ ... عَدُوٌّ ولَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ

ويُروَى «لم نُطِعْ به عدوًّا» وعذول.

٦ ـ أَمَا مِنْ مَقَامٍ أَشْتَكِي غُرْبَةَ النَّوَى ... وخَوْفَ العِدَا فيهِ إليْكِ سَبيلُ[1]

أي: أما عندكِ مقامٌ لي فيه إليكِ سبيلٌ أشتكي غربةَ النوى وخوف العِدا، فالمنادى له من قوله «يا خلّة النفس» قوله «أمَا من مقامٍ أشتكي».

٧ ـ فَدَيْتُكِ أعْدَائِي كَثِيرٌ وَشُقَّتِي ... بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكِ قَلِيلُ

الشُّقَّة: بُعْدُ مَسيرِ أرضٍ إلى أرضٍ بعيدة، وإنّما لم يقلْ «بعيدة» لأن فَعِيلاً كثيرًا ما يقع للمؤنّث والمذكّر على حالة واحدة حَمْلاً على النسب أو على فَعُول.

٨ ـ وكُنْتُ إذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ بِعِلَّةٍ ... فَأَفْنَيْتُ عِلاَّتِي فَكَيْفَ أَقُولُ

يريد كيف أقول ما أقوله، فحذف المفعول، ويجوز أن يكون المراد بأقول أتكلّم، فيستغني عن المفعول، كقول الآخر: [الطويل]

بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا ... فتبلغَ عُذْرًا وَالمَقَالَةُ تُعْذِرُ[2]

أي: لم تتكلم في جوابها.

٩ ـ فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لي بِأَرْضِكِ حَاجَةٌ ... وَلاَ كُلَّ يَوْمٍ لي إلَيْكِ رَسُولُ
١٠ ـ صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوَيْتُهَا ... سَتُنْشَرُ يَوْمًا والعِتَابُ طَوِيلُ
١١ ـ فَلاَ تَحْمِلِي ذَنْبِي وأَنْتِ ضَعِيفَةٌ ... فَحَمْلُ دَمِي يَوْمَ الحِسَابِ ثَقِيلُ

وقال أبو رياش: وكان يزيد مُوَضَّعًا، وكان من أشجع الناس وأجملهم فغَدَا عليه أخوه ثور، فحلق لِمَّته، فأنشأ يقول: [الطويل]

أَقُولُ لِثَوْرٍ وَهْوَ يَحْلِقُ لِمَّتِي ... بِعَقْفَاءَ مَرْدُودٍ عَلَيْهَا نِصَابُهَا
تَرَفَّقْ بِهَا يَا ثَوْرُ لَيْسَ ثَوَابُهَا ... بِهٰذَا وَلٰكِنْ عِنْدَ رَبِّي ثَوَابُهَا
أَلاَ رُبَّمَا يَا ثَوْرُ غَلَّلَ بَيْنَهَا ... أَنَامِلُ رَخْصَاتٌ جَدِيدٌ خِضَابُهَا
فَرَاحَ بِهَا ثَوْرٌ تَرِفُّ كَأَنَّهَا ... سَلاَسِلُ دِرْعٍ حُسْنُهَا وَانْسِكَابُهَا
وَرُحْتُ بِرَأْسِي كالصَّخيرة أَشْرَفَتْ ... عَلَيْهَا عُقَابٌ ثُمَّ طَارَتْ عُقَابُهَا

---

(١) عند المرزوقي: «أَمَا مِن مكانٍ».
(٢) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٢.

وقال أيضًا حين غزتهم الحرورية وقاتل ذلك اليوم فأحسنَ القتال فقُطِعَتْ يده فأنشأ يقول: [الرجز]

وَلَـوْ تَـرَانِـي وأَخِـي عُـطَـارِدَا نَـذُودُ مِـنْ حَـنِـيـفَـةَ الـمَـذاوِدَا
نَـذُودُ مِـنْـهَـا سـرعَـانًـا وارِدَا مِـثْـلَ الـدَّبَـى تَـتَّـبِـعُ الـمَـوَارِدَا
أَلا فَـتًـى يَـسْـقِـي شَـرَابًـا بَـارِدَا أَنـشُـدُ كَـفًّـا قُـطِـعَـت وَسَـاعِـدَا
أَنْـشُـدُهَـا وَلاَ أَرَانِـي وَاجِـدَا أَبْـلِـغْ أَبَـا لِـطِـيـفَـةَ الـمُـعَـانِـدَا
الـمُـطْـعِـمَ الـسِّـتَّـةِ مُـدًّا وَاحِـدَا

يعني أبا لطيفة العقيلي، وكان سيد بني عقيل ذلك اليوم، وفرَّ سوادة بن كلاب بن حنيفة بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير فلامته أمرأته. ونظر إلى رجل من أصحابه ممّن انهزم ذلك اليوم يجتحف زبدًا بتمر فقال: [الطويل]

فَمَا يَسْتَوِي الجحفان جحف بزبدة وجـحـف حَرُورِيّ بِـأَبْـيَـضَ صَـارِمِ

فمات، فرَثَتْهُ أُخته زينب بقولها: [الطويل]

أَرَى الأَثْلَ مِنْ بَطْنِ العَقِيقِ مُجَاوِرِي(١)

وقد مَرَّ ذكره.

[٥٤٢] وقال آخر:

١ ـ أَبَـعْـدَ الَّـذِي قَـدْ لَـجَّ تَـتَّـخِـذِيـنَـنِـي عَـدُوًّا وقَـدْ جَرَّعْـتِـنـي الـسَّـمَّ مُـنْـقَـعَـا

يعني ما لَجَّ به من هواها، وسمٌّ ناقعٌ ومُنْقِعٌ: ثابت، ويقول الرجل للرجل: لأُنقعنَّ لك الشَّرَّ: أي لأُدِيمنَّه، ويقال أيضًا: موتٌ ناقعٌ، يعني الثابت، وهو من قولهم: نقعَ الماءُ بمكان كذا، إذا اجتمعَ وثبتَ.

٢ ـ وشَـفَّـعْـتِ مَنْ يَـبْـغِـي عَـلَـيَّ ولَـمْ أَكُـنْ لأُرْجِـعَ مَـنْ يَـبْـغِـي عَـلَـيْـكِ مُـشَـفَّـعـا

٣ ـ فَـقَـالَـتْ ومَـا هَـمَّـتْ بِـرَجْـعِ جَـوَابِـنَـا بَـلَ انْـتَ أَبَـيْـتَ الـدَّهْـرَ إلاَّ تَـضَـرُّعَـا

التَّضَرُّع: التَّصَاغُر والتَّذَلُّل، يقال: رجلٌ ضَرِعٌ وضَارِعٌ وقومٌ ضَرَعٌ ويقال: خَدُّه ضارِعٌ، وجَنْبُه ضارعٌ.

٤ ـ فَـقُـلْـتُ لَـهَـا مَـا كُـنْـتُ أَوَّلَ ذِي هَـوًى تَـحَـمَّـلَ حِـمْـلاً فَـادِحًـا فَـتَـوَجَّـعَـا

الفادح: المثقِل، يقال: دَيْنٌ فادحٌ، وقد فَدَحَه غرم.

---

(١) هذا صدر بيت في الحماسية رقم ٣٦٦، وعجزه: «مُقيمًا وقد غالتْ يَزيدَ غوائِلُهْ».

[٥٤٣] وقال آخر:

وهو أبو الأسود الدُّؤلي[(١)]:

١ - أَبَى القَلْبُ إلاَّ أُمَّ عَمْرٍو وحُبَّهَا عَجُوزًا؛ وَمَنْ يُحْبِبْ عَجُوزًا يُفَنَّدِ

٢ - كَثَوْبِ اليَمانِي قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ورُقْعَتُهُ مَا شِئْتَ فِي العَيْنِ والْيَدِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

التفنيد: التوبيخ، ويُروَى «كَسَحْق اليماني» والسَّحْق: الخَلَقُ من الثياب الذي قد انسحقَ وانجردَ، وأضافه إلى اليماني إضافة البعض إلى الكلِّ، هذا إذا جعلت اليماني البُرْدَ، ولكَ أن تجعلَه التّاجر صاحب البرد، فتكون الإضافة إليه، وقوله «ورقعته ما شئتَ في العين واليد» يقول: هي في النساء كَخَلَق البُرْد اليماني في الثياب وقد قَدُمَ عهدُه فإذا مَسَسْتَهُ ونظرتَ إليه وجدت رقعته زائدة على كلِّ رقعة دقةً ومتانة، فكذلك منظر أُم عمرو وَمُخْتَبَرُهَا، وقوله «ما شئتَ» يريد ما شئته، فحذف المفعول من الصلة تخفيفًا، وقوله «في العين» يريد في النظر، وفي اليد يريد عند اللَّمس.

[٥٤٤] وقال آخر[(٢)]:

١ - هَجَرْتُكِ أَيَّامًا بِذِي الغَمْرِ إِنَّنِي عَلَى هَجْرِ أَيَّامِي بِذِي الغَمْرِ نَادِمُ

٢ - وإنِّي وذَاكَ الهَجْرَ لَوْ تَعْلَمِينَهُ كَعَازِبَةٍ عَنْ طِفْلِهَا وهْيَ رَائِمُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

إن قيل: قوله «وإنّي وذاك الهجر» يقتضي كلامه أن يكون التشبيه متناولاً له ولِهَجره، قيل: يجوز أن يريد إنّي مع ذلك الهجر، وهذا كما يقال: إنَّ الرجال وأعضادها: أي مقرونان، وإن النساء وأعجازها: أي مقرونان؛ لأنَّ المراد مع أعضادها، ومع أعجازها، ويجوز أن يكون أراد بالهجر المهجور، لأن المصدر يُوصَف به، ويجوز أن يكون ذكر الهجر لما كان من سببها والمراد تلك، وقوله «لو تعلمينه» الضمير منه يعود إلى الهجر، والمراد ما ذكرته، والعازبة: البعيدة، والعازب أيضًا: الكلأ البعيد المطلب.

---

(١) أبو الأسود الدؤليّ: هو ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني: واضع علم النحو. وكان معدودًا في الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب، من التابعين، شهد صفّين مع عليّ، وهو أول مَنْ نقط المصحف، وله شعر جيّدٌ (ت ٦٩ هـ/ ٦٨٨ م). ترجمته في: (وفيات الأعيان ١/ ٢٤٠؛ والإصابة تر ٤٣٢٢؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠٤؛ والمرزباني ص ٢٤٠ وغيرها).

(٢) هو ابن الدمينة، والبيتان في ديوانه ص ١٩.

[٥٤٥] وقال آخر[١]:

١ ـ مَا أَحْدَثَ النَّأْيُ المُفَرِّقُ بَيْنَنا سُلُوًّا ولاَ طولُ اجْتِماعٍ تَقالِيا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ارتفع «طول اجتماع» بفعل مُضمَر، كأنه قال: ولا أَحدث طولُ اجتماع تقاليًا: أي تباغضًا.

٢ ـ خَلِيلَيَّ إلاَّ تَبْكِيا لِيَ أَسْتَعِنْ خَلِيلاً إذا أَفْنَيْتُ دَمْعًا بَكَى لِيا

٣ ـ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إذا كَانَ بَعْدَهُ تَلاَقٍ ولكِنْ لاَ إخالُ التَّلاقِيَا

«كأنْ» مخفّفة من الثقيلة، والتشبيه وقع على محذوف، كأنه قال: كأن الأمر والشّأن لم يكنْ بينٌ إذا حصل بعده التقاء، وكَانَ هذه التّامّة، وقوله «لا إخال تلاقيا» المفعول الثاني محذوف، كأنه قال: لا أحسب تلاقيًا بعده، وساغ ذلك لتقدّم ذِكره؛ فهو في حكم الملفوظ به.

[٥٤٦] وقال جميل:

وحارب الفَخِذَ الذي منهم بثينة.

١ ـ تَفَرَّقَ أَهْلاَنَا بُثَيْنَ فَمِنْهُمُ فَرِيقٌ أَقامَ وَاسْتَقَلَّ فَرِيقُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «أهلانا» أراد شَعْبَيْهِما، وقال الخليل: أهل الرجل أخصّ الناس به، وأهل المنزل سكّانه، وأهل الإسلام مَنْ يَدِينُ به، و«بُثَين» نداء مفرد مرخّم، وقوله «فمنهم فريق» تفصيل لما أجمله في «تَفَرَّق» وإنما افترقوا حين ارتحلَ قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما.

٢ ـ فَلَوْ كُنْتُ خَوَّارًا لَقَدْ باخَ مِيسَمِي وَلَكِنَّنِي صُلْبُ القَنَاةِ عَتِيقُ

أي: لو كنت ضعيفًا لكان مِيسَمي قد باخَ: أي زالت حرارته وسكنت، يقال: باخَتِ النَّارُ بَوْخًا وبُؤُوخًا، إذا خمدت.

٣ ـ كَأَنْ لَمْ نُحَارِبْ يا بُثَيْنَ لَوَ اَنَّها تَكَشَّفُ غُمَّاهَا وأَنْتِ صَدِيقُ

الغُمَّى: الخصلة المظلمة، ولكَ أن تروي «تَكَشَّفَ» على أن يكون البناء للماضي، وجواب «لو» في قوله «كأن لم نحاربْ» والواو من «وأنت» واو الحال، وذكر صديق لأنَّ

---

(١) الأبيات لجميل بثينة في ديوانه ص ٢٢٢ (دار الكتاب العربي).

المراد ذات صدقة؛ ولو قال صديقة لجاز، قال: [الطويل]

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بِغِرَّةٍ ... وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفُ[1]

[٥٤٧] وقالَ آخر:

١ - شَيَّبَ أَيَّامُ الفِرَاقِ مَفَارِقِي ... وأَنْشَزْنَ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ

الثالث من الطويل.

جعل «حيث» اسمًا وأضاف «فوق» إليه، وحيث في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة، ولذلك احتاج إلى جملتين، و«تكون» مستقبل كان التامة، ومعناه يقع ويحصل، ويقال: نشزَ؛ إذا ارتفعَ، وأنشزْتُهُ أنا إنشازًا، وقوله «أيَّام الفراق مفارقي» يسمّى التجنيس الناقص، وفَرْقُ الرَّأْسِ ومَفْرِقُه واحد.

٢ - وقَدْ لانَ أَيَّامُ اللِّوَى ثُمَّ لَمْ يَكَدْ ... مِنَ العَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ يَلِينُ

٣ - يَقُولُونَ ما أَبْلاكَ وَالمَالُ غَامِرٌ ... لَدَيْكَ وضَاحِي الجِلْدِ مِنْكَ كَنِينُ

الغامر: الكثير، والضَّاحي: ما برز لِلشَّمس، وكنين: أي مستور.

٤ - فَقُلْتُ لَهُمْ لاَ تَعْذُلُونِيَ وَانْظُرُوا ... إِلَى النَّازِعِ المَقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ

النازع: الذي يحنُّ إلى وطنِه، والمقصور: المحبوس، شَبَّه نفسه حين لم يصلْ إلى حَبيبِه وفَرَّقَ الدّهرُ بينهما بنازع إلى وطنه محبوس دونه.

[٥٤٨] وقال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ:

١ - أَقُولُ والرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ ... وَقَدْ سَقَى القَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الواو من قوله «والرَّكْبُ» واو الابتداء، وهو للحال، وقوله «قد مالَتْ عمائمهم» يريد لغلبة النوم عليهم حتى كأنهم سَقَاهم السَّهَرُ كُؤوسَ النّعاس فسكروا.

٢ - يا لَيتَ أَنّي بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي ... عَبْدٌ لأَهْلِكِ هَذَا الشَّهْرَ مُؤْتَجَرُ

قوله «يا ليتَ أني بأثوابي» في موضع المفعول لأقول، والمعنى: إنّي أقول على معاناة هذه الأحوال: بودّي أني مستعبَدٌ لأهلِكِ طولَ الشَّهْرِ الَّذي نحن فيه مؤتجر بكسوتي وزادي وراحلتي لا أُكلّفهم مؤنة، وقوله «يا ليت» المنادى محذوف، كأنه قال: يا قوم لَيْتَ.

---

(١) البيت في اللسان (سعف) ويُفهَم منه أنه لأوس بن حجر وهو ليس في ديوانه.

٣ ـ إنْ كـانَ ذَا قَـدَرًا يُـعْـطِـيـكِ نَـافِـلَـةً   مِـنَّـا وَيَـحْـرِمُـنَـا مَـا أنْـصَـفَ الـقَـدَرُ

جواب الشَّرط في قوله «ما أنصفَ القَدَرُ» على إرادة الفاء، وقوله «يعطيك نافلة منّا» في موضع صفة لقدرًا.

٤ ـ جِـنِّـيَّـةٌ أوْ لَـهَـا جِـنٌّ يُـعَـلِّـمُـهَـا   رَمْيَ القُلُوبِ بِقَوْسٍ ما لَهَا وتَرُ[1]

يعني أن فعْلَهَا مباينٌ لفعل الإنس، وكذلك شكلها وحُسنها، وقوله «بسهم ما له وتر» يريد سهمًا لا يُنَزِّيهِ الوَترُ على القِسِيِّ، والمراد به العين، وقال أبو محمد الأعرابي: ليس قوله «يا ليتَ أنّي بأثوابي» لأبي دَهْبَل، إنّما وقع في ديوانه مع ثلاثة أبيات أُخَر، والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي، وهذا البيت لا يكاد يُعرَف معناه البتّة إلاّ بالأبيات التي تتقدّمه، وهي: [البسيط]

يَـا أحْـسَـنَ الـنَّـاسِ إلاَّ أنَّ نَـائِـلَـهَـا   قِدْمًا لِمَنْ يَرْتَجِي مَعْرُوفَها عَسِرُ
وَإنَّـمَـا دَلُّـهـا سِـحْـرٌ تَـصِـيـدُ بِـهِ   وَإنَّمَا قَلْبُها لِلْمُشْتَكِي حَجَرُ
هَل تَذْكُرِينَ وَلَمَّا أنسَ عَهْدَكُمُ   وَقَدْ يَدُومُ لِعَهْدِ الخُلَّةِ الذِّكَرُ
قَوْلِي وَرَكْبُكِ قَدْ مَالَتْ عَمَائِمُهُمْ   وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ النَّوْمَةِ السَّفَرُ
يَـا لَـيْـتَ أنِّـي بِـأثْـوَابِـي....

البيـت.

[٥٤٩] وقال توبة بن الحُمَيِّر[2]:

١ ـ يَـقُـولُ أُنـاسٌ لاَ يَـضِـيـرُكَ نَـأيُـهـا   بَلَى كُلُّ ما شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: ضارَهُ يَضِيرُهُ وَضَرَّهُ يَضُرّه بمعنى، وشَفَّ النفوسَ: أي آذاها وأذابها.

٢ ـ أَلَيْسَ يَضِيرُ العَيـنَ أنْ تُكْثِرَ البُكا   وَيُـمْـنَـعَ مِـنْـهـا نَـوْمُـهـا وسُـرُورُهـا

[٥٥٠] وقال ابن أبي دُبَاكِل الخزاعي[3]:

دُبَاكل: علم مرتجل وليس منقولاً من جنس.

١ ـ يَـطُـولُ الـيَـوْمُ لاَ أَلْـقَـاكِ فِـيـهِ   ويَـوْمٌ نَـلْـتَـقِـي فـيـه قَـصِـيـرُ[4]

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

---

(١) عند المرزوقي: «ما له وترٌ».   (٢) عند المرزوقي: «قال توبة بن المضرِّس».
(٣) هو سليمان بن أبي دباكل: شاعر أموي كان معاصرًا للأحوص.
(٤) عند المرزوقي: «وحَوْلٌ نلتقي».

٢ ـ وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهرٍ فَقُلْتُ لِصَاحِبَيَّ فَمَنْ يَضِيرُ

ويُروَى «فلمَن يضيرُ»، ويُروَى «فقلت لِصَاحِبي فَمَتَى يَضِيرُ».

[٥٥١] وقال عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[١]:

١ ـ شَقَقْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فيهِ هَوَاكِ فَلِيمَ فَالْتَأَمَ الفُطُورُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الفُطُور: مثل الصَّدْع في الشَّيء، وقوله «فلِيمَ» يحتمل وجهين: أحدهما، وهو الأشبه، أن يريد لئم من الالتئام، وهو لفظ قلّما يستعملونه، فكأنه جعل الهمزة بَيْنَ بَيْنَ وسَكَّنها وحَوَّلَ ضمّة اللاّم إلى الكسر مخافةَ الانقلاب إلى الواو وهو مثل قولهم سِيلَ في معنى سُئِلَ، والآخر أن يكون لِيمَ من اللّأم: أي لمّا عُوتِبَ كَتَمَ ما به فالتأَمَ فطوره، وذَرَّ الشَّيء: إذا فَرَّقَه، وذَرَّ الحَبَّ في الأرض، فالتأَمَ الفطورُ: أي الفطور منه، فحذف تخفيفًا، والفطرُ: الشَّقُّ، ومنه تفطّر الورق.

٢ ـ تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ في فُؤَادِي فَبَادِيهِ مَعَ الخَافي يَسِيرُ

التغلغل: التوصّل على تعبٍ وشدّة، ولا يقال لمَن توصّلَ والمذهب سهل تغلغل.

٣ ـ تغَلْغَلَ حَيثُ لمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ ولا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

[٥٥٢] وقال ابن مَيَّادة[٢]:

١ ـ ومَا أَنسَ مِلْ أَشْيَاءِ لا أَنسَ قَوْلَهَا وأَدْمُعُهَا يُذْرِينَ حَشْوَ المَكَاحِلِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

انجزم «أَنسَ» بـ «ما»، وما موضعه نصب على المفعول من أنس، والمعنى: إنْ أَنْسَ شيئًا من الأشياء لا أَنْسَ قولَها، فلا أنسَ انجزم على أنه جواب الشّرط، وقوله «مِلْ أشياءِ» يريد مِنَ الأشياءِ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لمّا تعذّر إتيانه بالمتقاربين، وقوله «يذرينَ» أراد يسقطنَ حَشْوَ المكاحلِ، أراد أنها كَحْلاَء فكأنَّ الدَّمْعَ حين ذَرَفَ صَحِبَهُ الكُحْلُ.

٢ ـ تَمَتَّعْ بِذَا اليَوْمِ القَصيرِ فإنَّهُ رَهِينٌ بِأَيَّامِ الشُّهُورِ الأَطَاوِلِ

(١) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذليّ التابعيّ: مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها، من أعلام التابعين. (ت ٩٨ هـ/ ٧١٦ م). ترجمته في: (تذكرة الحفّاظ ١/ ٧٤؛ وسمط اللآلي ٧٨١، وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٣؛ وحلية الأولياء ٢/ ١٨٨؛ والأغاني ٩: ١٦١ (دار الكتب العلمية).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية (٥٣٥).

موضع «تَمَتَّعْ بذا اليوم القصيرِ» من الإعراب نصب على أنه مفعول من قولها: أي لا أنْسَى قولَها تمتّعْ بيومِكَ.

[٥٥٣] وقال آخر(١):

١ - بَيْضَاءُ آنِسَةُ الحَدِيثِ كَأنَّها ... قَمَرٌ تَوَسَّطَ جِنْحَ لَيلٍ مُبْرِدِ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

وصفَ المرأةَ بإشراقِ اللَّون، ومعنى آنسة ذات أُنسٍ؛ لأنَّ الحديث يُؤْنسُ ولا يأنس؛ فهو كقولهم: هَمٌّ ناصبٌ، والمراد مُنصِبٌ، وشبَّهَهَا بقمر توسَّطَ السَّماءَ في جُنْحِ ليلٍ كان فيه غَيْمٌ وبَرْدٌ، والقمر إذا خرجَ من خَلَلِ الغَمامِ في ليلة مَطِيرةٍ كان أضوأَ وأحسنَ، ويجوز أن يكون قوله «مبردِ» يراد به ليلٌ ذو بَرْدٍ أو بَرَدٍ ويكون من باب «أشملنا» إذا دخلنا في الشمال و«أشتينا» إذا دخلنا في الشتاء ويقال: بُرِدَتِ الأَرضُ، إذا مُطِرَتِ البَرَدَ، وهي مَبْرُودةٌ، و«أبردنا» أي: دخلنا في البَرَدِ، أو في البَرْدِ، وكذلك قولك «شُمِلْنا» أي: أصابتنا ريح الشَّمال؛ و«أشملنا» دخلنا في الشَّمال، وقال الخليل: يقال: أبردَ القومُ، إذا صاروا في وقت القُرِّ في آخر النهار، والأَبردان: طَرَفَا النَّهار.

٢ - مَوْسُومَةٌ بِالحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدِ ... إنَّ الحِسَانَ مَظِنَّةٌ لِلْحُسَّدِ

يريد أنه جعل سِيمَاهَا الحُسْن فهي مَمْسُوحةٌ به موسومةٌ، وأصل السِّمَةِ العلامة، ومنه السِّيمَا، و«ذات حواسد» أي: مَنْ يراها من النساء يحسدُها لأنَّ الحِسَانَ مَعْلَمٌ لِلحَسَدِ، وهذا كما يقال: إنَّ الحسدَ يتبعُ النِّعَمَ.

٣ - خَوْدٌ إذا كَثُرَ الحَدِيثُ تَعَوَّذَتْ ... بِحِمَى الحَيَاءِ وإنْ تَكَلَّمْ تَقْصِدِ

٤ - وتَرَى مَدَامِعَهَا تُرَقْرِقُ مُقْلَةً ... سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الإثْمِدِ

المدامع: مسايل الدّمع من القبائل في الرّأس، وتُرقرِقُ: أي تُرَقِّقُ، والرَّقْرَاقُ: الدَّمع الذي يترقرقُ في العين ولا يسيلُ.

[٥٥٤] وقال آخر(٢):

١ - صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الجِوَاءِ كَأنَّما ... تَرَكَ الحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

وصفها بأنها دُرِّيّة اللَّون، وأنَّ فيها مَشَابهَ من بَقَرِ الجِوَاء، وأنها قليلة الحركات والكلام لِفَرْطِ حيائها فكأنَّ بها نُكْسَ سَقمٍ لِمَا أَلِفَتْهُ من الكسلِ، قال الخليل: الرَّدْعُ

(١) الأبيات لمحمد بن بشير كما عند المرزوقي، وفي الأغاني ١٦/ ١٠٩.
(٢) الأبيات لمجنون ليلى قيس بن معاذ كما في اللسان (ردع).

والرُّدَاعُ: النُّكْسُ، ورجلٌ مُرَدَّعٌ، وقيل: الرُّدَاعُ الوجع من الجسد، فأمّا قول الأعشى: [الكامل]

بَيْضَاء ضَحْوَتَهَا وَصَفْـ ـرَاءُ العَشِيَّة كالعَرَارَهْ

فجعل لها لونين: بياضًا في أوّل النهار، وصُفرة في آخره، حتى كأنَّ لونها لون العَرَار، وإنّما يريد أنها تقيلُ فيمتدُّ النوم بها إلى آخر النهار، والقائم من النوم أبدًا يكون متغيّر اللّون، ومثل قوله «تركَ الحياءُ بها رداعَ سقيم» قولُ الآخر: [الطويل]

كَأنَّ لَهَا في الأَرْضِ نِسْيًا تَقُصُّهُ عَلَى أُمِّهَا وَإنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ[1]

٢ ـ مِنْ مُخذِيَاتِ أَخِي الهَوى جُرَعَ الأَسَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ ومُقْلَةِ رِيمِ

يريد أنها من النساء اللاّتي تَسْقي الشّبّان وأَرْبَابَ الهوى جُرَعَ الأسى، يريد أنها تفتنهم بمحاسنها ثم لا تُنيلُهم شيئًا، ويقال: أَحْذَيته، إذا أعطيته شيئًا، وهي الحُذْيَا والحِذْوَة، وقوله «بدلال غانية» تعلّق الباء منه بمحذيات.

٣ ـ وقَصِيرَةُ الأيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ نَالَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ

يعني أنّها لا تُمَلُّ؛ فالأيّامُ في ملازمتها قصيرة حتّى إن مُجَالسها يودُّ أن يدومَ مجلسُها له، وإنْ فَقَدَ أقاربَهُ، والباء في قوله «بفقدِ حميمِ» تفيد معنى العوض، فهو كما يقال: هذا لكَ بكذا: أي عِوَضًا منه.

[٥٥٥] وقال آخر:

١ ـ ونَارٍ كَسَحْرِ العَوْدِ تَرْفَعُ ضَوْءَهَا مَعَ اللَّيْلِ هَبَّاتُ الرِّيَاحِ الصَّوَارِدُ

الثاني من الطويل.

شَبَّهَ النارَ في حُمرتها وتَصَعُّدها بِسَحْر العَوْد، وهو الرئة وما يتعلّقُ بالحلقوم، ويقال لمَن نَزَتْ به البِطْنَة: انتفخَ سَحْرُهُ، كما يقال: عَدَا طَوْرَه، وأكثر ما يقال ذلك لمَن جَبُنَ عن الشّيءِ، والعَوْد: الجمل المُسِنّ، و«قد عَوَّدَ» أي نَيَّب، والجمع العِوَدَة، وفي لغة العِيَدَة، ويستعمل العَوْدُ في السُّؤدَدِ القديم، والطّريق العاديّ، والصّوارد: البوارد، وهي من صفات الرّياح.

٢ ـ أَصُدُّ بِأَيْدِي العِيسِ عَنْ قَصْدِ أَهْلِهَا وقَلْبِي إلَيْهَا بِالمَوَدَّةِ قَاصِدُ

أصُدُّ بأيدي العِيسِ: جواب رُبَّ.

---

(١) البيت للشنفرى الأزدي كما في المفضليات ص ١٠٩.

[٥٥٦] وقال الحُسَين بن مطير[1]:

١ ـ وكُنتُ أَذُودُ العَينَ أنْ تَرِدَ البُكا فقَدْ وردَتْ مَا كُنتُ عَنهُ أذُودُها

الثاني من الطويل.

يقول: كنتُ أمنعُ العينَ من البكاء، وقد غلبَها البكاءُ فقد وردت المورد الذي كنت أُحَلِّئُها[2] عنه.

٢ ـ خَلِيلَيَّ مَا بِالعَيشِ عَتبٌ لَوَ أنّنا وَجَدْنَا لأيّامِ الحِمَى مَنْ يُعِيدُها

الرواية الجيّدة «ما بالعيشِ عَتْبٌ»[3] والمراد أنه لا معتب على العيش لأن صفاءه بأن يتّصلَ له أيام كأيام الحِمى، فلو وجدنا مَنْ يعيد أمثالها لَطَابَ وصَفَا كما كان من قبل فلا ذنبَ للعيش إنّما الذنب لِمَا يكدِّره.

٣ ـ وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الجَوى كنَظْرَةِ ثَكْلَى قَدْ أُصِيبَ ولِيدُهَا

الجَوَى: داء في الجوف.

٤ ـ هَلِ اللّهُ عَافٍ عَنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ أَمِ اللّهُ إنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا يُعِيدُها[4]

يقول: هل يغفرُ اللّهُ عَمّا سَلَفَ من ذنوبها أو يعيد لنا تسهيل أمثالها إن ضاقَ عفوهُ عنها.

[٥٥٧] وقال سَوّار بن المُضَرَّب[5]:

١ ـ يا أيُّها القَلْبُ هَلْ تَنهَاكَ مَوْعِظَةٌ أوْ يُحْدِثَنْ لَكَ طُولُ الدَّهرِ نِسْيانَا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «أو يُحدِثَنْ» زاد النون الخفيفة في المعطوف من غير أن يحصل في المعطوف عليه، وهو تنهاكَ، وساغَ ذلك لأنهم أَلِفوا زيادة إحدى النونين فيما ليس بواجب من الأفعال؛ فكأنه قدَّر أن الأول حصل فيه النون فزاد في الثاني لتوهّم مثله في الأول واستمرار العادة بزيادته، وهذا كما عطف في بيت امرىء القيس: [الطويل]

فَظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ[6]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١٩). (٢) حَلأَ: منعَ.

(٣) هذه العبارة مشوّشة، والأفضل ما قاله المرزوقي: «يقول: «خليليّ ما بالعيشِ عَتْبٌ» رواه بعضهم: «ما بالعيشِ عَيْبٌ»، وذِكْرُ العَتْبِ أحسن هٰهنا».

(٤) المرزوقي جعل البيتين الأولين لوحدهما ونسبهما للحسين بن مطير، أما الثالث والرابع فجعلهما منفصلين وقال: «وقال آخر».

(٥) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٩).

(٦) البيت في ديوانه ص ٢٢؛ وجمهرة اللغة ص ٩٢٩؛ وشرح شواهد المغني ٢/٢٥٧؛ وشرح عمدة=

قوله «أو قدير» وهو مجرور على «صفيف شواء» وهو منصوب لِنيّته حذف التنوين، وجعل الإضافة بدلاً منه في منضج.

٢ ـ إنّـي سَأَسْتُرُ ما ذُو العَـقْـلِ سَـاتِـرُهُ مِـنْ حَـاجَـةٍ وأُمِـيـتُ الـسِّـرَّ كِـتْـمَـانَـا

انتصب «كتمانًا» لأنه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال، كأنه قال كاتمًا له.

٣ ـ وحَـاجَـةٍ دُونَ أُخْـرَى قَـدْ سَـنَـحْـتُ بـهـا جَـعَـلْـتُـهـا لِـلَّـتي أَخْـفَـيـتُ عُـنْـوَانَـا[1]

يريد رُبَّ حاجةٍ عَرضْتُ لها وأظهرتُها وفي النّاس خلافها، لأني جعلت المظهر في التوصُّلِ به إلى المضمَر كعنوان الكتاب الذي يظهر وما ينطوي عليه الكتاب مستورٌ، وعُنْوَان: فُعْوَال من عَنَّ لي الشَّيء إذا اعترض، ويجوز أن يكون فُعْلانًا من عَنَاه كذا.

٤ ـ إنّـي كَـأَنّـي أَرَى مَـنْ لاَ حَـيَـاءَ لَـهُ ولاَ أَمَـانَـةَ وسْـطَ الـقَـوْمِ عُـرْيَـانَـا[2]

[٥٥٨] وقال آخر[3]:

١ ـ أَهَـابُـكِ إجْـلالاً ومـا بِـكِ قُـدْرَةٌ عَـلـيَّ ولَـكِـنْ مِـلْءُ عَـيـنٍ حَـبِـيبُـهـا

الثاني من الطويل.

انتصبَ «إجلالاً» لأنه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال، فيقول: أحتشمُكِ بظهر الغيب وأخافُكِ ليس لاقتدارك عليَّ ولكن إكبارًا لِقَدْرِكِ لأنَّ العينَ تمتلىءُ مِمَّنْ تحبُّه، والضمير من «حبيبها» للعين، وإن جعلته للمرأة جاز، وقوله «ملء عين» جاز الابتداء به وإن كان نَكِرَة لحصول الفائدة في تعليق الخبر به.

٢ ـ ومَـا هَـجَـرَتْـكِ النَّفْـسُ أَنَّـكِ عِـنْـدَهَـا قَـلِـيـلٌ، ولَـكِـنْ قَـلَّ مِـنْـكِ نَـصِـيـبُـهـا

[٥٥٩] وقال ابن الدُّمَينةِ[4]:

١ ـ أَلاَ لاَ أرى وَادِي الـمِـيَـاهِ يُـثِـيـبُ وَلاَ الـنَّـفْـسَ عَـنْ وَادِي الـمِـيـاهِ تَـطِـيـبُ

الثالث من الطويل.

«يُثِيبُ» أي يجعلُ لي ثوابًا، ويجوز أن يكون من قولهم «بئرٌ لها ثائب» إذا كان ماؤها ينقطع أحيانًا ثم يعود، فيكون «أثاب» بمعنى صار له ثائب، كأن الوادي كان اتّفقَ

= الحفّاظ ص ٦٢٨؛ ولسان العرب (صفف، وطها).

(١) عند المرزوقي: «قد سنحتُ لها». (٢) عند المرزوقي: «بين الناسِ عُريانا».

(٣) البيتان لنصيب في ديوانه ص ٦٨؛ وفي سمط اللآلىء ص ٤٠١.

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية (٤٥٧).

فيه مواصلة بينه وبين محبوبه ثم انقطع فكان لا يثوب خيره، ويجوز أن يكون ذكر الوادي كالكناية عنها.

٢ ـ أُحِبُّ هُبُوطَ الوَادِيَيْنِ؛ وإنَّني لَمُشْتَهِرٌ بِالوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

أي: إنّي مشتهرٌ بحبِّ هذه المرأة في الوادِيَيْنِ غريب لا يساعدني أحد على طِلاَبها، وإنْ أُرِيدَ بي سوءٌ من أجلها لم أجدْ ناصرًا.

٣ ـ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَارِدًا ولا صَادِرًا إلاَّ عَلَيَّ رَقِيبُ

«أَحَقًّا» في موضع الظرف، كأنه قال: أفي حَقٍّ، وموضع «أن» بما بعده موضع المبتدأ، و«أحقًّا» في موضع الخبر.

٤ ـ ولا زَائِرًا فَرْدًا ولا في جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إلاَّ قِيلَ: أَنْتَ مُرِيبُ

«فردًا» انتصبَ على الحال، والعاملِ ما دلَّ عليه «ولا زائرًا» من الفعل، و«إلاَّ قيل» في موضع الحال: أي لا أزورُ إلاَّ مقولاً ذلك فيه، وموضع «أنت مُرِيبُ» الجملة رفع على أنّه قامَ مقام فاعل قِيلَ.

٥ ـ وَهَلْ رِيبَةٌ في أَنْ تَحِنَّ نَجِيبَةٌ إلى إلْفِهَا، أو أَنْ يَحِنَّ نَجِيبُ

«هل ريبةٌ» لفظه استفهام، ومعناه النّفي: أي لا ريبةَ في حنين أحد المتآلِفَيْنِ إلى الآخر.

٦ ـ وَإِنَّ الكَثيبَ الفَرْدَ مِنْ جانِبِ الحِمَى إلَيَّ وَإنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ

٧ ـ لَكِ اللَّهُ إنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتِنِي ومُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتِنِي وَمُثِيبُ

«لكِ اللَّهُ» يجوز أن يكون دعاء لها، والمعنى إحسان الله لك، كما يقال: أعطاكَ الله، ويجوز أن يكون قَسَمًا وجوابه «إنِّي واصلٌ»؛ فكأنّه دعا لها أو أقسمَ لها بأنه يبقى على العَهْدِ لها مدَّةَ دوامِ مواصلتها وبقائها على المصافاة.

٨ ـ وآخِذُ مَا أَعْطَيْتِ عَفْوًا وَإنَّني لأَزْوَرُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ

٩ ـ فلاَ تَتْرُكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا مِنَ الوَجْدِ قَدْ كانَتْ عَلَيْكِ تَذُوبُ

الشَّعَاع: المنتشر، وكذلك الشعّ، والفعل منه شَعَّ، ويقال: تطاير القوم شَعَاعًا: أي متفرّقين.

١٠ ـ وإنِّي لأَسْتَحْيِيكِ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الغَيْبِ مِنْكِ رَقِيبُ

مثله قول الآخر: [الطويل]

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَاوِيًا خَمِيصًا وَأَسْتَحْيِي فُطَيْمَةَ طَاعِمَا

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيكِ والخَرْقُ بَيْنَنَا مَخَافَةَ أنْ تَلْقَيْ أخًا لِيَ لائِمَا[١]

[٥٦٠] وقال آخر:

١ - تَحَمَّلَ أصْحَابِي ولَمْ يَجِدُوا وَجْدِي ولِلنَّاسِ أَشْجَانٌ وَلِي شَجَنٌ وَحْدِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

الشَّجَن: الحاجة، والجمع أشْجَان وشُجُون، وموضع «وحدي» نصب على المصدر، وهو موضوع موضع الإيحاد، يقول: ارتحلَ أصحابي ولم ينلهم من الوجد ما نالني وفي الناس حاجات وقد أوحدتُ نفسي بحاجة لها إيحادًا.

٢ - أُحِبُّكُمْ مَا دُمْتُ حَيًّا فَإنْ أَمُتْ فَوَا كَبِدَا مِمَّنْ يُحِبُّكُمُ بَعْدِي

ويَروى «مَنْ ذا يحبكم»؛ وقد عِيبَ الشَّاعر بهذا، فقيل: لم يرض بأن يجعل لها مُحِبًّا حتى صار يتحزّن له، وأشنع من هذا قول الآخر: [الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يهيمُ بهَا بَعْدِي[٢]

وقد قيل في هذا أيضًا: إنه لو قال:

فَلاَ صَلُحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي

لَكَانَ صوابًا.

[٥٦١] وقال أبو حيَّة النميريّ[٣]:

أعرابيٌّ فَصيحٌ، وكانت به لوثة وجُبْن شديد، وكان له سيف يسمّيه لُعَابَ المنيّة، ونزل على أصدقاء له بالبصرة، فلمّا كان في اللّيل سمعَ حِسَّ كلبٍ معه في البيت، فانتضَى سيفَه، وكانت المِغرفة أقطع منه، ولفَّ كساءَهُ على يَدِهِ، ثم قال: أيها المجترىء علينا، المُغْتَرّ بنا، بِئْسَ والله ما اخْتَرْتَ لِنفسِكَ: خيرٌ قليل، وشرٌّ كثير، وسيفٌ صقيل، لُعابُ المنيَةِ ذُو سَمِعْتَ به[٤] مشهورةٌ ضريبته، لا تُخَافُ نَبْوَته، وإنْ دعوت قيسًا ملأتها عليك خَيلاً وَرَجْلاً، اخرجْ وَيْلَكَ بالعفو عنكَ قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، فخرجَ الكلب، فقال: الحمد لله الذي مسخَكَ كلبًا، وكَفانا حَرْبًا.

١ - رَمَتْهُ أَنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَؤُومُ الضُّحَى في مَأْتَمٍ أيِّ مَأْتَمِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

---

(١) البيتان في المفضليات ص ٢٤٦ (طبعة المعارف الثانية) وقد نسبهما للمرقّش الأصغر.

(٢) البيت في الأغاني ١٩/ ١٥٩ للنمر بن تولب. (٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥١٧).

(٤) «ذو» هي الطائيّة، والمعنى: هذا السيف لعاب المنيّة الذي سمعتَ به.

«أناةٌ» أصله وَناةٌ، لأنه من الوَنَى الفتور والكَسَل، والواو المفتوحة لم تبدلْ فيها الهمزة إلاً في أحرف قليلة، وهي «أَناة» في صفة المرأة، و«أحد» صفةً واسمًا للعدد، وما جاء في الحديث من قولهم «أيُّ مالٍ أَدَّيْتَ زكاتَه فقد ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ»[1] يريد وَبَالَه، والأبلة في الطعام أصله الوبلة، ويقال: أجِمْتُ أجومًا ووجمت وجومًا، وقد يجوز أن يكون «أناة» من التَّأَنِّي في الأمر التَّمَكُّثِ فيه، ووصفها بِرُقَادِ الضُّحَى لأنّها مكفيّة ذات خَدَم وَيَسار، والمأتم: نساء يجتمعن في خيرٍ وشرٍّ.

٢ ـ فَجَاءَ كَخُوطِ البَانِ لا مُتَتَايِعٌ ولكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمِيسَمِ

الخُوط: الغصن، وجمعه خِيطَان؛ وشبَّه به الشَّابّ النّاعم ثم حذف التشبيه، ووصفوا التَّامَّ الخلق المقتبل بِالخُوط، والمتتايع: الذي يتهافت على أمر ليس بالحميد، والمِيسَم: الحسن والوسامة، وموضع «كخوط» نصب على الحال، و«لا متتايع» ارتفع لأنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا هو متتايع، و«لكن» استدراك بعد نفي: أي جاء غير متتايع ولكن بهذه السِّيما.

٣ ـ فَقُلْنا لها سِرًا: فَدَيْنَاكِ لا يَرُحْ صَحِيحًا؛ وَإنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي

«ألممي» أي قاربي، وأظهر التَّضعيف في «أَلممي» لإقامة الوزن، وليس هذا الموضع موضع إظهار، وذلك أنهم يقولون في الموقوف والمجزوم: أَلِمَّ يا رجلُ، وَلَمْ تُلِمَّ، فيجوز الوجهان: الإدغام، وتركه، فإذا لحقت الألف للتثنية أو الواو للجمع أو الياء للتأنيث تحرَّكَ الحرف الذي هو آخر الفعل حركة لازمة، فلم يجزْ إظهار التضعيف، فالذين قالوا «أَلْمِمْ» يقولون في التثنية «أَلِمَّا» وفي الجمع «أَلِمُّوا» وفي التأنيث «أَلِمِّي» ولا يحسن غير ذلك إلا عند الضرورة، وقوله «سِرًّا» يجوز أن يكون مصدرًا في موضع الأمر، كأنه قال: سَارِّيهِ مُسَارَّةً، فوقع السِّرّ موقع المُسَارَّة، ويكون على هذا قوله «لا يَرُحْ» جواب الأمر الذي دَلَّ عليه سِرًّا، ويجوز أن يكون «سِرًّا» مصدرًا في موضع الحال، ويكون «لا يَرُحْ» مجزومًا بلا النّهي، وجعلَ النَّهيَ في اللّفظ للرجل والمرأةُ هي المنهيّة، كما تقول: لا أَرَيَنَّكَ هنا، والمعنى لا تكنْ هنا فأراكَ، والمراد لا تَدَعِيهِ يروح صَحِيحًا.

٤ ـ فأَلْقَتْ قِناعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٌّ وَمِعْصَمِ

يقول: سترت بمِعصمها وجهها، وهو كالشمس؛ فكأن القناع دونه الشمس.

٥ ـ وقَالَتْ فَلَمَّا أفْرَغَتْ فِي فُؤَادِهِ وعَيْنَيْهِ مِنْها السِّحْرَ قُلْنَ لَهُ: قُمِ

---

(١) ذكره الزبيدي في تاج العروس (أبل).

السِّحر: إخراج الشيء في أحسن مَعَارضِهِ حتى يفتنَ، ولذلك قيل للرائق المعجِب: هو السِّحْرُ الحلالُ، ويقال: سَحَرْتُ القِصَّةَ، إذا طَلَيْتَها بالذَّهبِ، ويُروَى «قلنَ له أنْعَم» على القلب: أي احزنْ وتَوَجَّدْ من العشق، ويجوز أن يكون معنى «انعمْ» هزأ: أي قد صدناكَ واستعبدناكَ، و«أفْرَغَتْ» أي صَبَّت السِّحْرَ في عَيْنَي الرّجل وفؤاده وسحرتْ عينه لأنه رآها فوق ما هي عليه من الحُسْن، وقوله «وقالت» أصل القول واقع على اللفظ، فيجوز أن يكون قالت في هذا البيت المراد به تكلّمت، لأنهم يقولون «قد قال فلان، وقلنا»: أي تكلَّم وتكلّمنا، قال الشاعر: [الوافر]

أَيَـأْخُـذُنَـا بِـمَـظْـلَـمَـةٍ سَـعِـيـدٌ وَقَـدْ قُـلْـنَـا لِـشَـاعِـرِهِـمْ وَقَـالاَ

وقد تأوَّلَ بعضُهم أنَّ قالت هنا بمعنى أومأتْ أو تهيَّأَتْ لأمرٍ تريده، ويحكون «قال الحائط فمال».

٦ ـ فَـوَدَّ بِـجَـدْعِ الأَنْـفِ لَـوْ أنَّ صَـحْـبَـهُ تَـنَـادَوْا وَقَـالُـوا فـي الـمُـنـاخِ لَـهُ: نَـمِ

الباء في «بِجَدْعِ الأنفِ» هو الذي يفيدُ معنى العِوَض، يقول: هذا بذاك: أي عِوَض من ذاك، وقوله «تنادوا» يجوز أن يكون معناه تجمّعوا، من النديّ، وهو المجلس، ويجوز أن يكون من النِّدَاء، يريد تداعوا وقالوا له ذلك.

[٥٦٢] وقال آخر(١):

١ ـ نَـظَـرْتُ كَـأَنِّـي مِـنْ وَراءِ زُجـاجَـةٍ إِلَـى الـدَّارِ مِـنْ فَـرْطِ الـصَّـبَـابَـةِ أَنْـظُـرُ

الثاني من الطويل.

يقول: كأنّي من فَرْطِ الصَّبابةِ أنظرُ إلى الدّار من وراء زجاجة فلا أتبيّنُ الآثار.

٢ ـ فَـعَـيْـنَـايَ طَـوْرًا تَـغْـرَقَـانِ مِـنَ الـبُـكـا فَـأَعْـشَـى وطَـوْرًا تَـحْـسِـرَانِ فَـأُبْـصِـرُ

الطَّوْر: التارة، يقال «النّاسُ أطوارٌ»: أي على أحوال شَتَّى، وقوله «تحسران» يجوز أن يكون من قولهم: حَسَر البحرُ، إذا نضبَ الماءُ عن ساحله، ويجوز أن يكون من «حَسَرْتُ القناعَ» ويكون على هذا مفعوله محذوفًا، والأول أحسن.

[٥٦٣] وقال آخر(٢):

١ ـ ومَـا شَـنَّـتـا خَـرْقَـاءَ وَاهِـيَـتَـا الـكُـلاَ سَـقَـى بِـهِـمَـا سَـاقٍ فَـلَـمْ يَـتَـبَـلَّـلا(٣)

---

(١) في اللآلىء ص ٢٦٥؛ وأمالي المرتضى ١٠٣/٢ لأبي حَيَّة؛ ونُسبا في زهر الآداب ٨٢/٤ إلى المجنون، وللبيت الأول في الأغاني ١٠٣/٢١ قصة.

(٢) البيتان في أمالي القالي ٢٠٨/١؛ وزهر الآداب ٨٢/٤؛ وملحقات ديوان ذي الرّمّة ص ٦٧١ لذي الرّمّة غيلان بن عقبة.

(٣) عند المرزوقي: «واهيةِ الكُلَى» والكُلى: جمع الكُلية: وهي من المزادة رقعة مستديرة تخرز عليها=

الثاني من الطويل.

الخرقاء: التي لا رِفْقَ لها في الأعمال ولا بصيرة، والشَّنَّة أراد بها هنا الدَّلْو الخَلَق، وهي السّقاء البالي في الأصل، ولم يرضَ بأن جعل الدلو خَلَقًا حتى جعلها لامرأة لا تُحْسِنُ عَملاً من خَرْزٍ وغيره، يقول: ما دَلْوَانِ هذه صفتهما.

٢ ـ بِأَضْيَعَ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كُلَّما تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلاَ

أي: بِأشدّ إضاعة لِلماء من عينيك للدَّمع كلّما تَوَهَّمْت دار الحبيب، وكان الواجب أن يقول بِأشدّ إضاعة للدّمع، فجاء به على حذف الزوائد، وعلى طريقة سيبويه في جواز بناء التعجّب مما كان على أَفْعَلَ مما زاد على الثلاثي خاصة.

[٥٦٤] وقال أَبو الشِّيصِ الخزاعي[١]:

يقال لحمل النخلة إذا لم يكن له نوى: شِيص، وذلك رديء مذموم، قال: [البسيط]

وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ فيهِ التَّمْرُ وَالشِّيصُ

أبو الشِّيص: لقب، واسمه محمد بن عبد الله بن رزين، وكنيته أبو جعفر، وهو ابن عَمّ دِعْبل بن علي بن رزين الشّاعر، وكان في زمن الرّشيد، وعَمِيَ في آخر أيامه، وكان هو ومُسْلم بن الوَلِيد يتحاسَدَانِ، وكان لأبي الشِّيص طبع ولمسلم إدمان.

١ ـ وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ ولاَ مُتَقَدَّمُ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

خبر المبتدأ وهو «أنتِ» محذوف، كأنه قال: حيث أنتِ واقفةٌ، لأنَّ حيثُ في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة في حاجته إلى جملتين؛ والمُتَأَخَّر والمُتَقَدَّم بمنزلة التَّقَدُّم والتَّأَخُّر، فهما مَصْدَرَان.

٢ ـ أَجِدُ المَلامَةَ في هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

قوله «حُبًّا لِذِكرك» انتصب لأنه مفعول له وبيان لعلّة لَذّته لما يجلب على غيره ضَجَرًا وهو اللَّوم، ومثله: [الطويل]

وَأَسْأَلُ عَنْها الرَّكْبَ عَهْدُهم عَهْدي[٢]

= تحت العروة.

(١) أبو الشِّيص الخزاعي: محمد بن عبد الله: شاعر مطبوع، سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة، عَمِيَ في آخر عمره (ت ١٩٦ هـ/ ٨١١ م). ترجمته في (فوات الوفيات ٢/ ٢٢٥؛ والشعر والشعراء ص ٣٤٦؛ وتاريخ بغداد ٥/ ٤٠١).

(٢) هذا عجز بيت لابن هرم الكلابي سيأتي في الحماسية رقم (٥٨٨) وصدره: «وأستخبر الأخبار من نحو=

يريد أنه يستلذّ ذِكْرَها.

٣ ـ أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ إِذْ كَانَ حَظِّيَ مِنْكِ حَظِّيَ مِنْهُمُ

أي: وافقتِ في معاملتي أعدائي أخذًا فيما أكرهُه وذَهَابًا عَمَّا أُحبّه لأن حَظِّي منكِ فيما أرومه يماثل حَظِّي من أعدائي فيما أسومهم، وقوله «حظّي منهم» يريد التشبيه، و«منك» في موضع الحال، وكذلك «منهم».

٤ ـ وأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِيَ صَاغِرًا مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ أُكْرِمُ

يقول: أذْلَلْتِني فأذللتُ نفسي على صُغْرٍ مِنّي مجانبةَ الخلاف عليك، وقوله «مِمَّنْ أُكرمُ» العائد إلى الموصول محذوف، و«صاغرًا» ينتصب على الحال.

[٥٦٥] وقال آخر:

١ ـ ولا غَزْوَ إلاَّ ما يُخَبِّرُ سَالِمٌ بِأَنَّ بَنِي أَسْتَاهِهَا نَذَرُوا دَمِي

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«لا غَزْوَ» أي: لا عجبَ، وخبر «لا» محذوف، كأنه قال: لا غَزْوَ في الدنيا، أو موجود، وموضع «ما يخبر» رفع على أنه بدل من موضع «لا غروَ» وإنما قال «بني أستاهِها» لأنه يريد أنهم مخروؤون لا مولودون والمراد به السُّقَّاط الذين لا عقول لهم؛ نذروا دمي: أي قالوا إنّهم إنْ رأوني قتلوني، يتعجّبُ من ذلك.

٢ ـ ومَا لِيَ مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عَلِمْتُهُ سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يا سَرْحَةُ اسْلَمِي

جعل السَّرْحَةَ وهي شجرة كنايةً عن امرأة فيهم، وقوله «سِوَى أَنَّني» موضعه من الإعراب استثناء خارج، و«يا سرحةُ» إذا ضممته فالضّمّة الأصل في استعمال المنادى المفرد المعرفة، وإذا فتحته فلاعتيادهم الترخيم في مناداة ما في آخره هاء التأنيث، وإذا أرادوا ترخيمه أتَمّوه ونَوَوْا الترخيم فجعلوا حركته حركة المرخّم منه، وهي الفتحة، والسَّرْحُ: من العِضَاه يكون دَوْحَة يَحُلُّ النَّاس تحتها في الصَّيفِ، وقال الفرّاء: كلُّ شجرةٍ لا شوكَ فيها فهي سَرْحَةٌ، ذَهَبَ إلى السَّرح السَّهْلِ، وقال ابن هرْمَة وكَنَى بها عن امرأةٍ: [الطويل]

سَقَى السَّرْحَةَ المِحْلاَلَ دُونَ سُوَيْقَةٍ نِجَاءُ الثُّرَيَّا مُرْتَعِنًا هَطُولُهَا

وقد تُسَمَّى المرأةُ بِسَرْحة، وكأن هذا الشَّاعر لما قال «يا سرحة اسلمي» علم أهل المرأة أنه يريد صاحبتهم فغضبوا لذلك.

= أرضها».

٣ ـ نَعَمْ فاسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّتَ اسْلَمِي ثَلاثَ تَحِيَّاتٍ وإنْ لَمْ تَكَلَّمِي

«نعم» وإن كان حرفًا في الأصل يوجب به ويُجاب في الاستفهام المحض فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بَسْطِ الكلام وصلته، وقوله «ثلاث تحيّاتٍ» انتصب على المصدر من فعل دَلَّ عليه قوله «اسلمي»؛ كأنه قال: أُحَيِّي ثلاثَ تحيّاتٍ وإن لم تَرجِعي الجوابَ إليَّ.

[٥٦٦] وقال خُلَيْدٌ مولى العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس:

١ ـ أَمَا والرَّاقِصَاتِ بِذَاتِ عِرْقٍ وَمَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الأَرَاكِ[١]

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

أضاف نَعْمَان إلى الأَراك لكثرتها بها، وجواب اليمين قوله:

٢ ـ لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبَّكِ في فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ

٣ ـ أَطَعْتِ الآمِرِيكِ بِصُرْمِ حَبْلِي مُرِيهِمْ في أَحِبَّتِهِمْ بِذَاكِ

ويُروى «أمرتِ الآمريك» ويُروَى «أَرَيْتِ الآمِريك» أصله أَرَأَيْتِ؛ فحذف منه الهمزة حذفًا كما حذف في يَرَى ونَرَى وتَرَى.

٤ ـ فَإنْ هُمْ طَاوَعُوكِ فَطَاوِعِيهِمْ وإنْ عاصَوْكِ فاعْصِي مَنْ عَصَاكِ

كان الواجب أن يكون: وإن عاصوكِ فاعصيهم، فعدلَ عن الإتيان بالضمير إلى ذِكْرِ الظَّاهر ليبيّن فيه ما يشنع به عليهم، وليظهرَ السَّبَبَ الموجب للإغراء بهم، ولو قال «فاعصيهم» لم يَبِنْ ذلك فيه.

[٥٦٧] وقال أبو القَمْقَام الأَسديّ:

قال أبو الفتح: القَمْقَام السيّد، وهو في الأصل البحر؛ لأنه مجتمع الماء، وشُبّه الرجل به لاجتماع الأمور إليه، ويقال: قَمْقَمَ اللَّهُ عَصَبَه: أي جمعه وقبضه، وقالوا «بحرٌ قمقامٌ» فأجروه عليه وصفًا، ورجلٌ قمقامٌ، وقماقم؛ لِلسيّد، قال العجاج: [الرجز]

مَنْ خَرَّ فِي قَمْقامِنَا تَقَمْقَمَا[٢]

شَبَّه عددهم وكثرتهم بالبحر، وقال أيضًا: [الرجز]

وَقُمْقُمانُ عَدَدٍ قُمْقُمُ[٣]

---

(١) ذات عرق: مُهَلّ أهل العراق، وهو الحدّ بين نجد وتهامة، وقيل: عِرْقٌ جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق (معجم البلدان ٤/١٠٨). ونَعمان الأراك: اسم لعدّة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٥/٢٩٣).

(٢) قال في اللسان (قمم): «وقال رؤبة: «مَنْ خَرَّ في قَمقامنا تقمقما» أي خَرَّ في عددنا غُمِرَ وغُلِبَ كما يُغمَر الواقع في البحر الغَمر».

(٣) للعجاج أيضًا كما في اللّسان وقبله: «له نواحٍ وله أُسْطُمُّ».

والقُمْقَام: صِغار القِرْدَان، الواحدة قمقامة، سُمِّي بذلك لاجتماع جسمه وانضمام أجزائه بعضها إلى بعض.

وقال أبو العلاء: يقال: رجلٌ قَمْقَامٌ أي سَيِّدٌ كثير العطاء، ويقال للبحر: «قمقام» لِكَثْرةِ مائه، وقالوا في ضدّه «رجل قمقام» أي: دَنِيء يرضى بالمآكل الخبيثة، كأنه أخذ من قولهم: قمقمت ما على المائدة، إذا تتَبَّعْتَ ما يبقى عليها، قال البَعِيث: [الطويل]

أشَارَكْتَنِي في ثَعْلَبٍ قَدْ أكَلْتُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ جِلْدُهُ وَأكَارِعُهْ

فَدُونَكَ خُصْيَيْهِ وَمَا ضَمَّتِ ٱسْتُهُ ... فَإنَّكَ قَمْقَامٌ خَبِيثٌ مَرَاتِعُهْ

ويقال لِلْقُرَاد قبل أنْ يَعْظُمَ قمقام.

١ ـ اقْرَأْ عَلَى الوَشَلِ السَّلاَمَ وَقُلْ لَهُ ... كُلُّ المَشَارِبِ مُذْ هُجِرْتَ ذَمِيمُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

الوَشَلُ هنا: ماءٌ معروف، وقالوا: هو موضع بعينه، والوَشَل: الماء القليل يترقرقُ على وجه الأرض، وقال الخليل: الوَشَلُ الماء القليل يتحلَّبُ من صخرة أو جبل يقطرُ منه قليلاً قليلاً، والوَاشِلُ: القاطِرُ، يقال: جبل واشلٌ؛ يقطر منه الماء.

٢ ـ سَقْيًا لِظِلّكَ بالعَشِيِّ وبِالضُّحَى ... ولِبَرْدِ مائِكَ والمِيَاهُ حَمِيمُ

كان الواجب أن يقول: سَقْيًا لِظِلِّكَ بِالغداة، والفَيء بِالعشي، ألاَ ترى قول الآخر: [الطويل]

فَلاَ الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتَطِيعُهُ ... وَلاَ الفَيْءَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ نَذُوقُ(١)

إلاَّ أنَّه سَمَّى الفيءَ ظِلاًّ لتشابههما في منظر العين، وقوله «والمياه حميم» الواو فيه واو الابتداء، وهو واو الحال.

٣ ـ لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ مَنْعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ ... ما في قِلاَتِكَ ما حَيِيتُ لَئِيمُ

جواب «لو» قوله «لم يذقْ» وقِلاَت: جمع قَلْت، وهو حفرة في الجبل يُسْتنقَعُ فيها ماء المطر، وعَنَى بِاللِّئامِ أهل الماء لأنّهم أعداؤه إذ فَرَّقوا بينه وبين محبوبه الذي كان ينزل على هذا الماء.

[٥٦٨] وقال ابن الدُّمَيْنَة(٢):

١ ـ وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي دَلَجَ السُّرَى ... وجُونُ القَطَا بِالجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ

---

(١) البيت لحميد بن ثور في ديوانه ص ٤٠؛ وفي اللسان (فيأ).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥٧)، وأضاف المرزوقي: «وقد كتب بها إلى أُمَامة». والشعر في ديوانه ص ٣٦؛ والحيوان ٣/ ٥٥؛ والأغاني ١٥/ ١٤٨؛ ومعاهد التنصيص ١/ ٥٨.

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

السُّرَى: سَيْرُ اللَّيل، والدَّلَجُ: في بعض اللَّيل، ويقال «سار دَلْجَةً» أي: ساعة من أول اللَّيْلِ، فلذلك أضاف الدَّلَجَ إلى السُّرَى فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكلّ، وجُوْنُ القَطَا جمع جُوْنيّ، وهذا كما يقال: عَرَبيّ وعرب، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين واحده في اللّفظ إلاّ طرح الهاء، نحو تَمْرَة وتَمْر، وما أشبهها، وجُثُوم: جمع جاثم، وجَثَم الطّائرُ، إذا ألصقَ صدرَه بالأرض، ويستعمل في السّبع وغيره، ومنه الجثمان لجسم الإنسان، وقال الأصمعيّ: الجثمان الشَّخص والجسمان الجسم، والجلهة: ما استقبلك من الوادي.

٢ ـ وَأَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً وقَرَّفْتِ قَرْحَ القَلْبِ فَهْوَ كَلِيمُ

٣ ـ وأنتِ الَّتِي أَحْفَظْتِ قَوْمِي فَكُلُّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

قَرَّفْتِ: أي قَشَرْتِ ولم يكنْ قد بَرَأَ.

أي: ممتلىء الجوف من الغضب، أحفظتِ: أي أغضبتِ، ويقال: كَظَمَ غيظَه، إذا جَرعَهُ، وكظَمَ البعير جِرَّتَه، إذا ابتَلَعَها، والكَظَمُ: مخرجُ النَّفَسِ، ويقال للمحزون: إنه لَمَكْظُومٌ، والكَظِيمُ في البيت بمعنى المكظوم.

[٥٦٩] فأَجَابَتْهُ أُمَامَةُ عَلَى وَزْنِهَا ورويِّها:

١ ـ وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وأَشْمَتَّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ

٢ ـ وأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وأَنتَ سَلِيمُ

٣ ـ فَلَوْ أَنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الجِسْمَ قَدْ بَدَا بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الوُشَاةِ كُلُومُ

[٥٧٠] وقال المعْلُوطُ بن بَدَل السَّعْدِي[1]:

المعلوط: اسم المفعول من قولهم: عَلَطْتُ البعيرَ، إذا وَسَمْتَه في عرض خَدِّه، أَعْلِطُهُ عَلْطًا، فأمَّا نفس السِّمَة فهي العِلاَطُ.

١ ـ إنَّ الظَّعَائِنَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ أَبْكَيْنَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عُيُونَا

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

ويُروَى «يوم حزم سويقة»[2] والظَّعِينة: المرأة، لأنها تَظْعَنُ إذا ظَعَنَ زوجُها: أي

---

(١) المعلوط بن بدل السّعديّ: شاعر إسلامي (اللآلي ص ٤٣٤).

(٢) هذه رواية المرزوقي.

تشخَصُ، وقيل: الظَّعينة الجمل الذي تركبه، سُمِّيَتْ به كما قِيلَ لِلْمَزادة رَاوِية، والحزم: ما غَلُظَ من الأرض.

٢ - غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـرَاتِـهِـنَّ وقُـلْـنَ لِـي مَـاذَا لَـقِـيـتَ مِـنَ الـهَـوَى ولَـقِـيـنـا

أي: أخذنها بأطراف البَنانِ مخافةَ الرُّقباء، وأصل غَيَّضْنَ قَلَّلْنَ، ويقال: هذا من ذاك غَيْضٌ مِن فَيْضٍ: أي قليل من كثير، وأخذ ذو الرُّمَّة هذا المعنى فقال: [الطويل]

ولـمَّا تَـلاَقَـيْنا جَـرَتْ مِـنْ عُـيُـونِـها دُمُـوعٌ وَزَعْـنَـا مـاءَهَـا بِـالأصَـابـعِ
وَنِـلْـنـا سِـقَـاطًا مِـنْ حَـدِيـثٍ كـأنَّـهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْزُوجًا بِمَاءِ الوَقائعِ

ولك أن تجعل «ماذا» بمنزلة اسم واحد فتنصب بِلَقِيت، ولك أن تجعل ذا بمنزلة الذي، ويكون ضميره العائد من الصفة محذوفًا، كأنه قال: لقيته ولقيناه.

٣ - بَـلْ لَـوْ يُـسَـاعِـفُـنَـا الـغَـيُـورُ بِـدَارِهِ يَـومًا لَـقَـد مَـاتَ الـهَـوَى وحَـيِـيـنَـا[1]

«يساعفنا الغيورُ بِدَارِه» أي: يقارِبُنا بمحلِّه، والإسعاف: قضاء الحاجة وإدناؤها، قال النمريّ: روايتنا «الغيور بداره» وقد ذكر لي أنه يروي «العيون بدارة» وفُسِّر فقيل: العيون الرقباء، ودارة: موضع، وليس هذا ممتنعًا؛ وردَّ عليه هذه الرواية أبو محمد الأعرابي.

[٥٧١] وقال جميل[2]:

١ - وَمَـاذَا عَـسـى الـوَاشُـونَ أنْ يَـتَـحَـدَّثُـوا سِـوَى أَنْ يـقُـولُـوا إنَّـنِـي لـكِ عَـاشِـقُ[3]

الثاني من الطويل.

«ماذا» في موضع المبتدأ، كأنه قال: أيُّ حديثٍ عسى الواشونَ أَنْ يتحدَّثوا به سِوَى قولهم إنّني لك مُحِبٌّ، فهو كقولك: أي ضرب عسى زيد أن يضربه، وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدىء بهما، ولا يجوز أن ينتصب بيتحدّثوا، لأنه في صلة «أن» فلا يعمل فيما قبل الموصول، ولا يجوز أن يكون «ذا» منه بمنزلة الذي؛ لأنَّ «عسى» لا يصلحُ لكونه غير واجب أن يقع صلة له؛ وكذلك أَخَوَات «عسى»، أَلاَ ترى أنَّ الاستفهام والنَّفي وأخواتهما لا يَقَعْنَ صِلات إذ كانت الصّلات إنما تكون من الجملة الخبرية الواجبة، والمعنى: إنَّهم لا يقدرون في وشايتهم على أكثر من أن يقولوا إنني لك عاشقٌ، ثم أوجب بنعم فقال:

٢ - نَـعَـمْ صَـدَقَ الـوَاشُـونَ أنـتِ حَـبِـيـبَـةٌ إلـيَّ وإنْ لَـمْ تَـصْـفُ مِـنْـكِ الـخلائِقُ[4]

---

(١) عند المرزوقي: «لو يُساعِدُنا».
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٠٢).
(٣) عند المرزوقي: «وامِقٌ».
(٤) عند المرزوقي: «أنتِ حبيبةٌ».

[٥٧٢] وقال آخر:

قال أبو رياش: هي لابن الدُّمَيْنَة.

١ - وإذا عَـتَـبْـتِ عَـلَـيَّ بِـتُّ كَـأَنَّـنِـي بِـالـلَّـيْـلِ مُـخْـتَـلَـسُ الرُّقَـادِ سَـلِـيـمُ

٢ - ولـقَـدْ أرَدْتُ الـصَّـبْـرَ عَـنْـكِ فَـعَـاقَـنِـي عَـلَـقٌ بِـقَـلْـبِـي مِـنْ هَـوَاكِ قَـدِيـمُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

السَّليم: اللَّديغ، يقول: أردتُ الصَّبْرَ عنكِ فَدَفَعني عن المراد ما عَلِقَ بقلبي من هواكِ قديمًا، ثم وصفَ العَلَق اللاَّزم له فقال:

٣ - يَـبْـقَـى عَـلَـى حَـدَثِ الـزَّمـانِ وَرَيْـبِـهِ وعَـلَـى جَـفَـائِـكِ إنَّـهُ لَـكَـرِيـمُ

إي: إنَّه لَعِلْقٌ كريمٌ لأنَّه يبقى على جفائِك وتغيّر الحَدَثان.

[٥٧٣] وقال آخر(١):

قال أبو رياش: هي لِعَمْرو بن الأيهم، وقيل: الأَصمّ؛ الأيهم: الرجل الشجاع، والأيهمان: السّيل والجمل الهائج، ويقال أيضًا: السّيل والحريق، وكلّ هذه معانٍ متقاربة، ومؤنثه يَهْماء، وهي الأرض التي لا يُهتَدَى لها، كما أن هذه الأشياء لا يكاد يهتدى لها، قال الأعشى: [المتقارب]

وَيَـهْـمَـاءَ بِـالـلَّـيْـلِ غَـطْـشَـى الـفَـلاةِ يُـؤَرِّقُـنِـي صَـوْتُ فَـيَّـادِهَـا

١ - أَلْـمِـمْ عَـلَـى دِمَـنٍ تَـقَـادمَ عَـهْـدُهـا بِـالـجِـزْعِ واسْـتَـلَـبَ الـزَّمَـانُ جَـمَـالَـهَـا

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

٢ - رَسْـمٌ لِـقَـاتِـلَـةِ الـغَـرَانِـقِ مـا بِـهِ إلاَّ الـوُحُـوشُ خَـلَـتْ لَـهُ وخَـلاَ لَـهَـا

الإلمام: الزيارة الخفيفة؛ والغَرَانق: جمع، واحده غُرَانق، وهو الشَّابّ الناعم: بضمِّ الغين، يكون الفرق بين الواحد والجمع ضم الغين وفتحها، وكذلك ما يشبهه، نحو جُوَالِق وجَوَالِق، وقُلاَقِل وقَلاقِل، ورواه بعضهم بدل جمالها جَلاَلَها، ويُكْرَهُ هذا، لما حكاه الأصمعي من أنه لا يقال الجَلاَل إلاَّ في الله عزَّ وجلَّ، ولأنه وإن جاء في غيره فهو قليل في الاستعمال، وقوله «رسم لقاتلة الغرانق» ابتداء كلام: أي هو رسمُ دارٍ لامرأةٍ من صفتها كذا قد استبدلت بأهلها وحوشًا، و«خلت له» في موضع الصفة للرسم.

٣ - ظَـلَّـتْ تُـسَـائِـلُ بِـالـمُـتَـيَّـمِ أَهْـلَـهُ وهْـيَ الَّـتـي فَـعَـلَـتْ بِـهِ أَفْـعَـالَـهَـا

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أعشى بني تغلب، وتُروَى لعمرو بن الأصمّ».

[٥٧٤] **وقال آخر**[١]:

١ - ومَا بَرِحَ الوَاشُونَ حَتَّى ارْتَمَوْا بِنَا وحَتَّى قُلُوبٌ عَنْ قُلُوبٍ صَوَادِفُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: صَدَفَ، إذا مالَ، ويُروَى «صوارف» بالراء، والمعنى قلوب تصرف الودَّ والمَيْل بما تأتيه وتستعمله عن القلوب الأُخَر.

٢ - وَحَتَّى رَأَيْنَا أَحْسَنَ الوَصْلِ بَيْنَنَا مُسَاكَتَةً لا يَقْرِفُ الشَّرَّ قَارِفُ

«مساكتةً» أي: رأينا أَحْسَنَ الوَصْلِ بيننا ملازَمَةَ السّكوت تَوَقِّيًا من تهمة تتسلّط، هذا إذا رويت يَقْرِفُ بضم الفاء، ويُروَى «لا يقرف» بكسر الفاء، ويكون في موضع الجزم جوابًا للأمر الذي يدلُّ عليه قوله مساكتة لأنه في هذا الوجه مصدر في معنى الأمر، والجملة في موضع النصب على أن تكون مفعولاً ثانيًا لقوله «رأينا» والمساكتة لا تكون مواصلة، لكنها تجعل بدلاً منها، ويكون كقوله: [الوافر]

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ[٢]

ويكون المعنى: رأينا أحسن المواصلة بيننا تراضينا بأن ساكتوا الأحبّة ومَن يختلف بيننا وبينهم لا يقرف الشرّ قارف، وفي الوجه الأول يكون «مساكتة» مفعولاً ثانيًا، والمعنى سكوتًا من الجانبين: أي كفافًا لا يتولَّدُ منه قَرْفٌ ولا تهمةٌ، ويكون قوله «لا يقرفُ الشرَّ قارفُ» تفسيرًا للمساكتة وبيانًا لاجتنابِه لها.

[٥٧٥] **وقال آخر**:

١ - فإن تَرْجِعِ الأيَّامُ بَيْني وبَيْنَها بذي الأَثْلِ صَيْفًا مِثْل صَيْفِي ومَرْبَعي[٣]

الثاني من الطويل.

قوله «ترجع» مُعَدًّى لأنه بمعنى تَرُدُّ، يقال: رَجَعْتُهُ رَجْعًا، ورَجَعَ رُجُوعًا، و«صيفًا» انتصب على المفعول من قوله ترجعُ، وكان الواجب أن يقول: صَيفًا ومَرْبَعًا مثل صيفي ومربعي، أو يقول: بِذِي الأثل صيفي ومَرْبعي: أي أيامًا كأيامها، فلمّا لم يلتبس المراد قال: صيفًا مثل صيفي ومَرْبعي.

٢ - أَشُدُّ بِأَعْنَاقِ النَّوَى بَعْدَ هٰذِهِ مَرَائِرَ إنْ جَاذَبْتَهَا لَمْ تَقَطَّعِ

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال مزاحم العُقَيليّ».
(٢) هذا عجز بيت لعمرو بن معديكرب في الخزانة ٣٤/٥٢، وصدره: «وخيل قد دلفت لها بخَيلٍ».
(٣) هذا البيت في تاج العروس (أثل) بلا عزو، وفي معجم ما استعجم (٩٤) لعمّ الأحنف بن قيس. وذو الأثل: ....

«أشُدَّ» في موضع الجزم، ولكَ أن تضمَّ الدّال منه إتباعًا للضمة الضمة، وأن تكسرها لالتقاء الساكنين، وأن تفتحها لأن الفتحة أخفّ الحركات، والمرائر: جمع مريرة، وهي الحبل المُحْكم الفَتل.

[٥٧٦] وقال كُلثوم بن صَعْب:

١ - دَعَا دَاعِيَا بَيْنٍ فَمَنْ كَانَ بَاكِيَا ... مَعِي مِنْ فِرَاقِ الحَيِّ فَلْيَأْتِنِي غَدَا

٢ - فَلَيْتَ غَدًا يَوْمٌ سِوَاهُ وَمَا بَقَى ... مِنَ الدَّهْرِ لَيْلٌ يَحْبِسُ النَّاسَ سَرْمَدَا

الثاني من الطويل.

يقول: بِودِّي أن يكون بدل يوم غدٍ يوم آخر غيره تفاديًا مِمَّا يجري، وليتَ بدل اللّيلة الحائلة بيننا وبين غدٍ ما بقيَ من الدّهر كلّه فحبسَ النّاس عن التزايل دائمًا، تمنّى طولَ ليله حتى لا يكون في غَدِهِ فراقٌ أبدًا، وقوله «ما بَقَى»: لغة طَيِّىء، كأنهم فَرُّوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفًا، وانتصب «سَرمدًا» على الظرف، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: حَبْسًا سَرْمَدًا.

٣ - لِتَبْكِ غَرَانِيقُ الشَّبَابِ فَإِنَّنِي ... إِخَالُ غَدًا مِنْ فُرْقَةِ الحَيِّ مَوْعِدَا[١]

[٥٧٧] وقال زياد بن حَمَل بن سعد بن عميرة بن حريث:

ويقال: زياد بن مُنْقِذ، وهو أحد بَلْعَدَوِيَّة من بني تميم، وأتى اليمن فنزعَ إلى وطنه ببطن الرّمّة، قال أبو العلاء: الرّمّة: وادٍ بنجد، يقال بتشديد الميم وتخفيفها، ويُحْكَى عن العرب أنها تقول على لسان الرّمة: كُلُّ بَنِيَّ يُحَسِّيني إلاّ الجريب فإنه يرويني، يعني ببنيها المسايل التي تسيل إليها: أي تعطيني حسوة حسوة، إلاّ الجريب فإنه يَجيئُني بالرِّيِّ.

١ - لاَ حَبَّذا أَنْتِ يا صَنْعَاءُ مِنْ بَلَدٍ ... ولا شُعُوبُ هَوًى مِنِّي وَلا نُقُمُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

صنعاء: مدينة باليمن، وشُعُوب ونُقُم: موضعان باليمن، وقوله «لا حَبَّذا» ذا أُشِيرَ به إلى لفظ الشَّيء، والتقدير لا محبوبَ في الأشياء أنتِ يا صنعاء من بين البلاد، ولمّا كان «ذا» يُشار به إلى الشَّيء وقع للمذكّر والمؤنّث على حالة واحدة، لأنَّ لفظ الشّيء يشملُ المذكّر والمؤنّث والواحد والجمع، فهو مِمّا وُضِعَ للجنس.

٢ - ولَنْ أُحِبَّ بِلادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا ... عَنْسًا ولاَ بَلَدًا حَلَّتْ بِهِ قُدُمُ

عَنسٌ وقُدُم: حَيَّان من اليمن.

---

(١) الغرانيق: جمع الغُرنوق: الشّابُ الأبيض الجميل.

٣ ـ إذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوْبَ غَادِيَةٍ فَلاَ سَقَاهُنَّ إلاَّ النَّارَ تَضْطَرِمُ

الغادية: السَّحابة التي تغدو نهارًا، و«تضطرمُ» في موضع الحال لِلنّار.

٤ ـ وحَبَّذَا حِينَ تُمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشَيَّ وَفِتْيَانٌ بِهِ هُضُمُ

أُشَيّ: موضع، ويُروَى وادي أُشَيَّ وأُشَيٍّ؛ مصروفًا وغير مصروف، وهُضُم: جمع هَضُوم، وهو المِنْفَاق في الشتاء، سألت الرقيّ عن قوله «هضم» ما معناه؟ فقال: جمع أَهْضَم، وهو الضَّامر البطن، فقلت له: قد ذكرَ لي أبو العلاء شيئًا غير هذا، فقال: ما هو؟ قلت: قال هُضُم يعني أنَّهم يَهْضِمُون المالَ: أي يكسرونه وينفقونه، فأنشد: [الوافر]

إذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[1]

٥ ـ الوَاسِعُونَ إذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمُ عَلَى العَشِيرَةِ والكَافُونَ ما جَرَمُوا

الواسعون: مأخوذ من الوُسْعِ، وهو الطَّاقةُ، يقال «لا يَسَعُكَ» أي لستَ منه في سَعَةٍ.

٦ ـ والمُطْعِمُونَ إذَا هَبَّتْ شَآمِيَةً وبَاكَرَ الحَيَّ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمُ

المطعِمون: حذف مفعوله للعلم به، و«شَآمية» انتصبَ على الحال، وَالصِّرْمُ: أصله في أقطاع الإبل فاستعاره.

٧ ـ وَشَتْوَةٍ فَلَّلُوا أَنْيَابَ لَزْبَتِهَا عَنْهُمْ إذَا كَلَحَتْ أَنْيَابُهَا الأُزُمُ

فَلَّلوا: كسروا، واللَّزْبَة: السَّنة المُجْدِبَة، وجعل الأنيابَ مَثَلاً لِشدائدها، والكلوح: بُدُوُّ الأسْنانِ عند العبوس، والأُزُم: جمع أَزُوم، وهي العَوَاضُّ.

٨ ـ حَتَّى انْجَلَى حَدُّهَا عَنْهُمْ وجَارُهُمُ بِنَجْوَةٍ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمُ

«بنجوةٍ» أي في عِزٍّ ومَنَعةٍ، والنَّجْوَةُ: المرتفِعة من الأرض لا يبلغها السَّيْلُ، فضربَه مَثَلاً لِلْمَلاَذ الذي أَوَوْا إليه في فنائهم حذارًا من الشَّرِّ.

٩ ـ هُمُ البُحُورُ عَطَاءً حِينَ تَسْأَلُهُمْ وفِي اللِّقَاءِ إذَا تَلْقَى بِهِمْ بُهَمُ

انتصب «عطاء» على التمييز، ويجوز أن يكون مفعولاً له، وارتفع «بُهَمُ» بالابتداء، وخبره «في اللّقاء» ومفعول تلقى محذوف، كأنه قال: إذا تلقى بهم الأعداء، وَالبُهَمُ: جمع بُهْمةٍ، وهو الشّجاع الذي لا يُدْرَى كيف يُؤْتَى له لاستبهام شأنه.

١٠ ـ وهُمْ إذَا الخَيلُ جَالُوا في كَوَاثِبِهَا فَوَارِسُ الخَيْلِ لاَ مِيلٌ ولاَ قَزَمُ

---

(١) جاء في اللسان (حذم): «حَذَام: هي بنت العَتِيك بن أسلم بن يذكُر، قال وسيم بن طارق، ويقال: لجيم بن صعب وحَذَام امرأته» وذكر البيت.

الكاثبة: قُدَّامُ المَنسِجِ من الدَّابَّةِ، وهي أعلى الظَّهْرِ منها، والمِيلُ: جمع أَمْيَل وهو الَّذي يَزْوَرُّ عن وجه الكتيبة عند الطّعان، وقيل: هو الّذي لا يثبتُ على ظهرِ الفرس، ويقال: حالَ في ظهر دَابَّتِهِ؛ إذا رَكِبَها، وارتفع «مِيلٌ» علـى أن يكون معطوفًا على «فوارس الخيل» ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: لا هُمْ مِيلٌ ولا قَزَمٌ، والقَزَمُ: الصّغار، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث.

١١ ـ لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمُ حَيًّا فَأَخْبُرَهُمْ إلاّ يَزِيدُهُمُ حُبًّا إلَيَّ هُمُ

ارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل؛ لأنه كان الوجه أن يقول: إلاّ يزيدونهم حُبًّا إليَّ، وهذا كما يوضع الظاهر موضع المضمَر، والمضمَر موضع الظاهر، إذا أمِنَ الالتباس، ومثله لطرفة: [الكامل]

أَصَرَمْتَ حَبْلَ الحَيِّ إذْ صَرَمُوا ... يَا صَاحِ، بَلْ صَرَمَ الوِصَالَ هُمُ

حَدُّ الكلام أن يقول: يا صاحِ بل صرموا الوصال، ويُروَى: «فأَخْبُرُهم» بالرفع على الانقطاع عن الأوّل، و«أَخْبُرَهُم» بالنصب على إضمار أن، كأنه قال: لم يقعْ لقاء فخبرة إلاّ زادني ذلك حُبًّا لهم، ولا يجوز أن يكون جوابًا للم.

١٢ ـ كَمْ فِيهِمِ مِنْ فَتًى حُلْوٍ شَمَائِلُهُ جَمِّ الرَّمَادِ إذا مَا أَخْمَدَ البَرَمُ

«كم» للتكثير، وموضعه رفع بالابتداء، وخبره «من فَتًى»، وجمّ الرَّماد: كثير الرماد، ولا يكثرُ الرَّمَادُ إلاّ لِكَثرة الغاشية والأضياف، والبَرَم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، ومفعول «أخمد» محذوف، والمراد إذا ما أخمد البَرَمُ النارَ لِبخله.

١٣ ـ تُحِبُّ زَوْجَاتُ أَقْوَامٍ حَلائِلَهُ إذا الأُنُوفُ امْتَرَى مَكْنُونَهَا الشَّبَمُ

«امترى» استخرج، والشَّبَمُ: البرد، وأراد بالمكنون ما يسيل منها من الذنين عند البرد، والحلائل: النساء المتزوجات، سُمِّينَ بذلك لأنّها تحالّ أزواجها: أي تنزل معها، والواحدة حَلِيلةٌ، فَعيلة بمعنى مُفاعلة، ومعنى قوله «تحبّ زوجاتُ أقوامٍ حلائلَه» أن هذا الرّجل يَسَرٌ يُوَسِّعُ على عِياله فتُطْعِمُ حلائلُه حلائلَ غيره من الناس، وهم يُثْنُونَ على المرأة بأنها تهدي للجارات، قال الكميت: [الخفيف]

وَإذَا النِّسْوَةُ اغْبَرَزْنَ مِنَ المَحْـ ... ـلِ وكَانَتْ مِهْدَاؤُهُنَّ غَفِيرَا

١٤ ـ تَرَى الأَرَامِلَ والهُلاَّكَ تَتْبَعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَذِمُ

الأَرامل: جمع أرملة وأرمل؛ لأنه يقع على الذكَر والأُنثى، وهم الذين قد انقطع زادهم، والهُلاَّك: هم الفقراء الذين أشرفوا على الهلاك، ويستنُّ: ينصبُّ من «سننتُ الماء» إذا صَبَبْتَه، وأسننته بمعناه؛ والوابلُ: المطر الكبير القطر الشديد الوَقْعِ، والرَّذِمُ: السَّائل.

١٥ ـ كَأَنَّ أَصْحَابَهُ بِالقَفْرِ يَمْطُرُهُمْ ... مِنْ مُسْتَحِيرِ غَزِيرِ صَوْبُهُ دِيَمُ

المستحير والمتحيّر بمعنى واحد، وهو كناية عن الامتلاء، ويقال: استحار شبابه، والدِّيَمُ: جمع ديمة، وهي المطر يدوم بسكون.

١٦ ـ غَمْرُ النَّدَى لاَ يَبِيتُ الحَقُّ يَثْمِدُهُ ... إلاَّ غَدَا وهْوَ سَامِي الطَّرْفِ يَبْتَسِمُ

يَثمدُه: يكثرُ عليه حتى يُفني ما عنده، والماء المثمود: المزدحَمُ عليه حتى ينزرَ نَزْفًا، وقوله «لا يبيتُ الحقُّ يثمدُه إلاَّ غدا» يشتمل على معنى الشَّرط والجزاء: أي كلّما باتَ الحقُّ يثمدُ ما عنده غدا سامي الطَّرْفِ مبتسمًا، والحقُّ: ما يلزمه من قِرى ضيفٍ أو عطاء في دِيَةٍ: أي هو يغدو مبتسمًا وإنْ باتَ يعاني مشقّة من إعطاء الناس.

١٧ ـ إلى المَكَارِمِ يَبْنِيهَا ويَعْمُرُهَا ... حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا دُونَهَا قُحَمُ

«يبنيها ويعمرها» في موضع الحال: أي بانيًا عامرًا، و«إلى» اتَّصَلَ بقوله «إلاَّ غدا»؛ والقُحَم: الشَّدائد، واحدتها قُحْمَة.

١٨ ـ تَشْقَى بِهِ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُوَدَّعَةٍ ... عَرْفَاءَ يَشْتُو عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِمُ

المِرْبَاع: النّاقة التي من شأنِها أن تضعَ ولدَها في الربيع، وهو المحمود من النتاج، ولذلك قال: أَفْلَح مَنْ كانَ لهُ رِبْعيُّون[1].

ومِرباع: بناء للمبالغة، وَالمُودَّعَة: المُكَرَّمَة يصونونها عن الحمل لِنَفاستها عندهم ولأنهم يريدونها للنتاج، وَالعَرْفَاء: التي لِسمنها صار لها كالعُرْفِ، وقيل: التي صار على عنقها مثل العُرْف من الوبر، والتامكُ: السَّنام المشرِفُ، والسَّنِمُ: العالي، ويقال: بعيرٌ سَنِمٌ: أي مُشْرِفُ السَّنام.

١٩ ـ تَرَى الجِفَانَ مِنَ الشِّيزَى مُكَلَّلَةً ... قُدَّامَهُ زَانَهَا التَّشْرِيفُ والكَرَمُ

«مُكَلَّلة» يعني أنَّ الجفان المُعَدَّة لِلأضياف عليها كالأكاليل من قدر اللَّحم، وقوله «زانها التشريفُ والكَرمُ» يعني ما يستعمله من اللّطف والتأنيس مع الأضياف.

٢٠ ـ يَنُوبُهَا النَّاسُ أَفْوَاجًا إذَا نَهِلُوا ... عَلُّوا كما عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعَمُ

أي: ينتابونها طائفةً بعد طائفةً، وانتصب «أفواجًا» على الحال، والنَّعَم: يقع على الأزواج الثمانية، والغالب عليها الإبل.

٢١ ـ زارَتْ رُوَيْقَةُ شُعْثًا بَعْدَ ما هَجَعُوا ... لَدَى نَواحِلَ في أَرْسَاغِها الخَدَمُ

---

(١) قال في اللسان (صيف): «وقال أكثم بن صيفيّ، وقيل هي لسعد بن مالك بن ضبيعة:
«إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ... أفلحَ مَنْ كان له رِبْعِيُّونْ»

أي: زار خيالُ هذه المرأة قومًا غُبْرًا، وأراد بالخدم سيور القدّ لشدّة سيرها، وقد يكون المراد بِالخَدَم جمع خَدَمَة، وهي الخلخال.

٢٢ ـ وقُـمْـتُ لِـلـزَّوْرِ مُـرْتَـاعًـا فَـأَرَّقَـنِـي فَـقُـلْـتُ أَهْـيَ سَـرَتْ أَمْ عَـادَنِـي حُـلُـمُ

الزَّوْر: الزائر، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث، وَمُرْتَاع: مُفْتَعل من رُعْتُه فارتاعَ: أي أفزعته ففَزِعَ، وانتصبَ «مرتاعًا» على الحال، وقوله «أم عادني حُلُمُ» أم هذه هي المعادلة لهمزة الاستفهام، والمعنى: أيّ هذين الأمرين كان؟ وقوله «أَهْيَ سَرَتْ» أسكنَ الهاء من هي مع ألف الاستفهام لأنه أجراها مجرى واو العطف وفائِهِ؛ فكما يسكنُ معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا تستقلُّ كذلك أسكن مع الألف.

٢٣ ـ وَكَانَ عَهْدِي بِهَا والمَشْيُ يَبهَظُهَا مِنَ الـقَـرِيـبِ وَمِـنـهـا الـنَّـوْمُ والـسَّـأَمُ

«يبهظها» يشقُّ عليها ويثقل، وخبر «كان» في قوله والمشي يبهظها، والواو في قوله «وكان عهدي بها» واو الحال، من قوله أهي سَرَتْ.

٢٤ ـ وبِـالـتَّـكَـالِـيـفِ تَـأْتِي بَـيْـتَ جَـارَتِـهَـا تَـمْـشِـي الـهُـوَيْـنَـى وَمَـا تَـبْـدُو لَـهَـا قَـدَمُ

«تمشي الهوينى» أي: على تُؤَدَةٍ ورِفقٍ لا استعجالَ فيها، والهُوَيْنى: تصغير الهُونَى، والهُونَى تأنيث الأَهْوَن، وموضعها من الإعراب نصب على المصدر.

٢٥ ـ سُـودٌ ذَوَائِـبُـهـا بِـيـضٌ تَـرائِـبُـهـا دُرْمٌ مَـرَافِـقُـهـا فـي خَـلْـقِـهـا عَـمَـمُ

«سودٌ ذوائبها» لأنّها شابة، وترائبها: جمع تَرِيبة، وهي مُعَلَّق الحليّ، ويقال: مِرْفَق أَدْرَم، إذا لم يكن له حجم لاكتنازه باللّحم، «في خلقها عَمَمٌ» أي: طول.

٢٦ ـ رُوَيْـقَ إِنّـي ومـا حَـجَّ الـحَـجِـيـجُ لَـهُ ومَـا أَهَـلَّ بِـجَـنْـبَـيْ نَـخْـلَـةَ الـحُـرُمُ

يجوز أن يكون «ما» بمعنى الذي، كأنه قال: أقسم بالبيت الذي حجَّ إليه الحجّاجُ وبإهلال الحرم، وهو رفع الصّوت بالتلبية بجنبي نخلة، وهو مكان يقرب من مدينة النّبي ﷺ، ويجوز أن يكون «ما» موضوعًا موضع مَنْ على ما حكى أبو زيد من قولهم: سُبْحَان ما سَبَّحَ الرّعد بحمده، ويكون الله تعالى المقسَم به، وقوله «وما أَهَلَّ» يريد وما أهلَّ له أيضًا، فحذف «له» لتقدّم ذكره وطول الكلام به، ويجوز أن يكون «ما حَجَّ» في موضع المصدر، كأنه أقسم بحجِّهم وإهلالهم، ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يجرِ ذكره لأن المراد مفهوم: أي حَجُّوا له إقامةً لِطاعته وابتغاءً لمرضاته، ويقال: أحرمَ الرَّجل بِالحجِّ فهو مُحْرِمٌ وقومٌ حَرَامٌ وحُرُمٌ ومُحْرِمونَ، وجواب القَسَم قوله:

٢٧ ـ لَـمْ يُـنْـسِـنِـي ذِكْـرَكُـمْ مُـذْ لَـمْ أُلاَقِـكُـمُ عَـيْـشٌ سَـلَـوْتُ بِـهِ عَـنْـكُـمْ ولاَ قِـدَمُ

يُجاب اليمين من حروف النفي بما ولا، لكنه اضطَرَّ فوضع «لم ينسني» موضع «ما أنساني»؛ ولا يمتنع أن ينفردَ القَسَم الأول به جوابًا، ويكون جواب القَسَم الثاني «ولم تشاركك» فيما يليه لأنه خبر ثانٍ فقدَّم المُقسَم له على المُقْسَم به، كما تقول: ما فعلته والله.

٢٨ ـ ولَمْ تُشَارِكْكِ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةٌ   لاَ والَّذي أَصْبَحَتْ عِنْدي لَهُ نِعَمُ

٢٩ ـ متَى أَمُرُّ عَلَى الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا   خَلَّ النَّقَا بِمَرُوحٍ لَحْمُهَا زِيَمُ

«متى أمرُّ» استبعاد واستعجال لما يتمنّاه من العَوْدِ إلى هذه الأماكن التي ذكرها، وروى بعضهم «حتى أمرّ على الشقراء» ويتعلّق قوله «حتى» بقوله «لا والذي أصبحت عندي له نعم» أي: حصلت له عندي نعم كي أمرّ، ولأن أمرّ، لأنّ لحتى موضعين والفعل بعدها منصوب: أحدهما أن يكون بمعنى لأن وكي، تقول: جئتكَ حتى تكرمني، والمعنى لأنْ تكرمني، وكي تكرمني؛ والثاني أن يكون بمعنى إلى أن، تقول: انتظرْ حتّى يخرجَ: أي إلى أن يخرجَ، و«الشقراء» قال الأصمعي: يعني فرسه، وعلى هذا تكون الشّقراء والمَرُوح فرسًا واحدةً، والباء من «بِمروح» تعلّق بقوله «معتسفًا»، وينتصب «معتسفًا» على الحال، والاعتساف: الأخذ على غير هِدَاية ولا دِرَاية، وفلان يَتَعَسَّفُ النَّاسَ: أي يأخذهم بغير الحقّ، والخَلُّ: الطريق في الرّمل، والنَّقَا: الرَّمل، والمَرُوح: النشيط، وزِيَمُ: متفرّق، ويقال في «زيم» إنه الكثير الغليظ، ويقال: تزَيَّمَ اللَّحمُ؛ إذا اكتنزَ.

٣٠ ـ وَالوَشْمَ قَدْ خَرَجَتْ منهُ وَقَابَلَهَا   مِنَ الثَّنَايا الَّتي لَمْ أَقْلِهَا ثَرَمُ(١)

وشم وثرم: موضعان، وقيل: الشّقراء بلد لعكل، وفيه نخل، وقيل: إنه هضبة، وانعطف «الوشم» عليه، و«بمروح» حينئذ يتعلق الباء منه بحتى أمرّ، وعلى الوجه الأوّل تنصب الوشم وتعطفه على «خلّ النقا»، وخلّ مفعول به عمل فيه اسم الفاعل، وقيل في الوَشْم: إنه بلدٌ ذُو نخل دون اليمامة، وهناك قبائل من مضر وربيعة، وقوله «قد خرجت منه» يعني الفرَسَ المروح، أو الناقة، منه: من الوشم، والثنايا: العقاب، التي لم أَقْلِهَا: أي لم أبغضها، وقيل: الثنايا الطرق في الجبال، وليست بعقاب، وإنما قالوا «طَلاَّع الثنايا» لأن طرق الجبال تكون رفيعة، وما أحسن ما اتّفق له في اللفظ دون المعنى من الثنايا والثرم؛ لأن الثَّرَمَ يصيب الثنايا، والثَّرَمُ: صَدْعٌ يكون في الثنية، يقال: فلان أَثْرَم، إذا سقط بعض ثناياه فصارت بينها فرجة.

٣١ ـ يا لَيتَ شِعْرِيَ عَنْ جَنْبَيْ مُكَسَّحةٍ   وحَيثُ تُبْنَى مِنَ الحِنَّاءَةِ الأُطُمُ

---

(١) عند المرزوقي: «بَرَمٌ» بدل «ثَرَم».

«يا» حرف النداء، والمنادى محذوف، وشعري: اسم ليت، وخبره مضمر لا يظهر، ومفعولا شعري قوله بعد البيت «هل زالت مخارمها»، ويُروَى «عن جِزْعَيْ مُكَسَّحة» وهو موضع، والحِنَّاءَة: رمل، والأُطُم: الحصن، وكلُّ بناء مرتفع، والجمع آطام.

٣٢ ـ عَنِ الأَشَاءَةِ هَلْ زَالَتْ مَخَارِمُهَا ۝ وهَلْ تَغَيَّرَ مِنْ آرَامِهَا إرَمُ

قوله «عن الأَشاءة» إن كان الأشاءة موضعًا وبعض ما يقع عليه مكسحة فإنه بدل «عن جنبي مكسحة»، وقد أُعيد حرف الجرّ معه، وإن كان النخلة فإنه يجوز أن يريد بقعتها فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ولا يمتنع أن يكون أراد وعن الأشاءة فحذف العاطف، كما تقول: رأيت زيدًا عمرًا خالدًا، وينشد: [الخفيف]

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيْفَ أَمْسَيْتَ مِمَّا ۝ يَزْرَعُ الحُبَّ في فُؤَادِ الكَرِيمِ

يقول: ليت عِلمي كان واقعًا بأحوال هذه المواضع، هل هي باقية على ما عَهِدْتُها أم تغيّرت؟

٣٣ ـ وجَنَّةٍ ما يَذُمُّ الدَّهْرَ حَاضِرُهَا ۝ جَبَّارُهَا بِالنَّدَى والحَمْلِ مُحْتَزِمُ

ويُروَى «ما يُذَمُّ» يريد وعن جَنَّةٍ حاضِرُهَا يرضَى عن الدهر ويحمده، والجبّار من النخل: ما فات اليد طولاً، وقوله «بِالنَّدى والحمل محتزم» تنبيه على الخِصْب فيها، ويُروَى «بالندى والخير» والاحتزام: الالتفاف، وقيل: أراد بالنَّدى أهله: أي أهله محيطون به، وسَمَّاهم النَّدى لأنهم ذوو النَّدى، والأوّل أجود؛ لأن هذا الوجه يدلُّ على عِزَّةِ النَّخْلِ وقِلَّته، وأنهم أحاطوا به، والوجه الأوّل يدلُّ على الخصب والرّيِّ.

٣٤ ـ فِيهَا عَقَائِلُ أَمْثَالُ الدُّمَى خُرُدٌ ۝ لَمْ يَغْذُهُنَّ شَقَا عَيْشٍ ولاَ يَتَمُ[1]

«فيها» أي: في الجنّة، عقائل: كِرام، خُرُد: حَيِيَّات، يعني نساء كرائم، وقيل: إنه أراد النَّخل وشَبَّهها بالنساء، والأوَّل أصحّ، لقوله بعده «لم يغذهنَّ شَقَا عيشٍ ولا يتم» والشَّقا: مصدر الشَّقِيّ، يُمَدُّ ويُقْصَرُ، واليَتَم: مصدر يَتِمَ يَيْتَمُ يُتْمًا ويَتَمًا.

٣٥ ـ يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُمُ ۝ جَارٌ غَرِيبٌ ولاَ يُؤْذَى لَهُمْ حَشَمُ

«كِرام» هم قومهنَّ، وقيل: يعني ينتابُ العقائلَ من النَّخل، ما يذمّهم جارٌ غريبٌ لأنهم يحسنونَ قِرَاهُ، ولا يُؤْذَى لهم حَشَمٌ من عِزِّهم، وحَشَمُ الرَّجلِ: أتباعُه ومَنْ يلزمه أنْ يغضبَ لهم.

٣٦ ـ مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ في مَجَالِسِهِمْ ۝ وَفي الرِّحالِ إذَا صاحَبْتَهُمْ خَدَمُ

---

(١) ضبط عند المرزوقي: «ولا يُتُمُ».

مُخَدَّمون لأنهم سادة، وأراد بالثِّقال الوقار والحلم، وقال «خَدَمُ»[1] وهو جمع خدوم ليقابل مُخَدَّمون في المعنى لأنَّ كلَّ واحد منهم يدلّ على المبالغة.

٣٧ ـ بَلْ لَيتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَـرْدَاءُ سَـابِـحَـةٌ أَوْ سَـابِـحٌ قُـدُمُ

«بل» تدخل لِلإضرابِ عن الأوّلِ والإثبات للثاني، كأنه لمّا صرفَ الكلامَ عمّا كان فيه وشغله بغيره أتى ببل إيذانًا بذلك، وجرداء: قصيرة الشعر، والذَّكَر أجرد، وقِصَرُ الشَّعر في الخيل محمود، وسابحة كأنها تَسْبَح في جَرْيِها، وقُدُمٌ: متقدّم، يوصف به الذَّكر والأُنثى، تعارضني: أي أقودها فتسبقني من سلاسة قيادها.

٣٨ ـ نَـحْـوَ الأُمَـيلِـحِ أَوْ سَـمْـنَـانَ مُـبْـتَـكِـرًا بِـفِـتْـيَـةٍ فِـيـهِـمُ الـمَـرَّارُ وَالـحَـكَـمُ[2]

الأميلح: ماء لبني ربيعة، وسَمْنَان بفتح السين: ديارهم، والمَرَّار والحكم: رجلان، قال الأصمعي: المرَّار أخوه والحَكَم ابن عمّه، وانتصب «مبتكرًا» على الحال.

٣٩ ـ لَـيـسَـتْ عَـلَـيـهِـمْ إذَا يَـغْـدُونَ أَرْدِيَـةٌ إلاَّ جِـيَـادُ قِـسِـيِّ الـنَّـبْـعِ وَالـلُّـجُـمُ

كان الرجل منهم يخلعُ لجامَ فرسه فيتقلَّدُ به أو يجعله على خصره، ومنه قول لبيد: [الكامل]

فُرُطٌ وِشَاحِي إذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا[3]

ورفع «إلاَّ جياد» والوجه الجيد النصب، لأنه منقطع مما قبله، ولكن بني تميم يرفعون مثل هذا على البدل، وقسيّ: مقلوب وأصله قُوُوس، ويُروَى قياس النبع.

٤٠ ـ مِنْ غَيرِ عُدْمٍ وَلَـٰكِنْ مِنْ تَبَذُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يَصِيحُ القَانِصُ اللَّحِمُ

تعلّق «مِن» بقوله «ليستْ عليهم إذا يغدونَ» أي: إنَّ إخلالَهم بلبس الأرديةِ ليس لِفَقْرٍ، لكن لولوعهم بالصَّيْدِ.

٤١ ـ فَـيَـفْـزَعُـونَ إلَـى جُـرْدٍ مُـسَـوَّمَـةٍ أَفْـنَـى دَوَابِـرَهُـنَّ الـرَّكْـضُ وَالأَكَـمُ[4]

أي: يلتجؤون إلى خيل قصيرة الشَّعر نشيطة قد سَحَجَ بعضها بعضًا بِالعَضِّ، ويجوز أن يريد أنَّ العمل والكدّ سَحَجَها، ألا ترى أنه قال «أفنى دوابرهنَّ» أي مآخير حوافرهنّ ركضُ الفوارس لها وتأثير الآكام في حوافرها لأن جريها كان عليها، ويقال: أكَمَة وأَكَم وآكَام وأُكُم.

---

(١) خَدَم: جمع خادم وخادمة. (٢) عند المرزوقي: «من سَمْنَانَ».
(٣) هذا عجز بيت للبيد من معلّقته، وصدره: «ولقد حَمَيْتُ الخيلَ تحمِلُ شِكَّتي». والشِّكَّة: اسم لجميع السّلاح.
(٤) المرزوقي: «إلى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ».

٤٢ ـ يَرْضَخْنَ صُمَّ الحَصَا في كُلِّ هَاجِرَةٍ   كَمَا تَطَايَحَ عَنْ مِرْضَاخِهِ العَجَمُ[١]

أصل الرَّضْخ الرَّمي، وإنّما وصف الخيل بصلابة الحوافر، وشبّه ما تطؤه وتكسره من صلاب الحصا بما يتطاير من النَّوى عن مِرْضَاخه، والمِرْضَاخ: الحجر الذي يُكسَر عليه النوى، أو به، ومعنى «تطايح» تطاير، ويُروَى «تصايح» و«تضابح» من الضَّبح وهو الصّوت، ومَنْ روى في أوّل البيت «يَضْرَحْنَ» فهو من «ضَرَحَه الفرس بيده» إذا ضربه بها.

٤٣ ـ يَـغْـدُو أَمَـامَـهُـمُ فـي كُـلِّ مَـرْبَـأَةٍ   طَـلاَّعُ أَنْـجِـدَةٍ فـي كَـشْـحِـهِ هَـضَـمُ

أنجدة: جمع نَجْد، كَفَرْخ وأَفرِخة، ولا يمتنع أن يكون أنجدة جمع نِجَاد، ونجاد جمع نَجْد؛ فيكون أنجدة جمع الجمع، و«في كشحه هضم» أي: في خصره دِقَّة: أي ليس ببطين.

[٥٧٨] وقال عمرو بن ضُبَيْعة الرَّقاشيّ[٢]:

١ ـ تَـضِـيـقُ جُـفُـونُ الـعَـيْـنِ عَـنْ عَـبَـرَاتِـهَـا   فَـتَـسْـفَـحُـهَـا بَـعْـدَ الـتَّـجَـلُّـدِ وَالـصَّـبْـرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

العَبْرة: الدَّمعة، وقد استعبرَ: أي جَرَتْ عَبْرَتُه، ويقال: لأُمِّهِ العُبْر والعَبَر، فيقول: تمتلئُ العينُ دمعة حتى تتضايق جفونها عن احتباسه فيصبّها بعد تجلّدٍ وتصبّرٍ.

٢ ـ وَغُـصَّـةِ صَـدْرٍ أَظْـهَـرَتْـهَـا فَـرَفَّـهَـتْ   حَـزَازَةَ حَـرٍّ فـي الـجَـوَانِـحِ والـصَّـدْرِ

الحزازة: وجعٌ في القلب، وقوله «فرفّهت» أي: وَسَّعَتْ، ومنه: عَيْشٌ رَافِهٌ.

٣ ـ أَلاَ لِـيَـقُـلْ مَـنْ شَـاءَ مَـا شَـاءَ إنَّـمَـا   يُـلاَمُ الـفَـتَـى فِـيـمَـا اسْـتَـطَـاعَ مِـنَ الأَمْـرِ

اللاَّم من «لِيَقُلْ» لام الغائب، وقد تدخل في فعل الحاضر، وقوله «ما شاء» أراد ما شاء أن يقوله فحذف المفعول، وكذلك قوله «مَنْ شاء» محذوف المفعول: أي مَنْ شاء القول، فإنَّ الملام يستحقّه الفتى فيما يطيقُه ثم لا يفعله، فأمّا ما لا يطيقه فقد سقط اللَّومُ عنه فيه.

٤ ـ قَـضَـى الـلَّـهُ حُـبَّ الـمَـالِـكِـيَّـةِ فَـاصْـطَـبِـرْ   عَـلَـيْـهِ فَـقَـدْ تَـجْـرِي الأُمُـورُ عَـلَـى قَـدْرِ

أي: حَتَمَهُ اللَّهُ عليكَ وأوجَبَهُ؛ فتَكَلَّفِ الصَّبْرَ فيه فقد تجري الأمور على قَدْرٍ[٣].

---

(١) عند المرزوقي: «يَرْضَخْنَ» و«مِرضاخِهِ».

(٢) عمرو بن ضبيعة الرّقاشيّ: شجاع، من الرؤساء، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج وعبد الملك بن مروان في العراق، وشهد وقعة دير الجماجم وقتل يوم مسكن. (ت ٨٣ هـ/ ٧٠٢ م). ترجمته في: (ابن الأثير ٤/١٨٦).

(٣) أي على تقدير.

[٥٧٩] وقالت[1] وَجِيهة بنت أَوْسٍ الضَّبِّيَّةُ:

١ ـ وَعَاذِلَةٍ تَغْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي

الأول من الطويل.

قولها «لم تمحُ الصَّبابة» أي: لم يُؤَدِّ عتبها إلى طائل.

٢ ـ فَمَا لِيَ إنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طَرْفَاءَ القُصَيْبَةِ مِنْ ذَنْبِ

القُصَيبة: موضع، و«من ذنب» موضعه رفع؛ لأنه اسم «ما»، وجواب الجزاء من قولها «إنْ أحببتُ أرضَ عشيرتي» في قولها «ما لي من ذنب».

٣ ـ فَلَوْ أَنَّ رِيحًا بَلَّغَتْ وَحْيَ مُرْسِلٍ حَفِيٍّ لَنَاجَيْتُ الجَنُوبَ عَلَى النَّقْبِ[2]

الوَحْيُ: مصدر وَحَيْتُ لكَ بخيرٍ: أي أخبرت، وأَوْحَيْتُ ووَحَيْت يستعملان في معنى البَعْث، والإيحاء: الإيماء والإشارة، فتقول: لو أنَّ ريحًا أَدَّتْ خبرَ مُرْسِلٍ لَحَمَلتها إلى مَنْ أحبّه، والحَفِيّ: يكون المُلِحّ، ويكون اللطيف، ومصدره الحفاية، والنَّقْب: الطريق بين جبلين.

٤ ـ فَقُلْتُ لَهَا أَدِّي إِلَيْهِمْ رِسَالَتِي وَلاَ تَخْلِطِيهَا، طَالَ سَعْدُكِ، بِالتُّرْبِ[3]

«طال سَعْدُكِ» اعتراض حسن بدعاء الريح، ومعنى «لا تخلطيها بالترب» لا تُذِلِّيها، يقال لمَن أُذِلَّ: قد عُفِّرَ وأُرْغِمَ، ومثله من الاعتراضات: [الطويل]

فَمَا مُكْثُنَا ـ دَامَ الجميلُ عَلَيْكُمَا ـ بِثَهْلاَنَ إلاَّ أَنْ تُزَمَّ الأَبَاعِرُ

٥ ـ فَإِنِّي إذَا هَبَّتْ شَمَالاً سَأَلْتُهَا هَلِ ازْدَادَ صَدَّاحُ النُّمَيْرَةِ مِنْ قُرْبِ

«هَبَّتْ شمالاً» يريد هَبَّتِ الرِّيح شمالاً، وانتصابه على الحال، وساغ ذلك لكونه صفة لا اسمًا، وعلى هذا الجنوب والقبول والدّبور يجوز في جميعها أن تقع أحوالاً لكونها صفات، وكأن الجنوب كانت تهبّ من نحو أرضها مستقبلة لديار أحبّتها فلذلك جعلتها رسولها، وكانت الشّمال تهبُّ من ناحية أرض حبيبها مستقبلة بلادها، فلذلك زعمت أنها تسائلها عمّا استعجمَ عليها من أخبارهم، وقولها «صَدَّاح النُّميرة»، الصَّدْحُ: الصوت، يقال: صَدَحَ الدِّيكُ والغُرابُ، وتعني جلبة الصّوت ونداء داعيهم والمنادي بِالرحيل فيهم، كأنّها تنتظرُ حضورَ وقت انتجاعهم ونهضاتهم وكانت تتعرَّفُ ذلك لِتَستبشرَ به، وقيل: المراد بِصَدَّاحِ النُّميرة الدّيكُ، وقيل: أهلها، وقيل: حادي إبلها، وقيل: صَدَّاح النّميرة: موضع.

---

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ١٤٨/٢؛ وفي معجم البلدان «القصيبة».

(٢) عند المرزوقي «أبلغَتْ». (٣) عند المرزوقي «تحيّتي» بدل «رسالتي».

[٥٨٠] وقال مِرْداس بن هَمَّام الطائي[(١)]:

١ ـ هَوِيتُكِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي الهَوَى ... وَزُرْتُكِ حَتَّى لامَنِي كُلُّ صاحِبِ

٢ ـ وَحَتَّى رَأَوْا مِنِّي أَدَانِيكِ رِقَّةً ... عَلَيْهِمْ؛ وَلَوْلاَ أَنْتِ مَا لاَنَ جَانِبِي[(٢)]

الثاني من الطويل.

أي: لولا هَوَاكِ ما لاَنَ جانبي، يعني ما لِنْتُ لهم.

٣ ـ ألاَ حَبَّذَا لَوْمَا الحَيَاءُ وَرُبَّمَا ... مَنَحْتُ الهَوَى مَا لَيْسَ بِالمُتَقَارِبِ

«ألاَ حَبَّذا» المحبوبُ محذوفٌ كما حُذِفَ المحمودُ في قوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[(٣)] والمراد حبيبٌ إليَّ التهتُّكُ في الهوى لولا الحياء، على أنني ربما منحتُ هوايَ ما لا مطمع في دُنُوِّهِ، ويُروى «مَن ليس بِالمتقارب» أي: أحببت مَن لا ينصفني ولا مَطْمَعَ فيه.

٤ ـ بِأَهْلِي ظِبَاءٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ ... عِذَابُ الثَّنَايَا مُشْرِفَاتُ الحَقَائِبِ

أي: يُفْدَى بأهلي ظِباءٌ، يعني نساءَ عِذَابَ المَبَاسِم حِسانَ الثغور مُشْرِفَات الأَرداف، وأصل الحقيبة خُرْجٌ يُشَدُّ على عجزِ البعير أو الفرس، فجعل الأعجاز حقائب لِكونها هناك، وقال أبو العلاء في رواية مَن نسب هذه الأبيات إلى مَرَّار بن هَمَّاس: قولهم في اسم الرجل «هَمَّاس» هو من الهَمْس، وهو إخفاء الصّوت، يقال: هو يطأُ الأرضَ هَمْسًا، ويتكلّمُ هَمْسًا، ومن ذلك قيل للحروف العشرة المَهْمُوسة، وهي التي يجمعها قولك «سَتَشْحَثُك خَصَفَة» وأَسَدٌ هَمُوسٌ: أي يُخفي الوطء، وكذلك هَمَّاس، قال الهذليّ: [البسيط]

أَحْمى الصَّرِيمَةِ، أَحْدَانُ الرِّجَالِ لَهُ ... صَيْدٌ، ومُجْتَرِىءٌ بِاللَّيْلِ هَمَّاسُ[(٤)]

وقال في قوله «لوما الحياء» هو في معنى لولا الحياء: أي حَبَّذَا ذِكْرُ هؤلاء النساء لو أَنَّني أستحيي أن أذكرهنَّ، و«الحياء» مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، والمعنى: لوما الحياءُ يمنعُني، ولو رويت لَوْما الحياء، فجعلت لوما من اللَّوم وأُضيفت إلى الحياء لَحَسُنَ ذلك، والمعنى قريب من الأول، وأنشد أبو زيد: [الوافر]

أَمَا تَنْفَكُّ تَرْكَبُنِي بِلَوْمي ... لَهِجْتَ بِهَا كَمَا لَهِجَ الفِصَالُ

ويكون المعنى حَبَّذا لومُ الحياءِ لي ومَنْعُهُ من أنْ أُظْهِرَ ما في نفسي.

---

(١) عند المرزوقي «ابن هَمَّاس» وفي معجم المرزباني ص ٤٧٤ «مرّار بن مياس الطائي».
(٢) عند المرزوقي: «رأى مِنّي» و«رِقَّةً عليكِ». (٣) سورة صٓ، الآية: ٤٤.
(٤) البيت في اللسان (همس) وفيه «يحمي الصريمةَ».

[٥٨١] **وقال بعض بني أسد**[1]:

١ ـ تَبِعْتُ الهَوَى يَا طَيْبَ حَتَّى كَأَنَّنِي … مِنَ اجْلِكِ مَضْرُوسُ الجَرِيرِ قَؤُودُ[2]

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

الضَّرْسُ: العَضُّ، والجرير: الحبل، وقؤود: فَعُول في معنى مفعول، فهو كالقَتُوب والرَّكُوب، والهمزة فيه بدل من العين، يقول: أعطيتُ الهوى مَقَادَتي فيكِ فَتَبِعْتُهُ حيث جَرَى، وضَرْسُ الجريرِ: أَنْ يلوي عليه قِدٌّ أو وتر ثم يفقر أنف البعير: أي يحزّ قصبة الأنف، فيوضع ذلك الموضع من الجرير عليه، فإذا حُرِّكَ زِمامُه أوجعه فانقادَ، وقوله «يا طَيْبَ» أراد يا طَيْبَةُ.

٢ ـ تَعَجْرَفَ دَهْرًا ثُمَّ طَاوَعَ أَهْلَهُ … فَصَرَّفَهُ الرُّوَّادُ حَيْثُ تُرِيدُ[3]

تَعَجْرَف: أي أخذ غير القصد زمانًا لأنه كان صعبًا ثم تذلّلَ.

٣ ـ وَإِنَّ ذِيَادَ الحُبِّ عَنْكِ وَقَدْ بَدَتْ … لِعَيْنِيَ آيَاتُ الهَوَى لَشَدِيدُ

يريد أنَّ دِفاعَ حُبِّهِ عنها وصرفه عَسِرٌ صعبٌ وقد بَدَتْ آياتُ الهوى، المعنى أنَّ لِلهوى علاماتٍ حيث مَالَتْ بِالإنسانِ ذهبَ معها فيَعُدُّ الغَيَّ رُشْدًا.

٤ ـ وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ لِي مِنْكِ مُظْهِرٌ … وَلاَ كُلُّ ما لا نَسْتَطِيعُ نَذُودُ[4]

ويُروَى «ما في النّفس للناسِ مُظْهَرٌ» يقول: ليس جميع ما يشتمل عليه صدري يمكن إظهاره ولا كلّ ما تطيقه النّفس يَسْهُلُ دَفْعُه.

٥ ـ وَإِنِّي لأَرْجُو الوَصْلَ مِنْكِ كَمَا رَجَا … صَدِي الجَوْفِ مُرْتَادًا كُدَاهُ صَلُودُ

يقال: أَكْدَى الرَّجُلُ في حَفْرِهِ، إذا بلغ الكُدْيَةَ وهي حَجَرٌ يعرض في البئر عند الاحتفار فيمتنع قطعه بِالمعاول، وجمعها كُدًى، والمعنى: إنَّ رجائي في خيرِكِ مع حاجتي إليه رجاء رجلٍ عطشان يطلبُ المَاء ويرجوه من بئر هذه صفتها، والصَّلُود: اليابس، يقال للبخيل: أَصْلَد وَصَلْدٌ وصَلُودٌ، تشبيهًا به، وكذلك زَنْدٌ صَلُودٌ، إذا لم يُورِ، والمرتاد: الطَّالب، ومفعوله محذوف، ويجوز أن يعني بالمرتاد المطلوب، ويُرادُ به الماء، وقد أقامَ الصّفة مقام الموصوف، وعلى الوجه الأول ينتصب على الحال.

٦ ـ وَكَيْفَ طِلاَبِي وَصْلَ مَنْ لَوْ سَأَلْتُهُ … قَذَى العَيْنِ لَمْ يَطْلُبْ وَذَاكَ زَهِيدُ

---

(١) الأبيات في معجم البلدان (غضور)، وأمالي القالي ٣/ ١٠١.

(٢) «يا طيبُ» ضبطت عند المرزوقي بالضمّ.

(٣) عند المرزوقي «فصَرَّفَهُ الرُّوَّاضُ».

(٤) المرزوقي: ما لا تستطيع تَذودُ».

أي: لو سألتُه إزالةَ قَذَى العين لم يُجِبْني إليه، وذاكَ قليلٌ فيما يُسْأَلُ ويُلْتَمَسُ، ويجوز أن يريد لو سألته أن لا يُقْذِي عَيني، كما تقول: سألتُ فلانًا ضَرْبَ فلانٍ، استوهبته ضربه، ويجوز أن يريد سألته تافهًا لا خَطَرَ له، فضرب المثل بِالقَذَى، والمعنى: لو سألتُه ما يقذي العينَ.

٧ ـ وَمَنْ لَوْ رَأَى نَفْسِي تَسِيلُ لَقَالَ لِي   أَرَاكَ صَحِيحًا وَالفُؤَادُ جَلِيدُ

قوله «والفؤادُ جليدُ» يجوز أن تكون الواو واو الحال، ويكون المراد بالقلب قلب المرأة، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام المرأة، كأنها تقول: أرى نفسك صحيحة وقلبك ثابتًا.

٨ ـ فَيَا أَيُّهَا الرِّيمُ المُحَلَّى لَبَانُهُ   بِكَرْمَيْنِ كَرْمَي فِضَّةٍ وَفَرِيدُ

«بِكَرْمَيْنِ» أي بِقِلادَتَيْن، والفريد: الدّرّ، واللَّبَان: الصَّدر، وقوله «وفريد» إن جعلته معطوفًا على فضّة يكون إقواء، ولكَ أن ترفعه بالابتداء، والخبر محذوف، كأنه قال: وفريد فيهما، ويُرْوى: «كَرْمَا فِضَّةٍ وفَرِيدُ» فينعطف الفريد على «كَرْما» ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال، كأنه قال: هما كرما فِضَّةٍ وفريدُ، وهذا أحسن.

٩ ـ أَجِدِّيَ لاَ أَمْشِي بِرَمَّانَ خَالِيًا   وَغَضْوَرَ إلاَّ قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ

ويُروَى «لا أُمْسي» وهو أحسن، وَرَمَّان فَعْلاَن من الرّم والمَرَمَّة وهو موضع، وغَضْوَر: ماء لِطَيِّىء، وقوله «أَجِدِّي» يريد أعلى جِدٌ مني هذا الأمر، وهو أنّي لا أمسي منفردًا إلاّ قيل أين تريد، و«أَجِدِّي» في موضع المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإمساء والمراد الإمساء والإصباح جميعًا، لكنه اكتفى بذِكْرِ أحدهما لِعِلْمِ النَّاس بأنَّ حاله فيما ذكرَ يستوي فيه اللَّيل والنهار.

[٥٨٢] وقال رجل من بني الحارث:

١ ـ مُنًى إنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ المُنَى   وَإلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

المُنَى: جمع مُنْيَة، وموضعها من الإعراب رفع على أنه خبر مبتدأ، كأنه قال: هي مُنًى إن تكنْ مُحَقَّقَة فهي أحسنُ الأماني وأوفقها لِلنَّفس، وإن كانت كاذبة فإنَّا نعيشُ بِذِكْرِها منتظرينَ لها زَمَنًا ممتدًّا وعيشًا رافهًا، والرَّغْدُ: السَّعَةُ في العيش، يقال عيشٌ راغِدٌ ورَغِيدٌ، وانتصاب «رَغْدًا» على أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: عِشْنَا عَيْشًا رَغْدًا بها زمنًا.

٢ ـ أَمَانِيُّ مِنْ سُعْدَى رِوَاءٌ كَأَنَّمَا   سَقَتْكَ بِهَا سُعْدَى على ظَمَإٍ بَرْدَا

يريد ماء ذَا برد، ويُروَى «أَمانيَّ من سعدى» نصب بإضمار فعل، كأنه قال: أذكر أمانيَّ موقعها من قلوبنا موقع الماء البارد من ذي الغلّة، وكَرَّرَ لفظ سُعْدَى تَلَذُّذًا لاسمها.

[٥٨٣] وقال آخر[(١)]:

١ ـ وخُـبِّـرْتُ سَـوْدَاءَ الـقُـلُـوبِ مَـرِيـضَـةً فَـأَقْـبَـلْـتُ مِـنْ مِـصْـرَ إلَـيْـهَـا أَعُـودُهَـا

الثاني من الطويل.

«خُبِّرْتُ» يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل، و«مريضةً» المفعول الثالث، وأعودها في موضع الحال من أقبلتُ، ويجوز أن يكون كان اسمها سَوْدَاء، وأضافها إلى القلوب كما قال ابن الدمينة: [الطويل]

قِفِي يَا أُمَيْمَ القَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةً وَنَشْكُو الهَوَى ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَا لَكِ

ويجوز أن يريد بسوداء القلوب أنها تحلُّ من القلوب مَحَلَّ السُّوَيْداءِ منها كأنَّ القلوبَ على اختلافها تميلُ إليها، ويجوز أن يكون المراد أنها قاسية القلب، فجمع القلب بما حوله، فقال: القلوب، أو لأنّها كأن لها مع كلّ مُتَيَّم بها قلبًا فقال «القلوب» على ذلك: أي نُبِّئْتُ أنّها تألّمَتْ لِعارِضِ عِلَّةٍ فأقبلتُ من أهلي بمصر عائدًا لها.

٢ ـ فَـوَالـلَّـهِ مـا أدْرِي إذَا أنَـا جِـئْـتُـهَـا أَأُبْـرِئُـهَـا مِـنْ دَائِـهَـا أَمْ أَزِيـدُهَـا

يريد أم أزيدها داءً؛ لأنَّ المعنى مفهوم، وذكر الدّيمرتي من هذه الوجوه أنه أراد أنها قاسية القلب فجمعَ القلب بما حوله، وأنكر النمريّ عليه هذا الوجه، وذكر ما تقدَّمَ ذِكره من الوجوه، وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل: [الطويل]

تَعِيبِينَ أَمْرًا ثُمَّ تَأْتِينَ مِثْلَهُ لَقَدْ حَاسَ هَذَا الأَمْرَ عِنْدَكِ حَائِسُ

الشيخان كلاهما على خطأ فاحش، وذلك أنهما لم يعرفا قائل هذا البيت، ولا مَنْ قِيلَ فيه، ولا القصّة التي لا يعرف معناه إلاّ بها، والصّواب:

نُبِّئْتُ سَوْدَاء الغُمَيْم مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودُهَا

«سوداء الغميم» امرأة من بني عبد الله بن غَطَفان اسمُها ليلى، ولقبها سوداء، وكانت تنزل الغُمَيم من بلاد غطفان، وكان عقبة بن كعب بن زهير يَنسُب بها، ثم علقها بعده ابنه العوّام بن عقبة وكلفَ بها، وكانت تَجِدُ به كذلك، فخرج إلى مصر في مِيرَةٍ فبلغه أنها مريضة، فترك مِيرَتَهُ وكَرَّ نحوها وأنشأ يقول: [الطويل]

نُبِّئْتُ سَوْدَاء الغُمَيْم مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودُهَا

---

(١) هو العَوّام بن عُقْبَة: شاعر مجيد، من أهل الحجاز، نبغ في العصر الأموي وزار مصر، ترجمته في (العيني ٢/ ٤٤٢؛ والمرزباني ص ٣٠١؛ وسمط اللآلي ص ٣٧٣).

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا ... مَلاَحَةُ عَيْنَيْ أُمِّ يَحْيَىٰ وَجِيدُهَا
وَهَلْ أَخْلَقَتْ أَثْوَابُهَا بَعْدَ جِدَّةٍ ... أَلاَ حَبَّذَا أَخْلاَقُهَا وَجَدِيدُهَا
وَلَمْ يَبْقَ يَا سَوْدَاء شَيْءٌ أُحِبُّهُ ... وَإِنْ بَقِيَتْ أَعْلاَمُ أَرْضٍ وَبِيدُهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا ... أَأُبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا تَسُرُّنِي ... بِهَا حُمْرُ أَنْعَامِ البِلاَدِ وَسُودُهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِّي مُعَلَّقٌ ... بِعُودِ ثُمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا

فلم يزلْ يلطفُ حتى رأته ورآها، فأومأتْ إليه أنْ مَا جاء بك، فقال: جئتُ عائدًا حين عَلِمْتُ عِلَّتكِ، فأشارت إليه أن ارجعْ فإنّي في عافية، فرجع لميرته، واسْتَعَزَّ بها المرض، فجعلت تَتَولَّهُ إليه حتى ماتت، فبلغه الخبر، فقال: [الطويل]

سَقَى جَدَثًا بَيْنَ الغُمَيْمِ وَزَلْفَة ... أَحَمُّ الذُّرَا وَاهِي العَزَالى مَطِيرُهَا

وفيها يقول:

وَإِنْ تَكُ سَوْدَاءُ العَشِيَّةَ فَارَقَتْ ... فَقَدْ مَاتَ مِلْحُ الغَانِيَاتِ وَنُورُهَا

قال: وهي أبيات مستحسنة، إلا أني تركت ذكرها لِئَلاً يطول الكتاب.

[٥٨٤] وقال آخر:

١ - إنِّي وإيَّاكِ كَالصَّادِي رَأَى نَهَلاً ... وَدُونَهُ هُوَّةٌ يَخْشَى بِهَا التَّلَفَا

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الهُوَّة: شِبه بئر، وهي الوَهْدَة أيضًا، وإنما سُمِّيَتْ هُوَّةً لأنه يُهْوَى فيها ويُسْقَط، وقوله «رأى نَهَلاً» في محلّ الحال، و«قد» مقدّرة في الكلام؛ لأن رأى بناء للماضي، والمنهل: الماء وموضع الماء، وقوله «دونه هوّة» في موضع الصفةِ للنّهل.

٢ - رَأَى بِعَيْنَيْهِ مَاءً عَزَّ مَوْرِدُهُ ... وَلَيْسَ يَمْلِكُ دُونَ المَاءِ مُنْصَرَفَا

«منصَرفًا»: انصِرَافًا، وإنّما قال «رأى بعينيه» فذكر العين تأكيدًا للرؤية، ومثله قول الله تعالى: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ﴾(١) وما أشبهه، وقوله «عَزَّ مورده» في موضع الصِّفة لِلماء.

[٥٨٥] وقال آخر(٢):

١ - أَلاَ بِأَبِينَا جَعْفَرٌ وَبِأُمِّنَا ... نَقُولُ إذَا الهَيْجَاءُ سَارَ لِوَاؤُهَا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي «وقال ابن المولى، وتُروَى لرجل من بني الحارث».

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «ألاَ بِأَبينا» الجملة في موضع المفعول لقوله «نقول» والباء من «بأبينا» تعلّق بفعل مضمَر، المراد يُفدَى بأبينا وأُمّنا جعفرٌ إذا سار الخميس، وأضافَ اللِّواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه.

٢ ـ ولاَ عَيبَ فيهِ غَيرَ ما خَوْفِ قَوْمِه عَلى نَفْسِهِ أنْ لا يَطُولَ بَقَاؤُهَا

يريد أن جعفرًا بريءٌ من العيوب إلاَّ مِنْ مخافة قومِهِ على نفسه أن لا يطولَ بقاؤها، وليس ذلك بعيبٍ، وإنّما يشفقون مما ذكرَ تنافسًا في حياته والانتفاع بمكانه، ومراده أنَّ مَنْ ذلك مَعِيبُه فكيف يكون مَرْضِيُّه، فإن قيل: لِمَ دخل هذا في النسيب وليس منه؟ قيل: لِلَطافَةِ لفظه وحلاوة معناه ومناسبته بذلك للنسيب أدخله في هذا الباب.

[٥٨٦] وقال آخر:

١ ـ وإنّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكِ كَالَّذِي رَأى نَهَلاً رِيًّا ولَيْسَ بِنَاهِلِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

النَّهَل والرّيّ جميعًا مَصْدَران جعلهما اسمين.

٢ ـ يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذِيدَ عَنْهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الضُّحَا فَيْنَانَةً بالأَصَائِلِ

«ذِيدَ عنه» مُنِعَ منه، والفَينَانةُ: الكثيرة الأفْنَان، وهو فَيْعَال، والفَنَن: الغصن، وقوله «بَرْدَ ماءٍ» أي: يرى ماءً باردًا لأن البردَ لا يُدرَكُ بالعين؛ وإن شئتَ قلت: جعله للمبالغة في الوصف كالمحسوس.

[٥٨٧] وقال آخر:

١ ـ مُرًّا عَلَى أَهْلِ الغَضَا إنَّ بالغَضَا رَقَارِقَ لاَ زُرْقَ العُيُونِ ولاَ رُمْدَا[1]

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

الغَضَا هنا: موضع، وفي اللّغة: شجرٌ معروفٌ، و«رقارق» يعني نساء نواعم شوابَّ، جارية رَقْرَاقة البشرة: لها تلألؤٌ وبصيصٌ، و«رَقْرَاق السَّراب» من هذا، «لا زرق العيون» أي: هنَّ كُحْلٌ، والرُّمْدُ: جمع أرمد ورَمْدَاء.

٢ ـ أكَادُ غَدَاةَ الجِزْعِ أُبْدِي صَبَابَةً وقَدْ كُنْتُ غلاَّبَ الهَوَى مَاضِيًا جَلْدَا

٣ ـ فَلِلَّهِ دَرِّي أَيَّ نَظْرَةِ نَاظِرٍ نَظَرْتُ وأَيْدِي العِيسِ قَدْ نَكَبَتْ رَقْدَا

---

(١) عند المرزوقي: «فَمُرًّا».

«لِلَّهِ دَرِّي» جرى مجرى خيري، ومن عادتهم أن ينسبوا ما يعجبهم إلى الله تعالى، وإن كانت الأشياء كلّها لله في الحقيقة، وقد فارق «دَرّي» بالاستعمال على هذا الوجه المصادرَ، فلا يتعلَّقُ به شيء من متعلَّقاتها، ويُروَى «أي نظرة ذي هوى» وهو تعجُبٌ، وانتصب «أيّ» بنظرت، ومعنى «نكبَتْ رَقْدا»: أي تَنَكَّبَتْ، وهو موضع كان يجمعهم، ويجوز أن يريد بذلك نظره في إثْرِ الظَّعائن تَحَسُّرًا كما قال الآخر: [الطويل]

بِعَيْنَيَ ظُعْنُ الحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الأَفْلاَجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا[1]

وقوله: [الطويل]

وَلَمَّا بَدَا حورَانُ وَالآلُ دُونَهَا نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيْكَ مَنْظَرا[2]

ويكون على هذا قوله «نَكَبَتْ رَقْدًا» معناه انحرفنَ عنه وتركنه؛ لكونه مفرق الطّرق.

٤ ـ يُقَرِّبْنَ مَا قُدَّامَنَا مِنْ تَنُوفَةٍ وَيَزْدَدْنَ مِمَّنْ خَلْفَهُنَّ بِنَا بُعْدَا

التَّنُوفة: المفازة، والمراد أن ما يقطعه غيرها في يومين هذه تقطعها بيوم، ومثله قول الآخر: [الطويل]

إذَا نَحْنُ قُلْنَا وِرْدُهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَمَطَّيْنَ حَتَّى وِرْدُهُنَّ طُرُوقُ

وتعلَّقَ الباءُ من قوله «بنا» بقوله «يزددنَ» و«بُعْدًا» انتصب على التمييز.

[٥٨٨] وقال ابن هَرِمِ الكِلاَبِيُّ[3]:

١ ـ إنِّي عَلَى طُولِ التَّجَنُّبِ والهَوَى وَوَاشٍ أَتَاهَا بِي وَوَاشٍ لَهَا عِنْدِي

الأوّل من الطويل.

٢ ـ لأُحْسِنُ رَمَّ الوَصْلِ مِنْ أُمِّ جَعْفَرٍ بِحُذِّ القَوافِي وَالمُنَوَّقَةِ الجُرْدِ

قوله «لأُحسن» خبر إنّ، ورَمُّ الوصل: إصلاحه، وحُذُّ القوافي: جمع حَذَّاء، وهي السَّريعة السَّير، شبِّهت بالقطاة الحَذَّاء، قال كعب بن زهير يصف القوافي: [الطويل]

نُقَوِّمُهَا حَتَّى تَلِينَ مُتُونُهَا وَتخرج حُذًّا كُلُّهَا يُتَمَثَّلُ

فهذا مذهب العرب في القوافي الحُذّ، وأما الخليل فكان يسمّي بالأَحذّ ما سقطَ منه حرفان متحرّكان بعدهما ساكن، وذلك عنده الوتد المجموع، والأَحَذّ على مذهبه يكون في الوزن المسمّى بالكامل، ويقع في ثلاثة أضرب منه؛ فالأوّل كقول القائل: [الكامل]

وَلَقَدْ هَدَيْتُ القَوْمَ في دَيْمُومَةٍ فِيهَا الدَّلِيلُ يَعَضُّ بِالخَمْسِ

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٩٠.

(٢) لامرىء القيس، ديوانه ص ٩٥؛ وعند المرزوقي «في الآلِ».

(٣) عند المرزوقي: «ابن هرم الطّائي».

فهذا أحَذّ الضَّرب، والثاني كقول القائل: [الكامل]

إنَّـا وَإنْ أَحْـسَـابُـنَـا كَـرُمَـتْ لَـسْـنَـا عَـلَـى الأَحْـسَـابِ نَـتَّـكِـلُ

فهذا أحذ النصفين، والثالث كقوله: [الكامل]

إنِّـي وَمَـا نَـحَـرُوا غَـدَاةَ مِـنَـى عِـنْـدَ الـجِـمَـارِ يَـؤُودُهَـا الـعُـقُـلُ

فهذا أيضًا أحذ النصفين، وفي ضربه إضمار، وهو سكون الحرف الثاني، والمنوّقة: المذلّلة التي صيّرت مثل النوق.

٣ ـ وأَسْتَخْبِرُ الأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمُ عَهْدِي

قوله «وأستخبرُ الأخبارَ» يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والمراد وأستخبرُ ذوي الأخبار من نحو أرضها، ويجوز أن يريد أنه يطلب استخراج زيادة فيها، فكأنّه يستخبر نفس الخبر، وقوله «وأسأل عنها الرّكب عهدُهم عهدي» مثله قول الآخر: [الطويل]

وَذِكْرَكِ مِنْ بَيْنِ الحَدِيثِ أُرِيدُ

و«عهدهم عهدي» في موضع الحال من أسأل.

٤ ـ فَإنْ ذُكِرَتْ فَاضَتْ مِنَ العَيْنِ عَبْرَةٌ على لِحيَتِي نَثْرَ الجُمَانِ مِنَ العِقْدِ

انتصب «نثر» على المصدر من غير لفظه، فهو كقولك: تَبَسَّمْتُ وَميضَ البرقِ.

[٥٨٩] وقال عَمْرُو بن حكيم[(١)]:

١ ـ خَلِيلَيَّ أَمْسَى حُبُّ خَرْقَاءَ عامِدِي فَفِي القَلْبِ مِنْهُ وَقْرَةٌ وصُدُوعُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

جعل «أمسى» لاتِّصال الوقت، و«خرقاء» اسم امرأة، وقوله «عامدي» مُمْرِضي، يقال: أي شيء يعمدكَ: أي يوجعكَ، والوَقْرة: الهَزْمَةُ والأَثَرُ، يقال: وُقِرَ الشَّيءُ، إذا جُعِلَ فيه وَقَرَاتٌ.

٢ ـ وَلَوْ جَاوَرَتْنَا العَامَ خَرْقَاءُ لَمْ نُبَلْ عَلَى جَدْبِنَا أنْ لاَ يَصُوبَ رَبِيعُ

«لَمْ نُبَلْ» جزمه مرتين لأنه كان «نُبَالِي» فدخل الجازم عليه، فحذف الياء، فصار «لم نُبَالِ» ثم أسكن اللاّم بعد أن طلب تخفيفه لِكثرته في الكلام، فالتقى ساكنان: الألف واللاّم، فحذفت الألف لالتقاء السّاكنين فصار «لم نُبَلْ» ومثل هذا لا ينقاس، وقوله «عَلَى جَدْبِنا» في موضع الحال، تقديره مُجْدِبين، ويقال: صابَ المطرُ يصوبُ، إذا وقع، والربيع: المطر.

---

(١) عمرو بن حكيم أحد شعراء تميم، من ربيعة الجوع (معجم المرزباني ص ٢٤١).

[٥٩٠] وقال آخر:

١ - أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتُهَا   بِهَا أَهْلُهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «وحشًا» أي: خاليًا مُوحِشًا، ويقال: باتَ فلانٌ وَحْشًا: أي خالي البطن، وتوحّش للدواء.

٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ مُعَرَّجَ سَاعَةٍ   قَلِيلاً فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

«مُعَرَّج» يريد تعريج ساعة، قال المرزوقي: لم يرضَ بأنْ أضافَ المُعَرَّج إلى السّاعة حتى وصفه بقوله «قليلاً» وهذا على التقدير يكون من الصّفات المؤكّدة لا المفيدة، كما يجيءُ الحال كذلك، ولا يمتنع أن يريد تعريجًا قليلاً في ساعة فتكون الصفة مفيدة، وقوله «فإني نافعٌ لي قليلها» يجوز أن يرتفع قليلها بنافع، أو نافع خبر له مُقَدَّم عليه، والجملة في موضع رفع خبر إنَّ، والتقدير: إنّي قليلُها نافعٌ لي، وانتصبَ مُعَرَّجَ على أنه خبر لم يكن الإلمام إلاّ معرج ساعة.

وقال أبو رياش: البيت الثاني لذي الرّمّة في قصيدته التي أولها:

أَخَرْقَاءُ لِلْبَيْنِ اسْتَقَلَّت حمُولُهَا

[٥٩١] وقال آخر:

١ - مَاذَا عَلَيْكِ إِذَا خُبِّرْتِنِي دَنِفًا   رَهْنَ الْمَنِيَّةِ يَوْمًا أَنْ تَعُودِينَا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«دَنِفًا» مشرفًا على الهلاك، وانتصابه على أنه مفعول ثالث من خُبِّرْتني، وانتصب «رَهْنَ المنيّةِ» لأنه صفة لِدَنِفًا، وقوله «يومًا» ظرف خُبِّرتني، وقوله «ماذا عليكِ» لفظه استفهام ومعناه تقريع، والمراد: أيّ شيء عليكِ إذا أُخْبِرتني عليلاً، وعليلاً يقتضي فعلاً، وذلك الفعل يعمل في «أنْ تعودينا» وقد حذف حرف الجرّ منه: أي بأنْ تعودينا.

٢ - أَوْ تَجْعَلِي نُطْفَةً فِي الْقَعْبِ بَارِدَةً   وَتَغْمِسِي فَاكِ فِيهَا ثُمَّ تَسْقِينَا

[٥٩٢] وقال جميل[١]:

١ - بُثَيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبُصِّرَتْ   مَعَابٌ؛ وَلاَ فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ

الأول من الطويل.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية (١٠٢).

«تبصَّرَتْ» اسْتُقْصِي النَّظرُ إليها، وأَشْبُ: من قولك: أشبت الشَّيء؛ إذا عِبْتَه، وأصلُ الأَشْبِ الخَلْطُ، كأنَّ العائبَ خلطه بما ليس فيه، قال أبو ذؤيب: [الطويل]

وَيَأْشِبُنِي فِيهَا الأُلاَءِ يَلُونَهَا   وَلَوْ عَلِمُوا لَمْ يَأْشِبُونِي بِبَاطِلِ[1]

٢ ـ لها النَّظْرَةُ الأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ   وإنْ كُرِّتِ الأَبْصَارُ كانَ لها العَقْبُ

ويُروَى:

لَهَا النَّظْرَةُ الأُولَى عَلَيْهِنَّ بَسْطَةً   وَإنْ كُرِّتِ الأَبْصَارُ كانَ لها العَقْبُ

أي: إذا نظرت النظرة الأولى إليها كان لها فضل على النساء، وإذا كرّر النظر كانت المزيّة لها في ذلك، والعَقْب: ما يجيءُ بعد، كما قالوا: فَرَسٌ ذو عقبٍ أي يجيءُ منه جري بعد جريه الأوّل، والعرب تقول: النظرة الأولى حمقاء، كأنه يقول: لهذه المرأة النظرة الأولى، ولها الكشفة الثانية، وهي البسطة، ولها البحثة الثالثة، وهي تعقب التجربتين بتجربة ثالثة: أي كلّما نظر إليها ازدادت ملاحةً.

٣ ـ إذَا ابْتَذَلَتْ لَمْ يُزْرِها تَرْكُ زِينَةٍ   وفِيهَا إذَا ازْدَانَتْ لِذِي نِيقَةٍ حَسْبُ

«لم يُزْرِها» أي: لم يُزْرِ بها، يقال: زَرَيْت عليه، وأَزْرَيْتُ به، لكنه حذف الجار، وقوله «حَسْبُ» أي: كافٍ، فهو مبتدأ، على هذا تقول: حسبي الله وحده، ومثله قول جرير: [الطويل]

إذَا حُلِّيَتْ فَالحَلْيُ مِنْهَا بِمَقْعَدِ   مَلِيحٍ وَإلاَّ لَمْ تَشِنْهَا عَوَاطِلُهْ

ويُروَى:

إذَا ابْتَذَلَتْ لَمْ يُزْذِهَا تَرْكُ زِينَةٍ

أي: لم يجعلها رَذِيَة؛ شبّهها بالرَّذِيَّة من الإبل لأنَّ تلك تطرح ولا يرغب فيها وهذه إذا تركت الزينة لم ينقصها ما تركته، والنِّيقَة: المبالغة في الشَّيء وتحسينه وإحكامه، وهذا البيت ينسب إلى حاتم: [الطويل]

وَلِي نِيقَةٌ في الجُودِ وَالبَذْلِ لم يَكُنْ   تَنَوَّقَهَا فِيما مَضَى أحَدٌ قَبْلِي

---

(١) البيت في تاج العروس (أشب) وروايته:

ويأشِبُني فيها الذين يَلُونَها   ولو عَلِمُوا لم يَأشِبُوني بطائِلِ

[٥٩٣] **وقال الحارثيّ**[(١)]:

١ ـ سَلَبْتِ عِظَامِي لَحْمَها فَتَرَكْتِهَا ... مُجَرَّدَةً تَضْحَى إليكِ وتَخْصَرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«تَضْحَى» تحميها الشَّمس، و«تخصر» تبرد، وإنّما قال تَضْحى وتخصر لأنَّ الحرَّ والبردَ إلى المهزول أسرع وأشدّ تأثيرًا فيه، ويقال: ضَحِيَ يَضْحَى ضَحًى وضَحَا يَضْحُو ضَحْوًا وضُحُوًّا، أصابه حَرُّ الشَّمسِ، و«مجرَّدةً» في موضع الحال، وجعل الإخبار عن العظام وإن كان ما وصفه حالاً للجملة لا لها وحدها لقوله: «سلبتِ عظامي لحمها».

٢ ـ وَأَخْلَيْتِها مِنْ مُخِّهَا فَتَرَكْتِها ... أَنَابيبَ في أَجْوَافِها الرِّيحُ تَصْفِرُ

ويُرْوَى «قوارير»[(٢)]؛ و«في أجوافها الرِّيح تصفرُ» في موضع الصفة للقوارير، وموضع «تصفرُ» نصب على الحال إن جعلت الريح ترتفع بالظرف.

٣ ـ إذَا سَمِعَتْ بِاسْمِ الفِرَاقِ تَقَعْقَعَتْ ... مَفَاصِلُها مِنْ هَوْلِ مَا تَتَنَظَّرُ[(٣)]

المعنى أنَّ ذِكْرَ الفراق يبلغ منها هذا المبلغ وهي أنها لارتعادها تتداخل مفاصلها ويحتكُّ بعضُها ببعضٍ حتى يُسْمَعَ لها قعقعة.

٤ ـ خُذِي بِيَدِي ثُمَّ ارْفَعِي الثَّوْبَ فَانْظُرِي ... بِيَ الضُّرَّ إلاَّ أَنَّنِي أَتَسَتَّرُ

قوله «خذي بيدي» أراد أن يُريها ما تستبعده من وصف حاله مُشاهَدَةً، ويُروَى:

خُذِي بِيَدِي ثُمَّ انْهَضِي بِي تَبَيَّنِي

أي: خُذِي بيدي يَبِنْ لكِ أمري، وقوله «إلاَّ أنني أتستَّرُ» استثناء منقطع من الأول، كأنه قال: لكنني أتستَّرُ بِتَجَلُّدٍ أُظهره، وفي البيت طباق بقوله تبيّني وأتستَّرُ، وأصل تبيّني تَتَبَيَّني فحذف إحدى التاءين.

٥ ـ فَمَا حِيلَتِي إنْ لَمْ تَكُنْ لَكِ رَحْمَةٌ ... عَلَيَّ وَلاَ لِي عَنْكِ صَبْرٌ فَأَصْبِرُ

٦ ـ فَواللَّهِ ما قَصَّرْتُ فِيمَا أَظُنُّهُ ... رِضَاكِ وَلَكِنِّي مُحِبٌّ مُكَفَّرُ

تمّ باب النَّسِيب

---

(١) في أمالي القالي ١/١٦٢؛ للمجنون سوى ٥ و٦، وليست في ديوانه، وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال خلف بن خليفة».

(٢) بدل «أنابيب».

(٣) القالي:

إذا سمعتْ ذِكْرَ الفِراقِ تقطَّعتْ ... علائقها مما تخاف وتَحْذَرُ

بسم الله الرّحمٰن الرحيم

باب الهجاء

الهِجَاء: هو الوقيعة في الأنساب وغيرها، ورَمْيُ الإنسان بالمعايب، وأصله التَّسكين من قولهم: هَجَأَ غَرَثَه وجُوعَه وأَهْجَى، إذا سَكَّنَ، فكأنه إذا رمى الإنسان بالعيوب سَكَّنَ من أشرافه، وقيل: بل معناه التفصيل، ومنه حروف الهجاء، وهجّا فلانٌ الكلمة، إذا فَصَّلَ حروفها، فكأن الشاعر إذا هجا غيره مَزَّقه وفَصَّله.

[٥٩٤] وقال مُوسَى بن جابر الحَنَفِيّ(١):

مُوسَى: مُفعَل من «أَوْسَيْتُ رَأْسَهُ» إذا حلقته، أو فُعْلَى من «مَاسَ يَمِيسُ» إذا تبختر، ومن «مَأَسَ يَمْأَسُ بين القوم» إذا أفسد بينهم، ومنه قولهم: زَمانٌ مَؤُوسٌ، وقيل: هو تعريب مُوشَى، وهو الماء والشّجر بالعبرانية، فلمّا وجد موسى بين الماء والشّجر سُمِّيَ موسى، هكذا ذكروه، ومَنْ يعرف العبرانية أنكر هذا، وقال: إنّما سُمِّيَ موسى لأنه لمّا رُفِعَ من بين الماء والشجر قالوا: موشى، كأن معناه منشول: أي نشلوه كما يُنشَلُ اللّحم من القدر، فأمّا الماء والشّجر فلا يُسَمَّى عندهم موشى، وجابر: فاعل من جَبَرْتُ، واسم الخبز: جابر بن حَبَّة؛ لأنه يجبر الجوع.

١ - كَانَتْ حَنِيفَةُ لا أَبَا لَكَ مَرَّةً ... عِنْدَ اللِّقَاءِ أَسِنَّةً لاَ تَنْكُلُ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

هذا تَهَكُّم وسخرية، و«لا أبا لك» بعث وتحضيض، وليس بنفي للأُبوّة، وخبر «لا» محذوف؛ لأن النيّة في «لا أبا لك» الإضافة، ولذلك أثبت الألف في «أبا» وكأنّه قال: لا أباك موجود، أو في الدنيا.

٢ - فَرَأَتْ حَنِيفَةُ مَا رَأَتْ أَشْيَاعُهَا ... والرِّيحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٤).

أي: مرّةً تكون شمالاً ومرّة جنوبًا، وموضع «كذاك» من الإعراب نصب على المصدر من تَحَوَّلُ، أراد والريح تتحوّل أحيانًا تحوّلاً كما عرفت.

[٥٩٥] وقال قُرَاد بن حَنَشٍ الصَّارِدِيّ[١]:

الحنش: حيّة تنفخ ولا تؤذي، والصَّارد: النافذ، صَرِد السهم يَصْرَد صَرَدًا.

١ ـ لَقَوْمِيَ أَدْعَى لِلْعُلاَ مِنْ عِصَابَةٍ ... مِنَ النَّاس يَا حَارِ بْنَ عَمْرٍو تَسُودُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «أَرْعى لِلعُلا» أي: أحسن رِعاية وَتَفَقُّدًا، ومَنْ روى «أدعى» فالمراد أكثر دُعَاءً إلى العلا.

٢ ـ وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزُّهَا ... بِآبِدَةٍ تُنْحِي شَدِيدٍ وَئِيدُهَا

«سماء» أي سحاب، وَرِزُّها: صوتها: أي صوت رعدها، والآبدة: الغريبة المنكرة، وتنحي: أي تعتمد، ويُروَى «له زجل باقٍ» أي: صوت شديد يتّصل، والباء من «بِآبدة» تَعلّقَتْ بيعجب النّاس: أي يعجِب رِزّها بآبدة: أي ومعها الآبدة.

٣ ـ تُقَطِّعُ أَطْنَابَ البُيُوتِ بِحَاصِبٍ ... وأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرْقُهَا وَرُعُودُهَا

الحاصب: الرّيح تجيءُ بِالحَصْبَاء.

٤ ـ فَوَيْلُمِّهَا خَيْلاً بَهَاءً وَشَارَةً ... إِذَا لاَقَتِ الأَعْدَاءَ لَوْلاَ صُدُودُهَا

انتصب «خيلاً» على التميز، وحُذِفَت الهمزة من «أمّ» في قوله «وَيْلُمِّها» لكثرة الاستعمال، وليس الحذف هنا بقياس، واللفظة تفيد التعجّب، و«بهاء» انتصب على أنه مفعول له، فيقول ساخرًا: وَيْلُمِّها من خيل لكمال بهائها وحُسْن شارتها عند لقاء الأعادي لولا انهزامها وإعراضها، وقوله «لولا صدودها» جواب لولا في صدر البيت وقد تقدّم القول في المبتدأ بعده ومجيئه بلا خبر.

[٥٩٦] وقال عَمَلّس بن عَقِيل بن عُلَّفَةَ[٢]:

العملّس: الذّئب.

---

(١) قُراد بن حنش: شاعر جاهلي، قليل الشعر جيّده، قال أبو عبيدة: كانت غطفان تُغِير على شعره فتأخذه وتدّعيه منهم زهير بن أبي سلمى، وجعله الجمحي في الطبقة الثامنة من الإسلاميين من معاصري عقيل بن علفة (المرزباني ص ٣٢٧؛ وطبقات فحول الشعراء للجمحي ص ٥٦١).

(٢) عند المرزوقي نسبه لعمارة بن عقيل وهي نسبة خاطئة، وفي الأغاني (١٢/٣٠٣، دار الكتب العلمية) نسبه إلى علّفة بن عقيل بن عُلّفة وذكر قصة الشعر.

١ ـ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي عَـقـيـلاً رِسَـالَـةً فَـإِنَّـكَ مِـنْ حَـرْبٍ عَـلَـيَّ كَـرِيـمُ[١]

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «مَنْ مُبْلغٌ» تَمَنّى أن يَتَّفقَ له مَنْ يُبْلغُ عنه عَقِيلاً رسالة، فأتى بلفظ الاستفهام، والرسالة «إنك من حرب عليَّ كريم» وما بعده، وبنى كلامه على الاستعطاف، ثم أخذ في التقريع، ومعنى قوله «إنك من حرب عليَّ كريم» أي: إنكَ تكْرُمُ عليّ من جملة مَنْ ينتسب إلى بني حَرْب[٢].

٢ ـ أَلاَ تَـعْـلَـمُ الأَيَّـامُ إِذْ أَنْـتَ وَاحِـدٌ وَإِذْ كُـلّ ذِي قُـرْبَـى إِلَـيْـكَ مُـلِـيـمُ

وروى المرزوقي «ألم تعلم الأيام» يقول: أتذكر حين كنتَ فردًا وحيدًا لا ناصرَ لكَ، وإذ كان كلّ قريب لك مُلِيم؟ والمُليم: الذي يأتي بما يُلاَم عليه.

٣ ـ وَإِذْ لاَ يَقِـيـكَ النَّـاسُ شَيْـئًا تَـخَافُـهُ بِـأَنْـفُـسِـهِـمْ إِلاَّ الَّـذِيـنَ تَـضِـيـمُ

أي: وحين لا وَاقِي لكَ من شيء تخافه إلاّ الذين تَظْلمهم الساعة، وقوله «إلاّ الذين» استثناء بدل، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلَق، والضمير العائد إلى الذين من الصّلة محذوف استطالة للاسم، والتقدير تضيمهم: أي تظلمهم؛ وقوله في البيت الذي قبله «ألم تعلم الأيام» ألم: يُقَرَّر به ما ثبت ووقع، ويُروَى «الأيامُ» بالرفع، و«الأيامَ» بالنصب، فإذا رويت الأيامَ بالنصب يكون الخطاب لعقيل، ويكون تعلم بمعنى تعرف، والمعنى: أمَا عرفتَ الأيام التي كانت حالك فيها ما ذكرت؟ وأتنسى تلك الأيام؟ والمراد بالأيام حوادث الدهر، وقوله «إذ أنتَ» ظرف لها، وإذا رفعت الأيام يكون المعنى: ألم تعرف الأيامُ حالَكَ وقصّتكَ، والمعنى أهلُ الأيام على حذف المضاف.

٤ ـ أَتَرْقَـعُ وَهْـيَ الأَبْـعَـدِيـنَ وَلَـمْ يَـقُـمْ لِـوَهْـيِـكَ بَـيْـنَ الأَقْـرَبِـيـنَ أَدِيـمُ[٣]

«لِوَهيكَ» أي: الوَهْيُ الذي يحصل بك، وذكر الأديم مَثَل، يقال: فُلاَنٌ صحيحُ الأديم، وفلانٌ نَغِلُ الأديم، وفي المثل: أَوْسَعْتَ وَهْيًا فارْقَعْه، والوَهْيُ: الضّعفُ، وَهَى يَهِي وَهْيًا، وكلُّ شيءٍ صلح فقد قام واستقام، وأضاف الوهي إليه لأنَّ فساد عشيرته فساده.

---

(١) في الأغاني: «ألا أبلغا».

(٢) ليس لعقيل بن علّفة علاقة ببني حرب، وإنّما يقصد بالحرب هنا العداوة والمشاكسة التي كانت مستمرة بين عقيل وأبنائه، يعني أنه مع ذلك يكنّ له إكرامًا واحترامًا.

(٣) قوله «أترقعُ»: لفظه الاستفهام ومعناه التقريع.

٥ ـ فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الحَرْبُ عَضَّةً فَإِنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمُ

رحيم: فَعِيل في معنى مفعول: أي إنك مَعْطُوف عليك مَرْحوم، وقوله «معطوف عليك» لو قال معطوف عليه كان حسنًا، يقول: إذا اشتدّتْ بك الحرب وكان عدوّك يغلبك رحمناك ودفعنا عنك.

٦ ـ وَأَمَّا إِذَا آنَسْتَ أَمْنًا وَرِخْوَةً فَإِنَّكَ لِلْقُرْبَى أَلَدُّ خَصُومُ

آنستَ: أي أبصرت، رِخْوَةً: أي رخاءً، والألدّ: الشّديد الخصومة، وكذلك الألَنْدَد واليَلَنْدَد، والخَصُوم: بناء للمبالغة، وهو أبلغ من خَصِيم؛ لأنه أشدّ تباعدًا من أبنية أسماء الفاعلين.

[٥٩٧] وقال أَرْطَاة بن سُهَيَّة المرّيّ(١):

قال أبو العلاء: أرطاة مُسَمًّى بواحدة الأَرْطَى، وهو شجر معروف يُدْبغ به، ويقولون: أديم مَأروط؛ إذا دُبِغَ بالأرطى، ووزن أَرْطَاة على هذا الوجه فَعْلاَة، وألفها للإلحاق، فلذلك دخلت عليها هاء التأنيث، وقد حُكِيَ «أَدِيمٌ مَرْطِيٌّ» فوزنها على هذا القول أَفْعَلة، ومثل أَزْفَلَة وهي الجماعة من الناس، وهمزتها زائدة وألفها أصلية منقلبة، وسُهَيَّة: تصغير سَهْوَة، من قولهم: سَهَا عن الأمر سَهْوَةً، ويقال: ناقة سَهْوَة السَّير، أي سهلته، والسَّهوة: بيت صغير في البيت الكبير، وقيل: هو الصُّفَّة بين يديه، وقيل: حائط يُبْنَى فيه، وقيل: هو أن يُحْفَرَ بيتٌ في الأرض، وقال قوم: يُبْنَى حائط في البيت لا يبلغ به أقصاه ثم يوضع عليه الخشب؛ فما كان بين الحائطين فهو سَهْوَة، وما كان تحت الخشب فهو المخدع.

١ ـ تَمَنَّتْ، وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِها لأَهْجُوَهَا لَمَّا هَجَتْنِي مُحَارِبُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قال المبرّد: يهجو بهذا هِلاَلَ بن البعير المحاربيّ، وأولها:

يَقُولُونَ أَبْنَاءُ البَعِيرِ وَمَا لَهُ سَنَامٌ وَلاَ فِي ذِرْوَةِ المَجْدِ غَارِبُ

وارتفع قوله «محارب» بفعلها، وهو تمنّت، وتمنّتْ: من الأمانيّ التي تَعْرِضُ لِلنفس، والأُمْنِيَّةُ مأخوذة من المنى، وهو القدر ما يريد، وقد ذكر أن التمنّي في معنى الكَذِب، وأنهم يقولون «تمنّاه» مثل كذبه، والمعنى يحتمل الوجهين، فإذا جعل تمنّتْ من الأماني المعروفة فالمعنى وَدَّتْ أنّي أهجوها لِتَفخرَ بذلك، ويكون الفعل واقعًا على مُضْمَرٍ محذوف، كأنه قال: تمنّتْ أمورًا لأَهجوها، وإنّما أكثر الكلام تمنّيْتُ أن يكون كذا،

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٦).

فيصل الفعل إلى أن وصلتها من غير حرف متوسّط، ومثل بيت أرطاة في مجيئه باللام في مكان أن قولُ كُثَيِّر: [الطويل]

أُرِيـدُ لأَنْـسَـى ذِكْـرَهَـا فَـكَـأَنَّـمَـا تَـمَـثَّـلُ لِـي لَـيْـلَـى بِـكُـلِّ سَـبِـيـلِ

وإذا جعل قوله «تمنّتْ» في معنى كذبَتْ فالمراد أنّهم تكذبوا عَلَيَّ في الهجو لأغضبَ فأهجوهم، وقوله «وذاكم» إشارة إلى التمنّي، وهو لم يظهرْ في اللّفظ، إذ كان موجودًا في المعنى، ومثله كثير.

٢ ـ مَـعَـاذَ الإلـٰـهِ، إنَّـنِـي بِـقَـبِـيـلَـتِـي وَنَـفْـسِـيَ عَـنْ ذَاكَ الـمَـقَـامِ لَـرَاغِـبُ

انتصب «مَعَاذَ» على المصدر: أي أعوذ بالله مَعَاذًا.

[٥٩٨] وقال زُمَيْل بْنُ أُبَيْر(١):

قال أبو الفتح: زُمَيْل يجوز أن يكون تصغير أَزْمَل مرخّمًا، وهو الصوت مع الجلبة، وكصوت الجوف أيضًا أنشد أبو الحسن: [الطويل]

تَـضِـبُ لِـثَـاتُ الـخَـيْـلِ فـي لَـهَـوَاتِـهَـا وَتَسْمَعُ مِنْ تَحْتِ العَجَاجِ لَهَا آزْمَلا(٢)

ويجوز أن يكون تحقير زِمْل، وأمّا أُبَيْر فيكون تحقير أَبْرٍ بعد التسمية به، وهو من قولك: أَبَرْتُ النَّخْلَ آبِرُهُ أَبْرًا، إذا أصلحته، أو من أَبَرَته العقرب، إذا لَسَبَتْهُ(٣) بإبرتها، ويجوز أن يكون أُبَيْر تحقير وَبْر، وهو دابّة أصغر من السِّنّور طحلاء اللّون قصيرة الذَّنَب، وأصله على هذا وُبَيْر، فلمّا انضمّت الواو ضمًّا لازمًا قُلِبَتْ همزةً على المعتاد في ذلك.

١ ـ إنِّـي آمْـرُؤٌ أَطْـوِي لِـمَـوْلاَيَ شِـرَّتِـي إذا أَثَّـرَتْ فـي أَخْـدَعَـيْـكَ الأَنَـامِـلُ

الثاني من الطويل.

الشِّرَّة: الشَّرّ، يقول: أَكُفُّ عنه شَرِّي، والأخدعان: عِرقان في صَفْحَتَي العنق في موضع الحجامة، ومعنى تأثير الأنامل في الأخدعين أنه يخاصم ابن عَمِّه ويخاصمه ويتعلّقُ كلُّ واحد منهما بالآخر، كأنه قال: إنّي رجلٌ أَكُفُّ شِرَّتي عن ابن عمّي، إذا نازعْتَ ابن عمّك ونازعك حَتَّى أثَّرت أنامله في أخدعيك، ويجوز أن يكون معناه إنّهم إذا نسبوه إلى

---

(١) زُميل بن أُبَيْر: يقال له ابن أُم دينار، قيل: هو الذي قتل ابن دارة في خلافة عثمان، ترجمته في: (الإصابة تر ٢٩٧٩؛ والمؤتلف والمختلف ص ١٢٩).

(٢) البيت في اللسان (زمل) وفيه «في حَجَراتها» بدل «في لهواتِها». وقال: «يريد أزملاً، فحذف الهمزة».

(٣) لَسَبَتْه الحيَّةُ: لدغته.

الغدر والخيانة وأشاروا بأصابِعهم إلى قفاه إذا وَلَّى فقالوا: هذه قَفَا غادر، ففي ذلك الوقت هو يطوي شِرَّتَه عن مولاه.

٢ ـ خُلِقْتُ عَلَى خَلْقِ الرِّجَالِ بِأَعْظُمٍ   خِفَافٍ تَطَوَّى بَيْنَهُنَّ المَفَاصِلُ[١]

يعني أنه شَخْتٌ من الرّجال قليل اللّحم، والعرب تمدحُ بذلك، وتذمّ السّمن في الرّجال، وقوله «تَطَوَّى بينهنّ المفاصل»، أي: من قلّةِ لحمي وخفّة أعضائي تَثَنَّى مفاصلي بين عظامي؛ فأعظُمُه خِفافٌ ومفاصله بينها مَطويّة.

٣ ـ وَقَلْبٍ جَلَتْ عَنْهُ الشُّؤُونُ وَإِنْ تَشَأْ   يُخَبِّرْكَ ظَهْرَ الغَيْبِ مَا أَنْتَ فاعِلُ

«قلب» عطف على بِأعْظُم، يريد وبقلبٍ انكشفتْ عنه الشّؤون لِذَكائِه فلا يلتبسُ عليه شأنٌ، وإذا ظَنَّ شيئًا لم يُخْطِىءْ فيه، وانتصب «ظهْرَ الغيب» على الظّرف: أي يخبرك وراء الغيب، و«ما» في قوله «ما أنت فاعل» بمعنى الذي، وأنت فاعله من صلته، وقد حذف حرف الجرّ معه، كأنه قال: يخبّركَ بما أنتَ فاعله، يقال: خَبَّرْته كذا، وخبّرته بكذا، وحَدَّثته كذا، وحدّثته بكذا.

٤ ـ وَلَسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَمَلَتْ بِهِ   عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهْيَ حَافِلُ[٢]

قال المرزوقي: كان رواية النّاس قبلنا «احتملتْ به» والصّواب «احتلمت» بدلالة قوله «فجئت ابنَ أحلامِ النّيام».

٥ ـ فَجِئْتَ ابْنَ أَحْلَامِ النِّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ   لِصِهْرِكَ إِلاَّ نَفْسَهَا مَنْ تُبَاعِلُ

الرَّبْل: السمين الرّطب، والعَوَان: النَّصَف من النساء، والفعل منه عَوَّنَتْ ويقال: عَانَتِ البقرة عَوْنًا، صارت عَوَانًا، فيقول: لستَ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ احتلمت به امرأة عَوَان بَعدَ عهدها بِفحلها وهي ممتلئة شَبَقًا فحلمت به فجاءت من احتلامها بك، والمعنى: إنه لا والدَ لك إلاّ ما رأتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غُلْمَتِها من احتلامِها، فأنتَ شَرٌّ مِمَّنْ يجيءُ لِزنية، وقوله «لصهرك» أي: لمَن يصاهره فيك أي يخالطه، وقال الخليل: الصِّهر: حُرمَة الخَتَن، وخَتَنُ القوم: صِهرهم، وحُكِيَ عن أبي الدقيش «أصْهَرَ بهم الخَتَنُ»: أي صار فيهم صِهرًا، فيقول: لم تجدْ خَتَنًا إلاّ نفسَها إذ كان الاحتلام لم يتجاوزها، و«إلاَّ نفسها» مستثنى متقدّم، و«ابن أحلام النّيام» نصب على الحال لأنَّ أحلامَ النِّيام لا يتخصّصُ فلا يصير المضاف إليه معرفة، وقال أبو العلاء: نصب «ابن أحلام النّيام» على الحال، وتَأَوَّل انفصال الإضافة، كأنه قال: فجئتَ ابنًا لأحلامِ النّيامِ، والانفصال يكثر إذا كانت الصفة الجارية على الاسم الأول موضوعة للاسم الثاني في الحقيقة، كقولك: مررتُ برجلٍ

(١) عند المرزوقي: «بينهنّ الأناملُ».

(٢) عند المرزوقي: «احتلمتْ».

حَسَنِ الجاريةِ، فالمعنى حسن جاريته، فالحُسْنُ للجارية، وليس ذلك موجودًا في مثل قوله «ابن أحلام النيام» لأنَّ الابن ليس هو للأحلام، فكان ذلك مُنافيًا لقولك: مَرَرْتُ برجلٍ جميلِ الأصحاب؛ لأنَّ الأصحابَ هم الذين حُكِمَ لهم بالجمال، وتُبَاعِلُ: أي تكون له بَعْلة، ويكون بَعْلاً لها؛ قال الحطيئة: [الطويل]

وَكَمْ مِنْ حَصَانٍ ذَاتِ بَعْلٍ تَرَكْتُهَا　　إذَا جَنَّ لَيْلٌ لَمْ تَجِدْ مَنْ تُبَاعِلُهْ[1]

ويُروَى «لِطُهْرِك» أي: لِلطهر الذي حملتك فيه، ومَنْ روى «لظهرِك» فالمعنى للظّهر الذي خَرَجْتَ منه، وقال غيره: احتملتْ به: أي حملت من الحَبَلِ، ونَأَتْ عن فحلها: أي زوجها، والحافل: من قولهم ضَرْعٌ حافل، إذا اجتمع فيه اللَّبن، وأراد بالحافل هنا إمّا اجتماع مَنيِّ الرّجال في رحمها أو الحامل، وابن أحلام النيام كناية عن الفجور، يعني جاء ولد الزّنا، كأنه نام فحلها فزنى بها فحملت وفحلها نائم، وينسبُ الولدُ إلى الفحل وهو لغيره، فلهذا قال «ابن أحلام النيام» أي: لستُ ضَخْمًا مِثلكَ حملت به امرأة بَعُدَتْ عن زوجها وقد اجتمع ماء شهوتها فقارفت فُجُورًا فجئتَ لِغير رِشْدَةٍ، ووجه آخر وهو أنه يُرْوَى:

وَلَسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَمَلَتْ بِهِ　　حَصَانٌ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهْيَ حَائلُ

فالرَّبْل مِنَ النَّبات: ما يستغني عن المطر، ويتقطّر بالندى أو برد اللَّيل في آخر الصيف، ونَأَتْ: بَعُدَتْ، والحائل: التي لم تحملْ، وأراد بالنَّأي هنا الطّلاق، وكنَّى عنه، يقول: ولدتكَ أُمُّكَ من غير ذكر كالرَّبْل الذي ينبت من غير مطر، ووصف أُمّه بالحصن ليؤكّدَ أنّه وُلِدَ من غير والد كبيضةِ التّراب، وذكر أيضًا أنَّ أُمّه طُلِّقَتْ وهي حائل توكيدًا لذلك لِئَلاَّ يلحقَ بالرّجل الذي كانت أُمّه تحته، والمراد أنه ليس من أصل ولا أب ينتسب إليه، و«لم تجد لصهرِك» الصّهر: مَنْ يتزوَّجُ إلى القوم، يقول: لم تجدْ أنتَ إلاَّ نفس أُمّك من تباعله: أي تناكحه، لأنه لا يناكحكَ أحدٌ لخساستكَ وعَدَم نسبك، وقال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المثل «انْقَلَبَتِ القَوْسُ رَكْوَةً»[2] ليس قوله «ولست بِرَبل مثلك البيت» لزميل، بل هو لأرطاة بن سُهَيّة يهجو زُمَيلاً، ونظام البيت أيضًا مُختلّ، والصّواب: [الطويل]

وَلَسْتُ بِرَبْلٍ مِثْلِكَ احْتَلَمَتْ بِهِ　　عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ بَعْلِهَا وَهْيَ حَائلُ
فَجِئْتَ ابْنَ أَحْلامِ النِّيَامِ وَلَمْ يَكُنْ　　لِبُضْعِكَ إلاَّ طُهْرَهَا مَنْ تُبَاعِلُ

---

(١) البيت في ديوانه ص ٨٠؛ ولسان العرب (بعل)؛ وتهذيب اللغة ٢/ ٤١٤؛ ومقاييس اللغة ١/ ٢٦٥؛ وتاج العروس (بعل).

(٢) «صارت القوسُ ركوةً» مثلٌ يُضرَبُ في الإدبار وانقلاب الأمور (تاج العروس «ركى»).

[٥٩٩] وقال خارجة بن ضِرَار المُرّيّ(١):

وفي بعض النسخ «وقال زُمَيْل لخارجة بن ضرار».

١ ـ أَخَالِدُ؛ هَلاَّ إِذْ سَفِهْتَ عَشِيرَةً ... كَفَفْتَ لِسَانَ السَّوْءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا(٢)

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يُحكَى عن يونس أنه قال: سَفُهَ لغة في سَفِه، وعشيرةً: ينتصب على المفعول به، ويجوز أن يكون ممّا نُقِلَ عنه الفعل، كأنه قال: سَفِهَتْ عشيرتُك، فنقل السَّفَهَ إلى نفسِه، فقال: سَفِهْتَ، فأشبه «عشيرةً» المفعولَ فنصب نصبَ التمييز، ويتدعَّر: يتفعّل من الدَّعارة، وهو الخبث، ومنه «عُودٌ دَعِرٌ» كثير الدّخان.

٢ ـ وهَلْ كُنْتَ إلاَّ حَوْتَكِيًّا أَلاَقَهُ ... بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَا

الحَوْتَكِيّ: ولد النّعامة، ويقال لِكلّ صغير: حَوْتَكي، ويقال: إنَّ الحَتَكَانَ مشي في تقارُبِ خَطْوٍ، وألاَقَهُ: أمسكَهُ وربَّ أَمْرَهُ، وقلّما يستعملون هذه الكلمة إلاَّ في النفي، كما قال الراجز:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمَا ... جُودًا، وَأُخْرَى تُجْرِ في الحَرْب دَمَا

٣ ـ فَإِنَّكَ وَاسْتِبْضَاعَكَ الشِّعْرَ نَحْوَنَا ... كَمُسْتَبْضِعٍ تَمْرًا إِلَى أَرْضِ خَيْبَرَا

استبضاع السّلعة: أن تحملَها بِنفسكَ، وإبضاعُها: بَعْثُهَا، وكما قيل «كمستبضع تمرًا إلى أرض خيبرا» لكثرة نخلها قِيلَ أيضًا: كمستبضع تمرًا إلى هَجَر، وكما قيل: كمستبضع الملح إلى بارِق.

[٦٠٠] وقال عُمَارة بن عَقِيل(٣): [الطويل]

قال أبو الفتح: هو اسم عَلَم مرتجل، قال اللّيث: قلت لأبي الدقيش: ما الدّقش؟ فقال: لا أدري، فقلت: فما الدّقيش؟ قال: ولا هذا أدري، قلت: فاكتنيتَ بما لا تدري ما هو!؟ فقال: إنّما الأسماء والكِنى علامات.

١ ـ بَنِي مُنْقِذٍ لا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ ... وزَادَكُمُ ذُلاًّ وَرِقَّةَ جَانِبِ

---

(١) أنشد صاحب اللسان الأبيات منسوبة إلى خارجة بن ضرار، ونقل عن ابن بري أنّها تُروَى لِزميل بن أُبير يهجو خارجة.

(٢) عند المرزوقي: «أخارجَ» وهذا يؤكّد بأنّ قائله غير خارجة.

(٣) عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير اليربوعي التميمي: شاعر مقدّم فصيح، من أهل اليمامة عَمِيَ قبل موته، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه (ت ٢٣٩ هـ/ ٨٥٣ م). ترجمته في: (المرزباني ص ٢٤٧؛ وتاريخ بغداد ١٢/ ٢٨٢؛ وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٠).

٢ ـ فَمَنْ يَرْتَجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةَ الَّتي ... دَعَتْ وَيْلَهَا لَمَّا رَأَتْ ثَأْرَ غَالِبِ

رقّة جانب: أي ضعف جانب، نائلة: امرأة زُوِّجَتْ قاتلَ أبيها أو أخيها، فجعل عمارة يعيّرهم ذلك، «فمَن يرتجيكم»: استفهام على طريق التقريع، وفيه معنى النّفي: أي لا يرجوكم أحدٌ بعد نائلة التي دَعَتْ ويلها: أي صاحت بالويل، وفي القرآن ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَنٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

٣ ـ دَعَتْهُ وفي أَثْوَابِهِ مِنْ دِمائِهَا ... خَلِيطَا دَمٍ مِنْ ثَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ

أي: دعتْ بالويل لمّا رأتْ ثأْرَ غالب أخيها أو أبيها وقد ملّكتموه أمرها وفي أثواب زوجها لها خليطَا دم: أحدهما دم أبيها أو أخيها بقتله له، والثاني دَمُ عُذْرَتِها بتزوّجِهِ بها، فهما لازمان له لا يفارقانه، ويُرْوَى «شَرِيجَا دَم» وكلّ لونين اجتمعا فهما شَرِيجَان، وقوله «غير ذاهب» غير: صفة لِدم، ويُرْوَى «مهراقه غير ذاهب» وتكون الجملة صفة لِدم أيضًا، والعرب تقول: دمُ فلان في ثوبِ فلان، إذا كان قاتله، قال أوس بن حَجَر: [الكامل]

نُبِّئْتُ أَنَّ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ ... فَهُرِيقَ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرِ

[٦٠١] وقال طَرَفَةُ بن العَبْد[(٢)]:

١ ـ فَرَّقَ عَنْ بَيْتَيْكَ سَعْدَ بنَ مَالِكٍ ... وعَمْرًا وعَوْفًا مَا تَشِي وتَقُولُ[(٣)]

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

«ما تَشِي» في موضع الفاعل لِفَرَّق، و«ما» إنْ شئتَ جعلته حرفًا ويكون مع الفعل في تقدير مصدر ولا يحتاج إلى ضمير من الصّلة يعود إليه لكونه حرفًا ويكون التقدير: وشايتك وقولك، ويعني ببيتيك أخواله وأعمامه.

٢ ـ وَأَنتَ عَلَى الأَدْنَى شَمالٌ عَرِيَّةٌ ... شَآمِيَةٌ تَزْوِي وُجُوهَ بَلِيلُ[(٤)]

العَرِيَّة: الباردة، وتزوي الوجوه: تقبضه وتكلحه، وبَلِيل: معها نَدًى.

٣ ـ وَأَنْتَ عَلَى الأَقْصَى صَبًا غَيْرُ قَرَّةٍ ... تَذَاءَبَ مِنْهَا مُرْزِغٌ ومُسِيلُ

صبًا طيبة النسيم لا يكون منها ضرر، وغير قَرَّة: باردة، تذاءبَ منها: أي جاء من كلِّ وجهٍ، وسُمِّيَ الذئب ذئبًا لأنه إذا طرد من وجه جاء من وجه آخر، وقيل: بل شُبِّهَ

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٢) طرفة بن العبد البكري الوائلي؛ شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقّل في بقاع نجد (ت ٦٠ ق.هـ/ ٥٦٤ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ص ٤٩؛ ومعاهد التنصيص ١/ ٣٦٤؛ وخزانة البغدادي ١/ ٤١٤).

(٣) عند المرزوقي: «وفَرَّقَ».

(٤) عند المرزوقي: «تزوي الوجوهَ بَليلُ».

الذي يجيء من جوانب مختلفة بِالذئب، ومُرْزِغٌ ومُسِيلٌ: يعني مَطَرًا يُرْزِغُ الأرضَ ويُسيلُ السَّيلَ، والرَّزَغَة: الوَحَل القليل، ويُرْوَى «مَرْزَغٌ وَمَسِيلٌ» بالفتح: أي كثير الرَّزَغَة والسيل، يقول: أنت تنفع الأباعدَ ولا يصيبُ أقربوك شيئًا من خَيْرِكَ، كما قال المسيَّب بن عَلَس: [المتقارب]

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَصِلُ الأَبْعَدِينَ ... وَيَشْقَى بِهِ الأَقْرَبُ الأَقْرَبُ

٤ ـ وأَعْلَمُ عِلْمًا لَيسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ ... إذَا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلُ

لفظة العِلم قد تُطْلَقُ على الظَّنّ الغالب لقيامه مقام ما هو علم في الحقيقة، وأكَّد قوله «وأعلم عِلمًا» بقوله «ليس بالظَّنّ» وليس بالظّنّ صفة للعلم؛ لأنه لا يكون العلم على التحقيق إلاَّ علم اليقين، وسُمِّيَ علم الظَّنّ عِلمًا على المجاز، والضمير من قوله «إنه» لِلأمر والشَّأن.

٥ ـ وَإنَّ لِسَانَ المَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

يقال للرجل ذي العقل: إنّه لذو حَصَاة وأصاة، وهو ذو حصاة، إذا كان يكتم على نفسه ويحفظ سِرّه، وهو فَعَلَة من قولك: أَحْصَيْتُ الشَّيءَ.

[٦٠٢] وقال بُشَيْر بن أُبيِّ بن جَذِيمَة بن الحَكَم بن مَرْوَان بن زِنْبَاع بن جَذِيمة:

١ ـ أَتَخْطِرُ لِلأَشْرَافِ يا قِرْدَ جِذْيَمٍ ... وَهَلْ يَسْتَعِدُّ القِرْدُ لِلْخَطَرَانِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

«أَتَخْطِرُ» لفظه لفظ استفهام ومعناه التبكيت، ولمّا كان المخاطب من بني قِرْدٍ جعله قردًا في الحقيقة، والخَطْرُ: أصله إشالة الذَّنَب من الفحل عند هياجه فاستعاره لفعل هؤلاء لمّا حدّثوا أنفسهم بمباراة الأشراف، يقول: من أين لكم الخَطَرَان والقرد لا ذَنَبَ له يشولُ به ويخطر.

٢ ـ أَبَى قِصَرُ الأَذْنَابِ أَنْ تَخْطِرُوا بِهَا ... ولُؤْمُ بَنِي قِرْدٍ بِكُلِّ مَكَانِ

قوله «أبى قِصَرُ الأذناب» تفسير لما أنكره بقوله «وهل يستعدُّ القرد للخَطَرَان» والواو في قوله «ولؤم بني قرد بكلّ مكان» واو الحال، وقيل: بنو قرد نَبْزٌ نُبِزُوا به.

٣ ـ لَقَدْ سَمِنَتْ قِعْدَانُكُمْ آلَ جِذْيَمٍ ... وَأَحْسَابُكُمْ في الحَيِّ غَيرُ سِمَانِ

قِعْدَان: جمع قَعُود، وهو ما يقتعده الإنسان: أي يَتَّخِذُه مَرْكَبًا، ويقال: القَعُود الذَّكَر والقَلُوص الأنثى من شَوابِّ الإبل، وإنّما جعل قِعْدَانهم سمينة لأنّهم يؤثرونها بِاللَّبن على الضَّيف والجار فأحسابهم غير سِمَان لأنهم يضيعون الحقوق فلا حَسَبَ لهم يمدحون به، والسِّمَنُ في الحَسَبِ مجاز، وقال أبو محمد الأعرابي في رَدِّه هذه الرواية: هذا

موضع المثل «في اسْتِهِ ما لا ترى» يجب أن يكون مكان قِعْدَانكم قِردانكم، وسألت أبا النّدى عن معنى هذا البيت فقال: كنّى بِالقِرْدَان هنا عن القمل: أي سمنت أجسامكم وعَظُمَتْ وَدَقَّتْ أحسابُكم ولَؤُمَتْ، ويقال في المثل للإنسان إذا سمن: دَبَّ قملُه.

[٦٠٣] وقال فُرْعان بن الأعرف[1] في ابنه مُنَازِل:

١ - جَـزَتْ رَحِـمٌ بَـيْـنِـي وبَـيْـنَ مُـنَـازِلٍ جَـزَاءً كـمـا يَـسْـتَـنْـزِلُ الـدَّيْـنَ طَـالِـبُـهْ

الثاني من الطويل.

ويُرْوَى «جَزَاءَ مُسِيءٍ لا يُفَتِّرُ طالبه» دعا على ابنه منازل وجعل فعل الجزاء لِلرّحم، والجازي هو الله تعالى، لأنه السبب في الجزاء، يقول: جَزَى اللّهُ مَنَازِلاً على الرَّحِم التي بيني وبينه فقد قطعها جزاءً يستوفي له وعليه كما يستنزل صاحب الدّين مِمَّن عليه حقّه.

٢ - لَـرَبَّـيْـتُـهُ حَـتَّـى إذَا آضَ شَـيْـظَـمًـا يَـكادُ يُسَاوِي غَـارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهْ[2]

الشَّيْظَم: الطويل، ولا يُستعمل إلاّ مع الزيادة، ولا يقال شَظم، وقوله «لَرَبَّيته» جواب قَسَم انطوى عليه الكلام، ورَبَّيْته ورَبَّبْته وتَرَبَّتُهُ ورَبَّتُّه تربيبًا، بمعنى واحد، وقوله «حتى إذا آضَ» أي: حتى إذا صار، وأصل الغارب في الإبل، وهو ما قُدَّام السّنام، ثم استعير حتى قيل لأعالي كلِّ شيء: غواربه، واستعار الغارب في البيت للإنس لما تقدّم ذكر لغارب الفحل، وقالوا: عَلَت غوارب الماء والسَّبيل، قال الحطيئة: [الطويل]

وَهِـنْـدٌ أتـى مِـنْ دُونِـهَـا ذُو غَـوَارِبٍ يُـقَـمِّـصُ بِـالـبُـوصِـيِّ مُـعْـرَوْرِفٌ وَرْدُ

٣ - فَلَمَّا رَآنِي أبْصِرُ الشَّخْصَ أَشْخُصًا قَـرِيبًا وَذَا الشَّـخْـصِ الـبَـعِـيـدِ أُقَـارِبُهْ

٤ - تَـغَـمَّـدَ حَـقِّـي ظَـالِـمًـا ولَـوَى يَـدِي لَـوَى يَـدَهُ الـلَّـهُ الَّـذِي هُـو غَـالِـبُـهْ

«قريبًا» حال، والمعنى أُبْصِرُ الشَّخص مُقَاربًا: أي أبصره وأنا قريب منه أَشْخُصًا، وأقاربه: أظنّه قريبًا، وتَغَمَّدَ حَقِّي: أي ستره، وقوله «لوى يدي»: أي فَتَلَهَا وأزالها عن حالها وهيئتها.

٥ - وكَـانَ لَـهُ عِـنْـدِي إذَا جَـاعَ أَوْ بَـكَـى مِـنَ الـزَّادِ أَحْـلَـى زَادِنَـا وَأَطَـايِـبُـهْ

٦ - ورَبَّـيْـتُـهُ حَـتَّـى إذَا مَـا تَـرَكْـتُـهُ أَخَا القَوْمِ وَاسْتَغْنَى عَنِ المَسْحِ شَارِبُهْ

---

(١) فُرعان بن الأعرف أبو المنازل السّعدي، من رهط الأحنف، ذكره المرزباني فقال: مخضرم له مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ولده منازل، (الإصابة تر ٧٠١٥؛ والمرزباني ص ٣١٦).

(٢) عند المرزوقي «تَرَبَّبْتُهُ».

نصب «أخا القوم» على الحال من الهاء في «تركته»، وجاز كونه حالاً وإن كان معرفة في اللّفظ لأنه لا يعني قومًا بأعيانهم، وإنّما يريد تركته قويًا لاحقًا بالرجال.

٧ ـ وجَمَّعْتُهَا دُهْمًا جِلادًا كَأَنَّهَا أَشَاءُ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهْ

٨ ـ فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبًا كَأَنَّنِي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهْ

٩ ـ أإِنْ أُرْعِشَتْ كَفَّا أَبِيكَ وَأَصْبَحَتْ يَدَاكَ يَدَيْ لَيْثٍ فَإِنَّكَ ضَارِبُهْ

قال أبو رياش: كان لِمُنَازِل بن فُرْعان ابنٌ يقال له خَلِيج، وهو من رهط الأحنف بن قَيْس، فَعَقَّ خليج أباه مُنازلاً، فقدّمه إلى إبراهيم بن عربي وَالِي اليمامة مُسْتَعْدِيًا عليه، وقال: [الطويل]

تَظَلَّمَنِي حَقِّي خَلِيجٌ وَعَقَّنِي عَلَى حِينِ كَانَتْ كَالحنِيِّ عِظَامِي

وَجَاءَ بِغُولٍ مِنْ حَرَام كَأَنَّمَا تَسَعَّرَ فِي بَيْتِي حَرِيقُ ضِرَام

لَعَمْرِي لَقَدْ رَبَّيْتُهُ فَرِحًا بِهِ فَلاَ يَفْرَحَنْ بَعْدِي امْرُؤٌ بِغُلاَم

وَكَيْفَ أُرَجِّي النَّفْعَ مِنْهُ وأُمُّهُ حَرَامِيَّةٌ؟ مَا غَرَّنِي بِحَرَام؟!

ورَجَّيْتَ مِنْهُ الخَيْرَ حِينَ اسْتَزَدْتُهُ ومَا بَعْضُ ما يُزْدَادُ غَيْرَ غَرَام

فأراد إبراهيم بن عربي ضَرْبَهُ، فقال: أصلحَ اللّهُ الأميرَ لا تعجلْ عَلَيَّ، أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا مُنَازل بن فُرْعان، الذي عَقَّ أباه وفيه يقول:

جَزَتْ رَحِمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِل

الأبيات.

فقال: يا هذا، عَقَقْتَ فَعُقِقْتَ فما أعلم لكَ مَثَلاً إلاّ قول خالد لأبي ذؤيب: [الطويل]

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَأَوَّلُ رَاضِي سِيرَةٍ مَنْ يَسِيرُهَا

وذَلك أنَّ أبا ذؤيب كان غلامًا، وأنَّ رجلاً كانت له صديقة، فكان يبعث أبا ذؤيب إليها بالرسائل، فلمّا ترعرع أبو ذؤيب كسرها على الصديق، فلمّا ترجَّلَ أبو ذؤيب منع منها وحجبت عنه وحجب عنها، فكان يبعث خالدًا إليها بالرسائل، وخالد يومئذٍ غلام، فلمّا ترعرع خالد كسرها على أبي ذؤيب، فقال أبو ذؤيب يعنّفُ المرأة: [الطويل]

تُرِيدِينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا وهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكَ فِي غِمْدِ

وجعل يُؤَنِّبُ خالدًا ويقبّح له، فقال خالد:

فَلاَ تَجْزَعَنْ مِن سِيرَةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا

البيت.

[٦٠٤] **وقال عارق الطّائي[١] يهجو المناذِرَةَ:**

قال أبو رياش: اسم عارق قيس بن جروة، وإنما سُمِّيَ عارقًا بقوله: [الطويل]

لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ ... لأَنْتَحِيَنْ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهْ

١ ـ واللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ ... لَكَسَا الوُجُوهَ غَضَاضَةً وهَوَانَا

٢ ـ وسَلاَسِلاً يُثْنَيْنَ في أَعْنَاقِكُمْ ... وإذًا لَقَطَّعَ تِلْكُمُ الأَقْرَانَا

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

ويُروى «يَنْبُتْنَ» و«تُنْتَنَ» و«يَبْرُقْنَ» وجدتُ هذه الروايات بخط ابن جني.

٣ ـ ولَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جَارَاتِهِ ... مِسْكًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانَا

قال أبو رياش: ليس هذا الشّعر لعارق، إنّما هو لِثُرْمُلَة بن شَعَّاث الأَجَئِيِّ، قاله على لسان عارق، وسبب هذه الأبيات أن عمرو بن المنذر بن ماء السّماء كان عاهد طَيِّئًا أن لا يغزوا ولا يفاخروا، فَاتّفقَ أن غزا عمرٌو اليمامةَ فرجع مُخْفِقًا، ومَرَّ بِطيىء، فقال زُرارة بن عُدَس: أبيت اللّعنَ!! أَصِبْ من هذا الحيّ شيئًا، فقال: وَيْلَكَ!! إنَّ لَهُمْ عَقْدًا، فقال: وإن كان فإنَّكَ لم تكتب العَقْد لهم كلّهم، فلم يَزَلْ به حتّى أصاب نسوة وَأَذْوَادًا، فقال في ذلك قَيْسُ بن جِرْوة: [الطويل]

أَلاَ حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهْ[٢]

وسيجيء فيما بعد إن شاء الله.

فلمّا بلغ عَمْرَو بن هند هذا الشّعر قال له زُرَارة: إنّه لَيَتَوَعَّدُكَ على انتقامه بزعمه، فقال عمرو لِثرملة: إنه ليهجوني ابن عمّك ويتوعّدني، فقال: والله ما هجاكَ، ولكنّه قال:

وَاللَّهِ لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ جَارَكُمْ ... مَا إِنْ كَسَاكُمْ غَضَّةً وَهَوَانَا

وَسَلاَسِلاً يَبْرُقْنَ في أَعْنَاقِكُمْ ... وإذًا لَقَطَّعَ تِلْكُمُ الأَقْرَانَا

وَلَكَانَ عَادَتُهُ عَلَى جِيرَانِهِ ... ذَهَبًا وَرَيْطًا رَادِعًا وَجِفَانَا

يعني بابن جفنة عمرو بن الحارث، وإنّما أراد ثرملة أن يُقَبِّحَ عليه فعله ويُذْهِبَ سَخِيمته على ابن عَمّه، فقال عمرو: والله لأَقْتُلَنَّهُ، فبلغ ذلك عارقًا فقال: [الطويل]

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ رِسَالَةً ... إذَا اسْتَحْقَبَتْها العِيسُ تُنْضَى مِنَ البُعْدِ

---

(١) عارق الطائي: قيس بن جروة بن سيف الأَجَئي الطائي: شاعر جاهلي، كان من سكّان أجأ وإليها نسبته (ت نحو ٥٠ ق.هـ/ نحو ٥٧٥ م). ترجمته في: (المرزباني ص ٣٢٦؛ وخزانة البغدادي ٣/ ٢٣٠).

(٢) هذا صدر بيت وعجزه: «ومَنْ أنتَ مُشتاقٌ إليه وشائقُهْ».

وسيجيءُ من بعد أيضًا.

وهذه الأبيات على هذه الرّواية الأخيرة ليست بهجو لابن جفنة، بل هو مدح له، وعيّر بذكره عمرو بن هند، يقول: لو تَوَلّى من طيِّىء ما تولاّه عمرو كان معاملته إيّاهم بخلاف ما عاملهم به عمرو بن هند، وقوله «غَضَّة» فَعْلة من غَضّ، والغضاضة وَالغَضُّ: الفتور في الطَّرْفِ، ونصب «سلاسلاً» على المعنى كقوله: [الكامل]

يَـا لَـيْـتَ بَـعْـلَـكِ قَـدْ غَـدَا　　مُـتَـقَـلِّـدًا سَـيْـفًـا وَرُمْـحَـا[1]

لأنَّ السّلاسلَ ليست من كسوة الوجوه، فكأنّه قال: ما إن كساكم غضاضةً ولاَ قَلَّدكم سلاسلَ، ويُثْنَيْن: يعطفنَ وَيُلْوَينَ، والأقران: الحبال الواحد قَرَنٌ، ومعنى قوله «لقطع تلكم الأقرانا» أي: لو كنتم مأسورين لَكَانَ يفكّكم ويقطع تلك الحبال التي صارت إسَارًا لكم، وإذا رُوِيَ «وإذًا لَقَطَّعَ منكم الأقرانا» كان معنى البيت لَشَدَّكُمْ في السَّلاسل ولَبَدَّدَ جَمْعَكُمْ، وقوله «ولكانَ عادته على جاراته» أنه يفعل خلاف ما فعله عمرو بن هند لأنه يَصِلهم ويبرّهم؛ والرواية الأخرى يرميه ويقذفه بالجارات، والرَّادع: المتغيّر اللَّون بالطِّيب والخَلُوق: أي كان يخلو بنساءٍ لكم ويعطيهنَّ مِسْكًا ورَيْطًا رادعًا: أي مصبوغًا، يقال: به رَدْعٌ من طِيبٍ: أي أَثَرٌ، «وجِفانًا» أي: ما يُقْرَى فيها.

[٦٠٥] وقال مُساوِر بن هِنْد[2] بن قَيس بن زهير، يهجو بني أسد:

١ ـ زَعَـمْـتُـمْ أَنَّ إِخْـوَتَـكُـمْ قُـرَيْـشٌ　　لَـهُـمْ إِلْـفٌ وَلَـيْـسَ لَـكُـمْ إِلاَفُ

من الوافر الأوّل، والقافية متواتر.

يقول: زعمتم أنّكم مثل قريش، وكيف تكونون مثلهم ولهم تجارة اليمن والشّأم وليس لكم ذلكم؟

٢ ـ أُولـٰئِـكَ أُومِـنُـوا جُـوعًـا وخَـوْفًـا　　وقَـدْ جَـاعَـتْ بَـنُـو أَسَـدٍ وخَـافُـوا

أي: هؤلاء قد أمنوا الخوف والجوع، وأنتم جِياع خائفون، يشير إلى قوله تعالى: ﴿لِإِيلَـٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَـٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾[3] ـ إلى آخرها، يقال: أَلِفَ يَأْلَفُ إلْفًا وإلافًا، وآلف يؤلف إيلافًا؛ يقول: إنكم لستم من قريش ولا قريش منكم فَدَعْوَاكم أُخوّتكم باطل، وأصل الإلاَف كتاب أمان يكتبه الملك للقوم ليأمنوا في أرضه، وهو هٰهنا بمعنى الائتلاف.

---

(١) البيت لعبد الله بن الزّبعرى في الكامل ص ١٨٩ (ليبسك).
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٩).　(٣) سورة قريش، الآية: ١ و٢.

[٦٠٦] **وقال قَعْنَب بن ضَمْرَة[١]، وأُمُّ صاحب أُمّه:**

أحد بني عبد الله بن غَطفَان، وكان في أيام الوليد بن عبد الملك، وَالقَعْنَب: الصّلب الشّديد من كلِّ شيء؛ فهو منقول.

١ - إنْ يَسْمَعُوا رِيبَةً طارُوا بهَا فَرَحًا ... مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

أوّل البسيط.

كان الواجب أن يقول: يطيروا بها فرحًا، ولا يجعل الجواب فعلاً ماضيًا وإن كان جائزًا في الشعر، وانتصب فَرَحًا على أنه مفعول له، يقول: إذا رأوا حَسَنة كتموها، وإذا رأوا سيّئةً أظهروها، ومعنى «طاروا بها» كَثَّرُوها في النّاس وأذاعوها.

٢ - صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ ... وَإنْ ذُكِرْتُ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

ارتفع «صُمٌّ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم صُمٌّ: أي يتصاممون عَمّا أُنْسَبُ إليه من الخِصال الصَّالحة، ويقال للمُعْرِض عن الشّيء: هو أصَمُّ عنه، وعليه قوله: [الرجز]

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ

و«أَذِنوا» استمعوا، يقال: أذِنَ لكذا وكذا يَأْذَنُ أَذَنًا، قال: [الرمل]

بِسَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ ... وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَاذِيٍّ مُشَاه[٢]

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأُذُنِ الحاسّة، وانتصب «جهلاً وجبنًا» على معنى أتجمعون عليَّ، وهما مصدران لعلّة في قوله:

٣ - جَهْلاً عَلَيْنَا وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّهِمُ ... لَبِئْسَتِ الخَلَّتَانِ الجَهْلُ وَالجُبُنُ

[٦٠٧] **وقال مَنْصُور بن مِسْجَاحٍ الضَّبِّيُّ[٣]:**

١ - ثَأَرْتُ رِكَابَ العَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ ... صَفَايَا؛ وَلاَ بُقْيَا لِمَنْ هُوَ ثَائِرُ[٤]

الثاني من الطويل.

عنى بِالعَيْر هنا الرئيس، قال أبو العلاء: ركاب العَيْر يعني إبلاً كانوا أخذوها وفيها

(١) قَعنب بن ضَمْرة: من شعراء العصر الأموي. له هجاء في الوليد بن عبد الملك (ت نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م)، ترجمته في: (سمط اللآلي ص ٣٦٢؛ ونوادر المخطوطات ١/ ٩٢).

(٢) البيت لعديّ بن زيد العبادي كما في اللسان (أذن).

(٣) منصور بن مسجاح بن سباع بن خالد الضبيّ: شاعر جاهلي. ترجمته في: (المرزباني ص ٣٧٣).

(٤) عند المرزوقي: «ولا بُنْيَا».

عَيْرٌ: أي حمار، وقد يجوز أن يكون العير اسم إنسان أو لقبًا، وقد سمّوا السيّد عيرًا، قال: [الوافر]

كُلَيْبُ العَيْرُ كانَ أقَلَّ دينًا غَداةَ يَسُومُنا بالفِتْكَرِينا[1]

يقول: أخذوا ركابًا فيها عَيْرٌ فأخذت هَجْمَة، ويجوز أن يكون هم الذين أخذوا الهَجْمة فأخذ هو الركاب، والمعروف أن يقال: ثأرت فلانًا، إذا قتلت قاتله، و«بفلان» لغة فصيحة، قال عبيد بن الأبرص: [البسيط]

فَإنْ قُتِلْتُ فَلاَ تَرْكَبْ لِتَثْأرَ بِي وإنْ مَرِضْتُ فَلاَ تَحْسبْكَ عُوَّادِي

والهَجْمة: المائة من الإبل وما داناها، والصِّرْمَةُ دون ذلك، وصفايا: جمع صَفِيّ، وهي الغزيرة اللَّبن، «ولا بقيا لمَن هو ثائر» أي: طالب الثأر لا يبقى على ثأره إذا وجده، والأصل في الثائر القاتل فوضعه موضع الواتر المنتقم.

٢ ـ مِنَ الصُّهْبِ أثْنَاءً وَجُذْعًا كَأنَّها عَذَارَى عَلَيْها شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ

شَبَّهَ الإبلَ بالعَذَارَى لِحُسْنِها في عيونهم لأنّها من أنفس الأموال، وشارَة: أي هيئة وحُسْن يُشَار إليه، ومَعَاصر: جمع مُعْصِر من النساء، وهي التي قد بلغت عَصْرَ شبابها، وقيل: بل هي التي قد آنَ لها أن تُزَوَّجَ فيعتصرها زوجها، كما قال جميل: [المتقارب]

وَأنْتِ كَلُؤْلُؤَةِ المَرْزُبَانِ بِمَاءِ شَبَابِك لَمْ تُعْصَرِ

وفتح الصّاد هنا أشبه من الكسر لأنها إذا كان لها ماء شباب فهي مُعْصر ومعصرة، قال ابن أبي ربيعة:

.... كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ[2]

وقال الراجز[3]:

جَارِيَةٌ بِسَفَوَانَ دَارُهَا قَدْ أعْصَرَتْ أوْ قَدْ دَنَا إعْصَارُهَا
تَمْشِي الهُوَيْنَى مَائِلاً خِمَارُهَا قُلْتُ لِبَوَّابٍ لَدَيْهِ دَارُهَا
تِيذَنْ فإنِّي حَمُهَا وَجَارُهَا

أراد «لِتِيذَنْ» فحذف لام الأمر.

---

(١) يقال: لقيتُ من فلان الفِتْكَرين: لقيتُ منه الشدائد أو الدواهي. ويقال: هي الأمر العجيب العظيم.

(٢) هذه قطعة من بيت لعمر بن أبي ربيعة من قصيدته الرائية الطويلة والبيت بتمامه:

فكانَ مِجَنِّي دونَ مَنْ كنتُ أتّقي ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبانِ ومُعْصِرُ

(٣) الرّجز لمنظور بن مرثد الأسدي في اللّسان (عصر).

يقول: لمّا أغاروا على إبل رئيسنا أدركتُ ثأرها فأَغَرْتُ على هَجْمَة لهم وبيّن أوصافها.

٣ - فَإِنْ نَلْقَ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّنا ... نُكَاثِرُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنفَاخِرُ

الهَنَات: أمور تؤذي، يقول: نحن وإنْ كنّا نَتَأَذّى بهذه القبيلة فإنّا نفتخر بهم لأنّهم بنو أبينا.

٤ - لَقَدْ كانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَيْتُمْ لِجَارِكُمْ ... لِحَى ورقَابٌ عَرْدَةٌ ومَنَاخِرُ

عَرْدَة: غِلاَظ شِدَاد، ورمح عَرْد: أي صلب، يقول: كنتم رجالاً أصحاب اللِّحَى ولم تكونوا صبيانًا، وكانت فيكم مناخر: أي مواضع الحمية، لو حميتم ووفيتم لجاركم، فهلاّ فعلتم ذلك، يقول: إنْ كانت بيننا وبين سعد دفائن شحناء فإذا جاءت الأمور العِظام وحقَّتِ الحقائق كنّا يدًا واحدةً، ثم عاتبهم في خذلان الجار.

٥ - فَبَهْرًا لِمَنْ غَرَّتْ كَفَالَةُ مِنْقَرٍ ... وإنْ كانَ عَقْدٌ بَيْنَهُمْ مُتَظَاهِرُ

يقال: بَهَرَه الشيء، إذا غلبه، وكثرتْ هذه الكلمة حَتّى صارت كالشتم، قال ابن ميادة: [الطويل]

تَفَاقَدَ قَوْمِي إذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتي ... بِجَارِيَةٍ، بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرَا

فأمّا قول ابن أبي ربيعة: [الخفيف]

ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا ... عَدَدَ القَطْرِ وَالحَصَا وَالتُّرَابِ

فقد قيل: إن المعنى أُحِبُّهَا حُبًّا بَهْرًا: أي غالبًا يبهر، وقيل: معناه حقًّا، وقيل: بل يريد جَهْرًا، مأخوذ من القمر الباهر، وكلّ هذه الأوجه راجع إلى معنى الغَلَب، وكذلك إذا قيل: إنّ معنى قوله بهرًا أي كثيرًا، هو عائد إلى هذا الأصل، والمتظاهر: الذي قد ظاهَرَ بعضه بعضًا.

[٦٠٨] وقالت امرأة من عائذة بن مالك لِجَوّاسِ بن نُعَيم: [الطويل]

أحد بني حُرْثان بن ثَعْلَبَة بن الذّؤيب بن السيِّد الضبيّ، وفيهم آخر يقال له جَوّاس بن نُعَيْم بن الحارث أحد بني الهُجَيْم بن عمرو بن تميم، ويُعرَف بابن أُم نهار، وأُمّ نهار: أُمّ أبيه، وهو القائل: [الرجز]

وَلِلْكَبِيرِ رَثَيَاتٌ أَرْبَعُ ... الرُّكْبَتَانِ وَالنَّسَا وَالأَخْدَعُ
وَلا يَزَالُ رَأْسُهُ يُصَدَّعُ ... وَكُلُّ شَيْءٍ بَعْدَ ذَاكَ يَيْجَعُ

ومنهم أيضًا جَوّاس بن القَعْطَل الكلبيّ، وجَوّاس بن قُطْبَة العُذْري.

١ ـ مَتَى تَلْقَ جَوَّاسًا وَإِنْ كَانَ مُحْرِمًا ... يَقُلْ لَكَ هَلْ تَخْشى عَلَيَّ حكِيمَا[١]

٢ ـ وَمَا لِيَ لاَ أَخْشَى عَلَيكَ مُحَرَّبًا ... أَخَا ثِقَةٍ يَنْعَى قَتِيلاً كَرِيمَا[٢]

٣ ـ مَتَى تَلْقَهُ يَغْدُو بِهِ الوَرْدُ جَائِلاً ... بِشِكَّتِهِ تَلْقَ الأَلَدَّ الغَشُومَا[٣]

[٦٠٩] فقال جَوَّاس[٤]:

١ ـ وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا ورَهْطَهُ ... وَلَكِنَّمَا يَخْشَى أَبَاكِ حَكِيم

الثالث من الطويل.

قيل: إن الصحيح من الروايات «ولكنّما يهواكِ أَنْت حكيم» وعلى هذا يجعل حكيمًا عاهرًا، ورماها به، وإذا قلت «ولكنّما يخشى أباك حكيم» فمعناه لأنه منك بسبيل.

٢ ـ وَجَدْتِ أَبَاكِ تَابِعًا فَتَبِعْتِهِ ... وأَنْتِ لِعُهَّارِ الرِّجَالِ لَزُومُ

«تابعًا» أي: يتبعُ النَّاس لِذُلِّه وهَوَانِه، وهو لا يُتْبَعُ لأنّه لا يستحقُّ الرّياسة؛ فتبعته في كونِكِ تابعة إلاّ أنكِ تتبعين عُهَّارَ الرّجال: أي زناتهم، وقيل: إنّه رمى أباها بالدّاء، يقول: وجدتِ أباكِ في الأُبْنَةِ[٥] تابعًا لِسَلَفِهِ فيها فاقتديتِ به، ولَزُوم: دائمة اللّزوم.

٣ ـ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ عَائِذِيٍّ دَمَامَةٌ ... يُوَافِي بِهَا الأَحْيَاءَ حِينَ يَقُومُ[٦]

الدَّمامة: القبح، وقد دَمَّ يَدُمُّ فهو دَمِيم، وهذا نادر، لأن فَعُلَ يَفْعُل في المضعَّف قليل، وقوله «يوافي بها الأحياء حين يقوم» أي: يقوم في مجالس الملوك ومواسم العرب، وإنّما خَصَّ هذه المواضع لأنَّ النَّاسَ يتزيّنون لها فإذا جاءها بوجه قبيح فكيف حاله في موضع الابتذال.

٤ ـ وَأَوْرَثَهَا شَرَّ التُّرَاثِ أَبُوهُمُ ... قَمَاءَةَ جِسْمٍ والرُّوَاءُ دَمِيمُ

القَمَاءة: الصّغر والقِصَر، والرُّوَاء يجوز أن يكون فُعَالاً من الرؤية، ويجوز أن يكون من الرِّيِّ، ويُروى «والرِّدَاء ذَميمُ» أراد أنه بخيل، كما قالوا للجواد «غَمْرُ الرّداء» قالوا للبخيل ما يضادّه.

٥ ـ كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَعًا وتَمِيمُ

---

(١) مُحرِمًا: داخلاً في الأشهر الحرم. وحكيم: رجل شجاع.
(٢) المُحَرَّب: المغضَب من حربه إذا أغضبه. وينعى قتيلاً: أي يُخبر بموته.
(٣) الورد: اسم الفرس. والشِّكَّة: السلاح. والألدّ: الشديد الخصومة. والغشوم: الظالم.
(٤) يَرُدُّ على المرأة صاحبة الحماسية السابقة. (٥) الأُبْنَة: العيب في الحَسَب وفي الكلام.
(٦) عند المرزوقي «حين تقوم» أي إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم.

قال أبو محمد الأعرابيّ: ذكر أبو عبد الله أنَّ هؤلاء قُرْع الرؤوس إذا اجتمعت هاتان القبيلتان فيجب أن لا يكونوا كذلك إذا لم يجتمعا، والصواب غير ما ذكره، ومعنى البيت أنّهم لا مآثرَ لهم ولا أيام يَعدّونها في المواسم إذا اجتمعت قيس وتميم؛ لذلك فهم خزايا سكوت كأنَّ على رؤوسهم الطير، وإنما زاد الشاعر الخروء استخفافًا وهزءًا بهم واستحقارًا لأمرهم، والبيت الذي بعده يَدلّكَ على صحّته وهو:

٦ ـ مَتَى تَسْأَلِ الضَّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ ... يَقُلْ لَكَ إنَّ العَائِذِيَّ لَئِيمُ

ومثل البيت الأول قول الآخر: [الوافر]

إذَا حَلَّتْ بَنُو أسَدٍ عُكَاظًا ... رَأَيْتَ عَلَى رُؤوسِهِمُ الغُرَابَا(١)

يعني أنَّهم لا مآثرَ لهم يذكرونها فهم سكوتٌ، وكان الوجه أن يقول: إذا اجتمعت قيسٌ وتمم معًا، فقدّم «معًا» لأنَّ العاطفَ ينبّه على موضع المعطوف، ويُروَى «عن سِرِّ قومه» وهو حسن، والمعنى أنهم لِئامٌ باعترافِ من قومهم بذلك.

[٦١٠] وقال مُحْرِز بن المُكَعْبر(٢) الضّبيّ لبني عَدِيّ بن جندب بن العنبر:

١ ـ أَبْلِغْ عَدِيًّا حَيْثُ صَارَتْ بها النَّوَى ... ولَيْسَ لِدَهْرِ الطَّالِبِينَ فَنَاءُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

كان مُحْرِز بن المكعبر جارًا لبني عَديّ بن جُنْدب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فأغار بنو عمرو بن كلاب على إبله فذهبوا بها فطلب إليهم أن يَسْعَوْا له، فوعدوه أن يفعلوا، فلمّا طال ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئًا أتى المخارق والمساحق ابني شهاب المازنيين، وهما من بني خزاعة، فسعيا له بإبله، فَرَدَّاها عليه، فقال «وَلَيْسَ لِدَهرِ الطَّالبين فناءُ» يعني: مَنْ طلبَ ثأرًا لا تفنى طَلِبَتُه ما دام طالبًا إلى أن يدركَ ثأْره وينالَ حَقَّهُ.

٢ ـ كُسَالَى إذَا لاَقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنْطِقٍ ... يُلَهَّى بِهِ المَتْبُولُ وَهْوَ عَنَاءُ

أي: هم كُسَالى، يعني رهط بني عديّ، وقوله «يُلَهَّى به» أي يُعَلَّل به، والمتبول: الَّذي قد أُصِيبَ بِتَبْلٍ، وقوله «وهو عناء» يعني المنطق إذا لم يَلِهِ فعلٌ.

٣ ـ أُخَبِّرُ مَنْ لاَقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ ... ولَوْ شِئْتُ قالَ المُنَبَّؤُون أَسَاؤُوا

---

(١) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (قرد)؛ وفي تاج العروس (قرد)، والشطر الأول هكذا: «إذا نَزَلَتْ بنو ليثٍ عكاظًا».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٦).

يقول: أنشرُ الجميلَ عنكم لئلاً يذمُّكم النَّاس، ولو شِئْتُ صَدَقْتُ عن فعلكم، فإنَّكم ضمنتم فما وفيتم، فيقول الذين أخبرهم أساؤوا. ثم لم يقنعه هذا الإدماج فارتقى قليلاً فقال:

٤ ـ لَهُمْ رَيْثَةٌ تَعْلُو صَرِيمَةَ أَمْرِهِمْ   ولِلأَمْرِ يَوْمًا رَاحَةٌ فَقَضَاءُ[(١)]

رَيْثة: إبطاء، ورثية: ضعف، «تعلو صريمة أمرهم» أي: تغلب، فليست لهم صريمة أمر لأن الرَّيْثَة قد غلبتها، «وللأمر يومًا راحة وقضاء» أي: لا بدَّ للأمر من أنْ يُقْضَى يومًا ويُرَاح منه، وفيه إشارة إلى أنَّكم لم تقضوا أمري فقضاه غيركم وأراحني منه.

٥ ـ وَإنِّي لَرَاجِيكُمْ عَلى بُطْءِ سَعْيِكُمْ   كَمَا في بُطُونِ الحَامِلاَتِ رَجَاءُ

لم يقنعه ما تقدَّمَ حتى زادَ في عِتابهم بأن جعلَ رجاءه منهم على غير ثِقَةٍ لأنَّ الراجي ما في بطون الحاملات شَاكٌّ به وقت الرّجاء ولا يكون على ثقة من الحمل أذَكَرٌ هو أم أُنثى، يقول: فكذلك من رجاكم، و«رجاء» يرتفع بالظرف كما تقول: فيكَ خَيْرٌ.

٦ ـ فَهَلاَّ سَعَيْتُمْ سَعْيَ عُصْبَةِ مَازِنٍ   وهَلْ كُفَلائِي في الوَفَاءِ سَوَاءُ

«سَوَاء» وإن كان في الأصل مصدرًا فقد صار هنا كاسم الفاعلين لنيابته عنها، لذلك صَحَّ أن يعمل في الظّرف قبله، وهو قوله «في الوفاء» لأنَّ المصادر لا تعمل فيما قبلها إلاَّ إذا أمر بها، كقولك: ضَرْبًا زيدًا، وما أجري هذا المجرى، يقول: هَلاَّ كنتم مثل مخارق بن شهاب لمّا ضَمِنَ أمري وَفَّى به، «وهل كفلائي في الوفاء سَوَاءُ» أي: ليس كفلائي متساوين في الوفاء؛ لأنك كفلتَ فلم تَفِ وكَفَلَ مخارق فوفى، ثم مدح عصبة بني مازن فقال:

٧ ـ لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَواشِرُ لَحْمِهَا   وبَعْضُ الرِّجَالِ في الحُرُوبِ غُثَاءُ

النَّواشِر: عَصَب ظاهر الذِّراع، يريد أنهم خِفَافٌ من رجال الحرب وليسوا أربابَ تَرَفُّهٍ ونعمة، والغُثَاء: القُمَاش الذي يحمله السَّيل، وقوله «لهم أذرع» صفة للعصبة المازنيّة، وقوله «وبعض الرجال في الحروب غثاء» تعريض بالآخرين، وهم بنو عديّ.

٨ ـ كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلى قَسِمَاتِهِمْ   وَإنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الوُجُوهَ لِقَاءُ

«وإن كان قد شَفَّ الوجوهَ لقاءُ» تعريض أيضًا، والمعنى أنَّ وجوههم تُشْرِقُ في الحرب إذا صارت وجوههم متغيِّرة، والقَسَمات: الوجوه، الواحدة قَسَمَة، لأنه موضع

---

(١) عند المرزوقي: «لهم رَثْيَةٌ».

الحُسْن، والقَسِيمُ: الحَسَنُ، ولا يستعمل قسمات والمُحَيَّا إلاَّ في المدح، فأراد بالدنانير الحُسْن والغرّة لا اللّون والصّفرة، وإن كان قد شَفَّ الوجوه لقاء: أي ذهبت الحروب بنضارتها لِكَثرةِ ممارستهم إيّاها، وقد شَفَّهَ الحزن إذا أذَابَهُ.

[٦١١] وقال شَمْعَلَة بن الأَخْضَر(١):

وقيل: مُنْذر بن الرُّقاد بن ضِرَار بن عمرو الضبِّيّ.

١ - وضَعْنَا على المِيزَانِ كُوزًا وهَاجِرًا ... فَمَالَتْ بَنُو كُوزٍ بِأَبْنَاءِ هَاجِرِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

كوز وهاجر: قبيلتان من ضَبَّة.

٢ - وَلَوْ مَلأتْ أَغْفَاجَهَا مِنْ رَثِيئَةٍ ... بَنُو هَاجِرٍ مَالَتْ بِهَضْبِ الأكَادِرِ

الأعفاج: الأمعاء، واحدها عَفْج وعِفْج وعَفِج، والرَّثيئة: لبن حامض يُحلَب عليه فيثقل مَن أكثر منه، والهَضْب: جمع هضبة، وهو جبل مفترش على وجه الأرض، والأكادر: جبال معروفة.

٣ - ولَكِنَّما اغْتَرُّوا وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ ... قَطِيبَانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبٍ وَحَازِرِ

أي: فوجئوا على غرّة، قطيبان: خليطان، والقطيب: لبن الإبل والغنم إذا جمع بينهما، والحليب: ما حُلِبَ في الوقت، والحازر: الحامض. وقد حَزَرَ اللّبن إذا حمض، يصف كوزًا برَجاحة العقول، وأبناء هاجر بخفّتها وكثرة الأكل ويهزأ بهم، ثم قال: لو ملأتْ أمعاءَها من رثيئة ثم وُزِنَتْ بجبال الأكادر لكانت أثقل منها لكثرة ما يأكلون، ولكنهم أخذوا غفلة وكان عندهم خليطان من لبن أعدّوهما لِلشّرب فوزنوا قبل شربهم، وقد رماهم بأنَّ طَعَامهم المجموع من الحازر والحليب.

[٦١٢] وقال قِرْوَاش بن حَوْطٍ الضَّبِّيُّ:

قِرْوَاش: عَلَم مرتجل، وهو فِعْوَال من «ق ر ش» وحَوْط: مصدر حُطْتُهُ أَحُوطُه حَوْطًا وحِيَاطةً.

١ - نُبِّئْتُ أنَّ عِقَالاً ابْنَ خُوَيْلِدٍ ... بِنِعَافِ ذِي عُذُمٍ وأنَّ الأَعْلَمَا(٢)

٢ - يَنْمِي وَعِيدُهُمَا إلَيَّ وَبَيْنَنَا ... شُمٌّ فَوَارِعُ مِنْ هِضَابِ يَرَمْرَمَا

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨٤).

(٢) عند المرزوقي: «ذي غُذُم» وهي الأصح وقد ذكر ياقوت الأبيات (١، ٢، ٥) في هذا الموضع (غُذُم) (معجم البلدان ٤/ ١٨٩).

ذو عُذم: موضع، وعِقَال والأعلم: رجلان، والأجود في العلم وقد وصف بالابن أو الابنة مضافين إلى عَلَم أو ما يجري مجراه تَرْكُ التنوين فيه، وقد نوّنَ هذا الشّاعر عِقَالاً، وإذ قد فعل ذلك فالأجود في «ابن خويلد» أن يجعل بدلاً، ويجوز أن يجعل صفة على اللّغة الثانية، والنِّعَاف: جمع نَعْف، وهو المكان المرتفع في اعتراض، وأعاد «أن» في الأعلم توكيدًا، والخبر «ينمي وعيدهما»، والعامل أنَّ الأولى لأنَّ الثانية لا يعتدّ بها عاملاً وإن كان مؤكدًا، ومثله قول الحطيئة: [البسيط]

إنَّ العَزَاءَ وإنَّ الصَّبْرَ قَدْ غلبا[1]

فالألف على هذا ضمير المثنى، والشّمّ: الجبال المرتفعة، والفوارع: العوالي، ويَلملم: اسم عَلَم لجبل، ويَرَمْرَم يُرْوَى أيضًا.

٣ ـ غُضًّا الوَعِيدَ فَمَا أَكُونُ لِمُوعِدِي قَنَصًا ولاَ أُكُلاً لَهُ مُتَخَضَّمَا

«غُضَّا» أي: كُفَّا، وأصلُ الغَضِّ الكَسْرُ، والقَنَص: الصَّيد، فإن قلت قَنِيص فإنه يكون صائدًا وصيدًا جميعًا، والأُكُلُ: ما يُؤْكَلُ، فإذا قلت أكلة فهو اسم للقمة، و«متخضّما» مأكولاً بسهولة، والخَضْمُ: أَكلُ شيء يلين على الضّرس، يقول: لا أَلِينُ لمَن أرادَ أكلي.

٤ ـ ضَبُعَا مُجَاهَرَةٍ ولَيثَا هُدْنَةٍ وثُعَيلِبَا خَمَرٍ إذَا مَا أَظْلَمَا

الضَّبعُ: توصف بضعف القلب، والخَمَرُ: ما واراكَ من الشّجر، وصَغَّرَ الثعلبَ لأنه كلّما كان أصغر كان على الرَّوَغان أقدر، «إذا أظلما» أي: دخلا في الظلمة خُبْثًا؛ لأنَّ الثعلبَ حاله كذا.

٥ ـ لاَ تَسْأَمَا لِي مِنْ دَسِيسِ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ بِمُسْئِمِي أَنْ تَسْأَمَا

الدَّسُّ: إدخالك شيئًا تحت شيء، وهو الإخفاء، والداسوس والجاسوس يتقاربان، ويُروَى «من رسيس عداوة» ويكون مثل رَسِيس الحمّى والهوى ورَسّهما لما يبدأ منهما، وموضع «أنْ تَسأما» من الإعراب رفع على أن يكون اسم ليس، كأنه قال: ليس بمسئمي سآمتكما، فهو كقولك: ليس بمنطلقٍ عَمْرٌو.

[٦١٣] وقال سُوَيْد بن مَشْنوء:

هو اسم المفعول من شَنِئْته أَشْنَؤُهُ شَنْأً وَشِنْأً وَشُنْأً وَشَنَآنًا وَشَنْآنًا وَمَشْنُأَة وَمَشْنَأَةً: أي أبغضته، وهو مشنوء، ومَنْ قرأ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[2] احتمل أمرين:

(١) هذا عجز بيت في ديوان الحطيئة ص ٥، وصدره: «قالت أمامةُ لا تجزع فقلت لها».
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

أحدهما أن يكون معناه بغيض قوم، والآخر أن يكون معناه بُغْض قوم، وأنشد أبو زيد: [البسيط]

ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِهَا شَيْحَانُ مُبْتَجِحٌ ... بِالبَيْنِ عَنْك بِمَا يَرْآكَ شَنْآنَا[1]

فهذا صفة كَسَكْران وغَضْبَان؛ وقول الأحوص: [الطويل]

وَمَا العَيْشُ إلاَّ مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي ... وَإِنْ لاَمَ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا

أراد به شَنْآن فخفَّفَ الهمزة، وهذا يقطع بكون شَنْآن مصدرًا على عزة فَعْلان في المصادر، ومثله اللَّيَّان مصدر لَوَيْتُ الغريم: أي مَطَلْته، ومن أبيات الكتاب: [الرجز]

قَدْ كُنْتُ دَايَنْتُ بِهَا حَسَّانَا ... مَخَافَةَ الإفْلاَسِ وَاللَّيَّانَا

١ - دَعِي عَنْكِ مَسْعُودًا فَلاَ تَذْكُرِنَّهُ ... إِلَيَّ بِسُوءٍ وَٱعْرِضِي لِسَبِيلِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «ذَرِي عنك مسعودًا» ومعناه دَعِي، والأمر منه يُبنى على المستقبل وهو يَذَر، وقد استعمل؛ فأمَّا وَذَرَ فمرفوض استعماله استغناء عنه بتَرَك، وقوله «لا تذكرنَّه» الأصل تذكرينَنَّ فحذف النون الأولى للجزم ثمّ حذف الياء لالتقاء السّاكنين فصار تَذْكُرِنَّ، والمعنى: لا ينتهين إلى ذكره بسوء ولا يتجاوزنَّ، فعَدَّى تذكرنّ تعدية يتجاوزَنَّ إلى؛ حملاً على المعنى، ومما جاء على هذا قوله: [البسيط]

إذَا تَغَنَّى الحَمَامُ الوُرْقُ هَيَّجَنِي ... وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عمَّارِ[2]

عَدَّى هَيَّجني تعدية ذكَّرني لأنه في معناه، وهذا كما يحملون في التعدية النقيض على النقيض، كقوله: [الوافر]

إذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللَّهِ أعْجَبَنِي رِضاهَا[3]

عَدَّى «رضيت» تعدية غضبت؛ لأنه نقيضه، كما عَدَّى هَيَّجني تعدية ذكرني؛ لأنه نظيره، وكما حكي «قَدْ قَتَلَ الله زيادًا عَنّي»[4] عَدَّى قَتَل تعدية صَرَف «واعرضي لسبيل» أي اعرضي إلى طريق غيره واذكريه بسوء، ويقال لا تَعَرَّضْ عِرْضَهُ: أي لاَ تذكره بِسوءٍ.

---

(١) البيت بلا نسبة في شرح المفصّل ٩/ ١١٠؛ ولسان العرب (بجح، شيح، ورأى)؛ والمحتسب ١/ ١٢٩؛ ونوادر أبي زيد ص ١٨٤.

(٢) البيت للنابغة الذبياني في جمهرة أشعار العرب ص ٥٣؛ وكتاب سيبويه ١/ ١٤٤.

(٣) البيت للقحيف العقيلي في الكامل ص ٣٤٢.

(٤) هذا بيت من الرجز المشطور للفرزدق في ديوانه ص ١٨١، يقوله وقد بلغه موت زياد وكان قد نفاه ونذر قتله.

٢ - نَهَيْتُكِ عَنْهُ في الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى وَلاَ يَنْتَهِي الغَاوِي لأَوَّلِ قِيلِ

يقول: كنتُ أُحَذِّرُكِ عنه فيما تقضَّى من الزمان، لكن الجاهل لا يرتدع للزجرة الأولى حتى يُرْدَعَ مرّة بعد أخرى، «ولا ينتهي الغاوي لأَوَّلِ قِيلِ» مَثَل، وقيل: الغاوي الهالك، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(١) أي: هلاكًا.

[٦١٤] وقال مَعْدَان بن عُبَيد بن عَدِيّ بن عبد الله بن خَيبَرِيّ بن أَفْلَت الطائي ثم المَعْنِيّ:

مَعْدَان: اسم مرتجل، وهو فعلان من المَعْد، وهو الإبعاد، ومَعْن في باهلة، ومَعْن في طَيِّىء.

١ - عَجِبْتُ لِعِبْدَانٍ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنِ اصْطَبَحُوا مِنْ شَائِهِمْ وتَقَيَّلُوا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: عَبْدٌ وأَعْبُد وعِبَاد وعَبِيد وعِبِدَّى وعِبْدَان ومَعْبُوداء ومَعْبَدة وَعُبُد؛ بعضُ هذه الأسماء مِمَّا صِيغَ للجمع، وبعضها جمع في الحقيقة، وانتصب «سفاهة» لأنه مفعول له، وهم يَكْنُون عن اللّئام بالعبيد والعِبْدان والقَزَم والقُزْمان و«أن اصطبحوا» يريد لأن اصطبحوا: أي شربوا الصَّبُوح، وهو ما يُشْرَبُ صَباحًا، وَتَقَيَّلوا: من القَيْل، وهو شرب نصف النّهار، وكما قال «تَقَيَّلوا» يقال «تَصَبَّحوا» أيضًا، والمعنى: عَدَوْا طورهم فهجوني لأنّهم رأوا بأنفسهم ما لم يعهدوه فطَغَوا عند الغِنى.

٢ - بِجَادٌ ورَيْسَانٌ وفِهْرٌ وَغَالِبٌ وعَوْنٌ وهِدْمٌ وابْنُ صَفْوَةَ أَخْيَلُ

«بِجاد» يرتفع إن شئت على الاستئناف، يريد هم بجاد وريسان، وإن شئت كان بدلاً من المضمرين في قوله «اصطبحوا» ويجوز أن يكون «أنْ» من قوله «أن اصطبحوا» أن المفسّرة، كأنه فسَّرَ لم طغوا فهجوا، وبجاد إلى آخر البيت أسماء قبائل، وبِجاد في اللّغة: كساء مُخَطَّط من أكسية الأعراب، ورَيْسَان: فيْعال من الرَّسَن، أو فَعْلان من «رَاسَ يَرِيسُ» إذا تبختر، مثل مَاسَ يَمِيسُ، وفِهر: الحجر المدوّر الذي يُسْحَقُ به الطِّيب، وهِدْم: الثّوبُ الخَلق المرقّع، والصَّفوة: خيار الشَّيء، والأخيل؛ الشِّقرَاقُ.

٣ - فَأَمَّا الَّذِي يُحْصِيهِم فَمُكَثِّرٌ وأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِم فَمُقَلِّلُ

أي: مَنْ يَعُدُّهم يكثر لوفور عددهم، ومَنْ يُثْني عليهم يقلّل لِقلّة مَنْ يستحقُّ الثناءَ فيهم.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

[٦١٥] وقال يزيد بن قُنَافة[1] بن عبد شمس العَدَوِيّ:

من بني عَدِيّ بن أخزم بن أبي أخزم، من ثُعَل بن عمرو بن الغَوث رَهْط حاتم بن عبد الله.

قال أبو الفتح: القَنَفُ: صِغَر الأُذنين وغلظهما، رجل أقنف وامرأة قنفاء وبه سُمِّيَ الرجل قنافة، إذا كان ضخم الأنف، ويقال: هو الطويل الجسيم، فقد يجوز أن تكون الهاء في قُنَافَةَ لحقت للمبالغة، ويجوز أن يكون أيضًا لحاقها ضَرْبًا من ضروب تغيير الأعلام، كما أن الهاء في رَوَاحة قد يجوز أن تكون كذلك، وقد يجوز أن يكون قُنَافة عَلَمًا مرتجلاً من غير طريق الصنعة التي ذكرت.

١ ـ لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ ... لَبِئْسَ الفَتَى المَدْعُوُّ بِاللَّيلِ حَاتِمُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «وما عَمْري عَلَيَّ بِهيّنٍ» تحقيق لليمين وأَنَّ عُمْرَه ليس يهونُ عليه فيحلف كاذبًا، قال المرزوقي: قوله «المدعوّ بالليل» كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى أنه بدل لا صفة، لأنَّ نِعْمَ وبِئْسَ يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللاّم ودَلَّ على الجنس، وما يدلُّ على الجنس لا يَتَأَتَّى فيه الوصفيّة، قال: والصواب عندي تجويز كونه وصفًا له، بدلالة أنه يُثَنَّى ويُجْمَع، فيقول: نِعْمَ الرَّجلان الزَّيدان، ونِعْمَ الرجال الزّيدون، والتثنية والجمع أبعد الأشياء من أسماء الأجناس إلاّ إذا اختلفت، فكما يجوز تثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلّة، ولا فَصْلَ، وإذا كان كذلك كان قوله «المدعوّ بالليل» صفة للفتى، كأنه قال: مذموم في الفتيان المدعوِّين باللَّيل حاتم، وذكر اللَّيل لشِدّة الهول فيه.

٢ ـ غَدَاةَ أَتَى كالثَّوْرِ أُحْرِجَ فاتَّقَى ... بِجَبْهَتِهِ أَقْتَالَهُ وهْوَ قائِمُ

يعني حاتمًا، وإنّما يهزأ به، ومعنى «أُحْرِجَ» ضُيِّقَ عليه وأُخْرِجَ من عادته فأحوج إلى أن يَعِيثَ، والأقتال: الأقران والأعداء، الواحد قِتْل، يقول متهكّمًا: جاء كالثّورِ الهائج مُغْضَبًا، فلمّا جاء وقت الدفاع انهزمَ.

٣ ـ كأَنَّ بِصَحْرَاءِ المُرَيْطِ نَعَامَةً ... تُبَادِرُهَا جِنْحَ الظَّلامِ نَعَائِمُ

٤ ـ أَعَارَتْكَ رِجْلَيْهَا وَهَافِيَ لُبِّهَا ... وقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ المُتُونِ صَوَارِمُ

يقول: لمّا انهزم كَأَنَّ نعامةً حين سابقها نعائم إلى أداحِيِّهَا أعارت حاتمًا رجليها، فكأَنَّ إسراعَه في العدو إسْرَاعُها، و«هافي لُبِّها» أي: خافق عقلها، والنعامة لا عقلَ لها،

---

(١) يزيد بن قُنافة: شاعر جاهلي كان معاصرًا لحاتم الطائي.

وأراد نفي العقل عنه أصلاً؛ لأنه إذا استعار العقل ممّن لا عقلَ له فأحرى أن لا يكون ذا عقلٍ.

قال أبو رياش: كان من خبر هذه الأبيات أنه عمدَ رجل من بني السِّيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّة يقال له: زيد بن ثابت، فجاور في طيِّـىء، وكانت له نعمة فيهم، وكان جيرانه منهم بنو معن، فقتلوه، وأخذوا ماله، فبلغ ذلك بني السِّيد، فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبّة حتى لقوا رجلاً من طيِّـىء فقالوا له: مَن أنت؟ فكتمهم، فعرفوا لغته، فقالوا له: أنتَ آمن إنْ دللتنا على أقرب أبيات بني مَعْنٍ منك، فدَلَّهم على بني ثور بن ودّ من بني معن، وذلك من العشي، فقتلوهم إلاّ قليلاً، وانفلتَ منهم رجلٌ حتّى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج، وهو حاتم طَيّـىء، وهو في قبّةٍ له من أَدَم في دار ليس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عديّ فيهم يزيد بن قُنَافة وهو بمكان يقال له صحْراء المُرَيْطِ، فأخبره الخبر، فأمرَ أمته أن توقدَ في قبّته، واحتملَ تحت اللَّيل فنَجا، وبَقِيَ يزيد بن قُنَافة لم يعلم الخبر حتّى صَبَّحَتْه الخيلُ غُدْوَةً، وكانت امرأته لا تكلّمه، فدعته باسمه، فأخبرته الخبر، فثارَ إلى قوسِه، فمنع بناته وابنيه وامرأته، وذهب بماله، وإنما كان القوم أرادوا حاتمًا فأفلتَ، فقال العلاء بن قَرَظَةَ أخو بني السِّيد بن مالك وهو خال الفرزدق: [الطويل]

وَحَـيُّ بَـنِـي ثَـوْرِ بْـنِ وُدٍّ كَـأَنَّـمَـا ... لَقُـوا سَـاقِيًا بِـالْمَوْتِ غَـيْرَ مُعَـتِّمِ
يُنَـادُونَ أَنْـصَـارًا عَـدِيًّا وَلَـمْ يـجبْ ... دُعَـاءَ بَـنِـي ثَـوْرٍ عَـدِيُّ بْـنُ أَخْـزَمِ

وقال يزيد بن قنافة الطائيّ الأبيات التي مضت.

[٦١٦] وقال عَارِق، وهو قيس بن جِزوَة الطّائيّ(١):

١ ـ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـمْـرَو بْـنَ هِـنْـدٍ رِسَـالَـةً ... إِذَا اسْتَحْقَبَتْهَا العيسُ تُنْضَى مِنَ البُعْدِ

الأول من الطويل.

يخاطب عَمْروَ بن هند لمّا غَزَا اليمامة وأخفقَ ومَرَّ بِطَيِّـىء وكانوا في ذِمَّته بكتاب كتبه لهم، فحمله زُرَارة بن عُدَس لِشَيء كان في نفسه من طيِّـىء على أن أصاب أَذْوَادًا منهم ونساء، فقالِ تُرْمُلة أبياتًا تقدَّم ذكرها(٢) على لسان عارق فلما وقعت الأبيات إلى عمرو بن هند توعَّد عارقًا، وحلف أنه يقتله، فقال عارق هذه الأبيات، ومعنى «استحقبتها» حملتها في الحقائب، وجعل الفعل لِلعِيسِ اتّساعًا، وَتُنْضَى: تهزل لبُعد المسافة.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٠٤). (٢) في الحماسية رقم (٦٠٤).

٢ - أَيُوعِدُنِي وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَبَيَّنْ رُوَيْدًا مَا أُمَامَةُ مِنْ هِنْدِ

«أيُوعدني» استفهام على طريق التقريع واستعظام منه للأمر، ومعناه أنه لا ينالني مع حصانة جبلي وبُعْد داري منه، وهند: أم عمرو، وذكر الأُم إظهارًا لِقلّة المبالاة وأنه يجسرُ على تناول الحرم منه باللّسان.

٣ - ومَنْ أَجَأٍ حَوْلِي رِعَانٌ، كَأَنَّها قَنابِلُ خَيلٍ مِنْ كُمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدِ[١]

الرِّعان: جمع رَعْن، وهو النادر من الجبل، والقَنَابل: الجماعات من الخيل، وجعلها مختلفة الألوان لاختلاف ألوان الجبال.

٤ - غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَنْتَ دَعَوْتَنا إِلَيْهِ، وبِئْسَ الشِّيمَةُ الغَدْرُ بِالعَهْدِ

ويُروَى «كنت أنتَ احتديتنا» من الحذوِ السَّوْق، و«اجتذبتنا» افْتَعَلْتَ من الجَذْب، ومعناه دعوتنا، وذلك أنه دعاهم إلى حِمَاه ثم غدر.

٥ - وقَدْ يَتْرُكُ الغَدْرَ الفَتَى وطَعامُهُ إذا هُوَ أَمْسَى حَلْبَةٌ مِنْ دَمِ الفَصْدِ

كان الرجل منهم إذا جاع فَصَدَ عِرْقَ بعيرٍ وأخذ مَصِيرًا[٢]، فتلقّى به دم ذلك العِرق، فإذا امتلأ عقد على رأس المصير ثم شَوَاه وأكله، ومنه المثل «لَمْ يُحرَم من فُصِدَ له»[٣] يقول: قد يتركُ المرء الغدرَ وهو في شدّة العيش؛ فكيف لا تتركه وأنت مَلِكٌ، ويُروَى «جُلُّهُ من دم الفصد» ويرتفع «جُلُّه» على أنه مبتدأ ثانٍ والجملة خبر المبتدأ الأول، وهو طعامه، وينتصب «إذا» من قوله جلّه من دم الفصد لأنه الدّالّ على جوابه.

[٦١٧] وقال آخر[٤]:

١ - لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَيَّ بِهَيِّنٍ لَقَدْ سَاءَنِي طَوْرَيْنِ في الشِّعْرِ حاتِمُ

الثاني من الطويل.

المراد لَعَمري ما أقسم به، وخبر المبتدأ محذوف، لأن اللاَّم من «لَعَمري» لام الابتداء، وجواب القسم «لقد ساءني»، وقوله «وما عمري» اعتراض، والطَّوْرُ: التارة: أي تَعَرَّضَ لي مرّتين بما ساءني، ثم أقبل عليه فقال:

٢ - أَيَقْظَانُ في بَغْضَائِنا وَهِجَائِنا وَأَنْتَ عَنِ المَعْرُوفِ والبِرِّ نائِمُ

أي: أنتَ يَقْظَان: أي مُنتَبه في هجونا، ونائم عن الخير والإحسان.

---

(١) أجأ: أحد جَبَلَيْ طَيِّىء وهو غربي فيد، (معجم البلدان ١/ ٩٤).
(٢) المصير: المِعَى.   (٣) اللسان (فصد).
(٤) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «قال رجل من طيِّىء واسمه جابر». والبيت الثالث للرقّاص الكلبي في لسان العرب (طوع).

٣ ـ بِحَسْبِكَ أَنْ قَدْ سُدْتَ أَخْزَمَ كُلَّها   لِكُلِّ أُناسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمُ

المراد حَسْبُكَ، لكنهم يزيدون الباءَ في المبتدأ، نحو قولك: إن تفعل كذا فَبِها ونِعْمَتْ. وفي الخبر أيضًا يزيدون، نحو قوله: [الوافر]

وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ(١)

والمعنى كافيكَ على أن ترأسْتَ أخزم.

٤ ـ فَهَذَا أَوَانُ الشِّعْرِ سُلَّتْ سِهَامُهُ   مَعَابِلُهَا والمُرْهَفَاتُ السَّلَاجِمُ

«سُلَّتْ سهامُه» يعني شعره، يقول: لكلِّ زمانٍ شيء يظهر فيه ويغلبُ، وزماننا زمانُ الشِّعر، والمَعَابل: العِراض، والسَّلاجم: الطِّوال، وَالمُرْهَفَات: المُرَقَّقات الحدّ، وأخزم: رهط حاتم الطائيّ، وهو أَفْعَل من الخَزْم، وقال قوم: يقال لِلحَيَّة أخزم، وكذلك لِلأسد، وقولهم في المثل: [الرجز]

شِنْشِنَة أعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ(٢)

هذا أحد جدود حاتم، وكان جوادًا، فلمّا نشأ حاتم شبّه جوده بجودِ أخزم، فقيل: شنشنة من أخزم، أي: غريزة وطبيعة، ثم كَثُرَ ذلك حتى اسْتُعْمِلَ هذا المثل في كلِّ شيء شُبِّهَ بِسِوَاه، وكان عَقِيل بن عُلَّفَة المُرّيّ يعقُّ أباه، فلمّا نشأ بنوه أَضَرُّوا به وعَقُّوه، وذكر ابن عبد ربّه المغربي في كتاب العقد أن عقيلاً خرج في بعض طرقه ومعه ابنه وابنته، فقال: [الطويل]

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطَالَما   على غَرَضٍ نَاطَحْنَهُ بِالجَمَاجِمِ(٣)

فقال لابنه: أَجِزْ، فقال: [الطويل]

فأَصْبَحْنَ بِالمَوْمَاةِ يَحْمِلْنَ فِتْيَةً   نَشَاوَى مِنَ الإِدْلَاجِ مِيلَ العَمَائِمِ(٤)

فقال لابنته: أجيزي، فقالت: [الطويل]

كَأَنَّ الكَرَى سَقَّاهُمُ صَرْخَدِيَّةً   عُقَارًا تَمَشَّى فِي المَطَا وَالقَوَائِمِ(٥)

---

(١) هذا عجز بيت لعبيدة بن ربيعة بن قحفان كما في الخزانة ٢/ ٤١٣، وصدره: «فلا تَطمعْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فيها».

(٢) هذا الرجز لأبي أخزم الطائي وقبله: «إن بنيَّ زمّلوني بالدّم». والشِّنْشنة: الطبيعة والسّجيّة والعادة.

(٣) دير سعد: بين بلاد غطفان والشام (معجم البلدان ٢/ ٥١٤)، والقصة ذكرها ياقوت في هذا الموضع. و«على عَرَضٍ» بدل «غرضٍ».

(٤) الإدلاج: السير ليلاً.

(٥) الكَرَى: النّعَس. والصَّرْخَد: اسم للخمر، وصرخد: موضع بالشام يُنسَب إليه الخمر. والعُقار: الخمرة.

فقال: والله ما وَصَفْتِها إلاّ وقد شَرِبْتِها، وضربَها، فرماه ابنه بسهمٍ وخَلاّهُ مطروحًا وسار بأُخته، فقال: [الرجز]

إنَّ بَنِيَّ ضَرَّجُونِي بِالدَّمِ ... شِنْشِنَةٌ أعْرِفُهَا مِنْ أخْزَمِ

مَنْ يَلْقَ أبْطَالَ الرِّجَالِ يُكْلَمِ

وذكر ابن عبد ربّه أنَّ أخزمَ فَحْلٌ تُنْسَبُ إليه الإبل، وقال الراجز:

أَمَا وَرَبِّ الكَعْبَةِ المُسَدَّنَهْ ... لَوْ قَدْ رَأيت وهي غير مزمنه

رجلي وَالأيَّامُ عِنْدِي مُحْسِنَه ... إذًا لأبْصَرْتِ فَتًى ذا شِنْشِنَهْ

يَرُوقُ عَيْنَ الطِّفْلَةِ المُفَتَّنَهْ

[٦١٨] وقال رجل من طَيِّىء:

١ - إنَّ امْرَءًا يُعْطِي الأَسِنَّةَ نَحْرَهُ ... وَرَاءَ قُرَيْشٍ لاَ أَعُدُّ لَهُ عَقْلاَ

الأول من الطويل.

يكون «وراء» بمعنى خلفَ وقُدَّام، والأَوْلَى هنا أن يكون بمعنى قُدَّام.

٢ - يَذُمُّونَ لِي الدُّنْيَا وقَدْ ذَهَبُوا بِهَا ... فَمَا تَرَكُوا فِيها لِمُلْتَمِسٍ ثُعْلاَ

الثُّعْلُ: زيادة في أخلاف الشّاة، شاة ثَعُول: لها ثُعْلٌ، ويقال للسن الزائدة «ثُعْل» أيضًا، وذكر بعض أهل اللّغة أنَّ الثَّعُولَ من الشّاءِ التي يمكنُ أن تحلبَ من ثعلها أيضًا، يقول: مَنِ استقتلَ لأَجْلِ قريش ليفوزوا بالملك فليس بعاقل، ثم وصف الخلفاء فقال: يَذُمُّون الدّنيا في خُطَبِهِمْ وهم لا يتركون وجه رغبة إلاّ أتوه، وضرب الخلف الزائدة مثلاً.

[٦١٩] وقال رُوَيْشِد الطّائيّ[1] لبني مُوقِعٍ:

١ - ومُوقِعُ تَنْطِقُ غَيْرَ السَّدَادِ ... فَلاَ جِيدَ جِزْعُكِ يا مُوقِعُ

الثالث من المتقارب.

مُوقِع: قبيلة، ومعنى «لا جِيدَ جِزْعُكِ» لا سُقِيَ واديكِ، من الجَوْد، وهو المطر الشّديد، وجِزْعُ الوادي: جانبه، نسبهم إلى الخَنَى ودعا عليهم بالجَدْبِ ووصفهم بالذّلّة فقال:

٢ - فَمَا فَوْقَ ذِلَّتِكُمْ ذِلَّةٌ ... ولاَ تَحْتَ مَوْضِعِكُمْ مَوْضِعُ[2]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٣).

(٢) يوجد طباق في البيت وهو غريب حسن بين (فوق وتحت).

[٦٢٠] وقال جابر:

١ - أَجِدُّوا النِّعَالَ لأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا فَوَيْهَا لَكُمْ جَرْوَلُ

ثالث المتقارب، والقافية متدارك.

يقول: اسْتَجِدُّوا النعال لأقدامكم، أو في أقدامكم، استجدّوها يا جرول وَيْهًا لكم، وإنَّما كَرَّرَ الأمرَ تأكيدًا للقول عليهم، يريد غَيِّرُوا حالكم، وأحسنوا بَزَّتَكم، واطلبوا حَقَّكُم بأقدامكم، وقوله «جرول» يريد يا جرول، وهو في اللّغة: مواضع من الجبال تكون فيها الحجارة، وبها سُمِّيَ الرّجلُ جَرْوَلاً، ومِمَّن سُمِّيَ به جَرْوَل بن مُجَاشع، وكان له عشرة بنين، سمّاهم كلّهم بأسماء السِّباع، وكان جَرْوَل أجبن النَّاس مع منظره وهيئته، ووَيْهًا: اسم من أسماء الأفعال، يُغْرَى به، ولا يجيء إلاَّ مُنَوَّنًا، وذلك علامة لتنكيره، وفي أسماء الأفعال ما يُعرَّفُ ويُنَكَّرُ، ومنه ما لا يجيءُ إلاَّ منكورًا، مثل: وَيْهًا للإغراء، وإيهًا يستعمل في الكَفّ، ووَاهًا للتعجب، وكلّ ذلك يجيء منوَّنًا منكورًا، وجعل أوّل الكلام خطابًا لجماعتهم ثم خصَّ بالنداء واحدًا منهم وجعله المأمور به ألا ترى أنه قال:

٢ - وأَبْلِغْ سَلاَمَانَ إنْ جِئْتَهَا فَلاَ يَكُ شِبْهًا لَهَا المِغْزَلُ

سَلاَمَان: قبيلة من هَمْدَان، وهو في اللغة شجر، الواحدة سَلاَمَانة، ومثل هذا - في أنه جعل أول الكلام خطابًا للجماعة ثم خصَّ بالنداء - قول الهذليّ: [البسيط]

أَحْيَا أَبَاكُنَّ يَا لَيْلَى الأَمَادِيحُ[(١)]

فقال «أباكُنَّ» ثم قال «يا ليلى» وكذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[(٢)] وما أشبهها، وقوله «فلا يكُ شِبْهًا لها المغزل» لو قال «لكم» لَسَاغَ، لأنهم يجمعون في مثل هذا الموضع بين الخطاب والإخبار، على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٣)] قُرِىءَ بالتاء والياء، فالتاء للخطاب، والياء للإخبار، والرسالة التي يريد إبلاغها «فلا يكُ شِبهًا لها المِغزل»؛ والمعنى: لا يكونَنَّ سبيلُكم سبيلَ مَنْ ينفع الغيرَ ويَضُرُّ نفسَه كالمِغْزَل الذي يُكَسِّي الخَلْقَ ويجعل اسْتَهُ عُريانًا، وهذا مَثَلٌ، وكما ضُرِبَ المَثَلُ بِالمِغزل لهذا المعنى ضُرِبَ له أيضًا بالسّراج فقيل: [المنسرح]

فَلاَ تَكُونَنْ ذُبَالَةً نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهْيَ تَحْتَرِقُ[(٤)]

---

(١) هذا عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ص ١٢٧، وصدره: «لو كان مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشِرًا أحدًا». والبيت في لسان العرب (نشر، ومدح، وأبي)؛ وبلا نسبة في الدّرر ٦/٢٤٥؛ وهمع الهوامع ٢/١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

(٤) الذُّبالة: الفتيلة التي تُسرَجُ.

٣ - يُكَسِّي الأَنَامَ ويُعْرِي اَسْتَهُ وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْفِهِ الأَسْفَلُ[(١)]

«يَنْسَلُّ» من الانسلال وهو الخروج: أي يخرجُ أسفله من خلفه، ويُروَى «وَيَنْسُلُ» من «نَسَلَ ريشُ الطَّائر» إذا سقط، وقال المرزوقي: أما قوله «وينسلُّ من خلفه[(٢)] الأسفل» فإنّه كان يُروَى «مِنْ خَلْفِه» بالفاء، وليس يصحُّ له معنى، والمستقيم «من خَلعه الأسفل» وذلك أن المغزل ينسلُّ أسفلُه بأن يختلعَ كُبَّتَهُ، وهذا ظاهر، وكأن سَلاَمان كانت تقتحم أهوالاً غُنْمُها يصير لغيرها وغُرْمُهَا يكون لها فلذلك جعل المغزل مثلاً لها.

٤ - فَإِنَّ بُجَيْرًا وأشْيَاعَهُ كما تَبْحَثُ الشَّاةُ إذْ تَذْأَلُ[(٣)]

٥ - أَثَارَتْ عَنِ الحَتْفِ فَاغْتَالَهَا فَمَرَّ عَلَى حَلْقِهَا المِغْوَلُ

بجير: اسم رجل، و«كما تبحث الشَّاة» مَثَل في كلِّ مَنْ أعان على حَتْفِ نفسِه، والذَّأَلاَن والذَّأْلاَن: مشي النشيط، واغتالها: أهلكها، والمِغْوَل: ما يهلكُ به الشيء، وأراد به السكين هنا، وقد اشتهر السكين بهذا الاسم إذا جعل في وسط السّوط كالغلاف لها.

٦ - وآخِرُ عَهْدٍ لَهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ وَجِزْعٌ لَهَا مُبْقِلُ

«مونق» نعت نَكِرَة تقدَّم عليها فأعرب إعرابها، وجعلت هي بدلاً منه، ومثله «مَرَرْتُ بِظريفِ رجلٍ» لك أنْ تروي مُونقٌ بالرفع فيكون صفة لآخر، وموقٍ بالجرِّ فيكون للعهد، وجعل الإيناق للعهد لأن المراد بالعهد المعهود، وهو المرعِيّ، والتقدير وآخر عهد لها غدير مونق، وجِزْعٌ مبقلٌ، يقال: أبقلَ المكان فهو بَاقِلٌ ومُبْقِلٌ، وأَفْعَلَ فهو فاعل ليس بكثير، بل هو شاذّ.

[٦٢١] وقَال إياس بن الأرتّ[(٤)]:

١ - كَأَنَّ مَرْعَى أُمِّكُمْ إذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانْ

الأول من السريع، والقافية مترادف.

يجوز أن يكون «مَرْعَى» اسمًا لها، «وأمّكم» بدلاً منه، ويجوز أن يكون لقّبها الشّاعر بذلك، ومثل قوله «عقربة يكومها عقربان» قولُ الآخر: [الرجز]

كَالجُعَلَيْنِ رَكِبَا دُحْرُوجَا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيجَا

والعُقْرُبَان: ذكر العقارب، والكَوْم: السِّفَاد.

---

(١) عند المرزوقي «من خَلْعِهِ الأسفلُ».
(٢) يجب أن تكون «من خلعه» حسب رواية المرزوقي.
(٣) عند المرزوقي «إذ تَذْأَلُ».
(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٦).

٢ ـ إكْـلِـيـلُـهَـا زَوْلٌ وَفِـي شَـوْلِـهَـا وَخْـزٌ أَلِـيـمٌ مِـثْـلُ وَخْـزِ الـسِّـنَـانْ

كنى عن قَرْنَي العقرب بالإكليل، والزَّوْل: الخفيف الظريف، وشَوْلُها: ما يشولُ من ذنبها، والزَّول: العجب أيضًا، والوَخْز: طعن غير نافذ؛ شَبَّه تأثيرها بتأثير السّنان، وزاد الهاء في «عقربة» توكيدًا للتأنيث، وهذا كما يقال: جمل وناقة، وكبش ونعجة، ووَعِلٌ وأروية، ألحقوا الهاء تأكيدًا للتأنيث، ولو لم تلحقْ لم يُحْتَجْ إليها، وقد قيل: عجوزة.

٣ ـ كُـلُّ عَـدُوٍّ يُـتَّـقَـى مُـقْـبِـلاً وَأُمُّـكُـمْ سَـوْرَتُـهـا بِـالـعِـجَـانْ[١]

يقول: كلُّ عَدوٍّ يُتَّقى شَرُّهُ إذا أقبلَ، وأُمّكم يُتَّقى شَرُّها إذا أدبرت، يعني أنها إذا غابَتْ نَمَّتْ بين النَّاس؛ لأنَّ النمائم تُشبَّهُ بالعقارب، ألاَ تراهم يقولون: دَبَّتْ بينهم العقاربُ: أي النّمائم، وقيل: يعني أنها تبيحُ عِجَانها للرجال فتستعين بهم على مَنْ تعاديه، فقوَّتها وأذاها بِعِجانها، والعِجَان: ما بين السبيلين من الرجل والمرأة.

[٦٢٢] وقال أدهم بن أبي الزَّعْرَاء[٢]:

الزَّعراء: القليلة الشَّعر.

١ ـ بَنِـي خَـيْـبَـرِيٍّ؛ نَـهْـنِـهُـوا عَـنْ قَـنَـاذِعٍ أَتَتْ مِنْ لَدُنْكُمْ وانْظُرُوا مَا شُؤُونُها[٣]

الثاني من الطويل.

قال أبو رياش: تَزَوَّج عبد الله بن مُدْلج بن سُوَيْد بن خَيْبَري بن أَفْلَت بن سِلْسِلَة بن سَلاَمان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّىء هُنَيْدَةَ بنتَ عبد الرحمٰن بن حُدَيْر بن وَبَرَةَ من بني خيبرى بن عمرو بن سلْسِلة، فأبت أن تنزله، فقال في ذلك أدهم بن أبي الزّعراء الأبيات.

«نهنهوا»: أي كُفُّوا، والقناذع: الدَّواهي، ويُرْوَى بالدال والذال، ويجب أن يكون الواحد قُنْدُعَة، والنون زائدة، أُخِذَ من «قدعته» أي: كففته، وإذا قيلَ قناذع فهو من القذع، وهو الكلام القبيح، والقنذع: الكلام الفاحش، والدَّيُّوث أيضًا.

٢ ـ وَكَـائِـنْ بنا مِنْ ناشِصٍ قَـدْ عَـلِـمْـتُـمُ إذَا نَـفَـرَتْ كَـانَـتْ بَـطِـيـئًـا سُـكُـونُـهـا

يقال: نَشَزَت المرأةُ على زوجها، ونَشَصَتْ عليه، إذا نَفَرَتْ منه ولم تطاوعه، ويقال: بنو فلان ينكحون النواشزَ والنَّواشصَ: أي يُقْدِمون على أمور صعبة لا يستطيعها غيرهم من الناس، وقوله «وكائن بنا من ناشص» يحتمل أن يعني نفار نسائهم عن الأزواج

(١) السَّوْرَة: الوثبة.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٠١).
(٣) عند المرزوقي: «من قناذعِ».

لأنهنّ لا يَرْضَيْن بهم، ويجوز أن يكون ذلك مَثَلاً ضربه لما فيهم من الإباء وكبر النفوس، وقالوا: أراد بالناشص الشّعر، أو الدّاهية، فمَن حمله على الشعر قال: معنى إذا نفرت ظهرت منّا وقلناها فتنتشر في النّاس، ومَنْ قال أراد به الدّاهية وهو أقرب قال: نفرت يعني سطوة كانت بطيئًا سكونها: أي لم تسكنْ.

٣ - وبِالحَجَلِ المَقْصُورِ خَلْفَ ظُهُورِنا   نَوَاشِيءُ كَالغِزْلانِ نُجْلٌ عُيُونُها[1]

الحَجَل: جمع حَجَلة، والمقصور: المرسل عليه السِّتر، نواشيء: جوارٍ شَوَابّ كالغزلان، شَبَّههنّ بِالغِزْلان لِلجَيِدِ والحَوَر، وكان خطب امرأة منهم فردّوه.

٤ - وَإنَّـا لَـمَخْـقُـوقـونَ حِيـنَ غَـضِـبْتُـمُ   بِـأَيِـمَـةِ عَـبْـدِ اللّـهِ أَنْ سَـتُـهِـيـنُـهـا

٥ - فَـلَـسْـتُ لِـمَـنْ أُدْعَـى لَـهُ إنْ تَـفَـقَّـأَتْ   عَـلَـيْـهـا دَمَـامِـيـلُ اَسْـتِـهِ وَحُـبُـونُـهـا

ويُروَى «حين غضبتم بلحية عبد الله» و«أَيِمَة عبد الله» يقال: آمَ وَتَأَيَّمَ، إذا لم يتزوَّجْ، وإذا كانت له امرأة فماتت قيل: آمَ يئيمُ، وقوله «فلست لمَن أُدعى له» أي: أنسب إليه، كما تقول: لست لأبي إن لم أفعل كذا، وتفقَّأَتْ عليها: تشقَّقَتْ، والحُبُون: جمع حِبْنٍ، وهو الدُّمَّل، يقول: لست لأبي إن أعطيته مراده حتى يشتفي قلبه لأنَّ تَشَقُّقَ الدّماميل يُؤْذِنُ بالبرءِ، عليها: يعني على ما طلب، فهذا يدلُّ على أنَّ الشّاعرَ هو المخطوب إليه.

[٦٢٣] وقال حُرَيْث بن عَنَّاب النَّبْهَاني[2]: [الطويل]

١ - بَنِي ثُعَلٍ أَهْلَ الخَنَى مَا حَدِيثُكُمْ   لَكُمْ مَنْطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنْطِقُ

«أهل الخَنَى» يجوز أن يكون على نداءين، أراد يا أهل الخَنَى يا بني ثُعَلٍ، ويجوز أن يكون «أهل الخَنَى» انتصابه على الذّمّ والاختصاص، كأنه قال: يا بَني ثُعَل أذكر أهل الخَنَى، وقوله «ما حديثكم» يريد ما لغتكم، ويفسّره قوله بعده «لكم منطق غاوٍ وللنّاس منطقُ» ينسبهم إلى أنهم نَبَطٌ وأنَّ لغتهم ذات غواية وزيغ، ويعني بقوله «ولِلنَّاس منطقُ» العربَ، ويجوز أن يكون معنى «ما حديثكم» ما شأنكم المستحدَث، ينسبهم إلى أنَّهم لا قديمَ لهم ولا حديث.

٢ - كَـأَنَّـكُـمْ مِـعْـزَى قَـوَاصِـعُ جِـرَّةٍ   مِـنَ الـعِـيِّ أَوْ طَـيْـرٌ بِـخَـفَّـافَ يَـنْـغِـقُ[3]

يقال: قَصَعَ البعيرُ بِجِرَّتِهِ، إذا دَفَعها، يقول: لِعِيِّهم إذا تكلّموا كأنهم مِعْزَى تجترُّ أو غربان تنغقُ، وأَلِفُ مِعْزَى إذا جعلت للإلحاق فينبغي أن تُنَوَّنَ، ويكون تأنيثها كتأنيث

(١) عند المرزوقي: «حَوْلَ بيوتنا».
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٧٠).
(٣) عند المرزوقي: «كأنهم» و«تَنْغِقُ».

عَقْرَب وعَنَاق؛ ليس بعلامة ظاهرة، وأكثر العرب تؤنثه، وقد جاء تذكيره، وقد حُكِيَ أنَّ قومًا لا ينوِّنون المِعْزَى، ويجعلون ألفها للتأنيث، وأنشد سيبويه في تذكيره: [الهزج]

وَمِـعْـزَى هَـدِبًـا يَـعْـلُـو قِـــرَانَ الأَرْضِ سُـــودَانَـــا

٣ ـ دِيَـافِـيَّـةٌ قُـلْـفٌ كَـأَنَّ خَـطِـيـبَـهُـمْ سَرَاةَ الضُّحَى في سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ[١]

دِيَاف: أرض بالشَّام لِلنَبط، وقصده إلى أن يخرجهم من أن يكونوا عربًا، وجعلهم قُلْفًا إلحاقًا بالعجم، و«كأنَّ خطيبهم» أي: الفصيح منهم والمعَدَّ ليوم فخارهم إذا تكلّم يتمطَّقُ في سَلْحِهِ، والتَّمَطُّقُ: تَذَوُّقُ الشَّيء بضمّ إحدى الشفتين على الأخرى مع صوت بينهما، وجعلهم كذلك في سَرَاة الضُّحى أي: إنّهم يتباطؤون في كلِّ حال حتى لا يقوموا من فرشهم إلاَّ في ذلك الوقت.

[٦٢٤] وقال شُعَيْث بن عبد الله:

وهو من كنانة بَلْقَيْن، يهجو رجلاً من بلقين يقال له عِقَال بن هاشم وعِقَال يقول فيهم: [البسيط]

فَـمَـا كِـنَـانَـةُ فِـي خَـيْـرٍ بِـخَـائِـرَةٍ وَلاَ كِـنَـانَـةُ فـي شَـرٍّ بِـأَشْـرَارِ

يقال: خَايَرْتُه فَخُرْتُه وأنا خائره، إذا كنت خيرًا منه، واستخرتُ اللَّهَ فَخَارَ لي، وهذه خِيَرتي: أي الذي أختاره، وشُعَيْث: تحقير شَعِث، وإن شئتَ كان تحقير أشْعَث على الترخيم.

١ ـ أَتَـرْجُـو حُـيَـيًّـا أَنْ تَـجِـيءَ صِـغَـارُهَـا بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيَـا عَـلَـيْـكَ كِـبَـارُهـا

الثاني من الطويل.

أجود الرّوايتين «أترجو حُيَيًّا» كأنه يخاطب إنسانًا ويلومه في تعليقه الرجاء بصغار حُيَيٍّ وقد أحيا كبارها، والمعنى إنهم لا يُفْلِحون أبدًا، وإذا رويتَ «أَتَرْجُو حُيَيٌّ» جعلتَ الفعلَ للقبيلة بأَسْرِها: أي إنّهم وحالهم ذلك في ضلال إذا رَجَوْا من صغارهم فلاحًا وحالهم مع كبارهم ذلك.

٢ ـ إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ أُجْحِرَتْ مَقَارِي حُيَيٍّ واشْتَكَى الغَدْرَ جَارُهَا

أشار بالنجم إلى الثريا، وهم يقولون: [الرمل]

طَـلَـعَ الـنَّـجْـمُ غُـدَيَّـهْ وَابْـتَـغَـى الـرَّاعِـي شُـكَـيَّـهْ

---

(١) عند المرزوقي: «غُلْفٌ» بدل «قُلْفٌ» والقُلف: جمع الأقلف: هو الذي لم يُخْتَنْ. والسَّلْح: العذرة.

فهذا يكون في الصّيفِ وعند اشتداد الحرّ، وقالوا: [الرمل]

طَـلَـعَ الـنَّـجْـمُ عِشَـاءَا وَابْـتَـغَـى الـرَّاعِـي كِسَاءَا

وهذا يقال في شدّةِ البرد، وقد كَثُرَ تسميتهم الثريّا بالنَّجم، فإذا قالوا «يوم من النّجم» فإنما يعنون شدّة الحرّ في أيام الثّريّا لأنَّها تطلعُ في ذلك الأوان مع الصّبح، وجواب «إذا النَّجم» أُجحرت، و«مغربَ الشّمس» يجوز أن يكون مفعولاً، وأن يكون اسمًا لموضع الغروب، ويكون وافى من المُوَافاة، ويجوز أن يكون ظرفًا، ويكون معنى وافى طَلَعَ، وأُجْحِرَتْ سُتِرَتْ كأَنَّها أُدْخِلَتِ الجُحْرَ، ووجه آخر في أُجْحِرَتْ أي أُخْلِيَتْ من الخير، من الجحرة، وهي السنة المجدبة، و«اشتكى الغدر جارُها» لأنّهم يسرقون ماله، ويُرْوى «حاردت» أي منعت ما فيها، أخذ من حِرَاد الناقة، وهو قلّة لبنها ومنعها منه، قال الراجز:

أَيَـانِـقٌ قَـدْ كَـفَـأَتْ أَرْفَـادَهَـا حِـرَادُهَـا يَـمْـنَـعُ أَنْ تَـمْـتَـادَهَـا

الضمير يرجع إلى الأرفاد:

نُـطْـعِـمُـهَـا إذَا شَـتَـتْ أَوْلاَدَهَـا

وقد يجوز أن يكون قوله «إذا النجم وافى مغرب الشمس» يعني به الثريا وغيرها؛ لأنهم قد وصفوا الشّعرى بنحو من ذلك، قال الشاعر: [الطويل]

وَإنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمَعِ الذُّرَا إذَا وَافَتِ الشِّعْرَى انْقِطَاعَ نَهَارِهَا

والمقاري: جمع مِقْرَى، وهو الإناء الذي يُقْرَى فيه الضَّيف، فإذا مددت فقلت «المِقْرَاء» فهو الرجل الكثير القِرَى للأضياف، وكذلك المِهْدَى الطَّبقُ الذي يُهْدَى عليه وغيره، والمِهْدَاء: الرجل الكثير الإهداء، وروى أبو هلال «أترجو حُنى» قال: حُنَى قبيلة.

وروى غير أبي تمام هذه الأبيات لِحُرَيْث بن عَنَّاب أحد بني نبْهان بن عمرو بن الغوث من طيّىء.

وأخذ الفرزدق منه فقال: [الطويل]

أَتَـرْجُـو رَبِـيعٌ أَنْ تَـجِـيء صِـغَـارُهَـا بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيَـا رَبِـيـعًـا كِـبَـارُهَـا

وأخذه أيضًا البَعِيث فقال: [الطويل]

أَتَرْجُو كُـلَـيْبٌ أَنْ يَجِيء حَدِيثُها بِـخَـيْـرٍ وَقَـدْ أَعْـيَـا كُـلَـيْـبًـا قَـدِيـمُـهَـا

فقال الفرزدق: [الوافر]

إذَا مَـا قُـلْـتُ قَـافِـيَـةً شَـرُودًا تَـنَـحَّـلَـهَـا ابْـنُ حَـمْـراءِ الـعِـجَـانِ

[٦٢٥] وقال حُرَيْث بن عَنَّاب[1]: [البسيط]

١ - قُولاَ لِصَخْرَةَ إذْ جَدَّ الهِجَاءُ بِهَا   عُوجِي عَلَيْنَا يُحَيِّيكِ ابْنُ عَنَّابِ

«يُحَيِّيكِ» يجوز أن يكون في موضع الحال: أي عوجي مُحَيِّيًا، ومثله ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[2] أي: وارثًا، ويجوز أن يكون في موضع الجزم جوابًا لقوله «عُوجي» وأجرى المعتلّ مجرى الصحيح، كقوله: [الوافر]

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأَنْبَاءُ تَنْمِي[3]

وصخرة: اسم امرأة، وذكر التحيّة هنا هزء منه.

٢ - هَلاَّ نَهَيْتُمْ عُوَيْجًا عَنْ مُقَاذَعَتِي   عَبْدَ المَقَذِّ دَعِيًّا غَيْرَ صُيَّابِ

انتصاب «عَبْدَ المقذّ» يجوز أن يكون على البدل، ويجوز أن يكون على الذمّ، ويجوز أن يكون على الحال، والمَقَذُّ: منقطع شعر القفا، وهو مأخوذ من «قذذت الشَّعْرَ» إذا قَصَصْتَه، كأنه ينقطع في ذلك الموضع، ويقال لِلْمِقْراض: المَقَذُّ، ويقال: هو عَبْدُ المَقَذَّيْنِ: أي إذا نظر الإنسان إليهما عَلِمَ أنه عبد، وقيل: المَقَذَّان جانبا القفا اللّذان تحجز بينهما النقرة، وقيل: المقذّان منقطع الشعر في مقدّم الرّأس ومؤخّره، و«غير صُيَّاب» أي غير خِيار، يقال هو من صُيَّاب القوم، وصُيَّابتهم: أي خِيارهم، قال الراجز:

وَقَدْ وَسَطْتُ مَالِكًا وَحَنْظَلاَ   صُيَّابَهَا والعَدَدَ المُجَلْجَلا[4]

وقال الراجز في المقذّين:

لَوْلاَ أَبُو الشَّقْوَاءِ لَمْ يُرْوَ النَّعَمْ   مُنْخَرِقُ السِّرْبالِ عَنْ لَحْمٍ زِيَمْ

مَاضٍ إذَا مَاءُ مَقَذَّيْهِ سَجَمْ

٣ - مستَحْقِبِينَ سُلَيْمَى أُمَّ مُنْتَشِرٍ   وابْنَ المُكَفَّفِ رِدْفًا وابْنَ خَبَّابِ

يعني أنَّ هؤلاء القوم الذين ذكرهم قد استحقبوا أُمَّ منتشر: أي جعلوها مكان الحقيبة؛ وكذلك ابن المكفّف؛ وابن خَبَّاب: أي قد جاؤوا بهم خلفهم؛ فإن كانوا من القَوْم المهجوين فهو كما يقال: جاءنا فلانٌ وفلانٌ في آخر قومهما، وإن كانوا ليسوا منهم فالمعنى أنهم استعانوا بهم فصاروا كمَن يرتدفه الرجل وراءه، وقيل في قوله «مستحقبين» أي: جئتم لمهاجاتي وقد استحقبتم هذه المرأة وابن المكفّف معها رِدفًا وابن خَبَّاب، كأنه

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٧٠).   (٢) سورة مريم، الآية: ٥ و٦.

(٣) هذا صدر بيت لقيس بن زهير بن جذيمة في الخزانة ٣/٥٣٦؛ وكتاب سيبويه ١/١٥، وعجزه: «بِما لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زيادِ».

(٤) البيت في اللسان (صيب).

رمى سُليمى بهما أو يعدهم جميعًا من مخازيه، فهو أيضًا هزء: أي حاربتموني بمَن هو شينكم، وقيل: إنه أراد أنهم أسروهم فحملوهم في موضع الحقيبة من البعير، وقيل: معناه الانتساب إليهم، وهذا أشبه بسرد الأبيات.

٤ - يا شَرَّ قَوْمٍ بَنِي حِصْنٍ مُهَاجِرَةً ... ومَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابِ

ينسبهم إلى أنهم شَرّ قوم هاجروا إلى الأمصار وبقوا في البدو، و«بني حصن» يجوز أن يكون انتصب على النداء، كأنه قال: يا شرَّ قومٍ يا بني حصن، وانتصب «مهاجرة» على الحال، ناداهم في هذه الحالة: أي أنتم شرّ قوم في مهاجرتكم، ومثله: [البسيط]

يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لأَقْوَامِ[١]

ويؤنس بوقوع الحال بعد النداء قولهم «يا زيد دعاء حقًّا» فإذا ساغ أن يقع المصدر بعده تأكيدًا فكذلك الحال، وقوله «ومن تَعَرَّبَ» فيه معنى التكلّف؛ لأن تَفَعَّلَ يجيء كذلك كثيرًا، ويجوز أن ينصب بني حصن على الذمّ والاختصاص.

٥ - لاَ يَرْتَجِي الجَارُ خَيْرًا في بُيُوتِهِمِ ... ولاَ مَحَالَةَ مِنْ شَتْمٍ وَأَلْقَابِ

قال الخليل: يقولون في موضع لا بدّ «لاَ مَحَالة» ويقال: حال مَحَالاً وحيلة أي احتال، وما فيه حائلة: أي حيلة.

[٦٢٦] وقال آخر[٢]:

١ - بَنِي أَسَدٍ، إلاَّ تَنَحَّوْا تَطَأْكُمُ ... مَنَاسِمُ حَتَّى تُحْطَمُوا وَحَوَافِرُ

الثاني من الطويل.

المناسم: جمع مِنْسَم، وسُمِّيَ خُفُّ البعير منسمًا لأنه يتحرّك عليه، من نسيم الرّيح وهو حركتها، وسُمِّيَ الحافر لِصلابته حافرًا لأنه إذا أصاب الأرض أَثَّرَ فيها.

٢ - ومِيعَادُ قَوْمٍ إنْ أَرَادُوا لِقَاءَنَا ... مِيَاهٌ تَحَامَتْهَا تَمِيمٌ وَعَامِرُ

«تحامتها» أي: تركَتْهَا هيبةً ومخافةً، يقول: لِعِزِّنا ومَنَعَتِنا، يعني احْتَمَتْها فلا تَجْسُرُ على وُرُودها بنو أسد وإن كثروا، وقوله «وميعاد قوم» أراد وموضع ميعاد قوم، فحذف المضاف، وقيل: ميعادنا مياه لا ننزلها نحن ولا أنتم وهي بيننا وبينكم.

---

(١) هذا عجز بيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٧١؛ واللسان (خلا)؛ والشعر والشعراء ص ٤٢؛ والخزانة ١/ ٢٨٥، وصدره: «قالتْ بنو عامرٍ خالُوا بني أَسَدٍ» وهو من شواهد سيبويه ١/٣٤٦، على إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه وذلك في قوله «يا بؤس للحرب»، وذلك مما يقوّي الإضافة.

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا» أي حريث بن عَنَّاب. وقد ورد البيت الخامس في لسان العرب (شمرخ) لحريث بن عنّاب.

٣ ـ وَمَا نَامَ مَيَّاحُ البِطَاحِ وَمَنْعِجٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ولاَ الرَّسِّ إلاَّ وَهْوَ عَجْلاَنُ سَاهِرُ

مَيَّاح: فَعَّال يدلّ على الكثرة، وهو الذي يَميح الماء: أي يسقيه، وَالبِطَاح ومَنْعِج والرَّسُّ: مواضع فيها ماء يورد، يقول: لسنا نيامًا، يقول: إذا نمنا فنحن أيقاظ لِحَزْمِنا عجال لخفتنا، يُنْذِر بني أسد ويقول: إن لم تبعدوا عَنَّا داستكم خيولنا وإبلنا تحت حوافرها وأخفافها، يصف قومه بالكَثرة وبني أسد بالقلّة، ويقول: إن أردتم لقاءنا فنحن متأهِّبُون لها، ثم دَلَّ بتيقّظ قومه وتحرّزهم أنهم الغالبون.

٤ ـ تَضَاءَلْتُمْ مِنَّا كَمَا ضَمَّ شَخْصَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ أَمَامَ البُيُوتِ الخَارِىءُ المُتَقَاصِرُ

التَّضاؤُل: التَّقاصُر، والخارىء: الذي يقضي حاجَتَه، وخصَّ أمام البيوت لأنَّ النَّاسَ يَرَوْنه هناك فيجب أن يجمعَ شخصه ويتستر لئلاّ تظهر سوأته ولو كان وراء البيوت لم يَحْتَجْ إلى ذلك، وكان متقاصرًا ثم تضاءلَ، فيكون أقلَّ وَأحْقَر.

٥ ـ تَرَى الجَوْنَ ذَا الشِّمْرَاخِ وَالوَرْدَ يُبْتَغَى ‏ ‏ ‏ ‏ لَيَالِيَ عَشْرًا بَيْنَنَا وَهْوَ عَائِرُ

الْجَوْن: الأدهم تعلوه حمرة، وهو أهون سوادًا منه، والشِّمْراخ: غُرَّة تستدقّ وتسيل حتى تأخذ الخيشوم، والعائر: المنفلت، ليالي عشرًا: أي عشر ليالٍ، يصف كثرة خيلهم، يقول: نطلب الفرس المشهور بلونه عشر ليال فلا يوجد وهو وسطنا.

٦ ـ ولَمَّا رَأَيْنَاكُمْ لِئَامًا أَدِقَّةً ‏ ‏ ‏ ‏ ولَيْسَ لَكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نَاصِرُ

أدِقَّة: جمع دقيق، يعني به الذليل.

٧ ـ ضَمَمْنَاكُمُ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ إلَيْكُمُ ‏ ‏ ‏ ‏ كَمَا ضَمَّتِ السَّاقَ الكَسِيرَ الجَبائِرُ

الجبائر: جمع جِبَارة، وهي الخشب التي تُشَدُّ على الكسير حتى يجبر، وقال «السَّاق الكسير» وهي مُؤَنَّثة لأن فَعِيلاً إذا كان في تأويل مفعول ووصف به المؤنث كان بغير هاء، قياس مطّرد عند الكوفيين، وعند البصريين لا ينقاس بل يُتْبَعُ فيه المَحْكِيُّ عنهم.

[٦٢٧] وقال أبو صَعْتَرَةَ البَوْلاَنِي(١):

١ ـ أتَهْجُونَا وكُنَّا أهْلَ صِدْقٍ ‏ ‏ ‏ ‏ وتَنْسَى مَا حَبَاكَ بَنُو بَرَاءِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

يقال: حَبَوْتُه كذا، وبكذا، ويُروَى «أبو براء»؛ و«بنو براء» أجود لقوله:

٢ ـ هُمُ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا ‏ ‏ ‏ ‏ خَبِيثَ الرِّيحِ مِنْ خَمْرٍ وماءِ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٨).

السَّقب: الذَّكَر من ولد النَّاقة، وقوله «خبيث الريح» أي: ضربوك حتّى سَلَحْتَ وأنت سكران وأحدثتَ حَدَثًا كهيئة السّقب، ولمّا قال «نَتَجُوك» جعل المنتوج سَقْبًا إيغالاً في الصّنعة.

٣ - وهُـمْ جَـهِـلُـوا عَـلَـيْـكَ بِـغَـيْـرِ جُـرْمٍ   وبَـلُّـوا مَـنْـكِـبَـيْـكَ مِـنَ الـدِّمَـاءِ

أي: ضربوك وأنت بريء فكيف لا يضربونكَ إذا هَجَوْتَهُمْ.

[٦٢٨] وقال الطِّرمَّاح بن جَهْم السِّنْبِسِيُّ؛ لِنافذ بن سعد المَعْنِي:

١ - إنَّ بِـمَـعْـنٍ إنْ فَـخَـرْتَ لَـمَـفْـخَـرًا   وفـي غَـيْـرِهـا تُـبْـنَـى بُـيُـوتُ الـمَـكَـارِمِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

مَعْن: قبيلة، «وفي غيرها تُبنى بيوت المكارم» يعني في غير مَعْن تُضرَب قِباب الكَرَم؛ لأنَّ بيوت العرب لا تكون من المَدَر، والمعنى: إنْ فخرتَ بِمَعْنٍ جاز فإنَّ فيهم موضع الفخر، إلاَّ أنَّ الكرمَ لا يوجد فيهم.

٢ - مَتَى قُدْتَ يا ابن الـحَـنْـظَـلِـيَّـةِ عُـصْـبَـةً   مِنَ الـنَّـاسِ تَـهْـدِيـهَـا فِـجَـاجَ الـمَـخَـارِمِ

المخارم: جمع مَخْرِم، وهو أنف الجبل؛ وقوله «تهديها» يقال: هَدَيْتُ القومَ الطَّريقَ، وإلى الطريق، يقول: متى كنت قائد جماعة تقدمهم.

٣ - إذَا مَـا ابْـنُ جَـدٍّ كـانَ نَـاهِـزَ طَـيِّـىءٍ   فَـإنَّ الـذُّرَا قَـدْ صِـرْنَ تَـحْـتَ الـمَـنَـاسِـمِ

جَدٌّ وَعُتيْب: قبيلتان، وناهِزُهم: كبيرهم والقَيِّم بأمورهم عند السّلطان؛ وأصل الناهز الذي يَنْهَزُ الدَّلو من البئر: أي يُخرجها، والذّرا: أعالي الأسْنمة، يقول: إذا كان ابن جَدٍّ زعيمَ طَيِّىء فقد انقلبَ الدّهر بهم وصار أشرافهم تحت أذلاَّئهم، وضرب ذلك مثلاً هنا.

٤ - فَـقُـدْ بِـزِمَـامٍ بَـظْـرَ أُمِّـكَ واحْـتَـفِـزْ   بِـأَيْـرِ أبِـيـكَ الـفَـسْـلِ كُـرَّاثَ عَـاسِـمِ[١]

الفَسْل: الضعيف، وعاسم: ماء بعالج، يقول: أنت تصلح للقيادة لا للزعامة فلا تطلبها، وقُدْ بَظْرَ أُمِّكَ فإنه عظيم، وخذ أير أبيكَ مكان السّيف فإنَّ السيفَ لا يليقُ بكفّيكَ، وهذا قريب من إعْضَاضِهِم بِهَنِ[٢] الأَبِ.

[٦٢٩] وقال الكَرَوَّسُ[٣] بن زيد بن حصن بن مَصَاد بن مالك بن مَعْقِل بن مالك:

الكَرَوَّس: العظيم الرأس.

---

(١) عاسم: اسم ماء لكلب بأرض الشام بقرب الخَرّ، وقيل هو رمل لبني سعد. وقد ذكر ياقوت الأبيات في: (معجم البلدان ٤/ ٦٧، عاسم).

(٢) الهَنُ، مُخَفَّفًا: الفَرْجُ.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٢).

١ - أَلاَ لَيتَ حَظِّي مِنْ عَطَائِكَ أَنَّنِي عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ

الثاني من الطويل.

يقول: تَمنَّيتُ أن يكونَ الذي حَظِيتُ به من عطائِكَ لي أنّي عَلِمْتُ وأنا وراء الرمل ما أنتَ صانعه وقد قَدِمْتُ عليك، وقوله «وراء الرمل» ظرف لِعلمتُ، و«أنني علمت» خبر ليت، كأنه وَدَّ أن يكون بدل عطائه علمه ما يفعله وكان اختياره بحسبه، ولا يجوز أن يكون «وراء الرمل» يتعلّق بصانع؛ لأنك إن جعلت «ما» موصولاً فالصلة لا تتقدّمُ على الموصول ولا على شيء ممّا يتعلّقُ بها، وإن جعلت «ما» موصوفًا فالصفة لا تتقدّم على الموصوف ولا على ما يتعلّق بها، وإن جعلت «ما» استفهامًا فما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله، وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلقه به على الوجوه كلّها، من طريق الإعراب والمعنى جميعًا.

٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُتَزَحْزَحٌ وَمُتَّسَعٌ مِنْ جَانِبِ الأَرْضِ وَاسِعُ

المُتَزَحْزَح: المَبْعَد، أي كان لي جانب من الأرض أتزحزح فيه عمّا أراه وأَرِدُ عليه.

٣ - وَهَمٌّ إِذَا مَا الجِبْسُ قَصَّرَ نَفْسَهُ طَلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرِّجَالَ المَطَالِعُ

«هَمٌّ» يريد الهِمَّة: أي هَمٌّ يطلب معالي الأمور إذا صعب ذلك على الرجال.

هذا رجل قَصَدَ مَنْ كان يرجوه فخابَ رجاؤه، فقال: ليتني عَلِمْتُ في بلدي ما تصنعه في أمري؛ فكنتُ لا أعرُوكَ، فإنّي كنت بعيدًا عمّا أرى من الذّلّ والخيبة، وكان لي همّ يعلو غير أنّي ما عرفتكَ.

والجِبس: الثقيل الجافي، وقوله «إذا ما الجِبس» ظرف لما دَلَّ عليه هَمٌّ، و«إذا أعيا» ظرف لطلوع، ولا يمتنع أن يكون «إذا ما الجبس» ظرفًا لطلوع، ويجعل «إذا أعيا» بدلاً منه؛ لأن المعنيين متقاربان، والأوّل أقرب.

[٦٣٠] وقال وَضّاح بن إسماعيل[١] بن عبد كُلاَل بن داود بن أبي أحمد:

كُلاَل: مرتجل، وليس منقولاً من جنس.

١ - مَنْ مُبْلِغُ الحَجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَاْقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلاَ

الثاني من الطويل.

السَّلاَ: مقصور، وهو الجلد الذي يكون فيه الولد، والسَّلا إذا انقطعَ عن وجه الصبي حين يولد لم يرجعْ إليه أبدًا انقطاعًا لا وَصْلَ بعده، ويجوز أن يكون المراد اْقطعه

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٤).

قطعًا لا مطمعَ في إصلاحه؛ لأنَّ السَّلا إذا انقطعَ في البطن لم يمكن إخراجه وقتل الحامل، واشتقاق السَّلا من السَّلْوَة لأنه فراق بعد الوصل من غير مُعَاودة ما دامت السلوة باقية، وكذلك السَّلا يفارقُ الولد بعد ملازمته إياه فراقًا لا مُعَاودة معه.

٢ - وَإنْ شِئْتَ فَاقْتُلْنَا بِمُوسى رَمِيضَةٍ   جَمِيعًا فَقَطِّعْنَا بِهَا عُقَدَ العُرَا[١]

رميضة: حادّة، رَمَضْتُ النَّصْلَ، إذا رَقَّقْتَهُ وحَدَّدْتَه، وكان القياس أن يقول رميضًا، إلاَّ أنه جاء على الأصل المتروك، مثل «أعوز» و«استنوق الجمل»، وتُستعار العُرَا في أسباب الوصل، ونصب «عُقَدَ العُرا» على المصدر: أي فَقطِّعْنا تقطيعَ عُقَدِ العُرَا، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

٣ - وَإنْ قُلْتَ لا إلاَّ التَّفَرُّقَ والنَّوَى   فَبُعْدًا أَدَامَ اللَّهُ تَفْرِقَةَ النَّوَى

٤ - فَإنِّي أَرَى في عَينِكَ الجِذْعَ مُعْرِضًا   وتَعْجَبُ أَنْ أَبْصَرْتَ في عَيْنِيَ القَذَى

الجِذع: أصل الشجرة إذا ذهب رأسُها، يُظهِر قلّة مُبالاته بالحجّاج، يقول: إن شئتَ اقطعنا قطعًا لا وصلَ بعده، وإنْ شِئتَ أبعدنا فلا حاجة لنا فيك، وقوله «فإنّي أرى في عينك الجِذع» يقول: إنَّ العداوة بيننا قد رسخت من جهتك، وأنا أرى الجذع يعترضُ في عَينِكَ فلا أنكره وأنت تُنْكِرُ القَذَى، وهذا كما يقال في المثل: تُبْصِرُ القَذَاةَ في عينِ أخيكَ وتَدَعُ الجِذْعَ المعترض في عينكَ، وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لمَن يرى عيوب الناس القليلة ولا يرى عيب نفسه وإنْ عَظُمَ، وينصرف هذا الغرض على غير وجه؛ فيحتمل أن يُنسَب الرجل إلى الغباوة بهذا القول لأنه مِنْ جهله يخفى على الناس أمره، أو يُنسَب إلى أنه يظلم على عمد فيعلم أنه مُسيء إلاَّ أنه يجترىءُ على القبيح وكأن هذا القائل أراد أن إساءتك إليَّ عظيمة وذنبي يسير حقير.

[٦٣١] وقال عَمْرو بن مِخْلاة الحِمَار[٢] الكَلْبي:

١ - ضَرَبْنا لَكُمْ عَنْ مِنبَرِ المُلْكِ أَهْلَهُ   بِجَيْرُونَ إذْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ مِنْبَرَا

الثاني من الطويل.

يعني معاوية وأشياعه، وجَيْرون: اسم قديم، ويقال: إنه رجل من عاد، وقد ذكر في الشّعر الإسلامي، قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عقبة: [البسيط]

القَصْرُ فَالنَّخْلُ فَالجَمَّاءُ بَيْنَهُمَا   أَشْهَى إلى النَّفْسِ مِنْ أَبْوَابِ جَيْرُونِ[٣]

---

(١) عند المرزوقي: «أَقْبَلْنا بموسى» و«قَطَّعْنا».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢١٦)، أما المرزوقي فقد نسب هذه الحماسية لِجَوّاس الكلبي من بني عَدِيّ بن جَنَاب وهو شاعر إسلامي كان معاصرًا لزفر بن الحارث الكلابي (المؤتلف ص ٧٤).

(٣) البيت في معجم البلدان (٢/ ١٥٩).

وجيرون موافق من ألفاظ العرب قولهم: درع جارنة، إذا امْلاَسَّتْ من كثرة الاستعمال، وقولهم: جُرُن الحمام، وغيره؛ فإن كان عربيًا فهو من ذلك النحو، وكذلك قولهم للموضع الذي يُجعَل فيه التمر: جَرِين، وجَيْرون فَيْعُول من «جَرَن» إذا مرنَ، وعَنَى بأهل مِنبر المُلْكِ عَلِيًّا وأولاده، وقوله «إذ لا تستطيعون منبرًا» أي: لا تستطيعون صعودَ منبر.

٢ ـ وأيّامَ صِدْقٍ كُلُّهَا قَدْ عَرَفْتُمُ   نَصَرْنَا ويَوْمَ المَرْجِ نَصْرًا مُؤَزَّرَا

يعني مَرْجَ راهط، وهو اليوم الذي قَتَلَ فيه مروانُ بن الحكم الضَّحَّاكَ بن قَيْس الفِهْرِيّ صاحب شرط معاوية ثم طلب الأمرَ لنفسه وهو يوهمُ أنه مع ابن الزبير، مؤزّرًا: قويًّا، من الأَزْرِ، وهو موضع عقد الإزار من الحقْو.

٣ ـ فلا تَكْفُرُوا حُسْنَى مَضَتْ مِنْ بَلائِنَا   ولاَ تَمْنَحُونَا بَعْدَ لِينٍ تَجَبُّرَا

حُسْنَى: مصدر، وليس تأنيث الأحسن؛ لأنَّ الأفعل والفُعْلى إذا كانا صفتين لا يستعملان نكرة، وهٰهنا قد رُوِيَ منكرًا «فلا تكفروا حُسْنَى من بلائنا».

٤ ـ فَكَمْ مِنْ أمِيرٍ قَبْلَ مَرْوَانَ وَابْنِهِ   كَشَفْنَا غِطَاءَ الغَمِّ عَنْهُ فَأَبْصَرَا

يعني معاوية ويزيد، كشفناه: أي حضرناه في الحرب وهو مكروب فاستقامَ أَمرُه وأبصرَ بعد ما كان لا يهتدي له.

٥ ـ ومُسْتَسْلِمٍ نَفَّسْنَ عَنْهُ وقَدْ بَدَتْ   نَوَاجِذُهُ حَتَّى أَهَلَّ وكَبَّرَا

«نَفَّسْنَ عنه» يعني الخيل، ولم يتقدّمْ ذكرها، ولكنه لمّا كان في ذكر الحرب فدَلَّتْ عليها صارت كالمذكور، «وقد بَدَتْ نواجذُه» أي: قَلَّصت شفتاه من شدّة الأمر، وبالغ بِذِكْرِ النّواجذ، يصف معاوية وما لَحِقَهُ يومَ صِفِّين.

٦ ـ إذَا افْتَخَرَ القَيْسِيُّ فاذْكُرْ بَلاَءَهُ   بِزَرَّاعَةِ الضَّحَّاكِ شَرْقِيَّ جَوْبَرَا

«جَوْبر» بالشَّام، و«قيس» كانت أنصار بني مَرْوَان، وكانوا مع الضَّحَّاك، أسلموه حَتَّى قُتِلَ، يقول: إذا افتخرتْ قيسٌ فاذكرْ خِذْلاَنهم الضَّحَاكَ ليتركوا الافتخار، والزَّرَّاعات: مواضع الزّرع كالملاّحات، والزّرّيع: العِذْيُ[1] يُسْقَى من السّماء، وكلّ ناعم زرِّيع، تشبيهًا به، وقيل في جوبر: إنه نهر، وانتصب «شَرْقِيَّ» على الظّرف، يعني ما وَلِيَ المشرقَ منه.

٧ ـ فَمَا كَانَ في قَيْسٍ مِنِ ابْنِ حَفِيظَةٍ   يُعَدُّ ولٰكِنْ كُلُّهُمْ نَهْبُ أَشْقَرَا

---

(١) العِذْيُ: الزَّرع لا يسقيه إلاَّ المطر.

قوله «نَهْبُ أشقرا» قيل: إنه فرس طُفَيْل بن مالك وكان فَرَّارًا، يقول: كأنما انتهبهم طُفَيْل في ذلك اليوم، وكان اسم فرس طفيل قُرْزُلاً ولذلك قال الآخر يَصِفُ قومًا منهزمين: [المنسرح]

يَغْدُو بِهِمْ قُرزُلٌ وَيَسْتَمِعُ النَّـ ... ـاسُ إِلَيْهِمْ وَتَخْفُقُ اللِّمَمُ

جعل فرس كلّ منهم كَقُرزُلٍ لمّا هربوا، يقول: كأنّهم اتبعهم ذلك اليوم، وقال ابن الكلبي: أشقر رجل من كلب أصاب صندوقًا في إغارة لكلب على إياد، فظنَّ أنَّ فيه خيرًا كثيرًا، ففتحه فإذا فيه عظام، فضربته العرب مثلاً لما لا خيرَ فيه، وقيل: إنه أراد بالأشقر العبد، والعرب تُسَمِّي العجم الحمراء؛ لأن الغالب على ألوان الفرس الصُّهْبَة، وعلى هذا معناه كلّهم نَهْبُ مَنْ لا قدرة له ولا هيبة.

[٦٣٢] وقال جَوَّاس بن القَعْطل الكلبي:

جَوَّاس: فَعَّال من «جاس البلدَ يَجُوسُه» إذا وطئه ودَوَّخه، ورجل جَوَّاس للبلاد، فهو منقول من الوصف، وأمّا القَعْطَل فمرتجل عَلَمًا وليس منقولاً.

١ ـ أَعَبْدَ المَلِيكِ مَا شَكَرْتَ بَلاَءَنَا ... فَكُلْ فِي رَخَاءِ الأَمْنِ ما أَنْتَ آكِلُ

الثاني من الطويل.

يخاطب عبدَ الملك بن مروان، يقول: ما شكرتَ نِعمتَنا في الذَّبِّ عنك، والنصرةِ لكَ، وتوطيدنا ملكَكَ.

٢ ـ بِجَابِيَةِ الجَوْلاَنِ لَوْلاَ ابْنُ بَحْدَلٍ ... هَلَكْتَ ولَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلُ

الجَوْلاَن: موضع، وابن بحدل: قاتل ابن الزبير، يقول: لولا حُمَيْد بن بَحْدل هلكْتَ ولم ينطقْ لقومك، ويُروَى «بقومك قائل» أي: لم تكنْ خليفة تَخْطُب أو يُخْطَبُ لكَ، وإنّما يعاتبه لأنه لمّا قتل ابن الزبير وسكنت الحرب أقبل يَتألَّفُ قيسًا وهم أعداؤه ويوحشُ بني كلب وهم أنصاره، حتى انتهت الحال به إلى أنْ عزَل كثيرًا ممّن استعمله من كلب على أعماله، وجعل أبدالهم من قيس وهم أعداؤه؛ لأنَّ معاوية لمّا هلكَ استخلفَ ابنه يزيد، فبايعه النَّاسُ، ما خلا بني قيس فإنّهم قالوا: لا نبايعُ ابن الكلبيّة، فوقعت الحربُ بين أميّة وقيس، وتعلّق قوله «بجابية الجَوْلاَن» بقوله «ما شكرتَ بلاءنا»؛ و«هلكت» جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف.

٣ ـ فَلَمَّا عَلَوْتَ الشَّامَ في رأسِ باذِخٍ ... مِنَ العِزِّ لا يَسْطِيعُهُ المُتَنَاوِلُ

يعني: لمّا تمَّ سلطانُكَ وعَلاَ أمرُكَ، والباذخ: العالي.

٤ ـ نَفَحْتَ لَنَا سَجْلَ العَدَاوَةِ مُعْرِضًا ... كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ

أي: عاديتنا، والنَّفْحُ: الإصابة اليسيرة، نفحته بالسَّيفِ: أي ضربته بطائفة منه، والسَّجْل: الدَّلو إذا كان فيها ماء، «كأنك مِمَّا أحدث الدهر جاهل» أي: كأنك من أجلِ ما أحدثَ الدّهرُ لكَ جاهلٌ بما يكون.

٥ ـ وكُنْتَ إذَا أشْرَفْتَ مِنْ رَأْسِ هَضْبَةٍ تَضَاءَلْتَ إنَّ الخَائِفَ المُتَضَائِلُ

تضاءلتَ: أي تصاغرتَ خوفًا.

٦ ـ فَلَوْ طَاوَعُونِي يَوْمَ بُطْنَانَ أسْلِمَتْ لِقَيْسٍ فُرُوجٌ مِنْكُمْ ومَقَاتِلُ

ويُروَى «أُسْلِمَتْ فُرُوجُ نساء منكم» وبُطْنَان: بالشام موضع بقنسرين، وقوله «أُسلِمَتْ فروج نساء» يقول: كنت أُشير على قيس بالإصابة منكم لما عرفت من قلّةِ رعايتهم، فلو طاوعوني لمَلَكوا نساءَكم وقتلوكم، وإنما قال هذا لأن القيسيّة كانت تدعو إلى ابن الزبير، وكلب تدعو إلى المروانية، وكان الناس يومئذٍ إنّما يعرفون بِالبَحْدَلية، وهم أصحاب مروان، والزبيرية وهم أنصار ابن الزبير، ولذلك قال عبد الرحمٰن بن الحكم أخو مروان: [الطويل]

وَمَا النَّاسُ إلاَّ بَحْدَلِيٌّ عَلَى الهدَى وَإلاَّ زُبَيْرِيٌّ عَصَا فَتَزَبَّرَا

[٦٣٣] وقال أيضًا:

١ ـ صَبَغَتْ أُمَيَّةُ بِالدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وطَوَتْ أُمَيَّةُ دُونَنَا دُنْيَاهَا

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

أي: حاربنا لأجل بني أُميّة، وقتلنا أعداءَهم، وفازوا بالدّنيا دوننا.

٢ ـ أأُمَيُّ رُبَّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ صِيدِ الكُمَاةِ عَلَيْكُمُ دَعْوَاهَا

«عليكم دعواها» أي: تهديدها، والدَّعوى: الانتساب، كأنه يقول: هدّدوكم منتسبين.

٣ ـ كُنَّا وُلاةَ طِعَانِهَا وضِرَابِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمُ غُمَّاهَا

الولاة: جمع الوالي، وهو المتولّي للشيء الفاعل له، والغُمَّى: الأمر الشديد.

٤ ـ فَاللَّهُ يَجْزِي لاَ أُمَيَّةُ سَعْيَنَا وعُلاً شَدَدْنَا بِالرِّمَاحِ عُرَاها

٥ ـ جِئْتُمْ مِنَ الحَجَرِ البَعِيدِ نِيَاطُهُ والشَّامُ تُنْكِرُ كَهْلَهَا وَفَتَاهَا

أراد بالحجر الجنس، والمعنى: جئتم من المكان الكثير الحجر ومن بلاد الحجر، يعني الحجاز، ومعنى «البعيد نياطه» البعيد مُعَلَّقُهُ، يقال: نُطْتُ الشيءَ أَنوطه نِيَاطًا إذا عَلَّقْته، وروى بعضهم «من الحجز» بالزاي، وقال: يريد الحجاز، وهذا كما قيل في

التِّهامة التَّهَم، قال: [الرجز]

نَظَرْتُ وَالعَيْنُ مُبينَةُ التَّهَمْ[1]

والحاجز والحَجَز واحد، وسُمِّيَ الحجاز حجازًا لأنه يحجز بين الغَوْر والشام وبين البادية، وقوله «والشّام تنكر كهلها وفتاها» أي: لم تعرفكم الشأم لأنكم لم تكونوا أهلَها.

٦ - إذْ أقْبَلَتْ قَيسٌ كَأنَّ عُيُونَهَا حَدَقُ الكِلاَبِ وأظْهَرَتْ سِيمَاهَا

«إذ» ظرف لقوله «جِئتم من الحجر» أي: جئتم وقت إقبال قيس، ويجوز أن يكون ظرفًا لقوله «تنكر كهلها» أي: تنكر في ذلك الوقت، ويُروَى «وتَزَبَّرَتْ قيس» أي: صار هَوَاها زبيريًا، وقوله «كأن عيونها حدق الكلاب» يعني أنها احْمَرَّتْ للعداوةِ والغضبِ، و«أظهرت سيماها» أي علامتها للمحاربة.

[٦٣٤] وقال عبد الرحمٰن بن الحكم:

١ - لَحَا اللهُ قَيسَ عَيلاَنَ إنَّها أَضَاعَتْ ثُغُورَ المُسْلِمِينَ وَوَلَّتِ

٢ - فَشَاوِلْ بِقَيسٍ في الطِّعَانِ وَلاَ تَكُنْ أَخَاهَا إذَا مَا المَشْرِفيَّةُ سُلَّتِ

الثاني من الطويل.

يقال: شَاوَلَ الفحلُ الفحلَ وخَاطَره، إذا هايَجَهُ، يقول: مَارِسْ بقيس من تريد في اللِّين والدَّعَة، ولا تمارسْ بهم في الحرب، فليسوا من رجالها، ولا تكن أخاها إذا انتضيت السيوف فإنّهم لا يثبتون.

[٦٣٥] وقال أبو الأسد[2] في الحسن بن رَجَاء بن أبي الضَّحَّاك[3]:

١ - فَلأَنْظُرَنَّ إلى الجِبَالِ وَأهْلِهَا وإلى مَنَابِرِهَا بِطَرْفٍ أَخْزَرِ

الأول من الكامل.

تعلّقَ الباء من قوله «بطرفٍ أخزرٍ» بقوله فلأنظرن، و«طرف أخزر» يعني أنه ينظر بمؤخر عينه.

---

(١) هذا بيت من الرجز المشطور رواه في اللسان (تهم) وبعده:

«إلى سَنَا نارٍ وَقُودُهَا الرَّتَمْ شُبَّتْ بأعلى عانِدَيْنِ مِنْ إضَمْ»

(٢) أبو الأسد: نُباتة بن عبد الله الحماني التميمي: شاعر من بني حِمّان من أهل الدينور. كان متّصلاً بالفيض بن أبي صالح وزير المهدي العباسي وكان صديقًا لعلويه. (ت نحو ٢٢٠ هـ/ ٨٣٥ م). ترجمته في: (الوزراء والكتاب ص ١٦٤؛ والأغاني ١٢/ ١٦٨).

(٣) الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك: أحد وُلاة الدولة العباسية (الأغاني ١٧/ ١٤٢).

٢ ـ مَـا زِلْـتَ تَـرْكَـبُ كُـلَّ شَـيْءٍ قَـائِـمٍ   حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ المِنْبَرِ

المنبر: مِفْعَل من النَّبْرة، وهو الارتفاع، وأصل النبرة وَرَمٌ في الجسد، ويجوز أن يكون اشتقاقه من رَفْعِ الصَّوتِ، فقد قالوا: رجلٌ نَبَّارٌ بِالكلام، فصيحٌ بليغٌ.

كان أبو الأسد في أيام أبي تمام، وقد مدح أبو تمام هذا الّذي هجاه أبو الأسد، يقول: لا أملأُ عيني من الجبال بعدما صرت أميرًا عليها.

[٦٣٦] وقال الرّاعي النُّمَيْرِيُّ[١]:

نزل بالراعي النميري رجل من بني كلاب في ركبٍ معه ليلاً في سنة مُجْدِبة وقد عَزَبَتْ عن الرَّاعي إبله، فنحر لهم ناقة من رواحلهم، وصبحت الراعي إبله فأعطى رَبَّ الناب نابًا مِثلها، وزادها ناقةً ثنية[٢]، فقال:

١ ـ عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرِّيحُ قَرَّةٌ   إلى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةَ فَالرَّحَا[٣]

٢ ـ إلى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي القِدَّ أَهْلُهَا   وَقَدْ يُكْرَمُ الأَضْيَافُ والقِدُّ يُشْتَوَى

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

القِدُّ: الجلد، وإنّما اشْتَوَوْه لِضيقةِ لَحِقَتْهُمْ.

٣ ـ فَلَمَّا أَتَوْنا فَاشْتَكَيْنا إِلَيْهِم   بَكَوْا وكِلاَ الحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى

أي: كلّ واحد من الحَيَّيْنِ منّا ومِنَ الّذين أتوا بَكَى لِمَا بهم من الضرّ. ثم فسّر بقوله:

٤ ـ بَكَى مُعْوِزٌ مِنْ أنْ يُلاَمَ وطَارِقٌ   يَشُدُّ مِنَ الجُوعِ الإزَارَ عَلَى الحَشَا

إنّما يَشُدُّ الإزارَ على الحَشَا لِيستمسِكَ فقد أضعفهُ الجوعُ.

٥ ـ فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أرَى مِنْ سَمِينَةٍ   وَوَطَّنْتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ والقِرَى

ويُروَى:

تَدَارَكَ فيها نَيّ عَامَيْنِ وَالصَّرَا

أَلْطفْتُ عيني: أي ضممتُ أجفاني فِعْلَ مَن يُدِقُّ النَّظَرَ في الشّيء لأنه يجتمع شعاع عينه إذا فعل ذلك فيكون بصره أقوى، وقوله «تدارك فيها» أي: توالى وتتابع فيها، والنيّ: الشحم.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٨١).

(٢) النَّاب: الناقة المُسِنَّة. والثَّنِيَّة: الناقة الطاعنة في السادسة.

(٣) الرّيح قَرَّةٌ: أي تهبُّ شمالاً ببردٍ شديد. والواو واو الحال.

٦ - فَأَبْصَرْتُها كَوماءَ ذاتَ عَرِيكَةٍ هِجَانًا مِنَ اللاَّتِي تَمَتَّعْنَ بِالصُّوَى

العريكة: السَّنام، والصُّوَى: جمع صُوَّة، وهو ما غلظَ من الأرض، ويُروَى «بِالصَّوَى» من «صَوِيَ الضَّرْعُ» إذا لم يَبْقَ فيه لبنٌ: أي إنَّها حائلٌ لا عَهْدَ لِضَرْعِها باللَّبن، فهو أجدر بأن تكون سمينة، ويُروَى «بالصّرى» وهو بقية اللَّبن في الضَّرع: أي تُرِكَ لَبَنُها لم يُحْلَبْ فيجهد غبره، وإذا رُوِيَ «تمنعنَ» فالمراد أنهنّ امتنعنَ من الشتاء وشِدّته بما ترك فيهنَّ من البقية أو بما وجدنَ من المرعى؛ وإذا رويت «تمتعنَ» فهو من المتعة: أي كان لهنّ نافعًا.

٧ - فَأَوْمَأْتُ إِيماءً خَفِيًّا لِحَبْتَرٍ وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْتَرٍ أَيَّمَا فَتَى

«حَبْتَر» أصله القصير من الناس، و«أيّما فتى» ينشد بالرفع والنصب؛ فالرفع على تقدير قولك أيما فتى هو، والنصب على الحال، وحبتر: غلامه.

٨ - وقُلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ ساقِهَا فَإِنْ يَجْبُرِ العُرْقُوبُ لاَ يَرْقَإِ النَّسَا

الأَيبس: ما قَلَّ عليه اللَّحم من السّاق وغيرها، والعرقوب: عقب مُوَتَّرٌ خلفَ الكعبين فُوَيْقَ العَقِبِ من الإنسان وبين مَوْصِل الوظيفِ والسَّاق من ذوات الأربع، والمعنى أصِبْ ساقَها فإنَّ العرقوب إنْ أمكنَ التّلافي فيه بالجبر والعلاج فإن نَساه لا ينقطع الدّم منه فصاحبها ييأسُ منها عند ذلك، والمعنى اضربها ضربةً ليس في البرء منها مَطْمَعٌ لِيُرضي صاحبها بالعوَض منها ويستقيم أمر الضَّيف والضّيافة.

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ أَنَّ حَبْتَرًا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ ومُنْصُلَهُ انْتَضَى

«غير منكوب» أي: غير مدفوع في صدره؛ ويقال: حافر منكوب إذا أَثَّرَ فيه ما يطؤه من حصى أو حجر، وانتصب «مُنْصُله» لأنه مفعول مُقَدَّم.

١٠ - كَأَنِّي وقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِيَ فَانْجَلَى

يقول: كأنَّه كان على قلبي غطاء من الغمِّ فذهبَ.

١١ - فَبِتْنَا وبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فيها شِوَاءٌ ومُصْطَلَى

خبر «بِتنا» قوله «لنا قبل ما فيها شِواءٌ ومُصْطَلى» شِواءٌ: ارتفع بالابتداءِ، يريد بتنا لنا قبلَ ما أودعَ القدر شواءٌ واصطلاء بالنار، و«ذات هِزَّةٍ» خبر «باتت قدرنا» أي لها هزّة بالغليان.

١٢ - وأَصْبَحَ رَاعِينَا بُرَيْمَةُ عِنْدَنَا بِسِتِّينَ أَبْقَتْهَا الأَخِلَّةُ والخَلا

ويُرْوَى «أَنْقَتْهَا» والمعنى أنها جعلت لها نِقْيًا، وهو مخ السمن، ويقال للسمن: نِقْي، وإذا روي «أبقتها» فهي من البقية، و«الأخلة» قال بعضهم: جمع خليل، وهو

الصديق: أي نعطي إبلنا أخلاءنا فكانت هذه الإبل بقيتهم، ويجوز أن يكون الأخلة جمع خليل، وهو الفقير: أي أعطيناها الفقراء، وقيل: أراد بالأخلّة الرعيان، لأنهم كالأخلاء لها لاجتهادهم في الإحسان إليها، والخَلاَ: ما كان رَطْبًا من النبت، وقيل في الأخلة: إنه جمع خُلَّة من المرعى، وهو ضدّ الحِمْض [جمع][1] على خِلاَل ثم جمع خلال على أخلة، وقيل في الأخلة: إنه جمع الخلال الذي يخل به لسان الفصيل لئلا يرتضع فيكون أقوى للناقة، وقيل: الأخلة ما اختلّ واجتزّ من العشب وهو أخضر، وروى بعضهم «الأجلة» بالجيم، يقال: جُل وجِلاَل وأجلة: أي لم نهملها للبرد، بل ألبسناها وتفقدناها.

١٣ ـ فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْها ثَنِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ في الحَيَا

«في الحيا» يعني في الشحم والسمن، والعرب تسمّي النّبت حَيًا لأنه بالمطر يكون، ثم تسمّي الشحم حَيًا لأنه بالنبت يكون، ومعناه قلت لرب الناب: خذها ثنية فَضْلاً عن نابك وناب علينا واجب مثل نابك في السمن عوضًا عمّا نحرناها فخذها مع الثنية، وليس هذا من الهجو في شيء وإنما أورده أبو تمام لما يتبعه من قصيدة خنزر بن أرقم.

[٦٣٧] وقال في ذلك خَنْزَرُ بن أرقَم:

واسمه الحلال، وهو أحد بني بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمَير، والراعي: من بني قَطَن بن ربيعة.

«خنزر» إن كانت النون فيه زائدة فهو من خَزَر العَيْن، ولفظه من لفظ الخنزير، وقيل: إن الخَنْزَرَة فأسٌ غليظة تُكْسَرُ بها الحجارة.

١ ـ بَنِي قَطَنٍ؛ مَا بَالُ نَاقَةِ ضَيْفِكُمْ تَعَشَّوْنَ مِنْها وهيَ مُلْقَى قُتُودُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

والقُتُود: خشب الرَّحْل، الواحد قَتَدٌ، وعند البصريين لا واحد له.

٢ ـ عَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشي ونَاقَةُ رَحْلِهِ عَلَى طُنُبِ الفَقْمَاءِ مُلْقًى قَدِيدُهَا[2]

الفَقْمَاء: لقب امرأة الرّاعي، والفَقَم: تقدّم الثنايا السّفلى فلا تقع عليها العليا، وكان من عادتهم أن يلقوا القديد على الأطناب يجفّفونها، ويُروَى «وناقة رجله» يريد الناقة التي كانت تحمل رجله، ومَنْ روى «ناقة رحله» أي: الرَّحل المُلْقَى.

٣ ـ وَبَاتَ الكِلاَبِيُّ الَّذِي يَبْتَغِي القِرَى بِلَيْلَةِ نَحْسٍ غَابَ عَنْها سُعُودُهَا

---

(١) زيادة لا بد منها، وقد سقطت من الأصول.

(٢) عند المرزوقي: «غدا ضيفُكم» أي ابتكر يمشي.

٤ ـ أَمَنْ يَنْقُصُ الأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

انتصب «عادةً» على التمييز، و«إذا نزل» ظرف لقوله «أمن ينقص الأضياف» وكَرَّرَ لفظ الأضياف، ولم يأتِ بالضمير على عادتهم في تكرير الأعلام والأجناس.

٥ ـ كَأَنَّكُمُ إِذْ قُمْتُمُ تَنْحَرُونَهَا بَرَاذِينُ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

٦ ـ فَمَا فَتَحَ الأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْأَةٍ بَنِي قَطَنٍ إِلاَّ وَأَنْتُمْ شُهُودُهَا

شَبَّهَهم بالبراذين لِعَجزهم وفشلهم، وهم يضربونها مَثَلاً لكلِّ مذموم، ويحتمل أن يكون شَبَّهَهم بالبراذين لما حرصوا على أكل لحمها لأنَّ البراذين تحرصُ على أكلِ العَلَفِ.

[٦٣٨] فأجابه الراعي بقصيدة منها:

١ ـ مَاذَا ذَكَرْتُمْ مِنْ قَلُوصٍ نَحَرْتُهَا بِسَيْفِي وَضِيفَانُ الشِّتَاءِ شُهُودُهَا[(١)]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «من كَزُوم عقرتها» والرواية الجيدة «ماذا نكرتم» يقال: نَكِرْت الشَّيء وأنكرته بمعنى، فأمَّا «ماذا ذكرتم» فمراده ماذا عَيَّرْتُم، والكزوم: الناقة المُسِنَّة التي مِشْفَرُها الأعلى أطول من الأسفل.

٢ ـ فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَاحَ عَلَى عَنْسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا

العَنْس: الناقة الصَّلبة القويّة.

٣ ـ قَرَيْتُ الكِلاَبِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي القِرَى وَأُمَّكَ إِذْ يُخْدَى إِلَيْنَا قَعُودُهَا[(٢)]

٤ ـ رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقَّبُ لِلْقِرَى وَلِقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيلاً رُكُودُهَا

أراد باللِّقْحَة قدرًا، وجعل ركودها طويلاً لِثقلها، ولأنها لا تنزل إلاَّ للغسل ثم تُعادُ، والجفنة الرَّكود: الثقيلة الممتلئة.

٥ ـ إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبِيتَ نَذُودُهَا

«إذا أُخليت» أي: جعل الحَطَبَ لها بمنزلة الخلا للناقة فأوقد تحتها، ويُروَى «إذا خُلِّيَتْ» أي: جُعِلَ الحطبُ لها بمنزلة الولد فهو لها كالولد وهي له كالناقة الخَلِيَّة، وهي التي تعطفُ على ولدها فَتَرْأَمُه؛ وأرزَمت: صاحت بغليانها.

---

(١) عند المرزوقي: «عقرتُها».

(٢) عند المرزوقي «إذ تَخدي إلينا قعودها»، والخَدْيُ: ضَرْبٌ من السَّير، والقَعود: البَكْر إذا بلغ الإثناء، وما يركبه الراعي ويحمل عليه زاده يسمّى القعود. ويُخْدَى إلينا: من حَدَا الإبل إذا ساقها.

٦ ـ إذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسِبْتَها نَعَامَةَ حِزْباءٍ تَقَاصَرَ جِيدُها

الحِزْباء: الأرض الصّلبة المرتفعة؛ شَبَّهَ القِدر بالنعامة لأنها تُكثِر رفع رأسها ووضعه، لجُبْنها ونفورها، فكذلك القِدْرُ ترفع المَحَال وتخفضها لِشدّة غليانها، وقال «تقاصرَ جِيدُها» ليتبيَّنَ وجه التشبيه منه.

٧ ـ تَبِيتُ المَحَالُ الغُرُّ في حَجَراتِها شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

المَحَال: فِقَرُ الظَّهر، وجعلها غرًّا لسمنها، والحجرات: النّواحي، وجعلها شكارى لامتلائها، ويقال: شاةٌ شَكِرَةٌ، إذا كانت غزيرة، وضَرَّةٌ شَكْرَى: ممتلئة، ومعنى «مَرَاهَا» استخرج دَسَمها، ومَاؤُها: مَرَقَتُها، وحديدها: مِغْرَفَتها.

٨ ـ بَعَثْنا إلَيْهَا المُنْزِلَيْنِ فَحَاوَلاَ لِكَيْ يُنْزِلاَهَا وَهْيَ حَامٍ حُيُودُهَا

ارتفع «حيودها» بحام، وإنما ثَنَّى المنزِلَيْن ليري أنَّ الواحدَ لا يطيقها ولا ينهض بتحريكها لِثقلها، واللامُ من قوله «لِكَي ينزلاها» يجوز أن تتعلَّقَ بقوله بعثنا، كأنه قال: بعثنا المُنزِلَين إليها لِكَي ينزلاها فحاولا، وحذف مفعول «حاولا»؛ وكي هذه: هي الناصبة للفعل؛ لذلك دخلها اللاّم الجارَّة، والمحاولة: مطاولة الأمر بالحيَل، والحُيُود: الجوانب.

٩ ـ فَبَاتَتْ تَعُدُّ النَّجْمَ في مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعٍ بِأَيْدِي الآكِلِينَ جُمُودُهَا

المستحيرة: المتحيّرة في امتلائها: أي في مَرَقِها، يقول: من صفائها وكثرة دسمها ترى فيها نجوم السّماء، وقيل: شَبَّهَ الراعي النُّفَّاخَات الَّتي كانت على رأسها من كثرة الدسم بالنجوم، و«جمودها» ارتفع بسريع، ويجوز أن يُروَى «سريع» بالرفع؛ على أن يكون خبرًا للمبتدأ وقد قُدِّمَ عليه، والمبتدأ «جمودها»، قال النمريّ: يعني امرأة أضافها، وأراد بالنّجم النّجوم، وهذا كما يقال: قل الدرهم والدينار، يُراد به الجنس، ويقال: بل أراد بالنّجم الثّريّا بعينها، والأول أصحّ، قال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المَثَل: [الكامل]

إنَّ الكَرِيمَةَ يَنْصُرُ الكَرَمَ ابْنُهَا وَابْنُ اللَّئِيمَةِ لِلِّئَامِ نَصُورُ

كثيرًا ما يرجّح أبو عبد الله الرديء على الجيد، والغَثّ على السمين، وهذا يدلُّ على قِلّة معرفة منه بمذاهب العرب في معاني أشعارها، ولا يجوز أن يكون النجم هنا إلاّ الثّريا، وذلك أنَّ في البيت خبيئة لم يُخرِجها أبو عبد الله، وذلك أنَّ الثّريّا لا تكاد تُرَى في قعر الجفنة وغيرها من الأواني، إلاَّ أن يكون قم الرأس، ولا يكون قم الرأس إلاَّ في صميم الشتاء، ويقال حينئذ «أقعر النجم» ومنه قول الكميت «إذا النَّجْمُ أَقْعَرَا»، وقوله «تَعُدُّ النجمَ» أي: لصفاء الوَدَكِ في الجفنة تعرف عدد الثّريّا فيها، وهذا معنى

مليح، وذلك أن نجوم الثّريّا لا يكاد يعدّها إلاّ ذو بَصَرٍ حديدٍ، ولذلك يقول القائل: [الطويل]

إذَا مَا الثُّرَيَّا في السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ ... يَرَاهَا حَدِيدُ العَيْنِ سَبْعَةَ أَنْجُمِ

وقال أبو العلاء: كان بعض الناس يجعل «يعدّ» هنا من العدد: أي إنَّ هذه المرأة تعدُّ النَّجمَ في الجفنة المستحيرة: أي المملوءة؛ لأنّها ترى خيال النجوم فيها؛ وقد يجوز هذا الوجه، وقد يحتمل أن يكون «تعدّ» في معنى تحسب وتظنُّ، وأصله راجع إلى العدد إلاّ أنه قد أخرج بعض الإخراج، كما قال: [الوافر]

إذَا أَوْلَـيْـتَ مَـعْـرُوفًـا لَـئِـيـمًـا ... فَـعُـدَّكَ قَـدْ قَـتَـلْـتَ لَـهُ قَـتِـيـلاَ

أي: فَاظْنُنْ أَنَّكَ فعلتَ ذلك، والمراد أنَّ المرأة تحسبُ النجمَ في الجفنة لما تراه من بياض الشَّحم.

١٠ ـ فَـلَـمَّـا سَـقَـيْـنَـاهَـا الـعَـكِـيـسَ تَـمَـلأَتْ ... مَـذَاخِـرُهَـا وَارْفَـضَّ رَشْـحًـا وَرِيـدُهَـا[١]

١١ ـ وَلَـمَّـا قَـضَـتْ مِـنْ ذِي الإنـاءِ لُـبَـانَـةً ... أَرَادَتْ إلَـيْـنَـا حـاجَـةً لاَ نُـرِيـدُهَـا[٢]

[٦٣٩] وقال رجل من بني أسد:

١ ـ دَبَـبْـتَ لِـلْـمَـجْـدِ والسَّـاعُـون قَـدْ بَـلَـغُـوا ... جَـهْـدَ الـنُّـفُـوسِ وأَلْـقَـوْا دُونَـهُ الأُزُرَا

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الدَّبِيبُ: المشي الرّويد، والسَّعي: السَّيْرُ بجدٍّ وتشميرٍ، وقد بلغوا جهدَ النفوس: أي احتملوا المشقَّةَ؛ وإلقاءُ الأُزُرِ مَثَلٌ لِلتشمير.

٢ ـ فَـكَـابَـرُوا الـمَـجْـدَ حَـتَّـى مَـلَّ أَكْـثَـرُهُـمْ ... وعَـانَـقَ الـمَـجْـدَ مَـنْ أَوْفَـى ومَـنْ صَـبَـرَا

أي: ركبوا العظائمَ فيه، «وعانقَ المجد» أي: بلغه حتى خالطه «مَنْ أوفى» من الوفاء، ومَنْ صبر على شدائده.

٣ ـ لاَ تَـحْـسَـبِ الـمَـجْـدَ تَـمْـرًا أَنْـتَ آكِـلُـهُ ... لَـنْ تَـبْـلُـغَ الـمَـجْـدَ حَـتَّـى تَـلْـعَـقَ الـصَّـبِـرا

هذا تقريع، والمراد لا تظننَّ المجدَ يُدْرَكُ بِالسَّعي القصير، إنّما يُدْرَكُ بتجرّع المرارات دونه واقتحام المعاطب بسببه، ويقال: لَعِقْتُ الصَّبْرَ لَعْقًا، واسم ما يُلْعَقُ اللَّعُوق.

---

(١) هذا البيت منسوب في اللسان (عكس) لأبي منظور الأسديّ. والعكيس: لبن يُصَبُّ على المَرَقِ. وارْفَضّ: انصبَّ.

(٢) ذو الإناء: الطعام.

[٦٤٠] وقال آخر:

١ - ومُستَعْجِلٍ بِالحَرْبِ والسِّلْمُ حَظُّهُ فَلَمَّا اسْتُثِيرَتْ كَلَّ عَنها مَحَافِرُهْ

الثاني من الطويل.

يقال: استعجلَ الشَّيء، إذا طلب عجلته، ولم يصبرْ إلى وقته وإِنَاه، ومحَافِرُه: المراد بها سلاحه، ضربه مَثَلاً، والمحافر: جمع مِحْفَر، وهو آله الحفر.

٢ - وَحَارَبَ فِيهَا بِامْرِئٍ حِينَ شَمَّرَتْ مِنَ القَوْمِ مِعْجَازٍ لَئِيمٍ مَكَاسِرُهْ

المِعجاز: الدائم العَجْز، ومكاسره: أصوله ومختبره، وشَمَّرَت الحربُ: اشتدَّتْ.

٣ - فأَعْطَى الَّذِي يُعْطِي الذَّلِيلُ ولَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيُ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهْ

الذي يعطيه الذليل هو الذلّ في الهزيمة أو الأَسْر، «ولم يكن له سعي صِدقٍ» أي: لم يكن له قديم وسعي لسلفه حميد فكان يرثُ ذلك عنهم أو يقتدي بهم.

[٦٤١] وقال إسماعيل بن عَمَّار الأَسديّ[١]:

١ - بَكَتْ دَارُ بِشْرٍ شَجْوَهَا إِذْ تَبَدَّلَتْ هِلالَ بنَ مَرْزُوقٍ بِبِشْرِ بْنِ غَالِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قال دعْبَل بن عليّ: هي للوليد بن كعب، قالها لمّا ماتَ بِشر بن غالب واشترى داره هلال بن مرزوق، و«شَجْوَها» انتصب على أنه مفعول له، والشاعر يفضّل بِشرًا على هلال، ويقول: إنَّ الدَّارَ التي كان بِشْرٌ ينزلُها فصار هلال بَدَلاً منه فيها بَكَتْ وحُقَّ لها ذلك.

٢ - وهَلْ هِيَ إلاَّ مِثْلُ عِرْسٍ تَبَدَّلَتْ عَلَى رَغْمِهَا مِنْ هَاشِمٍ في مُحارِبِ[٢]

يقول: ما هي في استبدالها إلاَّ كعروسٍ زُوِّجَتْ في هاشم ثمّ انتقلتْ إلى محارب، ومحاربٌ فيها ضَعَةٌ وخمولٌ، حتّى قال بعض الشعراء وهو يحلف: [الطويل]

فَصَيَّرَنِي رَبِّي إذًا مِنْ مُحَارِبِ

[٦٤٢] وقالت امرأة[٣] قُتِلَ زوجُها في جوار الزِّبرقان فلم يطلبْ بثأره:

١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ تُوافِقُوهَا بِأَسْمَاءِ مَجَادِعُهَا قِصَارُ

(١) إسماعلي بن عَمَّار الأسديّ: شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان ينزل الكوفة فيسمع غناء قِيان لرجل يدعى ابن رامين ويقول فيهنّ الشعر (ت نحو ١٥٧ هـ/ ٧٧٤ م). ترجمته في: (الأغاني ١١/ ٣٦٧، دار الكتب العلمية).

(٢) عند المرزوقي: «مثل عِرسٍ تحوَّلَتْ».

(٣) في أشعار النساء ص ٩٤، قال: هي أسماء بنت مسعود من عبد القيس.

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

يقول: إذا وردتم سوق عُكَاظ، وهو وادٍ للعرب فيه سوق لهم، ووافقتم أهلها؛ تصامَمْتُم لِكَثْرَةِ ما تسمعون من مَثَالِبِكُم فشبّهتم بمَن جُدِعَ سَمْعُه.

٢ - أَجِـيـرانَ ابْـنِ مَـيَّـةَ خَـبِّـرُونِـي أَعَـيْـنٌ لابْـنِ مَـيَّـةَ أَمْ ضِـمَـارُ

العين: النقد الحاضر، والضِّمَار: دَيْنٌ لا يُرْجَى قضاؤُهُ، ومعناه أتدركونَ ثأر ابن مَيَّة أمْ يُطَلُّ دَمُهُ.

٣ - تَـجَـلَّـلَ خِـزْيَـهـا عَـوفُ بْـنُ كَـعْـبٍ فَـلَـيْـسَ لِـخَـلْـفِـهَـا مِـنْـهُ اعْـتِـذَارُ

أي: لبس مذلّتها: أي خِزْيَ هذه الخطّة، والخلف: الأعقابُ، ولا يُستعمل إلاّ في الذمّ.

٤ - فـإنّـكُـمُ ومَـا تُـخْـفُـونَ مِـنْـهَـا كَـذَاتِ الـشَّـيْـبِ لَـيـسَ لَـهَـا خِـمَـارُ

أي: الأمر أظهر من أن يُكْتَم.

وخبر هذه الأبيات أنَّ رجلاً من عبد القيس كان يقال له ابْنُ مَيَّة، وكان جارًا للزِّبْرِقان بن بدر، فَقَتَله رجل من بني عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة في جوار الزبرقان، وكان الذي قتله يقال له هَزَّال، قتله بموضع يقال له ذو شُبْرُمَان، فحلف الزبرقان لَيَقْتُلَنَّ هَزَّالاً، وقالت امرأته هذه الأبيات، ثم سعت بنو سعد في القصّة حتى أصلحوها، وفدى ابن ميَّةَ، ثم مكثوا هُنَيَّة من الزّمان؛ وخطَب هَزَّال إلى الزبرقان أُخته خُلَيْدَة، فزوَّجَهُ إيّاها، فلمّا هاجاه المخبَّل نعى ذلك عليه، فقال: [الطويل]

وَأَنْكَحْتَ هَزَّالاً خُلَيْدَةَ بَعْدَمَا زَعَمْتَ برأسِ العَيْنِ أَنَّكَ قَاتِلُهْ
وَأَنْكَحْتَهُ رَهْوَى كَأنَّ عِجَانَهَا مِشَقُّ إهَابٍ أوْسَعَ السَّلْخَ نَاجِلُهْ[1]
يُلاَعِبُهَا تَحْتَ الفِرَاشِ وَجَارُكُمْ بِذِي شُبْرُمَانَ لَمْ تُزَيَّلْ مَفَاصِلُهْ

النَّاجل: الذي يسلخُ الشَّاةَ من رِجلَيها جميعًا، فإذا كان من رِجل واحدة فهي مرجلة.

ثم إن المخبَّل سَارَ في طلب حاجةٍ له، فمرَّ بحيٍّ من العرب، فنزل بهم، فأوى إلى بيت امرأةٍ فَقَرَتْه وأحسنت إليه، ثم سَفَرَت فرأى أَحْسَنَ الناس وجهًا، فلمّا ارتحلَ زَوَّدَتْهُ فأحسنَتْ زادَه، فقال: أيتها المرأة، مَنْ أنتِ؟ وممَّن أنت؟ فما رأيت أكرم منك فِعلاً، ولا أحسنَ منك وجهًا، فقالت: أنا امرأة من بعض بنات عَمِّكَ، قال: فما اسمكِ؟

(١) الرَّهْوُ: المرأة الواسعة الفَرَج.

قالت: رَهْوَى، والرَّهو: الواسع، فقال: يا سبحان الله!! ما وجد لكِ أهلك اسمًا غير هذا؟ فقالت: إنهم قد سمّوني خُلَيْدَة وسَمَّيْتَني رَهْوَى، فقال: واسوأتاه!! ورحل وهو يقول: [الطويل]

ضَلِلْتُ لَعَمْرِي في خُلَيْدَةَ، إنَّنِي ... سَأُعْتِبُ قَوْمِي بَعْدَهَا وَأَتُوبُ
فَأَشْهَدُ وَالمُسْتَغْفِرُ اللَّهُ إنَّنِي ... كَذَبْتُ عَلَيْهَا والهِجَاءُ كَذُوبُ

[٦٤٣] وقال آخر:

١ ـ تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ العَيْشِ وَاتَّقَتْ ... بِنا كُلَّ فَجٍّ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا[١]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: استأثرتْ قريشٌ بِلَذَّةِ العَيْشِ وقَدَّمَتْنَا إلى خراسان.

٢ ـ فلَيْتَ قُرَيْشًا أصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ ... تَعُومُ بِهَا بَحْرًا مِنَ المَوْجِ أَكْدَرَا

أي: ليتَ قريشًا أَمَّتْ بنا بحرًا بدلاً من طرق خراسان لنغرق فنتخلصَ، ويحتمل أن يكون الضمير في «بها» يرجع إلى العرب، أو إلى القبائل؛ لأنهم كانوا يوجِّهونَ إلى خراسان، وقيل: الضمير في «بها» لقريش، يتمنّى هلاك قريش؛ والكَدَر: نقيض الصَّفاء، وقوله «ذات ليلة» يريد الساعة التي تكون فيها اللَّيلة المطلوبة، وعلى هذا قولك: فعلت كذا ذات العشاء، تريد الساعة التي فيها العشاء، والمعنى: أصبحت منها على هذه الحالة قريش: أي حصلتْ من ليلتها على صباحٍ هكذا.

[٦٤٤] وقالت امرأة تهجو قتادة بن مُغْرِب اليشكريَّ، وهو زوجها:

١ ـ حَلَفْتُ، ولَمْ أكْذِبْ، وَإلاَّ فَكُلُّ مَا ... مَلَكْتُ لِبَيْتِ اللَّهِ أُهْدِيهِ حَافِيَهْ

الثاني من الطويل.

قولها «ولم أكذبْ» في موضع الحال: أي حلفتُ صادقةً في خبري، وإلاَّ فما أملكه لبيتِ الله، يعني لِمَن حَولَ بيت الله، فحذفت، وقولها «أهديه» يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ، كأنها قالت: وإلاَّ فما أملكه أهديه لبيتِ الله، حافية: أي في هذه الحال، واللاَّم من «بيت الله» على هذا تتعلّق بأهديه، ويجوز أن يكون «لبيت الله» خبر المبتدأ، و«أهديه» إن شئت كان مستأنفًا، وإن شئت كان خبرًا ثانيًا، وإن شئت كان بدلاً.

٢ ـ لَوَ انَّ المَنَايا أعْرَضَتْ لاَقْتَحَمْتُها ... مَخَافَةَ فِيهِ؛ إنَّ فِيهِ لَدَاهِيَهْ[٢]

(١) الفَجّ: الطريق الواسع.

(٢) عند المرزوقي: «إنّ فَاهُ لَدَاهيَهْ» فيكون «فاه» اسم إنّ، وإذا صَحَّتْ رواية التبريزي كان التقدير: «إنَّ في فِيهِ».

«أعرضَتْ» أي: مَكَّنَتْ من النظر إلي عُرْضِها: أي إلى الجانب الذي تجيءُ منه، لاقتحمتها: أي لوقعتُ فيها، وانتصب «مخافة» على أنه مفعول له.

٣ ـ فَمَا جِيفَةُ الخِنْزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مُغْرِبٍ قَتَادَةَ إلاَّ رِيحُ مِسْكٍ وَغَالِيَهْ

تريد ما رائحة جيفة الخنزير إلاَّ ريح مِسكٍ.

٤ ـ فَكَيفَ اصْطِبَارِي يَا قَتَادَةُ بَعْدَ مَا شَمِمْتُ الَّذِي مِنْ فِيكَ أَثْأَى صِماخِيَهْ

تقول: كيف أتكلَّفُ صبرًا على مجاورتك والكَوْن معك بعد ما بُلِيتُ به من بَخَرِكَ وَنَتَنِ فِيكَ الَّذي أفسدَ عليَّ آلةَ الشَّمِّ والسَّمْعِ، تقول: أَثَّرَتْ ريحُه في الأُذن فكيف يكون حال الأنفِ.

[٦٤٥] وقال عبد الله بن أوفى الخُزَاعيّ في امرأته:

١ ـ نَكَحْتُ ابْنَةَ المُنْتَصَى نَكْحَةً عَلَى الكُرْهِ ضَرَّتْ ولَمْ تَنْفَعِ[(١)]

من ثالث المتقارب، والقافية متدارك.

قوله «على الكُرهِ» في موضع الحال من نكحت، وقوله «ضَرَّتْ» من صفة «نَكْحةً»، وكذلك ما في البيت الثاني من الجمل كلّها في موضع الصفة لها، وهو قوله:

٢ ـ ولَمْ تُغْنِ مِنْ فَاقَةٍ مُعْدِمًا ولَمْ تُجِدْ خَيْرًا ولَمْ تَجْمَعِ

يقول: نكحتُ هذه المرأة نكحةً ضارَّةً غير نافعة في شيء من الوجوه فما أَغْنَتْ من العدم عديمًا، ولا أنالَتْ خيرًا، ولا جمعت شملاً، وحذف مفعول «لم تجمع» لأن المراد مفهوم.

٣ ـ مُنَجَّذَةً مِثْلَ كَلْبِ الهِرَاشِ إذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعِ

مُنَجَّذة: من النّاجذ، وهو ضِرْسُ الحِلْم، والنَّواجذ أربعة أضراس، وقال بعضهم: هي الضَّوَاحِكُ، محتجًّا بحديث النبي ﷺ أنه «ضَحِكَ حتى بَدَتْ نَوَاجذه»[(٢)] فيقول: إنَّها قد جُرِّبَتْ وملَّ منها ومَلَّتْ، وقوله «إذا هَجَع النَّاسُ لم تهجع» يصفها بأنها تمشي بالنَّمائم، ولذلك قال الآخر: [الكامل]

قَوْمٌ إذَا دَمَسَ الظَّلاَمُ عَلَيْهِمُ حَدَجُوا قَنَافِذَ بِالنَّمِيمَةِ تَمْزَعُ[(٣)]

لأن القنفذ لا ينام باللَّيل.

---

(١) عند المرزوقي: «ابنةَ المُنْتَضَى».

(٢) مجمع الزوائد ٥/٢٠١؛ وابن أبي شيبة في المصنف ١١/٣٧٩.

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب في المفضليّة رقم (١٤٧).

٤ ـ مُـفَـرِّقَـةً بَـيْـنَ جِـيـرَانِـهـا وَمَا تَـسْـتَـطِـعْ بَيْـنَـهُـمْ تَـقْـطَـعِ

يقول: هي بوشاياتها تُفَرِّقُ بين الخُلَطاء، وتقطّع الأواصرَ بينهم، ولك أن تنصب «منجذةً» و«مفرقةً» على الحال، ولك أن ترفعهما على الاستئناف وقوله «ما تستطعْ» شرط وجزاء، والمفعول محذوف، فهو كقولك «ما يُطِقْ يَفْعَلْ».

٥ ـ بِـقَـوْلِ «رَأَيْـتُ» لِـمَـا لاَ تَـرَى وقِـيـلِ «سَـمِـعْـتُ» ولَـمْ تَـسْـمَـعِ

الباء في «بقول» تتعلّقُ بقوله تقطع، والمعنى أنها تباهتُ وتكابرُ، ورواه بعضهم:

تَـقُـولُ رَأَيْـتُ لِـمَـا لاَ تَـرَى وَقَـالَـتْ سَـمِـعْـتُ وَلَـمْ تَـسْـمَـعِ

والأوّل أجود.

٦ ـ فَـإِنْ تَـشْـرَبِ الـزِّقَّ لاَ يُـرْوِهَـا وإِنْ تَـأْكُـلِ الـشَّـاةَ لاَ تَـشْـبَـعِ

«إن تشرب الزِّقَّ» أي: ما في الزِّقّ.

٧ ـ ولَـيْـسَـتْ بِـتَـارِكَـةٍ مَـحْـرَمًـا وَلَـوْ حُـفَّ بِـالأَسَـلِ الـشُّـرَّعِ

«مَحْرَمًا» أي: حرامًا، والحُرْمَة: ما لا يحلُّ انتهاكه، وكذلك المحارم، وفي المَثَل «لا بُقْيَا لِلحَمِيَّةِ بعدَ الحرام» أي: عند الحُرْمَةِ، وهو ذو مَحْرَم وحُرْمة في القرابة، ويقال: أشرَعْتُ الرُّمح قِبَلَهُ فشرعَ.

٨ ـ ولَـوْ صَـعِـدَتْ فـي ذُرَى شَـاهِـقٍ تَـزِلُّ بـهـا الـعُـصْـمُ لَـمْ تُـصْـرَعِ[1]

العُصْم: الأوعال، وإنّما سُمِّيَتْ عُصْمًا لِبياضِ أيديها، والعَصَمُ: بياض في يد ذوات الأربع.

٩ ـ فَـبِـئْـسَـتْ قِـعَـادُ الـفَـتَـى وَحْـدَهـا وَبِـئْـسَـتْ مُـوَفِّـيَـةُ الأَرْبَـعِ

يقول: إنّها إذا انفردتْ فهي مذمومة، وكذلك إن كان معها ثلاث نسوة، وقال أبو العلاء: قِعَادُ الفَتى ما يقعده في بيته، لأن المرأة تسمّى قَعيدة وهي من القُعُود في البيت، ومن ذلك أخذ القَعود من الإبل، وهو الفَتِيُّ الذي قد صلحَ أن يَقعدَ عليه الرّاكبُ، والقعود: كلمة اتّسَعَ فيها المتكلّمون، حتى قال أصحاب الأضداد: يقال: قَعَدَ، في معنى قام، وليس ذلك إلاّ على المجاز؛ لأنّ القاعد خلاف المضطجع، فلمّا كان ذلك خروجًا من حال الضِّجعة إلى ما هو أعظم للشخص ظَنَّ السَّامع أنَّ قعدَ في

(١) بها: أي بالذُّرى.

معنى قام، وقول النابغة: [الكامل]

وَالبَطْنُ ذُو عُكَنٍ خَمِيصٌ نَاعِمٌ   وَالنَّحْرُ تَنْفُجُهُ بِثَدْيٍ مُقْعَدِ[1]

أراد أنه لم ينكسرْ لِلكبر فكأنه قاعد، ولو قيل «جارية قائمة الثّدي» لأَدّى ذلك معنى قولهم: ثَدْيٌ مُقْعَدٌ، فمن هذه الجهة تأوّلَ بعض النّاس أنَّ قَعَدَ يكون في معنى قام. ويقع في بعض النسخ هذه الأبيات منسوبة إلى ابن الهندي قالها في امرأته، وأول البيت «نَكَحْتُ بِشهبيذق نكحَةً».

[٦٤٦] وقال بعضُ آلِ المهلَّب[2]:

قال دِعْبل: هو عبد الله بن عبد الرّحمٰن، ولقبه أبو الأنوار.

١ - قَوْمٌ إذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلامَهُمُ   واسْتَوْثَقُوا مِنْ رِتَاجِ البَابِ والدَّارِ

٢ - لاَ يَقْبِسُ الجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِم   ولاَ تُكَفُّ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الجَارِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

القَبَس: الشُّعلة من النار، والقابس: طالب النّار، ويقال: قَبَسْتُ النّارَ واقتبستها وأَقبسنيها فلانٌ، وَالمِقْبَاس: نحو من القَبَسِ، والرّتاج: الغَلَق، ورتجت الباب وأَرْتَجته بمعنى.

[٦٤٧] وقال آخر:

١ - كَاثِرْ بِسَعْدٍ إنَّ سَعْدًا كَثِيرَةٌ   وَلاَ تَبْغِ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءً وَلاَ نَصْرَا

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

كَاثِرْ: أمر من كاثرته إذا غالبته بِالكَثْرة، ويقال: كاثرته فكَثَرْتُهُ أَكْثُرهُ بضم العين، وعلى هذا يجيءُ البناء، سواءً كان مفتوحًا في الأصل أو مضمومًا أو مكسورًا، إلاَّ أن يكون البناء معتلاً، فإنه يُتْرَكُ على حالته، يقال: باكيته فبكيته أَبْكِيه، لا غير، وذلك لِئَلاَّ يلتبسَ بنات الياء ببنات الواو.

٢ - ولاَ تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلِّهَا   إذَا أَمِنَتْ ونَعْتَهَا البَلَدَ القَفْرَا

يصفهم بالسَّلاقة في حال الأمن، يقول: إنهم لا يصلحون للحرب، وإنما يصلحون لقول الشعر.

٣ - يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِ بْنِ عَمْرٍو جُسُومُهَا   وَتَزْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٩٢؛ ولسان العرب (قعد)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ٤٩؛ وكتاب العين ١/ ١٤٢؛ وتاج العروس (قعد)؛ وأساس البلاغة (قعد).

(٢) البيتان في أمالي القالي ٣/ ٧٢ لعبد الله؛ وفي الحماسة البصرية ٢/ ٢٥٦؛ لداود بن عيينة المنقريّ؛ وفي العقد الفريد ٦/ ١٨٧ لجرير.

[٦٤٨] وقال آخر: [الوافر]

١ ـ أعَاريبٌ ذَوُو فَخْرٍ بإفْكٍ ... وألْسِنَةٍ لِطَافٍ في المَقَالِ

أعاريب: جمع أعراب، وأعراب: جمع عَرَب، وفَرَّقَ النَّاسُ بين المعنيين فجعلوا العربي الذي له نسبٌ صحيحٌ في العرب وإنْ كان ساكنًا في الأمصار، والأعرابَ الذين يكونون في البادية، والأصل واحد، ولكنهم ربما فَرَّقوا بين الشيئين المتقاربين إرادة البيان، قال: [الرجز]

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصْلَبِيِّ ... مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيِّ[1]

وقال الآخر: [الطويل]

يُسَمُّونَنَا الأَعْرَابَ وَالعَرَبُ اسْمُنَا ... وَأَسْمَاؤُهُمْ فِينَا رِقَابُ المَزَاوِدِ

وسُمِّيَ الكَذِبُ إفْكًا لأنه مَصْرُوف عن الحقِّ، وألسنة لطاف: يعني ألفاظًا لطافًا.

٢ ـ رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدِمُوهُ جَهْلاً ... وحُسْنُ القَوْلِ مِنْ حُسْنِ الفَعَالِ

[٦٤٩] وقال مالك بن أسماء[2]:

ذكر أسماء سيبويه في جملة الأسماء التي في آخرها زيادتان زِيدَتا معًا فحذفتا في الترخيم معًا، نحو سَكْرَان وبصريّ ومسلمات، وقال أبو العباس: لم يكن يجب أن يذكر هذا الاسم في جملة هذه الأسماء، من حيث كان وزنه أفْعَالاً لأنه جمع اسم، وذهب أبو العباس إلى أنه منع الصرف في العَلَم المُذَكَّر، من حيث غلبة تسمية المُؤنَّث به؛ فلحقَ عنده بباب سُعَاد وزَيْنب، وقال أبو بكر تقويةً لقول سيبويه: إنه في الأصل وَسْمَاء، ثم قُلِبَتْ فاؤها همزة، وإن كانت مفتوحة، وذهب لذلك إلى باب أَحَد وأَجَمَ وأَنَاة وأَجّ في وَجّ اسم موضع.

وقال دِعبل: بل قالها عُيَيْنَةُ بن أسماء بن خارجة، وكان زار صديقًا له، فلما بلغ باب دار بيته شَدَّ عليه كلب صديقه فعضَّهُ، فقال:

١ ـ لَوْ كُنْتُ أحْمِلُ خَمْرًا يَوْمَ زُرْتُكُمْ ... لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أنِّي صَاحِبُ الدَّارِ

---

(١) العَصْلَبِيّ: القويّ، الشديد الخَلْق العظيم من الرِّجال. وورد هذا الرجز في لسان العرب (عصلب) هكذا:

«قَدْ حَسَّها اللَّيلُ بِعَصْلَبِيِّ
أروعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ
مُهاجِرٍ لَيْسَ بأعرابيِّ»

(٢) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن... الفزاري: شاعر غزل ظريف، من الولاة، من أشراف الكوفة وتزوّج الحجّاج أُخته هند بنت أسماء (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في: (المرزباني ص ٣٦٤؛ والشعر والشعراء ص ٣٠٤؛ ولسان الميزان ٥/ ٢).

٢ - لٰكِنْ أَتَيتُ وَرِيحُ المِسْكِ يَفْغَمُنِي وعَنْبَرُ الهِنْدِ أُذْكِيهِ عَلَى النَّارِ[١]

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

يفغمني: أي يَسُدُّ خياشيمي ويملؤها، وشبّة النار: اشتعالها، وقد شَبَبْتها، وتوسَّعوا فيه فقالوا: فلانة يَشُبُّها فَرْعُها، إذا أظهرَ بياضَ وجهِها سوادُ شَعرِها، وانتصب «مشبوبًا» على الحال.

٣ - فأَنْكَرَ الكَلْبُ رِيحي حِينَ أَبْصَرَنِي وكانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزِّقِّ وَالقَارِ[٢]

[٦٥٠] وقال آخر[٣]:

١ - هَجَوْتُ الأَدْعِيَاءَ فَنَاصَبَتْنِي مَعَاشِرُ خِلْتُهَا عَرَبًا صِحَاحَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

ناصَبَتْني: عَادَتْني؛ وناصَبْتُ فلانًا الحربَ والعداوةَ، ونصبنا لهم حربًا، ويقال: العربُ العاربةُ والعَرْباءُ: أي الخُلّص، والعربُ المستعرِبَةُ: الّذين دخلوا فيهم بَعْدُ، عَرَبٌ صِحَاح: أي صِحَاح الأنساب.

٢ - فَقُلْتُ لَهُمْ وقَدْ نَبَحُوا طَوِيلاً عَلَيَّ فَلَمْ أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحَا

النُّبَاحُ: يُستعمل في صوت التَّيْس عند السِّفَادِ، وفي الهدهد والظّبي، ويستعمل في الشّاعر على طريق الذّم، ويقال: نَبَحه وَنَبَح عليه؛ قال الهذلي: [الطويل]

وَلَوْ نَبَحَتْنِي بالشَّكاةِ كِلابُها[٤]

والمراد بقوله «لهم نباحًا» أي: لم أجبْ نُبَاحَهُمْ، و«لهم» تبيين.

٣ - أَمِنْهُمْ أَنْتُمُ فَأَكُفَّ عَنْكُمْ وَأَدْفَعَ عَنْكُمُ الشَّتْمَ الصُّرَاحَا؟

«أمنهم أنتم» في موضع المفعول من قلت، وانتصب «فأكفَّ» بإضمار أن، وهو جواب الاستفهام بالفاء.

٤ - وَإِلاَّ فَاحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأَنْفِي عَنْكُمُ التُّهَمَ القِبَاحَا

٥ - وحَسْبُكَ تُهْمَةً بِبَرِيءِ قَومٍ يَضُمُّ عَلَى أخِي سَقَمٍ جَنَاحَا

---

(١) عند المرزوقي «مشبوبًا على النّار» والملاحظ أن التبريزي يشرحها.

(٢) القار: شيء أسود يُطلَى به الزّقّ.

(٣) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال إبراهيم بن هرمة».

(٤) هذا عجز بيت لأبي ذؤيب الهذليّ في دوان الهذليين ١/ ٨٠، وصدره: «ولا هَرَّها كلبي ليبعد نفرها».

«حَسْبُكَ تهمةً ببريء قوم» ارتفع على الابتداء، ويُكْتَفى لأنَّ فيه معنى الأمر: أي اكتفِ، وانتصب «تهمة» على التمييز.

[٦٥١] وقال مُدرِك، أو مُغَلِّس بن حِصْن الفَقْعَسِيّ:

١ - لَقَدْ كُنْتُ أَرْمِي الوَحْشَ وهْيَ بِغِرَّةٍ وَيَسْكُنُ أحْيَانًا إلَيَّ شَرُودُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«شَرُودُها» أي: نَفُورها، جعل الوحشَ كناية عن النساء؛ يقول: كنت أتعرَّضُ لِلنّساء وهي مُغْتَرَّة فأُصيبها بمحاسني فيما مضى، والآن فقد رَثَّتْ سِهَامي، وكَلَّتْ آلاتي، فالوحشُ تمكِّنني، وأنا لا أرميها لِعجزي عنها.

٢ - فَقَدْ أَمْكَنَتْنِي الوَحْشُ مُذْ رَثَّ أسْهُمِي ومَا ضَرَّ وَحْشًا قَانِصٌ لاَ يَصِيدُهَا

٣ - فَأَعْرَضْتُ عَنْ سَلْمى وقُلْتُ لِصَاحِبِي سَوَاءٌ عَلَيْنَا بُخْلُ سَلْمَى وَجُودُهَا

٤ - فَلاَ تَحْسُدَنْ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذُمَّ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا

٥ - تُشَبَّهُ عَبْسٌ هَاشِمًا أَنْ تَسَرْبَلَتْ سَرَابِيلَ خَزٍّ أَنْكَرَتْها جُلُودُها[1]

يقال شَبَّهْتُه كذا، وبكذا؛ وقوله «أن تسربلَتْ» يريد لأن تسربلتْ وإنما قال «أنكرَتها جلودُها» لأنّها لم تَعْتَدْها من قبل، ومثله قول الآخر: [الطويل]

بَكَى الخَزُّ مِنْ عَوْفٍ وَأَنْكَرَ جِلْدَهُ وَضَجَّتْ ضَجِيجًا مِنْ جُذَامَ المَطَارِفُ

٦ - فَلاَ تَحْسَبَنَّ الخَيْرَ ضَرْبَةَ لاَزِبٍ لِعَبْسٍ إذَا مَا مَاتَ عَنْها وَلِيدُهَا

٧ - فَسَادَةُ عَبْسٍ في الحَدِيثِ نِسَاؤُهَا وقَادَةُ عَبْسٍ في القَدِيمِ عَبِيدُهَا

قوله «فسادة عبس في الحديث نساؤها» يعني ولادة بنت الوليد بن حزن بن الحارث بن زهير بن جذيمة العبسية، وكانت زوجة عبد الملك بن مروان فولدت له الوليد وسليمان، وكان لعبس في ذلك الوقت وجه بها، وقوله «وقادة عبس في القديم عبيدها» يعني عنترة، ومنه قول حضين بن المنذر الرقاشيّ أبي ساسان لخليد بن القعقاع العبسيّ وكان قد أدلَّ على سليمان والوليد لأنه خالهما فبعثا به إلى الحجّاج بالعراق، فضجر الحجّاج من إدلاله عليه، فبعث به إلى قتيبة بن مسلم بخراسان، فكان يُدِلُّ على قتيبة؛ فقال الحضين: يا أبا ساسان، ألا تكفيني هذا فقد بلغ مني كلَّ مبلغ؟ فقال: ما كنت لأُؤذي خال أمير المؤمنين ولا أبتدئه بشيء، فسكت، ثم قال لخليد: ويحكَ! إن هذا الرقاشيّ قد ثقلَ على موضعه، أفلا تكفينيه؟ قال: بلى، لَعمري، وكان قتيبة يرفع

(١) «تَشَبَّهَ عبسٌ» هكذا ضُبِطَتْ عند المرزوقي.

حضينًا في المحلس حتى لا يكون أحد فوقه، فدخل عليه خليد بن القعقاع وحضين مع قتيبة جالس وعليه عمامة عظيمة، فقال: أيّها الأمير، مَن هذا العجوز المكـوَّر عندك؟! فقال: مهلاً لا تقلْ هذا لشيخ بكر بن وائل، فقال حضين: تكلّمْ على قدرك يا أخا عبس، قال: إذًا والله أملأ فمي، فقال: ولِمَ؟ إنّما قَدَّمَكم في الإسلام حِرُكُمْ، وفي الجاهلية عبدكم، وقيل: أنه قال لمّا نازعه: إنما أنتم يا بني عبس بِحِرٍ[1]؛ فإن ابتلَّ ابتللتم، وإنْ يبسَ يبستم، والمراد بالعبد عنترة، وكان هجينًا، ولذلك قال: [الكامل]

إنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا ... شَطْرِي وَأَحْمِي سَائِرِي بِالمُنْصَلِ

وقال أيضًا: [الرجز]

أَنَـا الـهَـجِـيـنُ عَـنْـتَـرَهْ ... كُـلُّ امْـرِئٍ يَـحْـمِـي حِـرَهْ

أَسْــوَدَهْ وَأَحْــمَــرَهْ

وكان عنترة بن شدَّاد ابْنَ أَمَةٍ، وشدّاد لم يَقبلْه ابنًا، وكان يسمّيه عبدًا، ثم قبله ابنًا في بعض الحروب. وذلك أنهم كانوا قد أغاروا على قبيلته فانهزم، فقال له شدّاد: كرّ يا عَبْدُ، فقال: العبدُ لا يحسنُ الكرَّ، إلاّ الحلب والصَّرّ، فقال له: كرَّ وأنتَ حُرّ، فكَرَّ واستنقذَ الأموال التي اكتسحتها الأعداء، وصار حُرًّا، وقال أبو محمد الأعرابي في رَدّه على النمريّ: هذا موضع المثل: [الوافر]

إذَا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ شَـيْـئًـا فَـدَعْـهُ ... لِـيَـبْـلُـغَ قَـدْرُ بَـاعِـكَ مَـا تُـطِـيـقُ

غلط أبو عبد الله في هذا البيت من جهات، منها أنه ذكر البيت لمدرك أو مغلّس، وليس هو لواحد منهما، وإنّما هو لحماد بن المحلف، وهو الربيع بن عبد الله أبو مليل اليربوعيّ، يقوله لبني زهير بن جذيمة بن رواحة العبسيّ، ومنها أنه ذكر في تفسير البيت أنه أراد ولادة بنت الوليد العبسية، وهذا غلط؛ لأن أُم الوليد وسليمان هي ولادة بنت خليد بن جزء بن الحارث بن زهير، وفي ذلك يقول آخر يهجو بني القعقاع بن خليد بن جزء: [الطويل]

سَادَ الـهُـبَـيْـرِيُّـونَ بِـالـبِـيضِ وَالـقَـنَـا ... وَسَادَ بَنُو القَعْقَاعِ بِالطِّيبِ وَالكُحْلِ

[٦٥٢] وقال آخر:

١ - أَقُـولُ حِـيـنَ أَرَى كَـعْـبًـا وَلِـحْـيَـتَـهُ ... لاَ بَـارَكَ الـلَّـهُ فـي بِـضْـعٍ وَسِـتِّـيـنِ

٢ - مِـنَ الـسِّـنِـيـنَ تَـمَـلاَّهَـا بِـلاَ حَـسَـبٍ ... وَلاَ حَــيَــاءٍ وَلاَ قَــدْرٍ وَلاَ دِيــنِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

---

(١) أي إن قدركم ومنزلتكم إنما هو بنسائكم وصهركم في الخلافة.

أجرى جمع السّلامة في أَنْ أعربَ آخره مجرى جموع التكسير، وقد جاء ذلك كثيرًا، وعلى هذا قول الآخر: [الوافر]

وَقَـدْ جَـاوَزْتُ رَأْسَ الأَرْبَـعِـيـنِ[1]

وجعل نونه باقيًا في الإضافة لمثل ذلك، قال بعضهم: [الوافر]

سِـنِـيـنِـي كُـلُّـهَـا قَـدْ شَـيَّـبَـتْـنِـي

وقوله «من السِّنين» تعلّق بقوله في بِضع، والبِضع مُختَلَف فيه: فمنهم مَن يقول: يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كلّه، ومنهم مَن يجعله متناولاً للنصف من ذلك، والأول هو الصّحيح، وقيل في قوله تعالى: ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾[2] إنها سبعة؛ ويقال: بِضْع وبَضْع، وأصله من القطع، و«تَمَلاَّها» عاشَ مُلاَوتها، والملاوة تُكسَر ميمه وتُضمّ، ومنه المَلِيُّ من الدّهر، وتَمَلَّيْتُ حبيبًا.

[٦٥٣] وقال عُوَيْف القَوَافي[3]:

١ ـ وَمَـا أُمُّـكُـمْ تَـحْـتَ الـخَـوَافِـقِ والـقَـنَـا ... بِـثَـكْـلَـى ولاَ زَهْـرَاءَ مِـنْ نِـسْـوَةٍ زُهْـرِ

الأول من الطويل.

قوله «ولا زهراء» أي: أي ليست بكريمة في نفسها، وهذا ضدّ قول الآخر: «أُمُّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعة»[4] يريد بياض الكَرَم لا بياضَ اللّون.

٢ ـ أَلَـسْـتُـمْ أَقَـلَّ الـنَّـاسِ عِـنْـدَ لِـوَائِـهِـمْ ... وأَكْـثَـرَهُـمْ عِـنْـدَ الـذَّبِـيـحَـةِ والـقِـدْرِ

يُقَرِّرهم على لؤمهم وتأخّرهم في الحرب، وإنّما يُقَرَّرُ بأَلَيسَ، وبألم، وما أشبهه، في الواجب؛ لأنَّ الاستفهامَ كالنّفي، والنّفي إذا دخل على النفي صار واجبًا.

[٦٥٤] وقال آخر:

١ ـ وَنُـبِّـئْـتُ رُكْـبَـانَ الـطَّـرِيـقِ تَـنَـاذَرُوا ... عَـقِـيلاً إِذَا حَلُّوا الذِّنَابَ فَصَرْخَدا[5]

الثاني من الطويل.

---

(١) هذا عجز بيت لسحيم بن وثيل الرياحي في إصلاح المنطق ص ١٥٦؛ وتخليص الشواهد ص ٧٤؛ وتذكرة النحاة ص ٤٨٠؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/٢٦٧؛ وشرح ابن عقيل ص ٤١؛ وشرح المفصّل ٥/١١؛ ولسان العرب (نجذ، وربع، ودري)؛ والمقاصد النحوية ١/١٩١. وصدره: «وماذا تبتغي الشّعراءُ منّي». والمشهور في رواية العجز: «وقد جاوزتُ حَدَّ الأربعينِ».

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٢.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٧٣).

(٤) هذا صدر بيت لابن قيس الرقيّات في ديوانه ص ٨٣، وتمامه:

أُمُّكَ بيضاءُ من قضاعة في الـ ... بيت الذي يستكنّ في طنبه

(٥) عند المرزوقي «ونُبِّيتُ».

تناذروا: أي أنذرَ بعضُهم بعضًا؛ وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولاً ثالثًا لِنُبِّئْتُ، والذِّناب، وصَرْخَد: موضعان، والمعنى: إنَّ الرّكبان قد عرفوا عقيلاً بالغدر والخيانة، فإذا نزلوا هذين الموضعين وهما مما يقارب محلّ عقيل ومأواه حَذَّرَ بعضُهم بعضًا وتواصوا بالاحترازِ منه.

٢ - فَتًى يَجْعَلُ المَحْضَ الصَّرِيحَ لِبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرِي الضَّيْفَ عَضْبًا مُجَرَّدا[١]

الصَّريح: الخالص من اللَّبن، والأصل في الشّعار ما يلي الجسد من الثياب، ثم تُوُسِّعَ فيه فقيلَ: أُشْعِرَ قلبي هَمًّا: أي أبطنَهُ.

[٦٥٥] وقال آخر:

١ - أَنَاخَ اللُّؤْمُ وَسْطَ بَنِي رِيَاحِ مَطِيَّتَهُ فَأَقْسَمَ لاَ يَرِيمُ

الأول من الوافر.

يقال أَنَخْتُ البعِيرَ فَبَرَكَ، ولا يقال: فَنَاخَ، وهذا من باب ما اسْتُغْنِيَ عن غيره به، ومعنى «لا يَرِيمُ» لا يبرح.

٢ - كَذَلِكَ كُلُّ ذِي سَفَرٍ إِذَا مَا تَنَاهَى عِنْدَ غَايَتِهِ مُقِيمُ

«كذلك» في موضع الحال؛ لأن «كلّ ذي سفر» مبتدأ، و«مقيم» خبره، كأنه قال: وكلُّ مسافرٍ إذا ما انتهى إلى غايته يُلْقي عصاه كذلك: أي مثل إقامة اللّؤم فيهم، ونقل البحتري هذا المعنى إلى المدح فقال: [الكامل]

أَوَمَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

[٦٥٦] وقال آخر:

١ - إِذَا بَكْرِيَّةٌ وَلَدَتْ غُلاَمًا فَيَا لُؤْمًا لِذَلِكَ مِنْ غُلاَمِ

الأول من الوافر.

قوله «يا لؤمًا» لفظه لفظ النداء، والمعنى معنى التعجّب: أي ما أشَدَّه من لؤم، ومثله ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ﴾[٢] وقوله: [الطويل]

فَيَا شَاعِرًا لاَ شَاعِرَ اليَوْمَ مِثْلَهُ جَرِيرٌ، وَلَكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ[٣]

---

(١) عند المرزوقي: «عَضبًا مُهَنَّدَا». والعَضب: السيف، والمهنَّد: المنسوب إلى الهند.

(٢) سورة يّس، الآية: ٣٠.

(٣) البيت للصلتان العبدي في خزانة الأدب ٢/ ١٧٤؛ وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥٦٥؛ والشعر والشعراء ١/ ٥٠٨؛ والكتاب ٢/ ٢٣٧؛ ولسان العرب (كرب)؛ والمؤتلف والمختلف ص ١٤٥؛ ومعاهد التنصيص: ١/ ١١٩؛ وبلا نسبة في المقتضب ٤/ ٢١٥.

وقوله «من غلام» أي: لذلك الغلام من بين الغلمان.

٢ - يُزَاحِمُ في المَآدِبِ كُلَّ عَبْدٍ ... ولَيْسَ لَدَى الحِفَاظِ بِذِي زِحَامِ

[٦٥٧] وقال آخر: [الوافر]

١ - رِدِي ثُمَّ اشْرَبِي نَهَلاً وعَلاً ... ولاَ تَغْرُرْكِ أقْوَالُ ابْنِ ذِيبِ[1]

يخاطب ناقته، يقول: رِدِي الماء واشربي كيف شئتِ ولا تغترّي بقول ابن ذئب.

٢ - فَلَوْ كَانَ القَلِيبُ عَلَى لِحَاهُمْ ... لأَسْهَلَ وَطْؤُهَا شَفَةَ القَلِيبِ

أسهلَ: وجَدَهَا سَهْلاً، يعني يوطئها وطء الإبلِ، ولم يَجْرِ لها ذكر، وسُمِّيَتِ البئر قليبًا لأنَّها قلبت الأرض بالحفر، يصفهم بِالذِّلَّة وأنهم لا يقدرون على منع الإبل عن وطء لحاهم.

[٦٥٨] وقال آخر:

١ - إنْ تُبْغِضُونِي فَقَدْ أَسْخَنْتُ أَعْيُنَكُمْ ... وقَدْ أَتَيْتُ حَرَامًا ما تَظُنُّونَا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«ما تظنّونا» يجوز أن يكون من غالب الظّنّ ومن اليقين، أسخنتُ أعينَكم: أي أبكيتُكم: أي إنْ أبغضتموني فحقّ لكم ذاك لأنِّي فعلتُ ما اقتضى ذلك، وانتصب «حرامًا» على الحال من أتيت، و«ما تظنّونا» في موضع المفعول، والضمير العائد من الصلة محذوف.

٢ - وَقَدْ ضَمَمْتُ إلى الأحْشَاءِ جَارِيَةً ... عَذْبًا مُقَبَّلُها مِمَّا تَصُونُونَا

قال «مِمَّا تصونونا» ولم يقلْ «مِمَّنْ» لأن القصدَ إلى الجنس، و«ما» للصفات والأجناس ولما دون الناطقين.

[٦٥٩] وقال آخر: [البسيط]

١ - يا قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إذَا ذُكِرُوا ... بَنِي عَمِيرَةَ رَهْطَ اللُّؤْمِ والعَارِ

المنادى في قوله «يا قَبَّحَ اللَّهُ» محذوف، كأنه قال: يا قوم، أو يا ناس، قَبَّحَ اللَّهُ أقوامًا: أي أبعدهم اللَّهُ، وانتصب «بني عميرة» على البدل من «أقوامًا»، والمعنى في قوله «إذا ذكروا» أي: وقت ذكروا فأبعدهم الله، و«رهط اللّؤم» انتصب على الذّمّ والاختصاص، والعامل فيه فعل مضمر، كأنه قال: أذكر رهطَ اللّؤم.

---

(١) المرزوقي: «ولا يغرركِ».

٢ - قَوْمٌ إذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْأَةٍ وَلَجُوا   فِي سَوْأَةٍ لَمْ يُجِنُّوهَا بِأَسْتَارِ

ارتفع «قوم» على أنه خبر المبتدأ: أي هم قومٌ إذا خرجوا من سوأة مخزية من اكتسابهم دخلوا في مثلها أو أسوأ منها لا يتستّرون منها.

[٦٦٠] وقال آخر يهجو الحَضَرِيّ ويمدح البَدَوِيّ:

١ - جَوَّابُ بَيْدَاءَ بِهَا عَزُوفُ   لاَ يَأْكُلُ البَقْلَ وَلاَ يَرِيفُ

من العروض الرابعة من السريع.

«جوَّاب» أي: قَطّاع، يقال: رجلٌ عَزُوفٌ، وعَزُوفةٌ، وعَزِيفٌ: أي عازف، ويُروَى «عروف»؛ ويقال من العِرْف بكسر العين وهو الصَّبر: عَارِف وعروف: أي صبور، فيجوز الوجهان فيه، ويُرْوَى «جوّاب بيدٍ أَيِّهٌ عَروفُ» والأَيِّهُ: الصَّيِّتُ المتيقّظُ، وقوله «لا يأكل البقل» أي: هو قويّ صلب العروق لأنَّ البقول ترخي الأعصاب، «ولا يريفُ» أي: لا يدخل الحضر، كأنه لا يقيم في الريف، من رَبَع وخَرَفَ إذا أقام في الرّبيع والخريف، والقياس «يُريف» من «أراف» إذا أتى الريف، مثل أسهل إذا أتى السَّهل، والرّيف: الحَضَر، قال ابن دريد: الرّيف ما قارب السَّوَاد من أرض العرب، والجمع أرياف وريوف، وتَرَيَّفَ القوم ورافوا: دنَوْا من الريف.

٢ - ولاَ يُرَى فِي بَيْتِهِ القَلِيفُ   إلاَّ الحَمِيتُ المُفْعَمُ المَكْشُوفُ

القليف: التّمر البحريّ يتقلّف عنه قشره: أي ليس هو من أهل الحضر فيكون في بيته التمر، والقليف أيضًا: ما يتقلّف: أي يتقشّر؛ من الخبز ويابس الفاكهة، والحَمِيت: نِحْيُ السَّمن، ويكون للعسل، وقال أبو العلاء: القليف يذكرون أنها جِلاَل التّمر، وهي مأخوذة من «قَلَفْتُ الشّيءَ» إذا قشرته، وقيل: القليف يريدون به الخمر؛ لأنّهم يقولون: قلفت الطّين عنه، إذا نَحّيْته، والحميت: نِحْيُ السَّمْنِ إذا قُوِّيَ بِعكر الزّيت، قال الشّاعر: [الوافر]

فَإنَّ الظُّلْمَ أَنَّ لَنَا حَمِيتًا   ولَيْسَ لِبَيْتِ جَارَتِنَا حَمِيتُ

وقوله «إلاَّ الحميت» بدل من القليف.

٣ - لِلْجَارِ والضَّيْفِ إذَا يَضِيفُ   وَالحَضَرِيُّ بَطْنُهُ مَغْلُوفُ

اللاّم من قوله «للجار» تتعلّقُ بالمكشوف؛ وجعله مكشوفًا للجار والضيف ليدلَّ على سخائه بما فيه.

٤ - لِلْفَسْوِ فِي أَثْوَابِهِ شَفِيفُ   أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ لَهُ الكَنِيفُ

«شفيف» يعني شَفَّتْ ثيابه: أي رَقَّتْ بكثرة فَسْوِهِ، ويجوز أن يكون المراد بالشّفيف هنا الندوة؛ فقد قيل: الشّفيف برد ريح في ندوة، واسم تلك الريح الشّفان،

وقيل: الشَّفيف شدّة حَرّ الشّمس، وقوله «أعجب بيتيه له الكنيف» أي: لِحَاجته إليه لِكَثرة أكله.

٥ ـ أَوْطَـانُـهُ مَـبْـقَـلَـةٌ وَسِـيـفُ

ويُـروَى:

أَوْ طَـايَـةٌ مُـبْـقِـلَـةٌ وريـفُ

والطَّاية: الأرض الفضاء الواسعة، والسِّيفُ: سَاحِل البحر.

[٦٦١] وقال رَبْعَان:

ويقال: رَيْعَان، فأمَّا رَبْعَان فاسم مرتجل عَلَمًا، وهو فَعْلان من «ر ب ع» وأمَّا رَيْعَان فمنقول من ريعان السّراب، وهو تردّده، يقال: تَرَيَّع وَتَرَيَّه، فهو فَعْلاَن منه، ويجوز أن يكون رَيْعَان فَيْعَالاً من رَعْن الجبل، وهو الأنف النّادر يتقدّم منه، والتقاؤهما أنَّ السَّرَاب يلتقيكَ بأوله ومقدّمته، ويشهد لهذا القول الثاني قول الشَّاعر: [الرجز]

كَـأَنَّ رَعْـنَ الآلِ مِـنْـهُ فـي الآلْ بَيْنَ الضُّحَا وَبَيْنَ قَيْلِ القُيَّالْ

إذَا بَـدَا دُهَـامِـجٌ ذُو أعْـدَالْ[(١)]

١ ـ إذَا كُـنْـتَ عَـمِّيًا فَـكُـنْ فَـقْـعَ قَـرْقَـرٍ وإلاَّ فَـكُـنْ إنْ شِـئْـتَ أَيْـرَ حِـمَـارِ[(٢)]

الثالث من الطويل.

الفَقْع: الكَمْأَة، والجمع فِقَعَة، ويُضْرَبُ المَثَلُ بها في الذّلّ، فيقال: أَذَلُّ من فَقْعِ بِقَاعٍ، وذلك لأنَّه يجتنيها مَنْ يشاء، وأضافه إلى قرقر منبته، ويقال: قَاعٌ قَرْقَر: أي مُسْتَوٍ، والمعنى: إذا كنتَ عَمِّيًا فكنْ ذَلِيلاً كالفَقْعِ أو شَيئًا فاحشًا يتحامَى ذكره ومنظره كذلك العضو.

٢ ـ فَـمَـا دَارُ عَـمِّـيٍّ بِـدَارِ خُـفَـارَةٍ ولاَ عَـقْـدُ عَـمِّـيٍّ بِـعَـقْـدِ جِـوَارِ

الخُفَارة: مصدر «خَفَرْتُ الرَّجُلَ» إذا أَجَرْتَهُ خُفْرَةً وخُفَارَةً، وأَخْفَرْته إذا نَقَضْت عهده، والخَفَارة والخَفَرُ: الاستحياء، والبيت يحتمل الوجهين: أي فما دار عَمِّيّ بدار حياء، أو بدار وفاء.

---

(١) في تاج العروس (دهنج ودهمج) وقد نسبه للعجَّاج:

كَـأَنَّ رَعْـنَ الآلِ مـنـه فـي الآلْ إذا بـدا دُهَـانِـجٌ ذو أَعْـدَالْ

والدّهانج: البعير الفالج ذو السَّنامَيْنِ، فارسيّ معرَّب.

(٢) العَمِّيّ: نسبة إلى بني العمّ، وهم بنو مرّة بن مالك بن حنظلة (اللسان: عمم).

[٦٦٢] وقال آخر:

١ - أَرَانِـي فــي بَـنــي حَـكَـمٍ غَـرِيـبًـا عَــلَــى قُــتْــرٍ أَزُورُ وَلاَ أُزَارُ
٢ - أُنَـاسٌ يَـأْكُـلُـونَ الـلَّـحْـمَ دُونِـي وتَـأْتِـيـنِـي الـمَـعَـاذِرُ والـقُـتَـارُ

الأول من الوافر.

النمريّ: القُتْرُ والقُطْرُ والحَرْفُ والجانبُ واحدٌ، وقوله «وتأتيني المعاذر» أي: ريحُ عذراتهم وأفنيتهم، فحذف المضاف، والقُتَار: أي ويأتيني ريح اللّحم المشويّ، وقال النمري: وقيل في المعاذر: إنّها جمع مَعْذرة، والأول أجود، والعاذر والعاذرة والعذرة: الحدَث، وقد أعذر: أي أحدثَ، ويرتفع «أناس» على أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه قال: هم أُناسٌ، وقد وصفوا بجملتين، وكان يجب أن يقول: ويأتيني المعاذر والقتار منهم، فحذف الضمير، ويجوز أن يكون «وتأتيني» على الاستئناف، ويُرْوَى «المقاذر» جمع قذر على غير قياس.

وقال أبو محمد الأعرابيّ: هذا موضع المَثَل: [الطويل]

وَتُوسِعُنَا عَقْصَاءُ سَلْحًا وَلاَ نَرَى لِعَقْصَاءَ دَرًّا فَارْجِعَاهَا إلى عَمْرِو

في قول النمريّ «الأحسن عندي أن يكون المعاذر هنا روائح العذرات» وقال: هذه الفائدة يجب أن تردّ إلى أبي عبد الله، ومتى رُؤِيَ شاعرٌ هَجَا إنسانًا بالبخل على الطعام فقال في شعره يأتيني قتاره وريح خرئِه، ومتى سمع المعاذر في معنى العذرات، والتفسير غير الذي اختاره.

[٦٦٣] وقال آخر(١): [الوافر]

١ - ومَـا إنْ فـي الـحَـرِيـشِ ولاَ عُـقَـيْـلٍ ولاَ أَوْلاَدِ جَـعْـدَةَ مِـنْ كَـرِيـمِ
٢ - ولاَ الـبُـرْصِ الـفِـقَـاحِ بَـنِـي نُـمَـيْـرٍ ولاَ الـعَـجْـلاَنِ زَائِـدَةِ الـظَّـلِـيـمِ

«زائدة الظَّليم» الخُفّ؛ لأنه لا يكون لِلطَّير: أي هم زيادة في الناس بمنزلة تلك الزيادة في الظّليم، والفِقَاح: جمع فَقْحة، وهي دارة الدّبْر، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تنفتح عند الحاجة، ومنه «فَقَّحَ الجَرْوُ» إذا فتحَ عينيه، وذكر النمريّ أنه يريد بزائدة الظّليم رأل النَّعَامة: أي فرخها، وإنّما شبّههم به لأنَّ النَّعام يُوصَفُ بِالخفّةِ وسرعةِ النّفارِ، فيقولون: هو أَشْرَدُ من ظليم، وقد زفّ رأله، إذا خَفَّ حلمه، أو هرب من العدو.

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: (وقال كعب بن سعد الغَنَويّ، وقيل المُخَبَّل السعديّ)؛ والأبيات في الحماسة البصرية ٢/ ٢٧٤ لكعب بن سعد.

٣ ـ أُولـٰئِكَ مَـعْـشَـرٌ كَـبَـنَـاتِ نَـعْـشٍ   رَوَاكِـدَ لاَ تَـسِـيـرُ مَـعَ الـنُّـجُـومِ

قوله «كبنات نعش» يعني في الرّكود والثبات؛ لأنَّها تدور حول القطب فلا تزول عن رأي العين، يقول: هؤلاء القومِ لا يَفِدُونَ إلى الملوك، ولا يَغْزُون العدوَّ، ولا ينتجعون الغيثَ، بل يقيمون على الذّلِّ والرِّضا باليسير.

[٦٦٤] وقال رجل من جَرْم، لزياد الأعجم، وقيل: إنه لِزياد الأعجم[1]:

١ ـ دَلَفْـتُ إلـى صَـمِـيـمِـكَ بِـالـقَـوَافِـي   عَـشِـيَّـةَ مَـحْـفِـلٍ فَـهَـتَـمْـتُ فَـاكَـا

أول الوافر.

دلفتُ: أي مشيتُ، والصَّميم: الخالص، وهٰهنا أراد به قلبه: أي جَرَحْتُ قلبكَ بالقوافي، «عشيّة محفل» يعني اجتماع القوم، والهَتْمُ: الكَسْرُ، يقال: هَتَمَ فَاهُ، إذا ألقى مُقَدَّمَ أسنانِه، وبذلك سُمِّيَ الأهتم التميميّ؛ لأن قيس بن عاصم ضربه بقوس فهتم فاه.

٢ ـ وصَـدَّقَ مَـا أَقُـولُ عَـلَـيْـكَ قَـوْمٌ   عَـرَفْـتَ أَبَـاهُـمُ وَنَـفَـوْا أَبَـاكَـا

يقول: هجوتكَ فتركتكَ لا تجسرُ تتكلّم، وصَدَّقني فيما أقول فيك مَنْ تشهدُ بصحّة نسبهم.

[٦٦٥] وقال زياد الأعجم:

١ ـ وَمَـنْ أَنْـتُـمْ، إنّـا نَـسِـيـنَـا مَـنَ اَنْـتُـمْ،   وَرِيـحُـكُـمُ مِـنْ أَيِّ رِيـحِ الأَعَـاصِـرِ

من ثاني الطويل.

يجوز أن يجعل «مَنْ» استفهامًا، وقد كَرَّرَهُ وعَلَّق «نسينا» قبله وإن لم يكن من أفعال الشّكّ واليقين لأنه أجراه مجرى نقيضه وهو عرفت وذكرت، وهم يجرون النظير مجرى النَّظير، والنقيض مجرى النقيض، كثيرًا، ويجوز أن يجعل «مَنْ» بمعنى الذي وقد حذفت بعض صلته، كأنه قال: إنَّا نَسِينا الَّذين هم أنتم، والأول أوجه، ونظير الثاني عند البصريين قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾[2] وفي باب الذي قوله تعالى: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾[3] لأن المعنى مَن هو أحسن، وقوله «من أيّ ريح الأعاصر» فالأعاصر جمع الإعصار، وهو الغبار الساطع المستدير، وفي المثل: [البسيط]

إنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لاَقَيْتَ إعْصَارَا

---

(١) هو زياد بن سليمان الأعجم، أبو أُمامة العبديّ مولى بني عبد القيس، من شعراء الدولة الأموية، جزل الشعر، فصيح الألفاظ كان في لسانه عُجمة فلقّب بالأعجم، وكان هَجّاءً. (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في: (الشعر والشعراء ص ١٦٥؛ وتاريخ الإسلام ٤/ ١١٣؛ وطبقات فحول الشعراء ص ٥٥١).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٢.   (٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٤.

وإنَّما خَصَّها بالذِّكرِ لأنَّها لا تسوقُ غَيْثًا ولا تلقحُ شجرًا، فضرب لهم المثل بها؛ لِقلّة الانتفاع بهم، وهم يجعلون الريح كناية عن الدولة، فيقال: فلان قد هَبَّتْ له ريحٌ.

٢ - وأنْتُمْ أُلَى جِئْتُمْ مَعَ البَقْلِ والدَّبَى فَطَارَ وَهٰذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرِ

«أُلَى جِئتم» يريد الذين جئتم مع البقل، والمعنى: إنَّ شَرَفَكُم حديثٌ ومثله قول الآخر: [الطويل]

تَمُوتُونَ هَزْلَى في السِّنِينَ وَأَنْتُمُ أَسَارِيعُ تَحْيَا كُلَّمَا نَبَتَ البَقْلُ

والدَّبَى: صغار الجراد، يقول: ما عهدناكم قبل الخَصْبِ ولا رأينا لكم أثرًا، فلمَّا أخصَبَ النَّاسُ نبغتم، فكأنَّكم إنّما جِئتم مع البقلِ والدَّبَى فطار وبَقِيَ شخصُكم، يرميهم بأنهم لا أصلَ لهم.

٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إلاَّ بِمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ولَمْ تُدْرِكُوا إلاَّ مَدَقَّ الحَوافِرِ

المَدَقّ: موضع وقع الحوافر، يقول: سمعتم بمَن كان قبلكم ولم تدركوهم لحداثة ولادتكم: أي ليس لكم قديمٌ ولم تكونوا إلاَّ أَذِلَّةً يَطَؤُكُمْ كلُّ حافرٍ.

[٦٦٦] وقال عَمرو بن الهُذَيل العَبْدِيّ: [الطويل]

وقال أبو رياش: هي لرجل من بني عجل.

١ - لا تَرْجُ خَيْرًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ مِسْمَعٍ إذَا كُنْتَ مِنْ حَيَّيْ حَنِيفَةَ أَوْ عِجْلِ

٢ - وَنَحْنُ أَقَمْنَا أَمْرَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَأَنْتَ بِثَاجٍ مَا تُمِرُّ وَمَا تُحْلِي

ثاج: ماء لبني سعد، يخاطب مالك بن مِسْمَع حين فَرَّ أيامَ العصبيّة فنزل ثاجًا حتى انجلت العصبية، وقوله «ما تُمِرُّ وما تُحْلي» أي: ما تأتي بخيرٍ ولا بِشَرٍّ، يقول: باشرنا أمرَ الحربِ ولا نفعَ فيكَ ولا ضرّ.

٣ - وَمَا تَسْتَوِي أَحْسَابُ قَوْمٍ تُوُرِّثَتْ قَدِيمًا وَأَحْسَابٌ نَبَتْنَ مَعَ البَقْلِ

أي: لم يكنْ لكم قَبْلُ ذِكْرٌ، وإنّما ذكرتم حين نبتَ البقلُ: أي حين أخصبتم.

[٦٦٧] وقالت كنزة[١] أُم شملة المنقريّ، في مَيَّة صاحبة ذي الرّمّة:

وقيل: هي لذي الرّمّة، وذلك أنه كان يُشَبِّبُ بِمَيَّةَ، وكانت من أجمل الناس، ولم

(١) سبقت ترجمتها في الحماسية رقم (٢٤٢). والأبيات في ملحقات ديوان ذي الرّمّة ص ٩٦؛ وفي الأغاني ١٦/ ١١٤؛ وأمالي الزجاجي ص ٥٧ أن الأبيات قِيلت على لسان ذي الرّمّة بغية الإفساد بينه وبين صاحبته.

تَرَهُ قَطُّ، فجعلتْ لِلَّهِ عليها أن تنحرَ بدنة أوّل ما تراه، فلمّا رأته رأت رجلاً دميمًا أسود، فقالت: واسوءتاه، فقال ذو الرّمّة فيها:

١ ـ أَلاَ حَبَّذَا أَهْلُ المَلاَ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيٌّ فَلاَ حَبَّذَا هِيَا

الثاني من الطويل.

قوله «ذا» من «حَبَّذَا» أُشِيرَ به إلى الشَّيء، وهو مع حَبَّ بمنزلة الرجل من نِعْمَ الرَّجُلُ، إلاَّ أنّه أجري معه مجرى الأمثال، لا يغير ولا يفصل بينهما، والمعنى محبوبٌ في الأشياء أهل الملا غير مَيّ فإنّها إذا ذُكِرَتْ لا تستحقُّ مَدْحًا ولا اختصاصًا، وقوله «فلا حَبَّذَا هِيَا» جعل ألف ذا على انفصالها تأسيسًا لأن الرَّوِيَّ من اسم مضمر وهو هي.

٢ ـ عَلَى وَجْهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلاَحَةٍ وتَحْتَ الثِّيَابِ الخِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا

يريد أن ظاهرها حَسَنٌ كأنَّ اللَّهَ مَسَحَها بالجمال، ويكون أصله من «مسح الرّأس باليد» واستعمل في الدّعاء فقيل للمريض: مسحَ اللَّهُ ما بكَ من عِلَّةٍ، وقيل أيضًا: هو ممسوحُ الوَجْهِ؛ أي مستوي الخلقة، وحذف جواب «لو» أي: لو كان باديًا لَمَا رغبَ فيها أحدٌ، وحذف الجواب لِدلالة الكلام عليه.

٣ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ المَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كانَ لَوْنُ الماءِ أَبْيَضَ صَافِيَا(١)

«يخلفُ طعمه» أي: يتغيّرُ، ويخلف طعمه: أي يجيء بخلاف ما ظُنَّ به.

٤ ـ إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

«الذي جاء ظاميًا» أي: جاء عليه، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه فصار جاءه، ثم حذف الضمير من الصّلة استثقالاً واستطالة لِكَوْنِ أربعة أشياء شيئًا واحدًا: الموصول، والفعل، والفاعل، والمفعول، ومَنْ جَوَّزَ حَذْفَ الجار والمجرور من الصّلة فالأمر عنده أقرب، وشَبَّهَها بالماءِ الصّافي اللّونِ الخبيثِ الطَّعْم إذا أتاه العطشانُ زادَهُ عَطَشًا لأنه لا يتمكّنُ من شُرْبِهِ لِزُعوقته(٢)، وانتصب «ظاميًا» على الحال.

٥ ـ كَذلِكَ مَيٌّ في الثِّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِينَ مِنْهَا المَخَازِيَا

٦ ـ فَلَوْ أَنَّ غَيْلاَنَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَا لِيَا(٣)

انتصب «مجردةً» على الحال، وأشار بِذا من قوله «لما قال ذا لِيَا» إلى مُجَرَّدَ مَيَّة: أي ما حدَّثَ نفسه بأنّها له، ويُروَى «لما قال آلِيا» أي: مُقَصِّرًا عند نفسِه في دعواه

(١) عند المرزوقي: «في العينِ صافيا».

(٢) الزُّعاق: الماء المُرّ الغليظ الذي لا يُطَاقُ شُرْبُه من أُجوجَتِه.

(٣) غيلان الشَّقِيّ: تعني به ذا الرُّمَّة لأنه كان يُنسَبُ بها.

ولَصَرفَ نسيبه إلى غيرها، أو لَتَسَلَّى من النّساء رأسًا وزَهِدَ فيهنَّ، وانْتصبَ «آليًا» على الحال، وذكر بعضهم أنَّ معنى «آليًا» حَالِفًا: أي كان لا يقسِمُ بها، وهذا خطأ؛ لأنه كان يجب أن يكون مُوليًا، ألاَ ترى أنه يقال: آليتُ في اليمين إيلاءً، وقيل في معناه: إن آ: تأوّه وتوجّع، والمعنى: لم يَقُلْ لما يستجدّ من الزهد فيها «آ لِيَ» متأوّهًا، فعلى هذا يكون «آ» حكاية صوت موضعه رفع بالابتداء، و«لي» خبره، وهو الأقرب على ما ذكره المرزوقي.

٧ - كَقَوْلِ مَضَى مِنْهُ وَلَـٰكِنْ لَرَدَّهُ إلى غَيْرِ مَيٍّ أوْ لأَصْبَحَ سَالِيَا

قوله «لَرَدَّهُ» اللاَّم جواب يمين مضمَر.

[٦٦٨] وقال أبو العتاهية[١]:

العتاهية: من التعتّه، وهو التَّحسُّن والتزيّن، قال رؤبة: [الرجز]

بَعْدَ لَجَاجٍ مَا يَكَادُ يَنْتَهِي عَنِ التَّصَابِي وَعَنِ التَّعَتُّهِ

وقال أيضًا: [الرجز]

في عتهيّ اللبس والتقينِ

وكأنَّ العَتَاهِية مصدر كَالكَرَاهِيَة، وأجازوا فيه العَتاهة كالكَراهة، وقال ابن الأعرابيّ: عُتِهَ الرَّجُلُ إذا جُنَّ، وما أَبْيَنَ عَتَاهِيته، وقال أبو العلاء: قيل: إنَّ العَتَاهية مأخوذٌ من التعتّه، وهي المبالغة في الأشياء مثل تنظيف الثياب ونحوها، والمعروف أنَّ العتاهَ مثل الجنون، وإنْ كان ما قالوه في التعتّه محفوظًا فالمراد أنَّ الرجلَ يبالغ في الأشياء حتّى يحسبَ أن به عتاهًا، وفَعَالية تكثر في المصادر كالنَّصَاحية والرَّفَاهية، وقد يجيء في الأسماء كَعبَاقِية لِضَربٍ من الشجر، قال: [الوافر]

غَدَاةَ شُوَاحِطٍ فَنَجَوْتَ شَدًّا وثَوْبُكَ مِنْ عَبَاقِيَةٍ هَرِيدُ[٢]

وقالوا للداهية: عَبَاقية، وقيل للجرح في الوجه: عَبَاقية.

١ - جُزِيَ البَخِيلُ عَلَيَّ صَالِحَةً عَنِّي بِخِفَّتِهِ عَلَى ظَهْرِي

الضَّرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، والقافية متواتر.

---

(١) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سُويد العيني العنزي: شاعر مُكثِر سريع الخاطر، في شعره إبداع. يُعَدُّ من مقدّمي المُولَّدين من طبقة بشّار وأبي نواس (ت ٢١١ هـ/ ٨٢٦ م). ترجمته في: (تاريخ بغداد ٦/ ٢٥٠؛ والشعر والشعراء ص ٣٠٩؛ والذريعة ١/ ٣١٨).

(٢) البيت في تاج العروس (عبق) وقال: «لساعدة بن العجلان يخاطب حُصَينًا». والعَبَاقية: شجرة شائكة تؤذي مَنْ عَلِقَ بشوكها.

يقول: جَزَى اللَّهُ البخيلَ عَلَيَّ بمالِه خَصْلَةً صالحةً، فقد خَفَّ محمله على ظهري لِسقوط مِنَنِهِ عَنِّي.

٢ ـ أَغْلَى وأَكْرَمَ عَنْ يَدَيْهِ يَدِي فَعَلَتْ، وَنَزَّهَ قَدْرُهُ قَدْرِي

أي: أَجَلَّنِي عن صنيعته، وصانَ قدري حين لم يبتذِلْه بعطيّته.

٣ ـ ورُزِقْتُ مِنْ جَدْوَاهُ عَافِيَةً أَنْ لاَ يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي

أي: رزقني اللَّهُ عافيةً من ضِيقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ، وقوله «أن لا يضيقَ» لكَ أن ترفعه وأن تنصبه؛ فالنصب على أن تكون أن الناصبة للأفعال، والرفع على أن تكون مخفّفة من الثقيلة، ويكون اسمه مُضْمَرًا، والجملة خبره، وموضع «أن لا يضيقَ» نصب بكونه بدلاً من قوله «عافية»؛ والعافية: تكون مصدرًا كالعاقبة، ومثله ما أُباليه بالية، وقم قائمًا، ولا خلاف في أنَّ اسمَ الفاعل يكون اسمًا للمصدر، وإن اختلفوا في بناء المفعول.

٤ ـ وَغَنِيتُ خِلْوًا مِنْ تَفَضُّلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَوْسَعِ العُذْرِ

٥ ـ مَا فَاتَنِي خَيْرُ آمْرِىءٍ وَضَعَتْ عَنِّي يَدَاهُ مَؤُونَةَ الشُّكْرِ

انتصب «خِلْوًا» على الحال، وجملة المعنى أنه لم يَفتْني إحسانُ رجلٍ لم يُلْزِمْني شُكْرَ إفضالٍ.

[٦٦٩] وقال ابنَ عَبْدَلٍ الأَسديّ[١]:

١ ـ أَضْحَى عُرَاجَةُ قَدْ تَعَوَّجَ دِينُهُ بَعْدَ المَشِيبِ تَعَوُّجَ المِسْمَارِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

قوله «تعوَّج دِينُه» أي: ترك الاستقامة التي كان عليها في الدِّين، وشَبَّهَ ذلك بِتَعوُّجِ المسمار لأنه إذا اعْوَجَّ قَلَّمَا يستقيمُ أو ينكسرُ.

٢ ـ وإذَا نَظَرْتَ إلَى عُرَاجَةَ خِلْتَهُ فُرِجَتْ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارِ

يعني عن أير حمار، فأتى بالباء مكان عن، قالوا: ويجوز أن يكون المراد كأنَّ قوائِمَهُ فُرِجَتْ مِنْ أيرِ حمار: أي شُقَّتْ منه وخلقت لوحشتها، والباء قد تجيء بمعنى من، وقيل: يحتمل أن يكون المراد به عوج القوائم لأنَّ أيرَ الحمار ليس بآلة القَطْع فما يقطع به لا يكون مستويًا، والأشبه أن يكون المراد به غير هذه الوجوه، وهو الفُحْشُ الَّذي رماه به، ومعناه مفهوم.

(١) سبقت ترجمة الحكم بن عبدل في الحماسية رقم (٤٥١).

[٦٧٠] وقالت أُمُّ عَمرِو بنت وَقْدَان:

وهو فَعْلان عَلَم مرتجل من الوَقْد وهو الوقود بعينه.

١ - إنْ أَنْـتُـمُ لَـمْ تَـطْـلُـبُـوا بِـأَخِـيـكُـمُ　　فَـذَرُوا الـسِّـلاحَ وَوَحِّـشُـوا بـالأَبْـرَقِ

الأول من الكامل.

أي: كونوا مع الوحوش بِالأبرق؛ لأنَّكم لستم بِنَاسٍ فلا ينبغي أن تحملوا السِّلاحَ لأنَّكم لا تغنون شيئًا.

٢ - وخُذُوا المَكَاحِلَ وَالمَجَاسِدَ والْبَسُوا　　نُـقَـبَ الـنِّـسَـاءِ فَـبِـئْـسَ رَهْـطُ الـمُـرْهَـقِ

تقول: إنّما أنتم نساء فعليكم بما يفعلنَ من الاكتحال ولبس المجاسد، وهي الثِّياب المصبوغة بالزَّعفران، والنُّقَبُ بفتح القاف: جمع نُقْبَة، وهي أن تجعل له حجزة كحجزة السَّراويل تلبسه المرأة، وإذا رُوِيَتْ بالضَّمِّ فهو جمع نِقَاب المرأة، والمُرْهَق: المُضَيَّق عليه، والتقدير: وبِئْسَ رَهْطُ المُضَيَّقِ عليه أنتم، وحذف مذموم بِئْسَ، وهو أنتم، لأنَّ المراد مفهوم.

٣ - أَلْـهَـاكُـمُ أَنْ تَـطْـلُـبُـوا بِـأَخِـيـكُـمُ　　أَكْـلُ الـخَـزِيـرِ وَلَـعْـقُ أَجْـرَدَ أَمْـحَـقِ

الخَزير: لحمٌ يُقَطَّعُ صغارًا ويُطبَخُ في دقيق، وهي الخزيرة، و«لعق أجرد» يعني لبنًا قد أخذ زبده أو رغوته، أو مرقًا لا وَدَكَ عليه، وأمحق: ممحوق، وقيل: إنَّ المراد بالأجرد الأمحق نِحْيٌ أو زِقٌّ من دِبس وغيره، والأمحق: القليل، كأنه يصير لكم محقًا لا يُبَارَكُ فيه، وأمحق من باب أفعل الَّذي لا فعلاء له، واللَّعق هو لما في النّحي لا له، فتُوُسِّعَ فيه، وهذا قول، والأول هو الوجه الذي لا يعدل عنه إلى غيره.

[٦٧١] وقالت امرأة من طَيِّـىء؛ وهي عاصية البَوْلانِيّة:

١ - أَعَـاصِـيَ جُـودِي بِـالـدُّمُـوعِ الـسَّـوَاكِـبِ　　وَبَـكِّـي لَـكِ الـوَيـلاَتُ قَـتـلَـى مُـحَـارِبِ

٢ - فَـلَـوْ أَنَّ قَـوْمِـي قَـتَّـلَـتْـهُـمْ عِـمَـارَةٌ　　مِـنَ الـسَّـرَوَاتِ والـرُّؤُوسِ الـذَّوَائِـبِ

الثاني من الطويل.

العِمَارة - بفتح العين وكسرها - حَيٌّ عظيم يطيق الانفراد، والعميرة مثله، وقيل: هما جميعًا البطن، والسَّرَوات: الرُّؤساء، والذَّوائب: الأعالي، والذَّنائب ضِدّه، وهو جمع ذُنَابة، وهما اسمان في الأصل وُصِفَ بهما.

٣ - صَـبَـرْنَـا لِـمَـا يَـأْتِـي بِـهِ الـدَّهْـرُ عَـامِـدًا　　وَلَـٰـكِـنَّـمَـا أَثْـآرُنَـا فـي مُـحَـارِبِ

أَثآر: جمع ثأر، فيقول: هم الَّذين أصابونا على ذلّتهم، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر، وهذا كالمثل «لو ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي»[1].

٤ ـ قَبِيلٌ لِئَامٌ إنْ ظَهَرْنَا عَلَيْهِمِ وإنْ يَغْلِبُونَا يُوجَدُوا شَرَّ غَالِبِ

ويُروَى «ظفرنا عليهم» وعَدَّى ظفرنا تعدية عَلَوْنَا لأنه في معناه، والمعنى: لا اشتفاءَ في الانتقام منهم إذا نِيلُوا، ولا يُنيمون طُلاَّبَ الأوتار إذا ثأروا، وجواب الشّرط وهو قوله «إنْ ظفرنا» مقدَّم يشتمل عليه قولها «قبيل لئام» لأنَّ فيه معنى الفعل: أي إنْ ظفرنا بهم لم نستحقّ الافتخار لِلؤمهم، ومثل قوله «وإن يغلبونا يوجدوا شَرّ غالب» قول امرىء القيس: [الطويل]

وَلَمْ يَغلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ[2]

[٦٧٢] وقالت غيرها[3]:

١ ـ إذَا مَا الرِّزْقُ أَحْجَمَ عَنْ كَرِيمِ وَأَلْجَأَهُ الزَّمَانُ إلَى زِيَادِ

الأول من الوافر.

الإحجام: النُّكوص عن القِرْنِ، والمكفهرّ: المستقبل بِكراهة وتَغَضُّن وجهٍ، ويقال: سَحَابٌ مُكْفَهِرٌّ، ويُروَى «بوجه مُقْشَعرّ» والأصل في الاقشعرار تَقَبُّضُ الجلدِ، وانتصاب الشَّعر، ثم يُتَوَسَّعُ فيه فيقال: اقْشَعَرَّتِ الأرضُ والنبات والسنة، وجواب «إذا» قوله:

٢ ـ تَلَقَّاهُ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ كَأَنَّ عَلَيْهِ أرْزَاقَ العِبَادِ

[٦٧٣] وقال أبو محمد اليزيديّ[4]:

١ ـ عَجَبًا لأَحْمَدَ، وَالعَجَائِبُ جَمَّةٌ، أَنَّى يَلُومُ عَلَى الزَّمَانِ تَبَذُّلِي

أول الكامل.

---

(١) المثل في مجمع الأمثال ٢/١٦١، ومعناه: لو لطمتني حُرَّة، فجعل السّوار علامة للحرية، لأن العرب قلّما تلبس الإماء السّوار فهو يقول: لو كانت اللاّطمة حُرَّة لكان أخفّ عَلَيَّ.

(٢) هذهٍ قطعة من بيت من بائيّة امرىء القيس وهو بتمامه:

فإنَّكَ لم يَفْخَرْ عليكَ كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ

(٣) عند المرزوقي: «وقال آخر». والبيتان في الحماسة البصرية ٢/٢٩١ لعميرة بن مرّة الحرشيّ، أو ليزيد بن مفرغ الحميريّ.

(٤) هو يحيىٰ بن المبارك بن المغيرة العدوي، المقرىء النحوي اللغويّ مولى بني عدي بن عبد مناة، سكن بغداد، اتّصل بالرشيد فعهد إليه بتأديب المأمون، من كتبه (النوادر) في اللغة و(المقصور والممدود، ومختصر في النحو). (ت ٢٠٢ هـ/ ٨١٨ م). ترجمته في: (وفيات الأعيان ٢/٢٣٠؛ والنجوم الزاهرة ٢/١٧٣؛ وتاريخ بغداد ١٤/١٤٦).

«والعجائب جَمَّةٌ» اعتراض بين أحمد وقصته التي عَجِبَ منها، ويقال: أمرٌ عَجَبٌ وعُجَابٌ وعَجيبٌ وعاجبٌ، وأبلغ هذه الأبنية العُجَاب، وانتصب «عجبًا» على المصدر، وقوله «على الزَّمان» أي: على تصاريف الزّمان، فحذف المضاف.

٢ - إنَّ الـعَـجِـيـبَ لِـمَـا أُبـثُّـكَ أَمْـرَهُ ... مِـنْ كُـلِّ مَـثْـلُـوجِ الـفُـؤَادِ مُـهَـبَّـلِ

قوله «أبثك أمره» أي: أجعل أمره مما يُبَثُّ ويُحْزَن له.

٣ - وَغْـدٌ يَـلُـوكُ لِـسَـانَـهُ بِـلَـهَـاتِـهِ ... وتَـرَى ضَـبَـابَـةَ قَـلْـبِـهِ لا تَـنْـجَـلـي

الوغد: الدَّنِيء، واللَّوْك: المَضْغ.

٤ - مُـتَـصَـرِّفٍ لِـلـنُّـوكِ فِـي غُـلَـوائِـهِ ... زَمِرُ الـمـروءَةِ جَامِحٌ فـي الـمِـسْـحَـلِ

النُّوك: الحمق، والمِسحلان: حلقتا شكيم اللِّجام، والجميع المَسَاحل، والمِسْحَل اللِّسان الّذي لا يَتَأَتّى لِلكلام، والمِسْحَل: حمار الوحش، والمِسحل: فاس اللجام، ويقال: هو في غُلَوَاء شبابه، وغير ذلك، إذا كان في زيادته وارتفاعه، وزَمِر المروءة: أي قليلها، يقال: نبت زمر، ونعجة زمرة، إذا كانت قليلة الصوف، وكذلك الناقة إذا كانت قليلة الوبر، قال طرفة: [الوافر]

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ المَلْكِ عَمْرٍو ... رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ
مِنَ الزَّامِرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا ... وَضَرَّتُهَا مُرَكَّنَةٌ دَرُورُ

٥ - وإذَا شَـهِـدْتَ بِـهِ مَـجَـالِـسَ ذِي الـنُّـهَـى ... وبَـلَّـتْ سَـحَـابَـتُـهُ بِـنُـوكٍ مُـسْـهِـلِ
٦ - غَـلَـبَ الـزَّمَـانَ بِـجِـدِّهِ فَـسَـمَـا بِـهِ ... وَكَـبَـا الـزَّمَـانُ لِـوَجْـهِـهِ والـكَـلْـكَـلِ
٧ - وَلَـقَـدْ سَـمَـوْتُ بِـهِـمَّـتِـي وسَـمَـا بِـهَـا ... طَـلَـبِـي الـمَـكَـارِمَ بِـالـفَـعَـالِ الأَفْـضَـلِ
٨ - لأَنَـالَ مَـكْـرُمَـةَ الـحَـيَـاةِ؛ وَرُبَّـمَـا ... عَـثَـرَ الـزَّمَـانُ بِـذِي الـدَّهَـاءِ الـحُـوَّلِ
٩ - فَـلَـئِنْ غُـلِـبْـتُ لَـتَـمْـضِـيَـنَّ ضَـرِيـبَـتِـي ... كَـلَـبَ الـزَّمَـانِ بِـعِـفَّـةٍ وتَـجَـمُّـلِ

باب الأضياف والمديح

[٦٧٤] قال عُتَيْبة بن بُجَير المازني، من بني الحارث بن كعب:

عُتيبة: يجوز أن يكون تحقير عَتَبَة الباب، وهي أُسْكُفته، وقال قوم: بل عتبته العليا، وأسكفته السّفلى، وإن كان عتيبة تحقير عُتْبَة فغير هذا، وعُتْبَة عَلَم مرتجل غير منقول.

١ - ومُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهُهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهْوَ في الرَّحْلِ جَانِحُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الصَّدَى: الطّائر الذي يصيح باللَّيل، وأكثر ما يقولون فيه إنه ذكر البُوم، وجمعه أَصْدَاء، قال ابن مُقْبِل: [البسيط]

وَلاَ تَهِيبُنِي المَوْمَاةُ أَرْكَبُهَا إذا تَجَاوَبَتِ الأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ

وقد يوقعون الصَّدَى على ضَرْبٍ من الجَنَادب يَصيح باللَّيل والنَّهار، ويستتيهه: هو يستفعل من تاه يتيه إذا ضَلَّ، والجانح: المائل.

٢ - فَقُلْتُ لأَهْلِي مَا بُغَامُ مَطِيَّةٍ وَسَارٍ أَضَافَتْهُ الكِلاَبُ النَّوَابِحُ

يعني أنهم إذا أقفرتْ عليهم الأرضُ نَبَحَ الرّجل نُبَاحَ الكلب لعلّ بعضَ الكلاب يسمعه فيجيبه، ويقال: كلب الرجل، إذا فعل ذلك، قال الشاعر: [المتقارب]

وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ مَا أَقْفَرَتْ عَلَيْهِ البِلاَدُ وَلَمْ يَكْلَبِ

يريد أنَّ الكِلاب سمعت صوته فأجابته، فكأنَّها مضيفة له، وقد يمكن أن لا يكون الرجل نبح، ولكن لمّا سمعَ صوت الكلاب مالَ إليها فكأنها أضافته، وربما حملوا رواحلهم على الرّغاء إيذانًا بأنفسهم، وفي المثل: «كفى بِرغائها مناديًا» وأصله أنَّ بعضَ المتعرّضين للقِرى أرْغَى ناقته فلم يَتَلَقَّ بالاستنزال فجعل يذمّ، فقيل: لو ناديتهم لعلموا

بك، فقال: كفى بِرغائها مناديًا، وقال متمّم: [الطويل]

وَضَـيْـفٍ إذَا أرْغَـى طُـرُوقًـا بَـعِـيـرَهُ   وعَانٍ ثَوَى فِي القِدِّ حَتَّى تَكَنَّعَا[1]

أي: تَقَبّضَ.

٣ - فَـقَـالُـوا غَـرِيـبٌ طَـارِقٌ طَـوَّحَـتْ بِـهِ   مُـتُـونُ الـفَـيَـافِـي والـخُـطُـوبُ الـطَّـوَارِحُ

كان يجب أن يقول: والخطوب المُطَوِّحَات[2]، في الجمع بالألف والتاء؛ لأن اسم الفاعل من طَوَّح مُطَوِّح، ولكنه أخرج الطَّوائح على حذف الزيادة من الفعل، ومثله قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[3] لأنَّ أصلَه أن يجيءَ مَلاَقِح أو مُلْقِحَات لكونها مُلْقِحة للأشجار، والفعل منه ألقح، فأخرجه عى حذف الزوائد فصار لقح ولواقح، وكذلك «الطَّوائح» قياسه أن يكون إذا عدل عن الجمع بالتاء مَطَاوِح، وارتفع «غريب» على أنه خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: هو غريبٌ طارقٌ، ومعنى «طَوَّحَتْ» حملته على ركوب المهالك، والطَّائح: الهالك.

٤ - فَـقُـمْـتُ ولَـمْ أَجْـثِـمْ مَـكَـانِـي ولَـمْ تَـقُـمْ   مَـعَ الـنَّـفْـسِ عِـلاَّتُ الـبَـخِـيـلِ الـفَـوَاضِـحُ

الجُثُوم: أصله إلصاق الصَّدْرِ بالأرض ولزومها، ويُستعمَلُ كثيرًا في الطَّير والسِّباع، والجُثمان الشَّخص منه اشْتُقَّ، وقوله: «ولم تقمْ مع النفس عِلاّتُ البخيل» يريد أنَّ نفسي لمَّا تهيّأت للإضافة لم تَقُمْ معها العِلاّت التي تفضح أربابَها.

٥ - ونَـادَيْـتُ شِـبْـلاً فـاسْـتَـجَـابَ؛ وَرُبَّـمـا   ضَـمِـنَّـا قِـرَى عُـشْـرٍ لِـمَـنْ لا نُـصَـافِـحُ

يريدِ بِشبلٍ ابنَهُ، قال أبو العلاء: أشبه ما روي في هذا البيت «قِرَى عَشْرٍ لمَن لا نصافح» بفتح العين: أي عشر ليالٍ لمَن ليس بيننا وبينه مصادقة تُوجِبُ مصافحةً، وبعضُ النَّاسِ يضمُّ العينَ، وله وجهٌ: أي ربّما ضمنا قِرى عُشْرِ أموالنا لمَن لا نعرفُ، وقد يمكنُ أن يكونَ عُشْر جمع عَشير، وهو الذي يعاشر من الغرباء، أو يكون من عشيرته، مثل ما يقال: صَدِيق وصُدْق وكريم وكُرْم، ومن روى «عُسْرٍ» بالسين غير معجمة فالمعنى: إنَّا نقرِي الضَّيفَ وإنْ كُنَّا معسرين، وقال غيره: قِرى عشر أي عشر نسمة، ولا يمتنع عنده أن يكون المراد عشر ليالٍ كما تقدَّم ذِكره، وقوله «لمَن لا نصافحُ» يجوز أن يكون من المصافحة المعروفة، ويجوز أن يكون من صفحت النَّاس: أي نظرتُ في أحوالهم.

٦ - فَـقَـامَ أَبُـو ضَـيْـفٍ كَـرِيـمٍ كَـأَنَّـهُ   وقَـدْ جَـدَّ مِـنْ فَـرْطِ الـفُـكَـاهَـةِ مَـازِحُ

---

(١) البيت لمتمّم بن نويرة في المفضلية رقم (٦٧).

(٢) هذا الكلام يدلّ على أن البيت الذي يشرحه فيه «الخطوب الطوائح» بدل الطّوارح.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

عنى بأبي الضَّيف نفسه، وارتفع «مازح» على أنه خبر كأن؛ وموضع «وقد جَدَّ» موضع الحال، كأنه قال: يشابهُ المازح من فرط الصَّبابة وهو جادٌّ، ويقال: فاكهته بِمُلَحِ الكلام، وهي الفكاهة.

٧ - إِلَى جِذْمِ مَالٍ قَدْ نَهِكْنَا سَوَامَهُ وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقٍ صَحَائِحُ

تعلَّقَ «إلى» بقوله قام، ويريد بالقيام غير الذي هو ضدّ القعود، وإنّما يريد به الاشتغال بما يُؤنِسُه ويطيبُ قلبه، والجِذم: الأصل، و«نهكنا سَوامَه» أي: أثرنا في السّائمة من المال بما عَوَّدْنَاها من النَّحرِ، من قولهم «نَهَكَهُ المرضُ» إذا أضَرَّ به.

٨ - جَعَلْنَاهُ دُونَ الذَّمِّ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا عُدَّ مَالُ المُكْثِرِينَ المَنَائِحُ

المنائح: جمع مَنيحة، وهي النّاقة أو الشّاة تُدْفَعُ إلى الجار لينتفعَ بلبنها ما دام بها لبن، فإذا انقطع لبنها رُدَّتْ، وقوله «جعلناه دون الذَّمِّ» يريد صَيَّرناه دون الذَّمّ، فعلى ذلك يحتمل أن يكون «دون» ظرفًا، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانيًا، فيكون معنى «دون الذّمّ» قاصرًا عن الذمّ، فيبعد الذمّ عَنّا ولا يلحقنا؛ لأنَّ مالَنا يحولُ بيننا وبين الذمّ.

٩ - لَنَا حَمْدُ أَرْبَابِ المِئِينَ وَلاَ يُرَى إِلى بَيْتِنَا مَالٌ مَعَ اللَّيْلِ رَائِحُ

يعني أنَّها على قِلَّتِها باركة بالفناء للحقوق لا تبلغُ أن تصيرَ سارحة ورائحة.

[٦٧٥] **وقال مُرَّة بن مَحْكَان التَّميميّ[1]:**

«محكان» عَلَم مرتجل، وهو فَعْلاَن من م ح ك.

١ - يَا رَبَّةَ البَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَالَ القَوْمِ والقُرُبَا

أول البسيط، والقافية متراكب.

القُرُب: جمع قُرَاب السَّيف، وهو كالجراب يوضع السَّيف فيه بغمده وغير السيف، وإنّما أمرها بِضَمِّ الرِّحال والقرب لأنهم لمّا نزلوا عنده فقد أمنوا لا يحتاجون إلى حضور السّلاح عندهم.

٢ - فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لاَ يُبْصِرُ الكَلْبُ مِنْ ظَلْمَائِهَا الطُّنُبَا

«في ليلة» إن شئت جعلت الجار متعلّقًا بِضُمِّي، وإن شئت جعلته متعلّقًا بقومي، والأجود في الجمع بين الفعلين في باب الأمر أن يدخل الثاني حرف العطف، كقول الله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[2] واذنْ واكتُبْ، وما أشبه ذلك، وهذا قال «قومي غير صاغرة ضمّي»

(١) مُرَّة بن محكان: أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم، شاعر مقلّ إسلامي من شعراء الدولة الإسلامية. ترجمته في: (المرزباني ص ٣٨٣؛ والشعر والشعراء ص ٦٦٧).

(٢) سورة المدّثر، الآية: ٢.

ولم يأتِ بالعاطف فيه، وهو جائز، وانتصب «غير» على الحال، وجعل اللّيلة من ليالي جُمَادى لأنّها من شهور البرد، والمراد في ليلة من ليالي جُمَادى ذات أنداء وأمطار، وكانوا يجعلون شهر البرد جُمادى، وإن لم يكن جُمادى في الحقيقة، كأن الأسماء وُضِعَتْ في الأصل مقسمة على عوارض الزّمان والحرّ والريح والبرد والمطر وتبدّل الفصول، ثمَّ تغيَّرتْ فصارت تُسْتَعارُ، وقوله: «ذات أندية» تكلّم الناس فيه؛ لأن جمع الندى أنداء، قال الشّاعر: [الطويل]

إذا سَقَطَ الأَنْداءُ صِينَتْ وَأُشْعِرَتْ حَبِيرًا ولـم تُدْرَجْ عَلَيْها المعَاوِزُ(١)

وكان المبرّد يقول: هو جمع نَديّ المجلس، وكان أماثل النَّاس إذا اشْتَدَّ الزمان يجلسون مجالس: يدبّرون أمر الضّعفاء، ويفرّقون فيها ما تحصل عندهم من فضل الزَّادِ، ويفيضون الميسر، وقال غيره: هو جمع نَدًى كأنه جمع فَعَلاً على فِعَال ثم جمعَ فِعَالاً على أَفْعِلَة، كأنّه نَدًى ونِدَاءٌ، ثم جمع النِّدَاء على الأندية ككساء وأكسية، ورواق وأروقة، وقيل: هو شَاذٌّ اسْتُعِيرَ ما للممدود للمقصور، يفعلون ذلك في المباني كما يفعلون في الألفاظ، قالوا: ومثله قَفًا وأقفية، ورَحًا وأَرْحية، وهذا ممّا حكاه الكوفيون، وقال بعضهم: هو أَفْعُلة بضمّ العين كأنه جمع فَعَلاً على أفْعُل كما قِيلَ زَمَنٌ وأَزْمُنٌ فجاء نَدًى وأنْدٍ، ثم ألحق الهاء توكيدًا لتأنيثِ الجمع، كما يقولون: بُعُولة وحِجَارة، فصار أندية، ويكون في هذا الوحه شَاذًّا أيضًا، وقوله «لا يبصر الكلب» مبالغة في شِدَّةِ الظّلمة، والكلبُ قويُّ البصرِ باللّيل، فإذا بلغ أمره إلى ما وصف فهو نهاية الظُّلمة، والطُّنُبُ: حَبْلُ البيت، ومثله: [الطويل]

أُنَـاسٌ إذا مـا أَنْـكَـرَ الـكَـلْـبُ أَهْـلَـهُ حَمَوْا جَارَهُمْ في كُلِّ شَنْعاءَ مُعضِلِ(٢)

وقيل في هذا البيت وجه آخر، وهو أنَّ المراد به لبس السّلاح عند اللقاء، وتغيير الزيّ، وموضع الجملة جرّ على الصّفة لِليلة، وساغ ذلك فيها لاحتمالها غيرها وكذلك قوله:

٣ ـ لاَ يَنْبَحُ الـكَـلْـبُ فِـيـهَـا غَـيْـرَ وَاحِـدَةٍ حَتَّى يَلُفَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنَبَا(٣)

أراد غير نبحة واحدة، وانتصب «غير» على أنه مصدر، ولمّا لم يجىء «غير» إلا مضافًا ولم يكن له معنى إلا مخالفة ما يضاف إليه جاز أن يجيء فاعلاً ومفعولاً وحالاً

---

(١) البيت للشمّاخ في ديوانه ص ١٩٣؛ ولسان العرب (حبر)؛ وأساس البلاغة (عوز)؛ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨١٨؛ والمقتضب ٣/ ٨١.

(٢) البيت في الحيوان ٢/ ٧٠؛ وأمالي القالي ١/ ٥٥، وقد نُسِبَ لطفيل الغَنَويّ، ورواية الحيوان: «مُظْلِع»، والظلع: العرج والغمز. والشنعاء: الداهية المشهورة.

(٣) عند المرزوقي: «على خرطومِه الذَّنَبا».

وظرفًا ووصفًا واستثناءً ومصدرًا، وقوله «حتى يلفَّ» انتصب الفعل بإضمار أنْ، وحتّى بمعنى إلى، كأنه قال: إلى أنْ يلفَّ الذَّنَبَ على خرطومه: أي لا ينبحُ إلى أن يلفَّ الذَّنب على خرطومه إلاّ نبحة واحدة، ولو رفعت الفعل فقلت حتى يَلُفُّ لجاز ذلك، ويراد به الحال، والمعنى أن يكون الفعل الثاني متصلاً بالأوّل: أي لا ينبحُ إلاّ نبحةً فهو يلفُّ الذنب، وعلى هذا قولك: سِرْتُ حتى أَدْخُلُها، فقرن السَّيْرَ بالدّخول، ومعناه أنه خرج من السّير إلى الدخول، إلاّ أنه يخبر أنه في حال دخوله، فمعناه كمعنى الفاء إذا قلت: سِرْتُ فأنا أدخلُها: أي هذا مُتَّصِلٌ بهذا.

٤ ـ مَـاذَا تَـرَيْـنَ؟ أَنُـدْنِـيـهِـمْ لأَرْحُـلِـنَـا في جَانِبِ البَيْتِ أَمْ نَبْني لَهُمْ قُبَبَا؟

«تَرَيْنَ» أصله تَرْأَيين؛ لأنه تَفْعَلين، فحُذِفت الهمزة استخفافًا بعد أن ألقي حركتها على الرَّاء، فصار تَرَيين، ثم قُلِبَت الياء الأولى أَلِفًا لِتحرّكها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان، فحذفت الألف منهما فصار تَرَيْن.

٥ ـ لِـمُـرْمِـلِ الـزَّادِ مَـعْـنِـيٌّ بِـحَـاجَـتِـهِ مَـنْ كَـانَ يَـكْـرَهُ ذَمًّـا أَوْ يَـقِـي حَـسَـبَـا

اللاّم من قوله «لِمرمِلِ الزَّادِ» تتعلَّقُ بقوله «ماذا ترين» كأنه أعاد الذِّكر فقال: وهذا السّؤال والاستشارة لأجلهم ولمكانهم، والمرمل: الذي قد انقطَعَ زَادُه، ويجوز أن يكون «لمرمل الزَّاد» بدلاً من المضمرين في «نبني لهم» وقد أعاد حرف الجرّ معه، وقوله «مَنْ كان يكره» موضعه رفع بِمَعنِيٍّ، كأنه قال: ذلك مني لمنقطع يعني بحاجته مَن كان كارهًا لِذَمِّ النّاس أو صائنًا لِشَرفه، كأنه بَيَّنَ العِلّة في العناية به.

٦ ـ وقُمْتُ مُسْتَبْطِنًا سَيفِي فأَعْرَضَ لِي مِثْلَ الـمَجَادِلِ كُومٌ بَرَّكَـتْ عُـصَـبَـا

انتصب «مستبطنًا» على الحال من قمتُ، ويقال: استبطنت فلانًا دونك: أي خاصمته، وتبطَّنْتُ كذا: دخلت فيه حتى عرفت باطنه، وقوله «فأعرضَ لي» أي: أبدت لي عُرْضَها نوقٌ كأنهنَّ قصورٌ، والكُوم: جمع أَكْوَم وكَوْمَاء، وهي العظام الأَسنمة، وقوله «بَرَّكَتْ» إنّما ضعَّفَ عين الفعل على التَّكثير أو التكرير، وجعل إبله فِرَقًا باركةً لِشدّةِ البرد كما قال أبو ذؤيب: [البسيط]

وَاغْصَوْصَبَتْ بَكرًا من حَرْجَفٍ وَلَهَا وَسْـطَ الـدِّيَـارِ رَذِيَّـاتٌ مَـرَازِيـحُ[1]

وانتصب «عُصَبًا» على الحال، وهو جمع عصبة.

٧ ـ فَـصَـادَفَ الـسَّـيْـفُ مِنْـهَـا سَاقَ مُتْلِيَةٍ جَلْسٍ فَـصَـادَفَ مِـنْـهُ سَـاقُـهَـا عَـطَـبَـا

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذليّ في ديوان الهذليين ١/١٠٨، وبكرًا: بمعنى بكرة، والحرجف: الريح الشديدة.

أراد أنه عرقبَ ناقةً منها، والمُتْلِية: هي التي لها ولدٌ يتلوها، وقيل: هي الحامل، والجَلْسُ: الصّلبة المشرفة، وقيل: هي الواسعة الأخذ من الأرض، والجلس: المكان المرتفع الصّلب، وإنّما سُمِّيَتِ النّاقة الصليبة بذلك، ونجد سُمِّيَ بذلك، يقال: جلسنا، إذا أتينا نَجْدًا، قال مروان بن الحكم للفرزدق: [الكامل]

قُلْ لِلْفَرَزْدَقِ، وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا، إنْ كُنْتَ تَارِك مَا أمَرْتُكَ فَاجْلِسِ

أي: ائتِ نَجْدًا، وكان الفرزدق حينَ قَدِمَ المدينة مستجيرًا بسعيد بن العاص من زياد ابن أبيه فامتدحَ سعيدًا ومروان قاعد، فقال الفرزدق: [الوافر]

تَرَى الغُرَّ الجَحَاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ إذَا مَا الأَمْرُ بِالمَكْرُوهِ عَالاَ
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إلى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلاَلاَ

فقال له مروان: قعودًا يا غلام، فقال: لا والله يا أبا عبد الملك إلاّ قيامًا، فأغضب مروان، وكان معاوية يعاوم بين مروان وسعيد، فلمّا وَلِيَ مروان كتب للفرزدق كتابًا إلى واليه بِضَرِيَّةَ أنْ يعاقبَهُ إذا جاءه، وقال للفرزدق: إنّي قد كتبتُ لك بمائة دينار، فلمّا أخذ الكتاب وانصرف على أنه جائزة ندم مروان، فكتب إلى الفرزدق بهذا: [الكامل]

قُلْ لِلْفَرَزْدَقِ، وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا، إنْ كُنْتَ تَارِكَ مَا أَمَرْتُكَ فَاجْلِسِ
وَدَعِ المَدِينَةَ إنَّهَا مَذْمُومَةٌ وَاعْمِدْ لِمَكَّةَ أوْ لِبَيْتِ المَقْدِسِ

فردَّ عليه الفرزدق: [الكامل]

يَا مَرْوُ إنَّ مَطِيَّتِي مَحْبُوسَةٌ تَرْجُو الحِبَاءَ وَرَبُّهَا لَمْ يَيْأسِ
وَحَبَوْتَنِي بِصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ يُخْشَى عَلَيَّ بِهَا حِبَاءُ النِّقْرِسِ
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا فَرَزْدَقُ لاَ تَكُنْ نَكْدَاءَ مِثْلَ صَحِيفَةِ المتَلَمِّسِ

فكان الفرزدق لا يقربُ مروان في خلافته ولا عبد الملك ولا الوليد.

٨ - زَيَّافَةٍ بِنْتِ زَيَّافٍ مُذَكَّرَةٍ لمَّا نَعَوْهَا لِرَاعِي سَرْحِنَا انْتَحَبَا

الزَّيَّافة: التي تَزِيفُ في مَشْيِها وتتبختر.

٩ - أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَى سَنَاسِنِهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتَبَا

يقال: أمْطَيْتُ البعيرَ، إذا ركبت مَطَاهُ، وهو الظَّهْر، وأمطيته غيري، وإنّما يصفُ إشرافَ ناقته التي نَحَرَهَا، فيقول: ركبها جازرنا لمّا نحرها إذ كان أعلى سَنَاسنها لم تصلْ يده إليها، فصار منها لما علاها بمكان القَتَبِ، والسَّناسِنُ: أعلى السَّنام والخارج من فَقَارِ الظَّهر، واحدتها سِنسِنَة.

١٠ - يُنَشْنِشُ اللَّحمَ عَنهَا وَهْيَ بَارِكَةٌ كما تُنَشْنِشُ كَفًّا قَاتِلٍ سَلَبَا

ينشنشُ: أي يكشف ويفرِّقُ، وقيل: النَّشْنَشَة مباشرة الشيء حتى تأخذه كما تريد، ويُروى «كَفًّا فاتل» قالوا: شَبَّهَ نشنشته بنشنشة فاتل الحبل من السَّلَبِ، وهو نبات، وقيل: هو شجرٌ يُدَقّ ويُتَّخَذُ منه الحبال، وبائعها ومُتَّخذها سَلاَّب، هكذا حكاه أبو حنيفة الدينوري، والرواية هي الأولى.

وقال أبو محمد الأعرابي: لو قال قائل: لِمَ قال فنشنش الجلدَ عنها وهي باركة، ولم يذكرْ وهي مضطجعة، وليس شيء من الحيوان يُسْلَخُ إلاّ مضطجعًا؟ قيل له: من عادة العرب أنهم إذا نحروا النَّاقة وخَشُوا أن تضطجعَ رَفَدَهَا الرجال من جانبيها حتى تموت وهي باركة، وذلك أن جزرهم إيَّاها وهي باركة مستوية هو خير من جزرهم إياها وهي مضطجعة على جنبها، فإذا ماتَتْ جَزَلوها، والجزل: أنْ يَحزّوا أصلَ العنق ما بين المنكبين حتى يسترخي العنق، ولم يقطعوه كلّه، وقد فصلوه، ثم يكتنفها الرِّجالُ فيكشف السَّنام رجلان، وذلك أن يكون أحدهما من جانبها من شقٍّ والآخر من الشّقّ الآخَر، وآخران من قِبَلِ الكتفين، وآخران من قِبَلِ العجز؛ فثلاثة من جانب، وثلاثة من جانب، والسَّالخ واحد وهي باركة.

١١ ـ وقُلْتُ لَمَّا غَدَوْا أُوصِي قَعِيدَتَنَا ... غَدِّي بَنِيكِ فَلَنْ تَلْقَيْهِم حِقَبَا

«أوصي» في موضع النصب على الحال: أي مُوصِيًا قَعيدَتَنا، ومفعول قلت قوله «غَدِّي بَنيكِ»؛ والحِقَبُ: السِّنون، واحدتها حِقْبَة.

١٢ ـ أُدْعَى أَبَاهُمْ ولَمْ أُقْرَفْ بِأُمِّهِم ... وَقَدْ عَمِرْتُ ولَمْ أعرِفْ لَهُمْ نَسَبَا

١٣ ـ أَنَا ابْنُ مَحْكَانَ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ ... أُنْمَى إِلَيْهِمْ وكانُوا مَعْشَرًا نُجُبَا

بنو مطر بن شيبان رهط معن بن زائدة.

[٦٧٦] وقال آخر:

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ قالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ ... حَضَأْتُ لَهُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزْلُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

«حَضَأْتُ له نارًا» فتحتُ عَيْنَها لتلتهبَ، وقد أُوقِدَتْ بِغلاظ الحطب وكبارها، و«حضأتُ له نارًا» جواب رُبَّ.

٢ ـ فَقُمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَغَنِمْتُهُ ... مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ

انتصب «مسرعًا» على الحال، و«مخافة قومي» مفعول له: أي فعلت ما فعلت لهذه العلّة.

٣ ـ فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وأَوْسَعْتُهُ قِرًى ... وأَرْخِصْ بِحَمْدٍ كانَ كاسِبَهُ الأَكْلُ

ويُروَى «أكل» جعل النكرة اسم كان والمعرفة خبرًا، والإبهام الحاصل من التنكير في هذا الموضع أبلغ في المعنى المستفاد.

[٦٧٧] وقال آخر:

١ - تَرَكْتُ ضَأْنِي تَوَدُّ الذِّئْبَ رَاعِيَهَا وأَنَّهَا لا تَرَانِي آخِرَ الأَبَدِ

٢ - الذِّئْبُ يَطْرُقُهَا في الدَّهْرِ وَاحِدَةً وكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةٌ بِيَدِي

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

يجوز أن يكون عَدَّى «تَوَدُّ» إلى مفعولين، يسوّغ ذلك أنه عطف على مفعوله الأوّل قوله «وأنها لا تراني آخِرَ الأَبَدِ»؛ ويكون التقدير وتودُّ أنها لا تراني أبدًا، ويشهد لهذا قول الآخر: [الطويل]

وَدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الوَدَادَةُ أَنَّنِي بِمَا فِي ضَمِيرِ الحَاجِبِيَّةِ عَالِمُ[(١)]

أَلاَ تَرى أنَّ وقوع «أنَّ» بعده يقرب الأمر في تعدّيهِ إلى مفعولين وأن يجري مجرى أفعال الشَّكِّ واليقين، كما تقول: إنَّ زيدًا منطلقٌ، وبمثل هذا الاستدلال حكموا على «زعمت» بأنه يتعدَّى إلى مفعولين، ولا يمتنع أن يكون «راعيها» في موضع الحال، والمراد راعيًا لها، ويتعدَّى «تودُّ» حينئذٍ إلى مفعول واحد، والمعنى: إن ضَأني تتمنّى أنْ يكونَ مُدَبِّرُها في الرَّعْيَةِ الذّئبُ، وقوله «الذِّئبُ يطرقُها» هو بيان سبب تمنّيها، وانتصب «واحدة» على الظَّرف: أي مرَّةً واحدةً، ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف، كأنه أراد طَرْقَةً واحدةً، وقوله «وكلّ يوم» هو ظرف لقوله «تراني»؛ و«مديةٌ بيدي» نصب على الحال: أي تراني حاملاً مديةً لها، وإنْ شئتَ رويتَ «مُدْيَةً» ويكون بدلاً من المضمَر في «تراني»؛ وهذا البدل هو بدل الاشتمال: أي ترى مديةً بيدي، فأمَّا وجه الرفع فالضمير الذي في «بيدي» سيغني عن الواو المعلَّقة للجمل بما بعدها وهي صفات أو أحوال؛ لأنَّ الضمير يعلّق كما يعلّق العاطف، ومن الوجه الثاني - وهو البدل - قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[(٢)] وقال أبو العلاء: مدية الأجود فيها الرفع على الابتداء، ويكون ما بعدها في موضع حال؛ لأنَّ الرّؤية هنا رؤية العين، والفعل يكتفي بالاسم الأوَّل.

---

(١) البيت لكُثَيِّر عَزَّة في خزانة الأدب ٨/ ٣٨٣؛ وبلا نسبة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٥٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

[٦٧٨] وقال آخر:

١ - وَمَا أَنَا بِالسَّاعِي إِلَى أُمِّ عَاصِمٍ لأَضْرِبَهَا، إِنِّي إِذًا لَجَهُولُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «لأَضربَها» اللاَّم منه لام كي، فإنْ قِيلَ: كيف يكون كذلك وفي صدر الكلام ما النافية؟ ولِمَ لا يكون لام الجحود؟ قلت: لام الجحود يقع بعد «كان» وما تصرّف منه، كقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾(١) وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٢) وكقولك: ما كنت لأشتمكَ، لأنه جواب قول قائل: كنت شتمتني، فأجبت ما كنت لأشتمك، ولهذا لم تظهرْ معه «أن» الناصبة للفعل وإن جاز ظهورها مع لام كي، و«إذًا» وقع لغوًا لافتقار ما قبلها إلى ما وقع بعدها، وقوله «وما أنا بالسَّاعي» كأنه رأى إنسانًا يضربُ امرأتَهُ ويحول بينها وبين تدبيرها دارها، فنفى عن نفسه مثل ذلك بفعله المتناهي في الجهل.

٢ - لَكِ البَيْتُ إلاَّ فَيْنَةً تُحْسِنِينَهَا إِذَا حَانَ مِنْ ضَيْفٍ عَلَيَّ نُزُولُ

حكى أبو زيد أنَّ قولهم «فَيْنَة» مِمَّا يعتقبُ عليه تعريفان: أحدهما بالوضع، والآخر بالألف واللاَّم؛ ومثله شَعُوب والشَّعوب، والفَيْنة: الوقت، يقول: إليكِ تدبير البيت، ولكِ الأمر فيه نافذٌ، إلاَّ وَقْتًا تحسنين وقت يحين نزول الضَّيْفِ فيه عَلَيَّ؛ لأنه يجبُ من أجلِهِ أن تحسِني فيه إليه. وقوله «تحسنينها» قدّر الظرف تقدير المفعول الصحيح، كما قال «ويوم شهدناه»(٣) وما أشبهه، وروى بعضهم «إلاَّ فينةً تحسبينها» أي تظنّينَ فيها أنَّها لِغيركِ لا لَك، وعلى هذا يكون قد حذفَ مفعولا تحسبُ وشغل بضمير الفينة، وانتصب «إلاَّ فينةً» على استثناء من واجب، كأنه لكِ البيت كلّ وقت وساعة إلاَّ ساعة كذا، ويُروَى: «تُحْبَسِينَهَا» أي تتخلَّفينَ فيها عن تيسيرك طعام الضَّيف، قال أبو العلاء: وإذا رويت «قينة» احتمل وجهين: أحدهما أن تكون القينة الأَمَة: أي أنت المُحَكَّمة في البيت غير حبسكِ القَينة عن القيام بما يجب لِلضيفِ، والآخر أن تكون القينة بمعنى الفقارة من الظَّهر: أي وَفِّري قِرى الضَّيف عليه ولا تحبسي من الطعام شيئًا عندك فإنَّ تقديمه إليه وهو كثير أجمل.

[٦٧٩] وقال بعض بني أسد:

١ - وَسَوْدَاءَ لاَ تُكْسَى الرِّقَاعَ نَبِيلَةٍ لَهَا عِنْدَ قَرَّاتِ العَشِيَّاتِ أَزْمَلُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩. (٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) هذه قطعة من بيت وهو بتمامه:

ويومًا شَهِدْناه سُلَيْمًا وعامرًا قليلٌ سِوَى الطَّعْنِ النِّهال نوافِلُهْ

الثاني من الطويل.

القِرَّة: القَرُّ بعينه، والأزمل: الصَّوت الشَّديد، والسوداء يعني قِدْرًا، والرِّقَاع يعني الثياب، قال القَطَامي: [الوافر]

فَلأيًا بَعْدَ لأيٍ وَجَّهُوهَا   عَلَى مَا كَانَ إذْ طَرَحُوا الرِّقَاعَا

وقوله «لا تُكْسَى الرِّقاع» في موضع الصِّفة لها، ومثله: [الوافر]

إذَا النِّيرَانُ أُلبِسَتِ القِنَاعَا[1]

وجعلها مكسوّةً رقاعًا لأنَّ الرِّقعة والرِّقعتين لا تكفي في سَتْرِها لِعِظَمِها، وإنّما تسترُ القِدْرَ لِشدّةِ الزَّمَانِ، ويجوز أن يريد أنها كبيرة لا يمكن سترها بالرِّقاع، ولا تستر، كما قال: [السريع]

وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرْ[2]

ونبيلة: عظيمة الشَّأنِ، وخَصَّ قَرَّات العَشِيَّات لأنَّها وقت الأضياف.

٢ ـ إذَا مَا قَرَيْنَاهَا قِرَاهَا تَضَمَّنَتْ   قِرَى مَنْ عَرَانَا أَوْ تَزِيدُ فَتُفْضِلُ

يقول: إذا ما مَلأناها فِدَرًا[3] وأوصالاً تضمَّنَتْ لنا الكِفاية ولِمَنْ أتانا من ضيفٍ أو تزيدُ على المطلوب فتفضلُ على غيرهم ممّنْ لا يَعْرُو في الوقت، ويُروى «وَتَفْضُل» بفتح التاء، وجعل المطبوخ في القِدْر قِرًى لها ليطابق قوله «تضمَّنَتْ قِرَى مَنْ عَرَانَا».

[٦٨٠] وقال آخر:

عروة بن الورد[4].

١ ـ سَلِي الطَّارِقَ المُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ   إذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي ومَجْزَرِي

الثاني من الطويل.

الطَّارق: الآتي ليلاً، و«سَلِي» أصله اسْألي؛ فحذفت الهمزة، وأُلْقِيَتْ حركتها على السّين، ثم اسْتُغْنِيَ عن الهمزة المُجتَلَبَة لتحرّك السّين بالفتحة، فحذفت. والمعترّ: المتعرِّض ولا يسأل، وقوله «بين قدري ومَجْزري» يريد إذا أتاني في موضع الضّيافة أعطيتُهُ إمَّا لَحْمًا نيئًا وذلك من المجزر، وإمَّا مطبوخًا وذلك من القِدْرِ.

---

(١) هذا عجز بيت لأبي زياد الكلابي كما سيأتي في الحماسية رقم (٦٩١)، وصدره: «له نارٌ تُشَبُّ على يَفَاعٍ».

(٢) هذا عجز بيت لعمرو بن أحمر وصدره: «لا تفزع الأرنب أهوالها».

(٣) الفِدَرُ: جمع الفِدْرَة: القطعة من اللَّحم المطبوخ البارد.

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦).

٢ - أَيُسْفِرُ وَجْهِي أَنَّهُ أَوَّلُ القِرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

«أيسفرُ وجهي» في موضع المفعول الثاني لِسَلي، وقد اكتفى به لأن في الكلام إضمار «أم لا»، وساغ حذفه لما يدلُّ عليه من قرائن اللّفظ والحال، وقال سيبويه: لو قلت «عَلِمْتُ أَزيدٌ في الدّارِ» لأكتفي به من دون إضمار، ولو قلت «سواء عليَّ» أو «ما أُبالي» لم يكن بُدٌّ من ذِكر «أم لا» بعدهما، ومعنى قوله «أنه أول القِرى» يريد أن إظهار البَشَاشة لِلضَّيفِ من أوائل قِرَاهُ، والضَّمير من قوله «أنّه أول القِرى» لما يدلُّ عليه قوله «أيسفرُ وجهي» لأنَّ الفِعلَ يدلُّ على مصدره، والمراد أنَّ الإسفارَ أوّل القِرى، وعلى هذا قولهم: مَنْ كذبَ كان شَرًّا له وما أشبهه، وقال النمريّ: المعروف هٰهنا القِرى والإيناس، وما شاكلهما، والمنكر هٰهنا أن يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ومقصده، وكلُّ هذا مِمَّا يجلبُ عليه حياء، وقال أبو محمد الأعرابيّ: المعروف هنا القِرى، والمنكر الحُرَمُ، يعني أنه يبذل لِلضيفِ كلَّ ما يمتلكه، ولا يكنّ منه شيئًا سِوَى الحُرَمِ، قال: ومثل هذا قول جُبَيْهَاء الأشجعيّ في صفة ضيف: [الطويل]

وَقُلْتُ تَخَفَّضْ مَا لِضَيْفِ يَضِيفُنَا كَنِينٌ سِوَى حُصْنِ النِّسَاءِ الحَرَائِرِ

[٦٨١] وقال آخر:

١ - وإنَّا لَمَشَّاؤونَ بَيْنَ رِحَالِنَا إلَى الضَّيْفِ مِنَّا لاَحِفٌ وَمُنِيمُ

٢ - فَذُو الحِلْمِ مِنَّا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ وَذُو الجَهْلِ مِنَّا عَنْ أَذَاهُ حَلِيمُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «لاحفٌ» أي: يلبسه اللِّحَاف، ومُنِيمٌ: يحدّثه حتى ينام، «فذو الحِلْم مِنَّا جاهلٌ» إنّما يتجاهل الحليم دون ضيفه إذا أُوذِيَ عند طلبِ ثأْرٍ من جِهَتِهِ، أو تخشين جانب له بكلام أو فعال، «وذو الجهل مِنّا عن أذاه حليم» يريد وإن أخذَ الضَّيف يؤذينا يرى الجهول يحتمله ولا يؤاخذه به.

[٦٨٢] وقال ابن هَرْمَةَ(١):

١ - أَغْشَى الطَّرِيقَ بِقُبَّتِي وَرِوَاقِهَا وأَحُلُّ في نَشْزِ الرُّبَا فَأُقِيمُ

الثاني من الطويل، والقافية متواتر.

يعني أنه يضرب قُبَّتَهُ على الطَّريق، ويُروَى «في قُلَلِ الرُّبَا».

٢ - إنَّ امْرَءًا جَعَلَ الطَّرِيقَ لِبَيْتِهِ طُنُبًا وأَنْكَرَ حَقَّهُ لَلَئِيمُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٧١).

«حَقَّهُ» يعني حَقَّ الطَّريقِ؛ ولم يَرْضَ بالحلول على الطَّريق حتى وصله بالإقامة، وقوله «جعل الطَّريق لبيته طُنُبًا» أراد جعل الطَّريق موضع طنب بيته، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يكون على القلب، أراد جعل طنب بيته للطريق: أي مِمَّا يليه، ومثله: [الكامل]

يَسِطُ البُيُوتَ لِكَيْ يَكُونَ مَظِنَّةً ... مِنْ حَيْثُ تُوضَعُ جَفْنَةُ المُسْتَرْفِدِ[1]

وقول الآخر: [الوافر]

وَيَأْبَى الذَّمَّ لِي أَنِّي كَرِيمٌ ... وأنَّ مَحَلِّيَ القَبَلُ اليَفَاعُ[2]

[٦٨٣] وقال آخر[3]:

١ - ومُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ ... لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهْوَ بِالثَّوْبِ مُعْصِمُ

ثاني الطويل.

كشطَ واستكشَط بمعنى، وهو كعَجِبَ واسْتَعْجَبَ، والكَشْطُ والقَشْطُ يتقاربان، وأصل الكَشْطِ للبعير وإن اسْتُعْمِلَ في غيره، والجلد يقال له الكِشَاط، والمُعصِم والمستعصم والمعتصم واحد، وهو المستمسكُ بالشَّيء.

٢ - عَوَى في سَوَادِ اللَّيلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ ... لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

عَوَى: أي نبح وصاح، و«فلان ما يعوي وما ينبح» إذا اسْتُضْعِفَ، ويقال لِلدَّاعي إلى الفتنة «عَوَى» تشبيهًا له بالكلب وإزراءً به، والاعتسافُ: الأَخْذ في الطَّريق على غير هِدَايَةٍ، وإنَّما قال «ليفزع نُوَّمٌ» لأنهم إذا انتبهوا لصوته أجابوه وتلقَّوه أو رفعوا النَّارَ له، وجواب رُبَّ: عَوَى.

٣ - فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقِرَى ... لَهُ عِنْدَ إِتْيَانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ

عَنَى بمستسمعِ الصَّوْتِ الكَلْبَ، واستسمعَ بمعنى سَمِعَ، وقوله «له عند إتيان المهبِّينَ مطعمُ» يعني سعة عيشِ الكلب فيما يُنْحَرُ لِلضَّيفِ، والمهبُّون: الأضياف، يقال: هَبَّ من نومه وأَهْبَبْته، واللامُ في «للقِرى» يجوز أن تتعلَّقَ بقوله «جاوبه» وأن تتعلَّقَ بمستسمع الصَّوت.

---

(١) البيت في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٩٦٤ و١٥٧٨؛ وفي اللسان (وسط).

(٢) البيت لربيعة بن مقروم في المفضلية رقم (٣٩). والقَبَلُ: ما استقبلكَ من الجبل.

(٣) الأبيات لإبراهيم بن هرمة في البيان ٣/ ٢٠٥؛ وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا، يعني ابن هرمة». والأبيات في الحيوان ١/ ٣٧٧ بدون نسبة.

٤ ـ يَكَادُ إذا مَا أبْصَرَ الضَّيفَ مُقبِلاً يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وهْوَ أعْجَمُ

انتصب «مقبلاً» على الحال: أي يكادُ الكَلْبُ يُكَلِّمُ الضَّيفَ حُبًّا له إذا أقبلَ على عُجْمَتِهِ، وقال الآخر في هذا المعنى: [الطويل]

حَبِيبٌ إلَى كَلْبِ الكَرِيمِ مُنَاخُهُ بَغِيضٌ إلَى الكَوْمَاءِ والكَلْبُ أبْصَرُ

وصفَ الكلبَ بحبِّهِ لِلضَّيف ولِلطَّاعن، ولذلك قيل في المَثَل: أَحَبُّ أهلِ الكَلب إليه الظَّاعِنُ، ووصف بحبِّه لوقوع الآفات في المال، وفي المَثَل: نَعِيمُ كَلْبٍ في بُؤْسِ أهْلِهِ.

[٦٨٤] **وقال سالم بن قُحْفَان العَنْبَرِيّ:**

قُحْفَان: عَلَم مرتجل، وتركيبه من ق ح ف.

١ ـ لاَ تَعْذُلِينِي في العَطَاءِ وَيَسِّرِي لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ طَالِبُهُ حَبْلاَ

أول الطويل.

يَسِّري: أي هَيِّئِي على.

٢ ـ فَإنِّيَ لاَ تَبْكِي عَلَيَّ إفَالُهَا إذَا شَبِعَتْ مِنْ رَوْضِ أوْطَانِهَا بَقْلاَ

إفالُها: صغارها، الواحد أَفِيلٌ، وفي معناه قولان أحدهما: أنَّ الإبِلَ بَهَائمُ لا تهتمُّ لي إذا مِتُّ بل ترتعُ وتشبعُ، فمَوْتي عندها ومَوْت مَنْ لم يَنْحَرْها سَوَاءٌ؛ والآخر أن إبلي لا تبكي بعد موتي، بل تفرحُ بموتي لأني أنحرها فإذا مِتُّ فلعلّه يأخذها مَنْ لا ينحرها؛ وانتصب «بقلاً» على التمييز.

٣ ـ فَلَمْ أرَ مِثْلَ الإبْلِ مَالاً لِمُقْتَنٍ ولاَ مِثْلَ أيَّامِ الحُقُوقِ لَهَا سُبْلاَ

المقتَني: الَّذي يقتني المال، ونَفْسُ المال المدَّخر قِنْوَةٌ.

ومن خبر هذه الأبيات: أن سالم بن قُحْفَان أتاه أخو امرأته، فأعطاه بعيرًا من إبله، وقال لامرأته: هاتي حَبلاً يقْرِنُ به ما أعطيناه إلى بعيره ثم أعطاه بعيرًا آخر، وقال: هاتي حبلاً، ثم أعطاه ثالثًا فقال: هاتي حبلاً، فقالت: ما بَقِيَ عندي حبل، فقال: عَلَيَّ الجِمالُ، وعليكِ الحِبالُ، فرمَتْ إليه خمارها، وقالت: اجعله حبلاً لبعضها، فأنشأ يقول: «لا تعذليني في العطاء ـ الأبيات».

[٦٨٥] **فأجابته امرأته: [الطويل]**

١ ـ حَلَفْتُ يَمِينًا يا ابْنَ قُحْفَانَ بِالَّذي تَكَفَّلَ بِالأرْزَاقِ في السَّهْلِ وَالجَبَلْ

٢ ـ تَزَالُ حِبَالٌ مُحْصَدَاتٌ أُعِدُّهَا لَهَا مَا مَشَى مِنْهَا عَلَى خُفِّهِ جَمَلْ

٣ ـ فَأعْطِ وَلاَ تَبْخَلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِبًا فَعِنْدِي لَهَا خُطْمٌ وَقَدْ زَاحَتِ العِلَلْ

قولها «تزال» أي: ما تزال، وجاز حذفها لدلالة اليمين عليها، و«زاحت» بمعنى زالت، وأزحتها أزلتها.

[٦٨٦] وقال آخر:

١ ـ ألاَ تَرَيْنَ وقَدْ قَطَّعْتِنِي عَذَلاً ... مَاذَا مِنَ البُعْدِ بَيْنَ البُخْلِ وَالجُودِ

٢ ـ إلاَّ يَكُنْ وَرَقِي غَضًّا أَرَاحُ بِهِ ... لِلْمُعْتَفِينَ فَإنِّي لَيِّنُ العُودِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

الورق: المال من الإبل، والوراق: الرجل الكثير الوَرَق، يقال: رِحْتُ له أَرَاحُ: أي ارتحتُ، وقيل: الأريحي أَفْعَلِيّ من هذا، وذِكْرُ الوَرَق كناية عن المال في كلامهم كثير، قال زهير: [البسيط]

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلاَ رَحِمِ ... يَوْمًا وَلاَ مُعْدِمٍ مِنْ خَابِطٍ وَرَقا

لمّا استعار الورق للمالِ وصله بالخابط تحسينًا لِكلامه، وكذلك هذا، لمّا كنّى عن معروفه بالورق وصله بالعود، وإذا لأنَ العودُ اهتزَّ، وعن الاهتزاز للخير يحصل النَّدى.

[٦٨٧] وقال قيس بن عاصم المِنقَرِيّ:

١ ـ إنِّي امْرُؤٌ لاَ يَعْتَرِي خُلُقِي ... دَنَسٌ يُفَنِّدُهُ وَلاَ أَفَنُ

من الضرب الثاني من العروض الثانية من الكامل، والقافية متواتر.

يُفَنِّدُهُ: يُفَحِّشُهُ، والفَنَدُ: الفُحْشُ، ويقال: أفندَ الرَّجُلُ، حتى إذا أتى بالفحش، والأَفَنُ: أصله في استخراج اللَّبن من الضَّرْعِ حتى يخلو منه، ثم قيل: أُفِنَ الرَّجل فهو مأفونٌ، إذا زالَ عقلُه.

٢ ـ مِنْ مِنْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ ... وَالغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الغُصُنُ

٣ ـ خُطَبَاءُ حِينَ يَقُومُ قَائِلُهُمْ ... بِيضُ الوُجُوهِ مَصَاقِعٌ لُسُنُ

المصاقع: جمع مِصْقَع، وأصل الصَّقع الضَّرْب، وهو هنا رفع الصوت، واللُّسْن: جمع لَسِن، يقال: لَسِنَ يَلْسَنُ لَسَنًا، إذا تناهى في البلاغة والفصاحة.

٤ ـ لاَ يَفْطُنُونَ لِعَيْبِ جَارِهِمِ ... وَهُمُ لِحِفْظِ جِوَارِهِ فُطُنُ

يقول: هم يلابسونَ الجارَ على ظاهر أمره لا يتحسَّسونَ عليه وإن اتَّفَقَ له ما يوجبُ عليهم حفظه بعقد الجوارِ فطنوا له، والفُطْنُ: جمع فَطِن.

[٦٨٨] وقال ابن عَنْقَاء الفزاريّ:

١ ـ رَآنِي عَلَى ما بِي عُمَيْلَةُ فاشْتَكَى ... إلَى مَالِهِ حَالِي أَسَرَّ كَما جَهَرْ

الثاني من الطويل.

«اشتكى إلى ماله» مجاز، جعل رجوعه إلى ماله في إصلاح أَمْرِهِ شِكايةً منه إليه، وقوله «أَسَرَّ كما جَهَر» أي، لم ينافقْ، يعني أنه أَسَرَّ الاهتمامَ بأمري كما أظهره.

٢ - دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلُمْ عَلَى حِينَ لاَ بَدْوٌ يُرَجَّى وَلاَ حَضَرْ

«آساني» أي: جعلني أُسْوةً له بأنْ أعطاني من مَالِهِ، ولو ضَنَّ: أي بخلَ؛ لم أَلُمْهُ لِضِيقِ الزَّمان.

٣ - غُلامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالخَيْرِ يَافِعًا لَهُ سِيمِيَاءُ لاَ تَشُقُّ على البَصَرْ

السِّيمياء: الحُسْنُ والبهجةُ، وقوله «لا تشقُّ على البَصَر» أي: لا يُكْرَهُ النَّظَرُ إليه، وقيل: معناه يسرُّ الناظر إليه لِكَرَمِهِ وطلاقته، ويُروى «لا يشقُّ لها البصر» أي لا يمكن النظر إليها لفرط شعاعها كالشّمس، ويقال: سِيمِيَاء وسِيمَى جميعًا، ويُروَى «بالخير مُقْبِلاً» وينتصب «مقبلاً» على الحال، وتحقيق معنى قوله «سِيمياء» أي: قد وَسَمَهُ اللَّهُ تعالى بِسِيمَى حَسنة مقبولة يلتذُّ النَّاظرُ إليها.

٤ - كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ وفي خَدِّهِ الشِّعْرَى وَفي وجْهِهِ القَمَرْ[1]

٥ - إذَا قِيلَتِ العَوْراءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ ذَلِيلٌ بِلاَ ذُلٍّ ولَوْ شَاءَ لاَنْتَصَرْ

العوراء: الكلمة القبيحة، وأغضى: طبَّقَ أجفانه.

٦ - وَلَمَّا رَأَى المَجْدَ اسْتُعِيرَتْ ثِيَابُهُ تَرَدَّى رِدَاءً وَاسِعَ الذَّيْلِ وَاتَّزَرْ

٧ - فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ وَأَوْفَاكَ مَا أَسْدَيْتَ مَنْ ذَمَّ أَوْ شَكَرْ

«أثنيتُ فِعله» أي: على فِعله، فحذف حرف الجرّ، ويجوز أن يكون عَدَّى أثنى لأنه بمعنى مدح، وسُمِّيَ الثناءُ ثَنَاءً لأنه يُعَادُ ويُكَرَّرُ، وقوله «مَنْ ذَمَّ أو شَكَر» أي: مَنْ ذَمَّ إساءَتَكَ وشَكَرَ إحسانَكَ فقد وفاكَ حَقَّ ما أسديتَ إليه، وأسدى من «سدى البعير» إذا قَدَّمَ يديه في السَّيْرِ، ومَنْ أسداكَ خيرًا فكأنه بسطَ به إليك يده مقبلاً.

قال أبو رياش: مَرَّ عُمَيْلة الفزاريّ على ابن عَنْقاء الفزاري وهو يَحْتَشُّ لِغنمه، وقيل: يحفر عن البقل ويأكله، فقال: يا ابن عنقاء، ما أصارك إلى هذه الحال؟ فقال له ابن عنقاء: تَغَيَّرَ الزَّمانُ، وتَعَذَّرَ الإخوانُ، وضَنَّ أمثالُكَ بما معهم، فقال عُمَيلة: لا جَرَمَ واللَّهِ لا تطلُع الشَّمْسُ غَدًا إلاَّ وأنتَ كَأَحدِنا، ثم انصرفَ كلُّ واحدٍ منهما إلى أهله، وكان

(١) عند المرزوقي: «عُلِّقَتْ فوق نَحْرِه ... وفي أنفه الشِّعرى وفي خَدِّه القَمَرْ».

عُمَيْلَةُ غلامًا حين بَقَلَ وجهه، فبات ابن عنقاء يتململُ على فراشه، لا يأخذه النوم اشتغالاً بما قال له عُمَيلة، فقالت له امرأته: ما شأنكَ؟ فأخبرها الخبر، فقالت: قد خَرِفْتَ وذهبَ عَقْلُكَ حتى تعلقَ نفسكَ بكلامِ غلامٍ حديثِ السِّنِّ لا يحفلُ بما يجري على لسانه، ويُحكَى أنه لما أصبح قالت له ابنته: لو أتيتَ عُمَيْلة فقد وَعَدَكَ أنْ يقاسِمَكَ مالَه، فقال: يا بنيّة، إنَّ الفتى كان سكران ولا أدري لعلّه لم يعقلْ ما قاله، فبينا هي تراجعه الكلام إذ أقبلَ عليهم كاللَّيل من إبل وغنم وخيل، وإذا عُمَيْلة قد وقف عليه، فقال: يا ابنَ عنقاء، اخْرُجْ إلَيَّ، فخرجَ إليه، فقال: هذا مالي أجمع، هَلُمَّ نقتسمه، فقاسَمَه إياه: بعيرًا وبعيرًا، وفرسًا وفرسًا، وشَاةً وشاةً، وجاريةً وجاريةً، وغلامًا وغلامًا، ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات.

[٦٨٩] وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ سَأَشْكُرُ عَمْرًا إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإن هِيَ جَلَّتِ

«لم تُمْنَنْ» يجوز أن يكون المراد لم تُقْطعْ وإن عَظُمَتْ، وقال ذلك لأن الأيادي السَّنِيَّة لا تكاد تتناسق، ويقال: حَبْلٌ مَنِينٌ ومَمْنُونٌ، وفي القرآن ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[٢] ويجوز أن يُراد به لم يخلط بمَنٍّ.

٢ ـ فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلاَ مُظْهِرِ الشَّكْوَى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

ارتفع «فَتَى» على أنه خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: هو فَتَى يُشرِكُ صديقَه في غِناه مدّة مساعدة الزمان له، فإنْ تَوَلَّى الأمر وزَلَّت النّعلُ لا يتشكّى ولا يتألّم.

٣ ـ رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ

الخَلَّة: الفقر هنا، وقوله «فكانت قذَى عينيه» أي: لم يصبرْ عليها كما لا يصبرُ الرَّجُلُ على قَذَى عينيه حتى يُخرجه.

وذكر أنه كان عند عمرو بن سعيد بن العاص رجل من أشراف المدينة؛ فبينا هو يحدّثه ظهر كُمُّ قميصه من تحت جُبَّتِهِ، وكان قد تخرَّقَ، فنظر إليه عمرو، فلمّا انصرفَ بعثَ إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب، فقال الرّجل فيه «سَأشكر عمرًا ـ الأبيات» ويقال: إنَّ الرجل هو محمد بن سعيد الكاتب.

---

(١) في الحماسة البصرية ١/١٣٥ لعبد الله بن الزبير وتُروَى لعمرو بن كميل يمدح عمرو بن ذكوان، وقيل: لأبي الأسود الدؤلي وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص.

(٢) سورة فُصّلت، الآية: ٨.

وقال أبو محمد الأعرابيّ رادًّا على النمريّ قوله في تفسير هذه الأبيات الخَلَّة الفقر والحاجة، وفي المَثَل: الخَلَّة تدعو إلى السَّلَّة: هذا موضع المثل: [الطويل]

لَـوَ انَّ لُـمَيًّا لَـيْـلُـهُ كَـنَـهَـارِهِ   وَجَـدِّكَ مَـا بِـغْـنَـا لُـمَـيًّا بِـفَـارِسِ

لُمَيّ: رجل من فرسان قيس، لو أنَّ أبا عبد الله عرفَ من علم النسب وأيام العرب مثل ما عرف من لغاتها ونوادر كلامها لَمَا شَقَّ غباره في استخراج هذه المعاني نَقّاب، لكنه قعد به عن إصابة الغرض أنْ لم يخطمْ قوسَه بِوَتر، قرأت على أبي الندى قال: نظر عمرو بن ذَكْوَان إلى عمرو بن كميل وعليه جبّة بلا قميص، وهذا معنى قوله «رأى خَلَّتي من حيث يخفى مكانها» فتشفَّع له حتى وَلِيَ الحرب بالبصرة فأصابَ في ولايته مالاً عظيمًا، فقال «سأشكر عمرًا ـ الأبيات».

[٦٩٠] وقال رجل من بَهْرَاء، واسمه فَدَكي:

بَهْرَاء: مرتجل عَلَمًا غير منقول، ولا مذكّر لها، فأمَّا الأبهر للعِرق في الصّلب فليس بمذكَّر لها، لكن التقاؤهما تركيب اتَّفَقَ في اللّغة، بمنزلة سَلْمَان في سَلْمى، وليس سلمان من سلمى كسَكْرَان من سَكْرى؛ لأن فَعْلاَن صاحبَ فَعْلى بابه الوصف، كغَضْبَان وغَضْبَى وعَطْشَان وعَطْشَى، وأما سَلْمَان وسَلْمى فعلمان مُرتَجَلان، وليس من الوصف في قبيل ولا دَبِير، وأما فَدَكي فعلم مُرتَجَل، وكأنه مع ذلك منسوب إلى فَدَك وهو موضع.

١ ـ إنْ أَجْزِ عَلْقَمَةَ بنَ سَيْفِ سَعْيَهُ   لاَ أَجْـزِهِ بِـبَـلاَءِ يَـوْمٍ وَاحِـدِ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

تقول: جزيتُ عن سَعْيِهِ وجزيتُ سَعْيَهُ، «ببلاء يوم واحد»: أي بنعمة يوم واحد.

٢ ـ لأَحَـبَّـنِـي حُـبَّ الـصَّـبِـيِّ وَرَمَّـنِـي   رَمَّ الـهَـدِيِّ إِلَـى الـغَـنِـيِّ الـوَاجِـدِ

«رَمَّني» أصلح حالي «رَمَّ الهديّ» الهَدِيّ: العروس، إذا زُفَّتِ العروسُ إلى الغنيّ تكلَّفَ أهلها في حُسْنِ تجهيزها لئلاّ يعيّرها أهل زوجها خللاً وقع في أمرها ولا يعيّر زوجها بِتزوّجه إيّاها.

٣ ـ وأَجَابَـنِـي يَـوْمَ الـصُّـرَاخِ بِـهَـجْـمَـةٍ   مِـائَـةٍ تَـشُـقُّ عَـلَـى عِـصِـيِّ الـذَّائِـدِ

٤ ـ ولَـقَـدْ نَـضَـحْـتُ مَـلِـيـلَـتِـي فَـتَـمَـيَّـثَـتْ   عَـنْ آلِ عَـتَّـابٍ بِـمَـاءٍ بَـارِدِ

المليلة: شدّةُ العطش والحرارة، وتميَّثَتْ: بردت وذابت، من «ماث الدواءَ» إذا أذابه.

ومن خبر فَدَكِيٍّ أنه كان مجاورًا في بني تَغْلِب لِبَنِي عَتَّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب، فأقام فيهم مدّة، ثمَّ إنَّ علقمةَ بن

سَيْف العَتَّابي غزا في بعض مغازيه، فأغار حَنَش بن مَعْبَدٍ أحد بني ثعلبة بن بكر بن حبيب، فأخذ إبل البَهْرَاني، فكان إذا أورد بنو عَتَّاب نعمهم حَوَّضَ حوضًا واستقى فيه حتى يملأه ثم يغمس فيه ذكره، ويقول: اشرب فما لي مال غيرك؛ وإذا حضر مجالسهم أنشأ يقول: [الرجز]

هَـلْ أَنَـا إلاَّ مُـعْـزِبٌ لَـيَـالِـيَـا ... لَـيَـالِـيًـا مِـنْ رَجَـبٍ ثَـمَـانِـيَـا[1]

ثُـمَّ تَـجِـيءُ جِـيـرَتـي بِـمَـالِـيَـا

فلمّا قَدِمَ عَلْقمةُ بن سَيف أخبروه شأن البهراني، فقال: إن حَنَش بن معبد لي صديق، وإن وفدتُ عليه رَدَّ عليَّ الإبل، فوفد عليه في جماعة من بني تغلب فيهم رجل من بني الأوس بن تغلب ـ وهم أشأم حيٍّ في العرب: بسبب رجل منهم وقعت حرب البسوس، وبسبب رجل آخر منهم وقعت حرب ابني بغيض ذبيان وعبس ـ فلمّا قَدِمُوا على حَنَش بن معبد فرح بهم، وبنى عليهم قُبَّةً وأكرمهم، ووعدهم أن يردَّ على علقمة بن سيف الإبل إذا أصبحوا، فلما كان اللَّيل استسمعَ عليهم حَنَش بن معبد وهم يتحدّثون، ويذكرون ما صنع بهم حنش ووعده إيّاهم بِرَدِّ الإبل؛ وسمعَ الأوسِيَّ وهو يقول: ألم أُحَدِّثكم أنّها كالعصبة ازدردتها اللَّبوة إلاَّ تَقِئْها تخراها، فأغضب ذلك حنشًا، وحلفَ أنْ لا يردَّ منها بعيرًا، فلمّا رجعوا أخرج علقمة بن سيف من ماله مائة بعير، فأعطاها البهراني، وقال: هذا بدل ما أخذ منك؛ فقال البهراني هذه الأبيات.

[٦٩١] وقال أبو زياد الأعرابي[2] الكلابي:

١ ـ لَـهُ نَـارٌ تُـشَـبُّ عَـلَـى يَـفَـاعٍ ... إذَا الـنِّـيـرَانُ أُلْـبِـسَـتِ الـقِـنَـاعَـا

٢ ـ ولَـمْ يَـكُ أَكْـثَـرَ الـفِـتْـيَـانِ مَـالاً ... ولـكِـنْ كـانَ أرْحَـبَـهُـمْ ذِرَاعَـا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

ويُروَى «تُشَبُّ بكلِّ وادٍ» والذِّرَاع والذَّرْع يراد به النفس، وتُشَبُّ: تُوقَدُ، وموضع الجملة من الإعراب رفع على أن يكون صفة لنار، وجواب «إذا» مقدَّم عليه، كأنه قال: إذا النيران جعلت كذلك فله نار تُوقَدُ بكلِّ وادٍ، ويجوز أن يكون أُوقِدَتْ نَارُه في جوانب محلّه وفي كلِّ وادٍ من أودية فنائه وداره إذا أخمدت نيرانُ النَّاس؛ فلذلك قال «تُشَبُّ بكلِّ

(١) المُعْزِب: طالب الكلأ العازب.

(٢) أبو زياد الأعرابي: يزيد بن عبد الله بن الحرّ بن همّام الكلابي، عالم بالأدب، له شعر جيّد وهو صاحب كتاب «النوادر» وكتاب «الفروق» و«الإبل» و«خلق الإنسان». (ت نحو ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م). ترجمته في: (فهرست ابن النديم ص ٤٤؛ وخزانة الأدب للبغدادي ٣/١١٨).

وادٍ» وهذا يكون منهم كإيهامهم الإنسان ونيابتهم عن غيرهم إذا عدم الشركاء، ومالاً وذراعًا ينتصبان على التميز.

[٦٩٢] وقال العَرَنْدَس(١):

العَرَندس: البعير الشديد، قال جرير: [الوافر]

تَشُقُّ بِهَا العَسَاقِلَ مُؤْجَدَاتٌ ... وَكُلُّ عَرَنْدَسٍ يَنْفِي اللُّغَامَا

والعرندس أيضًا: الأسد العظيم.

١ - هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ ... سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

العرندس: أحد بني بكر بن كلاب، يمدح بني عمرو الغَنَوِيِّين، وكان أبو عبيدة إذا أنشدها يقول: هذا والله مُحال، كلابي يمدح غَنَوِيًّا، وَالأيسار: جمع يَسَر؛ يقال: يسر الرجل، إذا أجال قِدَاحه، فهو يَاسر وَيَسَر، قال: [الطويل]

إِذَا يَسَرُوا لَمْ يُورِث اليَسْر بَيْنَهُمْ ... فَوَاحِش يَبْقَى ذِكْرُهَا في المَصَايِفِ

وقوله «سُوَّاس مكرمة» أي: يروضون المكارم ويلون أمرها؛ ويُروَى «ذَوُو يَسَر» يعني في أخلاقهم يُسْر ويَسَر.

٢ - إنْ يُسْأَلُوا الحَقَّ يُعْطُوهُ وَإنْ خُبِرُوا ... في الجَهْدِ أُدْرِكَ مِنْهُمْ طِيبُ أَخْبَارِ

٣ - وَإنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لانُوا وإنْ شُهِمُوا ... كَشَّفْتَ أَذْمَارَ شَرٍّ غَيْرَ أَشْرَارِ

«تودَّدتهم» أي: طلبتَ مَوَدَّتهم، و«إن شُهِمُوا» من الشَّهامة، وهي الخشونة ومنه الشَّيْهَم لخشونة مَسِّهِ، ومعنى «شُهِمُوا» من شهمتُ الفرسَ إذا حَرَّكْتَها لِتُسْرِعَ، يقول: إذا حرّكوا على سبيل الإخافة لم يكنْ عندهم لِينٌ، ولكن كانوا شجعانَ حربٍ، وأشرار: جمع شِرِّير على غير قياس.

٤ - فِيهِمْ ومِنْهُمْ يُعَدُّ المَجْدُ مُتَّلِدًا ... ولاَ يُعَدُّ نَثَا خِزْيٍ ولاَ عَارِ(٢)

«مُتَّلِدٌ» مُفْتَعِل من التَّلِيد «نثا خزي» أي: نثا سوءٍ يُذِلُّ صاحبَه إذا ذكر به، وانتصب «مُتَّلِدًا» على الحال، ويقال: تَلَدَ واتَّلَدَ بمعنى.

---

(١) في الحماسة البصرية ١/١٥١؛ وفي الكامل ص ٤٧ لعبيد بن العرندس الكلابي؛ وفي معجم المرزباني ص ٣٠٦ لأبي العرندس؛ والأبيات بلا نسبة في الحيوان ٢/٨٩؛ وديوان المعاني ١/٤١.

(٢) المرزوقي «يُعَدُّ الخيرُ».

٥ ـ لاَ يَنطِقُونَ عَنِ الفَحْشَاءِ إنْ نَطَقُوا ... ولاَ يُمَارُونَ إنْ مَارَوْا بِإكْثَارِ[١]
٦ ـ مَنْ تَلْقَ مِنهُمْ تَقُل لاَقَيتُ سَيِّدَهُمْ ... مِثْلَ النُّجُومِ الَّتي يَسْرِي بهَا السَّارِي

[٦٩٣] وقال آخر[٢]:

١ ـ رَهَنْتُ يَدِي بِالعَجْزِ عَنْ شُكْرِ بِرِّهِ ... ومَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشَّكُورِ مَزِيدُ
٢ ـ ولَوْ أنَّ شَيئًا يُسْتَطَاعُ اسْتَطَعْتُهُ ... وَلٰكِنَّ مَا لاَ يُسْتَطَاعُ شَدِيدُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: إن استطاعَ أحدٌ شُكْرَ أياديه فلكُمْ يَدِي بالعجزِ عنه، ثم أخبر أن شكرَهُ لِلْمُنْعِمِ فَوقَ كلِّ شُكرٍ، فقال: ليس لمَن دَاوَمَ على الشُّكْرِ زيادة على شكري وأنا عاجزٌ عن شكر بِرِّهِ مع هذا.

[٦٩٤] وقال الحُسَين بن مُطَير الأسديّ[٣]:

١ ـ لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ ... ويَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ

الثاني من الطويل.

يقول: أيّام هذا الممدوح مُقَسَّمةٌ بين إنعامٍ وانتقام: يوم بؤسٍ تشقى به أعداؤه، ويوم نعيم تحيا به وتسعد أولياؤه، ثم جاء بما بعدهُ من الأبيات مشروحًا فقال:

٢ ـ فَيَمْطُرُ يَوْمَ الجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى ... وَيَمْطُرُ يَوْمَ البَأْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ
٣ ـ وَلَوْ أنَّ يَوْمَ البَأْسِ خَلَّى عِقَابَهُ ... عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُجْرِمُ
٤ ـ وَلَوْ أنَّ يَوْمَ الجُودِ خَلَّى يَمِينَهُ ... عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الأَرْضِ مُعْدِمُ

[٦٩٥] وقال أبو الطَّمحان القَينِي، واسمه شَرْقيّ بن حَنْظَلَة[٤]:

١ ـ إذَا قِيلَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَبِيلَةً ... وَأَصْبَرُ يَوْمًا لاَ تَوَارَى كَوَاكِبُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

انتصب «قبيلة» على التمييز، وكذلك «يومًا» ويعني بذكر اليوم الوقعات والحروب، وقوله «لا تَوَارَى كواكبُه» أي: لا تتوارى، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، ويُرْوَى «لا

(١) المرزوقي: «على الفحشاء».
(٢) الحماسة البصرية ١/ ١٦٥ ليزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن أبي صفرة.
(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم ٣١٩.
(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٧٩) وقد نُسبت الأبيات في الحيوان ٣/ ٩٣ إلى لقيط بن زرارة.

تُوَارَى كواكبُه» بضمّ التاء، أي: لا تُسْتَرُ، والأصل في هذا وما جرى مجرى الأمثال «يومُ حليمة»، وذلك أنه غُطِّيَت عين الشَّمس في ذلك اليوم بالغُبَار الثائر في الجو، فرُؤِيَتِ الكواكبُ ظهرًا على ما ذكروه فقيل: «ما يَوْمُ حليمةَ بِسِرٍّ»[1]، وصار الأمر إلى ما قيل في التوعّدِ: لأُرِيَنَّكَ الكواكبَ ظهرًا، وأصلُ الصَّبرِ حَبْسُ النَّاس على الضرِّ، لذلك قيل: قُتِلَ فلان صبرًا.

٢ - فَـإِنَّ بَـنِـي لامِ بـنِ عَـمْـرٍو أَرُومَـةٌ سَـمَـتْ فَـوقَ صَـعْـبٍ لاَ تُـنَـالُ مَـرَاقِـبُـهْ

المَرَاقب: المحارس، واحدها مَرْقَبة: أي سَمَتْ فوق صعب يَشُقُّ الارتقاء إليه.

٣ - أَضَـاءَتْ لَـهُـمْ أَحْـسَـابُـهُـمْ وَوُجُـوهُـهُـمْ دُجَى اللَّـيـلِ حَـتَّـى نَـظَّـمَ الـجَـزْعَ ثَـاقِـبُـهْ

معنى «نَظَّم» حمل على النَّظم، وأقدر، فهو بمعنى أنظم، ومثله أكرم وكَرَّم، والضمير من «ثاقبه» يعود على ظاهر صدر البيت، فهو مثل قولهم: مَنْ كذب كان شرًّا له، ومَنْ صدقَ كان خيرًا له، يريد كان الكذب وكان الصّدق، فكذلك هذا، كأنه قال: حتَّى نظَّمَ ثاقِبُ حسبهم الجَزْعَ لِناظمه، والثقوب: الإضاءة، يقال: نارٌ ثاقبة، وكوكبٌ ثاقبٌ، وَحَسَبٌ ثاقبٌ، وقد ثَقُب: أي اشتدَّ ضوؤه وتلألؤه.

[٦٩٦] وقال آخر[2]:

١ - يَـا أَيُّـهَـا الـمُـتَـمَـنِّـي أَنْ يَـكُـونَ فَـتَـى مِـثْـلَ ابْـنِ زَيْـدٍ لَـقَـدْ خَـلَّـى لَـكَ الـسُّـبُـلاَ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

أراد بابن زيد عُرْوَة بن زيد الخيل: أي لقد خَلَّى لَكَ الطُّرق في اكتساب مناقب الفتوّة.

٢ - اُعْـدُدْ نَـظَـائِـرَ أَخْـلاَقٍ عُـدِدْنَ لَـهُ هَـلْ سَـبَّ مِـنْ أَحَـدٍ أَوْ سُـبَّ أَوْ بَـخِـلاَ

وتُروَى لمحمد بن بشير الخارجي، وفيها:

٣ - إِنْ تُـنْـفِـقِ الـمَـالَ أَوْ تَـكَـلَّـفْ مَـسَـاعِـيَـهُ يَـصْـعُـبْ عَـلَـيْـكَ وتَـفْـعَـلْ دُونَ مَـا فَـعَـلاَ

٤ - لَـوْ يُـبْـعَـثُ الـنَّـاسُ أَدْنَـاهُـمْ وَأَبْـعَـدُهُـمْ فِي سَـاحَـةِ الأَرْضِ حَـتَّـى يَـحْـرُثُـوا الإِبِـلاَ

٥ - كَيْ يَطْلُبُوا فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْضِ لَمْ يَجِدوا مِـثْـلَ الَّـذِي غَـيَّـبُـوا فـي بَـطْـنِـهِ رَجُـلاَ

---

(١) ما يوم حليمة بِسِرّ: يُضرَب للمشهور المتعالم، وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني الأعرج ملك دمشق. ويوم حليمة أحد أيّام العرب المشهورة. (تمثال الأمثال ص ٥٥٤).

(٢) في الزهرة ٢/ ٥٨١ لمحمد بن بشير الخارجي.

[٦٩٧] وقال آخر:

١ ـ لَمْ أَرَ مَعْشَرًا كَبَنِي صُرَيْمٍ تَلُفُّهُمُ التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

«تَلُفُّهم» أي: تجمعُهم، وموضع «تلفهم التَّهائم» نصب؛ لأنه صفة لقوله «معشرًا»، والتقدير: لم أَرَ معشرًا تلفُّهم الأغوارُ والأنجادُ كَبَنِي صُرَيم.

٢ ـ أَجَلَّ جَلاَلَةً وأَعَزَّ فَقْدًا وأَقْضَى لِلْحُقُوقِ وهُمْ قُعُودُ

أي: ولم أَرَ أجلَّ جَلالةً منهم أيضًا، وانتصب «جلالة» على التميز، وكذلك «فَقْدًا» ولا يجوز أن يكون مصدرًا، أعني قوله «جلالةً»، لأن أفعل هذا لا يؤكَّد بالمصدر، فهو من باب شِعْرٌ شَاعِرٌ ومَوْتٌ مائتٌ.

٣ ـ وَأَكْثَرَ نَاشِئًا مِخْرَاقَ حَرْبٍ يُعِينُ عَلَى السِّيَادَةِ أَوْ يَسُودُ

انتصب «ناشئًا» على التميز، والمخراق بناء الآلة، وهو كالمِفْتَاح، يريد أنه ينخرقُ في الحرب، وأصل المخراق هو ما يتلاعبُ به الصّبيان من مِنْدِيل يفتلونه أو زقّ ينفخونه أو ما يجري مجراهما ويتضاربون به، وسُمِّيَ مخراقًا لأنّه يخرقُ الهواءَ في استعمالهم إيّاه.

[٦٩٨] وقال شُقْرَان[1] مَوْلَى سَلاَمان من قُضَاعة:

شُقران: عَلَم مرتجل، وقد يمكن أن يكون جمع أشقر، كأحمر وحُمْرَان وأصلع وصُلْعان، غير أنّا لم نَسْمَعْه إلاّ عَلَمًا، فأمّا سَلاَمَان فشجر، واحدته سلامانة، وأما قُضَاعة فعلم مرتجل، وهو من قولك: تَقَضَّع القومُ، إذا تَفَرَّقوا.

١ ـ لَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عِيلاَنَ لَمْ تَجِدْ عَلَيَّ لإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا

٢ ـ ولَكِنَّنِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا فَلَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَدِينَ وتَغْرَمَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: لو كان وَلاَئي في قيس عَيْلاَن لاقتديتُ بهم في الكَفِّ عن الإنفاق لئلاّ يركبني دَيْنٌ، ولكن ولائي في قضاعة، ومهما أخذت عليَّ من الدَّيْن غرمتْ عَنّي، فلا أُبالي في أيِّ وجهٍ أنفقُ من وجوه البِرّ.

٣ ـ أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا

---

(١) شُقران: شاعر كان معاصرًا لابن ميّادة وكان بينهما مهاجاة (الأغاني ٢/ ٢٠٢). والأبيات (١، ٢، ٣) في الحماسة البصرية ١/ ١٦٤ لمروان عبد بني قضاعة.

قوله «على كلِّ حالٍ» تعلَّق بقوله «بارك الله فيهم» وموضعه من الإعراب نصب على الحال: أي باركَ الله فيهم متحوّلين في أبدالِ الدَّهرِ وتصاريفه ثم قال مستأنفًا: «ما أعفّهم وأكرمهم».

٤ ـ ثِقَالُ الجِفَانِ والحُلُومِ، رَحَاهُمُ رَحَا المَاءِ يَكْتَالُونَ كَيلاً غَذَمْذَمَا

«رحاهم رحا الماء» لأنّها أكثر طحنًا من رَحَا اليد، ودَلَّ بذلك على كثرة إطعامهم، والغَذَمْذَم: الكثير الجُزاف[١].

٥ ـ جُفَاةُ المَحَزِّ لاَ يُصِيبُونَ مَفْصِلاً وَلاَ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إلاَّ تَخَذُّمَا

«المحزّ» هو الحزُّ هنا: أي لا يتأنَّقون في فصل اللَّحم كعملِ الجزار لأنهم ليسوا بجزّارين ولا ذلك من عادتهم، والخَذْمُ: سرعة القَطْع، وفي التَّخَذُّم زيادة تكلّف، يقول: إذا أكلوا اللَّحْمَ على موائدهم لم يتناولوه إلاَّ قطعًا بالسّكاكين لا نَهْسًا بِالأَسنان، ومَنْ قال: إنَّ التخذّم أن ينهشَ بعضُهم من بعضٍ ويختذمَ ذا من ذا لِكَثْرَتِه عندهم فليس بوجه مَرْضِيّ لأن هذا فعل الكلاب، وقيل: إنَّ المرادَ بالاختذام هو طِيبُ النَّفسِ، يقال: رجلٌ خذمٌ: أي طَيِّبُ النَّفسِ، والخذم: السَّمْح.

[٦٩٩] وقال أبو دَهْبَل الجمحي[٢]:

قالوا: يمدح النّبيّ ﷺ.

١ ـ إنَّ البُيُوتَ مَعَادِنٌ فَنِجَارُهُ ذَهَبٌ وكُلُّ بُيُوتِهِ ضَخْمُ

الضَّرب الثالث من العروض الأولى من الكامل، والقافية متواتر.

أراد بالبيوت القبائل والأصول، و«نِجَارُه ذَهَبٌ» أي أصله خالصٌ نفيسٌ كالذَّهَبِ لا عيبَ فيه، «وكلُّ بيوته ضَخْم» يعني القبائل التي اكتنفته من أخواله وأعمامه، مثل هاشم وأُميّة ومخزوم.

٢ ـ عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

أصل العقم اليبس، ومنه «فتعقم أصلاب المنافقين» وأراد عُقِمَ النساء بمثله، فحذف لدلالة ما بعده عليه، والعُقْم: المَنْع، يقال: عُقِمَتِ المرأةُ، وعُقِمَت الرَّحِمُ، عُقْمًا، بضمّ العين، فعَقِمَت، وهي معقومة، بناء على عُقِمتْ، وعقيم بناء على عَقِمت، ولهذا جمع عقيم على عُقْم لأنه فعيل بمعنى فاعل، ولم تلحقْ به الهاء للمؤنّث لأنَّ المراد به بالنسبة،

---

(١) الجُزَاف: المجهول القَدْر، كَيْلًا كان أو موزونًا.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢٢).

فهو كقولهم: طالق، وحائض، ولو كان عقيم كجريح وصريع في أنه فعيل بمعنى مفعولة لوجب أن يقال في الجمع عَقْمَى كما قيل جَرْحَى وصَرْعَى، ويقال: رجلٌ عقيمٌ، وريحٌ عقيمٌ، والدّنيا عقيمٌ، والملك عقيمٌ، المعنى: إنَّ النساء منعنَ أن يأتين بمثله فعقمنَ: أي صِرْنَ كذلك.

٣ ـ مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ، بِلاَ مُتَبَاعِدٌ　　سِيَّانِ مِنْهُ الوَفْرُ والعُدْمُ

يريد يلفظ بلفظ «نعم» وجعل نعم اسمًا للإنعام و«لا» اسمًا للمنع: أي يعطي عند الإضاقة كما يعطي عند السَّعَة.

٤ ـ نَزْرُ الكَلاَمِ مِنَ الحَيَاءِ تَخَالُهُ　　ضَمِنًا ولَيسَ بِجِسْمِهِ سُقْمُ

الضَّمِن: الزَّمِنُ، والضمانة: الزمانة، ومثله: [البسيط]

راحُوا تَخَالُهُمُ مَرْضَى مِنَ الكَرَمِ[1]

وقيل للسَّقيم: ضَمِنٌ، قال الراجز:

إنْ تَكْتُبُوا الضَّمْنَى فَإِنّي لَضَمِنْ　　أَبِيتُ أَهْوَى في شَيَاطِين تَرِنّ
يَلْعَبْنَ أَحْوَالِيَ مِنْ جِنٍّ وَجِنّ

وقال ابن أحمر: [الطويل]

إلَيْكَ إلٰهَ الحَقِّ أَرْفَعُ رَغْبَتِي　　عِيَاذًا وَخَوْفًا أَنْ تُطِيلَ ضَمانِيَا[2]

ويقال: بعينه ضمانة: أي عَوَر، أو نحوه، قال الشاعر: [الطويل]

بَكَيْتُ بِعَيْنٍ لَمْ تُصِبْهَا ضَمَانَةٌ　　وَأُخْرَى رَمَاهَا صَائِبُ الحَدَثَانِ

[٧٠٠] وقالت ليلى الأخيلية[3]:

«ليلى» عَلَم مرتجل، وقد قالوا: لَيْلَةٌ ليلاء، فقد يجوز أن يكون لَيْلَى هذه مقصورة من لَيْلاَء، فيكون ذلك من تغيير العلم، والأخيل: الشِّقِرَّاق، سُمِّيَ بذلك لِتَخَيُّلِ لونه، قال: [الطويل]

فَمَا طَائِرِي فِيهَا عَلَيْكِ بِأَخْيَلا[4]

---

(١) هذا عجز بيت للشمردل في الحيوان ٣/ ٩١، وصدره: «إذا جرى المسك يندى في مفارقهم».
(٢) البيت في تاج العروس واللسان والصحاح (ضمن).
(٣) ليلى بنت عبد الله بن الرحال الأخيلية: من بني عامر بن صعصعة: شاعرة فصيحة ذكية جميلة، اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. (ت نحو ٨٠ هـ/ ٧٠٠ م)، ترجمتها في: (فوات الوفيات ٢/ ١٤١؛ والنجوم الزاهرة ١/ ١٩٣؛ والمرزباني ص ٣٤٣).
(٤) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت في اللسان (خيل)، وصدره: «ذَرِيني وعِلمي بالأمورِ وشيمتي».

١ - يَـا أَيُّـهَـا الـسَّـدِمُ الـمُـلَـوِّي رَأْسَـهُ   لِـيَـقُـودَ مِـنْ أَهْـلِ الـحِـجَـازِ بَـرِيـمَـا

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

السَّدِمُ والسَّادِمُ: النَّادِمُ الحزينُ، وقيل: السَّادم مأخوذ من المياه الأسْدَام، وهي المتغيّرة لِطُولِ المكثِ، والسَّدِمُ أيضًا: الفحل العظيم الهائج، والسَّدِمُ أيضًا: اللَّهِجُ بالشَّيء، ومنه قيل: فحل سَدِمٌ ومسدمٌ، وذلك أنه يرسل في الإبل وهو غير كريم، فإذا ضبعتْ حبسَ عنها، فجعل يهدُر، فلذلك قالوا: هو كالمهدر في العنة، وهو شبيه الحظيرة من الشَّجر، قال أبو حاتم: قلت للأصمعيّ: إنكَ تحفظ من الرجز ما لم يحفظْهُ أحدٌ، فقال: إنه كان هَمًّا وسَدَمَنا، والبيت يحتمل الوجوه الثلاثة، و«الملوِّي رأسَه» يجوز أن يكون مثل قول الآخر:

غَـارِزًا رَأْسَـهُ فـي سِـنَـةٍ[1]

وقد يكون من الكِبَرِ والتَّجبّر، وأصل البَرِيم خيط يُفْتَل من قُوَى بيض وسود، يقال: قطيع بَرِيم؛ إذا كان فيه خلطان ضأن ومِعزى؛ وكلّ لونين اجتمعا مثل السَّواد والبياض فهو البريم، وإنّما يَتَّخذون البريم من الخيوط ليشدّ في أَحْقِي الصّبيان فتدفع به العين، والمراد هنا جيش متفاوتون أدنياء.

٢ - أَتُـرِيـدُ عَـمْـرَو بْـنَ الـخَـلِـيـعِ وَدُونَـهُ   كَـعْـبٌ؟ إِذًا لَـوَجَـدْتَـهُ مَـرْؤُومَـا

القصد فيما ذكرته إلى الإنكار على المخاطب فيما يأتيه، «ودونه كعب» تعني كعب بن ربيعة بن عامر، يقول: لو طلبته لوجدتَ قومَهُ منعطفين عليه يمنعونه.

٣ - إِنَّ الـخَـلِـيـعَ وَرَهْـطَـهُ فـي عَـامِـرٍ   كَـالـقَـلْـبِ أُلْـبِـسَ جُـؤْجُـؤًا وَحَـزِيـمَـا

الجؤجؤ: الصَّدْر، والحزيم: موضع الحزام من الصَّدر، يقول: موضع الخليع من قومه موضع القلب من البدن: أي هو واسط عامر، يعني عامر بن صعصعة.

٤ - لاَ تَـغْـزُوَنَّ الـدَّهْـرَ آلَ مُـطَـرِّفٍ   لاَ ظَـالِـمًـا أَبَـدًا ولاَ مَـظْـلُـومَـا

نهته عن غَزْوِهم على كلِّ حال، وانتصب «ظالمًا» على الحال: أي لا تقصدهم طامعًا فيهم ومحاربًا لهم: أي لا مُبْتَدِئًا ولا مُنتقمًا لأنَّكَ لا تدركُ ثأرَكَ منهم ولا تقدرُ على الانتصافِ منهم.

٥ - قَـوْمٌ رِبَـاطُ الـخَـيْـلِ وَسْـطَ بُـيُـوتِـهِـمْ   وَأَسِـنَّـةٌ زُرْقٌ تُـخَـالُ نُـجُـومَـا[2]

---

(١) هذه قطعة من بيت هو مطلع حماسية ابن زيابة (الحماسية رقم ٢٣) وتمامه:

نُـبِّـئْـتُ عَـمـرًا غـارزًا رأسـه   فـي سِـنَـةٍ يـوعـد أخـوالـه

(٢) عند المرزوقي: «يُخَلْنَ نُجُوما».

زُرَق: أي صافية تُخَالُ نجومًا في التماعها.

٦ ـ وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ القَمِيصُ تَخَالُهُ وَسْطَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سَقِيمَا

أي: لا يبالي كيف كانت ثيابه لأنه لا يزيّنُ نفسه، إنّما يُزَيِّنُ حَسَبَهُ ويصونُ كَرَمَهُ، وقيل: معناه أنه غليظُ المناكب، وإذا كان كذلك أسرع الخرقُ إلى قميصه، وقيل: أرادت أنه كثير الغزوات مُتَّصِل الأسفار فقميصه منخرقٌ لذلك، وقولها «من الحياء سقيمًا» تعني أنه ينتقعُ لونُه من شِدَّةِ الحياء، وإنما يستحيي من أن لا يكون قد بلغ من إكرام القومِ ما في نفسه.

٧ ـ حَتَّى إذَا رُفِعَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيسِ زَعِيمَا

سُمِّيَ اللِّواءُ لِواءً لأنه يُلْوَى لِكبره فلا ينشر إلاّ عند الحاجة، وسُمِّيَ الخميسُ خميسًا لأنه يكون خمس كتائب، أو خمسة صفوف: المقدّمة، والميمنة، والميسرة، والقلب، والجناح، وسُمِّيَ الرئيسُ زعيمًا لأنه يزعمُ عنهم: أي يقول، كما قِيلَ له قَيْل وَمِقْول، وفيها: [الكامل]

لَنْ تَسْتَطِيعَ بأَنْ تُحَوِّلَ عِزَّهُمْ حَتَّى تُحَوِّلَ ذَا الهِضَابِ يَسُومَا

مَنْ كان من رأيه أن يجعل الباء زائدة في مثل هذا الموضع جعلها زائدة في قولها «بأن تحوّل» ومَنْ أبى ذلك جعل تستطيع واقعة على مفعول، كأنها قالت: لا تستطيع شيئًا أو مرادًا بتحويلك عِزَّهم، فتكون الباء غير زائدة، كما تقول: لا تستطيع الحجّ بأن تمشي، ويَسُوم: اسم جبل، وهو مُسَمًّى بالفعل من سامَ يسومُ، ومن أمثالهم «الله يعلم ما حَطَّها من رأسِ يَسُوم» يُضْرَبُ ذلك مَثَلاً للرجل إذا أظهرَ أَمْرًا والباطن غيره، وذلك أن رجلاً مَرَّ براعي غنم في يسوم فاشترى منه شاةً، وأمره أن يذبحَها عنه، فذبحها البائعُ عن نفسه، فقال مشتري الشّاة: الله يعلمُ ما حَطَّها من رأس يسوم.

[٧٠١] وقالت:

ويقال: بل قالها أبوها.

١ ـ نَحْنُ الأَخَايِلُ لاَ يَزَالُ غُلاَمُنَا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى العَصَا مَذْكُورَا

في مثل الوزن الذي قبله.

الأخايل: جمع، وهي قبيلة، ويقال للشّاهين: الأخيل، والجمع الأخايل؛ فأمّا قول الشّاعر: [الطويل]

لَهُ بَعْدَ إدْلاَجٍ مِرَاحٌ وأَخْيَلُ(١)

(١) اللسان (خيل).

فهو الخُيَلاَء، والفعل منه اختال، ومراد الشَّاعر نحنُ المعروفون المشهورون، كما قال أبو النجم: [الرجز]

أَنَا أَبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

أي: نحن أصحاب هذا الاسم النبيه الخطير، وقوله «لا يزال غلامنا» أي: الغلام منّا رفيع الذكر من صباه إلى أن يهرمَ.

٢ - تَبْكِي السُّيُوفُ إِذَا فَقَدْنَ أَكُفَّنَا ... جَزَعًا وتَعْلَمُنَا الرِّفَاقُ بُحُورَا

أي: إذا فَقَدَتِ السّيوفُ أكُفَّنا بَكَتْ حَنِينًا إليها وجَزَعًا على ما يفوتها منها.

٣ - ولَنَحْنُ أَوْثَقُ فِي صُدُورِ نِسَائِكُمْ ... مِنْكُمْ إِذَا بَكَرَ الصُّرَاخُ بُكُورَا

يقول: نحن نحمي نساءكم، وثقتهنّ بنا أكثر من ثقتهنّ بكم، وإنَّما خصَّ الصراخ بالبُكور لأنَّ الغارةَ تقعُ صباحًا.

[٧٠٢] وقال آخر(١):

١ - يُشَبَّهُونَ سُيُوفًا فِي صَرَامَتِهِمْ ... وطُولِ أَنْضِيَةِ الأَعْنَاقِ والأُمَمِ

أوّل البسيط، والقافية متراكب.

الأنضية: جمع نَضِيّ، وهو مُرَكَّب النَّصل في السَّيف في الأصل، والمراد به هنا مُرَكَّب الرَّأس في العنق، ونَضِيّ السَّهْم: قِدْحُهُ، وهو ما جاوز من السَّهم الريش إلى النَّصل، وأنشد الخليل في ذلك: [الطويل]

فَمَرَّ نَضِيُّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّهِ لَمْ يُعَتِّمِ(٢)

والأُمَم: جمع أُمَّة، وهي القامة، يقال: ما أحسنَ أُمَّتَهُ.

٢ - إِذَا غَدَا المِسْكُ يَجْرِي فِي مَفَارِقِهِمْ ... رَاحُوا تَخَالُهُمُ مَرْضَى مِنَ الكَرَمِ

يصفهم بالحياء والوقار عند استعمالِ الطِّيبِ والقعودِ في مجالس الأنسِ، يدلُّ على هذا المعنى قوله «إذا غدا المِسْكُ» وإنْ لم يُصَرِّحْ به، لأنّه على ذلك رسم الاصطباح وعادة الكرام في الشّرب عند الاجتماع.

---

(١) البيتان في الحيوان ٣/ ٩١؛ وأمالي القالي ١/ ٢٣٨ للشمردل بن شريك اليربوعي وهو من شعراء الدولة الأموية.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ص ١٧١؛ ولسان العرب (نضا)؛ وأساس البلاغة (نضو)؛ وبلا نسبة في لسان العرب (عتم)؛ وتاج العروس (عتم).

[٧٠٣] وقال آخر:

من طَيِّىء، يرثي الربيع وعمارة ابني زياد العبسيّين.

١ ـ فَـإِنْ تَـكُـنِ الـحَـوَادِثُ حَـرَّقَـتْـنِـي فَـلَـمْ أَرَ هَـالِـكًـا كَـابْـنَـيْ زِيَـادِ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

حَرَّقتني: أصابتني وأخذت مِنّي فلم أُصَبْ بمثلهما، ويُرْوَى «خَرَّقَتْني».

٢ ـ هُـمَـا رُمْـحَـانِ خَـطِّـيَّـانِ كَـانَـا مِـنَ الـسُّـمْـرِ الـمُـثَـقَّـفَـةِ الـصِّـعَـادِ

رمحٌ خَطِّيٌّ: منسوبٌ إلى الخُطّ[١]، قرية بالبحرين، والصِّعَاد: جمع صَعْدَة[٢].

٣ ـ تُـهَـالُ الأَرْضُ أَنْ يَـطَـآ عَـلَـيْـهَـا بِـمِـثْـلِـهِـمَـا تُـسَـالِـمُ أَوْ تُـعَـادِي

يريد أنّهم أهل الصَّلاح والفساد والصَّداقة والعداوة، وابنا زياد لم يكونا منه بسبيل من قرابة ولا آصِرَة، وكانا من جملة مَنْ تَأَذَّى بهم، فعلى هذا يكون الكلام تأنيبًا، والشعر مرثيّة، وقال أبو محمد الأعرابيّ: ما أراد الشّاعر بابني زياد الربيع وعمارة، أخبرني أبو الندى قال: قتلَتْ نَهْدٌ ابني زياد الجشميين من بني حرام، فقال الحارث بن عوف أخو بني حرام يرثيهما: [الوافر]

فَـإِنْ تَـكُـنِ الـحَـوَادِثُ غَـيَّـرَتْـنِـي فَـلَـمْ أَرَ هَـالِـكًـا كَـابْـنَـيْ زِيَـادِ
تُـهَـالُ الأَرْضُ أَنْ يَـطَـآ إِلَـيْـهَـا بِـمِـثْـلِـهِـمَـا تُـسَـالِـمُ أَوْ تُـعَـادِي
فَـلاَ بَـرِحَـتْ تَـجُـودُ عَـلَـى عِـهَـادٍ نِـجَـاءُ بِـالـرَّوَائِـحِ وَالـغَـوَادِي
دِيَـارَ الأَخْـطَـبِـيـنَ وَكَـيْـفَ أَسْـقِـي قَـتِـيـلاً بَـيْـنَ نَـهْـدٍ أَوْ مُـرَادِ
هُـمَـا رُمْـحَـانِ خَـطِّـيَّـانِ كَـانَـا مِـنَ الـسُّـمْـرِ الـمُـثَـقَّـفَـةِ الـجِـيَـادِ
مُـثَـقَّـفَـة صُـدُورهُـمَـا وَشِـيـفَـتْ صُـدورُ أَسِـنَّـةٍ لَـهُـمَـا حِـدَادِ

[٧٠٤] وقال آخر[٣]:

١ ـ كَـرِيـمٌ يَـغُـضُّ الـطَّـرْفَ فَـضْـلُ حَـيَـائِـهِ ويَـدْنُـو وَأَطْـرَافُ الـرِّمَـاحِ دَوَانِـي

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

---

(١) الخُطّ: هو خطّ عبد القيس بالبحرين، وهو كثير النخل (معجم البلدان ٢/ ٣٧٨).

(٢) الصَّعْدَة: القناة المستوية التي تنبت كذلك فهي لا تحتاج إلى التثقيف.

(٣) البيتان في ديوان أبي الشيص الخزاعي ص ١١٢.

إذا رُوِيَ «فضلُ حيائه» بالرفع كان الفضل هو الفاعل، وإذا نصب كان مفعولاً له: أي لتناهي حيائِهِ يكسرُ طَرْفَهُ عند النَّظَرِ فِعْلَ مَنْ عَملَ ما يُسْتَحْيَا منه، أو لزمه مِنَّةُ مُنْعِمٍ توالَى نِعَمُهُ عليه، ومثل قوله «ويدنو وأطراف الرماح دواني» قول الآخر: [الرجز]

ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ الغُلامَ الشَّطْبَا إذَا أَحَسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبَا
دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إلاَّ قُرْبَا تَحَكُّكَ الجَرْبَاءِ لاَقَتْ جُرْبَا[1]

٢ ـ وَكَالسَّيفِ إنْ لاَيَنْتَهُ لاَنَ مَسُّهُ وحَدَّاهُ إنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

[٧٠٥] وقال العُجَير السَّلوليّ[2]: [الطويل]

«عُجَيْر» يحتمل أن يكون تحقير عَجُر، يقال: حافر عَجُر: أي صلب شديد، قال: [الرمل]

سَائِلٍ شِمْرَاخُهُ ذِي جُبَبٍ سَلِطِ السُّنْبُكِ ذِي رُسْغٍ عَجُرْ

ويجوز أن يكون تحقير أعجر على الترخيم، كبش أعْجَر، وبطن أعجر، إذا كان ممتلئًا جدًّا، قال عنترة: [الكامل]

أَبَنِي زُبَيْبَةَ مَا لِمُهْرِكُمُ مُتَخَدِّدًا وَبُطُونكُمْ عُجُرُ

وسَلول: عَلَم مرتجل غير منقول.

١ ـ إنَّ ابنَ عَمِّي لابْنُ زَيْدٍ؛ وإنَّهُ لَبَلاَّلُ أَيْدِي جِلَّةِ الشَّوْلِ بِالدَّمِ

الجِلَّة: المَسَانُّ من الإبل، وقوله «بَلاَّلُ أيدي الجِلَّةِ» يعني أنه يُعَرْقِبُها إذا أراد نَحْرَهَا.

٢ ـ طَلُوعُ الثَّنَايا بِالمَطَايَا وسَابِقٌ إلَى غَايَةٍ مَنْ يَبْتَدِرْهَا يُقَدَّمِ

«طَلُوع الثَّنايا» مَثَلٌ أي يسمو إلى المكارم لأنه بعيد الهمّة، «مَنْ يَبْتَدِرْها» أي: إليها، فحذف الجار ووصل الفعل إلى الاسم فنصبه، و«من يَبتدرْها يقدَّم» في موضع الصفة لغاية، والمعنى: مَنْ يبتدر مثل هذه الغاية قدّم في أقرانه.

٣ ـ مِنَ النَّفَرِ المُدْلِينَ في كُلِّ حُجَّةٍ بِمُسْتَحْصِدٍ مِنْ جَوْلَةِ الرَّأْيِ مُحْكَمِ[3]

يقال: أدْلى بِحُجَّته، إذا احتجَّ به لأنه يطلبُ باحتجاجه فَوْزًا بشيء، فشبّه بإرسال الرّجل دلوه في البئر لينزعَ الماء، والمستحصِد: المستحكِم، والنَّفَر: يقع على ما بين

---

(١) الرجز لعبد الرحمٰن المعنيّ في الحماسية رقم (١٩٧).
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣١١). (٣) عند المرزوقي: «في جولةِ».

الثلاثة إلى العشرة، ولذلك صَلُحَ أن يقالَ: ثلاثة نفر، وأربعة نفر، ونافرة الرّجل: بنو أبيه الذين يغضبون لغضبه، قال: [الرجز]

لَوْ أنَّ حَوْلِي مِنْ عُلَيْمٍ نَافِرَهْ   مَا غَلَبَتْني هذِهِ الضَّيَاطِرَهْ[1]

عبد السلام[2] «في جولة الرأي» الجُول والجَال: جانب البئر.

٤ - جَدِيرُونَ أَنْ لاَ يَذْكُرُوكَ بِرِيبَةٍ   وَلاَ يُغْرِمُوكَ الدَّهْرَ مَا لَمْ تَغَرَّمِ

الجدير بمعنى الخليق المنضمّ، فقولهم «هُوَ جديرٌ بكذا» أي: أهلٌ له ومنضمٌّ إليه، ومنه سُمِّيَ القصيرُ جديرًا لِتَضَامِّ شَخْصِهِ، و«لا يغرموك» أي: لا يلزمونك أَرْشَ جِنايتكَ إلاَّ أن تَأْبَى وتَكْرَهَ أنْ يتحمَّلها غيرُكَ، ورُوِيَ بالعين «لا يُعْرِموك» ومعناه لا يَجْنُونَ عليكَ ما لم تَجْنِهِ، وهو من العُرَامِ: أي لا يحملوك عليه حتى تفعله.

[٧٠٦] وقال أيضًا:

١ - أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ وَهْنًا وَدُونَنَا   مُنَاخُ المَطَايَا مِنْ مِنًى فالمُحَصَّبُ

الثاني من الطويل.

وَهْنًا: أي بعد ساعة من اللَّيل، ومثله المَوْهِنُ، و«دوننا» في موضع الحال، وسُمِّيَ مِنًى لما يُمْنَى فيه من الدِّماء: أي يُسْفَكُ ويُسَالُ، ويقال: بل لما قدّر فيه من الآجال، والمُحَصَّب: حيث يُرْمَى حَصَى الجِمار.

٢ - لَكَ الخَيْرُ عَلِّلْنَا بِهَا عَلَّ ساعةً   تَمُرُّ وَسِهْوَاءَ مِنَ اللَّيْلِ يَذْهَبُ[3]

«عَلِّلْنا بها» يعني بالمرأة: أي غَنِّنا بِذِكْرِها وحَدِّثنا بحديثِها، وسهواء: أي قَدْر من اللَّيل، ويُروَى «تِهْوَاء من اللَّيل» يقال: مَرَّ تِهْوَاءٌ من اللَّيل، مثل هويٍّ.

وهذا الحرفُ أحد ما جاء على تِفْعَال، وهي حروف معدودة، منها قولهم: مضيتُ تِلْقَاءَ القَوْمِ، وَالتِّيتَاء، ذكروا أنه العِذْيَوْطُ، ورجل تِلْعَاب من اللّعب، وتِعْشَار: اسم موضع، والتقصار: قلادة قصيرة، وناقة تضْرَاب، إذا ضربها الفحل، وتِرْبَاع: اسم موضع، وكذلك تبراك، ورجل تِمساح: كذَّاب والتمساح هذه الدَّابة التي تكون في النيل؛ وتِجْفَاف الفرس، وقد جاء في الشعر الفصيح، قال المسيّب بن علَس: [الطويل]

هُوَ الفِيلُ يَمْشِي ضَاحِيًا وَسْطَ عَزْعَزٍ   بِتِجْفَافِهِ كَأَنَّهُ فِي سَرَاوِل

(١) الضَّياطرة: جمع ضَيْطَار: هم الضّخام الذين لا غَنَاءَ عندهم.

(٢) عبد السلام: أحد شُرَّاح الكتاب قبل المؤلّف. (٣) المرزوقي: «وسِهْوَانٌ».

والتِّرْياق فيه ثلاث لغات: تِرْياق، ودِرْياق، وطِرْياق؛ قال أبو العلاء: وقد ذكره ابن دريد في باب تفعال، وفيه نظر، لأنه يجوز أن يكون على فِعْيَال والتِّنْبَال القصير إذا حكم على تائه بالزيادة فهو على تِفْعَال، وتمثال معروف، وتِبْيَان الشَّيء: بيانه، والتِّمْتان واحد التماتين، وهي خيوط الفسطاط، والتِّمراد: برج صغير للحمام، والتِّيغار: الذي تعرفه العامّة، والتِّلْفاق: ثوب يلفق مع آخر، و«جاءَ لِتيفاقِ الهلال» أي: لوفاقه، ورجل تِكْلاَم: كثير الكلام، وتِلْقام: عظيم اللَّقْم.

وسِهْوَاء: يجوز أن تكون فعلاء من السَّهو، وتكون همزتها ملحقة، ويجوز أن تكون فعلالاً، وتكون همزتها مبدلة من الواو، فأمَّا سَهْوَان فكأنه أُريد به الوقت الذي يسهو فيه النَّاس عن مَبَاغيهم، ويحمل على ذلك السّهواء، وفي المثل: «إنَّ المُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَان» أي الذين يَسْهُون عن الحاجة يحتاج معهم إلى التوصية، ولا يمتنع أن يكون السّهوان في الوقت مأخوذًا من السَّاهِية، وهو ما استطالَ واتَّسَعَ من الأرض من غير خَمَرٍ يردّ العينَ، فنقل من المكان إلى الزمان، أي طائفة من اللَّيل ممتدّة واسعة؛ ويقال أيضًا: مَرَّ سِهْوٌ من اللَّيْلِ وَسِعْوٌ وَسَعْوٌ وسِعْوَاء وهَتِيءٌ وهِتَاءٌ، بمعنى.

٣ ـ فَقَامَ فَأَدْنَى مِنْ وِسَادِي وِسَادَهُ طَوِي البَطْنِ مَمْشُوقُ الذِّرَاعَيْنِ شَرْجَبُ

جمع بين فعلين: «قام» و«أدنى» فيجوز أن يكون قوله «طَوِي البطن» يرتفع بالأوَّل منهما، وهو قام، ويجوز أن يرتفع بأدنى، وقد أضمر في «قام» على شريطة التفسير فاعله، والمعنى: فقام به أو منه رجل هكذا فقرَّبَ مجلسه من مجلسي، والطَّوِي البطن: الصَّغِيرُهُ خلقةً، والمَمْشُوق: الطَّويل القليل اللَّحم، وجارية ممشوقة: حَسَنَةُ القوام قليلة اللَّحم، ويقال: رجل شرجب: أي طويل، وكذلك الفرس، وأما الشَّرجب الذي تعرفه العامّة من الخشب فلا يُذكَر في الشعر القديم، ويجوز أن يكون عربيًّا لأنَّهم قد نطقوا بمثاله.

٤ ـ بَعِيدٌ مِنَ الشَّيْءِ القَلِيلِ احْتِفَاظُهُ عَلَيْكَ وَمَنْزُورُ الرِّضَا حِينَ يَغْضَبُ

«احتفاظه» غضبه، يريد أنه سهل الجانب لا يكاد يحتمي من الشيء القليل الخطر والموقع من النفوس، لكنه قليل الرِّضا، إذا غضبَ لا يكاد يرجع إذا ذهبَ عنك بِالهُوَيْنى، وذكر البعد هنا يفيد النَّفي، وهذا كما يستعمل القليل والأقلّ، والمراد بهما النفي، والاحتفاظ: افتعال من الحفيظة، وهو الغضب، ويقال: نَزَرْت الشَّيءَ نَزْرًا، ثم يقال للمنزور: هو نَزْرٌ.

٥ ـ هُوَ الظَّفِرُ المَيْمُونُ إنْ رَاحَ أَوْ غَدَا بِهِ الرَّكْبُ والتِّلْعَابَةُ المُتَحَبِّبُ

التِّلْعَابة: تِفْعَالة من اللَّعِب.

[٧٠٧] وقال أبو دهبل[١] في الأزرق المخزومي[٢]:

١ - مَاذَا رُزِئْنَا غَدَاةَ الخَلِّ مِنْ رِمَعٍ عِنْدَ التَّفَرُّقِ مِنْ خِيمٍ وَمِنْ كَرَمِ

الأوّل من البسيط، والقافية متراكب.

الخَلّ هنا: موضع، والخلّ: المستطيل من الرّمل، ورَمع: موضع، وقيل: جبل باليمن.

٢ - ظَلَّ لَنَا وَاقِفًا يُعْطِي فأَكْثَرُ مَا قُلْنَا وَقَالَ لَنَا في وَجْهِهِ نَعَمِ

أي: أكثر شيء قلنا إن سألناه وأكثر شيء قاله لنا نعم، ونعم: حرف إيجاب، و«يعطي» موضعه نصب على الحال، ووجهه الذي مضى فيه يعني سفرًا قد مضى فيه فلم يرجع، وحَرَّكَ ميم نعم للإطلاق، وحقّها السكون.

٣ - ثُمَّ انْتَحَى غَيْرَ مَذْمُومٍ وأَعْيُنُنَا لَمَّا تَوَلَّى بِدَمْعٍ سَافِحٍ سَجِمِ

«انتحى» أي: مَرَّ وأخذ ناحية، «غير مذموم» لأنَّا نحمدُه وأعيننا سائلة بدموعها، وسافح: ذو سفح: أي نبكي لفرقته؛ ويُروَى «سُجُمِ» وهو جمع سَجُوم.

٤ - تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى دَاجِيَ الظُّلَمِ

الأدماء: البيضاء، ومعتجرًا: مُعْتَمًّا، وسُمِّيت العمامة مِعْجَرًا لأنه يكون على الرّأس؛ وأصله العقد، وقيل: المعجر العمامة في الرأس من غير إدارة تحت الحنك، وقيل: بل المعجر ضربٌ من ثياب اليمن.

٥ - وكَيْفَ أَنْسَاكَ لاَ نُعْمَاكَ واحِدَةٌ عِنْدِي ولاَ بالَّذِي أَوْلَيْتَ مِنْ قِدَمِ

قوله «لا نعماكَ واحدةٌ» في موضع الحال من «أنساك».

[٧٠٨] وقال أيضًا فيه:

١ - مَا زِلْتَ في العَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْـ ـلاَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِقِ

٢ - حَتَّى تَمَنَّى البُرَاةُ أَنَّهُمُ عِنْدَكَ أَمْسَوْا في القِدِّ والحَلَقِ

الأول من المنسرح، والقافية متراكب.

قوله «في العفوِ» في موضع النصب على أنه خبر «ما زال» والجار منه تعلَّق بمضمَر، كأنه قال: ما زلتَ آخِذًا في العفو وداخلاً فيه إلى أن تمنّى مَنْ لا جُرْمَ له أن

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٢٢).

(٢) في الأغاني (٦/١٥٧): «هو ابن الأزرق واسمه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم».

يكونَ جارمًا عليكَ حتى يتوفَّرَ عليه نظرك وإحسانك، وألَمَّ أبو تمام بهذا المعنى فقال: [الكامل]

وَتَكَفَّلَ الأَيْتَامَ عَنْ آبائِهِمْ ... حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ

والغَلِقُ: المتروكُ لا يُفَكُّ، ويُروَى «حتى تمنّى البراء أنهم»، قال أبو هلال: هذا الشّعر معيب المعنى، ألاَ ترى أنّه ذكر الممدوح فقال: إنّكَ تطلقُ الأَسرى حتى تمنّى الطَّليقُ أنَّكَ تأسره وتطلقه، ولا أعرفُ كيف يتمنَّى الأسر ثم الإطلاق وهو مُطْلَق مُعَافَى، وإن أراد أنه يتمنّى ذلك لأنه يجدُ عندك إحسانًا فلِمَ لاَ يتمَنَّى الإحسان مع الإطلاق ويتمنّاه مع الإسار، وباب التمنّي مفتوحٌ يجوز أن يدخله من كلِّ وَجْهٍ.

[٧٠٩] وقال الحَزين اللَّيْثيّ(١) في عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

والحزين الكناني هو عمرو بن عبد بن وُهَيْب بن مالك بن حُرَيْث بن جابر بن راعي الشمس الأكبر بن يعمر بن عبد بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، ويقال: إنها للفرزدق، قالها حين قال الشّامي لهشام بن عبد الملك: مَنْ هذا الذي أعْظَمَهُ النَّاسُ وفرحوا له عند استلام الحجر الأسود؟ فقال: لا أدري، فقال الفرزدق: لكنّني أعرفه، فقال الشّامي: مَنْ هذا يا أبا فراس؟ فقال:

١ - هـٰذَا الَّذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ ... والبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ والحَرَمُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

والحِلُّ: خارج المواقيت من البلاد، والحَرَم: ما بين المواقيت المعروفة، وإنّما أراد أهل الحِلِّ والحَرَم.

٢ - إذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَى مَكَارِمِ هـٰذَا يَنْتَهِي الكَرَمُ

قوله «إلى مكارم هذا» الجملة في موضع المفعول لقال، والبطحاء: أرض مكة المنبطحة، وكذلك الأبطح، وبيوت مكّة التي هي للأشراف بالأبطح، والتي هي في الرَّوابي والجبال للغرباء وأوساط النَّاس، والأبطح والبطحاء وإن كانا صفتين فإنّهما قد لحقا بالأسماء، لذلك جمع على الأباطح والبَطْحَاوَات.

٣ - يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ ... رُكْنُ الحَطِيمِ إذَا مَا جاءَ يَسْتَلِمُ

---

(١) الأبيات مختَلَفٌ في قائلها وقد جاءت عند المرزوقي للفرزدق وكذلك في أمالي المرتضى ١/ ٤٨؛ وزهر الآداب ١/ ٦٠، وهي في ديوانه. وهي لكثير بن كثير السهمي في المؤتلف ١٦٩؛ ولداود بن سلم في قثم بن العباس عند ابن رشيق؛ وبلا نسبة في الحيوان ٣/ ١٣٣؛ والبيان ١/ ٣٧٠؛ وعيون الأخبار ١/ ٢٩٤.

الحطيم: الجدار الذي عليه ميزاب الكعبة، وكأنه حُطِمَ بعضُ مَحَزِّهِ[1]؛ وانتصب «عِرْفَان» على أنه مفعول له: أي يكاد يُمْسِكُه ركنُ الحطيم لأنه عرف راحته، و«يستلمُ» بمعنى يلمسُ الحجرَ الأسودَ، وقال عبد السّلام «عِرْفَانَ راحته» و«عرفانُ راحته» والرّياشي يختار الرفع.

٤ - أيُّ القبَائِلِ لَيسَتْ في رِقَابِهِم لأوَّلِيَّةِ هَذا أوْ لَهُ نِعَمُ

٥ - بِكَفِّهِ خَيزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ مِنْ كَفِّ أرْوَعَ في عِرْنِينِهِ شَمَمُ[2]

يعني بالخيزران المخصَرَة التي يمسكها الملوك بأيديهم يتعبَّثُون بها ويشيرون، و«رِيحها عَبِقٌ» بكسر الباء على الصّفة، و«عَبَق» بفتح الباء على المصدر: أي ذو عَبَقٍ، وإذا قرن الشَّمَم بالعِرْنين أو الأنف فالقصد إلى الكرم.

٦ - يُغْضِي حَيَاءً ويُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

أي: يُغْضِي لِحيائه ويُغْضَى معه مهابةً له، فقوله «من مهابته» في موضع المفعول له، كما أن قوله «يغضي حياءً» انتصبَ لمثل ذلك، والمفعول له لا يُقامُ مقامَ الفاعل، كما أنَّ الحال والتمييز لا يُقام واحدٌ منهما مقام الفاعل، فإن قِيلَ: فإذا كان الأمرُ على ذا فأين الذي يرتفع بيُغْضَى من مهابته؟ قلت: أقمنا المصدر مقام الفاعل، وهو الإغضاء، كأنه يُغْضَى الإغضاءُ.

[٧١٠] وقال آخر:

١ - إذَا انْتَدَى وَاحْتَبَى بِالسَّيفِ دَانَ لَهُ شُوسُ الرِّجَالِ خُضُوعَ الجُرْبِ لِلطَّالِي

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

انتدَى: أي جلسَ في النَّادي والنّديّ، وهو مجلس القوم ومتحدّثهم، وقوله «واحتبى بالسّيف» الاحتباء بالسيف عند عَقْدِ جِوَارٍ أو حربٍ أو تسويد رئيس وما يجري هذا المجرى؛ لأنَّ السيفَ في أمثال هذه الأحوال ربما مَسَّت الحاجة إليه، لذلك قال جرير: [المتقارب]

وَلاَ يَحْتَبِي عِنْدَ عَقْدِ الجِوَارِ بِغَيْرِ السُّيُوفِ وَلاَ يَرتَدِي

وفي غير هذه الأحوال إنما يحتبون بالأردية وأشباهها، ودانَ له: خضع له، والشُّوسُ: جمع أشوس، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه عداوةً أو كبرًا، وانتصب «خضوعَ

---

(١) المَحَزُّ: موضع الحَزِّ، أي القطع.
(٢) عند المرزوقي: «رِيحُهُ عَبِقٌ».

الجرب» على أنه مصدر من غير لفظه، لأن معنى دَانَ له خضعَ له، ومثله: [الطويل]

وَرُضتُ فَذَلَّتْ صَعْبَة أيَّ إذْلاَلِ[1]

لأن معنى رُضْتُ أَذْلَلْتُ فانتصب «أيَّ إذلال» عنه، وخصّ الجُرْب لأنها إذا هنئت بالطِّلاء طابَ لها وطاعَتْ لطاليها؛ لذلك قال امرؤ القيس: [الطويل]

كَمَا شَعَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي[2]

٢ ـ كَأَنَّمَا الطَّيرُ مِنهُمْ فَوْقَ هَامِهِمِ لاَ خَوْفَ ظُلْمٍ وَلٰكِنْ خَوْفَ إجْلاَلِ

أراد أنَّ مجالسَهم مهيبة، وأنَّ حاضريها لا يتخفّفون، بل يتوقَّرون ويسكنون فكأنَّ على رؤوسهم الطَّير، فإنْ حرّكوا رؤوسهم طارَتْ، وقوله «لا خوف ظلم» أي: يخافونه لا خوف ظلم وانتقام، ولكن خوف جلالة واحتشام.

[٧١١] وقالت ليلى الأخيلية[3]:

١ ـ فإنِّي لَمْ أَكَدْ آتِيكَ تَهْوِي بِرَحْلِي رَادَةُ الأَصْلاَبِ نَابُ

٢ ـ قَرِيحُ الظَّهْرِ يَفْرَحُ أَنْ يَرَاهَا إذَا وُضِعَتْ وَلِيَّتُهَا الغُرَابُ

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

قولها «لم أَكَدْ آتِيكَ» من قولهم: أعطاني الأميرُ ما لم يَكَدْ يعطي، وسمحَ بما لم يَكَدْ يسمحُ، تقول: لم أَكَدْ أزوركَ وقد زرتكَ تطيرُ برحلي راحلة وثيقة الظَّهر لَيِّنَته، وقد أخذَتْ من السِّنّ بالنصيب الأوفر، دَبِرَةُ الظَّهرِ، يفرحُ الغرابُ إذا كشفَ عنها بَرْذعتَها فيطير إلى ظَهْرِها لأنه ينقُره ويُدْمِيه، وقولها «رَادَةُ الأَصلاب» من «رادَ يرودُ» إذا جاء وذهبَ لِلِينِهِ، والأصل رائدة فحذفت الهمزة تخفيفًا، كما قِيلَ: شَائِك، وشَاكِي السِّلاح، ويجوز أن تكون فَعَلة بُنِيَت منه، وعلى ذلك قولهم: رَجُلٌ مَالٌ، كأنه مَولٌ، وقال المرزوقي: وبعضهم رواه «رَارَةُ الأصلاب» وزعم أن عَيْنَه ياء، واحتجَّ بقول الآخر: [الرجز المشطور]

وَالسَّاقُ مِنِّي بَادِيَاتُ الرَّيْرِ[4]

---

(١) هذا عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٥١، وصدره: «وصِرْنا إلى الحُسْنَى ورَقَّ كلامُنا».

(٢) صدره: «أيقتلني أنِّي شَعَفْتُ فؤادَها». (٣) سبقت ترجمتها في الحماسية رقم (٧٠٠).

(٤) قبله في اللسان (رير):

أقولُ بالسَّبْتِ فُوَيْقَ الدّيْرِ إذ أنا مغلوبٌ قليلُ الغَيْرِ

أي أنا ظاهر الهزال لأنني قد ظهر جلدي ودقّ عظمي فظهر مخّه، وإنما قال «باديات» والساق واحدة لأنه أراد السّاقَيْن، والتثنية يجوز أن يخبر عنها بما يخبر عن الجمع.

والرّار والرِّير: المخّ، وليس الصّلب بموضع مُخّ، ومثله على الوجه الأول: [الرجز المشطور]

فِي صَلَبٍ مِثْلِ العِنَانِ المُؤْدَمِ(١)

أَلاَ تَرَى أنه شَبَّهه بالعنان لِلينه.

[٧١٢] وقال العُرْيَان(٢) لِسهلة، وذمَّ غيره:

١ ـ مَرَرْتُ عَلَى دَارِ امْرِىءِ السَّوْءِ حَوْلَهُ لَبُونٌ كَعَيْدَانٍ بِحَائِطِ بُسْتَانِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

اللَّبُون: أراد بها الجنس؛ لذلك قال «حوله لبونٌ» وأصل اللَّبون الإبل ذات الألبان، وقوله «دار امرىءِ السَّوْءِ» ضدّ قوله «دار امرىءِ الصّدق» والمعنى فيهما نِعْمَ الرَّجل وبِئْسَ الرجل، وإذا قصدَ إلى الوصف به فتح فقيل الصَّدْق، ويقال: رجل صَدْقٍ ونساء صدقات، والسوء يوصف به فيقال: الرجل السَّوءُ، وقال الخليل: الصَّدق بفتح الصَّاد: الكامل من كلِّ شيء، والعَيْدَانُ: الطِّوَالُ من النَّخل؛ وسُمِّيَ عَيْدانًا لِطُولِ لبث النَّخل؛ لأن معنى عَدَنَ أقامَ، وهو فيعال من عَدَنَ بالمكانِ، ومثله غَيْدَاق من غَدَق، وعَنَى بالحائطِ موضع الشَّجر، والحائط: أصله فاعل من الحِيَاطة.

٢ ـ فَقَالَ أَلاَ أَضْحَتْ لَبُونِي كَمَا تَرَى كَأَنَّ عَلَى لَبَّاتِهَا طِينَ أَفْدَانِ

أراد السِّمَن؛ والأفدان: القصور، واحدها فَدَن، ومثله: [الوافر]

كَمَا بَطَّنْتَ بِالفَدَنِ السَّيَاعَا(٣)

٣ ـ فَقُلْتُ عَسَى أَنْ يَحْوِيَ الجَيْشُ سَرْبَهَا وَلاَ وَاحِدٌ يَسْعَى عَلَيْهَا وَلاَ اثْنَانِ

أي: لا يسعى عليها مالك واحد، ولا اثنان؛ لكنها تصير مُقَسَّمَة، ويجوز أن يريد ليس لك عَوْن ولا عونان يطلبون معك ويعاونونك على استدراكها لأنك لم تكن تطعم منها.

---

(١) هذا بيت من الرّجز المشطور وهو للعجاج في ديوانه ص ٥٩؛ واللسان (صلب، وأدم)، وقبله قوله:

رَيَّا العِظَام فخمةُ المُخَدَّمِ

(٢) في نوادر أبي زيد ص ٦٥؛ والخزانة ٢/ ٥٢٢ لعريان بن سهلة الجَرميّ وهو شاعر جاهليّ.

(٣) هذا عجز بيت للقطامي في ديوانه واللسان (سيع)، وصدره: «فلمّا أن جرى سِمَنٌ عليها». والسَّياع: الطين بالتّبن، والمشهور برواية عجز البيت: «كما طَيَّنْتَ بالفَدَنِ السَّيَاعا»، وفيه قلب والمراد: كما طيّنت الفدن بالسّياع.

٤ ـ وَرُحْتُ إلى دَارِ امْرِىء الصِّدْقِ حَوْلَهُ مَرَابِطُ أَفْرَاسٍ وَمَلْعَبُ فِتْيَانِ

قوله «وملعب فتيان» لأنهم يجتمعون عنده لِسَخائِهِ.

٥ ـ وَمَنْحَرُ مِثْنَاتٍ يُجَرُّ حُوَارُهَا وَمَوْضِعُ إخْوَانٍ إلى جَنْبِ إخْوَانِ[1]

«يُجَرُّ حُوَارُها» لأنها تجزر وهو في بطنها فيجرّ من بطنها.

٦ ـ فَقُلْتُ لَهُ إنِّي أَتَيْتُكَ رَاغِبًا بِذِعْلِبَةٍ تَدْمىٰ وإنّي امْرُؤٌ عَانِي

الذِّعْلِبَة: النَّاقة السَّريعة، وتَدْمَى: أي يخرج الدم من مناسمها للتعب الذي يلحقها، وعاني: أي خاضع أطلبُ في دم أو فكاك، ويُرْوَى «تذمى» من الذماء وهي باقية النفس.

٧ ـ فَقَالَ ألاَ أَهْلاً وسَهْلاً ومَرْحَبًا جَعَلْتُكَ مِنِّي حَيْثُ أَجْعَلُ أَشْجَانِي

أي: جعلتُكَ في قلبي حيث أجعلُ همّتي وحاجتي.

٨ ـ فَقُلْتُ لَهُ جَادَتْ عَلَيْكَ سَحَابَةٌ بِنَوْءٍ يُنَدِّي كُلَّ فَغْوٍ وَرَيْحَانِ

بِنَوْءٍ: أي بمطرٍ ينبتُ كلَّ ما طَابَتْ رِيحه، والفَغْوُ والفَاغية: نَوْرُ الحنّاء وكلّ ما له رائحة طيّبة، والفَغْوُ مثل الزّهر، وسُئِلَ بعضُ الفقهاء المتقدّمين عن زكاة الزَّعْفَرَان، فقال: إذا أفْغَى؛ وجاء في الحديث المأثور «أفضل ريحان أهل الدُّنيا وأهل الآخرة الفاغِية»[2] والرَّيحان يقال لكلّ نبت غَضّ، ويخصّون ذلك في بعض المواضع بما كان طَيِّبَ الرّائحة، ولذلك سُمِّيَ الولد رَيْحَانة، وبعضهم يجعل الورد وغيره من الأزهار المشمومة رَيْحَانًا.

٩ ـ وقُلْتُ سَقَاكَ اللَّهُ خَمْرَ سُلاَفَةٍ بِماءِ سَحَابٍ حَائِرٍ بَيْنَ مُضْدَانِ

حائر: متحيّر متردّد، والمُضْدَان: جمع مِضَاد، وهو هضبة، ويجمع أيضًا أَمْضِدَة.

[٧١٣] وقال آخر:

١ ـ لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الغِنَى وَلَمْ أدْرِ أَنَّ الجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي

٢ ـ فَلاَ أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الغِنَى أَفَدْتُ، وأَعْدَانِي فَأَتْلَفْتُ ما عِنْدِي

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «أبتغي الغِنَى» في موضع الحال، و«أفدتُ» بمعنى استفدت، يقول: لم أعلمْ أنَّ السَّخَاءَ يُعْدِي من يَدِهِ، فلا أنا استفدتُ من جهته ما استفاده الأغنياء منه، وأَعْدَاني لَمْسُ كَفِّهِ الجود فأهلكتُ ما عندي أيضًا، وقوله «ما أفاد» في موضع المفعول من قوله أَفَدْتُ.

---

(١) عند المرزوقي: «وملعبُ إخوانٍ». (٢) لسان العرب (فغا).

وقال أبو هلال: هذا الشعر لعبد الله بن سالم الخيّاط مولى هُذَيْل، دخل على المهدي فأنشده هذين البيتين، فأمر له بخمسين ألف درهم، ففرَّقها ولم يرجعْ إلى منزله منها بشيء.

ووضع «لا» موضع «لم» معناه لم أفدْ منه ما أفاد ذَوُو الغِنى، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[1].

[٧١٤] وقال آخر:

قال أبو هلال: هو لجثَّامة بن قَيْس، وهو أخو بَلْعَاء بن قيس.

١ - إذَا لاقَيْتِ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ   كَفَى قَوْمِي بِصَاحِبِهِمْ خَبِيرَا

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قوله «كفى قومي بصاحبِهم خبيرًا» مقلوب، كان الواجب أن يقول: كَفَى بقومي خبيرًا بِصاحبهم، يعني نفسَه، والخبيرُ: ذو الخبرة التَّامَّة، وانتصابه على الحال إن شئت، أو على التمييز.

أبو هلال: كان ينبغي أن يقول خبراء، ولكن الواحد قد ينوبُ عن الجمع ويُروَى قوم وقومًا، ونصبه على التمييز، والأصل كَفَى بقوم خبراء، كما تقول: كفى بِزيدٍ فارسًا، ولكن لمّا حذف الباء وصلَ الفعل فنصبَ، والمعنى: كَفَى ما أعلم قومًا بصاحبهم خبيرًا، ووجه الرَّفع أنه أراد كفى عِلْم قوم، ثم حذف العلم وأقام قوله قوم مقامه.

٢ - هَلَ اعْفُو عَنْ أُصُولِ الحَقِّ فِيهِمْ   إذَا عَسُرَتْ وَأَقْتَطِعُ الصُّدُورا[2]

يريد سليهم هل أتسامحُ بما يجبُ من أصول حَقِّي؟ وهل أتركُ الاستقصاء في استخراجها؟ ومثله: [الرجز]

إنَّـا إذَا شَارَبَنَا شَرِيبُ   لَهُ ذَنُوبٌ وَلَنَا ذَنُوبُ

فَإنْ أَبَى كَانَ لَهُ القَلِيبُ[3]

وقوله «وأقتطع الصدور» أي: آخذ ما سهلَ أخذه من أوائل الحقوق، وقيل: أراد مَوَدَّات الصّدور، فحذف المضاف، وقيل: أراد بالصّدور الرّؤساء، والمراد من البيت إنّي أُسامِحُ في معاملة أوساطِ قومي لأَمتلكَهم بذلك وأجعل رؤساءهم مائلين نحوي.

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٣١.

(٢) عَسُرَ: ضبطت عند المرزوقي عَسِرَتْ بكسر السين، من باب فَرِحَ وكرم.

(٣) القليب: البئر العادية القديمة.

[٧١٥] **وقال عمرو بن الإطنابة[١] أحد بني الخزرج:**

الإطنابة: سير الحزام يكون عونًا لسيره إذا قلق، قال سَلاَمة: [البسيط]

يَرْكُضْنَ قَدْ قَلِقَتْ عقد الأَطَانِيبِ[٢]

والإطنابة: سَيْرٌ يُشَدُّ في وتر القوس العربية، والإطنابة: المظلّة، وأما الخزرج فالريح الجنوب.

١ - إنّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ إذَا انْتَدَوْا ... بَدَؤوا بِحَقِّ اللَّهِ ثُمَّ النَّائِلِ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

«بدؤوا بحقّ الله» يعني الواجبات، «ثم النّائل» يعني العطاء لِلسَّائِل.

٢ - المَانِعِينَ مِنَ الخَنَا جَارَاتِهِمْ ... والحَاشِدِينَ عَلَى طَعَامِ النَّازِلِ

الحاشدين: أي الذين لا يَفْتُرُون عن القيام بذلك، وهو من قولهم في الإبل: لها حاشدٌ، وهو الذي لا يَفْتُر عن حَلْبِها، وقيل: معناه إذا نزل لم يطعموه وحده، ولكنهم يجمعون القوم يأكلون معه ويؤنسونه، والحَشْد: الجمع.

٣ - والخَالِطِينَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ ... والبَاذِلِينَ عَطَاءَهُمْ لِلسَّائِلِ

أي: يقرّبون الفقير ولا يميّزونه من الأغنياء، إجلالاً له وتوفّرًا عليه.

٤ - الضَّارِبِينَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ... ضَرْبَ المُهَجْهِجِ عَنْ حِيَاضِ الآبِلِ[٣]

المهجهِج: الذي يطردُ الإبلَ عن الحوض إذا رويتْ، فيقول لها: جوه، أو جاه، وعندهم أن جوه من زجر الإناث، وجاه من زجر الذكور، قال الشاعر: [الطويل]

إذَا قُلْتُ جَاهِ لَجَّ حَتَّى تَرُدَّهُ ... عُرَا حَلَقٍ أَطْرَافُهَا فِي السَّلاَسِلِ

ويقال: جَهْجَهت بِالسّبع، وهجهجت به، قال رؤبة: [الرجز]

جَهْجَهْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ

والآبل: صاحب الإبل، كالتامر واللاَّبن.

٥ - والقَاتِلِينَ لَدَى الوَغَى أَقْرَانَهُمْ ... إنَّ المَنِيَّةَ مِنْ وَرَاءِ الوَائِلِ

يقول: إنَّ المنيَّةَ من وراء الهارب: أي تلحقُه على كلِّ حالٍ لا مَنْجَى منه.

---

(١) عمرو بن عامر بن زيد مناة: ابن الإطنابة، والإطنابة: أُمّه، شاعر جاهلي فارس، وفي الرّواة مَنْ يعدّه من ملوك العرب في الجاهلية. ترجمته في (المرزباني ص ٢٠٣؛ والأغاني ١١/١٢١).

(٢) هذا عجز بيت نسبه الشارح لسلامة بن جندل وهو ليس في ديوانه، ونسبه في اللسان (طنب) إلى النابغة، وصدره: «فَهُنَّ مستبطِنَاتٌ بَطْنَ ذِي أُرُلٍ».

(٣) عند المرزوقي: «والضّاربين». و«ضَرْبَ المُجَهْجِهِ».

٦ ـ وَالقَائِلُونَ فَلاَ يُعَابُ كَلاَمُهُمْ   يَوْمَ المَقَامَةِ بِالقَضَاءِ الفَاصِلِ[١]

٧ ـ خُزْرٌ عُيُونُهُمُ إلَى أعْدَائِهِمْ   يَمْشُونَ مَشْيَ الأُسْدِ تَحْتَ الوَابِلِ

٨ ـ لَيْسُوا بِأنْكَاسٍ وَلاَ مِيلٍ إذا   مَا الحَرْبُ شُبَّتْ أشْعَلُوا بِالشَّاعِلِ

الأنكاس: جمع نِكْس، وهو الذي لا خيرَ فيه، والمِيلُ: جمع أمْيَل، وهو الَّذي لا يثبتُ على الفَرَسِ، وقوله «أشعلوا» يقول: أوقدوا وهَيَّجوا، و«بِالشَّاعل» يجوز أن يراد به أشعلوا الشَّاعلَ، والباء مقحمة، والمراد بالشاعل يسير الإيقاد، والإشعال له تقويته، ويجوز أن يكون المراد بالشاعل أي ذا الشعل، ويكون معناه المشعل، ويقال: أشعلت الخيل في الغارة فشعلت، وأشعلت النار في الحطب فاشتعلتْ، وقال أبو العلاء: قد حُكِيَ شَعَلْتُ الحربَ وأشعلتها، وهذا البيت قد جمع فيه بين اللّغتين، كأنّه قال: أشعلوا بالمشعل: أي أشعلوها بما يوقدها؛ لأنهم لا يكرهون قيام الحرب، كما يكرهها الجبناء والأنكاس.

[٧١٦] وقالت حبيبة بنت عبد العُزَّى العَوْرَاء:

١ ـ أإلَى الفَتَى بَرٍّ تَلَكَّأُ نَاقَتِي   فَكَسَا مَنَاسِمَهَا النَّجِيعُ الأسْوَدُ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

تريد أتَتَلَكَّأُ ناقتي: أي أتَتَحَبَّسُ؟ فحذف إحدى التاءين تخفيفًا؛ لأن الإدغام ممتنع هنا، وبَرٌّ: اسم الممدوح، واللّفظ استفهام ومعناه الإنكار، والمعنى إنَّ ذلك لا يكونُ، وانجرَّ «بَرّ» على البدل من «الفتى» ثم دَعَتْ على ناقتها بالعرقبة إن تأخّرَتْ في المسير، والنجيع في الأصل: دم الجوف، ويقال: تنجَّعَ به: أي تلطَّخَ.

٢ ـ إنِّي وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إلى مِنًى   بِجُنُوبِ مَكَّةَ هَدْيُهُنَّ مُقَلَّدُ

أقسمتْ بالله، والهَدْيُ: ما يُهْدَى إلى البيتِ، وكانوا يقلّدونه ويجعلون في عُنُقِهِ لِحَاءَ الشَّجر أو الصّوف المفتول؛ ليكون علامة لإهدائها؛ و«هديهنَّ مُقَلَّدٌ» في موضع الحال لِلرَّاقصات، واكتفي بضميرها في الجملة عن إدخال العاطف عليه؛ لأن الضمير يعلّق الحال بما قبله كما يعلّق حرف العطف، ومثله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[٢] والمراد بهديهنَّ التّكثير لا الواحد، وأبدًا[٣] في المستقبل بمنزلة قَطّ في الماضي.

٣ ـ أُولِي عَلَى هُلْكِ الطَّعَامِ ألِيَّةً   أبَدًا وَلَكِنِّي أُبِينُ وأنْشُدُ

---

(١) عند المرزوقي: «والقائلينَ».   (٢) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٣) «أبدًا» لم تَرِدْ في البيت الذي يشرحه وإنما وردت في البيت الذي بعده.

«أُولي على هُلكِ الطَّعام» هو جواب القَسَم: أي لا أُولي، فحذف حرف النفي، ولم يخف الالتباس؛ لأنه لو أُرِيدَ الإيجاب لوجبَ أن يقال «لأُولِيَنّ» باللاَّم وإحدى النونين، وقولها «ولكني أبينُ» أي: أبيّن موضع طعامي وأنشدُ بِاللّهِ مَن ضَافَني أنْ يأكلَ من طعامي، وقيل: معنى أبين أُظهر منزلي ولا أخفيه، وأنْشُدُ: أي أطلبُ مَنْ يأكلُ طعامي.

٤ - وَصَّى بِهَا جَدِّي وعَلَّمَنِي أبِي ... نَفْضَ الوِعَاءِ وكُلُّ زَادٍ يَنْفَدُ

٥ - فَاحْفَظْ حَمِيتَكَ لاَ أَبَا لَكَ واحتَرِسْ ... لاَ تَخْرِقَنْهُ فَأْرَةٌ أوْ جُدْجُدُ

الجُدْجد: صَرَّار اللَّيل، واسمه شبيه بصوته، وفي مثله قول الراجز:

مَا أنْتَ بِالسَّمْحِ وَلاَ بِالمَاجِدِ ... فَاحْفَظْ سِقَاءَيْكَ مِنَ الجَدَاجِدِ

[٧١٧] وقال مالك بن جَعْدَة التغلبيّ[١]:

١ - فَأبْلِغْ صَلْهبًا عَنّي وسَعْدًا ... تَحِيَّاتٍ مَآثِرُهَا سُفُورُ[٢]

الأوّل من الوافر، والقافية متواتر.

يقال: سَلْهَب وصَلْهَب. وقوله «مآثرها سُفورُ» أي: يستغرقُها سفور إذا كُتِبَتْ ونُسِخَتْ، وهذا على وجه الإزراء بالمخاطب والغضّ منه، والسّفور: جمع سِفْر، وهو الكتاب، يقال: سِفْرٌ وَأسْفَارٌ وسُفُورٌ، والمآثر: واحدها مَأْثُرَة، ويجوز أن يريد مكارمها التي تؤثر: أي تُروى وتُنسَب واضحة كسفور الصّبح ويقال: سَفَرَ الصُّبْحُ، وأسفرَ، وكان الأصمعي يأبى إلاّ سَفَرَ، هذا قول المرزوقي في السّفور، وقال أبو العلاء: مآثرها جمع مأثورة، وهي ما يُؤْثَرُ من الحديث، يقال: أثَرَهُ يَأْثِرُهُ ويَأْثُرُهُ، وإنّما أخذت من الأثر لأنَّ أَثَرَهَا يبقى في الناس، وسفور: أي مسافرة، قال: ومَنْ رَوى «شقور» أخذها من قولهم: نَفَضْتُ له شُقُوري، إذا حَدَّثته بما في نفسك، وربما قالوا: الشّقور الحاجات، وقيل: شقور الرجل: حاله، وأشبه ما يجعل هٰهنا أن يكون ما يخفى ويكتم، قال العجاج: [الرجز]

جَارِيَ لاَ تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي ... سَيْرِي وَإشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

وَكَثْرَةَ الحَدِيثِ عَنْ شُقُورِ

٢ - فَإنَّكَ يَوْمَ تَأْتِينِي حَرِيبًا ... تَحِلُّ عَلَيَّ يَوْمَئِذٍ نُذُورُ

---

(١) مالك بن جَعْدَة: وفي معجم المرزباني ص ٣٦٤: «التغلبي» وهو من شعراء الدولة الأموية هَجَا المختار بن أبي عبيد فَرَدَّ عليه الطرماح.

(٢) المرزوقي: «وأبْلِغْ».

الحريب: السّليب، وانتصابه على الحال، و«يوم» مضاف إلى «تأتيني» على وجه التبيين، وهو ظرف لقوله «تحلّ عليَّ يومئذٍ نذور» وانتصب «يومئذٍ» على البدل من «يوم تأتيني» فكأنَّ الشّاعرَ عَرَاه سائلاً فحرمه أو وعده وعدًا لم يَفِ له به، فقال: إن أتيتني حَرِيبًا وجدتني لكَ بخلاف ما كنتَ لي، وقوله «تحلُّ عليَّ» أي: تجب، من حَلَّ الدَّيْنُ.

٣ ـ تَحِلُّ عَلَيَّ مُفْرِهَةٌ سِنَادٌ ... عَلَى أَخْفَافِهَا عَلَقٌ يَمُورُ

المُفْرِهة: التي تَلِدُ أولادًا فُرْهًا، قال أبو ذؤيب: [الطويل]

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا ... فَخَرَّتْ كَمَا تَتَايَعُ الرِّيحُ بِالقَفْلِ

والسِّناد: الضَّامرة، قيل: وهي الطَّويلة، والمعنى: إنِّي يجب عليَّ أن أنْحَرَ ناقةً هذه صفتها فيمورُ العَلَقُ على أخفافها، والعَلَق: الدَّم.

٤ ـ لأُمِّكَ وَيْلَةٌ وَعَلَيْكَ أُخْرى ... فَلاَ شَاةٌ تُنِيلُ ولاَ بَعِيرُ

«أخرى» أي: وَيْلَةٌ أخرى، دعاء عليه، واللاَّم وعلى هنا متقاربان في المعنى، وقوله «فلا شاةٌ تُنِيلُ» لك أن تنصب شاة بتنيل، ويرتفع بعير على الاستئناف، فكأنه قال: ولا بعيرٌ مطموعٌ فيه مِنْكَ ولا مَنُولُ، ولك أن ترفعهما جميعًا، ويكون مفعول «تنيل» محذوفًا، والمراد لا يُرْجَى من جهتِك شاةٌ ولا ما فوقها، ويقال: نِلْتُ الشَّيءَ فهو مَنِيل نيلاً، إذا كنت تتناوله بيدك، وليس هو من النَّوْلِ؛ لأنه من النَّوَال يقال: نُلْتُه أنُوله نَوْلاً، ونَوَّلْته تنويلاً، ومنه: [الطويل]

إذَا قُلْتُ هَاتِي نَوِّلِينِي تَمَايَلَتْ ... عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ(١)

والنَّوْلُ أيضًا: مِنْوَالُ الحائكِ، وتناولتُ الشَّيءَ تناولاً إذا تعاطيته، و«ما كان نولك أن تفعل كذا» أي: ما كان ينبغي لكَ أن تفعلَ، ومنولة: اسم أُمِّ حَيّ من العرب، وما أصبت من فلان نَيْلاً ولا نِيلَةً ولا نُولَةً.

[٧١٨] وقال عبد الله الحَوَاليّ من الأزد: [الطويل]

الحَوَاليّ: الجيّد الرّأي، وهو فَعَاليّ من الحِيلة، قال ابن أحمر: [السريع]

أَوْ يَنْسَأَنْ يَوْمِي إِلَى غَيْرِهِ ... أَنِّي حَوَالِيٌّ وَأَنِّي حَذِرْ

وبنو حَوَالة: حَيٌّ من العرب، قال: وأحسب عبد الله هذا منهم.

١ ـ لَمَّا تَعَيَّا بِالقَلُوصِ وَرَحْلِهَا ... كَفَى اللَّهُ كَعْبًا مَا تَعَيَّا بِهِ كَعْبُ

(١) البيت لامرىء القيس في لاميته المعلّقة.

يقال: عَيِيتُ الأمرَ، وعَيِيتُ بِالأمر، وتَعَيًّا وتَعَايا من العيّ، وتَعَيِّيه بالقلوص هو أنها حَسَرَتْ فنحروها، وقوله «ما تعيا به» الضمير راجع إلى «ما» ويقال: تعايا عليه كذا: أي أعياه.

٢ ـ دَعَونَا لَهَا قَينَنَا رَفِيقًا بِمُدْيَةٍ يُجَزِّئُهَا فِينَا كَمَا يُجزَأُ النَّهبُ

يُجَزِّئُها: أي يقسمها.

٣ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ ضَيَّعتَ يَا كَعْبُ نَاقَةً يَسِيرًا عَلَيهَا أَنْ يُضِرَّ بِهَا الرَّكْبُ

«يسيرًا عليها» أي: إتعاب الرَّاكب إيّاها هَيِّنًا عليها.

٤ ـ مُوَكَّلَةً بِالأَوَّلِينَ فَكُلَّمَا رَأَتْ رُفقَةً فَالأَوَّلُونَ لَهَا نُصْبُ

أي: كانت تقصد في أوائل الرّكاب ولم تفارقها، فكأنها موكلة بالأولين، والرفقة: الجماعة، والنُّصب: الشَّيء المنصوب: أي كانت ترمي بنفسها إلى أَوَّلِ الرّفاق كما يُرمى الهدف.

[٧١٩] وقال حُجر بن خالد[1]، يمدحُ النُّعمان بن المنذر:

١ ـ سَمِعْتُ بِفِعْلِ الفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوس حَزمًا وَنَائلاً

الثاني من الطويل، والقافية من المتدارك.

أبو قابوس: كنية النعمان، وانتصب «حزمًا» على التمييز، والكاف من «كمثل» زائدة، ومثله: [الرجز]

لَوَائِحُ الأَقْرَابِ فِيهَا كَالمَقَقْ[2]

أراد فيها المَقَق، كما أن هذا يريد لم أرَ مثل أبي قابوس.

٢ ـ فَسَاقَ إِلَـٰهِي الغَيثَ مِن كُلِّ بَلْدَةٍ إِلَيكَ فَأَضْحَى حَولَ بَيتِكَ نَازِلاً

ومَنْ روى «فسِيقَ إليه الغيث من كلِّ بلدة إليك» كأنه أخبر في صدر البيت ثم خاطب على عادتهم، وقوله «من كلِّ بلدة إليك» أي: إليك أمْرُها وتدبيرُهَا فصرتَ تتولاّها، وهذا كما يقال: جعل بلد كذا إلى فلان، والمراد من هذا البيت على هذه الرّواية: جعلَ اللّهُ الدُّنيا تحتَ أمْرِكَ، وساق الغيثَ من آفاقها إلى ما حولك، وأنكر أبو

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١١٩).

(٢) لرؤبة يصف الحمير في ديوانه ص ١٠٦؛ واللسان (مقق)؛ وعند المرزوقي: «لواحقُ الأقراب»؛ وتاج العروس (مقق)، وقبله: «قُبٌّ مِنَ التَّعْدَاء حُقبٌ في سَوَقْ». وفرسٌ أَمَقُّ، بَيِّنُ المَقَق: طويلٌ، وقيل هو الفاحش الطُّول في دِقَّة.

محمد الأعرابيّ هذه الرواية، وقال الصّحيح:

فَسَاقَ الإِلٰهُ الغَيْثَ من كلِّ بلدةٍ

ويُروى:

فَسِيقَ الغَمَامُ الغُرُّ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ

٣ ـ فأصبحَ مِنهُ كُلُّ وادٍ حَلَلْتَهُ مِنَ الأرضِ مَسْفُوحَ المَذَانِبِ سَائِلاَ

«فأصبح منه» أي: من الغيث، وانتصب «مسفوح المذانب» على أنه خبر أصبح؛ والمذانب: المسايل.

٤ ـ مَتَى تُنْعَ يُنْعَ الجُودُ وَالبَأْسُ والتُّقَى وَتُضبِحْ قَلُوصُ الحَرْبِ جَرْبَاءَ حَائِلاَ

ليس للحرب قَلُوص، إنّما هو مجاز استعمله لضعف الحرب بعده؛ لأنَّ القَلوصَ إذا جَرِبَتْ لم تُرْكَبْ وإذا حالت لم تحلبْ.

٥ ـ فَلاَ مَلِكٌ مَا يُدْرِكَنْكَ سَعْيُهُ ولاَ سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنْكَ بَاطِلاَ

السُّوقة: سُمُّوا سُوقَة لأنَّ الملكَ يسوقُهم على حكمه، والواحد والجمع في اللّفظ سَوَاءٌ، وأدخل النون الثقيلة في «يمدحَنَّكَ» و«يدركنَّكَ» لِمَا في الكلام من معنى النفي، ولأنَّ ما الزائدة للتوكيد لفظها لفظ ما النافية، ومثله: «في عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكيرُهَا»[(١)] و«بِأَلمٍ ما تَخْتَتِنَنَّهُ»[(٢)] وقوله «ما يمدحنَّكَ باطلاً» أي: مَدْحًا باطلاً، وانتصب «باطلاً» على أنه صفة لمصدر محذوف، ومثل قوله «مَتَى تُنْعَ ينع الجُودُ» قول النّابغة: [الوافر]

فإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الحَرَامُ
وَنَأْخُذْ بَعْدَهُ بِذِنَابِ عَيْشٍ أَجَبَّ الظَّهْرِ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

وقول الآخر: [المديد]

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلَفٍ وَلَّتِ الدنْيَا على أَثَرِهْ[(٣)]

[٧٢٠] وقال آخر:

١ ـ وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الهُدُوءِ دَعَوْتُهُ بِشَقْرَاءَ مِثْلِ الفَجْرِ ذَاكٍ وُقُودُهَا

---

(١) هذا مثل من أمثال العرب، وهو موافق لشطر بيت من الطويل، وقد ورد صدرًا لبيت وتمامه:

ومن عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شكيرُها قديمًا، ويُقْتَطُ الزِّنادُ مِنَ الزَّنْدِ

وقد وقع عجزًا في بيت آخر وتمامه في الخزانة ٢/ ٨٣:

إذا ماتَ منهم مَيِّتٌ سَرَق ابنُهُ ومِنْ عِضَةٍ ما ينبتنَّ شكيرُها

(٢) عند المرزوقي: «وبألم ما تَخْتِتَنُهُ».

(٣) البيت لعلي بن جبلة في الشعر والشعراء ص ٨٤٠؛ والأغاني ١٨/ ١٠٣.

الثاني من الطويل.

«بعد الهدوء» أي: بعد قطعة من اللَّيل يهدأُ فيها النَّاسُ؛ وشقراء: نار، شَبَّهها بالفجر لارتفاعها وانتشارها، وقوله «ذاكِ وقوها» أي: مُتَّقِدٌ إيقادُها، وهذا من باب: جنونك مجنونٌ، وشِعْرُكَ شَاعرٌ، ومعنى دعائه إلى النار إلهابه إيَّاها لِيُبْصِرَ ضَوْأها فيجيءَ إليها.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَبًا   بِمُوقِدِ نَارٍ مُحْمِدٍ مَنْ يَرُودُهَا

يعني بموقد نار نفسه، والباء تتعلق بفعل مُضْمَر، كأنه لمّا قال أهلاً وسهلاً قال: تنال ذلك كلّه بموقد نار، وقوله «مُحْمِدٍ مَنْ يرودها» أي: محمد رائدها، يعني مَن أتاها حَمدَ أمْرَها وأهلَها، و«أهلاً» انتصب بفعل مُضمَر.

٣ ـ نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ   مِنَ الدُّهْمِ مِبْطَانًا طَوِيلاً رُكُودُهَا

جوفاء: أي قِدْرًا واسعةَ الجوفِ كثيرة الأخذِ، والضَّبَابة: ما يتعقّب المطر من الظّلمة الرقيقة والسَّحاب الرَّكِيك، وذكرها هنا مَثَلاً، ويُرْوَى «ذات ضُبَابة» أي: يفضل ما فيها عن الآكلين لِعِظَمِها، والدُّهْم: السّود، ويُروَى «ذات ضَبَابة من الزّهْم» وهو الشَّحم، شَبَّهَ الشَّحْمَ فوق المَرَقِ في القِدْرِ بالضَّبابة، ويحتمل أن يكون المراد بالضَّبابة ما يعلوها من البخار، وجعلها مِبْطَانًا من الزّهم «طويلاً ركودها» أي: لُبْثها على النار لِعظمها وكثرة اللَّحم فيها.

٤ ـ فَإِنْ شِئْتَ أَثْوَيْنَاكَ في الحَيِّ مُكْرَمًا   وَإِنْ شِئْتَ بَلَّغْنَاكَ أَرْضًا تُرِيدُهَا

يقال: ثَوَى بِالمكان، وأثواه غيره، وانتصب «مُكْرَمًا» على الحال، والمعنى: إنْ أردتَ أقمتَ مُكْرَمًا مُعظمًا، وإنْ أردتَ التَّوَجُّهَ في مقصدك بَلَّغْنَاكَ مَقَرَّكَ.

[٧٢١] وقال آخر:

١ ـ ومُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ   إلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهْوَ لِلسَّمْعِ أَصْوَرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

المَسَاقط: جمع مَسْقَط، ويريد به المصدر لا اسم المكان: أي يميلُ رأسه إلى كلِّ شخصٍ يقدّره إنسانًا لِيَلتجىءَ إليه لأنه ضَلَّ الطريق، وهو مرمل: أي يكاد يسقطُ رأسه من شِدَّةِ ما يلتفتُ يمينًا وشمالاً، والأصور: المائل، والسَّمع: مصدر سَمِعَ.

٢ ـ يُصَفِّقُهُ أَنْفٌ مِنَ الرِّيحِ بَارِدٌ   ونَكْبَاءُ لَيْلٍ مِنْ جُمَادَى وصَرْصَرُ

يُصَفِّقُه: يضربُه، والأنف من الرِّيح: أوّلها، ومن غيرها كذلك، وصَرْصَر: برد شديد، والصِّر والصّرصر بمعنى، وليس من بناء واحد؛ لأنَّ صَرْصَرًا رباعي، والآخر

ثلاثي، وجُمَادى يريد به شهرًا من شهور الشّتاء، وإن لم يكن جُمَادى في الحقيقة، وإنَّما وصفَ ما قد أشرفَ عليه المستنبح من أذى الريح والبرد ليكونَ ذلك عُذْرًا في الاستنباحِ وطَلَبِ النّزولِ.

٣ ـ حَبِيبٌ إلَى كَلْبِ الكَرِيمِ مُنَاخُهُ   بَغِيضٌ إلَى الكَوْمَاءِ وَالكَلْبُ أبْصَرُ

«حبيبٌ» يجوز أن يرتفع على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ «مناخه» ويجوز أن يكون صفة للمستنبح، وقد يجعل خبر مبتدأ مُضْمَر، فيرتفع «مناخه» على أنه مفعول لما لم يُسَمّ فاعله من حبيب، وإنما حبب مناخ الضَّيف إلى الكلب لأنه يشركه في القِرى، وصار بغيضًا إلى الكوماء لأنها تُنْحَرُ، والكَوْمَاء: العظيمة السَّنام، والكلب أبصر، بمعنى أعلم من بَصَرِ القلبِ لا مِنْ بصر العين.

٤ ـ حَضَأْتُ لَهُ نَارِي فَأبْصَرَ ضَوْأَهَا   وَمَا كَادَ لَوْلاَ حَضْأَةُ النَّارِ يُبْصِرُ

«حضأتُ» جواب رُبَّ المضمرة في قوله «ومستنبح» ومعنى حضأتُ النار رفعتها ليستدلَّ بها، ولولا رفع النار لكان لا يبصر الطريق، ولا يرى مستدلاً به، وفصل بين «كاد» وخبره بقوله «لولا حضأة النار» وفي كاد ضمير المستنبح، لولا ذلك لما جاز أن يقال: زيد كاد يخرج؛ لأنَّ الفعل لا يلي الفعل، وقوله «حضأة» ارتفع بالابتداء، وخبره محذوف، واستغني بجواب «لولا» عنه، وجواب لولا في قوله وما كاد يبصر لولا حضأة النّار.

٥ ـ دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إلَى القِرَى   فَأسْرَى يَبُوعُ الأرْضَ والنَّارُ تَزْهَرُ

إنّما نَكَّره ولم يقلْ بغير اسمه لأن المدعوّ قد يُدْعى باسمه، وبكنيته، وبلقب له، وبصفة له، وباسم جنسه، كقولك: يا رجل، ويا فتى، ويا مقبل، ويا راكب، ويا فلان، والنّار لم تَدْعُ الضَّيف بشيء من ذلك؛ فلذلك قال «بغير اسم» أي اسم يدعى به مثله، ويجوز أن يكون قال ذلك لأنَّ دعوتها لم تكن بكلام، وإنَّما كان علامة واستدلالاً، كما أنَّ الإجابة كانت قَصْدًا، و«هَلُمَّ» يجوز أن تكون ها التنبيه ولُمَّ فعل، وعلى هذا يُثَنَّى ويُجمَع، ويجوز أن يكون اسمًا للفعل، وعليه لا يُثَنَّى ولا يُجمَع ولا يُؤنَّث، وهذا أفصح اللّغتين، ويقال: سَرَى وأَسْرَى بمعنى، ويَبُوع الأرض: أي يقطعُها بخطوٍ واسعٍ وحركة سريعة، ويقال: بُعْت أَبُوعُ بَوْعًا، من هذا، وَفَرَسٌ بَيِّعٌ: واسعُ الخَطْوِ، ولمّا استعمل البَوع في هذا استعمل الذّرع أيضًا، ومنه قيل: ناقةٌ ذارعةٌ، إذا كانت واسعة الخطو، «والنّار تزهر» الواو واو الحال، وتزهر: تضيء في صعود.

٦ ـ فَلَمَّا أضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَبًا   هَلُمَّ وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أبْشِرُوا

أي: لمّا دَنَا مني وتراءى لي شخصُه بضوءِ النّار تلقّيته بالترحيب وقلت لمَن حول النّار من المصطلين ومن الأهل والخَوَل: استبشروا بِالضَّيفِ، وقوله «مرحبًا هلم» كلامان، ولم يتوسّطهما العاطف؛ لأنَّ «مرحبًا» تسليمٌ عليه، و«هَلُمَّ» أمر بِالدّنوِّ له، فكأنه استأنف بعد التسليم بهذا الكلام ولم يجمعهما اللّفظ به في حالة واحدة.

٧ ـ فَجَاءَ ومَحْمُودُ القِرَى يَسْتَفِزُّهُ ... إلَيْهَا وَدَاعِي اللَّيْلِ بِالصُّبْحِ يَصْفِرُ

ويُروَى «وراعي»، فمَنْ رَوَى «داعي» بالدال أراد ما يُصَوِّتُ سحرًا نحو الدّيك وغيره، والصفير: كلّ صوت يمتدُّ ولا يغلظُ، ومَنْ روى «وراعي اللَّيل» أراد أنَّ اللَّيلَ مُدْبِرٌ: أي جاء في آخر اللَّيل، والأصل في ذلك أن الراعي إذا أراد سَوْقَ الماشيةِ صفر بها فتنساق لِصفيره، فكأنه قال: واللَّيل قد سِيقَ وطرد.

٨ ـ تَأَخَّرتَ حَتَّى لَمْ تَكَدْ تَصْطَفِي القِرَى ... عَلَى أهْلِهِ والحَقُّ لاَ يَتَأَخَّرُ

أي: قلت له تأخّرتَ حتّى لم تَكَدْ تصطفي القِرى: أي يسبق غيرك إلى القِرى فينالَ صفوةَ القِرى: أي خِيَاره، والحقُّ: يعني حَقّ الضّيف لا يُؤَخَّرُ وإنْ تأَخَّرَ حضورُه.

٩ ـ وقُمْتُ بِنَصْلِ السَّيفِ والبَرْكُ هَاجِدٌ ... بَهَازِرُهُ والمَوْتُ في السَّيفِ يَنْظُرُ

البهازر: جمع بُهزُورة وبَهْزَرَة وبِهْزَار في القياس، وهي السمينة الضّخمة، ومن أبيات المعاني: [البسيط]

عَاذَتْ ولَمَّا تَعُذْ مِنْهُ بِرَاكِبِهَا ... حَتَّى اتَّقَاهَا بِنِكْلٍ غَيْرِ مَسْمُورِ
ثُمَّ اعْتَلاَهَا فَجَلَّى عَنْ شَطَائِبِهَا ... مُعَوَّدٌ ضَرْبَ أعْنَاقِ البَهَازِيرِ

أي: عَاذَت هذه النّاقة براكبها، يعني سَنامها؛ لأنَّ صاحبَ النّاقة إذا رآها سمينة حسنة ربّما ضَنَّ بِعَقْرِها؛ فيقول: هذه النّاقة لم يَنْفَعْها سِمَنها عند صاحبها و«نِكل غير مسمور» يريد به السَّيف، وشطائب السَّنام: واحدتها شطيبة، وإنّما قال «هاجد» ولم يقل هاجدة رَدًّا على لفظه؛ لأنَّ لفظه واحد وإن أُرِيدَ به الكثرة، وردّ «بهازره» على المعنى لا على اللّفظ، والهجود: النوم، قال الخليل: هَجَدُوا أي ناموا هجودًا، وتهجّدوا: استيقظوا تَهَجُّدًا، والواو من قوله «والموتُ في السَّيف ينظرُ» واو الحال، ومعناه أنَّ السَّيفَ مُعَدٌّ له وموعود به، ويجوز أن يكون المعنى والموتُ المُرَكَّبُ في سَيفي ينتظرُ ماذا يكون منّي.

١٠ ـ فأَعْضَضْتُهُ الطُّولَى سَنَامًا وَخَيرَهَا ... بَلاَءً وَخَيرُ الخَيرِ مَا يُتَخَيَّرُ

أي: عَرْقَبْتُهَا به وجعلته يَعَضُّ عليها، وانتصب «سَنامًا» على التمييز، وكان الواجب في مقابلة الطُّولَى أن يقول: والجُودَى بلاء، أو وجُودَاهَا بلاء، فعدل به الوزن عن تخيّر

المقابلة، وقوله «وخيرها بلاءً» أي أفرهها ولدًا وأغزرها لبنًا وأوطأها ظهرًا وأخَفّها سَيْرًا لأنَّ البلاءَ النّعمة، وهذه نعمة الناقة.

١١ ـ فأَوْفَضْنَ عَنْهَا وَهْيَ تَرْغُو حُشَاشَةً بِذِي نَفْسِهَا وَالسَّيْفُ عُرْيَانُ أَحْمَرُ[١]

«أوفضن» أي تَفَرَّقْنَ بسرعة، وأصل الإيفاض الإسراع، قال الشاعر: [الطويل]

وَقِدْرٍ إِذَا مَا أَنْفَضَ النَّاسُ أَوْفَضَتْ إِلَيْهَا بِأَيْتَامِ الشِّتَاءِ الأَرَامِلُ[٢]

والحُشَاشة: بقيّة النّفس، وقال «بِذي نفسها» يريد خالصة نفسها، وقال الخليل: الحُشَاشة روح القلب وهو رَمَقٌ من حياة النّفس، وانتصابه على الحال، ويجوز أن ينتصب على التمييز فيكون مِمَّا نقل الفعل عنه، كأنه كان: وهي ترغو حُشَاشَتَها، فنقل الفعل إليها، فصار تمييزًا، كقولك: طِبْتُ به نفسًا، وما أشبهه، وقوله «والسَّيفُ عُريانُ أحمرُ» لم يصرفْ عُرْيَان ضرورة، وجعله أحمر مِمَّا تَلَطَّخَ به من دَمِها.

١٢ ـ فَبَاتَتْ رُحَابٌ جَوْنَةٌ مِنْ لِحَامِهَا وَفُوهَا بِمَا فِي جَوْفِهَا يَتَغَرْغَرُ

عنى بالرِّحاب القِدر، والجَوْنَة: السَّوداء، وقوله «من لحامها» خبر باتت، كقولك: أنتَ مِنّي، والمعنى: باتَتْ من لِحَامِها، وفوها يتغرغرُ: أي يَسِيلُ بما في جوفِها عند غليانها على النّار.

[٧٢٢] وقال آخر: [الوافر]

١ ـ وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ

إنما قال «جبان الكلب» لأنّه عُوِّدَ أن يُسَالِمَ الطُّرّاق لِئَلاَّ تتأذّى به الضّيوف إذا وردوا، وقال «مهزول الفصيل» لأنه يُؤْثَرُ بلبنِ أُمّه غَيْرُهُ أو تُنْحَر عنه.

[٧٢٣] وَقَالَ آخر:

١ ـ سَأَقْدَحُ مِنْ قِدْرِي نَصِيبًا لِجَارَتِي وَإِنْ كانَ مَا فِيهَا كَفَافًا عَلَى أَهْلِي

الأول من الطويل.

القَدْحُ: الغَرْفُ، والكَفَاف: الذي لا يفضلُ عنهم ولا يَنْقُصُ من حاجتهم.

٢ ـ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرِكْ رَفِيقَكَ فِي الَّذِي يَكُونُ قَلِيلاً لَمْ تُشَارِكْهُ فِي الفَضْلِ

مثله: [الكامل]

لَيْسَ العَطَاءُ مِنَ الفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ[٣]

---

(١) عند المرزوقي: «فأوفضَ». (٢) البيت للحطيئة في لسان العرب (وفض).

(٣) البيت للمقنّع الكندي في الحماسية رقم (٧٧٥).

[٧٢٤] وقال عمرو بن الأَهتم(١):

الأهتم: المكسور الثّنايا والرباعيات، هَتَم فاه يهتمه هَتْمًا، وهَتِم الرجل يَهْتَمُ هَتَمًا، رجلٌ أهتم وامرأة هَتْماء، والأهاتم والهُتْم مثل الأحاوص والحُوص في التّكسير: جماعة اسم كلّ واحد منهم أهتم، قال الفرزدق: [الطويل]

وَجَـلَّـتْ عَـنْ وُجُـوهِ الأَهَـاتِـمِ(٢)

١ - ذَرِيـنِـي فَـإِنَّ الـشُّـحَّ يَـا أُمَّ هَـيْـثَـمٍ ... لِـصَـالِـحِ أَخْـلاَقِ الـرِّجَـالِ سَـرُوقُ(٣)

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: ذريني أجْرِ على كرمي فإنَّ الشُّحَّ يُزَيِّنُ للإنسان العُذْرَ الكاذب والعِلَل الباطلة، فكأنَّه يسرقُ كلَّ أخلاقه الحميدة.

٢ - ذَرِينِـي وَحُـطِّي فـي هَـوَايَ فَـإِنَّـنِـي ... عَلَى الحَسَبِ الزَّاكِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ

«حُطِّي في هَوَايَ» أي: ساعديني على الجود، وأصل هذا من أن مَنْ وافقَ غيره حَطَّ رَحْلَهُ حيثُ يَحطُّ صاحبه ولا يفارقه، والزَّاكي: الزائد، وشفيق: مُشْفق، والشَّفقة: عطف مع خوف، ولهذا لا يوصف الله تعالى بالشفقة.

٣ - ذَرِينِـي فَـإِنِّـي ذُو فَـعَـالٍ تُـهِـمُّـنِـي ... نَـوَائِـبُ يَـغْـشَـى رُزْؤُهَـا وَحُـقُـوقُ(٤)

ويُروى «ذو عيال» يعني مَن يلزمه حَقّه من الضّيفان والزّوّار، جعلهم عِيالاً له «يغشى رُزْؤُها» أي يغشاني رُزؤُها، فحذف المفعول، ومعنى الرّزء هنا إصابة النّاس من ماله وانتفاعهم به، ويقال منه: هو يُرْزَأ، إذا كان سَخِيًّا ينالُ النَّاسُ إفضالَهُ.

٤ - وكُـلُّ كَـرِيـمٍ يَـتَّـقِـي الـذَّمَّ بِـالـقِـرَى ... وَلِـلْـحَـقِّ بَـيْـنَ الـصَّـالِـحِـينَ طَـرِيـقُ(٥)

---

(١) عمرو بن سِنان بن تميم المنقريّ أبو ربعيّ: أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام من أهل نجد، كان يُدْعَى «المكحل» لجماله في شبابه، وفد على النبي ﷺ فأسلم ولَقِيَ إكرامًا وحفاوة (ت ٥٧ هـ/ ٦٧٧ م). ترجمته في: (الإصابة ٥٧٧٢؛ والبيان والتبيين ١/ ٢٧؛ والمرزباني ص ٢١٢؛ والشعر والشعراء ص ٢٤٠).

(٢) هذه قطعة من بيت وتمامه:

فِدًى لسيوفٍ من تميمٍ وَفَى بها ... ردائي وجَلَّتْ عن وجوه الأهاتمِ

ومطلع القصيدة:

تَـحِـنُّ بِـزَوْرَاءِ الـمـدينـة نـاقـتـي ... حنينَ عَجُولٍ تبتغي البَوّ رائمِ

(٣) في المفضليات (٢٣) «فإنَّ النجلَ».

(٤) الشطر الأول في المفضليات: «وإنّي كريمٌ ذو عِيالٍ تُهِمُّني».

(٥) في المفضّليات «وللخيرِ».

أي: طريق يسلكونه ولا يسلكون ما لا يفيدهم حَمْدًا، ومَنْ روى «الحقّ» فمعناه أنهم يعرفون الحقَّ ويسلكون سبيلَ قضائِهِ فمَنْ عَدَلَ منهم عن ذلك فكأنه قد ضَلَّ الطَّريقَ.

٥ ـ لَعَمْرُكَ مَا ضَاقَتْ بِلادٌ بِأهْلِهَا وَلَكِنَّ أخْلاَقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ

أي: تضيقُ بهم، فحذف ذلك لأنَّ ما تقدَّمه يدلُّ عليه.

[٧٢٥] وقال عُرْوَة بن الوَرْد[١]:

١ ـ إنِّي امْرُؤٌ عَافِي إنَائِيَ شِرْكَةٌ وَأنْتَ امْرُؤٌ عَافِي إنَائِكَ وَاحِدُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قيل: سُمِّيَ الإناءُ إناءً لأنَّه مُقَدَّرٌ لِمَا يُجْعَلُ فيه، والأوقات مقدّرة فسُمِّيَتْ آناء لذلك، يقول: إنائي شركة: أي يأكلُ معي عِدَّةٌ يشاركونني في الإناء وأنتَ رجلٌ تأكلُ وحدَكَ فعافي إنائك واحد، ويقال: عَفَاه واعْتَفَاه، إذا طلب معروفه، فأعفاه: أي أعطاه، كما يقال: طلب منه فأطلبه، ومنه عافية الطَّير والسِّباع، قال: وأنشد بعضهم فيه: [المتقارب]

يَعِزُّ عَلَيْنَا وَنِعْمَ الفَتَى مَصِيرُكَ يَا عَمْرُو لِلْعَافِيَهْ[٢]

أي: لِلسِّباع والطُّيور، وقيل: بل أراد العُوَّاد، ومثله قول حاتم: [البسيط]

يَرَى البَخِيلُ سَبِيلَ المَالِ وَاحِدَةً إنَّ الجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلاَ

٢ ـ أتَهْزَأُ مِنِّي أنْ سَمِنْتَ وَأنْ تَرَى بِوَجْهِي شُحُوبَ الحَقِّ وَالحَقُّ جَاهِدُ

«أنْ سَمِنْتَ» أي: لأنْ سَمِنْتَ ولأنْ تَرَى بوجهي شحوبَ الحقّ، وأضاف الشُّحوب إلى الحقِّ لأنَّ سبَبَهُ كانَ توفّره على إقامةِ الحقوقِ وأدائِها في وجوهها.

٣ ـ أُقَسِّمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ وأَحْسُو قَرَاحَ المَاءِ وَالمَاءُ بَارِدُ

أي: أُقَسِّمُ قوتَ جسمي وطُعْمَهُ: أي أُوثِرُ به الغَيْرَ على نفسي وأجتزِىءُ بِحَسْوِ الماء القَرَاحِ، وهو البَحْت لا يُخَالِطُه شيءٌ من اللَّبن وغيره، والماء بارد: أي والشّتاءُ شَاتٍ، وقال بعضهم: المهزولُ يَجِدُ بردَ الماءِ أكثر مِمَّا يَجِدُه السَّمين، وأنشد: [الخفيف]

عَافَتِ المَاءَ فِي الشِّتَاءِ فَقُلْنَا بَلْ رِدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِينَا

أي: سَمِنْتِ فرِدِيه تُصَادِفي حَارًّا ما صادَفْتِهِ باردًا، ويدلُّ على أنّه كَنَى عن الهزال ببرد الماء قوله: «أتهزأ مني ـ البيت».

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦). (٢) البيت في اللسان (عفا).

[٧٢٦] وقال آخر:

١ - أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إلى الغِنَى ... وكُلُّ غَنِيٍّ في القُلُوبِ جَلِيلُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

٢ - ولَيْسَ الغِنَى إلاَّ غِنًى زَيَّنَ الفَتَى ... عَشِيَّةَ يَقْرِي أوْ غَدَاةَ يُنِيلُ

يقول: لما استغنيتَ عَظُمْتَ في عيونِ النَّاسِ فأجَلُّوا قَدْرَكَ، وليس الغِنى إلاَّ ما يضافُ به القوم عَشِيَّةً إذا نزلوا ويصلهم بالغداة إذا ارتحلوا، ويقال: إنَّ هذا الشّعر لأبي العتاهية.

[٧٢٧] وقال المُثَلَّم بن رِيَاح المُرِّيُّ[1]:

١ - بَكَرَ العَوَاذِلُ بِالسَّوَادِ يَلُمْنَنِي ... جَهْلاً يَقُلْنَ ألاَ تَرَى مَا تَصْنَعُ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

قال دعبل: هي لِشَبِيب بن البَرْصَاء، وإنّما قال «بَكَرَ العواذلُ» لأن العرب تشربُ ليلاً وتسكرُ وتهب، فإذا أصبحتْ لامها مَنْ أراد لَوْمَها على ذلك بالسّواد قبل الإسفار، ونصب «جهلاً» على الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً له و«يلمنني» في موضع الحال، وقوله «ألاَ تَرى ما تصنعُ» يجوز أن يكون «ما» مفعولاً له، ويجوز أن يكون بمعنى الذي وقد حذف المفعول له من صلته، يريد تصنعه، ويجوز أن يكون مفعولاً مقدّمًا لِتصنع، والمعنى: أيّ شيءٍ تصنع.

٢ - أَفْنَيْتَ مَالَكَ في السَّفَاهِ؛ وإنَّمَا ... أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمَرْنَكَ أَجْمَعُ

«ما أمرنكَ» ما مع الفعل في تقدير المصدر، وأجمع: توكيد له، والسَّفاه والسَّفاهة: الخفّة والطّيش، وسَفَهَتِ الرِّيحُ الغصنَ: حَرَّكَتْهُ، وتَسَفَّهَتِ الرّياحُ: اضطربَتْ.

٣ - وَقُتُودِ نَاجِيَةٍ وَضَعْتُ بِقَفْرَةٍ ... والطَّيْرُ غَاشِيَةُ العَوَافِي وُقَّعُ

انجرَّ «قتودِ ناجيةٍ» بإضمارِ رُبَّ، وجوابه «وضعتُ بقفرةٍ»: أي تركتها لأنّي عَرْقَبْتُها، والواو في قوله «والطّير» واو الحال، وأكثر ما يجيء المجرور برُبَّ موصوفًا، وهٰهنا لم يصفه، وقوله «غاشية العوافي» وجب أن يكون فيه ضمير للناقة حتى يكون بين ذي الحال وبينه تعلّق، فحذف ذلك الضمير، لأنّ المراد مفهوم، ولو أتى به لَكانَ غاشية العوافي إيّاها وُقَّع عليها، والعوافي: جمع عافية، وهو من قولهم: عفاء واعتفاه، وقد مَرَّ ذكره.

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٢).

٤ ـ بِمُهَنَّدٍ ذِي حِلْيَةٍ جَرَّدْتُهُ ... يَبْرِي الأَصَمَّ مِنَ العِظَامِ وَيَقْطَعُ

الباء من قوله «بِمُهَنَّدٍ» تعلّق بقوله «وضعت بقفرة» لأنه لم يحطّ الرَّحْلَ عن النّاقة ولم يَضَعْها بِالقفرة إلاّ وقد عَرْقَبها، فكأنّه جعل «وضعت بقفرة» دلالة على العرقبة، وقوله «ذي حليةٍ» يريد أنه كان ملطّخًا بالدَّمِ، فجعل ذلك الدّم كالحلية له، والأصمّ: ما ليس بأجوف، فإذا بَرِىءَ الأصمّ فهو للمجوّف أبرأ.

٥ ـ لِتَنُوبَ نَائِبَةٌ فَتَعْلَمَ أَنَّنِي ... مِمَّنْ يُغَرُّ عَلَى الثَّنَاءِ فَيُخْدَعُ

اللاّم في قوله «لِتنوبَ» تعلّق بفعل مضمَر دَلَّ عليه ما تقدَّمَ، كأنه قال: فعلتُ ذاك لِكَيْ إذا نَابتْ نائبة علمت أنّي أنهضُ فيها وأخدعُ عن المال بالثناء والشكر.

٦ ـ إنِّي مُقَسِّمُ ما مَلَكْتُ فَجَاعِلٌ ... أَجْرًا لآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ

كان الواجب أن يقول «ومنفعة لِدُنيا» حتّى يكون لِفقًا للأول، ودنيا: فُعْلى، وحقّها أنْ لا تُستَعْمَلَ إلاّ مضافةً أو بالألف واللاّم، كقولك: الصُّغْرى، وصُغْرَاهُنَّ، إلاّ أنَّ العرب استعملتها نَكِرَة، وهي تأنيث الأدنى، وسُمِّيت لدنوّها.

[٧٢٨] وقال أبو البُرْج القاسم بن حَنْبَلٍ المريّ، في زُفَرَ بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان:

١ ـ أَرَى الخُلاَّنَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ ... وحُجْرٍ فِي جَنَابِهِم جَفَاءُ[(١)]

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الجَناب: ناحية القوم.

٢ ـ مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ ... لَوَ انَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاؤُوا

٣ ـ لَهُمْ شَمْسُ النَّهارِ إذَا اسْتَقَلَّتْ ... ونُورٌ مَا يُغَيِّبُهُ العَمَاءُ

أي: لهم الشَّرَفُ الّذي ليس فوقه شَرَفٌ، والنَّباهة التي لا توازنها نباهة، كما أن الشَّمسَ لا نَظِيرَ لها، وقوله «ما يغيِّبُهُ العَمَاءُ» يعني أنَّ النورَ إذا غيبه العَمَاءُ فَخَفِيَ لم يَخْفَ هؤلاء، جعلهم أشهر من النّور وأعَمّ نباهةً منه.

٤ ـ هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ المُعَلَّى ... ومِنْ حَسَبِ العَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا

٥ ـ بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ ... دِمَاؤُهُمُ مِنَ الكَلَبِ الشِّفَاءُ

«المُعَلَّى» يعني المُرَفَّع، ويجوز أن يكون أراد القِدْحَ المُعَلَّى؛ لأنه أشرف القداح وأكثرها أنصباء، فجعله مَثَلاً لأرفع المراتب، والبُنَاة: جمع بانٍ، والأُسَاة: جمع آسٍ،

---

(١) عند المرزوقي: «أبي خُبَيْبٍ»، بالخاء المعجمة.

وهذا الجمع يختصّ بالمعتلّ كما أنَّ فَعَلة نحو كَفَرَة وظَلَمة يختصّ بالصحيح، وقوله «من الكَلْبِ الشّفاء» يعني أنهم ملوكٌ ففي دمائِهم شفاءٌ من عَضِّ الكَلْبِ الكَلِبِ، ويقال: إنَّ مَنْ عَضَّهُ ينبحُ نَبْحَ الكلابِ فينتظرُ به سبعة أيام فإنْ بالَ هناة على خِلْقَةِ الكلاب بَرَأَ وإلاَّ مات، ويقولون: إنَّهُ لاَ دَوَاءَ له أنجعُ من شربِ دم مَلِكٍ، وقيل في دوائه أنْ تشرطَ الإصبعَ الوسطى من يُسْرَى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة على تمرة فيطعم المعضوض فيبرأ، وقيل: إنه يسعط به.

٦ ـ فأمَّا بَيتُكُمْ إنْ عُدَّ بَيتٌ فَطَالَ السَّمْكُ واتَّسَعَ الفِنَاءُ

السَّمْك: أعلى البيت الداخل، فأما أعلاه الخارج فإنه الصَّهْوة، والمراد بالبيت الشَّرَف، والعرب إذا قالت «فلانٌ من أهل البيوت» فإنما يَعْنُون الشَّرَف، ويصفون البيت بالعلوّ، ويراد به عُلُوّ الشَّأن، وكلّ شيء رَفَعْتَه فقد سَمَكْتَهُ، وقوله «فأمَّا بيتكم» فإنه يريد إذا عُدَّتِ البيوتُ فبيتُكم طويلُ السَّمْكِ.

٧ ـ وَأمَّا أُسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ مِنَ العَادِيِّ إنْ ذُكِرَ البِنَاءُ[1]

٨ ـ فَلَوْ أنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَكُمُ السَّمَاءُ

[٧٢٩] وقال أَرْطَاة بن سُهَيَّة المريّ[2]:

١ ـ فَلَوْ أنَّ مَا نُعْطِي مِنَ المَالِ نَبْتَغِي بِهِ الحَمْدَ يُعْطِي مِثْلَهُ زَاخِرُ البَحْرِ[3]

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «نبتغي» موضعه نصب على الحال، وموضع «يعطي مثله» الجملة رفع على خبر «أن»، وقد حُذِفَ الضمير العائد إلى «ما» من قوله «نعطي» كأنه قال: لو أنَّ الذي نعطيه من المال مُبتغينَ به الحمدَ يعطي مِثْلَه طَامِي البحر.

٢ ـ لَظَلَّتْ قَرَاقِيرُ صِيَامًا بِظَاهِرٍ مِنَ الضَّحْلِ كَانَتْ قَبْلُ في لُجَجٍ خُضْرِ

أي: لَظَلَّتْ سفنٌ راكِدَة، وواحد القراقير قُرْقُور، وهي السُّفن، والضَّحْل: الماء القليل يترقرقُ على وجهِ الأرضِ، والخضر: السُّود، والبحر الأخضر: الأسود.

٣ ـ ولاَ نَكْسِرُ العَظْمَ الصَّحِيحَ تَعَزُّزًا وَنَغْنَى عَنِ المَوْلَى ونَجْبُرُ ذَا الكَسْرِ[4]

أي: لا نفصلُ اللَّحْمَ إذا أعطينا، ولكنَّا نعطيه صحيحًا لِعِزِّنا، وقيل: معناه لا نكسرُ عظمَ ابْنِ عَمِّنا: أي لا نذلّه ولا نقهره، ولا نتعزَّزُ عليه، وانتصب قوله «تعزّزًا» على أنه

---

(١) العاديُّ: الشيءُ القديمُ نُسِبَ إلى عادٍ. والعرب تنسبُ البناءَ الوثيقَ والبئر المحكَمَةَ الطَّيِّ إلى عادٍ.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣٦). (٣) المرزوقي: «لو أنَّ».
(٤) المرزوقي: «تَعَذُّرًا».

مصدر في موضع الحال، ولا يمتنعُ أن يكون مفعولاً له، «ونجبر ذا الكسر» أي: نصلح أمره ونزيل فقره.

٤ ـ غَلَبْنَا بَنِي حَوَّاءَ مَجْدًا وسُودَدًا ... ولكِنَّنَا لَمْ نَسْتَطِعْ غَلَبَ الدَّهْرِ

[٧٣٠] وقال حُجْر بن حَيَّة العَبْسِي:

١ ـ ولاَ أُدَوِّمُ قِدْرِي بَعْدَ مَا نَضِجَتْ ... بُخْلاً لِتَمْنَعَ مَا فِيهَا أَثَافِيهَا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«لا أُدَوِّمُ» أي: لا أُطيلُ إدامة قِدْري بعد إدراكِها على الأثافي بخلاً بما فيها، وجعل المنع لِلأثافي لأنّها لم تغرفْ ما دامَتْ على الأثافي منصوبة، وانتصب «بخلاً» على التمييز، أو على الحال إن شئت، ويقال: أَدَمْتُ الشَّيءَ، إذا سكنته، ودَوَّمته أيضًا، وكان البخيل فيهم يفعل ذلك ليري أنَّ القِدْر لم تُدْرِكْ.

٢ ـ حَتَّى تُقَسَّمَ شَتَّى بَيْنَ مَا وسِعَتْ ... ولاَ يُؤَنَّبُ تَحْتَ اللَّيْلِ عَافِيهَا

٣ ـ لاَ أَحْرِمُ الجَارَةَ الدُّنْيَا إذَا اقْتَرَبَتْ ... ولا أَقُومُ بِهَا في الحَيِّ أُخْزِيهَا

يريد أنه يشركها في فضل نعمته بعد دُنُوِّها من داره، ويقال: قام بي فلان وقعدَ: أي نَثا[1] عَنّي قبيحًا، وقوله «أخزيها» يجوز أن يكون ألف النقل دخل على خَزِيَ خِزْيًا من الهوان، ويجوز أن يكون دخل عَلَى خَزى خَزَايةً من الاستحياء، لأنها إذا ذكرت بالقبيح فقد تستحيي كما تذلّ، وتذلّ كما تستحيي.

٤ ـ ولا أُكَلِّمُهَا إلاَّ عَلانِيَةً ... ولا أُخَبِّرُهَا إلاَّ أُنَادِيهَا

انتصب «علانيةً» على أنه مصدر في موضع الحال، ولا يجوز في «علانيةً» أن يكون تمييزًا، بدلالة أنَّ الصَّدر يجب أن يكون حكمه حكم العجز، ومن الظاهر أنَّ «أُناديها» في موضع الحال، وكان الواجب أن يقول: ولا أُخبّرها إلاّ مناداة، إلاّ أنه لمّا كان الغرض إلاّ مناديًا لها ناب الفعل عن المصدر.

[٧٣١] وقال المُسَاور بن هِنْد بن قيس بن زُهَيْر[2]:

١ ـ فِدًا لِبَنِي هِنْدٍ غَدَاةَ دَعْوَتُهُمْ ... بِجَوٍّ وَبَالَ النَّفْسُ والأَبَوَانِ[3]

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

---

(١) نثا الشيءَ: أذاعَه وفَرَّقه.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٩).

(٣) المرزوقي: «لِبَني عَبْدٍ».

خبر المبتدأ الذي هو فِدًا قوله النَّفْسُ، وجَوُ وَبَال أضاف الجوّ إلى وَبال، وهو اسم ماء[1]، وإنّما دعا لبني هندٍ بِالتَّفْدية لأنه وجَدَهم عند الظَّنِّ بهم لمّا استنفَرَهُمْ على أعدائه بجوّ وَبال.

٢ ـ إذَا جَارَةٌ شُلَّتْ لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ لَهَا إبِلٌ شُلَّتْ لَهَا إبِلاَنِ

«إذا» ظرف لقوله «شُلَّتْ لها إبلان» وهو جوابه، وتلخيص الكلام إذا شُلَّتْ إبلٌ لجارة سعد شُلَّتْ بِسببها ولمكانها إبلان، والشَّلُّ: الطَّرْدُ، وقوله «لها إبلٌ» موضع لها أن يكون بعد إبل؛ لأنها صفة لها، والصفة لا تتقدَّمُ على الموصوف، كما أن الصِّلَة لا تتقدّم على الموصول، لكنها قُدِّمَتْ على أن تكون حالاً، والحال كما تتأخَّر تتقدّم، إذا لم يمنعه مانع، فهو كقول الآخر: [الوافر]

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ كَأَنَّ رُسُومَهَا الخِلَلُ[2]

فتقدّم لها على إبل، كتقدّم موحشًا على طَلَل، وقوله إبل اسم صِيغَ للجمع ويتناول الكثير دون القليل، وقد ثَنَّى هٰهنا على فرقتان فقيل: إبلان، وهذا كما يقال: قومان، وعشيرتان، وأهْلاَن، قال الشَّاعر: [الطويل]

هُمَا إبِلاَنِ فِيهِمَا مَا عَلِمْتُمُ فَعَنْ أَيِّهَا مَا شِئْتُم فَتَنَكَّبُوا[3]

وقال الآخر: [الطويل]

هُمَا سَيِّدَانَا يَزْعُمَانِ؛ وَإِنَّمَا يَسُودَانِنَا أَنْ يَسَّرَتْ غَنَمَاهُمَا[4]

وقوله «لها» أي من أجلها وسببها، ويُرْوى شُلَّتْ لها وبها، ويرجع معناه إلى الباء؛ لأنه في معنى المفعول له: أي شُلَّتْ عوضًا عَمَّا شُلَّ منها، فيكون «لها» الأولى في موضع الحال لكونه صفة متقدّمة، وضميرها يرجع إلى الجارة لا غير: أي إبل متملَّكة لجارة لقبيلة سعد بن مالك، و«لها» الثانية تكون في موضع المفعول له، والضمير فيها يعود إلى الإبل إن شئتَ وإن شئتَ إلى الجارة، وقوله «لسعد بن مالك» تبيين، ولولا أنَّ

---

(١) وَبَال: اسم ماء لبني عبس (معجم البلدان ٥/٣٥٩).

(٢) البيت لكُثَيِّر عَزَّة في شواهد العيني ٣/١٦٣؛ وكتاب سيبويه، والرواية المشهورة لعجز البيت: «يَلُوحُ كأنّه خِلَلُ» والخِلَلُ: جمع خِلّة: بطانة تغشى بها أجفان السيوف.

(٣) البيت لشعبة بن قمير في شرح شواهد الإيضاح ص ٥٦١؛ ولعوف بن عطية في الأصمعيات ص ١٦٧، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/٥٦٤؛ وشرح المفصّل ٤/١٥٤؛ ولسان العرب (نكب).

(٤) البيت لأبي أسيدة الدبيري في تخليص الشواهد ص ٤٤٦؛ والدّرر ٢/٢٥٥؛ وشرح التصريح ١/٢٥٤؛ ولسان العرب (يسر)؛ والمقاصد النحوية ٢/٤٠٣؛ وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/٥٩؛ ولسان العرب (غنم)؛ وهمع الهوامع ١/١٥٣؛ وتاج العروس (غنم).

حكمه حكم الظَّرف لَكانَ ذلك غير جائز؛ لأنَّ الفصلَ بين الفعل وبين المُنْبَأ عنه بالأجنبيّ لا يجوز عند البصريين، ألا ترى أنهم امتنعوا من جواز قول القائل: كانت زيدًا الحمى تأخذه، وإنْ جَوَّزوا: كان في الدار زيد واقفًا، لكون الحال هنا ظرفًا وفي ذاك غير ظرف، وإنّما جاز أن يفصل بين شلّت وبين إبل بقوله لسعد بن مالك؛ لأنه إذا كان الفصل بحرف الجرّ والظّرف احتملَ لِسعتها في الكلام، كقولك: كان فيكَ زيدٌ راغبًا.

٣ ـ إذَا عَـقَـدَتْ أفْـنَـاءُ سَـعْـدِ بـنِ مَـالِـكٍ ... لَـهَـا ذِمَّـةً عَـزَّتْ بِـكُـلِّ مَـكَـانِ

٤ ـ إذَا سُـئِـلُـوا مَـا لَـيْـسَ بِـالـحَـقِّ فِـيـهِـمُ ... أَبَـى كُـلُّ مَـجْـنِـيٍّ عَـلَـيْـهِ وَجَـانِـي

أفناء سعد: قبائلها، يقول: إذا عقدت قبائل قيس عهدًا لغيرهم حُفِظَ ولم يُنْقَضْ، وإذا طلبَ الضَّيم منهم أبوا، سواء كان الطّلب فيما جني عليهم أو جنوا هم على غيرهم، وفي الكلام حذف: أي كلّ مَجْنِيٍّ عليه وجَانٍ منهم.

٥ ـ وَدَارِ حِـفَـاظٍ قَـدْ حَـلَـلْـتُـمْ مُـهَـانَـةٍ ... بِـهَـا نِـيـبُـكُـمْ وَالـضَّـيْـفُ غَـيْـرُ مُـهَـانِ(١)

دار الحفاظ: هي التي يقيمُ بها أهلُها في الجَدْبِ والخصب يحافظ على صيانتها «مهانة بها نِيبكم» أي: تنحرونها للأضياف.

[٧٣٢] وقال آخر(٢):

١ ـ جَـزَى الـلَّـهُ خَـيْـرًا غَـالِـبًـا مِـنْ عَـشِـيـرَةٍ ... إذَا حَـدَثَـانُ الـدَّهْـرِ نَـابَـتْ نَـوَائِـبُـهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

حَدَثانُ الدَّهْرِ: مصدر حَدَث.

٢ ـ فَـكَـمْ دَافَـعُـوا مِـنْ كُـرْبَـةٍ قَـدْ تَـلاَحَـمَـتْ ... عَـلَـيَّ وَمَـوْجٍ قَـدْ عَـلَـتْـنِـي غَـوَارِبُـهْ

الكُرْبَة: الاسم من الكَرْب، وهو الّذي يأخُذُ بالنَّفْسِ، والمتلاحم: اللاَّزم بعد أن كان مُتَبايِنًا، ويقال: التحمَ وتلاحمَ بمعنى، والغَارِب: أعلى الموج وأعلى الظَّهر، و«كم» موضعه من الإعراب نصب على الظرف، والمعنى: فمرارًا كثيرة دافعوا دوني.

٣ ـ إذَا قُـلْـتُ عُـودُوا عَـادَ كُـلُّ شَـمَـرْدَلٍ ... أَشَـمَّ مِـنَ الـفِـتْـيَـانِ جَـزْلٍ مَـوَاهِـبُـهْ

يقول: إذا عُرِضَ على كلِّ واحد من بني غالب معاودة الحروب والكرور فيها عاد منهم كلُّ رجلٍ كريم النَّفس كثير العَطِيَّةِ، ولك أن تروي «أشَمُّ وجَزْلٌ» و«أشَمَّ وجَزْلٍ»؛

---

(١) النِّيب: جمع النّاب: الناقة المُسِنَّة.

(٢) المرزوقي: «وقال» هو يَدُلّ أن القائل هو السابق أي المساور بن هند؛ والأبيات ما عدا الرابع في الزهرة ٢/ ٧٥٥ ونسبتها إلى المساور بن هند.

فالرّفع على كلّ، والجرّ على شمردل، والشَّمردل: الطويل، والشَّمَم كناية عن الكرم، وأصله ارتفاع الأنف.

٤ - إِذَا أَخَذَتْ بُزْلُ المَخَاضِ سِلاَحَهَا   تَجَرَّدَ فِيهَا مُتْلِفُ المَالِ كَاسِبُهْ

المراد بِسلاحها محاسنها وأمارات عِتْقِها وكرمها، كأنّها تَتَحَلّى بتلك المحاسن في عيون أربابها فيصير ذلك سببًا لِلضَّنِّ بها، وقوله «مُتْلِفُ المالِ كاسِبُهْ» هو كقولهم: مُخْلِفٌ مُتْلِفٌ، ومِخْلاَفٌ مِتْلاَفٌ، والبُزْلُ: جمع بازل، وهو المتناهي قوّةً وشبابًا، وأصل البَزْل الشّقّ، والمخاض: النُّوق الحوامل، وهو اسم موضوع للجمع كالقَوْم والنِّسْوة، ومعنى «تجرَّدَ فيها» أي: تَشَمَّرَ في عقرِها ونحرِها، يريد أنَّ تَحَسُّنَها بِسِلاحها عينه لا يُجدي عليها نفعًا لما به من إكرام الضيوف ويوجبُ على نفسه من قضاء الحقوق.

[٧٣٣] وقال آخر(١):

١ - أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ   وَيَا ابْنَةَ ذِي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

حَسُنَ تكريرُ «ابنة» وإن كان المرادُ واحدةً لاختلافِ المضاف إليه والقصد إلى تفخيم أمْرِها؛ والذي يدلُّ على أنَّ المرادَ واحدة قوله:

٢ - إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ   أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

هذه الأبيات لحاتم الطّائي، يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله، وعنى بذي البُرْدَيْن عامِرَ بن أُحَيْمِر بن بَهْدَلة، وكان من حديث البُرْدَيْن حين لُقِّبَ به أنَّ الوفودَ اجتمعتْ عند المنذر بن ماء السَّماء، وهو المنذر بن امرىء القيس، و«ماء السّماء» قيل: أُمّه، نُسِبَ إليها لِشَرَفِها، وقيل: لُقِّبَتْ بماء السماء لِصَفَاءِ نَسَبِها، ويقال: لنقاء لونها، ويراد أنّها كماء السَّماء لم يحتملْ كُدورَةً، وأخرجَ المنذر بُردَين يومًا يبلو الوفود؛ وقال: لِيَقُمْ أعَزّ العربِ قبيلةً فليأخذهما، فقام عامر بن أُحيمر، فأخذهما وائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر، فقال له المنذر: أأنتَ أعَزُّ العربِ قبيلةً؟ قال: العِزُّ والعددُ في معدّ، ثم في نزار، ثم في مُضَر، ثم في خِنْدِف، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في عَوْف، ثم في بَهْدَلة، فمَن أنكر هذا فلينافِرْني، فسكتَ النّاسُ، فقال المنذر: هذه عشيرتك كما تَزْعُمُ، فكيف أنتَ في أهل بيتك وفي نفسِكَ؟ فقال: أنا أبو عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة، وعَمّ

---

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ٢/٢٣٨ لحاتم الطائي؛ وتُروَى لقيس بن عاصم المنقري؛ وهي في ديوان حاتم ص ٧٧؛ وفي عيون الأخبار ٣/٢٨٦ بدون عزو؛ وفي ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال آخر، وهو الحوّاس الحارثي، وقيل لحاتم الطائي يخاطب امرأته».

عشرة، مَنْ أزالَها عن مكانها فله مائةٌ من الإبل، فلم يقمْ إليه أحدٌ من الحاضرين، ففاز بِالبُرْدَيْن.

وقوله «إذا ما صنعتِ الزَّادَ» أي: إذا فرغتِ من اتِّخاذِ الزَّادِ وإعدادِه فاطلبي من أجله مَنْ يُؤَاكِلُني فإنّي لم أُعَوِّدْ نفسي الأكْلَ وحدي، وموضع «وحدي» من الإعراب نصب على المصدر، والتقدير لستُ آكله وقد أوحدت نفسي في أكله إيحادًا، فوضع وحده موضع الإيحاد، والكوفيون يجعلون وحدي في موضع الحال وإن كان لفظه معرفة، يجعلونه من باب «جاؤوا قَضَّهُم بِقَضيضِهم» و«كلَّمته فَاهُ إلى فيَّ» وما أشبهه. وجواب «إذا» قوله «فالتمسي له أكيلاً» وأكيلُ الرَّجُل وشريبُه وجليسُه لا ينطلقُ هذا الاسم إلاّ على مَنْ عُرِفَ بهذه الصفة فتكرَّرَتْ منه، فأمَّا إذا أكلَ مع صاحبه أو شربَ مرّةً واحدةً أو جالسه مرةً فلا يقال له أكيل وشريب وجليس، فإنْ قِيلَ: كيف نَكَّرَهُ وقال: التمسي له أكيلاً؟ وهلاَّ قال: أكيلي؟ قلت: لا يمتنعُ أن يكونَ قد عُرِفَ بمؤاكلته عدّة، فأراد التمسي واحدًا من المعروفين بمؤاكلتي؛ ألاَ ترى أنه قال:

٣ ـ أَخًا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي

فأبدل من الأول، وهو أكيلاً، والمَذَمَّة بالفتح: الذَّمّ، والمذمَّات جمعها، والمَذِمَّة بكسر الذال: الذِّمَام، وأضاف المذَمَّات إلى الأحاديث ليري أن خوفه مما يبقى من الذم فيما يتحدَّث به بعده.

٤ ـ وَإِنّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِيَّ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

موضع «ما دام» نصب على الظرف: أي مُدَّةَ دوام ثوائِه عندي، وموضع «من شِيَم العبد» رفع على أن يكون اسم ما، وخبره «في» و«إلا تلك» استثناء مقدَّم، وفائدة «من» التبيين، فهو كمِن الذي في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[1] لأنَّ الأوثانَ كلّها رِجْسٌ، وليس يريد التبعيض بذكر مِنْ، لكن المراد اجتنبوا الرِّجْسَ من هذا الضَّرب إذ كان الأهمّ فيما يجب اجتنابه.

[٧٣٤] وقال آخر[2]:

١ ـ ولَيْسَ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ ... صَبُوحٌ وَإنْ أَمْسَى فَفَضْلُ غَبُوقِ[3]

٢ ـ وَلَكِنْ فَتَى الفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ أَوْ غَدا ... لِضَرِّ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقِ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٠.

(٢) في الحماسة البصرية ٢/٥٦ لوالبة بن الحباب.

(٣) المرزوقي: «ليس» بدون الواو.

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

الصَّبُوح: شُرْبُ الغَدَاة، والغَبُوقُ: شُرْبُ العَشِيّ.

وعن الأصمعي أنه قال: قال أكثم بن صيفي: اصْحَبْ من الأخوان مَنْ إنْ صَحبتَهُ زَانَكَ، وإنْ خَدَمْتَهُ صَانَك، وإن اختللتَ مانك؛ إنْ رأى منك حَسَنةً جازاكَ عليها، أو سقطة أغضى لكَ عنها، لا تختلف عليك طرائقه، ولا تخشى بوائقه، ثم أنشد: «وليس فتى الفتيان ـ البيتين».

[٧٣٥] وقال حَزَازُ بن عَمْرو[١] من بني عبد مَنَاف:

١ ـ لَـنـا إِبِـلٌ لَـمْ تُـهِـنْ رَبَّـهـا كَـرَامَـتُـهـا وَالـفَـتَـى ذَاهِـبُ

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

قوله «لم تُهِنْ رَبَّها كَرَامَتُها» يريد أنَّا نُؤْثِرُ إكرامَ نفوسِنا وصيانتها على إكرام المال وصيانته، وقد اعترضَ بقوله «والفتى ذاهب» بين الصفة والموصوف؛ لأن قوله:

٢ ـ هِـجَـانٌ يُـكَـافَـأُ مِـنـهـا الـصَّـدِيـقُ وَيُـدْرِكُ فِـيـهَـا الـمُـنَـى الـرَّاغِـبُ[٢]

من صفة الإبل، كما أن «لم تُهِنْ ربّها» من صفتها أيضًا، ولولا تأكّد الجملة به لَكَانَ يقبحُ ما فعلَ، لِكونِ الاعتراض أجنبيًّا ممّا قبله وبعده، والهِجَان: يقع على الواحد والجمع، قال سيبويه: يدلّكَ على أن هِجَانًا ليس كالمصادر التي وصف بها نحو ضَيْف وزَوْر وجُنُب وما أشبهها أنك تقول هجانان فتثنّيه، وإذا كان مُرْصَدًا للتثنية فهو للجمع كذلك، ومعنى «يكافأ منها الصّديق» يماثل، من الكُفْء المِثل في المال والحَسَب وغيرهما، والمراد بالصّديق الجِنس: أي نتساوى فيها لا نستأثر بشيء منها دونهم، وأراد بالراغب العُفَاة وطالب الخير: أي إذا نزلوا بساحتنا نالوا أمانيهم منها.

٣ ـ وَنَـطْـعُـنُ عَـنْـهَـا نُـحُـورَ الـعِـدَا وَيَـشْـرَبُ مِـنَّـا بِـهَـا الـشَّـارِبُ

٤ ـ ونُـؤْلِـفُـهَـا في الـسِّـنِـيـنَ الـكُـلُـولَ إذَا لَـمْ يَـجِـدْ مَـكْـسَـبًـا كـاسِـبُ

أراد بالكُلول الضّعفاء، الواحد كَلٌّ، وقوله: «إذا لم يجدْ مكسبًا كاسب» بدل من قوله «في السّنين»: أي إذا اشتدَّ الزَّمَانُ جعلنا إبلنا يَأْلَفُها كُلُولُ النَّاسِ فينالون منها.

٥ ـ ولَـمْ تَـكُ يَـوْمًـا إذَا رُوِّحَـتْ عَـلَـى الـحَـيِّ يُـلْـقَـى لَـهَـا جَـادِبُ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٢).

(٢) المرزوقي: «تَكَافَأَ منها» والملاحظ أنَّ النصّ فيما بعد لا يساير الشعر بل لعلّه يفسِّر رواية المرزوقي.

يقول: هذه إبلٌ أربابُها كِرَامٌ، فإذا نُظِرَ إليها وهي رائحةٌ دُعِيَ لأهلها وأُثنِيَ عليهم، ولم يَقُلِ القائلُ: هي إبل سوءٍ لا يُسقَى فيها العَيْمَان ولا يفقر منها مكلّ السّفر، والجادب: العائب، وأنشد ابن الأعرابي: [المتقارب]

فَلَمَّا رَآنِي زَوَى وَجْهَهُ وَنَكَّب عَنْ حَاجِبٍ حَاجِبَا

فَلاَ بَرِحَ الزَّيُّ مِنْ وَجْهِهِ وَلاَ زَالَ رَائِدُهُ جَادِبَا

٦ ـ حَبَانَا بِهَا جَدُّنَا وَالإِلَهُ وَضَرْبٌ لَنَا خَذِمٌ صَائِبُ

الخَذْمُ: القَطْعُ، ويقال: سيفٌ مُخَذَّمٌ وخَذُومٌ، وصائب: ذو صواب، وأخرجه مخرج النَّسَب، ويجوز أن يكون من صَابَ المطر يَصُوب صَوْبًا، إذا وقع.

[٧٣٦] وقال مَنْصُور بن مِسْجَاح(١):

مِسْجَاح: مِفْعَال من قولهم: مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ.

١ ـ وَمُخْتَبِطٍ قَدْ جَاءَ أَوْ ذِي قَرَابَةٍ فَمَا اعْتَذَرَتْ إِبْلِي عَلَيْهِ وَلاَ نَفْسِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

والمختبِط: الذي يقصدُ طالبًا للمعروف من غير تقدّم معرفة، فما اعتذرت إبلي: أي ما تَعَذَّرَتْ إبلي عليه، يريد أعطيتُهُ منها ولم أَتَعَلَّلْ بأنّها غائبة.

٢ ـ حَبَسْنَا وَلَمْ نَسْرَحْ لِكَيْ لاَ يَلُومَنَا عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدَةَ الحَبْسِ

«على حكمه» أي: على حكم المختبِط، وقوله «معوَّدةَ الحبسِ» يعني إبله، وهي مفعول «حَبَسْنَا»؛ ومفعول «لم نسرحْ» محذوف: أي لم نسرحها، وقوله «على حكمه» تعلّق بحبسنا، وتقدير البيت: حَبَسْنا على حُكْمِ هذا المختبِط العافي أو النسيب إبلاً جُعِلَ من عادتها الحَبْسُ بالفِنَاءِ صَبْرًا، ولم نخرجْها إلى المرعى لِئلاً نُلاَمَ، ويجوز أن ينتصب «صبرًا» على أنه مصدر لِعلّة: أي لِصَبْرِنا على ما نتحمّله لِلعُفَاة، ويجوز أيضًا أن يكون انتصابه على الحال؛ لأنَّ المصادرَ تقع مواقعَ الأحوالِ: أي صابرين على ذلك لهم.

٣ ـ فَطَافَ كَمَا طَافَ المُصَدِّقُ وَسْطَهَا يُخَيِّرُ مِنْهَا فِي البَوَازِلِ والسُّدْسِ

أي: نحكمه في إبلنا، كما نحكم المصدِّق الَّذي يجيءُ بالعزِّ والقهر، يريد أن إدلالَه إدْلالَ مَنْ يستخرجُ حَقًّا واجبًا، وقوله «يُخَيِّر منها» إعرابه نصب في موضع الحال من «طَافَ» الأول، ومعنى «يُخَيِّرُ» يجعل الاختيار فيها إليه، وهذا تحكيمٌ ثانٍ منه سِوَى ما سَوَّغَت له نفسه بإدلاله، وخصَّ هاتين السِّنَّيْن لأنهما أنفس الأسنان وأعزّها عندهم، ومتى

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٠٧).

وقع التخيير فيهما فما دونهما أهون، والبازل: ابن تسع سنين، والسّديس: ابن ثمان سنين.

[٧٣٧] وقال عامر بن حَوْط من بني عامر بن عبد مَنَاة بن بكر بن سَعْد بن ضَبَّة:

١ - ولَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ عَشِيَّةٌ   مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ ولاَ عَدَمْ

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

قوله «ولقد عَلِمْتُ» يجري على القَسَم؛ فلذلك أجابه بلتأتينَّ، ويعني بالعَشِيَّة آخر النهار من يوم موته، يقول: لقد عَلِمْتُ أنّي أموتُ وليس بعد الموتِ فَقْرٌ ولا خَوفٌ.

٢ - وَأَزُورُ بَيْتَ الحَقِّ زَوْرَةَ مَاكِثٍ   فَعَلاَمَ أَحْفِلُ مَا تَقَوَّضَ وَانْهَدَمْ

أضاف البيت إلى الحقّ لأنه لا سُكْنَى بعدَه، فكأنّه الموضعُ الذي يؤدّي إليه الحقّ ويفضي إليه مَنْ أنزله الموتُ ناقلاً من دارٍ إلى دار، «فعلامَ أحْفِلُ» أي: على أيِّ شيءٍ أُبالي «ما تقوَّضَ»: أي ما تراجع من أمرِ الدنيا، وقيل: ما تقوَّضَ أي ما انهدمَ من حِياض إبلي، ويقال: لا أحْفِلُ كذا، ولا أحفِلُ بكذا.

٣ - ولأَتْرُكَنْ لِلسَّامِلِينَ حِيَاضَهُمْ   ولأَحْبِسَنَّ عَلَى مَكَارِمِيَ النَّعَمْ

ويُروَى «فَلأَتْرُكَنَّ السَّامِلينَ حِياضهم» والسَّامل: المصلح، والمعنى: إنّي أرفض حالَ مَنْ هِمَّته مقصورة على تثمير ماله وعمارة حِياضه، ومِنْ سَمْلِ الحوضِ سُمِّيَ الماءُ الّذي في أسفلِ الحوضِ السَّمَلَة، والنَّعَمُ: يَقَعُ على الأزواج الثمانية، والغالب عليه الإبل.

[٧٣٨] وقال زيد الفوارس[1] بن حُصَين بن ضِرَار:

١ - أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يَا ابْنَةَ مُنْذِرٍ   ونَامِي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «نامي» كأنّه يَسْتَكِفُّها عن لومه لأنه يأمُرُها بِالنَّومِ أو السَّهَر، يقول لِعاذِلَتِه: لا تلومي وافْعَلِي ما شِئْتِ؛ فإنّي لا أُطيعُكِ ولا أكفُّ عن عادة جودي بِلَوْمِكِ.

٢ - أَلَمْ تَعْلَمِي أنّي إذَا الدَّهْرُ مَسَّنِي   بِنَائِبَةٍ زَلَّتْ ولَمْ أَتَتَرْتَرِ

مَسَّني: أصابتني من الدّهر نائبة، زَلَّت: أي زَلَّتِ النائبةُ عَنّي: أي مَرَّتْ، «ولم أتترتر» التترتر: العَجَلة، وكأنَّ المرادَ زَلَّتِ النَّائِبةُ ولم تَسْتَخِفَّني فكنتُ أعجلُ وأتحوَّلُ عمّا كنتُ عليه.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٨١).

٣ ـ يَرَانِي العَدُوُّ بَعْدَ غِبِّ لِقَائِهِ   خَلِيًّا نَعِيمَ البَالِ لَمْ أَتَغَيَّرِ

قوله «بعد غِبِّ لقائه» أي: بعد يوم لقائه بيوم، وكأنَّه ما مَسَّني أذى، وقال المرزوقي: قوله «نعيم البال» هو من الضَّوَالِّ التي وُجِدَتِ الآن، وذلك لأنَّ فَعِيلاً وهو في معنى مُفْعَل محصور معدود، ونعيم البال من ذلك، ويقال: أَنْعَمَ اللَّهُ بالَكَ، وبالٌ مُنْعَمٌ ونعيمٌ، ولا يمتنعُ أن يكونَ نعيم فعيلاً من نَعِمَ أو نَعُمَ عَيْشُه، وأكثر ما يُستعمَلُ مصدرًا، تقول: هو في نعيمٍ لا يزولُ، وإذا كان كذلك فهو غريب إن جعلته اسم الفاعل، كَقَدُمَ فهو قديمٌ، أو حَزِنَ فهو حزينٌ، أو فعيل في معنى مُفْعَل، كفرسٍ حبيسٍ ومُحْبَسٍ، وبابِ تريصٍ وَمُتْرَصٍ، وانتصبَ «خَلِيًّا» على الحال مِن «يَراني» وهو الذي لا هَمَّ له وقد يكون في غيرِ هذا المكان المُخَلَّى.

٤ ـ وَرَاكِدَةٍ عِنْدِي طَوِيلٍ صِيَامُهَا   قَسَمْتُ عَلَى ضَوْءٍ مِنَ النَّار مُبْصِرِ

«راكدة» يعني قِدرًا، ويُرْوَى «عَتْبَى» و«غَضبَى» وجعلها عتبى لِغليانها، ويُرْوَى «غَيْرَى» فيكون من الغيرة، شَبَّهَ غليانها بغليان الغَيْرَى، وفي الحديث «رُدُّوني إلى أَهْلي غَيْرَى نَغِرَةً»[1]، وقوله «قسمتُ على ضوء من النار مبصر» جعل الضَّوْءَ مُبصِرًا لمّا كانَ الإبصار فيه، على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[2] وجعل القسمة لِلقِدْرِ وهو يريد قسمة مَرَقِها وما احتوَتْ عليه ليلاً، و«على ضوءٍ من النَّار» لِشِدَّةِ الزَّمان وتناهي البرد ولأنه وقت طروق الضَّيْف.

٥ ـ طُرُوقًا فَلَمْ أُفْحِشْ وَقَسَّمْتُ لَحْمَهَا   إِذَا اجْتَنَبَ العَافُونَ نَارَ العَذَوَّرِ

«لم أُفْحِشْ» أي: لم آتِ بِفُحْشٍ، وقوله «إذا اجتنبَ العافون» ظرف لقوله «لم أُفحِشْ» و«طروقًا» ظرف لِقَسَّمْتُ على ضوء، والعَذَوَّر: السَّيِّىء الخلق، وجعل لنفسه قسمين كان أحدهما للمرق على الثرد والثاني للّحم، وعلى الأول قول الآخر: [البسيط]

وَسِّعْ بِمَدِّكَ مَاءَ اللَّحْمِ تَقْسِمُهُ[3]

[٧٣٩] وقال الهُذيل بن مَشْجَعة البَوْلانيّ:

مَشْجَعة: عَلَم مرتجل، ويجوز أن يكون في الأصل مصدرًا كالمَجْبَنَة وَالمَبْخَلَة.

---

(١) قال في لسان العرب (نغر): «وفي حديث علي عليه السلام: أن امرأة جاءته فذكرت له أنّ زوجَها يأتي جاريتها، فقال: إن كنتِ صادقةً رجمناه، وإن كنت كاذبة جلدناكِ، فقالت رُدّوني إلى أهلي غَيْرَى نَغِرَة» أي مغتاظة يغلي جوفي غَلَيان القِدْر.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٣) البيت الأول من الحماسية رقم (٧٤٧) وعجزه: «وأكثِرِ الشَّوْبَ إن لم يَكثُرِ اللَّبَنُ».

١ ـ إنّي وَإنْ كَانَ ابْنُ عَمِّيَ غَائِبًا   لَمُقَاذِفٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

المُقَاذِف: المُرَامي، يقول: إنّي أَذُبُّ عنه من قُدَّامِهِ ومن خَلْفِهِ، ووراء هٰهنا بمعنى قُدَّام؛ لأنه قد ذكر معه خلف، وأصله من المواراة، وهي المساترة، ولذلك صلحَ وقوعه موقع خلف وقُدَّام، وموضع «من خلفه وورائه» نصب على الحال: أي متخلّفًا ومتقدِّمًا.

٢ ـ ومُفِيدُهُ نَصْرِي وَإنْ كَانَ امْرَءًا   مُتَزَحْزِحًا فِي أَرْضِهِ وسَمَائِهِ

يقول: لا أُمْسِكُ عن معونته، بل أنصرُهُ وإن تباعدَ عَنِّي في أرضه وسمائه: أي في غَوْرِهِ ونَجْدِهِ، لأنَّ السَّمَاءَ العلو والأرض السّفل، كأنّه قال: في سهله وجبله، وقيل: معناه في أيِّ موضعٍ كانَ.

٣ ـ ومَتَى أَجِئْهُ فِي الشَّدَائِدِ مُرْمِلاً   أُلْقِ الَّذِي فِي مِزْوَدِي لِوِعَائِهِ

المُرْمِلُ: الَّذي قد نفدَ زَادُهُ، وأصله أنَّ الزَّادَ إذا نفدَ في السَّيْرِ خلا الوعاء منه إلاَّ من الرَّملِ الَّذي تلقيه الرِّيحُ فيه، فيقال: أرملَ الرَّجُلُ، إذا وَجدَ الرمل في وعائه، ويُروَى «بوعائه» أي: مع وعائه، و«لوعائه» أي: إلى وعائه.

٤ ـ وإذَا تَتَبَّعَتِ الجَلاَئِفُ مَالَنَا   خُلِطَتْ صَحِيحَتُنَا إلَى جَرْبَائِهِ

يُروَى «الجلائف» و«الخلائف» قال أبو العلاء: إذا رُوِيَتِ الخلائفُ بالخاء فهي جمع خليفة، يقال: خليفة وخلائف، وقالوا: خلفاء، وليس باب فَعِيلة أن يجمع على فُعَلاء، ولكن لمّا قالوا فلانٌ خليفةُ فلانٍ وخَلِيفُهُ ساغَ لهم أن يقولوا خُلَفَاء، ولم تَجْرِ العادةُ بأنْ يقولوا لخليفةِ المسلمين خليفٌ، وإنْ كان جائزًا في الأصل، قال أوس بن حَجَر: [البسيط]

إنَّ مِنَ القَوْمِ مَوْجُودًا خَلِيفَتُهُ   وَمَا خَلِيفُ أَبِي لَيْلَى بِمَوْجُودِ

وقالوا: خلائف، على قولهم: خليفة، وأنشد الفرّاء: [الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا تَخْلِي بِدَارِ مضيعَةٍ   وَلاَ رَبُّهَا إنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفِ
وَإنَّ لَهَا جَارَيْنِ لَنْ يَغْدِرَا بِهَا   رَبِيبَ النَّبِيِّ وَابْنَ خَيْرِ الخَلاَئِفِ

وقالوا: خلفاء، على قولهم: خليف، قال عديّ بن الرّقاع: [الكامل]

أَحَدٌ مِنَ الخُلَفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا[1]

---

(١) صدره: «ظَفَرًا ونَصْرًا ما تناوَل مِثْلَهُ». والبيت من قصيدة له يمدح الوليد بن عبد الملك ومطلعها:
عرفَ الدِّيارَ تَوَهُّمًا فاعتادها   من بعدِ ما شَمِلَ البِلَى أبلادَها

وفي القرآن ﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾[1] وفيه ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[2] وإذا صَحَّتِ الرِّوايةُ بالخاء فذلك دليلٌ على أن البيت قيل في الإسلام؛ لأنه يعني ما كان يؤخذ من أموالهم للصدقة، وقوله «قُرِنَتْ صحيحتنا إلى جربائه»[3] يريد أنهم يخلطون المال لتخفَّ الصَّدَقَةُ، ولأنه إذا كان مفترقًا أمكن المصدّقين أن يَتَحَيَّفُوا الضَّعيفَ ومَنْ يُطْمَعُ فيه، وإذا كان المستضعَفُ خَلِيطًا لصاحب الجاهِ والذي له مَحَلٌّ عَزَّ بِعزّه وامتنع، وإذا رويت «الجلائف» بالجيم فهي جمع جليفة، من قولهم «أصابتهم جليفة» أي: سنة شديدة، كأنها تجلفُ المالَ: أي تقشره، كما يقشر الجلد إذا جُلِفَ، ولا يكون في البيت دليل على أنه قيل في الإسلام؛ لأن الجلائف تقع في كلِّ زمان، ويكون معنى قوله «قُرِنَتْ صحيحتنا إلى جربائه» أنَّا ساويناه بأنفسنا، وهذا مثل معناه أنَّا نخلطُ فَقْرَهُ بِغنانا وغَثَّهُ بِسَمِيننا.

٥ ـ وإِذَا أَتَى مِنْ وِجْهَةٍ بِطَرِيفَةٍ ... لَمْ أَطَّلِعْ مِمَّا وَرَاءَ خِبَائِهِ

الطَّريفة: ما استطرفَهُ مِنَ المالِ واستحدَثَهُ، والقصد فيها إلى ما يستحسنُ من الأعراض لكونه طُرْفة، ومَنْ روى «من وَجْهِهِ» فمعناه من سفره الذي تَوَجَّهَ إليه، ومَنْ روى «وِجْهَة» فالوجهة أراد بها الاسم لا المصدر، قال المرزوقي: ولذلك سلمَ فاؤه، والمصدر الجِهَة أعلَّ، كما أعلَّ فعله، على ذلك العِدَة والزِّنة، والوعدة والوزنة إذا بنيت اسمًا، وقوله «لم أطَّلِعْ مِمَّا وراء خبائِه» يعني من وراء خبائه، و«ما» زائدة، ويُروَى «لم أَطَّلِعْ ماذا وراءَ خِبَائِهِ» أي: ما الَّذي وراء خِبَائِهِ: أي لم أسألْ عَمَّا سَتَرَهُ عَنِّي، وقيل: بطريفة بجارية استحدثَها فَخَدَّرَها: أي أطلب النظر إليها، ويجوز أن يكون المعنى لم أعرضْ نَفْسِي عليه مُتَعَرِّفًا ما جاء به ليشركني في طرفه ويجعلني أُسوة نفسه.

٦ ـ وإِذَا اكْتَسَى ثَوْبًا جَمِيلاً لَمْ أَقُلْ ... يَا لَيْتَ أَنَّ عَلَيَّ حُسْنَ رِدَائِهِ

في قوله «يا ليتَ» مُنادى محذوف، وموضع «يا ليت» نصب على أنه مفعول لم أَقُلْ، كأنه قال: لم أَقُلْ يا ناس ليتَ أن عَلَيَّ رِدَاءَهُ الحَسَن.

[٧٤٠] وقال حَسَّان بن حَنْظلة بن أبي رُهم بن حَسَّان بن حَيَّة بن شعبة الطَّائي:

١ ـ تِلْكَ ابْنَةُ العَدَوِيِّ قَالَت بَاطِلاً ... أَزْرَى بِقَوْمِكَ قِلَّةُ الأَمْوَالِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

انتصب «باطلاً» على أنه مفعول قالت: أي قالت باطلاً، ومن شرط القول أن يُحكَى ما بعده إذا كان جملة، فإن لم يكنْ جملةً انتصبَ على أن يكون مفعوله، كقوله:

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٩. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.
(٣) في البيت «خُلِطَتْ صحيحتنا».

قال زيدٌ حَقًّا، وموضع قوله «أزرى بقومك قِلَّةُ الأموالِ» نصب على البدل من قوله «باطلاً» ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنه قال قولاً باطلاً، ويجوز أن يكون «أزرى بقومك» في موضع المفعول لِقالت، وقد حكاه لِكَوْنِهِ جملةً، وقوله «قالت باطلاً» في موضع رفع على أنه خبر المبتدأ، وابنة العدويّ: ارتفع على أنه عطف البيان لتلك، ومعنى البيت: قالت ابنةُ العدويّ زُورًا مِنَ القَوْلِ وباطلاً لقد قَصُرَ بقومِكَ فقرهم وقلّة مالهم فأجبتها بقولي:

٢ ـ إنَّا لَعَمْرُ أبِيكِ يَحْمَدُ ضَيْفُنَا وَيَسُودُ مُقْتِرُنَا عَلَى الإقْلالِ

يقول: أخبرتها، أو قلتُ لها، ومثله يحْذف من الكلام كثيرًا، على ذلك قوله عَزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾(١).

٣ ـ غَضِبَتْ عَلَيَّ أنِ اتَّصَلْتُ بِطَيِّىءٍ وأَنَا امْرُؤٌ مِنْ طَيِّىءِ الأَجْبَالِ

يقال: اتَّصَلَ الرَّجلُ؛ إذا انتسبَ، وقيل: هو أن يقول: يا لفلان، قال الأعشى: [الطويل]

إذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ

وقال حسان: [الوافر]

إذَا اتَّصَلَتْ دَعَتْ كَعْبًا وَأنَّى بِكَعْبٍ بَعْدَمَا وَقَعَ السِّبَاءُ

يقول: غَضِبَتِ ابنةُ العدويّ عَلَيَّ، وقَالت: أنتَ من تميم فلِمَ تَتَّصِلُ بِطيِّىءٍ؟ فقلت لها: أنا من طيِّىء، وأضاف طَيِّئًا إلى الأجبال المشهورة في بلادهم، نحو أَجَأ وسَلْمَى وعُوَارِض، وهذه الإضافة على طريق التخصيص والتبيين، وذلك لأنَّ طَيِّئًا فرقتان: فرقة تنزلُ السّفل من جبالهم، وفرقة تنزل العلو.

٤ ـ وَأَنَا امْرُؤٌ مِنْ آلِ حَيَّةَ مَنْصِبِي وَبَنُو جُوَيْنٍ فَاسْأَلِي أَخْوَالِي

«منصبي» يجوز أن يكون مبتدأ، و«من آلِ حَيَّةَ» خبره، والجملة في موضع الصفة لامرىءٍ، ويجوز أن يكون «من آل حَيَّة» في موضع الصفة، و«منصبي» في موضع الرفع بدل من امرؤ، كأنه قال: أنا منصبي من آل حَيَّة، وقوله «فاسألي» قد توسَّطَ المبتدأ والخبر، ومفعوله محذوف.

٥ ـ وإذَا دَعَوْتُ بَنِي جَدِيلَةَ جَاءَنِي مُرْدٌ عَلَى جُرْدِ المُتُونِ طِوَالِ

إنَّما خَصَّ المُرْدَ لإقدامِهِم في الحروب على غِرَّةٍ، يدلُّ على ذلك قوله:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

٦ ـ أَحْلامُنَا تَزِنُ الجِبَالَ رَزَانَةً ... وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الجُهَّالِ

ويحتمل أن يكون جعل مُرْدَهم الَّذين لم يُجَرِّبُوا الحروبَ ككهول غيرهم الذين جَرَّبُوها وباشروها.

[٧٤١] وقال إياس بن الأَرَتّ[١]:

١ ـ وإنِّي لَقَوَّالٌ لِعَافِيَّ مَرْحَبًا ... وَلِلطَّالِبِ المَعْرُوفِ إنَّكَ وَاجِدُهْ[٢]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

قوله «عَافِيَّ» أصله عَافُويَ، فقلبت الواو ياء، وأُدْغِمَت الياء في الياء، وكُسِرَت الفاء لمجاورتها الياء، وانتصب «مرحبًا» على المصدر وقد وقع وهو يجري مجرى الجمل لمكان العامل فيه معه موقع المفعول من قوله قَوَّال، وانعطف عليه قوله «وللطالبِ المعروفِ إنَّكَ وَاجِده» كأنه قال: وقَوَّالٌ لِلطَّالِبِ المعروفِ إنَّكَ واجده، فقوله «إنكَ واجده» واقع في مثل موقع قوله «مرحبًا».

٢ ـ وَإنِّي لَمِمَّنْ يَبْسُطُ الكَفَّ بِالنَّدَى ... إذَا شَنِجَتْ كَفُّ البَخِيلِ وَسَاعِدُهْ

ويُروَى «وإنِّي لَمِمَّا أبسُطُ الكفَّ» أي: من القوم الذين يبسطون الكفَّ بالنَّدَى، ووضع «ما» مكان مَنْ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا بَنَٰهَا﴾[٣] يعني ومَنْ بناها، وإن شِئتَ جعلت «ما» هنا مصدرية، على معنى وإنِّي لمن بَسْطي الكفَّ بِالنَّدى أنَّ جودي لا أُفارقُه ولا يفارقني، و«إذا شَنِجَتْ» ظرف ليبسط، ويشير إلى زمان المحل وظهور البخل، والشَّنَج: التَّقبُّض يُبْسًا.

٣ ـ لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي أُمَامَةُ أنَّهَا ... ثِنًى مِنْ خَيَالٍ مَا أزَالُ أُعَاوِدُهْ

«ثِنًى» أي: مَرَّة بعد أخرى، وفي الحديث «لا ثِنى في الصدقة» أي: لا تُؤْخَذُ في السَّنة مَرَّتَيْن، وقوله «أُعاوده» أي يعاودني، لأنَّ الخيالَ كان يغشاه، لا هُوَ كان يغشى الخيال، وإنَّما جازَ هذا لأنَّ مَا لَقِيَكَ فقد لَقِيتَهُ.

٤ ـ فَشَقَّتْ عَلَى رَكْبِي وَعَنَّتْ رَكَائِبِي ... وَرَدَّتْ عَلَيَّ اللَّيلَ قِرْنًا أُكَابِدُهْ[٤]

أي: شَقَّتِ الرِّحْلَةُ على أصحابي، وقيل: شَقَّتْ معاودة الخيال، ودلَّ «أُعاوده» على المعاودة، وإنَّما شَقَّتْ عليهم لأنهم كانوا قد استراحوا، فلما عاودني خيالُها انتبهتُ ورحلتُ أُكَابِدُ اللَّيْلَ سَيْرًا كما يكابدُ الرَّجُلُ قِرنَهُ.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٥٦).
(٢) المرزوقي: «إنِّي» بدون الواو.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٥.
(٤) المرزوقي: «فشقَّتْ على صَحْبِي».

[٧٤٢] **وقال آخر**[١]:

١ - أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا لاَ تُكْذِبِينَ بِهِ　　يَا طَيبَ أَيُّ فتًى لِلضَّيفِ وَالجَارِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

ويُرْوَى «يا بكرُ» وقوله «لا تُكْذَبين به» أي: لا تُصَادَفين كاذبةً، ويقال: خَبَّرَني فلانٌ فأَكْذَبْتُهُ: أي وَجَدْتُه كاذبًا، والمعنى ليكنْ ثناؤُكِ عليَّ حَقًّا، وقولي يا بكر أيّ فَتًى كنتُ للجارِ إذا استجارَ والضَّيف إذا استضافَ، و«أيّ فَتًى» مبتدأ وخبره مضمَر، كأنه قال: أيّ فَتًى أنت.

٢ - إنِّي أُجَاوِرُ مَا جَاوَرْتُ فِي حَسَبِي　　وَلاَ أُفَارِقُ إلاَّ طَيِّبَ الدَّارِ

«في حَسَبي» أي: مع حَسَبي، فموضعه نصب على الحال، وإذا جاور ومعه حسبه منعه ممَّا لا يَحْسُنُ، ألاَ ترى إلى قوله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٢] أي: الكرم يمنعهم من التعريج على اللَّغْوِ، ويقال: جاءنا فلانٌ في دِرْع: أي وعليه دِرعٌ، والعامل في موضع الحال «أجاور»، وكذلك قوله «إلاَّ طيّبَ الدَّارِ» انتصب على الحال، والعامل في الحال «لا أُفارق» وجعل الطَّيّب كناية عن الكرم، على ذلك قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[٣] أي: كرمتم، ومثله قول الآخر: [الطويل]

إذَا كُنْتَ فِي دَارٍ فَحَاوَلْتَ تَرْكَهَا　　فَدَعْهَا وَفِيهَا إنْ رَجَعْتَ مَعَادُ

[٧٤٣] **وقال آخر**:

١ - كَمْ مِنْ لَئِيمٍ رَأَيْنَا كَانَ ذَا إِبِلٍ　　فَأَصْبَحَ اليَوْمَ لاَ مُعْطٍ وَلاَ قَارِي

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«كم» موضعه نصب على المفعول من «رأينا» يريد رأينا كثيرًا من اللِّئَام كانوا يملكون نفائسَ الأموالِ ثم أُزيلَتْ نعَمُهُمْ، وقوله «لا مُعْطٍ» في موضع خبر المبتدأ، كأنه قال: لا هو مُعْطٍ.

٢ - ولَوْ يَكُونُ على الحَدَّادِ يَمْلِكُهُ　　لَمْ يَسْقِ ذَا غُلَّةٍ مِنْ مَائِهِ الجَارِي[٤]

الحدَّاد: النَّهر، وقيل: إنه البحر، وقيل: إنه وادٍ معروف كثير الماء لا ينقطع ماؤه، وهو لبعض بجيلة كثير الخصب، وقوله «على الحداد» من قولهم: مَنْ عليكم؟ أي: مَنْ

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال أيضًا» يعني إياس بن الأرتّ؛ وقد جاء البيتان مع البيتين في الحماسية التالية كحماسية واحدة.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.　　(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٤) البيت في تاج العروس (حدد) وقد نسبه لإياس بن الأرتّ.

يأمرُ عليكم ويَلِيكُم، فإذا كان كذلك فقوله «على الحَدَّادِ» يتمّ الكلامُ به لأنه خبر يكون ويملكه في موضع النصب على الحال.

[٧٤٤] وقال حسان بن ثابت[١]:

١ - المَالُ يَغْشَى رِجَالاً لاَ طَبَاخَ بِهِمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالِي[٢]

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«لا طَبَاخ بهم» أي: لا خيرَ عِندهم، ويقال هذا لحم لا طَبَاخَ له: أي لا دَسَمَ له، وشابٌّ مُطَبَّخٌ: أملأ ما يكون شبابًا وأرواه، وطَبَّخَ الغلامُ: ترعرعَ وعَملَ، والدِّنْدِن: المسودّ من الكلأ لِقِدَمِه ويَبَسِهِ، والمعنى: إنَّ المرءَ لا يُؤتَى الغِنى لِفَضْلٍ فيه، وإنّما ذلك بمقادير قُدِّرَتْ، وقد يَتَّفِقُ حصول المال عندَ مَنْ لا يستحقُّه، وقيل: الدِّنْدِنُ: ما بَلِيَ من الشجر فينبت بعد السَّيلِ يمرّ به إذا كان أصله في الأرض، فمعناه على هذا المالُ يأتي مَنْ لا عَقْلَ له ولا قوّة فيحييه، وقيل: المعنى المالُ يَغْشى رجالاً لا ينتفعونَ به كما أن الشَّجَرَ البَالي لا ينتفعُ بالسَّيْلِ إذا أصابه.

٢ - أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لا أُدَنِّسُهُ لاَ بَارَكَ اللّهُ بَعْدَ العِرْضِ في المَالِ

لا أُدَنِّسه: أي لا آتي دَنَسًا من الفِعْلِ، يقول: أحفظُ نفسي وأبذل مالي كي لا يلزمني عَيْبٌ، ولا خيرَ في صَلاحِ المالِ بعد فسادِ النَّفْسِ؛ لأنَّ المالَ يمكن جمعه بالحيلة بعد هلاكه والنَّفس لا حِيلَة في رَدِّها بعد الهلاكِ، وَبَيَّنَه بقوله:

٣ - أَحْتَالُ لِلْمَالِ إنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

أودى: أي هلك.

[٧٤٥] وقال عبد العزيز بن زُرَارَةَ[٣] الكِلاَبِيّ:

زرارة: عَلَم مرتجل، وهو فُعَالة من زَرَرْت، والزَّرُّ: العَضّ.

١ - دَعَوْتُ إلَيْهَا فِتْيَةً بِأَكُفِّهِمْ مِنَ الجَزْرِ في بَرْدِ الشِّتَاءِ كُلُومُ

---

(١) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري: صحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (ت ٥٤ هـ/ ٦٧٤ م). ترجمته في: (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٤٧؛ والإصابة ١/ ٣٢٦؛ والشعر والشعراء ص ١٠٤).

(٢) المرزوقي: «لا طَبَاخَ لهم».

(٣) عبد العزيز بن زرارة الكلابي: قائد من الشجعان المقدّمين في زمن معاوية، أبلى في قتال الروم بلاءً عجيبًا، وقُتِلَ في إحدى الوقائع (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م). ترجمته في: (الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩؛ والبيان ٢/ ٧٥).

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

«دعوتُ إليها» يعني إلى ناقةٍ، «بأكفّهم من الجَزْرِ» يعني أن بردَ الشّتاءِ قد اشتدَّ عليهم فتزَلَّعَتْ أَكُفُهُمْ، فصار فيها شقوقٌ كالجراحات، وقيل: إنَّ المرادَ أنَّ بِأَكُفِّهم كُلُومًا لِسرعةِ ما يفصلونَ الجزور استعجالاً لإطعامِ الضَّيْفِ فتصيب الشَّفرةُ أيديهم، أو لأنَّهم لا يهتدون إلى المفاصل؛ لأنَّ ذلك ليس من شأنهم إنَّما تَولَّوا ذلك لِشدَّةِ الزَّمانِ وخدمةِ الضِّيفانِ، ويدلُّ عليه قوله «من الجزر» ولم يقل «من البردِ».

٢ ـ إِذَا مَا اشْتَهَوْا مِنْها شِوَاءً سَعَى لَهُمْ ... بِـهِ هِـذْرِيَـانٌ لِـلْـكِـرَامِ خَـدُومُ

هِذْرِيَان: خفيف في كلامه وخدمته، من الهَذَر، وقال أبو العلاء: اشتقاق الهِذْرِيان من الهَذَر وهو كَثْرةُ الكلام، وإنَّما جعله هِذْرِيانًا لأنَّ الذي يخدمُ يحتاجُ أن يتكلَّمَ وينادي في المآدب فيجيب والمخدوم ليس كذلك.

[٧٤٦] وقال آخر[١]: [الطويل]

١ ـ فَـإلاَّ أَكُـنْ عَـيْـنَ الـجَـوَادِ فَـإِنَّـنِـي ... عَلَى الزَّادِ فِي الظَّلْمَاءِ غَيْرُ شَتِيمِ

يقول: إن لم أكنْ كلَّ الجوادِ والجامع لأسباب السَّخاءِ فإنَّني لا أُشْتَمُ في الظَّلْماءِ بِقِلَّةِ الزَّادِ وحبسه عن مريده، وكذلك تفسير البيت الذي بعده، وليس الجود والشّجاعة إلاَّ ما ذَكره.

٢ ـ فَـإلاَّ أَكُـنْ عَـيْـنَ الـشُّـجَـاعِ فـإِنَّـنِـي ... أَرُدُّ سِـنَـانَ الـرُّمْـحِ غَـيْـرَ سَـلِـيـمِ

[٧٤٧] وقال آخر:

١ ـ وَسِّـعْ بِـمَـدِّكَ مَـاءَ الـلَّـحْـمِ تَـقْـسِـمُـهُ ... وأَكْـثِـرِ الـشَّـوْبَ إنْ لَـمْ يَـكْـثُـرِ الـلَّـبَـنُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

قوله «بِمَدِّكَ» مصدر مَدَدْتُ القِدْرَ، إذا أكثرتَ مَرَقَها، والشَّوْبُ: مصدر شَابَ يَشُوبُ، إذا خلطَ، يقول: شُبِ اللَّبَنَ بالماءِ فإن شربهم سَمَارًا[٢] يَعُمُّهم خيرٌ من أن يشربَ بعضُهم مَحْضًا ويبقى منهم نفرٌ لم يشربوا شيئًا، ومثله: [الطويل]

نَمُدُّ لَهُمْ بِالـمَاءِ مِنْ غَيْرِ هَوْنِهِمْ ... وَلـٰكِـنْ إذَا مَـا ضَـاقَ شَـيْءٌ يُـوَسَّـعُ

(١) المرزوقي جعل هذين البيتين تابعين للحماسية السابقة؛ والبيتان في الزهرة ٢/ ٦٥٥ لعبد العزيز بن زرارة.

(٢) السَّمَار: اللَّبن الممذوق بالماء.

وهذا مِثلُ ما سار به المَثَلُ، وهو «مِثْلُ الماءِ خَيْرٌ من الماءِ»، وأصله أن رجلاً استسقى من رجل لبنًا فقال: إنَّه مثلُ الماءِ: أي هو فضلة بَقِيَتْ من لَبنٍ مَشُوبٍ، فقال المستسقي: مِثْلُ الماءِ خيرٌ من الماء، يريد أن المَشُوبَ من اللَّبن خَيْرٌ من الماء القَرَاح.

٢ ـ وَسِّعْ بِـه وَتَـلَـفَّـتْ حَـوْلَ حَـاضِـرِهِ إنَّ الكَـرِيـمَ الَّـذِي لَـمْ يُـخْلِـهِ الـفِطَـنُ

يقول: تَلَفَّتْ عن يمينِكَ وشِمَالِكَ فانظرْ هل حَضَر مَنْ هو محتاجٌ إلى اللَّبن، وهذا المعنى يتردَّدُ في أشعار العرب، ويُروَى لحاتم: [الطويل]

فَـإنَّ الـكَـرِيـمَ مَـنْ تَـلَـفَّـتَ حَـوْلَـهُ وَإنَّ الـلَّـئِـيـمَ دَائِـمُ الـطَّـرْفِ أَقْـوَدُ

أي: إنَّ اللَّئيمَ لا يلتفتُ، ونحو من ذلك قول الراجز:

إنَّ لَـنَـا لَـجَـارَةً غَـيْـرَ فُـنُـقْ

من الفَنَق، وهو النِّعْمة.

جَمِيلَـةَ الـوَجْـهِ حَـمِـيـدَةَ الـخُـلُـقْ وَهِـيَ مَـعْ ذَلِـكَ عَـوْجَـاءُ الـعُـنُـقْ

يريد أنها تعطف عنقها إذا حضر الطعام لتَنْظُر هل حولها مَن هو مفتقر إليه.

[٧٤٨] وقال آخر[١]:

١ ـ إذَا هِـيَ لَـمْ تَـمْـنَـعْ بِـرِسْـلٍ لُـحُـومَـهَـا مِـنَ الـسَّـيْـفِ لاقَـتْ حَـدَّهُ وهْـوَ قَـاطِـعُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الرِّسْل: اللَّبن نفسه، يقول: إذا لم يكنْ لإبلنا لبنٌ نسقيه أضيافَنا نحرناها لهم، وذلك أنَّ العربَ إذا وجدت اللَّبَنَ لم تنحرْ، وتقول: اللَّبن أحد اللَّحْمَيْن، فإذا لم تدرَّ إبلهم لم يكن لهم بُدٌّ من نحرها لِلضَّيفِ، قال: [الطويل]

وَإنْ تَعْتَذِرْ بِالمَحْلِ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا عَلَى الضَّيْفِ يَجْرَحْ في عَرَاقِيبِها نَصْلِي

ومن العرب مَن لا يقنع لضيفه باللَّبن حتى ينحرَ له، قال الشّاعر: [الطويل]

فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَوْ تُنْحَرَ الجُزْرُ[٢]

٢ ـ نُـدَافِـعُ عَـنْ أَحْـسَـابِـنَـا بِـلُـحُـومِـهَـا وأَلْـبَـانِـهَـا إنَّ الـكَـرِيـمَ يُـدَافِـعُ

أي: نطعم لحومها ونسقي ألبانها الناس حتى لا تلحقَ أحسابَنا سبّة.

٣ ـ ومَنْ يَقْتَرِفْ خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَـدَعْـهُ وتَـرْجِـعْـهُ إلَـيْـهِ الـرَّوَاجِـعُ

---

(١) هو المخضع القيسي كما في معجم المرزباني ص ٤٧٥.

(٢) البيت للأبيرد اليربوعي في الحماسية رقم (٣٨٣).

الاقتراف: الاكتساب، وأراد به الابتداع هنا.

[٧٤٩] وقال مُضَرِّس بن رِبْعِيّ[١]:

١ ـ وَإِنّي لأَدْعُو الضَّيْفَ بِالضَّوْءِ بَعْدَمَا كَسَا الأَرْضَ نَضَّاحُ الجَلِيدِ وجَامِدُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: أدعو الضَّيْفَ بإيقادِ النّار عند اشتدادِ البرد، والنَّضْح كالنّضخ، إلاّ أن النَّضخ له أثرٌ، والعين تنضح بالماء، وكذلك الكوز، والنَّضِيح: العَرَق، لأنّ جِرْمَ الإنسان ينضحُ به، وسمّى أبو ذؤيب ساقي النَّخْل نَضَّاحًا، كما سَمَّى البعير الذي يُسْتَقَى عليه الماء النّاضح، فقال: [البسيط]

. . . . كـمـا يَسْقِي الجُذُوعَ خِلاَلَ الدُّورِ نَضَّاحُ[٢]

٢ ـ لأُكْرِمَهُ؛ إنَّ الكَرَامَةَ حَقُّهُ وَمِثْلاَنِ عِنْدِي قُرْبُهُ وتَبَاعُدُهْ

يعني في النسبة.

٣ ـ أَبِيتُ أُعَشِّيهِ السَّدِيفَ؛ وَإِنَّنِي بِمَا نَالَ حَتَّى يَتْرُكَ الحَيَّ حَامِدُهْ[٣]

السَّديف: شحم السَّنَام، وقوله «وإنني بما نال» يقول: إن اقترح عَليَّ شيئًا أعدّه نعمةً يستوجبُ منّي حَمدًا وشكرًا عليها، وذلك له طول مقامه إلى أن يفارقني.

[٧٥٠] وقال حِمَاسُ بن ثامل:

قال أبو الفتح: قد يمكن أن يكون حِماس جمع أَحْمَس، وهو الرّجل الشديد، كسر أفْعَل على فِعَال كأعْجف وعِجاف، وسُمِّيَ الرجل بالجمع كما سُمِّيَ بِكِلاَب وأَنْمَار ومَعَافر، وذو حِمَاس: موضع معروف، وقد يجوز أن يكون حِمَاس من «تحامسَ القومُ تحَامُسًا وحِمَاسًا» إذا تشادّوا واقتتلوا، وأما ثامل ففاعل من الثمل، وأظنه وصفًا، وقال أبو العلاء: حِمَاس لا يمتنع أن يكون من الحماسة، وهي الشِّدَّة، وقيل: من الحماس، وهو شجر، وعلى ذلك فَسَّروا قول القطامي: [الطويل]

حَدَى في صَحَارَى ذِي حِمَاسٍ وَعَرْعَرٍ لِقَاحًا يُعَشِّيهَا رُؤُوسَ الصَّيَاهِبِ[٤]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسيَة رقم (٤٤٢).

(٢) هذه قطعة من بيت لأبي ذؤيب الهذليّ في ديوان الهذليين ١/٤٦، وهو بتمامه:

هَبَطْنَ بَطْنَ رُهَاطٍ واعْتَصَبْنَ كما يَسقي الجذوعَ خلالَ الدّورِ نَضّاحُ

(٣) المرزوقي: «بما قالَ».

(٤) البيت في تاج العروس (صهب)، وفيه «يُغَشّيها»، والصياهب: جمع الصَّيْهَب: الأرض المستوية.

وقال بعضهم: الحَمَسَة: السُلَحْفاة، فيجوز أن يكون حِمَاس جمع حمسة مثل أَكَمَة وإكام، و«ثامل» من قولهم: ثمل القوم، إذا كان لهم ثمالاً: أي عمادًا يقوم بأمرهم.

١ ـ وَمُسْتَنْبِحٍ فِي لُجِّ لَيْلٍ دَعَوْتُهُ بِمَشْبُوبَةٍ فِيْ رَأْسِ صَمْدٍ مُقَابِلِ[1]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

المشبوبة: النَّار، ولُجُّ اللَّيْلِ: معظم ظُلمته، والصَّمْد: الجبل أو الأرض المرتفعة، جعل ناره في يَفَاع مقابل لِسَمْتِ الضَّيف فدعاه بها لمَّا أعلاها حتى اهتدى بها.

٢ ـ وقُلْتُ لَهُ أَقْبِلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ وَإنَّ على النَّارِ النَّدَى وَابْنَ ثامِلِ[2]

أي: قَوِيَتْ نفسُه في النزول، وأريته استبشاري به، وانتظاري إياه، أَلاَ ترى أنه قال: «وإنَّ على النَّارِ النَّدَى وابن ثامل».

[٧٥١] وقال النَّمريّ[3]، ويقال إنها لرجل من باهلة:

١ ـ وَدَاعٍ دَعَا بَعْدَ الهُدُوءِ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السُّرى وَتُقَاتِلُهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: بلغَ الحالُ به حَدًّا رأى السُّرى تُغالبه عن نفسِه وتصارعُه عنها.

٢ ـ دَعَا بَائِسًا شِبْهَ الجُنُونِ، وَمَا بِهِ جُنُونٌ، وَلَكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهْ

«دعا بائسًا» يعني كلبًا ذا بؤسٍ لِضَرَرِ القَحْطِ، ويكون على هذا مفعولاً، ويجوز أن ينتصب على الحال لِلدَّاعِي: أي وهو ذو بؤسٍ، ويجوز أن يريد دعا دعاء عن بؤسٍ يُشْبِهُ الجنونَ، فأمَّا تكريره لِلدّعاء فهو لتهويل الأمر، وانتصب «شِبْهَ الجنونِ» أي: دعا دعاءً يشبه الجنون، فهو صفة للمصدر المحذوف، ثم قال: وما به جنون لكنه يكابدُ أمرًا يطلب الخلاص منه وليس له طريق المخلص إلاَّ على ذلك الوجه، وتحقيق الكلام ليس به جنون ولكن به كيدُ أَمْرٍ يطلبُ دَفْعَهُ والسَّلامة منه.

٣ ـ فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ نَادَيْتُ نَحْوَهُ بِصَوْتِ كَرِيمِ الجَدِّ حُلْوٍ شَمَائِلُهْ

٤ ـ فَأَبْرَزْتُ نَارِي ثُمَّ أَثْقَبْتُ ضَوْءَهَا وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ في البَيْت دَاخِلُهْ

قوله «وهو في البيت داخله» في البيت موضعه خبر الابتداء، وليس بِلَغْوٍ، وداخلُه: خبر ثانٍ، والهاء من «داخله» تعود إلى البيت، كأنه قال: وهو مستقرّ في البيت داخل

---

(١) الواو واو رُبَّ. (٢) المرزوقي: «فقلتُ له».

(٣) لعلّه منصور بن الزبرقان النمري أحد بني النمر بن قاسط، وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية وكان مقدّمًا عند الرشيد، مات في خلافة الرشيد. ترجمته في: (الشعر والشعراء ٨٣٥؛ وتاريخ بغداد ١٣/ ٦٥).

فيه، ولا يمتنع أن يكون «داخله» في موضع البدل من قوله «في البيت» ويكون كقولك: زيدٌ داخلُ البيتِ وخارجُه.

٥ - فلمّا رآني كبَّرَ اللّهَ وَحْدَهُ ... وَبشَّرَ قلْبًا كانَ جمًّا بلابِلُهْ[1]

٦ - فقُلْتُ لهُ: أهلاً وسهلاً ومرحبًا ... رَشِدْتَ، ولَمْ أقْعُدْ إلَيْهِ أُسائِلُهْ

٧ - وقُمْتُ إلى بَرْكٍ هِجانٍ أُعِدُّهُ ... لِوَجْبَةِ حَقٍّ نازِلٍ أنا فاعِلُهْ[2]

«لوجبةِ حَقٍّ» أي: لوقوعه، وهو راجع إلى وجْبَة الحائط، واشتقاق الواجب في جميع الوجوه واحد، وإنّما يفرّقون بالمصادر، وقولهم «وجبَ الرجل» إذا مات إنما يريدون أنه خَرَّ كما يخرُّ الجدار فسمعت له وَجْبة، قال قيس بن الخطيم: [الطويل]

أَطَاعَتْ بَنُو عَوْفٍ أمِيرًا نَهَاهُمُ ... عَنِ السِّلْمِ حَتَّى كانَ أوَّلَ وَاجِبِ

وقولهم للأكلة الواحدة في اليوم واللّيلة «وَجْبة» أرادوا أنها كالسقطة كأنهم قالوا: وجب الآكل، إذا جلس على الطعام، وهو راجع إلى وجوب الجدار؛ وقال الشاعر: [الكامل]

فاسْتَغْنِ بالوَجَبَاتِ عَنْ ذهب ... لَمْ يُبْقِ قبلكَ مَنْ مَضى ذَهَبُهْ

واللاَّم من قوله «لوجبة حَقٍّ» تعلَّقَ بقوله «أُعِدُّهُ» وموضع الجملة صفة لِلبَرْك، كما أن «أنا» من قوله «أنا فاعله» صفة لحقٍّ.

٨ - بِأَبْيَضَ خَطَّتْ نَعْلُهُ حيثُ أَدْرَكَتْ ... مِنَ الأرْضِ لَمْ تَخْطَلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهْ

تعلّق الباء من قوله «بِأبيض» بقوله «قمتُ»، وقوله «لم تَخْطَلْ عَلَيَّ» أي: لم تضطربْ وتطلْ، يقال: شاةٌ خَطْلاء، إذا كانت طويلة الأذن، وصف نفسه بأنَّ نعلَ سيفِه يصلُ إلى الأرض ولم يفرطْ في الصِّفة قال الآخر: [الطويل]

إلَى مَلِكٍ لاَ تَنْصُفُ السَّاقَ نَعْلُهُ ... أَجَلْ لا وَإنْ كَانَتْ طِوَالاً حَمائِلُهْ

٩ - فجَالَ قَلِيلاً واتَّقَانِي بِخَيْرِهِ ... سَنَامًا وأمْلاهُ مِنَ النَّيِّ كاهِلُهْ

انتصب «قليلاً» على الظرف: أي زمنًا قليلاً، وفاعل «جال» هو البَرْك، ويجوز أن ينتصب «قليلاً» على أنه وصف لمصدر محذوف، كأنه قال: جال جَوَلانًا قليلاً، وأقام الصفة مقام الموصوف، لأنَّ المرادَ مفهومٌ، وانتصب «سَنامًا» على التمييز، وارتفع «كاهله»

---

(١) جمًّا بلابله: أي همومه كثيرة.

(٢) المرزوقي: «فقمتُ». والبَرْكُ: اسم جمع لما يبركُ من الإبل. والهِجان: كرائم الإبل.

بفعل مُضمَر دَلَّ عليه «وأملاه»، كأنه لمّا قال وأملاه من النَّيِّ قال: امتلأ كاهِلُه، ويشبه هذا قول الآخر في إضمار الفعل وإن كان هذا ناصبًا وذاك رافعًا وهو: [الطويل]

وَأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيُوفِ القَوَانِسَا[1]

فانتصاب «القوانس» بفعل مُضمَر دَلَّ عليه «وأضرب مِنَّا» كما أن ارتفاع الكاهل بفعل دلَّ عليه «وأملاه».

١٠ - بِقَرْمٍ هِجَانٍ مُصْعَبٍ كانَ فَحْلَهَا طَوِيلَ القَرَى لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بازِلُهْ[2]

قوله «بِقَرْمٍ» أعاد حرف الجرّ فيه وهو بدل من قوله «بخيره سَنامًا» ومثله في إعادة حرف الجرّ في المبدل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾[3]، والمُصْعَب: الفحل الكريم الذي لا يُبْتَذَلُ في العوارضِ، بل يُقْصَرُ على الفِحْلَةِ، وقال الخليل: هو الَّذي لم يُرْكَبْ قَطُّ ولم يَمسَّه حَبْلٌ، ويقال: أُصْعِبَ الفَحْلُ فهو مُصْعَبٌ، وبه سُمِّيَ الرّجلُ إذا كان مُسَوَّدًا مُصْعَبًا، وقوله «كان فحلها» رجع الضمير إلى البَرْك: أي كان هذا القَرْم فَحْلَ هذه البَرْكِ، وهو طويل الظَّهر لم يَعْدُ هذه الحالة إلى ما وراءها فكان يَضْعُفُ.

١١ - فَخَرَّ وَظِيفُ القَرْمِ في نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عِقَالٌ لاَ يُنَشَّطُ عَاقِلُهْ[4]

«خَرَّ»: سقطَ، يخرُّ خُرُورًا، وخَرَّ الماء يَخِرُّ خَرِيرًا، وفي الكلام إضمار، كأنه قال: اتَّقاني بخيره فعَرْقَبْتُه فخرَّ وظيفُه، ويُروَى «فخرَّ وظيفَ القَوْمِ» وفاعل خَرَّ يكون السَّيف: أي عقرته فعمل السيف في وظيفه وأنْدَرَه في نصف ساقه، وقوله «لا يُنَشَّطُ عاقلُه» أي: لا يجعله أنشوطة، يقال: نَشَطْت العِقال، إذا شددته، وأنشطته، إذا حللته، ويجوز أن يجعل يُنَشط هنا في معنى يُنْشط: أي إن هذا العقال لا يحلُّ كما تحلُّ العقل، وهذا كما قال ابن مقبل: [البسيط]

يَا صَاحِبَيَّ عَلَى تَأْدِ سَبِيلِكُمَا عِلْمًا يَقِينًا أَلَمَّا تَسْمَعَا خَبَرِي
إِنِّي أُقَيِّدُ بِالمَأْثُورِ رَاحِلَتِي وَلاَ أُبَالِي وَإِنْ كُنَّا عَلَى سَفَرِ

١٢ - بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وبِمِثْلِهِ كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوائِلُهْ

أي: بهذا الفعل الذي وصفته وَصَّاني أبي، وموضع «كذلك» نصب على الحال، وانتصب «قديمًا» على الظّرف، والمعنى: إنِّي لَمْ أَرِثْ ذلك عن كَلاَلَةٍ، بل ورثته أبًا عن أبٍ.

---

(١) البيت للعباس بن مرداس في الحماسية رقم (١٥٢)، وصدره: «أكرّ وأحمى للحقيقة منهم».
(٢) القَرَى: الظَّهر. وشَقّ بازلُه: طلع سنّه وذلك سنّ يطلع للجمال في السنة التاسعة من أعمارها.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٥. (٤) الوظيف: مستدقّ الذّراع.

[٧٥٢] وقال النابغة الذبياني:

يقال: ذَبَتْ شَفَتُهُ، بمعنى ذَبَّتْ: أي ذَبَلتْ، فينبغي أن يكون ذُبْيَان منه.

١ ـ لَهُ بِفِنَاءِ البَيْتِ سَوْدَاءُ فَخْمَةٌ تُلَقَّمُ أَوْصَالَ الجَزُورِ العُرَاعِرِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «دَهْمَاء جَوْنة» يعني قِدرًا، وجعل اشتمالها على الأوصال كتلقُّمها إيّاها، والجَزُور مؤنّثة، وقد وصفها هنا بالعُرَاعر، وهو من وصف المذكّر، يقال: جملٌ عُرَاعر: أي عظيم الخلق، والجمع عَرَاعِر، وهذا البيت ينشد بفتح العين وضمّها: [الكامل]

خَلَعَ المُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ شَجَرُ العُرَى وَعَرَاعِرُ الأَقْوَامِ(١)

يعني بالعُرَاعِر السَّيِّد، وبالعَرَاعر السَّادات، ولمّا كان الجَزْرُ يقع على الذَّكَر والأُنثى جاء العراعر في بيت النابغة على وصف المذكر.

٢ ـ بَقِيَّةُ قِدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُوُرِّثَتْ لِآلِ الجُلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ

لم يوجد كابر في معنى كبير إلاّ في هذا المكان، وقد بَيَّنَ بذكر لفظة «بعد» أنّ «عن» في قولهم «كابرًا عن كابرٍ» بمعنى بعد، وكان أبو عليّ يقول: كابر ليس باسم الفاعل كالقاعد والقائم والجالس، وإنما هو اسم صيغ للجمع كالباقر والجامل، والمراد كُبَرَاء بعد كُبَرَاء.

٣ ـ تَظَلُّ الإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيحَهَا كَمَا ٱبْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ

القَدْحُ: الغَرْفُ، شبَّهَ تبادر الإماء نحو القِدر بتبادرِ بطونِ سعدٍ إلى تلك المياه، والقَديح: فَعيل بمعنى مفعول، وهو المَرَق المقدوح.

[٧٥٣] وقال الفرزدق(٢):

١ ـ وَدَاعٍ بِلَحْنِ الكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ سَجْفَا ظُلْمَةٍ وغُيُومُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يعني مستنبحًا تَكَلَّفَ نبحَ الكلب في صوته، وفعل ذلك إذ حال بينه وبين المناظر من اللَّيل سِتْرَانِ من الظُّلَم والتباسِ الغيوم.

---

(١) البيت للمهلهل في ديوانه ص ١٨٠؛ ولسان العرب (عرر، عرا)؛ وتهذيب اللغة ١/ ١٠٣ و٣/ ١٥٩؛ وتاج العروس (عرر، وعرا)؛ ومقاييس اللغة ٤/ ٣٧؛ وجمهرة اللغة ١٩٧، ١٧٧٥، ١٢١٣؛ وكتاب العين ٢/ ١٥؛ والمخصّص ٢/ ١٦٤ و١٥/ ١٧٧؛ وللبيد في أساس البلاغة (عري) وليس في ديوانه.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٢٨).

٢ ـ دَعَـا وَهْـوَ يَـزجُـو أنْ يُـنَـبِّـهَ إذْ دَعَـا فَتًى كابْنِ لَيْلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومُهَا

٣ ـ بَعَـثْـتُ لَـهُ دَهْـمَـاءَ لَـيْـسَـتْ بِـلِـقْـحَـةٍ تَـدُرُّ إذَا مَـا هَـبَّ نَـحْـسًـا عَـقِـيـمُـهَـا

«ليست بِلِقْحَةٍ» أي: ليست هي بناقة، وإنّما هي قِدْرٌ تُدِرُّ بمَرَقِها إذا هَبَّ عقيم الرّياح بالنَّحسِ، ويعني به الدَّبور؛ لأنها لا تلقحُ وبها هلكت الأمم السَّالفة، وجواب رُبَّ المضمَرة في قوله ودَاعٍ قوله «بعثتُ له دهماء» وقد اعترض بينهما بيت.

٤ ـ كَـأَنَّ الـمَـحَـالَ الـغُـرَّ فـي حَـجَـرَاتِـهَـا عَذَارَى بَدَتْ لَـمَّـا أُصِـيـبَ حَـمِـيـمُـهَـا

جعل المَحَال وهي فِقَرُ الظَّهْرِ والواحدة مَحَالة في نواحي القِدر وجوانبها لِسمنها وبياضِها مع تَضَمُّنِ القِدْرِ السَّوداء لها كأبكار النِّساء وقد لبسنَ ثياب السِّلابِ لمّا أُصِبْنَ بحميمهنَّ، وذلك أنهنَّ يَلْبَسْنَ السَّوادَ ووجوههن تشرقُ بياضًا، شَبَّهَ قِطَعَ السَّنَام في القِدر بالجواري يبرزنَ عند المصيبة بحميمهنَّ، وقطعُ السَّنَام بِيضٌ والقِدْرُ سوداء، وأيضًا فإنَّ العَذَارى تبلُّ الدموعُ وجوههنَّ وقِطَعُ السَّنَامِ في ماء القِدْرِ بمنزلة وجوه العذارى في الدّموع، وحَجَراتها: نواحيها، ويقال: قعد فلانٌ حجرة فيجعل ظرفًا.

٥ ـ غَـضُـوبًـا كَـحَـيْـزُومِ الـنَّـعَـامَـةِ أُحْـمِـشَـتْ بِأَجْوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيـمُـهَـا(1)

جعل غليانها غضبًا لها كحيزوم النَّعامة، وهو صَدرُها، وقيل: غضوب بمعنى المحال، جعلها غضوبًا لِغليانها، ونصب «غضوبًا» ردًّا إلى دهماء؛ وإحماش النار: إلهابها، و«أحمشت القدر» إذا أشبعت وقود النار تحتها حتى تغلي، ومنه «حَمِشَ الشَّرُّ والغضبُ» اشْتَدَّ، وقوله «بأجواز خُشبٍ» جَوْزُ كلّ شيء: وسطه، وإنما أراد الغلاظ من الحطب.

٦ ـ مُـحَـضَّـرةٌ لاَ يُـجْـعَـلُ الـسِّـتْـرُ دُونَـهَـا إِذَا الـمُـرْضِـعُ الـعَـوْجَـاءُ جَـالَ بَـرِيـمُـهَـا

«مُحَضَّرةٌ» أي لا يُمْنَعُ منها أحدٌ، والعوجاء: التي اْعْوَجَّتْ هزالاً وجوعًا، والبَريم: خيط أو سير يُنْظَمُ فيه خرزٌ فتشدّه النساء في أوساطهنَّ، وإنّما يجول البريم إذا أثّر الهزال فيها.

[٧٥٤] وقال شُريح بن الأحوص(2) بن جَعْفَرِ بن كلاب:

١ ـ ومُـسْـتَـنْـبِـحٍ يَـبْـغِـي الـمَـبِـيـتَ ودُونَـهُ مِنَ الـلَّـيْـلِ سِـجْـفَـا ظُـلْـمَـةٍ وسُـتُـورُهَـا

---

(١) عند المرزوقي: «غضوبٌ».

(٢) شريح بن الأحوص: شاعر من شعراء الجاهلية وأمير من أمرائها وكان والده الأحوص رئيس بني عامر يوم رحرحان الثاني وهو يوم لبني عامر بن صعصعة على بني تميم، وكان شريح رئيس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم. ترجمته في (الأغاني ١٠/ ٣٢).

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ستورها: ستورُ الظُّلْمَة وزيادة ظلمتها، ويُروَى «كسورها» والكسْر: جانب البيت من مؤخّره، وهو الذي يثنى فيكسر عند الرفع.

٢ ـ رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا — زَجَرْتُ كِلابِي أَنْ يَهِرَّ عَقُورُهَا

يريد أن لا يهرَّ عَقُورها، فإن قيل: لِمَ جَعَلَ في كلابه العقور حتى احتاج إلى زجره عن ضيفه؟ قلت: كأنّه كان في الكلاب ما لم يكنْ يلزم الفناء وإنّما يكون مع الراعي في السَّرح للحفظ، فاتّفق أن حضرَ مع كلابِ الحيِّ، فلذلك احتاج إلى زجره، وموضع قوله «أن يَهِرَّ» نصب على البدل من كلابي.

٣ ـ فَبَاتَ وإنْ أَسْرَى مِنَ اللَّيلِ عُقْبَةً — بِلَيلَةِ صِدْقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا

وانتصب «عقبة» على الظرف، وأصلها أن يتعاقبَ اثنانِ على بعيرٍ، فإذا ركبَ أحدُهما مَشَى الآخَر، ثم كَثُر استعماله فأُجْرِيَ مجرى النَّوبَةِ والفرصة.

[٧٥٥] وقال مِسْكِينٌ الدَّارِمِيّ[١]:

قال أبو العلاء: اسم مسكين عمرو، ويقال: إنّما سُمِّيَ مسكينًا بقوله: [الطويل]

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَلَيْسَتْ لِحَاجَةٍ — وَإِنِّي لَمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبُ

قال: هكذا يزعمُ النَّاس، وليس في هذا البيت دليلٌ على أنه سُمِّيَ به وإنّما هو اعتذارٌ من هذا الاسم، والمعروف في مِسكين كسر الميم، وحكى الفراء فتحها.

١ ـ كَأَنَّ قُدُورَ قَوْمِي كُلَّ يَوْمٍ — قِبَابُ التُّرْكِ مُلْبَسَةَ الجِلالِ

الأول من الوافر.

جعل القدور لِكبرها مشبَّهة بخركاهات[٢] الترك وقد جُلِّلَتْ وأُلْبِسَتْ أَغطية سوداء، وانتصب «ملبسة الجلال» على الحال.

٢ ـ كَأَنَّ المُوفِدِينَ بِهَا جِمَالٌ — طَلاهَا الزِّفْتَ والقَطِرَانَ طَالِي

يريد بالموفدين المزاولين لها في نصبها وإنزالها وطبخها، والموفد: المشرِف على الشّيء العالي عليه، ومَنْ روى «كأنَّ الموقِدين لها» فظاهر حسن، من قولك «أوقدْ لِقِدْرِكَ» أي: تحتها، وشَبَّهَ الطَّبَّاخين بالجِمال المطليّة بالقطران لأنه يدلُّ على كثرة الطبخ.

٣ ـ بِأَيْدِيهِمْ مَغَارِفُ مِنْ حَدِيدٍ — أُشَبِّهُهَا مُقَيَّرَةَ الدَّوَالِي[٣]

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٠١). (٢) خركاهات: جمع خركاه: كلمة فارسية.

(٣) المُقَيَّرَة: المطلية بالقار وهو الزفت. والدّوالي: جمع الدالية: وهي الدّلو يُسْتَقى بها.

شَبَّهَ المغارفَ بِالدَّوَالِي لِكبرها وسِعَتِها، وموضع قوله «أُشَبِّهها مُقَيَّرة الدَّوالي» رفع على الصفة للمغارف.

[٧٥٦] **وقال العُكْليّ:**

عُكْل: اسم أَمَة حضنت أبا بطنٍ من العرب فسمّي بها، كذا ذكر ابن الكلبيّ، وهو من قولهم: عَكَلْتُ الشّيءَ أَعْكِلُه وأعْكُلُه عَكْلاً، إذا جمعته بعد تفرقةٍ، قال: [الكامل]

وَهُمُ عَلَى هَدَفِ الأَمِيلِ تَدَارَكُوا نَعَمًا يُشَلُّ إلَى الرَّئِيسِ وَيُعْكَلُ(١)

١ ـ أَعَاذِلَ بَكِّينِي لأَضْيَافِ لَيْلَةٍ نَزُورِ القِرَى أَمْسَتْ بَلِيلاً شَمَالُها

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«نزور القِرى» أي قليل القِرى: أي يَقلُّ مَنْ يَقْرِي فيها، وبَليلاً: باردة مع مطر.

٢ ـ أَعَامِرُ مَهْلاً لاَ تَلُمْنِي ولاَ تَكُنْ خَفِيًّا إذَا الخَيرَاتُ عُدَّتْ رِجالُها

انتقاله من ذكر اللائمة إلى مذكّر، مثله قول تأبّط شرًّا: [البسيط]

بَلْ مَنْ لِعَذَّالَةٍ خَذَّالَةٍ أَشِبٍ حَرَّقَ باللَّوْمِ جِلْدِي أَيَّ تَحْرَاقِ(٢)

ثم قال:

عَاذِلَتَا إنَّ بَعْضَ اللَّوْمِ مَعْنَفَةٌ(٣)

جمع على نفسه لائمًا ولائمة، فيقول: يا عامر، رِفْقًا في عَتْبِكَ ولا تكنْ خَفِيًّا، يقول: اتَّخِذْني أُسْوَةً، واعمل على أن تكونَ سامي الذِّكْرِ عالي الصِّيتِ، حتى لا يَخْفَى أمرُكَ إذا عُدَّتْ رجالُ الخيرات، وأشار بالخيرات إلى الخصال الشَّريفة وواحدها خيرة، وليست هذه التي تكون في موضع أفعل من كذا، ومعناه كقولك فلانٌ خيرٌ من فلانٍ، بل هي الواردة في قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾(٤) وفي قول الشّاعر: [المنسرح]

وَأُمُّهَا خَيْرَةُ النِّسَاءِ عَلَى مَا خَانَ مِنْهَا الدِّحَاقُ وَالأَتَمُ(٥)

٣ ـ أَرَى إِبِلِي تَجْزِي مَجَازِيَ هَجْمَةٍ كَثِيرٍ وَإِنْ كَانَتْ قَلِيلاً إِفَالُهَا

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ط بيروت ١٥٨/٢؛ وتاج العروس (عكل)؛ واللسان والمقاييس (عكل)؛ وفي تاج العروس: «تُشَلُّ، وتُعْكَلُ».

(٢) هو البيت العشرين في المفضليّة الأولى. والعَذَّالة: الكثيرة العذل؛ والخَذَّالة: الذي يكثر خذلان صاحبه والتاء للمبالغة. والأَشِب: المخلط المعترض.

(٣) وعجزه: «وهلْ مَتَاعٌ وإنْ أبقيتُهُ باقِ». وهو البيت (٢٢) من المفضلية الأولى.

(٤) سورة الرحمٰن، الآية: ٧٠.

(٥) البيت في مقاييس اللغة (دحق) بدون نسبة.

أي: تقوم مقام الهَجْمَة، وهي القطعة من الإبل إلى المائة، وقال «كثير» وهو نعت هَجْمَةٍ لأنَّ فَعِيلاً قد كثر في نعت المؤنّث بغير هاء، وإفال: جمع أفيل، وهو ابن مخاض، والأنثى أفيلة.

٤ - مَثَاكِيلُ مَا تَنفَكُّ أَرْحُلَ جُمَّةٍ تُرَدُّ عَلَيْهِمْ نُوقُهَا وجِمَالُهَا

مثاكيل: جمع مِثْكَال، وهي النّاقة التي اعتادتْ أن تَثْكَلَ ولدها بموتٍ أو نحرٍ أو هِبَةٍ، والجُمَّة: الجماعة ترد في الحَمَالة والصّلح وغيرهما، قال: [الرجز]

وَجُمَّةٍ تَسْأَلُنِي أَعْطَيْتُ[1]

جعله اسم الجماعة من النّاس وإنْ وردوا لغير ذلك القَصْد، وقوله «ترد عليهم نوقها وجمالها» يقول: لا تزالُ أَرْحُلُ جماعة من الناس، وهو جمع رَحْل، أي: مثواهم، ومنه قولهم: عاد إلى رَحْلِهِ: أي إلى منزله، وفي الحديث «إذا ابْتَلَّت النّعال فالصّلاة في الرِّحال» أي: لا تزال مَأْوَى جماعة تصرف إليهم إذا وردوا ذكورها وإناثها أما إناثها فللحالب وأما ذكورها فللفحل.

[٧٥٧] وقال جابر بن حَيَّان[2]:

١ - فَإِنْ يَقْتَسِمْ مَالِي بَنِيَّ وَإِخْوَتِي فَلَنْ يَقْسِمُوا خُلْقِي الكَرِيمَ وَلاَ فِعْلِي

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

يقول: إن اقتسمَ مالي أولادي فلن يقتسموا ما تَفَرَّدْتُ به من خُلُقٍ كريم أعدّه لِزوّاري.

٢ - أُهِينُ لَهُم مَالِي وأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأُورِثُهُ الأَحْيَاءَ سِيرَةَ مَنْ قَبْلِي

أُهِينُ لهم: أي لِلزُّوّار والأضياف، والهاء في «سأورثه» ضمير المال: أي سأورثُ مالي الأحياءَ، كأنه قال: أسيرُ فيما أتركُه سيرة أسلافي والنّاس قبلي، يقال: سَارَ سِيرَةً حَسَنَةً، يُشَارُ بها إلى الحالة المعتادة مِمّا جرى مجرى الشِّيَم والعادات.

٣ - وَمَا وَجَدَ الأَضْيَافُ فِيمَا يَنُوبُهُمْ لَهُمْ عِنْدَ عِلاَّتِ الزَّمَانِ أَبًا مِثْلِي

عِلاّت الزّمانِ: مكارهه وشدائده، وجعل نفسه أبًا لِلأضياف لأنه يحنو عليهم حُنُوَّ الأبِ، وهذا على عادتهم في تسمية المضيف «أَبَا المَثْوَى» قال أبو العِيال

(١) الرجز لأبي محمد الفقعسي كما في اللسان (جمم) وبعده:

وسائل عن خبر لويت فقلت لا أدري وقد دريت

(٢) المرزوقي: «جابر بن حُبَاب».

الهذلي: [الوافر]

أَبُــو الأَيْــتَــامِ وَالأَضْــيَــا فِ سَــاعَــةَ لا يُــعَــدُّ أَبُ[1]

[٧٥٨] وقال حاتم[2]:

١ ـ وَعَــاذِلَــةٍ قَــامَــتْ عَــلَــيَّ تَــلُــومُــنِــي كَــأَنِّي إِذَا أَعْــطَــيْــتُ مَــالِــي أَضِــيــمُــهَــا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

ويُروَى «وعَاذلة هَبَّتْ بِليلٍ» أي: قامت من نومها، وإنّما قال «هَبَّتْ بليلٍ تلومني» لأنها لا تتمكّنُ بالنَّهار لاشتغاله بخدمة الأضياف، فانتهزت الفرصة ليلاً لتلومه على بذل ماله، وأضيمها: أظلمها.

٢ ـ أَعَــاذِلَ إِنَّ الــجُــودَ لَــيْــسَ بِــمُــهْــلِــكِــي وَلاَ مُخْلِدِ النَّفْسِ الشَّحِيحَةِ لُومُهَا[3]

«عاذلة» في البيت الذي قبله انجرَّ بإضمار رُبَّ، وجوابه يجوز أن يكون «قامت عَلَيَّ»، و«تلومني» في موضع الحال، ويجوز أن يكون الجواب محذوفًا كأنه قال: قلت لها أعاذل إنَّ الجود ليس بمهلكي؛ لأنَّ «قامت عَلَيَّ» من صفة العاذلة، وقوله «كأنّي إذا أَعْطيتُ مالي أَضيمها» اعتراض وقع بين رُبَّ وجوابه، والمجرور بِرُبَّ أكثر ما يجيء يجيءُ موصوفًا، ويجوز أن يكون قوله «كأنّي إذا أعطيت مالي أضيمها» الجوابَ، ثم أقبل عليها يخاطبها.

٣ ـ وتُــذْكَــرُ أَخْــلاَقُ الــفَــتَــى، وَعِــظَــامُــهُ مُــغَــيَّــبَــةٌ فِــي الــلَّــحْــدِ بَــالٍ رَمِــيــمُــهَــا

البالي والرَّمِيم واحد، إلاَّ أنه جاء بالرميم مصدرًا لِرَمَّ يرمُّ فعلى هذا معناه بالٍ بلاها، وهو من باب جنونك مجنونٌ.

٤ ـ ومَنْ يَبْتَدِعْ مَا لَيْسَ مِنْ خِيمِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَيَغْلِبْهُ عَلَى النَّفْسِ خِيمُهَا

الخِيمُ: الطَّبيعة. قال أبو عبيدة: هي فارسية معرَّبة، يقول: مَنْ تَكَلَّفَ ما ليسَ من خلقه فارقه المُسْتَحْدَثُ وعاوده المتقدّم، ومثله: [الطويل]

وَمَنْ يَبْتَدِعْ خُلْقًا سِوَى خُلْقِ نَفْسِهِ يَدَعْهُ وَتَرْجِعْهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ[4]

[٧٥٩] وقــال:

١ ـ أَكُــفُّ يَــدِي عَــنْ أَنْ يَــنَــالَ الْــتِــمَــاسُــهَــا أَكُــفَّ صِــحَــابِــي حِــيــنَ حَــاجَــتُــنَــا مَــعًــا

(١) ديوان الهذليين ٢/ ٢٤٤.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٢٩).

(٣) المرزوقي: «ولا يُخلِدُ النَّفسَ».

(٤) البيت للمخضع القيسي كما في حواشي الحماسية (٧٤٨).

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«أَكُفُّ يَدي» أي: أقبضُها إذا جلسنا على الطّعام إيثارًا لهم وخوفًا أن يفنى الزَّادُ، وقيل: معناه لا أُجَاوِزُ ما بين يدي إذا أكلتُ، والأول الوجه، وقوله «حاجتنا معًا» أي: كُلُّنا جائعٌ، فحاجته إلى الطَّعام كحاجة صاحبه، و«معًا» نصب على الحال، وإنَّما كان الجيد الوجه الأول لقوله:

٢ - أَبِيتُ هَضِيمَ الكَشْحِ مُضْطَمِرَ الحَشَا   مِنَ الجُوعِ أَخْشَى الذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا

فهذا يدلُّ على كَفِّهِ عن الأكلِ إيثارًا لِلأَكيل على نفسه، و«مضطمر الحشا» مفتعل من الضُّمر، «أَخْشَى الذَّمَّ» يقول: لا أمتلىءُ طعامًا مخافةَ أن أذمّ عليه، وقوله «حين حاجتنا معًا» حاجتنا: مبتدأ، ومعًا: سدَّ مسدَّ الخبر، وإن كان في موضع الحال، لأنَّ المصادر إذا ابْتُدِىءَ بها وقعت الأحوال أخبارًا لها، كقولك: ضربي زَيْدًا قائمًا، وكذلك المضاف إلى المصدر، تقول: أكثر ضربي زيدًا قائمًا، وانتصب «حين» على الظرف، وقد أُضيف إلى الجملة بعده، والعامل فيه «أكفُّ يدي»، وليس لأحد أن يقول في قوله «أكفُّ يدي»: إن انقباضه يؤدّي إلى انقباض أكيله، وذلك مذموم، وإنّما المحمود أن يبسطَ في الأكل ويبسط من أكليه، وذلك أنه بَيَّنَ الغرضَ في البيت الذي يجيء بعد:

٣ - وإنِّي لأَسْتَحْيِي رَفِيقِيَ أَنْ يَرَى   مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

«أقرع»: أي: خالٍ من الطعام، وأصل القرع خُلُوُّ بعض الرَّأس من الشَّعر، ثم اسْتُعْمِلَ في غيره، فقيل: فناءٌ أقرعٌ، إذا خلا من الإبل، وفي دعاء العرب: نعوذُ بالله من صفر الإناء، وقرع الفناء، يقول: إنّي لأَستحي ممّن يؤاكلني أن يرى ما يليني من المائدة والسّفرة خاليًا، فلهذا لا أكثر.

٤ - وإنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ   وَفَرْجَكَ نَالاَ مُنْتَهَىٰ الذَّمِّ أَجْمَعَا

موضع «أجمع» من الإعراب جَرٌّ على أن يكون تأكيدًا لِلذَّمِّ وهو إلى التأكيد أحوج من قوله «منتهى» لأنه متناول للجنس، والعموم وما يفيده في الجنس أولى، و«السُّول» يجوز أن يكون من سَوَّلَتْ له نفسُه كذا، إذا زَيَّنَت له، وسَوَّل الشَّيطانُ كذا، إذا أرخى حَبْلَهُ فيه، وفي القرآن ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾(١) وقال الهذليّ: [السريع]

سَحٌ نَجَاءِ الحَمِلِ الأَسْوَلِ(٢)

فوصف السَّحاب لتَدلّيه واسترخائه.

(١) سورة محمد، الآية: ٢٥.

(٢) هذا عجز بيت للمتنخّل الهذليّ في ديوان الهذليين ٢/ ١٠؛ واللسان (سول)، وصدره: «كالسُّحُلِ البِيضِ جَلا لَوْنَهَا».

[٧٦٠] وقال أيضًا:

١ ـ أَمَا والَّذِي لاَ يَعْلَمُ السِّرَّ غَيْرُهُ ... ويُحْيِي العِظَامَ البِيضَ وَهْيَ رَمِيمُ[١]

٢ ـ لَقَدْ كُنْتُ أَخْتَارُ القِرَى طَاوِيَ الحَشَا ... مُحَافَظَةً مِنْ أَنْ يُقَالَ لَئِيمُ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

انتصب «محافظة» على أنه مفعول له، و«طاوي الحَشَا» انتصب على الحال ويُرْوَى «محاذرة» وإذا رويت «القِرى» فالمراد به قِرَى الضَّيف، والمعنى: إنّي أقري الضَّيْفَ وأنا طاوي الحَشَا لأنّي أُوثِرُه على نَفْسي، ويُرْوَى «القَوَى» ويفسّرونه بالجوع وقلّة الزاد، وهو راجع إلى قولهم: أَقْوَى القوم؛ إذا فَنِيَ زَادُهم، ومنه قول الشّاعر: [الطويل]

سَواءٌ إذَا لَمْ يَجْنِ أَمْرٌ دَنِيَّةً ... عَلَيَّ تَقَاوِي لَيْلَةٍ وَنَعِيمُهَا

وكان أحدُهم ربّما أطفأَ النَّارَ وأمسكَ عن الأكلِ وأوْهَمَ الضَّيْفَ أنّه يأكلُ لِيشبعَ الضَّيف، وهذا معنى قوله:

٣ ـ وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي يَمِينِي وَبَيْنَهَا ... وَبَيْنَ فَمِي دَاجِي الظَّلاَمِ بَهِيمُ

البهيمُ: الذي لا وَضَحَ فيه.

[٧٦١] وقال رجل من آل حرب:

ذكر المدائنيّ أنَّ السَّفَّاحَ أمرَ بقتل رجل من بني أُمية فتبعته امرأته وابنه الصغير، فجعل يفرّقُ أموالَه وامرأته تقول: ولدك ولدك، فقال:

١ ـ بَاتَتْ تَلُومُ وَتَلْحَانِي عَلَى خُلُقٍ ... عُوِّدْتُهُ عَادَةً والجُودُ تَعْوِيدُ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

يقول: إذا جعلَ اللّهُ الجودَ عادة إنسان لم يمكنه مفارقته ولا ينفعُ اللّوم فيه.

٢ ـ قَالَتْ أَرَاكَ بِمَا أَنْفَقْتَ ذَا سَرَفٍ ... فِيمَا فَعَلْتَ فَهَلاَّ فِيكَ تَصْرِيدُ

التَّصريد: التقليل من كلِّ شيء، يقال: صرد له عطاءه: أي أعطاه قليلاً قليلاً.

٣ ـ قُلْتُ أَتَرْكِينِي أَبِعْ مَالِي بِمَكْرُمَةٍ ... يَبْقَى ثَنَائِي بِهَا مَا أَوْرَقَ العُودُ

«ما أورقَ العُودُ» في موضع الظَّرف، وقوله «ثنائي بها» أضاف المصدر إلى المفعول، والمراد ثناء النَّاس عَلَيَّ، وقال «أَبِعْ مَالي» والمال ثمن المبيعات لأنَّ المتبايِعَيْنِ كلٌّ منهما يبيع ويشتري.

---

(١) الرميم: البالية.

٤ ـ إنَّا إذَا مَا أَتَينَا أَمرَ مَكْرُمَةٍ   قَالَتْ لَنَا أَنفُسٌ حَرْبِيَّةٌ: عُودُوا

أي: إذا فعلنا مكرمةً عُدْنَا إلى فعلِ مَكْرُمَةٍ أُخرى؛ لأنَّ فعل المكارم عادتنا فأنفسنا تدعو إلى العَوْدِ.

[٧٦٢] وقال أبو كَدْرَاء العِجْليّ[1]:

هي تأنيث أكدر، يوم أكدر، وليلة كدراء، وغدير أكدر، ونطفة كدراء، وكَدِرة، وكَدَر الماء، وكَدِر، وكَدُر، وقيل: الكدراء موضع.

١ ـ يَا أُمَّ كَدْرَاءَ مَهْلاً لاَ تَلُومِينِي   إنِّي كَرِيمٌ وإنَّ اللَّوْمَ يُؤْذِينِي

٢ ـ فَإنْ بَخِلْتُ فَإنَّ البُخْلَ مُشْتَرَكٌ   وإنْ أَجُدْ أُعْطِ عَفْوًا غَيرَ مَمْنُونِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «فإنَّ البخلَ مشترَكٌ» إنْ شئتَ جعلته على حذف المضاف، ويكون المراد فإنَّ ذا البُخل، وإن شئت جعلته المفعول، كما يقال «الخَلْق» والمراد المخلوق، و«المَمنون» يجوز أن يكون من المَنّ وهو القَطْع: أي أُدِيمُ ذلك إدامةَ مَنْ تَصَرَّفَ في مُلْكِه لا مَنْ يتصرَّفُ في مشتركه، ويجوز أن يكون من المنِّ والأذى، وقال بعضهم: أراد بقوله «إنَّ البخلَ مُشترَكٌ» أي إنَّ النَّاسَ أكثرهم بُخَّال ليكون لي شركاء، وهذا كلامُ مُعتذِرٍ من البخل، لا كلامُ ذامٍّ له، ومع ذلك فعجز البيت يبعدُ عنه ولا يلائمه، وقد أبان الغرضَ في قوله:

٣ ـ لَيسَتْ بِبَاكِيَةٍ إبْلِي إذَا فَقَدَتْ   صَوْتِي وَلاَ وَارِثِي في الحَيِّ يَبْكِينِي

أي: لا أُبقي على إبلي ولا أُبَقِّي منها إلاَّ ما يَفْضُلُ عن إفضالي.

٤ ـ بَنَى البُنَاةُ لَنَا مَجْدًا ومَكْرُمَةً   لاَ كَالبِنَاءِ مِنَ الآجُرِّ وَالطِّينِ

يقول: إنَّ أسلافي بَنَوْا لي مجدًا وكرمًا فأحتاجُ أنْ أقتديَ بهم وأَعْمُرَ خِطَطَهم وإنْ لم تكنْ كالبِنَاءِ من الآجُرِّ والطِّينِ؛ لأنَّ المكارمَ تَسْتَرِمُّ فتدعو إلى تَفَقُّدِها، بخلاف ما تتفقَّد به المصانع إذا استرَمَّتْ.

[٧٦٣] وقال عُتْبَة بن بُجَير:

وقيل: إنه لمسكين الدَّارمي.

١ ـ لِحَافِي لِحَافُ الضَّيفِ والبيتُ بَيتُهُ   ولَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ

---

(١) أبو كدراء: هو زيد بن ظالم، أحد بني مالك بن ربيعة بن لجيم (المؤتلف للآمدي ص ١٧١).

٢ ـ أُحَـدِّثُـهُ إنَّ الـحَـدِيـثَ مِـنَ الـقِـرَى   وتَـعْـلَـمُ نَـفْـسِـي أنَّهُ سَـوْفَ يَـهْـجَـعُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: أُوثره بمكاني وثيابي، ولا يشغلني عنه الأهلُ والولدُ، وقوله «وتعلم نفسي» أي: تعلمُ وقتَ هجوعه فلا أملّه، فإن قيل: كيف يحمدُ بقوله «إن الحديث من القِرى» وقد قال غيره في إنزال الضَّيْفِ «ولم أَقْعُدْ إليه أُسائله»[(١)] قلت: ليس قوله «أُحَدِّثه» مما انتفى منه ذلك في قوله «ولم أقعد إليه أسائله» لأنَّ ذلك أشار إلى ابتداء النزول، وذلك وقت الاشتغال بالضِّيافة، وهذا يريد أنه يحدِّثُه بعد الإطعام، كأنه يسامِرُهُ حتَّى تطيبَ نفسُه، فإذا رآه يميلُ إلى النَّوم خَلاّه.

[٧٦٤] وقال عَمْرو بن أحمر الباهليّ[(٢)]:

١ ـ وَدُهْـمٍ تُـصَـادِيـهَـا الـوَلائِـدُ جِـلَّـةٍ   إذَا جَـهِـلَـتْ أَجْـوَافُـهَـا لَـمْ تَـحَـلَّـمِ[(٣)]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أراد بِالدُّهْم: قُدُورًا سوداء، ومعنى تُصَاديها: تداريها في النّصب والإنزال، وشبّهها بالدُّهْم الجلّة من الإبل، ووصف شدّة غليانها وجعله جهلاً لأجوافها.

٢ ـ تَـرَى كُـلَّ هِـرْجَـابٍ لَـجُـوجٍ لِـهَـمَّـةٍ   زَفُـوفٍ بِـشِـلْـو الـنَّـابِ هَـوْجَـاءَ عَـيْـلَـمِ

لمَّا وصف القدور وجعلها مثل الإبل حَسُنَ أن يصفَ القِدْرَ بالهِرْجَاب لأنَّ الهِرجابَ من صفات النوق، وهي الطويلة على وجه الأرض، وقيل: السَّريعة، وإنما يريد بها هٰهنا العِظَم وسرعة إنضاج اللَّحم، و«لِهِمَّة» أي: تلتهمُ ما يُلْقَى فيها، والالتهام: الابتلاع، وزَفُوف: من صفات النّوق، وهي الحَسَنَةُ المشي السَّريعة، أراد أن شِلْوَ النَّابِ يذهبُ ويَجِيءُ في الغَلَيان فكأنَّ القِدْرَ تَزِفُّ به، و«عَيْلَم» أراد أنَّ مَرَقَها كثيرٌ، شَبَّهَها بالماء العَيْلَم: أي الكثير الغَمْر.

٣ ـ لَـهَـا لَـغَـطٌ جِـنْـحَ الـظَّـلامِ كَـأَنَّـهُ   عَـجَـارِفُ غَـيْـثٍ رَائِـحٍ مُـتَـهَـزِّمِ[(٤)]

---

(١) قطعة من بيت للنمري في الحماسية رقم (٧٥١)، وتمامه:

فقلتُ له: أهلاً وسهلاً ومرحبًا   رشِدْتَ، ولم أَقْعُدْ إليه أسائِلُهْ

(٢) عمرو بن أحمر بن العَمَرَّد الباهلي، أبو الخطّاب: شاعر مخضرم، كان من شعراء الجاهلية وأسلم، غزا مغازي في الروم وأُصيبت إحدى عينيه. عَدَّه ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين (ت نحو ٦٥ هـ/ ٦٨٥ م). ترجمته في: (الإصابة ٦٤٦٨؛ والمرزباني ص ٢١٤؛ والأغاني ٨/ ٢٣٤؛ والشعر والشعراء ص ١٢٩).

(٣) الولائد: جمع الوليدة: هي الأمَة. والجلّة: العظيمة الكبيرة. والواو: واو رُبَّ.

(٤) المرزوقي: «كأنّها».

اللَّغَطُ: اختلاطُ الأصواتِ، يقال: لَغَطٌ ولَغْطٌ، وعجَارِفُ غَيْثٍ: أي مجيئه بِالرَّعْدِ والرِّيح، ومُتَهَزِّم: له هَزِيم، وهو صوت الرَّعد.

٤ ـ إذَا رَكَدَتْ حَوْلَ البُيُوت كَأَنَّمَا تَرَى الآلَ يَجْرِي عَنْ قَنَابِلَ صُيَّمِ(١)

شَبَّهَ ما يجري من الإهالة في هذه القُدور بِالسَّرابِ يجري فيزلّ عن متون الخيلِ، ويحتمل أن يكونَ أراد تشبيه ما يرتفع من بخارها حول البيوت بالآلِ الذي يجري على خيلٍ قيام.

[٧٦٥] وقال المَرَّارُ الفَقْعَسِيُّ(٢):

١ ـ آلَيْتُ لاَ أُخْفِي إذَا اللَّيلُ جَنَّنِي سَنَى النَّارِ عَنْ سَارٍ ولاَ مُتَنَوِّرِ(٣)

٢ ـ فَيَا مُوقِدَيْ نَارِي ارْفَعَاهَا لَعَلَّهَا تُضِيءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيلِ مُقْتِرِ(٤)

٣ ـ وَمَاذَا عَلَيْنَا أنْ يُوَاجِهَ نَارَنَا كَرِيمُ المُحَيَّا شَاحِبُ المُتَحَسَّرِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«شاحبُ المُتَحَسَّر» أي: متغيِّر ما يبدو منه، كالوجه واليد والرجل، وإنما شحبَ لِتَعبِ السَّفَرِ.

٤ ـ إذَا قَالَ مَنْ أَنْتُمْ لِيَعْرِفَ أَهْلَهَا رَفَعْتُ لَهُ بِاسْمِي ولَمْ أَتَنَكَّرِ

أي: رفعتُ صوتي باسمي: أي خَبَّرْتُهُ بِاسمي، ولم أتنكَّرْ لِيجوزني إلى غيري.

٥ ـ فَبِتْنَا بِخَيْرٍ مِنْ كَرَامَةِ ضَيْفِنَا وَبِتْنَا نُهَيِّي طُعْمَهُ غَيْرَ مَيْسِرِ(٥)

من كرامة ضيفنا، أي: من فضل ما نَحَرْنا له من الإبل، ويجوز أن يكون المراد أنَّا لمّا أكرمناه اطمأنَنَّا وسَكَنَّا، فجعل ذلك خيرًا نالوه، وبِتنا نهدي لجيراننا «غير ميسرِ»: أي لم يكنْ مِمَّا ضُرِبَ عليه بِالقِداح، والطُّعم: الطَّعام، بَيَّنَ أنه لم يَنْحَرْها لِقِمَارٍ فيكون له فيها شركاء، بل نحرها لِلضَّيفِ ليكون أحمد، وجائز أن يكون معنى «كرامة ضيفنا» إكرامنا له بالنَّحْرِ فوضع الاسم مكان المصدر، وجائز أن يريد بقوله «من كرامةِ ضَيْفِنا» بقصدِه إيَّانا وثِقَتِنا بِشُكْرِه، وقد كان في العرب مَنْ إذا نزلَ به ضيفٌ في الجدب ضربوا بِالقِداح على الجزور فمَن فازَ قِدْحُهُ تَوَلَّى قِرَى الضَّيفِ، ويُرْوَى «نُهَدِّي هِدْيَةَ غَيْرَ مَيْسِرِ».

(١) الآل: السّراب. والقنابل: جماعات الخيل. والصُّيَّم: الواقفات من الخيل.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٠٣).
(٣) جَنَّه الليل: ستره. والسَّنا: الضوء. والسّاري: المسافر ليلاً.
(٤) المقتِر: البائس المفتقِر.
(٥) المرزوقي: «طُعْمَةً».

[٧٦٦] وقال عُرْوة بن الوَرْد العَبسيّ[١]:

١ - أَرَى أُمَّ حَسَّانَ الغَدَاةَ تَلُومُنِي تُخَوِّفُنِي الأَعْدَاءَ والنَّفْسُ أَخْوَفُ[٢]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: الموت يَلْحَقُ المقيم كما يلحقُ المسافر.

٢ - لَعَلَّ الَّذِي خَوَّفْتِنَا مِنْ أَمَامِنَا يُصَادِفُهُ فِي أَهْلِهِ المُتَخَلِّفُ

قوله «خَوَّفتِنَا» حذف الضَّمير العائد إلى الَّذي منه استطالةً للاسم بِصلته، وموضع «يصادفه» رفع على أن يكون خبر لعلَّ، و«في أهله» تعلّق الجار منه بفعل مُضْمَر، وموضعه نصب على الحال: أي يصادفُه المتخلِّف مقيمًا في أهله ومستقرًّا.

٣ - إذا قُلْتُ قَدْ جَاءَ الغِنَى حَالَ دُونَهُ أَبُو صِبْيَةٍ يَشْكُو المفَاقِرَ أَعْجَفُ

المفاقر: جمع فَقْر على غير قياس، مثل عَيْب ومَعَايب، وأعجف: هزيل من الضّر.

٤ - لَهُ خَلَّةٌ لاَ يَدْخُلُ الحَقُّ دُونَها كَرِيمٌ أَصَابَتْهُ حَوَادِثُ تَجْرُفُ

الخَلَّة: الحاجة، والحقّ قيل القرابة هنا، ويُروَى بضمّ الخاء من «الخلّة» وهي الصَّداقة: أي له صداقةٌ لا تجاوِزُها القرابة، وقوله «كريمٌ» أي: هو كريم و«تجرفُ» تذهب بالمال كما تذهبُ المجْرَفَةُ بما يُجْرَفُ بها.

[٧٦٧] وقال يَزيد بن الطَّثْرِيَّة[٣]: [الطويل]

وهو قشيري، وأمه من طثر، وطثر: من الأزد، ويقال: من جرم.

١ - إذَا أَرْسَلُونِي عِنْدَ تَقْدِيرِ حَاجَةٍ أُمارِسُ فِيهَا كُنْتُ نِعْمَ المُمَارِسُ

أُمارسُ: أُعاني، و«رجلٌ مَرِسٌ» إذا كان شديد المعالجة، و«أُمارسُ فيها» في موضع الجرّ على أن يكون وَصفًا لحاجة، يصفُ نفسَه بحُسْنِ التَّأَنّي في الأمور يُرْسَلُ فيها.

٢ - وَنَفْعِيَ نَفْعُ المُوسِرِينَ وإنَّمَا سَوَامِي سَوَامُ المُقْتِرِينَ المَفَالِسِ

إنَّما قِيلَ للفقيرِ مُفْلِسٌ لأنه من قولهم: أَفْلَسَ الرَّجُلُ، إذا صار صاحب فُلُوسٍ بعد أن كان صاحبَ أموالٍ، وتَفْليسُ الحاكمِ معروف، وهو من هذا، كأنه ينسبه إلى ذلك، فهذا كالتَّعْدِيل والتَّفسيق، يقول: عطائي كثيرٌ ومالي قليل لأنّي غَنِيّ النَّفسِ.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٤٦).

(٢) أم حَسّان: هي زوجته وكانت تخوِّفه وتنهاه عن الغزو.

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٤١).

[٧٦٨] **وقال سالم بن قُحْفان[١]، وعاتبته امرأته:**

١ - لَقَدْ بَكَرَتْ أُمُّ الوَلِيدِ تَلُومُنِي ... ولَمْ أَجْتَرِمْ جُرْمًا فَقُلْتُ لَهَا مَهْلاَ

٢ - فَلاَ تُحْرِقِينِي بِالمَلاَمَةِ وَاْجْعَلِي ... لِكُلِّ بَعِيرٍ جَاءَ سَائِلُهُ حَبْلاَ

٣ - فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الإبْلِ مَالاً لِمُقْتِرٍ ... ولاَ مِثْلَ أيَّامِ العَطَاءِ لَهَا سُبْلاَ

الأول من الطويل.

فرمت امرأته بخمارها، وقالت: صَيِّرْهُ حَبْلاً لِبعضها وأنشأتْ تقول: [الطويل]

١ - حَلَفْتُ يَمِينًا يَا ابْنَ قُحْفَانَ بِالَّذِي ... تَكَفَّلَ بالأَرْزَاقِ في السَّهْلِ والجَبَلْ

٢ - تَزَالُ حِبَالٌ مُبْرَمَاتٌ أُعِدُّهَا ... لَهَا مَا مَشَى يَوْمًا عَلَى خُفِّهِ جَمَلْ

٣ - فَأَعْطِ ولاَ تَبْخَلْ إذا جَاءَ سَائِلٌ ... فَعِنْدِي لَهَا عُقْلٌ وقدْ زَاحَتِ العِلَلْ

وقد مَرَّتْ هذه الأبيات بتفسيرها في خبر سالم فيما تقدَّم من الكتاب.

[٧٦٩] **وقال الأقرع بن مُعَاذ[٢]:**

١ - إنَّ لَنَا صِرْمَةً تُلْفَى مُخَيَّسَةً ... فِيهَا مَعَادٌ وَفِي أَرْبَابِهَا كَرَمُ[٣]

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الصِّرْمة من الإبل: نحو الأربعين، ومُخَيَّسة: حُبِسَت لِلقِرى، والمخيَّسَة: المذَلَّلة و«فيها معاد» تعودُ فيها العُفَاة يُصِيبونَ منها مَرَّةً بعد أُخرى، و«في أربابها كَرَمُ» أي: كلّما عادتِ العُفَاةُ.

٢ - تُسَلِّفُ الجَارَ شِرْبًا وَهْيَ حَائِمَةٌ ... ولاَ يَبِيتُ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَسَمُ

الشِّرْب: الماء بعينه، والمراد به اللَّبن هنا، والحائم: العطشان الذي يَحُوم حول الماء، يقول: هذه الإبل تروي الجارَ من لَبنِها وهي عِطاشٌ، ويُرْوَى «نُسَلِّفُ» بالنون: أي نُقَدِّمُ شرب إبل الجار عليها لِكَرَمِنا «ولا يبيت على أعناقها قَسَمُ» أي: لا نقسمُ عليها أن لا تُنْحَرَ ولا تُوهَب.

٣ - ولاَ تُسَفِّهُ عِنْدَ الحَوْضِ عَطْشَتُهَا ... أَحْلاَمَنَا وشَرِيبُ السَّوْءِ يَحْتَدِمُ

---

(١) سبقت له الحماسية رقم (٦٨٤). والبيتان الثاني والثالث في الحماسية (٦٨٤) وكذلك الشعر بعده بالحماسية رقم (٦٨٥).

(٢) هو الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن ...بن قشير كان في أيام هشام بن عبد الملك (المرزباني ص ٣٨٠).

(٣) المرزوقي: «مُحَبَّسَةً».

يقول: إذا أوردناها الماءَ وبها عَطَشٌ لا نواثبُ الموردين ولا نجفوهم، فيكون عطشها سفه أحلامنا، وأصل الاحتدام الاحتراق، والواو في قوله «وشريبُ السَّوْءِ يحتدمُ» يجوز أن تكون للحال، وأن تكون للاستئناف.

[٧٧٠] **وقال يزيد بن الجَهْم الهلالي، ويُرْوَى لِحُمَيْد بن ثَوْرٍ**(١):

١ ـ لَقَدْ أَمَرَتْ بِالبُخْلِ أُمُّ مُحَمَّدِ فَقُلْتُ لَهَا: حُثِّي عَلَى البُخْلِ أَحْمَدَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أي: حُثِّي على البخلِ إنسانًا أحمدَ لكِ؛ فيكون «أحمد» مفعولاً، وقد نابت الصّفة عن الموصوف، ويُرْوَى «حُثِّي على الجودِ أحمدا» فيكون أحمد منتصبًا بإضمارِ فعل، ويكون كقوله «وراءَكَ أوسعَ لك» و﴿انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾(٢) ومَنْ روى «حُثِّي على البخل» يجوز أن يكون «أحمد» اسمًا علمًا لولدها أو قريب منها فقال: ابعثي ذلك على البخل من دوني؛ لأنّي لا أصغي إليكِ فقد تعوّدتُ عادةً، وكلُّ امرىءٍ سيجري على عادته، ويوضحه قوله:

٢ ـ فَإِنِّي امْرُؤٌ عَوَّدْتُ نَفْسِيَ عَادَةً وكُلُّ امْرِىءٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
٣ ـ أَحِينَ بَدَا فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ وأَقْبَلَتْ إِلَيَّ بَنُو عَيْلانَ مَثْنَى وَمَوْحَدَا(٣)
٤ ـ رَجَوْتِ سِقَاطِي وَاعْتِلَالِي ونَبْوَتِي وَرَاءَكِ عَنِّي طَالِقًا وَارْحَلِي غَدَا

قوله «أحينَ بَدَا» ألف الاستفهام، والاستفهام وإن كان المرادُ به التّوبيخ والتقريع يطلب الفعل، وهو رجوتِ، فيقول: أرجوتِ منّي بعد اشتعالِ الشَّيْبِ في رأسي اتّباعي لك، وقد أقبلتْ بنو عيلان نحوي مُعَلِّقينَ آمالهم بي؟ وهذا كقول الآخر: [الرمل]

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا جَلَّلَ الرَّأْسَ مَشِيبٌ وَصَلَعْ(٤)

ويقال لمَن لم يَأْتِ مَأْتَى الكرم: هو يُسَاقِطُ، فيقول: كيف أَمَّلْتِ سِقَاطي واعتلالي على المُعْتَفِين مع تجربتي واجتماع هذه الأحوال فِيَّ؟ وقوله «وراءك» الأصل ظرف، وقد جعله اسمًا للفعل والمراد أَبْعدي عَنِّي، وعطف عليه «وارحلي» وهو فعل، وهذا يبيِّن قوة الظروف إذا جُعِلَت أسماء للأفعال؛ لأنه لولا نيابتها عن الأفعال لَمَا جازَ عطف الفعل عليها، وذلك أنَّ المعطوفَ والمعطوف عليه في حكم المثنى، والتثنية لا تحسنُ إلاَّ بين

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء ١١/١١ لحميد بن ثور، وفي اللسان (سقط) ليزيد بن الجهم، وهي في ديوان حُميد ص ٧٦ (طبع دار الكتب المصرية).
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١. (٣) المرزوقي: «غَيْلان».
(٤) البيت لسويد بن أبي كاهل وهو في المفضليّة ٤٠ البيت (٧٩).

مُتوافِقَيْنِ، فكذلك العطف، و«مَثْنَى ومَوْحَدا» مِمَّا عُدِلَ في النكرة، فلا ينصرف في النكرة والمعرفة جميعًا، لكونه مَعْدُولاً عن أسماء الأعداد وعن الإفراد إلى التكرير، و«طالقًا» انتصب على الحال من قوله «وَراءَكِ عَنِّي» ولم يَقُلْ طالقةً لأنَّه أخرجَ مخرجَ النَّسَب.

[٧٧١] وقال آخر:

١ - إنِّي وَإنْ لَمْ يَنَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي ... فَيَّاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالِ[١]

٢ - لا أَحْبِسُ المَالَ إلاَّ رَيْثَ أُتْلِفُهُ ... ولاَ تُغَيِّرُنِي حَالٌ إلَى حَالِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «إلاَّ رَيْثَ» في موضع الظَّرف من «لا أحبسُ».

[٧٧٢] وقال سَوَادَة اليَرْبُوعِيّ: [الطويل]

قال أبو الفتح: سَوَادة عَلَم مرتجل، وقد قالوا: بياض وبَيَاضة، ولم أسمع سَوَادة في هذا النَّحو، فقد يكون هذا من خاصّ العلمية.

١ - ألاَ بَكَرَتْ مَيٌّ عَلَيَّ تَلُومُنِي ... تَقُولُ ألاَ أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهْ[٢]

٢ - ذَرِينِي فَإنَّ البُخْلَ لاَ يُخْلِدُ الفَتَى ... ولاَ يُهْلِكُ المَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهْ[٣]

[٧٧٣] وقال حُطَائط بن يَعْفُرَ أخو الأسود بن يَعْفر النَّهْشَلِيّ:

قال أبو الفتح: الحُطَائط: الصَّغير المحطوط من كلِّ شيء، وهو أحد الأسماء التي زِيدَت الهمزة فيها غير أوّل، ومثله ما تبعه من قولهم: بُطَائط، قالت: [الرجز]

إنَّ حِرِي حُطَائِطٌ بُطَائِطُ ... كَأَثَرِ الظَّبْيِ بِجَنْبِ الحَائِطِ[٤]

ومنها أيضًا النِّئْدِلاَن للجاثوم، وشأْمَل، وجُرَائض، وأما صُوَائق ففي همزته نظر، مع أنها عندنا غير زائدة، لكنَّ النَّظَرَ منها في كونها أصلاً أو بدلاً، ومنها ضهيأ؛ لقولهم في معناه: امرأةٌ ضَهْيَاء، وأمَّا يَعْفُر فمنقول بمنزلة يَزِيد ويَشْكر وتَغْلِب، يقال: عَفَرْتُ الزَّرْعَ، إذا سقيته أوّل مَرَّة، وعفرتُ النَّخْلَ، إذا فرغت من لقاحه، وعَفَرْتُ الرَّجُلَ في التراب أعفره، وفيه ثلاث لغات: يَعْفُر، ويُعْفُر، ويُعْفِر، فمَن فتح الياء فقياسه أن لا يصرف للتعريف ومثال الفعل بمنزلة يَشْكر، ومَن ضَمَّ الياء فقياسه أن يصرف لزوال مثال الفعل، وذلك أن باب ما لا ينصرف لأجل الصّورة إنَّما يُراعَى اللَّفظ فيه، أَلاَ تراك لو

---

(١) المدى: الغاية. والفَيَّاض: الكثير العطاء. (٢) المرزوقي: «لقد بَكَرَتْ». وعاله: كفله وكفاه.

(٣) ذريني: اتركيني.

(٤) الرجز في تاج العروس (بطط)؛ وحُطائطٌ بُطَائِطٌ: إتباعٌ وهذا البيت أنشده ابن جنّي في الإقواء.

سَمَّيْتَ رجلاً بشُدَّ ومُدَّ أو قِيلَ وبِيعَ لصرفت وإن كان الأصل شُدِدَ ومُدِدَ وقُولَ وبُيِعَ؛ لأنك لمّا أصرته إلى شدّ ومدّ وقيل وبيع أشبه باب كرٍّ وبُرٍّ ودِيكٍ وفِيلٍ، وكذلك لو سمَّيت بأَنْظُور من قوله: [البسيط]

وَأَنَّنِي حَيْثُمَا يَشْرِي الهَوَى بَصَرِي   مِنْ حَوْثَمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَأَنْظُورُ

لصرفته، لزوال مثال الفعل، وكذلك لو سمّيت بِيَذْهَب لم تصرفه معرفة، فإن مَدَدْتَ فقلت «يَذْهَاب» صرفته، وذلك أن باب ما لا ينصرف يُرَاعَى فيه اللّفظ، وقال أبو الحسن في يُعْفُر: يترك الصرف، فراعى أصله من فتح يائه، وقد يمكن أن يفرّق بينه وبين شُدَّ وَمُدَّ وقيل وبيع بأن تقول: أصل هذا مرفوض غير مستعمل، وأما يُعْفُرُ فأكثر ما استعمل مفتوح الياء، وإنما ضُمَّ إتباعًا، فجاز أن يراعى أصل هذا، لجواز استعماله، فهذا فرقٌ ما، وفي الموضع بقية من النظر، وأما يُعْفِر فكيُكرِم فلا سؤال في ترك صرفه.

١ ـ تَقُولُ ٱبْنَةُ العَبَّابِ رُهْمٌ حَرَبْتَنَا   حُطَائِطُ، لَمْ تَتْرُكْ لِنَفْسِكَ مَقْعَدا[1]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«ابنةُ العَبَّابِ» كانت زوجته، وهي امرأة من بني عجْلٍ من بطن منهم يقال لهم العَبَّاب.

قال أبو رياش: ليس في العرب عَبَّاب غيره، ورهم في اسم المرأة هو من السكون والإصلاح أخذ من رهم المطر ومن المرهم الذي يُدَاوى به الجراح و«رُهْمٌ» ارتفع على البدل «من ابنة العبّاب» و«حُطائِط» منادى مُفْرَد، ويقولون: ما تركَ لكَ مقامًا ولا مقعدًا: أي لم يُبْقِ لكَ ما يمكنك الإقامة والقعود له وبه.

٢ ـ إذا ما أَفَدْنا صِرْمَةً بَعْدَ هَجْمةٍ   تَكُونُ عَلَيْهَا كَابْنِ أُمِّكَ أَسْوَدا

أي: تعودُ عليها سالكًا طريقَ أخيكَ الأسود بن يعفر في ذلك المال.

٣ ـ فَقُلْتُ وَلَمْ أَعْيَ الجَوابَ تَبَيَّنِي   أَكَانَ الهُزَالُ حَتْفَ زَيْدٍ وَأَرْبَدا

ويُروى «حَتْفَ نهدٍ وأَربدا» وقوله «ولم أَعْيَ الجوابَ» اعتراض بين القول وبين ما عمل فيه، ومعناه تَأَمّلي وانظري هل كان الفقرُ والهزال سبب موت مَنْ مات من عشيرتِنا.

٤ ـ أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي   أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلاً مُخَلَّدا

---

(١) في الأغاني ١١/١٣٣ أن رهم بنت العبّاب هي أُمهما أي أُم حطائط وأخيه الأسود.

«أريني جوادًا» أي دُلّيني عليه وعَرّفيني مكانه، وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾(1) المراد عَلِّمْنَا، ويُرْوَى «لأنّني» بمعنى لَعلّني، يقال: ائْتِ السّوقَ لأنك تشتري لنا شيئًا: أي لعلَّكَ، ويقال: أنك تشتري، كما تقول: عَلَّك ولَعَنَّكَ في معنى لَعَلَّكَ، قال أبو النَّجم: [الرجز]

وَاغْـدُ لَـعَـنَّـا فـي الـرِّهـانِ نُـرْسِـلُـهْ

أي: أريني سَخِيًا أماتَهُ الضّرُّ مِنَّا أو من غيرِنا لَعَلّي أهتدي بِهَدْيِكِ، وقيل: إن نهدًا وأربد كانا أخوين لحطائط.

[٧٧٤] وقال المُقَنَّع الكندي(٢):

١ ـ نَـزَلَ الـمـشِـيـبُ فَـأَيْـنَ تَـذْهَـبُ بَـعْـدَهُ	وقَـدِ ارْعَـوَيْـتَ وحَـانَ مِـنْـكَ رَحِـيـلُ
٢ ـ كَـانَ الـشَّـبَـابُ خَـفـيـفَـةً أَيَّـامُـهُ	والـشَّـيْـبُ مَـحْـمَـلُـهُ عَـلَـيَّ ثَـقِـيـلُ
٣ ـ لَـيْـسَ الـعَـطَـاءُ مِـنَ الـفُـضُـولِ سَـمَـاحَـةً	حَـتَّـى تَـجُـودَ وَمَـا لَـدَيْـكَ قَـلِـيـلُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

قوله «وما لديكَ» يجوز أن يريد والّذي لَدَيْكَ، ويكون «ما» مبتدأ و«لديكَ» صِلته و«قليل» خبره، ويجوز أن تكون «ما» نافية و«قليل» اسمه و«لديكَ» خبره، والمعنى: تجودُ بكلِّ شيءٍ لكَ فلا تُبقي قليلَه أيضًا.

[٧٧٥] وقال جُؤَيَّة بن النَّضر: [البسيط]

جُؤَيَّة يحتمل أن يكون تحقير جُؤوة، غير أنه ألزم التَّخفيف كالنبي والبرية، وأصلها جُؤَيْوَة، فأُبدلت الواو ياء لكونها لامًا بعد ياء ساكنة، ومَن قال في أسود أُسيود لم يقلْ هنا إلاّ بالإعلال لكون واو جؤوة لامًا، ويحتمل أن يكون تحقير الجيّة، وهو الماء المستنقع الفاسد، وأصلها جِوْيَة لأنّها من جَوِيَ جوفه: أي دوي، والتقاؤهما أنَّ الفسادَ شاملٌ لِكلِّ منهما، فلمّا اجتمعت الواو والياء على هذه الصورة قُلِبَت الواو ياءً وأُدْغِمَتْ في الياء فصارت جيَّةٌ، فلما حقرتها فزالت الكسرة عادت الواو كما تقول في الطِّيَّةِ والنِّيَّةِ طُوَيَّةٌ ونُوَيَّةٌ، ولو كسرت جيّة لقلت: جِوًى، ولم يجزْ جيًا على قِيمَة وقِيَم، لئلا يجتمع في جيًا إعلالان، ويحتمل أن يكون تحقير جئاوة وهو ما تحطّ إليه القدر، وأصلها على هذا جوَيْيوة فقلبت ألف فعالة للياء قبلها ياء، فصارت جُويِّوة، ثم قلبت اللاّم للياء قبلها ياء، فصارت جويِّيَة، هذا بعد أن أُبدِلَت الهمزة لانفتاحها والضمة قبلها وإرادة تخفيفها واوًا، فلمّا اجتمعت ثلاث ياءات الأولى ساكنة والثانية مكسورة حذفت

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٣٩).

الآخرة كما حذفت من آخر تحقير أَحْوَى إذا قلت أُحَيٌّ ومن آخر تحقير مَعَاوية إذا قلت معَيَّة فصارت جُوَيَّة.

١ ـ قالَتْ طُرَيْفَةُ مَا تَبقَى دَراهِمُنَا   وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلاَ خُرُقُ[١]

طُريفة: اسم امرأة، وهو تحقير طرفة واحدة الطُّرفاء.

٢ ـ إنَّا إذَا اجْتَمَعَتْ يوْمًا دَراهِمُنَا   ظَلَّتْ إلَى طُرُقِ المَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ

قوله «إذا اجتمعتْ» ظرف لقوله «ظَلَّتْ إلى طُرُقِ المعروف تستبقُ» و«يومًا» ظرف لاجتمعت.

٣ ـ مَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ الصَّيَّاحُ صُرَّتَنا   لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وهْوَ مُنْطَلِقُ

٤ ـ حَتَّى يَصِيرَ إلَى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ   يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إيَّاهُ يَنْمَزِقُ

[٧٧٦] وقال زُرْعَةُ بن عمرو[٢]:

زرعة: عَلَم مرتجل، فعلة من زرع.

١ ـ وَأَرْمَلَةٍ تَنُوءُ عَلَى يَدَيْهَا   مِنَ الضَّرَّاءِ أَوْ قَصَصِ الهُزَالِ[٣]

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

«تنوءُ» أي تنهضُ وتعتمدُ على يديها لتأثير الضَّرّ فيها، و«قَصَص الهُزَال» إيَّاها: دنوّ الموت منها، ويقال: أَقَصَّهُ كذا من الموتِ أي أدناه، وقال الرّياشيّ: أَقَصَّهُ الموتُ إذا أشرفَ عليه، و«تنوءُ على يديها» في موضع الصّفة لأرملة، وجواب رُبَّ قوله:

٢ ـ خَلَطْتُ بِغَثِّها سِمَنِي فأضْحَتْ   شَرِيكَةَ مَنْ يُعَدُّ مِنَ العِيَالِ

يقال: لحمٌ غَثٌّ بَيِّنُ الغَثَاثَةِ والغُثُوثَةِ، إذا كان مهزولاً، وكلامٌ غَثٌّ على التشبيه لا طُلاَوةَ عليه.

٣ ـ وأَفْنَتْنِي اللَّيَالِي أُمَّ عَمْرٍو   وحَلِّي في التَّنَائِفِ وارْتِحَالِي[٤]

٤ ـ وَتَرْبِيَتِي الصَّغِيرَ إلَى مَدَاهُ   وتَأْمِيلِي هِلالاً عَنْ هِلاَلِ[٥]

---

(١) السَّرَف: التبذير. والخرق: إجراء الأمر على غير مجراه.
(٢) زُرعة بن عمرو بن خويلد بن نفيل: كان فارسًا شجاعًا وممّن شهد يوم رحرحان مع أبيه عمرو وأخيه يزيد (الأغاني ١١/ ١٠٥، و١٣٣، دار الكتب العلمية).
(٣) الواو: واو رُبَّ.
(٤) الحلّ: الحلول. والتنائف: جمع التنوفة: المفازة.
(٥) مداه: غايته.

«هِلالاً عن هلالِ» أي: بعد هلالٍ، ومِمَّا جاء فيه «عن» بمعنى بعد قوله «سادوا كابرًا عن كابرٍ»[1] لأن معناه كبيرًا بعد كبير.

[٧٧٧] وقال عبد الله بن الحَشْرَج الجعديّ[2]: [الوافر]

الحَشْرَجُ: الحِسْيُ[3]، قال: [الكامل]

فَلَثِمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا ... شُرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحَشْرَجِ[4]

١ ـ أَلاَ بَكَرتْ تَلُومُكَ أُمُّ سَلْمٍ ... وغَيرُ اللَّوْمِ أدنى لِلسَّدَادِ[5]

أي: استعمال غير اللّوم أقرب في تسديدي وإرشادي؛ إذ كان اللَّوْمُ ربّما يعود إغراء، و«تلومك» في موضع الحال: أي لائمة لكَ.

٢ ـ ومَا بَذْلي تِلاَدِي دُونَ عِرْضِي ... بِإِسْرَافٍ، أُمَيمَ، ولاَ فَسَادِ[6]

خاطب نفسه في البيت الأوّل ثم نقلَ الخطاب إلى الإخبار على عادتهم في كلامهم، ويُرْوَى:

ومَا بَذْلِي تِلاَدِي دُونَ عِرْضِي ... بِتَسْرَافِ سُرَيْرَ وَلاَ فَسَادِ

وسُرَيْرة: جاريته.

٣ ـ فَلاَ وَأَبِيكِ مَا أُعْطِي صَدِيقي ... مُكَاشَرَتِي وأَمْنَعُهُ تِلاَدِي

الكَشْرُ: إبداء الأسنان بالضَّحِك، وقوله «وأمنعه تِلادي» عطفه على «أعطي» فرفعه، والمعنى: لا أُكْشِرُ لِلصَّديقِ ولا أمنعه تلادي، ومثله ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[7] لأنَّ المعنى لا يؤذن لهم ولا يعتذرون، ولو رويت «وأَمْنَعَه» بالنصب كان جائزًا، ويكون انتصابه بأن مُضْمَرة، ويكون كقوله «لا يسعني شيء ويَعْجزَ عنك» والمعنى لا يسعني شيء

---

(١) منه قول الأعشى في ديوانه (١٠٥):

ساد وألفى قومه سادة ... وكابرًا سادوك عن كابرِ

وقول النابغة الذبياني:

بقيّةُ قِدْرٍ من قدورٍ تُوُرِّثَتْ ... لآلِ الجُلاحِ كابرًا بعد كابرِ

(٢) عبد الله بن الحشرج: من سادات قيس وشعرائها، وأحد الأجواد المعدودين، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان في أيام عبد الملك بن مروان (ت نحو ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م). ترجمته في (الأغاني ١٠/ ١٤٤؛ ومعاهد التنصيص ٢/ ١٧٤).

(٣) الحِسْيُ: الماء القليل.

(٤) البيت في تاج العروس (حشرج)؛ بلا نسبة، والنزيف: السّكران والمحموم.

(٥) المرزوقي: «ألا كَتبتْ».

(٦) التّلاد: المال القديم، والطارف: الحديث.

(٧) المرسلات، الآية: ٣٦.

عاجزًا عنك، فكذلك هذا، وتقديره ما أعطي صديقي مكاشرتي مانعًا له تِلادي: أي لا يجتمع هذان في شيء: العجز لك، والسَّعَة لي، وكذلك لا يجتمعُ على صديقي منّي الكَشْر والمَنْع، ويجوز في «أمنعه» وجه آخر، وهو أن يكون على الاستئناف والانقطاع مما قبله، ويكون المعنى: لا أعطي صَديقي مكاشرتي وأنا أمنعه تِلادي، ومثله قول الآخر «ما تأتيني وتحدّثني» والمراد ما تأتيني وأنتَ الآن تُحَدِّثُني، والرَّفْعُ أجود، أَلاَ ترى أن القائل إذا قال «ما جاءني زيد وعمرو» كان دون قوله «ما جاءني زيدٌ ولا عمرٌو» لأن الأوّل يجوز أن يريد أنهما لم يجتمعا في المجيء، ولكن تَفَرَّدَ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه فيه، وفي الثاني إذا قال «ولا عَمْرٌو» جمعهما النّفي، ولا مجيء على حال من الأحوال، وكذلك البيت لو كان يتكرّر فيه حرف النفي لَكانَ يمتنعُ حصول الكَشْرِ والمنع جميعًا على كلِّ وجه، ووجه الرفع عليه يدور.

٤ ـ ولَـكِـنِّـي ٱمْـرُؤٌ عَـوَّدْتُ نَـفْـسِـي ... عَـلَـى عِـلاَّتِـهـا جَـزْيَ الـجَـوَادِ[١]

٥ ـ مُـحـافَـظَـةً عـلـى حَـسَـبِـي وأَرْعَـى ... مَـسَـاعِـيَ آلِ وَرْدٍ والـرُّقَـادِ

انتصب «محافظة» على أنه مفعول له، يقول: أفعل ذلك لأحفظَ شرفي وأرعى مكارمَ آبائي وأسلافي، وقوله «وأرعى» حمله على المعنى فعطفه على ما قبله، وإن اختلفا، أي: أفعلُ ذلك لأحفظَ وأرعى: أي محافظةً على الشَّرَفِ ورَعْيًا لمساعي آلِ وَرْدٍ، والمساعي: واحدتها مَسْعَاةٌ، وهي السَّعْيُ في تحصيلِ الكَرَم، ويقال: هو يَسْعَى لِعِيَالِهِ: أي يكسبُ، وقيل: السَّعْيُ العملُ في الكَسْبِ، ووَرْد والرُّقَاد: بطنان من بني جعْدَة يقول لهم الشاعر: [الطويل]

إذا أشْرَفَ المعْجَانَ رَكْبٌ بَدَتْ لَهُ ... بُيُوتُ بَنِي وَرْدٍ مُجَاورُهَا الغَدْرُ

وكان وَرْد بن عمرو بن عبد الله بن جعدة قتلَ بعضَ الملوكِ غَدْرًا، وكان قد سَبَى نساءَ هوازن وقتل رجالَهم فَبَنُوه يفخرونَ بتلك الغدرة، وهو قول الأخطل يهجو النابغة: [الوافر]

قُـبَـيِّـلَـةٌ يَـرَوْنَ الـغَـدْرَ فَـخْـرًا ... ولاَ يَـدْرُونَ مـا نَـقْـلُ الـجِـفَـانِ

وأخوه الرُّقَاد.

[٧٧٨] وقال رجل من بني سعد:

١ ـ أَلاَ بَـكَـرَتْ أُمُّ الـكِـلاَبِ تَـلُـومُـنِـي ... تَـقُـولُ أَلاَ قَـدْ أَبْـكَـأَ الـدَّرَّ حَـالِـبُـهْ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

(١) المرزوقي: «الجِياد».

الدَّرُّ: اللَّبَن، و«أبكأ حَالِبُه» أي: أَقَلَّهُ، ويقال: بَكُؤَتِ الشَّاةُ، إذا قَلَّ لَبَنُها، وأبكأ الدَّرّ: وجده بَكِيئًا، والبكيئة: ضد الغزيرة.

٢ ـ تَقُولُ أَلاَ أَهْلَكْتَ مَالَكَ ضَلَّةً   وهَلْ ضَلَّةٌ أَنْ يُنْفِقَ المَالَ كَاسِبُهْ

انتصب «ضَلَّةً» على المصدر، وهو في موضع الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا لِعلّة فيكون مفعولاً له، وقوله «هل ضَلَّةٌ» ضلة خبر متقدّم، و«أن ينفقَ المالَ» في موضع المبتدأ، والتقدير: هل إنفاقُ كاسبٍ له ضلالٌ.

[٧٧٩] وقال مُزَغفَرٌ:

١ ـ وَإِنِّي لأُسْدِي نِعْمَتِي ثُمَّ أَبْتَغِي   لَهَا أُخْتَهَا حَتَّى أَعُلَّ وَأَشْفَعَا(١)

الثاني من الطويل.

أُسْدِي: أي أصنع، والسّدى والنَّدى واحد، «ثم أبغي لها أُختها» أي: أطلبُ مثلها حتى أَعُلّ وأَعِلَّ بضمّ العين وكسرها، من العَلَلِ وهو الشّرب الثّاني، وأشفع: أي أقرن النّعمة التالية بِالسّابقة.

٢ ـ وأَجْعَلُ نُعْمَىٰ مَا فَعَلْتُ ذِمَامَةً   عَلَيَّ وآتِي صَاحِبِي حَيْثُ وَدَّعَا(٢)

«أجعل» بمعنى أُسَمّي أو بمعنى أُصَيِّر، والذَّمَامَة: الذّمّ(٣)، كأنه يعتقد في الإحسان إليه إساءة، والذِّمامة ـ بكسر الذال ـ: الحُرْمَة، والمعنى أَتَذَمَّمُ من نُعْمَايَ عند غيري؛ لأني مهما بلغتُ أكون لِنفسي مستقصرًا، ويجوز أن يكون المراد وأجعل نُعْمَى ما فعلتُ ذمامة: أي حَقًّا، وهو الذّمام، يقول: إنعامي على الرجل حرمة له عندي ووسيلة لَدَيَّ، و«آتي صاحبي» أي: آتي قبرَهُ زائرًا أحفظ عهده حَيًّا ومَيْتًا، ويحتملُ أن يكون المعنى أزوره حيث نزلَ ووَدَّعَ راحلته.

[٧٨٠] وقال عارِقٌ الطائي(٤): [الطويل]

١ ـ أَلاَ حَيِّ قَبْلَ البَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهْ   ومَنْ أَنْتَ مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ وَشَائِقُهْ(٥)

٢ ـ ومَنْ لاَ تُوَاتِي دَارُهُ غَيْرَ فَيْنَةٍ   ومَنْ أَنْتَ تَبْكِي كُلَّ يَوْمٍ يُفَارِقُهْ(٦)

---

(١) المرزوقي: «فأَشْفَعَا».

(٢) بعد هذا البيت يوجد عند المرزوقي:

٣ ـ وإنّي بما يكفي مِنَ الزّادِ أَهْلَهُ   أُقَابِلُ بَذْلَ المالِ حِلْسَاهُ أَجْمَعا

(٣) الذّمامة: الحياء والإشفاق من الذّمّ واللوم

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٠٤).

(٥) شائقه: أي مَنْ يشتاقُ إليكَ.

(٦) المرزوقي: «تفارِقُهْ».

«ومَن لا تواتي دارَه» الأحسن أن ترفع الدار بتواتي، والمواتاة: المساعدة، والفَيْنَة: الوقت، يكون معرفة ونكرة، ولكَ أن تنصب «دارَه» والمعنى: لا تقدرُ على مواتاتها والإلمام بها إلاَّ ساعةً، وقوله «مَنْ أنت تبكي» يريد مَن أنتَ تبكيه، أو تبكي عليه، وكذلك قوله «تفارقه» تفارق فيه، فحذف مفعول الفعلين، ولا يمتنع أن يجعل «كلّ يوم» مفعول تبكي، فكأنه يتأسَّفُ على كلِّ يوم يفارقه فيبكيه شوقًا إليه إذ كان التوديع جمعه وإياه فيه، وقد كَرَّرَ «مَنْ» في البيتين جميعًا، وهو يحتمل أن يكون بمعنى الَّذي، والجمل بعده في صلته، كأنه قال: حَيِّ الذي أنتَ عاشِقُه، والذي أنتَ مشتاقٌ إليه وشَائِقُه، والذي أنتَ كذا وكذا، ويجوز أن يكون نكرة في معنى إنسان، وتكون الجُمَل بعده صفات له، يريد: حَيِّ إنسانًا هذه صفاته، فأمَّا تكريره فهو على طريق التفخيم في كلِّ ما يهول أمره من مَرْجُوٍّ أو مَخُوفٍ.

٣ ـ تَخُبُّ بِصَحْرَاءِ الثُّوِيَّةِ نَاقَتِي كَعَدْوِ رَبَاعٍ قَدْ أَمَخَّتْ نَوَاهِقُهْ[١]

الخَبَب: ضربٌ من العَدْوِ، والإرْبَاع قبل القُروح بِسَنَة، وكأنه أراد استحكام شبابه وقوته، وقوله «قد أَمَخَّتْ نواهِقُه» أي: قد أطاعه العلف والمرتع فصار لعظامه مُخٌّ، والنَّوَاهِق: عَظْمان في السَّاق، وفي غير هذا المكان ما يكتنفُ الخياشيم من الدَّابَّة، والواحدة ناهقة.

٤ ـ إِلَى المُنْذِرِ الخَيْرِ ٱبْنِ هِنْدٍ تَزُورُهُ وَلَيْسَ مِنَ الفَوْتِ الَّذِي هُوَ سَابِقُهْ

«إلى» تتعلَّق بِتَخُبُّ، و«الخير» من صفة المنذر، وهو الذي تأنيثه خَيْرة ولا يمتنع أن يكون مخفَّفًا من الخَيِّر، كما يقال لَيِّن ولَيْن وهَيِّن وهَيْن، و«تزوره» في موضع الحال، ويريد المنذر بن ماء السَّماء، وقوله «وليس من الفَوْتِ الَّذي هو سَابِقُهْ» يقول: ليس هذا عند ابنِ هندٍ ممّا يفوت عارقًا ويسبقه، يصفه بكثرة المعروف وأنه ليس لأول واردٍ فقط، ويجوز أن يكون المعنى مَنْ قَدَّرَ أنه سبقه فإنه لا يفوته، ويجوز أن يكون المعنى أن الذي سبق إليه المنذر من سبي النساء ليس مِمَّا يفوت؛ لأنهنّ كُنَّ في عهده وذِمَّته، وفي هذا الوجه إيعاد، وذلك أن هذا الملكَ كان غزا أرضًا فأخفقَ ومَرَّ في مُنْصَرَفِهِ فعثرَ بطائفة من طَيِّىء كانوا في ذِمَّتِهِ فأرادَ أن يجاوزهم، فحمله بعض ندمائه على أن استباحهم؛ فلذلك توعّده، وقال ما سبق به لا يفوت تَدَارُكُه.

٥ ـ فَإِنَّ نِسَاءً غَيْرَ مَا قَالَ قَائِلٌ غَنِيمَةُ سَوْءٍ وَسْطَهُنَّ مَهَارِقُهْ

«غير ما قال قائلٌ» يجوز أن يكون صفة لِنساء، و«غنيمةُ سَوْءٍ» يرتفع على أن يكون خبر مبتدأ، ويكون حكاية لكلام القائل الذي ذكره، وإضافة الغنيمة إلى السّوء يكون على

(١) الثَّوِيَّة: موضع قريب من الكوفة، (معجم البلدان ٢/ ٨٧).

طريق الإزراء والاستحقار، وقوله «وسطهنّ مهارقه» الجملة في موضع خبر إنَّ، فيكون المعنى: إنَّ نساءً مخالفة صفتها لما قال قائل، يعني مَنْ حَسَّنَ في عين الملك الإيقاع بِهِنَّ، هُنَّ غنيمةُ سوءٍ معهنَّ كتب العهد والذِّمَّة اللَّذَيْنِ يخرجنَ بهما عن كونهنَّ غنيمة، فهذا وجه، ويجوز أن يكون «غنيمة سَوْءٍ» خبر إن، و«وسطهنَّ مهارقه» من صفة النّساء، وقد فصل بين الصفة والموصوف بخبر إنَّ، و«غير ما قال قائل» ينتصب على المصدر، فيكون مؤكّدًا لِلقصّة، والتقدير: إنَّ نساءً وسطهنّ مهارقه غنيمة سوءٍ لا قولَ القائل المحسِّنِ الإيقاعَ بهنّ، ويجري هذا مجرى قولهم: هذَا لاَ زَعَمَاتُك: أي هذا هو الحقّ لا ما تزعمه، ويكون المعنى إنَّ نساءً معهنَّ عَهْدُكَ ولا أقول ما قاله قائل حَسَّنَ الإيقاع بهن غنيمة سوء لا غنيمةَ صِدقٍ، والمهارق: جمع مهرق، وهو فارسي مُعَرَّب، وكانت العرب تصقل الثياب البيض وتكتب فيها كتب العهود وما أرادوا بقاءَهُ من الدّهر.

٦ - ولَوْ نِيلَ في عَهْدِ لَنَا لَحْمُ أَرْنَبٍ وَفِينَا وهٰذَا العَهْدُ أَنْتَ مُعَالِقُهْ

قوله «لحم أرنب» ذكره تحقيرًا لأنه صَيْدٌ مُسْتَبَاحٌ، وقوله «أنت مُعَالِقُه» لك أن ترويه بالعين، والمعنى: وهذا العهد الّذي معهنَّ متعلّق بذِمَّتِكَ وفي رقبتك حتى تخرجَ منه، ومَنْ روى «مُغَالقه» بالغين معجمة يكون من «غَلِقَ الرَّهن» أي: أنت مفسده ومحتبسه تاركًا للوفاء به.

٧ - أَكُلُّ خَمِيسٍ أَخْطَأَ الغُنْمَ مَرَّةً وَصَادَفَ حَيًّا دَانِيًا هُوَ سَائِقُهْ

«أَكُلُّ خميس» لفظه استفهام ومعناه تقريع، فيقول: أَكُلُّ جيشٍ أخفقَ في وجهٍ قَدَّرَ الغُنْمَ فيه وصادفَ حَيًّا في مُنْصَرَفِهِ أوقع به، هذا غير مستحسن وعاقبته مذمومة.

٨ - وكُنَّا أُنَاسًا دَائِنِينَ بِغِبْطَةٍ تَسِيلُ بِنَا تَلْعُ المَلاَ وَأَبَارِقُهْ

«دائنين» أي: آخذين بالطّاعة ومغتبطين بما لنا من الذِّمَّة، و«بغبطة» في موضع الحال، ويُرْوَى «دائبين» وهو أقرب، ويكون من الدُّؤوب: أي كُنَّا نسيرُ آمنين مغتبطين، ويدلُّ على هذا قوله «تسيلُ بنا تَلْعُ الملا وأبارقه» والتَّلعة: مَسِيل ماء وجمعه تلع، وأبارق: جمع الأبرق، وهي المواضع التي قد أُلْبِسَتْ حجارةً سودًا وبيضًا، ومنه «حبلٌ أبرقُ» إذا كان ذا لونين سواد وبياض.

٩ - فَأَقْسَمْتُ لاَ أَحْتَلُ إلاَّ بِصَهْوَةٍ حَرَامٌ عَلَيْكَ رَمْلُهُ وَشَقَائِقُهْ

يقول: حلفتُ لا أنزل إلاَّ بعيدًا من أرضك في صَهْوَة: أي في مكان عالٍ يحرمُ عليك جوانبه، والشَّقائق: جمع شقيقة وهي رملة بين أرضين، و«رمله» يرتفع بحرام: أي يحرمُ عليكَ، ولك أن تروي «حرامٌ عليك رَمْلُه» بالرفع، فيكون خبرًا مقدَّمًا، و«رمله» مبتدأ، والجملة في موضع الصفة لِلصَّهوة.

١٠ ـ حَلَفْتُ بِهَدْيٍ مُشْعَرٍ بَكَرَاتُهُ تَخُبُّ بِصَحْرَاءِ الغَبِيطِ دَرَادِقُهْ

الإشعار: أن يطعنَ في أسنمتها فيسيلَ الدَّمُ عليها، فيستدلُّ بذلك على كونها هَدْيًا، وجعل الهَدْي دَالاً على الجِنس وما بعده صِفَتُهُ، والدَّرادِق: صغار الإبل.

١١ ـ لَئِنْ لَمْ تُغَيِّرْ بَعْدَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ لأَنْتَحِيَنْ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهْ

ويُرْوَى «يغيّر بعض» ويُرْوَى «لأَنْتَحِيَنَّ العظم»، وقوله «لئن» فيما بين القَسَم والمقسَم له مُوَطِّئَة لِلقَسَم، وجواب القَسَم «لأنتحينْ لِلعظم» فيقول: آلَيتُ إنْ لم تُغَيِّرْ بعضَ صَنيعِكَ لأقصدن في مقابلتك كَسْرَ العظمِ الَّذي صِرْتُ أعرقه: أي أنتزعُ اللَّحم منه، جعل شكواه كالعَرْقِ، وجعل ما بعده إن لم يُغَيِّرْ معاملته تأثيرًا في العظم نفسه، وقد أحسن في التَّوَعّد، وفي الكناية عن فعله، و«ذو أنا» لغتهم، وهو في معنى الذي.

[٧٨١] وقال بُرْجُ بن مُسْهِر الطائي(١):

١ ـ سَرَتْ مِنْ لِوَى المَرُوتِ حَتَّى تَجَاوَزَتْ إِلَيَّ وَدُونِي مِنْ قَنَاةَ شُجُونُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

اللِّوى: مُسْتَرَقّ الرَّمْل، والمَرُوت: فَعُول من المَرْتِ، وهي الأرض التي لا تنبتُ شيئًا، وقناة: وادٍ بالمدينة، وشُجُونها: شِعابها وجوانبها المتقاربة، والشُّجون أيضًا: الأشجار الملتفّة المتداخلة، والشَّوَاجن: واحدتها شاجنة، وهي المواضع التي فيها الشّجون، ومن التَّدَاخُل والالتفاف قوهم: الحديث ذو شجون.

٢ ـ إِلَى رَجُلٍ يُزْجِي المَطِيَّ عَلَى الوَجَى دِقَاقًا وَيَشْقَى بِالسِّنَانِ سَمِينُهَا

«إلى» يتعلّق بقوله «سَرَتْ» ويعني بالرّجل نفسه، ويُزْجي: يسوق، والوَجَى: الحفاء، ودِقاقًا: انتصب على الحال: أي ضوامِرَ مَهَازيل، و«يَشْقَى بالسِّنان سمينها» أي: بالسّنان له، فحذف الضمير؛ لأنَّ المعنى لا يحيل، يعني أنه ينحر سِمان الإبل للعُفَاة والضيوف.

٣ ـ فَلِلْقَوْمِ مِنْهَا بِالمَرَاجِلِ طَبْخَةٌ وَلِلطَّيْرِ مِنْهَا فَرْثُهَا وَجَنِينُهَا

الضمير في «منها» يرجع إلى قوله «سمينها» لأنه أراد بها الجنس، وقوله «طبخة» كأنّه كان على السَّفَر فيطبخون طبخةً واحدةً، ويجوز أن يريد كثرة القوم، فكلُّ ما يُنْحَرُ منها يُطْبَخُ دفعةً واحدةً، ولا يُدَّخَرُ لِكَثْرَةِ الأَكَلَةِ، يصفُ خيالاً أتاه من المَرُوت، ويَتَمَدَّحُ بكثرة الأسفار ونَحْر الإبل للأضياف.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٢٣).

[٧٨٢] **وقال مِلْحَةُ الجَرْمِيّ**[(١)]:

يقال: ماءٌ مِلْحٌ، ومياهٌ مِلْحَةٌ، وتربةٌ ملحةٌ، وهو وصف كنِضْو ونِضْوَة ونقْض ونِقْضَة، قال: [الطويل]

وَرَدْتُ مِيَاهًا مِلْحَةً فَكَرِهْتُهَا ... بِنَفْسِيَ أَهْلِي الأَوَّلُونَ وَمَالِيَا

١ - فَتَى عُزِلَتْ عَنْهُ الفَوَاحِشُ كُلُّهَا ... فَلَمْ تَخْتَلِطْ مِنْهُ بِلَحْمٍ ولاَ دَمِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«عُزِلَتْ» أي: نُحِّيَتْ منه في جانبٍ.

٢ - كَأَنَّ زُرُورَ القُبْطُرِيَّةِ عُلِّقَتْ ... عَلاَئِقُهَا مِنْهُ بِجِذْعٍ مُقَوَّمِ

القُبْطُرِيَّة: ضربٌ من الثياب، وعلائقُها: ما تعلَّقَ بهذا الممدوح منها، وشَبَّهَ قامته بجذعٍ مستقيم.

٣ - عَمَلَّسُ أَسْفَارٍ إِذَا ٱسْتَقْبَلَتْ لَهُ ... سُمُومٌ كَحَرِّ النَّارِ لَمْ يَتَلَثَّمِ

العَمَلَّس: من أسماء الذِّئب، وهو الجريء المِقْدَام، يوصف به الذئاب والكلاب، وزاد اللاَّم في قوله «استقبلتْ له» تأكيدًا، والأصل استقبلته، وجواب «إذا» قوله يتلثّم، وهو العامل فيه.

٤ - إِذَا مَا رَمَى أَصْحَابُهُ بِجَبِينِهِ ... سُرَى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ لَمْ يَتَهَكَّمِ[(٢)]

أراد أنهم إذا قَدَّمُوه ليهتدوا به وهم يسيرون في ليلة شديدة الظَّلام لم يَجْبُنْ، وقوله «لم يَتَهَكَّمْ» أي: لم يَتَعَدَّ: أي لم يُخْطِئ، والتَّهَكُّم: التَّندُّم في غير هذا، وقيل في معنى «لم يتهكَّمْ» لم يمتنَّ عليهم، والتهكُّم: التكذّب، وقال أبو العلاء: التهكّم ركوب الرأس ومجاوزة القدر في الأشياء، يقال: تهكَّمَ فلانٌ بفلانة، إذا أكثر ذكرها، قال الراجز:

فِي ذِكْرِ لَيْلَى دَائِمًا تَهَكُّمُهْ

ولك أن تروي «أَصْحَابَه» بالنصب ويكون فاعل «رمى» سُرَى اللَّيلة الظلماء، أي: إذا اتَّفَقَ من سُرَى اللَّيل ما ألزمه تكلّفه وسبقَ أصحابه إليه تحمَّلَ تلكَ الكلفة ولم يعتمدْ على غيره، وهذا أحسن من الأوَّل، وما قرأته على أبي العلاء إلاَّ بالنصب.

٥ - كَأَنَّ قُرَادَيْ زَوْرِهِ طَبَعَتْهُمَا ... بِطِينٍ مِنَ الجَوْلاَنِ كُتَّابُ أَعْجَمِ

---

(١) ذكره المرزباني في المعجم ص ٤٧٣، وأنشد له البيتين الأول والرابع. والأبيات (٢ و٣ و٥) في ديوان عديّ بن الرقاع، وأنشد الأزهري البيت الخامس ونسبه لابن ميّادة.

(٢) المرزوقي: «سُرَى ليلةِ الظَّلماء».

وصفهما بالصّغر، ثم شبّههما بطابعين من طين الجَوْلان، وهو موضع بالشّام بينه وبين دمشق مسيرة ليلة، وطين الجولان إلى السَّوَاد، والطَّبْعُ: الخَتْمُ، والطَّابَعُ: الخاتم، وحكي «هذا طُبْعَانُ الأميرِ» أي طينُه الذي يَخْتِمُ به، وأراد بكتاب أعجم كتاب الروم والفرس لأنّهم حينئذٍ كانوا أحذق بِالكتابة، ويعني بِقُرَادَيْ زَوْرِه حَلَمَتَي الثَّدْيَيْنِ.

[٧٨٣] وقال آخر[١]:

١ ـ إنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ نِعْمَ الفَتَى
٢ ـ وَنِعْمَ مَأْوَى طَارِقٍ إذَا أَتَى
٣ ـ وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرَى
٤ ـ صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
٥ ـ إنَّ الحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَى[٢]
٦ ـ ثُمَّ اللِّحَافُ بَعْدَ ذَاكَ فِي الذُّرَى

من مشطور الرجز، والقافية هنا يجتمع فيها المتراكب والمتدارك والمُتَكَاوس.

يخاطب بهذا الكلام عبد الله بن جعفر بن محمد الصَّادق، فيقول: نِعْمَ الفَتى أنتَ: أي محمودٌ من الفتيان أنتَ، ومحمودٌ فِنَاؤك ودارُكَ في مأوى الطُّرَّاقِ إذا وردوا، وقوله «مأوى طارق» أضافه إلى النَّكِرة لأنَّ القَصْدَ بطارق إلى الجنس، واسم الجنس في مثل هذا المكان وإن تَنكَّرَ فائدته فائدة المعارف، وإذا كان كذلك كان قوله «مأوى طارق» بمنزلة مأوى الطُّرَّاقِ، والمحمود هو المخاطب، ويجب أن يكون في «نِعْمَ الفتى» ضمير يرجع إلى المخاطب، وقد اشتملَ عليه قوله، فكأنه قال: إنك محمود في الفتيان يا ابنَ جعفر، وقد قِيلَ في قول القائل «زَيْدٌ نِعْمَ الرَّجُلُ» إنَّه لمَّا كان القصدُ بالرجل إلى الجنس وكان زيد منهم اكتفي بكونه منهم من ضمير يعود إليه، وقوله «ورُبَّ ضيفٍ طرقَ الحيَّ سُرَى» يريد ليلاً؛ لأنَّ السُّرَى لا يكون إلاّ باللَّيلِ، والسُّرَى في موضع ظرف، واسم الزَّمان محذوف معه، وهو كقولك: جِئْتُكَ مَقْدَمَ الحاج، وما أشبهه، وقوله «ما اشتهى» في موضع الظرف، فهو كقوله: [الطويل]

أُحَدِّثُهُ إنَّ الحَدِيثَ مِنَ القِرَى ... وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ[٣]

(١) الأبيات للشّماخ بن ضرار في ديوانه ص ٤٦٤؛ وفي خزانة الأدب ٤/ ٢٥٤؛ وأمالي المرتضى ١/ ٤٩٣.

(٢) المرزوقي: «جانبٌ من القِرى».

(٣) البيت لعتبة بن بجير أو مسكين الدارمي كما في الحماسة رقم (٧٦٣)؛ وهو لعروة بن الورد في ديوانه ص ١٠١؛ ولسان العرب (بصص)؛ وبلا نسبة في المخصص ٢/ ٣٧.

والذَّرى: الكَنَف.

[٧٨٤] وقال الشَّمَّاخ[(١)]:

١ ـ وأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السِّفَارُ قَمِيصَهُ وَجَرُّ شِوَاءٍ بِالعَصَا غَيْرَ مُنْضَجِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الأشعث: الذي يبتذلُ نَفْسَه ولا يصونُها عن التَّعَجُلِ؛ فيصير مقطوع القميص في السَّفرِ لِتَحَمّله عن أصحابه أثقال الخدمة، ويتغيَّر شعره، وقوله «وجَرُّ شِواءٍ» إشارة إلى تَوَلِّيهِ من خدمة الرُّفقاء والأصحاب ما لا يكون من عمله، وقوله «غير مُنْضَجِ» الأجود أن تنصب «غير» على أن يكون حالاً للنكرة، حتى لا يكون قد فصل بين الصفة والموصوف بالأجنبيّ منهما، وهو قوله «بالعصا» لأنَّ التَّعَلّقَ بينهما يقاربُ التعلّق بين الصّلة والموصول.

٢ ـ دَعَوْتُ إلَى مَا نَابَنِي فَأَجَابَنِي كَرِيمٌ مِنَ الفِتْيَانِ غَيْرُ مُزَلَّجِ

أي: استغثتُ به وطلبتُ منه الإغاثةَ على ما نابني من حَدَثَانِ الدَّهْرِ، فأجابني منه كريم من الفتيان غير ضعيف المنَّةِ، و«المُزَلَّج» أصله من قولهم: قِدْحٌ زَلُوجٌ: أي سريع في الإجالة، أي إذا وقفَ على حَدِّ مكرمةٍ لم يزلجْ عنه ولم يدفعْ؛ لأنَّ الزَّلْجَ السّرعة في المشي وغيره، وكلُّ زالجٍ سريعٌ، ومنه مِزْلاَجُ البابِ لِلخشبة التي يغلقُ بها.

٣ ـ فَتَى يَمْلأُ الشِّيزَى وَيُرْوِي سِنَانَهُ وَيَضْرِبُ في رَأْسِ الكَمِيِّ المُدَجَّجِ

الشِّيزَى: جِفَان الشِّيز، ويقال: هو الشِّيزُ بعينه: أي يكرمُ الأضيافَ ويقتلُ الأبطالَ، ومثل الشِّيزى والشِّيز مما أتى بألف التأنيث وبغير ألفها: الذِّكر والذِّكرَى، والبُؤْس والبُؤْسى، والنّعْم والنُّعْمى، والضَّبَغْطَر والضَّبَغْطَرَى، والسِّبَطْر والسِّبَطْرى، واليَهْيَرُ واليَهْيَرَّى.

٤ ـ فَتَى لَيْسَ بِالرَّاضِي بِأَدْنَى مَعيشَةٍ ولاَ في بُيُوتِ الحَيِّ بِالمُتَوَلِّجِ

يقول: ليس بالرَّاضي بأدنى معيشةٍ، ولكنه يطلبُ المعالي من الأمور، وقوله «ولا في بيوت الحيِّ بالمتولِّج» جعل في بيوت تبيينًا، وقد حصلَ الاكتفاءُ بقوله «المتولِّج» فيكون موقعه منه كموقع بك من قوله «مرحبًا بك»؛ لِئَلاَّ يحصل تقديم الصِّلَة على الموصول، وإن شئتَ جعلتَ الألف واللاَّم في قوله المتولِّج للتعريف، لا بمعنى الَّذي، فلا يحتاج إلى تقدير الصِّلَة في الكلام.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٨٧).

[٧٨٥] وقال يزيد الحارثي[١]:

١ - وَإِذَا الـفـتَـى لاَقَـى الـحِـمَـامَ رَأَيـتَـهُ ... لَـوْلاَ الـثَّـنَـاءُ كَـأَنَّـهُ لَـمْ يُـولَـدِ

٢ - وَأَتَـيْـتُ أَبْـيَـضَ سَـابِـغًـا سِـرْبَـالُـهُ ... يَكْفِي المُشَاهِدَ غَيْبَ مَنْ لَمْ يَشْهَدِ

الأول من الكامل، والقافية متدارك.

السَّابغ: التَّامّ، والعرب تُعَبِّرُ عن النَّفسِ بِالثياب، ويقولون أيضًا «فلانٌ طاهرُ الثِّيابِ» في المدح، و«دَنِسُ الثِّياب» في الذَّمِّ، ويجوز أن يكون أراد بقوله: «سابغًا سِربالُه» طولَ قامته، ولا يتمُّ سِرباله إلاَّ وقامته تامَّة، وقوله: «يكفي المشاهد» أي: يقوم مقامَ الغائبِ كفايةً له ونيابةً عنه.

[٧٨٦] وقال دُرَيْد بن الصِّمَّة[٢]: [الطويل]

١ - تَـرَاهُ خَـمِـيـصَ الـبَـطْـنِ والـزَّادُ حَـاضِـرٌ ... عَـتِـيدٌ ويَـغْـدُو فـي الـقَـمِـيـصِ الـمُـقَـدَّدِ

٢ - وإِنْ مَـسَّـهُ الإِقْـوَاءُ وَالـجَـهْـدُ زَادَهُ ... سَـمَـاحًـا وَإِتْـلاَفًـا لِـمَـا كَـانَ فـي الـيَـدِ

٣ - قَـصِـيـرُ الإِزَارِ خَـارِجٌ نِـصْـفُ سَـاقِـهِ ... صَـبُـورٌ عَـلَـى الـعَـزَّاءِ طَـلاَّعُ أَنْـجُـدِ

٤ - قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ ... مِنَ اليَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ

وقد مرَّت هذه الأبيات مشروحة.

[٧٨٧] وقال آخر[٣]:

١ - كَـرِيـمٌ رَأَى الإِقْـتَـارَ عَـارًا فَـلَـمْ يَـزَلْ ... أَخَـا طَـلَـبٍ لِـلْـمَـالِ حَـتَّـى تَـمَـوَّلاَ

٢ - فَـلَـمَّـا أَفَـادَ الـمَـالَ عَـادَ بِـفَـضْـلِـهِ ... عَـلَـى كُـلِّ مَـنْ يَـرْجُـو جَـدَاهُ مُـؤَمِّـلاَ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الإقتار: نقيض الإكثار، يقال: قَتَّرَ على أهلِه، وأَقْتَرَ؛ إذا ضَيَّقَ عليهم في الإنفاقِ، يمدحُ رجلاً بأنه أنفَ الفقر وطلب المال؛ فكلّما استغنى أَفْضَلَ على مُؤَمِّلِه.

[٧٨٨] قال أبو تمام: لما أُتِيَ يزيدُ بن عبد الملك بآلِ المُهَلَّبِ قامَ كُثَيِّر بين يدي يزيد، فقال: [الطويل]

١ - حَـلِـيـمٌ إِذَا مَـا نَـالَ عَـاقَـبَ مُـجْـمِـلاً ... أَشَـدَّ الـعِـقَـابِ أَوْ عَـفَـا لَـمْ يُـثَـرِّبِ

---

(١) يزيد بن المخرِّم بن حزن بن زياد الحارثي المذحجي: من سادات الجاهلية وشعرائها، شهد يوم الكلاب الثاني. ترجمته في: (النقائض طبعة ليدن ص ١٥٠؛ والتاج ٨/ ٢٧٢؛ واللباب ٣/ ١٠٩).

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٧١)، وكذلك مرّت الأبيات في نفس الحماسية مع أخرى.

(٣) الحماسة البصرية ١/ ١١٣ لأحمر بن سالم المرّيّ.

قال أبو عبيدة في قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾[1] أي: لا تخليط ولا فساد وقال غيره: لا تعيير ولا توبيخ.

٢ ـ فَعَفَوًا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةً   فَمَا تَكْتَسِبْ مِنْ صَالِحٍ لَكَ يُكْتَبِ[2]

قوله «فعفوًا أميرَ المؤمنين» طلبٌ وسؤالٌ، وانتصاب «عفوًا» على المصدر، فيقول: اعفُ فقد قدرتَ واحتسبْ عند الله بما تأتيه حسبةً.

٣ ـ أَسَاؤوا فَإِنْ تَغْفِرْ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ   وَأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال له يزيد: أَطَّتْ بكَ الرَّحِمُ: أي عطفتكَ عليهم الرَّحِمُ، ولولا أنَّهم قَدَحُوا في المُلْكِ لَعفوتُ عنهم.

[٧٨٩] **وقال يزيد بن الجَهْم[3]:**

١ ـ تُسَائِلُنِي هَوَازِنُ أَيْنَ مَالِي   وَهَلْ لِي غَيْرَ مَا أَتْلَفْتُ مَالُ

الأول من الوافر.

«هل لي» استفهام على طريق النفي، كأنه قال: وما لي مالٌ إلاَّ ما أتلفته، وانتصب «غير» على أنه استثناء مُقَدَّم.

٢ ـ فَقُلْتُ لَهَا هَوَازِنُ إِنَّ مَالِي   أَضَرَّ بِهِ المُلِمَّاتُ الثِّقَالُ

٣ ـ أَضَرَّ بِهِ نَعَمْ، وَنَعَمْ قَدِيمًا   عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَالٍ وَبَالُ

انتصب «قديمًا» على الظَّرف، والعامل فيه ما اشتمل عليه قوله «على ما كان من مال وبال» ونَعَم: حرف وضع للإيجاب، ونقيضه لا، وقد جعله الشَّاعر على هيئته منقولاً إلى باب الأسماء، وهو فاعل لأَضَرَّ، ومبتدأ في قوله «ونَعَمْ قديمًا» والخبر «وبَالٌ» ويجوز أن يكون «قديمًا» انتصب على الصفة المتقدِّمة: أي نَعَمْ وبالٌ قديم على الأَموال، فلمَّا قُدِّمَ نصبَه، ومثله: [مجزوء الرمل]

لِمَيَّةَ مُوحِشًا طَلَلُ[4]

[٧٩٠] **وقال أعرابي:**

١ ـ أَلاَ فَتَى نَالَ العُلَى بِهِمَّهِ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢.   (٢) المرزوقي: «فما تَختَسِبْ».

(٣) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي: «وقال يزيد بن الحكم الهلالي».

(٤) البيت لكُثَيِّر عَزَّة في شواهد العيني ٣/١٦٣، وتمامه:

لِمَيَّةَ موحِشًا طَلَلُ   كأنَّ رسومَها الخِلَلُ

٢ ـ لَيْسَ أَبُوهُ بِابْنِ عَمِّ أُمِّهِ
٣ ـ تَرَى الرِّجَالَ تَهْتَدِي بِأُمِّهِ

من مشطور الرجز، والقافية متدارك.

«أَلاَ فَتًى» تَمَنٍّ، وألف الاستفهام دخل على «لا» النافية لهذا المعنى، وقوله «ليس أبوه بابنِ عَمِّ أُمِّه»، هو المعنى الذي ورد الخبر به «اغتربوا لا تُضْوُوا»(١) لأنهم كانوا يعتقدون أن الولد إذا كان بين مشاركين في النسب مقاربين جاء ضاويًا.

[٧٩١] وقال ابن المولى(٢) ليزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب:

١ ـ وَإِذَا تُبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرى ... فَسِوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ المُشْتَرِي

الأول من الكامل، والقافية متدارك:

قوله «تُباع أو تُشتَرى» أو بمعنى الواو، فهو كما يُكْتَبُ في العقود «وكُلُّ حَقٍّ داخلٍ أو خارجٍ».

٢ ـ وَإِذَا تَوَعَّرَتِ المَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ ... مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ

يريد وإذا اشتدَّ الزَّمَانُ فانْسَدَّتِ الطُّرُقُ إلى مَنْ يبتدىءُ بالمعروف، و«تَوَعَّرَتْ» من قولهم طريق وَعْرٌ: أي غليظٌ، وقد وَعَرَ يَعِرُ، وَوَعِرَ يَوْعَرُ، وطريق أَوْعَر: من هذه اللّغة أي وَعْر، كقوله تعالى ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(٣) يقول: الوُصُول إلى عطائك سهل؛ لسماحتك.

٣ ـ وإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتْمَمْتَهَا ... بِيَدَيْنِ لَيْسَ نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرِ
٤ ـ وَإِذَا هَمَمْتَ لِمُعْتَفِيكَ بِنَائِلٍ ... قَالَ النَّدَى فَأَطَعْتَهُ لَكَ أَكْثِرِ
٥ ـ يا وَاحِدَ العَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَهُمْ ... مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلاَ مِنْ مَقْصِرِ

قوله «ما إنْ لهم من مَذْهَب» أي: من طريق يَعْدِلُونَ إليه عنه، «ولا مَقْصِر» بكسر الصَّاد، والقياس فتحها، لأنه مَن قَصَرَ يَقْصُرُ، والمَقْصِرُ: الغاية، وفَسَّرَ هنا الحيلة والملجأ، والمقصر أيضًا: آخر النهار؛ لأنه غايته.

---

(١) تاج العروس (ضوى) وقال في معناه: أي تزوّجوا الأجنبيات ولا تتزوّجوا في العمومة، والضاوي: النحيف.

(٢) محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار: شاعر متقدّم مجيد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفًا عفيفًا حَسَن الهيئة. مدح عبد الملك بن مروان (ت نحو ١٧٠ هـ/ نحو ٧٨٦ م). ترجمته في: (الأغاني ١٢: ١٦١ و١٩: ٣٩، دار الكتب العلمية؛ والمرزباني ص ٤١١).

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

[٧٩٢] وقال المُعَذَّلُ بن عبد الله اللَّيثِيّ:

وأخذ بِجُرْمٍ فكفلَ عنه النَّهس بن ربيعة العَتَكيّ، وكان حيث كفلَ به دفع إليه فحمله على فرس وبغلٍ وأمره أن ينجو بنفسه وأسلم نفسه مكانه، فقال له المُعَذَّل: أُخَيِّرُك بين أن أمدحكَ أو أمتدحَ قومك، فاختارَ امتداحَ قومه فقال:

١ ـ جَزَى اللَّهُ فِتْيَانَ العَتِيكِ وإنْ نَأَتْ بِيَ الدَّارُ عَنْهُمْ خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

إن قيل: ما فائدة قوله «وإن نأتْ بي الدَّارُ عنهم»؟ قلت: أراد أنه يشكرهم غير مقارض للثناء ولا طامع فيه.

٢ ـ هُمُ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وأَكْرَمُوا الـ ـصَّحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَا كُنْتُ لاَقِيَا

قوله «لَمَّا حُمَّ» يجوز أن يكون ظَرْفًا لخلطوني، ويجوز أن يكون ظرفًا لأكرموا، ومعنى حُمَّ: قُدِّرَ.

٣ ـ هُمُ يُفْرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ وأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المُغَالِيَا[1]

«يفرشونَ اللِّبْدَ» بضمّ الياء: يجعلون اللِّبد فراشًا لظهورِ كلِّ حجر وَثَّابة وكلّ فحل كريم سَبَّاح، يقال: فرشتُ الفراشَ، وأفرشنيه فلان، وافترشت الأرض والمرأة، وروى بعضهم «يَفْرُشون» بفتح الياء، وقال: أراد يَفرشون اللِّبْدَ على كلِّ طِمِرَّةٍ، فحذف الجار، ويقال: فَرَشْتُ ساحتي الآجُرَّ، وبِالآجُرِّ، وقوله «يَبُذُّ المغاليا» إن ضممت الميم جاز أن يُراد به السَّهم نفسه، أو فرس يغاليه، وجاز أن يُراد به الرافع يده بالسَّهم يريد به أقصى الغاية، ويقال: بيني وبينه غَلْوَةُ سهم، كما يقال: قيدُ رمحٍ، وقَابُ قوسٍ، وإن فتحت الميم يكون جمعًا للمِغْلاَة، وهي السَّهم يُتَّخَذُ لِلمغالاة، و«المُعالي» بضم الميم والعين غير معجمة الذي يريد أن يعلوه ولا يقدر على ذلك لطوله.

٤ ـ طَعَامُهُمُ فَوْضَى فَضًا فِي رِحَالِهِمْ ولاَ يُحْسِنُونَ السِّرَّ إلاَّ تَنَادِيَا

«فوضى فَضًا» فَوْضَى: من فَوَّضْتُ إليكَ الأمرَ، والفَضَا: من فَضَتِ الأرضُ إذا اتَّسَعَتْ، ومنه الفضاءُ، وأفضيتُ إليكَ بكذا، وقال أبو العلاء: فوضى فَضًا: أي مختلطٌ، يريد أنهم لا يستأثر بعضُهم على بعضٍ في المأكول، قال الشَّاعر: [الطويل]

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَمَّتَا لَكِ نَاقَتِي وَتَمْرٌ فَضًا فِي عَيْبَتِي وَزَبِيبُ[2]

---

(١) الطِّمِرَّة: الفرس الكثيرة الجري. والأجرد: الفرس القصير الشَّعر.
(٢) البيت في تاج العروس واللّسان والتهذيب (فضو).

وقيل: إنَّ الفَضَا المفترق، والمعنى متقارب، وأهل العلم منهم مَن يفسّر السِّرَّ في هذا البيت بالنّكاح، ولا يمتنع ذلك، والأحسن أن يكون المعنى لا يفعلون قبيحًا يستر، فكلُّ أفعالهم ظاهرة لأنها جميلة، فعلى هذا يكون «تناديًا» مستثنى، ويكون التقدير: ولا يحسنونَ السِّرَّ لكنّهم يتنادون، ويجوز أن يكون «تناديًا» في موضع الحال، فيكون من باب: [الوافر]

تَـحيَّـةُ بَيْنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ[1]

و«أُعْتِبُوا بالصَّيْلم»[2] وما أشبهها.

٥ - كَـأَنَّ دَنَـانِـيـرًا عَـلَـى قَـسَـمَـاتِـهِـمْ   إذَا الـمَـوْتُ لِـلأَبْـطَـالِ كـانَ تَـحَـاسِـيَـا

القسمة: الوجه، ويقال: وجهٌ مُقَسَّمٌ إذا وُفِّيَ كلُّ جزءٍ منه حَظّه من الحُسْنِ.

[٧٩٣] وقال أعرابيّ:

١ - وَزَادٍ وَضَـعْـتُ الـكَـفَّ فِـيـهِ تَـأَنُّـسًـا   وَمَا بِيَ لَوْلاَ أُنْسَةُ الضَّيْفِ مِنْ أَكْلِ

الأوّل من الطويل، والقافية متواتر.

يقال: أُنْسٌ وأُنْسَةٌ، كما يقال: بُعْدٌ وبُعْدَةٌ، وشَقَاءٌ وشَقَاوَةٌ، ومنزلٌ ومنزلةٌ، ودارٌ ودارةٌ، وقوله «من أَكْلٍ» في موضع الرَّفع لأنه اسم ما.

٢ - وَزَادٍ رَفَـعْـتُ الـكَـفَّ عَـنْـهُ تَـكَـرُّمًـا   إذَا ٱبْـتَـدَرَ الـقَـوْمُ الـقَـلِـيـلَ مِنَ الـثُّـفْـلِ

«تَكَرُّمًا» في موضع الحال، و«إذا ابتدرَ» ظرف لرفعت، وهو جوابه، والثُّفْلُ: رُذَالُ الطَّعام.

٣ - وَزَادٍ أَكَـلْـنَـاهُ ولَـمْ نَـنْـتَـظِـرْ بِـهِ   غَدًا؛ إنَّ بُخْلَ المَرْءِ مِنْ أَسْوإِ الفِعْلِ

أي: لم ننتظرْ باستيفائِهِ غَدًا: أي مجيء الوقتِ الّذي نُسَمِّيه غَدًا.

[٧٩٤] وقال بعضهم:

١ - لَـقَـلَّ عَـارًا إذَا ضَـيْـفٌ تَـضَـيَّـفَـنِـي   مَا كانَ عِنْدِي إذَا أَعْطَيْتُ مَجْهُودِي

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

---

(١) هذا عجز بيت لعمرو بن معديكرب وصدره: «وخيل قد دلفت لها بخيل».

(٢) هذه قطعة من بيت لبشر بن أبي خازم في اللسان (صلم) وتمامه:

غَـضِـبَـتْ تَـمِـيـمٌ أن تُـقَـتَّـلَ عـامـرٌ   يـومَ الـنِّـسَـارِ فـأُعْـتِـبـوا بـالـصَّـيْـلَـمِ

والصّيلم: الداهية، والصّيلم: السيف.

اللاَّم من «لَقَلَّ» جواب يمين مضمَرة، وفاعل «قَلَّ» ما كان عندي، و«عارًا» انتصب على التمييز، وهو ممّا نُقِلَ الفعلُ عنه، كأنه قال: لَقَلَّ عَارٌ ما كان عندي، فنقل قَلَّ وجعله لقوله ما كان، وأشبه «عارًا» المفعول فنصبه، وقوله «إذا أعطيتُ» ظرف لقوله «ما كان عندي» أي: إذا أعطيتُ منه مجهودي إذا ضيفٌ تَضَيَّفَني، والمعنى: لا عارَ في القليل الذي عندي إذا أعطيتُ مجهودي في الوقت الَّذي يتضيَّفني الضَّيف.

٢ ـ جُـهْـدُ الـمُـقِـلِّ إذا أعْـطَـاكَ نَـائِـلَـهُ ... ومُكْثِرٍ في الغِنَى سِيَّانِ في الجُودِ[١]

«جهدُ المُقِلِّ» مبتدأ، وعطف «مُكثِرٍ» على المقلِّ، وقد حذف المضاف منه، والمراد وجهد مكثر في الغنى، فاكتفى بالأوّل عن الثاني، و«سِيَّان» خبر المبتدأ، كأنه قال: جهدُ المقلِّ إذا أعطاك ما عنده وجهد مكثر في الغنى مثلان في أحكام الجود وشرائطه؛ لأنَّ كُلاً منهما فعل مجهوده، وإنّما قِيلَ هذا لأنكَ إن لم تضمر في قوله «ومكثر» المضاف تكون قد جمعت بين الحدث وهو «جهد المقلّ» وبين الذّات وهو «مكثر» فجعلتهما سِيَّيْنِ، والشرط أن تضمَّ الحدثَ إلى الحدثِ والذَّاتَ إلى الذّاتِ، وقوله «في الغنى» في موضع الصّفة لمكثر، كأنه قال: ومكثرٍ غَنِيٍّ، كما تقول: جاءني رجلٌ في جُبَّةٍ، تريد وعليه جُبَّةٌ، وتحقيقه: جاءني رجلٌ لابِسٌ جُبَّة.

[٧٩٥] وقال خَلَفُ بن خليفة[٢]**، مولى قيس بن ثعلبة: [الطويل]**

ويقال له: الأقطع؛ لأنه قُطِعَتْ يَدُه لِسرقة اتُّهِمَ بها، وكان لَسِنًا بَذِيًا، وقال أبو عثمان المازني: لَقِيَ رجلٌ خلفَ بن خليفة الأقطع، فقال له خلف: مَنِ الَّذي يقول: [الطويل]

هُوَ القَيْنُ وَابْنُ القَيْنِ لاَ قَيْنَ مِثْلُهُ ... لفَطْحِ المَسَاحِي أوْ لِجَدْلِ الأَدَاهِمِ

يعرض بالفرزدق، فقال: الذي يقول: [الطويل]

هُوَ اللِّصُّ وَابْنُ اللِّصِّ لاَ لِصَّ مِثْلُهُ ... لِنَقْبِ البُيُوتِ أوْ لِطَرِّ الدَّرَاهِمِ

١ ـ عَدَلْتُ إلَى فَخْرِ العَشِيرَةِ والهَوَى ... إلَيْهِمْ وَفِي تَعْدَادِ مَجْدِهِمِ شُغُلُ

قوله «والهوى إليهم» مبتدأ وخبر قد اعترض بين عجز البيت وصدره، والواو واو الحال، والمعنى وهَوَاي معهم؛ لأنَّ «إلى» بمعنى مع، كما يقال: هذا إلى ذاك، ويجوز أن يعطف «والهوى» على فخر العشيرة، فيكون المراد عَدَلْتُ إلى الافتخار بهم وإلى

(١) المرزوقي: «جَهْدُ المُقِلِّ». والجَهْدُ: الطّاقة والوُسْع، وقيل: المبالغة والغاية، وجُهْدُ المُقِلِّ: أي قَدْرُ ما يحتمله حالُ القليلِ المال.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٩٦).

الهوى معهم، فيقول: صرفتُ هَمِّي إلى ذِكْرِ مَفَاخِرِ العشيرةِ وهَوَايَ معهم، وتركت غيره؛ لأنَّ في عَدِّ مجدهم وإحصائه ما يشغلني عن غيره. ثم كَرَّرَ «إلى» مُفَخِّمًا ومُعَظِّمًا فقال:

٢ ـ إلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَشْرَفَتْ   لَهَا الذِّرْوَةُ العَلْيَاءُ والكَاهِلُ العَبْلُ

٣ ـ إلَى النَّفَرِ البِيضِ الألاَءِ كَأَنَّهُمْ   صَفَائِحُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَخْلَصَهَا الصَّقْلُ

٤ ـ إلَى مَعْدِنِ العِزِّ المُؤَيَّدِ والنَّدَى   هُنَاكَ هُنَاكَ الفَضْلُ والخُلُقُ الجَزْلُ

قال «إلى هضبةٍ من شأنها كذا» و«إلى النَّفَرِ» و«إلى معدن» والمراد بجميع ما ذكر العشيرة، وإن اختلفت العبارات عنها، والنَّفر البِيض: يعني آل شيبان، ذكر عِزَّهم وكَنى عنهم بالهضبة، والقصد إلى الملجأ، والألاء: في معنى الذين، وما بعده من صلته، ويُمَدُّ ويُقْصَرُ، وأراد بالبِيض الكِرام النَّقِيِّي الأحساب، وقوله «كأنّهم صفائح يومَ الرَّوْعِ» إن شئت أضفتَ الصَّفائِحَ إلى يوم الرَّوْعِ، وإن شئت نصبت اليوم على الظَّرف، وعلى الوجهين يكون «أخلصَها الصَّيْقلُ» من صفة الصَّفَائح، و«المؤيَّد» المُقَوَّى، ويُروَى «المُؤبَّد» يعني الدَّائم الثَّابت على مَرِّ الأيام، وقوله «والنَّدَى» لكَ أن تجرّه معطوفًا على العِزِّ، ويصير هناك مكرّرًا، والفضل مبتدأ، وهناك خبره، وقد كَرَّر الخبر تفخيمًا، وكما يُكَرَّرُ الخبر يكرّر المبتدأ، تقول: زيدٌ زيدٌ عاقلٌ، وزيدٌ عاقلٌ عاقلٌ، ولكَ أن تجعل «والنَّدَى» مبتدأ، ويكون هناك الأوَّل خبره، والواو واو الحال، ويكون «هناك الفضل» مُستأنفًا، والجزالة تُستعمل في الرأي والخُلُقِ والعقل.

٥ ـ أُحِبُّ بَقَاءَ القَوْمِ لِلنَّاسِ؛ إنَّهُمْ   مَتَى يَظْعَنُوا مِنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً يَخْلُو[(١)]

انجزم «يخلو» لأنه جواب الشَّرط، وهو متى يظعنوا، والواو للإطلاق لا التي كانت لام الفعل.

٦ ـ عِذَابٌ عَلَى الأَفْوَاهِ مَا لَمْ يَذُقْهُمُ   عَدُوٌّ، وَبِالأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَحْلُو

«ما لم يذقهم» ما في موضع الظرف، أراد أنَّ طَعْمَهُم حُلْوٌ، إلاَّ على أفواه العُدَاةِ، لأنَّ مذاقتهم تمرُّ على أفواههم ويخشنُ جانبهم لهم، وقد جمع بين الطّعم والذّكر في البيت، ولذلك أعاد ذكر الأفواه فقال «وبالأفواه» كأنه قصدَ في الأوّل الإنباء عن كرم طبعهم ولِينِ أخلاقِهم عند التّجربة، وفي الثاني أنه يستحلى ذكرهم فيطيب في السَّمْعِ لِشُمولِ إحسانِهِم وكثرة محاسنهم.

٧ ـ عَلَيْهِمْ وَقَارُ الحِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا   وَلِيدُهُمُ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ

---

(١) المرزوقي: «عن مِصْرِهِمْ».

٨ ـ إذَا اُسْتُجْهِلُوا لَمْ يَعْزُبِ الحِلْمُ عَنْهُمُ   وَإنْ آثَرُوا أنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ الجَهْلُ

٩ ـ هُمُ الجَبَلُ الأعْلَى إذَا مَا تَنَاكَرَتْ   مُلُوكُ الرِّجَالِ أوْ تَخَاطَرَتِ البُزْلُ

«تناكرتْ» تفاعلت من النُّكْر الدَّاهِية، وهو حسن، ويجوز أن يكون تفاعل من الإنكار، فيكون تناكرت ضِدّ تعارفت: أي ينكرُ بعضُهم بعضًا لِمَا ينطوي عليه كلٌّ لِصَاحِبِه من سوءِ الرَّأي وإضمارِ الشَّرّ، و«تخاطرت البُزْلُ» هو تفاعل من الخطران، وهو إشالة الأذناب، وإدارتها عند الهِياجِ، وهذا إشارة إلى المحاربين إذا تدافعوا بأركانهم، كما أن قوله «تناكرت ملوك الرِّجَالِ» أراد تَدَاهَوْا بمكايدِهم، فيريد أنهم يعلون رؤساء النَّاس قَوْلاً وفعلاً ومَكْرًا.

١٠ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ القَتْلَ غَالٍ إذَا رَضُوا   وإنْ غَضِبُوا في مَوْطِنٍ رَخُصَ القَتْلُ

١١ ـ لَنَا فِيهِمُ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ   إذَا حَرَّكَ النَّاسَ المَخَاوِفُ والأزْلُ

١٢ ـ لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ يَدْعُو صَرِيخُهُمْ   إذَا الجَارُ وَالمَأْكُولُ أرْهَقَهُ الأكْلُ

المحمود بنعم محذوف، كأنه قال: إذا استغاثَ بهم الصَّريخ، وهو المستغيث فاستنصرهم ودعاهم أجابوه فنِعْمَ الحيُّ هم وقد دعوا إذا الجار مأكول ومطموع فيه وإذا اشتدَّ الزَّمَانُ، وقوله «الجار» مبتدأ، و«أرهقه الأكلُ» في موضع الخبر، واكتفى بالإخبار عنه وإن كان عطف المأكول عليه، كأنه قال: إذا الجارُ أرهقَهُ الأكلُ والمأكولُ كذلك، ويشبهه قول الآخر في الإخبار عن المعطوف عليه دون المعطوف: [الطويل]

فَإنِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ[1]

ومعنى «أرهقه الأكلُ» ضَيَّقَ عليه وغَشِيَهُ، وقد قيل «أكلتُ فلانًا» إذا غَلَبْتَهُ، وكُنِيَ عن المستضعَفِ باللَّحم والشَّحْم فقيل: تُرِكَ فلانٌ لحمًا على وَضَمٍ، وفلانٌ شحمٌ للمبتلع[2]، قال: [الطويل]

فَلاَ تَحسَبَنِّي يَا ابْنَ أرْتَم شَحْمَةً   تَزَرَّدَهَا طَاهِي شِوَاءٍ مُلَهْوَجِ

١٣ ـ سُعَاةٌ عَلَى أفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ   وتَبْلُ أقَاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمُ تَبْلُ

«يسعى» يُستعمَل على وجوه، وكذلك السّعاية، يقال للمصدّق: السَّاعي، والمصدر السِّعاية، وهو يسعى على قومه، إذا قامَ بأُمورِهم، والمَسْعَاةُ في الكَرَم والجود، والشَّاعر يريد أنهم يَذُبُّونَ عنهم ويسعونَ في مصالحهم، وقوله «وتَبْلُ أقاصي قومِهم لهم تَبْلُ» أي

---

(١) هذا عجز بيت لضابىء بن الحارث البرجمي وصدره: «فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بالمدينةِ رَحْلُهُ».

(٢) المرزوقي: «لِلمُتَبَلِّغ».

ذَخلُ الأباعدِ من قومِهم كَذَخلِ المختصّ بهم، لأنهم يتشمَّرُونَ في الانتقامِ والانتصارِ فيهما على حَدٍّ واحد.

١٤ ـ إذَا طَلَبُوا ذَحلاً فَلاَ الذَّحلُ فَائِتٌ   وَإنْ ظَلَمُوا أَكْفَاءَهُمْ بَطَلَ الذَّحلُ

١٥ ـ مَوَاعِيدُهُمْ فِعْلٌ إذَا مَا تَكَلَّمُوا   بتِلْكَ الَّتِي إنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الفِعْلُ

«بتلك» أي بالكلمة، وهي نعم، أي: إذا قالوا نعم وجب الفعل فلم يتأخّرْ.

١٦ ـ بُحُورٌ تُلاَقِيهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ   إذَا زَخَرَتْ قَيْسٌ وَإخْوَتُهَا ذُهْلُ

زخَرَ البحرُ زخورًا، إذا طَمَا مَوْجُه، وأصل البحر من الشّقّ، ومنه سُمِّيَت البحيرةُ، وهي التي تُشَقّ أُذنها.

[٧٩٦] وقال آخر:

١ ـ عَادَوْا مُرُوءَتَنَا فَضُلِّلَ سَعْيُهُمْ   وَلِكُلِّ بَيْتِ مُرُوءَةٍ أَعْدَاءُ[١]

٢ ـ لَسْنَا إذَا ذُكِرَ الفَعَالُ كَمَعْشَرٍ   أَزْرَى بِفِعْلِ أَبِيهِمِ الأَبْنَاءُ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

ويشبهه قول الآخر: [البسيط]

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً   وَلاَ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادَا

وقوله: [الكامل]

لاَ يَمْلِكُونَ عَدَاوَةً مِنْ حَاسِدٍ   وَحِذَاءَ كُلِّ مُرُوءَةٍ حُسَّادُهَا

وقوله «ضُلِّلَ سَعْيُهم» أي نُسِبَ إلى الضَّلال لما لم يلحقوا شأوَهم، وقوله «لسنا إذا ذكر الفعال كمعشرٍ» يريد أنَّا لا نعتمدُ على مناسِبِنا وعلى ما قدّمه أسلافُنا من المفاخر والمَسَاعي، لكنّنا نُعَمِّرُ ما شَيَّدُوه.

[٧٩٧] وقال المتوكّل اللّيثي[٢]: [الكامل]

١ ـ لَسْنَا وَإنْ أَحْسَابُنَا كَرُمَتْ   يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ[٣]

٢ ـ نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا   تَبْنِي ونَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

---

(١) المرزوقي: «وضُلِّلَ».
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٤٣).
(٣) المرزوقي: «مِمَّن على الأحسابِ يَتَّكِلُ».

[٧٩٨] وقال طُرَيْح بن إسماعيل الثقفي[١]: [الطويل]

«طريح» يجوز أن يكون تصغير طَرْحٍ، من قولك طرحتُ الشَّيءَ طَرْحًا أو طارح أو طروح أو إطريح ونحو ذلك، و«ثقيف» يمكن أن يكون فعيلاً في معنى مفعول، من قولهم: ثقفتُ بِالشَّيء أثقفه ثقافةً وثقوفةً، إذا حذقته، أو من ثقفتُ الرَّجُلَ، إذا طعنته، وهو مثقوفٌ وثقيفٌ منهما جميعًا، واسم ثقيف قَسِيٌّ، وإنما ثقيف لقبه، يمدح خالدَ بنَ عبد الله القَسْرِيّ.

١ ـ طَلَبْتُ ٱبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ[٢]
٢ ـ وَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِي الجَزِيلَ بَدِيهَةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ
٣ ـ فَأَرْجِعُ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي المَكْرُمَاتِ وَآخِرُ

قوله «فأرجع مغبوطًا» أي: أرجعُ عنك مرموقًا ومُحَسَّدًا في الناس مذكورًا، وترجعُ أنتَ بخصلِ الكرمِ والسَّبْقِ إلى الغاية المطلوبة لها أوّل يبتدأ به وآخر يُنتهى إليه.

[٧٩٩] وقال حبيب بن عوف[٣]: [الطويل]

١ ـ فَتًى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الحَمْدِ رَغْبَةً إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلِ

أي لم يُبْطِرْهُ الغِنَى ولا أطْغَتْه السَّلطنة.

[٨٠٠] وقال ابن الزَّبِيرِ الأسدي[٤] يفضل محمد بن مروان على عبد العزيز:

١ ـ لاَ تَجْعَلَنَّ مُثَدَّنًا ذَا سُرَّةٍ ضَخْمًا سُرَادِقُهُ عَظِيمَ المَوْكِبِ[٥]

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

المثَدَّن: الثقيل الجسم الكثير اللَّحم، وجعله ذا سُرَّةٍ أي إنّها ضخمة، وكلُّ الناس لهم سُرَرٌ ولكنهم يخصُّونَ في بعض المواضع لعلم السَّامع بما يريدون، فيقولون: لفلان رأسٌ: أي رأسٌ عظيمٌ، ونحو من هذا قولهم: فلانٌ رجلٌ: أي إنه فاضلٌ، وهذا الاسم يقع على الناقص وغيره، ولكنهم ينطقون بذلك إذا أرادوا التفضيل، كأنهم يحذفون الصِّفة، والسُّرادِق: ما حول الخيمة والقبّة، يقول: هو مستظلٌ له وقاء من الحرِّ والبرد لا يبتذل في الحروب ولا يركب مركبًا صعبًا.

---

(١) طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفيّ، أبو الصّلت: شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليله، وأكثر شعره في مدحه (ت ١٦٥ هـ/ ٧٨١ م). ترجمته في: (الأغاني ٤/ ١٢٧؛ وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٥٣؛ وإرشاد الأريب ٤/ ٢٧٦).

(٢) المرزوقي: «فيما فعلتَ بي».

(٣) في الحيوان ٧/ ١٥١ نسبه إلى زياد الأعجم.

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٣٢٢).

(٥) المرزوقي: «مُبَدَّنًا» و«وطيءَ الموكبِ».

٢ ـ كَأَغَرَّ يَتَّخِذُ السُّيُوفَ سُرَادِقًا   يَمْشِي بِرَايَتِهِ كَمَشْيِ الأَنْكَبِ

الأنكب: الذي أحد منكبيه أشرف من الآخر.

٣ ـ فَتَحَ الإِلٰهُ بِشِدَّةٍ لَكَ شَدَّهَا   مَا بَيْنَ مَشْرِقِهَا وَبَيْنَ المَغْرِبِ(١)

٤ ـ جَمَعَ ابْنُ مَرْوَانَ الأَغَرُّ مُحَمَّدٌ   بَيْنَ ابْنِ أَشْتَرِهِمْ وَبَيْنَ المُصْعَبِ

«بين ابن أشترهم» أضافه إلى مَنْ كان يدين له ويدخل تحت طاعته وهواه: أي جمع بين قتل ابن الأشتر ومُصعب بن الزبير فأراح منهما.

[٨٠١] وقال أعشى ربيعة(٢):

قال أبو تمام: دخل أعشى بني ربيعة، وهو من بني شيبان ثمّ من بني ربيعة، من بطن منهم يقال لهم: بنو أمامة، على عبد الملك بن مروان، فقال له: يا أبا المغيرة، ما بَقِيَ من شِعرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لقد بَقِيَ منه وذهب، على أني الذي أقول: [الطويل]

١ ـ وَمَا أَنَا فِي حَقِّي وَلاَ فِي خُصُومَتِي   بِمُهْتَضَمٍ حَقِّي وَلاَ قَارِعٍ سِنِّي

قوله «في حَقِّي»: أي فيما أستحقّه من النَّاس كَافَّةً، «ولا قارع سِنّي»: أي لا أندمُ على شيء أفعله، لكمال حَزْمي وصواب تدبيري، ويُرْوَى «ولا فارغ قرني» يريد أنه لا يأمنني فيشغل بأسبابه ومصارفه، ولكن يكون أبدًا خائفًا مني ومشغولاً بي.

٢ ـ وَلاَ مُسْلِمٍ مَوْلاَيَ عِنْدَ جِنَايَةٍ   وَلاَ خَائِفٌ مَوْلاَيَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنِي

أي: إذا جَنَى ابن عَمّي جناية لم أَخذلْهُ، ولكنّي أدفعُ عنه، ولا أُلزمه جنايتي.

٣ ـ وَإِنَّ فُؤَادًا بَيْنَ جَنْبَيَّ عَالِمٌ   بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِي وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِي

نَكَّرَ «فؤادًا» لأنّه باتصال قوله «بين جنبيَّ» اختصَّ علم أنه قلبه من بين القلوب.

٤ ـ وَفَضَّلَنِي فِي الشِّعْرِ وَاللُّبِّ أَنَّنِي   أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَا أَعْنِي(٣)

٥ ـ وَأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ   عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبٍ وَابْنِ

[٨٠٢] وقال أيضًا في سليمان بن عبد الملك:

١ ـ أَتَيْنَا سُلَيْمَانَ الأَمِيرَ نَزُورُهُ   وَكَانَ امْرَءًا يُحْبَى وَيُكْرَمُ زَائِرُهْ

---

(١) المرزوقي: «ما بينَ مَشْرِقِ أهلِها والمغربِ».

(٢) أعشى ربيعة: هو عبد الله بن خارجة بن حبيب ...بن شيبان، شاعر إسلامي من ساكِني الكوفة، وكان مرواني المذهب شديد التعصّب لبني أميّة (ت نحو ١٠٠ هـ/ ٧١٨ م). ترجمته في: (الأغاني ١٦/ ١٥٥؛ والمؤتلف ص ١٢).

(٣) المرزوقي: «وأعرفُ مَنْ أعني».

٢ ـ إِذَا كُنْتَ بِالنَّجْوَى بِهِ مُتَفَرِّدًا فَلاَ الجُودُ مُخْلِيهِ وَلاَ البُخْلُ حَاضِرُهْ[١]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

النَّجْوى: المُسَارَّة، فيقول: إذا وقعتَ في خاطرِه وتفرَّدْتَ بمناجاتِه فالجودُ نَصْبُ عينيه والبخلُ غائبٌ عن هَمِّهِ.

٣ ـ كِلاَ شَافِعَيْ سُؤَالِهِ مِنْ ضَمِيرِهِ عَنِ الجَهْلِ نَاهِيهِ وَبِالحِلْمِ آمِرُهْ

جعل للسؤال شافعين، وزعم أنَّ كلاً منهما ينهاهُ عن البُخْلِ ويأمره بالبَذْلِ والإفضال، وهذا على طريقتهم في أنَّ الإنسانَ له نفسان عند ما يحضره من الفعال والمقال، فإحداهما تأمره بالفعل، والأخرى تنهاه وتبعثه على الترك، ومثله: [الطويل]

إذَا ائْتَمَرَتْ نَفْسَاهُ في السِّرِّ خَالِيًا[٢]

[٨٠٣] وقال الكُمَيْت[٣] يمدح مَسْلَمة بن عبد الملك:

١ ـ فَمَا غَابَ عَنْ حِلْمٍ وَلاَ شَهِدَ الخَنَا وَلاَ اسْتَعْذَبَ العَوْرَاءَ يَوْمًا فَقَالَهَا

٢ ـ يَدُومُ عَلَى خَيْرِ الخِلاَلِ وَيَتَّقِي تَصَرُّمَهَا مِنْ شِيمَةٍ وأَنْتِقَالَهَا[٤]

٣ ـ وتَفْضُلُ أَيْمَانَ الرِّجَالِ شِمَالُهُ كَمَا فَضَلَتْ يُمْنَى يَدَيْهِ شِمَالَهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: تزيدُ في الفضل والإفضال شِمالُ هذا الرَّجل على أيمانِ الرجال كلِّهم، كما غلبت يمينه شماله، فهذا وجه، والأَوْلى أن يجعل الضمير من الشِّمال عائدًا إلى الرِّجال، فيكون المعنى كما فضلت يمناه شمال الرجال كلِّهم، يريد أن زيادة شماله على أيمانهم في الظهور مثل زيادة يمينه على شمالهم في الظهور.

٤ ـ ومَا أَجِمَ المَعْرُوفَ مِنْ طُولِ كَرِّهِ وأَمْرًا بِأَفْعَالِ النَّدَى وأَفْتِعَالَهَا

«ما أَجِمَ» أي: ما كَرِهَ، وقوله «أمرًا بأفعال النَّدَى» عطفه على المعروف، يريد ولم يأجم الأمر بفعل النَّدى واكتسابه له، كأنه كان يبعثُ الغيرَ عليه ويتولَّى فِعله بنفسه.

---

(١) المرزوقي: «في النجوى» و«يُخليهِ».

(٢) هذا عجز بيت في الحماسية رقم (٣٨٢)، وصدره: «فتًى كان لا يطوي على البُخْلِ نفسَهُ».

(٣) الكُمَيت بن زيد الأسدي، أبو المستهلّ: شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، اشتهر في العصر الأموي، وكان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأنسابها، ثقة في علمه، وهو من أصحاب الملحمات. (ت ١٢٦ هـ/ ٧٤٤ م). ترجمته في: (الأغاني ١٥/١٠٨؛ والمرزباني ص ٣٤٧؛ والشعر والشعراء ص ٥٦٢).

(٤) المرزوقي: «تَصَرُّفَها» و«انْفِتالَها».

٥ ـ ويَبْتَذِلُ النَّفسَ المَصونَةَ نَفسَهُ إذَا مَا رَأى حَقًّا عَلَيهِ ٱبتِذَالَهَا

انتصب «نفسه» على البدل من النفس، ويكون المعنى أنه إذا رأى ابتذالَ نفسِه واجبًا عليه حَقًّا ملازمًا له يبتذلها ولا يصونها، وإنما يريد أنه يفعل ذلك في الشَّدائد، وهذا كما رُوِيَ في الخبر: «كنَّا إذا اشتدَّ بنا الأمرُ اتَّقَيْنا برسول الله ﷺ» ويُروى «وتبتذل النفس المصونة نفسُهُ» بالرفع، ويكون فاعل تبتذل، ويريد بالنفس المصونة كرائم أصحابه وأمواله، فيكون المعنى أنه لا يبقي ذخيرة من ذخائره إذا وجبَ إنفاقها ولا يصون نفسًا عزيزة عليه كريمة إذا وجب ابتذالها.

٦ ـ بَلَوْنَاكَ في أهْلِ النَّدَى فَفَضَلْتَهُمْ وَباعَكَ في الأَبْوَاعِ قِدْمًا فَطَالَهَا

يقال: فاضلته ففَضَلْتُه أَفْضُلُهُ، ولذلك تَعَدَّى، وإن كان «فضل الشَّيء» إذا زاد لا يتعدَّى، ومن شرط فعل المبالغة أن يجعل مستقبله على يَفْعل إذا كان صحيحًا، وإن كان في الأصل يجيء مفتوح العين أو مضمومه أو مكسوره، وكذلك قوله «فطالها» إنَّما تَعَدَّى وطَالَ الذي هو ضدّ قَصُرَ لا يتعدّى لأنه من «طاولته فطُلْته أطُوله» والمعتلّ في هذا المعنى يجري على أصله، يقال: باكيته فبكيته أَبْكِيه، إذا غلبته في البكاء، وطاولته فطُلْته أطُوله، إذا غلبته في الطَّوْل، وإنَّما لم يغيّروا المعتلّ لِئلاً يلتبسَ بنات الواو ببنات الياء، ولا يجيء هذا من كلِّ فِعل.

٧ ـ فأَنْتَ النَّدَى فِيمَا يَنُوبُكَ والسَّدَى إذَا الخَوْدُ عَدَّتْ عُقْبَةَ القِدْرِ مَالَهَا

النَّدَى والسَّدَى بمعنى واحد، وقد قيل: النَّدى بِالنَّهار والسَّدَى باللَّيل، وقال الخليل في الخَوْد: إنَّها المرأة الشَّابَّة ما لم تَصِرْ نَصَفًا، و«عُقْبَةُ القِدْرِ» ما يُبَقَّى فيها من المرقِ وغيره إذا استعيرت، وهذا كانوا يفعلونه في شدّةِ الزَّمَان، وخصَّ الخودَ لِكَرمها ونعمتها، وكان المستعير منهم إذا استعار قِدْرًا فردَّها رَدَّ في أسفلها شيئًا يسيرًا مِمَّا يُطْبَخُ، ليكونَ ذلك كالأُجرة لها، وذلك الشَّيء هو عافي القِدْرِ، قال الشَّاعر: [الطويل]

إذَا رَدَّ عَافِي القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرهَا[1]

وقيل: أراد بعافي القِدر الذي يطلب شيئًا مِمَّا فيها فيردّه المستعير.

[٨٠٤] وقال المتوكّل اللَّيثيّ[2]:

١ ـ مَدَحْتُ سَعِيدًا واصْطَفَيتُ ابْنَ خَالِدٍ وَلِلْخَيرِ أَسْبَابٌ بِهَا يُتَوَسَّمُ

---

(١) هذا عجز بيت لعوف بن الأحوص من المفضليّة رقم (٣٦)، وصدره: «فلا تسأليني واسألي ما خليقتي».

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٤٣).

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقول: اخترتُ من بين النَّاسِ ابنَ خالدٍ، وَقرَّظْتُ في شِعري سعيدًا، وللخير وجوه يتبيَّن وَسْمُه وعلامته بها.

٢ ـ فَكُنتُ كَمُجتَسٍّ بِمِخفَارِهِ الثَّرَى فَصَادَفَ عَينَ المَاءِ إذْ يَتَرَسَّمُ

أي: كنت في اصطفائي إيّاهما كرجل يتطلَّبُ الماءَ بِمِخْفَارِه مِنْ ثَرَى الأرضِ فصادفَ عينه ومنبعه: أي أصبت في القصد والاختيار ووضعت الثناء موضعه، ومَنْ روى «مُختَسّ» بالحاء فهو مفتعل من الحسّ، والجسُّ من التجسّس وهما يتقاربان، ومعنى «يترسّم» يتتبع رُسُومَه.

٣ ـ فَإنْ يَسْأَلِ اللَّهُ الشُّهُورَ شَهَادَةً تُنَبِّىءْ جُمَادَى عَنكُمُ والمُحَرَّمُ

إنَّما خَصَّ جُمَادى والمحرّم لأنَّ جُمَادَى من أشهر القحط والضرّ، والمحرّم من أشهر الحرم.

٤ ـ بِأنَّكُمَا خَيرُ الحِجَازِ وأَهْلِهِ إذَا جَعَلَ المُعْطِي يَمَلُّ وَيَسْأَمُ

«إذا» ظرف لما دَلَّ عليه قوله «خير أهل الحجاز» و«جعل» بمعنى طَفِقَ وأقبل؛ فلا يتعدَّى، والسَّآمَة: فوق الملال، يقول: إنْ يسأل الله عنكم الشّهورَ أخبرت جُمَادى بِقِرَاكم الضَّيْف وصِلَتكم الرّحِم، وهو شهر برد وجَدْبٍ، وأخبر المحرّم بِحفظِكم حُرمته وتأديتكم حَقَّه؛ لأنه شهر حرام لا يُسْفَكُ فيه دمٌ ولا ينتهب شيء.

[٨٠٥] وقال نُصَيب[1] في عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر التيميّ: [الطويل]

١ ـ واللَّهِ مَا يَدرِي امْرُؤٌ ذُو جَنَابَةٍ ولاَ جَارُ بَيتٍ أيُّ يَومَيكَ أجْوَدُ

جعل الجود لليوم على طريقة قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[2] لما كان فيهما، وعلى حَدِّ قول الناس: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائمٌ.

٢ ـ أَيَومٌ إذَا أُلْفِيتَهُ ذَا يَسَارَةٍ فَأَعْطَيتَ عَفوًا مِنكَ أَمْ يَومُ تُجْهَدُ

«أيومٌ إذا أُلفِيتَهُ» تفصيل لما أجمله، ومعنى «ألفيته» ألفيت فيه، فحذف الجار، وجعل اليوم مفعولاً على السَّعَة، ويقال: يَسَارٌ ويسَارة، كما يقال: ذِكر وذِكْرَى، وَمَكان ومَكانة، وقوله «أم يوم تجهد» أي: تجهد فيه، فأضاف اليوم إلى الفعل وأوصل الفعل بنفسه، والمعنى: لا يعلم الغريبُ المتنائي عنكَ ولا القريب المتداني منك أيّ وقتَيْكَ أكثر سخاءً وخيرًا: أيوم كذا أم يوم كذا؟ ويُرْوَى «أيومًا إذا ألفيته ذا يسارة أم يومَ تجهد»

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٩٦). (٢) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

ويكون هذا مردودًا على المعنى؛ لأنه لمَّا أراد بقوله: أيّ يوميكَ أجودُ أيَّ جوديكَ أفضلُ قال «أيومًا» أي: أجُودُكَ في يوم إذا ألفيت فيه موسرًا أم جودك في يوم تكون فيه مجهودًا معسرًا.

٣ ـ وإنَّ خَلِيلَيكَ السَّمَاحَةَ والنَّدَى مُقِيمَانِ بالمَعْرُوفِ مَا دُمْتَ تُوجَدُ

جمع بين السَّماحة والنَّدى لأنَّ السماحة هي سهولة الجانب في الإعطاء وطِيب النفس به، وقوله «مقيمان» أي ثابتان، من قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[1] ومنه «أقام بالمكان» أي: جعل لِنفسِه ثباتًا، ومنه قِوَامُ الأمر: أي دوامه و«ما دمت» ظرف؛ فيقول: السَّماحة والنَّدى مقيمان بسبب معروفك، وإنما قال «بالمعروف» كما يقال: فلانٌ مقيمٌ بمكانٍ كذا: أي جعل قيامه به وثباته له وكذلك جعل قيامه بالمعروف على هذا الوجه.

٤ ـ مُقِيمَانِ لَيسَا تَارِكَيكَ لِخَلَّةٍ مِنَ الدَّهرِ حَتَّى يُفقَدَا حِينَ تُفقَدُ

[٨٠٦] وقال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت[2]:

«أُمَيَّة» تحقير أمة، وهي فَعْلَة ولامها واو، والصَّلْت: البارز المشهور.

١ ـ أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ؛ إنَّ شِيمَتَكَ الحَيَاءُ
٢ ـ وَعِلْمُكَ بِالحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرْعٌ لَكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ
٣ ـ خَلِيلٌ لاَ يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الخُلُقِ الجَمِيلِ وَلاَ مَسَاءُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

«خليل» ارتفع بأنه خبر مبتدأ مضمَر، كأنه قال: أنتَ خليلٌ لا تغيّره الأوقات عَمَّا أُلِفَ من بِرِّهِ، وأشار في قوله «الصَّباح والمساء» وهما طرفا النهار إلى وقتي الغارة والضِّيافة.

٤ ـ وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ

يريد بأرضه ما توطّده له من مباني المجد والشرف، فجعله كالأرض له، وجعل مراعاته له من بعد وتوفّره على ما يشيّده بنفسه كالسَّماء له، وقد عَلِمَ أنَّ حياة الأرض بما يأتي عليها من حَيَا[3] السماء.

٥ ـ إذا أَثْنَى عَلَيكَ المَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٢٥٤).
(٣) الحَيَا: المطر.

يقول: إن المُثْني عليكَ لا يحتاجُ إلى قَصْدِكَ به؛ لأنه متى تأدَّى إليك ثناؤه أنلتَهُ إحسانَكَ فأغنيتَهُ عن التَّعرُّضِ والقَصْد.

٦ - تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَمَجْدًا ... إذَا مَا الكَلْبُ أَجْحَرَهُ الشِّتَاءُ

«إذا ما الكلب» ظرف لِتباري: أي تفعل ذلك في مثل هذا الوقت، و«مكرمةً» انتصب على أنه مفعول له، ويجوز أن يكون في موضع الحال.

[٨٠٧] وقال ابن عَبْدَلٍ الأسديّ[١]:

١ - بَيْنَا هُمُ بِالظَّهْرِ قَدْ جَلَسُوا ... يَوْمًا بِحَيْثُ يُنَزَّعُ الذُّبَحُ

الضرب الأول من العروض الثانية من الكامل، والقافية متراكب.

«بينا» يُستعمَل في المفاجأة، وكذلك «بينما» وكان أبو علي يقول: هو ظرف زمان، كأنَّ الأصلَ كان بين أوقات؛ فحذف المضاف، والظَّهْر: موضع، والظَّهْر: ما علا من الأرض، ويجوز أن يقال لكل ظاهر: ظهر، و«يومًا» انتصب على البدلِ من «بينا هم» ويريد به المتّصل من الأوقات، كما يقال: فلانٌ يفعل كذا وكذا، وكان بالأمس يفعل كذا، والذُّبَح: نبتٌ له أصلٌ يقشر عنه ويخرج كالجزر ويقشر عنه جلد أسود وهو حلو يُؤْكَلُ وله نَوْرٌ أحمر، قال الأعشى: [الرمل]

وَعُقَارٌ تَحْسَبُ العَيْنُ إذَا ... صُفِّقَتْ جُنْدُعَهَا نَوْرَ الذُّبَحْ

وقوله «بحيث يُنَزَّعُ الذُّبَحُ» بيان للميقات المُشَار إليه.

٢ - فَإذَا ابنُ بِشْرٍ في مَوَاكِبِهِ ... تَهْوِي بِهِ خَطَّارَةٌ سُرُحُ

الفاء زائدة؛ لأنَّ بينا وبينما يجيئان ولا يجيء ما يقعان فيه من إذ وإذا، على ذلك قوله: [الوافر]

فَبَيْنَا يَمْشِيَانِ جَرَتْ عُقَابٌ ... مِنَ العِقْبَانِ خَائِتَةً طَلُوبَا[٢]

فأمَّا إذْ فقد ذكر سيبويه خاصة أنه يقع بعدها، ولم يذكر إذا، وكثير من النحويين والأصمعي يذكرون هذا، ويقولون: لا حاجة إلى إذ وإذا، ويستشهدون بقول أبي ذؤيب: [الكامل]

بَيْنَا تَعَنُّقِه الكُمَاةَ وَرَوْغِهِ ... يَوْمًا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سَلْفَعُ[٣]

---

(١) هو الحكم بن عبدل، سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٥١).
(٢) المرزوقي: «خائتةٌ طَلوبُ».
(٣) البيت لأبي ذؤيب في الأشباه والنظائر ٢/٤٨؛ وخزانة الأدب ٥/٢٥٨؛ والدّرر ٣/١٢٠؛ وسرّ صناعة الإعراب ١/٢٥؛ وشرح أشعار الهذليين ١/٣٧؛ وشرح شواهد المغني ١/٢٦٣؛ وشرح المفصّل ٤/٣٤؛ ولسان العرب (بين).

وما يختارونه هو الأكثر، واستشهد سيبويه بقوله: [الخفيف]

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالكَثِيبِ ضُحًا إذْ أتى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهْ[1]

والبيت الذي نحن فيه جاء بإذا فهو أغرب، وتهوي: تُسْرِع، والخطَّارة: التي تخطر بذنبها نشاطًا فِعلَ الفحولة، أو تخطر في مشيتها، والسُّرُح: السَّهلة اليدين، والمواكب: جمع موكب، وهم الجماعة يكونون ركبانًا، يقال: واكبَ الرجلُ الرجلَ؛ إذا سار معه في الموكب، وأوكَب الشَّيءَ؛ إذا دنا، كأنهم يريدون أنه صار مع القوم في الموكب، قال يزيد بن الطَّثْرِيَّة: [الوافر]

وَصَاتَكَ بِالعُهُودِ فَقَدْ رَأَيْنَا غُرَابَ البَيْنِ أَوْكَبَ ثمَّ طَارَا

٣ ـ فَكَأَنَّمَا نَظَرُوا إلَى قَمَرٍ أَوْ حَيثُ عَلَّقَ قَوسَهُ قُزَحُ

قوس قُزَح: قوس السَّحاب، قال أبو دُوَاد: [الرمل]

فَتَرى خَلْفَهُمَا في هَبْوَةٍ مِنْ غُبَارٍ ساطِعٍ قَوْسَ قُزَحْ

والبيت الذي لابن عَبْدَل مبنيٌّ على أنَّ قُزَح اسم معروف، وجاء في الحديث أن قُزَح ملك، وقيل: شيطان، وزعم قوم أنَّ القُزَح الطَّرائق التي تُرَى في القوس من الألوان المختلفة؛ فيجب أن يكون قُزَح على هذا نكرة، كما تقول: قوس ألوان مختلفة، هذا قول أبي العلاء، وقال المرزوقي: قوله «أو حيث» يجوز أن يكون معطوفًا على «قمر» فيكون المعنى نظروا إلى قمر أو إلى مكان قوس قُزَح، وجعل قُزَح فاعل لِعَلَّقَ في اعتقاد مَنْ يعتقدُ أنَّ قُزَح اسم شيطان؛ ولهذا أخبر عن المضاف إليه من قولهم قوس قُزَح، وذكر في الخبر أن فيه أمانًا من الغرق، وعند النحويين أنَّ قولَهم قوس قُزَح كحمار قَبَّان وما أشبهه، وإذا كان كذلك لم يصلح الإخبار عن المضاف إليه، لا يجوز أن تقول: حمار لقبان؛ لأنك تومىءُ إلى مجهول وذكر بعضهم أنه يُقال لقوس قُزَح: قوسٌ قَزِيعٌ، وهو من «تَقَزَّعَ الفرسُ» إذا تَشَمَّرَ لِلعَدْوِ وخَفَّ.

[٨٠٨] وقالَ حَاتِمُ بن عبد الله الطائي[2]:

١ ـ مَتَى ما يجِىءْ يَومًا إلَى المَالِ وَارِثي يَجِدْ جُمْعَ كَفٍّ غَيرَ مَلأَى ولا صِفرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

---

(١) البيت لجميل بثينة في ديوانه ص ١٨٨؛ وشرح شواهد المغني ١/ ٣٦٦؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٣٣٩؛ وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٦٣؛ ومغني اللبيب ١/ ٣١١؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٧٨٤.

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٢٩).

قوله «جُمْعَ كَفٍّ» هو قدر ما يشتملُ عليه الكفُّ من المال وغيره، ويقال للمرأة الحامل: هي بجُمْعٍ، وكذلك البكر منهنَّ، يقول: متى جاء وارثي بعد موتي يَجِدْ قدرًا من المال لا يوصفُ بالكثرة ولا بالقلّة.

٢ ـ يَجِدْ فَرَسًا مِثْلَ العِنَانِ وصَارِمًا حُسَامًا إذا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالهَبْرِ

أي يجد فرسًا ضامرًا كالعنان في إدماجه وضمره، وسيفًا قاطعًا إذا حرّك في الضَّريبة لم يرضَ بالقطع ولكن يتجاوزه ويخرج إلى ما وراءه.

٣ ـ وَأسْمَرَ خَطِّيًا كَأنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أرْمَى ذِرَاعًا عَلَى العَشْرِ(١)

الكعوب: العُقَد، شبّهها في صلابتها بِنَوَى القَسْب، وهو ضرب من التمر غليظ النّوى صلبه، وقوله «قد أرمى ذراعًا على العشر» وصفه بأنه لم يكنْ طويلاً ولا قصيرًا حتى لا يكون مضطربًا ولا قاصرًا.

[٨٠٩] وقال آخر(٢):

١ ـ آلَ المُهَلَّبِ قَوْمٌ خُوِّلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ، لاَ، ولاَ كَادَا

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

«خُوِّلوا» مُلِّكوا، والخَوَلُ: الخدم من ذلك، كأنهم هِبَةٌ للمخدوم، وقوله «ولا كادا» أي ولا قرب من نَيْلِ ذلك الشَّرَف.

٢ ـ لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حِدْ عَنْهُمْ وَخَالِهِمِ بِمَا احْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَا حَادَا

خَالِهِم: اتركهم؛ وهو فَاعَلَ من خَلاَ يخلو، كأنه قال فارقهم، قال النابغة: [البسيط]

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَا بُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لأَقْوَامِ

يقول: لو قلت للمجد وكان مِمَّنْ يعقل انصرفْ عن آل المهلّب وخُذْ حكمَكَ ما شئت لم يفارقهم.

٣ ـ إنَّ المَكَارِمَ أرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ المُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أجْسَادَا

جعل آلَ المُهلّب دون النّاس أرواحًا للمكارم، يقول: قِوَامُ المكارم بهم كما أنَّ قوامَ الأجسادِ بالأرواح.

---

(١) المرزوقي: «قد أربى».

(٢) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي ص ٣٧٣: «وقال نهار بن توسعة اليشكري». وفي الحماسة البصرية ١/ ١٤١ «لعمرو بن لجأ التميمي».

[٨١٠] وقالَت أُخت النَّضر بن الحارث(١):

١ ـ الـوَاهِـبُ الأَلْـفَ لاَ يَـبْـغِـي بِـهَـا بَـدَلاً   إلاَّ الإلَـهَ وَمَـعْـرُوفًـا بِـمَـا اصْـطَـنَـعَـا

كأنه يَتَلذَّذُ بفعل المعروف واحتساب الأجرِ عند الله عزَّ وجلَّ.

[٨١١] وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطلب(٢):

١ ـ أَلاَ مَـنْ مُـبْـلِـغٌ عَـنِّـي قُـرَيْـشًـا   فَـفِـيـمَ الأَمْـرُ فِـيـنَـا وَالإِمَـارُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

الرسالة التي تطلب إبلاغها قولها: «ففيم الأمرُ فينا والإمارُ» كأنَّها تستبطىءُ قبيلتها قريشًا، فتقول: مَنْ يُبْلِغُهم عَنِّي لماذا كان الأمر فيهم وهم يتقبَّضون عما يجبُ عليهم السَّعْي فيه، والإمار: المشاورة، والائتمار الافتعال، وقيل: الإمار الإمارة، وقال أبو العلاء: الإمار من قولهم: آمَرَ الرَّجُلُ صاحِبَه، يُؤَامِرُه إمارًا، إذا شاوَرَهُ في الشَّيء وراجَعَه فيه، وكلُّ واحدٍ منهما أميرٌ لِصاحبه، كما يقال: جالسَهُ فهو جليسٌ له.

٢ ـ لَـنَـا الـسَّـلَـفُ الـمُـقَـدَّمُ قـدْ عَـلِـمْـتُـمْ   وَلَـمْ تُـوقَـدْ لَـنَـا بِـالْـغَـدْرِ نَـارُ

قولها «السَّلَفُ» جمع سالف، وقولها «ولم تُوقَدْ لنا بالغدرِ نَارُ» أي لم نغدرْ فَتوقَد نار للشهرة، وكانوا إذا أرادوا أن يُشَهِّرُوا إنسانًا بِالغَدْرِ أوقدوا نارًا فاجتمعَ إليها النَّاسُ ثم نادى مُنَادٍ: أَلاَ إنَّ فلانًا قد غدرَ، تخاطبُ بني أُمية وتقول: كيف تكون الولايةُ لكم والسَّلف المُقَدَّم لنا؟ تعني النَّبي ﷺ، ويحمل على مثل هذا المعنى في إيقاد النار للغدر قول زهير: [الوافر]

وَتُـوقَـدُ نَـارُكُـمْ شَـزْرًا وَيُـرْفَـعْ   لَـكُـمْ فِـي كُـلِّ مَـجْـمَـعَـةٍ لِـوَاءُ

٣ ـ وكُـلُّ مَـنَـاقِـبِ الـخَـيْـرَاتِ فِـيـنَـا   وَبَـعْـضُ الأَمْـرِ مَـنْـقَـصَـةٌ وعَـارُ

تعني ما يؤثر من مناقِبهم؛ وهي جمع مَنْقَبة، وَمَنْقَبة: مفعلة من النَّقابة وهي المعرفة.

(١) في نسخة ثانية: قالت قتيلة أُخت النضر، وقُتيلة هي بنت النضر بن الحارث كما في الحماسية رقم (٣٣٢).

(٢) صفيّة بنت عبد المطلب بن هاشم: عمّه النبي ﷺ، شاعرة باسلة، أسلمت قبل الهجرة وهاجرت إلى المدينة. لها مَرَاثٍ رقيقة. (ت ٢٠ هـ/ ٦٤١ م). ترجمتها في: (الإصابة كتاب النساء ص ٦٥١؛ وطبقات ابن سعد ٨/ ٢٧؛ وسمط اللآلي ص ١١٨).

[٨١٢] وقال زياد الأعجم[1]، يمدح عمر بن عبيد الله بن معمر: [الوافر]

١ - أَخٌ لَكَ لَيسَ خُلَّتُهُ بِمَذْقٍ ... إذَا مَا عَادَ فَقْرُ أَخِيهِ عَادَا

المَذْقُ: اللَّبَنُ المخلوطُ بالماء، يقول: هذا الأخُ لا ينطوي لك على غِلٍّ، وإذا أعطَى راجيه أغناه، فإنْ راجعَه الفقرُ لِكَثْرَةِ مُؤَنِه عادَ بالإحسان إليه.

٢ - أَخٌ لَكَ لاَ تَرَاهُ الدَّهْرَ إلاَّ ... عَلَى العِلاَّتِ بَسَّامًا جَوَادا

بَسَّام: بناء للمبالغة، ولم يُبْنَ على بَسَمَ، لأنَّ البناءَ على بَسَم باسِم، يقال: بَسَمَ وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ.

[٨١٣] وقالت امرأة من بني مخزوم:

١ - إنْ تَسْأَلِي فَالمَجْدُ غَيرَ البَدِيعْ ... قَدْ حَلَّ فِي تَيمٍ ومَخْزُومِ

٢ - قَومٌ إذَا صُوِّتَ يَومَ النِّزَالْ ... قَامُوا إلَى الجُرْدِ اللَّهَامِيمِ

٣ - مِنْ كُلِّ مَحْبُوكٍ طُوَالِ القَرَى ... مِثْلِ سِنَانِ الرُّمْحِ مَشْهُومِ

هذه من السريع، والبيتان شاذَّان، وذلك أنَّ في وزنهما شيئًا لم تَجْرِ العادة باستعمال مثله، وهما يزيدان على البيت الثالث، فالبيت الأول يزيد بالعين من «البديع» والبيت الثاني يزيد باللاَّم من «النزال» على ما جرت به العادة وهو في ذلك مثل البيت الأول، ولو رُوِيَ «يوم الوغى» لَلَحِقَ بالبيت الثالث من القطعة، وهو الصَّحيح، و«غَيْرَ البديع» نصب على الحال، واللَّهَاميم من الخيل: جِيادها، ولهاميم الإبل: غِزَارها، ولهاميم النَّاس: أشياخهم، والمحبوك: المُحْكَم الخلق والصَّنعة، والقَرى: الظَّهْر، والفرس لا يُحْمَدُ منه طول القَرَى، وإنَّما أرادت أنه بعيد الظَّهْر من الأرض، لا أنَّ ظهرَه طويلٌ، ولو رُوِيَ «رفيع القَرَى» لَكانَ أخلص من الشُّبهة، ومشهومٌ: حَديد النفس، كأنه قد شهم: أي أفزع، وقال المرزوقي: مشهوم حديد القلب، ومنه الشَّيْهَم القنفذ؛ لِلشَّوك الذي في ظهره، ومسهوم بالسين: الذي قد أَثَّر الغَزْوُ فيه ولَوَّحَهُ سَمُومُ الحرِّ والحربِ.

[٨١٤] وقالت أخرى: [الطويل]

١ - أَلاَ إنَّ عَبْدَ الوَاحِدِ الرَّجُلُ الَّذِي ... يُنِيلُكَ مَا تَبْغِيهِ وَالعِرْضُ وَافِرُ[2]

تقول: يعطي قبل أن يُسْأَلَ ويبذل الوجه، ويشبهه قول الآخر: [الرمل]

أَهْنَأُ المَعْرُوفِ مَا لَمْ ... تُبْتَذَلْ فِيهِ الوُجُوهْ

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٦٦٥).

(٢) المرزوقي: «ما طالَبْتَ والوجهُ وافِرُ».

[٨١٥] وقالت الخنساء[١]: [السريع]

١ ـ دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهُهُ ... بُورِكَ هَذَا هَادِيًا مِنْ دَلِيلْ

٢ ـ تَحْسِبُهُ غَضْبَانَ مِنْ عِزِّهِ ... ذَلِكَ مِنْهُ خُلُقٌ مَا يَحُولْ

تصفه بِالطَّلاَقة، ونصب «هاديًا» على الحال، و«ما يحول» أي يتغيَّر: أي هو ظاهر العزّ دائمًا.

٣ ـ وَيْلُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ إذَا ... أُلْقِيَ فِيهَا وَعَلَيْهِ الشَّلِيلْ

«وَيْلُمِّهِ» تَعَجُّب، ونصب «مِسْعَرَ حربٍ» على التمييز، وقيل: على المدح، والشَّليل: دِرع قصيرة، والجمع أَشِلَّة، والشَّليل أيضًا: ثوب يُلبَس تحت الدِّرع.

[٨١٦] وقالت امرأة من إياد:

الإياد: ما حَبَا وارتفع من الرمل، وينبغي أن تكون عينه ياء، كما ترى؛ لأنه اسم لا مصدر، ولو كانت واوًا لَصَحَّتْ نحو إوَان وَخِوَان وصِوَان، فأمَّا صيان للتخت أيضًا فشاذّ، والإياد: كلّ ما قوي به شيء من جانبيه، ومن طريق الاشتقاق أنه من الأَيْدِ: أي القوّة.

١ ـ الخَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرَّوْعِ إنْ هُزِمَتْ ... أَنَّ ابْنَ عَمْرٍو لَدَى الهَيْجَاءِ يَحْمِيهَا[٢]

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

اللَّفظ للخيل والمعنى لأصحابها.

٢ ـ لَمْ يُبْدِ فُحْشًا وَلَمْ يُهْدَدْ لِمُعْظِمَةٍ ... وَكُلُّ مَكْرُمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا

«لم يُهْدَدْ» أي: لم يحرّك «لمعظمة» أي: لحادثة تُوجَدُ عظيمةً، تريد لم يُبَالِ بالعظائم لجراءته، «يُسَاميها» أي: يَسْمُو إليها، و«يساميها» في موضع الحال: أي مساميًا لها، ولك أن تروي «يلقى» بالقاف، و«يَلْفَى» بالفاء، ومعناهما قريب.

٣ ـ المُسْتَشَارُ لأَمْرِ القَوْمِ يَحْزُبُهُمْ ... إذَا الهَنَاتُ أَهَمَّ القَوْمَ مَا فِيهَا

(١) الخنساء: هي تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلَميّة، من قيس عيلان، من مضر، أشهر شواعر العرب وأشعرهنّ عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي وأدركت الإسلام فأسلمت ووفدت على الرسول ﷺ وأنشدته من شعرها، (ت ٢٤ هـ/ ٦٤٥ م). ترجمتها في: (الشعر والشعراء ص ١٢٣؛ وأعلام النساء: ١/٣٠٥؛ وجمهرة الأنساب ص ٢٤٩).

(٢) المرزوقي: «إذ هُزِمَتْ».

الهَنَات: جمع هَنَة، وهي كالكناية عن المنكرات، ولا تستعمل في الخير البتّة، وقولها «أَهَمَّ القومُ» أي: جعل من هَمِّهِمْ، وموضع «يحزبهم» نصب على الحال.

٤ - لاَ يَـرْهَـبُ الـجَـارُ مِـنْـهُ غَـدْرَةً أَبَـدًا وَإِنْ أَلَـمَّـتْ أُمُـورٌ فَـهْـوَ كَـافِـيـهَـا

انتصب «أبدًا» على الظَّرف، وهو في المستقبل بمنزلة قَطُّ في المضيّ.

باب الصفات

[٨١٧] **قال البَعِيث الحنفيّ**[١]:

قال أبـو رياش: هو البعيث بن حُرَيْث بن جابر بن سَرِيّ بن مَسْلمة بن عُبَيْد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدّؤل حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل.

١ ـ وَهَاجِرَةٍ يَشْوِي مَهَاهَا سَمُومُهَا   طَبَخْتُ بِهَا عَيْرَانَةً وَاشْتَوَيْتُهَا

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أراد بالهاجرة الوقت يُهْجَرُ فيه السَّيْرُ: أي إذا قامَ قائمُ الظَّهيرة وغلبَ الحَرُّ فيه، وهي فاعلة بمعنى مَفْعُولة، والمَهَا: بقر الوحش، فيريد أنَّ حَرَّهَا يشوي الوحشَ ويطبخها، والعَيْرَانة: النَّاقة تشبهُ العيرَ في الصَّلاَبَةِ، و«اشتويتُها» أي: سِرْتُ عليها حَتَّى أَنْضَاها حَرُّ الهواجر وحَسَرَهَا وأذهبَ لَحْمَها فصارَتْ كالمحترقة، وقوله «يَشْوي مَهَاها سَمُومُها» في موضع الصّفة لِلهاجرة، و«طبختُ» جواب رُبَّ.

٢ ـ مُفَرَّجَةً مَنْفُوجَةً حَضْرَمِيَّةً   مُسَانَدَةً سِرَّ المَهَارَى انْتَقَيْتُهَا

المفرَّجة: التي بَعُدَتْ مَرافِقُها عن زورها واتَّسَعَتْ آباطُها فهي فَتْلاَءُ المرافق، والمنفوجة: الواسعة الجنبين، وحَضْرَمية: من نَسْل إبل حَضْرَمَوْت، والمسانَدَة: القوية الظَّهْر، وقيل: المساندة التي قد سُونِدَ خلقها: أي قد أشبهَ بعضه بعضًا، وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ المساندة التي يخالفُ بعضِ خلقها بعضًا؛ لأنَّ السَّنَامَ مخالفٌ لِغيره، فيكون من قولهم: تساندَ القومُ، إذا خرجَ كلُّ أميرٍ منهم بطائفة ولا يرجعون إلى أميرٍ واحدٍ، وسِرُّ المَهَارى: خِيارُها.

٣ ـ فَطِرْتُ بِهَا شَجْعَاءَ قَرْوَاءَ جُرْشُعًا   إذَا عُدَّ مَجْدُ العِيسِ قُدِّمَ بَيْتُهَا

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (١٣١).

«طرتُ بها» أراد حَثَثْتُهَا في السَّيْرِ؛ فيكون معناه أطرتها، كما يقال: ذهبت بزيد، وأذهبته، ويجوز أن يكون المراد انتزعتها من عيوب الباعة والمشترين وفزت بها، بدلالة أنه قال في البيت الذي بعده «فأعطيتُ فيها الحكمَ حتى حويتها» والشَّجعاء: الجريئة القلب، وانتصب على الحال، والقَرْوَاء: الطَّويلة الظَّهر، والجُرْشُع: المنتفخة الجنبين، وقوله «إذا عُدَّ مجدُ العِيسِ» يريد إذا ذُكِرَتْ مفاخرُ العِيس ومناسبها قُدِّمَ نَسْلُها.

٤ ـ وَجَـدْتُ أَبَـاهَـا رَائِـضَـيـهَـا وَأُمَّـهَـا　　　فَأَعْطَيْتُ فِيهَا الحُكْمَ حَتَّى حَوَيْتُهَا

فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بمفعول «وجدتُ» الثاني، والمعنى: وجدتُ أباها وأمّها رَائِضَيْنِ لها: أي نُتِجَتْ مَرُوضَةً.

[٨١٨] وقال عَنْتَرَةُ بن الأَخْرَس[١]:

١ ـ لَـعَـلَّـكَ تُـمْـنَـى مِـنْ أَرَاقِـمِ أَرْضِـنَـا　　　بِأَرْقَمَ يُسْقَى السَّمَّ مِنْ كُلِّ مَنْطِفِ[٢]

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

هذا دعاء على المخاطب وإن كان لفظه ترجّيًا، وقوله «تُمْنَى» أي يُقَدَّرُ لك، يقال: مَنَاه الله يَمْنُوه ويُمنِيه، إذا قَدَّره، ومُنِيَ بكذا، إذا رُمِيَ به، قال الشاعر: [البسيط]

وَلاَ تَـقُـولَـنْ لِشَـيْءٍ سَـوْفَ أَفْـعَـلُـهُ　　　حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ المَانِي

وقوله «بأرقم» يجوز أن يعني به حَيَّة في الحقيقة، والأرقم: الَّذي فيه نقط بيض. ولا يمتنع أن يعني بالأرقم رجلاً يشبّه بالأرقم أي الحيّة في عداوته وشَرّه، وقوله «من كلِّ مَنْطفِ» إذا رُوِيَ بالميم جاز أن يكون من «نطف السَّمّ» إذا قطر ويستعمل النّطف في كلِّ سائل كالماء والدَّمع ونحوهما، والنُّطْفة: هي القطرة، قال جِرَانُ العَوْد: [الطويل]

فَـبِـتُّ كَـأَنَّ الـعَـيْـنَ أَفْـنَـانُ سِـدْرَةٍ　　　عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى اللَّيْلِ يَنْطُفُ

ويجوز أن يكون من «نطف قلبه» إذا فسدَ، وأصل ذلك أن تهجم الغُدَّة في قلب البعير، ثم قِيلَ لِكُلِّ فساد قلب: نَطَفَ، قال الرّاجز:

شُـدًّا عَـلَـيَّ سُـرَّتِـي لاَ تَـنْـقَـعِـفْ　　　إِذَا مَشَيْتُ مِشْيَةَ العَوْدِ النَّطِفْ

وإذا رُوِيَ «أنطف» فالأغلب عليه أن يكون من نطف القلب، ولا يمتنع أن يكون من نطف السّمّ، كأنه قال: يُسْقَى السَّمّ من كلِّ ذي سَمٍّ ينطفُ، وأفعل يوضع موضع فَعِل وفَاعِل.

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٥٤).　　(٢) يَسْقي: ضبطت عند المرزوقي بالبناء للمعلوم.

٢ ـ تَـرَاهُ بِـأَجْـوَازِ الـهَـشِـيـمِ كَـأَنَّـمَـا   عَـلَـى مَـتْـنِـهِ أَخْـلاقُ بُـرْدٍ مُـفَـوَّفِ

أجواز الهشيم: أوساطه، والهشيم: ما تكسَّرَ من يابس الشجر والنبات، ومُفَوَّف: أي منقوش، وأصل ذلك أن يكون فيه نقوش بيض؛ لأنَّ الفُوفَ شيءٌ يكون في العُشَرِ أبيض، ويقال لِبَياض الظّفر: الفُوفَة، والحيّة يشبه بسلخها البُرْدُ المَوْشِيّ، قال الشاعر: [البسيط]

إنِّي كَسَانِي أَبُو قَابُوسَ مُتْحَمَةً   كَأَنَّهَا طَرْفُ أَبْكَارِ المَخَارِيطِ[1]

يعني بالمخاريط الحيّات اللواتي يسلخنَ جلودهنَّ.

٣ ـ كَـأَنَّ بِـضَـاحِـي جِـلْـدِهِ وسَـرَاتِـهِ   ومَـجْـمَـعِ لِـيـتَـيْـهِ تَـهَـاوِيـلَ زُخْـرُفِ

ضاحي جلده: ما ظهر منه، ويُرْوَى «ولبانه» فاستعار له اللّبان، وأكثر ما يستعمل في الخيل، يقال: فرسٌ رَحْبُ اللَّبَانِ، وهو موضع اللَّبَب، واللِّيتَان: صفحتا العنق، وتهاويل: نقوش، يقال: هذه تهاويل الوشي، وتهاويل الربيع: أي ما يظهر فيه من الزّهر المختلف، قال عبدة بن الطبيب: [البسيط]

حَـتَّـى رَفَـعْـنَـا إِلَـى بَـيْـتٍ يُـزَيِّـنُـهُ   مِنْ فَـاخِـرِ الـوَشْـيِ أَلْـوَانٌ تَـهَـاوِيـلُ

والزُّخرف: كلّ ما زُيِّنَ وحُسِّنَ، وربما خُصَّ به الذهب، وقيل في التهاويل: إنَّها ما يُعَلَّقُ على الإبل من العهون، ولا واحد لها من لفظها، والقياس تَهْوَال كما يقال تجفاف.

٤ ـ كَـأَنَّ مُـثَـنَّـى نِـسْـعَـةٍ تَـحْـتَ حَـلْـقِـهِ   بِـمَـا قَـدْ طَـوَى مِنْ جِلدِهِ الـمُـتَـغَـضِّـفِ

أراد بالمتغضِّف المتثنِّي المُتَكَسِّر، يقال: غضفَ الوسادةَ، إذا ثَنَاها، شَبَّه غضونَ حلقه لما قد طوي من جلده المتكسِّر لِكَونه فاضلاً عن لحمه لكثرة سمّه بنسعة مثنيّةٍ تحتَ حلقه، ويقال: إنَّ الحيَّات إذا اجتمعتْ سمومها وكثرتْ دَقَّتْ وهَزلَتْ لأنَّ سمّها ينقصُ لحمها فيتغضَّف: أي يتثنَّى.

٥ ـ إذَا أَنْـسَـلَ الـحَـيَّـاتُ بِـالـصَّـيْـفِ لَـمْ يَـزَلْ   يُـشَـاعِـرُ بَـاقِـي جُـلْـبَـةٍ لَـمْ تُـقَـرَّفِ[2]

استعار «أنسل» من ذوات الرّيش، وإنّما يريد سلخَ الحيّة جلدها في كلِّ سنةٍ، ويشاعرُ: يباشرُ، من قولك «شَاعَرَ المرأة» إذا باتَ معها في شعار، والشِّعار: الثَّوب الذي يلي الجسد، واشتقاقه من أنه يلي الشَّعْرَ النَّابت على الجسد، و«لم تُقَرَّف» لم تُقَشَّرْ،

---

(١) البيت للمتلمّس كما في تاج العروس (خرط)، وفيه:

. . . . مُـــزَفَـــلَـــةً   كـأنـهـا سِـلْـخُ أبـكـار الـمـخـاريـط

والمُتْحَمة: من برود اليمن.

(٢) المرزوقي: «نَسَلَ».

والجُلْبَة: مثل القشرة، يقال: جلب الجرح وأجلب، إذا علته قشرة للبرء، يصف جلده بالصَّلابة وأنه لا يخلقُ سريعًا؛ ويُرْوَى «يساعر» بالسين، من قولهم «كلب مسعر» أي كَلِبٌ، وفسّر قوله تعالى: ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[1] أي جنون، ومنه «ناقة مسعورة» لا تستقرّ قلقًا.

[٨١٩] وقال مِلْحَةُ الجَرْمِيّ[2]:

١ ـ أَرِقْتُ وطَالَ اللَّيْلُ لِلْبَارِقِ الوَمْضِ حَبِيًّا سَرَى مُجْتابَ أَرْضٍ إلَى أَرْضِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

الأرقُ لا يكون إلاّ باللّيل، يقول: فارقني النَّوْمُ فطالَ اللَّيْلُ من أجل سَحاب فيه برق يومضُ أسرى ليلاً وقد قطع أرضًا إلى أرض، والوَمْض: مصدر كالوميض، وهو لمعان البرق، وقد وُصِفَ به، ويقال: وَمَضَ وأومضَ، وانتصب «حَبِيًّا» على الحال، والعامل فيه إن شئت البارق، وإن شئت الومض، ومجتاب أرض: أي قاطعها، وانتصابه على الحال، والعامل سَرَى، والحَبِيُّ: سحابٌ معترضٌ في الآفاق، وسُمِّيَ حَبِيًّا لأنه دنا من الأرض، فكأنه يحبو كما يحبو الصَّبِيّ، وهو فعيل من حَبَوْتُ، كما أَنَّ السَّحَابَ فَعَال من سَحب.

٢ ـ نَشَاوَى مِنَ الإِدْلاجِ كُدْرِيُّ مُزْنِهِ يُقَضِّي بِجَدْبِ الأَرْضِ مَا لَمْ يَكَدْ يَقْضِي

قوله «نشَاوى من الإدلاج» رَدَّه على قِطَع السَّحاب، أَلاَ ترى أنه قال في البيت الأول «للبارق الومض» ثم قال «نَشَاوَى من الإدلَاج» وهو جمع نَشْوَان، يريد أن أقطاعَهُ لِسُرَاه صارت كالسّكارى تميل من جانب إلى جانب، كأنه جعل السَّاري من السَّحاب كالسَّاري من الناس، وقوله «كُدْرِيُّ مُزْنِهِ» مبتدأ، و«يُقَضِّي بِجَدبِ الأرض» في موضع الخبر، و«ما لم يكدْ» مفعول يقضّي، وجعل في لونه كُدْرَة لكثرة مائه وارتوائه، والمعنى: الكدريُّ منه يحكمُ للمُجْدِبِ من الأرضِ ما لم يَكَدْ يقضي به لنفسه، وقيل: هذا كما يقال: أَعْطاني الأميرُ ما لم يَكَدْ يعطيه لأحدٍ وسمحَ لي بما لم يكدْ يسمحُ به لأَحدٍ، والأول أحسن، وقال بعضهم: أخبر أن هذا السَّحاب إذا أتى على أرض مجدبةٍ لم يُفَارِقْها بمطرها[3] حتى يهريقَ بها من الماء ما يكون فيه عهدٌ ووَلْيٌ[4] في دفعةٍ واحدةٍ، وفراغه من هذا لا يكون سريعًا، كأن حاجةَ السَّحابِ في الأرض المجدبةِ إحياؤها وإخصابها من مطرةٍ واحدة فلمّا فعل قضى وَطَرَهُ ولم يَكَدْ يقضيه إلاّ بعد بطءٍ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ٢٤. (٢) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٧٨٢).

(٣) المرزوقي: «لم يفارِقْها مطرُها» والمعنى أنسب.

(٤) العهد: المطر الأول، والولي: ما يليه من المطر.

٣ ـ تَـحِـنُّ بِـأَجْـوَازِ الـفَـلاَ قُـطُـرَاتُـهُ كَمَا حَنَّ نِيبٌ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ(١)

«قُطُرَاته» أي: نواحيه، والقُطْرُ: الجانب، يريد أن جوانبه تتجاوب بالرّعد، فكأنّها تحنُّ إلى مواضع لها، وقال أبو العلاء في البيت الذي قبله: «يشاوي من الإدلاج» أي: يسابق، وهو من الشّأو: أي الطَّلَق، يقال: شآه يَشْآه، إذا سبقه، وهذه الكلمة جاءت على غير قياس؛ لأنك إذا بنيت فَاعَل من الشّأو وجب أن تقول «شَاءَى» لأنَّ الهمزةَ عين الفعل، فتقع الواو طرفًا وقبلها فتحة فتقلب إلى الألف، ويجب أن يكون قوله «يُشَاوِي» من المقلوب، وحَثّهم على ذلك أنهم وجدوا الواو في الشَّأو وأرادوا أن يُظهِروها في الفعل؛ لأن ذلك بيان للسَّمع، فياء «يشاوي» الثابتة مخفّفة من الهمزة، والكُدْرِيُّ: ضرب من القطا، وهذا المعنى شبيه بقول النابغة: [البسيط]

كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ

ومَنْ روى «نشاوى من الإدلاج» أراد قطاه نشاوى من الإدلاج، والأجود أن يجعل «تقضّى» من وصف المزنة لأنه يتصل بها، فإن جعل يقضّى للحَبِيّ أو للبرق فجائز، والأول أحسن، ويكون في هذه الرواية بالياء، وفي الأولى بالتاء، وإذا روي «نشاوى» فالأحسن أن يُروى «مزنه» بإضافة مزن إلى الهاء، وقال في قوله «تحنُّ بأجواز الفلا قُطراته» قُطرات: جمع قطر، وقطر: جمع قطار من الإبل، ومَنْ زعم أن قطرات جمع قُطْر أي ناحية فقوله ضعيف، لأن البيت قد جاء فيه ما يدلُّ على أنه من قطار الإبل، وذلك ذكره الحنين والنِّيب.

٤ ـ كَـأَنَّ الـشَّـمـارِيـخَ الـعُـلاَ مِـنْ صَـبِـيـرِهِ شَمَارِيخُ مِنْ لُبْنَانَ بِالطُّولِ وَالعَرْضِ(٢)

شماريخ الجبل: أعلاه، وكذلك شماريخ الشّجر، واستعار الشماريخ للسَّحاب، وَالعُلاَ: جمع العُلْيَا، لمّا كانت الشَّماريخ تقعُ على القليل والكثير جاز أن يقال فيها ذلك؛ لأنَّ العليا تقع على الثلاثة فما زاد، ثم تجمع بعد ذلك، فهكذا ينبغي أن تنزل حال هذا الجمع وما جرى مجراه، مثل أن يقال: هذه المساجد القُصَى، وَالقُصَى جمع القُصْوَى، أو القُصْيَا، وإن كانت ثلاثة مساجد لم يحسن اللفظ؛ لأنَّ المسجدَ مذكَّر لا يحتمل أن يقال فيه المسجد القُصْوَى إلاَّ عند ضرورة، فإذا كثرت المساجد حَسُنَ أنْ تُوصَفَ بالفُعَلِ، على ما تقدَّم، والصَّبير: السَّحاب الذي فيه سواد وبياض، وقيل: الصَّبير السَّحاب الأبيض، وقال بعض أصحاب الاشتقاق: إنّما أخذ من قولهم: صَبَرْتُهُ أَصبرُهُ، إذا حبسته، فيراد به البطيء السَّيْر، وذلك لِثقله وكثرة مائه، وجمع الصَّبير صُبُر.

(١) النِّيب: النياق المُسِنّة.

(٢) المرزوقي: «الشّماريخ الأُلَى».

٥ ـ يُبَارِي الـرِّيَـاحَ الـحَـضْـرَمِـيَّـاتِ مُـزْنُـهُ   بِـمُـنْـهَـمِـرِ الأَرْواقِ ذِي قَـزَعٍ رَفْـضِ[١]

٦ ـ يُـغَـادِرُ مَـحْـضَ الـمَـاءِ ذو هُـوَ مَـحْـضُـهُ   عَلَى إِثْرِهِ أَنْ كَانَ لِلْمَاءِ مِنْ مَحْضِ[٢]

أصل المحض اللَّبن الخالص بلا رغوة، ثم اسْتُعْمِلَ في الحَسَبِ وغيره، يقول: يترك خالصَ الماءِ الذي هو خالصة السَّحاب في مسايل الأودية على إثره، وإنما يشير به إلى مَا تقطَّعَ ورَقَّ من ماء المطر يُسْئِره على الأحجار، وقوله «أن كان للماء من محض» إنما قال هذا لأنَّ المطر جنس واحد إذا لم يختلطْ به غيره لا يختلف.

٧ ـ يُـرَوِّي الـعُـرُوقَ الـهَـامِـدَاتِ مِـنَ الـبِـلَـى   مِنَ العَرْفَجِ النَّجْدِيِّ ذُو بَادَ والحَمْضِ[٣]

٨ ـ وَبَـاتَ الـحَـبِـيُّ الـجَـوْنُ يَـنْـهَـضُ مُـقْـدِمًـا   كَنَهْضِ المُدَانَى قَيْدُهُ المُوعِثِ النِّقْضِ

«ينهضُ مُقْدِمًا» انتصب مقدمًا على الحال، يريد أنَّ سَيْرَ السَّحاب لِثقله وحركاته مثل سير هذا البعير وحركاته، ثم وصفه فقال «المُدَانَى قَيْدُهُ» أي الَّذي قصرَ عِقَالُه وضُيِّقَ عليه قَيْدُه، ولم يرضَ بذلك حتى جعله سائرًا في الوعث، وهي الأرض اللَّينة الكثيرة التراب والرمل، والسَّيْر فيها يصعب، ويقال في الدّعاء: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بكَ من وعْثَاءِ السَّفَرِ، يُراد شِدَّته وصعوبته، ويقال: أوعثَ، إذا سارَ في الوَعْثَاء، ثمَّ لم يرضَ بذلك حتَّى جعلَه نِقْضًا، وهو المهزول الضَّعيف، يقال: نَقَضْتُ البعير نَقْضًا، والمنقوض نِقْضٌ.

(١) المرزوقي: «تُباري».   (٢) المرزوقي: «إن كانَ للماء من مَحْضِ».

(٣) المرزوقي: «وقوله: ذو بادَ: أي الذي بادَ، وهو في موضع الجرّ، لكنه لا يُغَيِّرُ عن بِنْيَتِه».

باب السَّيْرِ والنُّعَاسِ

[٨٢٠] وقال الخَطِيمُ[١]: [الطويل]

١ ـ وَقَالَ وقَدْ مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الكَرَى   نُعَاسًا وَمَنْ يَعْلَقْ سُرَى اللَّيْلِ يَكْسَلِ

الواو في قوله «وقد مالتْ به نشوة الكَرَى» لِلحال، والنَّشْوَة: السُّكْرُ، وانتصبَ «نُعَاسًا» على أنه مصدر في موضع الحال، وقوله «وَمَنْ يَعْلَقْ سُرَى اللَّيل يَكْسَلِ» اعتراض بين الفعل ومفعوله، و«يَعْلَق» في معنى يتعلَّق، ومفعول قال أول البيت الثاني، وهو قوله:

٢ ـ أَنِخْ نُعْطِ أَنْضَاءَ النُّعَاسِ دَوَاءَهَا   قَلِيلاً وَرَفِّهْ عَنْ قَلائِصَ ذُبَّلِ

الأنضاء: المهازيل، ودواؤها يعني النوم؛ لأنَّ دواءَ مَنْ سهرَ النَّوْمُ، والتَّرْفِيهُ: التَّوسيعُ، وذُبَّل: مَهازيل، واحدها ذابل، وانتصب «قليلاً» على الظَّرف، ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف، كأنه قال: نُعْطِها دواءَها إعطاءً قليلاً أو وقتًا قليلاً.

٣ ـ فَقُلْتُ لَهُ كَيفَ الإِنَاخَةُ بَعْدَ مَا   حَدَا اللَّيلَ عُرْيَانُ الطَّرِيقَةِ مُنْجَلِي

«حَدَا اللَّيلَ» ساقه، و«عريانَ الطريقة» يعني الصّبح.

[٨٢١] وقال آخر:

١ ـ وفِتْيَانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ رِدَائِي   عَلى أَسْيَافِنَا وعَلى القِسِيِّ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

يقول: رُبَّ فتيانٍ أَثَّرَ الحرُّ فيهم ومالوا إلى النزول فبنيتُ لهم ما أظَلَّهم على الأسياف والقِسِيِّ، وكانوا يستظلّونَ من الشَّمْسِ بِالأردية ويعمدونها بالسّيوف والقِسِيّ.

٢ ـ فَظَلُّوا لائِذِينَ بِهِ وظَلَّتْ   مَطَايَاهُمْ ضَوَارِبَ بِاللِّحِيِّ[٢]

---

(١) المرزوقي: «حطيم» بالحاء المهمَلة.

(٢) وظَلَّتْ مطاياهم لتأثير الشمس وتوقّدها تضرِبُ بلحِيِّها على الأرض.

لائذين: لاجئين إلى ردائي من حَرِّ الشّمسِ.

٣ ـ فَلَمَّا صَارَ نِصْفُ اللَّيلِ هَنَّا وهَنَّا نِصْفُهُ قَسْمَ السَّوِيِّ

قال أبو العلاء: ليس هَنًّا من لفظ هُنَا في شيء، ووزنه فَعْلَل مثل جعفر، فهو رباعي، وهذا ثلاثي، كأنَّ أصله هَنَّنَ فأبدلوا من إحدى نوناته الألف هَرَبًا من التضعيف، وقوله «قَسْمَ السَّوِيِّ» انتصب على المصدر، والمراد قد قَسَمَ قَسْمَ الإنصافِ، ودَلَّ على الفعل قوله «نِصْفُ اللَّيْل هَنًّا» و«السَّوِيّ» أكثر ما يجيء في آخره هاء التأنيث السَّوِيَّة، قال الشّاعر: [الوافر]

أَلاَ إنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضَامُوا[1]

ويجوز أن يراد بالسَّوِيّ كما جاء في الخبر «لا تحلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ».

٤ ـ دَعَوْتُ فَتَى أَجَابَ فَتَى دَعَاهُ بِلَبَّيْهِ أَشَمَّ شَمَرْدَلِيِّ

«دعوتُ» جواب لَمَّا من قوله «فلمَّا صارَ نصفُ اللَّيْلِ» وهو العامل فيه لكونه علمًا للظرف، وقوله «أجاب فَتًى دعاه» يريد أجابني؛ لأنه هو الداعي له، وقوله «بِلَبَّيْه» أراد أجاب بالتّلبية، أضاف لَبَّيْ إلى ضمير المجيب، وحكى ما لفظ به، و«لَبَّيْكَ» من قولهم: أَلَبَّ المكانَ، إذا أقامَ به، وهذه اللّفظة مُثَنًّى؛ والتّثنية فيها إيذان بأنَّ المُرَادَ إلباب بعد إلباب؛ لأن التثنية قد تفيد التكثير، فكأنَّ المرادَ دوامًا على طاعتك وإقامة عليها مرَّة بعد أخرى، قال سيبويه: انتصابه على المصدر كانتصاب «سُبْحَانَ الله» ولا يتصرَّفُ كما لا يتصرّف «سبحان الله»، وقال يونس: إنَّه واحد غير مُثَنًّى، والياء فيه كالياء في لَدَيْكَ وعَلَيْكَ، وأنشد سيبويه والخليل عن العرب: [المتقارب]

فَلَبَّى فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ[2]

وموضع الحجّة أنَّه لو كان كَلَدَى وعَلَى لَكَان يَجِيء الألف إذا أُضِيفَ إلى الظَّاهر، كما تقول: لَدَى زيد، وعلى عمرو، والشَّاعر قال «لَبَّيْ يَدَيْ» وقوله «أَشَمّ» في موضع الجرّ، على أن يكون بدلاً من الضمير المتصل بلبيه، وأصل الشَّمَم الطول في الأنف،

(١) هذا عجز بيت للبراء بن عازب الضَّبيّ، كما في اللسان (سوا)، وصدره: «أتسألني السَّوِيَّة وسط زيدٍ».

(٢) هذا عجز بيت لرجل من بني أسد في الدّرر ٣/٦٨؛ وشرح التصريح ٢/٣٨؛ وشرح شواهد المغني ٢/٩١٠؛ ولسان العرب (لبب ولبي)؛ وسرّ صناعة الإعراب ٢/٧٤٧؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٣٧٩؛ وشرح الأشموني ٢/٣١٢؛ والكتاب ١/٣٥٢؛ ومغني اللبيب ٢/٥٧٨؛ وهمع الهوامع ١/١٩٠، وصدره: «دعوتُ لمّا نابَني مِسْوَرًا».

والشَّمَرْدَلُ: الطَّويل، وزاد ياء النسبة في آخره توكيدًا للوصفيّة، فهو كقول العجاج: [الرجز]

أَطَرَبًا وَأَنْتَ قِنَّسْرِيُّ ... وَالدَّهْرُ بِالإنْسَانِ دَوَّارِيُّ

يريد قِنَّسْرًا ودَوَّارًا، فزاد الياء لِمِثْلِ ذلك.

٥ - فَقَامَ يُصَارِعُ البُرْدَيْنِ لَدْنًا ... يَقُوتُ العَيْنَ مِنْ نَوْمٍ شَهِيِّ

يريد أنه قامَ يتمايلُ من النُّعاس؛ فكأنه يصارعُ بُرْدَيْهِ، وهذا المعنى يجيءُ في الشِّعر كثيرًا، يصفون أنهم يَدْعُون الصَّاحب ليرحل فيتثاقل لما يجده من النعاس والحاجة إلى النوم، قال الراجز:

نَبَّهْتُ مَيْمُونًا لَهَا فَأَنَّا ... وقَامَ يَشْكُو عَصَبًا قَدْ رَنَّا

أَنْ وَقَالَ: نَمْ قَلِيلاً عَنَّا ... مَاذَا تُرِيدُ - لاَ رَحَلْتَ - مِنَّا

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَتَرْحَلَنَّا ... قَلاَئِصًا لاَ يَشْتَكِينَ المَنَّا

٦ - فَقَامُوا يَرْحَلُون مُنَقَّهَاتٍ ... كَأَنَّ عُيُونَهَا نُزَحُ الرَّكِيِّ

«مُنَقَّهَات» قد نَقَّهَها أصحابُها: أي جعلوها نُقَّهًا، يقال: ناقةٌ نافهةٌ أي مُعْيِيَةٌ، ويشبّهون عيون الإبل بِالقُلُبِ النَّازحة، وذلك إذا غارَتْ عُيونُها من التعب وطُولِ السَّفَر.

[٨٢٢] وقال رجل من بني بكر:

١ - وَلَقَدْ هَدَيْتُ الرَّكْبَ في دَيْمُومَةٍ ... فِيهَا الدَّلِيلُ يَعَضُّ بِالخَمْسِ

الثاني من الكامل، والقافية متواتر.

الدَّيْمُومة: الأرض الواسعة، أُخِذَتْ من أنَّ السَّرابَ يدومُ فيها، أو أن الإنسانَ يأخذه فيها الدُّوَام، وهو شَبِيهُ الدُّوَارِ، وأصلها على مذهب البصريين دَيَّمُومة على مثال فَيْعَلولة. وذلك شيء لم يُسْمَعْ من العرب، وأنشدوا بيتًا لا يبعد أن يكون مصنوعًا: [الرجز]

يَا لَيْتَ أَنَّا ضَمَّنَا سَفِينَهْ ... حَتَّى يَكُونَ الوَصْلُ كَيَّنُونَهْ

وكذلك يزعمون في جميع هذه الأوزان التي تجري هذا المجرى، ويحملون ذوات الياء على ذلك، فيقولون: طارَ الطَّائِرُ طَيْرُورة، أصلها طَيَّرُورة، بالتشديد، ولا يجعلونها فَعْلُولة؛ لأن ذلك عندهم بناء مستنكر، والفرّاء يرى أنَّ الواوَ قُلِبَتْ في «دَيْمُومة» لأنَّ الباب غلبت عليه الياء فجعلها مشابهة لقولهم: شكاية وهو من شَكَوْتُ؛ لأنَّ الياءَ كثرت في هذا النحو، وقوله «يعضُّ بالخَمْسِ» يقال: عَضَّ كذا، وعَضَّ على كذا، وعَضَّ بكذا، ويريد بالخمس الأصابع، وهي مؤنّثة؛ لذلك قيل: السَّبَّابة، والدَّعَّاءَة، والوُسْطى.

٢ ـ مُسْتَعْجِلِينَ إلَى رَكِيٍّ آجِنٍ هَيْهَاتَ عَهْدُ المَاءِ بِالإِنْسِ

ارتفع «عهدُ الماءِ» بقوله هيهات، وهو اسم لِبَعُدَ، والمراد رَكِيٌّ متغيّر بعد عهد مائه بالإنس، وقد رُوِيَ «عهد الماء بالأمس» ويكون على هذا عهد الماء مرتفعًا بالابتداء، وبالأمس خبره، وأتى بلفظة هيهات على طريق الاستبعاد، كأنه قال: إلى رَكِيٍّ آجِنٍ بعيد المطلوب والمُبْتَغى، ثم قال: عهد الماء بالأمس: أي كان الماء في وقت متقادم، والرواية الأولى أصحّ وأجود، وأعاد لفظة «مستعجلين» تأكيدًا، والأول منهما حال الرّكب.

٣ ـ مُسْتَعْجِلِينَ فَمُشْتَوٍ ومُعَالِجٌ نَقَبًا بِخُفٍّ جُلالَةٍ عَنْسِ

«مُشْتَوٍ» مبتدأ، وخبره مُضْمَر، كأنه قال على الاستئناف: فمنهم مُشْتَوٍ، ومنهم معالج نَقَبًا، والنَّقَب: أشدّ من الحَفَاء.

٤ ـ ومُهَوِّمٌ رَكِبَ الشِّمَالَ كَأَنَّمَا بِفُؤَادِهِ عَرَضٌ مِنَ المَسِّ[1]

«ومُهَوِّم» أراد ورجل نائم لما نَبَّهَه رَكِبَ شِمَالَهُ لغلبة النوم عليه، وقيل في تفسير قوله «رَكِبَ الشِّمالَ»: أي نام عليها، وقيل: أخطأ في القصد، من قولهم «رَكِبَ شُؤْمَاهُ» و«ركب الأشأم»، ويجوز أن يريد بقوله «رَكِبَ الشّمالَ» نفسه، والرَّاكب إذا لم يرعَ[2] من شَرْطِهِ أنْ يركَب من يمين نفسه وشمال مركوبه، ومتى رَكِبَ من شمال نفسِه ويمين مركوبه كان معكوس الرّكوب، ويجوز أن يريد رَكِبَ الشِّمالَ مَرَّةً واليمينَ أخرى، فاكتفى بِذِكر إحداهما، والمعنى: لا يبالي على أيِّ جَنبيه سقطَ لِغَلَبَةِ النُّعاس عليه، ومثله قول لبيد: [الرمل]

قَلَّ مَا عَرَّسَ حَتَّى هِجْتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأُوَلْ
يَلْمُسُ الأَحْلاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَاليَهُودِيِّ المُصَلّْ
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيَّهَلْ

[٨٢٣] وقال آخر:

١ ـ وهُنَّ مُنَاخَاتٌ يُحَاذِرْنَ قَوْلَةً مِنَ القَوْمِ أَنْ شُدُّوا قُتُودَ الرَّكَائِبِ
٢ ـ نَكَادُ إذَا قُمْنَا تَطِيرُ قُلُوبُنَا تَسَرْبُلُنَا ولَوْثُنَا بِالعَصَائِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

(١) ومُهَوِّمٌ: ضبطها المرزوقي: «ومُهَوِّمٍ» وفسّرها «أراد: رُبَّ رجلٍ نائمٍ».
(٢) المرزوقي: «لم يَزِغْ».

قوله «وهنَّ مُناخاتٌ» يريد الإبل، و«يحاذرنَ» في موضع الصّفة: أي خائفة محاذرة، و«من القوم» اتصل بقوله «أنْ شُدُّوا» وهو في موضع المفعول لقولة، وأنْ مخفَّفة من الثقيلة، واسمه مُضْمَر، والمراد أنَّ الأمرَ والشَّأْنَ شدّوا قُتودَ ركائبكم، و«شُدُّوا» بما بعده في موضع الخبر، فيريد أن مطاياهم وهي مناخات في مبارِكِها خائفات قول المنادي.

[٨٢٤] وقال آخر: [الرجز]

١ ـ حُبِسْنَ في قُرْحَ وفي دَارَتِهَا

٢ ـ سَبْعَ لَيَالٍ غَيْرَ مَعْلُوفَاتِهَا

«قُرْح» موضع، ويريد بالدَّارات دارات الرمل، ودارات العرب نَيِّف وعشرون دارة، وانتصب «سَبْعَ ليالٍ» على الظَّرف، و«غير معلوفاتها» في موضع الحال، والمراد غير معلوفات فيها، لكنه قَدَّرَ الظَّرف تقدير المفعول الصحيح، وحذف في.

٣ ـ حَتَّى إذَا قَضَّيْتُ مِنْ بَتَاتِها

٤ ـ وَمَا تُقَضِّي النَّفْسُ مِنْ حَاجَاتِها

البَتَاتُ: المَتَاع، والبَتَات: جمع بَتٌّ، وهو الكِساء.

٥ ـ حَمَّلْتُ أَثْقَالِي مُصَمِّمَاتِها

٦ ـ غُلْبَ الذِّفَارَى وعَفَرْنَيَاتِها

المُصَمِّماتِ: الإبل التي لا ترغو، الصَّابرات على السَّيْر، الماضيات فيه، والغُلْب: الغِلاظ الأعناق، والذَّفارَى: جمع الذِّفْرَى، وهي الجِيدُ الناتِىء عن يمين النقرة وشمالها، والعَفَرْنَيَات: جمع عَفَرْنَاة، وهي الصّلبة السّريعة.

٧ ـ فَانْصَلَتَتْ تعْجِبُ لانْصِلاتِها

٨ ـ كَأَنَّمَا أَعْنَاقُ سَامِيَاتِها

«انصلتتْ» أي مَضَتْ جَادَّةً، و«سامياتها» التي تسمو بأعينها وترفع رؤوسها.

٩ ـ بَيْنَ قَرَوْرَى وَمَرَوْرَيَاتِها

١٠ ـ قِسِيُّ نَبْع رُدَّ مِنْ سِيَاتِهَا

قَرَوْرَى وما حولها من الأرضين هي التي لا نباتَ بها، وقَروری: بين النقرة والحاجر، ومَرَوْرَيَاتها: صَحَارِ على طريق مكّة من الكوفة.

١١ ـ كَيْفَ تَرى مَرَّ طُلاَحِيَّاتِهَا

١٢ ـ والحَمْضِيَّاتِ عَلَى عِلاَّتِها

يقال: إبلٌ طُلاَحِيَّةٌ وطلاَحِيَّةٌ، إذا أَلِفت الطَّلْحَ وأكلَتْهُ، والطِّلاحُ: جمع طَلْحة أو طَلْح، وكان القياس في النسب إذا كسرتَ الطَّاء أن يقال طَلْحِيَّة لأن الجمع يردّ إلى واحده، وهو صفة، قال الفرّاء في طلاحي إذا نسبت إلى الطَّلْح: وهو بمنزلة أَذَاني ورُؤَاسي وأَنَافيّ، قال: وإنما هذه النسبة تكون للأعضاء، فشبّه طلاحِيًّا به، إذا كان ملازمًا له، فصار كأنه منه، وقال غيره: قيل طلاحي كما قيل نباطي وهو منسوب إلى النَّبَط، وكيف كان فإنه لم يجيء على القياس الأكثر وما هو الأصل، و«الحَمَضِيَّات» التي ترعى الحَمْض، وإنّما القياس الحَمْضيَّات بالسكون، ولكن هذا الحرف من شواذِّ النسب التي جاءت على غير قياس، وقوله «على عِلاَّتها» على ما بها من الدَّبَر والهُزَال وما عليها من الأثقال، ويُروَى بِالغَضَوِيَّات وهي التي ترعى الغَضَى.

١٣ ـ يَبِتْنَ يَنْقُلْنَ بِأَجْهِزَاتِهَا

١٤ ـ وَالحَادِيَ اللاَّغِبَ مِنْ حُدَاتِهَا

زاد الباء تأكيدًا «بأجهزاتها» وهو جمع الجمع، يقال: جهَاز وأجْهِزة، وهي الأمتعة، وعطف الحادي على موضع بأجهزاتها، أراد ينقلنَ أجهزاتها وينقلن الحادي أيضًا؛ لأنه قد لغبَ فافتقرَ إلى أن يحملَ، قال الراجز:

مَا فَتِئَتْ فِي لَيْلِهَا ذَمِيلا ‏ ‏ ‏ ‏ حَتَّى ثَنَتْ حَادِيَهَا زَمِيلاَ

[٨٢٥] وقال حَكِيمُ بن قَبِيصة بن ضِرَار لابنه بِشر وقد هَاجَرَ:

١ ـ لَعَمْرُ أَبِي بِشْرٍ لَقَدْ خَانَهُ بِشْرُ ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَى سَاعَةٍ فِيهَا إِلَى صَاحِبٍ فَقْرُ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

ذكر المدائني في كتاب العَقَقَة أنَّ هذا الشِّعر لحكيم بن ضِرار الضبيّ قاله لابنه وكان غزا وتركَ أباه، وذكر غيره أنه حكيم بن قبيصة، وأنَّ ابنَه كان فارقه مهاجرًا البَدْوَ إلى الأمصار، و«أبو بِشر» يعني به نفسه، وقوله «فيها إلى صاحبٍ فَقْر» أي في ساعة يشتدُّ فقره إليه، يشير إلى أوانِ كبره وضعفه، وقوله «على ساعة» في موضع الحال، وتعلّقَ «على» بفعل مُضْمَر، كأنه قال: مشرفًا على وقت كذا، وقوله «إلى صاحبٍ» في موضع النصب على الصفة المتقدِّمة؛ لأنَّ المُرَادَ فيها فقر إلى صاحب، وصفة النَّكِرَة إذا قُدِّمَتْ نُصِبَتْ.

٢ ـ فَمَا جَنَّةَ الفِرْدَوْسِ هَاجَرْتَ تَبْتَغِي ‏ ‏ ‏ ‏ وَلٰكِنْ دَعَاكَ الخُبْزُ أَحْسَبُ والتَّمْرُ

انتصب «جَنَّةَ الفِردوس» على أنه مفعول «تبتغي» وتبتغي في موضع الحال، والتقدير: ما هاجَرْتَ مبتغيًا جَنَّةَ الفِردوس، وإنَّما دَعاكَ إلى المهاجرة نهمة بطنِكَ ورغبتك في أطعمة الحَضَرِ، وقوله «أَحسبُ» قد حُذِفَ منه مفعولاه.

٣ ـ أَقُرْصٌ تُصَلِّي ظَهْرَهُ نَبَطِيَّةٌ بِتَنُّورِهَا حَتَّى يَطِيرَ لَهُ قِشْرُ

يقال: صَلَيْتُ الشِّوَاءَ، إذا شَوَيْتَهُ، وأصليته وصَلَّيْتُه، إذا ألقيته في النَّار، ويقال أيضًا: صَلَّى عصاه إذا أدارها على النَّارِ، فهو مثل أكرمته وكَرَّمْته وأفرحته وَفَرَّحته، وفي القرآن ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾(١) ويقال: تَصَلَّيْت حَرَّ النَّارِ واصطليته، قال أبو العلاء في قوله «أَقُرْصٌ تُصَلِّي ظهرَه» تُصَلِّيه أي تُلَوِّحه على صِلاءِ النَّارِ، يقال: صَلَّيْتُ العَصَا على النَّار، إذا لَوَّحْتها عليها، قال الشَّاعر: [الوافر]

فَلاَ تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْهُ وَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَمُسْتَدِيمِ(٢)

و«التَّنُّور» ادَّعَى قومٌ أنه بكلِّ لسان يسمّى «تَنورًا»، ولا يصحّ مثل هذا القول، وقد جاء في الكتاب الكريم؛ فرُوِيَ عن عليّ عليه السَّلام أنه أراد بالتَّنُّور وجه الأرض، وقال بعض أصحاب الأخبار: بل هو التَّنُّور المعروف، وكانت امرأة نوح تخبز ففارَ تَنُّورُها بالماء، وليس في كلام العرب التنر، ووزن تَنُّور فَعُّول، وذكر الحسن بن أحمد الفارسيّ النحويّ أن أحمد بن يحيىٰ المعروف بثعلب قال ثلاث مَرَّات: إنَّ وزن تَنُّور تَفْعُول، وإنَّما ذكر مُنْكِرًا عليه ما قال، وهذا المذهب قد يُسَوَّغ على بعض الوجوه، وذلك أن يجعل تَنُّورًا من النور، أو من النَّار، وهما متقاربان في المعنى واللَّفظ، فيقال: إنَّ أصله تَنْوُور، فهُمِزَت الواو لأنها مضمومة، ثم شُدِّدَ الحرف الذي قبل الهمزة وحذفت هي على لغة مَنْ ينشد: [الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ اللَّوْسِيَّ يَسْمُو إِلَى الغَايَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ(٣)

يريد الأَوْسيَّ.

٤ ـ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ لِقَاحٌ كَثِيرَةٌ مُعَطَّفَةٌ فِيهَا الجَلِيلَةُ وَالبَكْرُ(٤)

٥ ـ كَأَنَّ أَدَاوَى بِالمَدِينَةِ عُلِّقَتْ مِلاءَ بِأَحْقِيهَا إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ

أَدَاوَى: جمع إداوة(٥)، قال الشاعر: [الوافر]

إِذَا مَا ضَلَّ هَادِيهِمْ وَأَمْسَتْ أَدَاوَاهُمْ مُشَوَّلَةَ النِّطَافِ

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٣.

(٢) البيت لقيس بن زهير في تاج العروس (صلى).

(٣) البيت للشمّاخ في ديوانه ص ٣٣٥؛ ولسان العرب (قطع)؛ وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١؛ وكتاب العين ١/ ١٣٦؛ وتاج العروس (قطع).

(٤) اللِّقاح: النوق الغزيرة اللَّبن، والجليلة: الناقة العظيمة، والبَكر: الناقة التي تَلِد بطنًا واحدًا.

(٥) الإداوة: إناء صغير من جلد يُتَّخذ للماء.

شَبَّه ضروعَ الإبلِ بالأَدَاوَى، وهذا كما قال الجَعْدي: [الطويل]

إذَا هِيَ سِيقَتْ دَافَعَتْ ثَفِنَاتُهَا إلَى سُرَرٍ بُجْرٍ مَزَادًا مُقَيَّرا[1]

وقد جعل امرؤ القيس ضروع المعز كالدِّلِيّ في قوله: [الوافر]

تَرُوحُ كَأَنَّهَا مِمَّا أَصَابَتْ مُعَلَّقَةً بِأَحْقِيهَا الدُّلِيُّ

أحْقِيها: جمع حَقْوٍ، وهو من الإنسان مَعْقِدُ الإزار، ولذلك سُمِّيَ الإزارُ حقوًا، قال الراجز:

أَسْبِلْنَ أَذْيَالَ الحُقِيِّ وارْبَعْنْ مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كَأَنْ لَمْ يُفْزَعْنْ

إنْ تُمْنَعِ اليَوْمَ نِسَاءٌ تُمْنَعْنْ

وانتصب «ملاء» على الحال.

٦ ـ كَأَنَّ قُرَى نَمْلٍ عَلَى سَرَوَاتِهَا يُلَبِّدُهَا فِي لَيْلِ سَارِيَةٍ قَطْرُ

قوله «كأنَّ قُرَى نَمْلٍ على سَرَواتها» يشبه قول الآخر: [الرجز]

إلَى سَرَاةٍ مِثْلِ بَيْتِ النَّمْلِ غَنِيَّةٍ مِنْ وَبَرٍ وَخَمْلِ

السَّرَوَات: الأعالي، وقرية النَّمل ربّما تُرَى كأعظم جثوة، ولذلك شَبَّه ارتفاع أسنمتها وكثرة الشَّحْم واللَّحم عليها بها، ولَبَّدَها: صَلَّبَها.

[٨٢٦] وقال واقد بن الغِطْريف[2] بن طريف بن مالك بن طيِّىء:

وكان مريضًا فحُمِيَ الماء واللَّبن، والغِطْرِيف: السَّيِّد الكريم، ويقال: إنه في الأصل البازيُّ وشُبِّهَ الرجلُ به، يقال: بازٌ غِطريفٌ وغطرافٌ، قال أبو طالب: [الرجز]

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ شَرَّفَا قَوْمِي وَأَعْلاَهُمْ مَعًا وَغَطْرَفَا

أي: جعلهم كِرامًا، وقال أبو الطّيفانية: [الطويل]

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ زُرَارَةُ مِنْهُمُ وَعَمْرٌو وَقَعْقَاعٌ أُولاَكَ الغَطَارِفُ

وقال جعونة العجليّ: [الطويل]

تُمَنِّعُهَا مِنْ أَنْ تَشَلَّ وَإِنْ تَخَفْ يَحُلْ دُونَهَا الشُّمُّ الغَطَارِيفُ مِنْ عِجْلِ

---

(١) الثَّفِنَاتُ: جمع الثَّفِنة: هو ما وقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغَلُظَ، كالرُّكبتين وغيرهما. والسُّرَر: جمع السُّرَّة: الوقبة التي في وسط البطن. والبُجْرُ: جمع الأبجر: الذي خرجت سُرَّتُه وارتفعت وصلبت. والمُقَيَّر: المطلي بالقار وهو شيء أسود يُطلَى به الإبل عند الجرب.

(٢) نسبه في معجم البلدان ٨/٢٠٣ لواقد بن الغطريف أو زيادة بن بحدل الطريفي الطائي.

١ ـ يَقُولُونَ لاَ تَشْرَبْ نَسِيئًا فَإِنَّهُ ... وَإِنْ كُنْتَ حَرَّانًا عَلَيْكَ وَخِيمُ

الثاني من الطويل، والقافية من المتواتر.

النسيء: الرَّثية[1]، والحَرَّان: الشّديد العَطَش، و«عليك» من صفة وخيم وقد قَدَّمَهُ فانتصبَ على الحال، يريد: قال النّاس وهم يحمونني الماء واللَّبن: لا تشربهما فإنه يثقلُ عليك ويزيدُ في ألمكَ شربهما.

٢ ـ لَئِنْ لَبَنُ المِعْزَى بِمَاءِ مُوَيْسِلٍ ... بَغَانِيَ دَاءً إنَّنِي لَسَقِيمُ

يقول: قلت لهم مجيبًا: إن كان اللَّبن ممزوجًا بماء هذه العين يكسبني إتخامًا، وهو غذائي ومِسَاكُ قُوَّتي مُذْ كنتُ، فَإنَّني لَمُتَناهي السُّقم، فأطلق لفظة سقيم والمراد المبالغة، وَفَعِيل من أبنيتها، وقوله «بَغَانِيَ دَاءً» كَسبني وأنزلَ بي، وقوله «بماء مويسل»[2] الباء أفاد الجمع والاختلاط، يقولون: خُذْ كذا بكذا، والمعنى مجموعًا إليه ومختلطًا به، ومُوَيْسِل تصغير مأسل الذي ذكره امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسِلِ

في غالب الظَّنّ.

[٨٢٧] وقال حُنْدُج بن حُنْدُج المُرّيّ:

الحُنْدُج: الكثيب أصغر من النَّقَا، ويقال: رملةٌ طَيِّبَةٌ تنبتُ ألوانًا، ونونه أصل، كذا موجب صنعة التصريف.

١ ـ في لَيْلِ صُولٍ تَنَاهَى العَرْضُ وَالطُّولُ ... كَأَنَّمَا لَيْلُهُ بِاللَّيْلِ مَوْصُولُ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

جعل اللَّيْلَ كالمُجَسَّمَات حتّى جعله ذا طولٍ وعرضٍ عنده، وقال أبو تمام مستطيلاً لليوم: [الطويل]

بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ في عَرْضِ مِثْلِهِ[3]

ومن كلام الناس: عِشنا زمنًا طويلاً عريضًا، والدَّهْرُ الطَّويل العريض، وكلُّ ذلك تشبيهٌ بالأجسام، وقد اسْتُعْمِلَ العَرض منفردًا عن الطّول، والمراد به السّعة، على ذلك قوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[4] ويتعلّق الجار من قوله «في ليل صُول» بِتَنَاهَى.

---

(١) المرزوقي: «الرثيئة». والنّسيء: اللَّبن المخلوط بالماء.
(٢) مويسل: ماء في بلاد طيِّىء (معجم البلدان ٥/٢٢٨).
(٣) هذا صدر بيت في ديوانه صفحة ٢٤٤ وعجزه: «ووجدي من هذا وهذاك أطولُ».
(٤) سورة فصّلت، الآية: ٥١.

٢ ـ لاَ فَارَقَ الصُّبْحُ كَفِّي إنْ ظَفِرتُ بِهِ وَإنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ[(١)]

قوله «لا فارقَ الصُّبْحُ كَفّي» يجوز أن يكون دعاءً، يريد: إنْ ظفرتُ بالصُّبحِ فلا فَرَّقَ اللَّهُ بيني وبينه، ويجوز أن يكون إخبارًا، والمعنى إنه يتشبّثُ به فلا يفارقه، وقوله «وإنْ بَدَتْ غرّة منه وتحجيلُ» يريد تباشيره ممتزجة بالظَّلام، والغُرَّة والتَّحجيل معروفان، وقد قيل: صبحٌ أقرحُ، مأخوذ من القرحة لأنه بياضٌ وسواد.

٣ ـ لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَمَلْمُلُهُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسَّوْطِ مَقْتُولُ

اللاَّم في «لِساهر» تعلّق بقوله «وإن بَدَتْ» يعني بالسَّاهر نفسه، كما أراد بِذكر الغُرَّة والتَّحجيل الصّبح نفسه، والتَّململ: القلق والانزعاج.

٤ ـ مَتَى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لاَحَتْ مَخَايِلُهُ وَاللَّيلُ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ السَّرَابِيلُ[(٢)]

«متى» لفظه استفهام ومعناه التَّمنّي، ولكَ أن تروي «واللَّيْلَ» بالنصب مردودًا على الصّبح، و«اللَّيل» بالرفع، وتكون الواو للحال، ويرتفع اللَّيل بالابتداء، و«قد مُزِّقَتْ» في موضع الجرّ، ويعني بالسَّرابيل الظَّلام.

٥ ـ لَيلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ مَشْكُولُ

جعل اللَّيل لاتّصالِ دوامه كالمتحيّر الواقف كواكبه عن المسير، وهذا المعنى أراد امرؤ القيس في قوله: [الطويل]

كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا بِأَمْرَاسِ كَتَّانٍ إلَى صُمِّ جَنْدَلِ

٦ ـ نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الجَوِّ القَنَادِيلُ[(٣)]

٧ ـ مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ مَنْ دَارُهُ الحَزْنُ مِمَّنْ دَارُهُ صُولُ

«ما أقدَرَ اللَّهَ» لفظه تَعَجُّب ومعناه الطَّلَب والتَّمنّي، وكان الواجب أن يقول: ما أقدرَ اللَّهَ على أن يدني، فحذف الجار، ومثل هذا الحذف يكثر مع أنْ لطوله بصلته، والشَّحَط: البعد، شَحَطَ شَحْطًا وشُحُوطًا، قال: [الرجز]

وَالشَّحْطُ قَطَّاعٌ رَجَاءَ مَنْ رَجَا[(٤)]

لكنه حَرَّكَ الحاء، وموضع «على شَحَطٍ» نصب على الحال.

---

(١) الغُرَّة: بياض في جبهة الفرس. والتحجيل: بياض في قوائم الفرس.

(٢) مخايله: طلائعه وعلاماته. (٣) الرُّكَّدُ: جمع الرَّاكد.

(٤) للعجّاج في ديوانه ص ٨، وقبله:

منازلاً هَيَّجْنَ مَنْ تهيَّجا من آلِ ليلى قد عفونَ حِججا

٨ ـ اللَّهُ يَطْوِي بَسَاطَ الأَرْضِ بَيْنَهُمَا   حَتَّى يَرَى الرَّبْعُ مِنْهُ وَهْوَ مَأْهُولُ

البَسَاط: الأرض الواسعة، جعل الكلام لما يتمنّاه على أنه إخبار عن الشَّيء وقد وقعَ، وكلُّ ذلك تحقيقٌ لِمَا يُؤَمِّلُه ويسأله، وهذا كما يجعل الدعاء على لفظ الخبر، كأنه لِقوَّة الأصل يجعل المطلوب في حكم ما قد حصل، وقوله «حتى يرى الرّبع منه» يعني الربع الذي بالحَزْن مِمَّنْ هو مقيمٌ بِصُول.

[٨٢٨] **وقال حُمَيْد الأَرْقَط**[1]:

١ ـ قَدْ أَغْتَدِي وَالصُّبْحُ مُحْمَرُّ الطُّرَرْ[2]

٢ ـ وَاللَّيْلُ يَحْدُوهُ تَبَاشِيرُ السَّحَرْ

من مشطور الرجز، والقافية متدارك.

وقد وقع في هذه القافية أيضًا المتراكب في قوله «من الخيل زمر».

الطُّرَرُ: جمع الطُّرَّة، وهي النّاحية والحَرْف.

٣ ـ وَفِي تَوَالِيهِ نُجُومٌ كَالشَّرَرْ

٤ ـ بِسُحُقِ المَيْعَةِ مَيَّالِ العُذَرْ

المَيْعَة: النَّشاط، وجعله سحقًا لاتّصاله ودوامه، والسُّحق: البُعْد، ونخلة سَحُوق: طويلة، والعُذَر: الخصل من الشَّعْرِ، والعُذَر أيضًا: علامة تُعْقَدُ في ناصية الفرس السَّابِقِ من العين، والواحدة عُذْرَة، وروى السّكريّ «بِمُشْعَلِ الميعةِ» وهو من إشعال النّار والغضب.

٥ ـ كَأَنَّهُ يَوْمَ الرِّهَانِ المُحْتَضَرْ

٦ ـ وَقَدْ بَدَا أَوَّلَ شَخْصٍ يُنْتَظَرْ

٧ ـ دُونَ أَثَابِيَّ مِنَ الخَيْلِ زُمَرْ

٨ ـ ضَارٍ غَدَا يَنْفُضُ صِيبَانَ المَطَرْ[3]

الأثابي: الجماعات، وليس لها واحد، وقيل: واحدها أُثْبِيَّة أُفْعُولة، وهي الجماعة الكثيرة، يقول: كأنّه وقد جاء سابقًا في هذا اليوم لأوّلِ طالع ينتظر دون جماعات من

---

(١) حُميد الأرقط: هو حميد بن مالك شاعر إسلامي مجيد محسن، لُقِّبَ بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وعدَّه أبو عبيدة من بخلاء العرب الأربعة وهم: الحطيئة وحميد الأرقط وأبو الأسود الدؤلي وخالد بن صفوان (الأغاني ٢/ ٤٤).

(٢) أغتدي: أذهب في الصباح.   (٣) المرزوقي: «صِئبان المطر».

الخيل جاءت زمرةً بعد زمرةٍ صَقْرٌ قد ضَرِيَ بالصَّيْدِ، و«صِيبانُ المطر» قال أبو العلاء: إذا رُوِيَ بكسر الصَّاد فهو جمع صائب، مثل حائط وحِيطَان، ويجوز أن يكون مصدرًا مثل حِرْمَان، وإذا قيل صَيْبَان بالفتح، فالمراد به ما صابَ من المطر، وليس يمتنع ظهور الياء فيه؛ لقولهم: صاب يَصُوبُ؛ لأنَّ له نظائر منها رَيْحَان من الرَّوْح وعَيْدان لِلنَّخل الطِّوال من العود، وقال غيره: شَبَّه ما عليه من الرَّذَاذِ بِالصِّبْيان وهو جمع صُؤاب.

٩ - عَنْ زِفٍّ مِلْحَاحٍ بَعِيدِ المُنْكَدَرْ[١]

١٠ - أَقْنَى تَظَلُّ طَيْرُهُ عَلَى حَذَرْ

المِلْحَاح: بناء للمبالغة من أَلَحَّ يُلِحُّ، ويجوز أن يكون من لَحَّتْ عينُه ولَحِحَتْ إذا التصقتْ أجفانُها بالرَّمَصِ، وقوله «بعيد المنكدر» المنكدر: الموضع الذي ينكدر فيه، ويجوز أن يكون مصدرًا، ويقال: انكدرَ وانْصَلَتَ وخات وانْقَضَّ بمعنى، وقوله «أَقنى» القَنَى في الصّقور والشّواهين، وكذلك طول المنكب وقِصَر الذَّنَب وغُؤُور العينين وبُعْد ما بين المنكبين.

١١ - يَلُذْنَ مِنْهُ تَحْتَ أَفْنَانِ الشَّجَرْ

١٢ - مِنْ صَادِقِ الوَدْقِ طَرُوحٍ بِالبَصَرْ[٢]

١٣ - بَعِيدِ تَوْهِيمِ الوِقَاعِ وَالنَّظَرْ[٣]

١٤ - كَأَنَّمَا عَيْنَاهُ فِي حَرْفَي حَجَرْ

١٥ - بَيْنَ مَآقٍ لَمْ تُخَرَّقْ بِالإِبَرْ

«في حَرْفَي حجر» أي: في جانبي حَجَر، يعني رأسه، وقال النمريّ في قوله:

بَيْنَ مَآقٍ لَمْ تُخَرَّقْ بِالإِبَرْ

أي: لم يُصَدْ فيحاص عيناه لِيَأنس ويألف، وكذلك يفعل إذا أُريد تعليمه، وقال أبو محمد الأعرابي: هنا زيادة شرح، ومعناه أنه أُخِذَ وهو فرخٌ صغير فَرُجِّن[٤] ولم يَحْتَجْ إلى حِيَاصَةِ عينيه لأنهم يَحُوصون عين التُّكش[٥] من الصُّقور وهو الذي يُجَاءُ به كبيرًا ثم يُعَلَّم وهو كبير فلا يكاد يتعلّم؛ ويضرب التُّكْشُ مَثَلاً لمن يُعَلَّمُ على الكِبَرِ.

---

(١) الزِّفّ: صِغار الرِّيش كالزَّغب.

(٢) المرزوقي: «من صادقِ الوَقْع». الوَدْق: حدّة النَّظر.

(٣) الوِقاع: جمع الوقيعة: نقرة في الجبل أو السهل يستنقع فيها الماء.

(٤) رُجِّنَ: حُبِسَ حتى يألف المكان.

(٥) التُّكْش: في لغة الشُّطّار هو الذي لم يُؤَدّبه فتًى ولم يُخَرِّجه. (الحيوان ١/ ١٦٨).

باب المُلَح

[٨٢٩] قال بعضهم[١]:

١ ـ يَقُولُ لِيَ الأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ تَقَدَّمْ حِينَ جَدَّ بِنَا المِرَاسُ[٢]

٢ ـ فَمَا لِي إنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرَّاسِ رَاسُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

وذكرَ المبرِّد أنَّ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة قال يومًا وقد اشتدّتِ الحربُ بينه وبين الخوارج لأبي عَلْقَمَة اليحمديّ: أَمْدِدْنا بخيلِ اليَحْمَدِ، وقلْ لهم: أعيرونا جماجِمَكُم سَاعةً، فقال: أيُّها الأمير، إنَّ جماجِمَهُمْ ليستْ بِفَخَّارٍ فتُعَار، وأعناقهم ليست بِكُرَّاثٍ فَتَنْبُتَ، وقال لحبيب ولده: كُرَّ على القوم، فقال:

يَقُولُ لِيَ الأَمِيرُ بِغَيْرِ نُصْحٍ

وقيل: البيتان للأعور الشَّنِّي قالهما لِلمهلّب بن أبي صفرة.

[٨٣٠] وَقالت امرأة[٣]:

١ ـ فَقَدْتُ الشُّيُوخَ وَأَشْيَاعَهُمْ وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَقْوَالِيَهْ

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

---

(١) في ديوان الحماسة برواية الجواليقي ص ٣٨٤ «قال أبو دلامة، وتُروَى للأعور الشَّنِّي». وفي الحماسة البصرية ٢/ ٣٦٥ للأعور وقيل لحبيب بن عوف. وأبو دلامة: هو زيد بن الجون الأسدي (ت ١٦١ هـ).

(٢) المِراس: الشّدّة في القتال.

(٣) هي حَميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري: شاعرة ابنة شاعر، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد تزوّج بها لمّا قَدِمَ على عبد الملك بن مروان بدمشق، فقالت فيه هذه الأبيات. والأبيات (٤ و٥ و٦) مع ترجمتها في (معجم الأدباء ٣/ ٢٦٩).

أرادت بالأشياع مَنْ يرضى مناكحهم أو تعصَّبَ لهم، وقوله «وذلك من بعض أقواليه» إيذانٌ منها بأنَّ لها في ذمِّ الشُّيوخِ طرائق.

٢ ـ تَـرَى زَوْجَـةَ الـشَّـيْـخِ مَـغْـمُـومَـةً وَتُـمْـسِـي لِـصُـحْـبَـتِـهِ قَـالِـيَـهْ[١]

٣ ـ فَـلاَ بَـارَكَ الـلَّـهُ فـي عَـرْدِهِ وَلاَ فـي غُـضُـونِ اَسْـتِـهِ الـبَـالِـيَـهْ

العَرْدُ: الذَّكَر، قال الخليل: هو الشَّديد المنتصِب من كلِّ شيء، ومنه «وَتَرٌ عُرُدٌّ» وكانت هذه المرأة تزوَّجت شابًا فاستطابت عيشها معه ثم طلَّقها وتزوَّجَتْ شَيخًا من أهل المدينة فلم تَحْمَدْ صُحْبَتَهُ.

٤ ـ وَإنَّ دِمَـشْـقَ وَفِـتْـيَـانَـهَـا أَحَـبُّ إلَـيْـنَـا مِـنَ الـجَـالِـيَـهْ[٢]

الجالية: الغرباء جَلَوا عن أوطانِهم، الواحد جَالٍ.

٥ ـ نَـكَـحْـتُ الـمَـدِيـنِـيَّ إذْ جَـاءَنِـي فَـيَـا لَـكِ مِـنْ نَـكْـحَـةٍ غـالِـيَـهْ

«غالية» من الغَلاَ: أي كانت تزويجة غالية خاسرة لأنه لم يكن مشاكِلاً لي.

٦ ـ لَـهُ ذَفَـرٌ كَـصُـنَـانِ الـتُّـيُـو سِ أَعْـيَـا على المِسْكِ والغَالِيَهْ

الذَّفر: الرِّيح طَيِّبَةً كانت أو خبيثة، والدَّفر ـ بالدال غير منقوطة وسكون الفاء ـ النَّتن لا غير، وقولها «أعيا عَلَى المِسْكِ» موضعه من الإعراب نصب عَلَى الحال، ومفعول أعيا محذوف: أي أعجز ذلك الذّفر ما يستعمل من الطِّيبِ.

[٨٣١] وقال آخر:

١ ـ مِـنْ أَيْـنَـا تَـضْـحَـكُ ذَاتُ الـحِـجْـلَـيْـنْ أَبْـدَلَـهَـا الـلَّـهُ بِـلَـوْنِ لَـوْنَـيْـنْ

٢ ـ سَـوادَ وَجْـهِ وَبَـيَـاضَ عَـيْـنَـيْـنْ

من العروض الثالثة من السريع، والقافية مترادف.

الحِجْلاَن: الخلخالان، الواحد حِجْل، ولما كان اللَّون ينتظم السَّواد والبياض وغيرهما بيّن بقوله «سواد وجه وبياض عينين» ونصب سواد على إضمار أعني.

[٨٣٢] وقال أبو الخَنْدَق الأسديّ، وقيل: إنه لدِعْبِل[٣]:

١ ـ أَعـوذُ بـالـلَّـهِ مِـنْ لَـيْـلٍ يُـقَـرِّبُـنـي إلَـى مُـضَـاجَـعَـةٍ كـالـدَّلْـكِ بِـالـمَـسَـدِ

الأوّل من البسيط، والقافية متراكب.

---

(١) قالية: مُبغضة.

(٢) في معجم الأدباء: «كهولُ دِمَشْقَ وشُبَّانَها».

(٣) الأبيات في ديوان دعبل ص ٣٢٩.

الدَّلْكُ: الغَمْز والفَرْك، والمَسَد: الحبل، وأصله من الفتل، يقال: مَسَدْتُ الحبلَ مَسْدًا، والحبلُ ممسودٌ ومَسَدٌ، كما يقال: نَفضْتُ الشَّيءَ نَفْضًا والشَّيءُ منفوضٌ ونَفَضٌ، فأمّا قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[1] فقيل: المَسَد ليف المقل، ولا يمتنع أن يكون اللِّيف سُمِّيَ مَسَدًا بما يؤولُ إليه من الفَتْلِ عند اتِّخاذ الحبل.

٢ - لَقَدْ لَمَسْتُ مُعَرَّاهَا فَمَا وَقَعَتْ ... مِمَّا لَمَسْتُ يَدِي إلاَّ على وَتِدِ

يَصِفُها بِالهُزَالِ وتَعَرِّي العظام من اللَّحم حتى صار لها حجوم أشبهت الأوتاد.

٣ - في كلِّ عُضْوٍ لَهَا قَرْنٌ تَصُكُّ بِهِ ... جَنْبَ الضَّجِيعِ فَيُضْحِي وَاهِيَ الجَسَدِ

الصَّكُّ: الدَّفْعُ، يقال: صَكَّهُ بحجر أو غيره، وصكَّ البازي صَيْدَهُ، إذا ضربه بِكفِّه فحطَّهُ.

[٨٣٣] وقال آخر[2] ومرَّ بأبي العلاء العقيليّ يفلي ثيابه:

١ - وإذَا مَرَرْتَ بِهِ مَرَرْتَ بِقَانِصٍ ... مُتَشَمِّسٍ في شَرْقَةٍ مَقْرُورِ

الثاني من الكامل.

الشَّرْقَة والمَشْرُقة بمعنى، وهما المكان الَّذي يُتَشرَّقُ فيه.

٢ - لِلْقَمْلِ حَوْلَ أبي العَلاَءِ مَصَارِعٌ ... مِنْ بَيْنِ مَقْتُولٍ وبَيْنِ عَقِيرِ[3]

٣ - وكَأَنَّهُنَّ لَدَى دُروزِ قَمِيصِهِ ... فَذٌّ وتَوْأَمُ سِمْسِمٍ مَقْشُورِ[4]

٤ - ضَرِجِ الأَنَامِلِ مِنْ دِمَاءِ قَتِيلِهَا ... حَنِقٍ على أُخْرَى العَدُوِّ مُغِيرِ

يقال: ضَرَّجْتُ الثَّوْبَ، إذا صبغته بالحمرة، و«ضَرِج الأنامل» من ذلك.

[٨٣٤] وقال آخر[5]:

هو لبعض الحجازيين.

١ - خَبَّرُوها بِأَنَّنِي قَدْ تَزَوَّجْـ ... ـتُ فَظَلَّتْ تُكَاتِمُ الغَيْظَ سِرًّا

الأوّل من الخفيف، والقافية متواتر.

حذف المفعول الأوّل من «تكاتم» ويجوز أن يكون تكاتم بمعنى تكتم فلا يكون من اثنين، ولكن كما يقال: قاتله اللَّهُ، و«سِرًّا» يجوز أن يكون مصدرًا من غير لفظه

(١) سورة المسد، الآية: ٥.
(٢) الأبيات في الحيوان ٥/٣٧٨؛ ونهاية الأرب ١٠/١٧٧؛ ومحاضرات الراغب ٢/١٣٣.
(٣) العقير: الجريح. (٤) الفَذّ: الفرد.
(٥) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ٣٨٤.

لأن تكاتم بمعنى تُسِرُّ، ويكون كقوله: [الطويل]

ورُضْت فَذَلَّتْ صَعْبَةَ أيَّ إذْلاَلِ[1]

ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال.

٢ ـ ثـمَّ قَـالَـتْ لأُخْـتِـهَـا ولأُخْـرَى جَـزَعًـا لَـيْـتَـهُ تَـزَوَّجَ عَـشْـرَا

«جزعًا» انتصب على أنه مفعول له، وموضع قوله «ليته تزوج عشرًا» نصب على أنه مفعول قالت.

٣ ـ وأَشَـارَتْ إلَـى نِـسَـاءٍ لَـدَيْـهَـا لاَ تَـرَى دُونَـهُـنَّ لِـلـسِّـرِّ سِـتْـرا

يجوز فتح السين وكسرها في «سترًا»، فالسَّتر: المصدر، والسِّتر: أحد السُّتُور.

٤ ـ مَـا لِـقَـلْـبِـي كَـأَنَّـهُ لَـيْـسَ مِـنِّـي وَعِـظَـامِـي كَـأَنَّ فِـيـهِـنَّ فَـتْـرَا

يقال: فَتَرَ الإنسان، إذا لانت مفاصله.

٥ ـ مِـنْ حَـدِيـثٍ نَـمَـا إلَـيَّ فَـظِـيـعٍ خِلْتُ في القَلْبِ مِنْ تَلَظِّيهِ جَمْرَا

[٨٣٥] وقال آخر:

١ ـ جَـزَى الـلَّـهُ عَـنَّـا ذَاتَ بَـعْـلٍ تَـصَـدَّقَـتْ عَـلَـى عَـزَبٍ حَتَّـى يَـكُـونَ لَـهُ أَهْـلُ[2]

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قيل: وردَ أعرابيٌّ البصرةَ، فحضر الجامع، وسمع المؤذنين يؤذِّنون، فقال: ما لهؤلاء يصيحون؟ ولم يكُ له بالأذان عهدٌ، فقال له بعضُ المجّانِ: كلُّ مَنْ كان في قلبه شيء وصعد وباح بما في قلبه أُعْطِيَ مُنَاه، فقال الأعرابيّ: إنِّي والله صاعدٌ إذًا، فقال الماجنُ لنقيب المؤذِّنين: هذا أعرابيّ جَيِّدُ الأذان يريد أن يُؤَذِّنَ، فقال: ليصعد، فصعد، وكان جَهِيرَ الصَّوت، ورفع صوته بهذه الأبيات فعدا النَّاس إليه فطرحوه من المنارة فهلك، فسمع بعض نساء البصرة تقول: رحم الله ذلك المؤذِّن ما كان أطيب أذانه.

٢ ـ فَـإنَّـا سَـنَـجْـزِيـهَـا بِـمَـا فَـعَـلَـتْ بِـنَـا إذَا مَـا تَـزَوَّجْـنَـا وَلَـيْـسَ لَـهَـا بَـعْـلُ

٣ ـ أَفِـيـضُـوا عَـلَـى عُـزَّابِـكُـمْ بِـنِـسَـائِـكُـمْ فَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ يُحْرَمَ الفَضْلُ

عُزَّاب: جمع عازب، وقصده إلى جمع عَزَب، لكنه تصوَّر بُعْدَهما عن الأهل وتساويهما فيه فجعل العَزَب والعازب بمعنى ثم استعار بناء العازب للعَزَب، وهذا كما قيل نَمِر ونُمْر لأنه لمّا تصوّر أنه أنمر في لونه جمعوه جمع أنمر، فأجروه مجرى أَحْمَرَ

(١) هذا عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٥٩، وصدره: «وصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا».

(٢) العَزَب: الرجل الذي لم يتزوّجْ. والأهل: هنا الزوجة.

وحُمْر، وقوله «أفيضوا» توهَّم في أفيضوا معنى تصدَّقوا فعَدَّاهُ تعديته، فلذلك زاد الباء في «بنسائِكم» ويجوز أن يكون من قولهم: أفاض الإناءُ بمائِه علينا، فيكون التقدير أفيضوا العطايا بنسائكم، وقوله «فما في كتاب الله» يجوز أن يريد بالكتاب المقدَّر: أي فيما كتبه وفرضه، ويجوز أن يكون أراد به القرآن.

[٨٣٦] وقال آخر:

١ - أَنْشُدُ بِاللَّهِ وبِالدَّلْوِ الخَلَقْ

٢ - يَا رَبِّ مَنْ أَحَسَّهَا مِمَّنْ صَدَقْ

من مشطور الرجز، والقافية متدارك، وفيها المتراكب أيضًا في قوله: «بلاء وأرق».

هذا رجل سُرِقَتْ له دلوٌ، فقال: أنشد بالله: أي مستغيثًا بالله، أو مذكرًا بالله، وقوله «وبالدلو الخلق» يريد وبسبب الدَّلو نِشْدَاني وطلبي ففصل بين دخول الباءين، وقوله «مَنْ أَحَسَّها» أي: مَنْ رآها وأدركها بعلمه وصدقني عند السؤال عنها، فقوله «مِمَّن صدق» يجوز أن يكون مَنْ نكرة، والمراد من إنسان يصدقُ، ويجوز أن يكون معرفة والمراد من الذين يصدقون في المقال.

٣ - فَهَبْ لَهُ بَيْضَاءَ بَلْهَاءَ الخُلُقْ

٤ - وَمَنْ نَوَى كِتْمَانَ دَلْوِي فَاحْتَرَقْ

دعا له بأن يملِّكه الله امرأة كريمة لا غائل لها، وقوله «فاحترق» يعني بالنار.

٥ - وَأَبْعَثْ عَلَيْهِ عَلَقًا مِنَ العَلَقْ

٦ - إِنْ لَمْ يُصَبِّحْهُ بِمَا سَاءَ طَرَقْ

العَلَق: دويبة حمراء تكون في الماء وتأخذ بالحلق، ويجوز أن يكون العَلَق مصدر عَلِقَتْ به العلوقُ: أي الدَّاهية.

٧ - وَبَاتَ فِي جَهْدِ بَلاءٍ وَأَرَقْ

٨ - وَهَبْ لَهُ ذَاتَ صِدَارٍ مُنْخَرِقْ

٩ - مَشُومَةً تَخْلِطُ شُومًا بِخُرُقْ

الصِّدَار: الثَّوب الذي يبلغ الصَّدر، وجعله منخرقًا لجنون صاحبته؛ لأنه دعا على مَنْ يكتم دلوَه بأن يهبَ له امرأة مجنونة، والخُرْق: ضدّ الرفق.

[٨٣٧] وقال آخر: [الرجز]

١ - كَأَنَّ خُصْيَيْهِ مِنَ التَّدَلْدُلِ سَحْقُ جِرَابٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلِ

التدلدل: الاضطراب، ويقال: ثوبٌ سَحْقٌ وجَرْدٌ، وإنما قال: «ثنتا حنظل» لأنَّ مراده ثنتان من الحنظل، ولو أراد تثنية حنظلة لم يجزْ إلاَّ حنظلتان، وذكر النمريّ أنه يجوز أن يكون مَدْحًا، وأن يكون ذمًّا، لأن البَطَل يُوصَفُ بِطُولِ الخصيةِ وقلّة تقلصها، وردَّ عليه أبو محمد الأعرابيّ وأورد الأُرجوزة التي فيها البيتان وهي في الذمّ.

[٨٣٨] وقال آخر: [الرجز]

١ ـ كَأَنَّ خُصْيَيْهِ إذَا تَدَلْدَلاَ أُثْفِيَتَانِ تَحْمِلاَنِ مِرْجَلا[١]

أُثْفِيَّة يجوز أن يكون أُفْعُولة بدلالة قولهم: أَثْفَيْتُ القِدْرَ وثَفَّيْتُها، ويجوز أن يكون فُعْلِيَّة بدلالة قولهم: أَثَّفْتُ القِدْرَ.

[٨٣٩] وقالت امرأة[٢]:

١ ـ كَأَنَّ خُصْيَيْهِ إذَا مَا جَبَّا دَجَاجَتَانِ تَلْقُطَانِ حَبَّا

من العروض الرابعة من السريع، والقافية متواتر.

يقال: جَبَّى تَجْبيةً، إذا طامنَ بدنه ويديه ورفع أليتيه.

هذه الأُرجوزة لامرأة تهجو زوجها، وأراد زوجها أن يسافر فقال لها: [الرجز]

إنْ لَمْ أُقَيِّدْكِ بِقَيْدٍ فَاجْمَحِي يَرُدُّ مِنْ غَرْبِ الدَّوَاهِي الطُّمَّحِ
عَنِ الغُدُوِّ وَعَنِ التَّرَوُّحِ وَدَلَجِ اللَّيْلِ إلَى أنْ تُصْبِحِي
فَاعْتَكِفِي في مَسْجِدِي وَسَبِّحِي

فأجابته: [الرجز]

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّيَ زَوْجًا خَبًّا أَخَبَّ مِنْ ضَبٍّ يُدَاهِي ضَبًّا[٣]
كَأَنَّ خُصْيَيْهِ إذَا أَكَبَّا

أي: طأطأَ رأسَه لالتماسِ شيء، شَبَّهَتْ خصيتيه بفروجتين إذا لقطتا، فأجابها: [الرجز]

يَا رَبِّ إنْ كُنْتَ لِرَيَّا رَبَّا فَاقْدُرْ لَهَا أَرْبَدَ مُسْلَحِبَّا

يريد حَيّة، في أبيات.

---

(١) المرزوقي: «المِرْجَلا». والأُثفيّة، واحدة الأحجار التي توضع عليها القِدر، والمِرْجَل: القِدر من النحاس.

(٢) في الحماسة البصرية ٢/٤٠٣ لهند بنت أبي سفيان في أبيها، وفي أشعار النساء ٥٩ لريّا بنت الأعرف من بني عقيل.

(٣) الخَبّ: الخدّاع.

[٨٤٠] وقال آخر: [الرجز]

١ - وَفَيْشَةٍ زَيْنٍ وَلَيْسَتْ فَاضِحَهْ

٢ - نَابِلَةٍ طَوْرًا وطَوْرًا رَامِحَهْ[1]

الفَيْشَة: رَأْسُ القضيبِ، والفَيْشَلَة في معناه، وليس من بنائه، لكنه من باب سَبَط وسِبَطْرٍ.

٣ - عَلَى العَدُوِّ وَالصَّدِيقِ جَامِحَهْ[2]

٤ - مَنْ لَقِيَتْ فَهْيَ لَهُ مُصَافِحَهْ

المصافَحَة أصله في الالتقاء والتسليم ووضع اليد في اليد، يقال: لقيته صفاحًا: أي مفاجأة، والجامحة: الصّلبة الرأس لا تميّزُ بين العدوّ والصّدِيق.

٥ - تَسُدُّ فَرْجَ القَحْبَةِ المُسَافِحَهْ[3]

٦ - مُفْسِدَةٍ لابْنِ العَجُوزِ الصَّالِحَهْ

المُسَافِحة: الزَّانية، وأصله من سفح الماء عند الجِماع، وهذا كما يقال من المَذْي: ماذيته، واشتهر السفاح بمضادة النكاح.

٧ - كَأَنَّهَا صَنْجَةُ أَلْفٍ رَاجِحَهْ[4]

[٨٤١] وقال آخر[5]:

١ - وَفَيْشَةٍ لَيْسَتْ كَهَذِي الفَيْشِ ... قَدْ مُلِئَتْ مِنْ خُرُقٍ وَطَيْشِ[6]

٢ - إذَا بَدَتْ قُلْتَ أَمِيرُ الجَيْشِ ... مَنْ ذَاقَهَا يَعْرِفُ طَعْمَ العَيْشِ

من العروض الرابعة من السريع، والقافية متواتر.

[٨٤٢] وقال آخر[7]: [الطويل]

١ - لا أَكْتُمُ الأَسْرَارَ لَكِنْ أَنُمُّهَا ... ولاَ أَتْرُكُ الأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي

---

(١) نابلة: ترمي مثل النبل.

(٢) العدو: أراد به المرأة التي لا يحلّ وطؤها. والصديق: ضدّها. وجامحة: من جمح الفرس إذا شرد.

(٣) القحبة: الفاجرة.

(٤) الصَّنجة: حديدة الميزان التي في وسطه من فوق. والراجحة: المائلة.

(٥) الأبيات في لسان العرب (فيش) وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٣٢٢.

(٦) الخُرُق: الجنون، والطيش الخفّة.

(٧) هو سحيم الفقعسيّ كما في الحيوان ٥/ ١٨٤.

٢ - وَإنَّ قَلِيلَ العَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَةً تُقَلِّبُهُ الأَسْرَارُ جَنْبًا إلَى جَنْبِ

قوله «أَنُمُّهَا» أي: أُفشيها وأُظهِرها، يقال: نَمَّهُ يَنُمُّهُ وَيَنِمُّهُ، وقوله «جنبًا إلى جنبٍ» في موضع الحال، والمعنى: يقلقُ في مضجعه محافظة على السِّرِّ ولا يعركها بجنبه، ويجوز أن يكون جنبًا بدلاً من الهاء في تقلّبه.

[٨٤٣] وقال آخر: [الطويل]

١ - فَجَاؤُوا بِشَيْخٍ كَدَّحَ الشَّرُّ وجْهَهُ جَهُولٍ مَتَى مَا يَنْفَدِ السَّبُّ يَلْطِمِ

الكَدْحُ والخَدْش والخَمْش تتقارب في المعنى.

[٨٤٤] وقالت امرأة لأخرى أخذها الطَّلْق واسمها سحابة: [الرجز]

١ - أَيَا سَحَابُ طَرِّقِي بِخَيْرِ
٢ - وطَرِّقِي بِخُصْيَةٍ وأَيْرِ
٣ - ولاَ تُرِينِي طَرَفَ البُظَيْرِ

التطريق: أن يظهر عند الولادة طرقة الولد، وهي أطرافه: رأسه ويداه، ولك أن تروي «يا سحابُ» و«يا سحابَ» فيا سحابَ بفتح الياء على أصل الترخيم ولك أن تضمّها تنوي تمام الاسم بعد ذهاب الهاء وتبنيه على الضَّمِّ للنداء.

[٨٤٥] وقال آخر:

١ - فَإنَّكَ إنْ تَرَى عَرَصَاتِ جُمْلٍ بِعَاقِبَةٍ فَأَنْتَ إذًا سَعِيدُ
٢ - لَهَا عَيْنَانِ مِنْ أَقِطٍ وتَمْرٍ وسَائِرُ خَلْقِهَا بَعْدُ الثَّرِيدُ

الأول من الوافر، والقافية متواتر.

قوله «إنْ ترى» أتى بِتَرَى تامًّا وإن كان في موضع الجزم فهو كقوله: [الرجز]

فَلاَ تَرَضَّاهَا وَلاَ تَمَلَّقِ[(١)]

وكقوله: [الوافر]

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي[(٢)]

والذي حذفه للجزم في «ترى» حركة كانت في النيّة في موضع الرفع، وقوله «فأنتَ إذًا سعيدُ» جمع بين الفاء وبين إذًا في جواب الشَّرط تأكيدًا للجزاء، ولو قال «فأنتَ

(١) لرؤبة بن العجاج كما في الخزانة ٣/ ٥٣٤، وملحقات ديوانه ١٧٩.
(٢) هذا صدر بيت لقيس بن زهير العبسي في الخزانة ٣/ ٥٣٦، وعجزه: «بما لاقَتْ لَبُونُ بني زيادِ».

سعيدُ» لكفى وأغنى، ويكون إذًا للحال، كأنه يحكي الكائن من الأمر في ذلك الوقت، وكذلك لو قال «فأنتَ إذٍ سعيد» كما قال الهذليّ: [الوافر]

بِـعَـاقِـبَـةٍ وَأَنْـتَ إِذٍ صَـحِـيـحُ[1]

و«سعيد» يجوز أن يكون اسم الفاعل من سَعِد، ويجوز أن يكون فعيلاً في معنى مفعول. ويقال: سَعَدَه الله بمعنى أسعده، وقوله «بعاقبة» أي: بعقب ما عرفتها ودفعت إليها، ومَنْ روى «فأنتَ إذٍ» أراد فأنتَ إذِ الأمرُ ذاكَ، وفي ذلك الوقت، ونوّن إذٍ ليكون التنوين فيه عوضًا مما كان يضاف إليه وعلى هذا حينئذٍ ويومئذٍ.

[٨٤٦] وقال آخر[2]:

١ - أَنِخْ فَاصْطَبِخْ قُرْصًا إذَا اعْتَادَكَ الهَوَى ... بِزَيْتٍ كَمَا يَكْفِيكَ فَقْدَ الحَبَائِبِ

٢ - إذَا اجْتَمَعَ الجُوعُ المُبَرِّحُ والهَوَى ... نَسِيتَ وِصَالَ الآنِسَاتِ الكَوَاعِبِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

الرواية الجيدة «أنخْ فاصطبغ» من الصِّباغ، وهو الأدم، يدلُّ على صِحَّة هذه الرواية قوله «بزيت» وروى بعضهم «فاصطنع» كأنه يجعله من الصنع، كما قال الآخر: [الطويل]

إذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أكـيـلاً، . . . .

البيت[3].

والوجه هو الأول، وقوله «كما يكفيك» قال الكوفيون كما في معنى كيما، واحتجّوا بقول الآخر: [الطويل]

إذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَكَ غَيْرَنَا ... كَمَا يَحْسَبُوا أَنَّ الهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ[4]

والبصريون يروون «لكي يحسبوا» وكذلك رووا البيت الأول «لكي يكفيك» ولا يعرفون ما ذكروه.

[٨٤٧] وقال آخر: [الطويل]

١ - كَأَنَّ ثَنَايَاهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهَا ... لِبَا نَعْجَةٍ سَوَّطْتَهُ بِدَقِيقِ

(١) هذا عجز بيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١/٦٨، وصدره: «نهيتكِ عن طلابك أُمَّ عمرٍو».
(٢) البيتان في الحيوان ٤/٨٣ بدون عزو، والبيت الأول في الإنصاف ٢/٥٩٢.
(٣) قطعة من بيت لحاتم الطائي وعجزه: «أكيلاً، فإنّي لستُ آكِلَهُ وحدي».
(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ١٠١؛ وخزانة الأدب ٥/٣٢٠؛ والدّرر ٤/٧٠؛ ولجميل بثينة في ديوانه ص ٩٠؛ ولجميل أو لعمر في شرح شواهد المغني ١/٤٩٨؛ وللبيد أو لجميل في المقاصد النحوية ٤/٤٠٧؛ وبلا نسبة في الإنصاف ٢/٥٨٦؛ والجنى الداني ص ٤٨٣.

يقال: سُطتُ الشَّيءَ؛ إذا جمعته مع غيره في الإناء، وضربتهما حتى يختلطا، وسُمِّيَ السَّوْطُ الذي يُضْرَبُ به لأنه يَسُوطُ اللَّحْمَ بِالدَّمِ.

[٨٤٨] وقال آخر: [الطويل]

١ ـ رَمَتْنِي بِسَهْمِ الحُبِّ أَمَّا قِذَاذُهُ فَتَمْرٌ وَأَمَّا رِيشُهُ فَسَوِيقُ

يريد أنها كانت تطعمه التمر والسَّويق فلذلك أحبّها، والقِذَاذ: جمع القُذَّةِ، وهو الرّيش، ويقال: قَذَذْتُ السَّهْمَ، إذا جعلت له قذاذًا، وكان أبو زيد يُجيز أَقْذَذْتُ السَّهْمَ، أيضًا، وأباه الأصمعي، وكلُّ شيءٍ سَوَّيْتَه وأصلحْتَه فقد قَذَّذْتَهُ، والسَّهمُ الأَقَذُّ: الذي لا رِيشَ عليه، ومن أمثالهم: ما أصبتُ منه أقذَّ ولا مَرِيشًا.

[٨٤٩] وقال آخر: [الطويل]

١ ـ أَلاَ رُبَّ خَوْدٍ عَيْنُهَا مِنْ خَزِيرَةٍ وَأَنْيَابُهَا الغُرُّ الحِسَانُ سَوِيقُ

الخَوْدُ: المرأة النّاعمة الجِسم، والخزيرة: دقيق يُلْبَكُ بِشَحم، وكانت العرب تُعَيِّرُ بِأكله، وقيل: إنَّ المقصود بذلك بنو مجاشع وقريش، وهي السَّخينة أيضًا، والصَّحيح أن الخزيرة لحمٌ يقطَّعُ صغارًا ويُغلَى بماء ويُذَرُّ عليه دقيق.

[٨٥٠] وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وَمَا العَيْشُ إلاَّ نَوْمَةٌ وَتَشَرُّقٌ وَتَمْرٌ كَأَكْبَادِ الجَرَادِ وَمَاءُ

التَّشَرُّق: التّظاهر لِلشّمس والنوم فيها، لأنّها تطلعُ من الشَّرْقِ، ولأنهم يقولون: شَرَقَتْ، وأَشْرَقَتْ، ويقولون: طلعَ الشَّرْقُ، وزعم بعضهم أن الشمس تُسَمَّى شرْقَة، معرفة، وقال الشاعر: [الطويل]

بَلِيتُ كَمَا يَبْلَى الرِّدَاءُ وَلاَ أَرَى أَبَانًا وَلاَ أَكْنَافَ ذِرْوَةَ تَخْلِقُ
أُلَوِّي حَيَازِيمِي بِهِنَّ صَبَابَةً كَمَا تَتَلَوَّى الحَيَّةُ المُتَشَرِّقُ

فيجوز أن يعني بالمتشرّق الذي قد ظهر لِلشّمس، ويحتمل أن يريد بالمتشرّق أنه قد بلغ شيئًا فضاقَ عليه المسلك يأخذه من الشّرق، والرواية الصحيحة «أكباد الحِرَارِ» جمع حَرَّان، وهو العطشان، ومَنْ رَوى «كأكباد الجراد» فروايته ضعيفة.

[٨٥١] وقال آخر: [مشطور الرجز]

١ ـ قَامَتْ تَمَطَّى وَالقَمِيصُ مُنْخَرِقْ

٢ ـ فَصَادَفَ الخَرْقُ مَكَانًا قَدْ حَلِقْ

٣ ـ كَأَنَّهُ قَعْبُ نُضَارٍ مُنْفَلِقْ[١]

تَمَطَّى أراد تَتمطَّى، فحذف إحدى التاءين، ونُضَار: شجر تُتَّخَذُ من خشبه القِصَاعُ، ويجوز أن يكون المراد بالنُّضَار الذهب، ومثل هذا قول الأخرى: [الرجز]

إذَا قَعَدْتُ مَقْعَدًا نَبَا بِيَهْ ... كالقَدَحِ المَكْبُوبِ فَوْقَ الرَّابِيَهْ

[٨٥٢] وقال آخر: [الطويل]

١ ـ إذَا اجْتَمَعَ الجُوعُ المُبَرِّحُ وَالهَوَى ... عَلَى الرَّجُلِ المِسْكِينِ كَادَ يَمُوتُ[٢]

[٨٥٣] وقال آخر: [الرجز]

١ ـ يَا رَبِّ إنْ قَتَلْتَهَا فَعُدْ لَهَا

٢ ـ فَلَنْ تَمُوتَ أَوْ تُجِيدَ قتلَهَا

أراد إلاّ أنْ تشدّ قتلها وتبالغ فيه.

[٨٥٤] وقال آخر[٣]:

١ ـ وَأُبْغِضُ الضَّيفَ مَا بِي جُلُّ مَأْكَلِهِ ... إلاَّ تَنَفُّجَهُ حَوْلِي إذَا قَعَدَا

٢ ـ مَا زَالَ يَنْفُجُ جَنْبَيْهِ وَحُبْوَتَهُ ... حَتَّى أَقُولَ لَعَلَّ الضَّيفَ قَدْ وَلَدَا[٤]

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

قوله «إلاَّ تنفّجه» استثناء خارج، و«التَّنفّج» قيل: هو التَّجشُّؤ، وقيل: تنفَّجَ فلانٌ أي توسَّعَ في جلوسه، ومنه قيل: هو متنفج الجنبين، وهذا غرض الشَّاعر، بدلالة قوله «ما زال ينفجُ جنبيه وحبوته» والنَّفْجُ: الكبر، وفي التنفّج زيادة تكلّف.

[٨٥٥] وقال بلال بن جرير[٥]: [الطويل]

بلال: أحد أسماء الماء، والجرير: حبل الزمام.

١ ـ وَعُكْلِيَّةٍ قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا ... إذَا العَيْرُ أَدْلَى: حَبَّذَا مِثْلُ ذَا عِلْقَا

قال أبو العلاء: كان البغداديون ينشدون «علقًا» بالقاف والعين، وقدم الوزير ابن أبي خالد التبريزي ومعه سبط له فقرأ الغلام الحماسة على بعض أهل العلم وأنشد هذا البيت

---

(١) القَعْب: القدح الضخم. (٢) المُبَرِّح: المهلِك.

(٣) العقد الفريد ٦/ ٣٠٢ لحميد الأرقط.

(٤) الحبوة: من الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته.

(٥) بلال بن جرير بن عطيّة بن الخطفى وكان شاعرًا محسنًا ناقدًا بصيرًا.

بالغين والفاء «غلفًا» وذكر بعده بيتًا، وهو:

فَقَالَتْ لَهَا جَارَاتُهَا إذْ سَمِعْنَهَا   نَعَمْ حَبَّذَا بَل حَبَّذَا مِثْلُهُ أَلْفَا

وزعم أن هذه الرواية وقعت إليهم عن أبي عبد الله الأسديّ البصريّ صاحب كتاب المشاكهة، وكان من أروى البصريين الذين في زمانه لِشعر العرب، والغلف الشَّيء الذي يُجعَل في الغِلاف.

[٨٥٦] وقال آخر: [الطويل]

١ ـ وإنّا لَنَجْفُو الضَّيفَ مِنْ غَيرِ عُسْرَةٍ   مَخَافَةَ أَنْ يَضْرَى بِنَا فَيَعُودُ

قوله «فيعود» لم يعطفه على «أن يَضْرَى بنا» لكنه على الاستئناف والمراد فهو يعود، ويُروى أنَّ الأصمعي كان يقول: هذا البيت على مذهب الأخِسَّاء وخالفه غيره فيه، فتحاكما إلى عبد الله بن طاهر، فحكم على الأصمعيّ على معنى أنه يريد إنَّا لا نبالغ في برّ الضَّيف ولا نتكلّف لئلا يحتشم ولكن نُقَدِّمُ إليه بعض ما يحضر لِيأنَسَ فيُكثِر زيارتنا، ثم نوفيه حَقَّ إكرامَه بعد ذلك، وقال مخافة أن يَضْرَى يريد أن لاَ يَضْرَى؛ كقوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾[1] يريد أن لا تضلّوا لأنَّ عادةَ أهل المروءة أن يتكلّفوا لِلضَّيف ابتداءً لِعرفَ مَحَلَّه عندهم، فإذا زالت الحِشمة ترك التكلّف، وقال مَنْ يتعصَّب لِلأصمعيّ: إنَّ الصَّوابَ ما قاله، بدليل البيت الذي بعده وهو:

٢ ـ ونُشْلِي عَلَيهِ الكَلْبَ عِنْدَ مَحَلِّهِ   ونُبْدِي لَهُ الحِرْمَانَ ثُمَّ نَزِيدُ

وقال أبو العلاء: هذا البيت يُروَى لحاتم الطّائي؛ وقال: إنه أراد بالضيف الأسد، وهذا لا يمتنع من مذاهب العرب، لأنهم يسمّون كلّ طارق ضيفًا، حتى جعلوا الأسدَ كالضَّيف، وكذلك الهمُّ، قال الشاعر: [الطويل]

تَضَيَّفَنِي وَهْنًا فَقُلْتُ أَسَابِقِي   إِلَى الزَّادِ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الأَصَابِعُ
فَلَم تلفِ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ   مِنَ الأَرْضِ إلاَّ وَهْوَ غَرْثَانُ جَائِعُ

وقال المُرَقِّش: [الطويل]

وَلَمَّا أَضَأْنَا النَّارَ عِنْدَ شِوَائِنَا   عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
نَبَذْتُ إِلَيْهِ فِلْذَةً مِنْ شِوَائِنَا   حَيَاءً وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أُجَالِسُ
فَآضَ بِهَا جَذْلاَنَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ   كَمَا آبَ بِالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُخَالِسُ

(١) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

وقال الفرزدق: [الطويل]

فَبِتُّ أَقُدُّ الزَّادَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانِ

وسمّوا المالَ ضيفًا لأنه يجيءُ ويذهبُ، ومن ذلك قول القائل: [الطويل]

وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا ... مِنَ الضَّيْفِ إِنْ كَانَ الصَّحِيحُ المُسَلَّمَا

[٨٥٧] وقال آخَرُ:

ونظر إلى جارية سوداء تَخضِبُ كَفَّها، فقال: [مشطور الرجز]

١ ـ تَخْضِبُ كَفًّا بُتِكَتْ مِنْ زَنْدِهَا

٢ ـ فَتَخْضِبُ الحِنَّاءَ مِنْ مُسْوَدِّهَا

قوله «بُتِكَتْ من زَنْدِها» منقطع مما قبله، كأنه خبر عنها ثم دعا على كفِّها، ولا يجوز أن يَتَّصِلَ بما قبله لأنه حينئذٍ يكون واقعًا موقع الصفة للكفّ، والأمر والنهي والدّعاء لا تكون صفات ولا صلات ولا أخبارًا إلاَّ بتأويل، وقوله «فتخضبُ الحنّاءَ» يريد أن سوادَ لونها يغيّر من الحناء فيخضبه، والحناء وزنه فِعَّال، مهموز، والهمزة منه أصلية، بدلالة قولهم حنأته بالحناء.

٣ ـ كَأَنَّهَا وَالكُحْلُ فِي مِرْوَدِّهَا

٤ ـ تَكْحُلُ عَيْنَيْهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا

قوله «في مِرْوَدِّها» استقبح الزّحاف فشدَّدَ الدال، ومثله: [الرجز]

تَعَرُّضَ المُهْرَةِ فِي الطِّوَلِّ(١)

وقال أبو العلاء: لمّا كان بعض العرب يقول: هذا مِرْوَدّ ومررت بمِرودّ، فيشدد في الوقف؛ اجترأ هذا القائل على أن يجيء بالتشديد في الوصل، وهو نحو قول الآخر: [الرجز]

كَأَنَّ مَهْوَاهَا مِنَ الكَلْكَلِّ ... مَوْضِعُ كَفَّيْ رَاهِبٍ يُصَلِّي

غير أن التشديد في مِرودّها أبعد منه في الكلكل؛ لأن اللام ليس بعدها إلا ياء الصلة، والدال هنا بعدها حرفان.

---

(١) البيت لمنظور بن مرثد الأسدي كما في حواشي مجالس ثعلب ص ٦٠١.

[٨٥٨] وقال أعرابيّ لابنه، وكان قد دخل الحمام فأحرقته النُّورة:

١ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ حَذَّرْتُ قُرْطًا وَجَارَهُ ... وَلاَ يَنْفَعُ التَّحْذِيرُ مَنْ لَيسَ يَحْذَرُ
٢ ـ نَهَيْتُهُمَا عَنْ نُورَةٍ أَحْرَقَتْهُمَا ... وَحَمَّامِ سَوْءٍ مَاؤُهُ يَتَسَعَّرُ[١]
٣ ـ فَمَا مِنْهُمَا إلاَّ أَتَانِي مُوَقَّعًا ... بِهِ أَثَرٌ مِنْ مَسِّهَا يَتَقَشَّرُ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

«مُوَقَّعًا» انتصب على الحال، يقال: بعير موقَّع، به آثار الجروح.

٤ ـ أَجِدَّكُمَا لَمْ تَعْلَمَا أنَّ جَارَنا ... أَبَا الحِسْلِ بِالصَّحْراءِ لاَ يَتَنَوَّرُ

«لا يَتنوَّرُ» الأجود في هذا أن يقال: ينتار، وقد قيل: تَنوَّر، أيضًا، وقال أبو العلاء: النّورة: قد تكلَّموا بها قديمًا، ولها اشتقاق لأنها إذا أزالت الشَّعْرَ أنارَ موضعه لذهابه عنه، وزعم قوم أنَّ النّورَةَ امرأةٌ كانت تصنع هذا الشيء فسُمِّيَ باسْمِها، ولا يمتنع ذلك، قال الراجز:

يَا رَبِّ إنْ كَانَ بَنُو عَمِيرَهْ ... قَدْ أَجْمَعُوا لِحَلْفَةٍ مَشْهُورَهْ
وَاجْتَمَعُوا كَأَنَّهُمْ قَارُورَهْ ... فَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سَنَةً قَاشُورَهْ
تَحْتَلِقُ المَالَ احْتِلاَقَ النُّورَهْ

و«أَجِدَّكُما» انتصب على المصدر من فعل مضمَر، كأنه قال: أتجدان جِدّكما، وذكر سيبويه في باب ما ينتصب من المصادر توكيدًا لما قبله كقولك: هذا زيدٌ حقًّا لا باطلاً، وهذا القول لا قولك، وهذا زيد غير ما تقول، والتقدير هذا القول لا أقول قولك، قال سيبويه: ومثله في الاستفهام أَجِدَّكَ لا تفعلُ كذا، ولا يستعمل إلاَّ مضافًا، والتقدير أجِدًّا منكَ، وجرى مجرى ما لزمته الإضافة، نحو لَبَّيْكَ، ومعاذَ الله، والمعنى أعلى جِدٌّ لم تعلَما مَن ذَكَره.

٥ ـ وَلَمْ تَعْلَما حَمَّامَنَا بِبِلاَدِنَا ... إذا جَعَلَ الحِرْبَاءُ بِالجِذْلِ يَخْطِرُ[٢]

الحِرباء أعظم من العظاة، وهو أغبر ما دام صغيرًا، ثم يصفرّ إذا كبرَ، فإذا حَمِيَتِ الشَّمسُ عليه أخذ جلده يخضرّ، ولذلك قال ذو الرّمّة: [الطويل]

وَيَخْضَرُّ مِنْ لَفْحِ الهَجِيرِ غَبَاغِبُهْ[٣]

(١) النُّورة: ما يُتَّخذ لإزالة الشّعر. وهذا البيت في تاج العروس (حمم) ونسبه إلى عبيد بن القرط الأسديّ.
(٢) الجذل: أصل الحطب العظيم. ويخطر: يحرّك ذنبه.
(٣) صدره في ديوان ذي الرّمّة (٤٧): «إذا جعل الحرباء يبيضّ رأسه».

[٨٥٩] **وقال آخر:**

١ ـ أَلاَ فَتَى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي عَلَيْهِمَا إِنَّنِي شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

يُروى «أنني» بفتح الهمزة، والمعنى لأنّني، و«إنّني» بكسر الهمزة على الاستئناف.

٢ ـ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَحْوَالاً أُمَارِسُهَا مِنَ الجِبَالِ وَأَنِّي سَيِّىءُ البَصَرِ[١]

٣ ـ إِذَا سَرَى القَوْمُ لَمْ أُبْصِرْ طَرِيقَهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ضَوْءٌ مِنَ القَمَرِ

قوله «لم أبصرْ طريقهم» يريد أنه لا جَادَّةَ في بلادهم، وهذا خلاف قوله: [البسيط]

قَدْ جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخَيْرَ فِي هَرِمٍ وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا[٢]

كأنه عَيَّرَهم فألغَزَ في كلامه.

[٨٦٠] **وقالت جارية في نساء يَتَسَابَبْنَ:**

١ ـ سُبِّي أَبِي سَبُّكِ لَنْ يَضِيرَهْ إِنَّ مَعِي قَوَافِيَا كَثِيرَهْ

يَنْفَحُ مِنْهَا المِسْكُ والذَّرِيرَهْ[٣]

العروض الرابعة من السريع[٤]، والقافية متواتر.

ويُروَى «سُبِّي أبي سَبَّكِ لِي بَصِيرة» فإذا رويت «سَبُّكِ لن يضيره» ارتفع سَبُّك بالابتداء، وإذا رويت «سَبَّك لي بصيرة» انتصب سَبّك على المصدر: أي كما تسبّيني فسبّي أبي أيضًا، وبصيرة اسم امرأة، يريد يا بصيرة، هذا وجه، وقالوا: الصَّواب «سَبُّكِ لي بصيرة» أي حجّة لي، من قول الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[٥] أي حجّة، تقول: السّابّ مبتدِئًا مذمومٌ وإذا كان مكافئًا لم يستحقّ الذّمّ، تقول: إنَّ سَبَّكِ حُجَّةٌ لي في مجازاتك والانتقام منك، فلا أُلاَمُ على سَبِّكِ، ويحتمل أن يكون المراد سَبُّكِ لي بصيرة تضرّك لأنك تسبِّينني بما فيك من العيوب فأستبصر به معايبك، و«ينفحُ منها» أي يفوح، أي معي قوافٍ تُستَطاب لجودتها كما تُستَطاب رائحة المسك.

[٨٦١] **وقالت أخرى في مثل هذا الوزن:**

١ ـ إِنَّ أَبَاكِ زَهْزَقٌ دَقِيقُ لاَ حَسَنُ الوَجْهِ وَلاَ عَتِيقُ

تَضْحَكُ مِنْ طُرْطُبِّهِ العُنُوقُ

---

(١) أُمارسها: أُعانيها.

(٢) البيت لزهير.

(٣) الذَّريرة: نوع من العطر.

(٤) هكذا أوردها التبريزي والتي بعدها، وهي أقرب إلى الرجز منها إلى السريع، وقد تكرر ذلك في أكثر من موضع.

(٥) سورة القيامة، الآية: ١٤.

الزَّهْزَق: اللَّئيم الدَّقيق الحَسَب، والعتيق: الكريم، والفعل منه عَتَق عِتْقًا، والطُّرْطُبُ: صوت الرّاعي إذا سَكَّنَ مِعْزَاه، والعُنُوقُ: إناثُ أولاد المِعْزَى، ويُرْوَى «تضحكُ من طُرْطُبِه» وذكر أنَّ المخاطبَ كأنه كان لثديه حلمة طويلة، والضّرع الطويل يقال له الطّرطبّ، وإنَّ العنوقَ امرأة تريد أنها تسخرُ منه وتعجبها خلقته، وقال أبو العلاء: زهزق خفيف طياش، ويجوز أن يعني أنه يضحكُ منه؛ لأنَّ الزهزقةَ كَثْرَةُ الضَّحِكِ، قال النابغة: [الطويل]

إذَا غَضِبَتْ لَمْ يَشْعُرِ الحَيُّ أَنَّهَا غَضُوبٌ وَإنْ نَالَتْ رِضًا لَمْ تُزَهْزِقِ

والدّقيق يستعمل في معنى الخفيف الأصل؛ لأنه يدقّ عن الإدراك، والطرطب من الطَّرْطَبَة وهو صوت يُخرِجه الراعي بين شفتيه.

[٨٦٢] وقالت أخرى:

١ ـ يَـا رَبِّ مَـنْ عَـادَى أَبِـي فَـعَـادِهْ
٢ ـ وَارْمِ بِـسَـهْـمَـيْـنِ عَـلَـى فُـؤَادِهْ
٣ ـ وَاجْـعَـلْ حِـمَـامَ نَـفْـسِـهِ فِـي زَادِهْ

من مشطور الرجز والقافية متدارك إذا أطلقت، وإذا قيّدت فمن العروض الرابعة من السريع والقافية متواتر.

قولها «عاده» أي أهلكه لأنَّ مَنْ عاداه الله هلكَ.

[٨٦٣] وقالت أم النُّحَيف:

وهو سعد بن قرط أحد بني جذيمة، وكان تزوَّجَ امرأة نَهَتْهُ أُمُّه عنها، يقال: نَحِفَ الرَّجلُ يَنْحَفُ ونَحُفَ يَنْحُفُ نحافةً، وهو نحيفٌ، فيجوز أن يكون النُّحيف تحقير ترخيم النَّحيف.

١ ـ لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَفْتَ ظَنِّي وَسُؤْتَنِي فَحُزْتَ بِعِصْيَانِي النَّدَامَةَ فَاصْبِرِ
٢ ـ وَلاَ تَكُ مِطْلاَقًا مَلُولاً وَسَامِحِ الْـ ـقَرِينَةَ وافْعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مُشَهَّرِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

المِطلاق: الكثير التطليق، ذكر أنه يطلّقها فذمَّتْهُ أُمُّه وقالت له: احذر من المطالبة بالمَهْر، وغير ذلك مما يخافه المطلّق، ولكن اصبرْ عليها إلى أن تموتَ.

٣ ـ فَقَدْ حُزْتَ بِالوَرْهَاءِ أَخْبَثَ خِبْثَةٍ فَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ قُلْتَ يَا سَعْدُ واحْذَرِ

الورهاء: الحمقاء، وأصل الوَرَه الخُرْق في كلِّ عَملٍ، يقال: تَوَرَّهَ الرَّجُلُ في عمله، وقوله «أخبث خِبثةٍ» نعت كلّ فاسد، وكذلك الخابث، وقد استعمل الخبثة في

العجوز أيضًا، والأخبثان: الجهد والسير، وقيل: الرجيع والبول، وقولها «فدعْ عنك ما قد قلتَ» كأنه كان هَمَّ بمباينتها فأنكرت ذلك وقالت:

٤ - تَـرَبَّـصْ بِـهَـا الأَيَّـامَ عَـلَّ صُـرُوفَـهَـا سَتَرْمِي بِـهَـا فـي جَـاحِـمٍ مُـتَـسَـعِّـرِ[١]

الجاحم: النَّار الشَّديدة التأجّج، ومنه جاحم الحرب، وأجحمت النار والحرب جَحْمَةً: اشتدَّتْ.

٥ - فَـكَـمْ مِـنْ كَـرِيـمٍ قَـدْ مَـنَـاهُ إِلـٰهُـهُ بِـمَـذْمُـومَـةِ الأَخْـلاقِ وَاسِـعَـةِ الـحِـرِ[٢]

٦ - فَـطَـاوَلَـهَـا حَـتَّـى أَتَـتْـهَـا مَـنِـيَّـةٌ فَـصَـارَتْ سَـفَـاةَ جُـثْـوَةً بَـيْـنَ أَقْـبُـرِ[٣]

السَّفَاة من التراب: الكُبَّة منه.

٧ - فَأُعْقِبَ لَـمَّـا كَانَ بِـالصَّـبْـرِ مُـعْـصِـمًـا فَـتَـاةً تَـمَـشَّـى بَـيْـنَ إِتْـبٍ ومِـئْـزَرِ[٤]

أَعْصَمَ من الشَّرِّ واعتصمَ واستعصمَ: التجأَ وامتنعَ.

٨ - مُهَفْهَفَةَ الكَشْحَيْنِ مَحْطُوطَةَ المَطَا كَهَمِّ الفَتَى في كُلِّ مَبْدًى ومَحْضَرِ[٥]

«محطوطة المطا» أي: كأنَّها قد صُقِلَتْ بِالمَحَطِّ، وهو ما يُحَطُّ به السَّيف والجلد، والمهفهفة: الخميصة البطن الدقيقة الخصر، وقولها «كهمِّ الفتى» أي كما يهواها ويهمّه حيثما انصرف.

٩ - لَـهَـا كَـفَـلٌ كَـالـدِّعْـصِ لَـبَّـدَهُ الـنَّـدَى وثَـغْـرٌ نَـقِـيٌّ كَـالأَقَـاحِـي الـمُـنَـوِّرِ[٦]

[٨٦٤] وقال سعد، وليس من الكتاب: [البسيط]

١ - يَـا لَـيْـتَ مَـا أُمَّـنَـا شَـالَـتْ نَـعَـامَـتُـهَـا أَيـمَـا إِلَـى جَـنَّـةٍ أَيـمَـا إِلَـى نَـارِ[٧]

٢ - تَـلْـتَـهِـمُ الـوَسْـقَ مَـشْـدُودًا أَشِـظَّـتُـهُ كَـأَنَّـمَـا وَجْـهُـهَـا قَـدْ طُـلِـيَ بِـالـقَـارِ[٨]

٣ - لَـيْـسَـتْ بِـشَـبْـعَـى وَلَـوْ أَوْرَدْتَـهَـا هَـجَـرًا وَلاَ بِـرِيًّـا وَلَـوْ قَـاظَـتْ بِـذِي قَـارِ[٩]

---

(١) تربَّصْ: انتظر. (٢) مَنَاه: ابتلاه. والحِرُ: فرج المرأة.

(٣) طاولها: باراها في طول المدّة. والجثوة: الحجارة المجموعة.

(٤) الإتب: ثوب أو برد يُشَقُّ في وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غير كمّ ولا جيب. والمئزر: الإزار.

(٥) المرزوقي: «محطوطةَ الحَشَا». والمطا: الظَّهر.

(٦) المرزوقي: «لَبَّدَهُ الثَّرَى». والثرى والندى واحد. الدِّعص: ما استدار من الرّمل. والأقاحي: جمع أقحوان: زهر أبيض في وسطه كتلة صفراء يسمّى البابونج.

(٧) شالت: من الشّول وهو رفع الذَّنَب، وأراد بشالت نعامتها: موتها. وأيما: أصله إمّا.

(٨) الوسق: ستون صاعًا. والأشِظّة: جمع شظية: وهي الفلقة من العصا ونحوها. والقار: الزفت.

(٩) هَجَر: بلد باليمن كثيرة التّمر. وقاظ: أقام في القيظ وهو الحَرّ. وذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، (معجم البلدان ٤/ ٢٩٣).

[٨٦٥] وقال أبو الطَّمحَان القينيّ الأسديّ[١]، وحَلَقَهُ صاحب شرطة يوسف بن عمر:

١ - وَبِالحِيرَةِ البَيْضَاءِ شَيْخٌ مُسَلَّطٌ إذَا حَلَفَ الأَيْمَانَ بِاللَّهِ بَرَّتِ

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

يقال: بَرَّتِ اليمين بَرًّا، وهي بَرَّةٌ وبَارَّةٌ، وأَبْرَرْتُها أنا.

٢ - لَقَدْ حَلَقُوا مِنْهَا غُدَافًا كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ كَرْمٍ أَيْنَعَتْ فَاسْبَكَرَّتِ

شَبَّهَ لِمَّتُهُ في طولها ولينها بعناقيد من الكَرْمِ استرسَلَتْ، وقوله «لقد حَلَقُوا منها» أي من الهامَةِ، والغُدَاف: الأسود.

٣ - فَظَلَّ العَذَارَى يَوْمَ تُحْلَقُ لِمَّتِي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُطْنَهَا حَيْثُ خَرَّتِ

«ظلَّ» بمعنى صار؛ وإنّما لَقَطْنَ لِمَّتَهُ لِحُسْنِها وولوعهنَّ بها من قبل، وأكثر ما يستعمل الغُدَاف في صفة الغراب، يراد أنه كثير الرِّيش، كأن ريشه أُغدِفَ عليه كما تغدف المرأة قناعها، ووصف الشعر في هذا البيت بالغداف، لأنهم يشبّهونه بالغراب، قال الشّاعر يصف الشَّبابَ وأنه كالغراب طار عن رأسه: [المتقارب]

فَلاَ يُبْعِدِ اللَّهُ ذَاكَ الغُرَابَ وَإِنْ كَانَ لاَ هُوَ إلاَّ ادِّكَارَا

وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «ما كُلُّ سَوْدَاءَ تمرةٌ» ليس كلّ اسم فيه طاء وميم فهو أبو الطَّمحان، على قياس أبي الطّمحان القينيّ، وقائل البيت طُخَيْم أبو الطَّخْمَاء الأسديّ، والذي حلقَ لِمَّتَهُ هو العباس بن معبد المريّ صاحب شرطة يوسف بن عمر.

[٨٦٦] وقال آخر:

١ - وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفٍ يَافُوخُهُ عَسِرُ المَكَرَّةِ مَاؤُهُ يَتَدَفَّقُ[٢]

٢ - أَرِنٍ يَسِيلُ مِنَ النَّشَاطِ لُعَابُهُ وَيَكَادُ جِلْدُ إهَابِهِ يَتَمَزَّقُ[٣]

الأوّل من الكامل، والقافية متدارك.

قد ذكر النمريّ تفسيرهما، وهو معروف، والمراد به الذّكر، ورُوِيَ أنَّ أعرابيًّا حضرَ مجلسَ أبي عبيدة فألقى البيتين عليه، فذهب أبو عبيدة إلى أن الشَّاعر يصفُ فَرَسًا، وأخذ يصفُه ويفسِّره، فقال الأعرابيّ: حملكَ اللَّهُ يا شيخ على مثله، ففطن أبو عبيدة وخجل،

---

(١) سبقت ترجمته في الحماسية رقم (٤٧٩).

(٢) المشرف: المرتفع. واليافوخ: وسط الرأس. وعَسِر المكرَّة: شديد القوّة.

(٣) الأرِنُ: النشيط.

وقال أبو محمد الأعرابي: هذا موضع المثل «أَشْبَهَ شَرْجٌ شَرْجًا لَوْ أَنَّ أُسَيْمِرًا»[1] تفسير أبي عبد الله للبيتين صحيح لو لم يكن الضّرب منهما مغيّرًا، والصّواب ما أنشدناه أبو الندى، وهو للأقيشر الأسديّ: [الكامل]

وَلَقَدْ غَدَوْتُ بِمُشْرِفٍ يافُوخُهُ　　عَسِرِ المَكَرَّةِ مَاؤُهُ يَتَفَصَّدُ
مَرِحٍ يَمُجُّ مِنَ المِرَاحِ لُعَابَهُ　　وَيَكَادُ جِلْدُ إهَابِهِ يَتَقَدَّدُ
حَتَّى عَلَوْتُ بِهِ مَشَقَّ ثَنِيَّةٍ　　طَوْرًا أَغُورُ بِهَا وَطَوْرًا أُنْجِدُ

والبيتان معروفان، وهذه الأبيات الثلاثة غريبة، ولا يمتنع أن تكون هذه غير البيتين، فقد يقع الحافر على الحافر، حتى لا تختلف كلمة من البيت غير ما يتعلّق بالقافية، نحو قول امرىء القيس: [الطويل]

يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

وقول طرفة: [الطويل]

يَقُولُونَ لاَ تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ

وقول الكَنَّاز الجرميّ: [المتقارب]

بِهَا أَفْنُهَا وَبِهَا ذَابُهَا

وقول غيره: [المتقارب]

بِهَا أَفْنُهَا وَبِهَا ذَانُهَا

والذَّان والذَّاب: كِلاهما العيب، ولم يتغيّر من البيتين غير الكلمتين، وهما لمعنى واحد.

---

(١) جاء في اللسان (شرج): «قال أبو عبيد: كان المفضّل يحدّثُ أن صاحب المثل هو لُقيم بن لقمان، وكان هو وأبوه قد نزلا منزلاً يقال له: شَرْج، فذهب لقيم يعشّي إبله، وقد كان لقمان حَسَدَ لقيمًا، فأراد هلاكه واحتفر له خندقًا وقطع كل ما هنالك من السَّمُر، ثم ملأ به الخندق وأوقد عليه ليقعَ فيه لُقيم، فلما أقبل عَرَف المكان وأنكر ذهابَ السَّمُر، فعندها قال: أشبهَ شَرْجٌ شَرْجًا لو أن أُسَيْمِرًا، فذهب مثلاً».

باب مذمَّة النساء

[٨٦٧] قال بعضهم:

١ - دِمَشْقُ خُذِيهَا واعْلَمِي أنَّ لَيْلَةً   تَمُرُّ بِعُودَيْ نَعْشِهَا لَيْلَةُ القَدْرِ[١]

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «تمرُّ بعودي نَعشها» إنْ جعلت الفعل لدمشق اقتضى أن يكون في قوله «تمرُّ بعودي نعشها» ضمير يرجع إلى ليلة، والمراد تمرُّ بِعودَي نعشها فيها ليلة القدر، وإن جعلت الفعل لِليلة يكون المعنى: إنَّ اللَّيلة التي تموت فيها أو تُميتها تحلُّ منه محل ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألفِ شهر.

٢ - أَكَلْتُ دَمًا إنْ لَمْ أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ   بَعِيدَةِ مَهْوَى القُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

«أكلت دمًا» يجري مجرى اليمين، وإن كان لفظه لفظ الدعاء، وأكْلُ الدَّم يسوّغ عند الإشفاء على الهلكة، والمعنى: إنْ لم أُفْزِعْكِ بامرأةٍ حَسَنةِ السَّالفة طيِّبة الرائحة فابتلاني الله بما يحلُّ معه أكل الدّم، ويُرْوَى أن قائل هذين البيتين أعرابيّ، وكان تزوَّجَ امرأةً فلم يوافقها، فقيل له: إنَّ حُمَّى دمشق سريعة في موت النساء، فحملها إلى دمشق، وقال الأبيات، وقال أبو العلاء: يجوز أن يريد بقوله «شَرِبْتُ دَمًا» أي إنْ لم أَرُعْكِ بِضَرَّةٍ فشرِبْتُ دمًا لأنَّ الدَّمَ لا يُشْرَبُ، ولا يمتنع أن يعني بقوله «شَرِبْتُ دَمًا» أن يصيبه جَدْبٌ وحاجة فيفتقر إلى شرب الدَّم، كما كانت العرب في الجاهلية إذ اشتدَّ عليهم الزَّمان فَصَدُوا النُّوقَ وشربوا دماءها وخلطوها بغيرها فأكلوها، ولا يبعد أن يعني بالدم دم الحيّة لأنه عندهم كالسّمّ، قال الشاعر: [الطويل]

أُسُودُ وَغًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ   تَسَاقَوْا عَلَى سَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

وأجود الوجوه أن يكون الغرض بقوله «شربتُ دمًا» أي قتل لي قتيل فأخذت الإبل في دِيَتِهِ فشربتُ ألبانَها فكأنّي أشربُ دَمَ ذلك القتيل، وهذا المعنى كثير في أشعار

---

(١) البيت في الحماسة البصرية ٢/٣٠٨ بلا عزو.

العرب، قال الشَّاعر: [الطويل]

أَبَا العَوْفِ، إِنَّ الإِبْلَ يَنْقَعُ رِسْلُهَا وَكَانَ دَمُ الثَّارِ النُّمَيْرِيِّ أَنْقَعَا

تَبَكَّى عَلَى رَيَّا إِذَا الخَيْلُ أَصْعَدُوا وَتَتْرُكُ رَيَّانَ القَتِيلَ المُضَيَّعَا

إِذَا صُبَّ مَا فِي الوَطْبِ فَاعْلَمْ بِأَنَّهُ دَمُ الشَّيْخِ فَاشْرَبْ مِنْ دَمِ الشَّيْخِ أَوْ دَعَا

وأنشد أبو رياش:

٣ ـ أَمَا لَكِ عُمْرٌ إِنَّمَا أَنْتِ حَيَّةٌ إِذَا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعِشْ آخِرَ الدَّهْرِ

قالوا: أقصر عمر الحيّة ثلثمائة سنة.

٤ ـ ثَلاثِينَ حَوْلاً لاَ أَرَى مِنْكِ رَاحَةً لَهِنَّكِ فِي الدُّنْيَا لَبَاقِيَةُ العُمْرِ

٥ ـ دِمَشْقُ خُذِيهَا لاَ تَفُتْكِ فَلَيْلَةٌ يُرَاحُ بِفَوْدَي نَعْشِهَا لَيْلَةُ القَدْرِ

٦ ـ فَإِنْ أَنْفَلِتْ مِنْ عُمْرِ صَعْبَةَ سَالِمًا تَكُنْ مِنْ نِسَاءِ النَّاسِ لِي بَيْضَةُ العُقْرِ

هذه الهاء من «لَهِنَّكِ» بدل من همزة إنَّ في قول البصريين، وقال غيرهم: هي في معنى إنَّكِ، قال المَرَّار: [الكامل]

وَما لَهِنَّكَ مِنْ تَذَكُّرِ وَصْلِهَا لَعَلَى شَفَا يَأْسٍ وَإِنْ لَمْ تَيْأَسِ

[٨٦٨] وقال آخر:

١ ـ سَقَى اللَّهُ دَارًا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكِ فِيهَا وَابِلاً سَائِلَ القَطْرِ[١]

٢ ـ وَلاَ ذَكَرَ الرَّحْمَٰنُ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَلَكْنَاكِ فِيهَا لَمْ تَكُنْ لَيْلَةَ البَدْرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «ملكناكِ فيها» رَدَّ الضمير على اللَّيلة دون اليوم، واختار الأقرب إذ علم أنَّ المعطوف والمعطوف عليه يستويان في الإخبار، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢] وقوله «لم تكن ليلة البدر» من صفة اللَّيلة؛ أي: كانت ليلة مظلمة لا بدرَ فيها ولا سعود.

[٨٦٩] وقال آخر في امرأة طَلَّقها:

١ ـ رَحَلَتْ أُنَيْسَةُ بِالطَّلاَقِ وَعَتَقْتُ مِنْ رِقِّ الوَثَاقِ

من مُرَفَّل الكامل، والقافية متواتر.

(١) الوابل: المطر الكثير.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

قوله «بالطَّلاق» موضع الباء نصب على الحال: أي رحلتْ ومعها طلاقها، يقول: كنتُ كالأسيرِ المُوثَقِ ففَكَكْتُ وَثاقي.

٢ ـ بَانَتْ فَلَمْ يَأْلَمْ لَهَا قَلْبِي وَلَمْ تَبْكِ المَآقِي

جعل البكاء للمآقي مجازًا، وهو جمع مُوق، وهو طرف العين الذي يلي الأنف، وهو مخرج الدَّمع، ولذلك جعل الفعل لها.

٣ ـ وَدَوَاءُ مَا لاَ تَشْتَهِيـ ـهِ النَّفْسُ تَعْجِيلُ الفِرَاقِ

يريد تعجيل فراقه، فجعل اللَّفظ عامًّا والمراد الخاصّ، وعلى هذا قوله «من رِقّ الوَثاق» يريد وَثاقها.

٤ ـ لَوْ لَمْ أُرَحْ بِفِرَاقِهَا لأَرَحْتُ نَفْسِي بِالإِبَاقِ

«الإباق» الهَرَب، والراحة وجدانك الرَّوْح بعد مَشَقَّةٍ، و«ما لك رواح» أي راحة، والتراويح في رمضان منه، وكذلك تراوحته الأمطار، وأفعلُ ذلك في سَرَاحٍ ورَوَاح.

٥ ـ وَخَصَيْتُ نَفْسِي لاَ أُرِيـ ـدُ حَلِيلَةً حَتَّى التَّلاَقِي

الحليلة: الزَّوج، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تُحَالُّه أي تنازله، وقوله «حتى التلاقي» إلى وقت تلاقي الخلق في يوم القيامة، وانعطف «وخصيتُ» على قوله «لأَرَحْتُ نفسي» وموضع «لا أريد» نصب على الحال، والعامل خصيتُ.

[٨٧٠] وقال آخر:

١ ـ أَلْمِمْ بِجَوْهَرَ بِالقُضْبَانِ والمَدَرِ وَبِالعِصِيِّ التي فِي رُوسِهَا عُجَرُ

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

الإلمام: الزِّيارة الخفيفة، والباء من قوله «بِجوهر» تعلَّق به، وقوله «بالقضبان» أي: والقضبان معك، وهذا كما يقال: خرج بسلاحِه: أي والسِّلاحُ معه، أو عليه، و«عُجَرٌ» جمع عُجْرَة، وهي العقدة، خيطٌ عَجِرٌ، وعَصًا عجراء، وقال «في رُوسِها» جمع رَأْس؛ لأنه جمع فعْلاً على فُعل كقولهم سَقْفٌ وسُقُفٌ، ورَهْنٌ ورُهُنٌ، وقد أقوى في بيت واحد[1] فهو أقبح.

٢ ـ أَلْمِمْ بِهَا لاَ لِتَسْلِيمٍ ولاَ مِقَةٍ إلاَّ لِيَكْسِرَ مِنْهَا أَنْفَهَا الحَجَرُ[2]

٣ ـ أَلْمِمْ بِوَطْبَاءَ فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةٌ فِي صُورَةِ الكَلْبِ إلاَّ أَنَّهَا بَشَرُ

(١) يعني البيت الأول.

(٢) المِقَة: المحبّة.

قال «في أشداقِها» جمعًا على ما حواليه، كقولهم: هو ضخم العَثَانِين، والوَطْباء: العظيمة الثديين، وهي فعلاء ولا أفعل منها، وديمة هطلاء، ويتناول الإنس دون سائره.

٤ ـ حَدْبَاءُ وَقْصَاءُ صِيغَتْ صِيغَةً عَجَبًا وفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوَرُ[1]

الوقْصَاء: القصيرة العُنق.

[٨٧١] وقال آخر:

١ ـ تَمَّتْ عُبَيْدَةُ إلاَّ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَالمِلْحُ مِنها مَكانَ الشَّمْسِ والقَمَرِ[2]

٢ ـ قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبٍ حَنِقٍ أَقْصِرْ فَرَأْسُ الَّذِي قَدْ عِبْتَ لِلْحَجَرِ[3]

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

أطلق القول بتمامها ثم استثنى المحاسن من خالصها فخلص التَّمام في المقابح لا غير، والمحاسن: جمع الحُسْن على غير قياس، و«المِلْح منها» أي: بُعْدُ الملاحَةِ منها كَبُعْدِ هذه المرأة من الشَّمس والقمر، ولك أن تنصبَ «مكان» على الظَّرف، يريد أن الملح منها بعيد فهو في السماء، ولك أن ترفعه، كما تقول: هو منّي فرسخان، وعلى هذا ينعطف قوله «والقمر» فإمَّا أن يجري على موضع مكان وقد نصب لأنه وهو ظرف في موضع الرفع، وإمَّا أن يجري على لفظ مكان وقد رفع لأنه يصحّ أن يُقال الملح منها القمر، كما يصحُّ أن يقال: الملح منها مكان القمر، وإذا جررتَ «والقمر» معطوفًا على الشَّمس ويكون الشَّاعر مُقْويًا في البيت الذي بعده في قوله «فرأس الذي قد عِبت والحجر»[4] وأراد رأس الإنسان الذي قد عِبتَ، لذلك لم يَقُلْ فرأسُ الَّتي. وعطف الحجر على الرأس على أحد الوجهين: إما أن يريد رأسه والحجر مقرونان؛ على سبيل الدّعاء، لا على طريق الإخبار، فحذف الخبر، لأنَّ المرادَ مفهومٌ، وهذا كما يقال: كلُّ امرئٍ وشأنه، وإمَّا أن يريد بالواو معنى مع، كأنه قال: رأسُه مع الحجرِ، وحينئذٍ يكون الخبر في الواو، ويكون هذا كقولهم: الرجال وأعضادها والنساء وأعجازها، لأنَّ المرادَ الرجال بأعضادها والنساء بأعجازها.

[٨٧٢] وقال آخر:

١ ـ لاَ تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ أَيِّمًا مُخَرَّمَةً قَدْ مُلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ[5]

(١) الحدباء: الخارجة الظَّهر الدَّاخلة الصدر، والترائب: عظام الصَّدر. والزَّوْر: المَيَلان.

(٢) المرزوقي: «في محاسنها». (٣) المرزوقي: «قد عِيبَ والحجرُ» وفيه إقواء.

(٤) هذه رواية المرزوقي وهو يفسّرها والتي في الأصل أفضل منها.

(٥) المرزوقي: «مُجَرَّبَةً» ومُخَرَّمَة: أي كَثُرَ الدعاء عليها أن تخترمها المنيّة أي تأخذها.

الثاني من الطويل، والقافية متدارك.

أراد بالنِّكاح العَقْد لا الجماع، والأَيِّم: التي مات عنها زوجها، وقد آمَتْ تئِيمُ أَيْمَةً، وقوله «قد مُلَّ منها ومَلَّتْ» يريد أنها طَعنَتْ في السِّنِّ وقضتْ مَآرِبَ الشَّهواتِ وقُضِيَتْ منها.

٢ ـ تَحُكُّ قَفَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا ... إِذَا فَقَدَتْ شَيْئًا مِنَ البَيْتِ جُنَّتِ

«تحكُّ قَفَاها» أي: لما فيها من القمل، ويريد أنها غير نظيفة فلا تكشفُ رأسها، ولكن تَحكُّهُ وراء الخمار، وهي المُقَنَّعة، وقوله «إذا فَقدَتْ شيئًا من البيت جُنَّتِ» أي: إذا فقدتْ ما لا خَطَرَ له كان عِندها كالشَّيء الذي لا عِوَضَ منه.

٣ ـ تَجُودُ بِرِجْلَيْهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ... وَإِنْ طُلِبَتْ مِنْهَا المَوَدَّةُ هَرَّتِ

هذا يجوز أن يكون مثلاً لِقِلَّة خَيرِها، فشبَّهها بالشَّاة التي تعالج رِجلَيها فإذا أُرِيدَ حَلبها منعتْ، ويجوز أن يكون المراد أنها قعدت عن الولادة، فهي تساعد في الجماع ولا تحمل ولا تَلِد، وأراد بِهَرَّتْ: كَرِهَتْ وتَغضَّبَتْ.

[٨٧٣] وقال آخر:

١ ـ لأَسْمَاءَ وَجْهٌ بِدْعَةٌ مِنْ سَمَاجَةٍ ... يُرَغِّبُنِي فِي نَيْكِ كُلِّ أَتَانِ[١]

٢ ـ بَدَا فَبَدَتْ لِي شُقَّةٌ مِنْ جَهَنَّمٍ ... فَقُمْتُ وَمَا لِي بِالجَحِيمِ يَدَانِ

الثالث من الطويل، والقافية متواتر.

قوله «بدا» الفعل للوجه، و«شُقَّةٌ» أي قطعة، لك أن تروي بكسر الشين فيكون كَصِرْمَة وَكِسْرَة، ولك أن تضمَّ الشِّين منها فيكون كالشُّعْبَة والعُقْدَة، وقوله «فقمتُ وما لي بالجحيم يدان» أي: تَهيَّأتُ للهرب منها إذ لم تكن لي طاقة بالصَّبْرِ عليها، وجهنَّم من قولهم «بئر جِهِنَّامٌ» أي بعيدة القعر مَنْ وَقَعَ فيها هلكَ.

٣ ـ وَغَادَرْتُ أَصْحَابِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا ... بِمَا شِئْتَ مِنْ خِزْيٍ وَطُولِ هَوَانِ

كأنه شايعه في النَّهضة قومٌ ومَن تخلّف عنه كانت حالته على ذلك.

٤ ـ وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهَا أَنَّ فِي النِّسَا ... جَحِيمًا أَرَاهَا جَهْرَةً وَتَرَانِي

[٨٧٤] وقال آخر:

١ ـ لاَ تَنْكِحَنَّ عَجُوزًا إِنْ أُتِيتَ بِهَا ... وَاخْلَعْ ثِيَابَكَ مِنْهَا مُمْعِنًا هَرَبَا

(١) السَّمَاجة: القباحة. والأتان: الأنثى من الحمير.

الأول من البسيط، والقافية متراكب.

قوله «واخلعْ ثيابَكَ منها» يجوز أن يكون مثل قول امرىء القيس: [الطويل]

فَسُلِّي ثِيابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ[1]

ويجوز أن يكون معناه تَشَمَّرْ وتخفَّفْ، ومعنى «منها» أي من أجلها، ونصب «مُمْعِنًا» على الحال، يقال: أمعنَ في الشَّيءِ، إذا أبعدَ، وقوله «هربًا» يريد هاربًا، وإنَّما سامه ما سامه ليكون أخفَّ سَيْرًا وأسرع حراكًا.

٢ ـ وَإِنْ أَتَـوْكَ فَـقَـالُـوا إِنَّـهَـا نَـصَـفٌ   فَـإِنَّ أَمْـثَـلَ نِـصْـفَـيْـهَـا الَّـذِي ذَهَـبَـا

«أمْثَل نصفيها» أي أصلحهما، يقال: فلانٌ أمثلُ من فلانٍ: أي هو أدنى منه إلى الخير، وأماثل القوم: خِيارهم.

[٨٧٥] وقال آخر[2]:

١ ـ رَقْطَاءُ حَذْبَاءُ يُبْدِي الكِبْدَ مَضْحَكُهَا   قَـنْوَاءُ بِـالـعَـرْضِ وَالـعَـيْـنَـانِ بِـالـطُّـولِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

الرَّقطاء: المنقطعة بالبَرَش، والقَنَا: طول الأنف، فإن كان بالعرض فهو القَعَم.

٢ ـ لَـهَـا فَـمٌ مُـلْـتَـقَـى شِـدْقَـيْـهِ نُـقْـرَتُـهَـا   كَـأَنَّ مِـشْـفَـرَهَـا قَـدْ طُـرَّ مِـنْ فِـيـلِ

كأنه أراد أنهما لِسعةِ فَمِها يلتقيان عند نقرة القفا، ومعنى «طُرَّ» أي قطع من طُرَّتِهِ: أي من جانبه.

٣ ـ أَسْـنَـانُـهَـا أُضْـعِـفَـتْ فِي خَـلْـقِـهَـا عَـدَدَا   مُـظَـهَّـرَاتٌ جَـمِـيـعَـا بِـالـرَّوَاوِيـلِ

«مُظَهَّراتٌ» جعل بعضها فوق بعض كالظِّهارة، ويجوز أن يكون من قولك هو ظَهِيرُكَ: أي معينك، ويقال: بعيرٌ مُظَهَّرٌ: أي شديدُ الظَّهْرِ قَوِيٌّ، والرَّواويل: جمع رَاوول، وهي أسنان زوائد تكون خلف الأسنان، وهو في وزن طَوَاوِيس، ولا يهمزون مثله؛ لأنَّ الياءَ قد حالت بين الواو وبين الطَّرف، وكذلك لو حذفوا الياء وهي مستعملة في الأصل لجاؤوا به على لفظه، كما قال الراجز:

وَكَـحَّـلَ الـعَـيْـنَـيْـنِ بِـالـعَـوَاوِرِ

أراد العَوَاوير[3]، ولو لم تَكنْ ثَمَّ ياء، وكان في الاسم واوان لهمز الجمع كما قالوا أول للواحد وقالوا في الجمع أوائل.

---

(١) هذا عجز بيت من معلقته وصدره: «وإنْ تَكُ قد ساءَتْكِ مِنِّي خليقةٌ».

(٢) ديوان دعبل الخزاعي ص ٢٦٩.

(٣) العواوير: جمع العُوَّار: القَذى، أو هو الرَّمَص الذي في الحدقة. والبيت في تاج العروس (عور).

[٨٧٦] **وقال آخر**[١]:

١ - اِضْـرِمِـيـنِـي يَـا خِـلْـقَـةَ الـمِـجْـدَارِ وَصِـلِـيـنِـي بِـطُـولِ بُـعْـدِ الـمَـزَارِ

الأول من الخفيف، والقافية متواتر.

اختلفوا في «المِجْدَارِ» فقالوا: يريد به أنتِ ثقيلةٌ غليظةٌ فكأنَّكِ في غلظ الجدار وثقله، وكما قيل في الجدار: مجدار، قيل في الغليظ الثّقيل من الرجال: مِجْبَال، هذا قول المرزوقي، وقال غيره: المجدارُ شيءٌ يُنْصَبُ في المزارع لِلسِّباع والطَّيْرِ، يقال لها القَرَّاعَة، وقال أبو العلاء: المجدار هنا رجلٌ معروف كان قبيحَ الخلقة، ويجوز أن يكون لفظه مشتقًّا من الجَدْرَة، وهي السِّلْعة التي تظهر في الجسد، والمراد أنها تظهر به كثيرًا، كما يقال: مِذْكَار، لِلَّتي تَلِدُ الذُّكورَ، ويجوز أن يكون من قولهم: جَدَرْتُ الجِدَار، إذا بنيتَه وأَسَّسْتَه.

٢ - فَـلَـقَـدْ سُـمْـتِـنِـي بِـوَجْـهِـكِ وَالـوَصْـ ـلِ قُـرُوحًـا أَعْـيَـتْ عَـلَـى الـمِـسْـبَـارِ

المِسْبَار: الميل الذي يُسْبَرُ به الجرح، يقال: مِسْبرٌ ومِسْبَارٌ، وسَبَرْتُ الجرحَ، إذا قَدَّرْتَه، ولا يمتنع أن يكون المِسبار هنا الرَّجُل الَّذي يسبرُ الجرحَ.

٣ - ذَقَـنٌ نَـاقِـصٌ وَأَنْـفٌ غَـلِـيـظٌ وَجَـبِـيـنٌ كَـسَـاجَـةِ الـقُـسْـطَـارِ

السَّاجة: واحدة السَّاج، وهو هذا الخشب المعروف، والقُسطار بضمِّ القاف وكسرها، قالوا: الصَّيرفي، وقالوا: التاجر، وساجته: لوحه الذي تقوم عليه كَفَّتَا الشَّاهين[٢] إذا وزن به، وقال أبو العلاء: القُسْطار ليس بعربيّ فيما قِيلَ، والمراد به الميزان، ويقال للذي يلي أمور القرية وشؤونها: قسطار، وهو راجع إلى معنى الميزان.

٤ - طَـالَ لَـيْـلِـي بِـهَـا فَـبِـتُّ أُنَـادِي يَـا لَـثَـارَاتِ مُـسْـتَـضَـاءِ الـنَّـهَـارِ

٥ - قَـامَـةُ الـفُـصْـعُـلِ الـضَّـئِـيـلِ وَكَـفٌّ خِـنْـصِـرَاهَـا كُـذَيْـنَـقَـا قَـصَّـارِ[٣]

المعروف أنَّ الفُصْعُل العقرب الصغيرة، وقد وصفوا به الرجل إذا أرادوا أنه بخيل لئيم، وأن فيه شَرًّا مع ذلك، ويجوز أن يقال لكلِّ صغيرِ الشَّأنِ: فُصْعُلٌ، قال الشَّاعر: [الكامل]

قُبِحَ الحُطَيْئَةُ مِنْ مُنَاخِ مَطِيَّةٍ عَوْجَاءَ سَاهِمَةٍ تَأَرَّضُ لِلْقِرَى
سَأَلَ الوَلِيدَةَ هَلْ سَقَتْنِي بَعْدَمَا شَرِبَ المُرِضَّةَ فُصْعُلٌ حَدَّ الضُّحَا

---

(١) الأبيات في ديوان دعبل ص ٢٠٣. (٢) الشاهين: عمود الميزان.
(٣) المرزوقي: «القُصْعُل» وقال: القُصعل: القصير، والكُذَيْنَق: مدقّة القصّار، وهو الصَّبّاغ.

و«كُذِينَقَا قَصَّارٍ» تثنية كُذِينَق، وليس بعربيّ، وهو الَّذي تسمّيه العامّة كودينا، وروى بعضهم «كُوذِينَتَا قَصَّار» و«كُذَيْنَتَا قَصَّار».

[٨٧٧] وقال آخر[١]:

١ ـ أُلَامُ عَلَى بُغْضِي لِمَا بَيْنَ حَيَّةٍ   وَضَبْعٍ وَتِمْسَاحٍ تَغَشَّاكَ مِنْ بَخَرِ

الأول من الطويل، والقافية متواتر.

جمع بين الحيَّة والضَّبع والتّمساح لأنه ليس يقصدُ التَّشبيهَ من وجهٍ واحدٍ، وإنما يريد التشبيه من وجوه كثيرة من الخَلْق والخُلُق.

٢ ـ تُحَاكِي نَعِيمًا زَالَ في قُبْحِ وَجْهِهَا   وَصَفْحَتُهَا لَمَّا بَدَتْ سَطْوَةُ الدَّهْرِ

يريد به المثل السَّائر «أقبحُ من زَوَالِ النِّعْمَة»، يريد تُحَاكِي في قبح وَجهِها قُبْحَ زَوَالِ النّعمة، والسَّطْوُ: البسط على الإنسان بقهره من فوق، يقال: سَطَوْتُ به، وسُمِّيَ الفرس سَاطِيًا لأنّه يسطو على غيره.

٣ ـ هِيَ الضَّرَبَانُ في المَفَاصِلِ خَالِيًا   وَشُعْبَةُ بِرْسَامٍ ضَمَمْتَ إلى النَّحْرِ[٢]

أي: إذا خلوت بها كانت خلوتها كموجان العروق بالألم في مفاصل المُنَقْرَسِ، وإنْ جَذَبْتَها إلى نفسِكَ قاسيتَ منها ما يقاسي المُبَرْسَم، ويقال: إنَّ البرسامَ ليس بعربيّ في الأصل، وقيل: يقال: برسام وبلسام بمعنى واحد.

٤ ـ إذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لِعَيْنِكَ سُخْنَةً   وَإنْ بُرْقِعتْ فَالفَقْرُ في غَايَةِ الفَقْرِ[٣]

«فالفقر في غاية الفقر» يعني إذا تَنَاهى الفَقْرُ حتى لا يكون وراءه شَرٌّ منه.

٥ ـ وَإنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبٍ   مُوَفَّرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ[٤]

المصائب: جمع مصيبة، وهي مُفْعِل، وشَبَّهَ مدّتها بمدة فَعِيلة وجمعت جمعها، والقياس مصاوب، وقد جاء، ولكنه في الاستعمال دون مصائب.

٦ ـ حَدِيثٌ كَقَلْعِ الضِّرْسِ أوْ نَتْفِ شَارِبٍ   وَغُنْجٌ كَحَطْمِ الأَنْفِ عِيلَ بِهِ صَبْرِي

الحَطْم: الكسر لِلشَّيءِ اليابسِ، والحُطَام: ما تحطَّمَ من ذلك، ورجلٌ حُطَمٌ، و«عِيلَ به صَبْري» أي: غُلِبَ، وفي المثل: عِيل ما هو عَائِلُه[٥].

---

(١) ديوان دعبل ص ٣٣٧.

(٢) البرسام: داءٌ يعرض للحجاب الذي بين الكبد والمِعَى ثم يَتَّصل بالدماغ.

(٣) المرزوقي: «بعينيكَ سُخْنَةً». وسُخْنَةُ العين: نقيض قرّتها، يقال: أسخن الله عينه أي أبكاه.

(٤) مُوَفَّرَة: مُكَمَّلَة. وقاصمة: كاسرة.

(٥) عِيل ما هو عائِلُه: أي غُلِبَ ما هو غالبه، يُضرَبُ للرجل الذي يُعْجَبُ من كلامه أو غير ذلك، وهو=

٧ ـ وَتَفْتَرُّ عَنْ قُلْحٍ عَدِمْتُ حَدِيثَهَا وَعَنْ جَبَلَيْ طَيٍّ وَعَنْ هَرَمَيْ مِصْرِ[١]

«وتفترُّ» أي: تضحك، ومنه «فَرَرْتُ الدَّابةَ» والقُلْحُ: من القَلَح، وهو صُفرة الأسنان، ويقال في المثل: عَوْدٌ يُقَلَّحُ: أي ينزع القلح عن أسنانه، يُضْرَبُ ذلك مثلاً لِمَن هو مُسِنٌّ يفعل به ما يفعل بالشّبّان أو يفعل هو فعل الأحداث، وهَرَمَا مِصر: ذكر بعض النّاس أنَّ الذي بَنَاهما رجلٌ يُعرَف بسنان بن المشلّل كان ملكًا في ذلك الزَّمان، والنّاس ينطقون بهما في لفظ تثنية الهرم، وذلك محتمل لمعنى يُرَادُ أنهما أهرما مصر وهما باقيان، أو كان الذي بناهما قد ثقل على أهل مصر فكأنه أهرمها ببنيانهما، وقال بعض الناس: هما أرما مصر، والأرم: العَلَم من الحجارة، فأبدلت العامّة الهاء من الهمزة، كما قالوا: أرقتُ الماءَ، وهَرَقْتُ، وهذا قول لا يبعدُ، إلاَّ أنَّ المعروفَ في العلم من الحجارة أنه الإِرَم بكسر الهمزة، وقد حُكِيَ فتحها، وليس بكثير.

[٨٧٨] وقال آخر:

١ ـ لَوْ تَسَمَّعْتَ صَوْتَهُ قُلْتَ هَذَا صَوْتُ فَرْخٍ فِي عُشِّهِ مَزْقُوقِ[٢]

الأول من الخفيف، والقافية متواتر.

مزقوق: يَزُقُّهُ أبوه زقًّا.

٢ ـ أَوْ تَأَمَّلْتَ رَأْسَهُ قُلْتَ هَذَا حَجَرٌ مِنْ حِجَارَةِ المِنْجَنِيقِ[٣]

قوله «قلت هذا حجرٌ» يريد شبّهته فقلت من كبره: هو حجر المنجنيق، والمنجنيق معرّبة، وقد اختلف في الفعل منه؛ فقال بعضهم: الميم فيه زائدة، واحتجّ بما حكاه التوزي عن أبي عبيدة، قال: سألت أعرابيًا عن حروب كانت بينهم فقال: «كانت بيننا حروبٌ عُونٌ، تُفْقَأُ فيها العُيونُ، مَرَّةً نُجْنَقُ، ومرَّةً نُرْشَقُ»، فقوله نُجنَق دَالٌّ على أن الميم زائدة، ولو كانت أصلية لقال نُمَجْنَقُ، وكان المازني يقول: الميم من نفس الكلمة والنون زائدة، لقولهم مَجَانيق، فسقوط النون في الجمع كسقوط الياء في جمع عيضموز إذا قلت: عضاميز[٤]، ويقال: مَنْجَنيق ومِنْجَنِيق، بفتح الميم وكسرها، وقيل: الميم والنون في أوّله أصليتان، وقيل: زائدتان، وقيل: الميم أصلية والنون زائدة، وقد ذكرت

= على مذهب الدعاء. وهو كقولك للشيء يعجبك: قاتله الله وأخزاه الله.

(١) جبلا طَيِّىء: هما أجأ وسَلْمَى. (٢) زَقَّ الطائرُ فَرْخَهُ: أطعمه بفمه.

(٣) المنجنيق: آلة كانت العرب تتّخذها لهدم القلاع والحصون في الحرب فتضع فيها الصخور الكبيرة العظيمة وتقذفها، فما أتت على شيء إلا حطّمته وهدمته.

(٤) العيضموز: العجوز الكبيرة.

الاستشهاد عليه من قولهم مَجَانيق، وقيل: الميم زائدة والنون أصلية، بدليل قولهم: نُجْنَقُ مَرّة ونُرشَقُ أخرى، فهذه أربعة أقوال في المنجنيق.

٣ ـ مُـعْـمِـلٌ قَـرْضَ لِـحْـيَـةٍ لَـوْ تَـرَاهَـا قُـلْـتَ عُـثْـنُـونُ هِـرْبِـذٍ مَـخْـلُـوقِ

العُثْنُون: ما تَدَلَّى من اللّحية عن الذَّقْنِ، ويقال لأوّلِ كلِّ شيء: عُثْنُون، فيقال: أصابتنا عثانينُ المطرِ، وعثانينُ الرِّيحِ، والهِرْبذ: الذي يصلي بالمجوس، وبعضهم يقول في قول امرىء القيس: [الطويل]

مَشَى الهِرْبِذَى في دَفِّهِ ثُم فَرْفَرَا

إنَّ الهِرْبِذَى مَشْيُ الهَرَابِذَةِ مِنَ المجوسِ.

٤ ـ لَـمْ أَعِـبْـهُ أَنْ لاَ يـكُـونَ تَـقِـيًّـا مُـؤْمِـنًـا مُـبْـغِـضًـا لأَهْـلِ الـفُـسُـوقِ

٥ ـ غَـيْـرَ أنّـي أَرَدْتُ أَنْ يَـنْـظُـرَ الـنَّـا سُ إِلَـى خَـلْـقِ رَبِّـنَـا الـمَـخْـلُـوقِ

وصف الخلق بالمخلوق تأكيدًا، ويجوز أن يكون المراد خلق رَبّنا المقدَّر؛ لأنَّ الأصل في الخلق التقدير، ألاَ تَرى قوله: [مجزوء الكامل]

وَلأَنْـتَ تَـفْـرِي مَـا خَـلَـقْـتَ وَبَـعْـ ـضُ القَـوْمِ يَـخْـلُـقُ ثُـمَّ لاَ يَـفْـرِي(١)

[٨٧٩] وقال آخر في القِصَرِ: [الطويل]

١ ـ ألاَ يـا شَـبِـيـهَ الـدُّبِّ مَـا لَـكِ مُـعْـرِضًـا وقَدْ جَعَلَ الرَّحْمَـٰنُ طُولَكِ في العَرْضِ

٢ ـ وَأُقْـسِـمُ لَـوْ خَـرَّتْ مِـن اَسْـتِـكِ بَـيْـضَـةٌ لَمَا انْكَسَرَتْ لِقُرْبِ بَعْضِكِ مِنْ بَعْضِ

الخرور: السُّقوط من وجه، ومن وجه آخر المكان فيه أخاديد وماء، والخرخار: الماء الجاري الكثير.

[٨٨٠] وقال آخر(٢): [الطويل]

١ ـ أَظُـنُّ خَـلِـيـلِـي مِـنْ تَـقَـارُبِ شَـخْـصِـهِ يَـعَـضُّ الـقُـرَادُ بِـاسْـتِـهِ وهْـوَ قَـائِـمُ

[٨٨١] وقال بعض المدنيين:

١ ـ لَـوْ تَـأَتّـى لَـكِ الـتَّـحَـوُّلُ حَـتَّـى تَجْـعَـلِـي خَـلْـفَـكِ الـلَّـطِـيـفَ أَمَـامَـا

الأول من الخفيف، والقافية متواتر.

---

(١) البيت لزهير في ديوانه ص ٩٤.

(٢) هو الحزين الكناني يهجو كُثَيِّرًا الشاعر، وللبيت قصة طريفة في الأغاني ٨/ ٢٨؛ والحيوان ٥/ ٣٤٩.

يصفها بأنها قليلة اللَّحم على العجيزة عظيمة البطن، فيقول: لو قُدِّمَ مؤخّرك وأُخِّرَ مقدّمك لارتضى خلفك وقدامك، واستعمل الخلف والقدام استعمال المقدّم والمؤخّر فجعلا اسمين.

٢ ـ وَيَكُونُ الأَمَامُ ذُو الخِلْقَةِ الجَبـ ـلَةِ خَلْفًا مُرَكَّنًا مُسْتَكَامَا

المُرَكَّن: الذي له أركان، والجَبْلَة: الغليظة، والمستكام: من الكوم، وهو الجِماع.

٣ ـ لإذَا كُنْتِ يَا عُبَيْدَةُ خَيْرَ النَّـ ـاسِ خَلْفًا وَخَيْرَهُمْ قُدَّامَا

انتصب «خلفًا» و«قُدَّامًا» على التمييز.

[٨٨٢] وأنشد أبو عبيدة لأبي الغَطَمَّش الحنفيّ(١):

هو أبو المُغَطَّش، فسّر أبو الفتح المُغَطَّش من «غطشَ اللَّيْلُ» و«أغطشه الله» و«ليلٌ أغطشٌ» و«ليلةٌ غطشاء» أي: مظلمة، وقصرها الأعشى فقال: [المتقارب]

وَيَهْمَاءَ بالَّيْلِ غَطْشَى الفَلاَةِ يُؤَرِّقُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا

وغَطَش الليل فهو غاطش، وغطش الرجل فهو غاطش، والغَطَش كالعمش في عينيه، فقد يكون المغطش اسم المفعول من غَطَّشه الله في معنى أغطشه، قال الله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾(٢).

١ ـ مُنِيتُ بِزِنْمَرْدَةٍ كَالعَصَا أَلَصَّ وَأَخْبَثَ مِنْ كُنْدُش

الثالث من المتقارب، والقافية متدارك.

يُروَى «بِزَنْمِرْدَةَ» بفتح الزّاي وكسر الميم، ويكون مِمَّا عُرِّبَ وليس له نظير في أبنية العرب، ويُروَى بفتح الزاي وفتح الميم، ويكون نحو عَلَكَدٌ من الرباعي، وهو الغليظ الشَّديد، أو يكون فِعْللٌ نحو جِنْزَقْرٍ، وهو القصير، وقرطعب دابة، والمراد بها المرأة التي خَلقها وخُلقها كما يكون للرجال، وشَبَّهَها بالعصا لِقلَّة لحمها وهزالها، وكُنْدُش: لقب لِصٍّ منكر كان معروفًا عندهم، وقال أبو العلاء: الزنمرذة فيما قيل: الصغيرة الجسم، وليس بمعروف، ويجوز أن يكون منقولاً إلى العربية، وكُندش قيل: إنه اسم لصّ، وقال قوم: الكندش العقعق؛ لأنه يوصف بالسّرق، وذكر بعضهم أنه الفأرة.

٢ ـ تُحِبُّ النِّسَاءَ وَتَأْبَى الرِّجَالَ وَتَمْشِي مَعَ الأَخْبَثِ الأَطْيَشِ

---

(١) كذا جاءت نسبة الأبيات في اللسان (كندش)؛ وفي الأغاني ١٠/١٣١ جاءت منسوبة إلى إسماعيل بن عامر وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين.

(٢) النازعات، الآية: ٢٩.

٣ - لَـهَـا وَجْـهُ قِـرْدٍ إذَا ازَّيَّـنَـتْ ... وَلَـوْنٌ كَـبَـيْـضِ الـقَـطَـا الأَبْـرَشِ(١)

ويُروَى «لها شَعْرُ قِردٍ إذا ازَّيَّنَتْ» وازَّيَّنَتْ أراد تَزَيَّنَتْ فأراد الإدغام فيها فأبدل من التاء زايًا فسكَّن الأوّل للإدغام فجلب ألف الوصل ليتوصَّلَ بها إلى النطق بساكن فصار ازَّيَّنَتْ.

٤ - وَثَـدْيٍ يَـجُـولُ عَـلَـى نَـحْـرِهَـا ... كَـقِـرْبَـةِ ذِي الـثُّـلَّـةِ الـمُـعْـطِـشِ

الثُّلَّة: القطعة من الغنم، والمُعْطِش: الذي قد عَطِشَتْ غَنَمُه، يصفها بِعِظَمِ الثَّدْيِ، ويحتمل أن يريد أن ثديها طويلٌ وإن كانت خالية فقد وصفه بالطول والتشنج.

٥ - لَـهَـا رَكَـبٌ مِـثْـلُ ظِـلْـفِ الـغَـزَالِ ... أَشَـدُّ اصْـفِـرَارًا مِـنَ الـمِـشْـمِـشِ

الرَّكَب: أصلُ الفخذ الذي عليه لحم الفَرْج من المرأة، ومعلّق الذَّكَر من الرجل.

٦ - وَفَـخْـذَانِ بَـيْـنَـهُـمَـا نَـفْـنَـفٌ ... يُـجِـيـزُ الـمَـحَـامِـلَ لَـمْ تَـخْـدِشِ(٢)

النَّفْنَف: المهواة بين الجبلين، والخدش والخمش واحد.

٧ - وَسَـاقٌ مُـخَـلْـخَـلُـهَـا حَـمْـشَـةٌ ... كَـسَـاقِ الـجَـرَادَةِ أَوْ أَحْـمَـشِ

الحَمْشَة: الرقيقة، وإنَّما أَنَّثَ والمخلخل مذكَّر لأنَّ المخلخل من السَّاق والسَّاق مؤنّثة، وبعض شيء إذا أطلق عليه اسم الكلّ أُجْرِيَ في الأحوال مجراه، إلاَّ أن يمنعَ مانعٌ، وهذا كما قال الآخر: [الطويل]

كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ(٣)

لأنَّ صدرَ القناةِ قناةٌ، كما أنَّ المخلخلَ يقال له السَّاق.

٨ - كَـأَنَّ الـثَّـآلِـيـلَ فِـي وَجْـهِـهَـا ... إذَا سَـفَـرَتْ بِـدَدُ الـكِـشْـمِـشِ(٤)

البِدَدُ: جميع بِدَّة، وهي القطعة المتفرّقة، وتبادَّ القومُ: تَبَاعدوا.

٩ - لَـهَـا جُـمَّـةٌ فَـوْقَـهَـا جَـثْـلَـةٌ ... كَـمِـثْـلِ الـخَـوَافِـي مِـنَ الـمُـرْعَـشِ(٥)

الجُمَّة من الشَّعر: دون اللِّمة في الطّول، والجثلة: الكثيرة الأصول، والمُرْعَش: الحمام الأبيض، والخوافي: ما دون الرِّيشات العَشْرِ، وقال أبو العلاء: عنى بالمرعش النَّسر الذي قد هَرِمَ.

(١) المرزوقي: «ووجهٌ كبَيْضِ». (٢) المرزوقي: «تجيزُ المحامل لا تَخدِشِ».

(٣) هذا عجز بيت للأعشى في ديوانه ص ٩٤؛ واللسان (شرق)، وصدره: «وتشرقُ بالقول الذي قد أذعته».

(٤) المرزوقي: «القِشمِشِ». (٥) المرزوقي: «فَرْعُها جَثْلَةٌ».

[٨٨٣] وقال آخر(١):

١ - مَاذَا يُؤَرِّقُنِي قِدْمًا وَيُسْهِرُنِي   مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «ماذا يُؤَرِّقُني» لفظه استفهام ومعناه تَعَجُّب، وقوله «من صوت ذي رعثاتٍ» أي: من انتظار صوته، فحذف المضاف، ورعثات: جمع رعثة من الدّيك، وهي عثنونه، ورعثة الشّاة: زنمتها، والرّعاث: كلّ معلاق من قرط أو قلادة أو غيرهما، وربما علّق من الرجل، والهودج رعث من الصوف، ويُروَى:

مَاذَا يُؤَرِّقُنِي وَالنَّوْمُ يُعْجِبُنِي   مِنْ صَوْت ذِي رَعَثَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ

٢ - كَأَنَّ حُمَّاضَةً فِي رَأْسِهِ نَبَتَتْ   مِنْ أَوَّلِ الصَّيْفِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ

ويُروَى «بإزهار» والحُمَّاض: من ذكور البقل لها ثمرة حمراء كأنها الدَّم، فلذلك شَبَّهها بِعُرْفِ الدِّيك، قال الراجز:

كَثَامِرِ الحُمَّاضِ مِنْ هَفْتِ العَلَقْ

والإثمار: إخراج الثمر.

[٨٨٤] وقال آخر(٢):

١ - صَوْتُ النَّوَاقِيسِ بِالأَسْحَارِ هَيَّجَنِي   بَلِ الدُّيُوكُ الَّتِي قَدْ هِجْنَ تَشْوِيقِي

الثاني من البسيط، والقافية متواتر.

قوله «صوت النَّواقيس» أراد انتظار صوت النواقيس، فحذف المضاف كما حذفه الآخر في قوله: [البسيط]

لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالدَّيْرَيْنِ أَرَّقَنِي   صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرْعٌ بِالنَّوَاقِيسِ(٣)

يريد أرّقني انتظار صوت الدجاج، وقال غيرهما: [المتقارب]

وَصَوْتُ نَوَاقِيسَ لَمْ تُضْرَبِ

على أنه كان منتظرًا لا واقعًا.

٢ - كَأَنَّ أَعْرَافَهَا مِنْ فَوْقِهَا شُرَفٌ   حُمْرٌ بُنِينَ عَلَى بَعْضِ الجَوَاسِيقِ

---

(١) البيت الأول في اللسان (رعث)؛ وتاج العروس وقد نُسِبَ للأخطل.

(٢) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢/٢٤١ ليحيىٰ بن ثابت يصف ديكًا، والبيت الرابع في لسان العرب (فتك) بلا عزو.

(٣) البيت لجرير في ديوانه (٣٢١).

الجَواسيق: جمع جَوْسَق، وهو القصر، وأصله الجواسق، إلاَّ أنه أشبع كسرة السين فتولّدت منها ياء، ومثله: [البسيط]

نَفْيَ الدَّرَاهِمِ تَنْقَادُ الصَّيارِيفِ[1]

ويجوز أن يكون زادها للضرورة، والجوسق أصله: الحصن المتهدِّم والقصر الخَرِب، وليس الجوسق بعربيّ في الأصل، ولا الجسق معروف في كلام العرب، قال القطامي: [الكامل]

لُعِنَ الكَوَاعِبُ بَعْدَ يَوْمِ لَقِينَنِي بِشَرَى الفُرَاتِ وَلَيْلَة بِالجَوْسَقِ

وقال الآخر: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى الحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ[2]
إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي دَهَاقِينُ قَرْيَةٍ وَصَنَّاجَةٌ تَحْذُو عَلَى كُلِّ مَنْسَمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَسُوؤهُ تَنَادُمُنَا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

والشُّرَف: جمع شُرْفة، وهي التي يقول لها النَّاس الشّرافة، وفي الحديث «أمرنا أن نبني المساجدَ جماء والمدائن شُرْفًا».

٣ - عَلَى نَغَانِغَ سَالَتْ فِي بَلاَعِمِهَا كَثِيرَةِ الوَشْيِ في لِينٍ وَتَرْقِيقِ

النَّغَانغ: جمع نُغْنُغ ونغنوغ، وقال المرزوقي: النَّغانغ هي أعراف الدِّيَكة، قال: وأصل النُّغْنغ الاضطراب، ولذلك قيل للطويل المضطرب: نغنغ، وقال غيره: النَّغانغ هنا ما سالَ تحت منقاره كاللّحية، وهو المراد في هذا الموضع، وإن كان ما تقدَّم له وجه.

٤ - كأنَّمَا لَبِسَتْ أوْ أُلْبِسَتْ فَنَكَا فَقَلَّصَتْ مِنْ حَوَاشِيهِ عَنِ السُّوقِ

الفَنَك: أشبه شيء بوجه الدّيكِ الأبيض، فلذلك شَبَّهها بالفنك، وقوله «قَلَّصَتْ» أي: ارتفعت، وحواشيه: جوانبه، و«من» هنا زائدة، والسُّوق: جمع ساق، والمعنى أنَّ صوت النواقيس أو صوت الدُّيوك التي وصفها شَوَّقَه إلى مَنْ يُحِبُّه.

قال أبو العلاء: اشتمل ما وضعه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أجناس الشعر الخمسة عشر على اثني عشر جنسًا، وهي: الطويل، والمديد، والبسيط، والوافر، والكامل، والهزج، والرجز، والرمل، والسريع، والمنسرح، والخفيف، والمتقارب، وفاته ثلاثة أجناس: وهي: المضارع، والمقتضب، والمجتث، وفيه من الضّروب الثّلاثة

---

(١) هذا عجز بيت للفرزدق في ديوانه ص ٥٧٠، وصدره: «تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ».
(٢) الحَنْتَم: جِرارٌ خُضْرٌ تضرب إلى الحمرة كانت تُحمل إلى المدينة فيها الخمر.

والسّتّين تسعةٌ وعشرون ضَرْبًا، ومن القوافي الخمس أربع، وهي: المتدارك، والمتراكب، والمتواتر، والمترادف، وفاته المتكاوِس؛ وفيه من الأوزان الشّاذّة ثلاثة: الأوّل قول الضَّبيّ: [مخلع البسيط]

إنَّ شِــــواءً وَنَـــشْــــوَةً وَخَـبَـبَ الـبَـازِل الأَمُـونِ[1]

والثاني: قول السّليك أو أُمّ تأبّط شرًّا: [مجزوء الرمل]

طَـافَ يَـبْـغِـي نَـجْـوَةً مِــنْ هَــلاَكٍ فَــهَــلَــكْ

والثالث قول المخزوميّة: [الخفيف]

إنْ تَسْأَلِي فَالمَجْدُ غَيْرَ البَدِيعْ قَـدْ حَـلَّ فِـي تَـيْـمٍ وَمَـخْـزُومِ

هذا آخر شرح الحماسة لأبي تمام الطائي؛ وإنما ذكرت فيه ما ذكر مَن تقدَّمَ من العلماء، غير أنّي قد جمعتُ بين اشتقاق أسامي الشّعراء والإعراب والمعاني والأخبار، ولا يشملُ كتابٌ من كتبهم في الحماسة على ما جمعته فيه، وإنّما توجدُ هذه الأشياء متفرّقة في كُتبهم؛ فجمعت بينها ليكون الكتاب مُستقِلاً بنفسِه، والنّاظر فيه والقارىء منه مستغنيًا عن غيره من الكتب التي صُنِّفَتْ في الحماسة، فإنْ وقعَ تقصيرٌ فيما جمعتُ أو سهوٌ فيما أتيتُ به، فالعذرُ واضحٌ عند المتميِّزِ الفاضلِ، ولا يكادُ يخلو كتابٌ في هذا الفنّ وغيره بعد الاجتهاد والتّحَرّي من استدراكٍ عليه أو تتبّع فيه، لا سِيّما والشّعر شُعَبٌ، والمعاني مشتركة، وربما ذهب الفهم الصّحيح إلى معنى يكون أوقع في التفسير من المعنى الذي أراده الشّاعر، وإذا تأمّله المُنصِفُ حَقَّ التّأمُّلِ وجده جامعًا لأغراضِ الكِتاب ومعانيه، نافعًا لملتمس الفائدة ممّا يحويه، واللّهُ الموفّق لِلصّوابِ، المرجوّ لجزيل الثّوَاب.

تَمّ بعون الله تعالى وتيسيره
تحقيق شرح ديوان الحماسة
للخطيب التبريزي وضبطت غريبه وعلّقت عليه
غريد الشيخ

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (دمى).

الفهارس العامّة

١ - فهرس الآيات القرآنية

٤ ـ سورة النساء

٥ ـ سورة المائدة

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية

٣ - فهرس الأعلام(*)

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ «ابن»، «أبو»، «ابن أبي»... الخ. ونشير إلى أننا أفردنا أسماء أعلام شعراء الحماسة بفهرس خاص ولم نذكر أسماءهم هنا إلا إذا وردت ضمن الشرح.

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ش)

(*) لعله أبو العلاء المعرّي.

(غ)

(ف)

٤ ـ فهرس القبائل والبطون. . . الخ(*)

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي لفظتي «آل» و«بنو».

(ن)

(هـ)

٥ ـ فهرس الأماكن والبلدان

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

٦ ـ فهرس الأيام والوقائع والحروب(*)

(*) عبارات «يوم» و«حرب» و«وقعة» و«ليلة»، لم تؤخذ بالاعتبار عند الترتيب الألفبائي.

٧ - فهرس الأمثال

٨ ـ فهرس القوافي في الشرح(*)

(*) رتّبنا القوافي ترتيبًا ألفبائيًا عكسيًّا بدءًا بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه. وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة. ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر المُلحَقَة بحرف الرّويّ.

الباء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			الباء المكسورة		
أناسٌ	الكتائبِ	الطويل	أبو تمام	١	٢٨٦
ولا عيب	الكتائبِ	الطويل	النابغة الذبياني	١	٢١١، ٦٥٧
وثقتُ	أشائبِ	الطويل	ـ	١	٣٧٢
نعرّض	للسبابِ	الوافر	[القتال الكلابي]	١	٨١
فما زالت	ضِبابي	الوافر	[كُثَيِّر عَزَّة]	١	٧٠١
أما رأيتَ	وكُتّابِ	البسيط	أبو الأخضر	١	٤٦٦
أما أقاتل	بأصحابِ	البسيط	[حييّ بن وائل]	١	٣٢٥
ثم قالوا	والترابِ	الخفيف	عمر بن أبي ربيعة	١	٨٦٥
ولقد	الأذرابِ	الكامل	حضرمي بن عامر	٢	١٧٥
أطاعت	واجبِ	الطويل	قيس بن الخطيم	١	٩٩٧
تقدّ	الحباحبِ	الطويل	النابغة	١	١٢٦
غداة	والخبِّ	الطويل	سليمان بن بشر بن مروان	٢	٤٥٢
إذا يوسرتْ	تؤدّبِ	الطويل	ـ	١	٧٦١
نواعم	العذبِ	الطويل	يزيد بن الطثرية	١	٧٢٢
ولمّا	المحاربِ	الطويل	قيس بن الخطيم	١	٢٧٥
ولمّا	نحاربِ	الطويل	قيس بن الخطيم	١	١١٦
فإنْ تَنأ	بالمجرَّبِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٢٧٠
بضربٍ	بمشربِ	الطويل	ـ	١	٢٦
أقاتلُ	الكربِ	الطويل	ـ	١	١٣٦
رحمتُ	المحصّبِ	الطويل	حجية بن المضرب	١	٧٢٣
لو كنتِ	مراقبِ	الكامل	العباس بن الأحنف	٢	٥٧١
ولا أتمنّى	أركبِ	الطويل	هدبة بن الخشرم	١	٤١٠
يزين	الركبِ	الهزج	[عقبة بن سابق]	١	٥٠٣
بذي ميعة	ثعلبِ	الطويل	امرؤ القيس	١	٦٣٨
لم تتلفع	بالعلبِ	المنسرح	[جرير]	١	٣٩
لستُ	المتقلّبِ	الطويل	هدبة بن الخشرم	٣	٣٣٩، ٣٤٠
وداعٍ	يكلبِ	المتقارب	ـ	١	٩٢٥
كأنّ	جانبِ	الطويل	أبو تمام	١	٧٣٢

قافية التاء

التاء المفتوحة

التاء المضمومة

التاء المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
سقيتُ	الأَنوحا	المتقارب	أبو ذؤيب الهذلي	١	٧٨
فقلتُ	شِيحَا	الوافر	[مضرّس بن ربعي أو يزيد بن الطثرية]	١	٣٠٨
وشيكُ	مُشيحا	المتقارب	أبو ذؤيب	١	٨٩

الحاء المضمومة

كأنْ لم	النوائحُ	الطويل	ـ	١	٥٩٤
يا بؤس	فاستراحوا	الكامل	سعد	١	٣٦٥
هبطن	نضّاحُ	البسيط	أبو ذؤيب الهذلي	١	٦٠٦
ترى	تفرحُ	الطويل	ذو الرّمّة	١	٧٧٥
وإنّي	كاشحُ	الطويل	كُثَيِّر عَزَّة	١	٨٣
خذا	يصلحُ	الطويل	جران العود	١	٧٤٥
وقد أسهرتْ	وحاوحُ	الطويل	ذو الرّمّة	١	٦٥٨
يقولون	جنوحُ	الطويل	ـ	١	٦٥١
واعصوصبتْ	مرازيحُ	البسيط	أبو ذؤيب الهذلي	١	٩٢٩

الحاء المكسورة

سيعلم	بمستباحِ	الوافر	كليب وائل	٥	٥٩٠
تأهّبْ	التلاحي	الوافر	جسّاس بن مرّة	٢	٥٩١
فإنْ تكُ	السلاحِ	الوافر	مرّة (أبو جسّاس)	٦	٥٩٢
وحجّة	للأبطحِ	الرجز	مسعود بن وضّام	١	٥٢٢
ألا علّلاني	الجوانحِ	الطويل	هدبة بن الخشرم	٤	٣٣٩

قافية الدال

الدال الساكنة

إنّما	أحدْ	الرمل	ـ	٢	٥٧١

الدال المفتوحة

إنّ العرانين	حسّادا	البسيط	ـ	١	١٠٣٤
ما إنْ	خَدًّا	الكامل	عمرو بن معديكرب	١	١٣٥
إذا كنتَ	تتردّدا	الطويل	ـ	١	٥٩
ليس	بُرْدا	الكامل	[عمرو بن معديكرب]	١	٨٦
الطعن	العضدا	البسيط	عبد مناف بن ربع	١	١٩١

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أهيم	بعدي	الطويل	[النمر بن تولب]	١	٨١٧
فلا أسمعنْ	بعدي	الطويل	عبد هند بن زيد	٢	٤١٣
مَن مبلغٌ	البُعْدِ	الطويل	عارق الطائي	١	٨٦١
قصير	جعدِ	الطويل	القريعي	١	٢٣٥
ومستخبرٍ	سعدِ	الطويل	عبد اللّه بن سبرة	٢	٣٤٤
والبطن	مقعدِ	الكامل	النابغة الذبياني	١	٩٠٥
قليل	غَدِ	الطويل	دريد بن الصّمّة	١	٧٣
يسط	المسترفدِ	الكامل	ـ	١	٩٣٦
أزف	قَدِ	الكامل	النابغة الذبياني	١	٦٦٥
جلبنا	فرقدِ	الوافر	الصّمّة الأكبر	٣	٥٣٦، ٥٣٧
يا هل	بلدِ	البسيط	صنّان بن عبّاد	٤	٥٢٦
إذا القوم	أتبلّدِ	الطويل	طرفة بن العبد	١	٨٣
أبتْ	البلدِ	البسيط	الراعي النميري	١	٣٥٩
فإن تسلُ	بالتجلّدِ	الطويل	كُثَيِّر عَزَّة	١	٧٤٥
مارَ	والجمدِ	البسيط	ـ	١	١٢٣
وخيّس	والعمدِ	البسيط	ـ	١	٤٤١
تريدين	غمدِ	الطويل	أبو ذؤيب الهذلي	١	٨٦٠
لو كان	كمدِ	البسيط	أُخت عمرو بن عبد ودّ	٢	٣٥٨
أقبًا	الأزاندِ	الطويل	الهذلي	١	٣٥٦
إلاّ سليمان	الفندِ	البسيط	النابغة الذبياني	١	٦٠٨
أبي	الجهدِ	الطويل	الطرماح بن حكيم	١	٤١٨
فيا راكبًا	نهدِ	الطويل	بعض أهل اليمن	٣	٢٤٧
يسمّوننا	المزاودِ	الطويل	ـ	١	٩٠٦
أُسود	الأساودِ	الطويل	ـ	١	١٠٨٧
إنّ من	بموجودِ	البسيط	أوس بن حجر	١	٩٨٧
ومستنّة	بالمرودِ	المتقارب	[رجل من بني الحارث بن كعب]	١	٥٣
وإذا أراد	حسودِ	الكامل	أبو تمام	٢	٢٩٠
إذا قناة	العودِ	البسيط	امرأة من العرب	١	١٩٣
جزى	طريدِ	الطويل	القتال الكلابي	٤	١٥١

الراء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فلو بخلتْ	الخيارُ	الوافر	الفرزدق	١	٣٩٢
قليل	المحبَّرُ	الطويل	ـ	١	٣٧٣
إذا ما	واترُ	الطويل	محمد بن بشير	٤	٦٤٥
كم من	حجرُ	البسيط	أنس بن مدركة	٥	٥٨١، ٥٨٢
أبني	عجرُ	الكامل	عنترة بن شداد	١	٩٥٣
إنّ فزارة	عجرُ	البسيط	سالم بن دارة	٣	٢٨١
فقلتُ	حُرُّ	الوافر	ـ	١	٣٨٩
دعاني	أبادرُ	الطويل	ورقاء بن زهير	١	٦٦٤
وإني	مصادرُهْ	الطويل	بلعاء بن قيس	٣	٤٥٣
إذا كان	قادرُ	الطويل	ـ	١	٧٧٢
كأنّ	البدرُ	الطويل	أبو تمام	١	٦٠٢
إذا أشرف	الغدرُ	الطويل	ـ	١	١٠١٨
بحاجة	تعذرُ	الطويل	[عمر بن أبي ربيعة]	١	٨٠٥
فتى	الجزرُ	الطويل	[الأُبيرد اليربوعي]	١	٩٩٤
يا أحسن	عسرُ	البسيط	محمد بن بشير الخارجي	٥	٨١٠
وهم	معشرُ	الطويل	ذو الرّمّة	١	٢٤٧
حبيبٌ	أبصرُ	الطويل	ـ	١	٩٣٧
أريتك	حُضَّرُ	الطويل	عمر بن أبي ربيعة	١	٣٠٧
وبيداءَ	المخاطرُ	الطويل	[ذو الرّمّة]	١	٢٦٤
لو كنتُ	مطرُ	البسيط	عبد اللّه بن عدّاء البرجمي	٢	٤٠٧
إذا جئتَ	تنظرُ	الطويل	[عمر أو جميل أو لبيد]	١	١٠٧٥
فما مُكْثنا	الأباعرُ	الطويل	ـ	١	٨٣٧
جزاني	الأصاغرُ	الطويل	مالك بن نويرة	١	١٦٠
سقوا	مشافرُهْ	الطويل	الحطيئة	٢	٢٧٥
أضمرة	غافرُ	الطويل	سبرة بن عمرو	١	١٨٠
ما نلتقي	النفرُ	الكامل	ـ	١	٧٦٨
تراها	أوقرُ	المتقارب	الراعي النميري	١	٧٦٠
مثال	عسكرُ	المتقارب	بكر بن النطاح	٢	٧٧٥

الراء المكسورة

قافية الزاي

الزاي المضمومة

الزاي المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة

قافية السين

السين الساكنة

السين المفتوحة

السين المضمومة

السين المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
الطاء المكسورة					
فَخُورِ	الرياطِ	الوافر	الهذلي	١	٦٨١
كأنّ	هياطِ	الوافر	[المتنخّل الهذلي]	١	٩٦
إنّي	المخاريطِ	البسيط	[المتلمّس]	١	١٠٥١
قافية العين					
العين الساكنة					
يغدو	الشجاعْ	السريع	اليربوعي	١	١٦٤
مَنْ يكُ	راعْ	السريع	–	١	٣٩٣
كيف	وصلعْ	الرمل	[سويد بن أبي كامل]	١	١٠١٢
العين المفتوحة					
فوارس	انتزاعا	الوافر	القطامي	١	٥٠٤
فلأيًا	الرقاعا	الوافر	القطامي	١	٩٣٤
ولعاتٌ	الخلاعا	الخفيف	[إسماعيل بن عمّار]	١	٣٤٨
فإن لم	والسماعا	الوافر	عديّ بن زيد	٣	١١٣
ولكنّ	الصّناعا	الوافر	القطامي	١	٢٩٦
لعمري	فأوجعا	الطويل	متمِّم بن نويرة	٣	٥٢٣
إذا صُبَّ	دَعَا	الطويل	–	١	١٦٥
ليت	وَدَعَهْ	الرمل	أبو الأسود الدؤلي	١	٤٣٢
والسنّ	الوَدَعَهْ	البسيط	الكلابي	١	٢٨٨
وكانت	أدرعا	الطويل	هدبة بن الخشرم	٢	٣٣٧
فكذّبوها	والشَّرَعا	البسيط	الأعشى	١	٧١٢
أكرُّ	الموضَّعَا	الطويل	–	١	٢٧٥
ويلُ	وانقطعا	البسيط	عبد اللّه بن سبرة	١٠	٣٤٤
كمرضعة	مرقعا	الطويل	[ابن جذل الطعان]	١	٤٩٢
أبا العوف	أنقعا	الطويل	–	٣	١٠٨٨
أيتها	وقعا	المنسرح	أوس بن حجر	١	٦٦١
بذات	لَعَا	البسيط	الأعشى	١	١٧
سددتُ	مطلعا	الطويل	عوف بن مالك	١	٣٦٣
إذا قلتُ	أجمعا	الطويل	[حريث بن عناب]	١	٣٩٨

العين المكسورة

اللام المكسورة

قافية الميم

الميم الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
ويومًا	السّلمْ	الطويل	ـ	١	٦٣٣
نحن	ابرهمْ	الرمل	عبد المطلب	١	١٩١
أعييتني	بهيمْ	الكامل	جذيمة بن رواحة	١	٢٩٥

الميم المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وقَرَى	الضراما	الخفيف	المنخل اليشكري	٣	٣٨٧
فهناك	أُسامَهْ	الكامل	عمران بن حطان	١	٢٦٥
لا تسأما	تسأما	الكامل	ـ	١	٢٨٥
تشقّ	اللغاما	الوافر	جرير	١	٩٤٣
جعلتْ	ثُمامَهْ	الكامل	[عبيد بن الأبرص]	١	٤٠٩
الريح	الغمامَهْ	الكامل	يزيد بن ربيعة	٢	٦٥١
خليليّ	كلثما	الطويل	ـ	١	٣٤٠
أفدم	تحمحما	الطويل	عبد عمرو بن شريح	١	١٢٠
نحن	دما	الطويل	ـ	١	٦٧٧
إنّي	الأدما	البسيط	ـ	١	٣٨٠
وعاوٍ	الدّما	الطويل	[جرير]	١	١٣٧
وما يستطيع	مبرما	[الطويل]	ـ	١	٩١
رعين	والمحرَّما	الطويل	حميد بن ثور	١	٣٨
وقلتُ	أخزما	الطويل	الحصين بن حمام	١	٢٧٤
تركوا	رَزَمَهْ	المديد	النابغة الجعدي	١	٤٠٧
موالينا	متقسمَا	الطويل	حصين بن الحمام	١	٢٧٨
لنا هضبة	ليُعصما	الطويل	ـ	١	٨٨
رجوا	قضما	الطويل	[أيمن بن خريم]	١	٤٦١
وإنّي	طاعما	الطويل	[المرقش الأصغر]	٢	٨١٦، ٨١٧
وما هي	خثعما	الطويل	[حميد بن ثور]	١	٥٢٨
تقرو	والسّلما	المنسرح	ـ	٢	٧٩٠
وإنّا لنقري	المسلّما	الطويل	ـ	١	١٠٧٩
وفرّ	وسلّما	الطويل	[العوّام بن شوذب]	٢	١٣
هما سيدانا	غنماهما	الطويل	[أبو أسيدة الدبيري]	١	٩٧٩
أبَى	سواهُما	الطويل	درماء بنت سيّار	٢	٦٧٤
لن تستطيع	يسوما	الكامل	ليلى الأخيلية	١	٩٥٠

الميم المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فأصبحن	العمائمِ	الطويل	ابن عقيل بن علّفة	١	٨٧٦
وَسْنانُ	بنائمِ	الكامل	[عدي بن الرقاع]	١	١٠٧
كأنّ الكرى	والقوائمِ	الطويل	بنت عقيل بن علفة	١	٨٧٦
إنّا لنضرب	القدّامِ	الكامل	–	١	٦٣٨
إذا قالت	حذامِ	الوافر	–	١	٨٢٩
بكينا	كرامِ	الوافر	الأعرج بن رباب	٣	٢٥٩
تسفّ	القسامِ	الوافر	النابغة الذبياني	١	٦٣٣
إن كنتِ	هشامِ	الكامل	حسان بن ثابت	٢	١٤١
لا كعبد	كهشامِ	الخفيف	الكميت	١	٥٧٤
تظلمني	عظامي	الطويل	منازل بن فرعان	٥	٨٦٠
كأنّا	بسهامِ	الطويل	ذو الرّمّة	٢	٧٠٧
قالت	لأقوامِ	البسيط	النابغة الذبياني	١	١٠٤٣
خلع	الأقوامِ	الكامل	[مهلهل أو لبيد أو شرحبيل بن مالك]	١	٣٢٦، ٧٨٠، ٩٩٩
وحيّ	معتّمِ	الطويل	العلاء بن قرظة	٢	٨٧٤
فمرّ	يعتّمِ	الطويل	[الأعشى]	١	٩٥١
ألا هل	وحنتمِ	الطويل	–	٣	١١٠٠
قضتْ	بالجماجمِ	الطويل	عقيل بن علّفة	١	٨٧٦
إذا ما	أنجمِ	الطويل	–	١	٨٩٩
إنّ الذي	النجمِ	الكامل	أبو صخر الهذلي	١	٧٤٨
إني أرى	النجمِ	الكامل	أبو صخر الهذلي	١	٧٤٩
فيها	الأسحمِ	الكامل	عنترة	١	٤٠
أرسل	دمي	الطويل	كبشة أُخت عمرو بن معديكرب	١	١٨
لو بأبانين	بدمِ	المنسرح	[مهلهل بن ربيعة]	١	٩٠
استودعتْ	القدمِ	المنسرح	–	١	٧٧٧
وكنتَ	الدّمِ	الطويل	[الفرزدق]	١	١٧٠
تركتَ	بالدمِ	الطويل	[ضمرة بن ضمرة]	١	٨٣

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فلو قبل	التندّمِ	الطويل	[عدي بن الرقاع]	٢	٧٧٨
فما يستوي	صارمِ	الطويل	يزيد ابن الطثرية	١	٨٠٦
جزى	وغارمِ	الطويل	عمارة بن عقيل	٤	٦٥٨
وإذا	الأخرمِ	الكامل	المساور بن هند	١	٣٠٧
نحن	الضرمِ	المنسرح	رجل من الغوث	١	٢٥٩
إذا مقرمٌ	مقرمِ	الطويل	أوس بن حجر	١	٨١
بحيّ	والتكرّمِ	الطويل	–	١	٧٥٤
ماويَّ	بالميسمِ	السريع	[ضمرة بن ضمرة]	١	٤٢٣
أرأيتَ	العظمِ	الكامل	–	١	٧٦٨
بسيف	ظالمِ	الطويل	جرير	١	١٦٤
أحلمتَ	تحلمِ	الكامل	المساور بن هند	٨	٣٠٦
تحذّرني	مسلمِ	الطويل	السليك بن السلكة	٢	٥٨١
ولا يشعر	المتظلّمِ	الطويل	[الجعدي]	١	٤٧
قوّض	بالظلـمِ	الكامل	الحارث بن وعلة	١	١٥٤
أناس	مظلمِ	الطويل	–	١	٢٦٧
لقد	غنمِ	الطويل	أبو خراش الهذلي	٢	٦٧٤
هو القين	الأداهمِ	الطويل	الفرزدق	١	١٠٣١
هو القين	الدراهمِ	الطويل	–	١	١٠٣١
إنّ الغنى	والدرهمِ	السريع	–	١	٧٢٨
وأنا	مسهّمِ	الطويل	[أوس بن حجر]	١	٦٩٣
أولئك	النجومِ	الوافر	–	١	٦٧٢
لمّا أن	الأُرومِ	الوافر	مساور بن هند	٥	٣٠٦
إن تسألي	ومخزومِ	وزن شاذّ	المخزومية	١	١١٠١
فلا تعجل	كمستديمِ	الوافر	[قيس بن زهير]	١	١٠٦١
أبلغ	القديمِ	الكامل	بعض شعراء تيم	٢	٢٤٧
كيف	الكريمِ	الخفيف	–	١	٨٣٤
يديثُ	الكريمِ	الطويل	معقل بن عامر	٢	١٤٥
تبعّثَ	عزيمي	الطويل	البعيث	١	٢٦٨

قافية النون

النون الساكنة

النون المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أطفّ	ضنينا	الوافر	عديّ بن زيد	١	٦٠٩
ولقد	ضنينا	الوافر	جرير	١	٧٦٨

النون المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أشهد	جبانُ	الوافر	امرأة من بني الحارث	١	٤٨
شجاع	فجبانُ	الطويل	ـ	١	١٣٦
بضربٍ	وإرنانُ	الهزج	الفند الزماني	١	٢٧
إذا جاوز	قمينُ	الطويل	[قيس بن الخطيم]	١	٤٩٣، ٧٣٨

النون المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
طُلَّ	أبانِ	الخفيف	الحارث بن عباد	٣	٣٦٥
وما كان	غربانِ	الطويل	بعض اللصوص	١	٧٢٧
بكيتُ	الحدثانِ	الطويل	ـ	١	٩٤٨
إذا ما	العجانِ	الوافر	الفرزدق	١	٨٨٣
ألا يا	صَيَحَانِ	الطويل	ـ	١	٢٧٣
فبتُّ	ودخانِ	الطويل	الفرزدق	١	١٠٧٩
أنا المرعّث	وللداني	البسيط	بشّار بن بُرْد	١	١٧٠
فكيف	هدانِ	الطويل	ـ	١	١٠٣
أراني	أراني	الوافر	مالك بن نويرة	٦	٥٢١، ٥٢٢
قتيلان	وأفانِ	الطويل	ـ	١	٢٦٤
قبيّلةٌ	الجفانِ	الوافر	الأخطل	١	١٠١٨
مَن يفعل	مثلانِ	البسيط	[كعب بن مالك أو غيره]	١	٦٤٨
وقالت	الرجلانِ	الطويل	بعض الأعراب	٣	٤٣٤
رماني	رماني	الطويل	[ابن أحمر أو غيره]	١	٥٩٥
فاسأل	الأزمان	الكامل	الفرزدق	٣	٥٨٧
ولا تقولن	الماني	البسيط	ـ	١	١٠٥٠
واشفي	الخنانِ	الوافر	جرير	١	٥٦
ومِنْ	بهانِ	الوافر	متمّم بن نويرة	٨	٥٢٣
جراثيم	الدواني	الوافر	ـ	١	٥٥٨
خليليّ	تريانِ	الطويل	ـ	١	٦٠
فليت	طهيانِ	الطويل	[الأحول الأزدي]	١	٤٢٤

قافية الهاء

الهاء الساكنة

الهاء المفتوحة

الهاء المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أقول	لسانيا	الطويل	عبد يغوث بن وقاص	١	١٢٤
يقولون	مكانيا	الطويل	[مالك بن الريب]	١	٥٦٨
تراغيتم	الأمانيا	الطويل	جرير	١	١٦٤
تجمّعن	ثمانيا	الطويل	ـ	١	٢١٢
إليكَ	ضمانيا	الطويل	ابن أحمر	١	٩٤٨
حببتُ	الغوانيا	الطويل	جميل بثينة	١	٣٢٣

الياء المضمومة

تروح	الدليُّ	الوافر	امرؤ القيس	١	١٠٦٢

٩ ـ فهرس الأرجاز في الشرح

الباء المضمومة

قافية الراء

الراء الساكنة

الراء المفتوحة

قافية الزاي

الزاي الساكنة

قافية السين

السين المفتوحة

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المفتوحة

الميم المضمومة

النون المفتوحة

١٠ ـ فهرس أنصاف وأجزاء الأبيات(*)

(*) مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا.

(ب)

١١ ـ فهرس شعراء الحماسة(*)

اسم الشاعر	رقم الحماسة	الصفحة
	(أ)	
أبان بن عبدة	[٢١٠]	٤٤٣
إبراهيم بن كنيف النبهاني	[٧١]	١٩١
أُبيّ بن حمام العبسي	[١٤٣، ١٤٤]	٢٩٥
أُبيّ بن سلميّ بن ربيعة الضبّي	[١٨٠]	٣٩٦
الأبيرد بن المعذر اليربوعي	[٣٨٣]	٦٦٦
أبو الأبيض العبسي	[١٥٨]	٣٣٠
الأحوص بن محمد بن عاصم الأنصاري	[٥٥]	١٦٩
الأخرم السنبسي	[١٩٦]	٤٢١
الأخنس بن شهاب	[٢٤٩]	٤٨٤
أدهم بن أبي الزعراء	[٢٠١، ٦٢٢]	٤٢٨، ٨٨٠
أرطاة بن سهية المري	[١٣٦، ٣٠٠، ٥٩٧، ٧٢٩]	٢٨٤، ٥٦٨، ٨٥٢، ٩٧٧
الأرقط بن رعبل العنبري	[٢٣٣]	٤٦٨
إسحٰق بن خلف (ابن الطبيب)	[٨٦]	٢١٠
أبو الأسد	[٦٣٥]	٨٩٣
إسماعيل بن عمّار الأسدي	[٦٤١]	٩٠٠

(*) لم نأخذ بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ «ابن»، «ابن أبي»، «أبو»، «بنت»، «أُمّ»، «أُخت»... الخ. ونشير إلى أننا وضعنا المجاهيل في هذا الفهرس بعد حرف الياء تحت عنوان: «المجاهيل من شعراء الحماسة».

(ب)

(*) الذين لم يُسمّوا ولم يُنسَبوا، أو نُسِبوا إلى قبيلة.

١٢ ـ فهرس القوافي في متن الحماسة(*)

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			قافية الألف		
عجبتُ	فالرَّحا	الطويل	الراعي النميري	١٣	٨٩٤ ـ ٨٩٦
يعقوب	الثَّرى	الكامل	أبو حنش الهلالي	٤	٦٠٠
لعمري	هَوَى	الطويل	سويد المراثد الحارثي	٥	٥٤٣ ـ ٥٤٤
صبغتْ	دنياها	الكامل	جوّاس بن القعطل الكلبي	٦	٨٩٢ ـ ٨٩٣
			قافية الهمزة		
			الهمزة المفتوحة		
طعنتُ	أضاءَها	الطويل	قيس بن الخطيم	٩	١٣٧ ـ ١٤٠
			الهمزة المضمومة		
عادوا	أعداءُ	الكامل	ـ	٢	١٠٣٤
أرى	جفاءُ	الوافر	أبو البرج القاسم بن حنبل المري	٨	٩٧٦ ـ ٩٧٧
وما بعض	بلاءُ	الوافر	قيس بن الخطيم	٨	٧٢٨
وما العيش	وماءُ	الطويل	ـ	١	١٠٧٦
أبلغ	فناءُ	الطويل	محرز بن المكعبر الضبي	٨	٨٦٧ ـ ٨٦٨

(*) هذا الفهرس خاص بالقوافي التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرسًا آخر للقوافي الواردة في شرح التبريزي. وقد رتّبنا القوافي ترتيبًا ألفبائيًا عكسيًا بدءًا بحرف القافية ثم بعده بالأحرف التي تسبقه. وبدأنا بالقوافي الساكنة ثم المفتوحة ثم المضمومة ثم المكسورة. ولم نأخذ بعين الاعتبار الضمائر المُلحَقَة بحرف الرّويّ.

الباء المكسورة

قافية التاء

التاء المضمومة

التاء المكسورة

قافية الدال

الدال الساكنة

الدال المفتوحة

قافية الراء

الراء الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
			الراء المفتوحة		
قد كان	وأبصارا	البسيط	ـ	٢	٥٥٥
ويوم	قصارا	الوافر	شمعلة بن الأخضر الضبي	٣	٤٠٣
ألا لا	فأدبرا	الطويل	ـ	٣	٦٢٠ ـ ٦٢١
أعينيّ	أتصبّرا	الطويل	عمرة بنت مرداس	٣	٦٨١
تولّت	أغبرا	الطويل	ـ	٢	٩٠٢
آليتُ	أغبرا	الطويل	عاتكة بنت زيد	٣	٦٨٢ ـ ٦٨٣
ضربنا	منبرا	الطويل	عمرو بن مخلاة الحمار الكلبي	٧	٨٨٩ ـ ٨٩٠
لم أرَ	فخرا	الطويل	زياد الحارثي	٣	١٨٢ ـ ١٨٣
دببتَ	الأزرا	البسيط	رجل من بني أسد	٣	٨٩٩
ولمّا رأيتُ	شزرا	الطويل	ـ	٢	٧٥٤
خبّروها	سرًا	الخفيف	[عمر بن أبي ربيعة]	٥	١٠٦٩ ـ ١٠٧٠
كاثرْ	نصرا	الطويل	ـ	٣	٩٠٥
أخالد	يتدعّرا	الطويل	خارجة بن ضرار المري	٣	٨٥٦
ولقد أرانا	فالأصفرا	الكامل	جابر بن حريش	٥	٤١٧ ـ ٤١٨
أحبّ	وقرا	الطويل	سالم بن وابصة الأسدي	٥	٧٠٥
أبوكَ	شَمَّرا	الطويل	جميل بثينة	٣	٢٢٩ ـ ٢٣٠
لَهفَى	عَمْرا	الطويل	كنزة أم شملة بن برد	٢	٤٧٧
نحن	مذكورا	الكامل	ليلى الأخيلية	٣	٩٥٠ ـ ٩٥١
أبت	ظهورا	الكامل	ـ	٢	٧٧٥
إذا لاقيتِ	خبيرا	الوافر	[جثّامة بن قيس]	٢	٩٦٢
سُبّي	كثيرَهْ	السريع	جارية	١	١٠٨١
وكنّا	وحميرا	الطويل	زفر بن الحارث	٤	١١٧ ـ ١١٨
إني وإن	وحميرا	الطويل	حسان بن نشبة العدوي	٤	٢٤٤ ـ ٢٤٥
			الراء المضمومة		
ثأرتُ	ثائرُ	الطويل	منصور بن مسجاح الضبي	٥	٨٦٣ ـ ٨٦٥
وممّا	حائرُ	الطويل	ـ	٢	٧٥٣

العين المضمومة

العين المكسورة

قافية الفاء

الفاء المفتوحة

قافية الكاف

الكاف الساكنة

الكاف المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
كلبية	أهوالا	الكامل	حجر بن خالد بن محمود	٥	٢٥٢ ـ ٢٥٤
لا تعذليني	حبلا	الطويل	سالم بن قحفان العنبري	٣	٩٣٧
يا أيها	السبلا	البسيط	[محمد بن بشير الخارجي]	٥	٩٤٥
لما رأت	بجلا	البسيط	جابر بن رالان السنبسي	٤	٤٢٥ ـ ٤٢٦
أبوكَ	خَلاً	الوافر	[جميل بثينة]	٢	٢٢٨ ـ ٢٢٩
وقام	مرحلا	الطويل	جابر بن الثعلب الطائي	٧	٢٢٣ ـ ٢٢٤
إن يكُ	أزلا	الطويل	كنزة أُم شملة بن برد	٢	٤٧٦ ـ ٤٧٧
مَن مبلغ	السّلا	الطويل	وضّاح اليمن	٤	٨٨٨ ـ ٨٨٩
إنّ امرءًا	عقلا	الطويل	رجل من طيىء	٢	٨٧٧
وما شنّتا	يتبلّلا	الطويل	[ذو الرّمّة]	٢	٨١٩ ـ ٨٢٠
لقد بكرتْ	مهلا	الطويل	سالم بن قحفان	٣	١٠١١
يا أيّها	أوّلا	الكامل	ـ	٢	٧٣٦
كريم	تموّلا	الطويل	[أحمر بن سالم المري]	٢	١٠٢٦
صَبَا	أثيلا	الوافر	وضّاح اليمن	٦	٤٤٧ ـ ٤٤٨
صحوتُ	طويلا	المتقارب	عبد القيس بن خفاف البرجمي	٧	٤٩٥ ـ ٤٩٦

اللام المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
يقول	وسائلُهْ	الطويل	ـ	٢	٨٠٢
ألا بكرتْ	عاذلُهْ	الطويل	سوادة اليربوعي	٢	١٠١٣
أرى	غوائلُهْ	الطويل	زينب بنت الطثرية	٩	٦٥١ ـ ٦٥٣
ولقد غضبتُ	خُذّالُها	الكامل	بشامة بن حزن	٦	٢٨٣ ـ ٢٨٤
جمعنا	نكالُها	الطويل	أنيف بن حكيم النبهاني	٤	٤٤٥
جمعنا	نكالُها	الطويل	أنيف بن زبّان النبهاني	١٠	١٢٨ ـ ١٣٠
يقرّ	قلالُها	الطويل	ـ	٢	٧٨٦
تسائلني	مالُ	الوافر	يزيد بن الجهم	٣	١٠٢٧
أعاذل	شمالُها	الطويل	العكلي	٤	١٠٠٢ ـ ١٠٠٣
لا تعترض	قابلُهْ	الطويل	[عبيد بن أيوب العنبري]	٢	٧١٢
سقى	وابلُهْ	الطويل	القلاخ	٧	٦٤٦ ـ ٦٤٨

اللام المكسورة

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المفتوحة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
تأخّرتُ	أتقدما	الطويل	الحُصَين بن الحمام المري	٣	١٤٧ ـ ١٤٨
فقلتُ	مقدّما	الطويل	حُصَين بن حمام المري	١١	٢٧٣ ـ ٢٧٧
حرّق	أجذما	المتقارب	الربيع بن زياد العبسي	٦	٣٤٧ ـ ٣٤٨
هم قطعوا	المحارما	الطويل	غلاّق بن مروان	٦	٣٢١ ـ ٣٢٢
هوتْ	تصرّما	الطويل	أمّ الصريح الكندية	٣	٥٩٣
ألم تعلمي	أتكرّما	الطويل	نافع بن سعد الطائي	٢	٧١٤
أقول	وَسَّما	الطويل	رقيبة الجرمي	٤	٦١٩ ـ ٦٢٠
ألا قالت	أهضما	الطويل	ـ	٢	٢٣٤
طُلِّقتِ	وخثعما	الطويل	عامر بن الطُّفَيل	٢	١١٩ ـ ١٢٠
فلو أنّ	مفعما	الطويل	ـ	٢	١٦٥ ـ ١٦٦
خليليّ	كراكُمَا	الطويل	رجل من بني أسد	٦	٥٥٩ ـ ٥٦١
وأيّ فتى	وسلّما	الطويل	ـ	٣	٦١٣
نُبِّئْتُ	الأعلما	الكامل	قرواش بن حوط الضبي	٥	٨٦٩ ـ ٨٧٠
ولمّا	تكلّما	الطويل	إياس بن الأرتّ	٤	٦٤١
يا لهف	أمما	المنسرح	عمرو بن قميئة	٤	٦٩٨ ـ ٦٩٩
لقد علمتْ	مغنما	الطويل	الرقاد بن المنذر الضبي	٥	٤٠٠ ـ ٤٠١
لقد زعموا	وابأباهُما	الطويل	عمرة الخثعمية	٩	٦٧٠ ـ ٦٧٢
وأنتِ	سواهُما	الطويل	كُثَيِّر عَزَّة	٣	٧٧٧
إذا ما	أدهما	الطويل	ـ	٤	٥٨٥
لو كنتُ	درهما	الطويل	شقران مولى سلامان	٥	٩٤٦ ـ ٩٤٧
نحن أجرنا	المقوّما	الطويل	حسان بن نشبة العدوي	٥	٢٤٣ ـ ٢٤٤
يا أيها	بريما	الكامل	ليلى الأخيلية	٧	٩٤٩ ـ ٩٥٠
متى	حكيما	الطويل	امرأة من عائذة بن مالك	٣	٨٦٦

الميم المضمومة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
أظنّ	قائمُ	الطويل	[الحزين الكناني]	١	١٠٩٦
لقد هتفتْ	لَنَائمُ	الطويل	نصيب	٢	٧٧٨
قلتُ	الزحامُ	الوافر	أبو ثمامة بن عازب الضبي	٣	٤١٠ ـ ٤١١

الميم المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
فتًى	دمِ	الطويل	ملحة الجرمي	٥	١٠٢٣
أرسل	دمي	الطويل	كبشة أُخت عمرو بن معديكرب	٥	١٦٦ ـ ١٦٧
ولا غرو	دمي	الطويل	ـ	٣	٨٢١ ـ ٨٢٢
مَن رأى	بدمِهْ	المنسرح	رجل من حمير	٨	٢٣٩ ـ ٢٤٢
غُيِّبْتُ	بالدمِ	الطويل	معبد بن علقمة	٧	٤٤٠ ـ ٤٤١
إنّ ابن	بالدمِ	الطويل	العجير السلولي	٤	٩٥٣ ـ ٩٥٤
إنّ بمعن	المكارِمِ	الطويل	الطرماح بن جهم السنبسي	٤	٨٨٧
نحن	الضرمِ	المنسرح	بعض بني بولان	٢	١٢٦
ونيرب	قرمِ	البسيط	سالم بن وابصة	٥	٧١٣ ـ ٧١٤
ماذا	كرمِ	البسيط	أبو دهبل الجمحي	٥	٩٥٦
كلا أخوينا	عرمرمِ	الطويل	بعض بني أسد	٣	١٨٨
أتاني	جسمي	الوافر	شقيق بن سليك الأسدي	٦	٥٠٩ ـ ٥١٠
فجاؤوا	يلطمِ	الطويل	ـ	١	١٠٧٤
ودهمٍ	تحلّمِ	الطويل	عمرو بن أحمر الباهلي	٤	١٠٠٨ ـ ١٠٠٩
لولا أُميمة	الظلَمِ	البسيط	إسحٰق بن خلف	٥	٢١٠
وأنت	علمِ	الطويل	[عبد الله بن همام السلولي]	٢	٧٠٣ ـ ٧٠٤
دعا	يُكْلمِ	الطويل	امرأة من طيىء	٤	١٦٠ ـ ١٦٣
يشبّهون	والأممِ	البسيط	[الشمردل بن شريك]	٢	٩٥١
قومي	سهمي	الكامل	الحارث بن وعلة الذهلي	٧	١٥٣ ـ ١٥٧
بيدِ	الهمِّ	الكامل	أبو صخر الهذلي	٨	٧٤٨ ـ ٧٤٩
إن تسألي	ومخزومِ	السريع	امرأة من بني مخزوم	٣	١٠٤٥
فإلاّ أكن	شتيمِ	الطويل	[عبد العزيز بن زرارة]	٢	٩٩٣
صفراء	سقيمِ	الكامل	[مجنون ليلى]	٣	٨١٢ ـ ٨١٣
وما إنْ	كريمِ	الوافر	[كعب بن سعد الغنوي أو المخبل السعدي]	٣	٩١٥ ـ ٩١٦
إلاّ أكن	كريمِ	الطويل	بعض بني أسد	٣	٢٠٦ ـ ٢٠٧
يديتُ	الكريمِ	الوافر	بعض بني أسد	٥	١٤٣ ـ ١٤٥
وقالوا	بالكريمِ	الوافر	امرأة من بني شيبان	٢	٥٦٢ ـ ٥٦٣

قافية الهاء

الهاء الساكنة

الهاء المفتوحة

قافية الواو

الواو الساكنة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
لستُ	مواليا	الطويل	أُبيّ بن حمام العبسي	٦	٢٩٥ ـ ٢٩٧
لعمرك	هَوَى لِيَا	الطويل	حريث بن جابر بن سريّ	٢	٢٦٧
تبغَّى	لياليَا	الطويل	جزء بن كليب الفقعسي	٥	١٨١ ـ ١٨٢
تقيم	المراميا	الطويل	إياس بن القائف	٣	٧٠٠
ألا لا	حِمَاميا	الطويل	جعفر بن علبة الحارثي	٤	٢٥٥
وكنتُ	ارتدانيا	الطويل	أبو حكيم المري	٢	٦٥٣
قد كنتُ	علانيا	الطويل	ـ	٣	٧٥٦
أقول	الغوانيا	الطويل	حفص العليمي	٤	٧٩٥
أى حبَّذا	هيا	الطويل	كنزة أُم شملة	٧	٩١٨ ـ ٩١٩
أبا خالد	ثاويا	الطويل	[منصور النمري]	٣	٦١٤ ـ ٦١٥
داوِ	مداوِيَا	الطويل	رجل من بني أسد	٤	٢١٦
بينما	هويًّا	الخفيف	بعض القرشيين	٣	٧٥٥

الياء المكسورة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
وفتيان	القسيِّ	الوافر	ـ	٦	١٠٥٥ ـ ١٠٥٧
لعمرك	فالسليِّ	الوافر	كعب بن زهير	٤	٦٢٩ ـ ٦٣٠

١٣ ـ فهرس الأرجاز في متن الحماسة(*)

(*) هذا الفهرس خاص بالأرجاز التي وردت في متن الحماسة فقط، وقد أفردنا فهرسًا آخر للأرجاز الواردة في شرح التبريزي.

١٤ ـ فهرس المصادر والمراجع

ـ **إتحاف السادة المتقين**، الزبيدي، بيروت.

ـ **أدب الكاتب**، ابن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ـ ١٩٨٢.

ـ **الأزهية في علم الحروف**، الهرويّ، تح عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١ ـ ١٩٨١.

ـ **أساس البلاغة**، الزمخشري، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٩١.

ـ **أسرار العربية**، عبد الرحمٰن الأنباري، تح محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٧.

ـ **الأشباه والنظائر**، السيوطي، تح عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.

ـ **الاشتقاق**، ابن دريد، تح عبد السلام هارون، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩.

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.

ـ **إصلاح المنطق**، ابن السكّيت، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر ١٩٨٧م.

ـ **الأصمعيات**، الأصمعي، تح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، المعارف ١٣٦٨هـ.

ـ **اعتلال القلوب**، الخرائطي، تح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.

ـ **إعراب ثلاثين سورة من القرآن**، لابن خالويه، دار الكتب ١٣٦٠هـ.

ـ **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ودار الكتب العلمية، بيروت.

ـ **أمالي ابن الحاجب**، عمرو بن عثمان الحاجب، تح فخر سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت ١٩٨٩.

ـ **أمالي ابن الشجري**، هبة الله بن علي، حيدر آباد، ١٣٤٩هـ.

ـ **أمالي القالي**، إسماعيل بن القاسم القالي، دار الكتاب العربي، بيروت.

ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، القفطي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط ١ ـ ١٩٨٦.

- **أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك**، ابن هشام، ومعه كتاب عدّة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ١٩٧٩.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس**، ابن عبد البرّ، تح محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **البيان والتبيين**، الجاحظ، تح عبد السلام هارون، لجنة التأليف ١٣٦٩.
- **تاج العروس**، المرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت.
- **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، القاهرة ١٣٤٩هـ.
- **تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد**، ابن هشام، تح عباس مصطفى الصالحي، المكتبة العربية، بيروت، ط ١ ـ ١٩٨٦ م.
- **تذكرة النحاة**، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، تح عفيف عبد الرحمٰن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ـ ١٩٨٦ م.
- **تزيين الأسواق**، لداود الأنطاكي، بيروت ١٩٧٢.
- **تمثال الأمثال**، أبو المحاسن محمد بن علي العبدريّ الشيبيّ، تح أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت ط ١ ـ ١٩٨٢.
- **التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الإيضاح**، عبد اللّه بن بري، تح مصطفى حجازي وغيره، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢ ـ ١٩٨٠.
- **تهذيب تاريخ دمشق الكبيرة**، علي بن الحسن الشافعي، هذّبه ورتّبه عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط ٢ ـ ١٩٧٩ م.
- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري، تح عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامّة للتأليف، ط ١ ـ ١٩٦٤.
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، الثعالبي، تح إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق ١٩٩٤.
- **جمهرة أشعار العرب**، القرشي، تح محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق ١٩٨٦.
- **جمهرة اللغة**، ابن دريد، تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١ ـ ١٩٨٧.
- **الجنى الداني في حروف المعاني**، الحسن بن قاسم المرادي، تح فخر الدين قباوة ومحمد نبيل فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢ ـ ١٩٨٣.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣ ـ ١٩٨٠.
- **حماسة البحتري**، اعتنى بضبطه لويس شيخو، بيروت.
- **الحماسة الشجرية**، لابن الشجري، حيدرآباد ١٣٤٥ هـ.
- **الحيوان**، للجاحظ، تح عبد السلام هارون، الحلبي ١٣٦٦ هـ.
- **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، البغدادي، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣ ـ ١٩٨٩.
- **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.

- **الدّرر اللوامع على همع الهوامع**، شرح جمع الجوامع في العلوم العربية، الشنقيطي، تح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط ١ ـ ١٩٨١.
- **ديوان الأخطل**، شرح راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٢.
- **ديوان الأعشى**، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣.
- **ديوان أوس بن حجر**، تح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٦.
- **ديوان جرير**، الصاوي ١٣٤٥.
- **ديوان جميل بثينة**، جمع وتحقيق إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، ط ٢ ـ ١٩٩٦.
- **ديوان حاتم الطائي**، دار صادر، بيروت ١٩٦٣ م.
- **ديوان حميد بن ثور**، دار الكتب المصرية، ١٣٧١ هـ.
- **ديوان الحطيئة**، التقدّم، القاهرة.
- **ديوان الحماسة**، برواية الجواليقي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- **ديوان رؤبة بن العجاج**، تح وليم بن الورد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢ ـ ١٩٨٠.
- **ديوان ذي الرّمّة**، شرح أحمد بن حاتم الباهلي، رواية ثعلب، تح عبد القدّوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط ١ ـ ١٩٨٢.
- **ديوان أبي زبيد الطائي (حرملة بن المنذر)**، تح نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١ ـ ١٩٦٧ م.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، دار الكتب المصرية ١٣٦٣ هـ.
- **ديوان سلامة بن جندل**، بيروت، ١٩١٠ م.
- **ديوان الشماخ**، السعادة ١٣٢٧ هـ.
- **ديوان الشنفرى**، جمع وتحقيق إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٢ ـ ١٩٩١.
- **ديوان طرفة بن العبد**، دار صادر، بيروت.
- **ديوان الطرماح**، تح عزّة حسن، دمشق ١٩٦٨.
- **ديوان العباس بن مرداس**، جمع وتحقيق يحيىٰ الجبوري، نشر مديرية الثقافة العامّة في وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، بغداد ١٩٦٨.
- **ديوان عبيد الله بن قيس الرّقيّات**، تح وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت ١٩٨٦ م.
- **ديوان العجاج (عبد الله بن رؤبة)**، رواية عبد الملك بن قريب، تح عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق.
- **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، تح محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الأندلس، ط ٤ ـ ١٩٨٨ م.
- **ديوان عمرو بن قميئة البكريّ**، تح حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد ١١، القاهرة ١٩٦٥.
- **ديوان عنترة**، تح ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢ ـ ١٩٨٣ م.

- **ديوان الفرزدق**، دار صادر، بيروت.
- **ديوان القطامي**، برلين ١٩٠٢ م.
- **ديوان قيس بن ذريح**، جمع وتحقيق إميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣.
- **ديوان كعب بن زهير**، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩ هـ.
- **ديوان كعب بن مالك الأنصاري**، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط ١ ـ ١٩٦٦.
- **ديوان ابن ميادة، (الرماح بن أبرد)**، جمع وتحقيق حنّا جميل حدّاد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١ ـ ١٩٨٢.
- **ديوان المعاني**، للعسكري، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
- **ديوان النابغة الذبياني**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٧٧.
- **ديوان الهذليين**، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩ هـ.
- **الرّدّ على النحاة**، ابن مضاء القرطبي، تح شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢ م.
- **روضة المحبين**، ابن قيّم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **زهر الآداب**، الحصري القيرواني، الرحمانية ١٩٢٥.
- **الزهرة**، محمد بن داود الأصبهاني، تح إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط ٢ ـ ١٩٨٥.
- **سرّ صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تح حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ١ ـ ١٩٨٥.
- **سمط اللآلي**، تح عبد العزيز الميمني، دار الحديث بيروت، ط ٢ ـ ١٩٨٤.
- **سُنن الترمذي**، مصطفى الحلبي.
- **السُّنن الكبرى**، البيهقي، تصوير بيروت.
- **سُنن ابن ماجه**، عيسى الحلبي.
- **شذرات الذهب**، ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- **شرح أبيات سيبويه**، السيرافي، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت ١٩٧٩ م.
- **شرح اختيارات المفضّل**، الخطيب التبريزي، تح فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، ط ٢ ـ ١٩٨٧.
- **شرح أشعار الهذليين**، السكّري، تح عبد الستّار أحمد فرّاج ومراجعة محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.
- **شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١ ـ ١٩٥٥.
- **شرح ديوان الحماسة**، للمرزوقي، أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ١٩٩١.
- **شرح السُّنَّة**، البغوي، المكتب الإسلامي.

- **شرح شواهد الإيضاح**، عبد اللّه بن برّي، تح عبيد مصطفى درويش، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٥ م.
- **شرح شواهد المُغني**، السيوطي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **شرح ابن عقيل**، أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم، دار جروس، طرابلس ط ١ ـ ١٩٩٥.
- **شرح المفصّل**، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة.
- **الشعر والشعراء**، ابن قتيبة، تح أحمد شاكر، الحلبي ١٣٧٠ هـ.
- **طبقات الشعراء**، ابن المعتزّ، تح عبد الستّار أحمد فراج، دار المعارف، مصر ١٩٧٦.
- **طبقات فحول الشعراء**، محمد بن سلام الجمحي، محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط ١ ـ ١٩٧٤ م.
- **العقد الفريد**، ابن عبد ربّه، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٣.
- **عيون الأخبار**، ابن قتيبة، شرح وضبط يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال**، أبو عبيد البكري، تح إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣ ـ ١٩٨٣.
- **الفهرست**، ابن النديم، دار المسيرة، ط ٣ ـ ١٩٨٨ م.
- **الكامل**، ابن الأثير، محمد منير، ١٣٤٨ هـ.
- **الكامل**، للمبرّد، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٨٦٤.
- **كتاب الخيل**، لابن الأعرابي، ليدن، ١٩٢٨ م.
- **كتاب سيبويه**، بولاق ١٣١٦.
- **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران ١٤٠٩ هـ.
- **كشف الخفاء**، للعجلوني، مكتبة دار التراث.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- **المؤتلف والمختلف**، الآمدي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط ٢ ـ ١٩٨٢.
- **مبادىء اللغة للإسكافي**، السعادة، ١٣٢٥ هـ.
- **المبهج**، لابن جنّي، الترقّي، دمشق ١٣٤٨ هـ.
- **مجالس ثعلب**، تح عبد السلام هارون، المعارف، القاهرة ١٣٦٩.
- **المجتنى**، لابن دريد، حيدرآباد ١٣٤٢.
- **مجمع الأمثال**، الميداني، منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٦١.
- **محاضرات الراغب**، الأصبهاني، الشرفية، ١٣٢٦ هـ.

- **المذكر والمؤنث**، الأنباري، تح طارق عبد العون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١ ـ ١٩٧٨.
- **المخصّص**، ابن سيده، بولاق ١٣١٨ هـ.
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، السيوطي، شرح وتح محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت.
- **المستقصى في أمثال العرب**، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢ ـ ١٩٨٧.
- **مشكاة المصابيح**، التبريزي، المكتب الإسلامي.
- **المعارف**، لابن قتيبة، الإسلامية ١٣٥٣ هـ.
- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت ١٩٤٧.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار صادر، ودار بيروت، ١٩٨٤.
- **معجم ما استعجم**، البكري، تح مصطفى السقا، لجنة التأليف ١٣٦٤.
- **المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية**، إميل يعقوب، دار الكتب العلمية ١٩٩٦.
- **مُغني اللبيب**، ابن هشام، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧.
- **المفضليات**، تح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، المعارف ١٣٦١.
- **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية**، محمود بن أحمد العيني، دار صادر.
- **مقاييس اللغة**، ابن فارس، تح عبد السلام هارون، الحلبي ١٣٦٨ هـ.
- **المقتضب**، المبرّد، تح محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.
- **الممتع في التصريف**، ابن عصفور الإشبيلي، تح فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٤ ـ ١٩٧٩.
- **الموشّح**، المرزباني، السلفية، ١٣٤٣ هـ.
- **موطّأ مالك**، دار الفكر، بيروت.
- **المنصف**، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جنّي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله الأمين، مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤.
- **نسب قريش**، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري، دار المعارف، مصر ط ٣.
- **النقائض**، رواية أبي عبيد، ليدن ١٩٠٥ م.
- **النوادر في اللغة**، أبو زيد سعيد بن أوس، دار الكتاب العربي، ط ٢ ـ ١٩٦٧.
- **نهاية الأرب**، النويري، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨.
- **همع الهوامع**، السيوطي، السعادة، ١٣٢٧ هـ.
- **الوحشيات**، لأبي تمام، دار الكتب.
- **الوافي بالوفيات**، الصفدي، باعتناء شكري فيصل، نشر فرانز شتايز بفيسبادن، ط ١ ـ ١٩٨١ م.
- **وفيات الأعيان**، ابن خلّكان، تح إحسان عباس، دار صادر ١٩٧٨ .

فهرس المحتويات